

الحديقة

مجموعة أدبٍ بارعٍ وحكمةٍ بليغةٍ

انتقاهَا

الكاتبُ الإسلاميُّ الكبيرُ

محمد بن عبد الله بن الخطيب

رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

دارُ العبَّاسيةِ
الرياض

المكتبة السلفية
القاهرة

الشيخ محمّد بن عبد الله

مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة

انتقاها
الكاتب الإسلامي الكبير
محمّد بن عبد الله
رحمه الله

اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي

المجلد الأول

دار العبّاص
الرياض

المكتبة السلفية
القاهرة

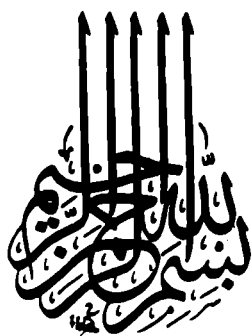
الطبعة الثانية
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
جميع الحقوق محفوظة للناشر
المكتبة السلفية بمصر

رقم إيداع دار الكتب المصرية : ٢٤٩٩٥ / ٢٠١٠

المكتبة السلفية

ميدان عمان - الدقي - الجيزة - مصر
هاتف: ٣٧٦١٠٧٧٢ - ٣٧٦١٥٤٩٤
بريد الكتروني: alsalafeya@hotmail.com

توزيع
وزارة الثقافة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب : ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي : ١١٥٥١
المركز الرئيسي : شارع السويدي العام
هاتف : ٤٤٩٧٢٢٤ / فاكس : ٤٤٩٧٢٢٥



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد :

فقد قال العلماء: «اختيار المرء، قطعة من عقله»، فكيف إذا كان المُختار والمنتقى في مقام الأستاذ الكبير، والكاتب الإسلامي الشهير: محب الدين الخطيب رحمته الله، وهو الذي خاض غمار العلوم والآداب مُذ كان في ميعه الصبا، وريعان الشباب، حيث كان شيخه طاهر الجزائري يُكلفه عندما كان في المدرسة الثانوية بنسخ المخطوطات والكتب المتنوعة «لتوسيع ثقافته الإسلامية»^(١)، ثم صار يُلقح ثقافته بالمطالعات الأخرى المتنوعة، التي فتحت أمامه آفاقاً واسعة من المعرفة والتذوق العلمي والأدبي، إضافة إلى استفادته من مجال الصحافة الذي اقتحمه، ودخل من أوسع أبوابه، وتنقل فيه مبكراً.

(١) من سير الخالدين بأقلامهم؛ لحسن السماحي سويدان (ص ٩١).

وهذا الكتاب الذي بين يديك - أخي القارئ - هو عُصارة وثمره خبرات ومطالعات الأستاذ الكبير، استحق بها كتابه أن يكون - كاسمه - (حديقة) وارفة، يقطف الناظر فيها من ثمارها كل مالذ وطاب، من فروع العلم والثقافة، وجميل الآداب، مع عدم خلوها من المواعظ والذكرى النافعة لأولي الألباب.

فهى - بحق - كما قال الشاعر محمد صادق عرنوس لصاحبها^(١):

أهديتني ثمرَ الحديقة	ولقد حرصتُ بأن أذوقه
فإذا هو السحرُ الحلا	لُ يشيعُ في نفسي المشوقة
أغصانهُ منهذلاً	تُ أوشكتُ أن لا تُطيقه
فاعجبُ له قد صارَ قب	لَ قطافه خمراً عتيقه
لا عَوَلٌ فيها بل رشا	دُ تستقيم به الطريقة
منخيراً أسلويها	بينَ الأساليب الرشيقه
إن أسهبتُ غاصت ورا	ءَ الدرّ في اللجج العميقه
أو أوجزتُ أذنت مسا	فاتِ النعابير السحيقه
هتكتُ عن المعنى الجميد	لِ بقوة حُجُباً صفيقه
فيها مفاجأة تل	دُ من الخيال إلى الحقيقه
علمٌ و آدابٌ قوا	مُ فصولها نكتٌ دقيقه
حكّم بأبداع صورة	وأدقّها وضعا مسوقه
فعلى الشجاعة والملا	ينعمود الرجل الفروقه
والفاسقُ الخريبُ من	تأثيرها يسلو فسوقه
يا طالما هتئ البخب	لُ إلى الندى وأقام سوقه

(١) وستأتي في الجزء التاسع من هذا الكتاب - إن شاء الله - .

ولطالما كانت لنض
مسحت مثار همومه
تثبُ النفوس إلى مجا
هي قدرة في الاختب
آسُ بجانب نخلة
ما بين فاكهة المذا
لا قيدَ في نبوبها
الجاهليّ بجانب ابن
طوبى لمن تخذ الحديق
و الهَمّ مسلاة رقيقة
فتقلّصت بيدِ رفيقة
نيها بلا قيدِ طليقة
ار بكلّ تمجيد خليقة
وبجانب العنب الشقيقة
ق وزهرة الشمّ الأنيقة
وكذاك أشجارُ الحديقة
العصر معدودُ شقيقة
ة وقت خلوته صديقة

ولذا؛ فقد أحببت تقرب تلك الثمار اليانة من المتشوقين لها، بالاعتناء بها، وإعادة طبعها من جديد، لاسيما وقد تقادم العهد على طبعها الأولى^(١)، مُعلّقًا على ما يستحق التعليق^(٢)، ومهذّبًا ما يحتاج إلى تهذيب.

ولعل القارئ يراعي قبل قطف ثمار هذه الحديقة هذه الأمور:

الأول: أن الكتاب جاء مُعبرًا عن الحالة العامة التي كان يعيشها العالم العربي والإسلامي، حيث التطلع إلى التحرر من سيطرة الأعداء الغاصبين، والمستعمرين المدمرين، ومن ثمّ جاءت خطوطه العريضة تستحث همم المسلمين إلى النهوض، وفك القيود الظالمة، وتدعوهم إلى ترك اليأس والكسل، وترغبهم في مزاحمة أمم الأرض إلى التقدم.

الثاني: تأثر بعض اختياراته بشائبة من الروح القومية العربية التي شابت تلك

(١) صدرت أجزاءها متتابعة عن طريق «المطبعة السلفية» التي يملكها محب الدين الخطيب. ابتداءً من عام ١٣٤١هـ، إلى ١٣٥٤هـ. وطُبع بعضها طبعتان.

(٢) مُتَّبَعًا تعليقاتي بحرف (س).

المرحلة، عندما بدأ الفصام التكد بين الأتراك والعرب، حيث تعصب كلٌ منهما لجنسه، متناسين أخوة الإسلام، مما أحدث فتنة استفاد منها الأعداء، ونفذوا من خلالها إلى الوصول لأهدافهم، من تفريق بلاد المسلمين، وإثارة النعرات بينهم. وإن كان محب الدين ﷺ قد بيّن رأيه في هذه القضية بقوله: «أنا عشت ما عشت للعروبة والإسلام»^(١).

الثالث: يتردد أحياناً لفظ «الشرق»؛ للدلالة على الإسلام وأهله، في مقابل «الغرب»، وهو لفظ شاع استعماله بين الكتاب والأدباء منذ أوائل هذا القرن العشرين، متغافلين عن كونه مصطلحاً واسعاً، لا يدل على المقصود منه؛ لأنه يُدخل ضمن الشرق دولاً ومجتمعات غير إسلامية، بل مشركة، كالصين واليابان وغيرها. وفي ظني أن المقصود من نشره وإشاعته بين المسلمين تلك الأيام، هو صرفهم عن المصطلحات الشرعية؛ كبلاد الإسلام، ونحوه، وأن يكون الصراع بين «شرق» و «غرب»، لا بين «إسلام» و «كفر». فينبغي التنبه لهذا.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، ويجعله سلوةً لخواطر مَنْ طالعه، ومستراحاً لنفس مَنْ اقتناه، وشارحاً لصدر من قلب الطرف في محتواه. وأسأله تعالى أن يغفر لمحِب الدين الخطيب، ويرفع درجته في المهديين؛ جزاء ما قدّم وورث من خير لأُمته، والأجيال من بعده..

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

سليمان بن صالح الخراشي

Alkharashi1@hotmail.com

(١) انظر: رسالة «محب الدين الخطيب، آثاره ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية»؛ لمحمد فوزي إسماعيل (ص ٦٥).

ترجمة الأستاذ محب الدين الخطيب^(١)

١- نشأته وحياته العلمية:

جاء في مذكراته^(٢):

أنه يُنسب لأسرة آل الخطيب الحسني الشهيرة في دمشق، فقد ولد فيها، وتعلم في مدارسها، والده: الشيخ أبو الفتح الخطيب، من علماء دمشق ومدرسيها وأئمتها وخطبائها، كان أمين دار الكتب الظاهرية في دمشق منذ تأسيسها عام (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م)، حتى وفاته.

وأسرة محب الدين، أسرة علم: خطابةً وتدريسًا، لهم مكانة في التجارة، ومناصب في الحكومة، وامتاز كثير منهم بالشجاعة والشهامة وسلامة الطوية. توفيت والدته وهي عائدة من أداء فريضة الحج، عام ١٨٩٣م، بين مكة والمدينة، بينما كان محب الدين آنذاك صغيرًا في حجرها، وكانت على تقوى وصلاح، ثم شمله والده برعايته حتى وفاته في ١٢ / ٦ / ١٨٩٧م.

وقد أدخله والده في المدارس الأميرية للدولة العثمانية، والمدرسة الثانوية الوحيدة في دمشق آنذاك والتي كانت تسمى في تلك الأيام: «مكتب عنبر».

(١) نقلًا عن: «علماء الشام في القرن العشرين وجهودهم في إيقاظ الأمة والتصدي للتيارات الوافدة»؛ للشيخ محمد حامد الناصر (ص ٩٩ - ١١٢) - بتصرف يسير - . وترجمته تكلل مشهورة معلومة، من أوسعها: الرسالة الجامعية: «محب الدين الخطيب - آثاره ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية»؛ لمحمد فوزي إسماعيل (لم تُطبع بعد).

(٢) مذكرات محب الدين الخطيب سيرة جيل، طُبعت تحت عنوان: من سير الخالدين بأقلامهم، للفترة (١٨٨٦ - ١٩٢٨م)، تحقيق: حسن سويدان، طبع دمشق وبيروت، ١٤١٨هـ.

ثم توفي والده، فأصبح يتيم الأبوين^(١).

«ثم قيض الله لهذا اليتيم: الشيخ طاهر الجزائري، فهو أبوه الروحي بعد وفاة والده الراحل...».

«وصار الشيخ طاهر يختار من مخطوطات دار الكتب الظاهرية مما ألفه علماء الإسلام؛ كشيخ الإسلام: ابن تيمية وأضرابه، فيكلف صاحب الترجمة بنسخها، لتوسع ثقافته الإسلامية، وليشغل وقته بعمل علمي مفيد، وليتفنع بأجر ما ينسخه من هذه الرسائل^(٢)».

ثم يتحدث محب الدين عن أثر طاهر الجزائري، ومدرسة عبد الله باشا العظم «القرية من الجامع الأموي»، في تكوينه الثقافي فيقول: «وقد أشار الشيخ طاهر عليه، أن ينتفع من فضائل العالم القارئ الشيخ «أحمد النويلاتي»، وقد كان زاهداً منقطعاً للعلم، معتزلاً الناس في غرفته من مدرسة عبد الله باشا العظم، وكانت هذه المدرسة آنذاك، إحدى حصون الدعوة إلى الإصلاح في عاصمة بني أمية».

ففيها غرفة للشيخ طاهر، وغرفة للشيخ جمال الدين القاسمي، يجتمع كل منهما مع جماعة من تلاميذه، وصار محب الدين يتردد على غرف هذا الحصن، ويلزم شيخه الجليل «أحمد النويلاتي» الذي قرأ عليه عددًا من الكتب^(٣).

وفي هذه الفترة صار يُكثر من قراءة الكتب في دار الكتب الظاهرية، كما كان يطلع على الصحف والمجلات، ولا سيما: المقتطف والهلال والضياء، وقد

(١) مذكرات محب الدين: (ص ٨٨ - ٩٠)، بإيجاز يسير.

(٢) المرجع السابق، (ص ٩١، ٩٣).

(٣) المرجع السابق، (ص ٩١، ٩٣).

ساعده اطلاعه على مؤلفات ابن تيمية في التعرف على الإسلام من يناييعه الأصلية الصافية، البعيدة عن البدع والضلالات.

وتكونت بذلك عنده عقيدة بأن للناطقين بالضاد، ومن سار في قافلتهم من المسلمين رسالة خالدة، هم المسئولون عن القيام بها في كل مكان وزمان، ... وقد ظلت هذه العقيدة ثابتة في قلب صاحب الترجمة وعقله طول حياته، ولم يتجدد له بعد ذلك ما يغيرها، أو يدخل عليها أي تعديل على حسب قوله^(١).

وكان ﷺ إذا أعجبه كتاب جديد مثل كتاب: «أم القرى» للكواكبي، أو «كتاب الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده يقرأه لنفسه أولاً، ثم يحرص على أن يعيد قراءته مع طالب آخر يختاره من زملائه..

وكان لمحِب الدين حلقة صغيرة في دمشق يلتقي فيها مع أقرانه، وأخرى كبيرة يرأسها طاهر الجزائري، وكان من رواد هذه الحلقة: جمال الدين القاسمي، ورفيق العظم، ومحمد كرد علي، وعبد الحميد الزهراوي، والضابط سليم الجزائري، وشكري العسلي، وعبد الوهاب الإنجليزي، وفارس الخوري وغيرهم.

وكان محِب الدين - وهو حديث السن - يلازم هذه الحلقة، ويكون الصلة بينها وبين حلقة الصغرى التي يجتمع فيها مع أصدقائه^(٢).

وفي السنة النهائية، وهي السنة السابعة في «مكتب عنبر»، طلب محِب الدين الانتقال إلى بيروت، لأن المدرس ضبطه مشغولاً (وهو في الفصل) بقراءة بعض الكتب الممنوعة آنذاك، مثل: قصائد لشاعر الترك، رأس الأحرار العثمانيين،

(١) المرجع السابق، (ص ٩٤ - ٩٥).

(٢) المرجع السابق: (ص ٩٦ - ٩٨)، بإيجاز.

نامق كمال، وطبقته - حسب تعبير محب الدين - وكلها كانت في تمجيد الحرية، وكتب أخرى ممنوعة التداول أيام السلطان عبد الحميد.

وتخرج محب الدين من ثانوية بيروت (في ٩ / ٧ / ١٩٠٥م)^(١).

ثم سافر الشاب إلى إستانبول عاصمة الخلافة، والتحق في جامعتها، وسجل في كليتين معاً: الحقوق والآداب. واندمج هنالك في محيط الطلبة العرب، وتفاعل معهم أدبياً وقومياً... وقد غاظه ما وجده من جهل الطلاب هؤلاء لقواعد اللغة العربية وإملائها، فضلاً عن آدابها وثقافتها... كما كانوا يتكلمون فيما بينهم باللغة التركية.

ومن أجل ذلك اتصل محب الدين بمحمد كرد علي، وكان يقيم في مصر آنذاك، وطلب منه أن يرسل إليه مع بريد كل باخرة طردًا بريدياً كبيراً ليستعين بها على تعليم زملائه آداب العرب ولغتهم وشعرهم... وكان هؤلاء الشباب يشعرون يوماً بعد يوم بعظمة قوميتهم العربية، وبجلال الإسلام ومفاخره على حد تعبير محب الدين^(٢).

٢- نشاطه السياسي:

كان لمحب الدين الخطيب دور فعال في الحركة العربية وفي تأسيس الجمعيات، والمساهمة في نشاط بعضها، ومساندة ثورة الشريف حسين، كل ذلك أيام شبابه وفي الثلث الأول من القرن العشرين.

□ تأسيس جمعية النهضة العربية: فقد أعلن مع زملائه الممتازين بأن عملهم

(١) المرجع السابق: (ص ٩٨ - ٩٩)، بإيجاز.

(٢) المرجع السابق: (ص ١٠١ - ١٠٣)، بتصرف يسير.

في دروس اللغة العربية، يبشر بنهضة مباركة، واقترح أن تسمى حلقتهم العلمية هذه: «جمعية النهضة العربية».

وعقدوا أول لقاء لأعضاء الجمعية في جزيرة «بيوك أضة» قرب إستانبول، في ١٣ / يوليو / ١٩٠٧ م.

وقد لفت نشاط الطلبة العرب خلال عامين، نظارة الضبطية، أي «الأمّن العام»، مما أدى إلى مداومة كبار رجال الأمّن لغرفة محب الدين في حلقة تدريس العربية. . وشملت الرقابة بعد ذلك بيوت كثير من أصحابه، فسافر صيفًا إلى دمشق، وكان في السنة الثانية من كلية الحقوق بعد أن انقطع عن دراسة كلية الآداب^(١).

وتحولت الجمعية إلى دمشق بسبب الظروف الطارئة، ثم تأسست عدة جمعيات؛ كالمتدّى الأدبي، والجمعية القحطانية، وجمعية العهد، حول الضباطين (سليم الجزائري وعزيز المصري)^(٢).

ثم سافر إلى اليمن للعمل كمترجم في القنصلية التركية في مدينة الحديدة. . وهناك عمل محب الدين على تأسيس فرع لجمعية الشورى العثمانية، والتي كان من أركانها: رفيق العظم ورشيد رضا وآخرون.

وكان هؤلاء يطالبون بالحكم النيابي في البلاد العثمانية، وبإعلان الدستور، ووضع حد للحكم الفردي. وكان لهذه الجمعية ثلاثة عشر فرعًا في داخل البلاد العثمانية.

وفي اليمن تعرف محب الدين على طائفة من الضباط المبعدين إليها، بسبب نزعتهم للحرية وميلهم إلى الحياة النيابية.

(١) المرجع السابق: (ص ١٠٣ - ١١٠).

(٢) المرجع السابق، (ص ١١٤ - ١١٥).

وقد علم محب الدين أن جمعية الشورى العثمانية في مصر، أُلحقت بجمعية الاتحاد والترقي، وعملاً بمبدأ تعجيل الأمر الواقع أعلن أن الفرع الرابع عشر لجمعية الشورى العثمانية في الحديدة، أصبح فرعاً لجمعية الاتحاد والترقي^(١).

وفي شهر تشرين الثاني عام ١٩٠٨م، غادر محب الدين اليمن متوجّهاً إلى دمشق، وهناك رأى أن الدولة تأبى أن تعترف بعنوان: «جمعية النهضة العربية» لأن كلمة (العربية) غير مرغوب فيها عند رجال الاتحاد والترقي، وأجبروا الجمعية على أن تجعل اسمها: جمعية النهضة السورية.

واضطر محب الدين أن يغادر دمشق، بسبب نشاطه السياسي، فسافر إلى إستانبول، والتحق بمعهد الحقوق في السنة الثالثة^(٢).

ثم سافر محب الدين إلى القاهرة، في آب ١٩٠٩م، بعد مضايقات أمنية كان يتعرض لها، فباع منزلاً كان يملكه في دمشق، وأسس بثمرته المكتبة السلفية، واشتغل في تلك الفترة في تحرير جريدة «المؤيد» التي كان يصدرها الشيخ «علي يوسف»، والذي يعتبر أستاذه الأول في فن الصحافة، واستمر في هذا العمل منذ شهر أيلول ١٩٠٩م، إلى ما بعد وفاة الشيخ علي يوسف^(٣).

وخلال اشتغاله في تحرير «المؤيد»، ازداد غلو الاتحاديين العنصري، فكان مجال محب الدين في الجريدة واسعاً للرد على هذا الاتجاه، وتشجيع الحركة العربية في سوريا والعراق، وسائر البلاد العربية العثمانية^(٤).

وقد ذاع صيت السيد محب الدين في تلك المرحلة، وانتشرت مقالاته

(١) ينظر تفصيلاً لرحلة محب الدين إلى اليمن، في: المذكرات: (ص ١١١ - ١٣١).

(٢) المرجع السابق: (ص ١٣٧ - ١٤٠).

(٣) المرجع السابق: (ص ١٤١ - ١٤٤)، بإيجاز.

(٤) المرجع السابق، (ص ١٤٤ - ١٤٥)، بإيجاز وتصرف.

وترجماتة، وخاصة فيما يخص المستشرقين والمبشرين وخططهم في تنصير المسلمين، من ذلك المقالات التي كان يترجمها عن الفرنسية للمبشر الفرنسي «لوشاتليه»، مع زميله (مساعد اليافي)، وكان من هذه المقالات كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، وكان للكتاب والمقالات التي نُشرت أثر طيب في أوساط المسلمين، حيث استيقظوا إلى ما يراد بهم وبدينهم^(١).

وفي القاهرة تعاون محب الدين مع الأحزاب القومية التي أسست في تلك الفترة مثل: حزب اللامركزية الإدارية العثماني، الذي تأسس عام ١٩١٣م برئاسة رفيق العظم، وكان من كبار رجاله: رشيد رضا، وحقي العظم، وكان محب الدين عضو مجلس الإدارة لهذا الحزب، وكاتم سره الثاني.

كما تعاون مع «الجمعية العربية الفتاة»، التي أسست في بيروت ثم في باريس، وقد كان لهذه الجمعية شأن عظيم في الحركة العربية، وحكومة فيصل بن الحسين. وكان محب الدين ممثلاً لهذه الجمعية في مصر.

وكان لمحب الدين دور نشط لعقد المؤتمر العربي الأول في باريس الذي عقد في شهر تموز ١٩١٣م، بالتعاون بين حزب اللامركزية وجمعية العربية الفتاة، وقد انتدب السيد عبد الحميد الزهرواني ليكون رئيساً لهذا المؤتمر، وإسكندر عمون وكيلاً للرئاسة.

يقول محب الدين: «وكان للمؤتمر تأثير عظيم في الكيان العربي، وقد تردد صداه في أنحاء البلاد» ومن ثم تولى محب الدين جمع أعمال هذا المؤتمر في كتاب نشره في القاهرة سنة ١٩١٣م^(٢).

(١) المرجع السابق: (ص ١٤٤)، وأعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة: عبد الله العقيل، (ص ٣١٠).

(٢) المرجع السابق: (ص ١٤٥).

□ وحول قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م^(١):

يقول محب الدين: «عندما انحازت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان، كان ذلك مقاومة غير حميدة، وكان من رأي رجالات العرب في «العربية الفتاة» و«اللامركزية» عدم الدخول في الحرب، وأن تبقى الدولة على الحياد...».

واختير - في هذه الفترة - محب الدين ليقوم بمهمة قومية في الخليج العربي، بقصد الاجتماع بأمير نجد والإحساء آنذاك «الأمير عبد العزيز آل سعود»، وبالسيد «طالب النقيب» زعيم العراق الجنوبي، وبغيرهما من زعماء العرب.

وكان الغرض من هذه الرحلة توحيد الجهود في الشئون العربية، وما ينبغي للعرب أن يقوموا به لوقاية بلادهم من شرور الحرب العامة ونتائجها، إلا أن محب الدين لم يستطع إكمال مهمته، حيث اعتقلته السلطات الإنجليزية، فسُجن في البصرة مدة سبعة أشهر. . وعاد بعدها إلى مصر، وكانت الحرب في شدتها، واضطهاد الترك للعرب في ذروته.

□ وحول موقف محب الدين من الشريف حسين بن علي والثورة العربية^(٢):

يقول محب الدين في مذكراته: «شعر الشريف حسين بحاجته إلى الاستعانة - لتوطيد حكومته المنتظرة - برجال يؤمنون بحق العرب في الحياة والاستقلال، فأرسل إلى مصر يطلب رجالاً: عسكريين وإداريين، من مثله الضابط العراقي «شريف الفاروقي»، وكان الفاروقي قد اتخذ داراً باسم «الوكالة العربية»، كان يتردد عليها أنصار القومية العربية يومياً، وفي طليعتهم الضابط عزيز المصري^(٣).

(١) المرجع السابق، (ص ١٤٦ - ١٥٣).

(٢) المرجع السابق: (ص ١٥٤ - ١٥٨).

(٣) المرجع السابق: (ص ١٥٥ - ١٥٦).

وقد طلب الشريف حسين من ممثله «الفاروقي» أن يُرسل إليه محب الدين، وكان قد زكاه إليه الشيخ كامل القصاب، ممثل «العربية الفتاة»، الذي وصل إلى الحجاز قبل الثورة.

فسافر محب الدين إلى الحجاز بعد عيد الفطر، عام ١٣٣٤هـ، وكان العمل الظاهر له في تلك الفترة: تأسيس المطبعة الأميرية لحكومة الحجاز آنذاك، وإصدار جريدتها الرسمية «القبلة»، ولذلك حكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً عام ١٩١٦م. إلا أن الملك حسين كان يستشير صاحب الترجمة «محب الدين»، والشيخ كامل القصاب يومياً، في أكثر أموره الخارجية، بصفتها من رجال جمعية «العربية الفتاة»، وموضوع ثقة سائر الجمعيات العربية.

غير أنه مع تظاهرة بالاستشارة والثقة لمن يستشير، كان سيء الظن بجميع الجهات، ويتوجس منها خيفة.

ثم يتابع محب الدين قوله: «لقد أردنا والشيخ القصاب للملك حسين وأولاده كل الخير والكرامة، بشرط أن يكون الخير والكرامة للأمة الكريمة التي يكونون على رأسها ولكن الملك حسين وأولاده، عاشوا وماتوا بعقلية عصور الإقطاع، التي تعتبر الأوطان مزارع للملوك»^(١).

ثم يقول متألماً: «ذهب محب الدين إلى الحجاز، وكله آمال أن يجد الميدان العملي لتطبيق نظراته وتحقيق آماله.. فلما وصل مكة، درس الحالة عن كثب فتقرر لديه: أن الملك حسين لم يقم لأجل أن تقوم للعرب دولة، بل قام لأن الترك كانوا على نية إلغاء «شرافة مكة»، وإلى هذه النتيجة توصل محب الدين، وفي ذلك إخفاق آماله وخيبته»^(٢).

(١) ينظر: المذكرات: (ص ١٥٦ - ١٥٨)، والأعلام: للزركلي، (٥ / ٢٨٢).

(٢) المرجع السابق.

□ الجيش العربي في دمشق وخيبة الآمال الوطنية:

بعد دخول الجيش العربي دمشق بقياد الأمير فيصل، استأذن محب الدين الشريف حسين في العودة إلى دمشق، لصلة رحمه، فأذن له على أن يعود في أول فرصة مواتية.

وبعد وصوله دمشق، عام ١٩١٨م، دعت «جمعية العربية الفتاة» ليكون عضواً في لجنتها المركزية، التي تُشرف على إدارة الدولة من وراء ستار. ونيط به إدارة وتحرير الجريدة الرسمية للحكومة، واسمها «العاصمة»، وسُمح له أن يكتب فيها مقالات توجيهية، كما يشاء، بلا رقيب^(١).

ويحدثنا محب الدين عن تبدل مواقف الأمير فيصل بقوله: «لما ذهب الأمير إلى أوروبا، ليُطالب بحقوق الاستقلال العربي والسوري في مؤتمر الصلح، رجع إلى سوريا بغير الوضع الذي كان عليه، إذ وافق على قبول الانتداب الفرنسي لسوريا، بعد اجتماعه برئيس وزراء فرنسا «كلمنصو».

كان قد قال للعسكريين الذين خرجوا لوداعه إلى أوروبا: يريد منهم تقوية الجيش بقدر الاستطاعة، ومن ثم قام الشيخ كامل القصاب والأستاذ محب الدين بتأسيس اللجنة الوطنية العليا، واللجان الفرعية، التي تحولت دمشق بها وسائر المدن السورية إلى ثكنات عسكرية، كما تحولت الأمة كلها إلى أمة مسلحة^(٢).

عاد الأمير فيصل، وقد أصبح موقفه مذبذباً، فجأهرته جمعية العربية الفتاة بالمعارضة الصريحة، وخلال لقاء خاص بقيادة الجمعية، قال: «إنه لا يريد أن يكون ملكاً صورة ولا ملكاً ختاماً».

(١) مذكرات محب الدين الخطيب: (ص ١٦٢)، والأعلام: للزركلي، (٥ / ٢٨٢).

(٢) المرجع السابق: (ص ١٦٢ - ١٦٣).

ثم انصرفوا عنه على تنافر واختلاف، مما أدى بالملك فيصل، إلى الاستعانة بالأعيان والمشايخ، لتأسيس الحزب الوطني السوري، حتى يقف في مواجهة العربية الفتاة، واللجنة الوطنية العليا وفروعها.

وكان بعدها المأساة: إنذار القائد الفرنسي غورو، ومعركة ميسلون التي سُرح قبلها الجيش السوري الوليد^(١)!

□ وقفة مع آراء محب الدين السياسية:

يلاحظ مما سبق أن محب الدين الخطيب قد تعاون مع:

- العربية الفتاة، وفيها كثير من القوميين العلمانيين.
- تعاون مع الشريف حسين وأولاده، لمحاربة الدولة العثمانية.
- كما وقفوا جميعاً مع الاتحاديين ضد السلطان عبد الحميد.. وقد تبين لهم خطوهم في تلك المواقف، ولكن بعد فوات الأوان، فقد صرح محب الدين بخيبة أمله من الحسين وأبنائه، ومن الاتحاديين وسياستهم العنصرية^(٢).

□ نشاطه الفكري وأبرز آثاره ومؤلفاته:

توارى محب الدين عن الأنظار في دمشق، بعد دخول الفرنسيين إليها، وتمكن من الفرار برًا مع قافلة من الإبل، ورعاتها، فوصلوا فلسطين، ثم سافر في القطار إلى مصر.

وهناك التحق بقلم تحرير «صحيفة الأهرام» القاهرية، ولبت محررًا فيها نحو خمس سنوات، حتى أواخر سنة ١٩٢٥م.

(١) المرجع السابق: (ص ١٦٤)، بإيجاز.

(٢) سنفصل الحديث عن هذه القضايا في الفصل الخامس من هذا الباب.

وخلال تلك الفترة أسس «مجلة الزهراء»، إلى جانب المكتبة السلفية ومطبعتها.

وكانت «مجلة الزهراء» مجلة أدبية اجتماعية شهرية، استمرت خمس سنوات، حتى عام ١٩٢٤م^(١).

ثم أصدر محب الدين مجلة «الفتح» عام ١٩٢٦م، واستمرت حتى عام ١٩٤٨م.

وكانت الفتح أوعى مجلة إسلامية آنذاك، كانت توجه حتى في عناوين الأخبار العامة التي تنقلها عن وكالات الأنباء، وكان لها دور عظيم في تنبيه المسلمين وإيقاظهم وإرشادهم، والتمهيد لهذه الصحوة الإسلامية التي نسأل الله دوامها ودرء الأذى عنها.

وكان لمجلة الفتح مواقف مشهودة في الرد على كتاب «الشعر الجاهلي»، للدكتور «طه حسين»، والذي كان مليئًا بالكفر الصريح، وكتاب «الإسلام وأصول الحكم»، وهو كتاب أسوأ من الأول، لعلي عبد الرازق^(٢).

كما أصدر محب الدين «مجلة الزهراء»، التي كانت تُعنى بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة، التي يرددها المتغربون من أتباع المستشرقين وأذئاب المستعمرين.

يقول المستشار عبد الله العقيل: «واستمر الأستاذ الكبير محب الدين في كفاحه العلمي من خلال «المكتبة السلفية»، و«المطبعة السلفية»، يُصدر الكتب والنشرات، ويحقق كتب التراث الإسلامي.

(١) المرجع السابق: (ص ١٦٧ - ١٦٨).

(٢) ذكريات الشيخ علي الطنطاوي: (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

ثم سعدنا به رئيسًا لتحرير (مجلة الأزهر) بناءً على ترشيح شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين.

وكانت افتتاحياته زادًا لنا، نحن طلبة الأزهر، تشخذ هممنا، وتستثير نخوتنا الإسلامية للذود عن الإسلام وحرماته^(١).

لقد أسهم رحمته بعلمه الغزير وقلمه السيل، في فضح دسائس الباطنية وغلاة الرافضة، ومكائد الصهيونية، وسموم الاستعمار، وحقد المجوسية.

فقد كان يُكرر بأن كل أنواع الهدم والتخريب والتزوير، الذي أصاب المسلمين في القديم والحديث: إنما هو من صنع اليهود والمجوس، لأنهم كانوا وراء ذلك كله، وهم الذن أنشأوا الحركات الهدامة والجمعيات السرية والفرق الباطنية، وما يزال هذا ديدنهم حتى اليوم^(٢).

□ مؤلفاته:

وكان رحمته قد أثرى المكتبة الإسلامية: بمؤلفات وتحقيقات وتعليقات قيمة منها:

- ١- الرعيل الأول في الإسلام.
- ٢- ذكرى موقعة حطين.
- ٣- تاريخ مدينة الزهراء في الأندلس.
- ٤- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الاثني عشرية.
- ٥- مختصر التحفة الاثني عشرية، تأليف شاه عبد العزيز الدهلوي، حققه محب الدين وعلق على حواشيه.

(١) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة: (ص ٣١١).

(٢) المرجع السابق: (ص ٣١٣).

٦- ومنها تعليقاته على كتاب «العواصم من القواصم»، و «المنتقى» للإمام الذهبي، وتعليقاته على كتاب «الخراج» لأبي يوسف... فضلاً عن ترجمته لعدد من الكتب، وعلى رأسها: «الغارة على العالم الإسلامي»، وكلها تدل على الفهم العميق، والفقه الدقيق^(١).

وقد سعى ﷺ مع ثلة من المفكرين والدعاة لإنشاء: «جمعية الشباب المسلمين»، في القاهرة، التي شارك في تأسيسها: الشيخ محمد الخضر حسين، والأستاذ عبد السلام هارون، ومحمود شاكر، وعبد المنعم خلاف وآخرون.. وكان تأسيس هذه الجمعية في مصر حدثاً عظيماً، من أحداث الحركة الإسلامية، لأنه كان مفاجأة لدعاة الإلحاد والتضليل ولدعاة التبشير بالمسيحية.. لأنهم ظنوا أن قيادة الرأي العام قد أفلتت من أيدي ممثلي الإسلام من أزهرين وغيرهم.

فقد كان جو القاهرة الفكري والثقافي، في ذلك الحين متشبعاً بثقافة الغرب، بكل ما فيها من خير وشر^(٢).

وعموماً كان محب الدين الخطيب مفكراً بارزاً، وصحفيًا لامعاً، كافح تيارات الغرب والتشيع، وتعاون مع رجال الحركات الإسلامية، ودافع عن فكر السلف، ودعا إلى اتباعهم.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه القيم: «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين»^(٣): «إن محب الدين الخطيب، كان أمة في واحد،

(١) المرجع السابق: (ص ٣١٤)، والأعلام: للزركلي، (٥ / ٢٢٦).

(٢) ينظر: مذكرات محب الدين: (ص ١٦٩ - ١٧٣).

(٣) من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة؛ للمستشار عبد الله العقيل (ص ٣١١).

لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية، عرفت منه الظهير المؤيد، والمقترح المصمم، .. على مدى نصف قرن متناول، في كثير من المواقف الحاسمة، لأنه انتقل في دنيا الكفاح الإسلامي (ما بين دمشق وبيروت والقاهرة وتركيا واليمن ومكة المكرمة) انتقال المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف .. وقد تعاون حقًا مع الدعاة والمصلحين والزعماء المخلصين».



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الأول

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد،

فإني كثيراً ما تمر بي - وأنا أطلع صحيفة سيارة، أو كتاباً لم يعم انتشاره في أيدي جماهير الأمة - قطعة جليلة من شعر متخير، أو جملة بديعة من نثر مصطفى، أو كلمة ذات روعة من حكمة جرت بها حقائق الحياة على لسان الرجل البليغ، فأتمنى لو يكون ذلك مجموعاً في كتاب قريب التناول، سهل المأخذ، صالح لطبقات الجمهور؛ من رجال الأعمال، وطلاب المدارس، وريبات الخدور، فيستلطفه طالب النزهة في نزته، والمسافر في رحلته، والفتاة في مدرستها وفي منزلها، ويكون مع ذلك عوناً للنهضة القومية الحاضرة على تهذيب النفس الفردية، والنفس الاجتماعية.

ولما صحت عزمي على تحقيق هذه الأمنية، جعلت أراقب الصحف والكتب التي أطلعها، فأنتقي منها خيارها، وأصطفى كل ما توفرت فيه المزايا التي أشرت إليها. ورأيت أن تكون هذه المجموعة أشبه شيء بالحديقة، يتنقل فيها المرء والمرأة، والفتى والفتاة؛ من الأزهار، إلى الأثمار والأشجار؛ ومن مرجة خضراء، إلى ينبوع ماء؛ فيكون جمال هذه الحديقة في تنوع مناظرها، واختلاف مظاهرها. لذلك جاءت كالطبيعة على غير اطراد.

وإن في النية - إذا وجدنا من القراء رضئ عن هذه المجموعة - أن نوالي إصدار أجزاء أخرى من (الحديقة)، فتكون سلسلة من كتب «مكتبة الجيب» التي عازمت المكتبة السلفية على إصدارها تباعاً في كثير من فنون العلم والأدب. ومن الله نستمد العون.

القاهرة: غرة رجب، ١٣٤١،

محب الدين الخطيب

في ذكرى عام

للمرء أن يتسمع ما يخفق به قلبه، ويقيّد ما يمر من الخواطر بوجدانه . وله أن يخفي منها ما شاء، وله أن يعلن منها ما شاء، ما دام الناس لا يصيبهم أذى من سره، ولا مكروه من جهره .

أقيد بعض ما اتصل بنفسي في الساعة التي كانت برزخًا بين ذلك العام الذي رحل، وهذا الآخر الذي حل .

غشيت قبل منتصف الليل داري، والتحفت حرصًا على الدفء بدثاري، في ساعة كان بردها عليّ شديدًا . وأخذت على نفسي أن لا أضطجع، وأن لا أنام، حتى يلفظ العام نفسه الأخير . فأذكر له بالخير ما أحسن به إليّ، وأسامحه مما أساء . ولكل راحل إلى الله حقّ في الذكرى، وحقّ في المغفرة .

جلست على مائدة كتابتي، وأخذت أعد بطاقات أكتب عليها كلمات التهاني والمجاملة .

وأخذت أحصي الأسماء على قطعة من الورق، فلما انتهيت من ذلك الإحصاء وأعدت عليه النظر، تولاني خاطر مزعج اضطربت له النفس، وقد يزعج النفس الأليمة ما قل وما جل .

غداً أرسل لزيد تلك البطاقة، وفي غد يحمل البريد لخالد تلك الأخرى، وفي غد أغشى دار بكر لأبسم في وجهه .

في غد يحصل كل ذلك، ولكن كم من هؤلاء الذين أذكرهم غداً لا يسعدني وجودهم ولا يشقيني غيابهم، ولا يسعدهم وجودي ولا يألون لفقدي . على أنني أجمال الناس كما يجمالوني، وأخضع لقوانين النفاق الاجتماعي كما

يخضعون.. فتبًا لأساليب الحياة، تُعلم الناس النفاق باسم الجميل والأدب.

وفي اليوم الذي أحبي فيهم من لا تسعدني بسماتهم، ولا خير لي ولهم في تبادل التحيات، يحول الزمان وصروف الدهر والغير بيني وبين من كانت تُشرق لي بسماتهم، ومن كان الله يجعل لي من دعواتهم ظفرًا وسعادة....

تركت مائدة كتابتي وفتحت بابًا لأصل بين غرفة نومي وغرفة علمي، حتى يتسع المكان لسيري وخطواتي التي يستفزني إليها القلق، ثم استلقيت على كرسي كبير، وأخذت أتذكر في مكان الله الواسع أراضِي أحببتها ونعمت فيها حينًا. وتذكرت في زمان الله الواسع أيامًا كالسيل قد مضت وانقضت.

وتذكرت من خلق الله - الذي لا يُحصى عددًا - أشباحًا تلاشت في ظلمات الثرى:

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رُب ذكرى قربت من نزحا
ثم أخذت أحاسب نفسي عن زلاتها. وأزن أمامها آمالها. وأتبين في ذهني،
بل في غشاء قلبي، بل في لحمي وعظمي، ما فعله به الزمن، وما رسمته عليه
السنون.

وبينما أنا مستغرق في أمري، نبهتني من غرفة أخرى دقات الساعة الكبيرة إلى
الآهة لوداع عام يفوت.

كأن دقات الساعة كلمات يعدد بها العام المنصرم بعض ما يذكره لنفسه من
خير وشر، إذ كان العام في دقائقه الأخيرة.

تن... سخرت من الغافلين حتى صحوا من الشدة بما نحن...

تن.. أغريت الإنسان بالذهب الوهاج، يتهافت على ناره كما يتهافت على
النور الفراش...

تن... جعلت في الناس والأمم من يصلون لقتل الضعيف ولو كان بريثا...
 تن... آويت اللص... وسيرت الخديعة... وكثيراً ما أعليت الباطل على
 الحق...

تن... نفّرت بين قلوب، وأشعلت ضغائن، وأثرت فتناً...
 تن... صرفت الناس عن وجهك يا الله ليعمدوا إلى الأثرة والشهوات...
 تن... تمخضت بآراء، وقدمت عظات وعبراً.
 ولكن الناس لا يفقهون...

تن... حرقُ أفندةً وأجريتُ دموعاً وشربتُ دماء...
 تن... كم من صحيحٍ أضعفت... وكم من عزيزٍ أذلت... وكم من عليلٍ
 داويت...

تن... جردت أشجاراً من ورقها الأصفر الجاف... استبدلتها به ورقاً
 جديداً... وجعلت عليها زهراً نضيداً...

تن... صرفت العاشقين وهم في سكرات القُبُل عن مرارة العيش، ثم أخذتهم
 أخذ الجبار، فبدلت هناءهم تعساً، وجعلت سعادتهم شقوة وجحيماً...
 تن... لييك اللهم لييك...

وما كادت تتلاشى في أذني الرنة الأخيرة التي كانت تمام الساعة الثانية عشرة
 من منتصف الليل لآخر شهر ديسمبر من سنة ١٩٢٢، حتى تصعدت في قلبي
 زفرة، وحارت في عيني دمة... عندئذ وجهت وجتني إلى السماء قائلاً:
 أيتها الأزلية^(١) التي تجتمع فيها الأزمان المتلاشية، وتستقر عندها الأحقاب

(١) السماء من مخلوقات الله ﷻ. ومثل هذا الدعاء ينبغي أن يُطلب منه تعالى، لا من =

المتابعة، وتوحد في وجهتها جميع الخلائق. مغفرة عمّا قدمنا من ذنوبنا، وما آخَرنا، وصفاء لنفوسنا بما تصفو به نفوس الصالحين. اللهم آمين.

منصور فهمي



من قديم مصر حتى حديثها

أحاديثُ القرون الغابرينا ^(١)	قفي يا أختَ (يُوشَعَ) حَبْرِينَا
ومن دُولَاتِهِمْ ما تعلمينا ^(٢)	وَقُصِّي من مَصَارِعِهِمْ علينا
ومن نسب القبائل أجمعينا ^(٣)	فمثلِك من رَوَى الأخبارَ طُرا
ولا نُحصي على الأرض الطعينا	نرى لك في السماء خضيبَ قرن
ودرت على المشيب رحي طحونا	مشيت على الشباب شواطئ نارٍ
وتبنين الحياةَ وتهدمينَا	تعينين الموالدَ والمنايا
وما وَلَدُوا، وتنتظر الجنيْنَا	فبالكِ هِرَّةٌ أكلتُ بنينا



أم المالكين بني (أمون) لَتَهْنِكِ أنهم نَزَعُوا (أمونا)^(٤)

= مخلوقاته. والكاتب منصور فهمي (ت ١٣٧٨هـ) كان مستغرباً، ثم آب إلى الإسلام في آخر حياته، فليس بمستغرب عليه هذه الثقافة الإسلامية الضحلة. انظر عن أوبته: «النهضة الإسلامية في سيرة أعلامها المعاصرين»؛ للدكتور محمد رجب البيومي (٥/ ٣٩٠ - ٤٠٤). (س).

(١) الخطاب للشمس، وقصة وقوفها للنبي يوشع ﷺ معروفة.

(٢) دولاتهم: دواهيهم.

(٣) نسب القبائل: ذكر أنسابهم.

(٤) نزع أباه: أشبهه.

وَلَدَتْ لَهُ (الْمَامِينَ) الدواهي
فَكَانُوا الشُّهَبَ حِينَ الْأَرْضِ لَيْلاً
مَشَتْ بِمَنَارِهِمْ فِي الْأَرْضِ (رُومًا)
مُلُوكَ الدَّهْرِ بِالْوَادِي أَقَامُوا
قَرُبَ مُصَفِّدٍ مِنْهُمْ^(٢)، وَكَانَتْ
تَقْبِذَ فِي التَّرَابِ بِغَيْرِ قَبْذٍ
تَعَالَى اللَّهُ كَانَ السَّحَرُ فِيهِمْ
عَدَّوًا يَبْنُونَ مَا يَبْقَى، وَرَاحُوا
إِذَا عَمَدُوا لِمَائِرَةٍ أَعْدُوا
وَلَيْسَ الْخَلْدُ مَرْتَبَةً تُلْقَى
وَلَكِنْ مَنْتَهَى هِمَمٍ كَبَارٍ
وَسِرُّ الْعَبْقَرِيَّةِ حِينَ يَسْرِي
وَأَثَارُ الرِّجَالِ إِذَا تَنَاهَتْ
وَأَخَذَكَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَنَاءً
فَغَالِي فِي بَنِيكَ الصِّيدِ غَالِي
شَبَابٌ قُنْعٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ
فَنَاجِيهِمْ بِعَرْشٍ كَانَ صِنُوءًا

وَلَمْ تَلِدِي لَهُ قَطُّ (الْأَمِينَا)^(١)
وَحِينَ النَّاسُ جَدُّ مُضَلَّلِينَا
وَمِنْ أَنْوَارِهِمْ قَبَسَتْ (أَثِينَا)
عَلَى (وَادِي الْمُلُوكِ) مُحَجِّبِينَا
نَسَاقٌ لَهُ الْمُلُوكُ مَصْفُودِينَا
وَحُلَّ عَلَى جَوَانِبِهِ رَهِينَا
الْيَسَاوُ لِلْحَجَارَةِ مُنْطَقِينَا^(٣)
وَرَاءَ الْأَبْدَاتِ مَخْلُودِينَا
لَهَا الْإِتْقَانُ وَالْخَلْقُ الْمَتِينَا
وَتَوَخَّذَ مِنْ شِفَاوِ الْجَاهِلِينَا
إِذَا ذَهَبَتْ مَصَادِرُهَا بَقِينَا
فَيَنْتَظِمُ الصَّنَائِعَ وَالْفَنُونَا
إِلَى التَّارِيخِ خَيْرَ الْحَاكِمِينَا
وَتَرَكُّكَ فِي مَسَامِعِهَا طَنِينَا
فَقَدْ حُبَّ الْغُلُوفِ إِلَى بَنِينَا
وَبُورِكَ فِي الشَّبَابِ الطَّامَحِينَا
لِعَرْشِكَ فِي شَبِيبَتِهِ سَنِينَا^(٤)

(١) إشارة للخلفتين الأمين والمأمون. يقول: ولدت لهم أشباه المأمون، ولم تلدي أشباه الأمين. ونعتقد أن الأمين أعظم مما بقي عنه في ذاكرة التاريخ، ولذلك براهين ليس هنا موضع بسطها.

(٢) أي: رُب مدفون منهم في رمة بوادي الملوك.

(٣) يريد أنهم أنشأوا من المباني ما يتعلق بعظمتهم.

(٤) سنينك: هو الذي يكون من سنك.

وكان العزّ حليته وكانَتْ
وتاج من فرائده (ابن سيني)^(١)
علا خدًا به صعرٌ وأنفًا
ولستُ بقاتل ظلموا وجاروا
فلما لم نُوقَ النقصَ حتى
وما (البستيل) الا بنت أمس
وربة بيعة عزت وطالت
مشيدة لشافي العُمي (عيسى)
قوائمُ الكتائب والسفينا
ومن خرزاته (خوفو) و (مينا)^(٢)
ترفع في الحوادث أن يدينا
على الأجراء أو جلدوا القطينا^(٣)
نُطالب بالكمال الأولينا^(٤)
وكم أكل الحديد بها سجيننا^(٥)
بنّاها الناسُ أمس مسخرينا^(٦)
وكم سمل القسوسُ بها عيونا



(أخا اللوردات) مثلك من تحلى
لك الأصل الذي نبتت عليه
بحلية آله المتطولين^(٧)
فروع المجد من (كرنارفونا)^(٨)

(١) ابن سيني: رمسيس الأكبر، وهو الثاني.

(٢) خوفو ومينا: من الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطًا بعيدًا في المدنية. والأهرام من آثارهما. ومينا عربي جاء إلى مصر من طريق سينا، وهو أقدم فراعنة مصر.
(٣) القطين: الخدم. ولشوقي من قصيدة (النيل) الآتية في هذا الجزء قوله يندد بظلم الفراعنة ويعتذر لهم:

هي من بناء الظلم إلا أنه
لم يرهق الأمم الملوك بمثلها
يبيض وجه الظلم منه ويشرق
فخرًا لهم يبقى وذكرًا يعبق

(٤) يقول: إن عصرنا ليس أقل عسفًا وظلمًا من عسفهم وظلمهم.
(٥) البستيل: سجن في باريس لم تحمل الأرض أشد منه، هدمه الثوار سنة ١٧٨٩، وفي مكانه اليوم تمثال للحرية.

(٦) البيعة: الكنيسة.
(٧) المخاطب: اللورد كارنارفون مكتشف الكنوز. وقد مات في القاهرة في أواسط شعبان سنة ١٣٤١. والمتطولون: الأغنياء.

(٨) أي أن الأصل من أمجاد انكلترا القديمة.

ومالك لا يُعدُّ، وكلُّ مالٍ
وجدتَ مذاقَ كلِّ تليدٍ مجدٍ
نشرتَ صفائِحاً^(١) فجزتكَ (مصر)
فإنَّكَ قد فتحتَ لها كنوزاً
فلا (قارون) فوق الأرض إلا
سبيل الخلدِ كان عليك سهلاً
رايتَ تنكراً وسمعتَ عتياً
أبوئنا وأعظمهم ثراءً
ونابى أن يحلَّ عليه ضيمٌ
سكتَ فحامٌ حولك كلُّ ظنٍ
يقول الناس في سرِّ وجهٍ
أمن سرقَ الخليفةَ وهو حيٌّ^(٢)



خليليَّ اهبطا الوادي، وميلاً
وسيرا في محاجرهم رويداً
وخصاً بالعمار وبالنحايـا
وقبراً كاد من حُسن وطيبٍ
يُخال لرؤعة التاريخ قُدَّتْ
إلى غرَبِ الشمسِ الفارينا
وطوفا بالمضاجع خاشعينا
رُفاتِ المجدِ من (توتنخمينا)^(٣)
يُضيء حجارةً ويَضُوع طينا
جنادله العلى من (طور سينا)

(١) الصفائح: حجارة القبور.

(٢) يشير إلى فرار السلطان وحيد الدين في ربيع الثاني سنة ١٣٤١، على المدرعة البريطانية (ملايا) فراراً من الكمالين.

(٣) العمار: الريحان يزين به المجلس، وفيه معنى التحية أيضاً.

وكان نزيله بالملك يُدعى
وقومًا هاتفين به، ولكن
فشم جلالة قُرت ورامت
جلال الملك أيام وتمضي
وقولا للنزِيل: قدوم سعد
سلام يوم وارتك المنابيا
خرجت من القُبور خروج (عيسى)
يجوبُ البرقُ باسمك كل سهل
واقسم كنت في (لوزان) سُفلا
أتعلم أنهم صُلِفوا وتاهوا
ولو كنا نَجُرُّ هناك سيقًا
سيقضي (كُرْزُن) بالأمر عنا

فصار يُلقب الكنز الشمينَا
كما كان الأوائِل يهتفونا
على مَرَّ القرون الأربعينا^(١)
ولا يَمضي جلالُ الخالدينا
وحيا اللهُ مقدَمك اليمينَا^(٢)
ببواديها، ويومَ ظهرت فينا
عليك جلالةً في العالمينا^(٣)
ويخترقُ البخارُ به الحُزونا
وكنْتَ عجيبةً المتفاوضينا^(٤)
وصدوا البابَ عَنَّا مُوصدينا
وجَدنا عندهم عَطْفًا ولينا
وحاجاتُ (الكنانة) ما قُضينا^(٥)



تعال اليومَ خَبَرنا: أكانت
وماذا جُبْتُ من ظُلُماتٍ ليل
وهل تبقى النفوس إذا أقامت
وما تلك القبابُ، وأين كانت،

نَوَاكِ سِنَاتِ نومٍ، أم سنيْنَا
بعيدَ الصبحِ يُنْضي المدلجينا^(٦)
هياكلها، وتَبلى إن بليْنَا؟
وكيف أضل حافِرها القرونا؟^(٧)

(١) رامت: أقامت.

(٢) اليمين: المبارك.

(٣) الناظم لا يدين بالصلب، ولكنه نظر في هذا التشبيه إلى عقيدة المخاطب «النصرانية».

(٤) كان مؤتمر الصلح الأكبر منعقدًا يومئذ بمدينة لوزان في سويسرا.

(٥) كرزُن: مندوب انجلترا في مؤتمر لوزان.

(٦) ينضي: يهزل، المدلجين: السائرين أول الليل.

(٧) العصور.

ممردة البناء تُخال بُرجًا
تَغْطِي بِالْأَثَاثِ، فَكَانَ قَصْرًا
حملت العرشَ فيه، فهل تُرجِي
وهل تلقى المهيمَنَ فوق عرش
وما بالُ الطعامِ يكادُ يَقْدِي
ولم تَكُ أَمْسِ نَصْبُ عَنْهُ يَوْمًا
لقد كان الذي حذر الأولي
يُحِبُّ الْمَرْءَ نَبَشَ أَخِيهِ حَيًّا
سَلَلْتُ مِنَ الْحَفَائِرِ قَبْلَ يَوْمٍ
فَإِنْ تَكِ عِنْدَ بَعْثٍ فِيهِ شَكٌّ
ولو لم يعصموكَ لَكَانَ خَيْرًا
يُضَرُّ أَخُو الْحَيَاةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ



زمان الفردِ يا (فرعونُ) وَلِي
وَأَصْبَحَتِ الرِّعَاءُ بِكُلِّ أَرْضٍ
(فؤاد) أَجَلٌ بِالدُّسْتُورِ دُنْيَا
وَاهْدَى فِي بِنَاءِ الْمَلِكِ جَدًّا
بنى (الدارَ) التي لا عَزَّ إِلَّا
ودالت دَوْلَةُ الْمَتَجَبِّرِينَ
على حُكْمِ الرَّعِيَةِ نَازِلِينَ
وَأَشْرَفُ مِنْكَ بِالْإِسْلَامِ دِينَا
وَأَجْوَدُ وَالذَّا فِي الْمُحْسِنِينَ
على جَنَابَاتِهَا لِلْمَالِكِينَ^(٤)

(١) الزون: معرض الأصنام.

(٢) فيه تهكم بالفكرة التي حملت هؤلاء الجبابرة على تعطيل هذه الكنوز تحت الأرض.

(٣) قدى الطعام: طاب طعمه ورائحته.

(٤) الدار: دار النياة.

ولا استقلال إلا في ذراها
تري الأحزاب ما لم يدخلوها
وإن فُقدت فأمر القوم قوضى
إذا سارت به أيدي شمالا
فعجل يا (ابن إسماعيل) عجل
هو المصباح فات به، وأخرج
ملايين نجر الجهل قيذا
فداو به البصائر فهو (عيسى)
ومن يرّ دونه حقاً فإني
لمتبوع ولا للتابعينا^(١)
على جد الحوادث لاعبين
وإن وليته أيدي (الراشدين)
أتت أيدي فسرّ به يمينا
وهاي النور واهد الحائرنا
من الكهف السواد الغافلنا
وتسحب بالقليل المطلّينا
وفك براحتيه المقعدنا
أراه وخذه الحق المبينا

أحمد شوقي



في البادية (الذئب والشاعر)

وماء كلون الغسل قد عاد آجنا
وجدت عليه الذئب يعوي كأنه
فقلت له: يا ذئب هل لك في فتى
قليل به الأصوات في بلدٍ مخلي^(٢)
خليع خلا من كل مالٍ ومن أهل^(٣)
يواسي بلا من عليك ولا يُخلِ

(١) الذرا: الملجأ.

(٢) الغسل: ما يُغسل به الرأس من سدر وخطمي ونحو ذلك، والآجن: الماء المتغير الطعم واللون. يريد أن ذلك الماء كان متغير اللون من طول المكث مخضراً أو مصفراً ونحوها، وقوله: قليل به الأصوات، يريد أنه قفر لا حيوان فيه. والبلد: الأرض والمكان. والمحل: الجذب، وهو انقطاع المطر ويس الأرض من الكلا.

(٣) الخليع: الذي قطعه أهله لجناياته وتبرؤوا منه.

فقال: هداك الله للرشد، إنما دعوت لما لم يأتِه سُبُعٌ قَبلي
 فليست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل
 فقلت: عليك الحوض، إني تركته وفي صفوه فضل القلوص من السجل^(١)
 فطرب يستعوي ذئابًا كثيرة وعدت وكل من هواه على شغل^(٢)



النجاشي الشاعر

□ قصة هذا الشعر:

كان النجاشي الشاعر عرض له ذئب في سفر له، فدعاه إلى الطعام وقال: هل لك ميل في أخ - يعني نفسه - يواسيك في طعامه بغير من ولا بخل. فقال له الذئب: قد دعوتني إلى شيء لم يفعله السباع قبلي من مؤاكلة بني آدم، وهذا لا يمكنني فعله ولست بآتيه ولا أستطيعه، ولكن إن كان في مائك الذي معك فضل عما تحتاج إليه فاسقني منه.

وهذا الكلام وضعه النجاشي على لسان الذئب، كأنه اعتقد فيه أنه لو كان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول.

وأشار بهذا إلى تعسفه للفلوات التي لا ماء فيها، فيهتدي الذئب إلى مظارنه فيها؛ لاعتياده لها.



(١) الصفو: الجانب المائل. والسجل: الدلو العظيمة.

(٢) طرب في صوته: رجعه ومده.

الإحسان إلى أهل الأذى

□ ١ □

قال بعضهم: دخلتُ الباديةَ فإذا عجوزٌ بين يديها شاةٌ مقتولةٌ وجَرُودٌ ذئبٌ مُفْع. فنظرتُ إليها فقالت:

أتدري ما هذا؟

قلت: لا.

قالت: جرو ذئبٍ أخذناه وأدخلناه بيتًا، فلما كبر قتل شاتنا. وقد قلتُ في ذلك شعرًا

قلتُ لها: ما هو؟

فأنشدتني هذه الأبيات:

بَقَرْتُ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتُ قَلْبِي	وَأَنْتَ لَشَاتِنَا وَلَدٌ رَبِيبُ
غَذِيتَ بَدْرَهَا وَرَبِيتَ فِينَا	فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنْ أَبَاكَ ذَيْبُ
إِذَا كَانَ الطِّبَاعُ طَبَاعَ سَوْءٍ	فَلَيْسَ بِنَافِعٍ فِيهَا الْأَدِيبُ

□ ٢ □

خرج قوم إلى الصيد في يوم حار، فبينما هم كذلك إذ عرَضت لهم أمٌ عامر، وهي الضَّبْعُ، فطردوها. فاتعبتهم حتى ألجأوها إلى خباءٍ أعرابي، فافتحمتها، فخرج إليهم الأعرابي فقال:

- ما شأنكم؟

فقالوا: صيدنا وطريدتنا.

فقال: كلا، والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي.
 فرجعوا وتركوه. فقام إلى لَفْحَةٍ له فحلبها وقرب إليها ذلك، وقرب إليها ماءً.
 فأقبلت مرةً تلغ من هذا ومرة تلغ من هذا، حتى عاشت واستراحت. فبينما
 الأعرابي نائم في جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وتركته، فجاء
 ابن عم له، فوجده على تلك الصورة، فالتفت إلى موضع الضبع، فلم يرها.
 فقال: صاحبتني والله. وأخذ سيفه واتبعها، فلم يزل حتى أدركها فقتلها، وأنشأ
 يقول هذه الأبيات:

ومن يصنع المعروفَ مع غير أهله	يلاقِي الذي لاقى مُجبر أم عاير
أدام لها - حين استجارت بقره -	قراها من البان اللقاح الغرائر
واشبعها، حتى إذا ما تملأت	فرثه بأنيابٍ لها وأظافر
فقل لذوي المعروف: هذا جزاء من	غدا يصنعُ المعروفَ مع غير شاكر



الثوب الأحمر

بينما «المنصور» في الطواف بالبيت ليلاً، إذ سمع قائلاً يقول: «اللهم إني أشكو
 إليك ظهور البغي، والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع».
 فجزع المنصور. فجلس بناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل. فصلى
 الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول، فسلم على المنصور بالخلافة،
 وجرى بينهما الحديث الآتي. قال الخليفة:

- ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض، وما الذي
 يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني.

- إن أمتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها، وإلا احتجرت منك، واقتصرت على نفسي، فلي فيها شاغل.

- أنت آمن على نفسك، فقل.

- يا أمير المؤمنين، إن الذي دخله الطمع وحال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي هو أنت.

- ويحك، كيف ذلك، كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي؟

- وهل دخل أحدًا من الطمع ما دخلك، إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم؛ فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابًا من الجص والآجر، وأبوابًا من الحديد، وحراسًا معهم السلاح. ثم سجنك نفسك منهم، وبعثت عمالك في جبايات الأموال وجمعها، وأمرت أن لا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلا فلان وفلان، نفرًا سميتهم. ولم تأمر بوصول المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري إليك. ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حق. فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيته، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك، تجبي الأموال وتجمعها. قالوا: هذا قد خان الله، فما لنا لا نخونه، فأتَمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل إلا خونه عندك ونفوه، حتى تسقط منزلته. فلما انتشر ذلك عنك وعندهم، عظمهم الناس وهابرهم وصانعوهم، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال، ليقووا بها على ظلم رعيته، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيته لينالوا ظلم من دونهم، فامتلات بلاد الله بالطمع ظلمًا وبغيًا وفسادًا، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل. فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه، فإذا أراد رفع قصته إليك عند ظهورك،

وجدك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به، ويشكو ويستغيث، وهو يدفعه.

فإذا أجهد وأخرج، ثم ظهرت أنت، صرخ بين يديك، فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره، وأنت تنظر فما تُنكر. فما بقاء الإسلام، وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الصين، فقدمتها مرة وقد أصيب ملكهم بسمعه، فبكى بكاء شديداً. فحثة جلساؤه على الصبر، فقال: أما إني لست أبكي للبلية النازلة، ولكنني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذ قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب. نادوا في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم. ثم كان يركب الفيل طرفي النهار، وينظر هل يرى مظلوماً. فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه، لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك، فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن أمه ماله على الأرض مال..

وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس له. ولست الذي تعطي، بل الله تعالى يعطي من يشاء ما يشاء. فإن قلت إنما تجمع المال لشديد السلطان، فقد أراك الله عبراً في بني أمية، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع، حين أراد الله بهم ما أراد. وإن قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة ما تُدرك. وهل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟

- لا .

- فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا، وهو لا يعاقب من عصاه

بالقتل، ولكن بالخلود في العذاب الأليم. قد رأى ما عقد عليه قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحته يداك، ومشيت إليه رجلاك؛ هل يغني عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا، إذا انتزعه من يدك، ودعاك إلى الحساب؟

- فبكى المنصور، وقال:

- ليتني لم أخلق. ويحك، كيف أحتال لنفسي؟

- يا أمير المؤمنين إن للناس أعلامًا يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدوك.

- قد بعثت إليهم فهربوا مني.

- خافوك أن تحملهم على طريقتك. ولكن افتح بابك، وسهل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفيء، والصدقات على حلها، واقسمها بالحق والعدل على أهلها، وأنا الضامن عنهم بأن يأتوك يساعدوك على صلاح الأمة.

- وأذن المؤذن، فصلى المنصور، وعاد فطلب الرجل، فلم يوجد.



نشيد سعد باشا زغلول^(١)

اسلمني يا مضرُ إنني الفدا

ذي يدي إن مدت الدنيا يدا

(١) المتوفى عام (١٣٤٦هـ). زعيم علماني وطني معاصر، تعاون مع الاحتلال الإنجليزي لبلاده. انظر عنه وعن ثورته التي خُذع بها كثيرون: «جيل العمالة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام»؛ للأستاذ أنور الجندي رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٠٧ - ١٣١). و «واقعا المعاصر»؛ للأستاذ محمد قطب (ص ٣٠٤ - ٣٣٢). (س).

أَبَدًا، لَنْ تَسْتَكِينِي أَبَدًا
 إِنَّنِي أَرْجُو مَعَ الْيَوْمِ غَدًا
 وَمَعِيَ قَلْبِي وَعَزْمِي لِلْجِهَادِ
 وَلِقَلْبِي أَنْتِ بَعْدَ الدِّينِ دِينِ



لَكَ يَا مِصْرُ السَّلَامَةِ وَسَلَامًا يَا
 إِذَا رَمَى الدَّهْرُ سِهَامَهُ فَأَتَّقِبَهَا بِفُؤَادِي
 وَاسْلَمِي فِي كُلِّ حِينٍ



أَنَا مِصْرِي بَنَانِي مَنْ بَنَى
 هَرَمَ الدَّهْرِ الَّذِي أُغْيَا الْفَنَاءَ
 وَثَقَّةُ الْأَهْرَامِ فِيمَا بَيْنَنَا
 لِصُرُوفِ الدَّهْرِ وَثَقَّتِي أَنَا
 فِي دِفَاعِي وَجِهَادِي لِلْبَلَادِ
 لَا أَمِيلُ، لَا أَمَلُ، لَا الْبِزْ



لَكَ يَا مِصْرُ السَّلَامَةِ

.....



وَيْتِكَ يَا مَنْ رَامَ تَقْيِيدَ الْفَلَكَ
 أَيُّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ يَخْضَعُ لَكَ
 وَطَنُ الْحُرِّ سَمًا لَا تُمَتِّلَكَ
 وَالْفَتَى الْحُرَّ بِأَنْفِقِهِ مَلَكُ
 لَا عَدَا يَا أَرْضَ مِصْرَ بِكَ عَادُ
 إِنَّنَا دُونَ حِمَاكِ أَجْمَعِينَ



لَكَ يَا مِصْرَ السَّلَامَ

.....



وَبِمِصْرٍ شَرَّفُوا الْمُسْتَقْبَلَ
 وَفِدَا لِمِصْرِنَا الدُّنْيَا فَلَا
 تَضَعُوا الْأَوْطَانَ إِلَّا أَوَّلًا
 جَانِبِي الْأَيْسَرُ قَلْبُهُ الْفَوَازُ
 وَيَلَاذِي هِيَ لِي قَلْبِي الْيَمِينُ

مصطفى صادق الرافعي



الإسلام صوت الرحمة والإخاء والمساواة

قال كارليل (الأبطال ١ : ١٥٢):

في الإسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها، وهي التسوية بين الناس. وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي. فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء، والإسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة، بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم، وقاعدة من قواعد الإسلام، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل فتكون جزءاً من أربعين من الثروة، تُعطى إلى الفقراء والمساكين والمنكوبين.

- جميل والله كل هذا، وما هو إلا صوت الإنسانية، صوت الرحمة والإخاء والمساواة، يصبح من فؤاد ذلك الرجل: أين القفار والصحراء، ﷺ.



آل السلطنة

هم يُعدّون بالمشات ذكورا	وإنّا لهم قصورٌ مُشاله
ولهم أعبدٌ بها وإماء	ونعيم ورفعة وجلاله
تركوا السعي والتكسّب في الد	نيا وعاشوا على الرعيّة عاله
ألّفوا القصف والترّف في العي	ش وناموا على فراش العطاله
يتجلّى النعيم فيهم فتبكي	أعينُ السعي من نعيم البطاله

يأكلون اللُّباب من كَدِّ قوم
 فكان الأنامَ يشقون كدا
 وكان الإله قد خلق النسا
 نَعَمُوا في غُضارة المَلِكِ عيشًا
 فإذا ما صال العدوُ خرجنا
 وإذا هم جَرُّوا الجرائرَ يومًا
 وإذا ما استهلَّ فيهم وَليد
 قد رَضينا بذاك لولا عتوُّ
 ما بهم ما يميزهم عن بني السُو
 ومن الناس حيث لو غُرِبِلَ الذ
 ومن الجهل حيث لو صُورَ الجه
 حَمَلُونَا من عيشهم كلُّ ثقل
 فَكَفَّيْنَا أصهارَهم مؤنة العي
 فكانَا نعطيهم أجَرَ البِض
 تلك والله حالة يقشعُرُ ال
 هِيَ منهم دناءةٌ وشنارُ
 ليسَ هذا في مبدأ الاشتراك
 وهو في المَلَّةِ الحَنيفِيَّةِ السد

أعوزتهم سَخية من نخاله
 كي تنال النعيمَ تلك السلاله
 سَ لِمَخيا آل السلاطينِ آلَه
 وحملنا من دُونهم أثقاله
 دونهم للوغى نردُّ صِباله
 فعلينا تكون فيها الجماله
 فعلينا رَضاعُهُ والكِفاله!
 أظهروه لنا على كلِّ حاله
 قة إلا رسوخُهم في الجهاله
 اس لكانوا نُفايةً وحُثاله
 لُ لكانوا بين الورى تمثاله
 ثم زادوا أصهارَهم والكلاله
 ش فكانوا ضِغثًا على إباله
 ع كما أعطيَ الأجيرَ العمالَه
 حقُّ منها وتشمئزُّ العداله
 وهي منا حماقةٌ وضلاله
 ية إلا من الأمور المحالَه
 حة كفرُ ربنا ذي الجلاله

معروف الرصافي



من حِكَمِ الفرس

في حِكَمِ الفرس: «ما أضعف طمع صاحب السلطان في السلامة» وذلك أنه إن عَفَ جَنَى عليه العفاف عداوة الخاصة، وإن بَسَطَ يَدَهُ جَنَى عليه البسط ألسنة المتنصحين، فلزِمَكَ بذلك أن يكون حذرَكَ أَغْلَبَ من رجائك، وخوفَكَ أَكْثَرَ من أَمْنِكَ، ولئن تكدر بهما العيش فهما إلى السلامة أدعى.

وقال بعض الحكماء: «بالصبر على ما تكره تنال ما تحب، وبالصبر على ما تحب تنجو مما تكره».



الحمامة

رَبِّ وِرْقَاءِ هَتَوَفٍ فِي الضُّحَى	ذَاتِ شَجْوٍ هَتَفَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفًا وَخِذْنَا صَالِحًا	فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبِكَائِي رِيْمًا أَرْقَاهَا	وَبُكَاهَا رِيْمًا أَرْقَنِي
وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا أَفْهَمُهَا	وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا	وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي



القلم

* قال ابن المقفع: «القلم بريد القلب يُخبر بالخبر، وينظر بلا نظر».

* وقال أبو دُلْفٍ: «القلم صائغ الكلام يفرغ ما يجمعه العلم»

- * وقال الجاحظ: «الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن».
- * وقال سهل بن هارون: «القلم أنف الضمير إذا رعف أعلن أسرارهِ، وأبان آثارهِ».
- * وقال عمرو بن مسعدة: «الأقلام مطايا الفطن».
- * وقال المأمون: «لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة».
- * وقال جالينوس: «القلم طبيب المنطق».
- * وقال أحمد بن عبد الله: «القلم راقد في الأفئدة، مستيقظ في الأفواه».
- * وقيل: «عقول الرجال تحت أسِنَّةِ أقلامها».
- * وقال آخر: «القلم أصم يسمع النجوى، وأخرس يُفصح بالدعوى، وجاهل يعلم الفحوى».
- * وقال أحمد بن يوسف: «عبرات الأقلام في خدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صحن خدودها».
- * وقال أيضًا: «القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع، إذا نسج حلله، وأودعها حكمه».
- * وقال العتابي: «الأقلام مطايا الأذهان».
- * وقال عبد الحميد: «القلم شجرة ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة».
- * وقيل: «بريَّ القلم تروى القلوب الظمئة».
- * وقال ابن أبي دؤاد: «القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول، وترجمانه الأفضل».
- * وقال أيضًا: «القلم الدنيا والآخرة».

- * وقال آخر: «بنوء القلم تصوّب الحكمة».
- * وقال ابن ميثم: «من جلالة شأن القلم أنه لم يُكتب لله تعالى كتاب قط إلا به».
- * وقالوا: «القلم قيم الحكمة».
- * وقال يحيى بن خالد البرمكي: «الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول».
- * وصف أحمد بن إسماعيل خطًا حسنًا فقال: «لو كان نباتًا لكان زهرًا، ولو كان معدنًا لكان تيرًا، أو مذاقًا لكان حلوا، أو شربًا لكان صفوًا».
- * وقال أقليدس: «الخط هندسة روحانية، وإن ظهرت بآلة جسمانية».
- * أخذه النظام فقال: «الخط أصل في الروح وإن ظهر بالجسد».
- * وقال بعض الملوك اليونانية: «أمر الدين والدنيا تحت شيتين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم».
- * وقال أفلاطون: «الخط عقال العقل».
- * وقال أرسطاطيس: «القلم العلة الفاعلة. والمداد العلة الهيولانية. والخط العلة الصورية. والبلاغة العلة النامية».
- * سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطره، وضاهى صعوده حدوده، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راءه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرعت إلى العيون صورته، وإلى العقول ثمره، وقدرت فصوله، واندمجت وصوله؛ وتناسب دقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين، وبُعد عن تصنع المحررين، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية.

* وقالوا: «القلم أخذ اللسانين، والعم أخذ الأبوين، والثبت أخذ العفوين، والمطل أخذ المنعين، وقلة العيال أخذ اليسارين، والقناعة أخذ الرزقين، والوعيد أخذ الضربين، والإصلاح أخذ الكسبين، والرواية أخذ الهاجيين، والهجر أخذ الفراقين، والياس أخذ النجحين، والمزاح أخذ السباين».

* وقال آخر: «مساك أمر الدنيا بسين وقاف فيقال سق»، يريد السيف والقلم.

* وقال: «القلم لسان اليد».

* قال ابن الترجمان - وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم بهدايا - : وافقتُ لهم عيداً، فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة، فسألت عنها ف قيل: هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحول، استحسنا صوره وتقديره فجعلوه هكذا. فحدثت أنا بهذا الحديث أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح، فقال: هذا حق، قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم في أيام المعتمد، فقال ملك الروم: ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل، ولست أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه. والطاغية لا يقرأ العربي، وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه.

* وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي: انظر كم على هذا الميل من عدد الأميال. وكان الأعرابي لا يُحسن أن يقرأ، فمضى ونظر ثم عاد فقال: رأيت كراس المِحجن، متصلاً بحلقة صغيرة، تتبعه ثلاثة كأطباء الكلبة^(١)، تفضي إلى هنة كأنها رأس قطاة بلا منقار. ففهم بصفته أنها (خمسة).

* قال بعض الكتاب: «القلم الردي كالولد العاق».

* وقالوا: «رداءة الخط إحدى الزمانتين، كما أن حسنة إحدى البلاغتين».

(١) الأطباء جمع طبي، وهو بمعنى الثدى.

* اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه، فرأى خطه قبيحًا فوَّع في رقعته: «أردنا قبول عذرِكَ، فاقطعنا عنه ما قابلنا من قبح خطك. ولو كنتَ صادقًا في اعتذارك لساعدتك حركة يدك، أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة، ويمكن له درك البغية».

* وكان أبو هفان عبد الله بن أحمد المهزبي من أقبح الناس خطًا، وكان يبتديء الخط من رأس الورقة، ويعوّج سطوره حتى يبقى آخر سطر في الورقة كلمة واحدة. فرثاه يحيى بن علي فقال في مرثيته:

مع خط كأنه أرجل البط أو الحط في ذوى الفتيان
* قالوا: رداءة الخط زمانة الأديب.

* نظر عبد الله بن طاهر إلى خط بعض كتابه فلم يرضه، فقال: «نَحُوا هذا عن مرتبة الديوان، فإنه عليل الخط، ولا يؤمن أن يعدي غيره».

* أنشد العنزي الحسن بن علي في قبح الخط:

جزعت من قبح خطي فيه، وضمي وَحطي
رجعت من بعد حذقي إلى تعلم حُطي
* دخل على الرشيد أعرابي، فأنشده أرجوزة - وإسماعيل بن صبيح يكتب بين يديه كتابًا، وكان أحسن الناس خطًا، وأسرعهم يدًا - فقال الرشيد للأعرابي: «صف هذا»، فقال: «ما رأيت أطيش من قلمه، ولا أثبت من حلمه». ثم قال:

له قلما بؤسى ونعمى، كلاهما سحابته في الحاليتين دَرور
يناجيك عما في ضميرك لحظه ويفتح باب التُّجح وهو عسير
فقال الرشيد: «قد وجب لك يا أعرابي عليه حق هو يقضيك إياه، وحق علينا فيه نحن نقوم به. ادفعوا إليه دية الحر»، فقال له: «على عبدك دية العبد».

* جاء يوماً عبد الله بن المعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ليُسلم عليه، فقام له وأجلسه مكانه، فداس ابن المعتز قلماً فكسره، فلما جلس قال لمن حوله:

لِكفّي وتر عند رجلي لأنها أثارت قتيلاً ما لأعظمه جبر
فعجب الناس من سرعة بديهته.

* أهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلماً وكتب إليه:
قد وجهت إليك - أعزك الله - بمفتاح العلوم، بادِ جمالها، تام كمالها، فهي
كما قال الشاعر:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالا
كل جزء من محاسنها كائن من حسنه مثلاً
قال أحمد بن إسماعيل:

وإذا تَمَنَّمْتَ بنانك خطاً معرباً عن إصابة وسداد
عجب الناس من بياض معان يُجتنى من سواد ذاك المداد
قال أبو هفان: سألت وراقاً عن حاله فقال: «عيشي أضيق من محبرة،
وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد
سواداً من الحبر، وخطي أحقر من شق القلم، وبدني أضعف من قصبة،
وطعامي أمر من العفص، وسوء الحال ألزم لي من الصبغ».

فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء.

* ومثله قول قائلهم:

أفٍ لرزق الكَتَبَةُ أفٍ له، ما أتعبه
أفٍ لرزق يُرتجى من شق هذي القصبة

* سئل وراق عن حاله فقال:

إذا كنتُ بالليل لا أكتب وطول النهار أنا ألعب
فطورًا يبطلني مأكلاً وطورًا يبطلني مشرب
فإن دام هذا على ما أرى فبيني أول ما يخرب



مملكة النحل

مملكة	مُدبَّرة	بامراة	مؤمَّرة
تحملُ في العمال والـ	شُناع عبء السيطرة		
فاعجب لمَّال يُولـ	ونَ عليهم قيصرة		
تحكُّمهم	ذكارة	مُغبرة ^(١)	
عاقدة	زُتارها	عن ساقها	مشمَّرة
تلثَّمت	بالأرجوا	ن وارتدته	مئزرة
وارتفعت	كأتها	شرارة	مُطيَّرة
ووقعت لم تختلج ^(٢)	كانها		مسمَّرة



مخلوقة	ضعيفة	من	خُلقي	مُصوَّرة
يا ما أقل ملكها	وما	أجل	خطرة	
قف سائل النحل به	بأي	عقل	عبرة	
يُجبك بالأخلاق وهي	كالمقول		جوهرة	

(١) التغير: ترديد الصوت بالقراءة.

(٢) الاختلاج: الاضطراب.

تغني قوى الأخلاقِ ما تغني القوي المفكرة
ويرفع الله بها من شاء حتى الحشرة



اليس في مملكة ال نخل لقوم تبصرة
ملك بناء أهله بهموم ومجذرة
لو التمسك فيه بظ ال اليدين لم ترة
تقتل أو تُنفى الكسا لى فيه غير مُنذرة
تحكم فيه قبصره في قومها موقرة
من الرجال وقبو د حُكُمهم محررة
لا تورث القوم ولو كانوا البنين البررة
الملك للإناث في ال دستور لا للذكرة^(١)
نيرة تنزل عن هالها لنيرة
فهل ترى تخشى الظما غ في الرجال والشرة
فطالما تلاعبوا بالهمج المصيرة
وعبروا غفلتها إلى الظهور قنطرة
وفي الرجال كرم ال ضعف ولوم المقدره
وفتنه الرأي وما وراءها من أثره



أنشى ولكن في جنا حينها لباء^(٢) مُخدره
ذائده عن حوضها طارده من كدره

(١) الذكرة: الذكور.

(٢) اللباء: اللبوة.

تَقَلَّدَتْ	إِبْرَتَهَا	وَأَدْرَعَتْ	بِالْحَبْرَةِ
كَأَنَّهَا	تَرْكِيَّةٌ	قَدْ رَابَطَتْ	بَأَنْقَرَةٍ ^(١)
كَأَنَّهَا	(جَانْدَرُكُ) فِي	كُتَيْبَةٍ	مَعْسُكِرَةٍ
تَلْقَى الْمُفِيرَ	بِالْجَنُو	دِ الْخُشْنِ	الْمَنْمَرَةِ
السَّابِغِينَ	شِكَّةً	بِالْبَالِغِينَ	جَسْرَةٍ ^(٢)
قَدْ نَشَرْتَهُمْ	جُعبَةً	وَنَفَضْتَهُمْ	مِثْبَرَةً
مَنْ بَيْنَ مَلِكًا	أَوْ يَذُدُ	فَبِالْقَنَا	الْمَجْرَرَةِ
إِنَّ الْأُمُورَ	هَمَّةٌ	لَيْسَ الْأُمُورُ	ثَرْثَرَةً
مَا الْمَلِكُ إِلَّا فِي ذِي	الْ	الْوِيَةِ	الْمُنَشَّرَةِ
عَرِينُهُ مَذْ	كَانَ لَا	لَا يَحْمِيهِ	إِلَّا قَسُورَةً
رَبُّ النُّيُوبِ	الرُّزْقِ وَالْ	مُخَالِبِ	الْمَذْكُورَةِ



مَالِكَةٌ	عَامِلَةٌ	مُصْلِحَةٌ	مُعَمَّرَةٌ
الْمَالُ فِي أَتْبَاعِهَا	لَا تَسْتَبِينَ	أَثَرَةً	أَصْلًا لَهُ مِنْ ثَمَرَةٍ
لَوْ عَرَفُوهُ	عَرَفُوا	مِنْ الْبَلَاءِ	أَكْثَرَةً
وَاتَّخَذُوا	نَقَابَةً	لَأَمْرِهِمْ	مَسِيرَةً
وَنَغَصَ الشَّهْدَ	عَلَيْهِ	نَا شَفْبُهُمْ	وَمِرَّةً
سَبْحَانَ مَنْ نَزَّهَ	عَنْ	مُلْكِهِمْ	وَطَهَّرَهُ
وَسَاسَهُ	بَحْرَةً	عَامِلَةً	مَسْخَرَةً
صَاعِدَةً فِي	مَعْمَلٍ	مِنْ مَعْمَلٍ	مُنْحَدَرَةٍ

(١) قبل أن تفرنج التركية بضغط ساسة أنقرة.

(٢) الشكة: السلاح. الجسرة: الجسارة.

واردة دسكرة صادرة عن دسكرة
 باكرة تستنهض ال عصاب المبكرة
 السامعين الطائعين ن المحسنين المهرة
 من كل من خط البناء أو أقام أسطرة
 وشد أصل عقده أو سده أو قوره
 أو طاف بالماء على جدران المجرة



وتذهب النحل خفا قاً ونجى موقرة
 جالب الشمع من ال خمائل المنورة
 جالب الماذي^(١) من زهر الرياض الشيرة^(٢)
 مشدودة جوبها على الجنى مزرة
 وكل خرطوم أدا ة العسل المظرة
 وكل أنف قانيء فيه من الشهد برة
 حتى إذا جاء به جاست خلال الأدورة^(٣)
 وغيبته كالسلا ف في الدنان المحصرة
 فهل رأيت النحل عن أمانة مقصرة
 ما اقترضت من بقله أو استعارت زهرة
 أدت إلى الناس به سكرة بسكرة

أحمد شوقي

(١) الماذي: العمل.

(٢) الشيرة: الحسان.

(٣) الأدورة: الديار، يراد بها الخلايا.

رأي غليوم الثاني في الخطة التي يجب أن تتبع إزاء انكلترا

قال الإمبراطور غليوم في مذكراته:

وقد سألني (بيلوف) في أول اجتماع عقدته معه بعد ما صار مستشارًا: ما هو رأيي في الخطة التي يجب انتهاجها للسير مع الانكليز على أحسن أسلوب، وجعل علاقاتنا حسنة معهم؟ فقلت له: رأيي هو أن الصراحة التامة ضرورية في مفاوضاتهم. فالانكليزي عنيد في الدفاع عن مصلحته ووجهة نظره بصراحة تبلغ حد الغلظة. لذلك لا يستغرب معاملة الآخرين له بالمثل بل يفهمها تمامًا. فلنحذر من أن نعتمد إلى السياسة أو إلى الحيلة في معاملة الانكليز، لأن هذه الخطة لا تنجح إلا مع اللاتين والصقالبة. أما الانكليزي فتزيده حذرًا، وتجعله يعتقد بأن مخاطبه لم يُخلص له، وأنه ينوي خداعه والتلاعب به. ومتى تسرب الشك إلى قلب الانكليزي، فمن المحال أن يتم معه عمل، رغم عباراته الجميلة الخلاقة ومبالغته بالتساهل والتلطف، لذلك لم أستطع أن أنصح المستشار إلا باستعمال الصراحة في سياسته مع انكلترا.



من أمثال العرب

- * المرء حيث يَضَعُ نفسه.
- * مَنْ تَرَكَ الشهواتِ عاش حرًا.
- * الصدقُ عِزٌّ والكذبُ خضوعٌ.

- * عَزَّ الرَّجُلِ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ .
- * ظَمًا قَامِحٌ خَيْرٌ مِنْ رِيٍّ فَاضِحٍ .
- * لَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ .
- * الْإِفْرَاطُ فِي الْأَنْسِ مَكْسَبَةٌ لِقُرْنَاءِ السَّوِّ .
- * لَا تَمَازِحِ الشَّرِيفَ فَيَحْقَدَ عَلَيْكَ ، وَلَا الدُّنْيَا فَيَجْتَرِيءَ عَلَيْكَ .
- * لَنْ يَهْلِكَ أَمْرُكَ عَرَفَ قَدْرَهُ .
- * الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّ .
- * الدُّنْيَا قُرُوضٌ وَمُكَافَأَتٌ .
- * إِيَّاكَ وَأَعْرَاضُ الرُّجَالِ^(١) .
- * تَرَكْتَنِي خَبِيرَةُ النَّاسِ فَرْدًا .
- * كُلُّ صَمْتٍ لَا فِكْرَةَ فِيهِ فَهُوَ سَهْوٌ .
- * لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ ثُمَّ يَضْمَحِلُ .
- * الْحَازِمُ مِنْ مَلِكٍ جِدُّهُ هَزْلُهُ .
- * الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ .
- * مَنْ اسْتَرْعَى الذَّنْبَ ظَلَمَ .
- * مَنْ ضَعُفَ عَنْ كَسْبِهِ اتَّكَلَ عَلَى زَادٍ غَيْرِهِ .
- * مَنْ اتَّكَلَ عَلَى زَادٍ غَيْرِهِ طَالَ جُوعُهُ .

(١) من كلام يزيد بن المهلب فيما أوصى به ابنه: إياك وأعراض الرجال، فالحر لا يرضيه من عرضه شيء.

* لو لم يترك العاقلُ الكذبَ إلا للمروءة لكان حقيقاً بذلك، فكيف وفيه المأثمُ والعار.

* كما تدين تُدانُ.

* إن كَذِبُ نَجَى فَصِدْقُ أَخْلَقُ.

* شرُّ الناسِ من لا يبالي أن يراه الناسُ مُسيئاً.

* اعْقِلْ وَتَوَكَّلْ.

* تقاربوا بالموَدَّة ولا تتكلوا على القرابة.

* الرِّبَاحُ مع السَّمَّاحِ.

* رُبُّمَا كان السُّكُوتُ جواباً.

* الحِزْمُ حَفْظُ ما كُلِّفْتَ وتركُ ما كُفِّيت.

* مَنْ طلب شيئاً وجده.

* طاعةُ النساءِ ندامةٌ.

* المرءُ بخليله فليَنظر امرؤ من يخالِلُ.

* العَجْزُ رِيبةٌ^(١).

* في الاعتبارِ غنى عن الاختبار.

* رضى الناسِ غايةٌ لا تُدرِكُ.

* إياك والسَّامةُ في طلبِ الأمورِ فتَقْذِفْكَ.

* الرجالُ خلفَ أعقابها.

(١) يعني: أن الإنسان إذا قصد أمراً وجد إليه طريقاً، فإن أقر بالعجز على نفسه ففي أمره ريبة، قال بعضهم: هذا أحق مثل ضربته العرب.

- * رَبِّ كَلِمَةً سَلِبَتْ نِعْمَةٌ.
- * الصَّنَاعَةُ فِي الْكَفِّ أَمَانٌ مِنَ الْفَقْرِ.
- * تَعَاشَرُوا كَالْإِخْوَانِ وَتَعَامَلُوا كَالْأَجَانِبِ.
- * التَّدْبِيرُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ.
- * إِذَا تَرْضَيْتَ أَخَاكَ فَلَا أَخَا لَكَ^(١).
- * الْبَغْيُ آخِرُ مَدَّةِ الْقَوْمِ^(٢).
- * لَيْسَ لِلْأُمُورِ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الْعَوَاقِبِ.
- * مِنَ الْعَجْزِ وَالتَّوَانِي نَتَجَتِ الْفَاقَةُ^(٣).
- * مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فُكَيْهِ.
- * إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ زَلَّ بَزَلَتْهُ عَالَمٌ.
- * إِذَا نُصِرَ الرَّأْيُ بَطَلَ الْهَوَى.
- * حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ.
- * رُبَّمَا أَرَادَ الْأَحْمَقُ نَفْعَكَ فَأَضْرَكَ.
- * مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا أَكَلَتْهُ الذَّنَابُ.
- * الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ.
- * أَوَّلُ الْحَزْمِ الْمَشُورَةُ.

(١) الترضي: الإرضاء بجهد ومشقة، أي إذا الجأك أخوك إلى أن ترضاه وتداريه فليس هو بأخ لك.

(٢) يعني: أن الظلم إذا امتد مداه في قوم أذن بانقراض مدتهم.

(٣) الفاقة: الفقر.

- * إياكم وخضراء الدمن^(١).
- * السماتة لؤم.
- * الدالُّ على الخير كفاعله.
- * أخوك من صدَّقك النصيحة.
- * أثرك الشرُّ يتركك.
- * الحياء في غير موضعه ضعف.
- * خير الناس من فَرِحَ للناس بالخير.
- * دلَّ على عاقلٍ اختياره.



قلب الشاعر

أنا ساهرٌ والكون نام	وكلُّ ما في الكون نام
نام الجميع ومقلني	يَقْطِي تجوُّلُ مع الظلام
حتى نجوم الأفق نامت	فوق طيات الغمام
أنا ساهر، وجبال لب	نان عليها الصمت حام
خلع الجلال على مفا	رقها مواهبه الجسام
فكأنها إذ صمّدت	في الجو مرّاد عظام
صمّنت لدُنْ برز الدجى	فكانَ في فمها لجام



(١) يعني: المرأة الحسنة في المنبت السوء.

أنا ساهر، والسهل في حضن الطبيعة كالغلام
وكأمه فتحت ذرا عيها ليهنأ بالمنام
يففو ويحرس ثغره روح البنفسج والخزام
السهل نام، فلا حرا ك ولا هتاف ولا بغام



أنا ساهر، والبحر أخد رس لا هدير ولا احتدام
كالمارد الجبار منطرح على صدر الرغام
فكأنه والرمل إلفا صبوة منذ الفطام
فتعانقا عند المنا م وملء ثغرها ابتسام
لا حسّ حتى خلّت أن ساد الحمام على الأنام
وحسبت أنفاس الورى سُجنت بأقفاص العظام
صمتٌ يقزك فيه حُبٌ النمل في ملس الرخام
في ذلك الصمت الرهيب وذلك الليل الجهام
ما كان يخفق غير قلد ب كاد يُتلفه السقام
قلب شقيّ في حنا يا أضلمي اختار المقام
قلب تأكله الفرا م وظل يخفق للغرام
ما أعظم الضوضاء يُحد دثها فؤاد المستهام
إذ راح يخفق وحده خفقان أجنحة الحمام
في ذلك الصمت الرهيب وذلك الليل الجهام

بشارة الخوري



حضارة العرب

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالَ بِالْدَمِ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَمْنُ وَنَصْفَحُ
فَحَسِبَكُمْ هَذَا التَّفَاوُتَ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

سعد بن محمد



الإنسان ابن السعي

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرَا
بِالْهَمَةِ الْعُلْيَاءِ تَرْقَى إِلَى الْعُلَا فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هَمَّةٍ كَانَ أَظْهَرَا
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّمًا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخَّرَا



العرب

□ ١ □

قال لسان الدين بن الخطيب: العربُ لم تفتخر قطُّ بذهب يُجمع، ولا دُخْر يُزفع، ولا قَصْر يُبنى، ولا غَرْس يُجنى.

إنما فخرُها عدوُّ يُغلب، وثناءٌ يُجلب، وجُزْرٌ تنخر، وحديثٌ يُذكر، وجودٌ على الفاقة، وسماحةٌ بحسب الطاقة.

فلقد ذهب الذهب، وفني النَّسَب، وتمزقت الأثواب، وهلكت الخيل

العِراب، وكل الذي فوق التراب تراب، وبقيت المحاسن تُروى وتُنقل،
والأعراض تُجلى وتصل.

□ ٢ □

قال ابنُ المُقَفَّع: إِنَّ العَرَبَ حكمت على غيرِ مِثَالٍ مُثْلَ لَهَا، ولا آثارُ أثرت،
أصحابُ إبلٍ وغنم، وسكانُ شَعَرٍ وأدم، وجودُ أحدهم بِقُوَّتِهِ، ويتفضل
بمجهوده، ويشاركُ في ميسوره ومعسوره، ويصف الشيء بعقله فيكونُ قدوةً،
ويفعله فيصيرُ حجةً، وَيُحَسِّنُ ما شاء فيحسُن، وَيَقْبَحُ ما شاء فيقبح.
أَدَبَتْهُمُ أَنْفُسُهُمْ، ورفعتهم هِمَمُهُمْ، وأعلتهم قلوبُهُم وألستهم.
فمن وَضَعَ حقهم خسر، ومن أنكر فضلهم خُصم.



عدنان وقحطان

إلى بني العباس

ضِغْنَمٌ وَضِغْمٌ مَن كَانَ يَغْتَقِدُ^(١)
حمتكم السادة المذكورة الحُشْدُ
والمجد والدين والأرحام والبلدُ^(٢)
بغيرِ قحطانَ لم يبرخ به أودُ^(٣)

لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أَنَا سَا لَا حُلُومَ لَهُمْ
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
قَوْمٌ هُمُ الْجَذْمُ وَالْأَنْسَابُ تَجْمَعُهُمْ
إذا قريش أرادوا شَدَّ ملكهم

يزيد المهلبى

(١) اعتقدتم: قربتم ووثقتم.

(٢) الجذم: الأصل.

(٣) شد ملكهم: تقويته. الأود: الأعوجاج.

دار الآثار العربية في القاهرة

في مصرَ دارٌ حوث ما خَلَفَ العَرَبُ يلوُحُ فيها لعينِ الناظرِ العَجَبُ
 فمَنْ محارِبَ زانَ النقشُ جِلَّتِيهَا إلى منابرِ كم رنَّتْ بها الخُطْبُ
 ومن سيوفٍ، إلى دِرْعٍ، إلى زردٍ إلى سهامٍ، إلى ما يجمعُ الِيلْبُ^(١)
 ومن مَصَابِيحَ لولا أنها خَزَفُ ما خالَهَا الطرفُ إلا أنها شُهْبُ
 ومن دِوَاةٍ، إلى طِرسٍ، إلى قلمٍ إلى صِحفٍ عليها يَسْطَعُ الذهبُ
 فشم آثارهم تزهى بجدتها وثم أزياءهم رَغَمَ الِيلي قشْبُ
 كذاك تنطقُ بالاعجازِ آيتهم ما قورنَ الناسُ إلا فاقتِ العربُ

محمد الهراوي



السلف الماجدون والخلف الغافلون

ورثنا المجدَ عن آباءٍ صِدْقٍ أسأنا في جوارهم الصَّنِيعا
 إذا المجدُ الرفيعُ تَعَاوَرَتْهُ بُناةُ السُّوءِ أوشكَ أن يَضِيعا
 معن بن أوس



(١) اليلب: أدوات الحرب.

الواجب القومي

قال بعضهم:

أبغ للعرب من الخير كما تبغي لنفسك
وارحم العربَ جميعًا إنهم أبناء جنسك

❦ ❦ ❦

السجايا الخالدة

قال إبراهيم النبهاني:

فإن تكنِ الأيام فينا تبدلت بيؤسى ونُعمى والحوادث تفعلُ
فما لَيَنْتَ منا قناة صليبة ولا دَلَلْتَنَا للتي ليس تجملُ

❦ ❦ ❦

أخلاق العرب

قال سويد اليشكري:

كتبَ الرحمن والحمد له قوَّةُ الأخلاق فينا والضَّلَعُ^(١)
وإباءٌ للذَّنِيَّاتِ إذا أعطى المكثور ضِيْمًا فكَنَغُ^(٢)

(١) الضَّلَعُ: القوة واحتمال الثقل.

(٢) كثرة: غلبه في الكثرة. كنع: قبض وانضم.

وَبِنَاءٌ لِلْمَعَالِي إِنَّمَا يَرْفَعُ اللَّهُ وَمَنْ شَاءَ وَضَعُ
نَعْمٌ لِلَّهِ فَبِنَا رَبَّهَا وَصَنِيعُ اللَّهِ وَاللَّهُ صَنِيعٌ^(١)



يوم الخلاص: ذكرى ١٥ مارس

أشرق فدتك مشارق الإصباح
بوركت يا يوم الخلاص ولا ونت
بالله كن يمتنا وكن بشرى لنا
أقبلت والأيام حولك مثل
وخرجت من حجب الغيوب محجلاً
لو صح في هذا الوجود تناسخ
ولكنت يوم (اللابرنت)^(٢) بعينه
يوم يريك جلاله ورواؤه
خلعت عليه الشمس حلة عسجد
الله أثبتته لنا في لوحه
حبيه عنا يا أزهري واملئي
وانفحه عنا يا ربيع بكل ما
فالיום قرّي يا كنانة واهداي

وأمت لثامك عن نهار ضاح
عنك السعود بغدوة ورواح
في رد مغترب وفك سراح
صفين تخطر خطرة المباح
في كل لحظ منك ألف صباح
لرايت فيك تناسخ الأرواح
في عزة وجلالة وصحاح
في الحُسن قدرة فائق الإصباح
وحبائه «آذار» أرق وشاح
أبد الأبد فما له من ماح
أرجاءه بأريجك الفياح
أطلعت من «رند» و «نور أقاح»
حرم الكنانة لم يكن بمباح

(١) رَبِّ النِّعْمَةِ: زادها.

(٢) «اللابرنت» أو «قصر التيه» بالفيوم. وهو أول برلمان عقد في عهد الفراعنة، وكان فيه ثلاثة آلاف وخمسمائة حجرة، لكل نائب حجرة.

من ذا يُغير على الأسود بغابها
للنيل مجدّ في الزمان مؤثّل
فسل العصور به وسل آثاره
أو من يعوم بمسيح التمساح
من عهد آمون وعهد فتاح
في مصر كم شهدت من السياح



يا صاحب القطرين غير مدافع
أو لم يكن لك ملك مصر ونبيلها
منضورة الجنات حالية الربى
قد قال (عمرو) في ثراها آية
بيننا تراه لآلئنا وكأنما
وإذا به للناظرين زمرد
وإذا به مسك تشق سواده
قم يا بن مصر فانت حر واستعد
شمز وكافح في الحياة، فهذه
وانهل مع الثّهل من عذب الحيا
وإذا ألح عليك خطب لا تهن
وخض الحياة وإن تلاطم موجهها
واجمل عيائك قبل خطوك رائدًا
وإذا اجتوئك محلة وتنكرت
في البحر لا تثنيك نار بوارج
وانظر إلى الغربي كيف سمت به
والله ما بلغت بنو الغرب المنى
ركبوا البحار وقد تجمد ماؤها
ما مثلُ ساحك في العلى من ساح
ينساب بين مروجها الأفياح
مطلولة السرحات والأرواح
مأثورة نُقشت على الألواح
نشرت بتربته عقود ملاح
يشفيك أخضره من الأتراح
شق الأديم محارثُ الفلاح
مجد الجدود ولا تعد لمراح
دنيّاك دار تناحر وكفاح
فإذا رقا فامتخ مع المتاح
واضرب على الإلحاح بالإلحاح
خوض البحار رياضة السباح
لا تحسبن الغمر كالضحضاح
لك فاعدّها وانزع مع النّزاح
في البر لا يلوك غابُ رماح
بين الشعوب طبيعة الكداح
إلا بنيات هناك صحاح
والجوّ بين تناوح الأرواح

والبر مصهور الحصى متأججاً
يلقى فتيهم الزمانَ بهمة
ويشق أجواز القفار مغامرًا
وابنُ الكنانة في الكنانة راكد
لا يستغل - كما علمت - ذكاه
أمسى كماء النهر ضاع فرائه
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح
واربع لمصر برأس مالك عزة
وإذا رُزقت رياسة فانسج لها
واشرب من الماء القراح منعماً
يرمي بنزاع الشوى لَوّاح
عجب ووجه في الخطوب وقاح
وعر الطريق لديه كالصحاح
يرنو بعينٍ غير ذات طماح
وذكاؤه كالخاطف اللحم
في البحر بين أجاجه المنдах
في فادح البؤسى مع الأنواح
إن الذكاء حُباله الأرباح
بُردين من حزم ومن إسجاح
فلکم وردت الماء غير قراح

حافظ إبراهيم



بين عامين

بين شطبي الماضي والمستقبل يجري نهر الحياة ثملاً بعقيقه الفخم، ليصب في
بحر الأبدية حيث لا جديد ولا قديم، وخيالات البشر تنهادى بين جماجم الموت
وأغراس الحياة، مخفيةً طيَّ ضلوعها كثيراً من الآمال، وكثيراً من الكلوم:

فإلى بحر الأبدية، أيها العام الراحل! وأنت أيها العام الجديد، إلينا!
وطئت الأرض طفلاً جميلاً، فنبهت في قلوب الشيوخ الحنان، وكنت صلة
حب بين أرواح الخالصان، امتزجت نُسيماتك بدقائق الأثير، فأصبح مغرّداً
لامعاً، وامتشقت حسام الصبح ضارباً أعناق جيوش الظلام، فسالت منها الدماء

في المشرق، وملأت كتائبُ النور الأرضَ والسماء.
وداست أعقابك على هام الأيام، فأنت قديمها، وغدا اليأس أملاً، والنواح
تهليلاً.

هي الإنسانية طفلة في هرمها كلما ذقت عذاباً رجت حظاً، ولئن مزقت
أحشاءها الضغائن والأحقاد، فموجات الحب العظيم ما برحت غامرة فؤادها.
فاسمع هتافها متخللاً أصوات الصباح: رحماك أيها العام، رحماك!
لقد كتبتُ اسمك يدُ الزمان على باب الوجود، فساعدنا لتنقش أسماءنا على
باب السعادة!

كنا بالأمس نلمس الأوتار، فتسيل عليها الدموع مرخية قواها، فما تسمعنا
سوى شكوى المذلة وأنين العبودية، أما اليوم فنريد أن ننعش أرواح العيدان؛
لنوقع أسمى المبادئ على أعذب الألحان.

رحماك أيها العام الجديد، الإنسانية تتألم، فافرق بها.

رحماك، أيها الطفل الحبيب!

تعال نعطيك القبلات السنوية الثلاث: فعلى جبهتك قبلة الرجاء، وعلى
ابتسامتك قبلة الوداد؛ وعلى يدك قبلة الالتماس والتوسل.

جبهتك مستودع الأفكار، وابتساماتك عبير الأزهار، ويداك رمز القوة
المتقلة، أبدية من أدهار إلى أدهار.

هذه أمانينا نلقي بها عند قدميك، فلا تدسها فتلاشنا، بل ضمها إليك فتحينا
(١٩١٣).



إسماعيل صبري باشا

خير ما قيل في وصف شعر أستاذ الشعراء إسماعيل صبري باشا قول الشاعر الكبير خليل مطران:

«أكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله، من مثل حادثة يشهدها، أو خبر ذي بال يسمعه، أو كتاب يطالعه.

ولما كان لا ينظم للشهرة، بل لمجارية نفسه على ما تدعوه إليه، فالغالب في أمره أنه يقول الشعر متمشيًا، وربما قاله بحضرة صديق وهو مائل عنه بعنقه. وله بين حين وحين أنه بمثل ما تنطق لفظة «إيه» مستطيلة.

ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة وهو نادر.

شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه، حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب، أهمله ثم نسيه.

وهكذا يمر به الآن بعد الآن، فيجيش في صدره الشعر، فيرسل بيتيه إطلاق زوجي الطائر، فيذهبان في الفضاء ضاربين من أشطرهما بأجنحة ملتمة، شادين على توقيع العروض، إلى أن يتواريا، وينقطع نغمهما من عالم النسيان. ذلك هو الشعر للشعر».

خليل مطران

□ وإلى القارئ طائفة من مختار شعر إسماعيل صبري باشا:

□ الخطوة الأخيرة □

يا مَوْتُ! ها أنا ذا فخذ ما أبقت الأيام مني
بيني وبينك خطوة إن تخطها فرجت عني

□ تمثال جمال □

يا لواء الحُسنِ أحزابُ الهوى
فرقتهم في الهوى ثاراتهم
إنَّ هذا الحُسنَ كالماءِ الذي
لا تَذُودي بعضنا عن ورده
أنتِ يُمُ الحسن فيه ازدحمت
يقذفُ الشوقُ بها في مائج
شدة تمضي، وتأتي شدة،
ساعفي آمالَ أنضاءِ الهوى
وتجلي واجعلي قومَ الهوى
أقبلني نستقبل الدنيا وما
واسفري، تلك حلي ما خلقت
واخطري بين الندامى يحلفوا
وانطقي ينثر إذا حدثتنا
وابسمي، من كان هذا ثغره
لا تخافي شططا من أنفُسٍ
راضت النخوة من أخلاقنا
فلو امتدَّت أمانينا إلى

أيقظوا الفتنة في ظلّ اللواء
فاجمعي الأمرَ وُصُوني الأبرياء
فيه للأنفُسِ ريّ وشفاء
دونَ بعض، واعدلي بينَ الظماء
سفنُ الآمالِ يُزجّيها الرجاء
بين لجّين: عناء وشقاء
تقتفيها شدة، هل من رجاء؟
بقبولٍ من سجاياك رخاء
تحت عرش الشمس بالحكم سواء
ضُمنت من مُعداتِ الهناء
لثواري بِلِشامٍ أو خِباء
أن روضاً راح في النادي وجاء
نائرُ الدرّ علينا ما نشاء
يملا الدنيا ابتساماً وازدهاء
تعثُرُ الصبوةُ فيها بالحياء
وارتضى آدابنا صدق الولاء
ملك ما كدّرت ذاك الصفاء

انْتِ رُوحَانِيَّةٌ لَا تَدَّعِي أَنْ هَذَا الشَّكْلَ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ
وَانْزِعِي عَنْ جِسْمِكَ الثُّوبَ بَيْنَ لِّلْمَلَأِ تَكْوِينُ سَكَانِ السَّمَاءِ
وَارِي الدُّنْيَا جَنَاحِي مَلَكٍ خَلْفَ تِمْنَالٍ مَصْوَغٍ مِنْ ضِبَاءِ

□ طيف الود □

إِذَا خَانَنِي خَلٍ قَدِيمٍ وَعَقْنِي وَفَوَّتَ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي
تَعْرِضُ طَيْفَ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَكَسَّرَ سَهْمِي فَانْتَبَيْتُ وَلَمْ أَرَمِ

□ فؤادي □

أَقْصِرْ فُؤَادِي! فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا
سَلَا الْفَوَادُ الَّذِي شَاطَرْتُهُ زَمَنًا حَمَلَ الصَّبَابَةَ. فَاخْفَى وَحَدَّكَ الْآنَا
هَلَا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَهْبَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانَا
لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ الْعَمَرَ مَقْتَحَمًا فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهَجْرَانِ نِيرَانَا

□ ذكرى الشباب □

تَمْسِي تَذَكِّرُنَا الشَّبَابَ وَعَهْدَهُ هَيْفَاءُ مَرَهْفَةِ الْقَوَامِ فَتَذَكِّرُ
تَثْبِ الْقُلُوبِ إِلَى الرُّؤُوسِ إِذَا بَدَتْ وَتَطْلُ مِنْ حَدَقِ الْعَيُونِ وَتَنْظُرُ

□ إلى الله □

يَا رَبِّ أَيْنَ تَرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلْأَسْرَارِ
لَمْ يُبْقِ عَفْوَكَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ أَهْلَنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفَنِي شَطَطَ الْعَقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
وَمُرِّ الْوُجُودِ يَشْفِ عَنْكَ لَكِي أَرَى غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ
يَا عَالَمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِي مِحْنَةٌ عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالَمُ الْأَسْرَارِ
أَخْلَقْتَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسَعُ الْوَرَى إِلَّا تَضْيِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ

□ ساعات الألم □

كم ساعة ألمني مسها / وأزعجتني يدها القاسية
 فتشت فيها جاهداً لم أجد / هنبهةً واحدةً صافية
 وكُم سقتني المرّ أخت لها / فرُحْتُ أشكوها إلى التالية
 فأسلمتني هذه عنوة / لساعة أخرى وبني ما بيه
 يا شاكيّ الساعات اسمع عسى / تنجيك منها الساعة القاضية

□ الحياة والموت □

إن سئمت الحياة فارجع إلى الأر / ض تنم آمناً من الأوصاب
 تلك أم أخنى عليك من الأ / م التي خلفتك للأتعاب
 لا تخف فالعمات ليس بماح / منك إلا ما تشتكي من عذاب
 وحياة المرء اغتراب فإن ما / ت فقد عاد سالمًا للتراب

□ يا آسي الحي! □

يا آسي الحي، هل فتشت في كبدي / وهل تبينت داءً في زواياها
 أوّاه من حرق أودت بمعظمها / ولم تزل تتمشى في بقاياها
 يا شوق! رفقاً بأضلاعٍ عصفت بها / فالقلب يخفق ذعراً في حناياها

□ الشباب والمشيب □

«تضمين مثل فرنسي»

لم يدر طعمَ العيش شب / ان ولم يدركه شيب
 جهلاً بضلّ قوى الفتى / فتطيش، والمرمى قريب
 وقوى نخور إذا تشب / ث بالقوى الشيخ الأريب

فيما يقال كبا المغف ل إذ يقال خبا اللبيب
«أواه لو علم الشبا ب، وآه لو قدر المشيب»

□ ريحانة أنت □

يا راحة القلب، يا شغل الفؤاد، صلي متيمًا أنت في الحاليتين دنياه
زني الندي، وسلي في جوانبه لطفًا يعمّ رعايا اللطف رياه
ريحانة أنت في صحراء مجدبة من الرياحين حيانا بها الله
إن غاب ساقى الطلا أو صدّ لا حرج هذا جمالك يغنيننا محياه

إسماعيل صبري باشا



صيانة العلم

سمع يونس رجلًا ينشد:

إستودعَ العلمَ قرطاسًا فضيعه وبشّ مُستودعَ العلمِ القراطيسُ
فقال: ما أشدَّ صباةَ القائلِ بالعلمِ وصيانه لل حفظ، إن علمك من روحك:
ومالك من بدنك، فصن علمك صيانتك روحك، ومالك صيانتك بدنك.



الخاتم النبوي وما صار إليه زمن الخلفاء

روى نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا من ذهب، فلبسه ثلاثة أيام، ففشت خواتيم الذهب في أصحابه، فرمى به واتخذ خاتمًا من ورق نقش

عليه «محمد رسول الله»، فكان في يده ﷺ، حتى مات، وفي يد أبي بكر حتى مات، وفي يد عمر حتى مات، وفي يد عثمان ست سنين، فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار ليختم به، فأتى قليلاً لعثمان ﷺ، فسقط الخاتم في القلب، فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ خاتماً من ورق ونقش عليه «محمد رسول الله».

ولم يتخذ ﷺ الخاتم حتى احتاج إلى مكاتبة الملوك منصرفه من الحديبية سنة ست، فقيل له: إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش عليه «محمد رسول الله»: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر^(١).



الأختام العربية

- كانت بنو أمية لا تولي ديوان الخاتم إلا أوثق الناس عندها. وأول من رسم هذا الديوان معاوية رضي الله عنه.

- كانت الخواتم في خزائن الملوك لا تدفعها إلا إلى الوزراء، فاطرد الأمر على ذلك حتى ملك بنو أمية، وأفرد معاوية ديوان الخاتم وولاه عبيد بن أوس الغساني، وسلم الخاتم إليه.

- كان على خاتم معاوية: «لكل عمل ثواب».

- كان محمد بن عبد الملك الزيات إذا أراد أن يختم الكتب دعا بدرج فيه

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٣).

الخاتم، فإذا جيء به وهو خاتم الملك، قام قائماً فأخذه إجلالاً له، ثم جلس فأخرجه وختم الكتاب به، وردّه إلى الدرج وختم عليه.



اللحن

- كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد قرأ في كتابه لحنًا: قَتَّعْ كَاتِبَكَ سَوْطًا!

- كان ابن قادم مع إسحاق بن إبراهيم المصعبي، فكتب كاتبه ميمون بن إبراهيم إلى المأمون كتابًا فيه: وهذا المال مالاً يجب على فلان. فخط المأمون على «مالاً» ووقع بخطه في حاشية الكتاب:

- أتكاتبني بلحن يا إسحاق؟

فاشتد ذلك عليه. وقال لكاتبه: قد عفوت عنك فالزم صحيح الإعراب، ثم أكتب ميمون يقرأ النحو.

- قال عبد الله بن قتيبة: كتب إليّ رجل من (سُرَّ مَنْ رَأَى):
قد قرأتُ كتابك المترجم بكتاب الكتاب، وقد أعبت عليك فيه حرفًا.
فكتبت إليه: وصل كتابك وفهمته، وقد عبت عليك قولك «وأعبت عليك» والسلام!

- وقالوا: «اللحن في الكتاب، أقبح منه في الخطاب».

- كتب ابن الرومي كتابًا بخطه إلى أبي الحسن محمد بن أبي سلاله فلحن فيه، وقد كان كتابه احتبس عن ابن الرومي، فكتب إليه ابن الرومي وقد علم بذلك:

ألا أيها الموسوم باسم وكنية وجدناهما اشتقا من الحمد والحُسن

أبخل بالقرطاس والخط عن أخ وكفأك أندى بالعطاء من المزن
أبغلق عني علمه بكتابه أخ لي وقلبي عنده علق الرهن
عطفناك فاعطف، إن كل ابن حرة أخو مكسر صلب وذو معطف لين
إن سقطاني في كتابي تابعت فلا تلحني فيما جنبت على ذهني



الملق في المكاتبه

- قال أحمد بن محمد الأسدي: كتب رجلٌ إلى المهدي كتابًا عنوانه «عبده فلان» فقال: لا أعلمن أحدًا نسب نفسه إلى عبودية في كتاب أو عنوان، فإنه ملق كاذب، وليس يقبله إلا غبي أو متكبر.

- قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: رأى طاهر بن الحسين رقعة كتبها ابنه عبد الله بن طاهر إلى (المأمون) عليها «عبد» فقال: يا بني سميتك عبد الله وكذلك أنت، فلا تُشركن في الملك أحدًا، فإنه جعلك بإنعامه حرًا لا مولى لك سواه.

- كتب ابن ثوبة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبته بالتفديه (وهي أن يقول الكاتب للمكتوب إليه «جعلت فداك» وكان ذلك من رسوم المكاتبه عندهم): «الله يعلم - وكفى به علما - لقد أردت مكاتبتك بالتفدية، فرأيت عيبًا أن أفديك بنفس لا بد لها من الفناء ولا سبيل لها إلى البقاء. ومن أظهر لك شيئًا يُضمر خلافه فقد غش وألام، إذ كانت الضرورة لا توجهه، وتحقق أنه ملق لا يتحقق، وعطاء لا يتحصل، وإن كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم، ودليلاً من دلالات الاجتهاد، وطريقًا من طرق التقرب».



رسالة في النهي عن الكبر

كتب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب، وقد نال رتبة فنقص إخوانه في الدعاء (وكانت للدعاء مراتب تختلف باختلاف منازل الرجال في رسوم الدولة):

«الكبر أعزك الله معرض يستوي فيه النبيه ذكرا، والخامل قدرا. ليس أمامه حجاب يمنعه، ولا حاجز يحظره، والناس أشد تحفظا على الرئيس المحظوظ، وأكثر اجتلاء لأفعاله، وتتبعاً لمعائبه، وتصفحا لأخلاقه، وتنفيرا عن خصاله، منهم عن خامل لا يُعبأ به، وساقط لا يُكترث به. فيسير عيب الجليل يقدح فيه، وصغير الذنب يكبر منه، وقليل الذم يُسرع إليه. والحال التي جردها الله لك وإن كنت أراها دون حقك، وناقصة عن همتك، وأرضا عند سمالك، حال الحاسد عليها كثير، وآمال المنافسين إليها تسير. والمودة تقتضي النصيحة، والمقه تدعو إلى صدق المشورة. وليس يحرس النعمة ويحوطها، ويحسم الأطماع ويصرفها، ويستجيب القلوب النافرة ويطلقها، إلا ترك ما أراك تستعمله في ترتيب المكاتبة، وتمييز المخاطبة، والمحاضرة في ألفاظ الدعاء، والبخل بيسير الشاء، وتطبيق إخوانك ومعاملتك في ذلك، حتى صار عندك كأنه نسب لا تتعدها، ونعت لهم لا تتخطاه. فأما إخوانك فليس من حقك أن تحطهم حال رفعتك، وأن تنقصهم دولة زادتك. كما ليس من حقك عليهم أن يُغالطوك فيمسكوا عن خطابك، ويتحاملوا عن عتابك».



بلاغة طاهر بن الحسين

قال طاهر بن الحسين - وهو يحارب الأمين، وكان أبو عيسى بن الرشيد معه -
 - لكتابه:
 - اكتبوا إلى (أبي عيسى) كتاباً تتقربون به إليه وتتباعدون، ولا تُطمعوه ولا تؤيسوه.

فقالوا: إن رأى الأمير أن يُعلمنا كيف ذلك ويحدّه لنا؟
 فقال: اكتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله وأبقاك وأمتع بك، وعزّيزٌ عليّ أن أكتب إلى صغير منكم أو كبير بغير التأشير، وقد بلغني عنك ممالأة للمخلوع، فإن كان ذلك منك ميلاً على أمير المؤمنين فقليلٌ ما أكتبك به كثير. وإن كنت كما قال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته.



جمال الطبيعة في الصحراء

وقانا لفحة الرمضاء وإد	وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا	حنّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلاًلاً	الذّ من المدامة للنديم

يصدُّ الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد التنظيم

المناذري



التاريخ عند العرب

□ التاريخ وما قيل في معناه:

تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه: فلان تاريخ قومه في الجود، أي الذي انتهى إليه ذلك.

فأما العرب فكانوا يؤرخون بالنجوم قديماً، وهو أصل.

وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهود متعارف، فأرخوا بعام الفيل، وفيه وُلد النبي ﷺ، وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان.

وأرخت العرب بعام الخُنان؛ لأنهم تماوتوا فيه وعظم عندهم أمره، فقال النابغة الجعدي:

فمن يك سائلاً عني فاني من الشبان أيام الخُنان^(١)
مضت مائةً لعام وُلدت فيه وعشرٌ بعد ذاك وحجتان
وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي؛ لجلالته فيهم، ولذلك

(١) قال السيد المرتضى: الخُنان أيام كانت للعرب قديمة حاج بها فيهم مرض في أنوفهم وحلقهم. انتهى. وكان في عهد المنذر بن ماء السماء، وكانوا يؤرخون به.

قال شاعرهم:

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام
وروي عن الزهري والشعبي أن بني إسماعيل أرحوا من نار إبراهيم ﷺ إلى
بناء البيت حين بناه مع إسماعيل، وأن بني إسماعيل أرحوا من بنان البيت إلى
تفرق معد. ثم كانوا يؤرخون بشيء شيء إلى موت كعب بن لؤي. ثم أرحوا
بعام الفيل، إلى أن أرح عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي ﷺ.

وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه: إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب
ليس لها تاريخ، فلا ندري على أيها نعمل. وروي أيضاً أنه قرأ صكاً محله
شعبان فقال: أي الشعابين؟ الماضي أم الآتي، فكان سبب التاريخ من الهجرة،
بعد أن قالوا نورخ بعام الفيل، وقالوا من المبعث، ثم أجمع الرأي على
الهجرة، وقالوا: ما يكون أول التاريخ؟ فقال بعضهم: شهر رمضان، وقال
بعضهم: رجب فإنه شهر حرام والعرب تُعظمه، ثم أجمعوا على المحرم،
فقالوا: شهر حرام، وهو منصرف الناس من الحج، وكان آخر الأشهر الحرم
فصبروه أولاً، لأنها عندهم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، والفرد
رجب، فكانت الأربعة تقع في سنتين فلما صار المحرم أولاً وقعت في سنة.
وغلّبت العرب الليالي على الأيام في التاريخ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه،
ولم يلدها وولده، ولأن الأهلة لليالي دون الأيام، وفيها دخول الشهر، وما
ذكرهما الله ﷻ إلا قدم الليالي.

والعرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشاركون فيها النهار، دون النهار،
فيقولون: أدركني الليل بموضع كذا، لهيبته.

وقال النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلّت أن المتأى عنك واسع

والعرب تسمي أول ليلة من الشهر ليلة البراء، لتبرؤ القمر من الشمس، ويسمونها النخيرة؛ لأن الهلال نحَرها، أي رؤي في نحَرها وأولها.

قال ابن أحرر:

ثم استمر عليها واكفَّ مع في ليلة نحرت شعبان أو رجباً
قال بعض الكتاب: التاريخ عمود اليقين، ونافي الشك، وبه تُعرف الحقوق،
وتُحفظ العهود.



نحاول مُلكًا

بكي صاحبي لما رأى الدَّربَ دونه وأيقنَ أنا لاحقان بقبصرا
فقلكُ له لا تبك عينك إنَّما نُحاولُ مُلكًا أو نموت فنُعذِّرا

امرؤ القيس



الديوان

كان سبب تدوين الدواوين: أن أبا بكر رضي الله عنه لما تولى الأمر جاءه مال من البحرين فقسمه، فأخذ الرجل عشرة دراهم والمرأة كذلك والعبد كذلك.

وجاء في العام الثاني أكثر من ذلك، فأصابهم عشرون درهماً لكل واحد منهم، فتكلمت الأنصار في ذلك فقالوا: «نصرنا وآوينا فلنا فضلنا، فلم تساوي بيننا وبين من ليس له شيء مما لنا؟».

فقال أبو بكر: صدقتم ذاك لكم، فإن كنتم عملتموه لله فدعوا هذا، وإن كنتم فعلتموه لغيره زدكم، فقالوا: عملناه لله. وانصرفوا

فرقى أبو بكر المنبر ثم قال: والله يا معشر الأنصار، لو شئتم أن تقولوا: إنا آويناكم وشاركناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم، وإن لكم من الفضل ما لا نحصيه عددًا وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال الغنوي:

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا، ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات واكنئت

ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر رضي الله عنه بعده، فأتى أبو هريرة رضي الله عنه بمال من البحرين وكان مبلغه ثمانمائة ألف درهم، وفي أخرى خمسمائة ألف درهم فخطب الناس فقال: «إنه قد جاءكم مال، فإن شئتم كلته لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عددًا».

فقال له الهرمزان - وروي أن غيره قال له - : إن العجم تُدون ديوانًا لهم يكتبون فيه الأسماء، وما لواحد واحد. فأمر باتخاذ الديوان.

□ تحويل الديوان إلى العربي □

كان بالبصرة والكوفة ديوانان لإعطاء الجند والمقاتلة والذرية بكتاب بالعربية، وديوان بالفارسية، وبالشام ديوان بالعربية لمثل ذلك، وديوان بالرومية. فحول ديوان العراق إلى العربية: أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري.

وكان صالح يكتب لزادان فروخ على الدواوين أيام الحجاج، فقال له زادان فروخ:

- لا بد للحجاج مني؛ لأنه لا يجد من يقوم بحساب ديوانه غيري.

فقال له صالح:

- إنه إن أمرني بنقل الحساب إلى العربي فعلت.

- قال: فانقل شيئاً منه بين يدي.

ففعل. فقال زادان فروخ لكتابه الفرس:

- التمسوا مكسباً غير هذا.

قال: وقدم الحجاج صالحاً، فقلب صالح الديوان إلى العربي، وكان كتاب العراقيين كلهم غلماناً وتلاميذه.

وكان ديوان الشام إلى سرحون بن منصور، وكان رومياً نصرانياً، كتب لمعاوية ولمن بعده إلى عبد الملك بن مروان، ثم رأى عبد الملك منه توانياً، فقال عبد الملك لسليمان بن سعد وكان على مكاتبات عبد الملك والرسائل:

- ما أحتمل سحب سرحون. أفما عندك حيلة في أمره؟

فقال: بلى، انقل الحساب إلى العربية من الرومية.

فقال: أفعل، فحوله. فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام، وصرف سرحون.

فلم يزل سليمان بن سعد على ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ثم إن عمر بن عبد العزيز وجد عليه فعزله، واستكتب مكانه صالح بن كثير الصدائي من أهل طبرية.



أعظم مظاهر العدل خليفة عربي بين يدي القاضي

قال محمد بن إبراهيم بن نافع: قدم المهدي البصرة وقاضيه عليها عبيد الله بن الحسن العنبري، فقال له: انظر بيني وبين أهل (المرعات) نهر من أنهار البصرة، فجلس لهم وحضر المهدي وحضر من يناظره، فقال عبيد الله:

- ما تقول يا أمير المؤمنين؟

فقال: أقول إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين لم يقع ابتياع فيها يعود ثمنه على المسلمين كافة أو في مصالحهم. أما إذا أقطع من إمام فلا سبيل لأحد عليه.

فقال للقوم: ما تقولون؟ قد سمعتم فما عندكم؟

قالوا: هذا النهر لنا بحكم رسول الله ﷺ؛ لأنه قال «من أحيأ أرضاً موأناً فهي له»^(١)، وهذه موأنة.

قال: فوثب المهدي ووثب الناس حتى ألصق خده بالتراب عند ذكر النبي ﷺ وقال:

- قد سمعت وأطعت. ثم عاد فقال: ننفي أن يكون موأناً والماء محيط بها من جوانبها، فإن أقاموا البيعة على هذا سلمت لهم.

فلم يأتوا ببيعة، وأحب عبيد الله أن يتحدث الناس بأنه حكم على المهدي بحكم. فخلط حكماً بسؤال. فضج المهدي ووثب وتفرقوا. فعزله المهدي

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٧٣)، وصححه الألباني.

وقال: والله ما أردت إلا أن يقول الناس: حكم على المهدي، وإلا فقد علمت أن الحق معي.



استعجام الدولة العربية

مُلِّ المقامُ فكم اعاشُرُ أُمَّةَ امرت بغير صلاحِها أمراؤها
ظلموا الرعيةَ واستجازوا كيدها وعدّوا مصالحها وهم أجراؤها
أبو العلاء المعري



الديمقراطية العربية في صدر الإسلام

لما حبس معاوية رضي الله عنه على الناس أعطياتهم قام إليه أبو مسلم الخولاني وهو يخطب فقال:

- يا معاوية، إن هذا المال ليس لك ولا لأبيك وأمك، فلمَ حبست على الناس العطاء؟ فغضب ثم نزل فدخل وأومأ إلى الناس أن تثبتوا ولا تتفرقوا. ثم خرج فعاد إلى المنبر فقال:

أيها الناس: إن أبا مسلم الخولاني قد قال ما قال، فوجدت لذلك؛ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا غضب أحدكم فليغتسل»^(١)، وصدق أبو مسلم، فاغدوا على أعطياتكم، فخذوها على بركة الله.

(١) ضعيف الجامع؛ للألباني (٣٩٣٣).

حلم ملك عربي أيام حكم العرب في أوروبا

ثارَ على عبد الرحمن الأندلسي ثائرٌ، فغزاه فظفر به . فينما هو منصرف -
وقد حُمِلَ الثائرُ على بغل مكبولاً- نظر إليه عبد الرحمن وتحتة فرس، فقتنع رأسه
بالعباءة وقال:

- يا بغلُ ماذا تحملُ من الشقاق والنفاق!

قال الثائر:

- يا فرس ماذا تحمل من العفو والرحمة!

فقال له عبد الرحمن:

- والله لا تذوق موتاً على يدي أبداً!



الساعة العربية في دمشق في القرون الوسطى

قال ابن جبير في رحلته:

عن يمين الخارج من باب جيرون - في جدار البلاط الذي أمامه - شبه غرفة
لها هيئة طاق كبير مستدير، فيه طيقان من صُفر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد
ساعات النهار، ودُبرت تدبيراً هندسياً. فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط
صنجتان من صُفر من فمي بازين من صُفر قائمتين على طاستين من صُفر
مثقوبتين، فتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقيتين إلى الطاستين، ويقذفانهما

بسرعة وتدير عجيب تتخيله الأذهان سحرًا، فعند وقوعهما يُسمع لهما دوي فيعودان من الأثقاب إلى داخل الجدار إلى الغرفة، وينغلق الباب للحين بلوح صُفر، فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات، فتغلق الأبواب كلها، ثم تعود إلى حالاتها الأولى.

ولها بالليل تدبير آخر، وذلك أن في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتى عشر دائرة من النحاس مخزومة، في كل دائرة زجاجة، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة، فإذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح، وأفاض على الدائرة شعاعًا، فلاحت دائرة محمرة، ثم ينتقل إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل. وقد وُكل بها من يدبر شأنها، فيُعيد فتح الأبواب، ويسرح الصنج إلى موضعها، وهي التي تسمى «الميقاتية».



الشعر

وإن أشعرَ بيت أنت قائلُهُ بيتٌ يُقال إذا أنشدته صدقا
وإنما الشعر لبُّ المرء يعرضُهُ على البرية إن كَبَسًا وإن حُمَقًا

حسان بن ثابت رضي الله عنه



وبالشعر يبدي المرء صفحة عقله فيعلنُ منه كلَّ ما كان يكتُمُ
وسيان مَنْ لم يمتطِ اللب شعره فيملكُ عِطفيه وآخر مُفحُمُ

ابن دريد



النيل

إلى الأستاذ مرغليوث

مدرس اللغة العربية في جامعة اكسفورد

□ أيها الأستاذ الكريم:

تذكرت «أثينة» مدينة الحكمة في الدهور الخالية، وأيامًا غنمناها على رسومها العافية وأطلالها البالية. فكأنني أنظر إلى المؤتمر، علماءه الهالة وأنت القمر، أو زمر الحجيج وأنت حادي الزمر. وأرى الملوك في الحفر، بنيانهم مصدوع الخدر، وبيانهم نور البشر. نزلنا بهم فإذا الدول خبر، وإذا الممالك أثر، والطلول شغل الفؤاد والبصر، منا العبرات ومنها العبر، صمت الإنسان ونطق الحجر، فسبحان العزيز المقتدر، القاهر فوق عباده بالقدر، كان ذلك والحوادث أجنة، والأمور في أحسن الأعتة، والأرض بالسلم مطمئنة. مغتبطة بسلامة الشباب، منبسطة بتلاقي الأحباب، والصفو في الدار والاكدار بالباب، ثم أخذ الله الأمم بذنوبهم فرماهم بعوان في الماء، ضروس في الأرض والسماء، منهومة بالأموال مدمنة للدماء. نزلت بالبرية فعصفت بأحسن شبابها ونباتها، ونقصت موفر أمنها وأقواتها، وهتكث من الثرى مصون رفاتها، وخلطت في الخنادق أحياءها بأمواتها. وعدت على الوحش في فلواتها، وعلى الطير في وكناتها، وعلى الرياح في مخترقاتها، وعلى بكم البحار وأحواتها^(١)، وهوام القفار وحشراتها، وعلى بيوت الله في ستراتها، والنواقيس في قبابها

(١) البلم: صغار السمك.

والمآذن في سماواتها. فسبحان الملك الأكبر، الذي يقهر ولا يقهر، ويُغَيِّر ولا يَتَغَيَّر، والذي يُقيم القيامة في ميقاتها.

الشعر كالأحلام تدخل على المسرور الكرى، وتكثر على المحزون في السرى. وقريحة الشاعر كعين صاحب الأيام، عندها للحزن عبء وللسرور عبء. وهذه أيها الأستاذ الكريم كلمة قيلت والهموم سارية، والأقدار بالمخاوف جارية. والدماء والدموع متبارية، وذئاب البشر يقتلون على الفانية، نظمها تغنيًا بمحاسن الماضي، وتقييدًا لمآثر الآباء، وقضاء لحق النيل الأسعد الأ مجد. نسبتها إليك عرفانًا لفضلك عن لغة العرب، وما أنفقت من شباب وكهولة في إحياء علومها، ونشر آدابها، وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضباب دُروسًا نافعة على أنبل شباب العصر في أعظم جامعات العالم، فلعلها تقعُ إليك فتتذكر على النوى تلك الأيام، وتنتادم عن بُعد على بساط الأدب والكلام. ونسأل الله أن يحقن الدماء ويُقيم جدار السلام.

من أيّ عهدٍ في القرى تَدْفُقُ	وبأيّ كف في المدائن تغدِقُ
وَمِنَ السماء نزلت أم، فُجِرَتْ من	عُليا الحِنان جَدَاوِلا تترْفَرُقُ
وبأيّ عَيْن أم بآية مُزْنَةٍ	أم أي طوفان تَفِيض وتَفْهُقُ ^(١)
وبأي نَوَل أنت ناسجُ بُردَةٍ	للمضفتين جديدها لا يخلُقُ
تَسوّدُ ويَبَاجَا إذا فارقتها	فإذا حضرت اخضوضر الاستبرق
في كل آونةٍ تُبدَلُ صِبْغَةٌ	عجبا وانت الصابغ المتأنق
أنت الدهورُ عليك مَهْدُك مترع	وحياضك الشرق الشهية دُفُقُ
تَسْقِي وتُطعم: لا إناؤك ضائقُ	بالواردين، ولا جِوانك يَنْفُقُ
والماء تسكبه فيُسبِك عَسجدا	والأرضُ تفرقها فيجيا المفرقُ

(١) المزنة: المطرة. فهق الإناء: امتلأ حتى صار يتصبب.

تُعْبَى منابُكَ العقولَ ويستوي
أخلفتَ راووقَ الدهورِ، ولم تزل
حمراءَ في الأحواضِ، إلا أنها
دين الأوائِلَ فيكَ دِينُ مُروءةٍ
لو أن مخلوقاً يؤلَّهُ لم تكن
جعلوا الهوى لك والوقارَ عبادةٍ
دانوا ببحرٍ بالمكارمِ زاحرٍ
مُنْقِيدٍ بعهوده ووَعودِهِ
يتقبَّلُ الوادي الحياةَ كريمةً
مقلَّبَ الجنينِ في نَعْمائِهِ
فيببُّ خصباً في ثراه ونعمةٍ
والبك بعد الله يرجع تحته

مُتَخَبِّطٌ فِي عِلْمِهَا وَمُحَقِّقٌ
بِكَ حَمَاءٌ كَالْمَسْكَ لَا تَتَرَوَّقُ^(١)
بِيبْضَاءٍ فِي عُتْقِ الثَّرَى تَنَالِقُ
لَمْ لَا يُؤْلَهُ مِنْ يَقوتٍ وَبِرَزْقٍ!
لسواك مرتبةُ الألوهة تُخَلِّقُ^(٢)
إِنَّ الْعِبَادَةَ خَشْيَةً وَتَعَلُّقُ
عَذْبِ الْمَشَارِعِ مَدُّهُ لَا يُلْحَقُ
يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَصْدُقُ
مِنْ رَاحَتِكَ عَمِيمَةً تَتَدَقَّقُ
يَعْرِى وَيُضْبِغُ مِنْ نَدَاكِ فَيُورِقُ
وَيَعُمُّهُ مَاءُ الْحَيَاةِ الْمَوْسِقُ^(٣)
مَا جَفَّ أَوْ مَا مَاتَ أَوْ مَا يَنْفُقُ^(٤)



أَيْنَ الْفِرَاعَنَةُ الْأَلَى اسْتَذَرَى بِهِم
الْمُورِدُونَ النَّاسَ مَنَهْلَ حَكْمَةٍ
الرَّافِعُونَ إِلَى الضَّحَى آبَاءَهُمْ
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْبَلَى وَقُبُورِهِمْ
فَحْجَابُهُمْ تَحْتَ الثَّرَى مِنْ هِيبةٍ

عَيْسَى وَيُوسُفُ وَالْكَلِيمُ الْمُضْعَقُ^(٥)
أَفْضَى إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ لَيْسَتْ قُوتُ
فَالشَّمْسُ أَصْلَهُمُ الْوُضْيَاءُ الْمَعْرُقُ
عَهْدٌ عَلَى أَنْ لَا مِسَاسَ وَمَوْثُقُ
كَحْجَابِهِمْ فَوْقَ الثَّرَى لَا يُخْرِقُ

(١) الراووق: المصفاة. الحماة: الطين الأسود. تتروق: تصفو.

(٢) هذا من الغلو. (س).

(٣) المحمول.

(٤) ما يهلك من حيوان.

(٥) استذرى: استظل.

بلغوا الحقيقة من حياة علمها
وتبينوا معنى الوجود فلم يروا
يبنون للدنيا كما تبني لهم
فقصورهم كوخ وبيت بداوة
رفعوا لها من جندل وصفائح
تنشايح الداران فيه: فما بدا
للموت سرّ تحته، وجداره
وكان منزلهم بأعماق الثرى
موفورة تحت الثرى أزوادهم



ولمن هياكل قد علا الباني بها
منها المشيد كالبروج، وبعضها
جُدّد كأول عهدا وجبالها
من كل ثقل كاهل الدنيا به
عال على باع اليلى لا يهتدي
تممكن كالطود أصلا في الثرى
هي من بناء الظلم، إلا أنه

بين الشريا والثرى تنسق
كالطود مضطجع أشم منقو^(٢)
تتقادم الأرض الفضاء وتعتق
تعب ووجه الأرض عنه ضيق
ما يغتلي منه وما يتسلق
والفرع في حرّم السماء محلّق
بيض وجه الظلم منه ويشرق^(٣)

(١) لا يتزعزع.

(٢) مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه.

(٣) تقدم لشوقي في قصيدة توت عنخ أمون اعتذار آخر للفراغة عن إرهاب الأمة بإقامة هذه الآثار:

ولستُ بقاتل ظلموا وجاروا
فإننا لم نوق النقص حتى

على الأجراء أو جلدوا القطينا
نطالب بالكمال الأولينا

لم يرهقِ الأممُ الملوكُ بمثلها
فَنتت بشطبك العباد، فلم يزل
وتضوعت مسك الدهور كأنما
وتقابلت فيها على السرر الدمى
عَظَلت وكان مكانهنَّ من العلى
وعلا عليهنَّ التراب، ولم يكن
حُجراتها موطوءةً، وستورها
أودى بزینتها الزمان وحليها
لو رُدَّ فرعونُ الغداة لراعه
تخلع الزمانُ على الورى أيامه
لك من مَواسمه ومن أعياده
لا (الفرسُ) أوتوا مثله يومًا، ولا
فتحُ الممالك أو قیام (العجل) أو
كم مَوكب تتخایلُ الدنيا به
فرعون فيه من الكتائب مُقْبِل
تعنو لعزته الوجوه، ووجهه
آبَتْ من السَّقر البعيد جنوده
ومشى الملوكُ مصفدين، خدودهم
مملوكة أعناقهم ليمينه:

فخرًا لهم يبقی وذكرًا يعبقُ
قاصٍ يحُجُّهما، ودانٍ يَرمقُ
في كلِّ ناحية بخورٍ يحرقُ
مُسْتَردياتِ الذَّل لا تَتَفَنَّقُ^(١)
يلقيس تَقِيس من حلاه وتسرقُ
يزكو بهنَّ سوى العَبير ويلبِقُ
مهتوكة، بِيدِ البلى تتخرقُ
والحسن باق والشباب الریقُ
أنَّ الغرائقِ العلى لا تَنطُقُ^(٢)
فإذا الضحى لك حصّة والرؤنقُ
ما تحسُرُ الأبصارُ فيه وتبرقُ
(بغداد) في ظلِّ (الرشيد) و(جِلَقُ)
يوم القبور أو الزفاف المونقُ
يُجلى كما تَجلى النجوم وينسُقُ
كالسحبِ قرنُ الشمس منها مُفْتَقُ^(٣)
للشمس في الآفاق عانٍ مطرُقُ
وأنته بالفتح السعيد الفيلقُ
نعلٌ لفرعونَ العظيم ونمرُقُ
يأبى فيضربُ، أو يَمُنُّ فيعتقُ

(١) لا تنعم.

(٢) الغرنوق: الشاب الأبيض الجميل. وأراد بالغرائق هنا التماثيل.

(٣) فتق قرن الشمس: أصاب فتقًا من السحاب فبدأ منه.

عَذَاء تَشْرَبُهَا الْقُلُوبُ وَتَعْلَقُ
وَالْحِظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوبِقُ
كَالشَّيْخِ يَنْعَمُ بِالْفَتَاةِ وَتَزْهَوُ
ثَمِنْ إِيْلِكَ وَحُرَّةٌ لَا تُضْذَقُ
سُبِقَتْ إِيْلِكَ مَتَى يَحُولُ فَتُلْحَقُ
يُغْنِي كَمَا يُغْنِي الْجَمَالَ وَيُشْفِقُ
وَمِنْ الْعَقَائِدِ مَا يَلْبُ وَيَحْمُقُ^(١)
فِي كُلِّ دِينٍ بِالْهَدَايَةِ تَلْصَقُ
دِينٌ، وَيَدْفَعُهَا هَوًى وَتَشْوِقُ
تَرْبُ تَمْسَحُ بِالْعُرُوسِ وَتُحْدِقُ
بِالشَّاطِئِينَ مُرْغِرْدٌ وَمُصَفِّقُ
أَعْطَافَهَا، وَاخْتَالَ فِيهِ الْمَشْرِقُ
يَجْرِي بِهِ عَلَى السِّفِينِ الزُّورُقُ
وَجَرَى لَهَايَتِهِ الْقَضَاءُ الْأَسْبَقُ
سَيْفُ الْمَنِيَّةِ وَهُوَ صَلَتْ يَبْرُقُ
وَأَنثَالَ بِالْوَادِي الْجَمُوعُ وَحَدَّقُوا
وَأَتْنِكَ شَيْقَةَ حَوَاهَا شَبَّوُ
أَعَزُّ مِنْ هَلْبِي شَيْءٌ يُنْفَقُ
فَالرُّوحُ فِي بَابِ الضَّحِيَّةِ الْبَيِّ
أَزْلَبَةٌ فِيهِ تَضِيءُ وَتَفْسِقُ

وَنَجِيبةَ بَيْنِ الطُّفُولَةِ وَالصَّبَا
كَانَ الزَّفَافُ إِيْلِكَ غَايَةً حَظُّهَا
لَا قِيَتَ أَعْرَاسًا وَلَا قَتَ مَاتِمًا
فِي كُلِّ عَامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِهَا
حَوْلٌ تَسَائِلُ فِيهِ كُلُّ نَجِيبةٍ
وَالْمَجْدُ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ رَغِيبةٌ
إِنْ زَوَّجُوكَ بِهِنَ فَهِيَ عَقِيْدَةٌ
مَا أَجْمَلَ الْإِيْمَانَ لَوْلَا ضَلَّةٌ
رُفَّتْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ يَحْثُهَا
وَلَرَبَّمَا حَسَدَتْ عَلَيْكَ مَكَانَهَا
مَجْلُوءَةٌ فِي الْفُلْكِ يَحْدُو قُلُوكَهَا
فِي مَهْرَجَانِ هَزَّتِ الدُّنْيَا بِهِ
فِرْعَوْنُ نَحْتَ لَوَائِهِ، وَبَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَوَاقِبُهَا الْمَدَى
وَكَسَا سَمَاءَ الْمَهْرَجَانِ جَلَالَةٌ
وَتَلَفَّتَتْ فِي الْيَمِّ كُلُّ سَفِينَةٍ
الْقَتُّ إِيْلِكَ بِنَفْسِهَا وَنَفِيسِهَا
خَلَعَتْ عَلَيْكَ حَيَاءَهَا وَحَيَاتَهَا
وَإِذَا تَنَاهَى الْحُبُّ وَاتَّفَقَ الْفِدَى
مَا الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ إِلَّا طِينَةٌ

(١) يلب: يكون لبيبا.

يَنْدَى بِمَا حَمَلَتْ إِلَيْهِ وَيَبْشُقُ
وَالِى جِهَاها النَقْصُ لَا يَنْطَرُقُ
وَتَنالُ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَتَعْلُقُ
أَبَدًا نَعُودَ لَهَا وَمِنْهَا نَخْلُقُ
مِنْهَا فَيُخْرِجُ ذَا وَهَذَا يُفْلِقُ
وَتَمُدُّ بَيْتَ النَّمْلِ فَهُوَ مَرُوقُ
لَا تَسْتَقِرُّ، دَوَائِلًا لَا تُمَحَقُ
فِي الكائِناتِ، وَسِرِّهِ الْمُسْتَغْلِقُ
طَلَعَتْ عَلَى الدُّنْيَا وَسَاعَةً تَخْفُقُ
وَالْفِيلُ مِمَّا صَوَّرَتْ وَالْخِرْنَقُ^(١)
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَرْوِعُ وَيَخْرُقُ
مِنْ ذَا يَمِيزُ فِي الظَّلامِ وَيَفْرُقُ
مَنْ يَسْتَغْلِقُ الْأَرْضَ أَوْ مَنْ يَعْزُقُ
تَمْشِي وَتَلْتَفِتُ الْمَهَاةَ وَتَرْشُقُ
وَصَحَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَهْلَةِ أَشْرُقُ
وَالْوَرْدُ مُوْطِيءُ خَفِّهِ وَالزَّنْبِقُ
يُؤْتِي بِهِ حَوْضَ الْخُلُودِ فَيُغْرِقُ
حَذَرُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَأَشْفَقُوا
وَالشَّعْبُ مَا يَعْتَادُ أَوْ يَتَخَلَّقُ
مَلَأُوا النَّدَى جَلالَةَ وَتَأْبَقُوا

هِيَ فِيهِ لِلْخَضْبِ الْعَمِيمِ خَمِيرَةٌ
مَا كَانَ فِيهَا لِلزِّيَادَةِ مَوْضِعُ
مَنْبَتَةٍ فِي الْأَرْضِ تَنْتَظِمُ الثَّرَى
مِنْهَا الْحَيَاءُ لَنَا، وَمِنْهَا ضُدُّهَا:
وَالزَّرْعُ سَنْبُلُهُ يُصِيبُ وَحْبُهُ
وَتَشُدُّ بَيْتَ التَّحْلِ فَهُوَ مَطْنَبُ
وَتَظَلُّ بَيْنَ قَوَى الْحَيَاةِ جَوَائِلًا
هِيَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْقَدِيرِ، وَرُوحُهُ
فِي النُّجُومِ وَالْقَمَرِينَ مَظْهَرُهَا إِذَا
وَالذَّرُّ وَالصَّخْرَاتُ مِمَّا كَوَّرَتْ
فَتَنَتْ عَقُولَ الْأَوَّلِينَ، فَأَلْهَوْا
سَجَدُوا لِمَخْلُوقٍ وَظَنُّوا خَالِقًا
دَانَتْ (بَابِيس)^(٢) الرِّعْيَةُ كُلُّهَا
جَاءُوا مِنَ الْمَرْعَى بِهِ يَمْشِي كَمَا
دَاجٍ كَجَنْجِ اللَّيْلِ زَانَ جَبِينِهِ
الْعَسْجَدُ الْوَهَّاجُ وَشَيْءُ جَلالِهِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ بَعْدَ طَوْلِ عِبَادَةِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَضَاعُوا الْعَهْدَ أَمْ
قَوْمٌ وَقَارُ الدِّينِ فِي أَخْلَاقِهِمْ
يَدْعُونَ خَلْفَ السِّتْرِ آلِهَةً لَهُمْ

(١) الخرنق: الفتى من الأرانب.

(٢) العجل الذي عبده قدماء المصريين.

واستحجبوا الكهان: هذا مبلغ
لا يسألون إذا جرت ألفاظهم
أو كيف تخترق الغيوبَ بهيمةً
فيما يتوب من الأمور ويترك



وإذا هم حجّوا القبورَ حسبتهُم
يأتون (طيبة) بالهديّ أمامهم^(٢)
فالبَرّ مشدود الرواحل محدج
حتى إذا ألقوا بهيكلها العصا
وجرت زوارق بالحجيج كأنها
من شاطيء فيه الحياة، لشاطيء
غربوا غروبَ الشمس فيه واستوى
حيث القبورُ على الفضاء كأنها
للحقّ فيه جولة، وله سنا
نزلوا بها، فمشى الملوك كرامة
ضاقَت بهم عرصاتها فكأنما
وتنادمَ الأحياء والموتى بها



أصل الحضارة في صعيدك ثابت
ونباتها حسنٌ عليك مُخلَق

(١) البيت العتيق: الكعبة المشرفة.

(٢) طيبة: من مدائن قداماء المصريين في الصعيد.

والهديّ: البهيمة التي تُهدى للمعبد ليضحى بها.

(٣) الأييض.

(٤) الواسعة.

فأظللها منك الحفيّ المشفق
 في الصخر والبردي الكريم منبّ^(١)
 يسعى لهنّ مغرب ومشرق
 وبناء أخلاق يطول ويشهق
 كالمسك رياه بأخرى تفتق
 ويعاف ما هو للمرأة مخلّق
 ولشعبة الكهنوت ما هو أعمق
 ولجامع التوحيد فيه تعلّق
 تبدو عليك له ورّاء تنشق
 حوليك في أفق الجلال يرتق
 مسطورهن بشاطئك منمّق
 يزكو لذكراها النبات ويسمّق
 بركات ربك والنعيم القيدق
 ولوّاه وبيانه والمنطق
 والحق ما يحيي العقول ويفتق
 فيه ومن (أصحاب بدر) رزّدق^(٢)
 والله من حول البناء موقّق
 في السلم من حذر الحوادث مغلق
 جيش من الأخلاق غاز مورق

وُلدت فكنّت المهد، ثم ترعرعت
 ملأت ديارك حكمة، ماثورها
 وبت بيوت العلم باذخة الذرى
 واستحدثت ديناً فكان فضائلاً
 مهّد السبيل لكل دين بعده
 يدعو إلى بر ويرفع صالحاً
 للناس من أسرار ما علّموا
 فيه محلّ للأقانيم العلى^(٣)
 تابوت موسى لا تزال جلالة
 وجمال يوسف لا يزال لواؤه
 ودموع إخوته رسائل توبة
 وصلاة مريم فوق رزّك لم يزل
 وخطى المسيح عليك روحاً طاهراً
 وودائع (الفاروق) عندك دينه
 بعث الصحابة يحملون من الهدى
 فتح الفتوح من الملائك رزّدق
 يبنون لله الكنانة بالقنا
 أحلاس خيل^(٤) بيد أن حسامهم
 تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم

(١) مصطفى.

(٢) الأقانيم: الأصول والأشخاص، وعقيدة الأقانيم قديمة، وكانت في وثنيات أمم متعددة.

(٣) الرزّدق: السطر من النخل، والصف من الناس.

(٤) ملازمون ظهورها.

في الحق سُـلَّ وفيه أغمِد سيفُهم
والفتح بغني لا يهون وقعه
ما كانت (الفسطاط) إلا حائطا
وبه تلوذ الطيرُ في طلب الكرى
(عمرو) على شُطب الحَصيرِ مَعْصَب
يدعو له (الحاخامُ) في صلواته

سيفُ الكريم من الجهالة يفرقُ
إلا العفيفُ حُسامه المترفقُ
ياوي الضعيفُ لركنه والمُرْهَقُ
وبييت (قيصرُ) وهو منه موركُ
بقلادة اللّٰه العلي مطوَّقُ^(١)
(موسى) ويسأل فيه (عيسى) البطرقُ



يا نيل أنت بطيب ما نعت (الهدى)
والبك يهدي الحمد خلقَ حازهم
كنف كمنعن أو كساحة حاتم
وعليك تُجلى من مصونات النهى
الدر في لباتهن مُنظَّم
لي فيك مدحٌ ليس فيه تكلفُ
مما يحمّلنا الهوى لك أفرخُ
تهفو إليهم في التراب قلوبنا
تُرجى لهم، واللّه جلّ جلاله
فاحفظ ودائعك التي استودعتها
للأرض يومَ والسماءِ قِيامة

وبمدحة (التوراة) أخرى وأخلقُ
كنفٌ على مرّ الدهور مرهقُ^(٢)
خَلَقَ يودّعه وخلق يَطْرُقُ
خودَ عرائس خِذرهنّ المُهرَقُ^(٣)
والطبيب في حبراتهن مرققُ
أملاه حُبٌ ليس فيه تَمَلُّقُ
سنطيرُ عنها وهي عندك ترزقُ
وتكاد فيه بغير عِرْق تخفقُ
منا ومنك بهم أبرُّ وأرفقُ
أنت الوفيّ إذا اثّمنت الأصدقُ
وقيامةً الوادي غداة نَحْلَقُ^(٤)

أحمد شوقي

(١) الشطب: الأخضر الرطب من جريد النخل. والمعصب: المتوج.

(٢) مرهق: كثير غشيان الناس والأضياف.

(٣) المهرق: الصحيفة.

(٤) تجف.

أين وطني؟

خطبة الأنسة مي - في منزلها، مساء الخميس ٢٥ شعبان ١٣٤١

(بمناسبة تكريم الأستاذ جبر ضومط)

□ أيها السادة:

عندما عهد إليّ والدي أن أقوم أمامكم بالواجب العذب، واجب الترحيب والامتنان، كنت أقرأ لماكس نورداو كتاباً ورد فيه رأي من الآراء المعروفة لهذا الكاتب، وهو قوله «إن الشكر الذي يزعمونه إقراراً بجميل حاضر أو سابق إنما الغرض الصميم منه اقتناص جميل جديد»، فأغوتني هذه المغالطة الشيقة لكثير من مغالطات نورداو، وطفقت أقلبها على وجوه شتى لأتبين الغاية التي أرمي إليها - على غير معرفة مني -، تلك الغاية المضمرة التي ما زلنا نطلبها بعد أن فاز منزلنا بتشريفكم له وضمكم ساعة بين جدرانها السعيدة بحضوركم.

أما الغاية الصريحة التي نسدي الشكر لأجلها، فهي تفضلكم بتلبية الدعوة وحضور هذا الاجتماع الذي عُقد مع العلامة جبر أفندي ضومط. وإنما أردنا بهذا الاجتماع أن نزجي إلى الأستاذ تحية يشترك فيها أصدقاؤه الذين عموا بعطفه فقدروا ما فطر عليه من الصلاح والصدق والإخلاص. تحية يشترك فيها تلاميذه العديدون المنتشرون في القطر المصري - فضلاً عن الأقطار الأخرى -، اعترافاً بما له من يد في تخريجهم على حب اللغة العربية إتقانها، على حب العلم وخدمته، على حب التخلق برضى الأخلاق، وهو لهم في ذلك خير قدوة، تحية يشترك فيها كذلك أهل العلم وحملة الأقلام الذين عرفوه في كتبه اللغوية القيمة، أو فيما سمعوا عنه من حديث فضله، فجاءوا يشبتون أنه بينا

تتناحر الأسر باحتكاك الحاجات، تتنازr الأنساب بتنافر المطالب، يظنون هم أهل العلم والقلم عائلة واحدة سامية دواءً على استعداد لتوحيد الكلمة في كل ما هو تحييد للفضل، تقدير للكفاءة، شحذ للعزائم، وفي كل ما من شأنه أن يبعث في النفوس نوراً وحياة ونبلا.

بيد أن لدي أمراً آخر أود أن أفضي به، وقد اكتشفته عند الأستاذ ضومط خلال الصيف الماضي: كان ذلك على قمة من قمم لبنان السماء المشرفة على استدارة الشواهب المتناسقة، على الآكام والهضاب المترامية نحو الساحل، على البحر البعيد الفسيح، وقد امتزج أفقه الأقصى بسحب الغروب الملتهبة. كنا هناك تحت خيمة النزل في حلقة من الزائرين، وأمام مشهد الماء البنفسجي، أمام مشهد الشفق الرائع.

تعلمون - أيها السادة - ما يخالغ النفس من توق عميق وصباة إلى أزمنة غير معروفة، إلى أمكنة غير محدودة، إلى مدركات غير مدركة، يحاول المرء أن يفسرها بحاجاته البشرية الوجعية، ويحاول الإحاطة بها بممكناته الإنسانية الميسورة، وإنما هو يحاول ذلك ليتسنى له أن يرجو، يحاول ذلك ليتسنى له أن يستخدم - في سبيل أمر ما - ما أوتي من ذكاء ونشاط وقوة.

عندئذ وتحت هذا التأثير دوت نفسي بأسئلة تضطرب لها اليوم الشبيبة الشرقية اليقظى، وقد ينطوي كثير منها تحت هذا السؤال الواحد:

أين وطني؟ أين وطني، يا من تقدمتموني في حياة الأمة فأناخ عليكم الدهر بكلكله، فما تركتم لي غير ميراث موزع الأجزاء مقطوع الأوصال؟

أين وطني أيها المتقاذفون بالحجج والأدلة، المتمادون في التأويل والتحريف؛ حتى نسيتم في غضبكم الغرض الذي لأجله تغضبون؟

أين وطني أيها الجيل السائر أمامي، الطالب مني الخضوع والامثال، ولكنك لا تستطيع أن تنتهي لي في الحياة سيلا، وها أنا بين ترددك وترددي في عناء وشقاء؟

أين وطني، أيتها الأرض التي أنت هي وطني، أين وطني؟

وهنا لفتني عن سؤالي المتكرر مناقشة دارت حولي بين اثنين من الزائرين: مناقشة هادئة حصيفة، ولكنها جادة جليلة الشأن موضوعها: يقظة الشرق، وكيفية تنظيم الرابطة المعنوية بين أهل المشرق. فأحد الرجلين يقول بالعنصرية، والآخر يدعو إلى القومية- العربية.

المناظر الواحد يقول: إنما أريد للشرق مناعة وكرامة وإن لم يكن لذلك من سبيل سوى العنصرية - أي تغلب عنصر على عنصر أو على عناصر - فحي على العنصرية، وإني لملم بمواهب أبناء الشرق وبعظمة كرمهم الموروث، لأكون واثقاً بإنصافهم في إعطاء كل ذي حق حقه.

فيعترض المناظر الآخر قائلاً: كلا! لقد أصبح الشرق أشرف من أن يتسول أهله الإنصاف والحرية؛ وإذا شئنا أن نكون من أبناء الحياة فعلينا بالقومية بما تنطوي عليه من عوامل اللغة والاقتصاد والعلم والعطف والتفاهم. إلخ. فتبادل ضمنها الحقوق والواجبات، الحرية والمساواة لا تبرعاً ولا تسولاً، بل بالحق الطبيعي المعطى لكل ذي مقدرة. فبالقومية وحدها نقيم صرح الشرق الجديد.

قد يظن لأول وهلة أن الداعي إلى القومية - أو المتطور كما نقول بلغة هذا العصر - هو من الأقلية في بلادنا، بينا المدافع عن العنصرية - أو المحافظ كما نقول بلغة هذا العصر أيضاً - هو من الأكثرية -، ولكن الواقع هو أن ذلك «المتطور» هو رجل من أكبر البيوتات الإسلامية في سورية، تلك البيوتات التي

كانت الزعامة دواءً في يدها، أما المدافع عن العنصرية أو «المحافظ» فكان هذا الأستاذ ضومط المسيحي الذي ترون.

لذلك أضيف إلى تلك التحية المشتركة تحية أخرى:

إني أحبي فيه الرجل الشرقي الصميم الذي يحب بلاده لا لأجل ما يجني منها ويتغني، بل يحبها لأنها هي هي، شأن المحب العنيد الذي يستوي عنده الغُنى والتضحية والعذاب والنعيم.

قد تقولون - أيها السادة - إن ماكس نورداو صدق هذه المرة، لو أنا سألتكم أن تزدادوا اهتماماً بموضوع القومية الشرقية. وإني لأرضى أن يقال إن وراء شكر أسديه إنما أَدْعُو إلى الجمع بين الرأيين اللذين لا غنى لنا عنهما: رأي المحافظة على كل ما عندنا من موروث نبيل، ورأي احتضان كل مكتسب نافع. وتلك سنة الخليقة في جميع الموجودات، إذ لا تتم للكون غاية من جميع أجزائه إلا بتتابع النبذ والمحافظة، والتخلي والاكتساب.

إني لأغبط أن ترك فيكم هذا الاجتماع ولو بعض الرغبة في أن يتناول كل منكم هذا الموضوع بعطفه، ويمحصه بمقدرته، وينشره بثفوهه، فيكون عاملاً في سبيل غاية عظيمة. وإنما السعي لغاية عظيمة غاية في ذاته ورفعة ونوال.

أما أنت - أيها الأستاذ المسافر - فغداً عندما تجتاز الصحراء تمر بالعريش - الذي يرونه الحد الفاصل بين مصر وسورية -، فتراه أنت الشرقي الصميم يداً خضراء، يد السلام والرجاء، الجامعة بين القطرين، رغم أهوال المفاوز وقحط الصحراء. وحسبك يا سيدي فخراً وفضلاً أن تواصل ما قمت به إلى الآن، وهو نشر اللغة الجميلة، لغة القرآن، وتأيد العلم والعرفان، والدعوة إلى الثقة والتسامح ومحبة الأوطان.



نحن والماضي

عهدتُكَ شاعرَ العرب المجيدا
فنحن إليك بالأسماع نصني
بشعر لا تزال تنوط منه
فلو أنشدتَنا في الفخر شعراً
تذكرنا الأوائل كيف سادوا
وكيف تبوأوا الشرف المديدا
فما لك لا تطارحنا النشيدا
فهل لك أن تُفيد فتستفيدا
بجيد بدائع الدنيا عقودا
تذكّرنا به العهد البعيدا



فقلت له وقد أبدى ارتياحاً
أجلُ إن القبائل من معدٍّ
وإن لهاشمٍ في الدهر مجدًا
ومذ قام ابن عبد الله فيهم
وأنهضهم إلى الشرف المعلى
فأصبح واريًا زَنَدُ المعالي
فهم فتحوا البلاد ودَوَّخوها
وهم كانوا أشدَّ الناس بأسًا
وأرجحهم لدى الجَلَى حلومًا
ولكن أيها العربيّ إنني
وما يجدي افتخارك بالأوالي
إلَيّ إذ ارتجلتُ له القصيدا
علوا فتسّموا المجدَ المجيدا
بناه لها الذي هشم الشريدا
أقام لكل مكرمة عمودا
وكانوا عنه قبلئذٍ قعودا
وقبلاً كان مقدمه صلودا
وقادوا في معاركها الجنودا
وأمنع جانباً وأعمّ جودا
وأصلبهم لدى الغمرات عودا
أراك لغير ما يجدي مريدا
إذا لم تفتخر فخراً جديدا



أرى مستقبل الأيام أولى
فما بلغ المقاصد غير ساعٍ
بمطمح من يحاول أن يسودا
يردّد في غدٍ نظراً سديدا

فوجّه وجهَ عزمك نحو آتٍ
 وهل إن كان حاضرنَا شقياً
 تقدّم أبها العربي شوطاً
 وأسّس من بنائك كل مجدٍ
 فشرّ العالمين دُوء خمولٍ
 وخير الناس ذو حَسَب قديمٍ
 تراه إذا ادعى في الناس فخراً
 فدعني والفخار بمجد قومٍ
 قد ابتسمت وجوه الدهر بيضاً
 وقد عهدوا لنا بتراث ملكٍ
 وعاشوا سادة في كل أرضٍ
 إذا ما الجهل خيّم في بلادٍ
 ولا تلفت إلى الماضين جيداً
 نسود بكون ماضينا سعيداً؟
 فإن أمامك العيش الرغيداً
 طريف واطرّك المجد التليداً
 إذا فاخرتهم ذكروا الجدوداً
 أقام لنفسه حسباً جديداً
 تقيم له مكارمه الشهوداً
 مضى الزمن القديم بهم حميداً
 لهم، ورأينا فعبسن سوداً
 أضعنا في رعايته العهدوداً
 وعشنا في مواطننا عبيداً
 رأيت أسودها مسخت قروداً

معروف الرصافي



تشبيد المجد الجديد

وأنف من أخي لأبي وأمي
 ولستُ بقانعٍ من كل فضلٍ
 ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً
 إذا ما لم أجده من الكرام
 بأن أعزى إلى جدّ همام
 كنقص القادرين على التمام

أبو الطيب المتنبّي



الإيجاز

* قيل لأبي عمرو بن العلاء: «هل كانت العرب تطيل؟» قال: «نعم لئسمع منها، قيل «فهل كانت توجز؟» قال «نعم ليحفظ عنها».

وقالوا: «البلاغة لمحة دالة». وقالوا: «لا تنفق كلمتين إذا كفتك كلمة». وقال الأحيمر السعدي في كلمة:

من القول ما يكفي المصيبَ قليله ومنه الذي لا يكتفي الدهرَ قائله
يصدُّ عن المعنى فينزل ماتحاً ويذهب في التقصير منه تطاوله
فلا تك مكثاراً تزيد على الذي عُنت به في خطب أمر تزاوله

* كان الحجاج يستطيء المهلب في حرب الأزارقة، والمهلب مُحسن مجتهد يستحق مكان الذم الشكر. فكتب إليه المهلب: «إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يُبصره».

فلما قرأ الحجاج هذا أقصر عن مكاتبته بمثل ذلك.

* قال محمد بن معاوية الأسدي: لما ظفر المهلب بالخوارج وفرغ من أمرهم قال الحجاج: «الآن يرد كتاب المهلب طويلاً بوصفه، جامعا لشرح أحواله، وإنه لحقيق بكل وصف، وأهل لكل مدح».

قال فورد كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه، المُعجل النعمة لمن بغاه. الذي يزيد من شكره، ويرزق من كفره. أما بعد: فقد كان من أمرنا ما أغنت جملته عن تفصيله. وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين:

يسرنا منهم أكثر مما يسؤونا، ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم، على شدة شوكتهم، واجتماع كلمتهم، وانزعاج القلوب لمخافتهم، حتى نؤم بذكرهم الرضيع، وأصمّ لخوفهم السميع. فانتهزت منهم الفرصة عند إمكانها، بعد أن تنظرتُ وقت إبانها، واستدعى النهل علله، وبلغ الكتاب أجله، ففُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

* ونحو هذا، إلا أنه في التهديد، ما حدّث به عبد الواحد بن العباس الهاشمي قال: سمعت الرياشي يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه، فأمر بجوابه. فلما قرئت الأجوبة عليه لم يرضها، وقال للكاتب: «اكتب»، فأملى عليه:

«أما بعد: فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع».

* قال بعض الكتاب: أكثر حيل الكاتب في بلاغته، يقصد شيئاً فيأتي بغيره، ويدرجه فيه.

* قال محمد بن يحيى الصولي: ومن ذلك ما حدّثنا الحسين بن فهم قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد بن يوسف عن أبيه قال: دخلت على المأمون وفي يده كتاب ورد من عمرو بن مسعدة، وهو يردد النظر فيه مرات ثم قال لي:

أظنك قد أفكرت في تردادي النظر في هذا الكتاب؟

قلت: قد أفكرت في ذلك.

قال: إني عجبت من بلاغته واحتياله لمراده، كتب: «كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله، ومن قبلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم».

ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه الخلّة في الأجناد، وإعفائه سلطانه من الإكثار؟

ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر.

* وأنشد أحمد بن إسماعيل الكاتب لنفسه :

خبر الكلام قليل على كثير دليل
والعي معنى قصير يحويه لفظ طويل
وفي الكلام فضول وفيه قال وقيل

* قال إسحاق الكاتب: سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه: «إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا».

قال بعض الكتاب: الإيجاز في الابتداء أمكن منه في الجواب، ما لم يكن منه في إعذار وإنذار، وعود وبدء، وفتوح وعهود.

* قال أبو بكر الصولي: والذي عندي أنه يحتاج الكاتب والخطاط والشاعر إلى أن يُخرجوا معانيهم في أقواتها من الألفاظ على الاختصار، ما لم يحتاج إلى إكثار، فإن احتيج إلى ذلك جيء به بما لا بد منه. وأكثر ما يقع ذلك في الرغبة والرغبة.



الشورى

قال الأصمعي: قلت لبشار:

يا أبا معاذ، إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة.

فقال لي: يا أبا سعيد إن المشاور بين صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشارك في مكروهه.

فقلت له: والله أنت في قولك هذا أشعر منك في شعرك.

سيروا بنا

لأبي المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي،

نظمها يوم ١٩ جمادى الأولى، ١٣٣٧هـ

سيروا بنا مَمْسَى وَمَغْدَى والجمعُ للغايات أَجْدَى يَوْمُ يُرِينَا الْهَزْلَ جَدًّا واستِحَالَ الْقَرْبُ بُعْدًا بطل وإنْ ثَكَلَ الْفُرْنَدَا مَنْ أَحْكَمَ الْأَهْوَاءَ شَدًّا وليسَ يَذْري جَاءَ إِذَا د عَارَضَ الرَّايَ الْأَسَدَا بَ أَبْطَلَ الْحَدَّ الْأَحَدَا تلكَ الرُّبَى وَفَدَا فوفدا أهدى الورى وأضل قصدا عزَمَهْ أو شاءَ أَردى أو أن يعودَ النَّيَّ رَشدا م سعى بلا مَلَلٍ وَجَدًّا حُرِّ يَكُنْ لِلذُّلِّ عِبدَا	سيروا بنا عَنَقًا وَشَدًّا سيروا فردى أو ثْنَى لا يَقْعَدَنَّ بِعِزْمِنَا ولئن تخلف من تخلف فالسيف يقطع في بَدَى ما خاف يومًا أن يهَى فلربما جاء المريبُ ولرب رأي ذي سدا من ذا رأى الحد المذَرَّ لتسر وفودكمُ إلى ليرى الورى أيَّ الورى من لي بمن إن شاءَ أحيَا فرقى المنابر واعظًا من رام إدراك المرا من لم يعمُرْ بِموطن
--	---



سيروا إلى الوطن الموقى بالنقائب والمفدى

سيرو إلى من سار ذكرُ
 سيروا إلى ذي طلعة
 سيروا إلى ذي راحة
 يا حبذا وطن أعادَ الفضلَ
 يا حبذا وطنٌ يُغنى
 وطنٌ تقادم ذكره
 وطنٌ إذا نضب الرّوا
 هو موطن القوم الألى
 حسبٌ إلى قحطان مث
 وكفى به فخراً إذا
 نحن الكرام السابقو
 من شامنا شام الحيا
 لما نزل عزماتنا
 من بات مرمى للحوا

جمالهِ في الكون ندًا
 كالنجم للساري وأهدى
 كالسحب لا بل تلك أندى
 في الدنيا وأبدى
 باسمه أبدًا ويُحدي
 عند المكارم واستجدًا
 أولى عوارفه وأسدى
 فضلوا الانام أبا وجدا
 وعدّ يعرب حين عدا
 ما عدّ فهذا أو معدّا
 ن إلى العلى قبلًا وبَعدا
 ة وشام برق ردى ورعدا
 قداحة زندًا فزندا
 دث صير العزمات صردا



سيروا إلى وصل الذي
 عبثت به أيدي الضنا
 وبرغم كل هداية
 وأخاف إن وقف الملا

يشكو من الأهلين صدًا
 وتركته عظمًا وجلدا
 أضفى الضلالُ عليه بُردا
 ج مشى إلى الباقي فأهدى



سيروا نذبُ عن الحمى
 نحمي حمى أوطاننا

ونرد عنه المستبداً
 ونصونها غورًا ونجدًا

ونرد عنها من عدا
 سيروا نؤلفُ شملها
 إن كان حربٌ فابتنوا
 أو كان سِلم فاجعلوا
 تالله لا أرضى الحيا
 أبروق لي عيشٌ أرى
 وإذا نظرت إلى الهوا
 إن لم تكن تجدي الحيا
 ظلماً عليها أو تعدى
 ونعيدها عقداً فنعقد
 لي في بطون الطير لحدا
 ذاك الثرى عيناً وخدا
 ة أرى لديها الخسف وردا
 فيه الكريم الحر عبد
 ن رأيتُ طعم الموت شهدا
 ة بعزها فالموت أجدى



أنا لم أكن للمجد إن
 من شاقه وصل الحبيب
 نفسي وما ملكت يدي
 من يفتدي أوطانه
 الذكر أبقاه الذي
 لا تحسبوا أوطاننا
 هي نور أعيننا التي
 أوطاننا أرواحنا
 أو يستعاض بندها
 أبداً نطالب بالحقرو
 أبداً نجاهد دونها
 ونصد عنها من نوى
 اخذ الأمان من الزما
 لم أبتن للمجد مجدا
 قضى ليالي الهجر شهدا
 لك يا حبيب النفس تُهدى
 لم يُودَ إتما قبل أودى
 كانت له الأوطان تُخلدا
 هنذا نحن لها ودعدا
 أبداً نُراح بها ونُغدى
 بل إنها بالروح تُفدى
 من ذا رأى للروح نذا
 ق حقوقنا أو نستردا
 ونكافح الخصم الألدا
 أو هم يوماً أو تصدى
 ن من تاهب أو أعدا

فلکم لیلٍ قد تجلت
 سلنی أجبك عن الزمان
 إني خبرت الدهر سبطا
 وفلیت تاریخ الوری
 ورأيتُ ذا کرم یرو
 ولقیبت عیشا أنکدا
 لم یسترح من بعدُ إلا
 ثم عادت بعدُ رُبدا
 وقد تحدّی من تحدی
 جاء بالحُسنی وجَعدا
 ونقدتُ هذا الخلق نقدا
 قک فعله ورأيتُ وُعدا
 من بعد ما لا قیت رَعدا
 من یکن من قبلُ کدا



سیروا نَشدُ لَديارنا
 ما کل من ساسَ الأنا
 شتان من ساس الوری
 ولرب يوم خطبُه
 أرايتُم کیف انبری الضا
 صقلَ النیوب وقال کو
 عدلا یهدُ الظلم هدا
 م قضی فريضتها وأدی
 عدلاً ومن بهم استبدا
 عم الوری عکسا وظَرُدا
 ري وکیف قضی وحدا
 نوا فی نشوب الخطب دُرُدا



یا قلبُ کن حجراً إذا
 من لان للخطب الشد
 یا قلب لا تجزع فقد
 لا یأخذ الحدّثان ممن
 ما قلبوه کان صلدا
 ید توقع الخطب الأشدا
 بلغ المنی من کان جَلدا
 کان فی الحدّثان فنّدا



بالله یا وطنی أجب
 کلّ یبل غلیله
 ما بال قلبک لیس یهدا
 مما رجاء وأنت تصدا

وكنْتَ للعمران مهذا
نادى بنيه واستعدا
قيل اخمدي تزداد وقد
ولم يجد من ذاك بُدا
يدعوهم شيبًا ومُردا
ب كل غضنفر وقى وفدى
فبنوك لا يألون جهدا
ة تقدُّ الهام قدا
ثبة تردُّ الخطب ردا
عابنتهم عابنت أسدا
ركبوا الصباح أقب نهذا
سميتهم في الروع جندا
فق لا تحصيه عدا

يرضيك تصبح للخراب
يا أيها الوطن الذي
واسرَّ نارا كلما
ورمى بكلتا مقلتيه
يدعو كهولهم كما
لك من بنيك النُج
رُوح فوادك واسترح
ستراهم كالبيض منضا
ستراهم كالأسد وا
يكفيك أبناء إذا
ركبوا الدجى جملاً كما
قوم كآساد الشرى
قوم فضائلهم كنجم الأ



أو تبلغ الأوطان قصدا
علماً طويل الظل فردا
إن تقصر الأعلام مدا
واستقبلوا من كان سعدا
تُنهى المسائل حيث تبدى
للخير أصبح خير مبدا

سيروا قواصدً للمنى
وترى البلادَ جميعها
يا حبذا العلم الذي
خلوا هُذيما خلفكم
وإذا بدأتم فاختموا
خير المعاد معاد من



الدم العربي في مصر

قال المستشرق الإيطالي الدكتور أبانا باشا^(١):

كل شيء له علاقة بالعصور التي سبقت التاريخ المعروف لنا فهو قائم على الفروض، فلا بد لنا إذن من الاكتفاء بإلقاء نظرة سريعة على الأمم الأولى التي كانت في مصر.

فمن هذه العصور الخالية إلى عائلة منيس يجب علينا أن نعتبر سكان مصر الأول أنهم الأبناء الأصليون لهذا البلد في العصور الأولى.

جاء جماعة من أهل البادية المقيمين على ضفاف البحر الأحمر، واجتازوا الصحراء (صحراء العرب الآن)، بينما اخترق صحراء ليبيا جماعة من بدو الشمال وأقاموا في البلاد الواقعة تحت الشلال الأول، حيث كان طمي النيل قد كوّن الدلتا إلى البحر الأبيض المتوسط.

وبينما الساميون الذين جاءوا من آسيا والليبيون اللذين جاءوا من شمال إفريقية يجتمعون جماعات وفرقاً؛ كان الأثيوبيون الذين جاءوا من الجنوب قد نزلوا إلى بلاد النوبة وأدخلوا فيها العنصر الأسود الذي لا يزال قائماً بها إلى الآن.

(١) كان رئيس الجمعية الجغرافية المصرية. وهذه القطعة من خطاب له تلاه الأستاذ عبد العزيز باشا فهمي في الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر المصري المنعقدة في هليوبوليس في يوم السبت آخر ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ ردّاً على مزاعم الأقباط في مؤتمهم المعلوم بأسبوط.

من هذه الاجتماعات الأولى تكونت الأسر الفرعونية الأولى.

لما انتشر طمي النيل في واديه، أخصبت طبقات الأرض الأولى. هذا الطمي القائم المسمى «كم»، ومن ذلك سمى السكان الأولون البلدة «تو - كم»، وقد بقي هذا الاسم علمًا على البلد زمنًا طويلًا.

وفي ذلك الحين رأى الفراعنة أن من الضروري لهم جدًا أن يتخذوا إقليم «كوبتوس» مبدأ لغزواتهم لأقاليم سينا الجبلية، وأن يجلبوا منها المانك «النحاس»، ثم دعته الحاجة الملحة إلى جلب الذخيرة إلى فرع النيل الأيمن. ولما كانت صحراء العرب هي أقرب الطرق إلى البحر الأحمر، فقد أصبحت أسهل وأعمر النقط التي يرحل إليها سكان الجزء الأعلى الأقدمون، وبذلك صارت مدينة «كوبتوس» موردًا للتجارة، ومركزًا للمواصلات بين القصير والبحر الأحمر والصومال.

وقد لاحظ ذلك المقدونيون عند غزوهم مصر، فغيروا اسم «كي» باسم «أجبت»، الذي نسخوه من اسم مدينة «كوبتوس» التي كانت ترحل منها القوافل؛ لأنها كانت مركزًا للتجارة. فكوبت أو كبيت «قفط» كانت عاصمة إقليم كان يحرسه إله اسمه «خيم»^(١)، وأصلها مشتق من اسم البلد القديم «كم»، الذي يؤيده اللون الأسود، واليونانيون أضافوا لهذه الكلمة حسب عادتهم حرفًا يضعونه أول الكلمات «ابثيلون»، وبذلك كونوا كلمة «أجبت».

مصر العليا التي دُعيت بهذا الاسم الجديد كان يُرمز إليها بباقة من زهر اللوتس، بينما كان الوجه البحري يُرمز له بورقة البردي؛ لأنه كان يوجد بكثرة زائدة في مستنقعاتها.

(١) وفق معتقداتهم الباطلة. (س).

متى؟

إن العراق وإن الشام من زمن صفران ما بهما للملك سلطانُ
 حتى يقوم إمام يستقيد لنا فتعرف العدل أجيال وغيطانُ
 أبو العلاء المعري



لا يكون السري جاهلاً

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهم ولا سراةٌ إذا جهَّالهم سادوا
 تبقى الأمورُ بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقادُ
 والبيت لا يبتني إلا له عمدٌ ولا عمادٌ إذا لم تُرس أوتادُ
 فإن جمَّع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكُنْ بلغوا الأمر الذي كادوا
 الأفوه الأودي



دمشق وبغداد

ماذا بنا وبذي الديار يرادُ فُقدت (دمشق) وقبلها (بغدادُ)
 من موطن الميعاد قامت نزعاً خيل لهن (بحلّتي) ميعادُ
 ساءت وقائعها وما سُرَّت بها لا الهجرة الأولى ولا الميلادُ
 وردت مياه (الرافدين) مغيرة شقّر من القب البطون ورادُ

هَجْنُ شَاوَنَ مِنَ الْجِيَادِ كَرَائِمًا عَرَبِيَّةٌ فَكَأَنَّهُنَّ جِيَادُ
 بَرَدَى وَوَادِيَّةَ (الْفَرَاتِ وَدِجْلَةَ) (وَالنَّيْلِ) غَصَّ بِمَائِهَا الْوَرَادُ
 نَبَأُ بِأَعْلَى (قَاسِيُونَ) تَجَاوَبَتْ بِدَوِيَّهِ الْأَغْوَارُ وَالْأَنْجَادُ
 وَأَصَابَ (بَحْرُ الرُّومِ) حَتَّى عَبَّرَتْ عَنْ شَجْوِهِ الْأَمْوَاجُ وَالْأَزْبَادُ
 أَعْيَادَ هَذَا الشَّرْقِ صَرَتْ مَاتِمًا لَكِنِهَا لِعِدَاتِنَا أَعْيَادُ
 لَسْنَا نَحْدُ عَلَيْكَ يَوْمًا وَاحِدًا أَوْ لَيْلَةً، كُلَّ الزَّمَانِ جِدَادُ
 الْجَوُّ وَهُوَ مَقْطَبٌ مِنْجَهُمْ يَبْكِي لَنَا وَالْأَرْضُ وَهِيَ جِمَادُ



يَا رَاكِبِينَ إِلَى (دَمَشَقٍ) تَزَوَّدُوا مَنِي السَّلَامِ لِكُلِّ رَكْبٍ زَادُ
 الْمَلِكِ مُضْطَرَبِ النِّظَامِ كَأَنَّهُ جَسَدُ (دَمَشَقِ الشَّامِ) مِنْهُ فَوَادُ
 هَلْ فِي مَرْوَجِ (الْفُوطَيْنِ) لِأَهْلِهَا وَلِرَائِدِيهَا مَرْبَعٌ وَمِرَادُ
 وَهَلِ الرَّبِّيُّ حُلِّلَ ضَوَافِ طُرُزَتْ وَطَرَاذِهَا الْأَزْهَارُ وَالْأَوْرَادُ
 وَشِيتَ مِنَ الرُّوَضِ الْأَرْضِ مَطَارِفَ خَضِرِ الْأَدِيمِ وَفَوَّتْ إِبْرَادُ
 أَوْ مَا تَزَالُ عَلَى مَعَاهِدِ جِلْقِ تَرْدِ الضُّيُوفِ وَتَصْدُرُ الْوَقَادُ
 يَحْلُو لَهَا هَذَا الْقَرِيضُ مَهْدَبًا وَيُرَوِّقُهَا الْإِنْشَاءُ وَالْإِنْشَادُ



غَدَتِ الْعَوَاصِمُ خَطَّةً مَغْزُوءَةً لَا الْخَيْلَ تَعَصِمُهَا وَلَا الْأَجْنَادُ
 لَا آلَ (حَمْدَانَ) وَلَا أَيَّامَهُمْ فِيهَا لِهَاتِيكَ الشُّغُورُ سَدَادُ
 الذَّاهِبُونَ مَضَى لَنَا بِذَهَابِهِمْ فِي اللَّهِ جَدُّ دَائِمٍ وَجِهَادُ
 أَخَذُوا الْمَضَائِقَ، وَالدَّرُوبُ تَغْلُغَتْ فِيهَا الْجِيُوشُ وَأَمْعَنُ الْقَوَادُ
 خُنَّا ذِمَامَ الْفَاتِحِينَ وَعَهْدَهُمْ مَا هَكَذَا تَسْتَنْجِبُ الْأَوْلَادُ
 إِنَّا بِمَا نَجْنِي وَهُمْ فِيمَا جَنُوا بِسَسِ الْبِنُونِ وَنَعْمَتِ الْأَجْدَادُ



يا أيها الجبلُ الطريدُ كم انقضت فيما تحاولُ غارةً وطرادُ
وَعَدْتُ بغربتك الرواة وإنَّهُ حتمٌ عليك كما بدأتَ تعادُ
مما أضعُكم من تُراثٍ (بابلُ) ومصانع (الخلفاء) والأسدادُ
لم تخلُفوا باني السدير بما بنى ومشيديه بما أتوه وشادوا

محمد رضا الشيببي



سليلة عدنان

- إلى إسماعيل صبري باشا -

يا ملك البيان دعوة خلٍ وجد الصبر بعدكم مستحيلة
قل لحسان إن مررت عليه في ظلال الفردوس يُطري الرسولا
إن مصرًا أحييت موات القوافي وأقامت عمودها أن يميلا
وأعادت إلى (سليلة عدنا ن) شبابًا غصًا ومجدًا أثيلا

الشيخ علي الجارم



روائع أبي الطيب المتنبى

□ مطامح النفوس الفتية □

وفي الجسمِ نفسٌ لا تشيبُ بشيئه ولو أنّ ما في الوجه منه جرابُ
يغيّرُ مني الدهرُ ما شاء غيرها وأبلغُ أقصى العمر وهي كعابُ

وأصدي فلا أبدي إلى الماء حاجة
وما العشق إلا غرة وطماعة
وغير فؤادي للغواني رمية
تركنا لأطراف القنا كل شهوة
أعز مكان في الدني سرج سابح
وللشمس فوق البعلمات لعاب
يعرض قلب نفسه فتصاب
وغير بناني للزجاج ركاب
فليس لنا إلا بهن لعاب
وخير جليس في الزمان كتاب

□ ثراء الذليل □

ذل من يغبط الذليل بعيش
كل حلم أتى بغير اقتدار
من يهن يسهل الهوان عليه
رُبَّ عيش أخف منه الحمام
حُجَّةٌ لاجيء إليها اللثام
ما لجرح بميت إسلام

□ الحياة □

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وتولوا بقصة كلهم من
رُبما تحسن الصنيع ليال
وكأننا لم يرض فينا برب الد
كلما أنبت الزمان قنأ
ومراد النفوس أصغر من أن
غير أن الفتى يلاقي المنايا
ولو أن الحياة تبقى لحي
وإذا لم يكن من الموت بد
وعناهم من شأنه ما عانا
وإن سر بعضهم أحيانا
ولكن تكدر الإحسانا
هر حتى أعانه من أعانا
رغب المرأة في القناة سنانا
نتعادي فيه، وأن نتفانى
كالحات ولا يلاقي الهوانا
لعدنا أضلنا الشجعانا
فمن العجز أن تكون جبانا

□ الشرف الرفيع □

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
والظلم من شيم النفوس فإن تجذ
حتى يراق على جوانبه الدم
ذا عفة فلعله لا يظلم

ومن البلية عدلٌ من لا يرعوي عن جهله وخطابٌ من لا يفهم

□ لذة الألم □

حتامٌ نحن نُسارى النجمَ في الظلم وما سُرّاه على حُفٍ ولا قَدَمٍ
ولا يُحسُّ بأجفانٍ يُحسُّ بها فقد الرقادَ غريبٌ باتَ لم ينم
سبحانَ خالقِ نفسي كيف لذّتها فيما النفوسُ تراه غايَةَ الألمِ
الدهرُ يَعجُبُ من حملى نوائيه وصبرِ نفسي على أحداثهِ الحُطَمِ
وقتٌ يضيّعُ وعمرٌ لبت مُدّته في غير أمتِه من سالفِ الأممِ
أتى الزمانُ بنوهُ في شبيبته فسرّهم وأتيناه على الهرمِ

□ السعادة □

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ عما مضى منها وما يُتَوَقَّعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسوئها طلبَ المحالِ فتطمعُ
أبن الذي الهرمانُ من بُنيانه ما قومه، ما يومه، ما المصرعُ
تتخلّفُ الآثارُ عن أصحابها زمناً ويتبعها الفناء فتنبعُ



الوطن

ولي وطن أليت أن لا أبيعه وأن لا أرى غيري له الدهرَ مالكا
وحبّ أوطانَ الرجال إليهم مآربُ قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ابن الرومي



الحليف الصادق

فلما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كربهة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر
يحيى بن منصور الحنفي



المسلم في الفتنة

قال الحسن البصري رحمته الله: «كن في الفتنة كابن لبون (أي كابن الناقة في العام الثاني من عمره) لا ظهرٌ فيركب، ولا لبن فيحلب».



حلم الحياة

المرء كالحالم في المنام يقول: إنني مدرك أمامي
في قابل ما فاتني في العام والمرء يدنيه إلى الحمام
من الليالي السود والأيام أن الفتى يُصبح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام أخطأ رام وأصاب رامي
أبو النجم العجلي



الشورى^(١)

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمٍ
ولا تجعلِ الشورىَ عليكِ عَصَاصَةً فإنَّ الخوافيَ قوةٌ للقوادمِ^(٢)
وما خيرُ كَفِّ أَمْسِكَ الغلُّ أختَهَا وما خيرُ سيفٍ لم يؤيدَ بقائمٍ^(٣)
وخلَّ الهَوْنَى للضعيفِ ولا تكن نَوْوَمَا فإنَّ الحزمَ ليس بنائمٍ



عروس اللغات

- من رثاء إسماعيل صبري باشا -

بني مصرَ والدنيا لما قمتُم به من النهضة الكبرى عيونٌ نواظر
تعالوا أحدثكم على غير مسمع فإن لنا سرًّا عليه أحاذر
لنا لغة كاد الزمان يببدها وكادت عليها أن تدور الدوائر
أتعفوا وأنتم أمة عربية لها في سجل الدهر ماضٍ وحاضر
كتابُكم يا قوم صونوا لسانه وخافوا عليه الدهر فالدهر غادر
فليس سوى مصر ولا غير أهلها له ناصر، إن عز في الناس ناصر

(١) تقدم حوار بين الأصمعي ويشار حول هذا الشعر.

(٢) القوادم: ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش. والخوافي صغاره، وهي تحت القوادم.

(٣) الغل: طوق من حديد. قائم السيف: مقبضه.

عروس اللغى صبرًا على الدهر إن يكن
عليك قضى حكم من الدهر جائر
عروس اللغى أما الزمان فمقبل
عليك وأما العهد بعد فناظر

محمد الهراوي



الوطن

بلد صحبت به الشيبة والصبا
ولبست ثوب العيش وهو جديد
فلذا تمثل في الضمير رأيت
وعليه أغصان الشباب تميذ

ابن الرومي



الحزم

الحزم حفظ ما وليت، وترك ما كفيت.

أكثم بن صيفي



التربية في قصور بني أمية

قال العتبي: أسر معاوية إلى ابن أخيه عمرو بن عنبسة بن أبي سفيان حديثًا.
قال عمرو: فأنتيت أبي وقلت له:
إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثًا، أفأحدثك به؟

قال: لا.

لأنه من كتم حديثه كان الخيار إليه، ومن أظهره كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكًا بعد أن كنت مالكًا.

فقلت: أو يكون هذا بين الرجل وأبيه؟

قال: لا.

ولكن أكره أن تعود لسانك إذاعة السر.

قال عمرو: فرجعت إلى عمي فأخبرته بذلك، فقال:

أعتقك أخي من رق الخطأ.



مدنية أوروبا فقيرة وانية بجانب مدنية الإسلام

قال الفيلسوف الألماني نيتشه أحد عظماء أوروبا في القرن الماضي:

«لقد حرمتنا المسيحية ميراث العبقريّة القديمة، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام. فقد ديسّت بالأقدام تلك المدينة العظيمة، مدينة الأندلس المغربية. ولماذا؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ومن غرائز شريفة. نعم! من غرائز رجال تلك المدينة لم تُنكر الحياة بل أجابتها بالإيجاب، وفتحت لها صدرها. وقد قاتل الصليبيون تلك المدينة بعد ذلك، قاتلوها وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها. وما مدينتنا في هذا القرن التاسع عشر إلا فقيرة وانية بجانب مدينة الإسلام في ذلك الوقت».



دموع

□ يا زمان □

منى، تُرى تبسّم لي، يا زمان!

ألا حنان؟

أسلمتني، لا أنس لي، لا أمان!

للحديث!

عيناى - لَمّا تبرحا - تجربان،

نضاختان!

أبكي رُبوعًا لا تُطيقُ الهوان،

زَهْنِ امتهان!

أبكي ديارًا خُلِقَتْ للجَمال

أبهى مثال!

أبكي تراثَ العزِّ والعزِّ غال،

صعب المنال!

أبكي نفوسًا قَعَدَتْ بالرجال

عن النضال!

أبكي جَلالَ الملكِ كيف استحال!

إلى خيال!



ما لِرحابي، وَجَنانِ الرحابِ..

أَضَتْ يَناب!

ما لَبنيها، كلهم في اكتابِ..

أَسرى عَذاب!

أَيْن أُلُو طَعانِها والضِرابِ

أَيْن الحِراب!

ما بال شِيب عُرْبها والشبابِ

غَيْرَ غَضاب!



ضاعَتْ بلادِي، يا زَمانَ الصَّغار!

والانِذار!

الناسُ يَبْنونَ، وما في الدِيارِ،

غَيْرُ الدِمار!

أَمّا تَرى الغربَ تَعَلَّى وطارُ،

فوقَ البَحا؟

وأمتي - هاوِيَّةٌ، في انحدار!

بَسَقَ القَراز!



أَيْن بنو هاشِمِ الأَوَّلونَ،

أَيْنَ البَنونَ؟

أَيْنَ بنو أُميَّة، الفاتِحونَ،

يَنْتَقِمونَ؟

أَيْنَ بنو العباس، أهلُ الفنون،

يَحْتَكُمُونَ؟

أَيْنَ بنو فاطمةَ الغابرون؟

هَلْ يَبْعَثُونَ؟



يَا زَمَنَ الشُّؤْمِ، سَقَيْتَ الشَّامَ

كَاسَ حِمَامٍ!

الْقِبْلَتَانِ، اشْتَكْنَا، وَالْمَقَامَ

مِمَّا نُسَامُ!

إِلَى مَنْى نَبَقَى أُسَارَى انْقِسَامٍ!

وَنُسْتَضَامٍ!

مَصْرُ تُنَاجِيكَ، وَدَارُ السَّلَامِ:

مُلُّ الْمَقَامِ!

خير الدين الزركلي



البنات

وَفِيهِنَّ لَا تُكَذِّبُ نِسَاءَ صَوَالِحُ

عَوَائِدُ لَا يَمْلُلُنَّهُ وَنَوَائِحُ

رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ

وَفِيهِنَّ وَالْأَيَّامُ يَعْثُرْنَ بِالْفَتَى

معن بن أوس

الكرم

فسامخ ولا تستوفِ حقك كله وأبق، فلم يستقصِ قطّ كريمُ
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

البستي



لم تف يا قمر

لم تُبقِ أيدي الحادثات ولم تذر فعلام تضحك في سمالك يا قمر؟



أرايت تائهة على أترابها فتانة بسفورها وججابها
خلابة بدلالها وعتابها غلابة بحديثها وخطابها
ذهب الزمان بمالها وشبابها وتفردت بأنينها ومصابها
ناجتك شاكية تصاريف القدر وظللت تضحك في سمالك يا قمر!



أرايت بين مسارح الأقلام مترسلا أو مستجاذ نظام
ما كاد يعرف بهجة الأيام حتى رماه من القوادح رامي
نهدت إليه قوارع الآلام فبكى البراع مودعا بسلام
عهد النبوغ، وصوغ آيات العجز ونعمت تؤنسك الكواكب يا قمر!



أشهدت في غسق الظلام غريبا ملأ الفضاء تفجعا ونحيبا
نأى أجبتة وعاش كئيبا قلق الجنان، على الزمان غضوبا

الشوق يُذكّي في حشاه لهيباً والدمعُ يَجرح مقلّنيه صبيها
يرعاك مُضطربَ الجوانح والفكر! وتبه في خيلاء كبرك يا قمر!



ومُعاقرًا خمر الصّبي يترنّح كالظبي، يسكنُ في الرياض ويسرّح
يلهو بزوّرقه الصغير، ويسبح في سلسلٍ كالثور أو هو أوضّح
قدّث به هُوجُ العواصف تطرّح فهوى، ووجهُ الموت أكرّدُ أكلّح
وله على صفحات جدولهِ أنثر! وعلوتُ تُزهى في نجومك يا قمر



أسمعتُ أنات الجريح مُمدّداً يطوي الليالي، لا يقر، مُسهداً
لا العيش طاب له، ولا اشتاق الرّدى! يُمسي، ويصبح، شاكياً متنهدا
ضعفت قُواه، فما يُطبق تجلّداً وتعاصت الرّقرات أن تنصعداً
غُصّ الجفون، وقال: حسبك يا غيّراً! وسهرتُ تبسّم للكوارث يا قمر



أشهدتُ في كُرة الشقاء كتاباً وأسنةً وهّاجةً وقواضبا
جيشان: كلُّ هبٍّ يحمي جانباً يتطاحنان، تباعدًا وتقارباً
هذا يثنّ، وذاك يقضي صاحبا ريح المطامع كم تجر معاطبا
تفنى النفوس، وانتَ نهزاً بالبشر ويغرّك الألقُ المحبّبُ يا قمر



أرعاك مبتسّر شكا ألم الطوى ومروّع، ضلّ السيل، وما غوى
ومتوجّ عنت الجباه له، هوى عن عرشه، لا الملك دام ولا القوى
ومودّع مستسلم لهوى النوى ومعدّب بغرامه بادي الجوى
وقسوت هل قدّث ضلوعك من حجز لم تحتجب، لم تَرث، لم تف يا قمر

خير الدين الزركلي

عصفورة النيرين

«النيران منتزهان متقابلان في دمشق على جانبي الطريق بين مرجها وربوعها،

عُصفورة النيرين عني، واروي حديث الأئين عني!
أنا المعنى، وما المعنى غير حنين، أذاب مني
شغاف قلبي، وحسن ظني



عصفورة النيرين - نُوحِي يضمّد النوح من جروحي،
لم يُبق لي الهم غير رُوحِي؛ ما القلب، ما الجسم، بالصحيح!



ما بي عرق بمطمئن! ألفت شجوي، وعفت لهوي،
فأين صفوي، وأين زهوي؟ سكرت حتى نسيت صحوي،
ومن كؤوس النكوب نشوي، ومن أجاج الخطوب دني



ان أهو، لا أهو، غير ألي: دمي فداء لهم، ومالي!
أحسن ظني بهم فما لي خابت أمانِي في الرجال؟
ليت الأمانِي بالتمني!..

خير الدين الزركلي



هداية الشعر

ولولا خِلالَ سَنِّهَا الشعرُ ما درى بُغَاةُ العُلَى من أين تُبغى المكارمُ
أبو تمام



بنيان المجد

لسنا وإن أحسابُنا كَرُمَتْ يوما على الاحساب نَتَّكَلُ
نبني كما كانت أوائلُنا تبني ونفعلُ مثلَ ما فعلوا
المتوكل الليثي



الرياء

ثوب الرياءِ يَشُفُّ عَمَّا تحته فإذا التحفتَ به فإِنَّكَ عارٍ
التهامي



يوم التحاليق

قال معاوية رضي الله عنه لدغفل^(١):

أخبرني عن قومك بكر بن وائل، واصدقني.

قال: كانوا أهل عز قاهر، وشرف ظاهر، ومجد فاخر.

قال: فأخبرني عن إختهم تغلب.

قال: كانوا أسوداً ثرهب، وسهاماً لا تُقرب، وأبطالاً لا تكذب.

قال: فأخبرني كم أدبلوا عليكم في قتلكم كليباً؟

قال: أربعين سنة، لا نتتصف منهم في موطن نلقاهم فيه، حتى كان يوم التحاليق، يوم الحارث بن عباد بعد قتلة ابنه بُجير، وكان أرسله في الصلح بين القوم، فقتله مهلهل وقال: «بوء بشع نعل كليب»، فقال الغلام: «إن رضيت بهذا بنو بكر رضيت». فبلغ الحارث فقال: «نعم القتل قتيلاً أن أصلح الله به بين بكر وتغلب، وباء بكليب». فقيل له: «إنما قال مهلهل: بؤ بشع نعل كليب»، فتشمر الحارث للحرب - وكان قد اعتزلها - وأكبر قتل كليب؛ وأمر بحلق رؤوسنا أجمعين، وهو يوم التحاليق، فأدلنا عليهم يومئذ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا.

وفي هذا اليوم قال الحارث بن عباد:

قرباً مِرْبَطُ النعمامةِ مِنِّي لفتحت حربُ وائلٍ عن حبال

(١) من حديث ذكره أبو علي القالي في ذيل الأمالي والنوادر.

قرباً مربوط النعمة مني إنَّ بيعَ الكرامِ بالثُّسعِ غالي
لم أكن من جُنَاتِها علمُ الله ولاني بحرَّها اليومَ صالي
فقال معاوية:

أنت والله يا دغفل أعلم الناس قاطبةً بأخبار العرب.



كرم أمير عالم

قيل: إن شاعراً قصد الأمير الحكيم خالد بن يزيد الأموي، فأنشده:
سألتُ الندى والجود: حُرَّانِ أنتما؟ فقالا: يقيئنا إننا لمبيدُ
فقلت: ومن مولاكما؟ فتطاولا إليّ وقالا: خالدٌ ويزيدُ
فقال خالد: يا غلام، أعطه مائة ألف درهم.
فأخذها الشاعر وأنشد يقول:

هو البحر من أي الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسيط الكفّ حتى لو أنه دعاها لقبضٍ لم تُجبه أنامله
فقال خالد: يا غلام، أعطه مائة ألف درهم.
فأخذها الشاعر وأنشد:

تبرعت لي بالجود حتى نعمتني وأعطيتني حتى حسبتك تلعبُ
وأنبتَ ريشاً في الجناحين بعدما تساقط مني الريش أو كاد يذهبُ
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى حليفُ الندى ما للندى عنك مذهبُ
فقال خالد: يا غلام، أعطه مائة ألف درهم، وقل: إن زدتنا زدناك.

فأخذها الشاعر وقال: حسبُ الأمير ما سمع، وحسبي ما أخذت!

البلاغة

سمع خالد بن صفوان رجلاً يتكلم ويكثر فقال له :
اعلم - رحمك الله - أن البلاغة ليست بخفة اللسان ، وكثرة الهذيان ، ولكنها
بإصابة المعنى ، والقصد إلى الحجة .



كما تريد تكون

قال بعضهم :
إذا أعجبَته خلالُ امرئٍ فكُنْه تَكُنْ مثْلَ مَنْ يُعْجِبُكَ
وليسَ على المجد والمكرُما ت إذا جِئْتها حاجِبٌ يَحْجُبُكَ



أمير المؤمنين المأمون

بين يدي القاضي يحيى بن أكثم

روى البيهقي أن المأمون جلس يوماً للمظالم ، فدخل عليه رجل برقة يتظلم
فيها منه ؛ لأن له قبْله ثلاثين ألف دينار لم يدفعها له ، فحاجّه فيها وأنكر قصتها
عليه ، فقال الرجل :

إذن أدعوك إلى الحاكم الذي نصبته لرعيّتك .

قال : نعم ، يا غلام عليّ يحيى بن أكثم .

فإذا هو قد مثل بين يديه، فقال:

يا يحيى.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: اقض بيننا.

قال: في حكم وقضية؟

قال: نعم.

قال: لا أفعل.

قال: ولم؟

قال: لأن أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضائي.

قال: قد فعلت.

قال: فإني أبدأ بالعامّة أولاً ليصح المجلس للقضاء.

قال: أفعل.

ففتح الباب وقعد في ناحية من الدار، وأذن للعامّة، ونادى المنادي، وأخذ الرقاع، ودعا بالناس، ثم دعا الرجل المتظلم، فقال له يحيى:

ما تقول؟

قال: أقول أن تدعو بخصمي أمير المؤمنين المأمون، فنادى المنادي، فإذا المأمون قد خرج في رداء وقميص وسراويل قد أرسلها على عقيقه في نعل رقيق، ومعه غلام يحمل مصلى، حتى وقف على يحيى وهو جالس، فقال له:

اجلس.

فطرح المصلى ليقعد عليه، فقال له يحيى:

يا أمير المؤمنين، لا تأخذ على خصمك شرف المجلس، فطرح له مصلًى
آخر، فجلس عليه، وقال له يحيى:

ما تقول؟

فقال:

لي على هذا ثلاثون ألف دينار.

قال: ومن هذا؟

قال: أمير المؤمنين المأمون.

قال له يحيى: يا أمير المؤمنين قد سمعت ما يقول؟

قال: سله ما وجهها؟

فأعاد قصة الدعوى، فقال المأمون:

ما أعرف له حقاً.

فأقبل على الرجل فقال: قد سمعت، ألك بينة؟

قال: لا.

قال: فما تريد؟

قال: ما يوجب الحكم لمن عدم البينة.

قال المأمون: ويحك، قد لججت في اليمين!

قال: يا أمير المؤمنين أتحلف؟

قال: أي والله، ولا أوطيء نفسي العشوة في إعطاء رجل ما لا يجب له
ظلمًا.

فقال: قل: والله.. (فاستحلفه غموسًا).

ثم وثب يحيى عند فراغ المأمون من يمينه (أي وقضائه)، فقام على رجليه.
فقال له المأمون: ما أقامك؟
فقال: إني كنت في حق الله جل وعز حتى أخذته منك، وليس الآن من حقك
أن أتصدر عليك!



الحرية

ولا يقيم على خَسَفٍ يُرَادُّ بِهِ إلا الأَذْلَانُ عَيْرُ الحَيِّ والوَتْدِ
هذا على الخسف مشدودٌ بِرُمْتِهِ وذا يُشْجُ فلا يَرْنِي له أحدٌ



لو أنصف الناس .. بل لو أنصف القاضي

حدَّث الشيخ محمد العتر رحمته الله أنه زار القاضي يحيى أفندي^(١) في داره يوم
عيد، فأراد أن يفتحه الكلام وقال له:

يا مولانا صدق من قال: «لو أنصف الناس استراح القاضي».

فاستوى القاضي يحيى وكان جالساً، ثم قال بحدّة:

كلا، لو أنصف القاضي استراح الناس.



(١) هو قاضي مصر أيام ولاية الخديو عباس الثاني.

حكم عربية

بعض الشرُّ أهونُ من بعض.

طرفة

قول الحقِّ لم يدع لي صديقًا.

أبو ذرٍّ

في التجاربِ علمٌ مُستأنف.

عمر بن عبد العزيز



شذرات

* عندما رمى بي الله حجرًا إلى بحيرة الحياة، أحدثت الدوائر على سطحها، ولكنني ما بلغت أعماقها حتى صرت هادئًا.

* الناس رجلان: رجل مستيقظ في الظلام، ورجل نائم في النور.

* حقيقة الناس في ما يخفونه عنك. فإذا شئت أن تعرف الناس فلا تصغ إلى ما يقولونه، بل إلى ما لا يقولونه.

* ما أظلم من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك.

* الخيال حقيقة لم تتحجر بعد.

* بعض الوجوه الحريرية مبطنة بنسيج خشن.

* يقولون لي: «لستَ والعالم الذي تسكنه سوى ذرة رمل على شاطئ بحر اللانهاية»، وليست العوالم أجمع سوى ذرات على شاطئ.

* أشتاق إلى الأبدية، لأنني سأجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة، وصوري غير المرسومة.

* أنا الشعلة، وأنا الهشيم، وبعضني يأكل بعضي، فهلاً حوّلت وجهك عني كي لا يعميك دخاني!

* كيف أشكُّ بعدل الحياة، وأحلامُ من يفترش الريش ليست بأجمل من أحلام من يفترش الثرى..

* لولا جهلي ما تعرفونه لما عرفتُ ما تجهلونه.

* للرجل العظيم قلبان: قلب يدمي، وقلب يتجلد.

* كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم أرتكبها قط، كي لا أظهر أرفع ممن يجالسني من المجرمين.

* اجعل يا رب قوة أعدائي مضارعة لقوتي، كي لا تكون الغلبة إلا للحق.

* بعض الناس يسمعون بأذانهم، والبعض يبطونهم، والبعض بجيوبهم، والبعض لا يسمع أبداً.

* ما أشبه أرواح بعض الناس بالأسفنج: فإنك لا تستقطر منها إلا ما امتصته منك.

* أبعدُ الناس عن قلبي راغب يمثل دور مرغوب.

* لو وُجد رجلان متشابهان لما وسعتهما الدنيا.

* إنما الانتظار سنايك الزمن.

- * أشد الناس كآبة: كتيب لا يعرف سبب كآبته.
- * الحياة مركب يستسرعه البطيء فيتنحى عنه، ويستبطئه السريع فيتنحى عنه أيضًا!
- * يظن بعض الناس أنني أغامزهم عندما أغمض عيني كي لا أراهم.
- * أقرب الناس إلى قلبي ملك لا مملكة له، وفقير لا يعرف كيف يُستعطى.
- * ما أغربني عندما أشكو ألمًا فيه لذتي.
- * قلت للحياة: ألا فأسمعيني الموت متكلمًا. فرفعت الحياة صوتها عن ذي قبل وقالت: أنت تسمعه الآن..

جبران خليل جبران



من مصر إلى الأندلس^(١)

اختلافُ النهارِ والليلِ يُنسي	أذكرُ لي الصُّبا وأيامَ أنسي
وصفا لي ملاوةً من شباب ^(٢)	صُورَتْ من تصوِّراتٍ ومَسِ
عَصَفْتُ كالصُّبا اللَّعوبِ ومَرَّتْ	سِنَّةٌ حلوةٌ وَلَذَّةٌ خَلَسِ
وسَلا بِمِصرَ هل سَلا القلبُ عنها	أو آسا جرحَهُ الزمانُ المؤسِّي
كلَّما مَرَّتْ الليالي عليه	رق، والمهد في الليالي تقسي

(١) نظم (شوقي) هذه القصيدة يوم رحل إلى (الأندلس) بعد انتهاء الحرب العظمى، وقد عارض بها قصيدة البحري التي مطلعها:

صنَّتْ نفسي عما يُدنُسُ نفسي

(٢) الملاوة - بفتح الميم وضمهما وكسرها - البرهة من الزمان.

مُسْتَطَارَ إِذَا الْبَوَاخِر رَنَّتْ
 رَاهِبٌ فِي الْقُلُوعِ لِلْسَفْنِ فِظَن
 يَا ابْنَةَ الْيَمِّ مَا أَبُوكَ بِخَيْلٍ
 أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْحُ
 كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالْأَهْلِ إِلَّا
 نَفْسِي مِرْجَلٌ، وَقَلْبِي شِرَاعٌ
 وَاجْعَلِي وَجْهَكَ (الْفَنَارَ) وَمَجْرَا
 وَطْنِي لَوْ شِغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ
 وَهَفَا بِالْفُؤَادِ فِي سَلْسَبِيلٍ
 شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي
 يَصْبِحُ الْفَكْرُ وَ(الْمَسَلَّةُ) نَادٍ
 وَكَأَنِّي أَرَى (الْجَزِيرَةَ) أَيْكَا
 هِيَ (بَلْقِيسُ) فِي الْخَمَائِلِ: صَرَحَ
 حَسْبُهَا أَنْ تَكُونَ لِلنَّيْلِ عِرْسًا
 لِبَيْسَتٍ بِالْأَصِيلِ حَلَّةٌ وَشِي
 قَدْهَا (النَّيْلُ) فَاسْتَحْتِ فَتَوَارَتْ

أَوَّلَ اللَّيْلِ، أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَزْسٍ
 كَلِمَا تُرْنَ شَاعِهِنَّ بِنَفْسٍ^(١)
 مَا لَهُ مُوَلَّعًا بِلَمْنَعٍ وَحَبْسٍ
 حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ
 فِي خَبِيثٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ رَجْسٍ
 بِهِمَا فِي الدَّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي
 كَ يَدِ (الثَّغْرِ) بَيْنَ (رَمَلٍ) وَ(مَكْسٍ)^(٢)
 نَازِعَتْنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي^(٣)
 ظَمًا لِلَسَّوَادِ مِنْ (عَيْنِ شَمْسٍ)^(٤)
 شَخْصَهُ سَاعَةً وَلَمْ يَخْلُ حَسِي
 يَوْمًا وَبِالسَّرْحَةِ الزَّكِيَّةِ يُمَسِّي
 نَقَمْتُ طَيْرُهُ بِأَرْخَمِ جَزْسٍ
 مِنْ عُجَابٍ، وَصَاحِبٌ غَيْرُ نَكْسٍ
 قَبْلُهَا لَمْ يُجْنِ يَوْمًا بِعَرَسٍ
 بَيْنَ (صَنْعَاءَ) فِي الثِّيَابِ وَ(قُسٍّ)^(٥)
 مِنْهُ بِالْجَسْرِ بَيْنَ عُرَى وَلُبْسٍ

(١) النفس: ضرب النواقيس.

(٢) الفَنَارُ والثَّغْرُ والرَّمْلُ والمَكْسُ - فِي كُلِّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ.

(٣) هَذَا مِنْ غُلُوِّ شَوْقِي فِي وَطَنِيَّتِهِ. انْظُرْ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ: «الْكَافِي فِي التَّحْذِيرِ مِنْ مَضَلَّاتِ الْقَوَافِي»؛ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَمِيدِ (ص ٦٠ - ٦١). (س).

(٤) عَيْنُ شَمْسٍ: الْأَسْمُ الْقَدِيمُ لِمَنْطَقَةِ الْمَطْرِيَّةِ بِمِصْرَ، وَفِيهَا مَنْزَلُ الشَّاعِرِ. وَسَوَادُ كُلِّ بَلَدٍ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْقُرَى.

(٥) صَنْعَاءُ بِالْيَمَنِ. وَقُسٌّ: مَوْضِعٌ فِي مِصْرَ، بَيْنَ الْعَرِيشِ وَالْفَرْمَا. وَكِلَاهُمَا اشتهر بنسج الثياب.

يه، وإن كان كوثر المتحسّي
الذي يحسّر العيون ويخسي
بجميل وشاكر فضل غرس
لم تُفق بعد من مناحة (رسمي)^(١)
وسؤال البراع عنه بهمس
وتجرّدن غير طوق وسلّس
ن بيوم على الجبابر نحس
ألف جاب وألف صاحب مكس
حين يغشى الدجى جماها ويغسي^(٢)
أنه صنع جنة غير فطس^(٣)
سبع الخلق في أسارير أنسي
والليالي كواعباً غير غنس
لنقد ومخلّبيه لفرس^(٤)
وهرقلاً، والعبقريّ الفرنسي

وأرى (النيل) كالعقيق بواد
ابن ماء السماء ذو الموكب الفخم
لا ترى في ركابه غير مُثنٍ
وأرى (الجيزة) الحزينة تُكلى
أكثر ضجة السواقي عليه
وقيام النخيل ضفرن شعراً
وكان الأهرام ميزان فرعو
أو قناطرُه تأنق فيها
روعة في الضحى ملاعب جنّ
ورمين الرمال أفتس، إلا
تنجلي حقيقة الناس فيه
لعب الدهر في ثراه صبياً
ركبت صيد المقادير عينيه
فأصابت به الممالك: كسرى،



فيه يبدو وينجلي بعد لبس
كانت الحوت طول سبح وغس^(٥)
أو غريق، ولا يصاح لحس

يا فوادي، لكل أمر قرار
عقلت لجة الأمور عقولاً
غرقت حيث لا يصاح بطاف

(١) رعميس.

(٢) غسا الليل وأغسى: أظلم.

(٣) هو تمثال أبي الهول، يشير إلى الكسر الذي أصيب به أنف التمثال.

(٤) الفرس: الافتراس.

(٥) غس في البلاد غساً: دخل فيها ومضى قدماً.

فَلَكْ يَكِيفَ الشَّمْسُ نَهَارًا
وَمَوَاقِيتَ لِلْأُمُورِ إِذَا مَا
دَوَّلَ كَالرِّجَالِ مُرْتَهَنَاتٌ
وَلِبَالٍ مِنْ كُلِّ ذَاتِ سِوَارٍ
سَدَّدَتْ بِالْهَلَالِ قَوْسًا وَسَلَّتْ
حَكَمَتْ فِي الْقُرُونِ (خُوفُو) وَ(دَارَا)
أَيْنَ (مِرْوَانُ): فِي الْمَشَارِقِ عَرْشٌ
سَقَمَتْ شَمْسُهُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهَا
ثُمَّ غَابَتْ وَكُلَّ شَمْسٍ - سَوَى هَا
وَعِظَ (الْبَحْتَرِيُّ) إِيوَانُ كَسْرَى
رُبَّ لَيْلٍ سَرِيَتْ، وَالْبَرْقُ طَرْفِي،
أَنْظُمُ الشَّرْقِ فِي الْجَزِيرَةِ بِالْغُرِ
فِي دِيَارٍ مِنْ (الْخَلَاتِفِ) دُرْسٍ
وَرُبِّي كَالْجَنَانِ فِي كَنْفِ الزَّيْدِ
لَمْ يَرْعِنِي سَوَى ثَرَى (قُرْطُبِي)
يَا وَقَى اللَّهَ مَا أَصْبَحُ مِنْهُ
قَرِيبَةً لَا تُعَدُّ فِي الْأَرْضِ، كَانَتْ
غَشِيَتْ سَاحِلَ الْمَحِيطِ، وَغَطَّتْ

وَيَسُومُ الْبَدُورَ لَيْلَةً وَكَسِ
بَلَعَتْهَا الْأُمُورُ صَارَتْ لِعَكْسِ
بَقِيَامٍ مِنَ الْجُدُودِ وَتَعَسِ^(١)
لَطَمْتُ كُلَّ رَبِّ رُومٍ وَفُرسٍ
خَنْجَرًا يَنْفِذَانِ مِنْ كُلِّ ثُرْسٍ
وَعَفَتْ (وَإِلَّاءَ) وَالْوَتِ (بَعْسِ)
أَمْوِي، وَفِي الْمَغَارِبِ كَرْسِي؟
نُورَهَا كُلُّ ثَاقِبِ الرَّايِ نَطْسِ
تِيكَ - تَبْلَى وَتَنْطَوِي تَحْتَ رَمْسِ
وَشَفَتْنِي الْقُصُورُ مِنْ (عَبْدِ شَمْسِ)
وَبَسَاطِ طَوَيْتِ، وَالرَّيْحُ عَنَسِي^(٢)
بِ وَأَطْوِي الْبِلَادَ حَزْنًا لَدَهْسِ^(٣)
وَمَنَارٍ مِنْ (الطَّوَائِفِ) طَمْسِ
تُونِ خَضِرٍ وَفِي ذُرَا الْكُرْمِ طُلْسِ
لَمَسْتُ فِيهِ عِبْرَةَ الدَّهْرِ خَمْسِي
وَسَقَى صَفْوَةَ الْحَيَا مَا أَمْسِي
تَمْسُكُ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ وَتُرْسِي
لَجَّةَ الرُّومِ مِنْ شَرَاغِ وَقْلَسِ^(٤)

(١) الجدود: الحظوظ.

(٢) الطرف: الكريم من الحيل. والعنس: الناقة الصلبة القوية.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض. والدهس: المكان السهل.

(٤) القلس: جبل للسفينة ضخم.

ركب الدهرَ خاطري في ثراها
 فتجلّت لي (القصور) ومن فيه
 ما ضفّت قط في الملوك على نذ
 وكأنني بلغتُ للعلم بيتًا
 قدسًا في البلاد شرقًا وغربًا
 وعلى الجمعة الجلالة، و (النا
 يُنزل التاج عن مفارق (دون)
 سِنَّة من كرى وطيف أمان
 وإذا الدار ما بها من أنيس
 ورقبي من البيوت عتيقي
 أثر من (محمد) وتراث
 بلغ النجم ذروة وتناهى
 مَرمرٌ تسبح النواظر فيه
 وسوارٍ كأنها في استواء
 فترة الدهر قد كست شطرتها
 ويحها، كم تزيّنت لعليم
 وكان الرفيف في مسرح العيين

فاتى ذلك الحمى بعد حَدسٍ
 ها من (الغر) في منازل قعسٍ
 ل المعالي، ولا تردّت بنجسٍ
 فيه مال العقول من كل درسٍ
 حجة القوم من فقيه وقسٍ
 (صر) نور الخميس تحت الدرفس^(١)
 ويحلي به جبين (البرنس)
 وصحا القلب من ضلال وهجسٍ
 وإذا القوم ما لهم من محسٍ
 جاور الألف غير مذموم حرسٍ^(٢)
 صار (للروح) ذي الولاء الأمس
 بين (تهلان) في الأساس و(قدس)^(٣)
 ويطول المدى عليه فترسي
 ألفا الوزير في عرض طرسٍ^(٤)
 ما اكتسى الهدب من فتور ونعسٍ
 واحد الدهر، واستعدت لخمسٍ^(٥)
 ملاء مدنرات الدمقس^(٦)

(١) الناصر: هو الخليفة عبد الرحمن الأموي. الخميس: الجيش. الدرفس: الهواء.

(٢) الحرس: الدهر.

(٣) تهلان: جبل بالعالية. وقدس: جبل عظيم بنجد.

(٤) الوزير: ابن مقلة الخطاط.

(٥) أي أنها دار تدريس وعلم، وتقام فيها الصلوات الخمس.

(٦) الرفيف: الروشن. الملاء: جمع ملاءة، ثوب يُلبس على الفخذين.

وكان الآيات من جانبيه
 منبر تحت (مُنْذِر) من جلال
 ومكان الكتاب بغربك رَنا
 صنعة (الداخل) المبارك في الغر
 يتنزّلن من معارج قُدس
 لم يزل يكتسبه، أو تحت (قُس) ^(١)
 ورده غائبًا، فتدنو للمس
 ب، وآل له ميامين شمس



من (لحمراء) جُللت بغبار الدَّ
 كسنا البرق لو محا الضوء لحظًا
 (حصن غرناطة) و (دار بني الأح
 جلل الثلج دونها رأس (شيري)
 سَرمذ شيبه، ولم أر شيبًا
 مشيت الحادثات في غَرف (الحم
 هتكت عزّة الحجاب، وفَضّت
 عَرَصات تخلت الخيل عنها
 ومغان على الليالي وضاء
 لا ترى غير وافدين على الثا
 نقلوا الطرف في نضارة آس
 وقباب من لازورد ونبر
 وخطوط تكلفت للمعاني
 هر، كالجرح بين بُرء ونكس
 لمحتها العيون من طول قبس
 (مر) من غافل ويقظان ندس ^(٢)
 فبدا منه في عصائب برس ^(٣)
 قبله يرجي البقاء وينسي
 راء) مشي النعمي في دار عرس
 سدة الباب، من سمير وأنس
 واستراحت من احتراس وعس
 لم تجد للعشي تكرار مس
 ريخ ساعين، في خشوع ونكس
 من نقوش، وفي عصارة ورس
 كالرُبي الشم بين ظلّ وشمس
 ولألفاظها بأزين لبس

(١) منذر بن سعيد: قاضي الأندلس وخطيبها. وقس بن ساعدة: خطيب العرب.

(٢) الندس: الفهم.

(٣) عصائب برس: بيض كالقطن. وشيري: جبل.

وترى (مجلس السّباع)^(١) خلاء
لا (الثريا) ولا جوارى الثريا
مرمر قامتِ الأسودُ عليه
تنثرُ الماءَ في الحياضِ جُمَانًا
آخرَ العهدِ بالجزيرة كانت
فتراها تقول: رايةُ جيش
ومفاتيحها مقاليدُ مُلك
خرج القوم في كَتائبِ صُمِّ
ركبوا بالبحارِ نعثًا وكانت
رُبَّ بانٍ لهادِمٍ وَجُمُوعٍ
إمرة الناسِ همة لا تَأْتِي
وإذا ما أصاب بنيانَ قوم



يا ديارًا نزلتُ كالخلدِ ظِلًّا،
محسّناتِ الفصول: لا ناجِرٌ في
وَجَنَى دَانِيًا، وسلسالِ أنسٍ
ها بقيظ، ولا جُمادى بقرسٍ^(٤)
غَيْرَ حُورٍ حَوْ المِراشفِ لُعسٍ^(٥)
لا تحسُ العيونُ فوقَ رُبَاها

(١) يريد: (قاعة الأسود) من (قصر الحمراء)، التي وصفها (ابن حمديس الصقلي) بقصيدته،
التي منها:

وضراغم سكنت عرين رئاسة تركت خرب الماء فيه زئيرا

(٢) الحس القتل.

(٣) الجبس: الجبان.

(٤) شهر ناجر: كل شهر في صميم الحر.

(٥) حو المِراشف: سمر الشفاه، وهو مستملح من النساء. وكذلك اللعس.

كُسِيتَ أفرخي بظلكِ ريشًا وَرَبَا فِي رَبَّكَ وَاشْتَدَّ غَرَسِي
 هُم بَنُو مِصْرَ: لَا الْجَمِيلَ لَدَيْهِمْ بِمِضَاعٍ، وَلَا الصَّنِيعَ بِمَنْسِي
 مِنْ لِسَانٍ عَلَى ثَنَائِكَ وَقَفٍ وَجَنَانٍ عَلَى وَلَائِكَ حَبْسِ
 حُسْبُهُمْ هَذِهِ الطُّلُوءُ عِظَاتِ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى الدَّهْوَرِ وَدَرْسِ
 وَإِذَا فَاتَكَ التَّفَاتُ إِلَى الْمَا ضِي فَقَدْ غَابَ عَنْكَ وَجْهَ النَّاسِي

أحمد شوقي



بين العراق والشام

بِبَغْدَادَ أَشْتَاقُ الشَّامَ وَمَا أَنَا إِلَى الْكَرْخِ مِنْ بَغْدَادِ جَمِ الثَّوْقِ
 هُمَا وَطَنُ فِرْدُ وَقَدْ فَرَّقَوْهُمَا رَمَى اللَّهُ بِالنَّشِيتِ شَمْلَ الْمَقْرِ
 إِذَا قَمَتِ نَصَبَ الْعَيْنِ يَا عَهْدَ تَدْمُرَ ذَكَرْتُ أَدْكَارَ الطَّيْفِ عَهْدَ الْخَوْرِنِ
 وَهَلْ بِلَدٍ أَوْلَى مِنَ الشَّامِ بِالْهَوَى وَبِالْحُبِّ أَجْدَرُ فِي دِمَشْقٍ وَأَخْلَقِ

رضا الشيباني



متى تجب الحرب؟

وَحَارِبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةٌ شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمِظَالِمِ
 وَمَا قَرَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ مُشَبِّعٍ أَرِبْ وَلَا جَلَى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمِ

بشار بن برد



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثاني

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على الإنسان الكامل «سيدنا محمد» وآله وصحبه وكل من أحيا هدايته، وسلم تسليمًا كثيرًا.
أما بعد:

فإن في ذهني صورةً للمروءة أتمنى لو تحلّى بها المرء والمرأة من قومي، واتَّخذناها مثلًا أعلى في تكوين قُوَّة فتياننا وفتياتنا.

إن هذه السطور من مقدّمة «الحديقة» لتضيّق عن رسم صورة المروءة والفتوة اللاتقتين بأبناء عصر قد جدّ فيه الجدّ، وتراكمت فيه علينا واجبات لا ينهض بها إلا رجلُ الصديقِ الحازمُ العالمُ الذي ربّى في نفسه مَلَكَةَ التوحيد، والتنظيم والتشмир واعتاد الاقتصاد في كل شيء، والإنصاف في جميع المواقف، والوفاء للماضي المجيد، والجهاد في سبيل المستقبل السعيد، والتضحية يوم يرى قوميته في حاجة إليها، وإذا ضاقت هذه السطور عن رسم تلك الصورة فإن أعيان البيان من الحكماء والشعراء والكتّاب ما فتّثوا في كل عصر ومصر يصفون بالسّتهم وأقلامهم ما تنفذ إليه بصائرهم من أسرارها، مُحبّين إلى طلاب الكمال - من الفتيان والرجال - الاتصاف بأوصافها، والتجهّز بأسلحتها، كيما يتأهّلوا بذلك لحمل أعباء القومية، والسير بالأمة في طريق الصلاح، والارتقاء بالوطن ذُرَى العز.

لقد أخذتُ على نفسي منذ تكوّنتُ عندي فكرة إنشاء «الحديقة» أن أجمع فيها أثناء المطالعة ما كنتُ أودُّ أن أدخره لنفسي في مذكراتي الخاصة من قصيدة بليغة

حكيمه أو قطعة أدبيّة ذات روعة أو فصل إصلاحي نافع، متوخياً في مجموع ذلك أن يكون من بواعث اللذة للقراء والقارئات، وأن يكون -مع ما تقدّم- عوناً لهذه الأمة على إيقاظ ما في نفوسها من الفضائل القومية بما يتخلّله من بيان صفات المروءة، وفي النية أن أثابر على إصدارها أجزاء بهذا الحجم. والله الموفق.

القاهرة: ١٥ شعبان، ١٣٤٤

محبّ الدين الخطيب



أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان

روى الحكيم الإسلامي الكبير أبو حيان التوحيدي في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» قال:

قال مالك بن عمارة اللخمي: كنت أجالس في ظل الكعبة، أيام الموسم: عبد الملك بن مروان، وقبيصة بن ذؤيب، وعروة بن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة، وفي الذكر مرة، وفي أشعار العرب وآثار الناس مرة، فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجد عند عبد الملك بن مروان: من الاتساع في المعرفة، والتصرف في فنون العلم، والفصاحة، والبلاغة، وحسن استماعه إذا حَدَّث، وحلاوة لفظه إذا حَدَّث.

فخلوت معه، ذات ليلة، فقلت:

- والله إني لمسرور بك لما أشاهده من كثرة تصرفك، وحسن حديثك، وإقبالك على جليستك.

فقال لي: إنك إن تعش قليلاً فسترى العيون طامحة لي، والأعناق قاصرة نحوي، فلا عليك أن تعمل إليّ ركابك.

فلما أفضت إليه الخلافة شخصت أريده؛ فوافقته يوم الجمعة، وهو يخطب الناس، فتصديت له. فلما وقعت عينه عليّ كشر في وجهي فأعرض عني. فقلت: لم يثبتني معرفة، لو عرفني ما أظهر نُكْرَةً؛ لكن لم أبرح مكاني حتى قضيت الصلاة ودخل، فلم ألبث أن خرج الحاجب إليّ فقال:

- مالك بن عمارة!

فقمّت وأخذ بيدي وأدخلني عليه، فلما رأيته يدّ يده إليّ وقال: - إنك تراءيت

لي في موضع لم يجز فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانقباض؛ فمرحبًا وأهلاً.
كيف كنتَ بعدنا، وكيف كان مسيرك؟

«فقلت»: بخير، وعلى ما يحبه أمير المؤمنين.

«قال»: أتذكر ما كنتُ قلت لك.

«قلت»: نعم، وهو الذي أعملني إليك.

«فقال»: ما هو بميراث ادّعيناه؛ ولكن أخبرك عن نفسي خصلاً سمت لها
نفسى إلى الموضع الذي ترى: ما لاحيت ذا ردّ قط ولا ذا قرابة، ولا شمتُ
بمصيبة عدو قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي، ولا قصدت كبيرة من
محارم الله متلذذاً وواثباً عليها، وكنت من قريش في بيتها ومن بيتها في وسط،
فكنت أمل أن يرفع الله مني، وقد فعل، يا غلام بؤته منزلاً في الدار.

«فأخذ الغلام بيدي وقال»:

- انطلق إلى رحلك.

وكنت في أخفض حال، وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، فإذا
حضره عشاؤه أو غداؤه أتاني الغلام وقال:

- إن شئت صرتُ إلى أمير المؤمنين، فإنه جالس، فأمشي بلا حذاء، ولا
رداء، فيرفع مجلسي، ويُقبل على محادثتي، ويسألني عن العراق مرة وعن
الحجاز مرة، حتى مضت لي عشرون ليلة، فتغديت يوماً عنده، فلما فرغ الناس
نهضت للقيام.

«فقال»: على رسلك أيها الرجل، أي الأمرين أحب إليك: المقام عندنا فلك
النصفة في المعاشرة والمجالسة مع المواساة، أم الشخوص ولك الحباء
والكرامة؟

«قلت»: فارقت أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرني اخترت فناءه على الأهل والولد.

«قال»: بل أرى لك الرجوع إليهم، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك، فتحدث بهم عهدًا ويحدثون بك مثله، والخيار في زيارتنا والمقام فيهم إليك، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار، وكسوناك وحملناك. أتراني ملأت يدك أبا نصر؟

«قلت»: يا أمير المؤمنين، أراك ذاكرًا لما ورثت عن نفسك.

«قال»: أجل، ولا خير فيمن ينسى إذا وعد، ودّع إذا شئت، صحبتك السلامة.



صقر قريش

مَنْ لَنْضُوٍ يَنْزَى^(١) الْمَا بَرَحَ الشَّوْقُ بِهِ فِي الْغَلَسِ
حَنَ لِلْبَانِ وَنَاجَى الْعَلَمَا أَيْنَ شَرُقُ الْأَرْضِ مِنْ أُنْدَلَسِ



بُلْبُلٌ عَلَّمَهُ الْبَيْنُ الْبَيَانُ بَاتَ فِي حَبْلِ الشُّجُونِ ارْتَبَكَ
فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ مَخْلُوعَ الْعِنَانِ ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَلَيْهِ شَبَكَ
كَلِمَا اسْتَوْحَشَ فِي ظِلِّ الْجَنَانِ جُنَّ فَاسْتَضَحَكَ مِنْ حَيْثُ بَكَ



ارْتَدَى بُرْنَسَهُ وَالتَّمَا وَخَطَا خُطْوَةَ شَيْخِ مُرْعَسِ^(٢)

(١) يتوَّج.

(٢) مرعش.

وَيُرَى ذَا حَدَبٍ إِنْ جَثَمَا^(١) فَإِنْ ارْتَدَّ بَدَا ذَا قَعَسٍ^(٢)



فَمُهِ الْقَانِي عَلَى لَبَّتِهِ كَبَقَايَا الدَّمِ فِي نَضْلِ دَقِيقِ
مَدَّهُ فَاَنْشَقَّ مِنْ مَنَبَتِهِ مِنْ رَأَى شَيْئِي مَقْصُ مِنْ عَقِيقِ
وَبَكَى شَجَوًا عَلَى شُعْبَتِهِ شَجَوُ ذَاتِ التُّكُلِ فِي السِّتْرِ الرَّقِيقِ



سَلَّ مِنْ فِيهِ لِسَانًا عَنَمًا^(٣) مَاضِيًا فِي الْبُتِّ لَمْ يَحْتَبِسِ
وَتَرَّ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ رَنَمًا فِي الدُّجَى أَوْ شَرَّرَ مِنْ قَبَسِ



نَفَرَتْ لَوْعَتُهُ بَعْدَ الْهَدْوِ وَالدُّجَى بَيْتَ الْجَوَى وَالْبُرْحَا
يَنْعَايَا بِجَنَاحٍ، وَيَنْوِ بِجَنَاحٍ؛ مُذْ وَهَى مَا صَلَحَا
سَاءَ الدَّهْرُ وَمَا زَالَ يَسُوءُ^(٤) مَا عَلَيْهِ لَوْ أَسَا مَا جَرَحَا



كَلِمَا أَذْمَى يَدَيْهِ نَدَمًا سَالَتَا مِنْ طَوْقِهِ وَالْبُرْنِسِ
فَنَيْتَ أَهْدَابُهُ إِلَّا دَمًا قَامَ كَالْيَاقُوتِ لَمْ يَنْبَجِسِ^(٥)



(١) الحدب: خروج الظهر ودخول الصدر.

(٢) القعس: دخول الظهر وخروج الصدر.

(٣) أحمر كالعنم. وهو شجر يحمل ثمرًا أحمر.

(٤) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري

(٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الأدب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا

سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من

جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

(٥) لم يسل.

مَدَّ فِي اللَّيْلِ أَنْبِيَاً وَخَفَقَ خَفَقَانِ الْفَرْطِ فِي جُنْحِ الشَّمْرِ
فَرَعَتْ مِنْهُ النَّوَى غَيْرَ رَمَقٍ فَضْلَةَ الْجُرْحِ إِذَا الْجُرْحُ نَمَرَ
يَتَلَاشَى نَزَوَاتٍ فِي جِرْقٍ كَذْبَالٍ آخِرَ اللَّيْلِ اسْتَعَزَّ



لَمْ يَكُنْ طَوْقًا وَلَكِنْ ضَرَمَا مَا عَلَى لَبَّتِهِ مِنْ قَبَسٍ
رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ هَلْ عَلِمَا أَنْ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ ذَا النَّفْسِ



قُلْتُ لِلَّيْلِ - وَلِلَّيْلِ عَوَاذُ: مَنْ أَخُو الْبَيْتِ؟ فَقَالَ: ابْنُ فِرَاقٍ
قُلْتُ: مَا وَادِيهِ؟ قَالَ: الشَّجْوُ وَادٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ حَجَازٍ أَوْ عِرَاقٍ
قُلْتُ: لَكِنْ جَفْنُهُ غَيْرُ جَوَادٍ قَالَ: شَرُّ الدَّمْعِ مَا لَيْسَ يُرَاقٍ



نَغِيْطُ الطَّيْرِ وَ مَا نَغْلَمَ مَا هِيَ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ بَيْسٍ
فَدَعَ الطَّيْرَ وَحْظًا قُسَمَا صَبَرَ الْأَيْكَ كَذُورِ الْأَنْسِ^(١)



نَاحَ إِذْ جِفْنَايَ فِي أَسْرِ التُّجُومِ رَسَفَا فِي السُّهْدِ وَالدَّمْعِ طَلِيقُ
أَيُّهَا الصَّارِخُ مِنْ بَخْرِ الْهُمُومِ مَا عَسَى يُغْنِي غَرِيقُ مِنْ غَرِيقُ
إِنَّ هَذَا السَّهْمَ لِي مِنْهُ كُلُّوْمِ كُلْنَا نَازِحَ أَيْكَ وَفَرِيقُ



قَلْبَ الدُّنْيَا تَجِدُهَا قِسْمَا ضَرَفْتُ مِنْ أَنْعَمٍ أَوْ أَبُوسٍ
وَانْظُرِ النَّاسَ تَجِدُ مِنْ سَلَمَا مِنْ سِيْهَامِ الدَّهْرِ شَجْنَةُ الْقَيْسِ



يَا شَبَابَ الشَّرْقِ عَنَوَانَ الشَّبَابِ ثَمَرَاتِ الْحَسْبِ الزَّاكِي النَّمِيرِ

(١) الأنس: الناس.

حَسْبُكُمْ فِي الْكَرَمِ الْمَخْضِ اللَّبَابُ سِيرَةٌ تَبْقَى بقاء ابْنِي سَمِير^(١)
فِي كِتَابِ الْفَخْرِ (لِلدَّاحِلِ)^(٢) بَابٌ لَمْ يَلْجِهْ مِنْ بَنِي الْمُلْكِ أَمِيرٌ



فِي الشَّمُوسِ الزُّهْرِ فِي الشَّامِ انْتَمَى وَنَمَى الْأَقْمَارَ بِالْأَنْدَلُسِ^(٣)
قَعَدَ الشَّرْقُ عَلَيْهِمْ مَاتَمَا وَانْتَنَى الْغَرْبُ بِهِمْ فِي عُرْسِ



هَلْ لَكُمْ فِي نَبَأِ خَيْرِ نَبَا حَلِيَّةِ التَّارِيخِ مَأْثُورٍ عَظِيمٍ
حَلٌّ فِي الْأَنْبَاءِ مَا حَلَّتْ سَبَا مَنَزَلُ الْوَسْطَى مِنَ الْعَقْدِ النَّظِيمِ
مِثْلُهُ الْمَقْدَارُ يَوْمًا مَا خَبَا لَسْلِبِ التَّاجِ وَالْعَرْشِ كَظِيمِ



يُعْجِزُ الْقُصَّاصَ إِلَّا قَلَمًا فِي سَوَادٍ مِنْ هَوًى لَمْ يُغْمَسِ
يُؤَثِّرُ الصِّدْقَ وَيَجْزِي عِلْمًا قَلْبَ الْعَالَمِ لَوْ لَمْ يُظْمَسِ



عَنْ عِصَامِيٍّ نَبِيلٍ مُفَرِّقٍ فِي بُنَاةِ الْمَجْدِ أَبْنَاءِ الْفَخَّارِ
نَهَضَتْ دَوْلَتُهُمْ بِالْمَشْرِقِ نَهْضَةُ الشَّمْسِ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ
ثُمَّ خَانَ التَّاجُ وَدَّ الْمَفْرِقِ وَنَبَتْ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ الدِّيَارِ



غَفَلُوا عَنْ سَاهِرٍ حَوْلَ الْحَمَى بِاسِطٍ مِنْ سَاعِدِي مُفْتَرِسِ
حَامَ حَوْلَ الْمَلِكِ ثُمَّ اقْتَحَمَا وَمَشَى فِي الدَّمِ مَشْيَ الضَّرْسِ



(١) ابنا سمير: الليل والنهار.

(٢) هو الأمير عبد الرحمن.

(٣) نماه: أي رفعه بالنسب إليه.

جُرِزَتْ مروانُ عن آبائها ما أراقوا من دماءٍ وذُمُوعٍ
وَمِنَ النَّفْسِ وَمِنَ أَهْوَائِهَا ما يؤدِّيه عن الأصلِ الفروعُ
خَلَّتِ الأعوادُ من أسمائها وتغطَّت بالمصاليبِ الجدوعُ



ظَلَمْتُ حتى أصابْتُ أظِلما حاصِدَ السيفِ وبِئِ المَخْبِسِ
فَطَنَّا في دعوةِ الآلِ لما هَمَسَ الشَّانِي وما لم يَهْمَسِ



لَبِسْتُ بُرْدَ النَّبِيِّ النَّيْرَاثِ مِنْ بني العباسِ نورًا فَوْقَ نُورِ
وَقَدِيمًا عِنْدَ مَرَوَانَ تِرَاثِ لَزَكِيَّاتٍ مِنَ الْأَنْفَسِ نُورِ
فَنَجَا (الداخلُ) سَبْحًا بِالْفُرَاثِ تَارَكَ الْفِتْنَةَ تَطْفَى وَتَنُورِ



عَسَّ كَالْحُوتِ بِهِ، وَاقْتَحَمَا بَيْنَ عِبْرِيهِ عِيُونََ الْحَرَسِ
وَلَقَدْ يُجِدِّي الْفَتَى أَنْ يَغْلَمَا صَهْوَةَ الْمَاءِ وَمَتْنِ الْفَرَسِ



صَحِبَ الدَّاحِلَ مِنْ إِخْوَتِهِ حَدَّثَ خَاضَ الْغِمَارَ ابْنُ ثَمَانِ
غَلَبَ الْمَوْجُ عَلَى قُوَّتِهِ فَكَانَ الْمَوْجُ مِنْ جُنْدِ الزَّمَانِ
وَإِذَا بِالشَّطِّ - مِنْ شَفَوْتِهِ - صَائِحٌ صَاحَ بِهِ: نِلْتَ الْأَمَانِ



فَانْتَنَى مِنْخَدَعًا مُنْتَسِلَمَا شَاءَ اغْتَرَّتْ بِعَهْدِ الْأَطْلَسِ^(١)
خَضِبَ الْجُنْدُ بِهِ الْأَرْضَ دَمَا وَقُلُوبُ الْجُنْدِ كَالصَخْرِ الْقَسِيِّ



(١) الذئب.

أُثِيهَا الْبَائِسُ مَتَّ قَبْلَ الْمَمَاتِ أَوْ إِذَا شِئْتَ حَيَاةَ فَالرَّجَا
لَا يَصِقُ دَزَعَكَ عِنْدَ الْأَزْمَاتِ إِنْ هِيَ اشْتَدَّتْ وَأُمِّلُ فَرَجَا
ذَلِكَ (الدَّاخِلُ) لَأَقَى مُظْلِمَاتِ لَمْ يَكُنْ يَأْمُلُ مِنْهَا مَخْرَجَا



قَدْ تَوَلَّى عِزُّهُ وَانْصَرَمَا فَمَضَى مِنْ رَدُّهِ لَمْ يَبَاسِ
رَامَ بِالْمَغْرِبِ مُلْكًا فَرَمَى أَبْعَدَ الْغَمْرِ وَأَقْصَى الْيَبَسِ



ذَاكَ وَاللَّهِ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى أَيَّ صَنْعٍ فِي الْمَعَالِي مَا سَلَكَ
لَيْسَ بِالسَّائِلِ إِنْ هَمَّ: مَتَى؟ لَا وَلَا النَّاطِرِ مَا يُوحِي الْفَلَكَ
زَابِلُ الْمُلْكِ ذَوْنِهِ، فَأَنَى مُلْكُ قَوْمٍ ضَبَّعُوهُ قَمَلُكَ



غَمْرَاتٌ عَارِضَتْ مُفْتَحِمَا عَالِي النَّفْسِ أَشَمَّ الْمَعْطَسِ
كُلُّ أَرْضٍ حَلَّ فِيهَا أَوْ جِمَى مَنَزَلُ الْبَذْرِ وَغَابُ الْبَيْهَسِ^(١)



نَزَلَ النَّاجِي عَلَى حُكْمِ النَّوَى وَتَوَارَى بِالسُّرَى مِنْ طَالِبِيهِ
غَيْرَ ذِي رَحْلٍ وَلَا زَادٍ سَوَى جَوْهَرٍ وَأَقَاءَ مِنْ بَنَتْ أَبِيهِ
قَمَرٌ لَأَقَى خُسُوفًا فَانْزَوَى لَيْسَ مِنْ آبَائِهِ إِلَّا نَبِيهِ



لَمْ يَجِدْ أَعْوَانَهُ وَالْخَدَمَا جَانِبُوهُ غَيْرَ (بَذْرٍ)^(٢) الْكَبِيسِ
مِنْ مَوَالِي مَرَوَانَ الْقُدَمَا لَمْ يَخْنَهُمْ فِي الزَّمَانِ الْمَوِيسِ



(١) الأسد.

(٢) بدر اسم خادمه المشهور.

جِبْنَ فِي إِفْرِيقَا انْحَلَّ الْوَنَامُ وَاضْمَحَلَّتْ آيَةُ الْفَتْحِ الْجَلِيلُ
بَانَتْ الْأُمَّةُ فِي غَيْرِ النَّثَامِ وَكَثِيرٌ لَيْسَ بِلَتَامٍ قَلِيلُ
يَمَنْ سَلَّتْ طُبَاهَا وَالشَّامُ شَامَهَا هَنْدِيَّةٌ ذَاتُ صَلِيلِ



فَرَّقَ الْجُنْدَ الْغَنَى فَاَنْقَسَمَا وَعَدَا بَيْنَهُمُ الْحَقُّ نُسِي
أَوْحَشَ السَّوْدَدُ فِيهِمْ وَسَمَا لِلْمَعَالِي مِنْ بُو لَمْ تَأْسِرِ



رُحِمُوا بِالْعَبْقَرِيِّ النَّابِ الْبَعِيدِ الْهَمَّةِ الصَّغْبِ الْقِيَادِ
مَدَّ فِي الْفَتْحِ وَفِي أَطْنَابِهِ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ بِنَاءِ ابْنِ زِيَادِ
هَجَرَ الصَّيْدَ فَمَا يُعْنِي بِهِ وَهُوَ بِالْمَلِكِ رَفِيقُ ذُو اصْطِيَادِ



سَلْ بِهِ أُنْدَلَسًا: هَلْ سَلِمَا مِنْ أَخِي صَبِيدِ رَفِيقِ مَرَسِ؟
جَرَّدَ السِّيفَ وَهَزَّ الْقَلَمَا وَرَمَى بِالرَّايِ أُمَّ الْخُلَسِ^(١)



بِسَلَامٍ يَا شَرَاعًا مَا دَرَى مَا عَلَيْنِهِ مِنْ حَيَاءٍ وَسَخَاءٍ
فِي جَنَاحِ الْمَلِكِ الرُّوحِ جَرَى وَبِسَمَحَاءٍ مِنَ اللَّطْفِ رُخَاءٍ^(٢)
غَسَلَ الْيَمُّ جَرَاحَاتِ الثَّرَى وَمَحَا الشَّدَّةَ مِنْ يَمْحُو الرُّخَاءِ



هَلْ دَرَى أُنْدَلَسٌ مَنْ قَدِمَا دَارُهُ مِنْ نَحْوِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟
بِسَلِيلِ الْأُمَوِيِّينَ سَمَا فَتَحَ مُوسَى مُسْتَقَرَّ الْأُسِ^(٣)



(١) أحسن الفرص.

(٢) الرخاء: الريح اللينة.

(٣) موسى بن نصير.

أَمْوِيٍّ لِلْعُلَى رَحْلَتُهُ وَالْمَعَالِي بِمِطْيٍ وَطَرْقُ
كَالْهَلَالِ انْفَرَدَتْ نُقْلَتُهُ لَا بِجَارِيهِ رَكَابٌ فِي الْأَثْقُ
بُنِيَتْ مِنْ خُلُقٍ دَوْلَتُهُ قَدْ يَشِيدُ الدُّوَلُ الشَّمُّ الْخُلُقُ



وَإِذَا الْأَخْلَاقُ كَانَتْ سُلَّمًا نَالَتْ النُّجْمَ يَدُ الْمَلْتَمَسِ
فَازَقَ فِيهَا تَرَقَّ أَسْبَابَ السَّمَاءِ وَعَلَى نَاصِيَةِ الشَّمْسِ اجْلِسِ



أَيُّ مُلْكٍ مِنْ أَفَاعِيلِ الْهَمَمِ أَسَسَ الدَّاخِلُ فِي الْقَرْبِ وَشَادُ
ذَلِكَ النَّاشِئُ فِي خَيْرِ الْأَمَمِ سَادَ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يُخْلَقْ يُسَادُ
حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي وَحَكَمَ فِي عَوَادِيهَا قِيَادًا بِقِيَادُ



سُلِبَ الْعَرُ بَشَرِيٍّ، فَرَمَى جَانِبَ الْقَرْبِ لَعَرُ أَقْعَسِ
وَإِذَا الْخَيْرُ لَعَبِدٍ قُسِمَا سَنَحَ السَّعْدُ لَهُ فِي النَّحْسِ



أَيُّهَا الْقَلْبُ أَحَقُّ أَنْتَ جَارُ لِلَّذِي كَانَ عَلَى الدَّهْرِ يَجِيرُ
هَاهُنَا حَلٌّ بِهِ الرُّكْبُ وَسَارُ وَهَنَا ثَاوٍ إِلَى الْبَعْثِ الْأَسِيرُ
فَلَكَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ مُدَارُ صَدَعَ الْجَامَ وَالْوَى بِالْمَدِيرُ



هَاهُنَا كُنْتَ تَرَى حُوءَ الدَّمَى فَاتَنَاتٍ بِالشِّفَاوِ اللَّعْسِ
نَاقِلَاتٍ فِي الْعَبِيرِ الْقَدَمَا وَاطْشَاتٍ فِي حَبِيرِ السَّنْدَسِ



خُذْ عَنِ الدُّنْيَا بَلِيغَ الْعِظَةِ قَدْ تَجَلَّتْ فِي بَلِيغِ الْكَلِمِ
طَرَفَاهَا جُمَعَا فِي لَفْظَةٍ فَتأمل طَرَفَيْهَا تَعْلَمِ:

الأماني حلمٌ في يقظةٍ والمنايا يقظةٌ من حلمٍ



كل ذي سقطين في الجو سما^(١) واقعٌ يومًا وإن لم يُفرَسِ
وسيلقى حينه نسرُ السما يومَ تُطوى كالكتابِ الدرسِ



أين يا واحدَ مروانَ علّمَ من دعاكَ «الصقر» سماهُ العقابُ
رابةً صرّفها الفردُ العلمُ عن وجوهِ النصرِ تصريفَ النقابِ
كنتَ إن جرّدت سيفًا أو قلمَ أبتَ بالألبابِ أو دنت الرقابِ



ما رأى الناسُ سواه علما لم يُرمَ في لُجةٍ أو يبسِ
أعلى ركنِ السّمَاكِ ادّعما وتغطى بجناحِ القُدُسِ؟



قصرُك «المنية» من قرطبةٍ فيه واروك ولله المصيرُ
صدفٌ حُطَّ على جوهرةٍ بيدَ أن الدهرِ نبّاش بصيرُ
لم يدع ظلا لقصر «المنية» وكذا عُمُرُ الأماني قصيرُ



كنتَ صقرًا قرشياً علما ما على الصّقرِ إذا لم يُرْمَسِ؟
إن تسلّ: أين قبورُ العظما؟ فعلى الأفواه أو في الأنفُسِ



كم قبورٍ زينت جبدَ الثرى تحتها أنجسُ من ميت المجوسِ
كان من فيها وإن حازوا الثرا قبل موت الجسمِ أموات النفوسِ

(١) السقط: الجناح.

وعظام تتزكى عنبرا من ثناء صرن أغفال الرموس



فاتخذ قبرك من ذكرٍ فما تبين من محموده لا يطمس

هبك من حرصٍ سكنت الهرما أين بانيه المنيع الملمس؟

أحمد شوقي



جنة الدنيا

دمشق مدينة ذكريات تاريخية عظيمة الأثر في نفوس زائريها ؛ لأنها أقدم مدينة عامرة على وجه الأرض، لم ترحلها نكبات الدهر عن موضعها الأول في سفح جبل «قاسيون»، ولا حرمتها كوارث الأيام من مغانيها بين جداول «بردي».

ومن هذه المدينة سارت جيوش الفتح الإسلامي ناشرة لغة العرب، وحكمتهم، وحضارتهم في القارات الثلاث: آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، مدة الخلافة الأموية، وهي مع ما لها من هذا الامتياز التاريخي؛ ما برحت معروفة من مئات السنين بأنها «جنة الدنيا»، بغوطتها الغناء وأوديتها السكرى بخمرة الجمال، على خيرير الجداول المتفرعة من بردي، والعيون المنبثقة إلى جانبها في أهضام^(١) تلك الأودية ذات الروعة الخالدة.

وقف شوقي بك أمير شعراء العرب أمام هذه المشاهد، وتلك الذكريات، فألهمته هذه الآية من شعره الحكيم، وقد ألقيت في حفلة جمعت المئات الكثيرة

(١) الأهضام: بطون الأودية.

من شباب دمشق وأدبائها، وقد أقاموها لتكريمه في دار المجمع العلمي العربي بدمشق.

قُمْ نَاجٍ جَلَقَ^(١) وَانْشُدْ رَسَمَ مِنْ بَاقُوا
هَذَا الْأَدِيمُ كِتَابٌ لَا كِفَاءَ لَهُ^(٢)
الَّذِينَ وَالْوَحْيِ وَالْأَخْلَاقُ طَائِفَةٌ
مَا فِيهِ إِنْ قُلِبَتْ يَوْمًا جَوَاهِرُهُ
بَنُو أُمَيَّةٍ لِلْأَنْبَاءِ مَا فَتَحُوا
كَانُوا مُلُوكًا سَرِيرُ الشَّرْقِ نَخْتَهُمُ
عَالِينَ كَالشَّمْسِ فِي أَظْرَافِ دَوْلَتِهَا
يَا وَنَحْ قَلْبِي مَهْمَا انْتَابَ أَرْسَمَهُمُ
بِالْأَمْسِ قُمْتُ عَلَى الزَّهْرَاءِ أَنْدُبُهُمْ
فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ سَمَاوَاتٍ وَالْوَيْةُ
مَعَادِنُ الْعَرْزِ قَدْ مَالَ الرِّغَامُ بِهِمْ
لَوْلَا دِمَشْقُ لَمَا كَانَتْ طُلَيْطَلَةُ
مَرَزْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَخْزُونِ أَسْأَلُهُ
تَغَيَّرَ الْمَسْجِدُ الْمَخْزُونِ وَاخْتَلَفَتْ
فَلَا الْأَذَانَ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ



(١) دمشق.

(٢) لا مساوي له ولا نظير.

(٣) الراديو.

(٤) إحدى لغات كثيرة في بغداد.

أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَاسْتَتْنَيْتُ جَنَّتَهُ^(١) دِمَشْقُ رَوْحٍ وَجَنَاتٌ وَرِيحَانُ
 قَالَ الرَّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ حَمَائِلُهَا الْأَرْضُ دَارٌ لَهَا الْفَيْحَاءُ بُسْتَانُ^(٢)
 جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا بَرْدَى كَمَا تَلَقَّاكَ دُونَ الْخُلْدِ رِضْوَانُ^(٣)
 دَخَلْتُهَا وَحَوَاشِيهَا زُمُرْدَةٌ وَالشَّمْسُ فَوْقَ لُجَيْنِ الْمَاءِ عَقِيَانُ^(٤)
 وَالْحَوْرُ فِي (دُمُرٍ) أَوْ حَوْلِ (هَامَتِهَا) حُورٌ كَوَاشِفٌ عَنْ سَاقٍ وَوِلْدَانُ^(٥)
 وَ(رَبْوَةٌ) الْوَادِ فِي جِلْبَابٍ رَاقِصَةٍ السَّاقُ كَاسِيَةٌ وَالنَّخْرُ عُرْيَانُ^(٦)

(١) هذا من الأبيات التي طغى بها قلم شوقي، فقاده غلوه في مدح دمشق إلى أن يجعلها بمثابة جنة الله! وقد دارت حول هذا البيت مجادلات، مابين لائم ومتأول، لكنه بالاتفاق: بيت موهم، كان ينبغي تجنبه. (س).

(٢) «الفيحاء» من أسماء دمشق. «والخمائيل»: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير الملتف.

(٣) «يقول»: إن مكان (بردى) من دمشق كمكان رضوان -خازن الجنان- من جنة الخلد، فهو دليل ضيوفها إليها، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوي إليها السعادة، ومقاصف لا تبلغها الهموم.

وقوله: «جرى وصفق» من قولهم: صفق فلان الشراب، أي: حوله من إناء إلى إناء ليفصفو. وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غسان البريص - وهي غوطة دمشق- فقال:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
 أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
 يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

(٤) العقيان: الذهب الخالص.

(٥) الحور -في صدر البيت-: شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق. وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن؛ لأن أعالي هذه الشجر مكسوة بأوراقها وسائرها عريان، و(دمر) و(الهامة) من متزهات دمشق في وادي بردى.

(٦) يقول: إن ربوة هذا الوادي على خلاف ما فيها من أشجار الحور، فإذا كانت الأشجار كاسية النحور، عارية السوق، فإن جبال الربوة كاسية الساق بما في سفحها من أشجار ومروج وأزهار بينما نحرها عريان؛ لتجرد أعالي تلك الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور. =

وَالطَّيْرُ يَضْدَحُ مِنْ خَلْفِ الْعُيُونِ بِهَا وَلِلْعُيُونِ كَمَا لِلطَّيْرِ الْحَانُ^(١)
 وَأَقْبَلْتُ بِالنَّبَاتِ الْأَرْضَ مُخْتَلَفًا أَفْوَاهُهُ^(٢)، فَهَوَ أَضْبَاغُ وَالْوَانُ
 وَقَدْ صَفَى (بَرْدَى) لِلرَّيْحِ فَانْتَرَدَتْ لَدَى سُتُورِ حَوَاشِيهِنَّ أَفْنَانُ^(٣)
 ثُمَّ انْتَشَتْ لَمْ يَزُلْ عَنْهَا الْبَلَالُ وَلَا جَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَذْيَالُ وَأَزْدَانُ
 خَلَفْتُ لُبْنَانَ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَمَا نُبْتُ أَنْ طَرِيقَ الْخُلْدِ لِبْنَانُ^(٤)
 حَتَّى انْحَدَرْتُ إِلَى فَيْحَاءَ وَارِفَةٍ فِيهَا النَّدَى وَبِهَا طَيِّ وَشِيَانُ
 نَزَلْتُ فِيهَا بِفَتْيَانٍ جَحَاجِحَةٍ أَبَاؤُهُمْ فِي شَبَابِ الدَّهْرِ غَسَّانُ^(٥)
 بِيضُ الْأَسْرَةِ بَاقٍ فِيهِمْ صَيْدٌ مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ وَإِنْ لَمْ تَبْقَ تَيْجَانُ^(٦)

= (الرَبْوَة) هِيَ مَتَرَتُهُ دِمَشْقُ الْقَرِيبِ. وَقَدْ وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّزُوا ذَاتِ قَرَارٍ وَمِعَاجِ﴾. قَالَ يَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ: هِيَ مَوْضِعٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أُنْزَهُ مِنْهُ. (١) الْعُيُونُ: عَيُونُ الْمَاءِ يَسْمَعُ خَرِيرَهَا مِنْ أَلْحَانِ الْبَلَابِلِ وَالْعَصَافِيرِ فِي الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ. (٢) جَمْعُ فَوْفٍ، نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْمُرَادُ هُنَا الزَّهْرُ.

(٣) بَرْدَى هُوَ نَهْرٌ دِمَشْقُ، يَنْبُعُ مِنْ جِبَالِ الزُّبْدَانِيِّ عَلَى مَسَافَةِ أَرْبَعِينَ كِيلُو مِتْرًا وَنِيفَ مِنْ دِمَشْقُ فِي شِمَالِهَا لُغْرُبَ، وَيَنْحَدِرُ فِي وَادِي بَرْدَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ يَنْبُوعَ (الْفَيْحَةِ) انْضَمَّ هَذَا إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْفَصِلُ عَنْهُ (نَهْرُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ) نَحْوَ الشَّرْقِ فِي لَحْفِ جَبَلِ قَاسِيُونِ، وَيَنْفَصِلُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ نَهْرُ ثَوْرَا، فَيَجْرِي فِي جَنُوبِ نَهْرِ يَزِيدَ، ثُمَّ يَنْفَصِلُ عَنْ بَرْدَى نَهْرُ (بَانِيَّاسَ) وَالْقَنَوَاتِ. وَيَدْخُلُ بَرْدَى مَدِينَةَ دِمَشْقَ مِنْ مَرْجَتِهَا الشَّهِيرَةِ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ مِنْهُ بَسَاتِينُهَا وَضَوَاحِيهَا الشَّرْقِيَّةَ انْصَبَ فِي بَحِيرَةِ الْمَرْجِ، وَكَانَ السَّرْيَانِيُّونَ يَسْمُونَهُ بَرْدَى (نَهْرُ أَبَانَا)، وَسَمَاهُ الْيُونَانِيُّونَ (خَرِيسُورُوثُ) أَيْ: مَجْرَى الذَّهَبِ.

(٤) يُشِيرُ الشَّاعِرُ إِلَى قَوْلِهِ: لَمَّا بَلَغَ لِبْنَانَ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى دِمَشْقَ:

لِبْنَانُ وَالْخُلْدُ اخْتِرَاعُ اللَّهِ لَمْ يَوْسَمَ بِأَزِينِ مِنْهُمَا مَلَكُوتُهُ

فَلَمَّا رَأَى دِمَشْقَ، عَلِمَ أَنَّهَا جَنَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَأَنَّ لِبْنَانَ هُوَ طَرِيقُ الْخُلْدِ.

(٥) «الْجَحَاجِحَةُ»: السَّادَةُ الْمَسَارِعُونَ فِي الْمَكَارِمِ.

(٦) «الصَّيْدُ»: الْأَنْفَةُ وَالْعِزَّةُ وَرِزَانَةُ الزَّهْوِ. وَعَبْدُ شَمْسٍ: جَدُّ الْخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ أَنْشَأُوا أَعْظَمَ مَمْلَكَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُتَّحِدَةٍ فِي الْقَارَاتِ الثَّلَاثِ.

يا فتية الشَّامِ شُكْرًا لا انْقِضَاءَ لَهُ
 ما فَوْقَ رَاحَتِكُمْ يَوْمَ السَّمَّاحِ يَدُ
 حَمِيلَةِ اللَّهِ وَشَنُّهَا يَدَاهُ لَكُمْ
 شِيدُوا لَهَا الْمُلْكَ وَابْنُوا رُكْنَ دَوْلَتِهَا
 لَوْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ مَفْقُودًا لَهُ خَطَرُ
 الْمُلْكَ أَنْ تَعْمَلُوا مَا اسْتَطَعْتُمْو عَمَلًا
 الْمُلْكَ أَنْ تُخْرِجَ الْأَمْوَالُ نَاشِطَةً
 الْمُلْكَ تَحْتَ لِسَانِ حَوْلِهِ أَدَبُ
 الْمُلْكَ أَنْ تَتَلَقَّوْا فِي هَوَى وَطَنِ



نَصِيحَةٌ مِلُّوْهَا الْإِخْلَاصُ صَادِقَةٌ
 وَالشُّعْرُ مَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرَى وَعَاطِفَةٌ
 وَنَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالْفُصْحَى بَنُو رَجِمِ
 وَالتُّضْعُ خَالِصُهُ دِينٌ وَإِيمَانُ
 أَوْ حِكْمَةٌ فَهَوَ تَقْطِيعٌ وَأَوْزَانُ
 وَنَحْنُ فِي الْجُرْحِ وَالْآلَامِ إِخْوَانُ

أحمد شوقي



كلمة عن قصيدة شوقي الدمشقية

ماذا يقول الإنسان عن شعر شوقي بأجمعة، فحسب الإنسان أن يقول إنه شعر شوقي، أو أن ينشد قول شوقي نفسه:

ما كلام الأنام في الشمس إلا أنها الشمس ليس فيها كلام

(١) القيم والجَنَان بمعنى البستاني: الأول اصطلاح عراقي، والثانية اصطلاح أندلسي.

وقصيدته التي قالها مؤخرًا في دمشق لا أتوخي وصفها من حيث أنها شعر؛ لأنها من النسج نفسه، ومن القريحة بعينها التي لا تسيل إلا بالبدائع، والتي هي كالغيث لا يُدرى أأولُّه خيرٌ أم آخره. ولكنني معجب بما فيها من المرامي القومية والمنازع الوطنية التي أثبتت لنا ما كنا نأمله من مبادئ شاعرنا الأكبر، التي تزیده حبًّا ومكانة لدى الأمة العربية، وتبين به عن غيره من المصريين الذين لما دعاهم الفرنسي في الصيف الماضي إلى اجتماع عقوده في لبنان تقارضوا وإياهم الثناء وتكلموا عن سورية في كل شيء إلا عن استقلال سورية...!

أما شوقي فحقق أنه كما ضارع أبا تمام، والمتنبي في الشعر، فقد ضارعهما في الحمية على قومه، وأنه بالفعل شاعر أمة، انظر إلى قوله:

حتى انحدرتُ إلى فيحاءٍ وارفٍ فيها الندى وبها طيٌّ وشيبانُ
نزلت فيها بفتيانٍ جحاحجةٍ آباؤهم في شباب الدهر غسانُ
بيض الأسرّة باق فيهم صيّدٌ من عبد شمس وإن لم تبق تيجانُ
فهل تجري هذه الألفاظ على لسان لم يكن وراءه قلب مفعم بالعربية؟

ثم انظر كيف يثير همم الشاميين إلى تحرير وطنهم، ونفض غبار السيطرة الأجنبية عن أنفسهم، وهم أهل السماحة والسجاجة، فهو يقول:

ما فوق راحتكم يوم السماح يدٌ ولا كأوطانكم في البشر أوطانُ
خميلة الله وشتها يداه لكم فهل لها قيم منكم وجنانُ
نعم! إن شوقي يقول: إن الشام هي جنة الله في أرضه؛ لكنه يريد أن يكون جنانها منها لا غريبًا عنها، ثم إنه يقول، ولا يتلجلج:

شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها فالملك غرسٌ، وتجديدٌ، وبنانُ

نعم، والله ما الملك إلا الغرس، والتجديد، وإدارة الحائط حول ما غرست
وجددت، ثم إنه يعرف الملك، بقوله:

الملك أن تعملوا ما اسطعتمُ عملاً وأن يبين على الأعمال إتقانُ
أي: أن تصلوا في العمل إلى الدرجة القصوى، فلا تدخروا مجهوداً، ولا
تُحجموا عن مستطاع، فإن الممالك أعمالٌ لا آمال، ولا بد لكم من أن تجودوا
الأعمال حتى يظهر عليها أثر الكمال.

ثم كأنه لاحظ ما في بر الشام من خلق الكرم وفرط السخاء، منحصرًا ذلك في
الولائم والمآدب، والمطاعم والمشارب، حتي اذا جيء إلى مصلحة وطنية
ومشروع عام؛ كزّت الأيدي وجمدت النفوس، واثقل من عهده أسرع الناس
مهزّة، فقال:

الملك أن تخرج الأموال ناشطة لمطلب فيه إصلاح وعمرانُ
فعساك تُسمع الصم يا شوقي، ويكون كلامك صور إسرائيل!
ثم حث الناس على العلم والأدب؛ لأنهما من لوازم الملك، وأبنية الدول،
فقال:

الملك تحت لسان حوله أدبٌ وتحت عقلٍ على جنبه عرفانُ
لغة ذات آداب، وعلمان مطبوع ومسموع، ثم قال:
الملك أن تتلاقوا في هوى وطنٍ تفرقت فيه أجناس وأديانُ
وهي النصيحة الكبرى والعروة الوثقى التي لا بد منها لأحراز الملك،
وتأسيس الاستقلال، لاسيما في قطر كثرت أجناسه وتعددت أديان أهله، ثم
قال:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفةً وحكمةً فهو تقطيعٌ وأوزانُ

أبى شوقي بحمية نفسه وجائشة صدره أن يجعل قصيدته عن دمشق أوصاف جنان، وذكرى روح وريحان، والترنم بأفواف نبات هي أصباغ وألوان، دون أن يذكر قومه بمجدهم السالف، ويعطف عليهم في بؤسهم الحاضر، ويبيدي لهم رأيه فيما يجب أن يعملوه ليلموا شعثهم، وبمثل هذا تتفاضل الرجال، وتتفاوت الآماد في الأخلاق، ثم صرح بالتضامن، الذي كنا نحب أن نسمعه من كثير من المصريين، ونادى بالأخوة بين الناطقين بالضاد والمتجاورين في الشرق نداءً أغلى قيمته عندنا أنه صُداح بلبل وادي النيل، والطائر المحكي في الشرق كله، وأشار إلى أنه إن لم يكن لنا جماعة سوى تشابه الحالات وكون السلسلة واحدة لكفى، فقال:

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجُرح والآلام إخوانُ
كانت هذه القصيدة برهاناً لشوقي على أنه في الحمية القومية والنُصرة العربية كما هو في الملكة الشعرية والعبقرية البيانية، ندُّ لأبي تمام في قصائده على غزوات المعتصم، وللمتنبى في وصفه غارات سيف الدولة، وأنه لا يكتفي بأن يكون عربي اللسان، حتى يكون عربي الجنان، ولله ما أشجى قوله في هذه القصيدة:

بنو أمية للأنبياء ما فتحوا وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
بالأس قمتُ على الزهراء أندبهم واليوم دمعي على الفيحاء هتَانُ
لولا دمشق لما كانت طليطلةُ ولا زهت ببني العباس بغدادُ
هنا مجرى السوابق ومجرُّ حديث الغابر، ومفاضل العبرات من المحاجر، ومجلى روح شوقي بتمامها بين ذلك الأول، وهذا الآخر.

ثم يقول:

تغير المسجد المحزون واختلفت على المنابر أحرار وعبدانُ
فلا الأذان أذان في منارته إذا تعالى ولا الأذان آذانُ

كنت أحب أن يقول هنا :

إذا الأذان أذانٌ في منارته وقد تعالى فما الأذان آذانُ
لأن الأذان باقي كما هو في الواقع ؛ ولكن السامعين اليوم غير السامعين بالأمس .
«والخلاصة» : أننا نسأل الله ألا يُسكت «هذا الطائر الغرد» ، والشاعر الفرد ،
الذي يسلي العرب على مصائبهم ، وينهض بهم إلى استئناف معاليهم ، واسترداد
ماضيهم .

جنيف في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥

شكيب أرسلان



هل استيقظ الشرق؟

مما يعنى الغربيون بدرسه وتفهمه ، مسألة اليقظة في الشرق ، والعناصر التي
تتألف منها ، وهل هي يقظة حقيقة أم لا ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية معهد
سياسي اسمه «معهد وليمستون» ، أسس لترويض الأذهان على المشاكل الدولية .
وقد أصدر هذا المعهد أخيراً كتاباً عنوانه : «يقظة الشرق» ، مؤلفاً من فصول
بأقلام الأخصائيين في الأمور الشرقية ، ومنهم السير «فالتين تشيرول» الإنكليزي
الذي تناول الكلام على : مصر ، والهند ، وأكد القول بأن يقظة الشرق حقيقية .
ومما قاله : إن الغرب قد عجز الآن عن تضيق الخناق على الشرق ، فينبغي
لرجال السياسة أن يهتموا بدرس هذه اليقظة وتفهمها .

ومن فصول الكتاب ، فصل بقلم المستر «تورسيني» الياباني ، ومن رأيه أن
الشرق لم تتم يقظته بعد ، ولكنه سيستيقظ لا محالة عما قريب .

الشعر والمطمح القومي

الشعرُ الذي يصدر من القلب ليدخل في القلب، ما برح -منذ القِدَم- حاديّ موكب الأمة في سُراها الهادئ نحو المطمح القومي، وصوت القيادة العالي في يوم الملحمة إذا غُمَّ على الأمة أمرُها، وإنَّ الكلمة البارعة يرسلها الشاعر في الموقف الرهيب -وقد استمدّها من أصوات الإلهام التي تخاطب ضميره من أعماق الماضي وطّيّات الحاضر وأغوار المستقبل - لا تلبث أن تفتى من دونها جُمُجُماتُ الحيرة، ويخفت بها لَغَطُ الهوى واليأس والاستكانة، وخليقُ الشاعر -وقد آتاه الله هذه الموهبة- أن يكون في كل موقف من مواقفه حسنَ التصرف في هذه القوة السامية التي لها أثرها البليغ في سير الأمة ومصيرها، وأن يكون متينَ الأخلاق، حاضر الذهن، متبَيَّنًا من أنه وهو يندفع في الإحسان إلى قوميته من ناحية لا يجترم الإساءة إليها من ناحية أخرى.

أردتُ أن أتكلّم على الشاعر العربي وواجهه نحو المطمح القومي؛ وشاعرُنَا ما برح مشاركًا في حمل أعباء الواجب نحو القومية من قبل زمن امرؤ القيس، وسيبقى كذلك أبد الدهر، غير أنَّ فهمه لمعنى القومية قد دخل في عدّة أطوار، بتأثير الكيان السياسي والاجتماعي، ولقد كان هذا الكيان وما برح في كل زمان ومكان المُعْجَم الذي يرجع إليه الشاعر في فهم معنى القومية.

وأما الطور الأول فكان زمن «حياة القبيلة»، وكان إذا نبغ الشاعر في القبيلة يومئذ أصبح مفخرة من مفاخرها، وجاءت القبائل تهنتها بنبوغه، ونيط به أمر الدفاع عن شرفها وحقوقها، وأيُّ موقف للشاعر أنبلُ من موقف الحارث بن حلّزة في مجلس عمرو بن هند، ملك الحيرة، وبينهما سبعة ستور، فجعل يرتجل معلقته ارتجالًا، في الدفاع عن حقوق قبيلته بني بكر بن وائل على خصومها بني

تَغْلِب، ويستدلّ في وجوه دفاعه بحوادث التاريخ، وكان متوكِّناً على قوسه وهو ينشدها في محضر جموع من أنصاره وأعدائه، فافتُطم كفه من شدة تفكيره وهو لا يشعر.

وكانت أمّ عمرو بن هند إلى جانب ابنها الملك تسمع البلاغة تتدفّق على لسان الحارث، فقالت: «تالله ما رأيتُ كالיום قطّ رجلاً يقول مثل هذا القول يُكلّم من وراء سبعة ستور...».

فما زال الملك يقول: «ارفعوا سترًا وأدنوا الحارث»، حتى أقعده قريبًا منه على مجلسه، وحكم لبكر بن وائل على تغلب. وأمر الحارث ألاّ ينشد قصيدته إلا متوضّئًا.

ولما انتقل الناطقون بالضاد من «حياة القبيلة» إلى «حياة الدولة»، كان للشعر العربي أثره الذي لا ينكر في كيان الدولة، وكانت مكانة الشاعر فيها سامية الذرى رفيعة الشأو، يغبطه عليها أكبر أعيان المملكة ثروة وأعظمهم جاهًا.

ثم أصيبت الأمة بكارثة هجوم الجنس المغولي من الشرق والجيش الصليبي من الغرب، وجاء دور الطوائف، واستعجمت الحكومات، فانحدر الشعر العربي إلى «طور آخر»، يصح أن يكون مرآة للمجتمع يومئذ بكل ما كان لذلك المجتمع من حسنات وسيئات.

وما برح كذلك حتى صار هذا الشرق العربي تحت تأثير المعارف الحديثة والضغط الأوروبي والرجوع إلى درس البلاغة القديمة والاقتراس من الأدب الغربي، فنبغ فينا إسماعيل صبري، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، والأمير شكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي، وسليمان البستاني، وكان للشعر بهم، وبسائر فحول هذه الطبقة «طورٌ جديد» دعونه الشعر العصري، وفي ظني أن هذا الدور يتدبّئ في أوائل الربع الأخير من القرن

التاسع عشر، وينتهي في أواخر الربع الأول من القرن العشرين. ويخيل إليّ أننا الآن في فجر «الطور المنتظر» للشعر العربي من الوجهة القومية التي هي موضوع هذا المقال.

وقد بشّر شاعرنا الأكبر شوقي بك بهذه الوجهة القومية الجديدة للشعر العربي في طوره المقبل، وذلك يوم أرسل من دار (المجمع العلمي العربي) بدمشق إلى جميع أنحاء العالم فريدته الدمشقية العصماء في هذا الوصف، وختمها بقوله:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً، فهو تقطيع وأوزانُ

ونحن في الشرق والفصحى بنورحم ونحن في الجُرح والآلام إخوانُ

فإذا كان شعر العاطفة والوجدان يستمدّ نغماته من إلهام المحاسن في الطبيعة الواسعة، فإن الشعر القومي يستمدّ نبراته من مصادر فسيحة المدى أشرت إليها في صدر هذا المقال، وهي إلهام التاريخ، وإلهام المصير، وبينهما آلام المجتمع الحاضر وآماله، وروح العصر التي ليس في استطاعة حيّ أن ينسلخ عنها، ومرجعُ هذه المصادر الثلاثة إلى المعنى الاجتماعي للقومية السائد في عصرنا الحاضر، فإذا كان الحارث بن حلّزة معدودًا من شعراء القبيلة؛ فذلك لأن حياة العرب في عصره كانت «حياة قبيلة»، وإذا كان جرير، والفرزدق، وأبو تمام، والبحتري، وأبو نواس، معدودين من شعراء الدولة؛ فذلك لأن الحياة الاجتماعية في زمانهم كانت «حياة الدولة».

أما نحن اليوم فإننا نعيش في عصر يسود فيه معنى «حياة الأمة»، والأمة في العرف العامّ ليس لحياتها حدّ، فإذا أرسل الشاعر نظرته البعيدة؛ ليرى أمتة تراءت له مواكب الأجيال الماضية، والأنسال الآتية، منضويةً كلها تحت لواء شعره، مصغية إليه، قريرة العين بإحسانه، ممتعة من هفواته وغلطاته، فيعتزّ بمفاخرها، ويشيد بذكر من نبغ فيها من أبطال وعلماء وعظماء، داعيًا آخرها إلى

إكمال ما بدأ به أولها وتلافي ما فات، وعنده أن كل ما خلّفه الماضي للحاضر، وما سيخلّفه الحاضر للآتي، من بلاغة وحكمة وابتكار، هو من ثروة الأمة التي لا ينضب ينبوعها ولا تفتنى مادتها.

هكذا يفهم جيراننا أدباء الترك اليوم معنى «الأمة»، ولمثل هذا المطمح يُعدّون شعرهم القومي، فإذا قالوا «ترك» فإنهم لا يخفون هذه اللفظة في مدلولها المحدود بحدود الأنضول؛ بل يُوسعون لها المجال إلى بخاري، وسمرقند، وما وراء ذلك من فيافي شاسعة وجبال متسلسلة، غير مبالين بما بين هذه الأقطار من تفاوت في المرتبة الاجتماعية، ولا بما يفصلها على الخريطة من خطوط وألوان، وإذا قال التركي «قومي»، فإنه لا يريد من هذه الكلمة المعنى الصغير الذي عناه قريط العنبري يوم قال:

لكن «قومي» وإن كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
ولا معنى النسب الذي يفهمه قارئ «التوراة» إذا أتى فيها على ذكر الأمم، فإنَّ
الأنساب بوجه عام لا يقوم عليها بنیان القوميات في الحضارة، ولو كان الأمر
كذلك لنفض رجال تركيا أيديهم من ذكر القومية والاعتماد عليها؛ لأن الأنضول
وهو عمادهم في ذلك إنما يرجع بأنسابه وتكوين سحنه سكانية إلى الإغريقية
والأرمنية والكردية.

فالشاعر التركي في كل ما يرمي إليه من مطمح قومي يقول مع شاعرنا «كفى
جامعاً هذا اللسان»^(١)، ولا يعبأ بالقوميات التي كانت في الأنضول قبل أن يتخذ
الأنضول اللغة التركية لغة له.

(١) بل كفى بالإسلام جامعاً للأمة. وتُراجع المقدمة لمعرفة الظروف التي كتب فيها الأستاذ
محب الدين الخطيب مثل هذا المقال، ومعرفة رأيه في الإسلام والعروبة (س).

والقوم/على صواب في ذلك؛ لأن أمم الغرب نفسها ترجع إلى جامعة اللسان دون جامعة الأنساب، وتعدّ الأديب الكبير «أميل زولا» من مفاخر فرنسا، وإن كان اسمه يدلّ على رجوع أصله القريب إلى إيطاليا.

ومسألة أخرى ذات أهمية كبرى في تعيين المطمح القومي ستكون منها عما قريب تُجاه أمر واقع، وهي أن الدنيا تتطوّر الآن تطوُّراً سياسياً ينطوي تحته معنى قومي: ففي أوروبا فكرة اتحاد لاتيني يقابله اتحاد آخر لا يبعد أن يكون فيه الإنكليز والجرمان معاً، وفي أقصى الشرق فكرة الاتحاد الأصفر، وستتحقق إذا خففت اليابان قليلاً من مطامعها.

وثمة فكرة الاتحاد الحلفي في الشرق الأوسط الأعجمي، وعماده تركيا وفارس والأفغان، وتلتحق به حكومات القفقاس متى سنحت الفرصة، وإن ذوي الشأن في أنقرة وطهران وكابل تكاد تختمر هذه الفكرة عندهم، ومن ورائهم كثيرون من رجال العمل يسعون لتحقيقها، وما ذلك ببعيد في الزمن الذي نعيش فيه. وهذا الاتحاد العظيم - وهو قومي أكثر مما هو دولي - لا يمكن أن ينظر بعين الحرمة إلى الشعوب الناطقة بالضاد في غرب آسيا وشمال إفريقيا، إلا إذا بدأت تفهم معنى القومية على النحو الذي يفهمه الترك ولفيفهم، وأوروبا وجموعها، ولا ينتظر أن ينهض بهذه المهمة العظمى عندنا إلاّ الشعراء: لبعد نظرهم، وعلو هممهم، ولأنهم حُدّاة الموكب، ومن أفواههم ينبعث صوت القيادة في الساعات العصيبة.

ونحن إذا رأينا من أفن الرأي انسلاخ الترك عن الجامعة الإسلامية وتقطيعهم أواصر كانت تجمع بين شعوب هذا الشرق الضعيف، فإننا نحمد لهم ما يعملونه لحياطة قوميتهم من عوامل الانحلال، وتلقيحها بعناصر القوة المستمّدة من إلهام التاريخ وحاجة العصر وأمل المصير.

ولا يفوتني وأنا أتكلم على الشعر من الوجهة القومية أن أعزو الأعمال إلى أهلها، فإن هذا المعنى العام الذي صار الترك يفهمونه من لفظ «الامة» إنما هو من عمل شاعر التورانية الأعظم محمد أمين بك، في نشيدته الكبرى التي عنوانها: «أيها الترك انتبهوا!»^(١)، وفي ديوانه الحافل «زماره الترك»^(٢)، وفي مجموعته الأولى «الأشعار التركية»^(٣)، ومجموعته الثانية «في قرى الأنضول»، وهو أيضًا من عمل يوسف اقجورا في كتاب «جنكيز»، وأحمد آغايف في كتاب «العالم التركي»، وكوك ألب في كتاب «التفاحة الحمراء»، وخالدة أديب في كتاب «توران الجديدة»، وفؤاد كويربلي في «دعاء التركي». فهؤلاء هم الذين أنشأوا ناشئة تفهم أن الأمة التركية غير محصورة في داخل الأنضول؛ بل هي تمتد من أقصى الشرق في روسيا إلى أقصى الغرب في تركيا، فنشأت على ذلك الطبقة الجديدة من الشعراء وحملة الأقلام.

وإذا كان الترك مضطرين إلى الاعتزاز بأمثال قره خان، وأوغوز، وآتلا، وجنكيز، وتيمورلنك، وياووز؛ فإن للشاعر العربي في تاريخه القريب والبعيد مفاخر يفنى الدهر ولا تفنى أناشيدها وأغانيتها.

محب الدين الخطيب



(١) أي: تورك أويان: شركة المطبعة الخيرية بالقسطنطينية، ١٣٣٠.

(٢) تورك سازهي: شركة المطبعة الخيرية، ١٣٣٠.

(٣) طبعت مرارًا.

العربية والإنكليزية

قال القس س. م. زويمر في كتابه «جزيرة العرب مهد الإسلام»: «يوجد لسانان لهما النصيب الأوفر في ميدان الاستعمار المادي، ومجال الدعوة إلى الله، وهما: الانكليزي والعربي. وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء مستودع النفوذ والمال، يريد كلٌ منهما أن يلتهم الآخر، وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشري. أعني النصرانية والإسلام».



أسنان الذهب عند العرب

روى السيوطي في طبقات النحاة أن مُعَاذ بن مسلم الهراء كان يشد أسنانه بالذهب من طول ما عَمَّر. ويظن بعضهم أنه أول من وضع علم التصريف. ولد أيام عبد الملك بن مروان، وتوفي سنة ١٨٧، ومات أولاده وأولاد أولاده وهو باق، حتى قال فيه أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر من قصيدة:

إن مُعَاذ بن مسلم رجلٌ ليس لميقات عمره أمدٌ
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدَّهر، وأثواب عمره جددٌ
يا نَسر لقمان كم تعيش وكم تاكلُ طول الزمان يا لُبْدُ!



النقود الإسلامية في شمال أوربا

قال الأستاذ محمود بك سالم في خطبة له كان ألقاها يوم ١٩ المحرم عام ١٣٢٣هـ في الجمعية الجغرافية الخديوية: روى الدكتور جورج ياكوب أنهم وجدوا عام ١٨٣٦ نقودًا إسلامية في جهة (ميودال) من أعمال (ميرار) في جزيرة (اسلاندة)، بل وفي (غروينلاندة) على مقربة من القطب الشمالي. ولكن لم يظهر حتى الآن كيف نُقلت تلك النقود الإسلامية إلى المنطقة الجليدية.

وُجِدت كنوز عديدة من النقود الإسلامية في كثير من الأقطار الأوروبية الشمالية، وخاصة في روسيا، وألمانيا، والسويد. وقد أحصى الأستاذ (تونبرغ) عام ١٨٥٧ المحلات التي أخرجت منها النقود العربية في بلاد السويد وحدها فبلغ عددها ١٦٩ موضعًا.

وأحصى الدكتور (هانس هيلد براند) عام ١٨٧٣ قطع النقود الفضية العربية التي عُثِر عليها في جزيرة غوتلاندة وحدها على صغرها فأرَبى ما أحصاه على ١٣ ألف قطعة.

«ووجدوا نقودًا بلغارية وألمانية ونورمندية وانكليزية سكسونية موشاة بخطوط كوفية جميلة».



قتل الأفراد وقتل الأمم

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر!

والحق للقوة لا يُعطاء إلا من ظفر
ذي حالة الدنيا فكن من شرها على حذر

أديب إسحاق



الزكاة الشرعية دواء الاشتراكية

مهما ارتقى نوع الإنسان وتوفرت لدى آحاده وسائل السعادة والهناء، لابد أن يبقى بعض أولئك الآحاد مقصرين عن بقية إخوانهم في تحصيل أسباب الهناء ومقومات السعادة، ومهما اهتم العقلاء والمصلحون في التسوية بين أفراد النوع في ذلك، كان اهتمامهم عبثاً؛ لأن في هذه التسوية مقاومة لطبيعة الكائنات التي فطرها الخالق تعالى على التباين. ولكن إذا كان من سنن الله وحكمته أن يبقى أفراد من البشر غير مساوين للآخرين في الحظوظ ووسائل السعادة، وفي الثروة والنسب - فليس معنى هذا أن يُنبذ أولئك الأفراد، ويُغضى عنهم، ويترك السعي في تخفيف بؤسهم وجلب الخير إليهم، وإلا كنا كذاك الذي كان يُسرح سائمه السمين في الأرض الممرعة ذات الماء والكلاء، ويترد الأخرى العجفاء إلى القفر حيث لا ماء ولا شجر، ويعتذر عن فعلته هذه بأنه لا يُسعد ما أشقى الله، ولا يشقي ما أسعد الله!

هذه الطبقة البائسة من بني البشر هي موضوع عناية الله، وإن معظم اهتمام الرُوحى والأنبياء وعقلاء البشر موجهة إليها، وربما كانت روح الدين أو الغرض الأصلي منه تعزية الفقير وتسليته عما فقد من حظوظ الدنيا، بما سيكون له في الآخرة، ولم تكن الديانة الإسلامية بذلك، وبأن تقول للغني تمتع بغناك،

وللفقير اصبر على فقرك وبلواك، بل شرعت لهما من الأحكام، ما يأخذ بحجزهما عن النزاع والخصام، فهي قد أثبتت للأول حق الملكية وحق التصرف فيما يملك من دون مشارك أو منازع، ونهت الثاني أن يمد عينيه إلى ما في يدي الغني، وأن يتعرض له بالسؤال، وعلمته أن يترفع عن هذه الخطة، وأن يُكرم نفسه، ويستعمل ما آتاه الله من المواهب والقوى في تحصيل ما يتوق إليه، من مائدة النعم الإلهية المبسوطة بين يديه، فإذا سعى أولئك البائسون وكدحوا ولم يوفقوا، هل نبقى على كلمتنا الأولى من أن الأول سيدٌ في غناه، والآخر عبدٌ لفقره وبلواه؟

هنا يتغير وجه المسألة، ولا يعود يكتفي الدين بذلك؛ بل يلزم الأغنياء أن يُشركوا الفقراء في أموالهم، وسمى تلك الشركة «زكاة»، وحدد أصولها ورسم خطتها بما لم يدع مجالاً لقائل.

فجعل للفقير -بعد أن يتحقق أنه مصرف للزكاة- حقاً في قدر معين من مال الغني، وهو ربع العشرة، أي جزء واحد من أربعين جزءاً، فمن كان لديه أربعون ألفاً كان للفقراء منها في آخر السنة ألف واحدة. وجعل ذلك فرضاً عينياً على الغني لا هواة فيه، ولا تدنو حيلة منه.

بهذه الألف يواسي الغني كلوم الفقير، ويقدع طمعه وتطلعه الذي هو منبعث الشرور والعدوان، وهذا القدر -كما ترى- زهيد، ومع هذا لم يدع الشرع حث الفقير على السعي والكسب، وألاً يكون عالة على الغني؛ بل علّمه أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ونبهه إلى أن الأخذ إنما يجوز له إذا كان بحيث لا يتمكن معه من السعي وتحصيل تكاليف معيشته، وأداء هذه الألف يحمل الغني على الجد والعمل، وترك البطالة والكسل، خشية أن تذهب الزكاة بماله رويداً رويداً، فهو يسعى في تثيره، حتى إذا أخرج منه ألفاً في السنة أضاف إليه آلافاً من باب الاكتساب وتقليب المال في صنوف المتاجر.

ففي إخراج هذه الألف دواء للحالة الاجتماعية - في إخراجها تهدئة قلب الفقير، فلا يعود يضطرب ويغلي فيه الحقد وحب الانتقام والعدوان، وتحريك ليد الغني فلا يميل إلى البطالة فالترف والفسوق.

إذا قدرت الأموال التي يجب فيها الزكاة في مدينة من المدن الإسلامية بمليون جنيه، كانت زكاتها في السنة خمسًا وعشرين ألف جنيه، وهو جزء من أربعين جزءًا من رأس المال.

لا جرم أن إنفاق هذا المبلغ في كل سنة على فقراء تلك المدينة يُنفس كربهم، ويُرفه من حالهم.

وللفقهاء في هذا المقام قولٌ أنا لم أفهم مغزاه إلى الآن: قالوا إنه لا ينبغي أن يعطي المزكي للفقير من زكاة أمواله مقدار النصاب: فلا يعطيه خمسة جنيهات مثلاً دفعة واحدة؛ بل أقل منها، وذلك لئلا يصبح الفقير غنيًا بهذا النصاب، ويصير ممن يجب عليهم إخراج الزكاة، فلا يكون المزكي جرّ إلى الفقير مغنماً، وإنما حمّله مغرمًا، وهو إيجاب الزكاة عليه! ولقائل أن يقول: إن في إعطاء الفقير نصابًا وافيًا أو أنصاء -مساعدة له في توفير رأس مال في يده، فهو إذ ذاك يضمن به دون بذله في تافهات الأمور، ويحتفظ به، ويأخذ في تقليبه في الكسب والتجارة، وربما أصبح بسببه بعد حصة من الزمن ذا ثروة طائلة، ينتفع الفقراء بزكاتها كما انتفع هو بثروة غيره.

فريضة الزكاة من أفضل الفرائض التي شرعها الإسلام؛ لسلامة الاجتماع وحفظ الموازنة المادية والأدبية بين الآحاد.

وقد أهمل المسلمون أو معظمهم القيام بهذه الفريضة، فلم يعودوا يجنون ثمراتها المقصودة للشارع في تشريعها.

نعم، إن في المسلمين -والحمد لله- من يزكي، ولكن ليس لذلك من حسن الأثر في مجموع الأمة مثل ما يكون لو أخرج كل أهل مدينة زكاة أموالهم مسانهةً، وتحت نظام يتكافلون على الجري عليه والذود عنه، وإذا بحثنا عن الأسباب التي ربما كانت هي الحائلة بين المسلمين وبين اطراد إخراج الزكاة وجني ثمراتها الاجتماعية، وجدناها لا تتعدى هذه الأمور:

١- ترك إخراجها إلى تقوى المرء، بحيث لا يكون له محاسب سوى نفسه، ولما انحطت الأمة في علمها ومجموع أخلاقها وشئونها الاجتماعية والسياسية - تبع ذلك إهمال للفريضة وتهاون في شأنها، فلم يعد يُخرجها إلا القليل ممن تشعب بروح الدين.

٢- وهؤلاء القلائل الذين يُخرجون الزكاة إنما يوزعونها مبالغ طفيفة حسب رأي الفقهاء، كما ذكرنا آنفاً، فلا يكون لها أثرٌ في تحسين حالة الفقراء الذين أدت الزكاة إليهم.

٣- ثم إن مصارف الزكاة، أي: مستحقيها، اختلط حابلهم بنابلهم، فلم يعد يُعرف المستحق من غيره، وربما كان في هذا ما يُثبط عزائم المزكين عن إخراجها طيبةً بها نفوسهم.

ولو أُلّف في كل بلدة إسلامية لجنة من أهل الدين والعفة والأمانة، بحيث تتوفر على الوساطة بين الأغنياء والفقراء، وتعد لذلك عدته من اتخاذ الأعوان والنقباء: للبحث عن المستحقين، وما مبلغ حاجة الواحد منهم؟ وأيهم الأكثر استحقاقاً وأشدّ عوزاً؟ ثم تتناول هذه اللجنة أموال الزكاة -التي قدرناها بخمس وعشرين ألف جنيه- من الأغنياء، وتصرفها بالوكالة عنهم إلى الفقراء؛ لو أُلّف تلك اللجنة لكان خيراً للأغنياء والمعدمين معاً، ولظهر أثره الحسن في

المسلمين، بعد قليل من السنين. اللجنة أقدر على وضع الزكاة في مواضعها من الغني وحده، وإذا وثق الغني بتلك اللجنة ووكل إليها الأمر في زكاة ماله كل سنة؛ قلده غيره من إخوانه، وتسابقوا جميعاً في القيام بهذه الفريضة، وتمتع مجموعهم بفوائدها، وتخلص ضميرها من وخز إهمالها، والتفريط فيها، وتكون الفائدة أتم لو انبرى أفاضل علماء الدين وبحثوا عما إذا كان يجوز إنفاق أموال الزكاة في تعليم أولاد الفقراء والعلوم والصنائع، وإعطائهم رؤوس أموال يشتغلون بها، وبناء ملاجئ للزمنى، ومستشفيات للمرضى إلخ. وإذا جاز صرف مال الزكاة في تغذية أجسام أولئك البائسين، أفلا يجوز لنا صرفه في تغذية أرواحهم، وتهذيب نفوسهم؟

ومجمل القول أن قليلاً من مال الزكاة يُنفقه غني على فقير - لا ينفع الأمة النفع الاجتماعي المقصود للشارع من إيجاب هذه الفريضة، مثل ما ينفعها إذا كانت الأموال كثيرة تؤخذ بنظام وتُصرف بنظام، بواسطة لجنة إسلامية موثوقة بها.

إذا اتسعت دائرة العمران في أمة إسلامية، وانفسخ فيها مجال الأعمال، وقامت الحرب بين العمال وأرباب الأموال - على نحو ما هو حاصل في أوروبا وأميركا لهذه الأزمنة-، ثم جعل أغنياء المسلمين وأرباب رؤوس المال يخرجون زكاة أموالهم حسب الفريضة الشرعية، وجعلوا يصرفونها على فقرائهم وعمالهم بواسطة جمعيات خيرية أنشئت لهذا الغرض، هل تحسب أن تقوم في مدينة هذا شأنها جمعيات اشتراكية أو أحزاب نهليستية تعمل على العبث بالنظام، والكيد لحكومة البلاد، وإقلاق راحة العباد؟

إذا كان الغرض من المبادئ الاشتراكية أن نوفق بين الطبقة العالية والطبقات السفلى من الفقراء والعمال، وأن يكون لهؤلاء نصيب في الحظوظ التي ساقتها

لتقادير إلى أولئك -؛ فروح الاشتراكية تكون موائمة لروح الدين، ويكون
لاشتراكية من «الزكاة الإسلامية» دواء ناجع لدائها.

أما إذا كان الغرض من الاشتراكية معنى غير الذي قلناه^(١)، فلتبحث لها عن
دواء غير الذي ذكرناه، ولا نظنها تجده؛ بل لا نظنه موجوداً.

الشيخ عبد القادر المغربي



من شعر ابن رشيق رحمته الله

وحيء بالأمم الماضين والرسل	إذا أتى الله يوم الحشر في ظلل
أنفاسهم، وتوفاهم إلى أجل	وحاسب الخلق من أحصى بقدرته
تسوؤني؛ عسى الإسلام يسلم لي	ولم أجذ في كتابي غير سيئة
ورحمة الله أرجى لي من العمل	رجوت رحمة ربي وهي واسعة

□ صحبة الناس □

لا يصحبوه، فخلوا كل تدخيل	من يصحب الناس مطوياً على دحل
إن البعوضة قد تعدو على الفيل	لا تستطيلوا على صغفي بقوتكم
ورب مؤجمة في إثر تقبيل	وجانيوا المزح إن الجد يشبعه



(١) بل لها معنى آخر، ومفاسد كثيرة تُخالف الإسلام؛ كما بينه العلماء. انظر: رسالة «الأدلة
على بطلان الاشتراكية»؛ للشيخ ابن عثيمين رحمته الله. (س).

حول المعجم العربي

بعض حاجتنا العلمية - سلطان اللغة العربية - اللغة العربية وقاعدة التوحيد
- تدوين اللغة - نشوء المعجم العربي - عيوب معاجمنا - المعجم الذي نحن
في حاجة إليه.

□ بعض حاجتنا العلمية:

حقاً إنها لحالة محزنة!

أمة ناهضة، تموج أنحاء المغرب من آسيا بشعوبها، وتتغنى ربوع الشمال من
إفريقية ببيانها، ويرجع العالم الإسلامي في جميع الدنيا إلى مكتبتها وعلومها
باحترام وإجلال، وهي لا تزال - مع ذلك - فقيرة فيما لا غنى لأمة عنه:

من كتاب في التاريخ منقح محرر، يروي غلة الصادي من شباب هذه الشعوب
العربية التي تعرف دخائل ذلك الماضي المليء بالبطولة والمروءة والإحسان
والعرفان، والمتعرّ بالغلطات والتراخي والتقاطع والنسيان، ويستعين به أفاضلنا
على فهم ما كان أجدادنا متحلين به من سجايا نهضت بأعباء مجدهم، ثم ما طرأ
على الأمة من أخلاق وأمراض ودسائس وكوارث، أودت بنا إلى ما صرنا إليه
مع عزو كل فقرة إلى مصدرها، وإرشاد المطالع إلى جميع المراجع التي تمكنه
من الاستقصاء في التوسع إذا شاء.

ومن معجم يحيط بتراجم رجالنا في العلم والعمران والسياسة والحرب
والشعر والرواية والموسيقى^(١) وغيرها، من أقدم الأزمان إلى الآن، على

(١) الموسيقى محرمة، لافائدة للأمة من الاعتناء بها وبرجالها. (س).

اختلاف بلدانهم ومذاهبهم ومشاربهم، بحيث يجمع هذا المعجم من أخبار رجالنا خلاصة ما في كتب التراجم والطبقات والوفيات وأسفار الجرح والتعديل، وما تبعثر في كتب التاريخ والأدب وغيرها، مخطوطة أو مطبوعة، حتى لا يكاد يخلو من هذا المعجم الحافل ذكر رجلٍ يرد اسمه في كتبنا العربية؛ هذا مع الإيجاز البليغ والتنقيح المنخول، والتنبيه في نهاية كل ترجمة إلى الكتب التي توسعت في ذكر هذا المترجم له ليرجع إليها من أراد البسط والتفصيل.

ويزداد هذا المعجم حُسْنًا إذا كان له في آخره فهرس تُصنَّف فيها التراجم كلها بحسب العلوم التي اشتهر بها المترجم لهم: فتكون ثمة فهرس لطبقات الفقهاء والشعراء والأطباء والنحاة... إلخ، وأخرى بحسب البلدان كالمصريين والشاميين والعراقيين واليمانيين والمغاربة والأندلسيين... إلخ، وثالثة باعتبار المذاهب كطبقات المعتزلة والشيعة... إلخ، ورابعة بترتيب العصور لأعيان المائة الأولى والثانية والثالثة... إلخ.

وحاجتنا ماسة أيضًا إلى معجم جغرافي يحيط بأسماء البلدان والأماكن والجبال والأنهار والبقاع والقصور والمساجد والمباني الأثرية، وغير ذلك مما يرد ذكره في دواوين الشعر وكتب الأدب وحوادث التاريخ وتراجم الرجال، بحيث يجمع ما ذكره ياقوت إلى ما أورده أبو عبيد البكري، ومن أتى قبلهما أو بعدهما من جغرافي العرب المحققين، وإكمال ذلك بما حدث بعد هؤلاء جميعًا في وطننا الأكبر من بلدان ومباني وآثار عمرانية، والإشارة إلى الأسماء القديمة التي بدأت بأسماء مستحدثة، مع الاستعانة بالمصوِّرات (الخرائط) الموضوعية والعامة، التي تعين القارئ على فهم الوصف الجغرافي.

ونحتاج إلى معجم ثالث لجماعاتنا القومية والدينية: من قبائل ونحل ومذاهب وبيوت كبرى: ممن سجل لهم التاريخ آثارًا علمية أو سياسية أو

عمرانية، بحيث تنتظم في هذا المعجم كلُّ المعلومات المتفرقة في كتب الأنساب والتاريخ والتراجم عن هذه البيوت والجماعات، وجميع ما في كتب النحل والفرق من التحقيقات المنقحة عن هذه المذاهب، مع الحرص على اقتباسها من كتب أهلها بقدر الإمكان، والابتعاد عما يقوله أهل المذاهب المختلفة بعضهم في بعض.

وما لم تغلب العزائم والهمم -من أنصار العلم وأهل الاختصاص وذوي الحول والطول- على تذليل العقبات وتسهيل السبل لإظهار مثل هذه الكتب والمعاجم، وتقريب يوم انتشارها في أيدي الناشئة، فمن الصعب أن تكون لنا معلمة (دائرة معارف) للعلوم العربية والمعارف الإسلامية يمكن الاعتماد عليها؛ لأن هذه الكتب -إذا كانت تامة الإحاطة ومُشارًا فيها إلى جميع المصادر والمراجع مع تعيين مواضعها -هي الأساس للمعلّمة، وهي الطليعة بين يديها.

ولو كان في شبابنا العدد الكافي من المتطوعين لخدمة العلم، المنقطعين للاشتغال به، الذين يُؤثرون حياة الخلود على حياة الفناء؛ أو لو كانت لنا سجية التعاون والاشتراك في الأعمال التي لا يقوم بها الفرد وحده؛ أو لو كانت حكومات بلاد الناطقين بالضاد متشعبة بإدراك الواجب القومي، فتمد يد المعونة لمثل هذه الأعمال العظيمة كما تفعل حكومة الترك لهذا العهد؛ بل لو كان الأزهر -الذي يُنْفَق عليه من أوقافه ما لا يقل عن مائتي ألف جنيه مصري في كل سنة- أعد نفسه لتكوين الدعائم الأساسية في المعارف العربية والإسلامية، لو كان هذا كله -أو شيء منه- موجودًا، إذن لكانت تكون حركة التأليف والنشر في العالم العربي متمشية مع نهضة شعوبه، ولائقة بكرامته، وجديرة بممالكه الكثيرة، وسكانها الذين لا يُؤْتَوْنَ من قِلَّة.

وإذا كانت هذه المعاجم والكتب - بل و«المُعَلِّمة العربية الإسلامية» نفسها - معدودات من الضروريات لأمة ناهشة، فنحن في حاجة أمسّ، وفاقا أعظم، إلى ما هو أكثر استعمالاً، أعني «المعجم اللغوي» الذي لا تكون للأمة حياة علمية وأدبية إلا به، وهو ما أردتُ أن أتكلّم عليه في هذا المقال بتوسع، مكتفياً بالإشارة السريعة إلى مثل الكتب التي ذكرتها آنفاً.

وإن المجال في هذه الصفحات يضيق عن استعراض أسماء المعاجم العربية التي ألفها علماؤنا في اللغة من أيام الخليل بن أحمد رحمته الله إلى اليوم، وعن بيان مزية كل معجم ونقائصه والغرض الذي أُلّف لأجله والبيئة التي أُلّف لها؛ فإن تاريخ المعاجم جدير بأن نفرد له مقالاً خاصاً به.

□ سلطان اللغة العربية:

اللغة العربية فرع من اللغات السامية، وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلدانيون والآثوريون في العراق، والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون في الشام، والحبشة وراء الساحل الغربي من بحر القلْزُوم، ولها صلة عظيمة جداً بلغة قدماء المصريين. وكانت هذه اللغات في العصور الأولى متشابهة بحيث يُعتبرنَ كلهنَّ لهجاتٍ للغة واحدة، ولذلك استطاع سيدنا إبراهيم عليه السلام أن ينتقل بين العراق والشام ومصر والحجاز وأن يفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذا لم يكن يومئذ بين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد.

ولا نستطيع القول بأن واحدة منهن هي الأصل وأن الأخرى فروع عنها؛ بل الراجح أن اللغة الأصلية - التي ترجع إليها كل هذه اللغات - ذابت فيهن، غير أن الحالة التي كانت عليها كل اللغات السامية قبل ظهور الإسلام تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد أن العربية أرقاهن، ومعنى هذا أنها أعرقهن في القدم،

فلا يبعد أن تكون هي البنت البكر لأُمها السامية الأولى . وأرى أن من معجزات سيدنا محمد ﷺ التي لم يذكرها في جملة معجزاته ، أنه أعاد للبلاد السامية وحدتها القومية واللغوية بعد أن فرق بينها كُرُّ الأزمان ، وترامي الأوطان ، فأصبحت اللغة العربية لغةَ الأمم السامية كلها كما كانت أمُّها اللغةُ السامية الأولى لغتهم قبل التشتت والانقسام ، فحيثما ترى العربية راسخة الدعائم ثابتة الأصول بعضُ أبنائها بالنواجذ على آدابها وبديع أسرارها ، فاعلم أن ذلك عن إرث من اللغة السامية الأولى ، انتقل إلى بنتها البكر لغة زهير بن أبي سلمى ، وأبي تمام الطائي ، وأبي الطيب المتنبّي ، وحكيم المعرّة .

وقد انتشرت العربية في أواسط آسيا وجنوب أوربا حيناً من الدهر ، غير أنها تراجعت عنهما بتراجع الجيوش العربية ، ولم تثبت إلا حيثما كان لها من تراث أمها السامية أسس ودعائم .

فالوطن العربي الحاضر قائم على أساس صحيح من القومية ، وله من الاستحالات اللغوية سلطان شرعي خالد . وإذا كانت المطامع الأوروبية قد قطعت كل آصرة سياسية بين أطار الوطن العربي الأكبر فإن البيان العربي سيمثل دوره العجيب ، في المستقبل البعيد أو القريب ، والليالي من الزمان حبالى . . .

□ اللغة العربية وقاعدة التوحيد:

انبلج نور الإسلام في جزية العرب ، واللغةُ العربية سائرة إلى غاية لا تلائم قاعدة التوحيد ، التي هي روح الإسلام ، فكان للإسلام أثره الاجتماعي البليغ في ردها عن طريقها ذاك ، ومنعها من الاستمرار فيه ، فكما كانت اللغة السامية الأولى قد بلغت - قبل ألوف السنين - الطور الذي جعلها تنفر إلى لهجات صارت فيما بعدُ لغاتٍ مختلفة ، هكذا كانت العربية العدنانية - وهي بنتها البكر كما قلنا - تتحوّل رويداً رويداً إلى لهجاتٍ يتباعد بعضها عن بعض حتى يكون مآلها الافتراق .

وفي الواقع كانت العربية عند ظهور دين التوحيد لغةً قبائل : لربيعة في شمال جزيرة العرب لهجةً، ولتميم وقيس ومن انضاف إليهم في وسط الجزيرة لهجةً، ولكنانة وهذيل وثقيف وخزاعة أسد وضبة وألفافها من عرب الحجاز وتهامة لهجةً، فضلاً عن لغة اليمانيين في جنوب الجزيرة، وكانت لهجة القبيلة الواحدة تفترق عن لهجة غيرها في مادة اللغة وفي كيفية النطق بها.

ولما جمع الله العرب بالإسلام تحت لواء واحد، واثلت قبائلهم في السراء والضراء، واختلطت في السلم والحرب، في مواطنهم والبلاد التي فتحها الله لهم؛ كان للاجتماع والائتلاف أثرهما على ألسنتهم، فخطا بالعرب خطوات في سبيل توحيد اللغة: فبعد أن كانت اللهجات المتعددة مظهرًا من مظاهر الفرقة والضعف القومي، تحوّلت فيما بعد إلى سبب من أسباب الاتساع الأدبي؛ لأن تعدد الأسماء عند القبائل المختلفة للمسمى الواحد دعا عند تباري علماء الإسلام في تدوين مادة اللغة في الدفاتر والمعاجم إلى ما نرى من غناء اللغة العربية بالمفردات وكثرة المترادفات، وما كان من اختلاف تلك القبائل في كيفية النطق - من إمالة وتفخيم وهمز ومد وقصر - أفاد وسيفيد أهل كل قطر عربي في معرفة القبائل التي نزلت ديارهم في صدر الإسلام، وقبل ذلك وبعده؛ لأن افتراق القبائل في مصر والشام والمغرب وسائر الأقطار قد ترك أثرًا من لهجة كل قبيلة على ألسنة أهل البلاد التي نزلتها، وما نراه اليوم من اختلاف لهجات المصريين والشاميين والعراقيين والمغاربة راجع إلى أسباب هذا من أهمها.

علم القراء مما تقدّم أن الإسلام كان ينزع إلى التوحيد حتى في غير العقائد، وأن من مظاهر ذلك ما كان له من التأثير في توحيد اللغة العربية، وقد روى عشرون من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، ونصّ أبو عبيد على أن صحة هذا الحديث بلغت حدّ التواتر لكثرة رواته.

وأخرج البخاري ومسلم، عن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أن النبي ﷺ قال: «أقرأني جبريل على سبعة حروف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(١).

وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير السبعة الأحرف، ومن مذاهبهم فيها أنها سبع لغات، كل حرف منها لقبيلة، ورويت عنهم نصوص في تعيين هذه القبائل، فقال بعضهم: خمس في هوازن، واثنان لسائر العرب، وقال آخرون: لغة قريش ولغة لليمن ولغة لجرهم ولغة لهوازن ولغة لقضاة ولغة لتميم ولغة لطيء. وقال عبد الله بن العباس: لغة الكعبين، وهما كعب بن عمرو وكعب بن لؤي، ولبطونهما سبع لغات، ورأى آخرون أن السبعة الأحرف هي: الهمز، والإمالة، والفتح، والكسر، والتفخيم، والمد، والقصر، وهي أيضًا من لغات القبائل.

□ تدوين اللغة:

كان للتوحيد اللغوي والاجتماعي في الإسلام نوعان من التأثير في لغة العرب: أحدهما داخلي، والثاني خارجي.

فتوحيد الأمة العربية نفسها جعل لغة قريش التي ظهر الإسلام فيها تحت تأثير لهجات من اختلطت قريش بهم من سائر العرب، كما أنها هي نفسها قد كتب لها الغلبة عليهن؛ لأن الله اختارها لكتابة وحكمة رسوله ﷺ، ولأن الدولة الإسلامية مدة الراشدين، وبني أمية وصدر من بني العباس، كان كبار رجالها وذوو التأثير فيها من قريش، وبني عمومهم من مضر، فذهب ذلك بلغات القبائل الأخرى، ولم يبق منها إلا ما حفظه شعرها ومن اندمج في لغة قريش فصار منها.

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٩) ومسلم (٨١٩). (س).

أما التأثير الخارجي فقد تجلّى في اختلاط العرب بسائر الأمم، فنشر فيها لغة الضاد وأعاد إلى سلائل الأمم الساميّة وحدتهم اللغوية، غير أن اللغة العامية كانت قد انفرجت مسافةً الخلف بينها وبين الفصحى، فكان ذلك مما حمل علماء القرن الثاني للهجرة وما بعده إلى جمع مادة اللغة العربية من أفواه عرب البادية وفصحائها شعرائها ممن لم يصل تأثير الأعاجم إلى بيتهم ولم تُشب ألسنتهم شائبة، وكان عملهم هذا من أعظم ما خدم به علماء أمة قوميتهم. إنهم حفظوا مادة هذه اللغة، ذات الأسرار العجيبة والتكوين المعجز، ولو تأخروا في جمعها قرناً واحداً لكان ذلك الإهمال كارثة لا يقوى الزمان على تلافيها. إذن؛ فلنذكرهم بالرحمة والرضوان، ولنوسع لهم من قلوبنا وصدورنا موضع حرمة وإجلال يتوارثه عنا أولادنا إلى الأبد.

□ نشوء المعجم العربي:

لما انبى علماء السلف رحمهم الله لجمع اللغة العربية وتدوينها سلكوا لذلك طريقين:

«أحدهما»: يُنتقل فيه من جانب اللفظ إلى المعنى.

«والآخر»: يُنتقل فيه من جانب المعنى إلى اللفظ^(١).

«فالأول منهما»: موضوع لمن شعر باللفظ، كمن سمع لفظ «الشَّقَق»، أو رآه في كتاب ولكن جهل معناه أو هيئة مبناه، وهذه الكتب مرتبة على حسب المباني (الألفاظ)؛ ليتيسر للطالب أن يجد الكلمة في الموضع لمعقود لذلك المبنى؛ ليقف فيه على المعنى، والمعاجم كلها من هذه الصنف.

(١) مقدمة «الكافي في اللغة» لأستاذنا الشيخ طاهر الجزائري (ص ٣٣).

«والثاني» منهما: موضوع لمن شعر بالمعنى، كمن رأى «الشَّفَق» في السماء ولكن جهل اللفظ الدالّ عليه، وهذه الكتب مرتبة على المعاني، ككتاب المختصّ لابن سيده.

والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) أجزل الله له المثوبة أوّل من فكر في وضع المعجم للغة العربية^(١). وهو نابغة عربي من مفاخر الأزد، من بطن منهم اسمهم آل يَحْمَد.

«قال أبو الطيب اللغوي في كتابه «مراتب اللغويين»: «إن الخليل ألف كلام العرب على الحروف في «كتاب العين»^(٢) فرتب أبوابه، وتوفي من قبل أن يحشوه». والمفهوم من كتب التاريخ أن جماعة من العلماء من تلاميذ الخليل حَسَّوْا كتاب العين وأكملوه، ووقع فيه خلل لتعدّد الأيدي التي تداولته؛ ولكن من المحقق أن الخليل هو راسم خطة المعجم وواضع بنائه، وكتاب العين هو المعجم الأول في العربية.

ولقد ترقى المعجم العربي بسنة النشوء، فاجتاز طرائق ثلاثاً:

«الطريقة الأولى»: طريقة الخليل في كتاب العين، وتابعه عليها كثيرون، منهم: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر (٢٨٢-٣٧٠) في معجمه «تهذيب

(١) وكذلك كان أول من استقصى أنواع الألحان في أغاني العرب وذم أصناف النغم فيها، ووضع في ذلك كتاب «الموسيقى»، فكان آية في الإبداع. وهو أول من استقصى شعر العرب فاستخرج منه أوزان الشعر في علم سماه «العروض» وله فيه كتاب «الفرش» وكتاب «المثال»، ومات وهو يفكر في اختراع طريقة لم يُسبق إليها في تسهيل عمل الحساب، وهو الذي بسط النحو ومد أطنابه، وسبب علله، وفتح معانيه، وأوضح الحجاج، حتى بلغ أقصى حدوده، فلحن سيبويه من دقائق نظره ونتائج فكره، وحمله عنه سيبويه فألف فيه «الكتاب».

(٢) كان جماعة من أهل الغيرة على العربية شرعوا في طبع مختصره لأبي بكر الزبيدي بمدينة بغداد قبيل الحرب العظمى، وهذا المختصر خير من أصله، ولكنهم انقطعوا عن مواصلة العمل.

اللغة»، ثم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الضرير الأندلسي (٣٧٨-٤٥٨) في معجمه «المحكم».

وبيان هذه الطريقة أن الخليل كان يذكر الكلمة، وما ينشأ عنها بالقلب، فيذكر مثلاً مواد ضام وضمي ومضى وضمّ وأمض وأضم في موضع واحد، ويفرد كل نوع من الصحيح والمضاعف والمهموز والمعتلّ على حدة؛ ليمتاز كل نوع عن غيره.

والحكمة في ترتيب كتاب العين على ما تقدم: أن الكلمات التي تشترك في الحروف، وإن اختلفت في الترتيب، لا بد أن يكون لها معنى مشترك بينها، هو جنس لأنواع موضوعاتها.

ويدخل في هذه الطريقة ما جرى عليه نابغة آخر من نوابغ الأزد أيضاً -أي: من قوم الخليل بن أحمد- وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد (٢٢١ - ٣٢٣) إمام العصر الثالث في اللغة والأدب والشعر، فإنه ألف معجمه «جمهرة الكلام»^(١) وابتدأه بالثنائي أب ثم أت، ثم أث... إلى آخر الحروف. وانتقل بعد ذلك إلى بت، ثم بث، ثم بج... إلخ، وبعد الثنائي أتى على الثلاثي، ثم الرباعي، ثم ملحق الرباعي، وكذا الخماسي والسداسي وملحقتهما، وجمع النواذر في باب مفرد، وصنع ما صنعه الخليل من ذكر الألفاظ الثلاثية مع مقلوبها.

«الطريقة الثانية»: طريقة العلامة إسماعيل بن نصر بن حمّاد الجوهري، (توفي في حدود الأربعمئة)، وقد نظر فيها إلى أواخر الكلمات المجردة لا إلى

(١) عنى بتصحيحها الأستاذ كرنكو Krenkow الانكليزي وعارضها بسبع نسخ، وتستعد مطبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن (الهند) لطبعها.

أوائلها، فابتدأ كتابه بالكلمات التي أواخرها همزة، ورتب هذه الكلمات التي أواخرها همزة بحسب أوائلها فقدم ما أوله همزة ثم الذي أوله باء... إلخ، وبعد أن انتهى من الكلمات التي أواخرها همزة انتقل إلى ما أواخره باء، فقدم منه ما أوله همزة ثم ما أوله باء... إلخ، وترك طريقة الخليل في جمع الألفاظ ومقلوبها، ووضع المقلوب في بابه على طريقته.

ولا نعلم مزية لهذه الطريقة غير التسهيل على طالبي القوافي والأسجاع؛ لأن الكلمات تتسلسل فيه على حرف واحد في أواخر الكلم.

والجوهري أول من وضع هذه الطريقة الثانية، وهي مع كونها غير طبيعية، قد استحسناها الناس، وانتشر كتاب «الصحاح» فيهم لتركه الجمع بين الكلمة ومقلوبها كما تقدم، ولمزية أخرى امتاز بها، وهي اقتصاره على اللغات الصحيحة الفصيحة الثابتة بالرواية، فهو في اللغة كصحيح البخاري في الحديث.

وتابع الجوهري على طريقته الإمام رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصغاني (٥٧٧-٦٥٠) في معجم «العباب»، ولعل الذي حمله على ذلك أنه ألف «تكملة الصحاح» وهي أكبر حجمًا منه، فتابعه على ترتيبه في التكملة وفي العباب. ويمتاز العباب بأن الصغاني ذكر في آخر كل مادة منه ما يدل عليه تركيبها، من معنى عام تدرج تحته معاني مشتقاتها المختلفة، ونبه على الألفاظ المقلوبة.

ثم جرى على هذه الطريقة الإمام جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الخزرجي (٦٣٠-٧١١) في معجمه العظيم «لسان العرب»، وقاضي القضاة مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الصديقي الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧) في معجمه «القاموس المحيط».

«الطريقة الثالثة»: أن يُنظر في الترتيب إلى أوائل حروف الكلمات المجردة، ويراعى الحرف الثاني والثالث وما بعدهما، وهي أرقى الطرق في ترتيب موادّ المعاجم، وسماها أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري في مقدّمة معجمه الكافي «طريقة الجمهور». وأول من جَرى عليها فيما أعلم: الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥^(١)) في معجمه «المجمل»^(٢)، ومعاصره الإمام أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١)، وكلاهما معاصر للجوهري، فكان الطريقتين وجدتا في المعاجم العربية في عصر واحد.

وقد سلك «طريقة الجمهور» كثيرون من مؤلفي المعاجم؛ كالراغب الأصفهاني (المتوفى عام ٥٠٥) في كتابه «مفردات غريب القرآن»، وجار الله الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨) في معجمه «أساس البلاغة»، وأبو موسى محمد بن أبي بكر المدني الأصفهاني المتوفى سنة ٥٨١، في «الاستدراك على الغريبين»، ومجد الدين بن الأثير (٥٤٤-٦٠٦) في معجمه «النهاية»، والفيومي (٧٣٤) في «المصباح»، ومحمد طاهر بن علي الصديقي الفتنى (٩١٤-٩٨٦) في «مجمع بحار الأنوار»، والبستاني في «محيط المحيط»، و«قطر المحيط»، والشرطوني في «أقرب الموارد».

□ «الموازنة بين مزايا الطرائق الثلاث»:

إن الذين أطلوا النظر ورّدّوه في دقائق أسرار اللغة العربية أدركوا شيئاً كثيراً من ذلك في مختلف حالاتها: فمن هذه الأسرار اللطيفة أن الألفاظ المركبة من

(١) مؤلف كتاب «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها» الذي نشرناه قبل ستة عشر عاماً، وفي صدره ترجمة مطولة للمؤلف.

(٢) طبع ربعه الأول في القاهرة، سنة ١٣٣٢ في ٣٢١ صفحة، وبلغ إلى آخره مادة (ذلك).

حروف لا تختلف إلا بترتيب تركيبها، يجمعها في الغالب معنى عام مشترك بينها، وأن الرغبة في التماس هذا المعنى المشترك بين الألفاظ ومقلوبها هو الذي حمل العلامة الحكيم الخليل بن أحمد على إثثار الطريقة الأولى في تأليف المعجم العربي، غير أن صعوبة استعمال الناس لهذه الطريقة أدّى إلى إهمالها. ومما ثبت عند علماء الاشتقاق أن التقارب في حروف أوائل الكلمات وأواخرها -نحو قَسَمَ وقَصَمَ- يدلّ على التقارب بين معانيها، وهذا متوفر في الطريقة الثانية التي اتبعها الجوهري ومَن تابعه.

ولكن التقارب الأعظم بين المعاني يكون في التقارب بين الكلمات في حرفيها الأولين -مثل بَتَر وبتَكَ- وهو الغالب في اللغة العربية، وجاء في مقدمة «الكافي» للشيخ طاهر (ص ٣٥): «وكان القائلين بهذا القول يذهبون إلى أن الأصل في هذا الباب هو حرفان وضعا لمعنى، ثم زيد عليهما حرف آخر ليدلّ على معنى آخر يكون بمنزلة النوع للمعنى الأول، الذي هو بمنزلة الجنس لأنواع معاني الألفاظ التي نشأت عنه بالزيادة».

وما دام الاستقصاء قد دلّ على أن التقارب الأعظم في المعاني تابع للتقارب في الحرفين الأولين، فالأفضلية ثابتة للطريقة الثالثة التي هي طريقة الجمهور، زد على ذلك أنها الأسهل استعمالاً عند القراء.

❑ عيوب معاجمنا:

كان أول ما حرص عليه علماء السلف عند تدوين المعاجم العربية في القرنين الثاني والثالث وما يليهما أن يصونوا جواهر هذه اللغة الشريفة من العبث والضياع: فكانت همتهم مصروفة إلى جمع متنها، وتصحيح رواية مفرداتها، وتحديد معانيها، وهم -مع كل ذلك- لم يُهمّلوا ملاحظة المزايا العلمية فيما اختاروه من طرائق الترتيب، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

وقد مَحَّصَ الزَّمانُ طرائقهم فَدرَسَتْ الطريقة الأولى منذ عصور لصعوبة استعمالها، وعاشت الطريقة الثانية مع الأسجاع والقوافي، وكتب الله البقاء لطريقة الجمهور: فهي لا تزال في موضع الأنس والرضا من مؤلفي المعاجم العربية ومستعملها.

والحقُّ أن علماء القرنين الثاني والثالث قد قاموا بما عليهم للغة القرآن من حقٍّ بجمعهم مادتها، كما قام من جاء بعدهم من العلماء بمهمة الاستقصاء والتبصر.

وكان يكون جانب الكماليات في تأليف معجمنا مستوفى على أتمه لو لم تستعجم الدولة، وتنتقل من أيدي أبناء الشرف وسادة البيان إلى أيدي ممالك «لم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الإسلام، والقلب الذي هدَّبه الدين، بل جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل، يحملون ألوية الظلم: لبسوا الإسلام على أبدانهم، ولم ينفذ شيء منه إلى وجدانهم»؛ كما قال الشيخ محمد عبده^(١)، فوقف سير العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والكونية، وعمَّ الجمود كل ضرب من ضروب الحياة في الأمة، ولولا هذا لكان تقدُّمنا في استمرار، ولبقيت قيادة الحضارة في أيدينا، ولكُنَّا اليوم من أوربا في مكان أوربا اليوم منا، مع التفاوت المعلوم فيما بين حضارتنا الروحية ولينها، وحضارتهم المادية وقسوتها.

إن ما نجده في معجمنا من مظاهر النقص إنما هو عَرَضٌ من أعراض النقص العام في مجتمعنا الحاضر، ومن الواجب علينا، وقد بدأنا نفكر في الإصلاح أن

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (ص ١٢٢). قلت: وتُنظر رسالة «الشيخ محمد عبده وآراؤه في العقيدة الإسلامية، عرض ونقد»؛ للأستاذ حافظ الجعبري؛ لمعرفة حال الشيخ محمد عبده. (س).

ينصرف المشتغلون منا باللغة إلى التفكير في أقوم الطرق لإصلاح معجمنا بحيث يسد حاجتنا العصرية من كل الوجوه.

وهنا ملاحظة لابد من إيرادها وهي أن الفوضى في الإصلاح شرٌّ من الجمود، فكما أن الإصلاح الإسلامي مطلوب للمسلمين بشرط أن يبقوا مسلمين حقًا، فكذلك الإصلاح في المعجم العربي لا مناص منه بشرط أن يبقى عربيًا حقًا.

والعيب في معجمنا الحاضر آتٍ من جهتين أصليتين:

«الأولى»: من جهة ترتيب أجزاء المادة.

«والثانية»: افتقاره إلى الأسماء الجديدة للمسميات الجديدة.

فأما النقص الأول فسيبه أن الجمود اعترض سبيل المعجم بعد زمان جمع مادة اللغة، فحال الجمود دون الخلاص من ذلك النقص، مع أن هذه الأمة نبغ فيها نوايغ كان لهم ذوق دقيق في تفهّم أسرار هذه اللغة العجيبة، واكتشاف ما بين ألفاظها ومعانيها من مناسبات لا يدركها إلّا الحكيم، بل قال العلامة الكبير أبو الفتح ابن جني في كتاب «الخصائص» قبل نحو ألف سنة: «إن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يُضيفون إلى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها، وتقدير ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره؛ سوقًا للحروف على سمت المعني المقصود، والغرض المطلوب».

وإني على مثل اليقين من أنه لولا عارض الجمود الذي أبان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده سببه السياسي على ما نقلناه آنفًا؛ لبلغ المعجم العربي أوج الكمال منذ عصور كثيرة، ولظّهر في مؤلفي المعاجم عندنا من اقتبس حكمة

العلامة ابن جني في فهم فقه اللغة وأسرار العربية، وسار فيها شوطًا بعيدًا، وطبق ذلك بالعمل في ترتيب مادة اللغة ترتيبًا تتجلى فيه أسرار الاشتقاق الأكبر، ويكون مثابة لتاريخ المادة من مواد اللغة، وكيف تسلسلت وجوه استعمالها وصيغ مشتقاتها منذ كانت في دور الفطرة الأولى إلى أن بلغت عصر الحضارة.

انظر إلى دقة فهم ابن جني لهذا الضرب من فقه اللغة، فقد جاء بمادة (شدّ) مثالًا لذلك وقال: «فالشين لما فيها من التفشي تشبه صوت أول انجذاب الجبل قبل استحكام العقد، ثم يليها إحكام الشدّ والجذب فيعبر بالبدال التي هي أقوى من الشين، لاسيما وهي مدغمة، فهي أقوى لصيغتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها. فاما الشدة في الأمر فإنها مستعارة من شدّ الجبل». أي: أن معنى «شدّ الجبل» أقدم عند ابن جني من معنى «الشدة في الأمر»، فذلك أصل وهذه مستعارة منه.

مثل هذه الملاحظات الدقيقة لم يجد مؤلفو المعاجم الأولى وقتًا للعمل بها في ترتيب مواد المعجم؛ لأنهم كانوا في شاغل عنها من جمع اللغة نفسها، وتحقيقها، وما قاموا به عمل أساسي، وما شغلوا عنه عمل كمال. وإذا قرأت كتاب «الجاسوس على القاموس» و«سر الليال في القلب والإبدال» للعلامة أحمد فارس الشدياق ترى أن ما يجب على من يتصدى لتأليف المعجم أن يلاحظه في هذا الباب أوسع من أن يُشار إليه في مقال.

وأما نقص المعجم العربي من جهة الأسماء الجديدة للمسميات الجديدة فإن الخطب فيه أعظم، وحاجتنا إلى التعاون على تلافيه أكبر، ولا يتسنى لنا هذا إلا بتوطين العزائم عليه، وتوجيه جميع القوى إليه، وإقناع حكومات الأقطار العربية بتشجيع المساعي له، ولا مناص لنا -مع ذلك- من سلوك الطريق الذي سلكته الأمم الأخرى، وهو الاصطلاح على ألا تدخل كلمة جديدة في المعجم إلا إذا

أقرها مجمع علمي مؤلف من كبار رجال الاختصاص في اللغة، وتكون له السلطة العليا في آدابها.

□ المعجم الذي نحن في حاجة إليه:

إذا قلت «المعجم» فإنما أريد الكتاب الذي يرجع إليه الناس في تعرّف معاني مفردات اللغة: فيجدون فيه ضالّتهم بأصح وجه، وأقرب وقت، ويغنيهم عن التماسها في كتاب آخر.

إن المنقطعين للعلم -في كل عصر وفي كل أمة- حريصون على أن يستفيدوا من وقتهم إلى أقصى مدى، ومن حقّهم على من يؤلف في أي ضرب من ضروب العلم -ولاسيما معاجم اللغة والتراجم والبلدان- أن يحقق لهم هذه الأمانة المشروعة، فيتعب المؤلف مرّة ليستريحوا في كل مرة.

إذن؛ فالمعجم الأكبر يجب أن يمتاز بميزات ثلاث: الصحة، وسهولة المراجعة، والإحاطة.

أما «الصحة» فالضمان الوحيد لها أن يكون المتصدي لهذا العلم من الإخصائيين فيه الذين تفقّهوا بكتب علمائه، وتذوّقوا دقائق أسرارهم، وخبروا قواعد العلوم التي هي من لوازمه؛ وأن يحرص مع ذلك على نقل تفسير اللغة من أقوال العلماء بنصوصها التي كانوا يشدّون الرحال لتلقّيها من أهلها الأولين.

وأما «سهولة المراجعة» فتكون بالتزام المؤلف ترتيب مشتقات المادة الواحدة بطريقة علمية إذا عرفها المراجع وأراد أن يراجع معنى أحد المشتقات يستطيع أن يعرف موضعها بالتقريب إذا كان في أول مشتقات المادة أو في وسطها أو في آخرها. مثل أن يلتزم مؤلف المعجم وضع المجرّد قبل المزيد فيه، والحقيقة قبل المجاز، والكلمات التي هي من أوضاع الفطرة الأولى قبل الكلمات التي هي

من مستحدثات الحضارة، ومن المسلم به أن لغات البشر لم توجد كل مفرداتها في آن واحد؛ بل كانت في أقدم الأزمان بحالة أبسط ثم حدثت فيها أسماء جديدة لمسميات جديدة عصرًا بعد عصر.

وإذا تأمل ذو الذوق في هذا الأمر يرى بين بعض مشتقات المادة رابطة قريبة جدًا، ويرى بين البعض الآخر من مشتقات المادة نفسها رابطة أبعد.

ومن المعقول أن الكلمتين المتقاربتين في رابطة المعنى قد اشتقت إحداهما من الأخرى إما بلا واسطة أو بواسطة قريبة، فإصابة المحرّ وتطبيق المفصل في تأليف المعجم أن يجعل المؤلف الكلمات المتقاربة في المعنى متقاربة في الوضع، بحيث إذا نظر القارئ إلى مشتقات المادة مرتبة على هذا الترتيب تحدث عنده فكرة تدله -بقدر الإمكان- على تاريخ تلك المادة وتسلسل ألفاظها والروابط المعنوية فيما بينها، من أقدم صيغ تلك المادة إلى أحدثها.

وأما «الإحاطة» فلا مناص منها للمعجم الأكبر، وقد حاول العلامة ابن مكرم الأنصاري في «لسان العرب»، والسيد مرتضى الزبيدي في «تاج العروس» فسدًا بذلك مسدًا عظيمًا، غير أن المجال لا يزال متسعًا للاستمداد من المعاجم الأخرى من مخطوطة ومطبوعة، ومن الرسائل والكتب المؤلفة في اللغة لأبواب خاصة، وزيادة في الاستقصاء والاستيفاء يجب أن يحوي المعجم الأكبر جميع الشواهد ليستغني الناس به عن غيره في كل ما يتعلق باللغة.

أما الأعلام التاريخية والجغرافية فأرى أن تجرّد من المعجم على كل حال، وسيان بعد ذلك أن يُجمع ما يوجد منها في كتب اللغة ويوضع في آخر المعجم على حدة بشكل كتاب مستقل، أو أن هذا يُترك الأمر لمعجم التراجم الأكبر والمعجم الجغرافي المحيط اللذين أشرت إليهما في صدر هذا المقال.

ومن الواجب الآن الاقتصار في المعجم الأكبر على المواد التي احتوتها المعاجم القديمة حتى يكون هذا المعجم مرجعاً صحيحاً لأصل اللغة، ويكون المورد الصافي لعلماء اللغة وللمجمع اللغوي المنتظر متى شرعوا في وضع الأسماء الجديدة للمسميات الجديدة، وحينئذ يتسنى إضافة الجديد إلى القديم في معجم آخر غير هذا.

وقد بشرتنا دار الكتب المصرية في تقريرها الذي صدر أخيراً (ص ٢٢-٢٣) بأنها تفكر في طبع معجمي لسان العرب والفيروزآبادي اللذين جمعهما معاً المرحوم محمد النجاري بك وحولهما إلى طريقة الجمهور^(١)، ولصديقي القاضي الفاضل الأستاذ الشيخ أحمد شاكر السعي في تحقيق هذا المشروع النافع.

وترى دار الكتب المصرية أن تعهد إلى لجنة من أهل الفضل بإكمال الجزء الأخير من هذا المعجم، وأن تكون بين يديها كتب اللغة الأخرى الموثوق بها، فما وجدته زائداً عما في معجم النجاري بك وضعته في موضعه مع بيان المصادر المنقول عنها. وليس لي ما أقترحه عليها وعلى اللجنة التي ستعهد إليها بهذا العمل غير العناية بترتيب مشتقات كل مادة ترتيباً علمياً على نحو ما وصفتُ آنفاً، ثم إن المرحوم نجاري بك نقل الكلمات المزيد فيها من مواضعها في مادتها الرئيسية ووضعها في المكان الذي تقضي به حروف الزيادة. مثال ذلك أنه نقل

(١) أظن أنني أول من اطلع على هذا المعجم، فقد ندبتني لذلك جريدة «المؤيد» عقب وفاة مؤلفه المرحوم نجاري بك، فكتبت في وصفه مقالة نشرت في فاتحة أحد أعداد المؤيد. وكان نجاري بك قد أكمل تسعة عشر جزءاً من لسان العرب وما يقابلها من القاموس، وبقي الجزء الأخير من اللسان وما يقابله من القاموس على حالهما.

كلمة «مفتاح» من مادة «ف ت ح» في حرف الفاء إلى حرف الميم، وأنا أعارض في ذلك كل المعارضة وأراه مشوّهاً لجمال هذه اللغة، وضارباً بحجاب كثيف دون روابط الاشتقاق الموجودة فيما بين أجزاء المادة الواحدة، ونحن لا نتصوّر أن بين الذين يراجعون معجماً كبيراً كهذا من يجهل مراجعة كلمة «مفتاح» في مادة «فتح».

المادة اللغوية أم وأجزاؤها أطفالها، وأن التفريق بينهما على هذا الوجه ينافي أصالة اللغة العربية، وتغدو به الكلمة - وهي كالغصن الغضّ في الشجرة الوارفة الظلال - كالحطبة التي تُقطع من الجذع وتلقى بعيداً عنه، وهل هذا إلا انتقال من الحياة إلى الموت؟

إن المشروع لا يزال في دور التفكير والتكوين، وفي استطاعة اللجنة التي أشار إليها تقرير دار الكتب أن تعيد هذه الألفاظ المشرّدة إلى مواطنها، ونرجو لدار الكتب بعد ذلك التوفيق من الله سبحانه في تحقيق هذه الأمنية وإمتاع ناشئة الأمة بهذا المعجم الجزيل النفع.

محّب الدين الخطيب



ذات الأمثال لأبي العتاهية

قال أبو دُلف هاشم بن محمد الخزاعي: تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها «ذات الأمثال»، فأخذ بعض من حضر يُنشدها، حتى أتى إلى قوله:

باللشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد: قف. ثم قال: انظروا إلى قوله: «روائح الجنة في الشباب» فإن له معنى كمعنى «الطرب»، لا يقدر أحد على معرفته إلا بالقلوب، وتعجز عن ترجمته الألسن، إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه، وهذه الأرجوزة من بدائع الشعر، يُقال إن فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله:

حسبك مما تبغيه القوت	ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمني أو فذر	إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدر
لكل ما يؤدي وإن قلّ ألم	ما أطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله	وخير دُخر المرء حسن فعله
من جعل التمام عينا هلكا	مُبلغك الشر كباغيه لكا
إن الفساد ضده الصلاح	ورب جد جَره المزاح
إن الشباب والفراغ والجَدّه	مفسدة للمرء أي مفسده
ما عيش من آفته بقاؤه	نقص عيشًا كله فناؤه
ما زالت الدنيا لنا دار أذى	ممزوجة الصفو بألوان القذى
من لك بالمحض وليس محض	يخبث بعضٌ ويطيب بعض
يا رُبَّ من أسخطنا بحمده	قد سرنا الله بغير حمده
ما تطلع الشمس ولا تغيب	إلا لأمر شأنه عجيب
لكل إنسان طبيعتان	خيرٌ وشرٌّ وهما ضدان
والخير والشر إذا ما عُدّا	بينهما بون بعيدٌ جدا
إنك لو تستنشق الشحيحا	وجدته أنتن شيء ربحا
كذا قضى الله فكيف أصنع	والصمت إن ضاق الكلام أوسع



الساعات العربية- خزانة المنجانة

قال الحافظ أبو عبد الله التنسي في كتابه «نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان»^(١) في معرض وصفه حفلات المولد النبوي في تلمسان أيام حكم صاحبها أبي حمو المعاصر لابن خلدون:

«وخزانة المنجانة ذات تماثيل لُجِن محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائرًا فرّخاه تحت جناحيه، ويختله فيها أرقمٌ خارج من كوة بجذر الأريكة صاعدًا. ويصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان كبيران، وفوق جميعها دُوين رأس الخزانة قمر أكمل، يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج، فينقض من البابين الكبيرين عُقابان في يد كل واحد منهما صُفرة يلقيها إلى طست من الصُفرة معجوف بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة، فيرن وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه.

فهناك يُفتح باب الساعة الذاهة وتبرز منه جارية محتزمة كأظرف ما أنت راء، يمينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظومًا، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة».

وقد مضى في صفحة ٨٩ من الجزء الأول من «الحديقة» وصف مثل هذه الساعة في دمشق.



(١) نفع الطيب (٤/ ١٩٣) طبع مصر سنة ١٣٠٢ .

المصائب

يجدر بنا -ونحن نلقي النظرة بعد النظرة على شئوننا العامة في حياتنا الاجتماعية- ألا يفوتنا الكلام على عامل كبير من عوامل إيقاظنا وإنهاضنا، وأعني به المصائب... فهي موضع سر الله في تهذيب عباده وإعدادهم لكل خير، ومغزى حكمته في استكمال أسباب وقايتهم من كل ضرر. وإن أمة لا تنفذ، مداركها إلى مطاوي حكمة الله فيما يختصها به من مصائب الدهر وصروف الحدثان لهي أمة غرقى في نومها، سكرى بأوهامها وأحلامها.

المصائب عصا الأزلية، تسوق بها أبناء البشر إلى فرايس السعادة الأبدية. ومن خصائصها أنها تزداد ثخناً وغلظاً بكثرة الاستعمال. فيالسعادة أمة تدعن للرخيف من ضربات تلك العصا فتكتفي بأولاهها عن أخراها. وويل لأمة تفقد نعمة الإحساس، فلا تؤدّبها ضربات المصائب، ولا توقظها نكبات الدهر.

المصائب نتائج متحتمة، لذنوب متقدّمة، وما كان الله ليصيب قومًا بمصيبة إلا بما قدمت أيديهم من أسبابها، فإذا انتبهوا بعدها إلى سوء سلوكهم؛ فأصلحوها من شأنهم وصاروا أمة صدق وحزم وشجاعة وتعاون وإنصاف، تكن المصيبة حينئذ سبب شفائهم من أمراضهم الأخلاقية، وعلاجاً لأدوائهم الاجتماعية، وإن كأس المصيبة وكأس العلاج صنوان متشابهان: كلاهما مرّ المذاق، وكلاهما مفيد إذا جاء على شرطه، والمصاب أخو المريض في آلامه وفي دواعي السلامة منها.

أنا لا أخشى سرعة وقوع المصيبة التي نحوك مقدماتها، فهي واقعة على كل حال، وخير لنا أن يؤدّبنا الله بها قبل حين عسى أن ينفعنا التأديب، فنثوب إلى

رشدنا، ونعدل إلى جادة الصواب في حياتنا، فنكون أمة جديرة بسعادة السعداء، وقوة الأقوياء، وعزة الأعزاء، أما بقاؤنا على عيوبنا واستمرارنا في طرق غينا فذلك ما أخافه علينا، وحبذا المصيبة تأتي على أثره، فتوقظنا من غفلتنا، وتأخذ بأيدينا إلى طريق الرجولية الصحيحة.

أهلاً بالمصيبة تزلزل بنا مراقدنا، فتنبهنا من سُبات أزعجنا كابوسه، وأثقل رؤوسنا بخار خموله وكسله وانحلاله.

أهلاً بالمصيبة توحد كلمتنا، وتستلّ سخائم نفوسنا، وتجعلنا أعواناً للحق على أنفسنا، مسرعين إلى أداء الواجب في ساعة الحاجة إلى أدائه.

أهلاً بالمصيبة تُصلينا بنارها، فتُظهر جوهر حديدنا من هذا الصدا المتراكم عليه، فنكون حينئذ صالحين لأن يُصنع منا ذلك الصارم المحمود عمله في يوم الشدائد...

أيتها المصائب!

إن أمتي صندوق مواهب الخير، وإن بلادي خزانة ثروة الطبيعة، وأنتِ أيتها المصائب مفتاح الصندوق وهذه الخزانة، وكنا قد أضعنا من بضعة قرون فوجدناه بكِ الآن، فمرحباً بمفتاح الخير لهذه الأمة وبلادها.

أيتها المصائب!

إن أمتي أجهدت نفسها في إيقاد مصاييح المدنية بين البشر، أيام كان البشر غارقاً في دياجير الجهالة، ثم تعبت من عملها هذا فنامت، وكان نومها طويلاً... أما الآن فإنني أرى النائمة تتحرك في سريرها، وقد أخذت تستيقظ على صوت نفير المصائب، فمن ذا الذي يكره المصيبة إذا كانت من عوامل اليقظة والانتباه؟

أيتها المصائب!

إن الزمان قد استدار، ونحن الآن في إبان الانتقال من طور إلى طور؛ لنعود -كما كنا- أمة عاملة صالحة تعرف واجبها نحو الإنسانية فتؤديه في حينه، وتعرف حقها في هذه الحياة فتطلبه من كل وجوهه. وقد كان لохزاتك المؤلمة أيتها المصائب فضل كبير علينا في إخراجنا من طور الراحة المميتة إلى طور العمل المفيد، لذلك أنا أمجدك أيتها المصائب، وأعدك من أكبر عوامل نهوضنا، وأقول كما كان أسلافنا يقولون: «جزى الله المصائب كل خير».

محب الدين الخطيب



الأصحاب

كان الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية:

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعة مجك فوه



كتاب الآداب لابن المعتز

عني الأستاذ أغناطيوس كراتشوفسكي -عضو مجمع العلوم الروسي- بتحقيق وتصحيح كتاب الآداب لأمير المؤمنين عبد الله بن المعتز العباسي، معتمدًا على نسخة المتحف البريطاني، وقد نشر الأستاذ أخيرًا كتاب ابن المعتز في مجلة العالم الشرقي Le Monde Oriental، وهو مجموعة حكم بليغة:

بعضها من قول ابن المعتز، وبعضها من نوادر كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)،
وأمثال المتقدمين، وقد اخترنا منها الحكم الآتية:

- الأدبُ صورة العقل؛ فحسن عقلك كيف شئت.
- إعادة الاعتذار تذكير بالذنب.
- العقل غريزة تربيها التجارب.
- العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم.
- النفس أدنى عدو.
- النية أساس العمل.
- النصح بين الملاّ تقريب.
- إذا تمّ العقل نقص الكلام.
- أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك.
- عظم نفسك عن التعظيم، وتطوّل ولا تُطاول.
- الأملُ رفيقٌ مؤنس: إن لم يُبلغك فقد استمتعت به.
- لا يقوم عزّ الغضب بذلّ الاعتذار.
- نفاق المرء من دُلّه.
- عقوبة الحاسد من نفسه.
- نعمة الجاهل كروضة على مزبلة.
- أنس الأمن يُذهب وحشة الواحد، ووحشة الخوف تذهب أنس الجماعة.
- لا تُنكح خاطبَ شرك.

- من أحبَّ البقاء فليعدَّ للمصائب قلبًا صبورًا .
- علامة الكذاب جُوده باليمين لغير مستحلف .
- من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع غنم كثيرة .
- افرح بما لم تنطق به من الخطأ مثل فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب .
- إذا علمتَ فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال ؛ ولكن اذكر مَنْ فوقك من العلماء .
- المرض حبس البدن ، والهَمُّ حبس الروح .
- إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، وإذا طلبهم فاهرب منه .
- البشر دالٌّ على السخاء ، كما يدلُّ الثور على الشمر .
- مَنْ تملَّك فقد استغرَّ فطنتك .
- النمام جسر الشر .
- من لم يضمنْ بالمودَّة كثر غفرانه للذنوب .
- لا تشنْ وجه العفو بالتقريع .
- الجزع أتعب من الصبر .
- إنما أهل الدنيا كصور في صحيفة : كلما نُشر بعضها طوى بعضها .
- العاقل لا يدَّعُهُ ما ستر الله من عيوبه يفرح بما أظهر من محاسنه .
- أن تُدَمَّ بالعطاء خير من أن تُدَمَّ بالمنع .
- مَنْ لم يتعرَّض للنوائب تعرَّضتْ له .
- إذا رأيتَ المحسود عليه علمتَ أن الحاسد كان يحسد على غير شيء .

- الأعمال المفترضة تذكرة للعبد بربه، لئلا يغلب نسيانُه عليه.
- اجتنب مصادقة الكذّاب، فإن اضْطُررت إليه فلا تصدّقه، ولا تُعلمه أنك تُكذبه فينتقل عن ودّه ولا ينتقل عن طبعه.
- مبالغة الظالم في العقوبة تقرّبه من حكم الله عليه.
- العجز نائم والحزم يقظان.
- قبر العاقّ خير منه.
- من تجرّأ لك تجرّأ عليك.
- لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه عليه ممتنعة.
- الحسد والنفاق والكذب أثافيّ الذلّ.
- العقل بلا أدب كالشجرة العاقر.
- عبد الشهوة أذلّ من عبد الرقّ.
- لا تستبطئ الدعاء بالإجابة، وقد سدّدت طريقه بالذنوب.
- الناس نفسان: واجد لا يكتفي، وطالب لا يجد.
- كلما كثر خُرّان الأسرار ازدادت ضياعاً.
- ما أدري أيّما أمر: موت الغني أو حياة الفقير.
- لله في السراء نعمة التفضّل، وفي الضراء نعمة التطهير.
- لا تكاد تصحّ لكذّاب رؤيا؛ لأنه يخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير، فثريه في النوم ما لا يكون.
- بشر مال البخيل بحادث أو وراث.

- الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهَمُّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها.
- بالمكاره تظهر حيل العقول.
- العالم يعرف الجاهل؛ لأنه قد كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم؛ لأنه لم يكن عالماً.
- حسبك من عدوك ذله في قدرتك.
- إخوان السوء كشجرة النار يُحرق بعضها بعضاً.
- كفى بالظفر شفيحاً للمذنب إلى الحليم.
- من ترفع بعلمه وضعه الله بعمله.
- الساعي كاذب لمن سعى إليه، أو خائن لمن سعى عليه.
- البلاغة بلوغ المعنى، ولم يُطل سَفَرُ الكلام.
- أوهنُ الأعداء كيذاً أظهرهم لعداوته.
- حُسن الصورة الجمال الظاهر، وحسن العقل الجمال الباطن.
- من مدحك بما ليس فيك، فحقيق أن يذمك بما ليس فيك.
- أبقِ لرضاك من غضبك.
- إذا طرت فقع قريباً.
- قلوب العقلاء حصون الأسرار.
- دار الوفاء لا تخلو من كريم، ولا يستقرّ فيها لثيم.
- النفس المنفردة أن تطلب الرغائب وحدها تهلك.
- مَنْ قرأ سطرًا قد ضُرب عليه من كتاب فقد خان؛ لأن الخط يحرم منه ما تحته.

- إن لم تدرك الحاجة بالرفق والدوام فبأي شيء تدرك .
- إذا قُدِّمَت الحرمة تشبَّهت بالقرابة .
- لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس ، فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تنحطُّ منه .
- اشتغل بشكر النعمة من البطر بها .
- من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه .
- إذا قوي العقل كثر يقينه ، وإذا ضعف كثر شكُّه .
- السامع للغيبة أحد المغتابين .
- المسئول حرٌّ حتى يعد ، ومسترقٌّ بالوعد حتى ينجز .
- المصائب مفاتيح الأجر .
- لو تميَّزت الأشياء كان الكذب مع الجبن ، والصدق مع الشجاعة ، والتعب مع الطمع ، والراحة مع اليأس ، والحرمان مع الحرص ، والذلُّ مع الدين .
- المعروف غُلٌّ لا يفكُّه عنك إلا شكر أو مكافأة .
- لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض عليه أكرم .
- لم يكتسب مالاً من لا يصلحه .
- كثرة مال الميت يعزي ورثته عنه .
- مَنْ كرمَت عليه نفسه هان عليه ماله .
- رأس السخاء أداء الأمانة .
- من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه .
- رب صديق يؤتى من جهله لا من نيته .

- ليست الصورة الإنسان إنما الإنسانُ العقلُ.
- عِلْمُ الإنسان ولدُه المخلد.
- مَنْ لم يقدِّم الامتحان قبل الثقة، والثقة قبل الأُنس، أثمرت مودته ندما.
- اللحظ طرف الضمير.
- الأمانة رأس مال.
- الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حدثًا.
- الميت يقلُّ الحسد له، ويكثر الكذب عليه.
- الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود.
- لسان الجاهل مفتاح حتفه.
- الملك بالدين يبقى، والدين بالملك يقوى.
- العُجب شرُّ آفات العقل.
- إذا صحت النية، وتوَكَّدت الثقة؛ سقطت مئونة التحفظ.
- الخضاب من شهود الزور.
- الدنيا تهين من كانت تكرمه، والأرض تأكل من كانت تُطعمه.
- لا أشجع من برئ، ولا أجبن من مذنب.
- الظلم من اللؤم، والإنصاف من السخاء.
- أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام.
- الأعمال أثمار النيات.
- غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

- كأن الحاسد خُلِق ليغتاظ .
- أغني من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك من لم تكفه .
- عقل الكاتب في قلمه .
- التواضع سُلَم الشرف .
- العيون طلائع القلوب .
- التجارب عقل مكتسب .
- وعاء الخطأ بالصمت يختم .
- لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً .
- ما كل من يحسن وعده يحسن انجازه .
- ربما شَرَق شارب الماء قبل ربه .
- التثبت يسهل طريق الرأي إلى الإصابة .
- من ولج في النائبة صابراً خرج منها مثقفاً .
- لما عرف أهلُ النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ، ويرفع يسيراً ، وليس بفاعل .
- الناس وَفْدُ الْبَلَى ، وسُكَّانُ الثرى ، ودين المنايا .
- أنفاس الحي خطاه إلى أجله .
- العاقل لا يستقبل النعمة ببطر .
- الاختيار يدل على العقل ، كما يدل توريق الشجرة على حسنها .
- أعدل الناس من أنصف عقله من هواه .

- ربّ مزاح في غوره جدّ.
- من غلب هواه فليس لعقله سلطان.
- تمام العلم التواضع.
- المعروف كنز، فانظر من تودعه.
- بإصلاح المال يدوم الإفضال.
- إنما ينفق العالم بالعارف، وإلا فالعالم حسرة.
- الوفاء أكرم الكرم.
- من ترك العقوبة أغرى بالذنب.

□ جملة من كلام (ابن المعتز) في (الفصول القصار) □

- الحكمة شجرة تنبت في القلب، وتثمر في اللسان.
- خُلفُ الوعد خُلُقُ الوغد.
- الشرير لا يظنّ بالناس خيرًا؛ لأنه يراهم بعين طبعه.
- الطمع في وثاق الذلّ.
- العتاب حياة المودّة.
- العلم جمال لا يخفى، ونسب لا يُجفى.
- ما مات من أحياء علما.
- مات خزنة الأموال وهم أحياء، وعاش خزان العلم، وهم أموات.
- من أسرع كثر عثاره.

- من لم يتّضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره.

- نصّح الصديق تأديب، ونصح العدو تأنيب.



قوة الحق

جَلَّتْ قدرةُ الحق، فهو القاهرُ الذي تعنو له قوة كل باطل، الظافرُ الذي ترتكزُ رايتهُ فوقَ كل رابية، وهو الشمسُ التي ينقشعُ بضياؤها رُكام كل ظلام.
الحقُّ قوة روحانية، ما لمست القلب المتواضعَ إلا مَلَأَتْهُ ثقةٌ بالله، وأَيَّدَتْهُ بالاعتماد على الله، وأنارتُ سرائرهُ بجلال الله.

الحق اسم من أسماء صاحب هذا الملكوت، ومدبر ما يحدث فيه من حركة وسكون، فإذا كان لقوم ولاية على حق في هذا الكون، فأحسنوا المحافظة عليه، والدفاع عنه، والقيام بواجباته؛ رفعهم الله إلى كريم عليائه، وأنزلهم منازل أوليائه، فليتنهز صاحب الحق الصريح هذه الفرصة السانحة للدخول في زمرة أولياء الحق جلت قدرته، وعز سلطانه.

خسئ من قال: إن الحق شيء والقوة شيء آخر: الحق قوة القوى؛ ولا يستهين بها إلا غافلٌ عن سر الكون، جاهلٌ بتصاريف الناموس، ذاهل عن أنّ الحقَّ جل جلاله مؤيد لكل حق، موفق لكل من يدافع عن حق، وقد كتب الله على كل قوة تجنح إلى جانب الباطل أن يمسحها ضعفاً بكل صفات الضعف ومعانيه.

كمال الحق في أن يؤمن صاحبه بالحق، ويقوم بواجب الاحتفاظ به والدفاع

عنه، ومتى اقترن إلى الحق إيمان ثابت، وعزم أكيد، وسعي حكيم؛ كان الحق المتواضع أمنع على الباطل الطامع به من جبهة الأسد.

إن فيما ورثناه عن أجدادنا من المقدسات الخالدة أن النجاة للمتقّم والهلكة للمتّكّوم، وقد كان لها ميم العرب وسنامها الأعظم في كل عصر وقطر، يكتنفون حقّافي رايات الحق، ولا يزالون يناضلون عنها حتى يكونوا غير محجوز بينهم وبين غاياتهم المشروعة بعقبة ولا مانع.

إن عصا موسى لما تجلت فيها آية الحق صارت رمزًا لقوته التي لا ينالها وهن، وعنوانًا لظفره الذي لا يشوبه تكلّف ولا ضعف. وما زال الباطل يُذعر من الحق دُعر المعزى من زئير الأسد.

هل الحق بذاته موجود أو غير موجود؟

هذه المسألة مسألة إيمان وجحود، مسألة اعتقاد بالمادة وحدها أو وثوق بها وبالذي أوجدها من العدم.

وجود الحق حقيقة، لا يمكن أن يرتاب فيها إلا المخدوع بالقوة الظاهرة، الغافل عن قوة الغيب القاهرة، تلك القوة التي لا تحيط بها العقول، ولا تدرك سرّها الأحلام.

قوة الحق هي التي أيدت كل حق من بداية الخلق حتى الساعة، ولولا هذه القوة لما وجدت في هذا العالم فضيلة، ولا قامت لدين من الأديان قائمة، ولا خاض بطل حومة الوغى، ولا ارتفعت معالم الأوطان، ولا خفق لواء العز لأمة من الأمم.

لقد حاول الباطل من بداية خلق العالم إلى هذه الساعة أن يسحق الحق ويطنّئ نوره، وكان الله يتم نوره، ولو كره المبطلون.

الحق عين القوة ما دام مستمدًا قوته من الحق جل جلاله .

وإن القلب الممتلئ بقوة الحق هو الذي برهن في التاريخ على فوزه وانتصاره، أما إذا تهاون صاحب الحق بأوامر الحق، ورضخ لقوة الباطل الموهومة؛ فإنه يعدُّ متنازلًا عن حقه، مبددًا بإرادته له، وحيث لا يستحق ذلك المدد الروحاني الذي كتب الله على نفسه أن ينصر به من ينصره، وتلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلًا .

محب الدين الخطيب



إصلاح الأسرة

لا تستقيم أمة، ولا تتكون لها قوة، ما لم تُصلح أفرادها وأسرها، وإذا شئت أن ترى كيف تتقوض أركان الوطن، وتفكك عرا القومية، فانظر إلى أمة قد تمشى أسرها داء الإهمال .

وآثار الأسرة ومبادئها تظهر في الأفكار والأفعال، والأقوال والعواطف، وفي كل غرض من أغراض الحياة، حتى لتظهر في ملبس الإنسان ومسكنه، وفي حزنه وسروره؛ والرجل الذي يقدر شأن الأسرة، إنما هو الرجل الذي يعرف معنى الحياة، وقيمة الوطن .

شارل وانيير



إفلاس الحضارة الغربية

خلاصة المحاضرة التي ألقتها الكاتبة الفرنسية مدام سنت بوانت

في جمعية الرابطة الشرقية بالقاهرة

إخواني الشرقيين:

لم أقف اليوم بينكم لأتكلّم عن محضراتهم الاتهام الحضارة الغربية الذي فتحه منه نصف قرن المفكرّون من رجال الشرق؛ بل والكثيرون من رجال الفكر في الغرب أيضًا.

إن المناقشة دائرة بشدة بين أولئك الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن المدينة الغربية، والذين يحملون عليها، وقد تناولت هذه المناقشة صفحات الحياة الاجتماعية، وتجاوزت حدود الاطلاع، أما أنا فمن الفريق الذي يتهم المدينة الغربية، ويحمل عليها.

ولم تكن حملتي عليها بنت اليوم، بل ترجع إلى زمن طويل، وفي كل يوم يقوم دليل جديد يؤيد مذهبي فيها، ويبرهن على أنني إنما كنت على صواب في الحملة عليها.

لم تكن هذه الأدلة الجديدة أقوالاً مجردة؛ بل هي أعمال قطعية: أشلاء، وحرائق، وخرائب، ومن وراء ذلك دموع سخينة تُذرف، ودماء طاهرة تُسفك، وأحقاد تتأصل جذورها في الصدور...

ولكنكم ترونني -أيها السادة- ضعيفة اليوم عن توجيه التهمة على أتمها إلى المتهمين، على ما يرضي العدل والإنصاف.

ولعلي كنت أكون محتفظة برباطة الجأش بعد «مجزرة دمشق»، لو كنت شرقية،

ولكن شاء القدر أن أكون غربية^(١)، وأن أكون مشاركة في ذلك مع الجلادين، وأن أحمل عبء التهمة الشنيعة، وأن يكون لي نصيب من تبعة جرائم الغرب.

أنا اليوم في موقف الطفل يتهم أمه؛ فيا لهول الموقف الذي أقفه!
أنتى لي أن أقوم بهذه المهمة كما يملية عليّ الواجب الإنساني، وأن أرفع الدعوى على الغرب، وأنا لا قدرة لي على احتمال الاحتقار، ولا طاقة لي بكبح جماح ما يثور في نفسي من غضب على ما ارتكبه قوة الغرب، وعلى الدماء التي أسرفت في سفكها حضارة الغرب...

وكيف لا تأخذني القشعريرة، ولا يتولاني الألم من جراء هذه الأعمال، وأنا مضطرة إلى الوقوف أمامكم موقف المتهم لقومها؟

أجل، إنني واقفة اليوم فيكم موقف المتهم لقومها، والآلام تتاب قلبي لأنني لا أزال من الغربيين، وأحمل اسمهم كما يحمله آخرون غيري من مفكري أوربا وأمريكا الذين يستهجنون هذه الأعمال.

وسنرى إفلاس المدينة الغربية، وسنفحص أسبابه بتؤدة واعتدال وإنصاف، ومن الواجب على الشرق أن يعرف هذا الإفلاس، ويدرس أسبابه لئلا يقع هو أيضًا فيما وقع فيه الغربيون من أغلاط، ولئلا يبنى أحكامه على هذه القواعد المزيفة التي شادها الغرب.

إنني أتهم المدينة الغربية بأنها قصّرت في القيام بالمهمة التي تزعم أنها ألقبت على عاتقها في الأجيال الأخيرة، أعني المهمة التي ترمي إلى نشر تعاليم الإنسانية وتعميمها على وجه الأرض، وتؤدي إلى الاتحاد.

(١) الصواب أن يقال: شاء الله. انظر: «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد رحمته الله
(ص ٣١٣). (س).

ويمكن للإنسان أن يعبر عن هذه المهمة العظيمة بوسيلتين لا غير، وهما وسيلة «حب الذات»، ووسيلة «حب الغير» إحداهما قدرة شنيعة، والثانية كريمة سامية. أما الغرب فإنه لم يقع اختياره إلا على الوسيلة الأولى، وسيلة الأنانية وحب الذات، وكان اختياره لها جريمة، وكان ذلك سبب ضياعه واضمحلال نفوذه؛ لأن الوسيلة التي لجأ إليها قدرة ملعونة.

إن الأنانية تقضي على الخير، وتلتهم كل بر؛ فيجب على الأمم - كما يجب على الأفراد - أن يقضوا على الأنانية، ويقوضوا دعائمها؛ لأنها شر البلايا.

ولقد أراد الغرب أن يوحد العالم، ولكن تحت سلطانه ومصالحته، والعالم لا يساس إلا بالعدل، وبالحب، وبالإخاء، وبرد الحقوق إلى أهلها؛ ولكن الغرب لجأ إلى القوة الغاشمة، ولم يرع غير مصالحته وحدها، ولم يهتم إلا بأطماعه.

اعتمد الغرب على القوة وحدها، وتعذّى حدود الله، وعبث بالشرائع الدينية، وخالف تعاليم المسيح عيسى ابن مريم الذي أمر بمحبة الناس أجمعين.

تعلمت أوروبا دين المحبة وقواعد الحقوق من الحضارة الشرقية القديمة، ومن مصر واليونان؛ لكنها أنكرت الجميل، وجحدت فضل الشرق، وعبثت بقواعد الحضارة الحقيقية، وكان مما ارتكبته فيما سلف أنها أحرقت الآثار، وأتلفت المتاحف، وأبادت دور الكتب، وقضت على جمال الماضي.

وفي الحقيقة إن الشرق أضاء دياجير أوروبا بنور تعاليمه، وما هذه العلوم التي يفخر بها الغرب إلا من علوم الشرق، وما هذه الحضارة التي يتشدد بها الغربيون إلا بنت حضارة الشرقيين السالفة.

ليس الذي يحجب النور عن الأنظار هو تمدن الشرق القديم، بل الوحشية الغربية، ودين القوة، وحب الذات، والأنانية التي يعمل بها الغرب؛ كل ذلك حُجِبَ كثيفة تحجب نور السعادة الحقيقية عن البشر. إن الغرب مجرم، وقد

اختار الرذيلة على الفضيلة، وأنه بالتجائه إلى الوسائل التي لا تقرها الإنسانية قد أثبت أن مدنيته أفلست.

لا بد أن يعود للإخاء الفعلي سلطانه على أمم الشرق، ولكن لا تنتظروا ذلك من الغرب، والبرهان على ذلك أنوار الحرائق التي شبت في (دمشق)، وانعكست أشعتها على دماء الضحايا التي امتلأت بها الطرق في تلك المدينة المقدسة.

لقد ديس الحق بالأقدام، أمام المباني الأثرية التي هُدمت أو أحرقت في (دمشق)، وأمام المفكرين الذين سحقت رؤوسهم في الديار الشامية أو ألقوا في غابات السجون، وأمام الأطفال والنساء والشيخوخ الذين أزهقت أرواحهم، وأمام الشهداء الذين ذهبوا ضحية القوة.

لا يستطيع الشرق عملاً بعد اليوم إلا بالاتحاد؛ لأن الاتحاد هو سر البعث، وسبب الرجوع إلى الحياة.

إنني أكرر القول بأن الاتحاد الشرقي أصبح لا مناص منه لتثبت الحضارة في العالم، فيجب على الشرق أن يتحد ليحرر نفسه.

لا تنتظروا خيراً من الغرب، واعملوا على ضمّ صفوفكم أيها الشرقيون، اعملوا لاتحاد أمم الشرق الأدنى الذي اعتدت عليه دول أوروبا، وإذا لم تتمكنوا من القضاء على مطامعكم الخاصة، وأن تستأصلوا الأنانية من نفوسكم، وإذا بقيت مآربكم الشخصية ممتزجة بواجباتكم القومية، وإذا قصرتم في تثقيف أبنائكم وإعدادهم لحمل أعباء الواجب؛ فذلك هو القضاء على الشرق قضاءً مبرماً، يجعله فريسة للغرب، وأداة تتصرّف فيها القوة الغاشمة، وما القضاء على الشرق غير القضاء على المدينة العظيمة التي باتت الإنسانية في حاجة إليها.

إن بعض المصائب لا يزال ينتظركم، فلا يفتّ ذلك في أعضادكم، وتعاونوا لاحتمال هذه الآلام والمصائب.

الإفرنجي أمس واليوم

قال الأمير شكيب أرسلان:

«إن الإفرنجي هو الإفرنجي... ما تغير شيء من طبعه، فهو اليوم كما كان عندما زحف إلينا من ثمانمائة سنة، بما فيه من الظمأ إلى الدماء، والقرم إلى اللحم. وإن هذه المدينة التي يتدرّع بدعواها إن هي إلا غطاء سطحي لما هو كامن في طبعه، متهيئ للظهور لأدنى حادث.

فالمدينة العصرية لم تزد الإفرنجي إلا تفنناً في آلات القتل، وفصاحة في التمويه وتسمية الأشياء بغير أسمائها. وبالجملّة فالذي ازددناه منه هو الرثاء لا غير».



الاتحاد قوة والتفرق ضعف

هذه قاعدة عامة، وقانون مطّرد، تمثله المحسوسات، وثبتته المشاهدات: تأمل خيط القطن الرفيع ترى الطفل الصغير يقطّعه بلا مشقة، ولكن إذا اجتمع عددٌ عظيمٌ منه تعذّر على أقوى الرجال قطّعه.

وانظر قطرة المطر تنزل من السحاب المرتفع فلا تخدش وجه الأرض، ولا تحرك مثقال ذرة من الرمل، وإذا تجمعت قطرات كثيرة صارت سيلًا جارفًا يخذ الأرض ويقتلع الصخور والأشجار.

ولاحظ أشعة نور الشمس تجد أنها تنبعث إلينا من جزمها الملتهب، إلا أنها

لِتَفَرَّقُهَا لَا يَصِلُ تَأْثِيرُهَا إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْرَاقِ وَلَكِنهَا إِذَا جُمِعَتْ بِوَسْطَةِ الْبُلُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ أَحْرَقَتْ مَا تَمْسُهُ.

وَلَا يَغْرُبُ عَنْ فِكْرِكَ حِكَايَةُ الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ الَّذِي جَمَعَ أَوْلَادَهُ حِينَما قُرِبَتْ وَفَاتُهُ، وَطَلَبَ رِمَاحَهُمْ وَرَبَطَهَا خُزْمَةً وَاحِدَةً، وَأَمَرَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِكُسْرِهَا؛ فَعَجَزُوا، ثُمَّ فَرَّقَهَا عَلَيْهِمْ فَكَسَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ رُمَحَهُ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِذَا اعْتَرَى خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا أَحَادًا
تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسَرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْسَرَتْ أَفْرَادًا
وَهَا هِيَ الشَّرَكَاتُ وَالْجَمْعِيَّاتُ الْخَيْرِيَّةُ الْمَفِيدَةُ أَمَامَكُمْ لَمْ تُؤْلَفْ إِلَّا بِالْإِتِّحَادِ
وَالْإِجْتِمَاعِ، وَلَوْ حَاوَلَ إِيجَادُهَا فَرْدٌ لَعَجَزَ مَهْمَا أُوتِيَ مِنَ الْقُوَّةِ.

اقْرَأْ تَارِيخَ آيَةِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ تَجِدُ الْإِتِّحَادَ وَالْوَفَاقَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ رَقِيَّتِهَا،
وَالْتِقَاطَ وَالشَّقَاقَ مِنْ دَوَاعِي تَأْخِيرِهَا وَسُقُوطِهَا.

وَتَأْمَلْ الْأُسْرَةَ الَّتِي تَمَّ الْوَفَاقُ بَيْنَ أَفْرَادِهَا تَجِدُهَا آمِنَةً مُظْمَنَةً حَافِظَةً مَجْدَهَا
الْقَدِيمَ سَائِرَةً فِي طَرِيقِ الْعِزِّ وَالْغِنَى فِي حِينِ أَنَّكَ تَجِدُ نَظِيرَتَهَا الَّتِي سَرَى فِي
أَفْرَادِهَا سُوءُ التَّفَرُّقِ وَفَتَكَتْ بِهَا جَرَائِمُ الشَّقَاقِ، قَدْ خِيَّمَتْ عَلَيْهَا عَنَاكِبُ الْفَقْرِ؛
وَأَحَاطَ بِهَا الذُّلُّ وَالْهَوَانُ فَذَهَبَتْ رِيحُهَا، وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا أَضْعَفُ أَعْدَائِهَا.

وَقَدْ ضَرَبَ الرَّسُولُ ﷺ أَحْسَنَ مَثَلٍ لِلْإِتِّحَادِ بِقَوْلِهِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي
تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَوَاضُلِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ
الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٨٥). (س).

وفي الأثر: «يُدُّ اللهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ»^(١). يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَاعِدُ الْمُتَّحِدِينَ وَيُمِدُّهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَيُؤَيِّدُهُمْ بِنَصْرِهِ.

فالاتِّحَادُ أَمْرٌ يَدْعُو إِلَيْهِ الدِّينُ، وَيُوجِبُهُ الْعَقْلُ، وَيُؤَيِّدُهُ التَّارِيخُ، لَمْ تُؤَفَّقْ إِلَيْهِ أُمَّةٌ وَلَا أُسْرَةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ إِلَّا عَلا شَأْنُهَا، وَعَزَّ سُلْطَانُهَا، وَأَمِنَتْ غَوَائِلُ الدَّهْرِ وَطَوَارِئُ الْأَيَّامِ.

من «دروس الديانة والتَّهْذِيبِ»



على ضريح خالد بن الوليد في حمص

يا قَبْرَ خَالِدٍ حَوْلَ خَالِدِ عُصْبَةٍ	عَرَبِيَّةٌ، وَقَدْتُ تُحَيِّي الْقَائِدَا
فَامْنُنْ عَلَيَّ تِلْكَ الْأَلُوفَ بِنَظَرَةٍ	وَارْدُدْ عَلَيَّ الْعَرَبَ الثَّرَاثَ التَّالِدَا
لَبَّيْكَ سَيْفَ اللَّهِ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ	فِي الْقَبْرِ مِثْلَكَ غَازِيًا وَمُجَاهِدًا
وَلَسْتَ طَوْنُكَ الْأَرْضُ جَسْمًا هَامِدًا	فَلَقَدْ رَجَعْتَ الْيَوْمَ فِكْرًا خَالِدَا ^(٢)

فؤاد الخطيب



(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٦)، وصححه الألباني. (س).

(٢) للفائدة: فرّق العلماء في مثل هذا الشعر المخاطب به شخصاً ميتاً: بين خطاب السؤال والدعاء؛ فهذا شرك. وبين خطاب التوجد، فهذا جائز. وعليه يُحمل شعر فؤاد الخطيب رَحْمَةً. انظر: «مصباح الظلام»؛ للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن (ص ٣٢٣ - ٣٢٤). (س).

الديك

نقل أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري رحمته الله في جزء سنة ١٣٣٥ من تذكرته عن «التذكرة الكمالية» لرئيس الشام كمال الدين بن العديم العقيلي الحلبي (٥٨٦هـ - ٦٦٦هـ) قال: أنبأني غير واحد من شيوخي، عن أبي طاهر السلفي، قال: أنشدني أبو الثناء حامد بن ثابت الغزي بالإسكندرية، أنشدني إبراهيم بن صدقة لابن معمعة الحمصي^(١) في الديك:

يا ابن أقبال وائلٍ والكرام الصـ	يد من تغليبِ قروم القروم
والأمير الذي عليه أمارا	ت المعالي: من حادثٍ وقديم
قد مدحتُ الأمير بالأمس مثو	رأ، وجئتُ الغداةً بالمنظوم
فاستمع قصتي، وفرّج بإحسا	نك ما بي من طارقات الهموم



لي ديكٌ حصّته وهو في البـ	ضة، من منصبٍ كريم الخـ
ثم ربيته وهو كالطفـ	ل رضيعًا ومنذ حال الفطيم
ياكل العفو كيف شاء من ما	لي كأكل الوصي مالَ اليتيم
وهو عندي في صورة الولد البرّ	وفي صورة الشفيق الحميم
أبيض اللون أفرق الطرف نظا	رُ بعين كأنها عينُ ريم
وعلى نحره وشاحان من شدّ	ر بهيج ولؤلؤ منظوم
رافع رايةً من الذهب المشرّ	ق يسمى بها كسمي الظليم
وإذا ما مشى التّبهُتُس مشي	الطرف المنتشي من الخُرطوم

(١) هو منبجي؛ لكنه كان خطيب حمص فُتسب إليها.

بخواتيم كاتب مختوم
 قين قد رُكِّباً لحفظ الحريم
 صيغ من صنعة اللطيف الحكيم
 ص له بالجلال والتعظيم
 ت إليه في ذاك بالتسليم
 من دجاجاته كبارِ الجسوم
 ينهادين بين زنج وروم
 ج على رأس كسروي كريم
 ونهاراً، وحاذق بالنجوم
 كحث المدير كأس النديم
 بالعز والنعيم المقيم
 ولة السيد الكريم الرحيم



مهد في سالف الزمان القديم
 غير يوممنية المحتوم
 له به، حاجة الأديب العديم
 أنت في ذاك بين غدر ولوم
 ن بدمع لفقده مسجوم
 فافده منعماً بذب عظيم
 ذكرها ذكر كبش إبراهيم^(١)
 أبداً بين زمزم والحطيم

وسم الأرض وسم طي كتاب
 وله خنجران من قصب السا
 وعليه من ريشه طيلسان
 وجميع الديوك تشهد في حم
 يتجاوبن بالصباح مشيرا
 وإذا ما رأيته بين خمس
 قلت ملك يخدمه فتبات
 وترى عرفه فتحسبه التا
 ثاقب العلم بالمواقيت ليلاً
 ويحث الجيران حولي على البر
 وإذا قمت للصلاة دعوت الله
 لشريف أبي المعالي بن سيف الد

وله أيها الأمير عليّ الـ
 أنه آمن من سوء عندي
 وقد احتجت أن أضحى بالعي
 وبناتي بقلن: «يا أبتانا
 وتراهن حوله يتباكـ
 وعزير سؤال من يفتديه
 تبق في ذاك سنة لك يُنسي
 عشت في العز ما دعا الله داع

(١) هذا من غلو الشعراء. (س).

الوطن المصري

وطنك هو الذي نشأت فيه، وأقلتك أرضه، وأظلتك سماؤه، وغذاك نباته وحيوانه، وأرواك ماؤه.

وطنك تراث لك من آبائك، لم يصبر إليهم عفواً، إنما ملكوه بعد أن أدوا ثمنًا نفيسًا، هو دماؤهم التي سالت على حدود المناصل وأطراف الأسل، وارتوى منها هذا الثرى، الذي تطؤه الآن بنعليك، فإن استطعت فاخلع نعليك، نعم ما أنت بالوادي المقدس طوى، ولكنك بوادي النيل حيث دماء آبائك المسفوكه، ولحومهم البالية، وعظامهم النخرة.

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهد ـ هوان الآباء والأجداد
ألم تر إلى اليهود لما لم تبَقْ لهم حكومة ولا وطن، تشتتوا في البلاد، وبطلت
جامعتهم، وصار كل منهم نزيلًا في مملكة، ثقیل الظل جامد النسيم؟
وباليت شعري، ما هو معنى الأمة، وكيف يستقيم لها حال، إذا كان كل جماعة
منها نزلاء في أمة أخرى، تسومهم الخسف، لا في العير، ولا في النفير.

قد يكون لك البيت في الحارة الرديئة، وهو مع ذلك ضيق الحُجر، قليل
الضوء، فاسد الهواء، فتميل إليه، وتتعهد بالإصلاح، فيا عجبًا لك كيف لا
تحفل بوطن، أما شماله فمطل على بحر الروم، وأما جنوبه فمتصل بالسودان،
يشقه النيل، ويغطي تربته بساط أخضر، من النبات، وتعلوه سماء زرقاء صافية
الأديم، ويتهادى بينهما النسيم.

إنك إذن لظلوم!

أما بنوه فإنهم إخوانك الذين تربطهم بك روابط شتى، كاتحاد المصالح والعادات، واللغة والحكومة، والقانون والتربية، والفكرة في الجملة، فأنت في أي بقعة من وطنك في بيتك وبين عشيرتك، إذا اعتدل النيل في فيضانه، كنتم سعداء معاً، وإن نقص عن الحاجة أو طفا، فأنتم على حال واحد، وكذلك إذا عدل القانون والحاكم أو جار، فإن شعوركم يكون واحداً، أفلا تعتبر هذه البلاد مع ذلك وطناً ينبغي أن نحبه ونحرص على خيره، وسكانها إخواناً نودهم ونعمل لصالحهم؟!

إذا ارتحلت إلى جهة ثانية، نُظر إليك قدر ما يُنظر إلى وطنك، كأنك تحمل رايته، وفي صورتك الصغيرة انطوى هذا العالم الأكبر.

أفلا يكون هذا داعياً إلى محبة الوطن وبنيه، والسعي في رفع ذكرهم وإعلاء كلمتهم؟ نعم إن كنتَ ابناً باراً وأخاً يفهم هذه الروابط؛ بل ينبغي أن تحب الناس جميعاً، وتعاملهم بالمعروف؛ لأنهم يخدمونك وإن نأت الديار، واختلفت المذاهب^(١).

عبد الرحمن زغلول



الأزهر

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الْأَزْهَرَا وَاشْرُ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَا
وَاخْشَعْ مَلِيًّا، وَاقْضِ حَقَّ أُمَمٍ طَلَعُوا بِهِ زُهْرًا، وَمَاجُوا أَبْحَرَا

(١) الحب والمودة يكونان للمسلمين، وأما غيرهم فيعاملون بالعدل والقسط؛ قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية. (س).

كانوا أجلَّ من الملوك جلالَةً وأعزَّ سلطانًا، وأفخم مظهرًا
 من كل بحر في الشريعة زاخر ويُرِيكُهُ الخُلُقُ العظيم غضنفرًا
 لا تحذُ حَذَوَ عِصَابَةِ مفتونة يجدون كل قديم شيء منكرا
 ولو استطاعوا في المجامع أنكروا مَن مات من آبائهم أو عُمرًا
 من كل ماضٍ في القديم وهدمه وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا

أحمد شوقي



أبو العتاهية وابن الخليفة

مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم، وكان من أتية الناس، وأبو العتاهية جالس مع القوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظامًا له، فلم يزل قائمًا حتى جاوزه فجاز ولم يلتفت إليه، فقال أبو العتاهية:

يتيه ابن آدم من جهله كأن رحي الموت لا تطحنه
 فسمعه بعض من في موكبه فأخبر به القاسم، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مفرعة، وقال له:

يا ابن الفاعلة أتعرّض بي في مثل ذلك الموضع؟
 وحبسه في داره، فلدس أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر هذه الأبيات، وكانت توجه له:

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه الله وعافاه
 يتيه أهل التيه من جهلهم وهم يموتون وإن ناهوا
 من طلب العز ليبقى به فإن عز المرء تقواه

لم يعتصم بالله من خلقه من ليس يرجوه ويخشاه
وكتب إليها بحاله وضيق حبه - وكانت مائلة إليه-، فرثت له، وأخبرت
الرشيد بأمره، وكلمته فيه، فأحضره وكساه ووصله وأطلقه، ثم لم يرضَ عن
القاسم حتى بره وأدناه واعتذر إليه.

□ المنايا □

قال أبو سلمة الباذغي:

قلت لأبي العتاهية: في أي شعرك أنت أشعر؟ قال قولي:

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
ما دون دائرة الورى حصن لمن يتحصن

□ الفرج المنتظر □

هي الأيام والعبرُ وأمرُ الله يُنتظرُ
أنيس أن ترى فرجًا فأين الله والقدَرُ

□ عُباد الدنيا □

ومن شعر أبي العتاهية:

ألم تر رب الدهر في كل ساعة له عارضٌ فيه المنية تلمع
أيا بانِي الدنيا لغيرك تبتني ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثابًا على كل فرصة وللمرء يومًا لا محالة مصرع
تبارك من لا يملك الملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبع
وأي امرئ في غاية ليس نفسه إلى غاية أخرى سواها تطلع



□ أمير المؤمنين المأمون، والسيدة زبيدة □

أحست السيدة زبيدة من أمير المؤمنين المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تُعلمه بذلك وتأمره أن يعمل فيه أبياتًا تعطفه عليها، فقال:

ألا إن صرف الدهر يُدني ويبعدُ ويونس بالآلاف طُرا ويفقدُ
أصاب برب الدهر مني يدى يدي فسلمت للأقدر والله أحمدُ
وقلت لرب الدهر إن سلمت يدُ فقد بقيت -والحمد لله- لي يدُ
إذا بقي المأمون لها فالرشيد لي ولي جعفر لم يُفقدًا ومحمدُ

فحسن موقع الأبيات من المأمون، وعاد إلى أحسن مما كان عليه.

ويقال إنها بعثت بهذه الأبيات إلى مخارق فغناها المأمون، فسأله المأمون عن الخبر، فعرفه الصورة، فبكى ورق لها، وقام من وقته فدخل إليها وقبلت يده وقال لها: يا أمه ما جفوتك تعمدًا، ولكن شغلت عنك بما لا يمكن إغفاله.

فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حسن رأيك لم يوحشني بعدك.

فسر بذلك وأتم يومه عندها.

□ مع الأيام □

قال أبو العتاهية:

ما أسرع الأيام في الشهر وأسرع الأشهر في العمر
ليس لمن ليست له حيلة موجودة خير من الصبر
فاخطُ مع الدهر إذا ما خطا واجر مع الدهر كما يجري
من سابق الدهر كبا كبوة لم يستقلها آخر الدهر

□ الوعد □

قال سليمان بن ماذر: كنت عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر، فقال أبو العتاهية لجعفر:

- جعلني الله فداك 'عندكم شاعر يُعرف بابن أبي أمية أحب أن أسمعه ينشد.
فقال جعفر: هو أقرب الناس منك.

فأقبل أبو العتاهية على ابن أبي أمية وسأله أن يُنشد، فأنشد:

إن وعدًا منك لا أنساه لي أوجب الشكر وإن لم تفعل
أقطع الدهر بوعد حسن وأجلى غمرة ما تنجلي
كلما أملت يومًا صالحًا عرض المكروه دون الأمل
وأرى الأيام لا تدني الذي أرتجي منك وتدني أجلي
فأقبل أبو العتاهية يردد البيت الأخير، ويقبل رأس ابن أبي أمية، ويبكي ويقول:
- وددت أنه لي بكثير من شعري.

□ القول والعمل □

أراك امرءًا ترجو من الله عفوهُ وأنت على ما لا يُحب مقيم
تدل على التقوى وأنت مقصر أيا من يداوي الناس وهو سقيم
وإن امرءًا لم يلهه اليوم عن غد تخوفُ ما يأتي به لحكيم
وإن امرءًا لم يجعل البر كنزه وإن كانت الدنيا له لعديم

□ بدائع أبي العتاهية □

«قال أبو تمام الطائي»: لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شاركه فيها أحد، ولا

قدر على مثلها متقدم ولا متأخر.

فمنها قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
وقوله :

ألم تر أن الفقر يُرجى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر
وقوله :

ولما استقلوا بأثقالهم وقد أزمعوا الذي أزمعوا
قرنتُ التفاتي بآثارهم وأتبعتهم مقلة ندمع
وقوله في موسى الهادي :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى الزوال

□ أبو العتاهية يعظ أمير المؤمنين هارون □

كان الرشيد يُعجبه غناء الملاحين في الزلاّلات إذا ركبها، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم .

فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعمل لهؤلاء شعراً يغنون فيه .

فقالوا : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس .

فوجه إليه الرشيد أن يقول في ذلك شعراً، ولم يأمر بإطلاقه، فغاضه ذلك،

فقال : والله لأقولن شعراً يُحزنه، ولا يسره، فعمل :

خانك الطرف الطموحُ	أيها القلب الجموحُ
لدواعي الخير والشر	دنوّ ونزوحُ
هل لمطلوب بذنّب	توبة منه نصوحُ
موت بعض الناس في الـ	أرض على قوم فتوحُ
سيصير المرء يوماً	جسداً ما فيه روحُ

بين عيني كل حي عَلمَ الموت يلوخُ
كلنا في غفلة والموت يغدو ويروحُ
لبنى الدنيا من الدنيا غَبوق وصبوخُ
رحن في الوشي وأقـ بلن عليهن المسوخُ
نُح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوخُ
لتموتن ولو عُمرت ما عُمر نوحُ

فبكى الرشيد بكاء شديداً وانتحب، فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه
أوماً إلى الملاحين فسكتوا.

□ موعظة ثانية □

«من أبي العتاهية إلى أمير المؤمنين هارون»

قال الرشيد لأبي العتاهية: عظني.
فقال: أخافك. فقال له: أنت آمن.
فقال:

لا تأمن الموت في طرف وفي نفسٍ إذا تسترت بالأبواب والحرسِ
واعلم أن سهام الموت قاصدة لكل مدّرع منها ومترسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبسِ
فبكى الرشيد حتى بلّ كفه.

□ آخر شعر أبي العتاهية □

إلهي لا تعذبني فإنني مقرر بالذي قد كان مني
وما لي حيلة إلا رجائي لعفوك إن فعلتَ وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا وأنت عليّ ذو فضل ومنّ

إذا فكرت في ندمي عليها عضضت أناملتي وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونا وأقطع طول عمري بالتمني
ولو أني صدقت الزهد فيها قلبت لأهلها ظهر المجن
يظن الناس بي خيرا، وإني لشر الناس إن لم تعف عني



الأرض

أبها البرق إن بلغت الشاما حي عني قصورها والخياما
أنت نعم الرسول يحمل شجوي حين لا يأمن الأنام الأناما
نفخت فيك آية العلم روحا علمتك البيان والإلهاما
وأفاضت عليك سحرا حلالا كان في الغابرين سحرا حراما
تركب الفلك تارة، وأوانا تطأ الريح واثبا والقماما
قل لمن يوجف الركاب خفافا ولمن ناء بالخطوب جساما
ويح أمسي إن كنت أهبط رمسي نازح الدار، موجعا، مستهما
يوم يرمي القضاء بالنفس رميا مثلما الأرض تجذب الأجساما



كرة تنهب الفضاء وتطوي في مداه القرون والأعواما
تترامى والشمس دون منها دوارنا من حولها وهياما
كفراش يحوم حول لهيب أجل ساقه إليه فحاما



ذات وجهين يشهدان عليها كل يوم: نهارها والظلاما

فهي من جانب تكون ضياءً وهي من جانب تكون قثاما
كوجوه المنافقين وأشقى من جوار المنافقين مقاما



نَسَجْتُ من غَلَّالِ النبت بُرْدًا واستعارت من السحاب لثاما
وتراءت في ظاهرٍ مطمئنٍ تحته النار تستشيط ضراما
كبنيتها أو أن حَقْدَ بنيتها فوق ما أضمرت جوى وانتقاما



تنفث الغيظَ مارِجًا ودُخانًا فتشقُّ الوهادَ والآكاما
وتبثُّ الذي انطوى من لظاها سُحبًا ثَرَّةً وسيلًا رُكاما
ضَجَّ منها صَعِيدُها، وقديما خَدَدَتْهُ السيولُ عاما فعاما
كخدود الباكين سَحَّ عليها مُهَرَّقُ الدمع صَيِّبا وسجاما



ولكم سَدَدُ القضاء إليها من خلال المذنباتِ سِهاما
نذرُ كلِّ فترةٍ، وعِظَاتُ أذن اللهُ أن تمرَّ لماما



إيه يا أرضُ يومَ كنتِ خَلَاءَ هل أحسَّ الحُطامُ فيك الحطاما
فتململتِ وحشةً وانفرادًا وتغلغلَتِ في الوجود اقتحاما
فتمَحَّضتِ بالزواحف لهواً لكِ تنسابُ في العراء سواما
طلعةُ غُثَّةٍ، وجسمٌ دَمِيمٌ يصف القُبْحَ هامةً وسناما
كخطوط الوليدِ أوَّلَ عهدٍ عَرَفَ الخطَّ فيه والأقلاما
ضحكةٌ منكِ مُثِّلَتْ فتجلَّتْ حيوانًا مشوَّها مُستضامًا
نشأتُ ثم أعقبتُ ثم بادتُ وقطعتِ الصِلاتِ والأرحاما
وولدتِ الأنام بعد ليالٍ نُقِلْتُ وطأةً وشطَّتْ مراما

جئت سِقْطًا بهم وطالَ عليهم
أقضاء ولدتهم واضطرارًا
لست أدري ولبتي كنت أدري
وشهدت الحياة كيف استهلث
كفروع الغصن التفت ثم شبت
فغدا بعضها لبعض طعاما



فلس الحي: كيف بطمُع منها
راض هُوج الرياح حتى امتطاها
واستباح البحار فوق جوارٍ
خضع العلم في يديه ولكن



فانفري ما استطعت أيتها الأر
فانقضي منه ذرة أو فزيدي
ممسك بالوجود علواً وسفلا
كنت بالأمس شعلة أو سديما

فؤاد الخطيب



الأرض

تنشق الأرض من الأرض كرهاً وقسراً . ثم تسير الأرض فوق الأرض تيهًا وكبرًا .
وتقيم الأرض من الأرض القصور والبروج والهيكل ، وتنشئ الأرض في
أرض الأساطير والتعاليم والشرائع .

ثم تملّ الأرض أعمال الأرض، فتحوك من هالات الأرض الأشباح والأوهام والأحلام.

ثم يرواد نَعاسُ الأرض أجفان الأرض، فتنام نومًا هادئًا عميقًا أبديًا...

ثم تنادي الأرض قائلة للأرض: أنا الرحم، أنا القبر، وسأبقى رحمًا وقبرًا حتى تضمحلّ الكواكب، وتحول الشمس إلى رماد...

جبران خليل جبران



ألف ليلة وليلة

كتاب ألف ليلة وليلة - وكلنا نعرفه حق المعرفة - كتاب مشهور في عالم الأدب العربي، طُبِعَ عدة طبعات عربية، ونُقل إلى معظم اللغات الأجنبية، ويكاد يُجمع عامة الأدباء والباحثين على اعتباره الكتاب القصصي الوحيد بالمعنى الصحيح في الآداب العربية، وهذا حقٌ إذا قارناه بما كُتِبَ من القصص والأقاصيص العربية في مختلف العصور.

□ «مصادره»:

مصادر الكتاب ثلاثة:

«أولاً»: كتاب «هزار إفسانه» الفارسي - أي: ألف خرافة - وهو مجموعة قصص خرافية فارسية وهندية.

«ثانيًا»: قصص كُتِبَت على نمط القصص الأصلية بعد أن تغيرت الأخيرة وتبدلت بأيدي الكتاب وعلى ألسنة الرواة والمؤلفين، وهذه القصص المقلدة

تتضمن قصصًا كتبت في بغداد وأخرى في مصر ظاهر على كل منها ما يميزها عن الأخرى. وقيل: إن كثيرًا من اليهود اشتركوا في تأليف هذه القصص.

«ثالثًا»: ما جمعه أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء، من حكايات ونوادير للعرب والعجم والروم مما كانت تروى في حفلات السمر والمنادمة بواسطة المسامرين.

ومن هذه القصص: حكايات عن الرشيد، وأبي نواس، وحاتم طي، وغيرهم. وهذه القصص إما أن يكون لها أصل واقعي، أو أن تكون موضوعة وغُيرت بتداولها من لسان إلى لسان.

ومجموعة قصص ألف ليلة وإن اختلفت في مصادرها، فقد انتهت إلى أن تكون مجموعة جديدة ليس لها صلة بأصلها، عليها طابع واحد، وتكاد تكون لها وحدة مستقلة عن غيرها فقد محا الأصل الفارسي بما لحقه من التبديل الدائم الذي كان يقوم به الكتاب والرواة إرضاء لذوق الجمهور.

□ تعدد الأساليب والأخيلة فيه:

ولكن بالرغم مما تقدم يُمكن للباحث المدقق الذي يريد رد القصص إلى أصولها ومصادرها، ويكشف النقاب عن مؤلفيها، أن يميز القصص، ويُلحق كل واحدة بقسمها الخاص بها، ولا ريب في أن هذا العمل دقيق يتطلب معرفة تامة وخبرة كبيرة، فالذي يريد فحص القصص على هذا المنوال يجب عليه أن يستعين بشيئين هامين؛ هما من آلات الفحص والاختبار، ونعني بهما «الأسلوب والخيال».

فمن القصص ذات الأسلوب العربي الصميم تعرف أنها كُتبت في العصر الأول حينما كانت اللغة خالية من شوائب العُجمة، متينة التركيب، تحمل آثار

البداوة، وقد قيل: إن الأصل نُقل قبل القرن الرابع الهجري. ومن القصص التي كُتبت بأسلوب يكاد يكون عاميًا نعرف أنها من صنع مؤلفي العصر المتأخر، حينما انحطت اللغة، وكادت تنغلب عليها لغة الدخلاء والعامية.

أما الخيال؛ فهناك الخيال الفارسي الأصلي ظاهر في بعضها رغم التغير الذي لحقه، وهناك الخيال اليهودي يصور لنا في قصصه خرافات بني إسرائيل، ويسمي لنا أشخاصًا بأسماء يهودية صرفة، وقلما تخلو قصص هذا القسم من تلك الخرافات القديمة التي حوت الديانة اليهودية كثيرًا منها.

أما القسم الإسلامي؛ فقلما نجد فيه خرافات كثيرة تستمد أصولها من مصادر تاريخية أو دينية غير إسلامية، لذلك أتت القصص الإسلامية في الكتاب قليلة الخرافة، تمتاز بوصف الحقيقة، والواقع، وهذا شيء طبيعي قد فسرناه بأن الأمة العربية لم تكن أمة أساطير (خرافات).

وإذا أردنا التفصيل والتشريح في معرفة أصول القصص ومؤلفيها، فيمكننا تقسيم القسم الإسلامي إلى قسمين هامين: قسم بغدادي، وآخر مصري.

فالقصص التي كُتبت في بغداد وما جاورها تختلف اختلافًا ظاهرًا عن تلك التي كُتبت في مصر؛ لاختلاف البيئة والأشخاص والعوائد، لذلك جاءت الأوصاف متباينة على كل منها رسم بلدها.

ولا ريب في أن الباحثين المدققين لهم أساليب عديدة يجرون عليها في أبحاثهم، ويستدلون بها على معرفة أصول هذا الكتاب المحاط بالأسرار والألغاز.

مما تقدم نعلم أن «ألف ليلة وليلة» لا يحمل اسم مؤلف واحد، حتى ولا أسماء عدة مؤلفين معروفة لدينا، فهو مجموعة قصص وأقاصيص نقلها وألفها

عدة مؤلفين غير معروفين، وبدلها وغيرها عدة رواة ونساخين على ممر السنين، حتى وصل إلينا كما هو الآن مجهول المؤلف، غير واضح المصدر.

محمد تيمور



أمير المؤمنين هارون، وريثاء بني أمية

لما حج الرشيد أحضر أبا سعيد مولى فائد - وهو إبراهيم بن أبي سنة، وكان مولى عمرو بن عثمان بن عفان - وقال له: أنشدني قصيدك في بني أمية:

تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع الأنفس
وقلة نومي على مضجعي لدى هجعة الأعين النعس
فغناه لحناً له في أبيات منها:

أفاض المدامع قتلى كذا وقتلى بكثوة لم ترمس
وكان الرشيد مغضباً، فسكن غضبه وطرب، فقال: أنشدني القصيد.

فقال: يا أمير المؤمنين كان القوم موالي، وأنعموا عليّ؛ فرثيتهم ولم أهج أحداً. فتركه.

وهذا الشعر يقوله أبو عدي عبد الله بن عمرو العبلي فيمن قتله عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس وفيمن قتل أبو العباس السفاح بعدهم من بني أمية. ومن القصيدة:

أفاض المدامع قتلى كذا وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتلى بوجّ وباللابتب ن من يشرب خير ما أنفس

وبالزابيين نفوس ثوت وأخرى بنهر أبي فطرس
أولئك قومي أناخت بهم نواب من زمن متعس
إذا ركبوا زينوا الموكبين وإن جلسوا الزين في المجلس
هم أضرعوني لرب الزمان وهم ألصقوا الرّغم بالمعطس



حفيد عبد الملك

نظر عبد الله بن علي العباسي إلى فتى عليه أبهة الشرف، وهو يقاتل في صفوف بني أمي مستقلًا، فناداه: يا فتى لك الأمان، ولو كنت مروان بن محمد.

فقال: إلا أكنه فلست بدونه.

قال: فلك الأمان ولو كنت من كنت.

فأطرق مليًا ثم قال:

أذل الحياة وكره الممات وكلاً أراه طعامًا وبيلًا
فإن لم يكن غير إحداهما فسيري إلى الموت سيرًا جميلًا
ثم قاتل حتى قُتل. فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك.



وجهة الشعر

قال الأصمعي: ذهب أمية بن أبي الصلت في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب.

من شعر أمية بن أبي الصلت

□ الولد العاق □

عتب أمية بن أبي الصلت على ولد له - وكان عاقاً له - فقال فيه :

غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا	تعل بما أجري عليك وتنهل
إذا ليلة تأتيك بالشكو لم أبت	لشكواك إلا ساهرًا أتململ
كأنني أنا المطروق دونك بالذي	طُرفت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها	لتعلم أن الموت وقتٌ مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها مدى ما كنتُ منك أومل
جعلتُ جزائي غلظة وفضاظة	كأنك أنت المُنعم المتفضل
وسميتني باسم المقيد رأيه	وفي رأيك التقييد لو كنتُ تعقل
فليتك إذ لم ترعَ حق أبوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعل

□ غولة الدهر □

ومن شعر أمية بن أبي الصلت :

كل عيش وإن تطاول دهرًا	منتهى أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي	في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر	غولة الدهر إن للدهر غولا

□ سبيل الموت □

قال عكرمة، أنشد النبي ﷺ قول أمية بن أبي الصلت :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا	بالخير صبحنا ربي ومسانا
ألا نبي لنا منا فيُخبرنا	ما بعد غايتنا من رأس محيانا

بينما يربّنا آباؤنا هلكوا وبينما نقتني الأولاد أفنانا
وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا أن سوف تلحق أحرانا بأولانا
فقال النبي ﷺ: «إن كاد أمية يُسلم»^(١).



حفيرة السوء

بينما محمد بن عبد العزيز الزهري هو وإبراهيم بن هرمة الشاعر، إذ مرت بهم
إبل لمحمد بن عمران تحمل علفاً.

فقال محمد بن عبد العزيز لابن هرمة: يا أبا إسحاق ألا تستعلف محمد بن
عمران؟

وهو يريد أن يُعرضه لمنعه فيهجوه. فأرسل ابن هرمة رسولاً حتى وقف على
باب ابن عمران، فأبلغه رسالته. فرد عليه ابن عمران الجمال، بما عليها.
وقال: إن احتجت إلى شيء زدناك.

فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز، وقال: اغسلها عني، فإنه إن علم
أنني استعلفته ولا دابة لي وقعت معه في سوء.

قال: بم ذاك؟

قال: تعطيني حمارك!

قال: هو لك بسرجه ولجامه.

فقال ابن هرمة: من حفر لأخيه حفرة سوء وقع فيها.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠١٥). (س).

أبو نُوَاس ينقذ الشعر

قال أبو نواس: شاعران شبها في بيتين، ووضعنا التشبيه في غير موضعه، فلو أخذ بيت هذا ووضع مع بيت هذا، وبيت هذا ووضع مع بيت هذا، لصار مشبهاً به، وهما قول جرير للفرزدق:

وإنك إن تهجو تميمًا وترثني بما بين قيس أو سحيق الغمام
كمهريق ماء بالفلاة وغره سرابٌ بدا في أغبر اللون قائم
وقول ابن هرمة:

وإني وتركبي ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زندًا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا
ولو قال ابن هرمة:

وإني وتركبي ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زندًا شحاحا
كمهريق ماء بالفلاة وغره سرابٌ بدا في أغبر اللون قائم
لكان أشبه لهما، ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك، فقال:

وإنك إن أطمعتني منك بالرضا وآيستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من درها كف حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلب



إلى جزيرة العرب

لَمَنْ المَضَارِبُ فِي ظِلَالِ الوَادِي رَيَّانَةُ الجَنَابَاتِ بِالوُرَادِ
اللَّهُ أَكْبَرُ، تِلْكَ أُمَّةٌ يَعْزُبُ نَفَرَتْ مِنَ الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ

طَوَّتِ المَراحِلَ، والأَسِنَّةُ شُرْعَ
وَمَشَتْ عَلَى الأَسْلَاطِ مِشْيَةً وَاثِقَ
والبِیْضُ مِثْلَعَةً مِنَ الأَعْمَادِ
بالله، والتاریخ، والأَجْدَادِ



لَبِيكِ يَا أَرْضَ الْجَزِيرَةِ، واسمعي
لَكَ فِي دَمِي حَقُّ الوَفَاءِ، وإِنَّهُ
فَنَهَضْتُ مُضْطَلَعًا بِمَا جَشَمْتَنِي
وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ أَطْرُقُ خَاشِعًا
وَرَمَيْتُ دُونَكَ بِالدَّلِيلِ مُسَدِّدًا
مَا شِئْتُ مِنْ شَجْوِي وَمِنْ إِنْشَادِي
بَاقٍ عَلَى الحَدَثَانِ وَالْأَبَادِ
وَحَمَلْتُ فِيكَ سَخَائِمَ الأَضْدَادِ
وَكَأَنَّكَ المَحْرَابُ لِلْعَبَادِ
فَسَمِعْتُ صَوْتَ الحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ^(١)



أَنَا لَا أَفْرُقُ بَيْنَ أَهْلِكَ؛ إِنَّهُمْ
وَلَقَدْ بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ وَطَنِيَّةٍ
فَلِكُلِّ رِبْعٍ مِنْ رَبِوعِكَ حُرْمَةٌ
أَهْلِي، وَأَنْتِ بِلَادُهُمْ وَبِلَادِي
شَلَاءٌ تُؤَثِّرُ مَوْطِنَ المِيلَادِ
وَهَوًى تَغْلُغَلُ فِي صَمِيمِ فَوَادِي



كَمْ ضَجَعَةٌ بِالقَاعِ فِي عَلَسِ الدُّجَى
أَدْرَكْتُ إِذْ أَدْرَكْتُهَا مَعْنَى الكَرَى
وَلَشَدًّا مَا انْطَوَّتِ العَصُورُ وَمَا انْطَوَّتِ
فَسَفَرْتُ بِالفَجْرِ المَبِينِ لِمُدْلِجٍ
أَمَنْتُ بِالْهَمَمِ الَّتِي أَحْيَيْتُهَا
وَتَخَطَّفْتُ شَمَّ الحِصُونِ، وَإِنِّهَا
وَلَقَدْ شَهِدَتْ بَنِيكَ يَوْمَ تَشَمَّرُوا
فَوْقَ الرَّمَالِ العُفْرِ وَهِيَ وَسَادِي
وَسَكِينَةُ الأَرْوَاحِ فِي الأَجْسَادِ
لِلْعَيْشِ فِيكَ بِشَاشَةِ الأَعْيَادِ
وَتَفَجَّرَ العِرْفَانُ مِنْكَ لَصَادٍ
فَمَضَتْ تَزَلْزُلُ شَامَخِ الأَطْوَادِ
كَانَتْ تُعَدُّ مَرَابِضَ الآسَادِ
مُتَلَبِّبِينَ لِفَارَةِ وَطَرَادٍ

(١) أحد الرهط الذي أوفده النعمان بن المنذر للدفاع عن حوزة عرب العراق بين يدي كسرى، وقد شهد الوفد للحارث بن عباد أن أفعاله أنطق من لسانه.

فعلمت كيف يثور من طلب العلى
فجريحهم وأسيرهم كقتيلهم:
وهم الأباة فما تلين قناتهم
تحت السيوف ولا الحمام العادي



شهداء مجدك في ثراك بضهم
متدفق من كل موقع طعنة
سهرت عليك جراحهم كعيونهم
ولقد تطوع كهلهم وغلالمهم
وثبت بهم في نقع كل كربة
ومن اشترى استقلاله بدمائه



الملك فيك وفي بنيك وإنه
وأمانة التاريخ في أعناقهم
وذوي (حمى ربي) و(آل سميذع)
ومن (الرعاة) ومن بني قحطان أو
وأغرأ أبلج من ذؤابة هاشم
فإذا انبروا للمجد فهو سيلهم
تعرى العداة فما يفرق شملنا
ظلموا وما علموا بأن وراءهم

فؤاد الخطيب



إسراف البرامكة وتبذيرهم

«قال مخارق»: أذن لنا أمير المؤمنين هارون أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام، وأعلمنا أنه يشتغل فيها معه الحرم، وقيل: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحرم، وأصبحت السماء مغيمة تطش طشاً خفيفاً، فقلت: لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود، وأمرت من عندي أن يسووا لنا مجلساً إلى وقت رجوعي، فجئت إلى إبراهيم الموصلي وإذا الباب مفتوح، والدهليز قد كُتس، والبواب قاعد، فقلت:

- ما خبر أستاذي؟

فقال: ادخل.

فدخلت وإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدور، وأباريق تزهر والستارة منصوبة، والجواري خلفها، وقدامه طست فيه رطلية وكوز وكأس، فأخذت أترنم ببعض الأصوات.

«وقلت له»: ما بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتاً؟

«فقال»: اقعد ويحك، إني أصبحت على الذي ظننت، فجاءني خبر ضيعة تجاورني وطلبتها وتمنياتها زماناً فلم أملكها؛ وقد أعطى بها مائة ألف درهم.

«فقلت»: فما يمنعك منها؟ فلقد أعطاك الله تعالى أضعاف هذا المال بكثير.

«فقال»: صدقت، ولكن لست أطيب نفساً بأن أخرج هذا المال.

«فقلت»: فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم؟

«فقال»: والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه.

«ثم قال»: اجلس فخذ هذا الصوت.

ثم نقر بقضيب على دواة، وألقى عليّ هذا الصوت في شعر أبي نصير البصير:
 نام الخليون من همّ ومن حزن وبت من كثرة الأحزان لم أنم
 يا طالب الجود والمعروف مجتهدا اعمد ليحيى حليف الجود والكرم
 فأخذت الصوت، وأحكمته.

«فقال لي»: امض الساعة للوزير يحيى بن خالد، فإنك تأتيه قبل أن يفتح الباب ولم يجلس بعد، فاستأذنْ عليه قبل أن يصل إليه أحد؛ فإنه سيُنكر مجيئك، ويقول: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدّثه بقصدك إياي، وما ألقيتُ إليك من خبر الضيعة، وأعلمه أنني قد صنعت هذا الصوت وأعجبني، ولم أر أحداً يستحقه إلا جاريته فلانة، وإنني ألقيته عليك لتلقيه عليها. فيأمر بالستارة ويدعوها ويوضع لك كرسي، ويقول لك: اطرحه عليها بحضرتي، فافعل، وائتني بما يكون.

قال: فجئت إلى باب يحيى بن خالد، فجرى الأمر على كل ما قاله إبراهيم، ثم قال: أتقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف؟
 «فقلت»: أنصرف.

«فقال»: يا غلام، احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم، واحمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمن الضيعة، فأتيت إلى منزلي، ومضى الرسول بالمال إلى إبراهيم، ودخلت بيتي ونثرت على من عندي دراهم من تلك البدرة، وأكلت وشربت وطربت وتوسدتها ونمت، فلما أصبحت قلت: لآتين أستاذي؛ فلأعرفن خبره، فأتيته فوجدت الباب كهيئة بالأمس، ودخلت فوجدته كما كان بالأمس، فنزهت وطربت، فلم يلق ذلك بقبول.

«فقلت»: ما الخبر؟ ألم يأتك المال بالأمس.

«فقال»: بلى، فما خبرك أنت؟

فعرّفته بالمال الذي أخذته، وقلت: ما تنتظر من خلف الستارة؟

«فقال»: ارفع السجف. فرفعته، فإذا عشر بُدَر.

«فقلت»: أي شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟

«فقال»: ويحك، ما هو إلا أن دخل المال منزلي حتى شححت به وصار
مثلما حويت قديمًا.

«فقلت»: سبحان الله، فتصنع ماذا؟

«قال»: أقم حتى ألقى عليك صوتًا آخر يفوق ذلك.

فجلست بين يديه، فألقى عليّ صوتًا آخر في شعر أبي نصير أيضًا:

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله ولاسيما إن كان من ولد الفضل
قال مخارق: فسمعت ما لم أسمع مثله قط، وصغر في عيني الأول،
فأحكمته.

«فقال إبراهيم»: امض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذن عليه وحدثه بحديثنا أول أمس وأمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أنني صنعت هذا الصوت وهو عندي أرفع منزلة من الصوت الأول، وإني وجهت به قاصدًا لجاريته فلانة.

«قال»: فسرت إلى باب الفضل، فجرى الأمر على ما قاله، فسألني عن الخبر، فأعلمته بما وصل إلي وإلى واليه من المال.

«فقال»: أخزى الله إبراهيم ما أبخله على نفسه.

ثم ضرب الستارة، وقال: ألقه.

فلما ألقيته وغنته جاريته لم تتمه حتى أقبل يجر مطرفه، ثم قعد على وسادة، وقال: أحسن والله أستاذك وأحسن أنت، فأخذته الجارية وسر سرورًا شديدًا، وقال: أقم عندي اليوم.

فاعتذرت إليه.

«فقال»: يا غلام احمل مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم، وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم.

فانصرفت إلى منزلي بالمال، وفتحت بدرة ونثرت على جواربي، وشربت وسررت، فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم، فوجدته على الحال التي كان عليها، فدخلت أترنم وأصفق.

«فقال»: أذن.

«فقلت»: ما بقي؟

«فقال»: اجلس، وارفع سجف هذا الباب.

فرفعته فإذا عشرون بدرة مع تلك العشرة.

«فقلت»: ما تنتظر؟

«فقال»: ويحك ما هو إلا أن حصلت عندي حتى جرى عليّ مجرى ما تقدم.

«فقلت»: ما أظن أحدًا نال من هذه الدولة ما نلت، فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهرًا، وقد ملكك الله سبحانه أضعافه؟

«فقال»: اجلس خذ هذا الصوت، وألقى علي صوتًا أنساني به الأولين، في شعر مروان بن أبي حفصة:

إلى جعفر سارت بنا كلُّ حُرَّة طواها سُراها نحوه والتهجر
إلى واسع للمجتهدين فناؤه تروح عطاياه عليهم وتبكر
«قال مخارق»: فما سمعت مثله قط، فأخذته.

«ثم قال»: امض إلى جعفر، فافعل به كما فعلت بأبيه وأخيه.
ففعلت ذلك، وأخبرته بما كان منهما، وعرضت عليه الصوت. فسر به،
وضرب الستارة، وأحضر جارية وأقعدتُ على كرسي.
«ثم قال»: هات يا مخارق.

فألقيت الصوت عليها، ثم أخذته.
«نقال»: أحسنت يا مخارق وأحسن أستاذك. فها لك في المقام عندنا اليوم؟
فاعتذرت.

«فقال»: يا غلام، احمل مع أبي المهنا ثلاثين ألف درهم، وإلى الموصلي
ثلثمائة ألف درهم.

فصرت إلى منزلي بالمال، وأقمت ومن في منزلي مسرورين، ثم بكرت إلى
إبراهيم، فتلقاني قائمًا. ثم قال: أحسنت يا مخارق.
«فقلت»: ما الخبر؟

«فقال»: اجلس، فجلست.
وقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه.
ثم رفع السجف، فإذا المال.

«فقلت»: ما خبر الضيعة؟

فأدخل يده تحت مسورة هو متكئ عليها.

«فقال»: هذه كتب الضيعة، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد فاشترها منه

يحيى بن خالد وكتب إلي:

«قد علمت أنك لا تسخو نفسك تشتري هذه الضيعة من مال يحصل لك، ولو
حيزت لك الدنيا كلها، وقد ابتعتها لك من مالي».

ووجه إلي بكتبها وهذا المال كما ترى.

ثم بكى وقال: يا مخارق إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء، ستمائة ألف درهم
وضيعة بمائة ألف درهم وستون ألف درهم لك، حصلت ذلك، وأنا جالس في
مجلسي لم أبرح منه!!



القانون والأخلاق

قال غوستاف لوبون في كتابه «روح الاشتراكية» (ص ١٢): «تشتمل العوامل
السياسية على القوانين والنظم، ويعزو النظريون من جميع الأحزاب -ولاسيما
الاشتراكيون- أهمية كبيرة إلى هذين العاملين، لاعتقادهم أن سعادة الأمة
بأنظمتها، وأن مقاديرها تتغير بتغييرها، وهم بذلك على غير رأي بعض
المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جداً، وأن مقادير الأمم
بأخلاقها، أي: بروح أفرادها».



مصر والشام

يا سحابًا يُزجى إلينا رُكامًا
أيُّ بحر سواك، بل أي أفقٍ
أنبي الأرض: هل حملتَ غديرًا
أم سيولًا تهيم في كل وادٍ
أين تغدو: أشاطئ البحر ترجو
إلى مصر، أم إلى الشام تصبو؟
بين مصرٍ والشام شاطئ بحرٍ
وقفتَ بينه وبين الصحاري
شيدتَ صرَحَها عليه الليالي
ربضت خلفه أسودُ البوادي
كلما جاءها مخاضُ الليالي
نترى الودقَ فائضًا من خلاله
بعد حبسٍ أطلقت من أغلاله؟
في انحدارٍ نهفو إلى شلاله
أم رذاذًا يروق في أوشاله؟
أم بوابه، أم رؤوسَ جباله؟
والشقيقان واحدٌ في وصاله
ملء عين الأيام بعضُ نواله
شامخاتُ الجبال أسرى جماله
واستقرَّ التاريخُ في أطلاله
شاهداتٍ عليه في أعماله
عزَّزته بنخبةٍ من رجاله^(١)

(١) إشارة إلى مهاجرات الساميين من بوادي جزيرة العرب إلى أقاليم البحر المتوسط التي عمروها منذ أقدم أزمنة التاريخ: في سوريا، ومصر، وبلاد المغرب، وقد ذهب المؤرخ المدقق «جيمس هنري بريستد» الأستاذ في جامعة شيكاغو إلى أن جماعات سامية عظيمة قد هاجرت قبل زمن التاريخ من البقعة الهلالية الشرقية، فمشت غربًا حتى هبطت مصر بطريق سينا والسويس، فأقام بعضها في هذا القطر وعمره، وهؤلاء هم أصل الشعب المصري القديم، ومؤسسو الحضارة المصرية، ومشى قسم آخر منهم إلى الحبشة فاستوطنها، وبقي قسم آخر ينتقل في إفريقيا الشمالية قرونًا عديدة، حتى استقرت منه جماعات كثيرة في بقاعها، ووصل بعضها حتى شواطئ بحر الظلمات «الاطلانطيك»، وليست حركة العرب عند ظهور الإسلام إلا مظهرًا آخر من مظاهر تلك المهاجرات أنتجت توحيد المواطن السامية وبعثها في وطن عربي جديدة. (الناظم).

أذنتِ المنتأى، وكانت دليلاً
هجرةً إثرَ هجرة من صحاري
ملأت أفقه بآمال مجدٍ
فمشى البحر ناشطاً من عقاله



(وطنٌ واحدٌ) لأبناء (سام)
ما استقل الآريُّ فيه وإن ظلَّ
ليس (عمرو) و(خالد) غير قطبين
بعثاه بعثاً جديداً أرانا
(وطن العرب) خافه كلُّ عابٍ
كفلته الصحراء شرقاً وغرباً
وطن المرسلين بالحق نوراً
مصر والشام فرعه الوارف الظلَّ
خسئ العابث المغير وإن ظلَّ
عشرات المليون للضاد ليسوا
كراً هذا الزمان كراً عنيفاً
وإذا هم من خالدي الفكر حتى
عربيُّ في خطوه ومجاله
زماناً يعدو على استقلاله^(١)
أطلا منه على آماله
ضوء مجدٍ مُخلِّدٍ في مثاله
أغرق الفانحين بحرُ رماله
حين فتَّ الأعداء في أوصاله
ودهاؤه التشريع من عُماله
وأهل القطرين من أشباله
مُجدداً في غيِّه ومحاله
ليموتوا، فليرتجع عن ضلاله!
فإذا هم لم يبرحوا من نصاله
في حضارات غربه وشماله^(٢)

(١) يرى مؤرخو الغرب وعلماء وصف الشعوب عند مقارنتهم بين الأحداث التاريخية والأوضاع الجغرافية، أن في انتشار الشعوب الآرية على حوض الشواطئ الشمالية للبحر المتوسط وانتشار الشعوب السامية على حوض الشواطئ الجنوبية لهذا البحر، ما يشبه خطين متناظرين أو جهتي حرب كانتا وما زالتا ميداناً للتنافس والتناحر بين الشرق والغرب منذ خمسة آلاف سنة حتى يومنا هذا. (الناظم).

(٢) إشارة إلى الحضارتين الإفريقية والانكليزية.

منذ (خُوفُو) ومنذ (قَدْ مُوسَى) يزهو بحر فنانهم بحسنِ لآله^(١)
 أن أدال الزمانُ منهم ملوكًا لم يُدِلْ من نبوغهم وجلاله



مصر والشام مشرقان لشمسٍ ضاء منها الزمانُ في إقباله
 نَسَجَتْ من شُعاها بُرْدَ مَجْدٍ خلعتَه دهرًا على أقباله
 فاستعاضَ الشرقيُّ منها بثوبٍ ذهبي الشعاع من أسماله



مصر والشام لن تموتا وإن جا رَ علينا الدخيل يوم نزاله
 لن تموتا والغرب غربٌ وهذا الش رُق شرقٌ في روحه وإياله
 لن تموتا والحق أثبتُ نورًا خمد البغي، أو مضى في اشتعاله



مصر والشام مطلقان لفجرٍ عربيٍّ غطَّى على آصاله
 نهضًا يبعثان عصرًا قديمًا في جديذ حاكى على منواله
 نهضًا ينشران في الناس أن الذ ماس أسمى في العيش من أنواله
 وبضيئشان للحياة سبيلًا عجز الغربُ عن سلوك كماله



مصر والشام دوحتان لشعب صانه الله، مَدَّ في أظلاله

محمد الشريف / نزيل عمان



(١) خوفو مصر، وقدموس فينيقيا. قلت: والافتخار يكون بالإسلام وأهله، لا بالأقوام الكافرين. (س).

في قصر مسلمة بن عبد الملك

«قال إبراهيم الموصلي»: خرجت مع الرشيد إلى الشام لما غزا، فدعاني يوماً، فدخلت إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه، مفروش بأنواع الرخام، فأكل وأمرني فأكلت معه، وتوليت خدمته إلى العصر، ثم خلع عليّ خِلعة وشي من ثيابه، وأمر لي بألف دينار.

«ثم قال»: انظر يا إبراهيم، كم من يد أوليتك إياها اليوم؟ نادمتني منفردًا، وواكلتني، وخلعت عليك ثيابي من بدني، ووصلتك، وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك.

«فقلت»: ما ذهب عني هذا من متك. وإن نعمتك عندي أكرم من أن تُحصى. ثم قبلت رجله والأرض بين يديه^(١).



شاعر شعوبي (إفحام شعوبي)

كان إسماعيل بن يسار شعوبياً، شديد التعصب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم على العرب.

وأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب هذا البيت:

إذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاهاً بناتكم في التراب

«فقال له أشعب»: صدقت يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن!

(١) هذا من الغلو. (س).

«فقال له: وما ذاك؟»

«فقال: دفن القوم بناتهم خوفاً من العار عليهن، وزينتموهن لتكحوهن! فضحك القوم حتى استعبروا، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل.

ومن هذه القصيدة:

ما على رسم منزل بالجناب	لو أبان الغداة رجَعَ جواب
رُب خال متوجّ لي وعم	ماجد مجتدئ كريم النصاب
إنما سمي الفوارس بالفر	س مضاهاة رفعة الأنساب
فاتركي الفخر يا إمام علينا	واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألني إن جهلت عنا وعنكم	كيف كنا في سالف الأحقاب
إذ نربي بناننا وتدسو	ن سفاهًا بناتكم في التراب

□ قِحَّةٌ شُعوبِيَّةٌ □

وإسماعيل بن يسار النسائي هذا، هو الذي دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته، وهو بالرصافة جالس على بركة له في قصره.

فاستنشه -وهو يرى أن يُنشده مديحًا له فيه- فأنشده قوله يفخر بالعجم على العرب قصيدته التي يقول منها:

إنني وجدك ما عودي بذِي خور	عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يُقاس به	ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمي به مجد أقوام ذوى حسب	من كل قرم بتاج الملك معوم
جحاجح سادة بلجٍ مرازيةٍ	جرّد عتاقٍ مساميحٍ مطاعيم
مَن مثل كسرى وسابور الجنود معا	والهرمزان لفخرٍ أو لتعظيم

أُسَدُ الكُتَّابِ يَوْمَ الرُّوعِ إِن زَحَفُوا وَهُمْ أَذَلُّوا مُلُوكَ التُّرْكِ وَالرُّومِ
يَمْشُونَ فِي حُلُقِ الْمَازِي سَابِغَةً مَشَى الضَّرَاغِمَةُ الْأُسْدَ اللَّهَامِيمِ
هَنَّاكَ إِن تَسْأَلِي تُنَبِّي بَأْنَ لَنَا جَرْتُومَةٌ قَهَرَتْ غَرَّ الْجَرَائِيمِ
فَغَضِبَ هَشَامٌ، وَقَالَ لَهُ: أَعْلَيَّ تَفْخَرُ، وَإِيَّاي تُنْشِدُ قَصِيدَةً تَمْدَحُ بِهَا نَفْسَكَ
وَأَعْلَاجَ قَوْمِكَ، غَطَوْهُ فِي الْمَاءِ!

فَعُطِّ فِي الْبَرَكَةِ حَتَّى كَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ، وَأَمْرٌ بِإِخْرَاجِهِ وَهُوَ بَشَرٌ، فَنَفَاهُ مِنْ
وَقْتِهِ، وَأَخْرَجَ مِنَ الرِّصَافَةِ مَنْفِيًّا إِلَى الْحِجَازِ، وَكَانَ مَبْتَلًى بِالْعَصِيَّةِ لِلْعَجَمِ
وَالْفَخْرِ بِهِمْ، فَكَانَ لَا يَزَالُ مُحْرُومًا مَطْرُودًا مَضْرُوبًا.



إبراهيم الموصلي والرشيد

سأل الرشيد إبراهيم الموصلي:

- كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الألحان؟

فقال: يا أمير المؤمنين أخرج الهم من فكري، وأمثل الطرب بين عيني،
فتسرع إليّ مسالك الألحان التي أريد، فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيبًا
ظافرًا بما أريد.

فقال: يحق لك أن تصيب وتظفر، وأنّ حسن وصفك لمُشاكلٍ لحسن صنعتك
وغنائك^(١).

(١) الموسيقى محرّمة. ويُنظر كتاب «هارون الرشيد: الخليفة المظلوم» للشيخين: أحمد القطان
ومحمد الزين؛ لمعرفة الأكاذيب التي تُنسب له ﷺ.

ظنر الإسلام

سلامٌ مِن صَبَا (بَرَدَى) أَرَقُّ
ومعذرةُ البراعة والقوافي
وذكرى من خواطرها لقلبي
وبي مما رمثك به الليالي
دخلتك والأصيلُ له ائتلاقُ
وتحت جنانك الأنهارُ تجري
وحولي فتيةٌ غُرَّ صباحُ
على لهواتهم شعراءُ لسنَّ
رواةُ قصائدي فاعجب لشعرِ
غمزتُ إباءهم حتى تَلَطَّثُ
وضجَّ من الشكيمة كلُّ حرٍّ



لحاما الله أنباءً نَوَّالت
يفضلها إلى الدنيا بريدُ
تكاد لروعة الأحداث فيها
وقبل معالم التاريخ دُكَّتْ
ألسنٌ دِمَشقُ للإسلام ظنرًا
صلاح الدين تاجك لم يُجْمَلْ
وكلُّ حضارة في الأرض طالت

على صنع الولي بما يشقُّ
ويُجملها إلى الآفاق برقُ
تُخال من الخرافة وهي صدقُ
وقبل أصابها تَلَفٌ وحرقُ
ومُرِضعةُ الأبوة لا تُعَقُّ
ولم يوسم بأزين منه فرقُ
لها من سرحك العلوي عرقُ

سماؤك من حُلَيّ الماضي كتابٌ
بَنِيَتِ الدَّوْلَةُ الكُبْرَى، ومُلْكًا
له بالشام أعلامٌ وعُرسٌ
وأَرْضُك من حُلَيّ التاريخ رَقٌ
عُبارٌ حَضارَتِه لا يُشَقُّ
بشائِرُه بأنْدَلَسٍ تُدَقُّ



رباعُ الخلد ويحك ما دهاها
وهل عُرِفَ الجَنان مُنْصَدَاتٌ
وإِن دُمى المقاصِر من جِجالٍ
بَرَزْنَ وفي نواحي الأيْكِ نارٌ
إِذا رُمِنَ السَّلامَةُ من طريقٍ
بليلى للقدائف والمنايا
إِذا عَصَفَ الحديدُ احمرًّا أفقٌ
سلى مَن راع غَيْدِكَ بعدَ وَهِنٍ
وللمستعمرينَ وإن ألانوا
رماكِ بطيشه، ورمى فرنسا
إِذا ما جاءه طُلابُ حَقِّ
دُمِ الثُّوار تَعَرَّثُه فرنسا
جَرى في أرضِها فيه حياةٌ
بلاةٌ ماتَ فتيتُها لتخيا
وَحَرَزَتِ الشعوبُ على قَناها



بني سورِيَّةَ اطَّرحوا الأمانِي
فَمِنْ خِدَعِ السَّياسَةِ أن تُفَرُّوا
والقوا عنكم الأحلامَ، ألفوا
بألقابِ الإمارةِ وهي رِقٌ

وكم صَيِّدٌ بَدَا لَكَ مِنْ ذَلِيلٍ
فَتَوَقَّ الْمَلِكُ تَحَدُّثُ ثُمَّ تَمْضِي
نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَارًا
وَيَجْمَعُنَا - إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادٌ -
وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حَرْ
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَابِيَا
وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضُّحَايَا
فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالٍ حَيَاةٍ
وَلِلْحَرِيَةِ الْجُمَرَاءِ بَابٌ
جَزَاكُمُ ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقٍ
نَصَرْتُمْ يَوْمَ مِخْنَتِهِ أَخَاكُم
وَمَا كَانَ الدُّرُوزُ قَبِيلَ شَرٍّ
وَلَكِنْ ذَاذَةٌ وَقِرَاءَةُ ضَبَفٍ
لَهُمْ جَبَلٌ أَتَمُّ لَهُ شِعَاعَاتُ
لِكُلِّ لَبِوَّةٍ وَلِكُلِّ شِبْلٍ
كَأَنَّ مِنَ السَّمَوَاتِ فِيهِ شَيْئًا

كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ عُتُقُ
وَلَا يَمْضِي لِمُخْتَلِفِينَ فَتُقُ
وَلَكِنْ كَلْنَا فِي الْهَمِّ شَرْقُ
بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ وَنُطْقُ
فَإِنْ رُئِمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
يَدٌ سَلَفَتْ، وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ
إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسَقُّوا وَيَسْقُوا
وَلَا يُدْنِي الْحَقُوقَ وَلَا يُجِزُّ
وَفِي الْأَسْرَى فِدَى لَهُمْ وَعَتُقُ
بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
وَعَزُّ الشَّرْقِ أَوَّلُهُ دِمَشْقُ
وَكُلُّ أَخٍ بِنَصْرِ أَخِيهِ حَقُّ
وَإِنْ أَخَذُوا بِمَا لَمْ يَسْتَحِقُّوا^(١)
كَيَنْبُوعِ الصَّافَا حَشْنُوا وَرَقُّوا
مَوَارِدُ فِي السَّحَابِ الْجَوْنِ بُلُقُ
نِضَالٌ دُونَ غَابَتِهِ وَرَشَقُ
فَكُلُّ جِهَاتِهِ شَرَفٌ وَخُلُقُ

أحمد شوقي



(١) غلبت القومية شوقيًا، حتى جامل «الدروز»! وإلا فهم أصحاب مذهب منحرف. انظر حقيقته في رسالة: «عقيدة الدروز: عرض و نقض»؛ للدكتور محمد بن أحمد الخطيب. (س).

الوطنية

الوطنية، هي اعتداد الأمة بنفسها، ورغبتها في الوصول إلى أرفع درجات المجد، ومحاولتها النهوض والرقى، لا من الناحية الأخلاقية والعقلية فحسب، بل من الناحية المادية أيضًا، وذلك لتبسط نفوذها وسلطانها على أجزاء من الأرض.

فلاديمير دورميسون

من مقالة في جريدة الطان/ يناير، ١٩٢٦



انتشار شعر المتنبي في حياته

قال رئيس الشام، كمال الدين بن العديم العقيلي في تذكركه الشهيرة:
قرأت بخط أبي الفتح عثمان بن جني: حدثني المتنبي قال: حدثني بمصر
فلان الهاشمي من أهل حرّان قال: أحدثك بطريفة، كتبتُ إلى امرأتي وهي
بحران كتابًا تمثلت فيه بيتك:

بِمَ التعلُّ لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأس ولا سَكَنُ
فأجابتنني عن الكتاب فقالت: ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت؛ بل ما
أنت إلا كما قال الشاعر في هذه القصيدة:

سهرتُ بعد رحيلي وحثّة لكم ثم استمرّ مريري وارعوى الوسنُ



سورية الشهيدة

الأهلُ أهلي، والديارُ دباري
ما كان من ألمٍ بجَلَقَ نازلٍ
إن الدَمَ المَهراقَ في جَنابِها
دمعي لما مُنِيتُ به جارٍ هنا

وشِعار «وادي التَّيرين» شعاري
واري الزناد، فَرَنَدُه بيّ واري
لَدَمي، وإن شِفارَها لَشفاري
ودمي هناك على ثَراها جاري



يا وامضْ البرق اظمئنْ وناجني
ماذا هناك فإن صوتًا راعني
النارُ محدقةٌ بجَلَقَ بعدما
تنسابُ في الأحياءِ مسرعةُ الخطى
والقومُ منغمسون في حماتها
الطفلُ في يدِ أمّه غَرَضُ الأذى
والشيخُ متكئًا على عُكازِه
صبرثُ دمشقُ على النكالِ لباليا
لهفي على المتخلفين برحبها
يترقَّبون الموتَ في غدواتهم
لا يعلمون: أفي سوادِ دُجَنَةٍ
الوابِلُ المِذارُ من حُمَمِ اللَّظَى
والظلمُ منطلقُ البيدين محكمٌ
أمجالسَ السَّمارِ ضاحكةٌ بهم

إن كنتَ مطلقًا على الأسرار
والصوتُ فيه جَفْوَةُ الأذعار
تركثُ «حماة» على شفيرِ هار
تأتي على الأطمار والأعمار
فتكًا بكلِّ مُبَرِّأ صَبَّار
يُرمي، وليس بخائض لغمار
يُرمي، وما للشيخ من أوزار
حَرَمُ الرُّقادِ بها على الأشفارِ
كيف القرارُ ولا تَ حينَ قرار
وإذا نَجَّوا فالموْتُ في الأسحار
هم سُهْدٌ، أم في بياض نهار
متواصلٌ، كالوابِلِ المدرار
ياليك كلَّ العَظْبِ حَظْبُ النار
ضحكُ الهوى ما حلَّ بالسَّمار؟

أمعاهد الأدب الطريف ثكلته
 أمّ القصور نواعماً ربّائها
 أمّ الجنان الكاسيات رياضها
 أمّ الحياة، وللحياة نعيمها
 زهو الحضارة أنت مطلع شمس
 ويح الحضارة كيف يمتن اسمها
 هم أوردوك وأصدروك على صدّي
 هم أخرجوك فأخرجوك مهيجّة
 طالت لياليك الثلاث، وإنما
 وإذا الظلام عتا تَبَلَّجَ فجره:
 ما انهار قصرٌ في حِمَاكِ مُمرّد
 ما دمرّوك هُم، ولكن دَمَرُوا
 حملوا عليك مُوَاثِبِينَ وما لهم
 ما ينقمون عليك إلا أنهم
 فإذا المنازلُ وهي شامخة الذرى
 وإذا المدينة «تَدْمُرُ» أو «نَيَوُيُ»



قم سائل الأجيال يا ابن نسيجها
 فلعلّ عبرةً مجتلى صفحاتها
 إن الشعوب لتستفيقُ إن انتشّت
 أرايت كيف طغى الفرنجُ وأوغروا
 أرايت كيف استهتروا بمطامعِ
 واستوحِ غامض سيرها المتواري
 في ما محاه الدهرُ من أسطار
 والصحو غايّة نشوة الإسكار
 صدرَ الأسنة أَيْمًا إيفار؟
 فيها المصارعُ، أيما استهتار؟

متداول الأنجاد والأغوار
شئى المذاهب شُرِّدَ الأفكار
منهم، وبين مُخادعِ غرَّار
بغزوهم مائةً من «الشَّوَّار»
يقنَّادُ كلَّ مدجَّجٍ مِنغوار
والقاحمين إذا يُقال «بدار!»
سَلَفًا، فنحن اليوم في «ذي قار»
في الشام فاندفعوا إلى الأسوار
والمطفلاتِ وهنَّ في الأخدار
ضَعِفَ، وخصَّوا كل ذات إزار
فاعجب لعارٍ سَتَّروه بعار!



في مصرَ تطفئُ غُلَّةَ الأمصار
عهدٌ تَسْلَسَلُ في دم الأعصار
حقُّ، ولِلأمال والأوطار
والفردُ موقوفٌ على الأقدار
ضيمُ المغير بَخَطْبِهِ الكُبَّار



في الشام إلا في طلى الأحرار
وهمُ يرون به رَبَّاح الشاري
وضحى تعيث بها يدُ الجزَّار
ترنو إليك بشاخص الأبصار

الشرقُ بين قوتهم وضعيفهم
وبنوه بين وَعِيدهم ووُعودهم
لا تَأْمَنَنَّ فأنْتَ بين مُكافح
وانظرْ إلى الآلاف من بُسلائهم
من كل مِنغوارٍ صَليبِ عودِه
الوائبين إذا يُقال «تأهبوا»
إن أنصفت أيامُ ذي قارٍ لنا
طارثُ بِالْبَابِ الفرنجةَ صيحةً
واستهدفوا الأطفالَ في حُجراتها
عَمُوا بمضْطَرِبِ القذائف كل ذي
ستروا بضرب الآمنين فرارهم

غضبتُ لسوريةَ الشهيدة أمةً
ورَعَتْ لها ذِمَمَ الوفاءِ، فلم يَضُغْ
لِلهِ والتاريخِ والدمِ واللُغى
تأبى الجماعةُ أن تهون لغاصب
وإذا العُرى انفصمتْ تولى أهلها

يا ابنَ الكنانةِ ما الجراحُ دواميًا
المشتريين ديارهم بدمارهم
أنفوا حياةَ الشاءِ كلَّ عشية
هَلَّا نظرتَ إلى الشَّامِ فإنها

نَاءَتْ بِحَمْلِ نَكْوِيهَا فَتَقْلَقْتُ مَوْجًا بِأَطْفَالٍ هُنَاكَ صِغَارِ
 لَيْسَ الْجَوَارُ إِذَا عَدَلَتْ بِمَقْنَعٍ يَا بِي الشَّقِيقُ عَلَيْكَ حَقَّ الْجَارِ
 خَيْرُ الدِّينِ الزَّرْكَلِيُّ



العدل في القوانين

ماذا يجدي أنَّ العدلَ في القوانين، إذا لم يكن في القلوب، وإذا كانت
 القلوب مؤذية فهل يُجدي أنَّ العدل في القانون؟
 لا تقولوا: «نسُنُّ شرائعَ عادلة ونعطي كل واحد حَقَّهُ»، فلا رجل عادل.
 ولسنا نعلم ما ينفع الناس: نحن نجهل على السواء ما هو حسنٌ لهم وما هو
 سيءٌ.

أناتول فرانس

من كتاب آراء «أناتول فرانس» للسيد عمر الفاخوري



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثالث

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله باري الورى، وصلى الله على سيدنا محمد علم الهدى، ورحمته ورضوانه على كل من إذا قال قال خيرًا، ودعا إلى مكرمة وفضيلة واعتلا.

وبعد: فإني أضع بين أيدي قراء (الحديقة) الجزء الثالث منها؛ وقد حرصتُ على أن يكون جامعًا بين ما يلزُّ وما يفيد، وعلى أن يكون أهلًا لمسامرة محبِّي الأدب من رجالنا ونسائنا على اختلاف طبقاتهم.

ولعلَّ (الحديقة) انفردت بهذه المزية، فلم يشاركها فيها كتاب آخر من نوعها. وكان كثيرون من الأدباء قد ظنوا أن الناس مالوا عن الأدب الأبّي العفيف إلى عدوّه المتهتك، فدلّني رضى القراء في جميع الأوطان العربية عن جزءي الحديقة السالفين على أن هذه الأمة لا تزال إلى خير؛ فمضيتُ في عملي طالبًا من الله التوفيق.

القاهرة ١٢ ربيع الأول ١٣٤٥هـ

محب الدين الخطيب



الشرق الناهض بمناسبة جهاد الأمم الشرقية في آسية وإفريقية

«للشاعر الكبير السيد محمد رضا الشبيبي،

وزير المعارف العراقية السابق»

نَفَدَ الصَّبْرُ، فَهَبْتُ فَرْعَا بَعَثَ اللُّهُ لَهَا رَاقِدَهُ وَدَعَا لِلذُّودِ عَنْ أَحْسَابِهَا أُمَّةٌ خَرَسَاءُ كَمْ وَاشَى وَشَى أَزْمَعْتُ أَنْ لَا يَرَاهَا جَمَلًا وَأَتَّقْتُ حِينًا، فَلَمَّا عَلِقْتُ أَشْرَعْتُ عَامِلَهَا، فَاتَهُمُوا وَأَدَّعَاهَا - فَتَفْتُ حُجَّتَهُ - جَمَعَ الشَّرْقُ عَلَى رَائِضِهِ فِي جِهَاتِ الْأَرْضِ خَرَقٌ، كَلِمَا جَاذِبَتْنَا بُرْدَةُ الْمَلِكِ يَدٌ كَلِمَا قَامَ إِمَامٌ جَائِرٌ شَتَّتَ الشَّمْلَ جَمِيعًا نَفَرٌ لَا يَبَالُونَ إِذَا مَا قَلَدُوا وَإِذَا مَا بَحَثُوا مُشْكَلَةً	وَأَبَى السَّيْفُ لَهَا أَنْ تَضْرَعَا مِنْ عَصُورٍ مَا أَقْضَى الْمَضْجَعَا شَرَفُ الْعِرْقِ، فَلَبَّثْتُ إِذْ دَعَا بَنَوَادِيهَا، وَكَمْ سَاعٍ سَعَى غَاصِبٌ صَالٍ عَلَيْهَا سَبْعَا نَبَذْتُ ذَاكَ التَّقَى وَالْوَرْعَا حَذَّهَ الْمَأْثُورَ حَتَّى قَطَعَا دَاخِضَ الْحُجَّةِ سَمُجُ الْمَدْعَى بَعْدَ مَا اسْتَنْزَلُوا طَيْعَا رَفَأَ السَّاسَةُ مِنْهُ اتِّسَعَا مَلَأَتْهَا مِنْ فُسَادٍ رُقْعَا قَادَنَا الضَّعْفُ إِلَيْهِ تَبْعَا غَبَرُوا، لَا يَشْهَدُونَ الْجُمْعَا ضَرَّهْمَ مَا فَعَلُوا أَمْ نَفْعَا لَمْ نَجِدْهُمْ شَيْعَةً بَلْ شَيْعَا
---	--



صلةً الشرقيّ بالماضي اسلمي
 جاهدي يا أمم الشرق الألى
 جددي عهد عليّ غازيا
 واذكري ما فعل الغرب بمن
 وثب الريف من الغرب بهم
 وتعالى في العراقيين صدّي
 جمع العليج لهم، فانبعثت
 اتنوخ هذه؟ أم أنجبت
 ذهبت أيامهم فاسترجعوا
 حضر تفتخر المدن بنا
 نصّر الله عهدًا بالجمي
 وسقى مما يلي عاملة
 لا أغب الغيث صيداء ولا
 بل حمصًا وتوخي حلبا
 مدن لو تركت لاتصلت
 دفعوا الشام عن الحق الذي
 يا لها واقعة في جلق
 جنة الأرض، وما أوحشها
 منح اللذات منها بلد
 يا له حيا لقاحا لعبت

لا تعودى سنّدا منقطعا
 قتلونا، جاهديهم أجمعا
 وأعيدي مالكا والنخما
 هذبوه، واصنعي ما صنعا
 فائز الشرق والغرب معا
 من بني الأطرش حتى أسما
 همجاء فرقت ما جمعا
 مرة أخرى تنوخ ثبعا
 ما أضاعوا، ربّ ماض رجعا
 أو بداءة تتحرى النجما
 سالفات، ورعاها ما رعى
 ذلك المصطاف والمُرتبعا
 أخلف النوء المرجى جبا
 ونحا بصرى وروى أذرعا
 جزأوها - ليسودوا - قطعا
 دُها سال عليه دفعا
 جلّ في حساننا أن تقعا
 جنة بالنار عادت بلقعا
 عبقرى وأفاد المُتعا
 فيه أيدي العابثين الخلعا



أيها الضيفان زدتم جشعا

ما لكم إن أحسن الشرق قري

لا تقولوا طمعٌ. داؤكم جاوز الحد فأمسى طبعاً
لا ربحتم من تجار عَرَضُوا أنفس الأحرار منا سِلَعاً



التربية الرياضية

قال الغزالي: «ينبغي أن يؤذن للصبي - بعد الانصراف من المكتب - أن يلعب لعباً جميلاً يسترّج إليه. بحيث لا يتعب في اللعب. فإنّ منع الصبي من اللعب وإرهاقه في التعلم دائماً يُميت قلبه، ويُبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب منه الخلاص رأساً».



رسالة القاضي الفاضل إلى أخيه

نقل كمال الدين بن العديم العقيلي في تذكرته النفيسة رسالة كتبها القاضي الفاضل إلى أخيه عبد الكريم يؤنبه فيها على إيدائه الأمير علم الدين ابن النحاس، وهذه صورتها، وهي نموذج الإنشاء البليغ والأدب العالي:

«سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأخ أصلحه الله، إعلامه ما صحّ عندي من الأحوال التي أخفاها، والله مُبدها في حق الأمير علم الدين، وبالله أقسم لئن لم تُداو ما جرحت، وتستدرك ما فعلت، وتمحّ ما أثبت، وتستأنف ضدّ القبيح الذي كتبت به وشافهت، وتعتذر بالجميل فيما قاطعت الله به وبارزت؛ ليكونَ الحديث مني بغير الكتاب، ولأزيلنَّ السبب الذي قدرت به على مضرة الأصحاب، وما أشد معرفتي بأن الطباع لا تتغير، وبأنك ستُحوجني بعد هذا

الكتاب إلى ما لا يتأخر، وبالجملـة فاستدرك بفعلك، لا بأيمانك لي وتنصلك إليّ.

فالدّم في التّصل شاهدٌ عَجَبُ

وويلٌ لمن كانت غنيمته من الأيام عَقْدُ القلوب على البغضاء، وإطلاق الألسنة بالمذام، ولولا أنني شريكك في كل ما تستوجه من الناس، لألقيت حبلـك على غاربك، وتركتك وما اخترت لنفسك، ولكن:

كيف بمن يُرَمَى وليس بـرام

ولكنّ سكوت الناس عن قبيحك مقابلةٌ لجميل كثير مني، فإذا أنت لا تُنفق إلا من كيسي، فأشفق على نفسك إن كنت تنظر في غدٍ، وعلى بيتك إن كنت تنظر في أمس، وعلى مكانك مني إن كنت لا تنظر إلا في اليوم، ولا تجاوبني إلا بلسان الرجل شاكراً لك، فإنه وإن كان -والله- ما ذمك فقد ذممتك به عنه، وما أظنّ أنك تذكر أنني كتبت إليك كتاباً ولا كنت أوثره، ولولا حافزٌ غيظ ما كتبتـه، ولولا علمي أن الكثير مما قيل عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلته لأضربتُ عن هذا كما أضربتُ عن غيره. وستُعرفك الأيام ما كنت تجهل، والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه، ويُغمد سيفَ حيلتك عن مقتلـك. والسلام».



والذي حمل رقعة القاضي الفاضل إلى أخيه هو القاضي بهاء الدين محمد بن الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخشاب.



جبابرة الأرض

قال أناتول فرانس: لينظر جبابرة الأرض إلى مواطني أقدامهم، لينظروا إلى الشعوب التي يقهرونها، والمبادئ التي يزدرونها، فإن من ثمة سوف تُخرج القوة التي تصرعهم.

الليلة الرهيبة

□ صورة الحزن □

يا ساهرَ الليل، ما للبرق يأتلقُ	والمزن ترعدُ والأنواء تصطفقُ
هل بالطبيعة ما بي أم ألمٌ بها	ما بالديار فثارت - كلُّها حقُّ
مُرَبَّدَةٌ لم يَهْمُ في جوّها قمرٌ	ولا تنفّسَ في أطرافها فلَقُ
قدّت من الليل سربالاً يُجَلِّلُها	وخَفَ الذبول فلم يُسفر لها أفقُ
مرأى يُمثلُ هولَ الحزن مختبِطاً	بين الجوانح سُدتْ دونه الطرقُ
أبصرتُ بالعين ما استشعرت من كمد	في النفس لَجَّ به التبريح والأرقُ



□ مصارعة الهموم □

ويح الهموم فكم أرخت أعتتها	شُعْثًا تدفقُ أرسالا وتستبقُ
هوجاء تسمع منها كلما اقتربت	صوت السلاسل فوق الصخر تنزلُ
تهوي إلىّ وأهوي مطبقين معاً	حتّى نُصرّع ملتقيين نعتنقُ
هاجت وهجتُ فكانت ثمّ ملحمة	دراث وسال دمي يجري به العرقُ



□ الحقد والقوم □

أصبحتُ منفردًا عن كلّ ذي ثقة
والغیظ يسكتُ عني ثم يهجم بي
أنحت علي خطوبٌ قام شاهدها
وكم عركتُ بجنبی زلّة بدرت
والقوم صنفان: إما فاتكُ شرسٌ
واللين كالسيف إن يخدعك ملمسه
حتى انطويت على ضغن فما أثقُ
على القنوط، فحظي عائرٌ قلثُ
في الأسود الجَوْن دَبّ الأبيض اليَقْثُ
من الصديق فلم يجمع بي النزقُ
وَعَرُ الطّباع، وإما خاتل لَبِثُ
فاسأل به الحتف يشهد حده الذلثُ

□ مناجاة الربيع □

يا ربيع أين ليال فيك ناضرة
فالدار موحشةٌ صاح العفاء بها
لم يبق منه ومنها بعد زهوها
شظايا ليس فيها ريشة من ريشها
وهل أمذك في بلواك منه صدئ
فالخبر من جنّات الشر مُرتَقِب
تبكي الطلول وتستبكي الغمام لها
كادث تُرفّه ما في الصدر من غلل
ألقك في لهوات الحتف غائلة
لم ترفع الرأس إلا تحت كلكلها
قد كان عن قدر ما قيل عن خطلي
تُعزّي العيوب إلى المنكوب مُقحمة
والعائرون، وإن لم يجن عائرهم
مرّت، وأين نعيم فيك متسّئ
والروض صوّح منه النبت والورقُ
إلاّ الهشيم، وإلاّ دمنة خلثُ
بالحزن يملأ من الحزن الحزن
بأبي يثن حسيّرًا ثم يختنقُ
كالفجر من خلل الظلماء ينبثقُ
مهلاً، فتلك شئوي ماؤها غدقُ
لو ساغ مُصطبّحٌ منها ومُغتَبقُ
من تحتها طَبَق، من فوقها طبقُ
والناس مُسفرةٌ والسيف ممتشقُ
وكم تحيف صفو الوارد الرنقُ
ورزُّ الضعيف بقدر الضعف يُختلقُ
قيل الجنّة، وقيل الجهلُ والمُسْكُ



□ الأمل الخائب □

ما أنضرَ الأملَ الموعود لو صدقت فيه الظنون، ولكن صدقها مَلَقُ
 إن الأمانِي كالأزهار من كَثَب تزهو، ويأرجُ منها نشرُها العَبَقُ
 لكن إذا اعتَوَرَتْهَا كَفُ ملتَمِسٍ جَفَّتْ وأودى الشذى والمنظر الأنقُ



□ الخطوب الجسام □

كيف العزاء ومالي بالعزاء يدُ فالرُزءُ مجتمَعٌ حولي ومفترقُ
 إني شمتُ من الأنفاس مُصَعَدَةً في الحي رائحة الأكباد تحترقُ
 وقد فنيْتُ عن الدنيا ولذَّتْها فليست أشعرُ إلا أنني رَمَقُ

فؤاد الخطيب



لا طفرة

لم يأت زمن تبدلت الآداب والأفكار فيه طفرة. فإن أعظم التبدلات الطاردة
 على الحياة الاجتماعية تحصل دون أن يشعر بها أحد، ولا يرى إلا عن بُعد،
 لذلك لا يُعيرها الذين يجتازونها أقل التفات.

أناتول فرانس



آراء لأناتول فرانس

مختارة من كتاب (آراء أناتول فرانس)

بقلم عمر فاخوري

- * أولى لك أن تكون المخدوع أحياناً، فقد علمتنا الحياة أن المرء لا يكون سعيداً إلا بقليل من الجهل.
- * سواء أعلم المرء أم لم يعلم فهو لم يتكلم. ليس يُعلم كل شيء، ولكن كل شيء يقال.
- * ليس في هذه الحياة أجمل من الأهواء، ولكنها خرقاء، الحب أجملها وأبعدها عن الصواب.
- * ليس في الدنيا ما هو أكبر سلطاناً من الجمال.
- * إذا أسعدنا الحظ بأن نكون فقراء بالفعل فلا نجعل أنفسنا أغنياء بالفكر، ومتعلقي القلوب بمتاع الدنيا، مخافة أن نشقى أو نظلم الناس.
- * يُورث كل تبدل يطرأ - وإن تمنيناه كثيراً - حزناً وغماً، لأن ما نتركه جزء منا.
- * ينبغي أن نموت في حياة لندخل حياة أخرى.
- * بالعاطفة تُبذر بذور الخير في الدنيا، ولم يؤت العقل هذه القدرة.
- * من الحسن أن يكون القلب ساذجاً والفهم غير ساذج. بأي حقّ تسأل المرء أن يضحي حياته إذا سلبته الأمل في حياة أخرى؟
- * من الحُمو العظيم أن تحتقر خطراً يهددك.
- * في الهموم تسلية عظيمة.

- * ينتج الخطأ عن ضعف في الخلق أكثر مما ينتج عن ضعف في الإدراك.
- * ليقُلْ (لا فونتين) ما شاء، فإن الأرنب يسبق السلحفاة دائماً، كما أن النبوغ يفوز على حسن الإرادة.
- * الإنسان في جوهره حيوان أحمق، وليست ترقياته العقلية إلا جهود قليلة الباطلة.
- * النساء والأطباء وحدهم يعلمون أن الكذب ضروري فيه منافع للناس.
- * المصيبة هي أفضل معلم وخير صديق، فهي التي تهدينا إلى معنى الحياة.
- * الحقيقة كالشمس، لا يراها إلا من كانت له عين النُّسر.
- * يحتاج أكثر الناس إلى شيء من الزينة ليدوَّ أنهم عظام.
- * كل شيء عكر في النفوس العكرة.
- * الحركات الجميلة موسيقى العيون.
- * قد يُحرم من تذوقِ اللذة مانحها.
- * لا يُجيد المرء الحديث عمن يحبُّ إلا متى فقده، وما قوَّة الشاعر إلا جمع الذكريات ومناداة الأخيلة.
- * لكل صورة شعرية معان عدة، فأَي معنى وجدته كان عندك معناها الحقيقي.
- * يثور المرء إذا غلب، أما الغالبون فلا يكونون عصاة نافرين.
- * من طبع الحكماء الحقيقيين أن يُغضبوا سائر الناس.
- * ليس بجائز أن يكون العالمُ الحقيقي غير متواضع، فهو كلما خطا خطوة رأى طول الطريق أمامه.
- * العِلْم معصوم، لكن العلماء يخطئون دائماً.

* لا يزدري العلم إلا من يزدري العقل ، ولا يزدري العقل إلا من يزدري الإنسان .

* ومن يزدري الإنسان أغضب الله .

* المدن كتب مزينة بالرسوم نرى فيها الأجداد .

* يزهد المرء في الإبانة عن عواطفه إذا كانت الألفاظ ستضعفها كثيرًا .

* كان البشر في الماضي كما نعرفهم اليوم : خيارًا وسطًا ، وشرارًا وسطًا .

* ما الوطن ؟ هو نهر يجري : شواطئه أبدًا متبدلة ، ومياهه متجددة .

* كلما تقدّمتُ في السن ازداد يقيني بأنه لا يوجد مجرمون ، ولا يوجد إلا
بؤساء مساكين .

* نحن أطفال مقضي علينا أن نظلّ أطفالاً إلى الأبد ، لا نفتأ نعدو وراء
الأعيب جديدة .

* الفلسفة والأدب هما (ألف ليلة وليلة) الغرب .

* لا شيء في الدنيا أجلّ من الألم .

* كل مصائبنا باطنة ، ونحن مسبوها . نحسب -خطأ- أنها تأتينا من الخارج
ولكننا نكوّنها في باطننا من نفس مادتنا لا نضيّع شيئًا من الماضي ، فإن الماضي
يصنع المستقبل .

* كبار الشعراء هم لكل الناس أما صغارهم فأحقّ بالغبطة أيضًا ؛ لأن شعرهم
لذة للمتفرّفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة .

* ما كان الجبن قطّ دليلَ التعقل .

* كلمتا «الحقيقة» و «العدل» يكفي أن لا نحدّدهما لفهم معناهما الصحيح .

ان في هاتين الكلمتين بحد ذاتهما لجمالاً يضيء ونورًا سماويًا .

* قَلَمًا يُسْتَمْنِي الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّفُونَ بَلْ يَظْهَرُونَ كَمَا هُمْ فِي حَقِيقَتِهِمْ ، وَقَدْ يَسْلُونَنِي .

* الْمَجْدُ كَالْحَسَنَاءِ لَا يَمْنَحُ نَفْسَهُ إِلَّا لِخَاطِبٍ .

* يَلُوحُ لِي أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَشْقَى لِإِفْرَاطِهِ فِي إِجْلَالِ نَفْسِهِ وَفِي الثِّقَةِ بِالنَّاسِ .

فَلَوْ كَانَ رَأْيُهُ فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ أَصَحَّ وَأَقْرَبَ لِلتَّوَاضُعِ لِأَصْبَحَ فِي أَحْكَامِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى النَّاسِ أَرْقًى وَأَحْلَمَ .

* سَدَاجَةُ الْفَلَاسِفَةِ لَا يُسْبِرُ غُورَهَا .

* إِنْ الْمُبَادِئُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ لِأَسْرَعَ تَبَدُّلاً مِنْ آرَاءِ الْفَلَسَفَةِ . لِذَلِكَ هِيَ لَا تَقُومُ

عَلَى أَسَاسٍ مَكِينٍ ، فَلَا يَكَادُ الْفِكْرُ يَلَامِسُهَا حَتَّى يَنْقُضَ بَنِيَانَهَا .

* لَا يَعْرِفُ الْمَرْءُ عَدَمَ التَّبَصُّرِ إِلَّا مِنْ قِبَلِ أَهْوَاؤِهِ .

* إِنْ الْهَوَى الشَّدِيدُ لَا يَدْعُ لِمُصَاحَبِهِ بِرَهَةٍ رَاحَةٍ ، وَهَذِهِ هِيَ حَسَنَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ .

* إِنْ كُلُّ شَيْءٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَى أَنَّكَ تَحْيَا .

* مَاذَا تَكُونُ بَوَادِي الْحَيَاةِ لَوْلَا سَرَابُ أَفْكَارِنَا السَّاطِعِ ؟

* إِنْ أَفْعَالُنَا لَيْسَتْ مِنَّا تَمَامًا ، بَلْ هِيَ لِلْأَقْدَارِ أَكْثَرُ مِمَّا هِيَ لَنَا ؛ نَحْنُ نُعْطَاهَا

جَائِزَةً وَلَا نَسْتَحْقُهَا دَائِمًا .

* الشُّعْرَاءُ كَالْأَطْفَالِ ، يَعْزُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْصُّورِ .

* الْعَمَلُ يَجْعَلُ الْحَيَاةَ سَعِيدَةً أحيانًا ، وَمُحْتَمَلَةً دَائِمًا .

* قَبْلَ أَنْ تَغْضَبَ أَلَا يَسْعُكَ أَنْ تَحَاوِلَ فَهْمَ مَا يَقَالُ ؟

* لَمْ يُعْزِزْنِي قَطُّ لِأَتَمَتَّعَ بِالأَشْيَاءِ أَنْ أَكُونَ مَالِكًا لَهَا .

* يَسْأَمُ الْمَرْءُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا فَهْمَ كُنْهِ الْأَشْيَاءِ .

* كُنْتُ فِي السَّادِسَةِ لَمَّا ابْتَلَيْتُ بِهَذَا التَّطَلُّعِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَصْبَحَ عَذَابَ حَيَاتِي

وَنَعِيمَهَا عَلَى السَّوَاءِ ، وَوَقَفْتُ نَفْسِي عَلَى نَشْدَانٍ مَا لَيْسَ لِنَفْسِي أَنْ تَدْرِكَهُ .

يوم الفزع الأكبر في دمشق

ملتقى الربيعين ١٣٤٤ (١٨ - ٢٠ أكتوبر ١٩٢٥)

أمدّه الدمع حتى غاض جائده الروح والدم والأحداق ودّ لها
مشرّد النوم ما قرّت مضاجعه باتت دمشق على طوفان من لهب
موجّ من النار لا تهدأ زواجره وبلّ القذائف هطالاً له مدد
تري القباب به غرقى فتحسبها في ذمة الله والتاريخ ما لقيت
أمسى الذي كان في جناتها فرحاً النار من فوقه والنار دائرة
في كل زاوية رام، ومن نفروا ورُبّ مكنونة كالدّر ضنّ به
تخطّت النار ليلاً وهي حاملة فيما تناءت به حتى أتيح له
ضمت إلى صدرها شلّوا يسيل دماً يا هول ذلك من مرأى شهدت وقد

فمن بأدمع عينيه يُرافده لو تستحيل إلى دمع يناجده
وهل تقرّ بموتورٍ وسائده يادين قلبي من خطب تكابده
يمدّه آخر ما ارتدّ وافده والنار والنفط والتهديم رافده
سفناً نهاوى ببحر ثار راعده وفي سبيل الأمانى ما تُصامده
بمارج من سمير فار واقده به، فإن فرّ أردته رواصده
شيباً وحوراً وأطفالاً طرائده على العيون فصانته نواصده
طفلاً قضى برصاص القوم والده شظيّة بان منها عنه ساعده
كالطير هاض جناحاً منه صائده وددت لو كنت أعمى لا أشاهده



قف في الخرائب وابك المجد معتبطاً فإنها - يا لأحزاني - مراقده

الذكريات من التاريخ قد درست
يا آسَى الجرح بادرَ ضَمَدَ سائله
إن الذين تولوا كُبر نكبتها
وطارف المجد مؤود وتالده
إذا تريثت لم تنجع ضمائده
أخطاهم من صحيح الرأي راشده



بَلَّتْ دمشقُ بنيتها يومَ محنتها
تري الحنيفيَّ يومَ الروح مبتدراً
خَلَّى حِمَاهَ ليحمي عرض صاحبه
أما سريرة من مانوا فقد فُضحت
الحمْدُ لله، إني في حمى وطن
فكيف يغمط حقاً في قضيته
فلم تجد غير من صَحَّتْ عقائده
إلى المسيحي في البلوى يساعده
وصال خشية أن تؤتى موارده
وانمارَ عن ثابت الإيمان فاسده
تحمي كنائسه فيه مساجده
والله وهو الشهيد العدل شاهده



بقية السيف والنيران إن لكم
لكنم وإن مسكم قرح وطول أذى
لله يومكم يوماً فإن له
لله معقلكم من معقل أشب
عالي البروج تعالى فوقه عَلم
شأنًا تراءت على قرب شواهد
من طيب الذكر بعد اليوم خالده
ما بعده وإن اشتدت شدائده
على الوثام لقد شيدت قواعده
الحق رافعه والحق عاقده



فتى دمشق اصطبِرْ للخطب تجبّه
لا عذرَ في اليأس مما كان ممتنعاً
أما دمشق فلا ترجو لنجدتها
بلوعة الثكل تدعوه لينضرها
إن العروبة جيش أنت قائده
إذا تقصيت أمراً أنت واجده
سوى فتاها الذي شاعت محامده
وبالجراح التي تَدْمَى تُناشده

خليل مردم بك

كيف صار روكفلر غنيا

روكفلر أغنى أغنياء العالم اليوم على الإطلاق، وقد سأله أحد أصدقائه:
 - كيف توصلت إلى اقتناء هذه الثروة الطائلة؟
 فأجاب: توصلت إلى ذلك بخلال أربع، لا غنى عنها لمن يرغب في إيدار
 المال، وهي:

- ١ - أن لا يشتري الرجل من الأشياء إلا ما كان ضرورياً له.
- ٢ - أن يدخر بعض ما يربحه.
- ٣ - أن يكون أميناً دقيقاً في عمله.
- ٤ - أن يقلع عن العادات السيئة.



سبب انحطاط الشرق وكيف ينهض؟

نصيحة الدكتور غوستاف لوبون لِسَبَابِنَا

قرأت في مجلد السنة الثالثة من مجلة رعمسيس ص ٦١٩ رسالة بعث بها
 إليها الأديب المصري توفيق يزدي من باريس، وقال فيها: إنه زار الحكيم
 غوستاف لوبون في منزله بشارع افينيون بباريس، فدار بينهما حديث في أمور
 شتى، ومما قاله هذا الحكيم الفرنسي يومئذ: «إن سبب انحطاط الشرق هو
 تركه روح الدين، وتشبهه بالعقائد الباطلة، فإن الدين قوة أدبية لا يُستهان بها.
 ومن الواجب عليكم أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر، وأن تحافظوا
 على تقاليدكم الحسنة، وعاداتكم المرضية».

ثم أردف قائلاً: «وعلى الطلاب الشرقيين - الذين يأتون أوروبا لاقتباس نوار المعارف - أن ينتخبوا من العلوم والفنون والأفكار والعادات ما يفيد وطنهم ويوافق أخلاقهم».

وتكلم هذا العالم الكبير بعد ذلك عن الخطأ في تغيير العقائد والعادات بدون معرفة نتائجها الروحية.

ولما ودّعه توفيق أفندي يزدي كتب له العلامة غوستاف لوبون بخطه ما ترجمته:

«إن الشعب الذي يريد الرقي يجب عليه أن لا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه، أي يجب أن يحترم تقاليده ويراعيها».



جنون التجرد الكاذب في الشرق استهزاء جريدة أوربية بالمتفرنجين الشرقيين

أنشأت جريدة (منشستر غارديان) مقالة افتتاحية في يوم الخميس ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦م (١٢ شعبان ١٣٤٤) بمناسبة افتتاح بعض شبابنا بملابس الإفرنج، ووقعهم في الأحابيل التي ينصبها لهم أعداؤهم في هذا الباب، ومما قالته فيها:

إذا كان هذا الجنون - الذي سلب ألباب الناس في الشرق الأدنى، ودفعهم إلى تقليد الملابس الافرنجية - يدوم طويلاً، فإننا سنشهد شر أنواع التقارب بين الأمم، وسيزول بذلك مظهر من مظاهر الجمال، ويدبُّ اليأس في نفوسنا من عالم ذهب منه حبُّ التنوع.

«إن القوالب التي يضع فيها الغربيون الآن أيديهم وسوفهم لم يقض بها حب الجمال، ولا حب الراحة والرفاء. وما من ضرورة تقضي الآن على التركي أو العربي أن يهجرا الأزياء التي أوجدها لها الاختبار مدة قرون عديدة، وجاءت ملائمة كل الملاءمة لحاجاتها وعاداتها.

وفضلاً عن ذلك فإنه بينما العرب والترك يُستبعدون للأزياء الغربية بأبشع أشكالها، وأبعدها عن جمال الخيال والتصور، يتحول الغربيون إلى التنويع والتزويق. وقد يصدر خير حكم على القوانين التي سنّها مصطفى كمال في شأن الملابس عندما يأتي يوم نرى فيه مشايخ المسلمين سائرين ببرانيطهم والأمرء بقلانسهم، في حين أن أوربا تعود إلى أزيائها القديمة تاركة برانيطها وينظولوناتها، أو تختار أزياء أجمل منها تستخرجها من سجلات الماضي؛ فتأتي أزياء يظهر فيها جمال التصور والابتكار» انتهى.



كلمة لكاتب وطني

قال الأستاذ عباس أفندي محمود العقاد، في مقالة افتتاحية بجريدة (البلاغ) المصرية: «لا غضاضة في الزينة المقبولة، ولا لوم على من يطلب المظهر الجميل. ولكن اللوم عليه أن ينسى - في طلب المظهر - كرامة الرجل وجمال المروءة. فإن هذا الجمال أجدر من الرجل الكريم بالمحافظة عليه من جمال الزي والشارة وكل جمال تراه العيون. فمن سقوط الهمة أن يتوارى الإنسان وراء القبة خجلاً من جنسه، أو تهافتاً على لذة عارضة. ومن الجبن - لا من الجرأة على الجمود - أن يختلس مظهر قوم لا يحسبونه كأحدهم، ولا ينزلونه بينهم منزلتهم، وإن لبس ما يلبسون، وتكلم بما يتكلمون».

آثار العرب الخالدة

□ قصر الحمراء □

قف على (الحمراء) وانذب
واسأل البنيان بنبؤ
وبحدثك حديث المجـ
بكلام محزن اللهـ
فيقول القلبُ «أهـ»
صاح لو كان لذا الدـ
ما رمى العُزْبَ أباءَ الضـ
لا ولا جر بفرنا
حيث هذا القطر أمسى
فازدرِ الدهرَ وسفهـ
وإذا كنتَ حليماً
مُضَرَّ الحمراء فيه
لك بأنباء ذويهـ
د والعيش الرفيهـ
جة يُبكي من يعيهـ
وتقول الأذن «إيهـ»
هر حياء يقتنيهـ
يم بالخطب الكريهـ
طه أذبال سفيهـ^(١)
خالياً من مبتنيهـ
كل من لا يزديهـ
فابك من دهر سفيهـ

معروف الرصافي



(هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).

قال ابن مفلح في «الأداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سبتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

حدايق الحيوانات في الحضارة العربية

أول من استحدث حدايق الحيوانات العرب، وكانوا يسمونها (حير الوحش)، فقد أنشأ أمير المؤمنين المأمون واحدة من هذا النوع لزوجته بوران، وجعل ذلك متصلاً بالميدان وقصر الثريا الذي بناه المعتضد على نهر عيسى ببغداد، ثم جاء الخليفة المقتدر بالله فزاد في ذلك.



اكتشاف حقيقة انكسار النور (من مآثر العرب)

أول من اكتشف حقيقة انكسار أشعة الضوء الحكيم العربي ابن الهيثم في القرن السادس الهجري (الثاني عشر للميلاد).



صناعات أبناء الملوك

روى أبو عمر بن عبد البر في (بهجة المجالس): أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لبنيه:

- يا بني لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تقبلون عليه؟

قال الوليد: أما أنا ففارسُ حرب.

وقال سلطان: وأما أنا فكاتبُ سلطان.

فقال ليزيد: فأنت؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما تركا حظًا لمختار.

فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم؟
قالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرغبة، ولا ينجو صاحبها من
الدخول في جملة الدهماء والرعية.

فقال: عليكم إذن بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكًا سدتكم، وإن كنتم وسطًا
رأستم، وإن أعوزتكم المعيشة عشتكم.



البحر

كل جبار بدانيه مهين	ما له في عظم الشأن قرين
حسرت عنها عيون الناظرين	سعة ليس لها من غاية
خافه قبلي أمير المؤمنين ^(١)	أنا إن أوجست منه خيفة
ويهول النفس حتى تستكين	يملاً العين فتغضي فرقا
تستوى يومًا شمال ويمين؟	ليست الأرض له كفؤًا وهل
جوفها مقبرة للعالمين	جوفه مضطرب الأحياء إذ
وبقاع البحر كم كنز ثمين	ليس في قيعانها غير لظى
فهو أن يفخر بالجود قمين	السما منه استمدت غيثها
فكان الشمس بالبحر تدين	كل يوم تسجد الشمس له
خجلًا كالرود في حضن خدين	ترتمي في حضنه محمرة



(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

كم تراءت صورٌ خلابةً ومعانٍ فوقه لا ينقضين
 مَرَحُ الشَّبَّانِ في شرح الصبا وجلالُ الشيب مع برد اليقين
 وفسیحاتُ المنى مخضرةً وشديد البأس والعزم المتين
 زَبَدُ الموج على زُرْقَتِهِ أنجمٌ في حالكات اللون جونُ
 مع ما في صدره من سعةٍ شرسُ الخلق أخو حمق حرونُ
 هل عراه طائفتٌ من جنّةٍ ليت شعري أم به مسٌ جنونُ؟
 بينما التيّار يعلو جبلاً إذ به واد يهول المبصرين
 أنرى أمواجه أنفاسه رُدَدَتْ بين شهيق وأنين؟
 لم تكن إلا كشعب نائر شنها حرباً على المستعمرين
 جحفلٌ يركب منها جحفلاً يتعادى كجنود زاحفين



نفختُ في وجهه ريحُ الصبا فبدا فيه كتفضين الجبين
 وتراءى الموجُ فيه عُكْنًا دغدغتها غمزات العابئين
 لَبَنٌ ما فدحته قسوةٌ رب قاس كان أجدى منه لينُ
 قَلِقُ الأحشاء كالعاشق إن ثار في أحشائه وَجَدٌ دفينُ



قمتُ في عُدوتِهِ، والفجر ما زال في جوف الدجى بعدُ جنينُ
 وطيور البحر في أسرابها تنهادى كشراعات السفينُ
 قلتُ للسرب - وقد أقبل من أفقٍ قلبي به عانٍ رهينُ -
 أيها القاطع عرض البحر هل لك عهدٌ بروابي قاسيون^(١)
 ثم مهوى القلب، دارات الهوى منزل الأهل، حمى المستضعفين

(١) جبل دمشق.

جيرةً جار عليها دهرها ما على الجور لها قط مُعين
هل درث أنْ على النأي فتى كاد يرديه إلى الشام الحنين؟
ولقد ودَّ بجدع الأنف لو شام أفق الشام أو قطع الوتين
كمهبط جناحه ود لو أن طار للوكر ولكن لات حين
والذي ينجو مهبطاً جناحه بعد طول السجن ما زال سجين
بأبي الشام وأمّي، إنها كعبة الآمال والحصن الحصين
وأمّ الله قوماً بذلوا دونها الأرواح بالروح الأمين
الإسكندرية / خليل مردم بك



المتنبى وابن جني

قال ابن العديم في تذكرته:
قرأت بخط ابن جني: قال لي المتنبى يوماً: «أتظن أن هذا الشعر إنما أعمله
لهؤلاء الممدوحين، هؤلاء يكفيهم منه اليسير، وإنما أعمله لك لتستحسنه».



الوفاء

أبى الله أن ألقى كغيري مولماً بخلع أحبائي كخلع ثيابي؟
فما أنا من في كل يوم له هوى ولا كل يوم لي جديد صواب
يراني صديقي منه حين إيا به بحيث رأيي منه حين ذهاب

وما ضاقَ صدري بالذين وددتهم ولا حرجتُ بالنازليْنَ رحابي
وأنفُ سعيًا في ركابٍ فكيف بي ولي كلَّ حَوْلٍ أخذتُ بركابِ
خليل مطران



زهد علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام

بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف دعي إلى مأدبة صنعها له قوم من أهلها ومضى إليها . فكتب إليه رسالة يقول فيها :
أما بعد - يا ابن حنيف - : فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة . فأسرعت إليها ، تُستطاب لك الألوان ، وتُنقل إليك الجفان . وما ظننت أنك تجيب إلى طعامِ عائلهم مجفو^(١) ، وغنيهم مدعو . فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم^(٢) ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه .
ألا وإن لكل مأموم إمامًا يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه . ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه^(٣) ، ومن طعمه بقرصيه . ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد . فوالله ما كنت من دنياكم تبرًا ، ولا ادخرت من غنائمها وفرًا ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرًا^(٤) والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها ؛ وتغيب أخبارها . وحفرة لو زيد في

(١) فقيرهم مطرود .

(٢) ما تأكله من هذا المأكّل .

(٣) ثوبه البالين .

(٤) أي : ما عنده ثوب غير الثوب البالي الذي عليه .

فسحتها وأوسعت يد حافرها لأضغظها الحجر والمدر^(١)، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة. ولعل بالحجاز واليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطآنًا^(٢) وحولي بطون غرثي^(٣)، وأكباد حرّى^(٤) أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت بيطنة^(٥) وحولك أكباد تحنّ إلى القد^(٦)
أقنع من نفسي بأن يقال «أمير المؤمنين» ولا أشاركهم في مكاره الدهر. أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش^(٧).

فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات؛ كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقممها^(٨): تكثرش من أعلافها^(٩)، وتلهو عما يراد بها. أو أترك سدى، وأهمل عابثًا. أو أجزّ حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة^(١٠).
وكانني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف

(١) جعلها ضيقة تضغط على من حل فيها.

(٢) متفخ البطن من كثرة الأكل.

(٣) جوعانة.

(٤) عطشانة.

(٥) الامتلاء من الطعام.

(٦) قطعة جلد غير مدبوغ.

(٧) خشونته.

(٨) تناولها القمامة - وهي الكناسة - بفمها.

(٩) تملأ منه كرشها.

(١٠) أمشي على غير هدى.

عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان. ألا وإن شجرة البرية أصلب عودًا، والروائع الخضرة^(١) أرق جلودًا، والنباتات البدوية أقوى وقودًا، وأبطأ خمودًا. وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد^(٢).

إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسلت من مخالبك، وأفلت من حبالك، واجتنبت الذهاب في مداحضك^(٣). أين القوم الذين غررتهم بمداعبك، أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور، ومضامين اللحد. والله لو كنت شخصًا مرثيًا، وقالبا حيًا، لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى، وألقيتهم في المهاوي. وملوك أسلمتهم الى التلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر^(٤). هيهات من وطئ دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازور عن حبالك^(٥) وفق. أغربي عني، فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني. وأيم الله يمينًا أستثنى فيها بمشيئته، لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعومًا، وتقنع بالملح مأدوما. أتمتلى السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيعة^(٦) من عشبها فتربض. ويأكل عليّ من زاد فيهجع^(٧)! قرت إذن عينه^(٨) إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية.

(١) الأعشاب الغضة.

(٢) كناية عن التشابه والتماثل.

(٣) مزالك.

(٤) أي: ما عاد يمكنهم التحول عن البلاء بعد ما حاق بهم.

(٥) حاد عن الوقوع في حبالك.

(٦) الغنم الرابضة.

(٧) أي يسكن مثلها ولا ينشط للعمل.

(٨) يدعو على عينه بالجمود، وهو كناية عن الموت، فهو هنا من القرار، وكثيرًا ما كنوا بها أيضًا عن الفرح والسرور، ويكون إذ ذاك من القر وهو البرد.

طوبى لنفسٍ أدت إلى ربها فرضها، وعَرَكَتَ بجنبها بؤسها^(١)، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسدت كفها. في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاغت عن مضاجعهم جنوبهم، وهممت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فاتق الله يا ابن حنيف. ولتكفك أقراصك، ليكون من النار خلاصك. اهـ



العقل

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فأرسلَ حَكِيماً ولا نوصِه
وإنْ بابُ أمرٍ عليكِ التوى فشاوِزْ لبيباً ولا نعصِه



الزهد في الحياة وأهلها

طال الثواء وقد أنى لمفاصلي أن تستبدَّ بضمتها صحراؤها
مُلَّ المقام فكم أعاشرُ أمةً أمرتْ بغيرِ صلاحِها أمراؤها
ظلموا الرعيةَ واستباحوا كبدَها فعَدَّوا مصالِحَها وهم أجراؤها
فرَّقنا شعرثُ بأنها لا تفتني خيراً، وإنْ شرارَها شعراؤها^(٢)

أبو العلاء المعري

(١) أي صبرت على البلاء صبر الكرام.

(٢) الشعراء الذين أراد أبو العلاء أنهم شرار رعيته، هم الذين يهيمنون في وادي الغواية، =

شيء عن الشعر

□ شعر الأشراف □

قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحَكَم:

إنك قد لهجتَ بالشعر. فإياك والتشبيب بالنساء فتعُرُ شريفة، والهجاء فتُهجن
كريمًا أو تثير لثيمًا، وإياك والمدح فهو كسبُ الأندال. ولكن افخر بمآثر قومك،
وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدّب به غيرك. وإن لم تجد من المدح بدءًا،
فكن كالملك المرادي حين مدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال:
أحللتُ رحلي في بني نُعلٍ إن الكريم للكريم محل



□ الشعر الخالد □

يقولون: إن ذاقَ الردى مات شعرُهُ وهيات عُمر الشعر طالت طوائله
سأقضي بيتَ يحمّد الناس أمرُهُ ويكثر من أهل الرواية حامله
يموتُ رديءُ الشعرِ من قبل أهله وجيدُهُ يبقى، وإن مات فائله

دعبل بن علي الخزاعي



= ويصرفون أوقاتهم في وصف راح ووجوه صباح، وتملق أهل المناصب. وأما الذين
يتوخون الصادقة، ويكون شعرهم إيقاظًا للمتوسن، وتنبيهًا للغافل، فهم في قومهم مصابيح
الرشاد، وأعلام الهدى.

□ العناية بلغة الشعر □

وقصيدة قد بثُّ أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظرَ المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

عدي بن الرقاع



□ القلم □

كم أثار البراعُ خطبًا كمينًا وأمات البراعُ خطبًا مُشارا
قطراتٍ من بين شقيهِ سالت فأسالت من الدّما أنهارا
كان غصنًا فصار عودًا ولكن لم يزل بعدُ يحمل الأثمارا
كان يستمطرُ السحابُ فحال الـ أمرُ فاستمطرَ العقولُ الغزارا

مصطفى لطفي المنفلوطي



□ ينابيع الشعر □

ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرث حياضك منه في العصور الذواهبِ
ولكنه صوبُ العقول إذا انجلت سحائب منه أعقت بسحائبِ

أبو تمام



□ أشعر العرب □

سُئل بعضهم عن أشعر العرب فقال:

امرؤ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب.



□ مذاهب الناس في نقد الشعر □

قال الراغب الأصبهاني في كتابه (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) ج ١ ص ٥٥:

ومذاهب الناس في ذلك مختلفة، فمنهم من يميل إلى ما سهل فيقول: خير الشعر ما لا يحجبه شيء عن الفهم.

وقال آخر: خير الشعر ما معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك. ومنهم من يقول: ما كان مطابقاً للصدق وموافقاً للوصف.

كما قيل:

وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وسئل ذو الرمة عن أشعر الناس، فقال: من خبث جيده وطاب رديئه.

ومنهم من يميل إلى ما انغلق معناه وصعب استخراجه. كشعر ابن مقبل والفرزدق.

وكثير من النحويين لا يميلون من الشعر إلا إلى ما فيه إغراب مستغرب،

ومعنى مستصعب.

وقال يزدان المتطرب: إن أبا العتاهية أشعر الناس لقوله:
فتنفست ثم قلت: نعم حبا جرى في العروق عرقاً فعرقا
فقال له بعض الأدباء: إنما صار أشعر الناس عندك من طريق المجسة
والعروق!



الجواب الحاضر

لا شيء يغيظ الإنسان مثل أن يغيب عنه الجواب في وقت لزومه، ثم يهتدي
إليه بعد انقضاء الوقت، أو يذكره بعد لأي وتقاعس.

وأفة مَلَكَةِ استحضار الأجوبة هو الحياء والجبن: فإذا كان المرء حيّاً أو جباناً
ووجه إليه سؤال، أدركه الوجود وضعفت نفسه عن الجواب. فمن ثمة كانت
تربية الأطفال على الجرأة، وطبع نفوسهم بطابع الإقدام، من أفضل ما
يساعدهم في مستقبل حياتهم، ويفتح في وجوههم أبواب العمل والنجاح. وقد
يكون في الجواب -الذي لم يهتد إليه المرء في وقته- ما يُنجيه من مظلمة، أو
يرد عليه حقاً.

وذهب بعضهم إلى أن البلاغة هي سرعة الخاطر في الجواب. سأل معاوية
صحاراً العبدى عن البلاغة فقال: «أن يُصيب فلا يخطئ، ويُسرّع فلا يبطئ» ثم
اختصر ذلك فقال: «لا يخطئ ولا يبطئ».

على أن السرعة في الجواب إذا استُحسنت في مواضع، فإن طول الفكرة
وإعمال الروية لها مواضع يُستحب للمرء مراعاتها، والوقوف عندها.



ومما ذكروه من الأجوبة المسكتة: قوله ﷺ وقد سأله السيدة عائشة: «متى يعرف الإنسان ربه؟» قال: «إذا عرف نفسه»^(١)، يعني ومعرفة المرء نفسه محال، فمعرفة الرب محال (أي معرفته بذاته وكنه ألوهيته).

وقال له رجل: «يا رسول الله إني أكره الموت» قال: «ألك مال؟» قال: نعم، قال: «قدم مالك فإن قلب كل امرئ عند ماله»^(٢). وقوله: «قدم مالك»، يعني به أنفقه في سبيل الخير وعمل المبرات، حتى إذا لم يبق منه إلا القليل لم تحرص على الحياة، بل ربما حننت إلى الآخرة حيث أرسلت زادك ومؤنتك من العمل الصالح.



وقال بعض الأمراء لنصيب الشاعر: «هل لك في الشراب؟» فقال له: «الشعر مفلفل، واللون مُرمد. وإنما قريني إليك عقلي فهبه لي». وكان نصيب هذا أسود اللون، وكان شاعراً مجيداً مقدماً في النسيب والمديح. ولم يكن له حظ في الهجاء، وكان عفيفاً، حتى قالوا إنه لم ينسب (أي يتغزل) قط إلا بامراته. ويكفي في الدلالة على حصافة عقله وكبر نفسه جوابه السابق، فهو يقول إنه توفرت فيه من صفات الجسم ما يُستهجن؛ مثل تفلفل الشعر وارمداد اللون (أي اسمراره كالرماد)، فلا يريد أن يضيف إلى ذلك الهجنة في العقل. فهو يطلب من الأمير أن يهبه عقله فلا يرزأه فيه. ولا ريب أن يكون لكلامه هذا تأثير في نفس الأمير، فيدع شرب الخمر ويضن بعقله، ويحتفظ بكرامته.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا يُعرف له إسناد». «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٣٤٩). وانظر: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»؛ للقاري (ص ٣٣٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٣٤)، بسند ضعيف مرسل.

وقيل لُنُصِيب مرة:

أنت لا تهجو لكونك لا تُحسن الهجاء.

فقال: بلى والله، أئثراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزأك الله؟

فقيل له: فاهج إذن فلانًا، فإنك مدحته فخرمك.

قال: لا والله ما ينبغي أن أهجوه، وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته.

فقالوا له: هذا والله أشد من الهجاء.

وكان نُصِيب ممن وفد على مصر يمدح أميرها عبد العزيز بن مروان، فقال حظوة وقبولاً لديه. وقد حدثوا أن عبد العزيز أركب نُصِيبًا مرة على جمل وقد رخله بغيط -أي شد على الجمل غبيطًا وهو إكاف على هيئة خاصة- وألبس نُصِيبًا ثيابًا من مقطعات وشي، وأخرجه إلى مقطم مصر على هذه الحالة، وأمره أن يُنشد. فاجتمع حوله السودان وفرحوا به.

فقال لهم نُصِيب:

أسررتكم؟

فقالوا: اي والله.

قال: والله لما يسوؤكم من أهل جلدتكم أكثر.

أي إن رأيتم فيّ ما يسر، فإن في بني جلدتنا معشر السودان ما يسوء من جهل وغباوة.



وقال يحيى بن خالد لشريك: علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله.

فقال له شريك: إذا عملتم بما تعلمون، علمناكم ما تجهلون.

أي أنه لا فائدة للعلم بلا عمل، وأن العمل بالعلم القليل ينميه ويجعله كثيرًا. فلا عبرة بكثرة العلم إذن، وإنما العبرة بأن تعمل.

ويوشك أن يكون هذا هو معنى الحديث الشريف: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمُ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(١).



يُقال إن خطيبًا في بعض المساجد لزم خطبة واحدة يعيدها ويكررها من جمعة إلى أخرى بمناسبة ومن غير مناسبة، فقال له بعض أهل الحارة: - إننا سئمنا هذه الخطبة، فترجو منك أن تخطب لنا بأخرى سواها. فقال: تعلموها جيدًا واعملوا بمضمونها حتى ألقى عليكم غيرها!



وَعَيَّرَ أَعْرَابِيٌّ لِمَذَلَّةٍ لِحَقَّتْهُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ فَقَالَ:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تُكرم النفس التي لا تهينها
أي أنه يتوصل إلى أن تكرمه الملوك بإهانة نفسه لهم، ثم ضرب مثلاً لذلك فقال: إذا لم تهن نفسك لا تصل إلى كرامتها. وهل هذا صحيح؟ أو هي السفسطة بعينها؟



ووضع الجعد (المشهور بالزندقة) ترابًا وماء في قارورة؛ فاستحال دودًا وهوام، وقال لأصحابه: إني خلقت ذلك لأنني كنت سببًا في تكوينه. فبلغ ذلك بعض آل البيت، فقال: ليقُل الجعد -إن كان خلق تلك الدودات - كم

(١) لا أصل له. انظر: تعليق الألباني على كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٢). وهو من أقوال السلف؛ كما في «الفتاوى» (٧/ ٣٣٩).

عددها وكم الذكران وكم الإناث وكم وزن كل واحدة منها؟ وليأمر التي تسعى إلى هذه الجهة أن ترجع إلى غيرها. ولما بلغ الجعد هذا السؤال خسى وخجل.



وقالت زوجة يحيى بن طلحة لزوجها:

- ما رأيت ألام من أصحابك: إذا أيسرت (أي استغنيت) لزموك، وإذا أعسرت تركوك.

فقال: هذا من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم.



وقال زياد لأبي الأسود الدؤلي: لولا أنك قد كبرت لولينك بعض أعمالنا، فقال: «إن كنت تريدني للصراع فليس عندي كفاية، وإن كنت تريد رأبي وعقلي فهما أوفر ما كانا».

وقيل لأبي الأسود أيضًا: «أنت والله ظرف لفظ. وظرف علم. وظرف حلم. (أي وعاء لكل ذلك)، غير أنك بخيل» فقال: «وما خير ظرف لا يمسك ما فيه!»



وسأل المتوكل أبا العيناء عن دار بناها فقال: «رأيتُ الناس بنوا دورهم في الدنيا، وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره».

وقال له مرة: لولا أنك ضَرير لنادمتك. فقال: «إن أعفيتني من رؤية الأهلّة وقراءة نقش الخواتم فإني أصلح»!

وقيل له: أي الجواب أحسن؟

قال: ما أسكتَ المُبطل، وحَيَّرَ المحق.

عبد القادر المغربي

أبيات في الدنيا وأبنائها

رأيت بني الدنيا كوفدين كلما ترحل وفدٌ حط في أثره وفد
وكلُّ يحث السير عنها ونحوها فيمضي بذا نعش ويأتي بذا مهد



أرى الدنيا كخان في سبيل يمر عليه أبناء السبيل
فركب نازلٌ فيه مقبم وركب قد تهبأ للرحيل



تحليل شاعرية شوقي

ملخصة من مقال للدكتور محمد حسين هيكل في مقدمة الشوقيات^(١)

□ بيئة شوقي:

وُلد أحمد شوقي بك «باب إسماعيل»، وشب في جواره ونشأ في حماه. فكان طبعياً أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية، وأن تكون أكثر تأثراً بها، لقربها من المسرح الذي تشبك فيه أصول هذه العوامل وأسبابها، وتضطرب فيه اضطراباً يخفيه ما تقضي به حياة القصور، ثم تصدر إلى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت. وشوقي ولد شاعراً، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس. لذلك كان لكل هذه العوامل أثرٌ باد في شعره وفي حياته.

(١) ويُنظر للزيادة عن شخصية شوقي وشعره: «التدين و المجون في شعر شوقي»؛ للأستاذ عائض الراددي. و «الكافي في التحذير من مضلات القوافي - تعقيبات على ديوان أحمد شوقي: الشوقيات»؛ للشيخ عبدالكريم بن صالح الحميد. (س).

□ الازدواج في شعره:

ومع أن شوقي درس في مصر ثم أتمّ دراسته في أوروبا، وتأثر بالوسط الأوربي وبالحياة الأوروبية وبالشعر الأوربي تأثيرًا كبيرًا؛ فقد ظلّ تأثره بالبيئة التي وصفناها ظاهرًا في حياته وفي شعره، كما ظلّ تأثره بالبيئة الأوروبية ظاهرًا فيها كذلك. وإنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف، لا صلة بين إحداهما والآخر، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته، وإن كليهما مصريٌّ يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة. أما فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر: أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدر أخوة المسلمين ويجعل من دولة الخلافة قدسًا تُقيض عليه شؤونُه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه. حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها. محافظ في اللغة: يرى العربية تتسع لكل صورة، ولكل معنى، ولكل فكرة، ولكل خيال. والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها. متسامح تسع نفسه الإنسانية، وتسع معها الوجود كله. ساخر من الناس وأمانهم. مجدد في اللغة لفظًا ومعنى. وهذا الازدواج ظاهر في شعر شوقي من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر. وإن كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم في شعر شوقي إلا قليلًا.

ولا تقل إن الازدواج النفسي شأنُ الشعراء، وإن أبا نواس الذي يقول:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالنبي كانت هي الداء
هو أبو نواس الذي كان يقول:

إذا امتحن الدنيا ليببّ تكشفَتْ له عن عدو في ثياب صديق

فليس هذا من أبي نواس ازدواجًا في الروح. وما الحكمة الزاهدة عنده إلا فتور نفس أجهدتها اللذة، فأضعفتها، فأخافها الضعف، فألجأها إلى حمى الحكمة والزهد، وإلى استغفار الله والتوبة إليه. لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود إلى نعيم الترف والإباحة. وذلك هو السرّ في أنك لا ترى الزهد في شعر أبي نواس إلا عرضًا واستثناءً. وذلك شأن الشعراء جميعًا إلا قليلًا منهم. وشوقي من هذا القليل، ففي شعره صورتان من صور الحياة، تقوم كل منهما مسئلة كأنما صاحبها غير الآخر.

فأنت تقرأ:

حَفَّ كَأْسُهَا الْحَبَبُ فَهِيَ فَضَةٌ ذَهَبُ
أو تقرأ:

رمضان ولّى هاتها يا ساقبي مشتاقا تسعى إلى مشتاق
فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها.

شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب (نهج البردة) التي مطلعها:
رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحْلَ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
وصاحب (الهمزية النبوية) الذي يقول:

وُلِدَ الْهُدَى، فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفُمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثْنَاءُ

وهذان الروحان، أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران في نفس شوقي وتصدران عنها، وهي في كل قوتها وسلطانها. وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلئ إعجابًا بالحياة ومتاعها ولذتها، وحين تقرأ الثانيةين تكون أشد إعجابًا بكلمة الإيمان وروح الحقّ ورسالته. وأنت لا تشعر -في أيّ الحالين- بضعف نفساني عند الشاعر رفع به إلى لبوس روح غير روحه. بل أنت

فيهما جميعاً يبهرك شوقي بقوة شاعريته الممتلئة حياةً وخيالاً، والتي تفيض بمتاع العيش، فيضها بنور الإيمان كيف كان هذا الازدواج؟

كيف جمع شوقي -في نفسه- بين هذين الشاعرين: شاعر الحياة العربية بحضارتها الإسلامية، وبما فيها من قَدَم وإيمان، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحُكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة. فقد تزوج في نفس واحدة حيتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج، فيكون الرجل الواحد فيلسوفاً وشاعراً كما كان المعري، أو كما كان فولتير. فأما أن يكون الرجل شاعراً وحدة حياته الشعر، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقي، فذلك عجب في شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من المنبع، وكما ينهمل المطر من الغمام، على أن لهذا الازدواج سبباً لم يكن مفر من أن يؤدي إليه. ذلك أن شوقي كان في طبع شبابه رسول الحياة، كان شاعر:

حَف كَأْسَهَا الْحَبِّ فَهِيَ فَضَةٌ زَهَبٌ

لكن هذا الشاب لم يكن في ملك نفسه، فقد بعث به الخديو توفيق باشا ليلم علومه في أوروبا، وكان من قبل ذلك شاعراً متفوقاً، وكان في تفوقه ككل شاعر شاب يُرسل القول كما تلهمه إياه نفسه. فلما عاد إلى مصر اتصل بالأمير الشاب عباس حلمي باشا وصار كلمته. ورأى يومئذ صنواً له على العرش جعلته روحه الشابة مقداماً لا يهاب. ومع ما فوجئ به أول ولايته في حادث عرض الجيش في السودان -مما اضطره للاعتذار-، قد بقي شبابه يدفعه إلى ما كان يندفع إليه جُده إسماعيل من مغامرة.

لكن قيام الاحتلال الإنكليزي في مصر جعل الخصومة بينه وبينهم، وليست بينه وبين الأتراك. بل لقد كان منظوراً إليه أكثر الأحيان بشيء غير قليل من

العطف في بلاط آل عثمان. لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا -بعد انتصار الأتراك^(١)- يرون في الخليفة الممثل الأخير للأمم الإسلام جميعًا.

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب، فحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينية في نفوس المسلمين جميعًا، لا في نفوس المصريين وحدهم. وبذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ميله للحياة وحبها وحرصه على المتاع بها، مع إيمان المسلمين جميعًا وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم بإزاء الأمم الغربية التي كانت تنظر إليهم بعين صليبية بحتة. وكانت هذه الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به أكثر استيحاء لشعره من الناحية الأولى التي هي من طبيعة نفسه، فكان بذلك كالرجل القوي الذي يرى وطنه في خطر: يصبح جنديًا، وجنديًا بأسلاً، ويتفوق في كل مواقف الحرب، ويصبح القائد الأعظم. ولو أن وطنه لم يكن في خطر؛ لرأته صديق النعمة، السعيد بها غاية السعادة.

□ شوقي بين القوميتين: العربية والتركية:

إلى جانب مقام العاطفة الوطنية قويةً متسلطةً على نفس شوقي، تقوم عاطفة أخرى لا تقلُّ عنها قوة، وربما كانت أشدَّ أخذًا بهذه النفس وإثارة لشاعريتها: تلك هي العاطفة الإسلامية. فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق. وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين، ثم إلى قومين: فهي تتجه صوب مكة مسقط رأس النبي ﷺ، ومقام إبراهيم كعبة

(١) أي في الحرب اليونانية أيام عبد الحميد الثاني، وهو الانتصار الذي وصفه شوقي بقصيدة (صدى الحرب).

المسلمين وقبلة أنظارهم؛ ومكة في بلاد العرب، والنبي عربي، والقرآن عربي. وهي تتجه -أو كانت تتجه- صوب الآستانة، مقر الخلافة الإسلامية، ومقام الخليفة من آل عثمان؛ والآستانة عاصمة الترك، وخليفة المسلمين كان تركياً، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره - إلى حين ألغيت الخلافة - نحو مكة ونحو الآستانة: يستمدُّ من الأولى المدد الروحي، ومن الثانية مدد السيف والمدفع.

إلى جانب ما يرجوه المسلم -من أهل بلاد الشرق العربي- في مكة من مدد روحي تحرك نفسه إلى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هي العاطفة العربية، هي عاطفة هذه اللغة التي تربط اليوم أكثر من سبعين مليوناً أكثرهم مسلمون، وكلهم خاضع لما يخضع له غيرهم من بطش القوة وسلطان التحكم. واللغة في حياة الأمم ليس شأنها هيناً، فأمة لا لغة لها لا حياة لها، وربي اللغة في أمة آية صادقة من آيات رقيها. وما دام العرب مصدر اللغة، وعلى رجل منهم هبط الوحي، وبينهم قام صاحب الشريعة، فلهم عند المسلمين كافة -وعند الذين يتكلمون العربية خاصة- حرمة تدفعهم إلى التغني بأثارهم، والإشارة بقديم مجدهم، وتمني خير الأماني لهم.

لذلك كان العرب، ومكة، والوحي، والقرآن، والإسلام، والرسول؛ كلها معان لها من الأثر في نفس شوقي ما ليس لسواها من آثار الماضي. ولذلك لم يكن شوقي يشيد بذكر المسلمين وبخلافاتهم لغاية سياسة صرفة، بل إنه ليؤمن بهذه المعاني إيماناً يتجلى في الكثير من قصائده على صورة تتركنا في حيرة: كيف يبلغ الإيمان من نفس هذا المحب للحياة كلَّ هذا المبلغ، فلا نجد لحيرتنا جلاءً إلا من الحديث «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(١).

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله: «لا أصل له، وإن اشتهر على الألسنة». «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٨).

وبحسبك أن تقرأ (الهمزية النبوية) و (نهج البردة) و (ذكرى المولد) التي مطلعتها:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعلّ على الجمال له عتابا
لترى في غير إبهام أنه إنما أملت هذه قوة غلبت طبع الشاعر، هي قوة الإيمان. لكنك قد يُدهشك -مع تجلي الإيمان في هذه القصائد وغيرها- أن يكون شوقي أكثر تحدثاً عن الترك وعن الخليفة منه عن العرب وعن الرسول! فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة، ويشتمل ثماني عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك، وأنت تلمس في هذه القصائد الثماني عشرة جميعاً حسّاً أرقّ من العاطفة، وفيضاً أغزر من الشعر، وقوة تكاد تعتد معها أن شوقي -إذ يتحدث عن الترك- إنما يملّي ما يحسّه فؤاده، وإنما يندفع بقوة كمينه هي قوة دم الجنس. أو أن اتصاله بالبيت المالك في مصر كان قوي الأثر في نفسه، إلى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد علي. وليس عليك إلا أن تقرأ أيّاً من قصائده التركية لتقتنع بما تقول، ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت في الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقي اتصال بها، فكان لذلك تهزّه أكثر مما تهز سواه.

□ شوقي شاعر الحكمة العامة، وشاعر اللغة العربية السليمة:

على أن شوقي -وإن كان شاعر مصر وشاعر العرب وشاعر المسلمين وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والإيمان ونعيمه- له ذاتيته التي لا تخفى. فهو شاعر الحكمة العامة، وهو شاعر اللغة العربية السليمة، وإنك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده، ثم لا تجد في القصيدة غير أبيات معدودة تدخل في موضوع العنوان، بينما سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما

شاء لشوقي هواه، وما أحسب شاعرًا بالغَ في ذلك ما بالغ شوقي، فشیطان شوقي أشد حرصًا على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص، أما القصائد التي يملك موضوعها أبياتها جميعًا، فهي القصائد التي ملك موضوعها شوقي فأنساه نفسه بما كان له في هذا الموضوع من لذة ومتاع، وما أفاض على شاعريته من وحي وإلهام.

وحكمة شوقي وما يصدر عنه من وصف وغزل، وما يميز شعره جميعًا، يبدو كأنه شوقي عربي لا يتأثر بالحياة الغربية إلا بمقدار، وهذا طبيعي ما دام شوقي شاعر العرب والمسلمين، وما دام يجد في الحضارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدينة الغربية إلا بالمقدار الذي تحتاج إليه أمم الشرق في حياتها الحاضرة لسيورها في سبيل المنافسة العامة، ولقد ترى شوقي يغلو في شوقيته وعربيته أحيانًا، ولقد تراه يتعمد ذلك في لفظه ومعناه. وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة التهمة بتأثره بشعر كثير من شعراء الغرب. من تراث، والأخذ بكل ما يلعب به الحاضر من وراء الغرب.

وقد يكون غلو شوقي أكثر وضوحًا في جانب اللغة منه في جانب المعاني: فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية، أما لغته فتعمد إلى بعث القديم من الألفاظ التي نسيها الناس وصاروا لا يحبونها، لأنهم لا يعرفونها. ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد، بل قد يكون البعث أكد وسائل التجديد نتيجةً إذا وجد من أرباب اللغة من يفيضون على الألفاظ القديمة روحًا تكفل حياتها. والبعث له إلى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دارسة ومدنية وليدة يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه.

ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديرًا قدرة شوقي على أن يبعث في الألفاظ

القديمة روحًا تكفل حياتها في الحاضر وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما لم تكن تتسع له من قبل من المعاني والأخيلة والصور؟ إن اليونانية ما تزال موضع دراسة العلماء واللغويين؛ لأن هوميرو كتب بها إلياذته. واللاتينية ما تزال حياتها كمينه، وإن تذررت بحجب الماضي أن كتب بها فرجيل شعره. واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليونًا من أهل هذا الشرق العربي، وهي حية. وستبقى أبدًا حية. لكن كمال حياتها يحتاج إلى أن يبعث الله لها أمثال شوقي ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالاً.



الشرق والغرب

بقلم الكاتب الكبير / الأمير مصطفى زمر

في مقدمة كتاب (أناطول فرانس في مبادله)

لم يعهد التاريخ دورًا من الأدوار خلص من علاقة الشرقيين بالغربيين، وخلطة الغربيين بالشرقيين، ونسخ كل فريق عن الآخر، واقتباس هذا من ذاك: أخذًا وردًا وجزرًا ومدًا، حتى في أعرق الأدوار في القدم، وأوغل الأطوار في الظلم.

وقد عم هذا التحاكُّ جميع أحوال الحياة، وأركان العمران: من التجارة، إلى السياسة، إلى الصناعة، إلى الثقافة. فكما تناقلوا فيما بينهم البضائع والمتاجر، فقد تناقلوا الحكم والخواطر. وكما حمل بعضهم إلى بعض المهن والصناعات، فقد حملوا الاختراعات والبراءات. وكما تسلط منهم الأشجع

على الأجبن، والأشكُّ على الأعزل^(١)، فقد تسلط الألحن على الألكن^(٢)، والأعلم على الأجهل.

وإذاً الأخذ والعطاء بين الشرق والغرب قديمان منذ طلعت الشمس. وولي اليوم الأمس، لم ينحصر في الأمور المادية والحوالات المالية والآثار اليدوية، بل شمل الأمور المعنوية والمسائل العقلية والشئون الاجتماعية. وما ترقّت في سلّم الاجتماع أمة في شرق ولا غرب إلا كان الآخر عيالاً عليها، جاداً في محاكاتها ومتحسراً على مناعاتها، فقد أخذت يونان عن مصر، وأخذت بغداد عن يونان، وأخذت أوربة عن الأندلس، ثم أخذ الشرق في جدته الأخيرة عن أوربة، إلا أنه لم يعرف التاريخ فيما مضى -أي قبل ظهور الآلات البخارية والكهربائية- دوراً أثت^(٣) في العلائق بين الشرق والغرب، وارتفعت فيه الحواجز على البعد والقرب وتشارك فيه الناس في تناول كل مادي ومعنوي، كما في هذه الأيام الأخيرة التي ألقى فيها الغرب بجرانه السياسي على الشرق، ورأى الشرق أن لا قبل له بمناهضة الغرب على وجه كافل لنجاحه إلا بأن يقاتل بسلحه، فاضطر الشرق إذاً أن يأخذ عن الغرب طوعاً أو كرهاً -والضعيف مولع بتقليد القوى- كل ما يتسنى له أخذه من أسباب المدنية، كأداة الحرب والمتاع والماعون والعلم والحكمة والقانون، مجتهداً في أكثر الأحيان أن يضمن هذه العلوم ألسنته الذليقة، ويطبع بها مدنيته العريقة، ويلقي على غرابتها ديباجته الشرقية، احتفاظاً بقوميته واعتصاماً بأنانيته، لأن كل أمة نسيت أصلها، ونبتت قديمها، وفرحت بجديدها، وأنكرت رميمها، فأحر بها أن تكون أمة ساقطة عن أمم، وأن تُعد خلطاً لا تُعرف من بين الأمم.

(١) الأشكُّ: لابس السلاح التام. والأعزل: من لا سلاح معه.

(٢) الألكن: الأفطن والأفصح. والألكن: عكسه.

(٣) كثرت والتفت.

يوم الميدان

وناشدي جَلَقًا ما شَتَّ أو ناجي
وأن تذودي الكرى عن طرفك الساجي
ومضه ومضْ وَقْدِ نَمَّ وهَّاجِ
وأرسمْ موحشات بعد إبهاجِ
ذاو، وقد كانتا الفردوس للآجي
والصادحات نواع بعد إهزاجِ
أنوارها بعد إشراف وإبلاجِ
ومُنْقَذُ الشام من رَقِّ وإحراجِ
وأيُّ خطب تعانیه وإزعاجِ
وما تُصابِرُ من عُجَمٍ وأعلاجِ
مَنْ راعَ آمِنها في الجندس الداجي
مَنْ بَرَّها الثوب من وشى وديباجِ
مَنْ ساقها حاسرات بين أفواجِ
مهشَّماتِ أنوفٍ بعد أثباجِ
قد جُشِمت نهسَ أفتاب وأحداجِ
فمن لها بعد أبناء وأزواجِ
وكنَّ في منعة أمثال أبراجِ
وفوقها قَبَسات ذاتُ تأجاجِ
قد غلَّلوها فلم تطمغ بأنراجِ

البرقُ هَيَّجَ منك الذکر فاهتاجي
من الوفا أن تُريقِي الدمع منسجماً
لمعُ الأسنة هذا البرقُ مؤتلقاً
مرابع الشام أطلالٌ معظلة
والغوطتان، مثارُ النقع، روضُهما
الباغماثُ عراها الذعر واجمة
ذوت محاسن أرض الشام وانطمست
مَنْ المَعِيدُ لأرض الشام بهجتها
مهوى العروبة ماذا حلَّ ساحتها
في ذمة العُربِ والتاريخ ما لقيت
تلك العقائلُ من أدمى أناملها
مَنْ فكَّ دُمْلَجَها مَنْ حَزَّ مِعصمها
مَنْ فَضَّ بَرَقَها مَنْ حلَّ مَثَرِها
مَشَقَّفاتِ ضلوعٍ خافقاتِ حشاً
مَنْ مُرْمِلٍ تذرع البيدا وثاكلة
دعِ الأيامی ترقرقُ من مدامعها
هذي المنازلُ أنقاض مدمرة
تحت الخرائب أشلاء ممرقة
وفي السجون غدت شيبٌ وأغلمة



مضت دمشق ولم تجزغ لنازلة
وهيجت من بينها للوغى أسداً
قساورٌ إن دُعوا للحرب مُنْعَرَة
هبت تُناضل طوراً في مهندها
واستبسلت في دفاع عن حقائقها
لا تنكروا في اللقاء يوماً فروستها
والحقُّ يُوخذ من حدّ السنان ولا
سلوا الألى أمس جاءوها لتُصرتها
قد أبهظوا الشعب حتى ناء كلـكـله
لم ينج من شرهم طفل ولا يَفْعُ
يُخال «عنتره» فينا جبانهم
عدوا على الشام فاجتاحوا مآثرها
الشعب دامية منه أظافـرهم
دمشقُ سيرى إلى العلـياء خافـقـة
فقبلُ رايـاتك الخفـاقـة اقترعت
ورفرت فوق «سد الصين» وانبعثت
لا غرو إـما اصطـلبـت الحرب مكرهـة
نشدت في ديمك استقلال سورـية
ومن سقى بالدم استقلاله ينعت
رماك قـادحهم بالسوء مفترئاً

ولم تقف موقف المستضعف الراجي
من كل أروع ماضي العزم مهتاج
مشوا لها بين أفراد وأزواج
وتارة بلسان غير لجلاج
بكل ذي لبدة للهول فرّاج
فإنها نضو إلجام وإسراج
يُعطى عطاء بعض السؤل والحاج
في أي شر رموها ثم أجاج
وأحوجوه ولكن أي إحواج
ولا أخو هرم من شرهم ناجي
ويحسب السمخ منهم ألف «حجاج»
وفجّعوها بعزّ الملك والتاج
وعندهم أي دم منه نجاج
منك البنود؛ بتأويب وإدلاج
هام الربى بين وادي السند والتاج^(١)
إلى «المحيط» فماجت فوق أمواج
هم أخرجوك عليهم شرّ إخراج
وكل أفوه ثبت القول محجاج
ثمارة منتجات خير إنتاج
الترب في فم ذاك القادح الهاجي

(١) وادي السند في الهند، ووادي التاج في إسبانية.

حُرِّيَّةُ الشَّرْقِ بَابٌ أَنْتِ مِفْتَاحُهُ
 الشَّرْقُ وَالْعَالَمُ الْغَرْبِيُّ مَرْتَقِبُ
 يَا مَنْ غَدَا وَلَهُمْ فِي دَارِهِمْ صَخْبُ
 مَا ضَرَّكُمْ جَمْعَ شَمْلٍ فِي هَوَى وَطَنِ
 لَا تَنْشَنُوا بَعْدَاءَ فِي مَوَاطِنِكُمْ
 النُّطْقُ وَالْعَرْقُ وَالْأَوْطَانُ وَاحِدَةٌ
 وَالْقَوْمُ قَدْ أَرْتَجَوْهُ أَيَّ إِرْتَاكِ
 أَنْ تَنْهَجِي لِلْمَعَالِي خَيْرَ مِنْهَا
 أَضْعَمَ الْوَقْتُ فِي شَغْبٍ وَاضْجَاجِ
 لَجْمِ شَمْلٍ بَيْنَهُ جَدٍ مُحْتَاجِ
 قَدْ قَرَّبْتُ بَيْنَكُمْ أَنْسَابَ أَمْشَاجِ
 وَرَحْمَتُكُمْ مِنْ مَعْدُ ذَاكَ أَوْشَاجِ



يَا أَرْضَ جَلَّقَ حَيَّاكَ الْحَيَا وَسَقَى
 الْحُزْنَ بَرَّحَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ بَنَا
 يَا حَبْذَا مِنْكَ رِيًّا نَسَمَةٌ أَرْجَتْ
 وَحَبْذَا بَرْدَى وَالْمَاءُ مَصْطَفَقُ
 الْبَحْرِ أَزْيَادُهُ أَفْصَحْنَ عَنْ شَجْنِي
 مَا الشَّعْرُ هَذَا الَّذِي تَرْوِيهِ قَافِيَتِي
 لَدَيْكَ مَلْتَفَتْ غَابَاتٍ وَأَحْرَاجِ
 وَأَنْضَجَ الْقَلْبَ مِنْ أَيِّ إِنْضَاجِ
 وَنَفَحَتْ مِنْ نَسِيمِ الْوَادِ مِشْرَاجِ
 بِجَرِي بِهِ بَيْنَ وَلَاجٍ وَخَرَّاجِ
 وَالْمَوْجُ عَبَّرَ عَنْ شَجْوِي وَإِنْشَاجِي
 لَكِنَّهُ قَطَعَ مِنْ دَمِّ أَوْدَاجِي

أديب التقى



ما أتخوفه على الكاتبات

قال الأستاذ جبر ضومط (في مجلة نيرفا ٤ : ٣٤):

أخوف ما أتخوفه على الكاتبات أن يكثر عددهن كثرة تخرج بهن عن طور
 الأمهات وربات البيوت ومرييات المجتمع إلى عاملات فيه . وأقل ما أخافه أن
 يصلن إلى ما وصل إليه أهل الكتاب والأدب في أيام خلتي، وينشدن لسان

الحال -أو لسان المقال- ما أنشده عن نفسه الأديب الأول، حيث قال:

فلو خبرتم حَسْبِي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعتراكم شبهة في أن دائي أدبي
فليت أني لم أكن أَرْضعت ثدي الأدب
فقد دهاني شومه وعقني فيه أبي



حضارة العرب في الأندلس

□ قصر الحمراء □

قال الأمير شكيب أرسلان في كتاب (أناطول فرانس في مبادله) ص ٤٩:

قصر الحمراء -الذي هو من مفاخر الحضارة العربية الباهرة الآثار، بل من مفاخر الدنيا- لا تزال السياح من أطراف العالم تقصده إلى اليوم.

وهو في الحقيقة عدة قصور، يكاد يكون بحملته مدينة، ومركز الحمراء على رأس ربوة مشرفة على غرناطة، ووراءها (جنَّة العريف) التي يقول لها الأفرنج برطانتهم (جنراليف). وهو قصر تحفُّ به حدائق وجنان فيحاء، وفي الحمراء عدة قاعات تأخذ بالأبصار، أشهرها قاعة الأسود، التي فيها اثنا عشر أسداً، وقاعة بني سراج، وأوَّل من بنى الحمراء محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر سلطان غرناطة. وسميت بالحمراء نسبةً إلى هذا البيت المنسوب إلى الخزرج من الأنصار. ويقال إن بناءه انتهى سنة ١٣٣٨م (٧٣٩ هـ).



بركة الأسود

من قصيدة شاعر الأندلس ابن حمديس

وضراغمٍ سكنتُ عَرينَ رياسة	تركت خريِرَ الماء فيه زئيرا
فكأنما غشي النضارُ جسمها	وأذاب في أفواهاها البلورا
أُسْدُ كان سكونها متحرّك	في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتِها، فكأنما	أقعث على أدبارها لتشورا
وتخالها -والشمسُ تجلو لونها-	نارًا وألسنها اللواحي نورًا
فكأنما سلت سيوف جداول	ذابت بلا نار فعُدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه	درعًا، فقدّر سرّدها تقديرا



وبديعة الثمرات تعبر نحوها	عينايَ بحرَ عجائب مسجورا
شجيرةٌ ذهبيةٌ نزعثُ إلى	سحرٍ يؤثر في النهى تأثيرا
قد صولجت أغصانها فكأنها	قنصت لهن من الفضاء طيورا
من كل واقعة ترى منقارها	ماء كسلسال اللُجين نمبرا
خُرسٌ تعدُّ من الفصاح، فإن شدت	جعلت تُغرّد بالمياه صفيرا
وكأنما في كل غصن فضةٌ	لانت فأرسل خيطها مجرورا
ضحكت محاسنها إليك كأنما	جعلت لها زهر النجوم ثغورا



ومُصَفِّح الأبواب تبرًا، نظروا	بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت	تلك النهود من الجنان صدورا

خلعت عليه ظلالاً ورسيّة شمسٌ تردُّ الطرفَ عنه حسيّرا
 وإذا نظرت إلى غرائب سقفه أبصرت روضاً في السماء نظيرا
 وضعت به صنّاعه أعلامها فأرتك كلّ طريدة تصويرا
 وكأنما للشمس فيه ليقّة مشقوا بها التزيق والتشجيرا
 وكأنما وشوا عليه مُلاءة تركوا مكان وشاحها مقصورا



طه حسين في ميزان التشكيك «تحقيق شخصيته، طريقته»^(١)

بقلم الأستاذ: إبراهيم عبد القادر المازني

كنت جالساً ذات يوم مع صديقي الأستاذ العقاد، فتذاكرنا «حديث الأربعاء» وصاحبه، واستطردنا إلى طريقته في البحث و«التحقيق العلمي!» ثم إلى سيرة مجنون ليلي.

فقال الأستاذ العقاد: عن أي شيء يُسفر البحث يا ترى لو نسجنا على منوال الدكتور فيما كتبه عن المجنون؟ إنه لا يبقى منه شيء كما لم يُبق هو شيئاً من المجنون. والحقّ أقول: إن مقترح العقاد راقني، وإن نفسي ظلت تنازعني بعد ذلك أن أتولى إمضاء هذه الفكرة، فلبثت أتردد حتى لم أعد أستطيع المقاومة، وقد اقتنعت نفسي بقولي لها: إن العقاد لا يضيره أن أسطو على فكرة أو أفكار له، فإنه أغنى من ذلك، وأنا أفقر من أن أدعها له، وإن كنت أردّها بهذا الإعلان إليه.

(١) ينظر عنه: «طه حسين في ميزان العلماء والأدباء»، للشيخ محمود الاستانبولي رحمته.

وبعد هذا البيان الذي لا بد منه أقول: لنفرض أن مؤرخاً في القرن الثالث والعشرين مثلاً تناول حياة الدكتور بمثل «تمحيصه وتحقيقه العلمي»، فهل تكون النتيجة إلا كما يأتي: يزعمون أن رجلاً اسمه الدكتور طه حسين عاش بمصر في أوليات القرن العشرين، وأنه صاحب هذه الكتب المختلفة التي نسبوها إليه ونحلوه إياها، ولكن كل ما اطلعت عليه مما يعزى له يحملني على التردد بين رأيين: أحدهما أن يكون هناك أناس كثيرون يتسمون «طه حسين»، وثانيهما أن يكون هذا اسماً استعاره فرد - أو عدة أفراد - لما كتبوه ونشروه. ذلك أنه - على ما روي - أزهري النشأة، والأزهر هذا جامعة إسلامية كبري يلبس طلابها الجبة والقفطان والعمامة، أو ما يماثل ذلك من ثياب العامة في ذلك الوقت مما نجد نماذج منه في المتاحف، فهو على هذا «شيخ». ويقولون إنه كان في صدر أيامه هذه يكتب في صحيفة يومية اسمها (الجريدة)، ولكنني راجعت مجموعة هذه (الجريدة) في دار الكتب فألفت أحد أدباء ذلك العصر اسمه «عبد الرحمن شكري» يسميه «طه أفندي حسين» في مقال له. وهو ما لا سبيل إلى حمله على أنه خطأ أو زلة قلم؛ لأن الفرق بين الأفندي والشيخ كان من الواضح والاختلاف في التعليم والنشأة والوسط والزي، بحيث لا يُعقل أن يقع الخلط بينهما. فهل طه أفندي حسين هو عين الشيخ طه حسين؟

ولا شك أن شكري كان يعرف المعني (بطه أفندي حسين)، فقد كانت بينهما ملاحظة، يدل على ذلك قصيدة نشرتها الجريدة بامضاء «طه حسين» مطلعها:

قل لشكري فقد غلا وتمادى بعض ما أنت فيه يشفي الفؤاد
وأحرَ بمتهاجين أن يعرف كلُّ منهما صاحبه، وأن لا يجعله (أفندياً) وهو شيخ. ومما هو خليق أن يضاعف الشك في أنهما شخص واحد: أن الشعر لم يكن من أدوات الشيخ طه حسين، وإن ناشري كتبه ومترجمي حياته لم ينسبوا إليه بيتاً واحداً.

ويعزى إلى طه حسين -ولا أدري أيهما- مقال بل عدة مقالات في الجريدة، يدعو فيها إلى تغيير الهجاء ورسم الكلمات. فهل كان الداعي إلى هذا والملح فيه الشيخ طه أو طه أفندي؟ أما الشيخ طه فكان على ما يقولون مكفوف البصر، وكان في ذلك الوقت لا يزال طالبًا بالأزهر. ومن المعلوم أن طلبة الأزهر كانوا من (المحافظين)، ومن أشد طبقات المتعلمين استنكارًا للبدع ونفورًا من أصحابها.

زد على ذلك أنه ضرير. وما اهتمام الضرير برسم الكلمات؟! ماله ولهذا، وهو لا يعانیه ولا يكابد صعوباته؟! إن الاهتمام لذلك والتحمس له أحق بأن يكونا من رجل يكابد الكتابة بنفسه، لا من كيف ما عليه إلا أن يملئ، وهو على كل حال خاطر أولى به أن يجري ببال مبصر لا ضرير، فالأرجح في الاحتمال والأقرب إلى المعقول أن هناك شخصين اسم كل منهما «طه حسين»، وأحدهما أفندي مبصر يقول الشعر، ويدعو إلى تغيير الهجاء، والثاني شيخ ضرير يكتب في الأدب.

والآن من هو الدكتور طه حسين صاحب «حديث الأربعاء»، أهو الشيخ أم الأفندي، أم هو لا هذا ولا ذاك بل شخص ثالث؟ أما أنه أحدهما، فإني أقطع بنفيه. وحسبك الفرق بين أسلوب هذين وأسلوب ثالثهما. وسنتقل لك فقرات تريك من التباين ما لا يدع مجالاً للشك في أن الكتاب عديدون:

قال الشيخ طه حسين في كتابه ذكرى أبي العلاء: «كان أبو العلاء يحرص أشد الحرص على أن يخفي نفسه على القارئ في بعض رسائله، ولكن شخصه كان يأبى إلا الظهور. وكان يلقي بينه وبين القارئ أستارًا صفيقة من غريب اللفظ، وحجبًا كثيفة من ثقل السجع، ويقيم حوله أسوارًا منيعة من المباحث اللغوية والصور الدينية، ولكن عواطفه الحادة تأبى إلا أن أن تخرق هذه الموانع

كافة لتصل إلى قلب القارئ، فترك فيه ندوبًا لدغات الجمر أخف منها وقعًا، وأهون منها احتمالاً».

وهو أسلوب لا شذوذ فيه كما ترى. ولكن اقرأ الآن الفقرة الآتية من كلام (الدكتور) طه حسين في نفس الموضوع والمعنى، قال: «ذلك أن أبا العلاء كان -كما تعلم- من أشد الناس إيثارًا للغريب وتهالكًا عليه. ثم كان أبو العلاء إلى هذا -فيما أعتقد أنا- يتكلف الغريب ويتعمده ليصد عامة الناس وجهالهم -سواء في ذلك العلماء وغير العلماء- عن قراءته والظهور على ما فيه. وكأن أبا العلاء كان لا يكتب لعصره، وكأنه كان يحس أن عصره خليق ألا يكتب له، وكأنه كان يكتب لهذا العصر الحديث الذي نحن فيه وللعصور التي ستليه، وكأنه كان يخشى على آثاره الأدبية أن يفهمها أهل زمانه فيفسدوها ويشوهوها ويحولوا بيننا وبين فهمها، وكأنه إنما أقام من الغريب وقواعد النحو والصرف والعروض والقافية طلاس وأرصاء شغل بها أهل عصره عن هذا الكنز حتى لا يصلوا إليه وحتى تسلم لنا نحن خلاصته فترك للقدمات نحوهم وصرفهم وغريبهم وعروضهم وقوافيهم، ونفزع لخلاصة هذا الكنز من فلسفة في الخلق والجماعة والدين».

ثم اقرأ للشيخ طه حسين قوله من ذكرى أبي العلاء أيضًا: «من قرأ رسالة الغفران وأراد أن يفقه معناها حق الفقه احتاج إلى دقة ملاحظة، وحذق فطنة، وبعد نظر، ونور بصيرة، وإلى أن يدرس روح الكاتب فيحسن درسه ويعرف أغراضه، فإذا لم يوفق إلى ذلك مرت به رساله الغفران وهو يظنها من أقوم كتب الدين».

وقس هذا إلى ما كتبه (الدكتور): «أراد أبو العلاء أن يتفكه، وأراد أبو العلاء أن ينقد، وأراد أن يكفر، وأراد أن يؤمن، ولست أحتاط في لفظ ولا أتحرج من

معنى، وإنما أريد أن أكون حرًا فيما أفهم وفيما أقول، فالحرية وحدها هي السبيل إلى فهم أبي العلاء. وقد أراد أبو العلاء هذا كله، أراد أن يتفكه فتفكه إلى غير حد، وأراد أن يكفر فكر بغير حساب، وأراد أن يؤمن فآمن في غير شك. أراد هذا كله ووفق إلى هذا كله أحسن توفيق إلخ!

وإنما أكثر من المقطعات ليتيقن القارئ أن الكاتبين شخصان مختلفان، ولا عجب أن يكونا كذلك، فإن الأسلوب صورة من النفس، وهكذا صار عندنا من المشتركين في حمل هذا الاسم ثلاثة أشخاص متباينين: شيخ وأفندي ودكتور.

ويظهر أن هناك أكثر من دكتور طه حسين واحد: ففي بعض المقالات المعزوة إلى المتسمي «الدكتور طه حسين» تنويه بأن كاتبها كفيف، وفي البعض الآخر ما يفيد أنه مبصر: فهو يقول: «قرأت، ورأيت، وشهدت»، وما إلى ذلك من الألفاظ الدالة على الرؤية، ويصف لك بعض المشاهد لا تخيلاً بل كما هي كائنة. مثال ذلك بعض رسائل بعث بها من فرنسا وفيها يصف مناظر البلدان، ومقالات عن روايات شهد تمثيلها، ولم يقتصر في كلامه عنها على تناول القصة بل جاوز هذا إلى التمثيل والأداء. ومما يؤكد هذا التعدد أيضاً أن لأحد هؤلاء الدكاترة - فإنهم على ما يبدو لي كثير - أبناء يسميهم أسماء أفرنجية^(١). وإن الصحف المحفوظة في دار الكتب مختلفة، فبعضها يقول الشيخ طه حسين، والبعض يذكر الدكتور طه، وواحدة تزعمه أستاذاً في الجامعة، وأخرى صحفياً. ومعروف أن قوانين ذلك العصر لا تجيز أن يكون المرء موظفاً في جامعة أميرية

(١) للدكتور طه حسين ولدان، أحدهما أنثى سماها (مرغريت)، والآخر غلام سماه بأحد أسماء الأفرنج أيضاً.

وصحفيًا في الوقت عينه. وأحد هؤلاء الدكاترة كان مولعًا باللاتينية واليونانية، وكان يلح على وزارة المعارف أن تدرسهما في المدارس الثانوية ولا يكاد يتفق ذلك مع الصبغة الأزهرية الأولى. أضف إلى ذلك أن (الشيخ طه حسين) كان ذا لحية، وأن دكتور الجامعة أو الصحفي كان أفنديًا حليقًا. فالأمر كما ترى لا يعدو إحدى اثنتين. أن يكون هناك أشخاص عديدون بهذا الاسم وهو غير محتمل، أو أن يكون هذا الاسم مستعارًا وهو الأرجح.

وبعد؛ فكيف يرى القراء هذا المنطق؟ أليس مهملًا واهن الأركان متداعي البنيان؟ نعم هو كذلك بلا نزاع! ولكنه ليس أوهى من منطق الدكتور... ولقد أردنا أن نثبت بهذا التطبيق أنه ما هكذا يُكتب التاريخ، ولا من هذا النحو يكون «التعمق في البحث والإلحاح في التحقيق العلمي». وأنه إذا كان مجرد التضارب في الروايات والعجز عن التوفيق بينها يكفي لمحو رجل من الوجود، فقد صار ذلك سبيلًا لإنكار كل شيء.

ولقد تعمدنا فيما أوردنا أن نسوق أشياء من هنا وهناك، وأن نُهمل الصلات الكائنة بينها. لأن كثيرًا من حلقات السلسلة يسقط مع الزمن، ولأن هذا على الأرجح هو كل ما يبقى معروفًا عن المترجم له مد قرن أو قرون. وهل في تراجع العرب مثلاً أكثر من هذا؟ هل يعرف أحدنا عن شاعر أموي أو جاهلي ما هو أوفى أو أشد اتساقًا مما أوردنا عن حياة الدكتور؟ كلا! فإذا كان الدكتور طه يبيع لنفسه أن يُنكر وجود المجنون اعتمادًا على التضارب في الروايات ونقصها وتشويهها، فقد أضاع الدكتور نفسه والله! وشيبه بهذا أن يختلف شهود حادثة فننكر وقوعها!



الملكة السجينة - ملكة النحل -

لله ما أبهاك يا نحلتي
تمشين في وَجْدِ العروسِ التي
وحولك الجَمْعُ: بناتٌ أبث
يا حُسنَ ذا العطفِ الكريمِ الذي
تمشينَ في موكبِ نُبلٍ وما
لكنَّهُ حالُ الأسيرِ الذي
أحكام شَغِبٍ مِنْ كبارِ المنى
أفراذهُ النسوةُ في نهضةٍ
ما الجنسُ للنفسِ فخارًا لها
وربَّما كانَ النساءُ العلى
للهِ كمْ مِنْ عبرةٍ كنَّها
في ثوبِك الزاهي بوشي الذهبِ
قد أرملتُ في عُرْسِها المُقْتَضَبِ
طبيعةُ الكونِ لهنَّ النَّسَبُ!
يحبيكِ للنَّفْعِ العظيمِ السَّبَبُ
أعطيتِه زَهْوًا لأجلِ الطَّرَبِ
يُساعدُ الأسرَ عندَ الطَّلَبِ!
للنَّفْعِ والحكمةِ فيها الغَلَبُ
فليعتبرْ منا الكثيرو الصَّحَبُ!
إن فاتها الجِدُّ وضاع الأدبُ
وربَّما كانَ الرجالُ الثُوبُ!
يا نحلتي بالجهدِ... كمْ تُرتَقِبُ!

الدكتور أبو شادي



معرة النعمان

رعى اللهَ عيشًا بالمعرة لي مضى
فما المنحنى ما البان ما السفح ما النقا
فوالله لا فَضِّلْتُ في الأرضِ بقعة
منازلُ كانت مرتعي زمن الصبا
حكاه ابتسام البرق إذ هو أومضا
وما رامة عند المعرة ما الغضا
عليها سوى ما فَضَّلَ اللهُ وارضى
فأبعدني المقدور عنها وأنهضا

مراضعُ آرامٍ مراضعُ جيرة مراضعُ غزلانٍ معاهد تُرتضى
 فلله هاتيك الرُّبى وسُفوحها ولله عمرٌ في سواها لي انقضى
 وما عن رضى كانت سواها بديلةً لها غير أن الدهر ما زال مُدحضا

ابن الوردي



الحزم

الرجال ثلاثة: حازم، وأحزم منه، وعاجز.
 فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له، ولم يذهب قلبه شعاعاً، ولم تعي به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه.
 وأحزم من هذا: المقدام ذو العدة، الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه؛ فيُعظّمه إعظاماً، ويحتال له حيلةً، حتى كأنه قد لزمه؛ فيحسم الداء قبل أن يبتلى به، ويدفع الأمر قبل وقوعه.
 وأما العاجز فهو في تردّد وتمنّ وتوانٍ حتى يهلك.

ابن المقفّع



التقليد في الزندقة

روى أبو عثمان الجاحظ في رسالة (أخلاق الكتاب) قال: «وقد قال أهل الفطن: إن محض العمى: التقليد في الزندقة، لأنها إذا رسخت في قلب امرئ تقليداً أطالت جراته، واستغلق على أهل الجدل إفهامه».

الشكوكيون

ليس شيء من أمور الدنيا إلا وهو مُعرض للشك، حتى قال بعض الفلاسفة: إن كل شيء يقبل الشك حتى قلبي هذا: «إن كل شيء يقبل الشك!» ومن بين الفلاسفة طائفة يُعرفون بأهل الشكوك، يشكون في كل شيء حتى في وجود ذواتهم!...

محمد المويلحي



الصبر والشجاعة

هما من الواجبات الشخصية التي ينبغي للمرء أن يتذرع بها، ويروض نفسه عليها منذ زمن الحداثة.

والصبر في أصل معناه اللغوي: الحبس. وهو باعتبار متعلّق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: (الصبر عن...) و (الصبر على...) و (الصبر في...):

(فالأول): حبس النفس وردعها عن فعل السوء والشر ودواعي الهوى أو الشهوة، وكل ما يمس كرامة الإنسان ويشوه سمعته.

و (الثاني): أن يحبس نفسه ويوطئها على المكروه والألم وتحمل الرزايا والمصائب، وكل ما يُقلق الراحة وينغص العيش. ومن ذلك الصبر على ما يفوت الإنسان من المآرب والحظوظ الدنيوية.

و (الثالث): أن يحبس نفسه ويمنعها عن التقهقر في مواطن الخوف والذعر، بل في مواطن الخطر أحياناً، وذلك دفاعاً عن حق، أو حماية لمصلحة، أو

وقاية لـعرض وشرف. وهذا النوع من الصبر يسمى الشجاعة والإقدام. فالشجاعة مما يشملها الصبر بدليل قوله تعالى في صفة طائفة من الأبرار: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ فالبأساء والضراء: الضيق والفقر والمرض، والبأس: الحرب. فهؤلاء الأبرار كانوا يصبرون لدى المصائب والآلام والكروب، كما يصبرون في المخاوف واشتداد هول الحروب.

وقال بعض الحكماء: ليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والتعب، لأن هذا تشاركه فيه الدابة. ولكن أن يكون للنفس غلوياً، وللخطوب حمولاً، ولجأشه عند الحفظ مرتبطاً (أي مالئاً نفسه عند الغضب).

وهذا الخلق - أعني الصبر والشجاعة - من دعائم الإسلام، ومن أخص الصفات التي يجب أن يتخلق بها المسلم، وإذا أردنا أن نعزو نجاح الإسلام وظهور أمره وانتشار كلمته في العالم إلى خلق من الأخلاق، وجب أن يكون هذا الخلق هو خلق (الصبر والشجاعة) اللذين تَشَبَّعَتْ بهما نفوس سلفنا الصالح، وأبطالنا الأقدمين. قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «خمس خذوها عني: ألا لا يَرْجُونَ أَحَدًا إِلَّا رَبَّهُ، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستكف أن يتعلم ما ليس عنده، وإذا سُئِلَ عما لا يعلم فليقل لا أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» اهـ.

وقال أيضاً: «لا يعدم الصبورُ الظفرَ وإن طال به الزمان».

وإن أعز شعوب هذا العصر، وأرفعها شأنًا، وأوسعها سلطانًا، هو الشعب الذي عُرف من أخلاقه الصبر والثبات في مواطن الأخطار، وَلَدَى اشتداد الأهوال: فهو يُعَدُّ للأمور عَدَّتْهَا، ويهيء لها أسبابها ووسائلها. ثم يصبر صبراً بعد صبر حتى يحين الوقت، وينضج الأمر. وإذا ذاك يجني ثَمَرَتَهُ، ويحتجج فائدته.

هذا الخلق يصح أن نسميه (الخلق القرآني) لكثرة ما ذكر في القرآن من التنويه به، والحض عليه، في أكثر من سبعين آية. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾.

ومعنى كون الصبر من عزم الأمور: أنه مما يتأكد طلبه وتحتّم على الشخص ممارسته من أمور الأخلاق. لأن هذا معنى العزم في اللغة. ويكون ذلك شاهداً على صحة إطلاق كلمة «الواجبات الشخصية» على الأخلاق والسجایا النفسية. وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَّهْدُونَكَ بِأَنزِلِنَا لِمَا صَبَرْتُمْ﴾، أي إنما كان أولئك القوم من المفلحين، والأئمة المهتدين الهادين، لأنهم كانوا متصفين بالصبر في عامة أحوالهم.

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُتْنٌ مَّرْصُومٌ﴾، أي أنه تعالى يُعجبه من أولئك المدافعين عن الحق أن يكونوا في موقف دفاعهم متساندين متلازمين بما وطّئوا نفوسهم عليه من الصبر والثبات؛ حتى يصبحوا كالبنیان الذي تراصّت أحجاره، وتماسكت جنادله.

وأحاديث الصبر والشجاعة كثيرة: منها قوله ﷺ - يبين مكانة الصبر، ومنزلة من سائر آداب الإسلام-: «الصبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»^(١)، «الصبرُ سترٌ من الكروب، وعونٌ على الخطوب»^(٢)، «إن الله يحبُّ الشجاعة ولو على قتلٍ حية»^(٣)، أي يجب الصبر في مواقف دُرء الأخطار والإقدام على دفع

(١) ضعيف الجامع؛ للألباني (٧٩٧٤).

(٢) لا أصل له. والشيخ ينقله من «أدب الدنيا والدين»؛ للماوردي (ص ٣٥٩). قال: «وروي عن النبي ﷺ...».

(٣) حديث موضوع. انظر: «الفوائد المجموعة»؛ للشوكاني (٢٠٩).

أذى كل مؤذ حتى ما كان قليل الشأن كالحية. فكيف ترى الشارع الإسلامي يُحب شجاعة الشجاع في المواطن العظام، كما إذا كان يدافع عن حق مقدس عام ينتج عن الجبن فيه، والنكوص عنه، ضياع أمة برمتها مثلاً.

«آفة الشُّجاعة البغي»^(١)، يحذّر في هذا الحديث الشجاع من استعمال شجاعته وجلادته في الشر والفساد فيبغى على غيره أو يبخره حقاً من حقوقه.

«الصبر عند الطّدمة الأولى»^(٢)، في هذا الحديث أيضاً تنبيه للشجاع أو كل من كان في حالة تستدعي ثبات القلب والصبر أن يوطن نفسه ويُنعش فيها خلق الصبر والثبات لأوّل مفاجأة العدو أو الكارثة أو البلاء، حتى إذا تسرّ له الصبر في ذلك الوقت، استمرّ عليه لا يلبث، حتى يُلقى في نفس خصمه أو مؤذيه الهيبة والإكبار، وربما اضطره بصبره هذا إلى الهزيمة والفرار. أما إذا لم يصبر لدى الصدمة الأولى، واستسلم للخوف والجزع، أطمع خصمه فيه وجرّاه عليه. ثم صُعب عليه بعد ذلك أن يرجع إلى قوّته ويملك عنان نحيّزته (نفسه).

وقد اتفقت كلمة أهل الأدب على أن أبلغ ما قيل في الحض على الصبر والشجاعة قول قطري بن الفجاءة البطل العربي المشهور:

أقول لها وقد طارث شعاعاً	من الأبطال ويحك لن تراعي ^(٣)
فإنك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً	فما نبيل الخلود بمُستطاع

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦).

(٣) الضمير في (لها) يرجع إلى النفس. (طارث شعاعاً) كناية عن انتشار النفس وتفرقها هلعاً بحيث لا يعود يمكنها أن تستجمع قوتها.

ولا ثوب البقاء بثوب عزٍّ فيطوى عن أخي الخنع اليراع^(١)
 سبيل الموت غاية كل حيٍّ فداعية لأهل الأرض داعي^(٢)
 ومن لم يُعْتَبَظْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمُ وتسلمه المنونُ إلى انقطاع^(٣)
 وما للمرء خيرٌ من حياةٍ إذا ما عُذَّ من سقط المتاع^(٤)

وكان الشاعر الافرنسي عقد هذا المعنى الذي قاله شاعرنا العربي فقال ما ترجمته:

«إذا خسر المرء كلَّ شيء».

«ولم يعد له أملٌ في استرجاع ما فقد»

«كانت حياته عارًا عليه»

«وأصبح الموتُ أحدًا واجباته»



بقي أمرٌ جدير بالذكر: وهو أنه يُشترط في النوع الثاني من أنواع الصبر الذي سميناه «الصبر على الآلام والمصائب والكوارث» شرطٌ لا بدَّ من مراعاته وتَحَقُّقه؛ ذلك أن المصائب والمكآره التي تنزل بالشخص قسمان:

(١) الخنع: الذل. واليراع: الجبان. ومعنى البيت أن ثوب البقاء وطول الحياة لو كان ثوب عزٍّ وشرف لطوي ولبعد عن الذليل الجبان فلم يلبسه. لكننا لما رأيناه قد لبسه وتباهى به، علمنا أنه ليس ثوب عز ولا فخار.

(٢) اللام في قوله «لأهل الأرض» متعلق بداعي في آخر البيت، أي أن داعي الموت يدعو أهل الأرض كلهم، ولا يستثنى منهم أحدًا.

(٣) ومن لم يعتبط: أي ومن لم يمْتَ شابًا صحيحًا، مات بعد هرم وسام من الحياة. فالموت واقع على كل حال.

(٤) سقط المتاع: رديئه وما لا قيمة له منه: أي إذا علم المرء أنه سيحیی ذليلاً في هذه الدنيا، لم يعد يبقى لحياته معنى. ولم يعد له فيها خير وفائدة.

قسم لا يكون فيه حيلة، ولا لدرئه وسيلة، كما إذا مات للشخص ابن أو أخ عزيز أو عَمِي أو إيفَ بعض أعضائه^(١)، فالصبر الجميل إذ ذاك على المصيبة أمر محمود.

الدهرُ لا يبقى على حالةٍ لا بد أن يُقبلَ أو يُدبرا
فإن تلقاك بمكروهه فاصبر فإنَّ الدهر لن يصبرا
والقسم الآخر: أن ينزل بالشخص نازلة أو مصيبة يكون له حيلة في تفريجها أو وسيلة في تخفيفها. فالصبر على هذا المكروه محمود أيضًا: لكن يُشترط مع هذا الصبر الاجتهاد والعمل على اتخاذ السبب والوسيلة في دفعه، والتخلّص منه. أما الاستسلام إلى المكروه، والصبر على المصيبة، والتقاعد عن دفعها بالطرق والوسائل المشروعة الداخلة تحت الطاقة، فليس مما يرضاه الشرع ولا العقل لنا، ولا يكون الصبر عليه صبرًا محمودًا، ولا خلقًا مشهورًا:

ينزل بالمرء فقر أو ضائقة، وله عيال يتضوّرون جوعًا وأسباب الرزق ممهّدة بين يديه فيعرض عنها ويقول: إنه صابر، وإن الصبر مفتاح الفرج!
يُصاب المرء بمرض مؤلم ويكون له علاج أو دواء ناجع ومخفّف بإذن الله، فيتقاعد المريض عن تناول ذلك العلاج ويقول عن نفسه: إنه صابر، وإن الصبر سلاح المؤمن!

يعتدي مُعتدٍ عليك، أو يغتصب بعض حقك، ويكون في مكتتك كفت أذاه بإحدى الطرق والوسائل، لكنك لا تفعل بل تذلّ وتخضع وتدعي أنك صابر، وأن الله مع الصابرين! في نظير ذلك من أحوال الناس وأطوارهم التي تتكرّر مشاهدتها تحت مواقع أبصارنا من وقت إلى آخر. وكلُّ هذا لا يقال إنه من الصبر

(١) إيف: أصيب بأفة أو عاة.

المحمود، ولا ينبغي أن يُقرَّظ صاحبه عليه. وإنَّ استنكار ذلك وُبُعْدَه عن الأخلاق ومنافاته للواجبات الشخصية؛ أمرٌ ظاهر لا يحتاج إلى استدلال، ومنافاته للواجبات الشخصية؛ أمرٌ ظاهر لا يحتاج إلى استدلال، بل يكاد يكون الشعور باستنكاره من الوجدانات الطبيعية، وكثيراً ما سُمِّيَ هذا الصبر الممقوت باسم «التوكل»، واشتبه به: فتَذَلُّ أُمَّةٌ أُمَّةً وتُدوس حقوقها، ثم يقال للأمة المُستَدَلَّة: «اصبري وتوكلي، إن الله مع الصابرين والله يحب المتوكلين»!! وهذا في الحقيقة خداع وتغدير، وإنَّ صَبَرَ هذه الأمة وتوكلها -إذا تظاهرت بالصبر والتوكل- ليسا من الصبر والتوكل الإسلاميين في شيء، ما دام في طاقتها الاستعداد، واتخاذ الأسباب لدفع الشرِّ، واسترداد الحقِّ، والاحتفاظ بالكرامة.

وقد مُني المسلمون في أَخْرِيَاتِ أيامهم بشيء من هذا الصبر والتوكل الممقوتين، بحيث التبس أمرهما عليهما، أو لبسوه على أنفسهم بالصبر والتوكل الشرعيين. وليس المقام بمَتَّسَعٍ للإفاضة في هذا البحث بأكثر ممَّا ذكرنا، ولا للاستشهاد عليه من النصوص الشرعية، وأعمال النبي ﷺ والصحابة التابعين بأكثر ممَّا أشرنا. وإنما نكتفي ببيت من الشعر قاله تابعي جليل من أصحاب سيدنا علي ؑ -وهو أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو-، وهو قوله:

إذا كنتَ مغنياً بأمرٍ تريده فما للمضاءِ والتوكل من مثلي

يقول: إذا كان يهْمُكَ قضاء أمر من الأمور، فلا طريقة للوصول إليه أحسن من المضاءِ والتوكل. والمضاء: النشاط وصدق العزيمة في طلب الأمر.

فانظر كيف قرن التوكل، وهو الاعتماد على الله، بالمضاء والجِدِّ، فيكون التوكل في اعتبار سلفنا الصالح هو ما اقترن بالسعي والعمل، لا بالتقاعد والكسل.

الشيخ عبد القادر المغربي

أعظم مطبعة في العالم

أعظم مطبعة في العالم مطبعة الحكومة الأمريكية في واشنطن، وهي ذات بناء فخم مؤلف من ثمانين طبقات، يعمل فيها أربعة آلاف عامل وفيها ١٤٤ آلة صف (لبنوتيب) و ٣٢٥ مصححاً. والقسم الخاص بطبع أوراق العملة يعمل لخمس عشرة ألف مصرف مالي، فضلاً عن طبعه جميع أوراق العملة في الولايات المتحدة. وفي المطبعة فرع للبطاقات يُصدر أربعة ملايين بطاقة في اليوم، وفرع لطبع طوابع البريد وتلوينها وتجفيفها في آن واحد. وفيها مستشفى خاص بعمالها.



موت العلماء

أصاب الأخفشين ^(١) بصيرُ حَظِبٍ	أعاد الأعشيين ^(٢) بلا حوار
وغِيلَ المازني من الليالي	برَّند من خطوب الدهر وار
وللجرمي ^(٣) ما اجترمت يده	وحَسْبُكَ من فلاح أو بوار
فأما قَرْحُه ^(٤) فبلا جناح	يطير بحمل أثقال جوار
وما نَقَعَ المبرِّد من حميم	وصادت ثعلبًا نُوبٌ ضوار

أبو العلاء المعري / عن لزوم ما لا يلزم

(١) الأكبر والأوسط: أي أبو الخطاب أستاذ سيويه، وتلميذه أبو الحسن سعيد بن مسعدة.

(٢) أعشى قيس الأكبر ميمون بن قيس، وأعشى باهله عامر بن الحارث.

(٣) صالح بن إسحق، مولى جرم بن زبان المتوفي سنة ٢٢٥.

(٤) كتاب للجرمي في النحو.

نبوغ أبي العلاء المعري في الحفظ^(١)

نأتي هنا على أخبار رواها الثقات عن الثقات، والأصاغر عن الأكابر، سوى بعضها مما وقع فيه خلل في النقل. وما أكثر من يستنكرها من أبناء العصر، إذ حرموا هذه الفضيلة، اللهم إلا شِرْذمة منهم نَزَر. والعرب أحفظ الأمم، «وَمَنْ يُشَابِهْ أَبُوهُ فَمَا ظَلَمَ»، والباعث على ذلك ليس إلا عِرْقُهُمْ في البداوة وسُكْنَى الْوَبَرِ والمَدَر، وبُعْدَهُمْ عن الوسائل المغنية عنها في الحَضَر



(١) روى السمعاني في الأنساب^(٢) عن التبريزي أنه كان قاعدًا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئًا من تصانيفه، قال: وكنت قد أتممت عنده ستين^(٣)، ولم أر أحدًا من أهل بلدي. فدخل مغافصة المسجد بعض جيراننا للصلاة، فرأيته وعرفته وتغيّرت من الفرح. فقال أبو العلاء: ما أصابك؟ فحكيت له أنني رأيتُ جَارًا لي بعد أن لم ألق أحدًا من أهل بلدي سنين^(٤)، فقال لي: قم وكلمه، فقلت له: حتى أتمم السبق^(٥). فقال: قم أنا أنتظرك. فقممت وكلمته بالأذرية شيئًا كثيرًا، إلى أن سألت عن كل ما أردت. فلما عُدتُ وقعدت بين يديه قال لي: أيّ لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل

(١) انظر أقوال العلماء عنه، ونماذج من شعره الكفري، في رسالتي «مشاهير في ميزان العلماء» (ص ١٧ - ٢٢). (س).

(٢) ورقة ١١٠ - وياقوت عنه ١: ١٧٣، ونكت الهميان ١٠٢، والبديعي ١: ١٠، والبيغية ١٣٦، ومعاهد التنصيص ١: ٤٩.

(٣) وفي غير نسخة الأنساب أتمت عنده سنين.

(٤) كذا في هذه الكتب بأسرها، إلا معجم الأدباء، فإنه روى ستين.

(٥) بمعنى الدرس، كما هو مستعمل إلى الآن بإيران والهند.

أذريجاناً. فقال لي ما عرفتُ اللسان ولا فهمته، غير أنني حفظت ما قلتما. ثم أعاد لفظاً بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه، فجعل جاري يتعجب غاية العجب ويقول: كيف حفظ شيئاً لم يفهمه اهـ.

قال ياقوت: وهذه غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ. وقال الصفدي: هذا أمرٌ مُعْجَزٌ، فإنه بلغنا عن جماعة من الحفاظ. وما يحكى عن البديع الهمداني وابن الانباري (لعله أبو بكر محمد) وغيرهما ما هو قريب من الإمكان، وأما حفظ ما لم يسمعه (يفهمه) الإنسان، ولا يعلم مفرداته ولا مركباته، وهو أقل ما يكون أربع مائة سطر؟ - أي تعجب منه -.



(٢) قال ابن العديم في العدل: قيل إنه أملى من ديوانه لزوم ما لا يلزم في ليلة واحدة نحو ألفي بيت، كان يسكت زماناً ثم يملي نحو خمسمائة بيت، ثم يعود إلى الفكرة والعمل، إلى أن كملت العدة المذكورة.



(٣) وروى ابن العديم أيضاً أن بعض أمراء حلب قيل له: إن اللغة التي ينقلها أبو العلاء إنما هي من الجمهرة، وعنده من الجمهرة نسخة ليس في الدنيا مثلها، وأشاروا عليه بطلبها منه قصد الأداة. فسير أمير حلب رسولا إلى أبي العلاء يطلبها منه. فأجابه بالسمع والطاعة وقال: تقيم عندنا أياماً حتى تقضي شغلك. ثم أمر من يقرأ عليه كتاب الجمهرة، فقرئت عليه، حتى فرغوا من قراءتها. ثم دفعها إلى الرسول وقال له: ما قصدتُ بتعويقك إلا أن أعيدها على خاطري خوفاً من أن يكون قد شذَّ منها شيء عن خاطري. فعاد الرسول وأخبر أمير حلب بذلك، فقال: من يكون هذا حاله لا يجوز أن يؤخذ منه هذا الكتاب. وأمر برده إليه



(٤) وروى أيضًا أن البغداديين أرادوا امتحان حافظته، فأحضروا دستور الخراج الذي في الديوان، وجعلوا يوردون ذلك عليه مُياومة وهو يسمع، إلى أن فرغوا من ذلك، فابتدأ أبو العلاء وسرد عليهم كل ما أوردوا عليه



(٥) روى البديعي^(١). عن الأمير أسامة بن منقذ عن أبي العلاء المعري. قال: كان بإنطاكية خزانة كتب، وكان الخازن بها رجلًا علويًا، فجلست يومًا عنده فقال: قد خبأتُ لي خبيثة غريبة ظريفة لم تسمع بمثُلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ. قلت: وما هي؟ قال: صبيّ دون البلوغ ضرير، يتردّد إلى وقد حفظته في أيام قلائل عدّة كتب، وذلك أني أقرأ عليه الكرّاسة والكرّاستين مرّة واحدة، فلا يستعيد إلا ما شكّ فيه. ثم يتلو عليّ ما قد سمعه كأنه كان محفوظًا له. قلت: فلعله قد يكون محفوظًا له، قال: سبحان الله، كلّ كتاب في الدنيا يكون محفوظًا له! ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم. ثم حضر المشار إليه، وهو صبيّ ذميم الخلقة، مجدّر الوجه على عينيه قليلًا، وهو يتوقّد ذكاء، يقوده رجل طويل من الرجال أحسبه يقرب من نسبه، فقال له الخازن:

يا ولدي هذا السيّد رجل كبير القدر، وقد وصفتك عنده، وهو يُحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك. فقال: سمعًا وطاعة! فيختار ما يريد. قال ابن منقذ: فاخترت شيئًا وقرأته على الصبي وهو يموج ويستزيد. فإذا مرّ بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره يقول: أعذّ هذا. فأردّه عليه مرة أخرى. حتى انتهيتُ على ما يزيد على كراسة، ثم قلت له: يقنع هذا من قبَل نفسي. قال: أجلّ حرسك الله قلتُ كذا. وتلا عليّ ما أملتُهُ عليه، وأنا أعارضه بالكتاب حرفًا حرفًا، حتى

(١) الصبح المنبي ١: ٧، وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير منسوبة إلى التبريزي في غرر الخصائص ١٨٧.

انتهيت إلى حيث وقفتُ عليه، فكاد عقلي يذهب لما رأيْتُ منه، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا إن شاء الله. وسألت عنه، فقيل لي: هذا أبو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى اهـ.

أقول: جمع البديعي بين الضبّ والنون، وحاول أن يُجري في البراري الفُلُكَ المشحون، فإن صاحبنا توفي سنة ٤٤٩هـ، وأسامة وُلد سنة ٤٨٨! فلعل الحكاية عن بعض متقدمي بني منقذ، قبل أن يملكوها شيزَر بنحو نصف قرن، أو أكثر، أو الأصل «عمن حدثه عن أبي العلاء»، فيوجد ثم واسطة بينهما. والراجح هو الأول، ففي مساق هذه الحكاية في العدل والتحري ما يدلّ على أن صاحب أبي العلاء هو أبو المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ، وكان يسكن حلب، وهو الذي ترجم له ابن خلكان وياقوت والعماد. ولكن هذه الخزانة على ما قال ابن العديم كانت في كُفر طلب أو في حلب. وذكر خبراً طريفاً عن خزانة حَلَب.



(٦) وروى أيضاً^(١) قال: وأعجب من هذه ما حكى بعض طلبته عنه قال: كان لأبي العلاء جار أعجمي، فاتفق أنه غاب عن المعرفة، فحضر رجل يطلبه قد قدم من بلده، فوجده غائباً فلم يمكنه المُقام. فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته، فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية، وأبو العلاء يصغى إليه إلى أن فرغ من كلامه. ولم يكن أبو العلاء يعرف الفارسية، ومضى الرجل. وقدم جاره الغائب، وحضر عند أبي العلاء، فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له بالفارسية ما قال، والرجل يبكي ويستغيث ويلطم، إلى أن فرغ من حديثه، وسئل عن حاله، فأخبر أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله.



(١) الصبح المنبي ١ : ٩، ولعله عن كتاب (العدل والتحري) لابن العديم.

(٧) وحكى أيضًا^(١) عن بعض أصحابه أن جاريًا له سمانًا كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة فجاء ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعي فيها ما يأخذه منها عند حاجته إليه . وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهما . قال فسمع أبو العلاء السمانَ المذكور بعد مدة يتأوه ويتململ ، فسأل عن حاله فقال : كنت حاسبت فلانًا برقاع كانت له عندي وقد عدمتها ولا يحضرني حسابه . فقال : ما عليك من بأس أنا أملي عليك حسابه . وجعل يملئ علي معاملته رقعة برقعة والسمان يكتبها إلى أن فرغ وقام . فما مضت إلا أيام يسيرة ووجد السمان الرقاع فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء فطابق إملأؤه الرقاع اهـ .

ومثله ما في الوفيات لابن خلكان^(٢) عن أبي بكر النحوي قال : لما قديم الحسن بن سهل العراق ، قال : أحب أن أجمع قومًا من أهل الأدب . فأحضر أبا عبيدة والأصمعي ونصر بن عليّ الجَهْضَمي وحضرت معهم . فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم ، فوقّع عليها ، فكانت خمسين رقعة ، ثم أمر فدُفعت إلى الخازن . ثم أقبل علينا فقال : قد فعلنا وخيرًا نظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية ، فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه . فأقضنا في ذكر الحُفَاط ، فذكرنا الزهريّ و قتادة ومرنا ، فالتفت أبو عبيدة فقال : ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى ، وبالحضرة ها هنا من يقول : ما قرأ كتابًا قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ، ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه ، فالتفت الأصمعي وقال : إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير ، والأمر في ذلك على ما حكى ، وأنا أقرب إليك ، قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع ، وأنا أعيد ما فيها ، وما وقّع به الأمير على رقعة رقعة ، قال فأمر وأحضرت الرقاع . فقال الأصمعي : سأل صاحب الرقعة

(١) الصبح المنبي ١ : ١١ .

(٢) ١ : ٢٨٩ .

الأولى كذا واسمه كذا فوق له بكذا، والرقعة الثانية والثالثة، حتى مرّ في نيف وأربعين رقعة. فالتفت إليه نصر بن علي فقال: أيها الرجل أبقى على نفسك من العين. فكف الأصمعي اهـ.

وأغرب منه وأعجب ما روى الحميدي في الجذوة والخطيب في تاريخ بغداد عن البخاري ومختته هناك في مائة حديث مقلوبة الأسانيد والمتون. وراجع الوفيات^(١).



(٨) زعموا^(٢) أن رجلاً من أهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع أوله، فعرضه على طائفة من أهل العلم فكلهم لم ينفعه (يعرفه)، ولم يدلّه على اسم الكتاب، فلما عرضه عن أبي العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه وأملى عليه ما ضاع منه. قال ابن العديم: قيل إن الكتاب هو ديوان الأدب للفارابي.

وفي النور السافر للسيد العيدروس: «وذكر عنه أنه أملى المحكم والمخصص من صدره». أقول: لعل الراوي اشتبه عليه تذهيب الأزهري بالكتابين، وإلا فإنيهما لم يكونا صنفاً بعد.



(٩) حكى بعض العصرين^(٣) - والعهد عليه إذ لم يُحل على مأخذ - أنه سمع محاورة إسرائيليين بالعبرية وهو في شأن غير شأنهما، ثم طُلب بعد مدة مديدة للشهادة، فأعاد تلك المحاورة وهو لا يفقه من العبرية حرفاً. اهـ.

ولم أعر على الخبر فيما بيدي من دواوين الأخبار. وليس بيد من صاحبنا،

(١) ١ : ٤٥٥ .

(٢) ابن العديم في العدل والتحري، وصاحب ذكرى أبي العلاء ٣٢٣، ولعله عن الففطي.

(٣) وهو صاحب الإلياذة العربية في مقدمتها ٣٨. فإن صح اتكاله على الحفظ فهو الخبر الأول هنا.

إلا أنني رأيت المتأخرين يتكلمون على حفظ ليس حفظ أبي العلاء، ولا يرجعون إلى الأصول، فيخبطون ويخلطون، والعصمة لله وحده^(١).

هذا وغرّ أكثر الغربيين قول الصفدي^(٢) «أظنه: «وللناس حكايات يضعونها في عجائب ذكائه، وهي مشهورة وغالبها مستحيل»، وإنني لأعجب كيف ذهب عليهم أو خفي عنهم مثل هذا، مع أنه ترك شغل السماع والمطالعة حين بلغ من العمر أشده. وهذه جُمْل من نثره^(٣):

قال في مقدمة سقط الزند^(٤): «وقد كنتُ في رَيَّانِ الحداثة وجرَّ النشاط مائلاً في صَفْوِ القريض... ثم رفضته رفض السَّقْبِ غَرْسُهُ، والرال تريكتة اه.

وفي الملائكة: لو أعرضت الأغرْبة عن النعيب، إعراضي عن الأدب والأديب، لأصبجت لا تُجس نعيباً اه.

وفيه: وقد حُرِّم عليّ الكلام في هذه الأشياء؛ لأنني طَلَّقْتُها طَلاقاً بائناً لا أملك فيه الرجعة اه.

(١) سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمته الله: «ما رأي فضيلتكم في هذه العبارة: «العصمة لله وحده»، مع أن العصمة لا بد فيها من عاصم؟»، فأجاب: «هذه العبارة قد يقولها من يقولها يريد بذلك أن كلام الله ﷻ وحكمه كله صواب، وليس فيه خطأ، وهي بهذا المعنى صحيحة، لكن لفظها مُستكر ومُستكره، لأنه كما قال السائل: قد يوحي بأن هناك عاصماً عصم الله ﷻ، والله ﷻ هو الخالق، وما سواه مخلوق، فالأولى أن لا يُعبر الإنسان بمثل هذا التعبير، بل يقول: الصواب في كلام الله، وكلام رسوله ﷺ». «مجموع فتاوى الشيخ (٣/ ١٤١ - ١٤٢). (س).

(٢) معاهد التنصيص ١: ٤٩. ولْيُعْلَم أن ترجمته له هي صدى لصوت الصفدي في الوافي.

(٣) ومن نظمه في المعنى قوله في لزوم ما لا يلزم:

وكيف أروم في أدب وفهم دراساً والمآل هو اندراسي

(٤) ١: ٦.

وفيه: ولو كنت في عمر الجِسل لكنت قد أنسيت أو نسيت، لأن حديثي لا يُجهل في لزوم عَظني الضيق... وإنما ينال الرتب من الآداب من يباشرها بنفسه، ويُفني الزمن بدرسه اهـ.

ومررنا نقل قوله من الإغريضية. وفي رسالته إلى الفلاحى^(١): «وإن العامة عهدتني في صدر العمل أستصحب شيئاً من أساطير الأولين فقالت عالم، والناطق بذلك هو الظالم».

ومن رسالته إلى أبي المعلى^(٢) «من غدا بفرع منال، فقد بُعد عهدي بالنضال. ألم يبلغك... أني دفعت الأدب إلى جانب كليب، وعقدته بأذن الضبيب». وفي رسالته^(٣) إلى النكتي، وكان دعاه أبا العلى (مقصوراً)، ومحمداً بدل أحمد، فنعى عليه سوء حفظه، ثم قال: فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ولم أنس أيامه ولا مذاكرته... فعهدي به تعجبه هذه الأرجوزة» اهـ.

وهذا كله دليل على أن هذه المعارف اللغوية والنحوية والتاريخية والدينية وغيرها مما نجده مبعثراً في كتبه ورقاعه، ومما يدهش اللبيب، ويكل من حدّ بنانه ويراغه. ومن فنون يضيق عنها نطاق الدهر، وغاية يحضر دونها نجائب العمر. وغرائب الأخبار، طرائف الآثار - كلها من مكاسب صباه وسرّحه، وثمر غصّ لربعان عمره قبل حنكته ورسخه.

وظاهر أن عقد الثلاثين لا يفي بجمع مثل هذا العلم الجَمّ، ما لم يكن ثمّ واعية لا يشذ عنها شيء حلّ بها أو أمّ، ويحرّ حفظ لعبه زخراً وطمّ. وكيف لنا

(١) ص: ٦٠ .

(٢) : ٦٤٣ .

(٣) ٧٧ .

بالتكذيب والتبريزي أحد الثقات الأثبات فيما ينقله . وهذا ابن القارح يشهد له بذلك ويفضّله فيه على أعيان أشياخه قال^(١) : «والعجب العجيب والناذر الغريب حفظه... لأسماء الرجال والمنثور، كحفظ غيره من الأذكىاء المبرزين المنظوم . وهذا سهل بالقول صعب بالفعل» (ثم رجحه فيه على ابن خالويه وأبي الطيّب اللغوي وأبي عمر الزاهد الأسوة في الحفظ).

لولا بدائع صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عَصَب
وقال الذهبي مع عداوته له : «ويقال عنه إنه كان يحفظ ما يمر بسمعه . وكان عجبًا من الذكاء المفرط والاطلاع الباهر على اللغة وشواهدا»^(٢).

وأوثق من كل ما مر : ما رواه ابن العديم في (العدل والتحري) أن بعضهم سأل أبا العلاء عن حفظه ، فأجابه بقوله : «ما سمعتُ شيئًا إلا وحفظته ، وما حفظت شيئًا فنسيته» .

ولكن هذا الحفظ الباهر بطلعته اختلّ في كهولته على ما يقول في لزوم ما لا يلزم :

رَضِيتُ مُلاوةَ فَوْعَيْتُ عِلْمًا وَأَحْفَظُنِي الزَّمانَ فَقُلَّ حَفْظِي
عبد العزيز الراجكوتي



(١) رسالته : ٢١ .

(٢) ونجد في الأمة الأمية كثيرًا من مقلّي الحفظ ، فإن حرارة البلاد ترقق المزاج ، وتلطف الأخلاط والأمشاج . والبلاد قد أنجبت وأعرقت . وكنت قد قرأت في بعض الجرائد أن بمدارس صبية من مشركة الهند حفظت عنها كتب سنسكريتية ، وهي لم تعد الثامنة من العمر بعد ، فأشار الأطباء على أهلها أن يخلوها وشأنها في حجرة فارغة من الشواغل . إبقاء على دماغها . ورفقًا بواعيتها .

الأنظمة والأخلاق

تشتمل العوامل السياسية على القوانين والنُظم، ويعزو النظريون من جميع الأحزاب -ولا سيما الاشتراكيون- أهمية كبيرة إلى هذين العاملين؛ لاعتقادهم أن سعادة الأمة بأنظمتها، وأن مقاديرها تتغير بتغييرها، وهم بذلك على غير رأي بعض المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جدًا، وأن مقادير الأمم بأخلاقها، أي بروح أفرادها.

روح الإشتراكية، غوستاف لوبون، ص ١٣



قَدَم الشعر العربي

جاء في المقتطف (١٤ : ٢٨٣) بيانًا لقدم الشعر العربي: «وقد شاهدنا صورة قصيدة وُجدت منقوشة بالقلم العادي على إحدى الخرائب القديمة ببلاد اليمن، ويُظن أنها نقشت قبل التاريخ المسيحي بأكثر من ألف سنة».



محافظون

مَثَلُنَا ومَثَلُ دُعاة التجرُّد - ولا أقول التجدُّد - كَمَثَلِ إخوة ثلاثة، نشأوا من القرية في أرومة عزَّها، وبيت سيادتها. وقد ترك لهم أبوهم قصرًا شامخ الذُّرى، فسيح الأرجاء، متين الدَّعائم: ادخر فيه الأجداد الأُمجاد كلَّ ما حصَّلوه في

أدوار الغنى والفقر من سَمِين وَعَثَّ، وما جَمَّعوه في الأيام البيض والسود من أنيق ورث. ولكن غفلة أصحاب هذا القصر القديم عن تعهده دائماً بالخدمة والإصلاح، وجهلهم بقيمة ما فيه من دقيق الفنون الأثرية القائمة منه في بروج القوة ودعائم الخلود، انتهى بالقوم إلى أن صارت محاسن قصرهم محجوبة بطبقات الغبار، وفنون بدائعه مستورة ببيوت العناكب...

وكان قد قام إلى جانب هذا القصر العظيم القديم -في تلك الغفلة من أهله- منازلٌ حديثة الطراز، ذات مرافقٍ للخير وأخرى للشر، جمعت جميع مظاهر الزخرف ووسائل الاغراء؛ لكنَّ شوايحها الغرارة ارتفعت على دعامتين من حرمان لا حدَّ له، تستعبده شهواتٌ لا حدَّ لها؛ لذلك كانت حياة ساكني تلك المنازل الفتانة بعيدة كل البعد على طمأنينة السعادة.

فلما صار القصر القديم إلى هؤلاء الإخوة الثلاثة اختلف رأيهم فيه باختلاف البيئات التي اتصلوا بها، والجماعات التي عاشروها، والميول التي نشأوا عليها، والمعارف التي تغذت مداركهم بألبانها.

كان أحدُ الأخوة قد أَلِفَ الانزواء في قصر آبائه لا يبرحه قط، ولا يقع نظره على ما حدث في جواره؛ فهو -لذلك- يأبى أن يجاري جيرانه في شيء مما عندهم من مستحدثات نافعة، كإبائِهِ ما انغمسوا في حماته من المستحدثات الضارة، بل إنَّ نُشوئه في دور الفقر والانحطاط من أدوار ذلك القصر، جعله يستأنس بآثار ذلك الدور، ويستوحش من جميع الأساليب والوسائل التي بلغ بها أجداده قمة مجدهم، وأوج سيادتهم. فهو لا يرى من الصواب أن تمتدَّ يدٌ إلى هذا القصر بالإصلاح: سواء كان هذا الإصلاح من طريق الرجوع إلى وسائل الأجداد أيام عظمتهم واعتلائهم، أو باقتباس ما عند الجيران من أساليب القوة ودواعي التفوق.

والأخ الثاني زَهْدَ بقصر آبائه -لسبب من الأسباب-، فالتحق بمنزل الجيران، وانغمس إلى أذنيه بما فيها من وسائل الإغراء المتنوعة. وما زال سمعه يأنس بما يسمعه من ذم قصر آبائه، ووصف المنازل التي قامت إلى جنبه بجميع المحامد، حتى أخذ المِعْوَل بيده، وشرع يضرب أسوار القصر بفأسه مرة وبرأسه مرة أخرى، ثم يرجع عنها في المساء بلا طائل؛ لأن الفأس والرأس لم يُخلقا لقويض دعائم الخلود...

بين هذين الأخوين أخ ثالث من دأبه التنقل بين محاسن قصر أجداده، واستعراض ما يتجسم فيه أمام ناظره من ذكريات العزّ، ومناقب المجد. فإذا استعصى عليه تحليل أسباب الانحطاط في القصر القديم، قام يطوف بين منازل الجيران باحثاً عن أسباب الاعتلاء في البناء الجديد. وما زال هذا دأبه: لا يحجب الغبارُ ونسيج العناكب محاسن بيت آبائه عن عينيه، ولا تحوّل عداوة جيرانه له دون أن يرى بواعث نشأتهم، وأسباب قيام دولتهم؛ إلى أن تكونت عنده عقيدة راسخة كرسوخ أبراج ذلك القصر، بأن من الواجب أن تُصان دعائمه من عبث العابثين بها، وأن يكفّ مِعْوَل أخيه عن محاولة التهديم الذي لا نتيجة له غير إضاعة ذلك المجهود كالهباء ثم أن يحمل أخاه الآخر بكل وسائل الإقناع الحكيمة على السعي لتجديد شباب ذلك القصر، وإزالة ما يحجب محاسنه ويشوّه جمال بدائعه، وأن يعملوا جميعاً -كأن أيديهم كلها يدٌ واحدة- على مجاراة أولئك الجيران في أحدث أساليب العظمة والقوة والتقدم، مع الاحتفاظ بتقاليد القصر النافعة، وشعائره التي تبقى له معها شخصيته الممتازة في مِضمار الحياة.

ذلك مَثَلنا ومَثَلُ دُعاة التجرد: أنهم يريدون إزالة ذلك البناء الشامخ من

أساسه إذا استطاعوا... وإقناعَ الصديق والعدوَّ بأن محاسنَه سيئات ومَحامدَه دنِيات... وأنَّ جميعَ ما فيه من ذكريات العظمة والفضائل لم يكن شيء منه...

وهذا ما نسميه نحن «تجرُّدًا»، ونفتخر بمقاومة الجانحين له، وبيان ما يسيئون به إلى الحق بذاته، وإلى العلم النزيه، وإلى الأجداد في قبورهم، وإلى الجامعة القومية بكل مفاخرها.

وإذا دعوناهم إلى التعاون على نشر جميع ضروب المعارف النافعة، بشرط أن لا يسيئوا إلى الأمة في عقائدها وشعائرها بما لا طائل تحته، ولا دخلَ له في تقدُّم الأمة نحو الغاية المنشودة من القوة والثروة والتفوق في الصناعة وفنون العمران؛ قالوا: إنكم محافظون...!

وإذا دعوناهم إلى التعاضد في تسهيل أساليب تعليم هذه اللغة وتوسيع دائرة بيانها، وإحسان التأليف في مادّتها وفنونها وآدابها، بشرط أن لا نخرج على قواعدها الثابتة وأساليبها الجَزلة البديعة التي قام عليها تأليف ملايين الكتب، واتبعث في ثمرات قرائح عشرات الألوف من الشعراء، واحترمها الناطقون بالضاد في جميع أنحاء الوطن العربي الأكبر، وتكون اللغة بالشذوذ عنها لغة أخرى؛ قالوا: إنكم محافظون...!

وإذا دعوناهم إلى أن نكون جميعًا متخلقين بخلق الأمانة والإنصاف والوفاء فيما نستنبطه من مادة التاريخ العربي والإسلامي التي تركها لنا السلف، فلا نَعْمى عما هنالك من فضائل تبهر الأنظار بأشعَّتْها، ولا نطير فرحًا بالهنة الصغيرة التي زلت بها قدُمُ فرد من أفراد هذه الأمة فنصم الأمة كلها بها؛ قالوا لنا: إنكم محافظون...!

وإذا قلنا لهم: جنبونا طريق الذلّ والخنوع الذي تريدون من الأمة أن تسلكه: فتدوبّ في هؤلاء الإفرنج، وتفنّي شخصيتها في شخصيتهم، ووجودها في وجودهم، فتزداد بذلك ضعفًا على ضعفها، وذلاً على ذلها؛ قالوا لنا: إنكم محافظون...!

نعم، إننا محافظون. ولكن على كيانتنا، وعلى حياتنا المعنوية، وعلى شخصيتنا القومية، وعلى لغتنا التي أعجب جميع المستشرقين بعجائب أسرارها وبدائع جمالها، وعلى ديننا الذي كنا أقوياء وأعزّة يوم كنا متمسكين به وصرنا ضعفاء وأذلة يوم ضللنا عن هدايته، ومنذ تمسكنا بالخرافات التي سَطَعَ نوره لتبديد ظلماتها الحالكة.

أما التجدّد...

التجدّد الذي نبقى معه مسلمين حقًا...

التجدّد الذي ينمي في نفوسنا فضيلة الوفاء لأجدادنا...

التجدّد الذي يزيدنا قوّة وثروة ومَنعة، ويرفع عنا ذلّة الخنوع لنير الأجانب ونزعاتهم ونزغاتهم...

فذلك التجدّد نحن دعائه، والمرحبون به، والحاضون عليه. فإذا علمنا بإقدام رجل من بني قومنا على فتح مصنع ميكانيكي يغنينا عن شيء من صناعات الأجانب، وإذا علمنا بأن شركة من بني قومنا عوّلت على إنشاء باخرة تغني نفراً من قومنا عن السفر تحت راية الأجانب، وإذا علمنا بأن حكومة من حكومات وطننا الأكبر أخذت في تنظيم جنديتها وإحداث تحسين في أسلحتها، وتوسيع دائرة معارف بلادها؛ كان ذلك كله روحاً لنا وريحاناً، واستقبلناه بالبشر والترحيب والتشجيع. أما انصراف مدارك إخواننا الآخرين ومَوَاهِبهم إلى تشويه

محاسننا الإسلامية والقومية؛ حتى تبلغ بهم آدابهم، وفهمهم المعكوس لروح التاريخ الإسلامي، إلى زعم أن النبي ﷺ كان يجاهد لأجل الدنيا، وأن أبا بكر رضي الله عنه كان يقاتل لأجل الملك؛ ومحاولتهم صبغ تاريخنا -بوجه خاص- بلون أسود قاتم خلافاً للحق وافتئاتاً على الواقع؛ فذلك شيء ليس من التجدد في شيء، وما بهذا تسير الأمم في طريق القوة والحياة.

إذا كان الفوز كل الفوز عندهم في أن يُزلزلوا عقيدة الشاب من شبابتنا بدينه وقوميته، ويُبعدوه عنهما إلى جهة هؤلاء الإفرنج ولو بالظواهر التي لا يتوقف عليها نهوض ولا تقدم؛ ثم يريدون منا أن نعدّ ذلك إصلاحاً وتجديداً فذلك مما لا يسلم به رجل في قلبه ذرة من إيمان، ولا يستطيع السكوت عليه فتى تجول في عروقه قطرة من دم القومية الطاهر.

أيها الإخوان، إن كنتم تريدون التجدد حقاً، وإن كنتم تعرفون قيمة الوقت وتضنون به أن يذهب في السفاسف، وإن كنتم ترون السرعة التي يندفع بها أعداؤنا في طريق القوة؛ فدعونا من القشور التي توسع الهوة بينكم وبين جمهور الأمة، وألقموا من لا يدرك هذه الحقائق من إخوانكم حجراً يمنعهم من الهذيان بما يؤذي الناس في عواطفهم ومقدساتهم. ضحّوهم ولا تترددوا، أو أسكتوهم إن كان ذلك في استطاعتكم، وتعالوا نعمل معاً في سبيل التجديد، فإن الطريق واسع، وكل من سار على الدرب وصل...

محبت الدين الخطيب



وحدة اللغة في الوطن السامي «في العصور القديمة»

استنتج الأستاذ سايس من قراءة الكتابات الآثورية التي وجدت سنة ١٨٨٩م في تل العمارنة بين المنيا وأسيوط أن اللغة الآثورية كانت لغة العلماء والسياسيين في مصر والشام والعراق قبل خروج بني إسرائيل من مصر.



حكمة

قال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي :

لقد عجبْتُ منه الليالي لأنه صبورٌ على عَضْلَاءِ تلكِ البلايلِ
إذا نال لم يفرَحْ، وليس لنكبة ألمَّتْ به بالجاشعِ المتضائلِ



المرأة العربية

نحن ننزع إلى الكمال لأن لنا نسباً عريقاً، وطريقاً عميقاً. إذا انثنى عطف الزمان فنحن مطلع فجره ومبعث فخره. أو التبت عقد العظام فنحن حماة شرعتها، وكماة حومتها. بنا استحصفت مِرَّة المجد واستشرفت ذروته. ولنا عقد لواؤه، وتائل بناؤه. فإذا ابتغينا الحياة سنية، وابتعثنا الأمل جنياً؛ فلسنا بُغاة نَصَفَة، ولا عُفَاة معدلة، وإنما هو ميراث سُلْبناه في غفوة الليل، وغلَس الظلام. فنحن ننزع عنه شَرَك العوائق ونرد دونه كيد الخطوب.

تلك صفحة من صفحات تاريخنا الذي نعز به، ونطرب له، ونستشي الرجاء منه، ولعلها أحفل الصفحات بالعظات، وأجمعها للعظام، وأهلها بنبيل الخلق، وسناء الحياة.

تلك هي حياة المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، حياة العظمة الوداعة الرائعة، والنفس الأبية النقية.

تلك هي حياة المرأة التي يحدث عنها المؤرخ المنقر الإنجليزي العظيم (كلاي Clay) -مما استشفه من أطلال بابل- أنها كانت منذ أربعة وأربعين قرنًا تجاذب الرجل سياسة الأمة، وولاية الأمر، وجدَّ العمل، وشئون الحياة.

تلك هي المرأة التي وثب بها الإسلام ووثبت به. وكان أثرها في تكوين رجاله وتصريف حوادثه أشبه ما يكون بأثر الغدير الهادي الفياض، في زهر الرياض.

يريد نساؤنا أن ينهضن، فهن يبتغين الوسائل وتلمسن الخطى. وما لهن لا ينهضن؟ ومن ذا يذودهن عما شرع الله لهن؟ وهل هن إلا منابت حماتنا، وأساءه جراحنا، وبناء دولتنا، ومنار دعوتنا، ومثار قوتنا؟ وهل نحن وإياهن إلا كجناحي النسر الصاعد: إذا هيض أحدهما خفض الآخر، فيصبح لا يجد في الأرض مقعدًا، ولا في السماء مصعدًا؟

لينهض النساء ما شئن أن ينهضن، ففي نهوضهن نهوضنا وبلوغ غايتنا. ولكن ليحذر الآخذون بيد المرأة والداعون إلى نهوضها التواء القصد، والتباس الطريق، فينالها الزلل، وتلج بها العثرات، حتى يقول قوم: لقد كان ما كانت فيه خيرًا وأبقى. ألا وإن من التواء القصد، وضلال الطريق؛ أن ندع نساءنا يتخذن من المرأة الأوروبية مثالاً يحتذينه، ويمعن في التشبه به.

نحن قوم تحتكم بنا أمزجتنا، وأسلوب حياتنا، وأجواء بلادنا، وتكوين طبائعنا، ونظم شرائعنا. فمن الظلم أن نقول لنسائنا: خضن ثيج البحر،

واقترحن شعاف الجبل، وكن نساء أورييات، ترين مايرين، وتدعن ما يدعن.
ذلك تكليف لا قدرة عليه ولا خير فيه.

نعوذ بالله أن ننكر على المرأة الأوربية وفر فضلها، وسماحة عقلها. فذلك ما
لا نجد السبيل إلى جحده والإنكار له. ولكننا ننكر عليها أعراضاً قد لا تبتس
بها، ولا يابه لها من حولها، على أنها مما يحز المفاصل، ويستثير الغوائل،
وهي إذا نُقلت إلينا كانت أشد وأفتك، ونخشى إذا حملنا نساءنا على الأسوة
بنسائهم أن تكون تلك الأعراض هي الأولى والآخرة.

لا أكذب المرأة الأوربية فليست بالمثل الأعلى للمرأة العظيمة. فإن قيل:
هي كاتبة حاسبة، وصانعة بارعة، قلنا: لم تزد أن دعمت حياة المادة وزادتها
نوطاً جديداً، ولو كان لها أثر نافذ في الحياة لنسخت عبادة القوة ودال سلطان
الأثرة، ولأبصرت القوم يبادرون إلى عون الضعيف وغوث اللهيف، ولما
استمعت أنة المظلوم تكاد تنفطر لها السموات، وتنشق الأرض، وتخر الجبال
هذا.

أجل بصرك بين أعطاف هذا العالم وأطرافه، ثم انظر هل ترى إلا رجلاً
مغشياً بالغل أو محنياً على الضغينة؟ وهل تجد إلا امرأة مطوية على كبد حرى أو
مهجة حسرى؟ وهل تُبصر إلا وائراً وموتوراً، وقاهراً ومقهوراً؟ وهل تحس بين
الألفاء والقرناء بإخاء صاف وود غير مدخول؟ وهل تعلم في القوم إلا الخلق
المضطرب والخلّة المموهة، ويداً تمسح شعث الكلب وتدمي قلوب الشعوب،
وفيما ينهل من الدم ويشكو الأوام! فأين يد المرأة وأين أثرها؟ وهل لغير تهذيب
النفوس وتطهير القلوب خلقت المرأة؟

لكل ذلك أناشد نساءنا أن يسدن الحجب بينهن وبين نساء أوربا، ففي
أمهاتنا الأوليات فضل وغناء. أولئك اللواتي نستن عن طيب أعراقهن وكرم

أخلاقهن، وتلك دماؤهن تترقرق بين جوانحنا وأعطاف قلوبنا، فأما ما نحن فيه من مظاهر النوء بالواجب والنكول عن الجد، فإنما هو صدى عارض وغشاء مستحدث، ألقاه علينا تطاول الزمن وتتابع الحادثات، وما أصابنا في سبيل ذلك من فداحة الظلم وذل الآسار.

ففي سبيل الكمال المطلق، والحياة الخالدة، أسوق حديث المرأة العربية، لا إلى النساء فحسب، بل إليهن وإلى الرجال معهن، فإن صلاح كل من الفريقين لا يقوم إلا على صلاح صاحبه، والتجاوز له عن حقه الذي شرع له. وسيعلم الناس مبلغ تلك المرأة في عهد جاهليتها من قوة النفس وحرمة الرأي وعزة الجانب ونبل الخليفة، وكيف انتهى بها الإسلام إلى أبعد مدى من الحياة، ونهج لها أوضح سنة من الفضائل، وألبسها أحسن لبوس من جلال الكمال، وجمال الخلال.

عبد الله عفيفي / مرب سمو الأمير فاروق



المد يحمل البريد

ليس لجزيرة «سنت كيلدا» بشمال أسكوتلندا إنكلترا مواصلات للبريد، إنما الذي يحمل بريدها هو مد الأقيانوس. إذ ليس في هذه البقعة المنعزلة مكتب للبريد، ولا يُستطاع شراء طوابع للبريد بها. ولذلك تُوضع الخطابات المرسله إلى العالم الخارجي في أوعية من الصفيح، ومعها النقود المقابلة لما يلزم لها من طوابع البريد، ثم تلقى هذه الأوعية في الأقيانوس، مرتبطة بعوامات من جلد الماشية، مقترنة بقطع من الخشب طافية، مكتوب عليها «بريد سنت كيلدا. الرجاء فتحه».

وتحمل تيارات الأقيانوس معظم الرسائل إلى جزائر شيتلاند، حيث تجري عليها الإجراءات البريدية، وتحملها بواخر البريد إلى بر إنكلترا الأصلي.



فتى العرب شكاة مرسله إلى العالم العربي

قَصَبْتُ شَبِيبَتِي وبذلت جهدي
إلى كم استحثَّ النفسَ عَزْمًا
نهضْتُ، فقبل أيُّ فتى! فلَمَّا
وإني -بعد مجهدة- وقومي
وحيدٌ بينهم، ولعلَّ يومًا

فلم تكنِ الحياةُ كما أريد
وكم أسمى، وغيري يستفيد؟
خبرْتُ الأمرَ أعجبنى القعود
كضاربةٍ وقد بردَ الحديد
عصبيًا فيه يفتقدُ الوحيد



لنا في الشرق أوطان، ولكن
تنازعَ أهلها فلكلِّ حزبٍ
نقيم بها على ذلِّ وفقرٍ
أكاذيبُ السياسةِ بيّناتُ
وعودُ كلّها كذبٌ وزُورُ
إذا ما الملكُ شَبَدَ على خداع
ومن لم يتخذْ مُلكًا صحيحًا
وقالوا دولة نشأت حديثًا
كذبتم ما لنا في الأمر شيءُ

نضيقُ بنا كما ضاقت لحود
جَمِي، ولكل مملكة عميد
ونظمًا لا يَسُوعُ لنا الورود
تَكِيدُ بها الحكومةُ ما تَكِيدُ
فكم والإمَّ تخذعنا الوعود؟
فلا يبقى الخداع ولا المشيد
فلا تغني الممالكُ والحدود
تويدها السياسة والعهود
فقولوا إننا شعبٌ عبيد

وقالوا أمة نهضت تُداعي بحق كاد طالبه يبيد
تفرّق أهلها، ومضى بنوها، وفي أرواحهم عزّم عتيد



الا ما للمشارق في اضطراب وما بالّ النوائب تستقيد
أعادت كرهة التاريخ طوراً فدان من الألى سادوا المسود
ودالت دولة جرّت وبالأ عليه وعاقها الجهد الجهيد
تمخّضت الحروب فكان يومٌ عليه حوادثُ الآتي شُهود
وما بالّ الجزيرة لا نظام يتمُّ بها ولا رأي سديد
تضجُّ بها الحواضر والبوادي وتختلّ الحزونة والنجود



أرى الأمل الذي نحيا عليه أضاء من الصباح له عمود
خذوا بنفوسكم طُرُق المعالي فدمرُكم عصاميّ عتيد
وجرح الشرق يُضمده بنوه وهل يتلاءم الجرحُ الفصيد
نيام أغرقوا في النوم حتّى أشيع بأنهم شعبٌ بليد!



أرى الحرّية اختضبت دماءً وقد خفقت لطالبها بنود
واقسمُ أنّ عاشقها زعيمٌ بخطبتها ولو قطع الوريد
رخيص كلّ ما بذلوه فيها ولا تغلو النفوس ولا النقود
إذا جعلت لها الأرواح مهراً فإنّ لمجدها كتّبت الخلود
يسوم المجد طالبه بغالٍ ولا يطنى به الثمنُ الزهيد
إذا سهّل النزول إلى حضيضٍ يشق إذا إلى القمم الصعود

بغداد/ محمد الهاشمي

ما بين النظم والشعر

□ خطرات □

ما عرّف الخليل الشعر إذ قال: إنه الكلام الموزون المقفى. ولكنه نظر إليه من جهة بنيته وقوافيه، فعرف القلب الذي يُفرغ فيه، وذلك هو النظم. نعم إنه عرّف النظم وحده، وبقي الشعر على حدة، ولو كان الشعر كما قال، لكانت الشاعرية بين القافية والوزن لا في الديباجة والمعنى، ولكان كل من وضع قافية وأقام وزنًا شاعرًا، ولضاق بعدئذ ركب الفضاء بعداد النجوم المتّسمين بسمة الشعراء!

ولعل تعريف الخليل هو الذي حدا جماعة النظامين على النظم، فما يكاد أحدهم يقف بهذا الباب، ويلم بالخفيف والثقيل من الأسباب، حتى يغامر في النظم يحسبه شعرًا، ثم يمعن فيه ما يمعن، وكلما حاول أن يقترب منه ابتعد. ولقد تقرأ له مائة بيت في غرض واحد فلا تشم في تلك السطور عبقًا من المعاني الشعرية، ولا تلمح فيها شيئًا من جلال الشعر.

يطلع عليك أبداع أولئك بيانا بأسطار في شكاية الهوى، فإذا نفّضها على مسمعك مر به منها ألفاظ متنافرة شُد إلى أوتاد من الوزن وثاقها، ورأيت ديباجة كأنها الطلل البالي، وبصرت بالخيال يظل يساير صاحبه، فأونة تحت قدميه وأخرى إلى أحد جانبيه، لا يعني هذا النظام إذا استقام له الوزن وظفر بالقافية أن يرتفع بأسطاره عن مرتبة اللغو، ولا به أن ييدهك بمعنى بديع، أو يروعك ببيت ترتع ألفاظه في نفسك، أو تشيع معانيه فيها.

ولو كان شاعراً كما زعم لك؛ لأطلعك من قلبه على موضع ناره، وأسمعك منه رنين أوتاره.

ويجيئك آخر بكلام موزون مقفى في الحماسة، فإذا جلس إليك طفق يرميك منه بما يغري بك الكرى، ثم نقلك على جناح من خياله إلى أحد القطبين، فافترقتما وكلاكما في مكانه قائم!

ولو كان شاعراً كما يقول، لهز من قلبك وترًا جامدًا، وابتعث من عزمك ما كان خامدًا، واقتادك بحادٍ من شاعريته إلى السبيل التي يريد.

ويلقاك ثالث الجماعة بثالثة الأثافي في وصف الحرب وهولها، فإذا أعزته أذنك، سمعت براعة مطلعه عتاب حبيب أو شكوى رقيب، فإذا جاوز المطلع وانحدر إلى ما يليه، لم يزد على أن يريك صديقين يتعانقان، لا جيشين يقتلان! ولو كان شاعراً، لدرج بنفسك بين مسلّ السيوف، ومسيل الحتوف، وخاض بها من شعره بحرًا من الدم، ثم مشى بها على جسر من الأشلاء.

لقد حد النظامون حتى هزل الشعر، ولو أن بعض الذين سمعنا نظمهم وُفقوا إلى الصمت حينًا، وقُيِّض لبعض الذين صمتوا اليوم ما يبعثهم على القول، لصغينا من شعرهم إلى مثل تغريد البلابل في الخمائل النضرات.

إن بين النظم والشعر أن ذاك وزن وتفعيل، وسبب خفيف وآخر ثقیل، وهذا تصوير لما تهش له السريرة من حكمة، ويخطر على القلب من أمنية، ويسكن إليه العقل من حقيقة، ويتعلق به الخاطر من خيال، ويأخذ بعنان النفس من كمال.

ومن أراد أن يتميز ما يمر بسمعه من القول ليعرف أشعر هو أم نظم، فإن شعر أن في كل بيت من معانيه محيًّا جميلًا يُشرق من نافذته، وحسنًا يترقرق على قافيته، فلم يتمالك أن يهش له ويطرب، وينقاد إلى الشاعر بزمام، فذلك هو الشعر.

وإن مر به القول، فلم يُحدث في نفسه من الأثر إلا مثل ما يُحدثه مر الطائر في الهواء، ولم يجد فيه من روعة الشاعرية ما يشغف به القلب حناناً، أو يصيب من النفس مكاناً، فذلك هو النظم.

غفرانك اللهم، أينطق الأعرابي وهو على غرارته الأولى بالبيت من الشعر، فيؤنس به غزلاً نافرًا، ويعطف به حبيبًا هاجرًا، ويريك من السحر المبين عيونًا، ويطبع من نظراتها سيفًا مسنونًا، ويستثيب به نفس المذنب، فتضل المائم ساحة تقاها، ويثوب بها إلى هداها، ويسلي به الغريب في غربته، ويخرج المليك من وقار الملك وهيبته، ويناجي به عافي الربوع فتجيبه آثارها، وتكلمه ملاعبها وأحجارها، ويخلق به من الغصن قداً، ويصور به من الورد خداً، وكأن في لسانه قوة من السماء، تريك الأشياء كما يشاء، ويحاول العصري الناشيء في حجر الحضارة، المتقلب في صنوف النعيم أن يقول فيكبو به جواده في أول الميدان، فإذا أمن العثار قصر، فلم يبلغ مبلغ ذلك الأعرابي في فنون الشعر، ولم يشق له غباراً؟!

ألا ليعلم أولئك الذين زعموا الشعر قافية ووزناً، وليس لهم منه إلا الضرب والتقطيع، أنهم في وادٍ والشعر في وادٍ آخر، فإذا كان بهم أن يحسنوا إلى أنفسهم وإلى الناس فليتنزلوا حيث أنزلتهم الفطرة، ولا يعالجوا إلا ما وجدوا من أنفسهم عليه القدرة، وليعفوا آذاننا من استماع ما يسمونه شعراً وما هو من الشعر في شيء، ثم ليُخلوا السبيل لأولئك الذين إذا شعروا دعوا الشعر فأجابهم عن كتب، وأعادوا إلى دولة الأدب جلالها الذي كان لها على عهد العرب.

محمد صادق عنبر



كلمات حكيمة

* قال علي بن أبي طالب لكَمِيل: يا كَمِيل، العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. والمال تُنقصه النفقة. والعلم يزكو بالإنفاق.

* لما حضرت عبد الملك الوفاة قال -وهو يعني الدنيا-: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل؛ وإن كنا منك لفي غرور.

* أوصى رجل بنيّه فقال: يا بَنَيَّ إياكم ومخالطة السفهاء، فإن مجالستهم داء وإنه مَنْ يحلم على السفیه يُسرّ بحلمه، ومن يُجبه يندم. ومن لا يَقْرُ بقليل ما يأتي به السفیه يَقْرُ بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليُوطِن نفسه قبل ذلك على الأذى؛ وليوقن بالثواب من الله ﷻ، إنه من يوقن بالثواب من الله ﷻ لا يجد مَسَّ الأذى.



نوح العندليب

نقلًا عن «Arabisebe Dichter der Gegenwart»

تأليف الأستاذ Georg Kampffmeyer

دع العَندَلِيبَ على غصنِهِ	بردّدْ على الغصن أحزانه
فلم أر في لحنه كلفةً	تهجّجْ -إن ناح- ألحانه
لئن دَوّن الناسُ أشعارَهُم	لقد جعل الروضَ ديوانه

وإن قيّد الوزنُ أفكارهم لقد أطلق الشدوُ أوزانه
 كتمت الشجونَ عن العنديل فراح يَبْثُك أشجانه
 وأخفيت عنه دموع الجفون وقد بلّل الدمعُ أجفانه
 فهل شطّ عن وكره جاره فأصبح يندب جيرانه
 أم البارُ أودى بخلّانه فودّع بالنوح خلّانه
 أم الريحُ هبّت بأفنانه فزلزلت الريحُ أفنانه
 فبالك من مُمعنٍ في الحنين ألم يشهد الناس إمعانه
 أتبكي العنادلُ أوطانها ولا يندب المرءُ أوطانه

دمشق / شفيق جبري



الكليديون والمقاييس

روى المقتطف (١٤ : ٢٧٩) أن الكليديين - سكان العراق القدماء^(١) - سبقوا
 الناس أجمع إلى استعمال الحساب العشري في المقاييس والموازين، كما
 استعملوا الحساب الإثني عشري في قسمة السنين والأيام، والستيني في قسمة
 الدائرة والساعة الدقيقة. واشتقوا المكيال من مكعب الذراع، كما اشتق
 الفرنسيون الكيلو غرام من مكعب الدسي. ومن الغريب أن المتر الفرنسي
 أقصر من مضاعف الذراع الكليدية السلطانية بنحو عقدتين فقط، والكيلو غرام
 أثقل من المنة الكليدي السلطاني بنحو قمحة أو قمحتين لا غير.

(١) انظر بيان أصل الكليديين في الزهراء ص ٣٢٣ من السنة الثانية، ورسالة (اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب) ص ٧.

ويجب أن تبقى كذلك

قال الشاعر الهندي رابندرانات تاغور للصحفي الإيطالي أولد سوراني :

أعتقد دائماً أن المدينتين -الشرقية والغربية- تستطيعان أن تبقىا متميزتين الواحدة عن الأخرى، ويجب أن تبقىا كذلك. وبالوقت نفسه يجب أن تكمل كلُّ واحدة منهما ما في الأخرى من نقص، وأن تتلاءم معها..

إذا كانت مصيبة الحرب كافيةً لثُغْرِبٍ للغرب عن عواقب القلق الداخلي والخارجي الذي لا يدوم إلى الأبد، فسيأتي يوم تدركون فيه أن هذا الميل للمنافع الخارجية، وتكديسها، لا فائدة منه -فضلاً عن كونه خطراً- وحينئذ تشعرون بحاجتكم إلى السلام الحقيقي، وإلى تنظيم ما في بلادكم وبيوتكم ونفوسكم من اضطراب....

حينئذ تشعرون أن كثيراً مما كنتم تحسبونه صالحاً هو في الحقيقة غير صالح، بل هو قذارةُ الأجيال المتراكمة؛ فتنهضون لتطهيرها، وتستريحون مما يضايقكم ويعرقل مساعيكم اليوم. ومتى بلغتكم تلك الدرجة انتقلتم إلى أفق من آفاق نفوسكم -في داخلها وفي خارجها- هو أرض الميعاد الحقيقية؛ فتبنون عليها، وتزرعون فيها بذور المواسم السعيدة المقبلة، وتبلغون مدينةً أرفع شأنًا وحياءً أسعد حالاً لأنفسكم ولمن تجاورونه...

إن أمريكا أبعد جدًّا من أن تكون مصدر المعونة في العمل الضروري للتطهير والتجديد، لأنها فريسة المساوي التي تهيج أوروبا. وهي منهكة بملاذ هذا العالم، ويمكن أن يصدق على غناها قول السيد المسيح ﷺ: لأنَّ يَدْخُلَ الجملُ من سَمِّ الخياط أهونُ من أن يَدْخُلَ غنيٌّ مَلَكُوتَ السماء... .

«إن أمريكا ليست حرّة. ونحن في الهند - وإن نكن تحت سيطرة أجنبية - أكثر حرّة من الأمريكيين، لأننا نتمتع بحرية الرّوح...».



السياسة

يقول غاندي الزعيم الهندي^(١): «ليست السياسة ذلك اللّهُو كما يفهمها الناس، وإنما هي توسيع دائرة الفضائل المنزلية حتى تشمل الوطن، وهي - في الوقت نفسه - وسيلة لتجديد الروح في الوطنيين».



بني يعرب!

أَجْنْتُمْ رَكُودًا: فَأَيْنَ الْهَمَمُ	وَأَيْنَ الْحِفَاطُ وَأَيْنَ الشَّمَمُ
وَأَيْنَ الْإِبَاهُ إِبَاهُ الْجُدُودِ	وَأَيْنَ الْوَفَاءُ وَأَيْنَ الشَّيْمُ
السَّمُ إِذَا الْخَيْلُ ضَاقَتْ بِهَا	صَدُورُ الْقِيَافِي لَدَى الْمَزْدَحَمِ
لِيُوثَ شَرَى صَهَوَاتِ الْجِيَادِ	مَرَابِضُهَا، وَالْعَوَالِي أَجَمُ
نَهَوْضًا إِلَى الْعَزِّ حَيْثُ الْقَنَا	تَمِيسُ وَبَيْضُ الظَّبَا تَبْتَسِمُ
نَهَوْضًا إِلَى الْعَزِّ فِي مَقْنَبِ	يَرَفُّ عَلَى حَافَتَيْهِ الْعَلَمُ
فَلَا صَبِرَ أَوْ تَنْجَلِي، وَالرُّؤُوسُ	كَأَنَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهَا أَكْمُ
وَلَا صَبِرَ أَوْ تَنْجَلِي، وَالدَّمَاءُ	تَسِيلُ عَلَى الْأَرْضِ سِيلَ الْعَرَمِ

(١) الهندوسي المتعصب. انظر للتعرف على حقيقته: «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام»؛ للأستاذ أنور الجندي رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٩٧ - ٣٠٤). (س).

وحتى تدين رقابُ العدى لأسيافنا أو تطيرَ القممُ
 فهل نختشي عُددًا في العدى وشملُ الوفاق بنا ملتئم
 يفوت العزائم خوضُ الغمار إلى العز ما لم تثرها الهممُ
 وينبو حسامُك في غمده فإن نزع الغمد عنه حسمُ
 قفوا تحت ظلِّ القنا موقفًا جيوشَ المنايا به تزدحمُ
 على ضُمِّرٍ نتخطى الرؤوس بغير الكواكب لا تعتصمُ
 وخوضوا إلى العز لجُج الردى فإما الحياةُ وإما العدمُ

المحرم ١٣٤٥ / الحوماني



الحج

قرأنا في مجلة النهضة النسائية (٤ : ٢٣٠) مقالة بتوقيع الآنسة وداد صادق عنبر، تنم على القلم البليغ الذي ينشئ به والدها الفاضل فصوله الممتعة، ورسائله النافعة.

وهذه هي المقالة :

سيدتي الرئيسة الفاضلة، حال بيني وبين مراسمة المجلة في الشهر الفارط مرض عاقني كرهًا أن أكتب وأن أقرأ عامة ذلك الشهر، فما أَلَمْتُ فيه يداي بقلم ولا صافحت عيناى سوادًا في يياض، فكنت في تلك الأثناء أشبه حرّة بسجينة؛ لأن المرض تعطيل للحرية فهو سجن لها، وإن كان مفتاح هذا السجن في يد القدر لا في يد القضاء.

ولقد بَصُرْتُ وأنا مغمضة العينين بما لم أكن أبصُر به من قبل، بَصُرْتُ من

خلل الظلمة، بنور القلب، إلى أي مدى تبلغ الرحمة بقلب الأبوين؛ فقد كان
بودهما أن يمنحاني نور أعينهما لو ملكا أن يمنحا، وملكْتُ أن أقبل.

وتبينت أن النظر هو وحده الجارحة التي يحس بها الإنسان في الدنيا بما فيها
من رحمة وقسوة وحب وبغض وحسن وقبح.. إلى آخر فهرس المتناقضات!
وكان يُصبرني على هذه المحنة أنها ذاهبة أردت أو لم أرد، فكل شيء حتى
المحنة التي تحزّ في النفس حزًا، لو طلب الإنسان دوامها لما دامت له؛ لأن كل
شيء إلى مدى وانتهاء. ولو اطرث حالة بعينها واتسقت لبعض الناس ل بقي
بعضهم أشقياء مدى الحياة، وبعضهم سعداء حتى الموت، ومعاذ العدل الإلهي
أن يكون ذلك.

وأذكر أني -ساعة صحت عياني من الرمد وفتحتهما- أحسست كأني قفلت
من سفرة بعيدة الشقة؛ كثيرة المشقة. بل أحسست كأني وجدت نفسي، بعد أن
كنت فقدتها قرابة شهر؛ ففرحت واستخفني الفرح، فعرفت لماذا تطرب أمة ما
حين ترتفع عنها الوصاية أو الحجر أو القهر في أي صورة كان، وتُصبح حاكمة
نفسها بنفسها؟ إنها تطرب ويستخفها الطرب، فتهتف، لأنها تجد نفسها بعد
فقدانها. وإذا كان الاستعباد فقدانًا، فإن الحرية لا تعدو أن تكون وجدانًا.

وقد حمدت الله أن اقترن شفائي وعودة السيدة الرئيسة الفاضلة من حجّتها
المبرورة، ولشد ما تمنيت لو كنت معها أسرح النظر في تلك البقاع التي فجّ منها
نور النبوة كفجّة الشمس أول شروقها، وكانت مغدًى ومراحًا للوحي، وكانت
ميدانًا لصولة الحق في ذات محمد ﷺ، على الباطل في ذوات الأصنام التي كان
العرب ينحتونها حجارة وينصبونها حجارة ويعبدونها حجارة، تلك البقاع التي
خضبت بالدم الزكي: دم حماة الحقيقة من السلف الصالحين الذين فنوا ليقبوا؛
وإن فناء في الحق لهو - كما قال محمد عبده - عين البقاء.

أجل، لشدّ ما تمنيت لو أجلتُ عيني في تلك البقاع، فإن مرآها يهزّ النفس هزّاً بما يبعث فيها من الذكرى والحنين والاعتبار، بل إن مرآها ضربت من ضروب التربية السامية؛ لأنه ينشئ فيما بين جنبي الراي أنبل فخر وأشرفه، إذ يذكر أن العرب الذين خاطوا -بأبر من الرماح وخيوط من الأعنة- ثوب هذا المجد الذي يبلى هذا الدهر وهو لا يبلى، ما وقفوا إلى ذلك إلا بأخلاقهم، تلك الأخلاق التي غزوا بها ما لم تغزُ سيوف الفاتحين منذ أشرع أول رمح في الأرض إلى أن يسقط آخر منطاد من حرم السماء. ويذكر أن على تلك الرمال - التي تلهب في الهاجرة - قامت للحنيفية السمحة دولة أطلّت في مدى ثمانين عامًا ما لم تظَلْ أطول الدول عمرًا في التاريخين القديم والجديد في ثمانية قرون، فيوقن أنه لا صلاح لعاقبة من هذه الأمة إلا بما صلحت به أوليتها.

هذا إلى أن الحجّ ركن من أركان الدين، من حكمته أن يرقّق القلوب ويصقلها ويصلحها لتلقى الفيض الإلهي. فإنه متى صلح القلب صلح الإنسان، لأن الإنسان تفصيلٌ أجمل في حبة ودم منهما يكون القلب.



ومن حكمه أنه علاج لطيف لمزاج الأرستقراطية لأنه جَمَعَ للملوك والسوقة في صعيد واحد، وإلزام لهم أن يكونوا طرازًا واحدًا، وتذكير للناس جميعًا أن من يحملون التيجان على رؤوسهم، ومن يحملون السلال عليها، سيستون تحت الأرض استواءهم على ظهرها، حينئذ وحينئذ تخف سورة الأرستقراطية التي كانت أمس، كما هي اليوم، وكما تبقى في الغد، عوجًا لا استقامة لهذا النظام إلا به.



ومن حكمه أن يتعرف المسلمون بعضهم لبعض، ويتآلفوا ويتبادلوا الرأي فيما

يصلح من أمر دنياهم، وهل كان الحج إلا مؤتمراً عاماً وإن غفل المسلمون عن ذلك أحقاباً طوالاً؟

وإذا كانت هذه الفريضة قد فاتتني في هذه السنة، فإني آمل ألا أفوتها في تاليتها، وهذا الأمل هو الذي يفتأ حدة حزني، وأكبر ظني أن الأمل تسلية إلهية للمرء تُصبره على ما يكره قليلاً، ليستمتع بما يحب طويلاً.

وأحسب أن الحياة لا أمل معها صورة حية للموت، فإنك لا ترى الآيس ولا تسمعه إلا حسبت أنك ترى محتضراً وتسمع حشجة...

بل أذهب إلى أبعد من هذا، فأزعم أن اليأس فن من الموت، كما أن الأمل هو أئمن عنصر في مادة الحياة أو هو الأكسير الذي يُدثر على الحياة فيُحيل معدنها ذهباً نضاراً.

وما رأيت قط فيما يتواصفه المبتلون من صنوف البلاء بلاء أوجع للنفس وأفجع لها وأذهب بها من بلاء اليأس، إذ لا تكون الدنيا في نظر الآيس إلا قبراً مترامياً لا تكون الحياة معه إلا مراناً على الموت، وما أحرى الآيس أن تُسقطه مصلحة الإحصاء من عداد الأحياء!

فالإنسان بخير ما أُمِّل، لأن الأمل ينبه فيه جميع قواه، ويبعثها فيما خلقت له فتنبعث آثارها جليلة، والجماعة بخير ما أُمِّلَتْ؛ لأن الأمل يظهر خصائصها، ويشحذ ملكاتها، ويقوي شخصيتها، فتكون وهي جزء من أمة كأنها قائمة برأسها، والأمة بخير ما أُمِّلَتْ لأن الأمل يطمح بها إلى العلاء، ويُصبرها على المكارة التي تحف بكل جنة في الدنيا، ويغريها بكل عظمة، حتى لا ترى في المصور الجغرافي العام إلا البقعة التي تميزها بلونها.



النبي محمد ﷺ

هَدَمْتُ أَوْهَامَ الْقَدِيمِ مُحَرَّرًا أَيْقَالَ دَيْنُكَ مَلَوْهُ الْأَوْهَامُ؟
وَشَرَعْتُ لِلْعَقْلِ الْحَكِيمِ سِيَّاسَةً ضَمَنْتُ بَقَاءَ جَلَالِهَا الْإِيَّامُ
بُنَيْتُ عَلَى النِّفْعِ الْأَتَمِّ وَكُلَّ مَا لِلْعِلْمِ، فَالْعِلْمُ الصَّحِيحُ قِيَّامُ
عَقْلٌ كَعَقْلِكَ لَنْ يُبَيِّحَ جِهَالَهُ أَبَدًا، فَكَمْ سَطَعَتْ لَهُ أَحْكَامُ
الشَّمْسُ بَعْضُ شَعَاعِهِ وَرَوَائِهِ وَلَهُ عَلَى سُرُرِ الضِّيَاءِ دَوَامُ
تَمْضِي الْقُرُونُ وَلَنْ يَزُولَ حَدِيثُهُ فَحَدَّثَتْهُ الْإِشْعَاعُ لَا الْإِظْلَامُ
تَفْسِيرُهُ شَرْحُ الَّذِي يَقْضِي بِهِ الْعِلْمُ وَالْإِبْدَاعُ وَالْإِقْدَامُ
يَا هَادِمَ الْأَصْنَامِ دَيْنُكَ قَدْرُهُ أَنْ لَا تَمُتَ لَوْحِيهِ الْأَصْنَامُ
بَيْنَ الَّذِينَ تَعْصِبُوا وَتَقْهَقُرُوا وَحِجَاكَ يَا عَلَمَ الشُّعُوبِ خَصَامُ
هُمْ يَحْسِبُونَ الدَّهْرَ لِبَسٍ بِسَائِرِ وَدَلِيلُ شَرْعِكَ لِلزَّمَانِ إِمَامُ
آيَاتُهُ بَنَتْ الْفَخَارَ وَلَمْ تَزَلْ تَسْعُ الَّذِي تَرْضَى بِهِ الْأَفْهَامُ
مَنْ أَنْكَرَ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ فَدِينُهُ وَهُمْ وَلَيْسَ لِمَثَلِهِ إِسْلَامُ!

أبو شادي



البحر الأحمر أمس واليوم

كان مصدرَ المجادة لأمتنا، ومنبعَ السعادة لأجدادنا حينما كانت الكلمةُ
متحدة، والغايةُ واحدة. ذلك البحر الذي أصبح اليوم وليس لنا فوقه راية، ولا
في مصيره رأي، منذ تخاذلَ العرب، وانقسموا على أنفسهم، حتى مكثوا العليجَ

من دوس أعناقهم ، ومن إرغام أنوفهم في عقر ديارهم ، فأصبحوا فيها غرباء ، بل
خولا أذلاء... اللهم إلا في البقية الباقية لنا وسط جزيرتنا العربية
المقدسة....

البحر الأحمر: الباخرة جنوى ١١ المحرم ١٣٤٥

أحمد زكي باشا



قلعة حماه

أشرقت في بُهَرَة الحي الأمين	وسمّت بين ربوع الصامتين
نطقَتْ وهي معرأة الذُرى	فهي بالصمت تَبْدُ الناطقين
ما لها من بعد ما كانت جَمَى	أصبحت مَرعى الذئاب العابثين
أنّ من يذكرُ منها مجدها	يتولّى وهو بالقلب الحزين
ويرى الأحداث في كُثبانها	ماثلاتٍ ترقب الغيبَ الكنين
ولحًا إمّا تراءت في الدُجى	صُورٌ شَتَّى تَرُوع الناظرين
قم على السفح وشاهد منظرًا	يبعثُ الوجدَ ويرضي الشامتين
جلّلته روعة ممزوجة	بأفانينَ من الداء الدفين
وعلى الوادي جلالًا قاتم	في ثناياه عميم مستبين
وتأمل رهنًّ لحدي ضيق	بعد أن كان مليكًا لا يدين ^(١)
كم تعادت خيله حاملة	أُسْدَ حَقّان إلى الحرب الزّبون

(١) هو أبو الفداء، إسماعيل بن علي، ملك حماة وصاحب التاريخ.

دارهُ أضحت خلاءً وانمَحَتْ
ليْتَ «إسماعيل» حيَّ فيرى
ساد في أرجائها صمْتٌ ولم
تلْكم الدار وهذا رسمها
بعثرت رِثْمَانَهَا كَفَّ الشقا
قلْتُ -لما أن تراءتْ ظِلْلا
«يَمْحِي المِيتَ ويَبْلِي رسمهُ
عينُها حتى كأنْ لم يكْ عينُ
وحشة الدار ونومَ القاطنينُ
يخلُ من رِكنِزِ المني هذا السكونُ
هدمَها بغتة أيدي المنونُ
فجرت بين سهول وحُزونُ
دارسًا- قولَ أمير الشاعرين:
ويقول الربع ما غال القطين»^(١)



قمتُ والشمس تردى للنوى
كلما مالت إلى الغرب بدا
وعلى الربع تجلَّى روعةٌ
فكان الريحَ لما أن هفتُ
وكان الليلَ لما أن دجا
صفرةُ الخوف وبردة البائسينُ
من نواحي الشرق آثَارُ السكونِ
في ثناياها حنينُ السالفينُ
ساعةُ المُسي شِكاةِ الواجدينُ
بادراتِ اليأس للشخص المَينِ



أيُّ قلب هائم خلفته
يسمع البلبلُ يشدو ولكم
ليته لم يتعلَّلْ بالمنى
إذ يَلْكُ النُومُ للسهد يرى
دون شط النهر أو تحت الغصونِ
شاقهُ من خشب الماء الأنينُ
ليته من أَلْفِ السلوى يكونُ
خافقًا يرجو وإن عمَّ الهدونُ

حماه / عمر يحيى



(١) قصيدة «على قبر نابليون»؛ لشوقي، الزهراء ١: ٤٤٢ .

نفس الزاهد

قيل لرجل عليه جبة صوف متخرقة وقدماه حافيتان:

- لم لا تسأل نعلًا يقيك الحفا؟

فقال: يا أخي لَرُدُّ أَمْسٍ بِالْجِبَالِ، وَحَبْسِ عَيْنِ الشَّمْسِ بِالْعُقَالِ، وَنَقْلِ مَاءِ الْبَحْرِ بِالْغُرْبَالِ، أَهْوَنُ مِنْ مَوْقِفِ السُّؤَالِ، وَارْتِجَانِي مِنَ الْخَلْقِ النَّوَالِ.
ثم خرج إلى صخرة في البلد مكتوب عليها: «كُلُّ مَنْ كَذَّبَ يَمِينَهُ، وَعَرَقَ جَبِينَهُ، فَإِنْ ضَعَفَتْ نَفْسُهُ، فَاسْأَلِ الْمَوْلَى يَعِينَهُ».



دار ابن لقمان ولويس التاسع ملك فرنسا

وصفها العلامة الكبير سعادة الأستاذ أحمد باشا تيمور في الجزء الأول من المجلد الثاني من الزهراء.. وكان الشاعر قد زارها سنة ١٣٢٧ هـ صحبة صديقه الأستاذ القانوني محمود أفندي عزمي، من كبار رجال الضبط بمصر.
وخطاب الشاعر وتقديره في مستهل القصيدة موجه إلى سعادة الأستاذ المؤرخ الشهير:

بَسَمَتْ ثُمَّ بَكَيْتِ الذَّكَرَ لِلنَّاسِ	كَمَا بَكَيْتُ قَدِيمًا مَلَأَ أَنْفَاسِي!
فَنَارَ شِعْرِي بِإِحْسَاسِي عَلَى قَلَمِي	وَمَا بِطَاقَةٍ مِثْلِي دَفَعُ إِحْسَاسِي
فَاصْفَحْ إِذَا كُنْتُ قَدْ وَفَيْتُ فِي عِظَةٍ	دَرْسَ الْحَكِيمِ، فَقُولِي وَصْفَةَ الْآسِي
لَا خَيْرَ فِي الشُّعْرِ مَوْقُوفًا عَلَى طَرَبٍ	وَعَازِفًا عَنْ بَيَانِ الْفَضْلِ وَالْبَاسِ

ولا بشاعر قوم لا يعلمهم أسمى الحياة بقلب جد حساس



دار ابن لقمان^(١) قد جذدت دارسها بوصفك المُرْجَع التاريخ للناسي^(٢)

تكاد تُخلَق من بر معالمها رغم الزمان وتبدو بين حُرّاس

وقد صدقت بما حققت من أثر^(٣) لكنّه وارث مخبوء، أساس

كأنه حارس كنزًا يضمن به وسائر المعالي أيّ مقباس

فهو الحقيّر الجليل المتّمي شرفًا للناج والمُلك ثمّ السوّد الرّاسي



يا دار عيشي على رغم الرّدى القاسي فخرا يشع بنبراس ونبراس!

في موضع سُور التاريخ ترقبهُ خيري وترفع فيه جمع أقواس!

ولا تُفاخر منها أيّ واقعة فقد تفرّدت في نصر ومقياس!

وفي ظلالك سارت مصر في شَم^(٤) إلى التغلب من حزم ومنّ باس

أعجوبة الهمّة القعساء إنّ صدقت وغاية الصديق من جند وسواس

ولو درى ما بكى المأسور من خجل فالشعب في وَحدة كالضينم العاسي^(٥)

(١) هي الدار المعروف موضعها بمدينة المنصورة، وكانت للوزير الكاتب فخر الدين إبراهيم بن لقمان. وفيها سُجن ملك فرنسا لويز التاسع لما أسره المصريون بعد واقعة المنصورة الشهيرة سنة ٦٤٧هـ (١٣٤٨م).

(٢) إشارة إلى الوصف البليغ التفصيلي الذي سرده سعادة تيمور باشا، حتى كأنما تتجدد برّا بوصفه.

(٣) إشارة إلى ما وصل إليه تحقيق تيمور باشا متفقًا مع الأستاذ داريسي Daressy من أن الأثر الحاضر غير الدار الأصلية، وإن كان في موضعها.

(٤) إشارة إلى توحيد كلمة المصريين واشتداد عزيزتهم وحملهم حملة صادقة على الفرنسيين، بعد أن كاد المصريون يُهزمون شر هزيمة.

(٥) العاسي: الغليظ القوي الذي لا يتنى.

إِنَّ الْأَسِيرَ لِبَاسٍ لَا نَظِيرَ لَهُ غَيْرُ الْأَسِيرِ الْعُثُورُ الْخَاطِئُ الْخَاسِي!



وَأَنْتَ يَا وَطَنِي الْبَاكِي لَضَيْعَتِهِ بَيْنَ الدَّسَائِسِ بَعْدَ الْجَهْلِ وَالْكَاسِ!
صَبْرًا فَكَلَّ بِلَاءٍ سَوْفَ يَعْقِبُهُ تَكَافؤُ بَيْنِ إِسْعَادٍ وَإِنْعَاسِ
وَأَنَّ ذِكْرًا لَأَنْتِ^(١) قَدْ رَفَعْتَ بِهَا نَوْرَ الْجَلَالِ لِيَكْفِينَا لِإِنْسَانِ
وَأَنَّ رَسْمًا حَوَاهِ الْمَجْدُ فِي حُجُبِ وَلَمْ يُحَجِّبْ لِأَبْقَى دُونَ أَحْرَاسِ!
هِيَهَاتَ يَطْفِي دُخَانُ الْعَسْفِ شُعْلَتُهُ هِيَهَاتَ! هِيَهَاتَ! فَالْدُّنْيَا بِقَسْطَاسِ
وَلَنْ يَضِيغَ جِهَادٌ فِي تَوَهُّجِهِ شَمْسٌ، وَفِي خُلْدِهِ الْمُفْنَى لِأَرْمَاسِ!



وَأَنْتِ يَا دُرَّةَ^(٢) ضَنَّ الزَّمَانُ بِهَا فِي الشَّرْقِ قَدْرُكَ فَوْقَ الدَّرِّ وَالْمَاسِ
أَكْسَبَتْ أَسْرَ لُؤِيزَ^(٣) أَيْمًا شَرَفٍ وَتَاجَ مُلْكِكَ مِنْ نُبْلِ وَمِنْ رَاسِ
بَكَى دِمَاءَ لَنَجْمِ الدِّينِ فَارِسِهِ فَجَحَّتْ آسِيَةٌ فِي بَاسِ قَرَّاسِ
وَعَاشَ فَضْلُكَ وَضَاءً يُشْجِعُنَا بَيْنَ الْمَآئِمِ مُرْجِينَا لِأَعْرَاسِ
حَتَّى نَعِيدَ جَلَالًا صَارَ غَائِبُهُ يَشْتَاقُنَا شَوْقُ لُورِينِ وَالزَّاسِي
نَحْنُ الْأَحْقَ بِسِيرَاتٍ يُرَدِّدُهَا جَيْلٌ لَجِيلٍ، وَأَقْمَارٌ لِأَشْمَاسِ

أبو شادي



(١) يشير إلى جارية الملك الهمام والوطني الغيور الصالح نجم الدين أيوب، فهي التي أخفت خبر موته، وسيرت جثته سرًا إلى جزيرة الروضة حتى لا تذهب قوة الجيش المعنوية.

(٢) يشير مرة أخرى إلى جارية الملك. واسمها (شجرة الدر).

(٣) لؤيز التاسع ملك فرنسا الملقب عند قومه بسان لؤيز Saint Louis أي القديس لؤيز. ولد سنة ١٢١٠م وتوفي سنة ١٢٧٠م من وباء قضى عليه وعلى جيشه وهو محاصر لتونس في الحرب الصليبية الثامنة.

عبء الشهرة

قال رابندرانث طاغور عند زيارته الأخيرة لإيطاليا :

«إن إيطاليا تزداد في نظري بهجة وجمالاً ، وفلورنسا أجمل المدن الإيطالية .
وكان أفضل لو زرتها وأنا غير مثقل بالسنين والشهرة ، إذن لكان في وسع الفتوة
أن تدرك ما يوحيه الشعر الإيطالي أكثر مما تستطيعه الشيخوخة . ولكن ليس
الحق عليّ في أنني شخت ، وأني اشتهرت . . .

أنا لم أخلق لأطوف العالم بين أصابع تدلّ الجمهور عليّ ، ولا سيما
الجمهور الأوربي ، فإن حياتي والغرض من وجودها داخليّ .

يجتمع الناس ليشهدوا الشاعر وليسمعوه ، ولو أنهم رأوه وسمعوه لما
عرفوه ، لأنه يبقى مختبئاً . وكلما ازداد الجمهور عدداً ؛ وعلا ضجيجهم ، ازداد
الشاعر توارياً في حمى نفسه ، وبقي مجهولاً .

لست أدري كيف أتخلص من عبء الشهرة . . .» .



الشاعر

هبط الوحي عليه من سماوات الخيال

في الظلام

وأضاءت جانبه ربّة السحر الحلال

في الكلام

خرَّ يبكي وله - لما تجلّت - صعقات قد وعى سرَّ الوجود ومعاني العدم

في غَشِيَّتِهِ

فروى بيت قصيد من عيون الحكم

في صحوته

نظمته زفراث، قَطَعْتُهُ شهقات

هتكت عن ناظريه مسدلات الحجب

والستور

فجرى عن أصغريه غير ما في الكنب

من سطور

صُورٌ علويةٌ مثَّلهَا بالكلمات



ظل يرنو للسماء واحمرارِ الشفقي

ويقول:

ذا نجيعُ الشُّهداءِ شامدٌ في الأفق

لا يزول

فعلهم أعيُنُ السحب تُريقُ المعبراتِ

نسمات الريح ثكلى لا تني تنتحبُ

في أساها

وميض البرق ليلاً جمرةً تلهبُ

في حشاها

أو فؤادَ بينَ جندَ بيها شديدَ النزواتِ

هَزَمَ الرعدُ فقَلا ذَا صُراخُ البائسينَا

فاعطفوا

ودَجَا الليلُ وطالا وهو عسفُ الظالمينا

فارأفوا

وانكشِفَ باليلُ إِنَّ الرعدَ أَمسى صَرَخَاتِ

صَوَّبَ الطرفَ بروضٍ باسمِ زاوٍ وسيمٍ

فبكى

قائلاً -والجفنُ مغضٍ-: ها هنا صبٌّ وريمٌ

هلکا

قدَّها والقلبُ منه غصنٌ ذو زهراث
علقت كَفَّ بكفٍ والتقى خدٌّ وخدٍ

في الترابِ

يا لَهُ قلبًا يرفُ وضلوً وتَنَقَّدُ

بالتهاجِ

ونفوسًا قد زكَّتْ في الزهر منها عقباتُ
أخذ النايَ وأدنى قَمُ ثم نفخَ

فيه روحه

فأذابَ النفسَ لحناً ومن الجسمِ انسلخَ

كي يريخه

هكذا تذهبُ أن فاس الممتنى حسراتُ

دمشق/ خليل مردم بك

من أسباب عظمة أمريكا

- * أنها تُنفق وحدها على التعليم بقدر ما يُنفق عليه العالم كله مجتمعًا .
- * وأنها تحاشت الاصطدام بين رأس المال والعمل: فوقت بينهما، وجعلتهما شريكين في المنفعة .
- * وأنها أقامت دستورها على قواعد ثابتة بعد تفكير طويل في جعله موافقًا لروح شعبها وحاجته، فلم تضطر بعد ذلك إلى الإلحاح عليه بالتغيير والتعديل؛ كالدساتير الأخرى التي صارت لكثرة التغيير فيها كالبنائيات المهدمة!
- * وأهم أسباب عظمة أمريكا الاتحاد العادل بين ولاياتها، ورفع الحواجز الجمركية فيما بينها، والتعاون على ما فيه مصلحة أقطارها .



الحرية

هاج نسيمُ الريح لي أمرها	بالله يا ريحُ ابعني ذكرها
تجهزُ الدمرُ لإقلاقها	ما حدثُ في ليلةٍ دهرها
إن تمسكِ الأقدارُ عن نصرها	فما أنا مطرُحُ نصرها
أو تعبس الظلماءُ في خذرها	فأنت يا برقُ أنزِ خذرها
دبٌ مفيضُ الحبِّ في أضلعي	لا تحسبني طاويًا سرها
صبرتُ عنها مُهجتِي ساعةً	فلم تُطقْ من بَغْدِها صبرها
بلوت في ظلِّ الصبا حُلوها	فهل تراني باليًّا مُرَّها
عشقتها، والله أدري بنا	ما منْ صدري في الهوى صدرها

ظلل أكناف الحمى طيفها هُنيهةً ثم ابتغى هجرها



لا تخفضن يا دهرُ من قدرها كلُّ كريم رافعُ قدرها

دحرَّتْها والنفس في إثرها خارجة، ما احتملت دحرها

كم حائر طاحت به ضلَّة ثم اهتدى لما رأى بدرها

وصاغرُ الموتِ به ذلَّة فعرَّ في إعلائه أمرها

ومسنَّبَ راعه حَظُّبُها يجهد في تهتيكه سترها

لئن طوى استبداده ليلها فما طوى عن مُقلَّتِي فجرها

حصرت يا دهرُ نفوس الورى وهل أطاقَتْ مهجة حصرها

نجوت من ظلم ومن ظالم يا دهرُ إن يسَّرَ لي عُشرها



إن تُخرجوا الآساد في غابها هيهات ما تكفيكم شرها

دمشق / شفيق جبري



العربية في أمريكا قبل كولمبوس^(١)

نشر في السنوات الأربع الماضية كتاب كبير في ٣ مجلدات ألفه ليُووِنَر Leo

Wianer من علماء جامعة هارفرد عنوانه «أفريقية وكشف أمريكا»، أثبت مؤلفه

وجود كلمات عربية في لغات هنود أمريكا.

(١) من مقالة للمقتطف (أغسطس ١٩٢٦)، ملخصه عن مقالة للمستتر برتن كلين في مجلة

(العالم اليوم - World to day) فبراير ١٩٢٦ م.

يعرف هذا المؤلف ٣٦ لغة. وقد شرع منذ سنوات في تعلم لغات هنود أمريكا؛ ليرى ما فيها من الكلمات والتعابير التي يستدل منها على الشعوب الذين اتصلوا بأولئك الهنود في غابر الزمن، فوجد فيها كثيرًا من الكلمات الإنكليزية والإسبانية والفرنسيوية والبرتغالية، وأقدم من هذه كلها كلمات عربية.

وقال بعد نشر كتابه: إنه يُرجع أقدم هذه الكلمات إلى سنة ١٣٩٠م، أي إلى قرنين قبل وصول كولمبوس إلى أمريكا، وقد يكون أصحاب تلك الكلمات اتصلوا بها قبل ذلك بقرنين آخرين.

وذهب بعض الباحثين الآن إلى أن عمران الأزدوالمايه عمرانٌ عربي محض، وأن الأزدوالمايه مستعمرات عربية وُجدت في أمريكا بين سنتي ١١٥٠ - ١٢٠٠م، والعمران العربي بلغ أوجه في إفريقية في القرن التاسع المسيحي، وامتد جنوبًا إلى مندنجو في غرب إفريقية، ومن هناك وصل إلى مشواكان على شاطئ خليج المكسيك؛ لأن آثار العرب في لغات أمريكا تُرد كلها إلى ذلك المكان وإلى مندنجو، وهي الكلمات التي تبقى عادة من لغة الغالب في لغة المغلوب، كالكلمات الطيبة والسياسية، ولما انقطع اتصال العرب بأمريكا ذوى عمران الأزدوالمايه؛ لأنه كان مبنياً عليهم، وكان في أساسه تجاريًا.



جهد المقل



انا ما حيثُ فقد وقتُ لأمتي نفسي ومالي في سبيل بلادي
فإذا قُتلت -وتلك أقصى غاية- لي- فالوصية عندها أولادي

بنتٌ لتضميد الجراح، وبافعٌ يُعنى بتثقيف القنا المباد
حتى إذا بلغ الأشدَّ رأَتْ به دُخْرًا ليوم كريبه وجلاد
خليل مردم بك



□ ٢ □

قل للخليل مفديًا أوطانه هذا لتثقيف القنا، وهذه
وموصيًا إن راح بالأولاد وقفٌ لأسوٍ جراحة وضما:
عظمُ الجدود وسُودد الأجداد في مثل هذا يا ابن مرَدَمَ يلتقي
فلنا الرجاء بأمة وبلاد إن كان في الشبان مثلك جملةً
لفداء مثلك من عزيز فاد أفديك بالروح العزيزة، إنها
الأمير شكيب أرسلان



الإجرام السياسي

أسفي على عهدٍ به يَجني الجبانُ على الجريح
ويسوءه أقسى الهوا ن فيُقْتَلُ الخُلُقُ الصَّحِيحُ
باسم السَّياسة حُلِّلَ إل إجرامٌ والعيثُ القبيحُ
حتى نبرًا كلُّ ذي فضل من الفضلِ الصَّريح!

كما يصون حياته كما يُريح ويستريح!
أسفي على عهد به إنكار بطرس للمسيح! (١)

أبو شادي



(١) تظاهر الحواري بطرس بإنكار علاقته بالسيد المسيح؛ اتقاء الاضطهاد.

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الرابع

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على مصباح الإنسانية سيدنا محمد، صاحب دعوة التوحيد إلى البشر أجمعين.

وبعد، فهذا الجزء الرابع من الحديقة، أضعه بين أيدي أصدقائها وصديقاتها، الذين كثر عددهم بين مختلف الطبقات من قراء العربية في جميع أنحاء الوطن الأكبر، حتى بلغ من إقبالهم عليها وتشجيعهم لصاحبها، ما دعاه إلى توطين النفس على مواصلة إصدارها حافلة بما تعودوه من بدائع المنشور والمنظوم، لفحول أدباء هذه الأمة وحكمائها من قدماء ومعاصرين.

وإن «الحديقة» لا تزال على عهدا لقرائها في كل ما التزمته من شروط في اختيار ما تعرضه على أنظارهم، والله من وراء القصد.

القاهرة: ١٥ محرم ١٣٤٦

محبت الدين الخطيب



مظهر بديع من مظاهر حضارة العرب في بغداد

من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة جزء قديم (في كتب التاريخ رقم ١٣٨٣) من كتاب مجهول الاسم والمؤلف، رتب مؤلفه على السنين، وما في هذا الجزء من سنة ٦٢٦ إلى ٧٠٠ .

وقد ألحق بآخره نبذة منقولة من مناقب بغداد لابن الجوزي، وهي التي نشرها صديقنا الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري.

وقد جاء في حوادث سنة ٦٣٣ من هذا المخطوط القديم وصفٌ للساعة التي وضعها أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور المستنصر بأمر الله في مدرسة الطب والمستشفى التابعين لمدرسته العظمى المعروفة باسم (المستنصرية)، وقد أدخل سعادة العلامة أحمد تيمور باشا وصف هذه الساعة في كتابه «التصوير عند العرب»، الذي لم يُطبع بعد^(١).

والى القارئ نص ما أبقتة لنا يد الزمن من وصف ذلك الأثر العربي البديع، الذي يدل على ما كانت عليه حضارة الإسلام في دار السلام من الشأو الذي لم تبلغه مدارك البشر حتى ذلك الحين.



(١) ثم طبعه، وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات: زكي محمد حسن، عام ١٣٦١ هـ. (س).

ساعة عربية بصورة الفلك الدائر

«قال المؤرخ»: «وفيها -أي: في سنة ٦٣٣هـ- تكامل بناء الإيوان الذي أنشئ مقابل (المدرسة المستنصرية)، وعُمل تحته صُفّة يجلس فيها الطبيب، وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب، ويقصده المرضى فيداويهم. وبُني في حائط هذه الصفة دائرة، وصُوّرت فيها صورة الفلك، وجُعِلت فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة: وفي الدائرة بازان^(١) من ذهب، في طاسين من ذهب، ووراءهما بندقتان من شبه لا يدركهما الناظر.

فعند مضي كل ساعة يفتح فم البازين، ويقع منهما البندقتان، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات، والباب مُذهّب فيصير حينئذ مفضّضاً، وإذا وقع البندقتان في الطاسين تذهبان إلى مواضعهما، ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيوبتها، فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها: كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر، ثم يبتدئ في الدائرة الأخرى إلى انقضاء الليل وطلوع الشمس، فتعلم بذلك أوقات الصلوات».



ثم أورد صاحب هذا التاريخ المخطوط أبياتاً لشاعر من شعراء ذلك العصر الذهبي يذكر بها هذه الساعة:

يا أيها المنصور، يا مالكا برايه صعبُ الليالي يهون

(١) تشية «بازي» الطائر المعروف.

شيدت لله ورضوانه أشرف بنيان يروق العيون
 إيوان حسن وضعه مدهش يحار في منظره الناظرون
 صُورَ فيه فلك دائرٌ والشمس تجري ما لها من سكون
 دائرة من لازوردٍ حكت^(١) نقطة تبر فيه سرٌ مَصون
 فتلك في الشكل وهذي معاً كمثل هاءٍ رُكبَتْ وسَطَ نونٍ



وجاء في حوادث سنة ٦٨٣ من هذا المخطوط أن نور الدين علي بن ثعلب الساعاتي توفي في تلك السنة، وكان يتولى تدير الساعات التي تجاه المستنصرية، وأن مولده كان سنة ٦٠١ هـ.



الحضارة الغربية

أطلقت العقول تجدُّ وتبتدع، وأطلقت من ورائها الأهواء تلذُّ وتستمتع وتستهي؛ فضربت الخيرَ بالشرِّ ضربةً لم تقتل، ولكنها تركت الآثار التي هي سبب القتل؛ إذ لا تزال تمدُّ مدّها حتى تنتهي إلى غايتها، وذلك هو السر في أنه كلما تقادمت الأزمنة على هذه الحضارة؛ ضج أهلها وأحسوا عللاً اجتماعية لم تكن من قبل.

مصطفى صادق الرافعي



(١) يظن سعادة الأستاذ تيمور باشا أن صواب هذه اللفظة «حوت».

عرس الأصيل

غنى الأصيل فقمْتُ أرقبُ عرسه
فإذا الأشعةُ راقصاتٌ مثلما
يتموجُ الماءُ الطُّروبُ وتزدهي
طورًا مذهَّبةً وأنا فضةُ
والثَّمَرُ محمَّرٌ ومصفرٌّ على
جُمِعَتْ به الأضواءُ بعد تفرُّق
وإذا المروجُ عساكرٌ، أعلامها
وإذا العُروسُ الشَّمْسُ بين زوارقِ
وإذا السماءُ بحيرةٌ ترنو لها
في مفرِّضِ صُورِ الوجودِ ضحوكةُ
وأمامه الدنيا على عَرْفِ الهوى
أين التفتَ رأيتَ حسنًا باسمًا

قبل التفرُّقِ في المساءِ الداني
رقصتُ لتلعب بالقلوبِ غواني
وثباتها عجبًا على الأغصانِ
وأعرُّها سحرٌ بسحرِ بيانِ
عالي النخيل كجمعها الفتانِ
وبدت به الجَمَراتُ حلَّو جُمانِ
خُضِرَ، تَهزُّ أسنَّةُ المِرَّانِ
هُنَّ السحابُ لبسِ ثوبِ حسانِ
عينُ الطبيعة والجمالُ الهاني
فيه تُشاطِرُ صَفْوَه المتفاني
سرًّا وجَهْرًا في أحبِّ زمانِ
وشهدتُ أحلامًا وصدقَ أمانِ

أحمد أبوشادي



بنو هاشم وبنو أمية في نظر علي ومعاوية

□ كلمة علي عليه السلام:

سأل رجل عامر بن شراحيل الشَّعبي -أحد كبار الفقهاء والعلماء في صدر

الإسلام- عن بني هاشم وبني أمية، فقال:

إن شئت أخبرتك ما قال عليُّ بن أبي طالب فيهم.

قال: أخبرني.

قال: «أما بنو هاشم فأطعموها للطعام، وأضرِبْها للهام، وأما بنو أمية فأسدُها حَجَرًا، وأطلِبْها للأمر لا ينال فينالونه».

□ كلمة معاوية رضي الله عنه:

قيل لمعاوية بن أبي سُفيان: أخبرنا عن بني هاشم -أي: قبل الإسلام-.
فقال: بنو هاشم أشرف واحدًا -يعني عبدَ المطلب بن هاشم-، ونحن أشرفُ عددًا، فما كان إلَّا كلا، وبلى، حتى جاءوا بواحدة بذَّت الأولين والآخرين - يريد النبي ﷺ -.



أبو إسحاق الغزي ٤٤١-٥٢٤ هـ
قطع مختارة من شعره

□ منازل الأعراب □

يا رُبَّ فيك المها والأسدُ أحبابُ	فقل لنا أكناس أنت أم غابُ؟
بين الكثيبين حيٌّ لغوهم أدبُ	محض وليجازهم في القول إسهابُ
خطو وأقلامهم خطية سلب	فهم على الخيل أتيون كتابُ
أهل الإصابة إن قالوا، وإن سمعوا	وللسماع كما للقول إعرابُ
غير الهيد وبرض اليد ما عرفوا	والعز يعذب في أكوابه الصابُ
كلُّ يحاول ما يبقى الصلاح به	فالمبتغى واحدٌ والناسُ أضرابُ

□ القلم □

وظمآن يروى بعد شق لسانه ولو صح لم تنقع صداه المناهلُ
توقم أن السفر بحر وماله سوى موضع العنوان والختم ساحلُ
فبادره يهوي على أم رأسه ولا موج إلا المشق والدر ثاملُ
إذا سقيت منه القراطيس أورقت وأورق عود المبتغي وهو ذابلُ
والطف ما في صنعه أن رمزه بمصر إلى من بالعراقين واصلُ
وإن الذي تسقيه حين يمجه لجاف وعافٍ منه حتف ونائلُ
كذا ثمرات الأرض والماء واحد به اختلفت ألوانها والمآكلُ

مقاطعة المستبدين^(١)

كان السلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم- يفرّون من الأمراء المستبدين
فرار السليم من الأجر، حتى إن بعضهم سلكوا في هذا سبيل الخشونة، ولم
يكرمهم وإن زاروهم، استحقاراً لهم.

وروا في ذلك آثاراً وأخباراً لا تكاد تدخل تحت العد والحصر، وقد جمع
السيوطي كثيراً منها في كتاب خاص أسماه: «ما رواه الأساطين، في عدم
المجيء إلى السلاطين»، ولم نقف عليه^(٢).

منها قوله ﷺ: «من بدا جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن»^(٣).

(١) مقتبسة من كتاب «أعلام العراق» للأستاذ السيد محمد بهة الأثري.

(٢) طُبع عام ١٤١٣هـ، بدراسة و تحقيق أبي علي طه بوسريح؛ تقديم الشيخ: عبدالقادر الأرناؤوط. (س).

(٣) أخرجه أحمد (٨٨٢٣)، وصححه الألباني.

ومنها: «أن ناسًا من أمتي يتفقهون في الدين، ويقرؤون القرآن، ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعزلهم بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يُجتنى من قربهم إلا الخطايا»^(١).

ومنها: «سيكون في آخر الزمان علماء يرغبون الناس في الآخرة ولا يرغبون، ويزهدون الناس في الدنيا، ولا يزهدون، وينهون عن غشيان الأمراء ولا ينتهون»^(٢).

وعن أيوب السختياني الإمام الثقة المشهور قال: قال لي أبو قلابة: «يا أيوب، احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى في العافية».

وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت، ويقول: إن في هذا لَغِنَى عن هؤلاء السلاطين.

وقال وهيب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك هم أضرُّ على الأمة من المقامرين.

وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة، لا تَغْشَ أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب من دنياهم شيئًا، إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

وعن محمد بن داود البصري قال: لما ولي إسماعيل بن عُلَية على العشور - أو قال: على الصدقات - كتب إلى عبد الله بن المبارك، يستمده برجال من القراء^(٣) يعينونه على ذلك، فكتب إليه عبد الله بن المبارك:

يا جاعل العلم له بازيا يصطاد أموال المساكين

(١) ضعيف الجامع؛ للألباني (٤٦٢٨).

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة؛ للشوكاني (٩١٤).

(٣) يعنون بالقراء: علماء الدين.

احتلتَ للدنيا ولذاتها
فصرت مجنونًا بها بعد ما
أين رواياتك فيما مضى
ودرسك العلم بآثاره
تقول: أكرهْتُ، فماذا كذا
لا تبتغ الدنيا بدين كما
وأشد ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب
وترك الذنوب حياة القلوب
وهل بدّل الدين إلا الملوك
وباعوا النفوس فلم يربحوا
لقد رتع القوم في جيفة
وقال بعض الشعراء في فقيه يتردد إلى أمير:

قل للأمير مقالةً
إن الفقيه إذا أتى
وقال محمود الرزّاق:

ركبوا المراكب واغتدوا
وصلوا البكور إلى الروا
حتى إذا ظفروا بما
وغدا المولى منهم
وتعسفوا مَنْ تحتهم
زُمرًا إلى باب الخليفة
ح ليبلغوا الرتب الشريفة
طلبوا من الحال اللطيفة
فرحًا بما تحوي الصحيفة
بالظلم والسير العنيفة

خانو الخليفة عهده	بنعسف الطرق المخوفة
باعوا الأمانة بالخيا	نة واشتروا بالأمن جيفة
عقدوا الشحوم وأهزلوا	تلك الأمانات السخيفة
ضاحت قبور القوم وات	سمت قصورهم المنيفة
من كل ذي أدب ومع	رفة وآراء حصيفة
منفقه جمع الحديد	ث إلى قياس أبي حنيفة
فأناك يصلح للقضا	ء بلحية فوق الوظيفة
لم ينتفع بالعلم إذ	شغفته دنياه الشغوفة
نسي الإله ولاذ في ال	دنياه بأسباب ضعيفة



الغيبة

اغتاب رجلٌ رجلاً عند سَلَم بن قُتَيْبَة، فقال له سَلَمُ: اسكت، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ مُضَعَّةً طالما لفظها الكرام.

كتاب الصناعتين ص ٢٧٩



نفس الشريف

علي ثياب لو يُباع جميعها	بفلس لكان الفلس منهن أكثر
وفيهن نفسٌ لو تقاس بمثلها	نفوس الورى كانت أعزّ وأكبر



جهاد مصر الوطني ذكرى ١٣ نوفمبر ١٩١٨

حَظَوْنَا فِي الْجِهَادِ خُطَى فِسَاحَا
رَضِينَا فِي هَوَى الْوَطَنِ الْمُفَدَّى
وَلَمَّا سُلِّتِ الْبَيْضُ الْمَوَاضِي
فَحَطَمْنَا الشَّكِيمَ^(١) سِوَى بَقَايَا
وَقُمْنَا فِي شِرَاعِ الْحَقِّ نَلْقَى
نُعَالِجُ شِدَّةً وَنَرُوضُ أُخْرَى
وَنَسْتُولِي عَلَى الْقَسَمَاتِ إِلَّا
وَمَنْ يَضْبِرُ يَجِدُ طَوْلَ التَّمَنِّي



وَأَيَّامٍ كَأَجْوَابِ اللَّيَالِي
قَضَيْنَاهَا حِيَالَ الْحَرْبِ نَخْشَى
تَرَكْنَ النَّاسَ بِالْوَادِي قُعُودًا
جُنُودُ السَّلَمِ: لَا ظَفَرَ جَزَاهُمْ
فَلَا تَلْقَى سِوَى حَيِّ كَمِينٍ
تَرَى أَسْرَى وَمَا شَهِدُوا قِتَالًا

فَقَدْنِ النَّجْمَ وَالْقَمَرَ اللَّيَاحَا^(٢)
بَقَاءَ الرَّقِّ أَوْ نَزَجُو السَّرَاحَا
مِنَ الْإِغْيَاءِ كَالْإِبِلِ الرِّزَاحَى
بِمَا صَبَرُوا، وَلَا مَوْتَ أَرَا حَا
وَمَنْزُوفٍ^(٣) وَإِنْ لَمْ يَسُقْ رَا حَا
وَلَا اعْتَقَلُوا الْأَسِنَّةَ وَالصِّفَاحَا^(٤)

(١) جمع شكيمة: حديدة اللجام.

(٢) المضي.

(٣) من قولهم: نُزِفَ الرجل (بالبناء للمجهول) أي: سكر.

(٤) تقلدوا الرماح والسيوف.

وَجَرَحَى السَّوِطَ لَا جَرَحَى الْمَوَاضِي بِمَا عَمَلَ الْجَوَاسِبُ اجْتِرَاحًا^(١)



صَبَاحُكَ كَانَ إِقْبَالًا وَسَعْدًا فَيَا يَوْمَ الرِّسَالَةِ عِمَّ صَبَاحَا
وَمَا نَأَلُو نَهَارَكَ ذِكْرِيَّاتٍ وَلَا بَرَهَانَ غُرَّتِكَ التِّمَاحَا
تَكَادُ حِلَاكَ فِي صَفْحَاتِ مِصْرَ بِهَا التَّارِيخُ يُفْتَتَحُ افْتِتَاحَا
جَلَالُكَ عَن سَنَى الْأَضْحَى تَجَلَّى وَتُورُكَ عَن هَلَالِ الْفِطْرِ لَاحَا
هَمَا حَقٌّ وَأَنْتَ مُلِثٌ حَقًّا وَمَثَلْتُ الصُّحْبَةَ وَالسَّمَاحَا
بَعَثْنَا فِيكَ هَارُوتًا وَمُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ فَايْتَدَأُ الْكَفَاحَا
وَكَانَ أَعَزَّ مِنْ رُومَا سُيُوفًا وَاطْفَى مِنْ قِيَاصِهَا رِمَاحَا
يَكَادُ مِنَ الْفُتُوحِ وَمَا سَقَتْهُ يَخَالُ وَرَاءَ هَيْكَلِهِ فِتَاحَا
وَرُدَّ الْمُرْسَلُونَ فَقِيلَ خَابُوا فَيَا لِكَ خَيْبَةٍ عَادَتْ نَجَاحَا
أَثَارَتْ وَإِيَّا مِنْ غَابَتْبِهِ وَلَا مَتَ^(٢) فُرْقَةٍ وَأَسَتْ جِرَاحَا
وَشَدَّتْ مِنْ قُوَى قَوْمٍ مِرَاضٍ عَزَائِمُهُمْ فَرَدَّتْهَا صِحَاحَا
كَأَنَّ بِلَالَ نُودِيٍّ: قُمْ فَأَذِّنْ فَرَجَّ شِعَابَ مَكَّةَ وَالْبَطَاحَا
كَأَنَّ النَّاسَ فِي دِينٍ جَدِيدٍ عَلَى جَنَابَتِهِ اسْتَبَقُوا الصَّلَاحَا
وَقَدْ هَانَتْ حَيَاتُهُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا بِالْحَيَاةِ هُمُ الشُّحَاحَا
فَتَسْمَعُ فِي مَآئِمِهِمْ غِنَاءً وَتَسْمَعُ فِي وَلَائِمِهِمْ نُوَاحَا



حَوَارِيَّيْنِ أَوْفَدْنَا يُقَاةً إِذَا تُرِكَ الْبَلَغُ لَهُمْ فِصَاحَا
فَكَانُوا الْحَقُّ مُنْقَبِضًا حَبِيًّا تَحْدَى السَّيْفَ مُنْصَلِّيًا وَقَاحَا

(١) رميًا بالشر.

(٢) سدت.

لَهُمْ مِنَّا بَرَاءَةٌ أَهْلٍ بِذَرٍ فَلَا إِنَّمَا تَعُدُّ وَلَا جُنَاحَا
نَرَى الشُّخْنَاءَ بَيْنَهُمْ عِتَابًا وَنَحْسَبُ جِدَّهُمْ فِيهَا مَزَاحَا
جَعَلْنَا الْخُلْدَ مَنْزِلَهُمْ، وَزِدْنَا عَلَى الْخُلْدِ الثَّنَاءَ وَالْامْتَدَا



يَمِينًا بِالنِّيِّ يُسْمَى إِلَيْهَا غُدُّوْا بِالنَّدَامَةِ أَوْ رَوَا
وَتَغِيْقُ فِي أَثْوَابِ الْحَجِّ رُكْنَا وَتَحْتَ جِبَاهِهِمْ رَحْبًا وَسَا
وِبَالِدُشْتُورٍ وَهُوَ لَنَا حَيَاةٌ نَرَى فِيهِ السَّلَامَةَ وَالْفَلَاحَا
أَخَذْنَاهُ عَلَى الْمَهَجِ الْعَوَالِي وَلَمْ نَأْخُذْهُ نَيْلًا مُسْتَمَاحَا
بَنَيْنَا فِيهِ مِنْ دَمْعٍ رُوقَا وَمِنْ دَمٍ كُلِّ نَابِثَةٍ جَنَاحَا
لَمَّا مَلَأَ الشَّبَابَ كُرُوحِ سَعْدٍ وَلَا جَعَلَ الْحَيَاةَ لَهُمْ طِمَاحَا^(١)
سَلُّوا عَنْهُ الْقَضِيَّةَ هَلْ حَمَاهَا وَكَانَ جَمِى الْقَضِيَّةِ مُسْتَبَاحَا
وَهَلْ نَظَمَ الْكَهُولُ الصِّيدَ صَفَاً وَالْفَ مِنْ تَجَارِبِهِمْ رَدَا^(٢)
هُوَ الشَّيْخُ الْفَتَى لَوْ اسْتَرَا حَا مِنْ الدَّأْبِ الْكَوَاكِبُ مَا اسْتَرَا
وَلَيْسَ بِذَائِقِ النَّوْمِ اغْتَبَا قَا إِذَا دَارَ الرُّقَادُ وَلَا اصْطَبَا
فِيَالِكَ ضَيِّعًا سَهَرِ اللَّيَالِي وَنَاصِلَ دُونَ غَابِئِهِ وَلا حَى
وَلَا حَظَمَتْ لَكَ الْإِيَّامُ نَابَا وَلَا غَضَّتْ لَكَ الدُّنْيَا صَبَا

أحمد شوقي



(١) سدت.

(٢) المقصود: سعد زغلول، المتوفى عام (١٣٤٦هـ). زعيم علماني وطني معاصر، تعاون مع الاحتلال الإنجليزي لبلاده. انظر عنه وعن ثورته التي خدع بها كثيرون: «جيل العمالقَة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام»؛ للأستاذ أنور الجندي رحمه الله (ص ١٠٧ - ١٣١). و «واقعة المعاصر»؛ للأستاذ محمد قطب (ص ٣٠٤ - ٣٣٢). (س).

تبسم للحياة

تبسم للحياة وكُنْ سُبُوحًا على غمراتها مثلَ (السقي)^(١)
 وكُنْ (كاللّوتس) الضاحي هنيئًا^(٢) وإنْ لم يَنْمُ في ماءٍ نقيٍّ
 تَعَوَّدَ حَظُّهُ وأضاء زهراً وعاش بنعمة الحرّ النقيّ
 فتعشقه العيونُ بلا سُكون^(٣) ويقنعُ بالحنينِ المَفرقيّ^(٤)
 وما سرّ الحياة سوى احتمال سواءً للهنّي وللشقيّ

أبو شادي



حضارة العرب وفلسفتهم

لكل عصرٍ شعوبية، وإن شعوبية هذا العصر نفرّ من أدباء مصر، لا تمرّ بهم فرصة يتنقصون فيها فضل العرب ويغضّون من منزلتهم في التاريخ وينحتون من أثلة مدنيّتهم الشهيرة إلا تورّدوها مبتهجين، ولا يرون للعرب عورة من العورات إلا تهافتوا على إظهارها تهافت الذباب على الحلواء.

ومن هذه الطائفة من يطعن في العرب جراحية بدون موارد، نظير هذا سلامة

(١) السقي: هو نبات البردي المعروف.

(٢) اللوتس: تسمى النيلوفر. زهرة تنبت في مصر.

(٣) سكون: انقطاع.

(٤) إشارة إلى شروق الشمس.

موسى الذي يكتب في «الهلال»، والذي زعم أن العرب بدو هجموا على المدنات الرومانية والإغريقية... إلخ.

وهذا النوع من العداء أقله خطرًا وأجدر بالأباليه أحد؛ لأنه كلام ساقط من نفسه: تكفينا الآثار الماثلة والتواريخ العامة - من شرقي وغربي - مؤونة الرد عليه. ومن محاسن العرب أن يكون أعداؤهم - مثل سلامة موسى - إباحية يدعون إلى اختلاط الأنساب، ولا يرون بأسًا في ألا يعرف المولود بأبيه^(١)، وهي الشناعة التي أراد بعضهم أن يعزوها للبولشفيك، فتبرأ هؤلاء منها، وأكبروا الأمر وهم البولشفيون الشيوعيون...

ومن هذه الطائفة من تراه يضيق صدره - ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ - إذا سمع كلمة خير في العرب، أو قرأ عبارة توفر لهم قسطهم من المجد، وقد قامت قيامة طه حسين على أحمد زكي باشا، بزعمه أن الأستاذ المشار إليه قال: إن مدينة العرب فوق كل مدينة، مع أنه لم يقل ذلك، وإنما أطرى مدينة قومه؛ كما هو شأن الأمم كلها أن كلاً منها تطري مدينتها وتفاخر بأحسابها، وكيف كان يقول لو قال أحمد زكي باشا: كلما كان الإنسان عربيًا كان أقرب إلى البشرية، كما يقول الفرنسييس - ولا يكبر ذلك طه حسين - «كلما كان الإنسان أفرنسيًا كان أعرق في البشرية»، أو كما يقول الألمان: «ألمانية فوق كل شيء»، وهلم جرا، فلا تتحرج صدور هؤلاء إلا إذا كان الإعجاب بالعرب.

ولعمري لو قال أحمد زكي باشا إن مدينة العرب كانت فوق كل مدينة بالنسبة إلى القرون الوسطى - أي: إلى الوقت الذي ظهرت فيه - لم يكن كاذبًا؛ بل لكان ظهوره التاريخ العام كما يعلم في مدارس أوربه.

(١) انظر: الزهراء (٣ / ١٣٩).

ولا يعيب العرب أنهم في القرون الوسطى لم تكن مدنيّتهم أعلى من مدنيّة أوربة اليوم بعد القرون الوسطى بنحو تسعمائة سنة وألف سنة، فإنه من البديهي أن الآخر بطبيعة الحال يعلم ما لا يعلمه الأول، وأن اللاحق يعي علم السابق، ويضيف عليه، إن الدنيا شخص معنوي، كلما علت سنّه ازدادت تجاربه، وقد يأتي دهر يجد الناس فيه مدنيّة أوربا الحاضرة لعباً ودداً، ويهزؤون فيه بالقواعد التي يقررها علماء العصر الحاضر، وذلك كما نهزأ نحن ببعض القواعد التي كان الأولون يظنونها حقائق ثابتة، فأظهرت التجارب الأخيرة بطلانها، نعم لا يعيب السلف أن يكون الخلف أعلم منهم، وإنما يعيب السلف أن يكونوا قعدوا عن النهوض بالواجب عليهم في زمانهم؛ ولكن طه حسين أذنه صماء عن الفحشاء... فلا يحب أن يسمع هذا اللغو الذي هو مدح العرب، وسبحان من جمع بين عمى البصائر وعمى الأبصار، وأولهما أشد وأدهى.

يعلم الله أننا كنا نحب ألا تُستعمل لهذه الطائفة مثل هذه الألفاظ، ولكن وقاحتهم على الوطن والدين واللغة والأخلاق والصيانة والقومية وما أشبه ذلك، تجاوزت حدّها، فأصبح من الواجب على كتاب الوقت أن يضعوهم حيث وضعوا أنفسهم، وأن يصبّوا السخن على هذه الجرائم الفاسدة؛ للتخلص من شر عدواها.

ومنهم من لا تصل به الحماسة إلى هذا الحد؛ ولكنه يُنقب في الكتب والآثار حتى إذا وجد كلمة يقدر أن يغمز بها العرب، ولو من طرف خفي، وقع عليها، وأخذ يستتج ويقيس ويذهب إلى بعيد، وكأن مرماهم الأصلي هو سلب العرب محاسنهم التي حلّاهم بها التاريخ، فإن لم يمكن، فسلبهم بعضها، وأي شيء وجدوه في هذا المعنى عدّوه ربّحاً، فترى الواحد منهم يذكر فلاسفة العرب

وأطباءهم والكيماويين منهم، وهو يشير إلى أن هذا كان نصرانياً وذاك كان يهودياً وذلك صابئاً أو حرانياً، وكأنه رفع بذلك التأصيل عن ظهره وقرأ، وكان صعباً عليه أن يكون هؤلاء الكبار من خلق الله عرباً في النسب، فلما أثبت نسبتهم لغير العرب هانت عنده المصيبة...

ولو تأمل هؤلاء؛ لعلموا أن الذي أخبرهم بأن هذا كان فارسياً أو تركياً، وذاك كان يهودياً أو صابئاً أو نصرانياً إنما هم مؤلفو العرب الذين لم يكونوا ينظرون إلى العالم؛ بل إلى العلم الذي يحمله، وكان سيين عندهم أن يكون النبراس الذي يضيء لهم زيت من الزيتونة الشرقية أو الغربية، على أن هؤلاء العلماء كلهم بعد أن كتبوا مؤلفاتهم بالعربية لم تعرفهم الدنيا إلا عرباً، ومن أقرانهم كانت الحضارة العربية التي انطوا فيها، وعلى فرض أنهم لم يكونوا عرباً في الأصل، فإن الفضل الأول في تأسيس المدنيات ونشر المعارف إنما هو للدول التي تستجيد العلماء، وتستوري زناد القرائح.

ولقد كانت تلك الدول عربية قحة، وما من أحد يقدر أن يقول إن معاوية كان فارسياً، أو إن هارون الرشيد كان حرانياً، ثم على فرض أن بعض فلاسفة العرب لم يكونوا من أصل عربي، فالعرب أغنياء بالرجال، وكم عندهم من فيلسوف وحكيم وطبيب يرجع في نسبه إلى قحطان أو إلى عدنان.

ثم إننا إذا نظرنا إلى الأمم وجدنا علماء كل أمة فيهم جم غفير ليسوا منها... ولكنهم منها... أفترى الفيلسوف الألماني المعاصر أينشتين خرج من نسبه إلى الألمانية من أجل أنه يهودي؟ وكم من عالم فرنسي أصله غير فرنسي، وكم من عالم انكليزي أصله غير انكليزي... إلخ.

ويلحق بهذا: قولهم إن العرب كان عندهم العلم الفلاني، وهم إنما أخذوه عن الأمة الأخرى، وأي أمة اقتصرت في مدنيها وعلومها على تحقيقاتها

واجتهاداتها الخاصة؟ وأنفت أن تستعير من غيرها؟ وهل يكون أحق من تلك الأمة التي تأبى الاقتداء بغيرها في الأخذ بأمر نافع أو قول سديد!

ولكن التحامل كل التحامل هو قول بعضهم: إن العرب كانت علومهم كلها مبنية على الأسلوب الغيبي، وأنهم لم يعرفوا التجربة في العلم - كلمات ينقلونها عن بعض المؤلفين الأوربيين الذين لا يريدون أن يعترفوا بفضل الشرقيين، أو بعض مؤلفيهم الذين لم يفهموا تاريخ العرب حق الفهم.

ومن الغريب أن هذه الفئة إذا حاجَّها الإنسان بأقوال وشواهد من أناس من المستشرقين الأوربيين، كان جوابهم أن المستشرقين هؤلاء من دأبهم المبالغة، وهم لتعلمهم اللغة العربية أحبَّوها وصاروا يزينون كل شيء عربي! والحال أن المقام مقام تحقيق وتدقيق، ليس مقام ميل وعصبية.

فأما إذا عثروا على رواية تنقص من فضل العرب في كلام مستشرفي الإفرنجية، أسرعوا إلى نقلها وعدوها آية منزلة، وبنوا عليها أحكاماً طويلة عريضة، ونسوا أو تناسوا أن المستشرقين الذين يكرهون العرب، ويشأون العالم الإسلامي، ويضمرون العداوة لكل شيء شرقي، هم أكثر عدداً من المستشرقين المحبين، فهم يحرمونه عاماً، ويحللونه عاماً، فالمستشرق الصادق عندهم هو الذي يتنقص العرب؛ لأنه يأتي بما تهوى أنفسهم، وأما المستشرق الذي يؤدي العرب حقهم، فإنه بزعمهم مبالغ، ينظر بعين الحب الكليلة عن العيب. ولا تنس أن حملاتهم هذه الخفية على الحضارة العربية والتاريخ العربي إنما يأتونها باسم العلم وتمحيص التاريخ، وحب الحق^(١).

(١) يُنظر للزيادة عن أحوال المستشرقين: كتاب «سموم الاستشراق والمستشرقين»؛ للأستاذ أنور الجندي رَحِمَهُ اللهُ (س).

وليس من عربي عاقل يُحب أن يُنحلّ العرب ذرة مما لم يعلموه، ولا أن يمدحهم بالكذب؛ ولكن ليس من عربي عاقل يرضى بأن فئة مريضة من أهل هذا الزمان، تهجم على مدنية العرب التي اتفق على عظمتها المشرق والمغرب.

شكيب أرسلان



فضل الحضارة الإسلامية في العلوم الطبية^(١)

في القرن السابع بعد الميلاد، وقعت الرابعة والأخيرة من هجرات العرب^(٢) التي وثبوا بها على الأمم المجاورة، فتغلبوا على غرب آسيا، وما حول البحر الأبيض المتوسط، وقد اكتسب العربُ بسرعة مذهشة درجةً عالية من الحضارة، فهم شعب فطين، ذو أربة وثقيف، كان سريعاً في تمثيل العلوم والثقافات التي احتكَّ بها، خصوصاً علوم اليونان، فترجموا أشهر مؤلفاتها، وعن هذا الطريق وصلت لأوروبا أكثر العلوم التي لولا العرب لانعدمت تماماً.

كان العرب ماهرين في المناظرة والنقد والجدل، وسائر التفرعات المنطقية، وإن تعجب لشيء فهو انقلاب الحماسة الدينية عندهم إلى ولوع بالعلوم والآداب.

ففي أقل من قرن واحد بعد وفاة النبي ﷺ تُرجمَ أشهر مؤلفات اليونان الفلسفية، واستمر هذا الذوق السامي، والميل للعلوم، والنهوض بها، حتى بعد

(١) هذا نص المقالة التي أشار إليها الأمير شكيب أرسلان في فصله السابق.

(٢) انظر: البحث الذي كتبناه عن الهجرات العربية، بعنوان «اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب»، في الزهراء (٢ / ٣٢١-٣٤٠)، وقد طبعناه في رسالة مستقلة مع زيادات مهمة.

انقسام الإمبراطورية العربية بالمشاحنات والفتن إلى ثلاث دول: العباسيين في آسيا، والفاطميين في مصر، والأمويين في أسبانيا، فتناظروا، وتنافسوا في العلوم والآداب كتنافسهم في السياسة، واحتضنوا العلوم والآداب، واتخذوا منها كل طريق، ولم يهملوا موردًا أو مادة فيها تسلية للعقول، أو تهذيب وترقّ للنفوس، ومن مفاخرهم أنهم أخرجوا من الشعر والشعراء أكثر من جميع الأمم معًا، وبقي عرب الأندلس مئات من السنين متقدمين على سائر أوربا في العلوم والطب.

وفضّل العرب على العلوم راجع لدراستهم على طريقة الإسكندرية، لا على طريقة أثينا وغيرها من مدن اليونان، وأدركوا سريعًا أن العلوم لا تتقدم أبدًا بمجرد النظر والتخمين - كما فعلت أثينا -؛ بل لابد لهم من امتحان الطبيعة بالمسائل العلمية وعمل التجارب، وكان من أخص مميزات طريقتهم: التجارب والرصد، فاعتبروا الهندسة والعلوم الحسائية وسائل وآلات للتفكير، ورياضة العقل، وتراهم في أكثر مؤلفاتهم العديدة - في الميكانيكا وعلوم السوائل والبصريات - يحلون المسائل بعمل تجربة أو بواسطة رصد بالآلة.

هذه الطريقة هي التي مكنتهم من ابتداع الكيمياء، وابتكار آلات التقطير والتصعيد والصهر والترشيح... إلخ.

والتي جعلتهم في الفلك يرجعون إلى الآلات المدرّجة والمقسمة: كالربع والاصطرلاب، واستعمال الميزان في الكيمياء، وعمل جداول الثقل النوعي، وهي الطريقة التي أدخلوا بها تحسينات عظيمة في الهندسة وحساب المثلثات، وأدت لاختراعهم الجبر، وإدخال الأرقام الهندية في الحساب بدلًا من الأرقام الرومانية، وهي طريقة بدیعة تعبر عن جميع الأعداد بعشرة أرقام لها قيمة مطلقة، وقيمة بالوضع.

كل ذلك كان نتيجة لتفضيلهم للطرق العلمية، وعمل التجارب، وإيثارهم على طريقة أرسطو القياسية، وعدولهم عن أفكار أفلاطون الغارقة في الخيال. ومع ذلك؛ قد أنكروا على العرب ملكة الابتكار والابتداع في علم الطب وغيره، وجحدوا فضلهم على العالم عامة وأوربا خاصة، وقصروا نصيبهم من الثقافة على مجرد تشرب علم اليونان ونقله لأوروبا الحديثة، فأول مدرسة طبية في أوربا كانت التي أسسها العرب في سالرنو بإيطاليا، وأول مرصد هو الذي أقيم على يد العرب في إشبيلية بأسبانيا، وقد نتجاوز المقام لو ذكرنا الكفاية عن نتائج هذه الحركة العلمية الباهرة، فالعلوم القديمة اتسعت كثيرًا، وجددوا علومًا أخرى وأوجدوها، ووصفوا أمراضًا كالجُدري والحصبة لم تميزها اليونان، وفي العلوم التجريبية أوجدوا الكيمياء، واكتشفوا كثيرًا من أهم موادها وكواشفها: الحمض الكبريتيك، وحمض الأزوتيك، والكحول، وأدخلوا هذا العلم في الطب العملي، فكانوا أول من سن ونشر الدساتير الطبية، وكتب الصيدلة، والمحاضرات الدوائية؛ وأول من أدخل فيها التحضيرات المعدنية. وفي الميكانيكا عينوا قوانين سقوط الأجسام، وتكلموا في الجاذبية، والقوى الميكانيكية، وعملوا أول جداول للأثقال النوعية، وكتبوا في عوم الأجسام وسقوطها في الماء.

وفي البصريات أصلحوا خطأ اليونان القائلين بمرور شعاع النور من العين إلى الجسم المرئي، وحققوا مروره من الجسم إلى العين، وفهموا الانعكاس والانكسار^(١)، وابتكروا الجبر أو الحساب الشامل، وجعلوا منه طريقة لبحث الروابط بين المقادير من أي نوع كانت، وأكسبوا حساب المثلثات شكله

(١) انظر: الزهراء (٢ / ٤٥٥)، والحديقة (٣ / ٥٩).

الجديد، وأوصلوه إلى علم قائم بذاته، كما ألفوا في حساب المثلثات الكروية، والمساحة، وأبدعوا فيهما أيما إبداع.

وكانت للعرب غبطة خاصة في النظر إلى فروع الأدب الجدية، فكتبوا العجب في أمور شتى، وإن تعجب لشيء فاعجب لورود آراء كثيرة في مؤلفاتهم نعتها من مبتكرات العصر الحديث ومفاخره، فنظرية النشوء والترقي مثلاً، درسوها وعلموها في مدارسهم، وذهبوا بها إلى أبعد أمد، فطبقوها على المواد غير العضوية والمعادن^(١).

وقد اشتهر من أطباء العرب: أبو علي القاسم والرازي وابن سينا، الذي استمرت مؤلفاته تُدرس في جامعات الطب الأوروبية لغاية القرن الثامن عشر.

دكتور محمد شرف

جراح بمستشفى الملك بالقاهرة



أوراق الخريف

هل كان نثرِك غيرَ إيدانٍ بُمُرٍ قد تقصَّى؟

هل كنتِ إلّا رمزَ أحلامٍ تُفَضِّنُ اليومَ نفْضاً؟



(١) بل هي نظرية باطلة، أثبت العلم الحديث تهافتها، فضلاً عن الشرع. وألفت لأجل هذا رسائل عديدة.

انظر على سبيل المثال: «سقوط نظرية داروين في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة»؛ للأستاذ ماهر خليل. (س).

مضفرة - شأن الممات، بِخُمْرَةٍ تحكي النَّجيع

فكأنما قتلُك أحكامُ (الخريف) بلا شفيع!



يرثيك قبلي الطَّيْرُ، كم أنقذته يا فانيه،

كم كُنتَ ظِلًّا يَتَّقِي فِيهِ العوادي القاسية



يرثيك آلافُ الأشعة... من غرام كم تجلّت!

متكسراتٍ في دلالٍ، بالزَّمَرْد قد تحلّت!



يرثيك باكي الظِّلُّ كم أرضاك من بعد النَّدَى

كم كنتَ باسمَةً تحييه وتُعْطِيهِ اليدا!



يرثيك ذاوي العُثْبِ محزونًا لما يَجْنِي (الخريف)

يرثيك لاخلُ يواسيه وقد غلبَ الحفيف!



يرثيك عقلُ الفيلسوفِ يراك لُغْزًا مُذهلاً

العيشَ والموتَ والممَجَّلَ والرجاءَ المقبلًا



يرثيك شغَرُ النَّخْلِ كم غنّتَ لديك مُرنحة

بين الأزاهير السخية والغصون المفرحة



ترثيك أنات سُمِعْنَ من الجداول في الخريز

قد كُنَّ أنغام السُرور فصرنَ آلامَ الرزير



ترثيك دُنيا قد تركتِ وأنتِ سَكْرَى راضية

لا تأسفين، فإنَّ رُوحَكَ رُوحُ دُنيا ثانية!

أبو شادي



التصوير العربي

اكتشفت مصلحة الآثار العربية في القاهرة، في الموضع الذي كانت فيه دارُ الوزارة الكبرى في عهد الأفضل ابن بدر الدين الجمالي، لوحًا حجريًا كبيرًا، ذا أشكال عربية بديعة من آثار العهد الفاطمي، تُمثل طيورًا متقابلة فوق أغصان ملتقّة على شكل عربي جميل، وموضع دار الوزارة الكبرى هذا يوجد فيه الآن جامع ببيرس الجاشنكيز، وقد وُجد اللوح الأثري في إحدى طرقات الجامع ووجهه إلى الأرض وهو مطموس.



ثراء اللغة العربية

قال عالم العراق السيد محمود شكري الألوسي في «بلوغ الأرب»: «... وقد سمعت بعض من لا خلاق له من الناس يدّعي أن لغات الإفرنج اليوم أوسع من لغة العرب، بناء على ما حدث فيها من ألفاظ وضعوها لمعان لم

أما ما ذكر من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدث بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الأولين، فهو غير شين على العربية؛ إذ لا يسوغ لواضع اللغة أن يضع أسماء لمسميات غير موجودة، وإنما الشين علينا الآن في أن نستعير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا، على أن أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة، وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطرد من كل فعل ثلاثي، فما الحاجة إلى أن نقول «فَبْرِيقَة» أو «كَرْخَانَة»، ولا نقول «مَعْمَل» أو «مَصْنَع»، أو أن نقول «بِيْمَارِسْتَان» ولا نقول «مَسْتَشْفَى»، أو نقول «دِيْوَان» ولا نقول «مَأْمَر»، أو نقول «إِسْطِرْلَاب» ولا نقول: «منظر»؟

فالجواب: أن هذا الدخيل إنما يُغضَى عنه إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه، أو لم يمكن صوغ مثله، فأما مع وجود هذا الإمكان فالإغضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة، وإلا لزم المستعربين أن ينطقوا بالباء أو الكاف الفارسيّتين، أو أن يقدموا المضاف إليه على المضاف، وهناك وجه آخر في العربية

لصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ العجمية التي اضطررنا إليها، وهو باب النحت.
قال ابن فارس في فقه اللغة: العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو
جنس من الاختصار، وذلك كقولهم: «رجل عبْشَمِيّ»، منسوب إلى اسمين
وهما: «عبد. شمس»، وأنشد الخليل:

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حَبَعَلَة المنادي
من قولهم: «حيّ على كذا»، وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة
أحرف أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد «ضبطر» من «ضبط
وضبر»، وفي قولهم: «صهصلق» أنه من «صَهْل وصلق»، وفي «الصلدم» أنه من
«الصلد والصدم» إلى آخر ما قال، مما يدل على أن اللغة العربية أحسن اللغات
صَيَغًا وأساليب، وأنمها وأكملها نسقًا وتأليفًا، مع تسويغ استعمال النحت عند
اقتضاء الضرورة.

ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد وأسلاك «التلغراف»
و«الغاز» و«البوستة»، ونحو ذلك مما اخترعه الإفرنج؛ لوضعوا له أسماء خاصة
ناصة، فهم على هذا غير ملومين، وإنما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم،
وشاهدنا هذا الأمور بأعيننا، ولم نتنبه لوضع أسماء لها على النسق الذي ألفته
العرب، وهو الاختصار والإيجاز.



باني الهرم

سخر العلمَ لبني آية فوق شط النيل تبذو كالعَلَمِ
هي ذكر خالد، لِكِنَّهُ عابسُ الوجه إذا الذكرُ ابتسم

كلُّ ما فيها على إعجازها أنها قبرٌ لجبارٍ حُطِّمَ
 لِبَنَةِ سَخَّرَ ما في عهده من قُوَى في غير تقدّيس الرَّمَمِ
 من فنونٍ أعجزتْ أطواقنا وعلومٍ عندها الفَهْمُ وَجُمُ
 وَيَنانٍ مبدعاتٍ صَوَّرَتْ أَوْجُهَ العُذْرِ لُعْبَادِ الصَّنَمِ
 أبدعتْ ما أبدعتْ ثم انطوتْ وعلى أسرارِها الدهرُ حَتَمَ

حافظ إبراهيم



أدب في المذهب، لا مذهب في الأدب

كان الأستاذ الكاتب البليغ الشيخ عبد العزيز البشري يطلع على قراء العربية في أيام شهر رمضان الماضي (عام ١٣٤٤) بفصول في مختلف المطالب الأدبية والاجتماعية، ثم عرض له في خلالها أن يستفتي بعض فحول الكتاب في هذا الذي يدعى أدبًا جديدًا، وكان الأستاذ الضليع محمد صادق عنبر، أحد أولئك المسؤولين، فأجابه بالكتاب الآتي:

حضرة الأستاذ الكاتب الألمعي، العَلَمُ الشَيْخُ عبد العزيز البشري، حيّا الله ما حنت عليه أناملك، ما أكرمه على الضاد وما أكرم الضاد عليه، فقد قرأت فيما قرأت من بلاغاتك كلمة أحلت بها سائلًا كريمة على رأي هذا الضعيف، إلى جانب ثلاثة من أعيان البيان الذين يصفهم بعض أصحابنا بأنهم من شيوخ المدرسة القديمة؛ لأنهم هم يُحبون أن يوصفوا أبدًا بأنهم من فتيان المدرسة الجديدة.

وجوابي عما سأل، أني لا أعرف في الأدب مذهبًا جديدًا، وإنما أعرف من صفوة أدبائنا من دعوا إلى نسق يوزن فيه المعنى بمعياره، ويعتبر فيه اللفظ

بمقداره، ويتنزه به الكلام عن الفضول أيًا كان مأثاه، ومردّ ذلك كله إلى الإبداع لا غير؛ فهو لا يبلغ أن يكون مذهبًا في الأدب، وإنما هو أدب في المذهب كما ترى.

ولكن آخرين جهلناهم قراء، فأرادوا أن نعرفهم كتابًا، أولوا هذه الدعوة على نحو ما، فجعلوها عذرًا من جهلهم بالأدب العربي جملة وتفصيلًا، ثم قوي عندهم هذا العذر حتى عاد رأيًا.

وسرعان ما فتنهم ما رأوا، فبصرنا بهم وبين أنامل كل من يخط منهم مثل قرن الوعل، يحاول أن يضرب به في الجبل، ثم ما لبثنا أن سمعنا أن هناك مذهبًا جديدًا، وما هذا المذهب الجديد إلا أن يحيل هؤلاء هذه الفصحى عامية معربة...

لا بل هم يريدون العربية بلا قواعد ثابتة، لينحتوا لها من ملكاتهم قواعد متحركة، ويبغونها عوجًا؛ لأن هذه الملكات لا تستقيم إلا عليه، ويحبون أن تكون على عذبات ألسنتهم، وأسلات أقلامهم، كما تكون لعبة جديدة في أيدي صبية، وقصارى أمرهم أنهم يريدون أن يفصلوا هذه اللغة على قياس آخر من خطرات أقلامهم، وهجسات أحلامهم، ويزعمون على هذا -والمصائب لا تأتي فرادى- أنهم يحررونها من رقها القديم!

فهل ترى ذلك بربك إلا مظهرًا من ضيق الذرع، وإلا فتنا من الذهاب بالنفس؛ وإلا ضربًا من جماح الفكر؟

وإلا فماذا يكون المصير إذا استحدث أهل كل قطر من الدنيا العربية عريّة لهم، وصارت هذه تحت كل أفق مواضعةً واصطلاحًا بين من يظلمهم، ثم انقطع ما بين هؤلاء جميعًا ومن يلونهم؟ إلا أن يكون لنا من كل جبل برج بابل، وأن تجتمع لنا على تنالي العصور عدة أبراج، ومن عجب أمر هؤلاء -وأمرهم عجب

كله- أنهم يحمسون لهذا الرأي وينضحون عنه، كأنما بلغ منه أن ينهض له ويحفل به!

أصحاب مذهب جديد في سياسة اللسان؟ نعم وإن في روسيا لإباحية؛ ولكنها مادية، وهي مذهب جديد أيضًا؛ ولكن في سياسة الاجتماع...

لقد كان في اللغة -منذ انشقت نبعثها عن عربي فصيح وعامي معرب- شيء من مثل هذا، ولكنه لم يكن نزاعًا، بل كان من أحد الجانبين اعترافًا بالعجز، ومن الجانب الآخر اعتزازًا بالقوة، ولا نعرف النقص في شيء، إلا إذا اعتبرت الكمال في شيء آخر.

فلا يحر سائلك الكريم، ولا يذهبن به الوهم إلى أن ثم نزاعًا بين مذهبين، أحدهما قديم والآخر جديد، فما هو نزاع، ولكنها أنات من سطوة الحق على الباطل.

فأما أن يكون للجماعة مذهب، فلا يقول بذلك إلا مَنْ لم ير في حياته موجة ضعيفة تتسحب على الشاطئ لترتد عنه، وهي بعد موجة ضعيفة، وهو أبدًا ذلك الشاطئ.

فلندعهم ينقطعون بإرادتهم من سلك التاريخ الأدبي، وإذا راب سائلك أنهم يكتبون بلغة لا هي عربية ولا هي إفرنجية، فلعل هذه السلالة تذهب بنسبها صُعدًا إلى الأنباط، فلقد كان هؤلاء بين العرب والعجم جنسًا لا يستقل بنفسه، ولا يلتحق بأحد الجنسين!

محمد صادق عنبر



الموازين العربية الدقيقة

من مقال للمسيو ابيه موريه، مدير رصد بوج بفرنسا،

نشرته صحيفة (بتي جورنال) الباريسية

أطال الأستاذ السر فلندرس بتري -عالم الآثار المعروف- فحص مجموعة موازين من الزجاج صنعها العرب في القرن الثامن للميلاد (الثالث الهجري)، فوجد أن فرق الخطأ في وزن الدراهم والدنانير لا يزيد على أربعة أجزاء من ألف جزء من الغرام.

ولم يقرب القرن الثامن من نهايته حتى عظمت دقة العرب في الأوزان، فإن ما عثر عليه الباحثون من أوزان ذلك القرن كان أقصى ما بينها من تفاوت لا يزيد على ثلث جزء من ألف جزء من الغرام، ولم يكن العرب ليستطيعوا أن يبلغوا هذا المبلغ من الدقة في صحة الوزن -على ما يقوله السر فلندرس بتري- إلا باستعمال أدق الموازين الكيماوية، وحفظها في أصلح أماكن الوقاية من تأثير العوارض عليها، كما يفعل أهل الفن في هذا العصر.

وللعلامة الخازن كتاب في الموازين وصف فيه (ميزان الماء) عند العرب وصفاً مفصلاً، وذكر فيه الأجسام الكثيفة مبيّناً كثافتها بما لا يختلف عما هو معروف في العلوم الحاضرة، ومن ذلك أنه قال عن كثافة الرصاص أنها تقدر بـ: ١١,٣٣ والذي توصل إليه العلم الحديث أنها ١١,٣٥ فأنت ترى أن الفرق بين التقديرين لا يكاد يذكر.

ولست أجهل أن بعض المشتغلين بالكيمياء سيقولون: إن ما أثبتته العرب في كتبهم لم يكن نتيجة أبحاث وتجارب، وإنما وصلوا إلى تلك المعارف بطريق

الاتفاق؛ ولكن هذا الزعم لن يثير في نفسي شيئاً من الدهشة، فقد سبقهم على مثل هذا الزعم كثيرون غيرهم، حتى أن أعضاء المجمع العلمي الفرنسي كانوا لا يُصدقون بسقوط الرجوم السماوية، ويعّدون ذلك حديث خرافة!



أقدم الخرائط الرمزية من اليمن

جاء في مجلة المقتطف (٦٩ / ٤٥٩) أن أقدم الخرائط الرمزية: خريطة محفورة على حجر من القرن التاسع قبل المسيح وُجد في بابل، ويظهر من شكلها أنها من جنوب بلاد العرب، مما يدلّ على قِدَم العمران هناك.

وقد ظن الدكتور ويدر أن خريطة الاصطخري -أول جغرافي العربي- التي صنعها في القرن العاشر المسيحي بُنيت عليها، ومن المحتمل أيضًا أن بطليموس بنى خريطته عليها، في إيصاله إفريقية بآسيا عند الأوقيانوس الهندي



حلب الشهباء واليمن

أكلّمَا وقعتْ عيني على بلد روي جفوني منها عارضٌ هَتِنُ
أقمتُ -غير خلّي- في ذري جبل لا الأهل يؤنسني فيه ولا السكنُ



كأنما حلق الآرام ناعسةً والرجس الغضُّ مشغوف به الوسنُ
لم يُضِبْ قلبي من الحاظها حورٌ ولا سيأتي منها منظرٌ حسنُ



كم وقفة لي بين الروض، أمطرها دمعي، وأنشد قومي أبةً ظعنوا
بكيت فيها حياةً كلها نصبٌ قضى بها لي دهرٌ كله إحنٌ



بالله يا نسيمات الروض هل بعثت فيك الشذا شامي الفحاء أم عدن؟
هيّجت وجدّ فتى لم يذمّ عبرته منذ الطفولة إلا أنتِ والوطنُ
متى أرى الوطن المحبوبَ تمنعه هضمَ العدى: حلبُ الشهباء واليمنُ

الحوماني



الرضا والزهد

روي عنه عليه السلام، ما معناه أو كما قال: «إن الله بحكمته جعل الرّوح والفرح في الرضا واليقين، والهَمّ والحزن في الشك والسخط»^(١).

وقال بعضهم: الراضي من لم يندم على فائت من الدنيا، ولم يتأسف عليها. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء». وروي عنه عليه السلام، لابن عباس حين أوصاه ما معناه -أو كما قال-: «اعمل لله باليقين في الرضا، فإن لم يكن فإن في الصبر خيرًا كثيرًا»^(٢).

وفي الخبر أيضًا، ما معناه: «من خير ما أعطي الرجل الرضا بما قسم له»^(٣).

(١) ضعيف الترغيب والترهيب؛ للألباني (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٣٠٣) بسند ضعيف، بلفظ: «فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر؛ فإن في الصبر على ما تكرهه خيرًا كثيرًا».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥) بلفظ: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»، وحسنه الألباني.

وسئل الشبلي عن الزهد، وعن حقيقته، فقال: «الزهد غفلة؛ لأن الدنيا لا شيء، والزهد في لا شيء غفلة».



محمود شكري الألوسي أمثلة من زهده وأخلاقه

من كتاب أعلام العراق للأثري

قال الأب أنستاس ماري الكرملّي يصف زهد عالم العراق السيد محمود شكري الألوسي رحمته الله: رأيته -بعد الاحتلال- يلبس حذاءً من أحذية جنود الإنكليز، وكانت تباع رخيصة، فقلت له:

يا مولاي، أراك تلبس في رجلك ما لم يرذ أن يلبسه جنود الإنكليز أنفسهم، لضخامة هذه الأحذية، وشكلها الدميم، وللجلبة التي تحدثها إذا ما سار بها المرء.

قال: إني أقنع، بما بين يدي يقع. ولم يزد على هذا القدر.



وكان وصل على حالة قاصية من الحاجة إلى المال في عهد الاحتلال؛ لأن الأتراك كانوا قد أفقرُوا البلاد والعباد؛ فلما عرف ذلك المعتمد السامي (برسي كوكس) أهدها ثلثمائة دينار ذهباً إنكليزياً، وكلفني بتقديمها إليه، فلما أتيت بها رفض قبولها بتاتاً، وقال: خير لي أن أموت جوعاً من أن آخذ ما لا لم أتعب في كسبه.

فألححت عليه إلحاحًا مملًا مزعجًا، فأبى، وقال: لا تُكثر من إلحاحك لئلا أطرّدك من بيتي طردًا لا عودةَ إليه.



إلا أن فاقته كانت وقرًا عليّ وعلى محبيه، وطلب إليّ بعض الأصدقاء أن أجد له منصبًا يثري منه، فتكلّمت مع أولي الأمر، وتمكنت من أن يُعيّن قاضيَ قضاة المسلمين في العراق، فلما وقف على تنصيبه أبى، وقال لي: إن هذا المقام يستلزم علمًا زاخرًا، وذمةً لا غبار عليها، ووقوفًا تامًا على الفقه، وأنا لا أشعر بذلك، ووجداني يحكم عليّ بأنني غير متصف بالصفات المطلوبة لمن يكون قاضي قضاة المسلمين.

والخلاصة: كان الرجل آية في التواضع والفقر، كما كان آية في العلم والدين، وعاش مع ذلك سعيدًا، بل أسعد الناس؛ لأنه لم يكن يحتاج إلى أحد.

قلت: وقد وقع مثل ذلك للشيخ طاهر الجزائري مع خديو مصر عباس حلمي الثاني، وسأقصُ قصته على قراء (الحديقة) فيما بعد.

محب الدين الخطيب



روح الألوسي

الا في سبيل الله روح الذي قضى	كريمًا وأفتى أنفُسَ العمر هاديا
نعم البرقُ للأقوام علما وحكمة	وللدين مشحوذُ الغرارين ماضيا
غدا الزهدُ في أسماله وهو زائل	وراح بمنسوج المحامد باقيا

تعرّضت الدنيا له مستميلةً فآثر أخراه وأعرض نائبا
وقال لمعطيه الدنانير: عُدْ بها لصاحبها، إذ عزة النفس ماليا
هجرتك إن لم تُرجع المال هجرة بها لا ترى بيتي (أَنْتَاسُ) ثانيا
لأحوجُ للدينار مني مفيدة إذا كان بالدينار يرمي المراميا



فهل لرجال الدين يحذون حذوه لكيفا يصونوا أوجهًا ونواصيا
أرى الدين بالأخلاق قام عموده وليس سوى الأخلاق للدين واقيا
فلا دينَ للمرء الذي ساء خلقه ولم يحمدوا منه التقى والمساويا
عزّ الدين علّم الدين



الألوسي والمنفلوطي

الليل بعد الراحليّن طويلُ أو ما لصبغك يا ظلام نصولُ
يطوي الزمانُ النابغين فتنتوي لذهابهم أمم، ويهلك جيلُ
ولرب نعشٍ غاب في طبيّاته فتح أغر وموطن وقبيلُ
والناس أسياف: فمنها مغمّد صدئ، ومنها الصارم المسلولُ
في كل يوم للجزيرة كوكب يهوي، وسيف يعتربه فلولُ
قبرٌ بعاصمة الرشيد، وآخر في مصر حقّ ستوره التّجيلُ
بدران قد بكر الأفول عليهما ولكل بدر طالعة وأفولُ
ومشيعان إلى القبور بموكب يرتدّ عنه الطرف وهو كليلُ
فيه رجيل من ملائكة العلا ومن الجدود الأكرمين رجيلُ

عيسى وأحمد والكليم عصابة فيها الأمين المنتقى جبريلُ
 ما للجزيرة؟ أين نور نبوغها؟ الزيتُ جفّ وأطفئ القنديلُ
 بغداد شاكية ومصر مرّة والشام حاسرة القناع ثكوُّ
 تلك الأقاليم الثلاثة واحد: برّدى، وشاطئ دجلة، والنيلُ
 لا تنكروا حقّ الحياة لأمة فيها النبوغ على الحياة دليلُ
 لم تخبْ أنوار النبوغ وإنما مرعى النوابع في البلاد وبيلُ
 ما قلّ فينا النابغون وإنما عدد الألى قدره النبوغ قليلُ

بدوي الجبل



حِكْم

- * ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمره العلم العمل الصالح.
- * حفظ الصحة أيسر من علاج العلة.
- * أوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء.
- * من الناس من إذا ولي عزله نفسه، ومنهم من إذا عزله ولاه فضله.
- * الدنيا كالحية: لئن لمسها، قاتل سمها.
- * طوبى لمن كان بصره في قلبه، والويل لمن كان قلبه في بصره.
- * الحب الذي تغسله العيون بدموعها يظل أبداً طاهراً وجميلاً.
- * حياتنا أحلام تنتهي برقاد الموت.



التضحية

تحليل فلسفي للتضحية ونتائجها

للدكتور عبد العزيز بك أحمد

ناظر مدرسة الهندسة الملكية بالقاهرة

اطلعتُ أخيراً في إحدى الجرائد العربية على خبر مؤداه أنه قد عُمِلت تجارب علمية على بعض النباتات والأحياء الدنيا، بأن وُضعت في ماء رُفعت حرارته تدريجياً، فلما وصلت الحرارة إلى درجة معينة انبعث منه تيار كهرباء، وانتشر في ذلك الماء، وفي الوقت عينه ماتت جرثومة الحياة فيه.

لم يصل إلى علمي للآن بيانات تفصيلية عن هذه التجارب، ولا أريد أن أستنتج منها أن هناك علاقة بين الكهرباء وأصل الحياة، فنحن وإن عرفنا الشيء الكثير عن الكهرباء، فإن معلوماتنا عن سر الحياة لا تزال ناقصة، ولم يقم للآن ما يثبت إمكان تولد الأحياء من غير الأحياء ولكن التجارب المذكورة على إجمالها تعزز فكرة كانت قائمة في ذهني من زمن - وإن كنت لا أتذكر أصلها أو مصدرها-، وهي أن الروح لا تفنى من الوجود؛ ولكنها تتحول من حال إلى حال طبقاً لقانون طبيعي عام، وهو قانون «خلود الجهد» الذي نشرحه فيما يلي:

يقرر هذا القانون أن الجهد لا يفنى من الوجود؛ بل يتحول من نوع إلى آخر، فإذا اختفى في الظاهر نوع من الجهد، فلا بد أن يظهر في شكل آخر من أشكاله المختلفة.

لا نعرف حقيقة الجهد بالضبط، ولذلك التجأ الطبيعيون إلى تعريفه بفعله ونتائجه، فيقولون إنه المقدرة على العمل، وهو يظهر في أشكال مختلفة؛ كالحرارة، والكهرباء، والضوء، والجهد الكيماوي، وجهد الحركة.

ويمكن تحويل هذه الأنواع بعضها إلى بعض، ولنضرب لهذا مثلاً، حرارة الشمس تقع على الأرض فتمتصها الأشجار، فتستحيل فيها إلى جهد كيماوي، ثم يأتي زلزال فيدك الأشجار إلى باطن الأرض، فتتغير بالضغط ويمرور الأجيال إلى فحم.

فإذا احترق الفحم في مرجل آلة بخارية متصلة بمولّد كهربائي، تحولت حرارته إلى حركة ثم إلى كهرباء تضاء بها الأنوار وتدار الآلات.

ففي هذا المثل انتقل في الجهد سلسلة من التحولات من حرارة الشمس، إلى الجهد الكيماوي المكنون في الفحم، فإلى الحرارة ثانياً حالة مركزة، ثم إلى جهد الحركة، فإلى الكهرباء، فإلى الضوء، أو الحركة ثانياً، وهو هو الجهد الأصلي بعينه امتصه النبات في المبدأ من حرارة الشمس في الأزمان الغابرة.

كذلك الروح التي تفتنى في الظاهر في خدمة أمة أو جماعة، لا تنعدم من الوجود، وإنما تتحول إلى حياة أوسع نطاقاً متى خرجت من الجسد الضيق المحدود، وتنتشر في جسم تلك الأمة أو الجماعة، فتزيدها حياة ونشاطاً.

إن التاريخ حافل بالأمثلة التي تبين أن نهضات الأمم وحياتها لا تقوم إلا على التضحيات التي يبذلها أبنائها في خدمتها، وفي رفعة شأنها -صغيرة كانت أو كبيرة-، فهي قوتها وغذاؤها، وكأنما كل نفس تفتنى «باختيارها» في سبيل المنفعة العامة، فتبعث حياة جديدة، فيما فئيت لأجله، وكل ما يضحيه الفرد من حياته، ويكرسه من وقته في خدمته، يذهب لبناء كيانها ومجدها، وعلى قدر قيمة التضحية وعظمتها تكون النتيجة في حياة الأمة وسعادتها، وليس أدل على مجد أمة من معرفة عدد الضحايا التي بذلها أبنائها في سبيل رقيها ومجدها.

إن التاريخ عظمة الأمم ليس مسطوراً على الصخور في المعابد، والكهوف، ولا على أوراق البردي، وصفحات الأسفار؛ بل هو منقوش على

هامات الأجساد التي تبذل في خدمتها، فمن اختراع جم الفوائد أفنى فيه صاحبه حياته كلها أو جلها، إلى نظرية علمية أنارت الأفكار، وبددت الأوهام، إلى مبدأ اجتماعي أو ديني استشهد صاحبه في سبيل نصرته، إلى عمل أو دفاع وطني لقي القائم به حتفه في تنفيذه، إلى قصيدة بالغة مؤثرة ذابت في إنشائها مهجة ناظمها.

إن القطعة الموسيقية البارة تبدو لنا غريبة لأول وهلة، ثم تألفها آذاننا كلما كثر سماعنا لها، فتزداد شغفًا بها^(١)، وقد سمعت تاغور شاعر الهند يقول: إن الذي يُطربنا من الموسيقى ليس تلاؤم نغماتها، بل ما نفخ فيها واضعها الأصلي من روحه، وكلما ازداد سماعنا لها اشتدت الألفة بين روحه وأرواحنا.

وعلى هذا النحو تتخذ التضحية أشكالًا مختلفة الوجوه والغايات، فتذهب جميعها لبناء حضارة الأمم بما تبث فيها من يقظة ورفعة.

ألم يكن في موت مصطفى كامل حياة لمصر، وفي جهاد زغلول ورفقائه تحرير لها، وأخيرًا، وليس آخرها، ألم تبعث في هذه الأمة أرواح شهداء الحرية -الطلبة الأبرار- روحًا وطنية جديدة.

لقد كتب هؤلاء -جميعهم- في تاريخ مصر الحديث صحيفة مجيدة خالدة تفاخر بها كل الأمم، وتلقاها دروسًا على أبنائنا وأحفادنا، فتدفعنا جميعًا إلى العمل بإخلاص وإنكار الذات، وتأدية الواجب مهما أحاط به من الصعوبات والتضحيات.



(١) الموسيقى محرمة، ولا خير فيها، وهي تصد عن ذكر الله، فليُتره المسلم الموفق سمعه عنها. (س).

الرُّشد

قال عبد الله بن المعتز العباسي:

أخذت من شبابي الأيام وتولى الصُّبا عليه السلام
وارعوى باطلاي وبان حديث الدفس مني وعفت الأحلام



صبا نجد

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
إن هتفت ورقاء في رونق الضحى
بكيث كما يبكي الوليد صبا
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
بكل تداوننا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار ليس بنافع
فقد زادني مسراك وجدا علي وجد
على غصن غصّ النبات من الرند
وذبت من الحزن المبرح والجهد
يمل وأن التأني يشفي من الوجد
على أن قرب الدار خير من البعد
إذا كان من تهواه ليس بذئ ود

يزيد بن الطثريّة



أم الخير ابنة الحريش

نقل عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي: أن معاوية رضي الله عنه كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير ابنة الحريش، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا، وبالشر شرا، بقولها فيه.

فلما ورد عليه كتابه، ركب إليها فأقرأها كتابه.

فقالت: وأما أنا فغير زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدري.

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير، إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه مجازيني بالخير خيراً، وبالشر شراً، فما عندك؟

قالت: يا هذا، لا يطمعك برك بي أن أسرك بباطل، ولا يسوؤك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير، حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه.

فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

قال لها: وعليك السلام يا أم الخير، بحق ما دعوتني بهذا الاسم؟

قالت: يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب.

قال: صدقت. فكيف حالك يا خالة، وكيف كنت في مسيرك؟

قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أنيق، عند ملك رفيق.

قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم.

قالت: يا أمير المؤمنين، يعيدك الله من دحض المقال وما تُخشى عاقبته؟

قال: ليس هذا أردنا. أخبريني كيف كان كلامك إذ قُتل عمار بن ياسر؟

قالت: لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدثك مقالا غير ذلك فعلت.

فالتفت معاوية إلى جلسائه، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟

فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعضه يا أمير المؤمنين.

قال: هات.

قال: كآني بها بين بُردين كثيفي النسيج، وهي على جمل أرمك، ويدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالफल يهدر في شقشقته، تقول: يا أيها الناس، اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم. إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدلهمة، فأين تريدون رحمكم الله؟ أفرارًا من أمير المؤمنين، أم فرارًا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادًا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل شأنه يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.

ثم رفعت رأسها إلى السماء، وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وييدك يا رب أزمة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والرضي التقي، والصديق الأكبر، إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، ذنبها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس.

ثم قالت: ﴿فَقَاتِلُوا أَيِّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَنَ لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾. صبرًا يا معاصر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، فكأنني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة، فرت من قسورة، لا تدري أيًا يُسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وعما قليل ليصبحن نادمين، حين تحيل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة، ولات حين مناص، إن من ضل والله عن الحق وقع في الباطل، ألا إن أولياء الله تصفروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها.

فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق، وتُعطل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأبي سبطيه، خُلق من طينته، وتفرّع من نبعته، وجعله باب دينه، وأبان ببغضه المنافقين؟ وهاهو ذا مفلق الهمام، ومكسر الأصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خير، وفرّق به جمع أهوائهم، فبالها من وقائع زرعت في القلوب نفاقاً، وردّة وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً، قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتك ما خرجت في ذلك.

قالت: والله ما يسوؤني أن يجري قتلي على يد من يُسعدني الله بشقائقه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول. ما تقولين في عثمان بن عفان ؓ؟

قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون؛ وقتلوه وهم له كارهون^(١).

قال معاوية: يا أم الخير ثناؤك الذي تشين؟

قالت: لكن -والله يشهد وكفى بالله شهيداً- ما أردت بعثمان نقصاً، وقد كان سابقاً إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غداً.

قال: وما تقولين في الزبير؟

(١) هذا من الكذب؛ لأن الذين كرهوه ثم قتلوه ﷺ هم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن». «منهاج السنة» (٤/ ٣٢٣). وانظر للمزيد: «فتنة مقتل عثمان بن عفان ؓ وموقف الصحابة منها»؛ للدكتور علي الصلابي.

قالت: وما أقول في ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية -فإن قريشًا تحدثت أنك أحلمها- أن تعافيني من هذه المسائل، وتسألني عما شئت في غيرها.

قال: نعم ونعمة عين، قد أعفيتك منها.

ثم أمر لها بجائزة رفيعة، وردّها مكرمة إلى الكوفة، وبقيت في عزّ إلى أن توفّاها الله.



قلت: وفي هذه القصة من عبر التاريخ ما يجدر بشبابنا أن يطيلوا التأمل فيه، ويتخذوه درسًا في التربية السياسية.

انظر إلى أم الخير يوم كانت الحرب قائمة بين زعمي الأمة، كيف وقفت حياتها، وصرفت بلاغتها لتأييد الفريق الذي كانت تؤمن بأنّ الحق في جانبه، حتى إذا انقضت تلك المواقف، وعاد السيف إلى قِرابه، واستتب الأمر للفريق الذي لم تكن في جانبه، فانضوت البلاد تحت لوائه، وسارت جيوشه في البر، وأساطيله في البحر؛ لتوسيع دائرة ذلك المُلْك، وحمل الدعوة الإسلامية إلى أمم الشرق والغرب، أدركت أم الخير بفطرتها الطاهرة أن لها في هذه الحالة الجديدة موقفًا غير ذلك الموقف القديم، فأطلقت على معاوية في حضرة والي الكوفة لقب «أمير المؤمنين»، وأعلنت أنها غير زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب. ولما صارت بين يدي صاحب (الدار الخضراء) في دمشق^(١)، كان أول ما خاطبته به قولها:

(١) الدار الخضراء: قصر الخلافة بدمشق، وكانت متصلة بالجدار القبلي من مسجد بني أمية في مكان الصاغة والقباقية وحارة النقاشات الآن، وفي بقعة منها توجد اليوم (المصبغة الخضراء).

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم لما راجعها معاوية في ذلك، قالت: لكلّ أجلٍ كتاب.

ولا يحسبن القارئ أن موقفها في الكوفة وفي دمشق من مواقف المَلَق أو الرياء، فأُمّ الخير أكبر من ذلك، وكانت -وهي في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه- آلت على نفسها أن تضحي بحياتها في سبيله، وخطبتها في هذه أكبر شاهد، بل أكبر من ذلك شاهدًا أن معاوية لما أراد أن يداعبها بالذكريات الماضية ويكشف عما في نفسها من ذلك، كانت صريحة في أنها لا تزال هي هي لم تتغير، ولكن لما تغير الموقف وصار الأمر لصاحب (الدار الخضراء)، يتولى تسيير الجحافل من عاصمة الشام، وتجهيز الأساطيل من سواحلها، لإعلاء كلمة الله وتنوير الأرض بنور الهداية الإسلامية، وتوسيع رقعة الدولة العربية، أدركت أم الخير بفطرتها وفطنتها أن زمن الفرقة قد انقضى بما له من نتائج، مهما كانت، وأن على المرء المسلم، والمرأة المسلمة أن يكون كلُّ منهما جنديًا بيد القائم بإمارة المؤمنين، يصرفه للمصلحة العامة كيف يشاء، لذلك هي آلت على نفسها ألا تكون زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب.

تلك هي الروح التي بثها «دينُ التوحيد» في أجساد رجال تلك الأمة ونسائها، فكانوا إذا رأوا «الوحدة» في اليوم الأبيض، كان الواحد منهم صخرة في بنائها، وإذا وقعت الفرقة في اليوم الأسود، التحق بعضهم بالجانب الذي يعتقد أن فيه الحق، بعد استفاد الجهد في السعي لإصلاح ذات البين، وآثر البعض الآخر أن يعتزل الفتنة، وأن يعتصم منها ولو بشناخيب الجبال.

محب الدين الخطيب



الزبير بن العوام ابن عمّة رسول الله ﷺ

أقام على عهد النبي وهديه	حوارته والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يوالي وليّ الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي	يصول إذا ما كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	بأبيض سبّاقٍ إلى الموت يرفل
وإن امرءًا كانت صفيّة أمه	ومن أسدٍ في بيتها لمرفل
له من رسول الله قرابة	ومن نصرة الإسلام مجدّ موثل
فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يعطي فيجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله	وليس يكون - الدهر - ما دام يذبل

حسان بن ثابت



□ تعليقات على شعر حسان □

١- روي عن جابر قال: قال النبي ﷺ يوم بني قريظة: «من يأتيني بخبر القوم؟» فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «إن لكلّ نبي حوارياً، وحواري الزبير»^(١).

وروي الحاكم^(٢)، من طريق عاصم، عن زر، قال: قيل لعلي: إنّ قاتل الزبير

(١) أخرجه البخاري (٤١١٣).

(٢) في المستدرک (٥٥٧٩).

بالباب. قال: «لیدخل قاتل ابن صفية النار. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي حوارياً، وإن حواريني الزبير»».

٢- قال عروة: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، كنت أدخل أصابعي فيها: ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك.

وكانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فقال النبي ﷺ: «إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير»^(١).

٣- أم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية عمة رسول الله ﷺ، وشقيقة حمزة، أمها هالة بنت وهب خالة النبي ﷺ.

وزوجها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فالزبير من أسد في بيتها وعمود نسبها.

وكانت صفية تحسن تأديب ابنها الزبير في صغره، وتغلظ عليه، فعاتبها عمه نوفل بن خويلد، وقال لها:

إنك لتضربينه ضرب مبغضة؟

فزجرت به صفية وقالت:

من قال إني أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكي يلب

ويهزم الجيش ويأتي بالسلب ولا يكن لماله خبأ مخب

بأكل ما في البيت من تمر وحب

أي: أنها تريد أن تجعله ليياً حكيماً شجاعاً، ذا رُجولة ومروءة، ولا تريد أن يكون قعيد بيته كالمرأة، فيأكل ما في البيت من مثونة حصلها غيره.

(١) الطبراني في الكبير - بنحوه - (٢٣٠).

ومن مناقبها العجيبة أن النبي ﷺ لما جعل نساءه يوم حرب الخندق مع حسان بن ثابت في أطمه الذي يُقال له (فارغ) - وكان حسان رجلَ شعر، لا رجل حرب-، جاء رجل من اليهود فرقى الأطم حتى أطلَّ على نساء النبي ﷺ، فقالت صفية لحسان: قم فاقتله.

فهاب حسان الأمر، وقال: لو كان ذلك فيَّ لكنت مع رسول الله ﷺ. فقامت صفية؛ فأخذت عمودًا فضربت به اليهودي حتى قتلتها، ثم طرحته على قومه، وهم أسفل الأطم، فقالوا: قد علمنا أن محمدًا لم يكن ليترك أهله خلواً ليس معهم أحد، ففرّقوا عن ذلك الموضع^(١).

وصفية أول امرأة مسلمة قتلت رجلًا من محاربي الدعوة الإسلامية. ولما انهزم المسلمون في يوم أحد، جاءت صفية ويدها رمح تضرب في وجوه المنهزمين، فنادى النبي ﷺ: «يا زبير، المرأة...»^(٢). ومن شعرها ترثي النبي ﷺ:

إن يومًا أتى عليك ليومٌ كوّرت شمسُه، وكان مضينا
٤- أسلم الزبير وله اثنتا عشرة سنة، وكان عمه يلفه في حصير، ويُدخن عليه ليرجع إلى الكفر، فيقول: لا أكفر أبدًا.

والزبير أول رجل سلَّ سيفًا في الإسلام، فقد شاع في مكة -والدعوة

(١) الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٨/ ٤١)، بسند منقطع. وهي قصة مكذوبة، فيها قدحٌ بصحابي جليل كحسان بن ثابت رضي الله عنه. انظر لنقدها تفصيلًا: كتابي «حسان بن ثابت لم يكن جبانًا». (س).

(٢) الطبراني في الكبير - بنحوه - (٢٣٠).

الإسلامية في بدايتها - أن النبي ﷺ قُتل فخرج الزبير متجرّدًا بالسيف صلّتا يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة.

ومناقب رجال ذلك العهد ونسائه أعظم من أن تُحصى.



حِكَم

- * خير الغنى القنوع.
- * خير المال ما نفع.
- * خير من الخير فاعله.
- * خير الناس من فرح للناس بالخير.
- * خير الوعظ ما ردع.
- * لا خير في السرف. ولا سرف في الخير.
- * الأدب مال واستعماله كمال.
- * أول الغضب جنون وآخره دم.



طلب المعالي

يُنسب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام :
 قاتلُ فإنك لو تكون بدومة في رأس قلة حصنها لم تخلدِ
 واجرؤ على الجلي تكن من أهلها يومًا وأذكِ سناءها لا تخمدِ

الدنيا

يقول القاهر بالله أبو منصور الخليفة العباسي:

كلُّ صفو إلى كدز كل أمر إلى حذر
أين من كان قبلنا؟ ذهب الشخص والأثر



العصفور

ساكن الأغصان غرد للمنى شعراً وعن
صوتك الصداخ سخر يطرد الأحزان عني



أنت لا تخشى هموماً أنت تحيا في اجتهاد
تبصر الدنيا نعيماً لم يُنقَضْ بحداد



كلُّ ما فيها جميل طالما لم تلق أسرا
كل ما تهوى خليل صادق لا مُلك كسرى



أنت عنوان المعالي أنت رمز للوفاء
بالوجود الحر غالي بالتسامي والإباء



تُنْفِق العُمُر مُجداً دون أن تنسى القناعة

لا ترى عَمًّا وَجَدًّا رُكْنَ مَجْدٍ أَوْ بَرَاعَةِ



سَاكِنَ الْأَغْصَانِ غَرْدَ صَفْوٍ مَا يَهْوَى الرِّبْعِ
أَعْطَنِي دَرْسًا شَهِيًّا يُنْعِشُ الْقَلْبَ السَّمِيعِ

أبو شادي



سبيل الحياة

قال مروان بن الحكم:

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا
وينقص منا كل يوم وليلة ولا بد أن نلقى من الأمر ما لقوا



الشيب

قال المستنجد بالله الخليفة العباسي:

عَيَّرْتَنِي بِالشَّيْبِ وَهُوَ وَقَارُ لَيْتَهَا عَيَّرْتَ بِمَا هُوَ عَارُ
إِنْ تَكُنْ شَابَتِ الذَّوَائِبُ مِنِّي فَالْجِبَالُ تَزِينُهَا الْأَقْمَارُ



**ثورة معرة النعمان
سنة ٤١٧هـ، وحضور أمير حلب
للتنكيل بأهلها ثم رجوعه بشفاعة أبي العلاء**

أورد العلامة المحقق الأستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي في كتابه «أبو العلاء وما إليه» (ص ٢٣٨ - ٢٤٠) خبر هذه الثورة، نقلًا عن أبي غالب بن مهذب المعري، والقفطني، والذهبي، فاقتبسناها فيما يلي من مجموع هذه الروايات التي يُكمل بعضها بعضًا:

في سنة ٤١٧هـ، صاحت امرأة حامل يوم الجمعة في جامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور^(١) أراد أن يغتصبها نفسها، فنفر كل من في الجامع، وهدموا الماخور؛ وأخذوا خشبة ونهبوه.

وكان أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب في نواحي صَيْدَا، فوصل إلى المعرة، واعتقل من أعيانها سبعين رجلًا، وذلك برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ النصراني، الذي أوهمه أنَّ في ذلك إقامةً للهيبة، وقطع تادرسُ عليهم ألفَ دينار.

ولما نزل صالح بن مرداس على معرة النعمان مُحاصرًا لها، ونصب عليها المناجيق، واشتدَّ في الحصار لأهلها، جاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء - لعجزهم عن مقاومة الأمير لأنه جاءهم بما لا قِبَلَ لهم به- وسألوا أبا العلاء تلافي الأمر، بالخروج إليه بنفسه، وتدير الأمر برأيه: إمَّا بأموال يبذلونها أو

(١) مجمع الفساق والخمارين، معرَّب مي خور فارسية، بمعنى شارب الخمر، وقيل: عربية؛ لتردد الناس به، من مخر السفينة، كما قاله ثعلب، وجمعه مواخير ومواخر.

طاعة يعطونها، فخرج ويده في يد قائده، وفتح له باباً من أبواب معرة النعمان، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل، فقال صالح:

هو أبو العلاء، فجيئوني به.

فلما مثل بين يديه، سلم عليه، ثم قال:

«مولانا السيد الأجل، أسد الدولة ومقدمها، وناصحها، كالنهار المانع اشتد هجيرُهُ، وطاب أبرأه، وكالسيف القاطع؛ لأن صفحهُ وخشَنَ حَداهُ، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾».

فقال صالح: لا تثريب عليكم اليوم، قد وهبتُ لك المعرة وأهلها.

ثم قال لأبي العلاء: أنشدنا شيئاً من شعرك لنرويه.

فأنشده بديهاً أبياتاً فيه.

ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قُطع عليهم، وإلا كان قد سأل فيه.

وأمر صالح بن مرداس بتقويض الخيام، فنقضت ورحل. ورجع أبو العلاء وهو يقول^(١):

نَجَى المعرة من برائن صالح رَبُّ يُعَافِي كُلَّ دَاءٍ مُغْضَلٍ

ما كان لي فيها جَنَاحٌ بَعُوضَةٌ اللَّهُ أَلْحَفَهُمْ جَنَاحَ تَفْضُلٍ

ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعراً، وهو^(٢):

تَغَيَّبْتُ فِي مَنْزِلِي بُرْهَةً سَتِيرَ الْعَيُونِ فَقِيدَ الْحَسَدِ

(١) البيتان في لزوم ما لا يلزم (٢/ ٣-٢) وقبلهما):

أَلَيْتَ أَرْغَبَ فِي قَمِيصٍ مَمُوءٍ فَأَكُونُ شَارِبَ حَنْظَلٍ مِنْ حَنْظَلٍ

والحنظل الماء المجتمع في نقر الصخور.

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢٤١: ١ .

فلما مضى العمر إلّا الأقل وحُمّ لروحي فراقُ الجسد
بُعِثْتُ شَفِيعًا إِلَى صَالِح وذاك من القوم رأيٌ فَسَدُ
فَيَسْمَعُ مِنِّي سَجْعَ الْحَمَام وأسمع منه زئيرَ الأسد
فلا يُعْجِبُنِي هَذَا النِّفَاق فكم نَفَقْتُ مِخْنَةَ مَا كَسَدُ

وذكر أبو العلاء هذه القصة في لزومه فقال:

أنت جامعُ يومِ العُروبةِ جامعًا تَقْصُ عَلَى الشُّهَادِ بِالمَصْرِ أَمْرَهَا
فإن لم يقوموا ناصرين لصوتها لَخِلْتُ سماءَ اللَّهِ تُمِطِرُ جَمْرَهَا
فَهَدَّوْا بِنَاءَ كَانَ يَأْوِي فِئَاءَهُ فَوَاجِرُ أَلْقَتْ لِلْفَوَاحِشِ حُمْرَهَا
وزامرةٌ ليست من الرُّبْدِ خَضِبَتْ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا تَنْفُقُ زَمْرَهَا
أَلِفْنَا بِلَادَ الشَّامِ إلفَ وِلَادَةٍ نُلَاقِي بِهَا سُودَ الْخُطُوبِ وَحُمْرَهَا
فَطُورًا نُدَارِي مِنْ سُبَيْعَةٍ لَيْثَهَا وَحِينًا نُصَادِي مِنْ رَبِيعَةٍ نُمْرَهَا



وَدِدْتُ بِأَنِّي فِي عَمَايَةِ فَارِدٍ تُعَاشِرُنِي الْأَزْدَى فَأُكْرَهُ قَمْرَهَا
فَإِنِّي أَرَى الْآفَاقَ دَانَتْ لظَالِمٍ يَغُرُّ بِغَايَاها وَيَشْرَبُ خَمْرَهَا
ولولا أصول في الجياد كوامنٌ لَمَا آبَتِ الْفَرَسَانُ تُخَمِّدُ ضَمْرَهَا
ولعل البيتين الأخيرين ينظران إلى تادرس الوزير، فإنه لم يَهْجُ صَالِحًا.

ولمَّا رَدَّهُ صَالِحٌ بِالْإِكْرَامِ، وَإِنْجَاحِ الْمَرَامِ، لَهَجَ بِهِ فِي شَعْرِهِ، فَقَالَ فِي لَزُومِ مَا لَا يَلْزَمُ:

مَا لَمْ تُ فِي أَفْعَالِهِ صَالِحًا بَلْ خِلْتُهُ أَحْسَنَ مِنِّي ضَمِيرُ
يَا قَوْمٍ لَوْ كُنْتُ أَمِيرًا لَكُمْ ذَمَمْتُمْ فِي الْغَيْبِ ذَاكَ الْأَمِيرُ
وإنما سائسكم دائبٌ يرعى المطايا ويسوق الحميرُ



أنا ونفسي

لمصطفى صادق الرافعي

اغنتُ نفسي حتى مضَّها السَّأْمُ
قالت تُحاوِرُنِي: يا ويحَ قلبِكَ مِن
أذابَ أكثرَه إبداعُ أيسرِه
مقبِذٌ في وثاقٍ من خلائقِه
يُنْاشِذُ المثلَ الأعلى وفيه إلى الِ
يا مُفنيَ العمر في التفتيشِ عن حُلُمٍ
ما لذَّةُ العيشِ إمَّا كنتَ مقتسماً
دأباً تظلُّ سجيناً لا انطلاقَ لَهُ
إن الصبِّيَّ صبِّيَّ في طبائعه
والقيدُ قيدٌ وإن قالوا اسمه خلُقُ
كم لفظُهُ في لغاتِ الناسِ مجرمةٌ
ففي القبورِ لسفَّاكي الدما رِمَمٌ
موتى كموتى فلا زادوا ولا نقصوا
واثنانِ لصَّانٍ في الأموالِ قد رتعا
فقلت للنفسِ نأساءَ وتعزيةً



يا نفسُ ويحك ما في السهمِ من قمٍ
من كان في نفسه أرضاً مُوطَّاةً
ومن تكن نفسه بحرًا - تُرَجِرْجُهُ
وإنما شخمتُ في طودها القِمَمُ
تَطَّأُهُ من كل شيءِ حوله قَدَمُ
أموأجُهُ - لم يزل يذوي ويلتطمُ

ومن يكن طامي البركان منفجرًا
 الخُلُقُ ما الخُلُقُ إلا ما ينوعه
 منهم زجاج ومنهم جندلٌ عسير
 حالٌ ثلاثم حالًا في مناسبة
 إن لم يكن عندهم لوحُ الوجود فما
 هي الرواية أحداثٌ يجيء بها
 وكل لفظ لمعناه، فإن تكُ لا
 يا خيرة العقل هل للظلمة انبثقت
 والخير والشر أي اثنيهما هو من
 هل الألى حُرِّموا إلَّا بمن رُزقوا
 يجني على الشاء نابُ الذئب ويحك أم
 لم يُخلَقِ الناسُ إلَّا خَلَقَ مُشكلة
 لكانت الأرض لا هم ولا تعب
 مما وُلدت رضيعًا وانتشأت فتى
 فما الذي أنت راضيه فحامده
 هم الحياة كمثل الجمرة اضطربت
 يا نفس ويحك أرضي الجِدَّ منك فتى
 لا تعرضي لي لذاتِ الهوى أبدًا
 كاس المدامة في بعض الخطاب فم
 ما لذتي أنا إلَّا أن أكون فتى
 كأنه صفحة منشورة قرأت
 سلِّم وحرب له في سلمها عظم

فَوَارُهُ طاش منه الجمر والحُمُ
 في الناس من دهرهم ما شاءت الحكَمُ
 فحاطمٌ - في تلاقبهم - ومنحطمٌ
 والضد ليس بغير الضد يلتئم
 عساك تحسبهم في اللوح قد رسموا
 ممثلوها على ما صوّر القلمُ
 تجري المعاني فلن تجري بها الكلمُ
 أنوارها أم على أنوارها الظلمُ
 خير وأيهما الشرُّ الذي زعموا
 أم الألى رُزقوا إلَّا بمن حُرِّموا
 تجني على الذئب من لُحْمَانِهَا الفَنَمُ؟
 بما به افترقوا تلقاهم انتظموا
 لو أصبح العمر لا موت ولا سقمُ
 وعشت من بعدُ كهلاً جاءك الهرمُ
 إلَّا الذي أنت شاكيه فمتهمُ
 فما الرمادُ سوى ما كان يضطرمُ
 ماضي العزيمة وثابٌ فمقتنحُ
 ما للهوى في لساني «لا» ولا «نعم»
 ومدفعُ الحرب في بعض الكلام فم
 كما يُرفرفُ في أعلى الذرى علمُ
 فيها ضمائرُها العلوية الأممُ
 يخشونه وله في حربها عظمُ

الصديق العاقل

كان لي أخ، هو أعظم الناس في عيني؛ وكان رأس ما عظمه في عيني صغرُ الدنيا في عينه.

كان خارجًا من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وجد.
وكان خارجًا من سلطان لسانه، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم.
وكان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يتقدم أبدًا إلا على ثقة بمنفعة.
وكان أكثر دهره صامتًا، فإذا قال بذَّ القائلين.

وكان يُرى ضعيفًا مستضعفًا، فإذا جد الجد فهو الليث عاديًا، وكان لا يدخل في دعوى، ولا يشارك في مراء، ولا يدلي بحجة، حتى يرى قاضيًا فهما وشهودًا عدولًا، وكان لا يلوم أحدًا فيما يكون العذر في مثله، حتى يعلم ما عذره، وكان لا يشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير صاحبًا إلا أن يرجو منه النصيحة، وكان لا يتبرم ولا يتسخط، ولا يتشكى ولا يتشهى، ولا ينتقم من العدو، ولا يغفل عن الولي، ولا يخص نفسه بشيء دون إخوانه من حيلته وقوته واهتمامه.

فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتها، ولن تطيقها، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع.

□ الصديق الجاهل □

لا يؤمنك شرَّ الجاهل قرابةً ولا جوار ولا إلف، فإن أخوف ما يكون الإنسان لحريق النار أقرب ما يكون منها، وكذلك الجاهل إن جاورك أنصبك، وإن

ناسبك جنى عليك، وإن ألفتك حمل عليك ما لا تطيق، وإن عاشرك آذاك وأخافك، مع أنه عند الجوع سبَّ ضار، وعند الشبع ملك فظ، وعند الموافقة في الدين قائد إلى جهنم، فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأسود، والحريق المخوف، والدين الفادح، والداء العياء.

بقلم / عبد الله بن المقفع



الصديق الكامل

بقلم / الأستاذ محمد صادق عنبر

إنني مخبركم عن صاحب لي ملأَتْ منه يدي، وطويت على حبه نفسي، وجعلته ضئي من بين صحبي.

كان بصيراً بورد الأمور وصدرها، يعرف من مطلع كل أمر ما يكون مقطعه، وتقوم أدنى فراسة منه مقام البيئة، ويصيب بالظن ما يخطئ غيره بالعيان.

كان أكتم ما يكون للسر، إذا باحت الألسنة من الأسرار يمصونها، وانفجرت صدور الثقات عن مكنونها.

كان أبيضاً، لو خطبت عليه إمارة على أن يكون مهرها ذل ساعة؛ لآثر أن يُزف إلى قبره على أن تزف إليه الإمارة.

كان صلب العود على النوب، إذا رماه الدهر بخطب يبلوه، بلى منه الخطب بالنفس المرة، والخلق الوعر، والصدر الذي تضل في ساحة صبره كل نائبة.

كان متورعًا، لا يقوم مقامًا يقع عليه فيه ظل ريبة، ولا يقف موقفًا تسحب فيه ذيلها شبهة، ولا يقول قولة أو ينظر نظرة تعقبها ظنة.

كان كريمًا جم الإيثار، يطوي بطنه عن جاره، ولا يملك من ماله أكثر مما يملك منه إخوانه.

كان يقنع بالقليل، فما أكل فبلغ الشبع، ولا شرب إلا دون الري، ولا لبس منمنمًا ولا مُعلمًا، وكان فيه عزة الملك، وعليه سِمات الزاهدين.

كان فتياً؛ ولكن همته كانت ترمي به وراء سنه؛ وهو يرمي بهمه حيث أشار السؤدد.

كان باهر الأدب، يشير عليك موهماً أنه يستشيرك، ويدلك على الرأي كأنه يستدل بك عليه، ويريك مقطع الحق، ويدع لك أن تقطع من دونه، ولو رأيتَه وقد مثل بين يديه مستفيد، لحسبته بين يدي المستفيد مائلاً، ولو سمعته يجيب مسئلاً لحسبته سائلاً.

كان أملك ما يكون لنفسه إذا رضي، ولحلمه إذا غضب، ولجده إذا لعب، ولوقاره إذا طرب.

كان طويل الصمت، كأن بلسانه عوجًا، فإذا نطق استقام على نهج البيان، تراءى فيه حكم تأخذ المرء قبل أن يأخذها.

كان قليلاً ما يكتب، ولقد مضى عن كتاب ألا يكون من يد قارئه إلا كما يكون الحظ لو تمكن منه طالبه فجعله كما يريد.

كذلك كان صاحبي، ولبعض تلك الخلال يكبر الرجل، وقد ضرب الدهر بيننا، فمضى وبقيت وقد:

صفرث كفي منه ومضى وقد امتلأث مني يده

الإخوان في النوائب

إذا نابت أخاك إحدى النوائب -من زوال نعمة، أو نزول بليّة-، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فتحتمل العار.

ابن المقفّع



اللغة الخالدة وبعض حقوقها على أبنائها

قرأنا في مجلة (النور) التي تُطبع في اللاذقية (١/ ٤٩٩) مقالة ممتعة هذه خاتمتها:

من حقّ لغة الضاد الشريفة المتسعة الدقيقة ألاّ يعقّها بعضُ أبنائها من حيث يتوهمون لها إصلاحًا وتزيينًا، فإن لها جمالًا ثابتًا ومادّةً قويّةً لا تنفد، تستقيها في أكثر الأحوال من ينبوعي الاشتقاق والمجاز، اللذين يغنيان عن الوضع، فهو أكبر خطر على هذه اللغة، لاسيما إذا طمى سبله، بحيث يتنكر وجهها في قليل من الدهر، وتُصبح لغة الغد غير لغة اليوم مما نراه في لغات أوروبا، إذ لا تكاد الواحدة فيها تبقى على أهلها أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون، ثم تنقص صورة جديدة؛ وأما لغتنا، فهي وحدها اللغة الخالدة، إذا صحت نسبة الخلود إلى شيء من شئون البشر.

وها نحن اليوم نفهم كلام امرئ القيس مثلاً، وقد مضى عليه خمسة عشر قرنًا، ولو كان امرؤ القيس حيًّا لفهم كلامنا أيضًا، وبديهي أن الفضل الأعظم

في ذلك عائد إلى القرآن الشريف، ودين القرآن؛ فهما لا احتمالان تقمصًا، ولا تناسخًا في لغة الوحي هذه.

ورحم الله كل عالم وأديب يغار عليها، ويتغالى في خدمتها جهده، منشداً بلسان حاله قول القائل:

لا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عَبْدَهَا فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي

إدوار مرقص



حمى العروبة

هذه القصيدة أُلقيت في حفلة تكريم أقيمت في نزل بابل بالكرخ (بغداد)؛ للدكتور عبد الرحمن شهبندر، ورجال الوفد السوري إلى العراق.

حمى العروبة جسمٌ قلبُهُ الشام	والوفد سَوْدَاؤُهُ، والعُربُ أَرْحَامُ ^(١)
إذا تَأَلَّمَ عضوٌ منه شاركه	باقيه، وانتابه ضُرٌّ وآلامُ
ريمث دمشق فضجَّتْ مصرٌ واضطربت	بغدادُ واكتأبتْ في الريفِ اقوامُ
تعباً السياسة عن تمزيق وحدتنا	ما دام يجمعنا جِذْمٌ وإسلامُ ^(٢)
وإنَّ شعباً كهذا الوفد قاداته	يأبى الإله بأن تغويه أوهامُ
وقد تعالى عن الأنداد جَمَلُهُ	حزْمٌ وعزمٌ وإيمان وإقدامُ

(١) سوداء القلب وسويداؤه وأسوده: حبه، وقيل: دمه.

(٢) الجِذْمُ بالكسر: الأصل من كل شيء، والمراد هنا: الأصل العربي، ويُقال: جذم القوم: أهلهم وعشيرتهم، ومنه حديث حاطب: «لم يكن رجل من قريش إلا له جذم بمكة». أخرجه أحمد (٥٨٧٨).

الهولَ يركبه، والصعب يجشمُهُ
 ألى بأن لا يحطَّ الرحل في بلدٍ
 طورًا بأعلى دمشق الشام محترَبٌ
 جاب المفاوزَ والأخطار محدقة
 في الله غاز، وللأوطان مغترَبٌ
 آمنْتُ بالهمة العلياء يبذلها
 فهكذا هكذا مَنْ يَبْتَنِي شرقًا
 وليس يعرفه في الحالين إحجامُ
 ما لم تَقْزُ بالذي ثارت له الشامُ
 وتارة برمال القاع عوَامُ
 وخاض في اللُج والاذي آكامُ^(١)
 وللمروبة قوَام وجِشَامُ
 ولم يسخره دينارٌ ودِزهاُمُ
 وهكذا هكذا الأبطالُ والهامُ^(٢)



يا وفدُ أهلاً وسهلاً إننا عَرَبٌ
 ولست بالضيف لكن رب منزلنا
 وافيت فابتهجت أوطاننا فرحاً
 والأفق طَلَقَ ووجه الأرض منبسط
 ورقت الرياحُ أنفاساً وراق بها
 حتى كأنَّ الربيعَ الطلقَ مبتسماً
 وهذه دارُنا والأهل خُدامُ
 وبعض حَقك إجلالٌ وإعظامُ
 وثغرُ بغدادَ للأفراح بَسَامُ
 وللعنادِل في الأدواح أنغامُ
 ماء الحياة وطاب الليل والعامُ^(٣)
 عادت لنا منه بالأفراح آيَامُ



يا وفدُ فابقِ فإنَّ القوم مغتبطُ
 أعد لنا ذِكْرَيَات المجد مشجيةُ
 نسوا جهوداً مضت في أرض أندلس
 وانكروا سلفاً في الصبن دُق لهم
 بالقرب منك وأنت الكاف واللامُ
 عسى تعود لمن قد ضل أفهامُ
 وغرهم زخرفت وشته أعجامُ
 طبلٌ، ورقَّت لهم في الغرب أعلامُ

(١) الأذي: الموج.

(٢) الهام: جمع الهامة: هو رئيس القوم وسيدهم.

(٣) العام: النهار، ومثله العيام، كسحاب.

وسفّوها شِرْعةً جاء النبيُّ بها
 إن قلتَ: هاتوا دليلًا تعتلون به
 إني لأعجب إذ قد راج باطلهم
 ما في مزاعمهم نفعٌ لنا ولهم
 مآثر العَرَبِ العرباء خالدةٌ
 فليجحدِ الجاحدون اليوم ما قدروا
 لنا مَعَاوِلُ أمضى من صوارمنا
 إذا انْتَبَرَيْنَ دفاعًا عن مآثرنا
 أمّا البيان - ونور الشمس رونقه -
 يعيه كلُّ فؤادٍ صَحَّ من مَرَضٍ
 وكلُّ ما عندهم نقضٌ وإبرامُ
 شالَتْ نعامتهم، والجهل أقسامُ
 وظنَّ خبيرَ دواءٍ وهو بِرْسَامُ
 لو صَحَّ للقوم أفهام وأحلامُ
 والدهر يهرمُ والإسلام إسلامُ
 فالحقُّ أبلجُ والبرهان صَمْنَامُ
 حدًّا، وأفئدةٌ صُلْب، وأقلامُ
 حسبَتْ رعدًا له هدر وإرزامُ
 فإنما هو إسحاء وإلهامُ
 إلا فؤادًا به غيَّ وأسقامُ



يا غافلين، ونارُ الشر موقدةٌ
 ذروا التفرق في الآراء واجتمعوا
 فيمَّ العداة وقد حَلَّتْ بسوحكم
 ألم يَحْثُكُم حديث الشام إذ ضربت
 عاثُ الفرنسيس فيها وهي آمنة
 هَدّوا منازلها، راعوا عقائلها
 مضت عليها شهوْرٌ وهي واجفة
 وذو الوفود ببغدادٍ مذكّرةٌ
 سَوّوا صفوفُكُم فالخطب مجهاّمُ
 إن التفرّق للأوطان هَذاّمُ
 أرزاء، والجرحُ دام ليس يلتامُ
 فأصبحت وهي أطلال وأرقامُ
 كما تعيث بنبت الحقل أغنامُ
 برّوا أراملَها، والشرّ مجشامُ
 حتى أناخ بها ضرٌّ وإعدامُ
 وعندها من حديث القوم أقسامُ

بغداد/ محمد بهجة الأثري



دار العلم بطرابلس الشام وعدد ما كان فيها من الكتب

اشتهر عن خزائن (دار العلم) بطرابلس الشام أن عدد ما كان فيها من الكتب عندما أحرقتها الصليبيون سنة ٥٠٣هـ ثلاثة ملايين، وكنتُ نقلتُ في مجلة الزهراء (٢/ ١١٠-١١٢) من تاريخ ابن الفرات نصًا تاريخيًا عن لسان فخر الملك بن عمار صاحب تلك الخزائن، يؤيد صحة ذلك، ثم أطلعني سعادة العلامة الأستاذ أحمد تيمور باشا على نص آخر في تاريخ ابن الفرات أيضًا، جاء فيه ذكر عدد كتبها في بداية تأسيسها، أي قبل حرقها بعهد طويل.

فقد أورد ابن الفرات -عند ذكره فتح طرابلس الشام من الإفرنج مدة قلاوون سنة ٦٨٨- نبذة في تاريخها فقال فيها عن أمين الدولة أبي طالب الحسن بن عمار: «وكان ابنُ عمار هذا رجلًا عاقلًا فقيهاً سديد الرأي، وكان شيعيًا من فقهاءهم، وكانت له دار علم بطرابلس، فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفها، وهو الذي صَنَّف كتاب «ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح» المنعوت بجرباب الدولة. انتهى.

فهذا العدد كان في مبدأ أمر تلك الخزائن أيام الحسن بن عمار، ثم جاء بعده الأمير علي بن محمد بن عمار، وتولى بعدهما فخر الملك عمار بن محمد، وقد علمتُ مما قلناه في مجلة الزهراء (٢/ ١١٢) أن بني عمار عُتُوا بهذه الخزائن عناية عظيمة، حتى كانت من عجائب الدنيا، وأنه كان فيها مائة وثمانون ناسخًا ينسخون لها الكتب بالجرية والجامكية، فضلًا عما كان يُشترى لها من الكتب المنتخبة من جميع البلاد، بل قال ابن الفرات: إن طرابلس في زمن آل عمار صارت جميعها دار علم، فسبحان من يغيّر ولا يتغير.

السعادة

أَمَّا السَّعَادَةُ (عندي) فَلَذَّةٌ مُسْتَعَادَةٌ
 قالوا (القناعة) منها وإنَّ منها (السَّيَادَةُ)
 وقد أصابوا، ولكن لها دَوَاعٍ وقادة
 العاملون لَخَيْرٍ المبتغون الإجابة
 القانعون بعميشٍ لِلنَّفْعِ لا للبلادِ
 الرَّاغِبُونَ لِحَقٍّ عن راحةٍ مستفادة
 يبنون لا قَصْدَ زَهْوٍ ولا لأجلِ الإشادة
 لكن وُلوعًا بِخَيْرٍ (فالخير) أصل (السَّعَادَةُ)

أبو شادي



الاستعمار، الحماية، الانتداب

جاء في تقرير المسيو موتيه -عضو مجلس النواب الفرنسي- الذي رفعه إلى مؤتمر الاتحاد الدولي البرلماني المنعقد في برن يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٤^(١):
 من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوّغه قانون، وكثيراً ما ظهر بمظهر
 الفظاظة والغلظة؛ لأنه هو القاضي بحكم القويّ على الضعيف، وقد مضى على

(١) ونحن نقله عن التقرير المرفوع إلى رئاسة مجلس الشيوخ المصري، من حضرة الفريد بك شماس، عضو مجلس الشيوخ المنتدب إلى مؤتمر الاتحاد الدولي البرلماني.

وجوده قرون، بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها، والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التي تنتحلها لنفسها الأمم المستعمرة.

وقد أراد المستعمرون أن يُسدلوا على أعمالهم ثوباً شرعياً قانونياً، فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم بحجة نشر المدنية والعلوم! والحقيقة أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لمصلحة بلادهم.

ولما ظهرت أغراضهم للملأ، أبدلوا كلمة ضمّ بالحماية التي ليست إلا نوعاً من التذبذب والنفاق؛ لأنهم لم يقصدوا بالحماية إلا استعباد البلاد التي قد يستولون عليها، وإزالة كل مراقبة دولية عليها؛ لكي يستغلّوا خيراتها وحدهم دون سواهم.

ولما شاخت كلمة الحماية وهرمت، وتحقق أنه لا أسوأ منها لحماية البلدان والأمم، اتجهت أنظار المستعمرين إلى حكم البلاد النائية بشكل جديد سموه الانتداب، وذلك مما يذكرنا بقول لاروشفوكول:

«النفاق حكمةٌ تُقدّمها الرذيلة للفضيلة بكلّ احترام»!



زهّد الشيخ طاهر الجزائري

أذكرني زهّدُ عالم العراق في هذا العصر السيد محمود شكري الألوسي^(١) بزهد صديقه عالم الشام الشيخ طاهر الجزائري، رحمهما الله رحمة خالدة.

(١) سبق الحديث عنه، نقلاً عن تلميذه: بهجة الأثري. (س).

أنفق شيخنا الشيخ طاهر كل ما ملكت يده في اقتناء نفائس الكتب، ولا سيما المخطوطات الفدّة أو النادرة^(١)، فلما ضاق به وطنه (دمشق) زمن السلطان عبد الحميد، اختار القاهرة وطناً ثانياً، وصار يبيع فيها هذه النفائس، ويعيش بثمرها عيشة الكفاف، ومن عجيب أمره أنه كان يرضى من دار الكتب المصرية -مثلاً- بنصف القيمة التي كان يُمكن أن يحصل عليها من مثل المتحف البريطاني ثمنًا لكتاب من كتبه؛ إثارةً لبقاء ذلك الكتاب في الوطن الإسلامي على انتقاله إلى أوروبا.

وكان يحرص كل الحرص على أن يكون الكتاب المخطوط في مكتبة عامة؛ كدار الكتب المصرية، أو إحدى الخزانتين التيمورية والزكية، ولا تسمح نفسه بانتقاله إلى ملك الأفراد؛ لئلا يصير إلى بلاد أخرى.

خرج الشيخ عن كتبه كلها، وبقي معه من ثمنها ما يعيش به عيشة التقشف، وفيما كنت ذات يوم عند الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد، وفي مجلسه سعادة الأستاذ أحمد تيمور باشا، أخذنا يتحدثان في حالة الشيخ طاهر، وما فُطر عليه من الإباء وعزّة النفس، وأنه -مع ضيق ذات يده- لم يُغيّر ما اعتاده من التصديق على الفقراء، والبذل في سبيل الخير.

فقال تيمور باشا لصاحب المؤيد:

ألا ترى يا أستاذ؛ أن من الواجب على مصر أن تعرف لهذا العالم الجليل قدره، فتستفيد من علمه وفضله في مثل دار الكتب مثلاً، لاسيما وهو اليوم أعلم الناس

(١) كنسخة كتاب الأصنام لابن الكلبي، التي اعتمد عليها الأستاذ زكي باشا في نشره، وكتاب الانتصار في الرد على ابن الراوندي، الذي افتخر اللورد كرومر في تقريره الرسمي بدخوله في دار الكتب المصرية، إلى غير ذلك من أمثال هذه النفائس، التي كانت عُرضة للضياع في أيدي غير أهلها، فأنقذها الشيخ، وما زال بها حتى جعلها في قرار مكين.

كافة بالكتب الإسلامية، وقد كان في الشام مفتشاً عاماً على دور كتبها، وهو العامل على تأسيس دار الكتب الظاهرية بدمشق، والمكتبة الخالدية في بيت المقدس؟ فوعده الشيخ على يوسف بالسعي في ذلك، وكانت لصاحب المؤيد منزلة معلومة في المعية الخديوية، وفي أكثر وزارات الحكومة المصرية، وما من وزير إلا ويودّ أن تكون له يد عند الشيخ على يوسف، ليقابله بمثلها عند الحاجة، ورأى الأستاذ تيمور باشا أن يكشف الشيخ طاهر في الأمر بأسلوبه اللطيف، فاعتذر له الشيخ بأنه اعتاد المطالعة في الليل إلى الفجر، وليس من السهل عليه أن يغير عادته، وهو في سن الشيخوخة، ولذلك لا يستطيع أن يتقيد بالأوقات الرسمية التي يتقيد بها الموظفون.

واجتمع الأستاذ تيمور باشا بصاحب المؤيد مرة أخرى، فذكر له كلمة الشيخ، ثم اتفقا على أن يطلب الشيخ على يوسف من الخديوي إجراء راتب للشيخ طاهر الجزائري من الخزينة الخاصة.

وفيما أنا قائم بعلمي في قلم تحرير المؤيد يوم الخميس ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ (أول مايو سنة ١٩١٣)، استدعاني الشيخ على يوسف - وكان يعلم أن سعادة أحمد تيمور باشا يتفضل بزيارتنا دائماً - فقال لي:

أبلغ الباشا أنني تكلمت في مسألة الراتب للشيخ طاهر، وأن كل شيء قد تمّ على ما ينبغي.

فشكرت له مسعاه الحميد، واجتمعت بالشيخ طاهر في ذلك اليوم قبل أن أرى سعادة تيمور باشا، فأخبرته بما وقع وكنتُ أظنّ أن هذا الخبر سيسرّه، فظهر لي أنني لا أزال أجهل تلك النفس الكبيرة، رغم معرفتي بصاحبها منذ طفولتي، فقد غضب الشيخ طاهر من هذه الحادثة غضباً لم أعهده فيه من قبل، وقال لي:

وكيف يُقدم صاحب المؤيد على مثل هذا الأمر قبل أن يأخذ رأيي؟
 وكان حزب اللامركزية قد دعا الناس إلى اجتماع كبير في فندق الكونتنتال،
 في الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم، فذهبت مع الشيخ طاهر لحضور ذلك
 الاجتماع، ولما دنونا من الفندق رأينا صاحب المؤيد مُقبلاً بعربته ليحضر
 الاجتماع أيضاً، فاستوقفه الشيخ طاهر، ومشينا جميعاً نحو الفندق، وكان مما
 قاله الشيخ لصاحب المؤيد:

كأني معك يوم كلمت الخديويّ بشأني فقلتَ له: إنك سمعتني أثني عليه
 لتعظيمه مشروع زكي باشا في إحياء الآداب العربية بطبع النفائس التي نقلها
 بالفطراف من خزانة الأستانة.

نعم، إني أثني على كلّ من يخدم العلم ويعمل على نشر كتب السلف؛ ولكن
 مَنْ ذا الذي يضمن لك ألاّ أقف من الخديوي عكس هذا الموقف إذا صدر منه ما
 يناقض ذلك العمل؟ الأحسنُ يا أستاذ ألاّ تعرّض نفسك لما قد يسودّ به وجهك
 بسببي، وإني بحمد الله في سعة، ولا حاجة بي إلى الرواتب ولا إلى الوظائف،
 فأرجوك أن تعمل طريقة لنقض ما تم بشأني.

فدهش صاحب المؤيد مما سمع، ثم قال لي بعد يومين:

لقد كان تيمور باشا محقّقاً في إعجابه بالشيخ طاهر إلى هذا الحدّ.

إن الراتب الذي سعيّا بترتيبه له، وقد رفضه بمثل هذا الإباء والشمم، لا
 أعلم من كلّ الذين أعرّفهم إلاّ مَنْ يسعى للحصول عليه بكلّ وسيلة، وكنتُ أظنّ
 الذين يزهدون بمثل ذلك قد ذهبوا كلهم، فإذا لا تزال منهم بقية في الدنيا.

محّب الدين الخطيب



الناس

كلُّ واشربِ النَّاسَ على خبرةٍ فهم يَمرون ولا يَمذُبونُ
ولا تصدَّقْهم إذا حدَّثوا فإنني أعهدهم يكذبونُ
إن أروك الوُدَّ عن حاجة ففي حبال لهم يَجذبونُ

أبو العلاء المعري



الدهر

دعا بك الدهر لو تجيبُ يا حبذا السامع المجيبُ
كم تصحب الدهرَ بالأمانِي يفرك الطرف والنجيبُ
فخذ حديثًا عن الليالي فكلَّ أبنائها عجيبُ
من خادع الدهر والبرايا فذلك السيّد النجيبُ
المجدُّ فوز الفتى بحظِّ فما تميمٌ وما تجيبُ
نادب خدنٍ تركت يومًا وحظه الوجد والوجيبُ
مجدلاً في الثوب يدعى منه سميع فلا يجيبُ

أبو الطاهر السرقسطي



بين الحاضر والماضي

مهلا عليك، فما بنا طَرَبُ الدار كانت روضة أُنْفَا سَرَعَانِ ما حالت معالمها إني لألمح في جوانبها في عينها جزعٌ وتفديةٌ وجنانها تشكو الخريف وهل الله يعلم ما ألم بها إن قلتُ أنقاضُ مآثرها أو قلت: قد غاضت محاسنها أو قلت: ما مالت دعائمها أو لاح لي في أفقها أمل الحكم للأيام فانتبهوا

إن الفؤاد لما عرا يَجِبُ أضحت وليس لأهلها نشبُ منكوبةٌ تُرمي فتلتهبُ بؤسي لعمُرُ الله تصطبُخُ ولؤلُدها لا يستجيب أبُ شكوى الخريف تفيد من نكبو والحق والتاريخ والكتبُ قال العواذل: إنه كذبُ قالوا: تولّى قلبه الرّهَبُ قالوا: تملك لبّه الرغبُ غطى عليه وغاله وَصَبُ لا الفخر ينفعنا ولا الطربُ



لمن المغاني كنت أعرفها يسقى من الأحلام ناشئها الورق تصدح فوق غضنتها والعود يشجي قلب سامعه والليل يلمع فوق مفرقه والسعد رفرف فوق أروسنا هيهات كان الوصل من قصر

ملجأ يزين ربوعه الحسبُ كأسًا يتوّج رأسها الحبُّ والشرّبُ يخطب فيهم الأدبُ والراح رقت ما بها نصبُ بدرٌ يلوح لنا ويحتجبُ يحنو علينا، والمني تهبُ ومضًا، وآتي أمرنا عجبُ

للدهر أعمال يحار لها لبُّ الحكيم وعلمه اللجبُ
آمنت بالأحداث قاطبةً وبما تجيء به وتنتهبُ



مالي وقلبي كلما هدأت خفقاته جدّت به ندبُ
ما رامه من وجده سببُ إلا وأقبل بعمده سببُ
يرتاع للمفنى ومشهده وتروقه الآمال تغتلبُ
يرعى الدجى والسهدُ غالبه فكانما سُمّاره الشهبُ
يا ليل! هل من ساهر دَنَف يشكو، وهل عاد الألى ذهبوا؟
جفّت غروبٌ طالما انسكبت فعسى الغروب تُمدّها السُحبُ
ولكم تولت أكبداً نوبُ فتفتنت لله يا نوبُ



تلك الرياض ذوت محاسنها بعد إليها تسفى بها التُربُ
يأسى المشاهد ما ألم بها مصدوعة الأركان ترتعبُ
بالأمس كانت مربعاً خصباً لبس الجدوبَ المربعُ الخصبُ
بالأمس كان لأهلها الغلبُ آضت وليس لأهلها الغلبُ
بالأمس كان حُماتها عَرَباً نام الحماة وهُدمد العربُ
أترى على أدواحها زهراً ذهب الجميع: النّور والذهبُ



إنّا لنذكر للورى نسباً ودواؤنا الأخلاقُ لا النسبُ
لا تنفع الأحلام كاذبة اليأس أروحُ منها، إن تكن ربُّ

حماه / عمر يحيى



الافتقار إلى الناس - والاستغناء عنهم

قال عبد الله بن المقفع: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، وليكن افتقارك إليهم في لين كلمتك لهم، وحسن إشراك بهم، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك، وبقاء عزك.



بعض كلمات تاغور

* كنت يوماً وأنا في سنّ الثانية عشرة أرقب الشمس تغرب وراء صف من الشجر، فتحدثت إليّ نفسي: أليست الشمس تطلع غداً لتغرب، ويتجدد مطلعها ومغربها، وهي أبداً باقية؟ كذلك نحن: نطلع ونغيب، ولكننا أبداً باقون في اللانهاية الشاملة لكل ما في الوجود.

* ليس الابن عزيزاً على أبيه لذاته؛ ولكن لأن الأب يرى فيه امتداد نفسه، ويرى فيه خلود حياته لأجيال مقبلة.

* بين الروح التي تتصل بحقائق الأشياء، والأدب الذي يُعبر عن المشاعر، اتصال دقيق: فكلاهما يحس الحياة الخالدة ويعبر عنها.

* شخصيتنا هي أول حق فينا: فنحن موجودون، ذلك ما لا شك فيه، ويسير علينا أن نعرف أنفسنا إذا بحثنا في غورها. ومعرفتنا أنفسنا تسرّنا، لكنها تغشي على هذه المعرفة في كثير من الأحيان مظاهر الأشياء المحيطة بنا، والتي تحول دون التفكير في حقيقة حالنا؛ لكن هذه الحقيقة تبدو لنا ونسعد بها إذا نحن أحببنا إنساناً أو شيئاً؛ ذلك بأن نرى أنفسنا في هذا الذي نحب، ومن ثم كانت

سعادة الحب، ومن ثم كانت حرية المحب، وإنك لترى نفسك أكثر ما تكون حرية إذا أحاط بك من تعرفهم من أهلك وأصحابك، فأما إن أحاط بك أجنب عنك، فحرّيتك تحدّ، وتشعر في نفسك بضيق لذلك أيّ ضيق.

* فلسفة الهند تصوّر الحرية على أنها كمال الاتصال بما يحيط بنا، فإذا نقص اتصالنا نقصت حرّيتنا.

* ليست حبة القمح غاية لذاتها؛ بل واحدة في سلسلة خلد حياتها، ألسنتراها تنفجر من حياة حبات من القمح تنفجر منها مثل ما تنفجر الأولى، ونحن في نظام الحياة كهذه الحبة، وروحنا تتصل بروح الكون، كما تتصل قوة الحياة في القمح جميعًا.

* الأمم تختلف في ظواهرها وتقاليدها وأفكارها، ولكن الرقيّ الحقيقي لن يتمّ إلا بالتعاون بينهما جميعًا، وبعمل مشترك يقوم به العقل البشري، فيجب علينا ألا نكتفي بإبراز التقاليد القومية؛ بل أن نعمل لتوسيع المبادئ الصحيحة، وإيجاد نشاط أدبي مشترك كالذي نراه اليوم في أوروبا.

* تُخلق الطيور في السماء لا لتبتعد عن الأرض ولكن لتعود إليها، وها أنا ذا حرّ طليق، لست على اتصال بأي شيء من الأشياء؛ ولكن لا، إن المحدود هو حقيقة المطلق، والحب هو شعار الصدق.

* أيتها الطبيعة، إنك عبد ذلول، نشرت بساطك المزخرف المتأنق بالألوان العديدة في البهو الأكبر، حيث أجلس وحيدًا كأني ملك متوّج، وأنت ترقصين أمامي، وفي جيدك عقد من النجوم المتألّثة فوق صدرك.

* الفلاسفة يحدّدون الجمال، ويضعون له قواعد وتعريفات، أما الساذج فيراه بعينه في هذا البحر المضطرب الموج، وفي هذه السماء الصافية آثًا،

الغائمة أنا آخر. وهذا الذي يراه هو حقيقة الجمال، أما تلك التعريفات والحدود، فإنها ليست في شيء من الحقيقة.

* الجمال هو: إدراك الحقيقة كما هي، والحقيقة من حيث هي جمال لا يعدله جماله، فالعجز التي لا تسمى جميلة، إذا استطاع المصور المتقن أن يصورها كما هي، كان في هذه الصورة معنى الجمال؛ لأنه أدرك الحقيقة، واستطاع أن يُعرب عنها بتصويره.

* التعليم بلغتنا هو الذي أنعش روحنا وأحيانا، ورأى أن التعليم ينبغي أن يكون كالأكل، بمعنى أنه عندما يسبغ الأكل اللقمة الأولى تتنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلئ، ويتمكن إذن عصيرها من أن يؤثر كما يجب، ونقيض ذلك التعليم بالإنكليزية: فإن اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطري أسنانه، أو تزلزل فمه، وفي اللحظة التي يتدبّر فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة - وإنما هي من السكر وقابلة للهضم - يكون قد ولّى نصف عمره، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها، تبقى روحه جائعة، فإذا تذوّقها تكون شبهته قد ذهبت.

* سرُّ عظمة أوربا وتقدّمها السريع: وجود روح التعاون فيها من الوجهة الفكرية والفنية والأدبية والعلمية.



إلى حُماة اللغة

لولا تنكُّرُهُ لاسْتُرْعِي النِّعْمَا	دع البراعَ فكم من حاملٍ قلما
بما يعانيه مَنْ لا يفهمُ الكَلِمَا	من الغضاضةِ أن يُعنى أخو أدبٍ
بكلِّ دهياءٍ رَدَّتْ نورَها ظُلُمَا	يا من يرى اللغة الفصحى وقد نُكِبَتْ

هَوَتْ من الذريرة العليا وبث لها
 من كل أبلة صلد الذهن ذي رعن
 وكل جعد القفا لولا تبخره
 من الغرور ترى في خدو صعرا
 يظل يرقم في أوراقه جملا
 كأنه إذ يمج الحبر مرقمه
 ولو تلوت عليه ما يُسطره
 سنج التعابير سنج الذوق متخذ
 يعدو على الجمل الفصحى فيمسخها
 وينظم الشعر رثا لفظه فمتى
 ويستجير من الإبهام أقبحه
 وإن أبنت له يوما مغالطه
 ويدعي أنه ما زلّ قط ولا
 وأنه نائر الفاضله دُرّا
 وأنه العَلَمُ الفرد الذي رفعت
 وأنه العبقرى الفذ ليس له
 لا تستقر على أمر مزاعمه



يا للبلاغة أمسى ونشئها خلقا
 يا للفحاحة أودي الأغبياء بها
 تعاوروها بأقلام والسنة
 تخالهم عربا، حتى إذا خطبوا
 وأصبح الدر من الفاظها فحما
 وربما جهل المغرور ما اجترما
 أخت عليها ولم يستشعروا ندما
 في الناس أو كتبوا لم يفضلوا العجما

تلك الطروس التي ضمت سطورهم تكاد تشكو إلى قرائها ألما
إن الغبيّ إذا أعطيتُه قلما مثلُ الجبانِ إذا قلدتُه خدما



يا للبيان استباحوه وما تركوا من سحره غير ما قد أورث اللّما
هذي جرائدهم باللغو حافلة يكاد يجهلُ فيها المرء ما علما
تبدو صحائفها بيضا، فإن تليت تسودُ حتى يحاكي لونها الحُمّا
ترى سطورًا بلا معنى فتحسبها مدارج النمل حاكت في الثرى رُفما
لم ينشروا صحفًا للناس قيمةً وإنما نشروا بين الورى نَقما
وناصبوا الحقَّ حتى عزَّ باطلهم وزينوا اللؤمَ حتى نافسَ الكرما
يظنهم من يراهم سادةً نُجباً وذو الحصافة لا يرضاهم خدما
وتلك أشعارهم ساؤوا البيان بها مذلةً، وأهانوا الطرسَ والقلما
سفساف لفظٍ وأوزان منافيةً وزنَ القريضِ ومعنى يُضحك الفهما
أسبابها نافرت أوتادها وبدا فيها زخافٌ وإبطاءٌ قد التأما
بينونَ أبياتها واللحنُ يسكنها ومن بنى البيتَ مختلاً كمن هَدما
فضاع بينهم صوتُ الأديب وقد يضيع صوتُ هزار جاور الرّخما
قل للآلى انتحلوا الآدابَ مختبرًا: هل انتحلتم لها الأخلاقَ والشيمَا



ما الشعرُ إلّا قوافٍ راضٍ جامحها غمرُ البديهةِ فحلَّ راسخٌ قَدما
صانت جزالةً مبناهَا معانيها من أن يُلَمَّ بها فهمٌ شكا وَصَمَا
إذا الحماسة أذكت بينها صرماً أسال تشبيبها من حوله سَنما
شواردٌ عبقریاتٌ لها أرجٌ مازالَ يلطفُ حتى صاحبُ النَسَمَا
كانها قِطعَ الروض الذي سَكبت غر السحابِ على أزهاره دِيما

في بُهْرَةِ الليل من لآلئها وَصَحَّ
 تمرُّ ألفاظها بينَ الشفاهِ كما
 يهتَزُّ سامعها ما أنشدت طرباً
 يكادُ يُنشدهنَّ الفجرُ متخذاً
 كالبرق ملتصعاً والصبح مبتسماً
 يمرُّ صافي الطلا بالمسك قد ختما
 كما ترنح صبٌّ يسمع النغمَا
 لنفسه من أقاحي الرياض فما



يا معشرَ اللغةِ الفصحى أما لَكُمْ
 تداركوها وذودوا العابثين بها
 كانت لها عندكم فيما مضى ذمٌّ
 ولم يكن شأنكم أن تخفروا الذمما
 عطف عليها يقبها النائباتِ أما
 وجدّدوا من مبانيها الذي انهتما

لبنان / أمين ناصر الدين

صاحب جريدة الصفا



كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يُرقص ابنه عروة ويقول:
 أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
 الذُّه كَمَا الذُّ رِيقِي



زفرة في ليل

يُجَنِّ جنوني حين يتأبني الذكرُ
 وأرسلها كالغيث تترى مدامعا
 فأفقدُ لبي، شأن مَنْ ناله السحرُ
 وعند جليل الخطب قد يخذل الصبرُ
 وأصعدها من جانب الصدر أنَّةً
 يضيق اكتئاباً عن تحمُّلها صدرُ

أبيتُ وقلبي بالقوارع جائش
 سلافهُ وعدٍ نحن نحيا بشربها
 تروح بنا الآمال شرقًا ومغربًا
 إلى مَن نُحابي الذئب، والذئبُ جائمٌ
 نُقربُنا الأقوال، والفعل مُبعدٌ
 وكم نألنا مِن جانب الغرب طامع
 يقول لنا الإفرنج، والقول كاذبٌ
 فنحن أناسٌ قد وقفنا نفوسنا
 نريد لكم أن تستقلَّ بلادكم
 فما وعدوا، والله، إلَّا ليُخلفوا
 فما بآلنا كالطير في بطنِ واحدٍ
 إذا لم تثب للمجد جمعًا قلوبنا
 السنا بني الأخبار مِن آل يعربِ
 سعى قومنا بالأسس، والله شاهدٌ
 علوا عزةً فيما مضى، وسيوفهم
 إذا طمع الأعداء يومًا بحيمهم
 فأما حياة ينعمون بظللها
 ولما ردى، والفخر يكفله الردى،

وهيهات أن يهدا، وقد فقم الأمرُ
 فتسكرونا، حتى يطير بنا السكرُ
 وتقمعدنا، والخُسْرُ يتبعه الخُسْرُ
 ففي عينه مكرٌ، وفي نابه غدرُ
 كأننا بليل لا يفارقه الكفرُ
 يُنبئنا عن حقه النظر الشُرُ
 نريد لكم خيرًا وهل يُرفض الخيرُ
 لخدمتكم، فليطمئن لنا الفكرُ
 وما دأبنا إلَّا المعونة والبرُ
 وما وعدهم إلَّا على غدرهم سترُ
 مروعة الأفراخ ينتابها صقرُ
 فليس لنا إلا المهانة والضُرُ
 فما بآلنا كالعير يجتاحها العرُ؟
 فلم ينأ عنهم، حيثما يمموا، النصرُ
 تشيد لهم عزًّا تخرُّ له الزهرُ
 إلى الفتك بالأعداء تلقاهم كُرُوا
 يردون كيد الطامعين إذا صُرُوا
 لعمر العلى، والموت يصحبه الفخرُ



سلوا أسطر التاريخ عن صدر دينكم
 وعن عزة الأجداد، ينبئكم السفرُ
 ألم يُوقعوا بالفرس في كل غارةٍ
 أما أخضعوا الإسبان يحميمهم البحرُ

أما شتوا الرومان في سهل جلقي أما جاز وادي النيل فارسُهم عمرو؟



فمن مجدنا تلك الظبي تفرعُ الظبي كفاحًا، وتلك الشمر تقصفها الشمرُ

دمشق / الفتى



معاوية بن أبي سفيان في بيته

كان معاوية رضي الله عنه يقدم أم ولده يزيد على أم ولده عبد الله، وقد جلس مع لثانية يومًا، فمرت بها أم يزيد -وهي ميسون بنت بحدل الكلبيّة-، فأبعتها أم عبد الله عينها وقالت: لعن الله خمش ساقيك.

تشير إلى ما كانت عليه ميسون أيام كانت تعيش في البادية، وتنتقل في الوديان بين الشّيح والقيصوم، فتعرض رجلاها للشوك.

فغضب معاوية وقال: أرايت ذلك منها؟

ف قالت: نعم.

فقال معاوية: أما والله -على هذا- لما انفرجت عنه ساقاها، خير مما نفرجت عنه ساقاك!

يشير إلى نجابة ابنها يزيد، وفصاحة لسانه، وتوقد لبه، وخمول أخيه عبد لله، وتراخي همته عن طلب المعالي.



وغضب معاوية يومًا من ابنه يزيد، فاستدعى الأحنف بن قيس، ثم قال له: يا با بحر، ما تقول في الولد؟

فقال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة،
فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم،
ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك!
فقال: لله درك يا أحنف، لقد دخلت عليّ وإني لملوء غضباً على يزيد،
فسلته من قلبي.



النشيد الوطني

نظم لناشئة البلقاء في مدرسة الصلت التجهيزية

جَرَدُوا بِيضَ الصَّفَاحِ والبسوا للحرب لامة
وبأطرافِ الرماحِ فادفعوا كلَّ ظلامه



نحن، والصبحُ الأغرُّ حَسَبُ فِينَا أنارا
لا يمسُّ الشعبَ ضرُّ دون أن نلقى الدمارا
أعلى الضيمِ نَقَرُّ أو يرى فِينَا قرارا
ولأبطالِ الكفاحِ أعرقث فِينَا الرِّعامه



جَرَدُوا بِيضَ الصَّفَاحِ والبسوا للحرب لامة
وبأطرافِ الرماحِ فادفعوا كلَّ ظلامه



سائلوا التاريخَ عَنَّا كيف دَوَّخْنَا البلادا
أنجبت (قحطان) مِنَّا أَسْداً تهوى الجلادا

تَخَذُوا الصَّبْرَ مِجْنَا وَأَعِدُّوا الْمَوْتَ زَادَا
لَا تَرَى غَيْرَ السَّمَاحِ ضَارِبًا فِيهِمْ خِيَامَهُ



جَرِّدُوا بَيْضَ الصَّفَاحِ وَالبَسُوا لِلْحَرْبِ لَامَةً
وَبِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَادْفَعُوا كُلَّ ظُلَامَةٍ



يَبْلُغُ النَّاشِئُ فِينَا سِيدًا نَذْبًا هُمَامَا
فَهُوَ بَيْنَ الدَّارَعِينَا شَبًّا كَهْلًا وَغُلَامَا
تَخَذَ السُّمَرُ عَرِينَا وَحَدِيدَ الْبَاسِ لَامَا^(١)
عَفَّ عَنْ ذَاتِ الْوَشَاحِ وَجَفَا كَأْسَ الْمَدَامَةِ



جَرِّدُوا بَيْضَ الصَّفَاحِ وَالبَسُوا لِلْحَرْبِ لَامَةً
وَبِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَادْفَعُوا كُلَّ ظُلَامَةٍ



أَنْسَأُ الضَّيْمَ يَوْمَا وَإِلَى (قَحْطَانِ) نُنْمِي
لَا يَنَالُ الْخَسْفُ قَوْمَا قَارَعُوا الْخَطْبَ الْمُلِمَا
كَمْ لَهُمْ فِي الرَّوْعِ يَوْمَا بِالرَّزَايَا مُدْلِهِمَا
سَلُّ بِهِمْ سَيْلَ الْبَطَاحِ بَيْنَ نَجْدٍ وَتَهَامَةٍ



جَرِّدُوا بَيْضَ الصَّفَاحِ وَالبَسُوا لِلْحَرْبِ لَامَةً
وَبِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَادْفَعُوا كُلَّ ظُلَامَةٍ

الصلت / الحوماني

(١) جمع لامة.

خزائن الكتب والمطالعة

قال اللورد افبُري :

لقد أطرى أحد كبار الإنكليز (ريشاردي بوري) منذ خمسة قرون الكتب فقال :
 «وهاكم المعلمين الذين يعلموننا بغير عصا ولا سَوط ، ولا يسيئون المعاملة ،
 ولا يغضبون ، ولا يطلبون هدايا ودراهم ، ومن إذا دنوتَ منهم لا يناون عنك ،
 وإذا سألتهم لا يخفون عنك شيئاً ، وإذا تفاضيت عنهم لا يشتكون منك ، وإذا
 كنت جاهلاً لا يسخرون بك» .

فإذا كان هذا قولهم في قديم العهد ، ألا يجدر بنا العمل به الآن ، وقد طُبعت
 الكتب ، وصارت زهيدة الثمن ، سهلة الاقتناء والمطالعة ، صغيرة الحجم ،
 خفيفة الحمل ؛ بعد أن كانت ضخمة عسيرة الحمل والقراءة .

ويحسب البعض أن ما يُنفق على تأسيس المدارس وخزانات الكتب ودُور
 الآثار نفقاتٍ هالكة ، مع أنها في الحقيقة رأس مال محفوظ لسعادة الأمة
 وفائدتها .

وما توسيع نطاق مدارسنا ، وإنشاء خزائن للكتب فيها ، إلا لتحسين تعليم
 أبنائنا ، وبث روح حب المطالعة في نفوسهم ، وتوجيه أنظارهم بصفة خاصة إلى
 فوائدها ، كما أن المكتبات مدارس الرجال .

يُحكى أن الملك ألفريد لما كان طفلاً أراد أخذ كتاب ، فقالت له أمه :

سيكون لك حينما تقدر على مطالعته .

وبهذا الشرط حصل الملك على الكتاب .

فمتى تعلم أولادنا القراءة أيضًا، يجب مكافأتهم بنفيس الكتب، وهي كثيرة، وليس نفيسها بغالي الثمن، وربما كانت لذة المطالعة هي الشيء الوحيد الذي لا يرتبط بالغنى أو الفقر.

ولا ينبغي للشبان أن يقتصروا على الأشغال اليدوية، أو يضيعوا كل أوقاتهم فيها؛ بل عليهم تخصيص أوقات للمطالعة والأشغال العقلية؛ لإنماء مداركهم، ونفع الإنسانية من معلوماتهم.

قال السير (جون هرشل) أحد كبار علماء الإنكليز:

لو خُيرت في انتخاب ما أحفظ به حياتي؛ وأروّح فيه نفسي، وأصونها من ظلم الناس وشرور الدنيا؛ لاخترت المطالعة؛ لأن من تيسرت له أسبابها يصير ولا شك سعيداً، وحيث تتجلى أمام عينيه أحوال الأمم الغابرة، ويكون كمن عاش مع جميع أفرادها، وكأنما خلقت الدنيا له.

الكتب للناس كالحافظة الأمانة للرجل، فإننا نجد فيهما تاريخ الأمم، ومكتشفات الرجال، وجليل حكمة العقلاء، وخلاصة التجارب في سالف العصور؛ كما أنها مرآة عجائب الطبيعة ولطائفها، وهي الآخذة بناصرنا في أوقات الشدائد، المواسية لنا وقت الأحزان والمتاعب، وهي التي تُبدل ضجرتنا بالسرور، وتملاً أذهاننا بمفيد التصورات.

وقال فليتشر: «دعني أروّض النفس فيما حلا لي، فإنني مع كتي كملك في قصره: أنكلم في كل آن مع عقلاء السلف وفلاسفتهم، ثم أنوع سروري بمخاطبة الملوك والأمباطرة، وأفحص مجالسهم، وأدقق النظر فيما كسبه من الوقائع، وأمقت ذكرهم متى كانوا قد اكتسبوا بغير حق شرعي، وأهدم التماثيل التي شُيدت لهم بغير حق».

ونرى في تاريخ حياة ماكولي - صاحب الثروة الطائلة، والشهرة الفائقة، والصحة الجيدة - أنه كان يعتبر ساعات مطالعته أسعد أوقات حياته، وأنه قال: «لو خُيرت أن أكون أكبر ملك في الأرض، ولي جميل القصور والبساتين، ولذيذ الطعام والشراب، وثمان العربات، وفاخر الثياب، ومئات الخدم؛ واشترط عليّ في ذلك التجرد من الكتب، لرفضت ذلك الملك بغير مطالعة، وقبلت العيش فقيراً في عشة، ومعى كثير من الكتب».

وانتخاب الكتب كانتقاء الأصحاب، وعلينا مسئولية ما نقرأ، كمسئوليتنا عما نفعل، فعلينا أن نستخلص من الكتب ما ترتاح إليه النفس، إن لم يكن أعظم ما يمكن من الفوائد، وأن نجعل مطالعتها لتقويم الفكر، لا لضياع الزمن.

وتباين الكتب في قيمة الفوائد، فللكتب السهلة المطالعة، المسلية للنفس، فائدة؛ ولكنها كفائدة السكر، وهو عنصر مهم للتغذية؛ ولكنه لا يكفي وحده لحفظ الحياة.

أما رديء الكتب، فكفاها ذمًا أنها رديئة، وقراءتها ضياع للوقت، وبعضها مفسد للأخلاق؛ نعم إن اطلاع العاقل على مثل هذه الكتب يزيده وعظاً، ولكن لا يفوتنا أن كل ما يجعلنا نألف الشرَّ شرًّا، على أنه يوجد من حسن الحظ عدد عظيم من مفيد الكتب التي تفيدنا قراءتها، وترقي فكرنا إلى أعلى مداركه، وتنسينا مشاغل الدنيا ومتاعب الحياة.

ولقد أمر الدوق دوريان - مؤسس دار كتب مدينة أوريان - بتجليد جميع الكتب الموجودة بها بالأرجوان الموشى بالفضة.

وقال لامب: «يجب شكر الله قبل مطالعة كتاب جديد، كما يجب حمده عند الأكل».

أيها العرب

أيها العُزْبُ زاحموا	إن للمجد مُزْدَحَم
فَرَصَ لا تَفُتُّكُمْ	وَلَكُمْ فُتْنًا وكم
المصلي مَن اغتنى	والمجلى من اغتنم
نَدَمَ لا يفيدنا	يومَ ينتابنا الندم
اتركوها لياليا	نَعْمًا كَنَّ أم نَقَم
واطلبوها أمانيا	طالبُ العدلِ ما ظلم
وسواء لمن سعى	حَدَثَ العهدُ أم قَدُم
أيقظوا العزمَ واجهدوا	عاشقُ المجد لم يَنَم
إنما المجد حصة	والمعالي لمن عَزَم
لم تسد أمةٌ إذا	لم يَسُدْ عزمُها الحَذِمُ ^(١)
ليت شُبَّاننا دَرَوْا	ما دَرَى الشائعُ الهرم
منهمُ العزمُ والنِضا	ل ومن شُيْبنا الجِكم
من أبى أن يسوده	ظالمٌ ليس يحترِم
شاوَرَ الرأيَ وانتضى	فاصلَ العزمِ واحتكم



عاونوها	حيث لا عون يُثْهم
وارحموها نفوسكم	رحمَ الله من رَحِم

(١) الخدم: السريع القطع.

عَبَسَ الدَّهْرُ فَارْقَبُوا لَكُمْ الدَّهْرُ يَبْتَسِمُ^(١)

الكاظمي



الجامعة العربية واجب العربي في كل منطقة

اجتمع صاحب جريدة الكرمل والأستاذ السيد عبد الله مخلص بالمستشرق
مسترجب GIBB، وكان مما قاله لهما: «من واجب طلاب الجامعة العربية في
كل منطقة أن يعملوا لها في مناطقهم: بالسعي لإصلاح الأخلاق؛ وتحسين
الحالة الاجتماعية، والنهضة الاقتصادية، وتكوين رأي عربي عام، كما يسعى
من يريد أن يبني بيتاً، لإعداد جميع مواد البناء، حيثئذ يصير مع المستطاع بناء
الجامعة العربية، ويجب أن تعتمدوا في جميع ذلك على أنفسكم».



للفقراء مجاناً

للأستاذ/ محمود تيمور

بينما كان الظلام ملقياً رداءه الأسود على المدينة، والسكون ضارباً خيامه،
والناس رقود في منازلهم، كان الدكتور (.... بك) جالساً أمام مكتبه، يخط

(١) الدهر لا يعبس ولا يتبسم، وإنما هو ظرف لأعمال الإنسان، فلا يُلقى اللوم عليه، بل على
من قصر فيه. (س).

بيده الكريمة ما يمليه عليه وجدانه الحي، وكيف لا يكتب الدكتور في تلك الساعة، وغداً ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي مصري، يخطب فيها الدكتور خطبة شائقة، تملك على الناس نفوسهم، وتستهوئ أفئدتهم.

أجل؛ يكتب الدكتور ثم يفكر، ثم يكتب وهو ممسك بالقلم في يده كأنه رمز الجد والعمل والحنو والشفقة؛ وما لبث الدكتور في مكانه قليلاً حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشر، فوضع يده على رأسه، وقال:

حان ميعاد النوم، ولكن الخطبة لم تتم بعد، وأمسك بيده القلم مرة ثانية، وكتب الجملة الآتية:

«الطب -أيها السادة- هو النبع الفياض الذي يستقي منه الفقير بلا أجر ولا ثمن، الطب هو الدار التي يدخلها المريض، وقد أشفى على الهلاك، فيخرج منها صحيحاً معافى؛ بل الطب في نظري -أيها السادة- كبيوت الله، تجمع بين الفقير والغني، والبائس والسعيد في مستوى واحد؛ بل ربما كان الطب أوسع صدرًا للفقراء، وأحنى قلبًا على الضعفاء البائسين^(١)، الطب...».

ثم تمهل الطبيب قليلاً وفكر كثيرًا، وهو جالس أمام مكتبه يمنعه عن النوم والراحة ضميره الطاهر، ذلك الباعث القوي، باعث الخير والإحسان والشفقة على الفقراء من بني جنسه.

وكان الدكتور يسكن حيًا وطنيًا يضم في أحشائه جامعة ممن يبيتون على الخسف، ويشربون على غير ثميلة، قوم فقراء أضرب بهم المرض، وشفهم الحزن، وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب عليها بالثلث: «للفقراء مجانًا».

(١) هذا من الغلو. ولا داعي لمثل هذه المقارنة الغريبة! (س).

ما أجمل هاتين الكلمتين: «للفقراء مجاناً». إذا مر الفقير وقرأها دخل دار الدكتور، وهو يقول: «سأدخل مريضاً، وأخرج صحيحاً، دون أن أدفع للدكتور ثمن عشاء الأطفال في البيت». أجل إذا قرأها الفقير تهلل وجهه، وأبرقت أسرته، وابتسم ابتسامة تُعبر عما في قلبه من الشكر والرضى، وما رضي الفقير إلا حسنة من حسنات الله على بني الإنسان.

قلنا: إن الساعة كانت تدق الثانية عشرة، وإن الدكتور كان يكتب، ونسينا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فراش ابنته الحامل، التي كانت تصرخ من الألم، وهي ترتعد من البرد، وقد اصطكت أسنانها، وتقلصت شفتاها، وسالت دموعها على خدها، تكتب سطور البؤس والألم، ابنة في الثامنة عشرة من عمرها، مات زوجها بعد أن تركها حاملاً، وهي الليلة تلد، وقد تعمست ولادتها، فأصبحت على قيد شبرين من الموت.

جلس الرجل الفقير القرفصاء واضعاً رأسه بين يديه، وهو كاسف البال، خائر العينين، لا يعرف ماذا يفعل، ولا يهتدي لوسيلة يخفف بها آلام ابنته، وإذا بزوجه العمياء التي كانت تبكي وتضرب رأسها في الحائط تقول له: أنسيت أن الدكتور... بك يعالج الفقراء مجاناً؟ اذهب إليه واطرق بابه، فربما رُقَّ قلبه، وأنقذ ابنتنا من مخالب الموت.

فقام الرجل دون أن يفوه ببنت شفة، واتخذ وجهة الباب، وخرج للشارع ليأتي بالطبيب، مشى الرجل في الشارع وهو يترنح كالشارب الثمل، إلى أن وصل على باب الطبيب ودقه ثلاثاً، فخرج خادم أسود وهو يتمتم ويزمجر، وقال له: ماذا تريد؟

- ابنتي تموت، أريد أن أحادث الدكتور.

الدكتور مشغول جداً، وقد نبّه عليّ ألا أجيب سائلاً.

- ولكن ابنتي تموت ...

فأقبل الخادم الباب، ورجع الفقير من حيث أتى، وهو خافق القلب؛ ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله، وقال: لنفسه:

- أجل سأفعل ذلك، وما ضرني لو فعلته.

وإذا به يرى رجلاً يسير الهويناء في الطريق، فمد له يده، وقال:

- حسنة يا سيدي.

فانتهره الرجل وسار في طريقه، ومر رجل ثان وثالث ورابع، وكان نصيب الفقير الخيبة في كل مرة، وإذا بالشرطي يقول له:

- ما هذا الفعل يا رجل؟ متسول في الطريق، هيا إلى القسم ...

ولم يكن مع الفقير ما يسدّ به فم ذلك الشرطي، فقال له:

- لم أتعود التسول يا سيدي، ولكن ابنتي تموت، فأردت أن أجمع أجرة الطبيب، فلم أجد غير هذه الوسيلة؛ ولكن الشرطي قاده إلى القسم، وهناك قضى ليلته، وفي الصباح عاد الفقير إلى منزله بعد أن أطلق سراحه، وكانت الساعة تدق العاشرة، وإذا به يسمع صراخاً وعويلاً، فهرول لداره، فوجد زوجته تبكي وتصرخ، وكانت ابنته قد فارقت الحياة، فانكبّ عليها وقد فقد الرشد! في هذه الساعة، الساعة العاشرة، كان الطبيب الدكتور (.. بك) واقعاً يخطب في المجمع، ويصيح بملء فيه:

«الطب - أيها السادة - هو المنبع الفياض الذي يستقي منه الفقير بلا أجر ولا ثمن، الطب هو الدار التي يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك، فيخرج منها صحيحاً معافى...!»

الدواة

يا دواة اجعلي مدادك ودًا
وليكن كالزمان حالًا وحالًا
أكرمي العلم، وامنحي خادميه
وابذلي الصافي المطهر منه
وإذا الظلم والظلام استعانا
واستمدًا من الشرور مدادًا
واقذفي النقطة التي بات فيها
ليراع امريء إذا خَطَّ سطرًا
وإذا كان فيك نقطة سوءٍ
فاجعلها قِسطَ الذين استباحوا
وإذا خفيت أن يكون من الصخ
فابخلي بالمداد بُخلًا وإن
فلذا أغوز المداد طبيبًا
فامنحيه المراد منّا وعرفًا
وإذا مُهجة الحمايم أسدت
فاجعلها على المودات وقفًا
فلذا لم تكن بقلبك إلا
فاجعله حظي لأكتب منه

لوفود الأقلام حينًا فحينًا
تارةً أسنا وأخرى مَعِينَا
ماءك الغالي النفس الثمينا
لهداة السرائر المرشدينَا
يوم نحس بأجهل الجاهلينا
فاجعله من قسمة الظالمينا
غضبُ القاهر المُذل كَمِينَا
نبذ الحق وارتضى المين دينا
كُونَتْ من خبائث تكويننا
في السياسات حرمة الأضعفينا
ر جلاميدُ ترجم السامعينا
أعطيت فيه المين ثم المينا
يصف الداء دائمًا مستعينا
واستطبي مَعونة المُحسنينا
نقطة سِرّها الزكي المصونا
وهبها رسائل الشقيقينا
ما أعدَّ الإخلاص للمخلصينا
شرح حالي (لباعث) المرسلينا

إسماعيل صبري باشا



سياحة في كتاب البؤساء

إن كان هذا الكتاب سرّياً في نسبه إلى اللغة الفرنسية التي كُتب بها، فهو في هذه الترجمة العربية التي أخرجها حافظ، كأنما ينتسب إلى شعاع الوحي الذي يُفيض اللغة إلهاماً، ويمسّ العقل فيستفيض كلاماً، ولئن كان في أصله البديع وحي الفكر، لقد عاد في ترجمته المبدعة فكر الوحي^(١).

تناوله ناقله من ذلك الأصل، فتمثّل في نفسه، ثم فاض على ذهنه، ثم انبث على قلمه البليغ كما ينبث الضوء. فإذا هو أشعة تسطع على أفق الأدب العربي، سطوع الفجر على الأفق، ثم إذا هو لغة معجزة قد لبست حلّة لغة معجزة، ثم إذا شاعر عظيم قد ساير شاعراً أجلاً عظماً، حتى خرجا إلى الناس معاً في كتاب واحد.

وإن هذا الجزء على قلة ورقه ليكاد يكون ذهنًا دقيقاً في رأس البلاغة الإنسانية، فهو من حيث تعلّق به يشبّ بك في الخيال من طبقة إلى طبقة أعلى، ومن أين تبيّنت رأيت في كل شيء شيئاً بديعاً، وهو من ناحية يفتح لك من الإعجاب باباً لا تنتهي من ورائه إلى حدّ تقف عنده، وإن أوله ليسير بك إلى آخره، ليسري بك آخره إلى أوله.

ولقد نقل المترجمون من تلك اللغة إلى هذه ما نقلوا، وإن منهم من أحوالوا العربية إلى فرنسية، ونقل عنها حافظ فسحر تلك اللغة من حيث سحرته، وأدخل معانيها على لغة الضاد، كما يدخل اليقين في الفؤاد.

فلو خُيّرت الآداب الفرنسية ما اختارت على قومها قومًا، ولا رضيت من لغتها لغة إلا في تعريب البؤساء، فإنها لتسكن إليه سكون الفكرة إلى برهانها.

(١) هذا من الغلو. (س).

ولقد أصبح معرّب البؤساء علمًا في المعربين، لا بأنه أقدرهم على التعريب، وأبصرهم به، وأكرمهم فيه سابقة، فإن فيهم الثقات المتفردين؛ ولكنه تميز بأن ترجمته إعجاز من لغة، بإعجاز في لغة أخرى، فقد لفّ من حاشيتي اللغتين على أسلة قلمه لفًا محكمًا.

على أن من المترجمين من يمزق من اللغة التي ينقل منها، ليرقّع اللغة التي ينقل إليها، فيترك إحداها عارية تتوارى، ويترك الأخرى -وهي كاسية- أشد تواريًا. وقد تجد من هؤلاء من ينقل صحيحًا، ويؤدي فصيحًا، بيد أن فوق هذه المنزلة منزلة أخرى في الصناعة العالية، تشرف على نفسك بالمعنى المنقول من موقع الطرب، حتى لتحسّ من فرط الروعة والإعجاب أنه وحي يوحى.

ولقد وُفق حافظ توفيقًا نادرًا في هذه الترجمة التي لا تتسع أمامها إلا قوة مُطلع، قد أوسع اللغة بحثًا وتنقيًا حتى ماج بتيار اللغة صدره، ولم يكن أطول من فكره إلا أمله وصبره.

فليهن معرّب البؤساء أنه أقدم على لغة تناولها، فتمكن منها، فكان يضع قلمه منها حيث شاء، لا يُعجزه ما يعجز غيره من أولئك، ولا يرده عنها ما يردهم، ولا يقف به ما يقف بهم في معنى عَفّه في العربية لفظه، وآخر ساء في التأدية حظّه، وعبارة من جوانبها مهدودة، وأخرى في غلطات الصناعة معدودة.

ثم ليهنه أنه جاء بالترجمة من آثار بيانه، وإحكام صناعته، كأنها شعر اللغة أو لغة الشعر، فلا تكاد تمر بالجملة منها، حتى تجري على لسانك مجرى البيت النادر من الشعر على ألسنة الرواة.

محمد صادق عنبر



أذكى العرب وأذكى العجم

المشهور أن ابن المقفع كان نادرة في الذكاء، غاية في جمع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس، ويُقال: إنه لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع، إلا أنه لم يكن كَيْسًا حازمًا.

وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى ابن المقفع، وهو يحب أن يرى الخليل؛ فجمعهما بعض الكبراء؛ فمكثا يتحادثان ثلاثة أيام ثم افترقا؛ ف قيل للخليل: كيف رأيت عبد الله؟

فقال: ما رأيت مثله، وعلمُه أكثر من علقه.

وقيل لعبد الله: كيف رأيت الخليل؟

فقال: ما رأيت مثله، وعقلُه أكثر من علمه.

فقال بعضهم في ذلك: صدقا، فإن عقل الخليل أدّاه إلى أن مات أزهد الناس، وإنَّ نقص عقل ابن المقفع أدّاه إلى أن كتب أمانَ عبد الله بن علي بصورة أفضت إلى قتله.



الغد!

ذريني أعْبِي للقتال كنتأبِي فلي في غد شأنان في البرّ والبحرِ
ذريني أهْيء للأحاديث في غدٍ فإن غدًا يوم سيقى على الدهرِ

ولست أخاف الدارعين وإنما أخافُ فُجَاءَاتِ الخيانة والغدرِ
وليس كمين الحرب ما أنا هائب ولكن كمين الغدر في ظلمة الصدرِ

أحمد شوقي



غفلاتنا

تنجوا الممالك ما نجا استقلالُها فإذا اضمحلَّ أعارها اضمحلَّ
ما قام شعبٌ نام عنه ولأنه واستشعرَ التفريطَ والإهمالا



إيها ولاية الشرق إن وراءكم قومًا يوالون المغار عجالا
سدُّوا الفضاء، وإنني لإخالهم جئنا بأرض الشرق أو أغوالا
وكأن ذا القرنين عوجل سده وأراد ربك أن يحول، فحالا
لا يشبعون، ولا يزال طعائمهم شعبًا أشلّ، وأمةً مكسالا!
تأبى الطبيعة أن تُصافح أمةً ترضى الهوان وتألف الإذلالا
حيرى بمضطرب الحياة يروقها ألا تزال على الشعوب عبالا
وزهاء تخذل من يقوم بنصرها وتظلّ تنصرُ دونه الخذالا
وإذا أهاب بها الهداء رأيتها تعصي الهداء وتنبع الضلالا
تسمى الشعوب ونحن في غفلاتنا نأبى الفعال ونكثرُ الأقوالا
ركبوا مُتَوْنَ العاصِفات، وشأننا أن نركب الأوهام والآمالا^(١)

(١) المجددون في اليابان -مثلاً- بدؤوا بالتجديد من دولاب الماكينات، وانتشاء أفران الفحم الحجري في المصانع، وتأليف شركات للبواخر، أما المجددون عندنا؛ فبدؤوا بالتجديد =

يا باعث الموتى ليوم معادها
أعد الحياة لأمة أودت بها
وأضيء لها سبل النجاة ليهتدي
وتولها بالصالحات، ولقها
وامنن عليها من لدنك بقوة
لا تجعلنا في المهانة آية
 واجمع على صدق الإخاء فضاضا
أودي بنا بين الشعوب تباغض
تستفحل النكبات بين ظهورنا
نلهو ونلعب جاهلين، وإنني
تنسأب من أجداتها أرسالا
غفلاتها، فتوث سنين طوالا
من زاغ عن وضح الطريق ومالا
منك الأمان، ووقها الأوجالا
توهي القيود وتصدع الأغلالا
تخزي الوجوه، وفي الجمود مثالا
فلقد تفرق يمنة وشمالا
صدع القلوب ومزق الأوصالا
ويزيد مُعضل دائنا استفحالا
لأرى حياة الجاهلين مُحالا



لهفي على الشرق الحزين وأمة
الله يحكم في الممالك وحده
لا تبتغي عزًا ولا استقلالًا
ويصرف الأقدار والآجالا

أحمد محرم



أحدث طباعة

أنشئت أخيراً -في القسم الشرقي من لندن- دارٌ فخمة سموها «دار نورثكليف»، لتكون فيها إدارة جريدة «ديلي ميل» ومطبعتها، وقد جُهزت المطبعة

= من كتاب الشيخ علي عبد الرزاق، وكتاب طه حسين، وفتنة لبس البرنيطة، فسبحان الموفق...!

بطابعة هي أكبر وأحدث طابعة في العالم كله، ومما وُصِفَتْ به أنها تطبع في الساعة الواحدة ٧٥٦ ألف نسخة من جريدة ديلي ميل، وتطويها، وتُعَدُّ نسخها، وتنقلها في طريق خاصٍ إلى مَوقف السيارات المُعدَّة لحملها إلى محطات السكك الحديدية.

والى جانب هذه الطابعة ٤٢ آلة تنطلق بلمسة أصبع، فتدور بسرعة مذهشة، وتتغذى الطابعة بملفات الورق المرصوفة في أماكن منها غير ظاهرة، كما تتغذى ماكينة الخياطة بالخيط من أداة مخبوءة في داخلها.

وفي الطابعة أدوات تتناول بنفسها ملفات الورق الضخمة، فكلما انتهى ورق ملف حلَّ محله أخوه.

وتدار الطابعة بثمانية عشر محركًا، قوة كل منها ١٠٠ حصان.

أما بناء «دار نورثكليف»، فمن أعجب المباني وأمتنها، وقد حفروا فيه ٣١٥٠٠ ياردة مكعبة، ليتمكنوا من جعل الطابعة تحت مستوى طريق المدينة بستة وثلاثين قدمًا، فبلغ ما ارتفع من الأتربة ٢٤ ألف طن و٤٨٠ طنًا.



مكانة الولد من قلب الوالد

كانت حية بنت الحارث زوج عمرو بن شأس تؤذي ولده عرارًا، فقال يتوعدها بالطلاق:

ألم يأتها أني صحوت، وأنني تحالمت حتى ما أعارم من عرم
وأطرقتُ إطراق الشجاع، ولو رأى مساعًا لنابيه الشجاعُ لقد أزم



حامد البقار وجهاد الريف بعد عبد الكريم

انهض! فشعبك للبسالة حامدُ
 انهض زعيمَ الريف بعد زعيمه
 صدقت نبوءة من أحب فخاركم
 لكم البقاء مجدداً ومكرراً
 إن الأولى أخياؤكم ميثاقهم
 مَضَّتْ القرون وما انقضى إلهامهم
 وكأنَّ شعري نَفْحَةٌ مِنْ سرِّه
 وأنا الذي يجري لمطمحه دمي
 وأنا الذي لولا بلادُ كَوْنَتْ
 فلموطني رُوحِي وكلُّ جوارحي
 يكفي لنا التَّسَبُّ العتيْدُ مجمَعاً
 بعض الجوابِ وكم يُثير مشاعري
 بالبتها كانت قنابلُ قُوَّةٍ
 قتم فكنتم كالآذان لنهضةٍ
 ودعا الدعيُّ بأن تنائرَ فرقْدُ^(١)
 إنَّازَ لشعبك ما استطعتَ فإنَّه
 ولو أنَّ بين المسلمين طوائفاً
 شَغَبَ بَنَتْهُ مَائِرٌ ومحامدُ
 يهوي زعيمٌ حين يصعدُ صاعدُ
 حُبِّي^(٢) فما سَكَنَ العَدُوَّ الشاردُ
 وله المصائبُ والغُرُورُ البائدُ
 علموا بأنَّ المجدَّ إرثُ خالدُ
 أو أنَّه بعد التأمُّل عائدُ
 وَبَتَّ وإنَّ جهلَ الجبانُ الجامدُ
 ولهُ بِهِ حَقٌّ وأصلٌ واحدُ^(٣)
 نفسي لسار لكم فوادي الجاهدُ
 ولكم حنيني والشُّعُورُ الماجدُ
 فجمعينا صَيِّدٌ رماه الصائدُ
 هذا اللَّهيبُ تذوب منه قصائدُ!
 يشقى العَدُوُّ بها وَيَفْنَى الكائدُ
 فاعتزَّ مغلوب وهمَّ الراقدُ
 ماذا أصابَ وفي الجموع فراقْدُ؟
 نازَّ له المجدُّ المؤثِّلُ شاهدُ
 غفلت، كأنَّ المسلمين أباعدُ!

(١) راجع قصيدة: «الأسد الأسير - عبد الكريم»، في الزهراء (٢/ ١٦٤).

(٢) إشارة إلى ما في نسب أسرته من دم أندلسي.

(٣) دعا: نادى. يشير إلى تسليم عبد الكريم.

فإذا عثرتم لم يفتكم لؤمهم وإذا انتصرتم لم يفتكم جاحدُ
عذراً فقد عبث الدّخيل ببُلهم وكأنّهم في العزبِ عضو فاسدُ!
عُدراً وصبراً ثم جُهداً آخرًا فلكنم من الحق العظيم مُساعدُ
ولسوف يتبعكم تآزر عَضْبَةٍ فلکم بنت همم الشعوبِ شائدُ

أبو شادي



دار الحزن

صَحَّكَ الدنيا احتشادٌ للبكا وأغانيها مُعدّات الأنينِ
إنما الدنيا شجونٌ تلنقي وحزينٌ يتأسى بحزينِ

أحمد شوقي



ربيع البائس

وبالسفح من جنب الحمى كم مفارق بكى شجوه، ثم انثنى يندب الحمى
أطافت به من ذلك الربيع نفحةٌ تأرّج كافورًا وتذكر مغرما
نسيم إذا ما هبّ أوقد جذوةً من الشوق للروض الذي قد تمنما
كان زهورَ الروض في جنباته درارٍ هفت شوقًا إليه من السما
تلاحظ من وردٍ ورنيدٍ ورنجيسٍ عيونًا أفاقت بعد ما كنّ نوما
يقرّ بعين العندليب جمالها فيبعث أنس السامعين مُرتما

تشير تباشيرَ الربيع يدُ الصبا فتسج فوق العاصي درعاً مرقماً^(١)



سقى عهدَ أنسٍ فيه عشنا بغبطة عهاذُ الحيا تروي النواديَ والدُمى
فكم عادة بعد الترقه والمنى ألمٌ بها عادي الشقا وتجهما
يظللها الغضُّ الوريث وتنثني كما ينثني لدن الغصون تنعما
وكان مئى نفس المحبّ وصالها فأصبح يبكي - بعدما نُكبّت - دما



ولو يعلم الولهان غاية أمره لما علّق الولهان كحلاً ولو لمى
يهتجه الطير المغرّد كلما شدا، ويقاسي للبعاد التألما
وحبّ ذا المغنى إلى القلب أنه يقاسنا - في العيش - بُوسى وأنعما

عمر يحيى



لا خير فيكم إذا لم تقولوها ... ولا خير فينا إذا لم نقبلها

قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في كلام دار بينهما :

اتق الله!

فأنكر عليه بعض الحاضرين وقال له : أتقول لأمر المؤمنين اتق الله؟

فقال له عمر : دعه فليقلها لي ، نَعَمْ ما قال ؛ لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا

خير فينا إذا لم نقبلها .

(١) العاصي : نهر حماه .

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الخامس

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على المرشد الأعظم، والقُدوة الأكرم (محمد بن عبد الله)، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد؛ فهذا الجزء الخامس من «الحديقة»، أودعته خيرة ما اطلعت عليه من منشور كتابنا، ومنظوم شعرائنا، خلال المدة التي صرفتها في جمعه، ولا أزال أتوخى فيما أختاره أن يكون جامعاً إلى بلاغة القول لذّة الموضوع، وشرف الغرض، وحصول الفائدة؛ لتكون الأجزاء كلها كالينبوع المتدفق، لا يبرح يأتي بماء جديد، وإن كان الآتي منه كالماضي في صفاته وعذوبته، والله وليّ السداد.

القاهرة: ١٥ جمادى الأولى، ١٣٤٦

محب الدين الخطيب



شعرنا وشاعرنا

بمناسبة أسبوع أحمد شوقي

□ الأدب الناعس:

ما برح الأدب العربي يسير في طريقه ناعسًا، والشعرُ في نظر قرائنا بمنزلة الكماليات؛ حتى اصطَلَمَ بجَيئة (ناغور) إلى مصر؛ فكان الأدبُ والشعر حديثَ الناس، وكانتِ الموازنةُ بين آثار هذا الشاعر البَنَغاليِّ، وبين شعرنا العصريِّ باعثةً على التفكير فيما بلغ إليه شعرنا، وما يحتاج إليه من إصلاح، ثم جاء (أسبوع شوقي) بعد (زيارة ناغور)، فأتسع الوقتُ للكلام على الشعر والشاعر، بما لم يسبق له مثيل، منذ عهد طويل.

نعم، إن الفرصة أُتحت لأدبائنا وكبار كتّابنا أن يقفوا من حياتنا الأدبية موقف الجدِّ، فيطيلوا النظر فيها بثوَدَةٍ وتدبّرٍ وإنصاف، ويفكّروا في المرحلة التي قطعها الأدب العربي في هذا العصر، والوقت الذي صرفناه للوصول إليها، والاتجاه الذي يتقدّم شعرنا نحوه، وما هي مواطن الضعف فيه وما هي بواعثُ هذا الضعف وما هو المخرج منه، وكان من حقّ شوقي -وقد أقمنا له أسبوعًا- أن يكون فرسانُ هذا الميدان كلّهم في الحَلبة، فلا يبقى واحدٌ منهم غريبًا عنها، ثم يتولّى كلُّ رجلٍ منهم ناحِيةً من نواحي شوقي، وشعرِ شوقي، وبيئة شوقي، فيوقّها حقّها من النظر، ويُفضي إلى شباب هذه الأمة وأهل الذوق الأدبيّ فيها بنتيجة درسه المستفيض: إما في حفلات «الأسبوع»، وقد اتسعت للكلام على المأمون والمستشرقين والجمعية الأثرية المصرية؛ وإما في الصحف وقد فتحت صدرها للتحامل على شوقي بظلم، وللثناء عليه بأقلام لا يطمع بعضُ أصحابها

بأكثر من أن يفرحوا برؤية أسمائهم مطبوعة في الصحف السيّارة، كل هذا كان يجب أن يكون؛ بل بعض ما كان يجب أن يكون، لولا أننا أمة مازالت تلعب، ومازال أبنائها يقيسون المصلحة العامة بمقياس الهوى، ويزنون الحقائق بميزان الأوهام، لذلك كان أدبنا بين حالتين:

أن يسير ناعساً قبل الصدمتين الأخيرتين، ثم أن يضع بعدهما صواب القول فيه: فيطنى عليه إغراق في الذم لا حدّ له، وإغراق في الثناء لا حدّ له...

□ الشعرُ والشاعر، والمثل الأعلى الذي نطمع أن يصلّا إليه:

إن الأدب العربيّ يطمعُ بشاعرٍ لم يُخلَق بعدُ، ولعلّه خُلِق ولكنَّ عبء الشهرة وباءها لم يُنيخا بأثقالهما على صدره فيمنعانه من المُضيّ في طريق المهمة المحفوظة له في تاريخ اللغة العربية، لغة الخلود.

إن الأدب العربي يطمع بشاعرٍ قامت أعلامُ الفضيلة ومعالِم الإيمان حول الحرّم الذي يسكنه فؤاده، فلا سبيلَ تسلكه الأغراضُ الصغيرة إلى هذا الحرّم، ولا منفذَ يدخل منه الهوى إلى ذلك الفؤاد.

إن الأدب العربي يطمع بشاعرٍ له من قوى النفس ما يقوى به على النفس فيحول بينها وبين أن تنحطّ إلى غمار أهل هذه الدُّنيا الدنيئة ويمنعها من أن تستأسر للشهوات الأدبية والمادية، ويرتفع بها غير بعيد حتى تُشرف على آلام الفرد وآماله، وعلى أمراض الجماعة وينابيع قوّتها، ويكون له من دقة الحسّ ما يسمع به نابض الحياة في مجالي الطبيعة ويلمح بدائع ألوانها وأسرار أشكالها.

إن الأدب العربي يطمع بشاعرٍ يخترق ببصيرته حُجب الماضي، حتى يتراءى له ما خفي على التاريخ من أدوار هذه اللغة العجيبة التي عرفَ الناسُ شبابها ولم يعرفوا طفولتها. ثم يرتفع بهذه المعرفة حتى يشهد أمجادَ الناطقين بالضاد في

تلك الأدوار، أيامَ كانت ألسنتهم تدور باختراع صيغها وتقسيم أوضاعها، وتفتنّ بتنظيم لآلئها واشتقاق بدائعها، وتحرّى المناسبات العجيبة للتوفيق بين المعاني والألفاظ الدالة عليها. فإذا انتقشت صورة ذلك الماضي النبيل على صفحة قلب الشاعر، وفي تلافيف دماغه، وامتزجت بجملة نفسه تحوّل عنه إلى المستقبل، فتجلّى له الأفق الأقصى الذي يتوقّع أن تبلغه - بلل الذي يجب أن تبلغه - هذه اللغة القدسية، والشعوبُ الأمانة على بدائعها. ومتى كَشَفَتْ له ملائكةُ الشعرِ حُجَبَ الغيب عن ماضي هذه القومية ومستقبلها، فَنَيَّ فيها وصار لسانها الناطق بأمجادها، والقائد الداعي إلى وصل ما بين ذلك الماضي وهذا الآتي بما يرشد إليه من الأسباب التي تُهيئ الناطقين بالضاد لأن يكونوا لذلك أهلاً.

إن صحافتنا تقوم اليومَ بمهمة الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، وتؤدي عملهم على أتم وجه، وتتقلب مع مقتضيات الدنيا وشهواتها وأهوائها بين كل صبح ومساء؛ حتى اكتفينا بهذا الضرب من الشعر، وبتنا في حاجة إلى الشاعر المفقود، إلى الشاعر الذي يؤمن بما يقول، ويُفيض الإيمان على قلبه إلهامٌ تقتبسه مداركه من ظلمات الحاجة الإنسانية، وتنتزعه عزائمه من أنياب الفاقة القومية؛ ثم تُرسلنا به نوراً باهراً تُبصر به الأمة سبيلها إلى الخير، وغذاءً شهياً تقوى به على بلوغ مطمئحتها المتواري وراء الآفاق.

تُرى هل وُلد الشاعر الذي يحمل رواء الناطقين بالضاد إلى ميدان الكفاح؟ وإذا كان قد وُلد، فهل هو يُعدّ نفسه لهذه القيادة المقدسة، ويجهّز شاعريته بالأخلاق التي تؤهله ليكون «شاعر المستقبل».

إن العربية وأهلها ينتظران...

إنهما ينتظران، ولكن يجب أن يكون انتظارُهما انتظارَ حركة وحياء، لا انتظارَ سَكينة وانتحار؛ فالنبوغ لا يكون إلا في البيئة الصالحة له، ألم يقل

الأستاذ الشَّاشِييُّ يَوْمَ خَطَبَ فِي (العربية وشاعرها الأكبر): «مِنْ سَنَنِ اللَّهِ وَمِنْ دَسَاتِيرِ الطَّبِيعَةِ أَلَّا يَفَاجِئُ نَابِغَةً أَوْ عَظِيمًا -فِيمَا قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَنْبَغَ أَوْ يَعْظُمَ فِيهِ- قُوَّمَهُ مَفَاجَأَةً دُونَ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لَهُ، إِذِ النَّابِغَةُ فِي شَيْءٍ مَا إِنَّمَا هُوَ جَوْهَرُ أَمَّتِهِ، وَلَا يَخْلُصُ خَيْرٌ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، وَمَا حَدَثَ كَوْنٌ عَنْ عَدَمٍ». فَلَوْلَا وَجُودُ شَوْقِي الْيَوْمَ مَا طَمَعْنَا فِي قَرَبِ ظَهْوَرِ الشَّاعِرِ الَّذِي نَنْشُدُهُ، وَلَوْلَا تَقَدُّمُ الْبَارُودِيِّ وَصَبْرِي لَمَا تَاهَلَّتْ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ الْآنَ لِقِرَاءَةِ الشُّوْقِيَّاتِ.

□ أول عهدي بالشوقيات:

لَسْتُ أَذْكَرُ عَلَى التَّحْقِيقِ فِي أَيِّ عَامٍ عَرَفْتُ شَعْرَ شَوْقِي لِلْمَرَّةِ الْأُولَى، وَلَعَلَّ ذَلِكَ قَبْلَ نَحْوِ رُبْعِ قَرْنٍ: فَقَدْ كُنْتُ غَلَامًا حَدِيثَ السِّنِّ أَدْرُسُ فِي بَدَايَةِ الْقِسْمِ الثَّانَوِيِّ مِنْ مَدْرَسَةِ الْحُكُومَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِدَمَشَقٍ، يَوْمَ وَصَلْتُ الطَّبْعَةَ الْأُولَى مِنَ الشُّوْقِيَّاتِ إِلَى مَكْتَبَةِ ابْنِ هَاشِمٍ فِي بَابِ الْبَرِيدِ، وَوَصَلْتُ مَعَهَا نَسْخٌ مِنْ كِتَابِ «السَّفَرِ إِلَى الْمُؤْتَمَرِ» لِلأُسْتَاذِ أَحْمَدَ زَكِي بَاشَا، فَاقْتَنَيْتُهُمَا وَسَهَرْتُ أَتْلُو الشُّوْقِيَّاتِ إِلَى الصَّبَاحِ: عَلَى نُورِ مَصْبَاحِ الْبَتْرُولِ تَارَةً، وَنَحْتِ أَشْعَةِ الْبَدْرِ تَارَةً أُخْرَى، مَبْتَهَجًا بِأَنْ يَكُونَ فِي الْعَرَبِيَّةِ شَعْرٌ كَذَلِكَ الشَّعْر؛ وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ قَبْلَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنْ فِي لُغَتِنَا شَعْرًا غَيْرَ قِصَائِدِ الْمَدْحِ وَالْهَجْوِ الَّتِي كَانَ النَّاضِمُونَ يَنْظُمُونَهَا فِي مَدِينَتِنَا، فَانْصَرَفْتُ إِلَى دَرَسِ الْأَدَبِ التَّرْكِيِّ، وَكُنْتُ مَشْغُوفًا بِمَا يَكْتُبُهُ أَدْبَاءُ مَجَلَّةِ (ثُرُوتِ فَنُونٍ): فِكْرَتُ، وَجَنَابُ، وَخَالِدُ ضِيَاءَ، وَمُحَمَّدُ رِءُوفَ، وَنَاضِمُ، وَسُعَادُ، وَحَكَمَتُ، وَجَاهِدُ، وَفَاتِقُ عَالِي، وَشَيْخُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ: كِمَالُ، وَحَامِدُ، وَأَكْرَمُ. وَكُنْتُ فِي رُفْقَةٍ نَسْتَحْيِي أَنْ تَكُونَ لَهُؤُلَاءِ قِطْعَةً شَعْرِيَّةً أَوْ فِقْرَةً أَدْبِيَّةً لَيْسَ لَنَا بِهَا سَابِقُ عِلْمٍ.

وَلِشُعْرَاءِ التَّرْكِ وَأَدْبَائِهِمْ حَرَمَةٌ عِنْدَ شَبَابِهِمْ وَسَائِرِ قَرَائِهِمْ، لَمْ أَرْ مِثْلَهَا لِشُعْرَائِنَا وَأَدْبَائِنَا عِنْدَ شَبَابِنَا وَسَائِرِ قَرَائِنَا، فَإِذَا نَبَغَ الرَّجُلُ فِيهِمْ صَارَتْ لَهُ فِي

قومه مكانة لا يطمع بمثلها وزير ولا سري، وحتى لو كان النابغ لا يجد ما يجد به طربوشه مرة في كل سنتين!

فلما اكتشفتُ أنا ورُفقتي كنز الشوقيات؛ عكفنا عليه نختر في مجموعاتٍ لنا بعض تلك البدائع نكتبها بخطوط جميلة، ويُعنى بعضنا بتصوير مدلولاتها: فإذا كتبنا ميميته في زيارة الإمبراطور غليوم قبر صلاح الدين، صوّرنا إلى جانب القصيدة قبة صلاح الدين، وإذا كتبنا موشحة «البُسفور كأنك تراه» ملأنا الصفحات اليسرى من مجموعتنا بالمشاهد الموصوفة في تلك القطعة الشعرية وإلى يمينها الأبيات الخاصة بها، وإنما ننسخ هذه القصائد بالخطوط الجميلة ونزّينها بالصور؛ لنعرب عن عنايتنا بها، وإلا فقد غدت محفوظة في الصدور، وبتنا ولشوقي في قلوبنا حرمة كالحرمة التي كنا نشعر بها نحو أدباء اللغة التركية، أضف إليها عصية اللغة، وإن وراء هذا لأمرًا عظيمًا...

وانتقلتُ إلى بيروت ثم إلى القسطنطينية أنا وأخي الشهيد الأمير عارف الشهابي، ثم طوّح بي الدهر إلى اليمن، فكانت الرسائل غادية ورائحة بيننا وبين بقية الرفقة: صلاح الدين القاسمي، والشهيد صالح قنبار رحمة الله عليهما، ورشدي الحكيم، الأديب الضليع، ولطفي الحفّار، الوزير الدمشقي المعتقل الآن في لبنان، وسامي العظم رئيس ديوان الرسائل بوزارة العدلية وغيرهم.

أتدري ماذا تحمل هذه الرسائل؟

إن أهم شيء فيها نسخة ما تنشره الصحف والمجلات من شعرٍ جديد لشوقي، ومطران، والكاظمي، والرافعي، والكاشف، والرصافي، ومحرم، فإن هذا الجديد من الشعر لم يكن يجوز أن يتأخر البريد يومًا واحدًا عن حمله إلى كل واحد من أولئك الرفقة، تحت أية سماء كانوا.

إذن؛ فأنا صديق قديم للشوقيات، ومن حقِّ قرائي عليَّ أن أتحدَّث معهم عنها بمناسبة (أسبوع شوقي) الذي ماجت القاهرة بحفلاته في أوائل الشهر الماضي.

□ شوقي وشوقياته:

جَلا شعرُهُ للناس مِرآةَ عصرِهِ ومِرآةَ ماضِي الشعرِ من عهدِ نَبِيعِ
يجيءُ لنا أنا بأحمدَ ماثلاً وآوِنَةً بالبحرِيِّ المرصعِ
وَنَشْأُو رُقَى هيكو، ويأتي نسيه لنا من لبالي (الفريد) بأربعِ

حافظ



شوقي ابن البيئة التي أوجدته، والعوامل التي كوَّنته، والدواعي التي أخذت بيده فسيرته، ولا ريب أنَّ مواهبه واجتهاده ساعدا تلك البيئة والعوامل والدواعي إلى أقصى مَدَى يستطيعه الشاعر المحفوف بظروفه، فكان لنا منه صاحبُ الشوقيات بكلِّ ما لها وما عليها.

قالوا: إن الشطر الأعظم من قريضه مدحٌ وثناء، وعدّوا ذلك منه إسرافاً، وودّوا لو كان في مكان تلك القصائد من الشوقيات نظراتٌ إلى دخائل الحياة المصرية، تشفّ عن فرط إحساسه الشعري، ومشاركته لطبقات الأمة آلامها وآمالها.

وقالوا: إن إرادته لم تكن بيده، وإنما كانت شاعريته تتأثر بعوامل السياسة وميول أهلها، لقربه من المسرح الذي تشبّك فيه أصول تلك العوامل وأسبابها، وربّوا على هذا أنه لم يكن ثابتاً على المبدأ، وأنه كانت تنقصه الشجاعة الأدبية.

وقالوا: إنه اصطنع الشعرَ للذَّته، فلم يغترف من طبائع الأشياء، وأوضاع

الناس في الحياة غُرْفَة شاملة يتذوّق بها حاجةَ عصره، ولم يستغلّ موهبته استغلالاً جيّد المحصول عامّ النفع؛ لذلك كان شعره كمالياً للأمة.

لقد قالوا مثل هذا القول وأكثروا منه؛ وأنا لم أجذّ فيما قالوه نقدًا لشعر شوقي، وإنما وجدتهم يريدون من شوقي لو كان عاش في غير البيئة التي عاش فيها، وكان ابنَ عواملٍ أخرى غير العوامل التي كانت تحت تأثيرها، وأنّ لو انقاد لغير الدواعي التي انقاد لها.

أما وقد شاءت الأقدار^(١) لشوقي أن تكون تلك بيئته، فإنّ الأدب العربيّ لم يكن يطمع بأحسن مما أحسن به هذا الشاعر العبقرّيُّ إلى أدب لغته، حتى تبوّأ منه المكانة التي رفعت الشوقيات إليها وضمّنت له بها الخلود.

اتفقت الكلمة على أن نفسية شوقي ترجع إلى أصول متغايرة، وعناصر متباينة، وتلك نتيجة طبيعية لتباين العناصر التي تكوّن منها شوقي، ولتغاير الأصول التي امتصّت منها شاعريته غذاءها، ألم يقل لنا عن نفسه أنه مزيج جنسيّات متعدّدة؟ ألم تتناوب تكوين ثقافته مدينتا القاهرة وباريس؟ أليس رفيق المتنبي وهيكو منذ أربعين عامًا؟ ألم يعيش في بلد تنوّعت فيه السلطات والأزياء والأحكام؟ أليس إذا أراد أن يعتزّزّ بأمجاد التاريخ جعل يتنقّل بين أهل الجنان الأندلسية من بني عبد شمس، وبين ذكريات الفراعنة في أنس الوجود، وبين ما ينكره الكماليون اليوم من محامد آل عثمان؟ أليس هو القائل لرجال الأزهر:

يا فتية المعمور سار حديثكم	ندًا بأفواه الركاب وعنبراً
المعهد القدسيّ كان نديّه	قطبًا لدائرة البلاد ومحورا
ولدت قضيتّها على محرابه	وحبّت به طفلاً وشبّت مُعصرا
هزّوا القرى من كهفها ورقمها	انتم لعمريّ الله أعصابُ القرى

(١) الصواب أن يقال: شاء الله. انظر: «معجم المناهي اللفظية»؛ للشيخ: بكر أبو زيد نكته (ص ٣١٣). (س).

بينما هو القائل فيهم:

إذا عرض الجديدُ لهم تولَّوا كذي رَمَدٍ على الضوء امتناعا
أليس يرى من الكياسة ألا ينسى نصيبَ الصليب من الإشادة بالذكر^(١)، كلما
طلع الهلالُ بأفق من آفاق شعره، أليس هو الذي نادى الساقى في عيد الفطر،
وكان يستطيع أن يناديه قبل العيد، لكنه لم يفعل، وكان يستطيع ألا يناديه قط،
ولكنه لم يفعل أيضًا، ولو فعل إحداهما لكان معارضًا لمقتضى تلك الأصول
المتغايرة والعناصر المتباينة.

إن الشوقيات إنتاج هذه الأصول والعناصر، وقد استطاع شوقي بكياسته
ودهائه وعبقريته أن يوفق بينها بما يبلغه جهد الشاعر العظيم، فإذا ابتسم للوردة
بنشيد من أناشيد الطرف أذخر لأشواكها صيحة من صيحات الغضب يرسلها يوم
تدعو الظروف إلى إرسالها؛ وفي كل عُصن من شجرة الحياة وردٌ وشوك، وفي
كل يوم من أيام هذا الكون نورٌ وظلام، وللناس من دهرهم ابتسامةٌ وازودار.
وهل رأيت شيئًا تغني شوقي بمحامده كما تغنى بمحامد الخلافة الإسلامية
وقوتها من عهد العمرين عليهما رضوان الله، إلى يوم خاطب الطاغية عبد
الحميد^(٢) بقوله:

وهاب العدى فيه خلافتك التي لهم ماربٌ فيها ولله ماربٌ

(١) وهذه من زلات شوقي! إذ كيف يشيد المسلم بهذا الشعار الكفري «الصليب»، الذي أنكر القرآن على معتقديه، بقوله: ﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شَيْءٌ لَّهُمْ﴾ ؟ ولكنها «الوطنية» المخالفة للإسلام، التي انساق معها شوقي، وأكثر أدباء وكتّاب عصره؛ فادته إلى مثل هذا الإشادة. (س).

(٢) يقصد: السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. وقد جاء تَكْنِيسُهُ إلى حكم الدولة العثمانية وهي تمر بظروف عصيبة؛ قد دب الوهن إلى جسدها، بسبب تكالب الأعداء عليها، وتلمل بعض جهاتها من حكم الأتراك، كاليمن وغيرها، وسبب انتشار الأفكار الغربية بين =

فلما أبلغهم مصطفى كمال مأربهم فيها متقرباً بذلك إليهم، وظاناً -وبعضُ الظنِ إثم- أنه يحملهم بعمله على تغيير رأيهم في قومه، لم تضنَّ عبقرية شاعرنا العظيم بقولٍ جميل يرسله في الناس استحساناً لما كان؛ فراح الناسُ يحفظون شعره الثاني كما حفظوا شعره الأول؛ افتتاناً بجمال بيانه الساحر، وإنَّ من البيان لسحراً.

لقد كان الأستاذ أنطون بك الجميل وفيّاً للأدب بما اعتذر به لهذه الصفحات المتباينة من الشوقيات، ولقد والله ذكّر الناس بكثير من الحقائق؛ ولكن العذرَ الشامل لما مضى، وما سيأتي من أمثال ذلك إنما هو اختلافُ الأصول وتباين العناصر، وشوقي لم يَعدُ سُننَ الطبيعة فيما يتركه من آثار ذلك في الشوقيات،

= أبنائها، وجمود أهل الدين على عقائد المتصوفة البدعية السلبية، ومعاداتهم لدعوة الكتاب والسنة، الدعوة السلفية؛ مما عجل بنهايتها، رغم محاولة السلطان عبدالحميد إعادة مجدها بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية في مواجهة الأعداء، ورغم مواقفه المشرفة تجاه اليهود، إلا أن الشق اتسع على الراقع، لاسيما والسلطان نفسه - عفى الله عنه - ممن كان لهم دور كبير في تقريب دعاة التصوف والخرافة، والصدور عن آرائهم. وانظر للمزيد: رسالتي «كيف سقطت الدولة العثمانية؟». وانظر للمزيد عن حياة السلطان عبدالحميد وحكمه: «السلطان عبدالحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار»؛ للدكتور محمد حرب، و «عصر السلطان عبدالحميد»؛ لمحمد أبوعزة، و «السلطان عبدالحميد، حياته وأحداث عصره»؛ لأورخان محمد علي.

ولابد من التنبيه هنا إلى أن السلطان عبدالحميد ﷺ قد شن عليه القوميون العرب - وفي مقدمتهم نصارى الشام - حملة عاتية، باتهامه بـ«الاستبداد»! وللأسف أن ينساق معهم محب الدين الخطيب! ومن تأمل حياة السلطان وأفعاله علم كذب هذا الاتهام، وأنهم إنما يعنون به وقوفه بحزم أمام تسرب الأفكار الغربية إلى بلاد الإسلام. وقد أنصفه الملك عبدالله بن الحسين عندما قال في «مذكراته» (ص ٢٩): «لقد زعم الناس أن عبدالحميد كان ظالماً، ولقد كذب الناس، والله لم يكن بالظالم، ولكنه الحذر المتحوط». فتنبه لهذا عندما تُطالع سيرته. (س).

وله المقدرة النادرة في تحويل الوجهة كلّما قضت عليه المواقف بتحويل مراميه،
وتلك من مزايا شاعرية شوقي التي لم أرهم يفتنون لها.

وفيما خلا هذا فشوقي شاعر الوصف الذي ضنّ علينا الزمانُ بمثله منذ ألف
سنة، ويقولون إن أدب اللغة الفرنسية أمده بثروته، وأباح له مروج جنته؛ ولكن
هل ضنّت الآداب الإفرنجية بكنوزها وفراديسها على المئات بل الألوف من
متعلمينا؟ أليس ذلك مباحاً لهم، ونرى أثره أكثر ظهوراً فيما يكتبون؟ والحق أن
شوقي يملك بكل جدارة واستحقاق جميع ما في شعره من لآلى؛ لأنها تأنس
بمواضعها من شعره، وتظهر فيه بما هو أهل له من رونق وجمال، بينما هي في
كثير من الشعر تبدو كالجواهر التي تستعيرها الغادة الفقيرة لتجمل بها ليلة عرسها.

أقول قولي هذا ولا أجهل ما أشار إليه الرصافي والزيات والشيخ عباس
الجميل من طغيان المعاني على ألفاظها في بعض شعر شوقي، بحيث سهر الناس
حائرين في تعليلها وتأويلها، بينما شوقي يقول مع أبي الطيب:

أنا مِلءٌ جُفوني عن شواردها ويسهر الخلقُ جرّاهُ ويختصمُ

أما ما يؤاخذونه به من ضعف بعض مطالعه، فهو عندي دليلُ قوة لا دليل
ضعف؛ لأن من دأب الجواد الكريم أن تزداد همّته كلّما بُعد الشوط بما لم يكن
يظهر عليه في البداية، ويظن الأستاذ جبر ضُومط أن شوقي إذا ترك نفسه على
سجيّتها أشدّ منه إذا تعمّل، بينما الأستاذ الزيات يقول: إن شوقي قد يعفي طبعه
أحياناً فيرسل الشعر كما يجيء من غير تنوّق فيه ولا تنقيح، فيأتي بما لا يتفق مع
فضله، وأظنهما مُصيّبين جميعاً؛ لأن كلّاً منهما يتكلم من ناحية، وبين الوجهتين
فرق دقيق، إذ التنقيح غير التعمّل، وكلّما انتبه الناس إلى هذا الفرق.

ويرى الرصافي أن أرقى شعر شوقي ما قاله في الدور الأخير رغم تقدّمه في
السّن، فهو يتفق في هذا مع شوقي فيما يراه من أن أجود قصائده نونية «توت

عنخ آمون»، ولعلّ لقراء الشوقيات رأيًا غير رأي شوقي في خير ما قاله من القصائد.

□ ترجمة الشعر:

ذهب الأستاذ المازني إلى أن مقياس جودة الشعر عنده «أن الجيد في لغة جيد في سواها»، وفي صدق هذه القضية نظر؛ لأن الشعر في لغة إذا نقل إلى لغة أخرى، فإن الذي ينتقل إلى اللغة الأجنبية إنما هو عنصر واحد من عناصر الجمال في القطعة الشعرية، وهو المعنى، وتبقى عناصر أخرى كانت تبعث الروعة والإعجاب في نفوس قراء الشعر بلغته الأصلية، وهي مما لا يمكن نقله؛ لأنها ترجع إلى روابط خاصة بين تلك اللغة وعقلية أهلها، كما ترجع إلى ملابسات لا تعدو أبناء اللغة الأولى، كالإشارة إلى مثل خاص بهم دون غيرهم، أو إلى حادثة لها في قرارة نفوسهم ذكريات لا يشعر بها غيرهم، ولعلّ شعر الحكمة والتصوّف -كشعر المعري والخيام وتاغور- هو بعد الشعر القصصي أكثر من غيره احتفاظًا بجماله إذا نُقل من لغة إلى لغة، ومع ذلك فإن تاغور يرى أن قوة البيان لا تكون واحدة في اللغتين المنقول منها، والمنقول إليها؛ لأن لكل كلمة جوًّا خاصًا بها في لغتها، وإذا أمكن ترجمة تلك الكلمة، فإن هذا الجو لا يُترجم، وإذا كان المترجم شعرًا فإن موسيقى الشعر بلغته الأصلية لا تُنقل بالترجمة إلى لغة أخرى، حتى لو كان مترجمها باللغة الثانية هو صاحب الشعر باللغة الأولى.

يقول هذا الكلام تاغور الذي عانى هذه الصناعة، وتولى بنفسه نقل شعره إلى اللغة الانكليزية التي أجمع كل الذين سمعوه يتكلم بها أنه يجيدها إجادة لا مطمع لأحد بالزيادة عليها.

وأذكر أنني لما كنت في القسطنطينية؛ كتب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إلى ابن عم له هناك ملحقاً في أن يحملني على ترجمة شيء من الشعر التركي الحديث؛ ليطلع على أساليب القوم ومناحيهم، فكنتُ آخذُ المقطوعة البديعة جدًّا من المقطوعات الشعرية التي كنا نقرأها بشغف؛ فأترجمها محتفظاً بأدق ما فيها من المعاني، ثم أعلّق عليها بذكر ما يلبسها من نكات يعرفها القارئ التركي دون غيره، فإذا أعدتُ النظر فيها وقارنتها بالأصل، أجد من الظلم العظيم لصاحبها أن أرضى لشاعريته بالصورة التي ستنتقش في ذهن الأستاذ الرافعي عند قراءته ما أترجمه من شعر ذلك الشاعر.

ولما كتبتُ بحث «الأدب التركي في ثلاثة أدوار» وظهر بعضه في المجلد الثالث من (الزهراء)، عاد فطلب إليّ أن أترجم شيئاً من شعر عبد الحق حامد، فوجدتني لا أزال الآن على رأيي الذي كنت عليه لما كنت في القسطنطينية، ومع ذلك فإن الأستاذ كرد علي يقول: إنهم جربوا ترجمة «دمشقيّة شوقي» بالفرنسية؛ فأعجبوا بها، ولست أدري إلى أي حدّ تقيّدوا بأغراض شوقي ومعانيه عند نقلها.

□ هل الفنُّ للفنّ، أم الفنُّ للفضيلة والخير؟

زعم المشتغلون بتعريف الفنّ فيما مضى أن الغاية منه «التعبير عن الجمال». ثم بدت لهم حقيقة رائعة، وهي أن الجمال عند قوم قد يكون قُبْحاً عند آخرين، فما تراه الغادة اليوم جمالاً في شعرها كانت تعتبره أمّها قبل عشر سنين في منتهى القبح، وما تعتبره المرأة الصومالية جمالاً تتحدّث عنه المرأة الإيطالية بتنقّص وازدراء. وزعم آخرون أن غاية الفنّ تقليدُ الطبيعة، ولقد خُدِعْتُ بهذا المذهب في طفولتي فقلت:

كأنّما الطيرُ فوقَ الطرسِ ينظرُ لي شَرّاً يُقَبِّحُ ما في الطرس من فكرٍ
يقول: سُخْطاً لشعرٍ رام قائله وصفَ الجمال فلم يرُسّمه كالصُورِ

فهل يرى القارئ أن الصورة الشمسية لمشهد من مشاهد الطبيعة تعدُّ قطعة من القطع الفنية؟ الواقع أنه لا يراها كذلك.

وذهب إيبولث تِن إلى أن الغرض الذي يرمي إليه الفن بيانُ الصفة الممتازة في طبائع الأشياء، ثم يكون ما بعدها من الصفات -سواء كان من لوازمها أو من الصفات المشتركة- تبعًا لتلك الصفة الممتازة. وهذا كلام حسن، لكنه يصبغ الفن بصبغة علمية، لأنه يُنكر شخصية المتفنن وما لها من أثر جوهري في أسلوب البيان أو طريقة الأداء.

وقد انتبه إلى ذلك إميل زُولا فقال في حدّ الفن: هو الطبيعة منظورًا إليها من مزاج المتفنن، فالمتفنن لا يعبر عن الحياة، وعن الطبيعة بحقيقتها الواقعة، كما كنتُ أظنُّ أيام الصبا؛ بل يعبر عنهما كما يرتسمان في مزاجه؛ ومن هنا كان لشخصية المتفنن والعناصر التي يتكوّن منها إيمانه وتفكيره وحُكمه دخلٌ عظيم في قيمة الآثار الفنية التي تصدر عنه إلى الناس.

ولكن هل يجوز أن يكون مزاج المتفنن طليقًا من كل قيد، أم تشمله القاعدة التي تجعل للحريّات حدودًا، أو بتعبير آخر: هل يستوي الشاعر الذي يقف مواهبه لخير الجماعة والشاعر الذي لا يبالي بما يصدر عن مواهبه من خير أو شر؟ والمشتغلون بالأدب اصطَلحوا على أن يتساءلوا في هذه القضية: هل الفن للفن، أم الفنّ للفضيلة والخير؟

هنا أمران يجب أن يلاحظهما كل من يخوض في هذا الحديث:

الأوّل: أن الشاعر وكل متفنن هل يعيش لنفسه أم للجماعة؟ وإذا كان يعيش للجماعة هل يريد أن يكون فيها كالكوكاين يلدّ ويؤذي، أم يريد أن يكون كالوردة يلدّ وينفع؟

الثاني: هل الاعتبار الأدبية واحدة في كل أمة، أم أن الآداب للأمم كالغذاء للأفراد، فما يُتسامح به في الأمة القوية ربما كان وبالاً على الأمة الضعيفة؟

الذي أفهمه أنا هو أن هذا الشرق يجب أن ينتفض من سِنَةِ الكرى التي امتلأت بها عيناه، وأن يقتصد في الوقت، فيتخذ من كل قوّة مددًا لحياته: وما دام الشعر قوّة ذات سلطان على النفوس فيجب أن تنصرف هذه القوة للجدّ لا للهزل، وللعمل لا للكسل، وللرجولة لا للتخنّث، ولتوجيه القوى القومية إلى آفاق المجد وتحويلها عن جوّ الفناء الضائعة فيه الآن تحت سقوف القهاوي والملاهي... .
لقد سَمَت النفوس كتابَ حَلَبَةِ الكميّت وديوانَ رامي، فغذّوها بمثل شعر كيلنغ الانكليزي ومحمد أمين التركي.

إن أمم الشرق في خطر، فدَعُونَا من هذيان الفنّ للفنّ فيما لا يتفق مع الفضائل الفردية والقومية.

إن الشاعر لا يعيش لنفسه؛ بل يعيش لقومه، وهذه الشعوب الناطقة بالضاد أحوج إلى شاعر يأخذ بأيديها إلى معترك الحياة وميدان العمل، منها إلى شاعر يأخذ بشبانها وشابّاتها إلى باب الحانة بأحاييل العَزَل.

إذا كانت أمم الغرب آمنة بأساطيلها وجيوشها وجامعاتها ومصانعها ومصارفها من الأخطار القومية والعلمية والاقتصادية وعندها متّسع من الوقت تتمتع فيه بالفن الذي صيغ للفنّ، فنحن معاشر الشعوب الناطقة بالضاد موجودون في وسط حريقة، فهل يشعر بذلك شعراؤنا؟

□ الإصلاح الذي نحتاج إليه في شعرنا:

أما الأسلوب والديباجة فيجب أن يبقيا عربيين كما ينظم بشار والبحري

والشريف والرضي، وكما كان ينثر عبد الحميد وابن المقفّع والجاحظ. وكما لا يجوز أن تمتدّ اليدُ الآثمة بالتشويه إلى الفن الذي أُبدِعتْ به جبهةُ الحمراء وأقواسها ونقوشها، ومَعالم مسجد السلطان حسن ودقائقه وبدائعه؛ كذلك أسلوب العربية الصحيحة الخالد بالقرآن يجب أن يبقى ما بقي القرآن.

وأما فيما عدا ذلك، فكما يجوز لنا أن ننشئ وراء مثل جبهة الحمراء غرَفًا مهندسةً بأَنْفَع أساليب الهندسة الاقتصادية التي وصلت إلى معرفتها مَدَارِك البشر، كذلك يجوز أن نُعدّل بعض نظرياتنا في الشعر، ما قصّت بذلك حياته وحياة الأمة به.

ويحسُن بنا بعد الآن أن نعتبر القطعة الشعرية بمجموعها كُلاً مؤلفاً من عناصر لا يتمُّ إلّا بها، أي: أننا يجب أن نعدّل عن نظريتنا القديمة التي تعتبر البيت كُلاً مستقلاً، ويصبح الكلّ في نظرنا هو القطعة بمجموعها، وهذا لا يمنع أن تتخلّل القطعة أبياتٌ استطرادية يكون الواحد منها مضرب المثل يتحدث الناسُ به في مقام الاستشهاد لحقائق الحياة، وآيةً في الحكمة ترتلها الألسنة في مواقف العظة والاعتبار.

وما دما قد اعتبرنا القطعة الشعرية كُلاً مؤلفاً من عناصر لا يتمُّ إلّا بها، فمن مقتضى ذلك أن يجتنب الشاعر هذه الاستطرادات في القصيدة الواحدة، وألا يتنقّل فيها من موضوع إلى موضوع آخر ليس من جنسه، وأن نُعرِض إلى الأبد عن تقديم النسيب بين يدي الأغراض الأخرى التي هي مقصودة بالقصيدة دونه.

ومن مقتضى اعتبار القطعة بمجموعها كُلاً أن يُعنى الشاعر بمَغْرِبها عنايةً بمطلعها، فيُفرغ في البيت الأخير من القوة ما يبقى رنينه في النفس طويلاً، كما يكون لتلك الضربة الشديدة التي ينتهي بها الدور في موسيقى الجيش.

ومما يحسُن ملاحظته أن يكون حجم القطعة الشعرية متناسبًا مع ما يحتمله موضوعها، فقد تكفي السبعة الأبيات ليؤدي بها الشاعر كلَّ غرضه، ويحيط فيها بما أراد، وتكون لها عند قرائها من الحرمة والمكانة ما للقصيدة الكبرى.

وقد كان شوقي أولَ من جرَّب الشعر التمثيلي في رواية (علي بك) قبل خمسة وثلاثين عامًا، ونظم القصيدة الكبرى غير مرة. لكن هذا النوع من النظم المطوَّل يجب أن تتداوله الأقلام الكثيرة وتتعاون عليه؛ ويجب أن يسعفه المسرح ويوالي التجربة فيه، ويحتاج إلى أن تكون في الشباب روح أدبية تتلقَّى ثمراته بإقبال؛ ليوالي كُفائتها عملهم بنشاط، وفي القصيدة الكبرى، وفي الملحمة، يحسن تنويع الموضوعات والتنقُّل فيها، ويحسنُ تنويع الوزن والقافية على ما تقتضيه المعاني، وعلى ما تقتضيه موسيقى تلك المعاني: من أوزان ثلاثم الروح الهادئة، إلى أوزان تسعف النفس الهائجة، إلى نغمة لاثقة بمقام الحزن، على رنة تكمل معنى الابتهاج؛ وكذلك الأمر في القوافي.

وبعد؛ فقد كان أشرفَ ينابيع الشعر التي شرب منها شوقي وغير شوقي من شعرائنا ينبوعان: الطبيعة والتاريخ.

وأبداع مظاهر شعره وشعرهم الوصف.

وما دمنا نتكلَّم في الإصلاح والتجديد، فيجدُر بنا أن نلتمس من شعرائنا - وفي أيديهم مفاتيح القلوب - أن ينتقلوا بنا إلى أدبٍ آخر غير أدبنا الحاضر، إلى أدب التوحيد الذي تشترك فيها الشعوب القارئة لهذا الشعر، وإلى أدب الحياة الذي تعرف به هذه الجماعات طريق القوَّة، وإلى أدب التقوى الذي نخرج به من رذيلة الضعف، ونبرأ به إلى الإنسانية من جريمة الخنوع، نريد أن نحيا وتمنعنا

أدواء في الشعر علاجها، ونريد أن نسير وفي الصدور رهبة لا تزيلها غير صرخات الشعراء تهب بناء إلى ميادين الشرف.

إن الغرب لما أراد أن يملك رقاب الشعوب التي تقرأ شعركم يا شعراء العربية، استهواها بملاهيته وزخارفه وأهوائه وموبقاته، ولا خلاص لهذا الشرق العربي من شراك الغرب إلا إذا عدل أهله عن تلك الزخارف والموبقات، إلى ما في الغرب من صناعة ونظام ومعرفة، وهل من قوة تستطيع تحويلنا عن ذاك إلى هذا أشد تأثيراً من المدرسة للبنين والبنات، ومن قوة الشعر للفتيان والفتيات؟

إن الشاعر ترجمان الإلهام، ولا يكون الشاعر صادقاً فيما يترجم عنه من ملهّمات الطبيعة والفضيلة والحياة إلا إذا كان متّصفاً بما يدعو إليه من صفات ومحامد وأخلاق هو قائد الأمة، وحامل رايتها إلى المطمح الأقصى في الأغراض القومية، وإلى المثل الأعلى في الفضائل الإنسانية؛ ولا يستطيع الشاعر خوض غمار المعركة في هذه القيادة إلا إذا كان مؤمناً بما ينطق به من إرشاد، وعاملاً بما يتغنّى بذكره من مبادئ، وصادقاً فيما يأمر به من معروف وينهى عنه من منكر.

أما الكلام الجميل الذي يصدر عن اللسان، فيمرّ بالآذان ضيقاً، ثم يذهب طنينه مع موجات الريح، وأما الكلام الصادر من القلب فهو الذي يملأ القلب ويسكن في قرارة النفس، وذلك هو الشعر، وصاحبه هو الشاعر!...

محب الدين الخطيب



جمال فقدناه

□ شعر المرأة □

قال أبو الطيب:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة، فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقتٍ معا
وقال ابن المعتز العباسي:

فلما أن قضت وطراً وهمت على عجل بأخذٍ للرداء
رأت شخص الرقيب على تدانٍ فأسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق ماء



وادي موسى

تلك القبور ومائل الأطلال صُحف منشرة وذكر عالٍ
للنفس بينهما، وحول جماهما عِظَةٌ ومُسرح عبدة وجلالٍ
إن ناح مُرتجِزُ السحاب عليهما فاستسق صَيَّب دمعك الهطالِ
هي سيلع، والبُراء ترجمة اسمها نَسجت عليها عناكبُ الإهمالِ
وأدال منه ومن معاهد أنسها زمنٌ يُروّع كلَّ ناعم بالٍ
فإذا العروبة هُجنت ممسوخة وإذا المنازل والديار خوالٍ



وإِ تحفُّ به الشوامخ مُمعنٌ في السفع أربدُ قالضُ السربالِ

بين الهضاب، ومن وراء جبال
ويجول حين يهيم كل مجال
ما كان أعجب منه في الإيغال
أصيفت- فيه همام الأغوال
املّ على الأيام ليس بسال
ينحط بين حُزونة ورمال
يتفحّم الغمرات غير مبال
بعد العفاء محطّ كل رحال
نبأ العباد، وسائح جوال



سُرح اليدين عليه ذات شيكال
وتدبّ بين تعسف وخبال
فتفصّ حين تهم بالتضهايل
تجتاز فوق مزالق الأجيال
ومشيّت بين هدى وبين ضلال
حتى انتهيت إليه نضو كلال
في الصخر نحت مُشيد التمثال
نقرأ على عميد لهن طوال
وزهت بأبرع زُخرف وصقال
نظر المدلّه مؤذّنًا بزيال
وهمت سجّال منه بعد سجال

يندسّ آونة ويسنح تارة
متعرج يلتفت غير معرج
فلو أن مرتاعًا يروغ مشردًا
متجاوبُ الأصداء تسمع -كلّما
إن صرّحت باليأس منه أمّدا
شقّ الأديم، إلى الصميم، مهرولًا
ذكر القطين فجذّ يهبط خلفهم
قد كان مُتّجعّ العفاة، ولم يزل
لمشمر بين البلاد، محبّر

قلق المجاز كأن كل طميرة
غبرت تمضّ على الشكيم تغيطًا
تترقب القدر المُتاح تلفًا
ويهلها الأمل السحيق كأنها
أشرفت منه على العصور تمثّلت
وشققت جيب الأرض من أطرافها
وشهدت فيه مدينة منحوتة
موصولة حُجراتها بفنائها
لبست إياة الشمس في ألوانها
والقصر نحو القصر ينظر شاخصًا
إن ورّع العبرات^(١) جاش أثيها

(١) كفكفها.

وَمَغَارَةٌ وَقَفَتْ جِبَالَ مَغَارَةٍ وَمُدْرَجٍ فِي إِثْرِ آخِرِ تَالٍ
يَتَشَعَّتْ الدَّرَجُ الشَّتِيْتُ خِلَالَهَا كَخُطُوطِ أَعْسَرَ أَوْ دَيْبِ نَمَالٍ



بلد كأن يداً دحنته، فخرٌ من
فهنا الصخور على الصخور تحطمت
أو كالطلاس فوق مُهَرَّقٍ ساحرٍ
موتٌ تطوف به الحياة، وموقفٌ
تمضي القرون على القرون كأنها
فانظر إلى الأمصار كيف تنكث
وإلى الأنام تلقهم أكفانهم
وافزع إلى الملك المهيمن فوقهم
وجدالٌ دجال، وسُحَفٌ مُوسوسٌ
سُبْحان من يَهَبُ الحياة تبرُّعاً
متصرفٌ في الكون غيرُ مفرطٍ
كتبَ الخلودَ على الوجود، فلم يكن

كُلُّ الجبال ممرَّقُ الأوصالِ
وهناك منه حقيقة كخيالِ
في كل زاوية خبيثة حالِ
خسعتُ لديه طوارقُ الأهوالِ
-وقد انحدرنَ إليه- بضِعُ لِبَالِ
وإلى القضاء يصول كلُّ مَصَالِ
بعد الجهاد ونضرة الآمالِ
فالعالم ملٌّ تنطُش الجَهَّالِ
ينشدَّان بطائش الأقوالِ
من قبل أي رضئ وأي سؤالِ
يبني الجديد من القديم البالي
في الموت غيرُ تحوُّل الأشكالِ

فؤاد الخطيب



بقية قلم

أهدى الأستاذ السيد محمد الخضر حسين قلماً صغيراً إلى الخزانة التيمورية

ومعه بطاقة كتب فيها :

كان هذا القلم آخر أقلام ثلاثة حررت بها نقض كتاب «في الشعر الجاهلي»،
وقد رأيت أن أهدي هذه البقية منه إلى خزانة صاحب السعادة الأستاذ أحمد
تيمور باشا، وقلت على لسان القلم هذه الأبيات:

سَفَكَتُ دَمِي فِي الطَّرْسِ أَنْمَلُ كَاتِبٍ	وَطَوَّنَتِي الْجِبْرَةَ إِلَّا مَا تَرَى
نَاضَلْتُ عَنْ حَقِّ يَحَاوُلُ ذَوِي هَوًى	تَصَوِيرَهُ لِلنَّاسِ شَيْئًا مُنْكَرًا
لَا تَضْرِبُوا وَجْهَ الثَّرَى بِبَقِيَّةِ	مَنِي كَمَا تُرْمَى النَّوَاءُ وَتُزْدَرَى
فَخَزَانَةُ الْأَسَازِ تَيْمُورِ ازْدَهَتْ	بِحَلَى مِنَ الْعِرْفَانِ تَبْهَرُ مَنْظَرًا
فَأَنَا الشَّهِيدُ، وَتِلْكَ جَنَاتُ الْهَدَى	لَا أَبْتَغِي بِسِوَى ذَرَاهَا مَظْهَرًا



قوس قزح

يَا ضَاحِكُ اللَّوْنِ مَا عِشْتَ لِلصَّوْنِ
عِنْدَ السَّمَاءِ
إِنْ رُؤِعْتَ تَبْدُو إِنْ أَشْرَقْتَ تَغْدُو
أَنْتِ الْمُسَاءُ!
تَمْتَدُّ فِي السُّحْبِ وَالشَّمْسُ فِي حُجْبِ
دُونَ الْخَفَاءِ
كُنْتُ مِنْ نُورٍ فِي وَشِي بَلُورِ
جَمِّ الزَّوْءِ
آبَاتُ الْوَانِ فِي قَوْسِهَا الْبَانِي

هذا البهاء

كالقوس للضرر تمتد في فخر

فخر الضياء!

والسحب كم تجري في لونها البدري

من كهرباء

تخكي المناطيد دفا وتضميدا

سفن الهواء!

تلقاك في أنس لكنها ثمسي

صرعى الوفاء!

في وشبك الزاهي قد حبر اللاهي

لون الدماغ!

اضباع نقاش جاد بإنعاشي

والشعرا!

ما ذبن في الماء بل زدن إسدائي

إعجاز ماء

لكنها حلت في الزهر مذ ولت

عن السماء!

أبو شادي



قيمة الوقت كلمات مختارة من (صيد الخاطر) لابن الجوزي

رأيتُ العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان، وكان القدماء يحذرون من ذلك.

دخلوا على رجل من السلف فقالوا:

لعلنا شغلناك!

فقال: أصدُّكم، كنتُ أقرأ فتركتُ القراءة لأجلكم.

وجاء رجل من المتعبدين إلى سَريّ السقطي، فرأى عنده جماعةً، فقال:

صرتُ مناخ البَطَّالين!

ثم مضى ولم يجلس.

وكان جماعة قعودًا عند معروف، فأطالوا، فقال:

إن مَلَك الشمس لا يفتر في سوقها،

أفما تريدون القيام؟

وممن كان يحفظ اللحظات عامر بن عبد القيس، قال له رجل:

قف أكلمك.

قال: فأمسك بالشمس!



اغتيال الفاروق الأعظم في محراب الرسول ﷺ

□ شهادة شاهد عيان اعتمدها الإمام البخاري في جامعه الصحيح^(١)

قال عمرو بن ميمون الأودي يصف ما رآه بنفسه عند ما كان قائماً في الصلاة، وراء الفاروق الأعظم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو في محراب مسجد المدينة:

إني لقائم ما بيني وبينه -يعني عمر- إلا عبد الله بن عباس رضي الله عنه غداة أُصيب، وكان إذا مر بين الصفيين قام بينهما، فإذا رأى خللاً قال: استروا!

حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر. فربما قرأ بسورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس.

فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول:

قَتَلَنِي (أو أَكَلَنِي) الْكَلْبُ...

حين طَعَنَهُ، فطارَ العِلْجُ^(٢) بسكين ذاتِ طَرَفَيْنِ: لا يُمَرُّ على أحد يميناً ولا شِمالاً إلا طَعَنَهُ، حتى طَعَنَ ثلاثةَ عشرَ رجلاً، فمات منهم تسعة (وفي رواية سبعة).

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين^(٣) طَرَحَ عليه بُرُتْسًا، فلما ظن العِلْجُ أنه مأخوذٌ نَحَرَ نفسه.

(١) حديث رقم (٣٧٠٠). (س).

(٢) كنيته أبو لؤلؤة، واسمه فيروز، وكان مجوسياً، ويظهر أنه كان مدسوساً على عمر.

(٣) يُقال: له حطان التميمي اليربوعي.

وتناولَ عمرُ رضي الله عنه عبدَ الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقدمه -أي للإمامة في المحراب-، فأما من كان يلي عمر فقد رأى الذي رأيتُ، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يذكرون ما الأمر، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهو يقول:

سبحان الله، سبحان الله!

فصلى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفةً، فلما انصرفوا، قال عمر:

يا ابن عباس انظر من قتلني؟

قال فجاءَ ابنُ عباس ساعة، ثم جاء فقال:

غلامُ المغيرة بن شعبة.

قال: قاتله الله، لقد كنت أمرتُ به معروفًا.

ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد أحدٍ من المسلمين، لقد كنت أنت وأبوك تُحبَّان أن تكثر العلوج بالمدينة^(١).

وكان العباسُ أكثرهم رقيقًا، فقال ابن عباس رضي الله عنه:

إن شئت فعلتُ - أي: إن شئت قتلناهم.

قال: لا، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا إلى قبلتكم، وحجُّوا حجَّكم؟

فاحتُمِلَ إلى بيته رضي الله عنه، فانطلقنا معه، قال:

فكان الناس لم تُصِبهُم مصيبة قبل يومئذ، فقاتل يقول:

أخافُ عليه.

وقائل يقول: لا بأس به.

(١) يريد سبايا الفرس، وقد كان عمر يُحذر اختلاطهم بالناس فيفسدوهم.

فَأَتَى بَنِيذَ، فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أَتَى بَلْبَنَ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ.

وجاء الناسُ يُثْنُونَ عليه.

وجاء شابٌّ فقال:

أُبَشِّرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ ﷻ، قَدْ كَانَ لَكَ مِنْ صُخْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدَّمَ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلَّيْتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهِدْتَ.

فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَانَ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَذْبَرَ الرَّجُلَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ، فَقَالَ:

رَدُّوا عَلَيَّ الْغُلَامَ.

فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَنْقَى لثَوْبِكَ، وَأَنْقَى لِرَبِّكَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ^(١) انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ.

فَحَسَبُوهُ فَوْجِدُوهُ سِتَّةَ وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، فَقَالَ: إِنْ وَفَى بِهِ مَا لَ آلَ عُمَرَ فَأَدَّهَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيٍّ بَنَ كَعْبٍ^(٢)، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالَهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعْدِهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَأَدَّ عَنِي هَذَا الْمَالُ، انْطَلِقْ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ^(٣)، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٣)، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ.

قَالَ: فَاسْتَأْذَنَ وَسَلَّمْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ تَبْكِي. فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَقَالَتْ:

(١) يخاطب ابنه.

(٢) هم قبيلة آل الخطباء.

(٣) لئلا تتلقى ما سيطلبه كأنه أمر أمر.

كنت أريده لنفسي ولأوثرته اليوم على نفسي .

فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، فقال : ارفعوني فأسنده رجل إليه .

فقال : ما لديك ؟

قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين ، أذنت .

فقال : الحمد لله ، ما كان شيء أهم إلي من ذلك ، فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل : يستأذن عمر . فإن أذنت لي فأدخلوني ، وإن ردّدتني فردوني إلى مقابر المسلمين .

فجاءت أم المؤمنين حفصة^(١) والنساء يسترنها ، فلما رأيناها قمنا ، فوَلَجَتْ عليه ، فبَكَت عنده ساعة ، واستأذن الرجال ، فوَلَجَتْ داخلًا لهم^(٢) .

فسمعنا بكاءها من داخل . فقالوا :

أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف .

فقال : ما أرى أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الستة الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

فسمي عليًا ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعدًا^(٣) ، وقال :

يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من هذا الأمر شيء (كهيفة التغرية له) ، فإن أصابت الإمارة سعدًا فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمّر ، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة .

(١) بنت عمر .

(٢) أي : مدخلًا كان في الدار .

وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالأنصار، والمهاجرين، والأعراب، وبأهل الأمصار.

فلما قُبِض، خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ وقال: يستأذن عمر. فقالت (أي عائشة):

أدخلوه. فأدخل، فَوُضِعَ هنالك مع صاحبيه، فلما فُرِغَ من دَفْنِهِ اجتمع هؤلاء الرَّفَظُ.

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم.

فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي.

وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان.

وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن: أيكما تَبَرَّأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام^(١) لينظرون أفضلهم في نفسه. فأسكت الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله علي ألا آلو عن أفضلكم.

قالا: نعم.

فأخذ بيد أحدهما فقال: لك من قرابة رسول الله ﷺ والقَدَم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أَمَرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، ولئن أَمَرْتُ عثمانَ لَتَسْمَعَنَّ ولتُطِيعَنَّ؟ ثم حَلَا بالآخر فقال له مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال:

ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له علي رضي الله عنه، وَلَجَ أهلُ الدار فبايعوه.

(١) بالرفع فيهما، والخبر محذوف أي: رقيب.

ذكرى شهداء العرب

هَبَّ وَاللَّيْلُ غُدَافِي الْجَنَاحِ
 بَاكِيًا يَشْكُو بِأَحْشَاءِ جِرَاحِ
 كُلَّمَا صَعَّدَ أَنْفَاسًا وَنَاخِ
 وَخَزَ الْقَلْبَ وَأَصْلَاهُ ضَرَامِ

كالسهم

رَقَدَ النَّاسُ وَنَاجَى وَشَكَا
 وَالدَّجَى فِيهِ مِثَارَاتُ الْبَكَا
 يَتَعَالَى صَوْتُهُ مَرْتَبِكَا
 وَسَوَى رَجَعَ الصَّدَى مَا مِنْ مُجِيبِ

للكثيب

هَبْ لِي يَا اللَّهُمَّ صَبْرًا وَجَلَدًا
 وَلَهُ. إِذْ قَدْ وَهَى مِنَّا الْجَسَدُ
 قَدْ ثَقَلْنَا عَلَى نَارِ الْكَمَدِ
 نَتَلَطَّى حَرَقًا فِي حَرَقِ

في رَهَقِ

نَزَلَتْ فِينَا وَفِي أَمْتِنَا

بعد عزّ كان في دولتنا
نُوبٌ لم تُبقي من همتنا
وهي لو حلت على طودٍ لهاز

في اندثار

أين مجدُّ أثَلْتُهُ الخلفاء
والمُعَاوِيُونَ أَمَارُ السماء؟
قد تلاشى مع ذرات الهواء
مُذْ تَسَاهَلْنَا وسلمنا الزّمام

للأعجام

كلُّ ما حلَّ بجسم العَرَبِ
من هُزالٍ منهكٍ أو وَصَبِ
لم يكن إلا بسمي الأجنبي
غير أن العُرْبَ لم يعتبروا

ويذكروا...

كل مَنْ جاء يحيي بابتسام
وهو لا يبطن إلا الانتقام
حسبوه صادقاً برعى الذمام
ثم ولّوه فاصمى وغَدَرَ

دون حَذَر

ليس يرعى العُربَ غيرُ العربي
 أنبيًا كان أم غير نبي!
 وخَوَّون من بني قومي غبي
 لستُ أرضى عنه «كسرى» بدلاً
 كلا ولا...

فعل «الفرس» بنا ما فعلوا
 و«بنو جنكيز» كم قد قَتَلُوا
 من رجالٍ بهمُ المستقبل
 كان يزهو مثلما تزهو دُكاء
 في السماء

من يَرُم يُحصي رزاياهم كتاب
 ضاق دَرْعًا بالذي رامَ وخاب
 إن أذاقونا بما جاءوا عذاب
 فسُئِلَهم بما نأتي سعيَز

وثبوز

إنما الحرب كما قيل سجال
 وحياة الناس في الكون جدال
 والليالي بالأعاجيب ثقال

ليس يدري الناس ما يأتي غدٌ

ثم بغدٌ



شهداء العُرب عنوانَ الكرامِ
رحمةُ الله عليكم وسلامُ
إن رقدتم تحت أطباق الرجامِ
فلقد خلدتُم ذكرًا جميلُ

لا يزولُ

قد تركتم سيرةً في الآخرينِ
هي نورٌ وهدى للعالمينِ
يُذِلُّجُ الساري على فجر مُبينِ
من سناها في الليالي الداجياتِ

القائماتِ

قد رأيتم عيشة الإذلال عازِ
وأبيتم أن يسومونا الصَّغارِ
فاشترتُم بالدم الغالي الفخارِ
وبعثتم أمةً بعد المماتِ

للحياة

كتب التاريخ في الفخر كتابُ

أَنْتُمْ الطُّغْرَى بِهِ فِي كُلِّ بَابٍ
كُلُّ سَطْرٍ خَطَّهُ فَصَلَ الْخَطَابِ
يَتَجَلَّى فِيهِ صَدْقُ الْمُرْسَلِينَ

فِي الْغَابِرِينَ

إِنْ شَعْبًا أَنْتُمْ بَعْضُ بَنِيهِ
لَهُوَ شَعْبٌ حَازِمُ الرَّايِ نَبِيهِ
لَنْ يَهُونَ الدُّهْرَ لِلْخَطْبِ الْكَرْبِ
وَيَرَى فِي الْهَوْنِ عَارًا أَيَّ عَارٍ

وَشَنَاز



يَا شَبَابَ الْيَوْمِ أَبْطَالُ الْغَدِ
مَنْ بَنِي يَنْغُرِبُ أَهْلُ السُّؤْدِ
أَخْلَصُوا فِي السَّعْيِ وَالْمَعْتَقِدِ
وَانْهَجُوا نَهْجَ الْكِرَامِ الشُّهَدَاءِ

فِي الْفِدَاءِ

وَحَدُّوا الرَّايَ وَسَيَرُوا أُمَمًا
وَانْشَرُوا الْعِلْمَ وَجَارُوا الْأُمَمَا
إِنْ بِالْعِلْمِ تَنَالُونَ السَّمَا

وكنوزًا تحت أطباق الثرى

لن تحصرنا

ليس أهل الغرب أرقى فِكْرًا

إنما جَدُّوا فنالوا الوَطرا

وركدنا فرجعنا القهقري

ليس للإنسان إلا ما سعى

وانتفعا

حَظَمُوا القيد وثوروا للتراث

فإلى كم نرتضي الضيم حياة؟

أحياة هذه أم ذي ممات

كل يوم نبأ يكسو البلاد

ثوب جِداد

«جَلَقُ» تُرْهَقُ بالبِيضِ الرقائِ

وزكِيّ الدم في «الريف» يُراقِ

مثلما أُهْرِيقَ في أرض العراقِ

وبِلادُ العُربِ للمستعمِرينِ

لا تستكينِ

بغداد: ٤ ذي القعدة، ١٣٤٥

محمد بهجة الأثري

العربية (في اللغة الأسبانية)

للكاتب المدقق أنطون افندي إلياس أحد أدباء العرب في الأرجنتين كتاب باللغة الأسبانية ذكر فيه الكلمات الأسبانية الكثيرة التي من أصل عربي، وقد أدى به البحث إلى الحكم بأن العربية أقدم لغة حية، وقد أرجع كثيرًا من الكلمات الإنكليزية واللاتينية واليونانية وغيرها إلى أصلها العربي، وبرهن على أنها ليس لها في غير العربية تحليل ولا تركيب، فهي في غير العربية غريبة وفي العربية ذات نسب وسلالة. نقل هذا رصيفنا صاحب مجلة «الشمس»، الذي يعرف الأسبانية معرفة جيدة، ويؤكد أن نصفها من أصل عربي.



توبة بن نمر الحضرمي «قاضي مصر»

قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي (المتوفى سنة ٣٥٠) في كتابه (قضاة مصر) عندما كان يذكر قضاة هذه الديار زمن هشام بن عبد الملك.

ثم ولي القضاء بها -أي: بمصر- توبة بن نمر الحضرمي، فدعا امرأته عفيرة الأشجعية، وقال لها:

يا أم محمد، أيّ صاحب كنتُ لك؟

قالت: خيرَ صاحبٍ وأكرمَه.

قال: فاسمعي، لا تعرضنَّ لي في شيء من القضاء، ولا تذكرتي بخصم، ولا تسألني عن حكومة، فإن فعلت شيئًا من هذا فأنت طالق، فإما أن تقيمي مكرّمة، وإما أن تذهبي ذميمة.

ومما ذكره الكندي في كتابه «قضاة مصر» من أمر توبة هذا وشفقته على المرأة:

أن رجلاً وامرأته اختصما عنده، فطلقها، فقال له توبة: متعها. فقال: لا أفعل.

فسكت عنه توبة؛ لأنه لم يره لازماً له. فأتاه الرجل الذي طلق امرأته في شهادة، فقال له توبة:

لستُ قابلاً لشهادتك.

قال: ولم؟

قال: إنك أبيت أن تكون من المحسنين، وأبيت أن تكون من المتقين^(١) (ولم يقبل له شهادة).



وكان توبة يقضي في الرجل يُفلس بصدّاق امرأته كاملاً، فما بقي من ماله كان الغرماء أسوة.



وكان توبة لا يملك شيئاً إلا وهبه ووصل به إخوانه وأفضل به عليهم. فلما ولي القضاء كان يرى أن يحجر على السفه والمبذّر، فرفع إليه غلام من حمير لا تحوي يده شيئاً إلا وهبه وبذّره، فقال له توبة: أرى أن أحجر عليك يا بني.

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَتِّمُوهُمْ عَلَىٰ الْوَسْجِ قَدْرُهُ وَعَلَىٰ الْفَقْرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُتَزِّجَاتِ﴾.

قال: فمن يحجر عليك أيها القاضي؟ والله ما نبلغ في أموالنا عشر معشارٍ من تذكرك.

فسكت توبة، ولم يحجر على سفيه بعد.

وبقي توبة في القضاء إلى أن مات في ربيع الأول سنة عشرين ومائة.



إلى دار العلوم

قصيدة الشيخ محمد عبد المطلب في عيد (دار العلوم) الخمسيني

لي في ظلالك مسرحٌ ومقبلٌ	روضٌ أغنٌ ومنزلٌ مأهولٌ
ومعاهدٌ نشر الحياة بها الحبا	فالميش أخضر والنعيم ظليلٌ
سرُّ الجمال جمالٌ مصر إذا سرت	ريحُ الشمال بها وعبَّ النيلُ
بلدٌ جريتُ إلى المنى في ظله	سبحًا على اللذات وهي شكوْلُ
أردُ المربع والمصايف سادرًا	أختالٌ بين ظلالها وأجولُ
فيحٌ إذا نهض القريضُ لوصفها	يحلو القريضُ بوصفها ويطولُ
أمرابي والعمر فَيَنانُ الهوى	ومراد لهوي والصبا معسولُ
بالرمل منها منزل أشتاقه ^(١)	إن شاق صنوي حومل ودخولُ
يزهي ظباء النيل رَوْحُ رياضه	ونسيم ذاك البحر وهو عليلُ
أهوى إليه على البخار إذا سرت	بالمجندين هودج وحمولُ
كالطيف يختلس الظلام إذا سرى	لمحًا، وطرفُ النجم عنه كليلُ

(١) الرمل: ضاحية الإسكندرية، اتخذها المصريون مصيفًا.

وإذا بكى الأثلاث يحيى شاقه
 غنيتُ نشوانَ القريضِ يهزني
 أو غرَّدتُ ورقاءَ رامة هزها
 فيجانب الفسطاط من غربته
 حيث القصور الشمّ تزهو حولها
 والنيل في ثوب المخيلة بينها
 متهنسًا بين الرياض كما حبًا
 يا نيلُ أنت ثراء مصر وغيثها
 بك يرتوي الوادي إذا جفَّ الثرى
 وعلى يمينك بالمنيرة حلّة
 راقّت بها (دارُ العلوم) مواردًا
 أمّ لنا في المنجيات مهادها
 أمّ إذا درج الوليد بحجرها
 لله درّ شبيبة كفلتهم
 أخذت علينا - منذ أيام الصبا -
 مغنى جفاه بقرقرى ومقبلُ
 سدرٌ بريف جُهينة ونخيل^(١)
 حيّ هناك بذى الأراك حلولُ
 وُزقٌ لها بالمنيلين هديل^(٢)
 غلبُ الحقائق والنسيمُ غليلُ
 يسطو على جنباتها ويصوّلُ
 ليثُ العرين دجا عليه الغيلُ
 والأرض قفرٌ والبلاذ محوّلُ
 وبيلُ من صادي الفؤاد غليلُ
 للعلم فيها جمّة وخفيل^(٣)
 تروى بهن بصائرٌ وعقولُ
 دعم لمجد بلادها وأصولُ
 فالذين يرعى والبيان يعولُ
 أمّ لنا في الأمهات بتولُ
 عهدُ الكريم، وعهدُها مسئولُ



يا أم عهدك في القلوب موثّق
 الدينُ عهدك والمكارمُ بيننا
 صدقُ الوفاء بحبله موصولُ
 والعلم والآداب والتنزيلُ

(١) جهينة: بلدة في مديرية جرجا بصعيد مصر.

(٢) الفسطاط في جنوب القاهرة يشقه النيل، والمنيلان بين الفسطاط والقاهرة، ويجوارهما مدرسة (دار العلوم).

(٣) المنيرة: الحي الذي فيه (دار العلوم).

عَلَّمْتَنَا أَنْ (الحنيفة) مَلَّةٌ
تهدي إلى سُبُل الرِّشَادِ إِذَا هُوَ
رَفَعْتَ مَنَارَ الْحَقِّ، لَا يَبْعَا بِهِ
إِلَّا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا وَخَمَ الْهُوَى
نَزَعُوا إِلَى دَنَسِ الْإِبَاحَةِ فَانْجَلَى
مَازَا الْجَدِيدِ مِنَ الْقَدِيمِ، وَمَا دَرَوْا
جَلْبَاتِ إِفْكٍ، فِي مَهَالِكِ فِتْنَةٍ
دَعَا، وَمَا ضَرَبُوا لَنَا مَثَلًا بِهَا
وَإِذَا الدَّعَاوَى لَمْ يَقُمْ بِدَلِيلِهَا
إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا «قَدِيمًا» دِينَنَا
أَوْ عَلَّهْ لَغَةُ السَّمَاءِ؟ وَأَنْهَا
أَوْ ذَلِكَ الْأَدَبُ الَّذِي شَهِدْتُ لَهُ
رَخَرَتْ بِهِ أُمُّ اللُّغَاتِ، وَلَمْ تَزَلْ
وَسَيَعْلَمُونَ إِذَا الْحَقِيقَةُ أَعْرَضَتْ
وَتَرَى الْجَدِيدَ يَصْبِيحُ فِي حَجَرَاتِهِمْ
مَا فِي الْقَدِيمِ مَعَابَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ
وَذَرِ الْجَدِيدَ إِذَا رَأَيْتَ سَبِيلَهُ
وَاسْلُكْ سَبِيلَكَ غَيْرَ ذِي عَوَجٍ تَرِدْ
يَا أُمُّ كَمْ مِنْ شِرْعةٍ لَكَ فِي الْهُدَى
يَا أُمُّ كَمْ لَكَ مِنْ يَدٍ فِي شُكْرِهَا
أَحْيَيْتَ أَحْيَاءَ الْجَزِيرَةِ: مَنْ نَمَى
فَبِكُلِّ فَصْلٍ مِنْكَ مَظْهَرُ أُمَّةٍ

لَا نَهَجُهَا وَعَرَّ وَلَا مَجْهُولُ
الْمَفْتُونِ بِالْإِلْحَادِ وَالضَّلِيلُ
عَقْلٌ، وَلَا يَنْجَابُ عَنْهُ دَلِيلُ
فَالنَّهْجُ أَعْمَى وَالْمَنَاخُ وَبِيلُ
لِلنَّاسِ ذَاكَ الْمَنْزَعُ الْمَرْذُوءُ
أَنْ الْجَدِيدُ مِنَ الْقَدِيمِ سَلِيلُ
هُجَاءٍ، كَيْدُ غَوَاتِهَا تَضْلِيلُ
يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْقِيَاسِ مِثْلُ
فِي الْعَقْلِ، فَهِيَ عَلَى السَّفَاهِ دَلِيلُ
فَلْيَأْتِ مِنْهُمْ بِالْجَدِيدِ رَسُولُ
الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
فِي كُلِّ شَعْبٍ بِالْجَمَالِ عَدُوُّ
بُعْلَاهُ تَفْتَرِعُ اللَّغَى وَتَطْوُلُ
أَنْ الضَّلَالَةُ جُنْدُهَا مَخْذُولُ
يَا قَوْمَ، عَلَى تِلْكَ الْمَهَالِكِ زَلُولُ
فِيهِ عَنِ السَّنَنِ السَّوِيِّ عَدُوُّ
عَوَجًا عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ تَمِيلُ
شَرَعَ الْحَيَاةِ وَصَفَوْهَا مَكْفُولُ
لَا وَرُدُّهَا رَنْقٌ وَلَا مَمْلُوءُ
يَبْعَا الْمَقَالُ وَيَعْجِزُ التَّفْصِيلُ
قَحْطَانُ مِنْ وَلَدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ
مِنْ أَهْلِهَا، وَبِكُلِّ يَوْمٍ جِيلُ

ولو استدارَ بك الزمان لأصبحت لك في عكاظ من البيان فصولُ
 هذا مَجَالُكَ في البلاغة فاسلكي ما شئتَ، نهجُكَ في البيان ذلولُ
 (لغة الكتاب) وديعة الأحقاب، ميراثُ إلى الأعقاب عنك يؤولُ
 مَنْ لم يُحِطْ بقديمها لم يعتد علماً بمجد الشرق وهو أثيلُ
 وخذي المعاني في جمال جديدها ما شئتَ، لا حرجٌ ولا تخذيلُ



المفتاح

قال لويس كوست -الذي حرر الأمة المجرية من نير النمسا: «إذا استُعِيدَتْ
 أمةٌ ففي يدها مِفْتَاحُ حَبْسِهَا ما احتَفَظَتْ بِلُغَتِهَا».



عظم الهمة

محاضرة للعلامة الجليل السيد محمد الخضر حسين

في دار جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية في القاهرة

أيها السادة:

شؤون الأمم شتى، وأعزُّ شئونها مكارم الأخلاق، وحقوق الأمم على
 علمائها وزعمائها كثيرة، وأهم حقوقها القيام على هذه المكارم، فالجماعة التي
 تعمل على تقويم الأخلاق وترقية الآداب، هي التي تحمل من أعباء حقوق الأمة
 ما كان أرجح وزناً، وأكبر نفعا.

إذن رجال جمعية مكارم الأخلاق يُعنون بأعز شؤون الأمة، ويقومون على أهم وسيلة من وسائل سعادتها، فجمعية المكارم جديرة بالمؤازرة، خليفة بأن تكون أصلها ثابتًا وفرعها في السماء.

شدة أثر الأخلاق السامية في تقدم الشعوب وتفوقها، وقيام جمعية المكارم على بث الفضيلة وإعلاء كلمتها، هما اللذان يَسرا على أن أتقدم على هذا المجمع الكريم، وألقي فيه كلمة صغيرة أصفُ بها خُلُقًا من أجل الأخلاق وهو عظم الهمة.

□ ما هو عظم الهمة؟

أحكم علماء الأخلاق بيان هذا الخلق، فقالوا: «هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور».

فعظيم الهمة يستخف بالمرتبة السفلى والمرتبة المتوسطة من معالي الأمور، ولا تهدي نفسه إلا حين يضع يده في أسمى منزلة وأقصى غاية، ويعبر عن هذا المعنى النابغة الجعديُّ بقوله:

بلغنا السماء مجدنا وجُدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مَظَهَرًا
وإذا كان هذا الخلق لا يقع إلا على معالي الأمور، فلا عظمة لهم قوم
يبتغون النهاية في زينة هذه الحياة، ويفرقون في التمتع بلذاتها المادية، كهؤلاء
الذين يُسرفون في الملابس المنمقة؛ والمطعمومات الفاخرة، والمباني
الشاهقة؛ فإن الزينة واللذائذ المادية لا تعدّ فيما تتسابق فيه الهمم من معالي
الأمور

إذا كان في لبس الفتى شرف له فما السيف إلا غِمْدَه والحمائل
والشاعر الذي يقول:

همُّ الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسُن النبيا

لم يقل صوابًا ولم ينطق بحكمة، إلا أن يريد من البنيان ما أقاموه لمصالح عامة، كأن يكون مدارس أو مستشفيات، أو دورًا للكتب، أو مساجد يُذكر فيها اسم الله، أو ملاجئ تأوي إليها اليتامى والمساكين وابن السبيل.

يستصغر عظيمُ المهمة ما دون النهاية من معالي الأمور، وإذا رأى الوسائلَ في الخارج تخونه، وتأبى أن تساعد على إدراك النهاية، فإنه يمضي في عزمه ويرضى بمبلغ جهده، وإن كان دون المرتبة العليا.

ومن الخطل في الرأي أن ينزع الرجل إلى خصلة شريفة، حتى إذا شعر بالعجز عن بلوغ غايتها البعيدة انصرف عنها جملة، والتحق بالطائفة التي ليس لها في هذه الخصلة من نصيب، والذي يوافق الحكمة ويقتضيه حق التعاون على سعادة الجماعة أن يذهب الرجل في هممه إلى الغايات البعيدة، ثم يسعى لها سعيها، ولا يقف دون النهاية إلا بحيث يَنقُذُ جهده، ولا يهتدي للمزيد على ما فعل سييلاً

والناس في الحقيقة أصناف:

رجل يشعر بأن فيه الكفاية لعظام الأمور، ويجعل هذه العظام همته، وهذا من يسمى «عظيم المهمة» أو «عظيم النفس».

ورجل فيه الكفاية لعظام الأمور؛ ولكنه يبخس نفسه، فيضع همه في سُفَساف الأمور وصغائرها، وهذا من يسمى «صغير المهمة» أو «صغير النفس».

ورجل لا يكفي لعظام الأمور، ويحس بأنه لا يستطيعها، وأنه لم يُخلق لأمثالها، فيجعل همته وسعيه على قدر استعدادده، وهذا الرجل بصير بنفسه متواضع في سيرته.

هؤلاء ثلاثة، ورابعهم لا يكفي للعظام؛ ولكنه يتظاهر بأنه قويّ عليها،

مخلوق لأن يحمل أثقالها، وهذا من يسمونه «فخوراً»، وإن شئت فسمه: «متعظماً».

□ من أين ينشأ عظم الهمة؟

يتربى عظيم الهمة من طريق الاقتداء، كأن ينشأ الفتى تحت رعاية وليٍّ أو أستاذ يطمح إلى النهايات من معالي الأمور، أو من طريق تلقين الحكمة، وبيان فضل عظم الهمة، وما يكسب صاحبه من سؤدد وكمال، أو من طريق درس التاريخ والنظر في سير أعظم الرجال، فإننا لو أخذنا نبحت عن مفاخر أولئك الذين يلهج التاريخ بأسمائهم لوجدنا معظم مفاخرهم قائمة على هذا الخلق الذي نسميه: «عظم الهمة».

والقرآن يملأ النفوس بعظم الهمة، وهذا العظم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال، فأتوا على عروش كانت ظالمة، ونسفوها من وجه البسيطة نسفاً، ثم رفعوا لواء العدل والحرية والمساواة، وفجروا أنهار العلوم تفجيراً، وإذا رأينا من بعض قرائه همماً ضئيلة خاملة فلأنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

□ فضل عظم الهمة:

يسمو هذا الخلق بصاحبه فيتوجه به إلى النهايات من معالي الأمور، فهو الذي ينهض بالضعيف يُضطهد أو يُزدرى، فإذا هو عزيز كريم، وهو الذي يرفع القوم من سقوط، ويبدلهم بالخمول نباهة، وبالاضطهاد حرية، وبالطاعة العمياء شجاعة أديبة.

هذا الخلق هو الذي يحمي الجماعة من أن تتملك خصمها، وتسل يدها من أسباب نجاتها ومنعتها، أما صغير الهمة فإنه يبصر بخصومه في قوة وسطوة،

فيذوب أمامهم رهبة، ويطرق إليهم رأسه حِطَّةً؛ ثم لا يلبث أن يسير في ريحهم ويسابق إلى حيث تنحط أهواؤهم.

نعم، يورد هذا الخُلُقُ صاحبه موارد التعب والعناء، ولكن التعب في سبيل الوصول إلى النهاية من معالي الأمور، يشبه الداء المرّ يتجرّعه السقيم؛ ليخلص من وجع لا يطاق.

وإذا كان حرص السقيم على الحياة يخفف على ذوقه طعم الدواء المرّ فيسيغه كما يُسيغ الشراب عذبةً باردًا، فإن عظيم الهمة قد يشتدّ حرصه على الشرف حتى لا يكاد يشعر بما يلاقه في سبيله من أنكاد وأكدار.

وربما كان الشرف الذي يركب له الأخطار والشدائد أعزَّ وقعاً وأدلَّ على عظم همته، من الشرف الذي يناله في يُسر وسهولة.

أراد أبو الوليد الباجي -حين كان يناظر أبا محمد بن حزم- أن يُثبت لهمة فضلاً على همة ابن حزم، فقال له:

- أنا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت تُعان عليه، تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائس السوق.

وأجابه ابن حزم قائلاً: أنت طلبت العلم في حال فاقة رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، لا أرجو إلا علوَّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة.

فَضَّلَ أبو الوليد الباجي همته على همة ابن حزم بما كان يلاقه في سبيل طلب العلم من شدة وعناء.

وفَضَّلَ ابن حزم همته على همة أبي الوليد الباجي بأنه كان يطلب العلم لفضيلته، ولو صحَّ قول ابن حزم، وثبت ما اتَّهم به أبا الوليد من أنه كان يطلب

العلم ليسار والرفاهية، لكان أعظم همة؛ فإن الذي يطلب الفضيلة لشرفها، يكون أسمى همة ممن يريد اتخاذها وسيلة إلى منصب أو وجاهة أو مال.

يتعلق عظم الهمة بكل شأن رفيع ومقام محمود، ولا تسع هذه الكلمة إلا أن نُعرِّج فيها على عظم الهمة، في العلم، وعظم الهمة في النصيح والإرشاد.

□ عظم الهمة في العلم:

تفاضل العلوم بغاياتها، وبقدر ما يكون لها من الاتصال بسعادة الإنسان، وتفاضل همم الطلاب بالنظر إلى هذه العلوم المتفاضلة في نفسها، فلكل من علم الأخلاق وعلم العروض -مثلاً- أثرٌ في الحياة الأدبية، ولكن علم الأخلاق أقرب إلى السعادة منزلة، وأوسع فيما ينفع الناس جولة، فمن يُعنى بالأخلاق ليتحلى بمكارمها يكون أرفع همة ممن يُعنى بالعروض ليعرف أوزان الشعر وما يلحقها من زحاف أو علة، وأعظم من هاتين المهمتين همة من جمع بين درس الأخلاق والعروض.

أخذ بعض أهل العلم يدرس العروض بعد أن بلغ من الكبر عتياً، ولما لاه بعض أصحابه على اشتغاله بهذا العلم الصغير وهو شيخ كبير، قال: شهدت مجلس قوم كانوا يتحاورون في هذا العلم، ولم أكن على معرفة به، وكان نصيبي بينهم السكوت، فأخذتني ذلة.

فمن درس علماً فأتقنه، ثم بسط نظره في علوم أخرى، كان أعظم همةً ممن درس علماً ثم قعد لا يلقي لغيره من العلوم بالاً، ولا يعرف لثمرها اللذيذ طعمًا.

كان لطلاب العلم في الشرق حرص على أن يستكثروا من العلم ويضعوا أيديهم في فنون شتى، وما كانت رغبة الواحد منهم في الاطلاع على العلوم

والفنون بعائقة له عن أن يُرسل نظره في بعضها حتى يرسخ فيها فهمًا، ويأخذ بأطرافه علمًا، ويرقى إلى المنزل التي تسمى «تخصصًا». فشيخ الإسلام ابن تيمية كان طودًا راسخًا في علوم الشريعة، وأضاف إلى رسوخه في هذا العلوم أن بلغ في علوم اللغة مرتبةً تحوّله أن يخطئ سيبويه في نحو أربع عشرة مسألة من علم النحو، وهذا الغزالي كان متضلّعًا من علوم الشريعة ووسائلها، وجمع إلى تضلعه في هذه العلوم أن كان يهاجم الفلاسفة في كثير من آرائهم ويناقشها بمنطق وروية، وهذا القاضي عبد الوهاب بن نصر كان فقيهاً نحريًا وأديبًا فائقًا، وهو الذي يقول فيه أبو العلاء المعري:

والمالكي ابنُ نصرٍ زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
إذا تفقّه أحيا مالكا جدلا ونُشر الملك الضليل إن شعرا

فعظم الهمة يدعو طلاب علوم الشريعة الإسلامية أن يمدّوا أنظارهم إلى هذه العلوم الحديثة، ليكونوا منها على بصيرة، وليزدادوا بها بينة على بيناتهم المفحمة لهذه الفئة التي تزعم أن بين الدين والعلم خلافاً، وأن من العلم ما لا يستقرّ مع حقائق الدين في نفس واحدة.

ومن أعظم همة القائم على بعض هذه العلوم الحديثة أن يأخذ نفسه بالاطلاع على حقائق الإسلام وآدابه، ليحرز منها الكمال والسعادة، وليتعالى عن أن يمشي وراء نفر يجتمعون على أن يحاربوا ما في هذا الدين القيم من حكمة وفضيلة.

تفاوتت الهمم في العلم الواحد من ناحية الاطلاع على مسائله، ثم من ناحية التصرف في هذه المسائل بتحقيق النظر وإجادة البحث، فطالب العلم الذي لا يدع باباً من أبوابه إلا ولجه، ولا يغادر بحثاً من مباحثه المهمة إلا ألم به، يكون أعظم همة ممن لم يطرق منه كل باب، أو لم يعرج فيه على كل مسألة قيمة، وطالب العلم الذي يخوضه بنظر حرّ، ويتناول مباحثه بنقد وبصيرة يكون أعظم

همة ممن يجمع مسائله حفظًا ويتلقاها كما يتلقاها حاكي الصدى لا يكلفك غير إملائها عليه، وطالب العلم الذي يتحرى لبابه، ويجول في أصوله يكون أعظم همة ممن يقضي الزمن في قشوره ويحبس النظر في دائرة ضيقة من فروعه.

كذلك نرى الأستاذ التحرير يبخل بأوقاته النفيسة عن أن يُنفقها في مناقشات واهية، وإنما يندفع إلى الخوض في حقائق العلم والغوص على أسرارها، وإذا توجه إلى نقد عبارة مؤلف فإنما يمسّ الخلل الذي يشوّه صورة المسألة التي هي موضوع البحث.

هذا والأمل معقود على أن هذه المعاهد والمدارس تُثبت لنا رجالًا تعظم همّهم فيجمعون من العلوم ما يجعل الشرق بحرًا زاخرًا، ويسيروا في كل علم سيرة الباحث الذي يفتح فيه طرقًا قيّمة، ويجعل نتائجه في تجدد ونماء.

□ عظم الهمة في النصّح والإرشاد:

في سبيل الدفاع عن الحق أو الدعوة إلى الإصلاح عقبة لا يقتحمها إلا ذوو الهمم الكبيرة، فإن في طوائف المبطلين أو المفسدين نفوسًا طاغية وأحلامًا طائشة، والسنة مقذعة، وربما كانت فيهم أيدي باطشة وأرجل في غير الخير ساعية.

فأنصار الحقيقة ينصبون أنفسهم أمام هذه الشرور كلها، وإنما تعظم همهم على قدر ما يتوقعونه من فقد محبوب أو لقاء مكروه، فالذي يُنكر على الحكام خرقًا في السياسة أو حيفًا في القضاء، يكون أعظم همة ممن لا يحمي الحقيقة إلا إذا عبث بها أيدي الضعفاء، والذين لا يجدون ما ينفقون.

يتمثل لكم عظم الهمة في منذر بن سعيد، قاضي قرطبة ح، ين قام في خطبة الجمعة يُنكر على الخليفة عبد الرحمن الناصر إسرافه في الإنفاق على تشييد

المباني وزخرفتها، وأخذ يلقي الخطبة في كلام جَزُل افتتحه بقوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَابَةً تَعْبَثُونَ ﴿٧٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿٨٠﴾. وسلك ذلك الكلام الجزل، وهو على علم بأن الخليفة حاضر مستمع إليه؛ ولكن الخليفة انصرف بعد أن قضيت الصلاة، ولم يزد على أن صار يصلي في جامع لا يخطب فيه منذر بن سعيد!

يشهد العالمان الرجل من ذوي الشأن يعمل عملاً غير صالح، وأعظمهما همة هو الذي يسبق إلى إنكار عمله، وتذكيره بسوء عاقبته.

دخل أبو عثمان بن إدريس، ومنذر بن سعيد البلوطي على الخليفة الناصر، وهو في الزهراء، فأنشد أبو عثمان أبياتاً أطرى بها الخليفة على هذا البناء، فابتهج الناصر واهتز لهذا الإطراء، أما منذر بن سعيد، فإنه أطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال:

يا باني الزهراء مستغرقاً أوقاته فيهما أما تمهلُ
لله ما أحسنها رَونقا لو لم تكن زهرتها تذبلُ
فقال الناصر: إذا هبَّ عليها نسيم التذكار، وسقتها مدامع الخشوع، لا تذبل
إن شاء الله، فقال منذر: اللهم اشهد، فإني قد بثت ما عندي، ولم آل نصحاً.
وأصاب منذر فيما قال، فقد ذبلت زهرة الزهراء وتهدمت قصورها يوم قام
محمد بن هشام على بني عامر، وانتزع الملك من أيديهم، واستولى على قرطبة
سنة تسع وتسعين وثلثمائة.

وإذا كانت الدعوة من معالي الأمور، فنهايتها التي يبلغها الداعي المصلح أن
يرشد إلى ما يراه حقاً، ويحذّر مما يراه منكراً؛ غير حافل بما يحفل به ضعيف
الإيمان، أو قليل الإخلاص من رضا الملأ الذين استكبروا.

رفع القرآن مكان الدعوة، ثم جعل الدعاة إلى حق أو إصلاح خير أمة أخرجت للناس، وقد خرج بفضل القرآن رجال عظمت همهم، فكانوا يؤثرون الحق والنظام على منافعهم الخاصة، ويحتملون في سبيل النصح والإرشاد ما تدعوهم الحكمة إلى احتماله من فقد السراء أو لقاء الضراء.

وسنرى بتوفيق الله تعالى من هذه المعاهد والمدارس رجالاً كثيراً يقدرون عظم المهمة في النصح للأمة؛ وينهضون بهذا الواجب ضارين بمنافعهم الخاصة إلى وراء، وإذا فاتهم أن يروا ثمرة جهادهم بأعينهم، ففي شرف الجهاد وإنارة السبيل للأجيال القابلة كفاية.



لولا تجلد شارل مارتل

شيلي بك ملاط من أشعر مسيحيي لبنان إن لم يكن أشعرهم، وقد أنشد في مهرجان تكريم شوقي بك في القاهرة قصيدة قال فيها:

وعدالة كعدالة الخطّاب	مَن للزمان بمثل فضل محمد
وأعزّها بالآل والأصحاب	رفع الرسول عماد أمة يغرّب
في الشرق فوق أباطح وهضاب	عُشيت الفتوح وصَفقت راياتها
اكتاف صقر جارج وعقاب	وتغلغلّت في الغرب طائفة على
في قلبه بسُرادق وقباب ^(١)	لولا تجلد (شَرل مرّتل) خيمت

(١) يشير إلى الملحمة الكبرى بين العرب والإفرنج في (بواتيه) بفرنسا، وقد أراد الله أن يقطع شارل مارتل على العرب خط تبسطهم بالفتح الإسلامي في أوروبا، بما أبداه من تجلد وصبر، ويعد بعض المنصفين من الإفرنج انكسار العرب يومئذ نكبة على الحضارة، ولو انتصروا؛ ل جاءت الحضارة الحالية قبل مائتي سنة من أوانها، وكانت تكون بأسلوب أفضل وأسعد.

ولكَانَ صار الغربُ أندَلُسًا به شوقي يقول سَوَاحِرًا وَسَوَابِي



حَتَّى الْجَزِيرَةَ فِي مَسَارِحِهَا وَمَا	فِي الرِّيفِ مِنْ رِيٍّ وَمِنْ إِخْصَابٍ
وَاسْمَعْ فِدَيْتُكَ نَبْرَةً مِصْرِيَّةً	عَرَبِيَّةً فِي مَنْطِقِ خَلَابٍ
وَاسْتَنْشِدِ الْقُرْآنَ قَوْمًا جَوْدُوا	مِنْهُ بَأْيٍ فِي النُّفُوسِ عِذَابٍ
وَاقْرَأْ بِهِ قُصْحَى اللُّغَاتِ مُدَلَّةً	فِي الْمَشْرِقِينَ بِجَوْهَرِ الْأَحْسَابِ
أَخَذْتُ قَرِيشُ بِجَزَلِهَا وَبَكَتْ بِهَا	غُرْنَاطَةٌ فِي رِقَةٍ وَعِثَابٍ
لَوْلَا يَدُ الْإِسْلَامِ لَمْ تَسْلَمْ بِمَا	فِيهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ
وَلَوْ ارْعَوَى مِنْ صَدٍّ عَنْهَا زَاهِدًا	مُتَغَلَّلًا بِعَنَائِبِ الْأَسْبَابِ
لَأَرَيْتُهُ عِنْدَ الْعِيَاءِ خَطَاءَهُ	وَأَرَيْتُهُ عِنْدَ الْبَيَانِ صَوَابِي
مَنْ لَمْ يَضُنْ لُغَةَ الْجُدُودِ فَلَيْسَ مِنْ	قَوْمِيَّةٍ تَنْمِيهِ فِي الْأَنْسَابِ



اللغة والأمة

اللغة من الأمة كالقلب من الجسم: كلاهما أَلُفٌ شَيْءٌ وَأَدَقُهُ، وكلاهما لا تكون بدونه الحياة.

وما من أمة خلعت دهرًا لبسته، فخرجت بذلك من ماضيها وطفقت تعمل لحاضرها وتمهد لمستقبلها، إلا كانت لغتها معقدًا لهذه الأطراف الثلاثة من التاريخ.

ذلك أن اللغة من مشخصات الأمة الناطقة بها، فما فرطت أمة في جانب لغتها إلا كان ذلك إيذانًا بفدح مصابها، أو إيذانًا بوشك ذهابها.

بل ليس هذا التفريط إلا انقطاعاً عن سلك التاريخ، وما انقطعت أمة من سلكه إلا جهلته فكان مثلها مثل الرقيق الذي يألف من فقدان حريته أن يجهل حريته إذا ملك أمره، فهو إن لم يجد مالكا يسخره كرهاً سخر نفسه طوعاً على أن يؤجر بمساك حياته إذ تكون حريته مادةً في معدته، بعد أن كانت معنى روحانياً في فطرته.

أجل؛ إن اللغة وصلة بين غابر وحاضر؛ فإذا ضاعت لغة أمة انقطعت أواصر النسب بين السلف والخلف، وفقدت الأمة بفقدان لغتها سجلها الحي، فالتوى لسانها الناطق وسكن قلبها الخافق؛ وفي بعض ذلك كل الموت.

وأنت أألس ترى إذا ذهبت توازن بين أخطار الأمم أن أهونها على الدهر خطراً هي التي جهلت لغتها، وما لغتها إلا لسان تاريخها؛ فلم تعد تربط من الزمن بصلة، وكان من الهين على من يشاء أن يستلحقها، وهان عليها أيضاً أن تلتحق بكل تاريخ كما يلحق الخادم بكل من يستخدمه لا يميز بين سيد وسيد إلا بمقدار الأجر الذي يبيع به كرامته، ويشتري به مهاتته.

وهل تُفرق بين أمة حاضرة بلى فيها لسانها، وأمة غابرة بليت عليها أكفانها، وكلتا الأمتين ميتة، إلا بأن الأولى لم يُشق لها قبر.

ألا إن اللغة تركة الماضي وغنى الحاضر، وميراث المستقبل وهذه الثلاثة الأزمنة هي كل أعمار الأمم في التاريخ.

فما أدري إذا أضاعت أمة لغتها بأي شيء يُشار إليها، وبأي دلالة يُدل عليها، ولا أعرف إذا لم تتميز جنسية أمة بلغتها أي حد يفصل بينها وبين غيرها من الأمم.

ولقد علمنا أن لكل أمة شاهداً من لغتها على ما فطرت عليه من دين، ودون

لها من تاريخ، وعُرف عنها من نسب ومدنية وفنون، ففقدان أمة لهذه الثروة المعنوية اعترافٌ منها بسفاهتها، وبأنها في حاجة إلى القوام.

ولقد أراق الكتاب كثيرًا من المداد في بيان أن اللغة هي الأساس الذي يُقام عليه بنية الوحدة في كل جنس، وأنها هي الصلة الحسية بين المتكلمين بها أفرادًا، وصورة الحياة الاجتماعية عندهم تركيبًا؛ وكفى في الدلالة على ما بين اللغة والأمة من علاقة وثيقة، أنك لا تجد أمة في مكان من العزلة مكيّن إلا حيث تجد لغة أهلية قائمة السلطان على الألسنة، ولا تجد لغة عرضة لغائلة الحوادث إلا حيث تجد أمة عرضة لعوادي المقادير.

ألا إن اللسان من حيث هو مُضغّة مرآة للصحة، ومن حيث هو لغة مرآة للأمة، فأخلق بأمة تسلم لغتها للفناء، أن نقرأ عليها منذ الآن قصائد التأبين والثناء.

محمد صادق



جوامع الكلام

- * أفضل الصدقة صدقة اللسان: تُدفع بها الكريهة، وتُحقن بها الدماء.
- * أفضل الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان جائر.
- * مذاكرة الرجال تلقيح لعقولها.
- * رحم الله عبدًا تكلم بخير فغنم، أو سكت فسلم.
- * الصمت نوم، والنطق يقظة.
- * الرأي الساكت بين النائم والأخرس.

- * إن القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.
- * إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وفترة وإدباراً. فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها.
- * القلوب تحتاج إلى قوتها من الحكمة، كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء.
- * على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عون له على سائر الساعات.



المدينيات الثلاث

خطب المسيو توسين -في حفلة كبرى أقيمت في باريس احتفالاً بشاعرية شوقي- فقال:

«إن الحرب العامة أثبتت فسادَ نظريات الغرب، وأوضحت كونَ المدينة المبنية على المادة وحدها قاصرة عن الوفاء بحاجة الإنسانية».

ثم قال: «إن أمراض المدينة الغربية الحادثة قد بدأت تسري إلى الشرق». وأورد مثلاً على ذلك صنيع أنقرة التي نقضت التقاليد، ومرقت من الديانة، مع أن هاتين هما البنيان في عظمة تركيا السابقة».

فأجابه كاتبنا الأكبر الأمير شكيب أرسلان بقوله:

«لست متفقاً مع المسيو توسين في كل ما ذكره عن مدينة الغرب، فالشرق مديون للغرب بكثير من أسباب المدينة، لاسيما فيما يتعلق بالرفق وتديير المنزل

ونظام الاجتماع وفنون الصناعة وجرّ الأثقال، كما أن الغرب مديون للشرق بمبادئ الإنسانية العليا.

وبالإجمال المدنيات ثلاث:

إحداها: تكاد تكون روحية صرفة، وهي «مدينة الصين والهند».

والثانية: تغلب عليها المادية الصرفة، وهي «مدينة أوروبا وأمريكا».

والثالثة: وسط بين الاثنتين، وهي «المدنية الإسلامية». فالواجب أن يُستفاد من المدنيات الثلاث^(١)؛ ليؤخذ من ذلك مجموع لاشكّ أنه يكون في تحقيقه سعادة المجتمع البشري».

فكان لكلام الأمير تأثير عميق في نفوس عليّة الفرنسيين، ووافقوا جميعاً على أنه الحق.



فضل العلماء

- ذكر لرسول الله ﷺ رجلان عابد وعالم، فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». الترمذي (وصححه)^(٢).

- قال ﷺ: «إن الله تعالى، وملائكته، وأهل السموات وأهل الأرض حتى

(١) يُستفاد من المدنيات الثلاث في أمور الدنيا، أما أمور الدين فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَ الْوَحْدِ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (س).

(٢) برقم (٢٦٨٥)، وصححه الألباني. (س).

النَّملة في جحرها والحيتان في البحر يُصلون على معلم الناس الخير». الترمذي^(١).

- قال ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد». الترمذي^(٢).

- سئل النبي ﷺ: «أي الناس أكرم عند الله تعالى؟ قال: «أكرمهم عند الله أنقاهم». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معاذٍ العرب تسألوني؟» قالوا: نعم. قال: «فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». الشيخان^(٣).



صدق المحامي

عانى سعد زغلول باشا مهنة المحاماة في صدر حياته المملوءة بالعمل، ثم كان قاضياً، فعرف في موقفه من آداب المحاماة ما لم يعرفه الكثيرون، وقد وفد عليه في اليوم الأول من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ وفدٌ من طلبة الحقوق في القاهرة، فألقى فيهم خطبة قال فيها:

قد هيأت لي فرصة أحدثكم فيها عن الصدق وفضيلته، وحسن أثره، خصوصاً بالنسبة للمحاماة التي تُعدُّون أنفسكم لمزاومتها.

(١) برقم (٢٦٨٢)، وصححه الألباني. (س).

(٢) برقم (٢٦٨١)، وضعفه الألباني. (س).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٣) ومسلم (٢٣٧٨). (س).

توهم البعض أن البراعة في المحاماة تكون بالقدرة على قلب الوقائع، وتمويه الحقائق، ولبس الحق بالباطل، ولكنه توهم فاسد؛ لأن الصدق هو أساس المحاماة وحليتها، وكلما كان المحامي صادق اللهجة، شريف النزعة، كان أثره في المحاماة محمودًا، ونجاحه مضمونًا.

لا ينبغي للمحامي أن يؤجر ذمته لموكله، وأن يقف من القاضي موقف العامل على إخفاء الحق وإظهار الباطل؛ بل يجب أن يقف منه موقف الباحث عن الحقيقة، المنير لطريق العدالة؛ وأن يكون حريصًا على اكتساب ثقة القاضي؛ لأن هذه الثقة هي أساس نجاحه في عمله.

ولهذه المناسبة أسوق لكم شاهدًا وقع لبعض المحامين في زمن اشتغالي بالمحاماة، وقد كان معروفًا بوفاء الذمة وصدق القول، وقد دافع أمام محكمة الاستئناف عن متهم كان محكومًا عليه ابتدائيًا بالإعدام، وفند جميع الأدلة التي بنى عليها الحكم الابتدائي تنفيذًا تامًا، غير أن المقرر في القضية - أثناء المداولة مع إخوانه - خالف رأي المحامي، وقال: إن كل ما أتى به في دفاعه مغالطة، أما زملاؤه فكانوا يعهدون في المحامي غير ذلك، فاضطروا إلى أن يقرأ القضية كل واحد منهم، ثم أجمعوا رأيهم على مخالفة زميلهم المقرر، والحكم ببراءة المتهم.

فانظروا كيف أثر صدق المحامي في آراء القضاة، وكيف نجى بصدقه موكله من الإعدام. فكونوا مثالًا للصدق ووفاء الذمة تنفعوا فنكم.



التشجيع على الصدق

مرَّ عبد الله بن عمر بن الخطاب براع مملوك ومعه غنم سيده، فأراد أن يمتحن أمانته، فقال له:

«هل من جَزرة؟»^(١).

قال الراعي: ليس هاهنا ربُّها.

قال ابن عمر: تقول له: «إن الذئب أكلها!».

فقال له الراعي: اتَّقِ الله!

فسرَّ ابن عمر من هذه الأخلاق، وشعر في نفسه بضرورة تشجيع صاحبها عليها؛ فاشترى الراعي من سيده وأعتقه، واشترى الغنم أيضًا ووهبها له.



الدقائق

يا هجراتي بلا عتاب ولا رُجوع
يا طائراتٍ إلى السَّحاب طيرَ الجُرُوع
أننَّ بَغْضي فأيُّ ذَنْبٍ يُشْجِي القريب
المَجْرُ قاسٍ وأيُّ صَغْبٍ هَجْرُ الحبيب!



(١) شاة تصلح لأن تُجزر.

قُلْنَ الدَّقِيقَاتُ الْحَسَنُ: «أَنْتَ الْمُسِيءُ
 ضَيَّعْتَنَا ضَيَّعَ الْهَوَانُ لَسْنَا نَفِيءُ
 مَا مَرَّ لَن يَأْتِي وَإِنْ صَافِي الزَّمَنُ
 سَيَّانٍ تَلْهُو أَوْ تَثْنُ لَن تُؤْتَمِّنُ
 لَمْ تَذَرِ مَا مَغْنَى الْحَيَاةِ حَتَّى الْمَشِيبُ
 أَنْفَقْتَهَا دُونَ انْتِبَاهِ مِثْلَ الْجَنِيبِ
 وَالْآنَ مَا تَبْغِي وَقَدْ وَلَّى الْغِنَى؟
 هِيَهَات يُرْجَى الْمُفْتَقِدُ يَا مَنْ جَنَى!
 لَوْ كُنْتَ قَدَّرْتَ الْوُجُودَ تَقْدِيرَنَا مَا لُمْتَنَا لَوْمَ الْجُحُودُ أَوْ خُتْنَا!«



احرص على النفع الأتم ومن الدقيقة
 إِنْ تَنْسَهَا تَنْسَ الْأَهَمُّ بَلِ الْحَقِيقَةُ
 مَا الْعُمُرُ إِلَّا جُمُعُهَا أَوْ ضَبْعُهَا
 مَا التَّجَحُّ إِلَّا نَفْعُهَا لَا دَفْعُهَا

أبو شادي



كان الأولى

لما زار الملك فؤاد متحف (روما) الكبير، وقف طويلاً عند (القسم
 الإسلامي) منه، فلما قُدمت إليه (دائرة المعارف الإسلامية) أخذ يتأملها ملياً،
 ثم قال لثروت باشا على مسمع من الحاضرين:

لقد كان الأولى أن يقوم المسلمون بهذا العمل العظيم.

ولعل هذه الكلمة تحفز حكومة مصر الناهضة إلى أن تعمل لمعاونة المشتغلين بهذه الضرب من العلم على إيجاد (دائرة معارف إسلامية) من وجهة النظر الإسلامية. وإذا هي أرادت ذلك فإن في العالم الإسلامي كثيرين يساعدون على تحقيق هذه الأمنية، مثل (دار المصنفين) في الهند، و(المجمع العلمي العربي) بدمشق، وكل من يشرب من هذا ينبوع في سائر الأقطار الإسلامية^(١).



طريقة الغرب في الاستيلاء على الأمم

بقلم كاتب الشرق الأكبر / الأمير شبيب أرسلان

غوليلمو فريرو الفيلسوف الكاتب الإيطالي الشهير يُعد اليوم النقريس الأكبر في علم الاجتماع والتاريخ، لا في إيطالية فحسب؛ بل في أوربة بأجمعها، وإذا كتب كتابًا أو نشر مقالة تجاوزت لها أصداء الشرق والغرب، وتركت دويًا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر.

نشر الفيلسوف المؤرخ المشار إليه كتابًا أخيرًا باسم «وحدة العالم»، لا يزيد على مئات معدودات من الصفحات، طاف فيه جميع الحوادث الجارية على سطح الكرة الأرضية، ودقق في مصادرها وأسبابها، فذهب إلى أنها -مع تناقضها وتصادم بعضها ببعض- سائرة في الحقيقة على نظام ثابت مستقيم، ووصل إلى هذه النتيجة، وهي:

(١) ثم صدر عددٌ منها، من أبرزها «الموسوعة العربية العالمية»، بدعم من الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود. (س).

إن مشروع الفتح والامتداد الذي يتابعه العالم المتمدن (أي: الأوربي) منذ أربعة قرون، والذي بدأ بطيئًا وانقلب سريعًا في آخر الأيام، يظهر للمتأمل أنه آيل إلى «توحيد العالم الإنساني!» ولم يكن هذا «التوحيد» ليتم بدون جهد وبدون بلاء؛ لأن البشر خلقوا أطوارًا، وبينهم من التدابر والتقابل ما يؤذن بالأخذ والرد والعكس والطرد، وهناك أسباب عديدة للحب والبغض والقرب والبعد، مع هذا كله تجد العالم سائرًا على الوحدة، فإذا نظرنا في كيفية السوق السائد الآيل إلى هذه الوحدة وجدناها:

بالإنجيل،

بالسيف،

وبالإخفاء،

والإفناء،

وبتبادل المساعدات،

وتبادل طلقات المدافع...

هكذا قُدر على البشرية، وهو أنه لا يمكن إخراج هذه «الوحدة» إلا من وسط المعامع والمعارك الفجيعة، إلا أنها ستكون أخيرًا.

ثم ذكر فريرو -تعزيزًا لرأيه- وجوه الوحدة البشرية كلها، وأبان أنها كلها مستحيلة ما عدا هذا الوجه الذي ذكره: الإنجيل والمدفع...

فقال: «إن الوحدة لا تكون بتغلب أمة على أمة، أو جنس على جنس بقوة الحكومة، ولا يمكن أن يكون فرد واحد سيدًا للعالم، كذلك الوحدة لن تكون بتوحيد اللغات، فهذا غير ممكن، ولن تكون بالعلاقات المالية كالنجارة والصرف والصناعة، فقد علمنا أن أصحابها لا يهتمون بالسياسة العامة إلا

بالمقدار الذي يلزم لإشغالهم، وطالما قال أناس إن المال هو الذي يدير شؤون العالم لكنهم لم يوضحوا لنا كيف يديرها.

على أنه برغم اختلاف العناصر واللغات، وتصادم المجاري والمصالح، وتعدّد الحكومات والهيئات المديرة للبشر، تجد روح العالم سائرًا من كل جانب إلى الوحدة، فهذه الوحدة إنما تكون بنوع من الديمقراطية يسود على العالم الآتي، ويقرب بين أجزائه بصورة غير محسوسة!.

هذه خلاصة نظريات الفيلسوف الإيطالي فريرو. وظاهرٌ أنه يقصد بالإنجيل «الثقافة الغربية»، التي هي وحدها تمشي في آسية وإفريقية، وفي يدها الواحدة «السيف» وفي الأخرى «ضمد للجرح»، وهي وحدها التي تتفنن في طرق استئصال البشرية، وفي طرق توفير صحة البشر: تجمع في وقت واحد بين الضدين، وهي التي بين يديها الجندي من جهة، والقسيس من جهة أخرى!

وكأن فريرو يريد بقوله: «الإنجيل والمدافع» التهرب والترهيب: فأورية تريد سوق الناس وراءها بكل الطرائق: سلمية كانت أم حربية، وإنسانية أم وحشية، فهي تستعمل الحل والمر، والعُرف والتكر، والإحياء والإفناء، كل ذلك عندها جائز، بشرط الحصول على مرادها، وهو أن تصبغ جميع البشر بالصبغة الأوربية، وتطبعهم بطبائعها...

أما الإنجيل الحقيقي فليس المراد هنا؛ لأن الإنجيل الحقيقي هو وحي سامي شرقي، والثقافة الأوربية هي ثقافة يونانية لاتينية ليس فيها من الإنجيل سوى الاسم، كما يعترف بذلك فلاسفتهم المحققون، ولعمري إن تعاليم المسيح ﷺ في واد، والثقافة الأوربية في واد، وإن الأمر هو كما قال (رينان) وكثير من حكماء أوربة: لو جاء المسيح اليوم لكان غريبًا عن هؤلاء المتكلمين باسمه.

وسواء كانت الدعاية هي لإنجيل حقيقي أو لإنجيل أوربي أرى؛ فالمقصود هو واحد، والشاهد هو أن أوربة تسوق إليه الناس بالقهر واللفظ، والشدة والعنف، وأنها تبطش بالأمم غير الأوربية وتتوّد إليهم، وتقتلهم وتبكي عليهم، وكل هذا لأجل نفوذ دعايتها ونشر ثقافتها بأي سبيل.

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.



وارث العالم

الناسُ ذو فقرٍ يروم الغنى وآخرٌ للناسِ ما يقتني
ويستوي هذا وهذا غداً يا وارثَ العالمِ أنتَ الغني
أحمد شوقي



بين صحابين

كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي: هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة.
فكتب إليه سلمان: إن الأرضَ لا تقدّس أحداً؛ إنما يقدّس الإنسانَ عمله،
وقد بلغني أنك جُعِلت طبيباً تداوي، فإن كنت تبرئُ فَنِعَمًا لك، وإن كنت متطبباً
فاحذر أن تقتل أحداً فتدخلَ النار^(١).

(١) المتطبب: الذي يتعانى الطب ولا يجيد معرفته.

فكان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا قضى بين اثنين، ثم أدبرا عنه نظر إليهما، وقال:
 متطبَّبْ والله، ارجعا إليّ فأعيدا عليّ قضيتكما.
 كنى بالطب هنا عن القضاء؛ لأن منزلة القاضي من الخصوم وفصل الحكم
 بينهم بمنزلة الطبيب من إصلاح البدن.



يا أيها الناس!

شهد أهوال الزلزلة في مدينة عَمَّان صديقنا، السيد محمد الشريقي، فقال يصفها:

صوتٌ	أثار	عذاباً	وروع	الأمينا
هدّ	القَطينَ	نفوساً	دكَّ	البلاد
أذوى	الحسان	وُرُوداً	وأكل	المطفلينا
لم يَزَعْ	في الناس	شيباً	ولا	شباباً
وفي	خلال	ثوانٍ	أشقى	العبادَ
ردّ	البيوتَ	رُكاماً	وجنّدلَ	المبتزيننا
ولم يُميّزْ	مصلّى	من حانةِ	المدونينا	



سألتُ نفسي	ونفسي	منارةُ	الحائرينا:
ما ذنبُ هذا المصلّي	ورمطه	الصالحين؟	
حتى الزَّلَازلُ	تأتي	عليهم	أجمعينا؟
فقالَت النفسُ	قولاً	أراه	حقاً
ليس الكمالُ	مثالاً	بل	غايةً

بظلٌ حبًّا إذا ما لاح المثلُّ طمينا
 وقد يكون بقاء ما قد حسبتْ منونا
 فعدتُ والحقُّ بادٍ لأوقظ الغافلينا
 وصحْتُ في الناس هذا صخرٌ يفيضُ عيونا
 قد ظلَّ يجري زلًّا إذا به أثونا
 ليس النقائصُ إلا مناور الباحثينا
 فهل قبستم ضياء كما رشفتُم معينا
 وقمتُم بين ظلٍّ وما رج تفكرونا
 كنتم الخير حتى أقره الجاحدونا
 أم لم تزالوا حيارى في جنْدِس الغابرينا!



يا أيها الناسُ مهلاً لقد سلكتم حُزونا
 هجرتُم الخيرَ حتى تأصلَ الشرُّ فينا
 وقلتمُ الدهرُ باغٍ وأنتم المفترونا
 ابنُ الكمالِ مقيماً للعلم صرخاً مكينا
 للحسنِ رَوْضاً أرضاً للحقِّ حصناً حصينا
 للدينِ معبدٌ حُبٌّ للشَّعبِ مُلْكاً أميناً
 حتى مَ نبقى عبيداً شهوة الطامعينا
 لقد راوكم قليلاً وأنتم الأكثرونا
 أضعنم الخير لما رَضِيتُم العيشَ هونا
 هلاً استبقنم طريقاً لا يحرمُ السابقينا؟



أهَابَ بِالْأَرْضِ صَوْتُ فَزَلَزَ الْعَالَمِينَا
 وَمَا بِرَحْمَتِمْ ذُنَابَا بِضَغْنِكُمْ مُمَعْنِينَا
 غُلْفَ الْقُلُوبِ صِلَابَا بِنَابِكُمْ تَفْخِرُونَا
 يَمِيشُ فِيكُمْ غَرِيبَا ذُو الْفَضْلِ لَا بَلْ مَهِينَا
 وَتَحْسِبُونَ كَمَا لَا هَذَا النُّضَارَ اللَّعِينَا
 عَبَدْتُمْ الظُّلْمَ خَوْفَا وَمَا عَلَوْتُمْ فَنُونَا
 مَا الْعِلْمُ مَا الْحَسَنُ إِلَّا عُلَاةَ الْمُتَعَسِينَا
 مَا الْحَقُّ إِلَّا حُسَامٌ عَنْ حَدِّهِ مَا غَنِينَا
 وَالْمَالُ مَا زَالَ رَبًّا وَالْفِيءُ مَا زَالَ دِينَا



يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلَا سَلَكْتُمُ الْخَيْرَ حِينَا
 فَمَسَلَكُ الْخَيْرِ أَنْفَى لِلْشَّرِّ لَوْ تَعَلَّمُونَا



القناعة وَغْنَى النَّفْسِ

قال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ»^(١)؛ ولكن الغنى غنى النفس». الشيخان^(٢).

وقال ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى

مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ، فَذَلِكَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ». الشيخان^(٣).

(١) أي: المال والقنية.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١). (س).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٩٠) ومسلم (٢٩٦٣). (س).

قال ﷺ: «ابن آدم، إنك إن تبذل الفضلَ خير لك، وإن تمسكه شرٌّ لك، ولا تُلَامَ على كُفّاف، وابدأ بمن تعول، واليدُ العليا خير من اليد السفلى». مسلم^(١).



حملة الإسلام على رذيلة الاستجداء

- أتى رجلٌ من الأنصار يسأل رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، جِلس^(٢) نلبس بعضه ونبسُط بعضه، وقَعْب نشرب فيه المال. فقال: «اتنني بهما». فأتاه بهما. فأخذهما ﷺ بيده، وقال: «مَن يشتري هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال النبي ﷺ: «مَن يزيد على درهم؟» (مرتين أو ثلاثاً)، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانيذه إلى أهلِكَ، واشتر بالآخر قدومًا فأتني به». فأتاه به، فشَدَّ فيه رسول الله ﷺ عُودًا بيده، ثم قال له: «اذهب فاحتطِبْ، وبعْ، ولا أرينك خمسة عشر يومًا». ففعل، ثم جاء، وقد أصاب عشرة دراهم. فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا. فقال له ﷺ: «هذا خير لك من تجيء المسألة نُكتةً في وجهك يوم القيامة^(٣)، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فُقر مُدَقِّع، أو لذي غُرم مُفْطَع، أو لذي دم مَوجِع^(٤)». أبو داود^(٥)، وهذا لفظه، والترمذي باختصار^(٦).

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٦). (س).

(٢) المجلس: كساء غليظ يلي ظهر البعير تحت القتب.

(٣) النكتة: النقطة والعلامة والتشويه.

(٤) أي: الذي تحمّل دية، إن لم يؤدها كانت العاقبة موجعة له.

(٥) برقم (١٦٤١). (س).

(٦) برقم (٦٥٣). (س).

- قال ﷺ: «المسائل كُدُوح»^(١) يَكُدَحُ بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء تركه، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان في أمر لا يجد منه بدًا»^(٢).
- سأل رجل رسولَ الله ﷺ فأعطاه، فلما وضع رجله على أُسْكُفَةِ الباب^(٣) قال ﷺ: «لو تعلمون ما في المسألة، ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئًا».
- النسائي^(٤).
- قال ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم أخْبُلَه ثم يأتي الجَبَلَ فيأتي بحُزْمَةٍ من حَطَبٍ على ظهره فيبيعها خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه». البخاري^(٥).
- قال ﷺ: «من يتكفلُ لي ألا يسأل الناس شيئًا، وأتكفلُ له بالجنة؟» فقال ثوبان: أنا. (فكان لا يسأل أحدًا شيئًا). أخرجه أبو داود^(٦).
- قال ﷺ: «لا تُلْحِفُوا في المسألة»^(٧)، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا - فتُخرج له مسألته شيئًا، وأنا له كاره- فيبارك له فيما أعطيته». مسلم^(٨).
- روى ابن الفِرَاسي^(٩) أن أباه قال: يا رسول الله، أسأل؟ قال: «لا، وإن كنتَ لابد فاسأل الصالحين». أبو داود^(١٠).

(١) خموش.

(٢) أخرجه أبوداود (١٦٢٦)، وصححه الألباني. (س).

(٣) عتبته.

(٤) برقم (٢٥٨٦)، وحسنه الألباني. (س).

(٥) برقم (٢٠٧٥). (س).

(٦) برقم (١٦٤٣). وصححه الألباني. (س).

(٧) الإلحاف: الإلحاح.

(٨) برقم (١٠٣٨). (س).

(٩) هو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، ولا يُعرف اسمه.

(١٠) برقم (١٦٤٦). وضعفه الألباني. (س).

- قال ﷺ: «من سأل الناس، وله ما يغنيه، جاء يوم القيامة ومسأله في وجهه خموش أو خدوش أو كدوش». قيل: وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»^(١).

- قال ﷺ: «من سأل تكثراً، فإنما يسأل جُمراً؛ فليستقلَّ أو ليستكثر». مسلم^(٢).

- قال قبيصة بن مُخارق: تحمَّلت حَمَلة^(٣) فلقيت، رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتين الصدقة، فمر لك منها». ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل حمَّلَ حَمَالة، فحلَّت له المسألة حتى يصيبها ثم يُمسك، ورجل أصابته جائحة^(٤) فاجتاحت ماله، فحلَّت له المسألة حتى يصيب قِواماً من عيش -أو قال: سداً من عيش^(٥)-، ورجل أصابته فاقة، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَى من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلَّت له المسألة حتى يصيب قِواماً من عيش -أو قال: سداً من عيش-، فما سواه من المسألة يا قبيصة سُحَّتْ، يأكله صاحبه سحّاً». مسلم^(٦).

- أتى أعرابي النبي ﷺ، وهو واقف بعرفة، فأخذ بطرف رِدائه وسأله إيَّاه، فأعطاه إيَّاه، فذهب به معه فعند ذلك حُرِّمت المسألة، فقال ﷺ: «إن الصدقة لا تحلُّ لغيري، ولا لذي مِرَّة سوي^(٧)، ولا تحلُّ إلا لذي فقر مُدْفِع، أو غُرم مُفْطَع،

(١) أخرجه أبوداود (١٦٢٦). وصححه الألباني. (س).

(٢) برقم (١٠٤١). (س).

(٣) الحَمَالة: ديات القتلى، يلتزم الرجل أدائها؛ طلباً للصلح واثقاء الفتنة.

(٤) آفة تستأصل ماله، وتدعه محتاجاً إلى الناس.

(٥) القوام والسداد: أقل ما يكفي.

(٦) برقم (١٠٤٤). (س).

(٧) المِرَّة: القوة. والسوي: التام الجسم، السليم من الآفات.

أو دم موجع، ومن سأل الناس لِيُثْرَى به ماله كان حُمُوشًا في وجهه يوم القيامة ورَضْفًا يأكله من جهنم^(١)، فمن شاء فليُقِلِّل، ومن شاء فليُكثِر». الترمذي^(٢).

- قال ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عاجِلٍ أو آجِلٍ». الترمذي وصححه^(٣).

- سأل ناس من الأنصار رسول الله ﷺ، فأعطاهم ما سألوه. ثم سألوه، فأعطاهم ما سألوه، ثم سألوه، فأعطاهم ما سألوه، حتى إذا نفذ ما عنده، قال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعِفِّهِ الله، ومن يستغن يغنيه الله، ومن يتصبر يُصْبِرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أحد عطاءً هو خيرٌ له وأوسع من الصبر»^(٤).

- قال ﷺ: «ليس المسكين الذي تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ واللِّقْمَتَانِ، والتمرة والتمرتان؛ ولكن المسكين الذي لا يجد غِنًى يُغْنِيهِ، ولا يُفْظَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، ولا يقوم فيسأل الناس»^(٥).

- قال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مُرْعة لحم». الشيخان^(٦).



(١) الرضف: الحجارة المحمأة.

(٢) برقم (٦٥٣)، وضعفه الألباني. (س).

(٣) برقم (٢٣٢٦)، وصححه الألباني. (س).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٧٠) ومسلم (١٠٥٣). (س).

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٣٩) ومسلم (١٠٣٩). (س).

(٦) أخرجه البخاري (١٤٧٤) ومسلم (١٠٤٠). (س).

المؤمن القوي، والمؤمن الضعيف

قال ﷺ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خير، احرص على ما ينفعك، واستمع بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن «لَوْ» تفتح عمل الشيطان». مسلم^(١).



الحكومة تُبنى على الحكمة

قال الحسن البصري:

استقبل الحسن بن عليٍّ معاويةً رضي الله عنه بكتائب أمثال الجبال. فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لمعاوية:

إني والله لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خيرَ الرجلين -:

أي عمرو! أرايت أن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟

فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس -عبد الرحمن بن سُمرة وعبد الله بن عامر- فقال: اذهبا إلى هذا الرجل واعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلّما، وقالا له، وطلبا إليه، فقال لهم الحسن رضي الله عنه:

(١) برقم (٢٦٦٤). (س).

إنّا بني عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك.

قال: فمن لي بهذا؟

قالا: نحن لك به.

فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه.



عمر بن الخطاب وعامل من رجال حكومته

قال عبد الله بن عمرو السعدي: قَدِمْتُ على عمر رضي الله عنه في خلافته، فقال لي: ألم أجد أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً، فإذا أعطيت العمالة كرهتها^(١)؟ فقلت: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قلت: إن لي أفراساً وأعبداً، وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين، فقال عمر: فلا تفعل. فإني كنت أردت الذي أردت وكان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني. حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني. فقال النبي ﷺ: «خُذْهُ فْتَمَوِّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف^(٢) فخذ، وما لا، فلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»^(٣).

(١) العمالة: راتب الموظف.

(٢) أي: من غير طلب له أو طمع فيه.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٦٣) ومسلم (١٠٤٥). (س).

الكناري السجين

يا سِخْرَ فَنِّي غَرَّدْ وَعَنَّ
 لَا تَشْكُ مِنِّي أَنْتَ الْأَمِيرُ!
 اهْوَأكْ قُرْبِي بِرَأٍ بِحُبِّي
 نَجْوَأكْ قَلْبِي حَظُّ كَبِيرُ!
 مَا أَنْتَ إِلَّا وَحْيٌ تَجَلَّى
 طَبِيرًا وَخَلَّى شِفْرِي الْأَسِيرُ!
 لَا تَشْكُ حَبَسًا لَا تَشْكُ بَأْسًا
 فَالْشَّمْسُ أَقْسَى وَالزَّمْهَرِيرُ!
 عِشْ عَيْشَ نَاسِكَ مِثْلِي وَشَارِكْ
 حَالِي كَحَالِكَ حَالُ الْفَقِيرُ!
 صِفْ يَا كَنَارِي نَوْرَ الدَّرَارِي
 دُمُ صَفْوِ دَارِي عِشْ بِي الْقَرِيرُ!
 صِفْ عَيْشَ غَابٍ عَذَبَ الشَّرَابِ
 تَحْتَ السَّحَابِ فَوْقَ الْغَدِيرُ!
 وَاسْمَعْ نَظِيمِي سَمْعَ الْعَلِيمِ
 تَشْهَدُ نَدِيمِي رُؤْيَا الْخَبِيرُ!

إِنِّي أَصْحِي فَاذْكُرْ وَأَوْحِ
لَا تُلْقِ نُصْحِي مِثْلَ الْفَرِيرِ!

أبو شادي



رأى كيلينغ في البشر

كان الشاعر الإنكليزي كيلينغ سامراً ذات ليلة في جماعة، فتذكروا المخلوقات الأرضية، وأي نوع من الحيوان يصلح أن يخلف البشر فيما لو اجتاحت البشر كلهم مصيبة من المصائب، فوجه الحاضرون هذا السؤال إلى الشاعر، وقالوا له:

أي صنوف الحيوان ترى أنه يصلح ليخلف البشر، هل هو الفيل مثلاً؟
فأجابهم: أستبعد ذلك؛ لأن للفيل أخلاقاً شريفة لا تؤهله لهذه المكانة!



الفلسفة والعلم والدين

الفلسفة عبارة عن نظريات محدودة تُفسر بها ظواهر الكون، وهي مذاهب مختلفة تتجلى فيها شخصية أصحابها، وما كانت قطّ علماً خاصاً له موضوع وغاية؛ بل هي في الحقيقة مذاهب تقوم في كثير من نواحيها على الاستنتاج، كما تقوم على الظن الشخصي تارة، والرغبة والميل تارة أخرى، فنظرياتها ليست وليدة الاستنتاج دائماً، ولا ناشئة عن التفكير المنطقي غالباً؛ بل كثيراً ما تكون ناتجة عن الميل الشخصي أو حب المتابعة والتقليد لفيلسوف سابق.

فالمذهب الجديد يضم بين جوانحه قضايا مسلّمة كثيرة، بعضها مأخوذ بالحرف من مذهب سابق، وبعضها قائم على الهوى والميل الشخصي، ومن أجل ذلك كثرت المذاهب الفلسفية وتعددت وناقض بعضها بعضًا، ذلك بأنّها غير قائمة على قواعد متفق عليها، ولا على بدائنه معترف بها؛ بل قائمة على التقليد تارة، وعلى الهوى والميل تارة أخرى، ومن هنا كانت المذاهب الفلسفية ضعيفة الأثر في هداية الناس إلى سعادتهم الدنيوية، فضلًا عن السعادة الدينية.



أما العلم فهو ينقسم قسمين:

قسم عملي أنتج الماكينات والآلات والأجهزة، وهذا بالطبيعة قد أنتج تقدمًا دنيويًا، وساعد على رقي الحضارة.

والقسم الثاني: هو الفروض التي فرضها العلماء، وسموها نظريات العلم، وهذه قابلة للتغير والتبدل، وما وضع منها من مدة قرن لا يبقى منه في القرن التالي إلا نظرية أو نظريتان، والباقي له قيمة محدودة بالزمان، لا يمضي على الفروض العلمية جيل أو جيلان حتى تأخذ العقول في وزنها والبحث عن قيمتها والفحص عن نصيبها من الصحة ومطابقة الواقع، وينتج من هذا الوزن والبحث أساليب حديثة تكتسح طرق التفكير العتيقة فينتابها التغير وتخضع لمبادئ مستحدثة فكل قرن له أساليبه وفروضه، وكلُّ قرن يأتي بتبديل وتغيير في أساليب البحث وفروض العلم، والجاهل الغبي يظن أن فروض العلم ثابتة لا تتغير، مع أن نظريات القرن السابع عشر قد أتت عليها نظريات القرن الثامن عشر، وفروض القرن الثامن عشر قد محتها فروض القرن التاسع عشر.

ذلك شأن العلم في سيره، وتلك سننه في حياته، لا يبقى منه سوى ما صلح للعمل، وأصبح ملك المعامل والمصانع، أما ما في الكتب فهو عرضة للتغير

والتبدل؛ لأن حركة العقل في تقدم، والفروض ما وجدت إلا لتفنى، وقد كتبت على أنها فروض لا على أنها حقائق. فمن الجهل والظلم للعلم أن يظن أن فروضه ونظرياته حقائق ثابتة لا تقبل النقض.

من هنا يتبين لك أن الحقائق العلمية شيء والنظريات العلمية شيء آخر. وهنا يأتي سؤال: هل بين العلم والدين تناقض؟ وهل بين الدين والفلسفة تنازع؟ وهل يمكن أن يتآخى العلم مع الدين؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة ينبغي أن يحدد معنى العلم تحديدًا تامًا. فإن أرادوا من العلم المعنى الواقعي الحسي الذي أنتج الحضارة فليس بينه وبين الدين تناقض ألبتة؛ لأنه عبارة عن تطبيقات تعمل في المعامل، وهذه الأمور لها دخل في إصلاح البشرية، وتهذيب الحضارة، وهي بهذا الاعتبار غرض من أغراض الشارع يأمر به ويحث عليه، فهي من مطالبه وداخله في فروض الكفايات، فلها نصيب وافر من أوامره وتعاليمه.

أما إن أريد بالعلم تلك الفروض التي يفرضها العلماء -وهي قابلة للتغير والتبدل- فالأمر يحتاج إلى تفصيل:

فتارة تكون تلك الفروض قريبة من المعنى العلمي، أي بينها وبين المحسوسات درجة واحدة من الاستنتاج، وهذه لقربها من المحسوسات لا تصادم الدين؛ لأنها تبحث فيما يقرب من عمل المعامل، وغايتها ضبط الصور المتعددة ووضعها تحت نظام كلي بقدر الإمكان، وتارة تكون باحثة في أصل الكائنات أو أصل الأنواع كفروض دارون، وهي في الواقع ليست حقائق علمية؛ بل هي مذهب فلسفي لا يجوز أن يُطلق عليه اسم العلم، وإن ادعي فيه ذلك، لأن مواد الدليل غير موجودة؛ بل هو قائم في الحقيقة على قياس

التمثيل، وهو لا يفيد إلا ظناً ضعيفاً، خصوصاً إن كان قياس الغائب على الشاهد.

وهذا النوع إن وُجد فيه ما يصادم الدين أو يناقضه فلا يضر الدين في شيء، لأنه ليس من العلم القائم على الحس والمشاهدة، أي: ليس من العلم الواقعي؛ بل هو محض فرض تتخيل له علاقات منتزعة.

أما الفلسفة فلا تضر مخالفتها للدين؛ لأن مذاهبها متباينة متخاذلة، فإذا لم يُتفق فيها على مذهب صحيح، كانت المذاهب كلها عرضة للخطأ، وإذا كانت عرضة للخطأ لم تكن حسية واقعية، فهي تحمل في كيانها عوامل انخزالها ودحضها.

هذا هو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال....

عبد الباقي سرور نعيم



من قوى الإسلام الكامنة

قال الدكتور (انسباتو) الإيطالي في كتاب «الإسلام وسياسة الحلفاء» الذي نشره سنة ١٩١٩:

«إن الكرم العلمي، والصدقة الفكرية، صفتان من صفات الإسلام، شأنهما أن تجعل الأمة العاملة بهذا الدين، أهلاً؛ لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا».



شهوة العلم ونعمة الخيال

نظر المشيبُ إليك قبلَ أوانٍ فرزحتَ تحتَ غَوائلِ الأشجانِ
ودَّعتَ يومك فاستطار بك الأسي جَزَعًا تَعَضُّ عليه كلُّ بَنانِ
ونفضتَ ثوبك منه أشعثَ مُحَنَّقًا نفَضَ العقابِ الطلَّ فوق رِعانِ
كم نظرةً لك إن عبستَ كأنها قَبَسٌ تهافتَ عن شِباةِ سِنانِ
فاهزأ بدهرك مُقبلاً أو مُدبراً إن ضاق ذرعُ سواك بالحرمانِ



ويح الطبيعة كيف تمزج برَّها باللؤم تَسخر منك كالمُجَانِ^(١)
تتلقَّف الفضلاتِ ثم تدسُّها لك في الطعام شهيةً الألوانِ
من كل فاكهة وناعم نبتة هي في الرِّغام وليدةُ الأذنانِ
تتحوّل الأوضارُ تحتَ صعيدها صُورًا من الثمراتِ في الأفنانِ
ومن الجنان قَشِيبةً أبرأدها ومن الربيع مضمَّخُ الاردانِ
ولو استتبَّ لك اكتناهُ خفيها لعجبتَ كيف تُسام كلُّ هوانِ



تركنتَ أعزلَ بين مستجر الأذى فتخطفتك طوارقِ الحدثانِ
ورمتك بالخلقِ المشمَّرِ خلصةً من كلِّ مُطلَعٍ وكلِّ مكانِ
متدفق وقد استسرَّ محجَّبًا يستلّ منك سلامة الأبدانِ

(١) هذا من سب الدهر، والطبيعة مخلوق من مخلوقات الله. وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

ترد المياه، وكلُّ سائل قطرة
خفيث عليك ورقهت عنك الجوى
سيلٌ من الحشرات والحيوان
فنايتٌ عن حتفٍ لحتفٍ دان



إن ضللتك وأبقتك فإنها
ولشدَّ ما اختلفت عليك وأصبحت
طُبعت على التمويه والعدوان
لك قدوة في الختل والروغان
فركبت رأسك تستفزك نزوة
وحملت أعباء السنين تجشما
أجرٌ - لعمريك - أبخس ما رأت
عينان، أو سمعت به أذنان



فسل الحياة إلى مَ يصرع بعضها
هي بين مأكول وآخر أكلٍ
بعضاً؟ فمجنئي عليه وجان
متطاحنين: فناشئ من فان



لله كم للجهل عندك من يدٍ
عبرت بك الأوهام تأنس عندها
أزرت بكل يد من العرفان
برزّ اليقين ونعمة الرضوان
سهرًا عليك وحولك القمران
صورٌ إليك - وانت ذو السلطان
عبّث الوليد وضحكة الأزمان
في العلم غير مرارة الخذلان
خلَّل المجرة في سديم دُخان
من روعة الملكوت في الأكوان
ترتج بين تصدع وكبان
عدد الرمال تضجُّجَ البركان
تلك السعادة في الحياة وإن تكن
وقد انتفضت من الخمول فلم تذق
فرايت عالمك المشيد ذرة
ونكصت أخساً ما نكصت مزلزلاً
سُدُم تهيم ولا فضاء يحدها
تلدُّ العوالم والشموس تضجُّجاً

مَنْ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ هِيَ نَفْسُهَا فتقول «نحن» ومن هما الثقلان؟



أطرقتَ منخلعَ الفؤاد بمعزل	والياس حولك ضاربٌ بجران
وغبرتَ تهلع من مصيرك في غدٍ	أن يستبدَّ به الزوالُ الثاني
تنقضُ منتثر الهباء ممزقًا	بين العناصر طامِسَ العنوان
حملَ الفؤادَ عليك في نزعاتهم	فضلات بين الحس والوجدان
إني كفرتُ بما يقول غويهم	ورضيت بالتوحيد والإيمان
ومن الخلود على الخلود أدلةٌ	للنفس تنسخ زُخرفَ البهتان
والأرض دائرة فهل أبصرتها	كرةً، وهل أحسست بالدوران
الحسُّ يكذب، والعقول كليلة	والروح أطهر، والوجود معاني

فؤاد الخطيب



محمد ﷺ

رحمةٌ كله وحزم وعزم	ووقارٌ وعصمةٌ وضياء
لا تحلُّ البأساء منه عرى الص	بر ولا تستخفه السراء
كُرمَتْ نفسه، فما يخطر السو	ء على قلبه، ولا الفحشاء

البوصيري



عائشة على قبر أخيها عليها السلام

قال عبد الله بن أبي مليكة: لما توفي عبد الرحمن بن أبي بكر عليه السلام بالحُبَشِيِّ - وهو موضع قرب مكة - حُمِلَ إلى مكة فُدِّنَ بها، فلما قدمت عائشة عليها السلام أتت قبره، وجعلت تقول:

وَكُنَّا كَنُذْمَانِي جَذِيمَةً حِقْبَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
وَعَشْنَا بَخِيرَ فِي الْحَيَاةِ، وَقَبَلْنَا أَصَابَ الْمَنِيَا رَهْطَ كَسْرَى وَتُبَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولَ افْتِرَاقٍ لَمْ نَبْثْ لَيْلَةً مَعَا
ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ لَوْ حَضَرْتُكَ، مَا دُفِنْتَ إِلَّا حَيْثُ مِتُّ، وَلَوْ شَهِدْتُكَ مَا
زُرْتُكَ. الترمذي^(١).



الأنظمة الإسلامية يؤيد بعضها بعضاً

كان النظام الإسلامي - يوم كان قائماً ومعمولاً به - يحمي بعضه بعضاً، فالتكاليف الخاصة بإقامة حكومة عادلة، وبالأخوة الإسلامية، وبالتواصي

(١) برقم (١٠٥٥)، وضعفه الألباني. قال ابن القيم رحمته الله في «تهذيب السنن» (٣/ ١٥٥٣ - ١٥٥٤): «وأما حديث عائشة فالمحفوظ فيه حديث الترمذي، مع ما فيه، وعائشة إنما قدمت مكة للحج فمرت على قبر أخيها في طريقها، فوقفت عليه، وهذا لا بأس به، إنما الكلام في قصدن الخروج لزيارة القبور، ولو قُدر أنها عدلت إليه وقصدت زيارته فهي قد قالت: لو شهدت لكما زرتك، وهذا يدل على أنه من المستقر المعلوم عندها أن النساء لا يُشرعن لهن زيارة القبور». (س).

بالحق والصبر، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبحماية الدعوة الإسلامية، وصيانة الشريعة من العبث بها، ورد عادية المعتدين عليهما؛ كان من شأنها أن تحمي التكاليف الفردية، وهي العقائد والعبادات، فكل اعتداء يقع على العقائد أو يصيب العبادات كان يُدفع عنهما بما سنه الإسلام من أنظمة حماية الشريعة وصيانة الملة.

في الإسلام تكاليف موجهة إلى الأفراد، وتكاليف موجهة إلى الأمة، ومجموع التكاليف هو النظام الإسلامي، فالعقائد والصلاة والصيام تكاليف موجهة إلى الأفراد، وحماية الشريعة وصيانتها تكاليف موجهة إلى الأمة.

كانت الأمة الإسلامية عزيزة الجانب يوم كانت قائمة بالتكاليف التي وجهت إليها: من إعداد العدة، وأخذ الحذر واليقظة، ومن فهم سياسة العدو، ومن إقامة الجهاد، ومن نشر الدعوة الإسلامية، ومن جعل أمرهم بينهم شورى، ومن إقامة حكومة عادلة تسوس أمرهم وتحمي شريعتهم، ومن جعل العلائق بين المؤمنين قائمة على الولاء والمودة ومبنية على المناصرة والمؤازرة، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل وتقرير المساواة.

كانت هذه التكاليف مطلوبة من الأمة لتكون أمة قوية عزيزة ذات حكومة شورية عادلة، وكان مما طولبت به الحكومة -التي هي نائبة عن الأمة في القيام به- حماية الشريعة وصيانة الملة من هجوم الهاجمين واعتداء المعتدين، وكانت التكاليف الفردية -أي العقائد والعبادات- في جِرز منيع؛ لأن الأمة ساهرة، والحكومة حامية، والنظام الإسلامي يؤيد بعضه بعضًا ويدفع بعضه عن بعض.

مرّ على المسلمين زمن أهملوا فيه العناية بالتكاليف الموجهة إلى الأمة فضعف هذا الجانب وأخذت الأمة تنحدر كلما أهملت فرضًا من فروض الكفاية الموجهة للمجموع ووصل الانحدار غايته حينما قام بفكر المسلمين أن المسلم

متى قام بالتكاليف الفردية -فأمن بالعقائد، وأدى العبادات- فقد فرغ من التكاليف، وأصبح من عباد الله الصالحين، وإن كان قد أغفل جميع التكاليف التي خوطب المجموع بها.

ساد هذا الاعتقاد في القرون الأخيرة، فضعف أمر الجهاد أو زال، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضعفت العناية بالشورى، وضعفت حماية الشريعة، وذهبت العناية بصيانة الملة، وفُقد الاهتمام بفروض الكفاية، فضعف شأن المسلمين، وذهب من بينهم الولاء والتناصر، وذهبت بذهاب هذا كمال وحدتهم: فلم يعودوا أمة كما كانوا في الصدر الأول، بل صاروا أفرادًا متخاذلين وشيعًا متفرقين، فجاءهم العدو، فوجد قوةً فانية، وضعفًا قاتلاً، وأفرادًا لا تعرف معنى التناصر، فاحتل ديارهم، واستعمر بلادهم، وشرعت أنظمتهم تحتل الأنظمة الإسلامية.

فحينما ظهر الملحدون ونعق ناعقوهم وشرعوا يهاجمون التكاليف الفردية، وتناولوا العقائد بالجرح والتشهير، واستهزؤوا بالعبادات؛ أخذ المسلمون يتلفتون وراءهم كيما يجدوا نظامًا يحمي عقائدهم وعباداتهم، فلم يجدوا شيئًا... لم يجدوا النظام الذي يقرر حماية الملة وصيانة الشريعة؛ لأن النظام الأوروبي قد احتل مكانه، وهو لا يريد حماية العقيدة الإسلامية، وليس موضوعًا لذلك، وليس في طبيعته ما يدعوه إلى حماية نظام إسلامي، وليس بينه وبين العقائد الإسلامية رحم وقربى.

فرط المسلمون يوم أهملوا العناية بالتكاليف الموجهة إلى الأمة، ويوم سمحوا بضياح التكاليف التي تجعل منهم أمة عزيزة غيرة على دينها وملتها. لم تكتف الأنظمة الغربية باحتلال الأمكنة التي كانت تشغلها الأنظمة الإسلامية؛ بل فكّرت وسعت في مطاردة التعليم الديني من المدارس المدنية،

وعملت على أن يخرج التلميذ المسلم من المدرسة، وهو يجهل العقائد والعبادات الإسلامية، وبذلك تكون قد حاربت التكاليف الفردية أيضًا كما حاربت التكاليف الاجتماعية والسياسية والتشريعية، فيتم الغزو الأوروبي للإسلام في جميع مظاهره.

فإذا لم يتنبه المسلمون ويجتمع المفكرون منهم للنظر في تلك الحالة ووضع علاج لها، وإذا لم يعملوا على إحياء التكاليف الاجتماعية من النظام الإسلامي في الوطن الإسلامي الذي لا يزال محتفظًا باستقلاله، فإنه يخشى على البقية الباقية أن تزول!

إن الخطر شديد، وإن العدو قد طرق جميع الأبواب، إنه يعمل بيقظة وانتباه، والمسلمون نائمون متفرقون، وأخشى أن يصدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿قَدْ زَرَهُمْ يَحْضُرُونَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

نسأل الله أن يوفق رجالات العالم الإسلامي لإنقاذه من هذا الخطر، إنه على ما يشاء قدير.

عبد الباقي سرور نعيم



الكذب

- قال صفوان بن سليم: «قلنا يا رسول الله، أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: «نعم».

قلنا: أفيكون بخيلًا؟ قال: «نعم». قلنا: أفيكون كذابًا؟ قال: «لا». مالك^(١).

(١) برقم (١٧٩٥). بلفظ: «قيل لرسول الله»، وهو مرسل.

- قال ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب، ويل له، ويل له». أبو داود^(١).

- قال عبد الله بن عامر: «دعني أُمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك. فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا. فقال لها: «أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتبت عليك كذبة». أبو داود^(٢).

- قال ﷺ: «ليس بالكذاب الذي يصلح بين اثنين، فيقول خيرًا أو ينمي خيرًا»^(٣).



حملة التجديد والإصلاح

وهل لها قادة حكماء؟ وهل رسموا لها الخطط الحكيمة؟

لقد بدأ هذا الشرق الإسلامي يشعر بما هو فيه من من دَل، فقام يَنشُد عِزًّا، وقد لمس بحواصة الخمس عواقب السوء التي جرَّه إليها الجمود والخمول، فهبَّ يبحث عن مَخْرَج إلى ساحة النشاط والعمل.

فشابَّ الشرق -في كل قطر من أقطاره- هم اليوم في حالة غَلِيان، وأضحى من المقطوع به عندهم -وعندي معهم- أنَّ من الواجب أن تتسلَّح بأسلحة أخرى غير تلك التي أشعرتنا بالذلّ، وأن نتخذ في حياتنا المستقبلية أساليب في الحياة غير التي صارت بنا إلى هذا الخمول.

(١) برقم (٤٩٩٠)، وحسنه الألباني. (س).

(٢) برقم (٤٩٩١)، وحسنه الألباني. (س).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٥)، وصححه الألباني. (س).

هذا الشعور دليلُ حياة، فيجب على العقلاء تشجيعه، وهذا التيار منحدرٌ في طريقه بدافع من طلب الخير، وهو في حاجة إلى قيادة حكيمة تدلّه على طريق الخير، وتقنعه بأنه هو طريق الخير، وتُبرهن له على أنه يؤدّي بهذا الشرق إلى ما ينشده من عزّ، ويبتعد به عن عواقب السوء التي جرّه إليها الجمود.

هذه حقائق ملموسة يجب الاعتراف بها بكل شجاعة، ومن العبث وضياح الوقت سُدى أن يُمارى عاقل، أو أن يتمارى فيها الصاحي مع آخر يتكلم وهو نائم. إن شعوب الأرض تتبارى اليوم في حلبة التاريخ ليفوز كلٌّ منها بخطوة جديدة إلى الأمام؛ في سبيل العزة والسيادة.

وكل شعب من شعوب الأرض يعمل -أفرادًا وجماعات- ليزيد في قوّته وثروته، ويسعى لذلك في داخل حدوده وفي بلاد الناس.

ومما صار يستحي الناس من المجادلة فيه أن العزة والسيادة -سواء كانتا في بداياتهما، أو في السنام الأعظم من رفعتهما- لا يتحققان إلا باكتساب معارف واسعة النطاق، كثيرة الفروع، دقيقة الوضع: في كلّ معنى من معاني الحياة، وفي كلّ ضربٍ من ضروب العمل، وفي كلّ وسيلة من وسائل القوة، وفي كلّ غاية من غاياتها.

بل إن الشعب الذي يُلّم أفرادُه وجماعاته بهذه المعارف التي وصل إليها البشر في كل باب من أبوابها، لا يأمن من نفسه الوقوع في شبكة التأخر، ولا يدفع عن نفسه خطر الرضوخ للذلّ، إذا لم يكن مُراقبًا لكلّ ما تتكره العقول من جديد في أدنى الأرض أو أقصاها.

كانت مصادِرُ القوّة فيما مضى حوانيت صغيرة يصنع فيها أربابها من بقايا الحديد سيوفًا، وحلّة في ظاهر كل مدينة يلعب فيها عشرات من الناس

بالجريد، وأماكن يختلف إليها الشباب للمباراة في الرمي بالسهام، وأما اليوم فلا بد -للشعب الذي يريد أن يتجرد من ثوب الذل- أن يكون له من أبنائه من يحسن صنع المدفع، والمدفع لا يُصنع إلا بعلوم واسعة ودقيقة ألفت فيها الكتب، وإذا عرف صانعو المدفع هذه العلوم فلا بد لهم من مادة الفولاذ التي لا يمكن الحصول عليها إلا بعلوم واسعة ودقيقة، وإذا عرف صانعو الفولاذ هذه العلوم الواسعة الدقيقة فلا سبيل إلى استعمال علومهم إلا في شعب واسع الثروة جيد الأخلاق يحسن إدارة أعماله الشخصية والصناعية والتجارية والأدبية والحكومية، وكلُّ هذا لا يكون في هذا الشرق الإسلامي إلا بالتجديد القائم على تعليم الشعب وأبناء الشعب علوم الإدارة والتنظيم، وعلوم الاقتصاد وتثمين الأموال واستثمارها، وعلوم القوة والعزة التي تقي الأمة والوطن من أن يكونا تحت تصرف إرادة أمة أخرى ووطن آخر.

إن العزة والسيادة لا سبيل لهما -في الظروف التي تحيط بنا- غير هذا السبيل، وإن ضرورة الحياة مُلجئة- لكل شعب يريد ألا يكون ذليلاً، وألا يجعل حقَّ التصرف في إرادته وعقيدته وكيانه في يد غيره -إلى أن يباشر في الحال توزيع العمل بين أفرادهِ وجماعاتهِ: فينصرف كل فريق منهم إلى نوع من أنواع المعرفة، فيقف على أقصى ما وقف عليه البشر بمعناه، ثم يسهر بمراقبة كلِّ ما يحدث فيه من جديد، ليسدَّ من جهته ثغرة -صغيرة أو كبيرة- في جدران قلعتنا التي أخذت تهتدَّم منذ سبعمائة سنة، وقد سقط كثير من أركانها ويوشك أن يسقط الباقي إن لم نبادر في الحال إلى سلوك هذا السبيل.

ليس التجديد والإصلاح شهوة من الشهوات؛ بل هو ضرورة في مقدمة كل الضرورات، للاحتفاظ بالذمء الأخير من الحياة، ووقاية ما في القلعة، من هيكل العظمة عن أن ينهار فلا يُرجى أن تقوم لنا بعده قائمة.

لقد استبدلنا بصناعة الطباعة صناعة النسخ.

وكنا إذا أردنا ركوب البحر لتجارتنا أو لأداء فريضة الحج، نجتازُ لجَجه بالمراكب الشراعية، فتحوّلنا عنها إلى البواخر.

وجرّدتُ حكوماتنا الإسلامية جنودَها من القسيّ والمنجنيق، وجَهّزتهم بالبنادق السريعة الطلقات وبالقنابل اليدوية وبالمدافع الضخمة العجيبة.

وكان أجدادي يؤلّفون على نور السراج الذي تُنار دُبالته الدقيقة بزيت الزيتون، وأنا استغنيتُ عنه برضى مني واختيار وبسرور وارتياح، لأتمتع إذا قرأتُ أو كتبتُ بنور الكهرباء الذي يجعل الليل أسطع نورًا من النهار.

وأكتبُ هذا الفصل وأمامي رسالة من صديق في بغداد أريد أن أكتب جوابها، وسأرسل الجواب بالطيارة ليكون بعد غدٍ في يد صديقي وكان لا يصله إلا بعد شهر.

هذا كله تجديد، وكله حسن، بل واجب، لكنه ينطوي على دخائلٍ أشعر بالذل كلما تذكّرتها، ومن التجديد والإصلاح ألاّ أخادع نفسي وقومي بكتمانها.

لأجل أن يكون التجديد في الطباعة صادقًا، ولأجل أن أشعر فيه بالعزة والسيادة، يجب أن تكون الطباعة، وأجزاؤها، ومادتها، والورق الذي يطبع فيها مصنوعًا ذلك كله في وطني وبأيدي بني قومي، فيبقى ثمن ذلك وأجور عامله في داخل الوطن، فيقوى به على التوسع في وسائل القوة والعز.

ولأجل أن يكون التجديد في ركوبي البحر تجديدًا صادقًا، ولأجل أن أشعر فيه بالعزة والسيادة يجب أن تكون حاملة راية أمتي وأن تكون مصنوعة بكل أجزائها في وطني.

ولأجل أن يكون تجديد حكوماتنا الإسلامية لسلّاح جندها تجديدًا صادقًا يجب ألاّ تفتقر إلى الأغيار في الحصول على البندقية وعلى القنبلة اليدوية وعلى

المدفع؛ بل تبدأ بسلوك الطريق الذي يوصلها بعد سنة أو عشر سنين أو بعد ثلاثين سنة إلى أن يكون سلاحها مصنوعاً في مصانعها الخاصة وبأيدي رجالها وتحت نظر مهندسيها.

إذن، فالتجديد لابد منه إذا كنا لا نريد أن نبقي مقصرين فيما أمرنا به من إعداد ما نستطيعه من قوّة، والإصلاح لابد منه إذا كنا عازمين على أن نخلع ثوب الذل عن أجسامنا.

ولكن، كما أن الأعمال التي هي أقلُّ من هذا العمل خطراً لابدّ لنجاحها من رسمٍ خطط ذات مبادئ، وذات نتائج وغايات، وكما أن الأعمال التي هي أقلُّ من هذا العمل خطراً لابدّ للقيام بها من قادة يرسمون تلك الخطط بدقّة وأمانة وحكمة، ويجعلونها خطوط اتصال وثيق بين تلك المبادئ وتلك الغايات، كذلك حملة التجديد والإصلاح لا يجوز لنا قطُّ أن نندفع في طريقها بلا خطط مرسومة، ولا يجوز لنا قطُّ أن نغفل عن معرفة ما إذا كانت الخطط من شأنها أن تصل ما بين مبادئنا المعلومة وغاياتنا المطلوبة، ولا يجوز لنا قطُّ أن نأمن الذين يسرون بنا في تلك الخطط إلا إذا علمنا أنهم مؤمنون حقاً بالمبدأ الذي تنفق عليه وينطبق على حاجتنا من التجديد والإصلاح، ومؤمنون بضرورة الوصول إلى الغايات المتفق عليها والمنطبقة على حاجتنا من التجديد والإصلاح، وأن نتجّبت من أمر هؤلاء القادة فلا يخامرنا شكٌّ في أن يداً أخرى تقودهم على علم منهم أو بغير علمهم.



إن في الشرق اليوم -وأعني هذا الشرق العربيّ الذي تملأ أقطاره غرب آسيّة وشمال إفريقيا- شيئاً يسمّى حركة تجديد، ومن المسلمّ به عندي أن التجديد وسيلة الحياة للشرق العربي والشرق الإسلامي معاً، وقد أعربتُ عن ذلك بكل

إخلاص وبكلّ صراحة؛ لأنني إذا اعتقدت شيئاً وتوصّلت فيه إلى صميم الحقّ لا يحول شيء بيني وبين الجهر به حتى أملاً به أسمع كل من يبلغهم صوتي بلا تردّد ولا جمجمة.

وأظنني تفاهمت آنفاً مع قرّائي على أن حملة التجديد لا تكون جهاداً في سبيل الله والوطن إلا إذا كانت ذات مبادئ واضحة، وذات غايات معيّنة، وذات خطط نسير فيها على نور، وأن يكون قوّادها يعملون لذلك بقلوبهم عن رضى واختيار.

فلا يكون فيهم المدسوس علينا، ولا العامل لحساب العدو في صفوفنا، وإن حقيقة قوّاد حركة التجديد تبقى مجهولة حتى تتعين مبادئ حركة التجديد وغاياتها وخططها، فمن عمل فيما بين هذه الأمور بإيمان وإخلاص ملتزماً ألا يخرج بالأمة إلى خطط أخرى لا تصل إلى تلك الغايات كان من قادة التجديد الذين يعملون لمبدئنا وغايتنا في سبيل الله والوطن، ومن كانت له طرق أخرى وأهداف أخرى فهو مدسوس علينا وعامل لحساب غيرنا في صفوفنا؛ سواء كان من الفريق الذي يعمل للأغيار وهو عالم بمهنته أو كان من نوع الأدوات التي تقوم بوظيفتها بلا شعور.

إذن؛ فهناك تجديد حقيقي، وتجديد مدسوس، وإذن؛ فالمقياس الذي يتميز به التجديد الحقيقي عن التجديد المدسوس هو تعيين المبادئ والغايات ورسم الخطط فيما بينهما ولا تستطيع أن تعرف داعية الإصلاح الخائن إلا إذا امتحنت دعوته ورأيته ترمي إلى إخراج الأمة عن الخطط القويمة التي تصل ما بين مبادئها وغاياتها.

تُرى ما هي مبادئ حركة التجديد الحقيقية التي يحتاج إليها هذا الشرق العربي، وما هي غاياتها، وما هي خططها؟

نريد أن نكون أقوياء في أنفسنا، ومحترمين عند الأمم القوية، هذه غاية يجب أن نصل إليها.

ويجب أن نحفظ بكياننا القومي والوطني والديني، وهذا مبدأ يجب أن نقطع اليد التي تحاول قطع ما بيننا وبينه.

فالخطة التي يجب أن نرسمها بين هذا المبدأ وتلك الغاية هي أن نأخذ من كل مكان ما نحن في حاجة إليه من أسباب العزة والقوة، وأن نحفظ بكل ما في كياننا القومي والوطني والديني مما لا يعد من عوامل الذلّ وبواعث الوهن، وكلما كان ما لا نرى بأسًا في الاحتفاظ به من أركان كياننا أعظم وأضحَم كان ذلك أدلّ علينا وأظهر لوجودنا، ويعدُّ ذلك من حُسن حفظنا ونعم الله علينا.

وكلما كان ما نضطر إلى استعارته من الأمم الأخرى أقلّ وأصغر كان ذلك أحرى ألاّ ندوب في غيرنا ونخرج عن أنفسنا، ومعنى هذا أن كلَّ ما لدينا من أجزاء كياننا يجب أن نحفظ به إلا ما كان من ذلك مضرًا، وكل ما عند غيرنا لا يجوز أن نأخذه إلا إذا كان ضروريًا.

إن كياننا القومي والوطني والديني أشبه بجسم الرجل من رجالنا، فهل يرضى الرجل منا بصلم أذنيه حتى لو لم تكونا لطيفتين؟ وهل يرضى بكشط جلده حتى لو كان مُجدَّرًا؟ وهل يرضى ببتّر أصابعه حتى لو كانت غليظة؟ إن من يرضى بذلك لا يكون في حالة عقلية محمودة. وهل إذا أصيبت يد أحدنا بمرض وكان في الإمكان أن نخلص من ذلك المرض بالعلاجات نعد إلى اليد فنقطعها؟ إن من يرضى بهذا لمجنون! إن كياننا يجب أن نحفظ به جهد طاقتنا وأن ندافع عنه حتى الموت، وألاّ نتجاوز منه إلا عن مثل زوائد الشعر والأظافر، وألاّ ننزّل منه إلا ما يُزال بالحمام من الأوساخ الطارئة، وكل من يدعوني إلى أن أبتّر من جسمي لحمًا أو عظمًا أو عصبًا فهو عدوّ أو رسول العدو.

أما الذي ينبغي لي أن أقتبسه من الغير فكل ما هو من قبيل تنظيم أوقات العمل والراحة، وتوفير أسباب الدَّأب والنشاط، وإعداد دواعي الصحة والعافية، وسائر ما يعود على الجسم بالقوة والسعادة.

نطلب تجديدًا نتعلم به تنظيم حياتنا، وإدارة متاجرنا ومكاتب أعمالنا.

نطلب تجديدًا نستغني به عن مصنوعات الأمم الأخرى بمصنوعات تنتجها أوطاننا بأيدي أبنائنا.

نطلب تجديدًا يعرفنا بأننا كنا فيما مضى أعزَّ الأمم، فيجب أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب نكون فيه من أعزَّ الأمم.

نطلب تجديدًا يعرفنا بأننا كنا في زمن من الأزمان أعلم الأمم، فيجب أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب، نكون فيه من أعلم الأمم.

نطلب تجديدًا يعرفنا بأن أجدادنا استطاعوا بعد أن أزالوا الدولتين الرومانية والفارسية من الوجود أن تكون بأيديهم أرقى صناعات العالم، فيجب علينا أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب نكون فيه من أرقى الأمم في الصناعات.

أما الجديد القائم على انتهاز فرصة ما نحن فيه من ذلِّ لإقناعنا بأننا لم نكن في يوم من الأيام شيئًا مذكورًا، فنستنتج من ذلك أننا ليست فينا جرثومة الاستعداد لتبوء مقاعد العز.

وأما التجديد القائم على انتهاز فرصة ما نحن فيه من جهل لإقناعنا بأننا لم نكن في يوم من الأيام على شيء من العلم، فنستنتج من ذلك أننا ليست فينا جرثومة الاستعداد لتبوء كراسي العلم.

وأما التجديد القائم على انتهاز فرصة ما نحن فيه من انحلال وفوضى لإقناعنا بأن جميع أدوار حياتنا التاريخية «كخ»، فنستنتج من ذلك أنه لا سبيل للخروج

مما نحن فيه إلا بالاندماج في هؤلاء الإفرنج قلبًا وقالبًا، والدخول في غمارهم ظاهرًا وباطنًا.

إن تجديدًا هذه مظاهره لا ريب أن خططه مرسومة بيد أعداء، ويعمل على تحقيقه في هذا الشرق أعداء بلباس أصدقاء، ولا أبالي أن أقول بملء فمي: إن الجهل خير من مثل هذا التجديد الذي يُراد به أن يستعمر الأجانب قلوبنا، فيستغنوا بها عن العناية في محاولة استعمار بلادنا، لأننا بعد أن نكون لهم يصبح العبد وما ملكت يده لملولاه.

فهل يرضى شباب الشرق العربي المجيد، بهذا الضرب من التجديد؟
يقول السيد المسيح -صلوات الله عليه-:

من ثمارهم تعرفونهم.

فالعلامة بيننا وبين كل داعٍ إلى التجديد والإصلاح أن ننظر فيما يدعوننا إليه: فإن كان يدعو إلى أسباب القوة من معارف وفضائل، وتتجلى في دعوته قرائن النصيح لقوميته، والحرمة لمفاخرها، والإحياء لمآثرها؛ فهو داعية إصلاح حقيقي، وأما إن كان من هؤلاء الذين يسودون الصحائف بهذيان لا علاقة له بالنهوض، ولا غاية لهم غير مخادعة الشباب الطاهر؛ ليعزلوه عن تاريخه ويُخرجوه عن نفسه بما يحاولون من إقناعه بأنه سليل أمة ليس لها سابقة من فضل أو مآثرة في الحضارة، فمثل هذا لا ريب أنه مدسوس فينا، ولعل العدو المجاهر بالعداوة أقل ضررًا من حامل مثل هذه الثمار الخيثة، إلى أمة مسكينة تنشد عزًا وصلاحًا.

محبت الدين الخطيب



صدق اللهجة

محاضرة الأستاذ الجليل الشيخ / محمد الخضر حسين

في دار جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، بالقاهرة

أيها السادة:

في كل خصلة فاضلة شرف وخير، ولكل خصلة فاضلة أثر في سعادة الجماعة، وقد تفاوتت هذه الخصال بكثرة الحاجة إليها، ومن الخصال التي تكثر مواضع الاحتياج إليها صدق اللهجة، فلا غنى للجماعة عن أن يكون فيها صدق وحلم، والأحوال التي يُحتاج فيها إلى الصدق أكثر من الأحوال التي يُحتاج فيها إلى الحلم.

ونحن لا نشعر بالحاجة إلى شجاعة السيدات والأطفال، وكلُّ منا يشعر بالحاجة إلى صدق الطفل الآخذ في التردد على المدرسة، وصدق السيدة المصونة في خدرها، كما يشعر بحاجتنا إلى صدق الصانع في مصنعه والأمير على كرسيه.

فالكلمة التي نلقيها في هذه الليلة إنما نصف بها فضيلة شأنها رفيع، وأثرها في الاجتماع كبير، وهو صدق اللهجة.

ولا تثريب علينا ذا تناولنا في أثناء بحث هذه الفضيلة نبذة من الحديث عن ضدها وهو الكذب، فإن حقائق الفضائل تتجلى بمعرفة أضدادها؟

□ ما هو الصدق؟

الصدق في لغة العرب: إلقاء الكلام على وجه يطابق الواقع والاعتقاد،

ومقتضى هذا الشرح أن الكلام الذي يخالف الواقع والاعتقاد معاً، أو يخالف أحدهما لا يدخل في حقيقة الصدق، بل يندرج تحت اسم الكذب؛ والكذب ذو ضروب وألوان.

للصدق صورة واحدة، وهي أن تصوغ القول على نحو ما تعتقد؛ ويكون اعتقادك مطابقاً للواقع، كأن تقول وأنت الناصح الغيور: سلطة العدو أمر من الصّبر، وأشدّ مضاضة من وقع الحسام.

□ وللکذب ثلاث صور:

إحداها: ما يخالف الواقع، والاعتقاد؛ كمن يتملق فاسقاً أو باغياً فيصفه بالاستقامة، وهو على بينة من سيرته المغضوب عليها.

ثانيها: ما يخالف الاعتقاد، ويطابق الواقع؛ كالزائغ المنافق ينطق على نحو ما ينطق به أولو الحكمة والهداية.

ثالثها: ما يخالف الواقع، ويطابق الاعتقاد؛ كالغبي يعتقد صلاح بعض الفجار فيصفه بالولاية أو التقوى.

هذه صور الكذب في مجاري كلام العرب، وقد رأيتوها متمثلة في المتملق والمنافق والغبي، والذي يرجع عيبه إلى الأخلاق العملية من هذه الصور ما جاء الحديث فيه مخالفاً للاعتقاد، وسواء بعد هذا أخالف الواقع أيضاً، وهي الصورة الأولى أم كان مطابقاً للواقع وهي الصورة الثانية.

وبيان هذا: أن الباحث في الأخلاق العملية يوجه عنايته إلى نفس المتكلم حين إلقائه الحديث، وينظر إلى اعتقاده وما بينه وبين الحديث من مطابقة أو مخالفة، فإن وجد الرجل يسوق الحديث على غير ما يعتقد وضع عليه اسم الكذب وعده في حَمَلَة هذه الرذيلة الساقطة، ولو اتفق لحديثه أن كان مطابقاً للواقع.

وإن وجده يلقي الحديث على نحو ما يعتقد، لا يعده في أصحاب رذيلة الكذب، وإن لم يجرِ حديثه موافقاً للواقع.

وهذا الذي تحدّث عن اعتقاد وجاء حديثه مخالفاً للواقع لا يرميه الباحثون في الأخلاق بسبب الكذب، وقد يؤاخذ من جهة أخرى، وهو انقياده إلى الظنون الواهية وحديثه عن الأمر قبل التثبت من أنه حقيقة واقعة.

فالكذب في إطلاق علماء الأخلاق ينصرف إلى من يحدثك بالأمر، وهو يعتقد أنه غير واقع، ومعظم ما ورد في الشريعة من ذم الكذب، محمول على أولئك الذين تنطق عليك ألسنتهم بأشياء يزعمون أنها واقعة وقلوبهم تنكرها.

□ الاحتراس في صدق اللهجة:

يحدّثك الرجل عن أشياء يحسّ بها في نفسه، كالحب والبغض والعطش والريّ. ويحدّثك عن أمور يدركها بمحسّاته الخمس: البصر، والسمع وغيرهما، وهو فيما يدركه بإحساسه الباطن أو إحساسه الظاهر يستطيع ألاّ يحدثك إلا بما يطابق الواقع والاعتقاد، فالرجل الصادق لا يقول «أحببت» وهو يُبغض، ولا يقول «سمعت» أو «رأيت» إلا إذا سمع أو رأى.

وقد يحدثك عن حادثة تلقى خبرها عن طريق الرواية، أو يحدثك عن أمر أدركه على وجه النظر والاستدلال، وهذان الصنفان هما اللذان يعثران به في مخالفة الواقع أحياناً، ويتزلان به إلى أن تحوم حوله الظنون، فعلى صادق اللهجة أن يحترس فيما يتحدث به عن رواية أو يتحدث به عن ظن واستنباط.

والاحتراس في الأخبار التي تجيء عن طريق الرواية ألاّ يحدث بها قبل أن ينقدها نقدًا بالغًا، وإن بدا له أن يخبر بها على نحو ما سمعها فليذكر أسماء رواتها حتى يبرأ من عهدها.

والاحتراس في الحديث الذي يستند فيه إلى ظن وأمانة ألا يطرحه إلى الناس في صورة المقطوع به، بل يُنبه على أنه تحدث به على وجه الظن، كما يصنع كثير من الملائ الذين يعافون الكذب ويريدون أن يجعلوا بينه وبين ألسنتهم حجاباً مستوراً. فسياج صدق اللهجة الاحتراس في الحديث المستند إلى رواية أو ظن، ومن حدّثك بما علم واحترس فيما روى أو ظن، فقد قضى حق فضيلة الصدق ووفى.

□ صدق اللهجة والمجاز:

لا يخرج عن حدود الصدق ما يجري على ألسنة البلغاء من ضروب الكناية وفنون المجاز، كأن تقول لشخص: جئتكَ ألف مرة، تكني بالألف عن كثرة التردد، ولا تريد بها عدد المرات.

وكان تقول: رأيت أسداً مخلبه الحسام، وأنت تريد بطلاً لا يلوي جبينه عن منازل الأقران، وقد جاء في كتب الأصول: أن قومًا منعوا أن يكون في القرآن مجاز، وهم الظاهرية^(١)، ولا شبهة لهؤلاء إلا زعمهم أن المجاز من قبيل

(١) وغيرهم من علماء المسلمين، على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله -.

انظر: رسالة «نفي جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز»؛ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، صاحب تفسير «أضواء البيان» رحمته الله.

قال الشيخ ابن باز رحمته الله: «الصحيح الذي عليه المحققون أنه ليس في القرآن مجاز على الحد الذي يعرفه أصحاب فن البلاغة، وكل ما فيه فهو حقيقة في محله، ومعنى قول بعض المفسرين: إن هذا الحرف زائد، يعني من جهة قواعد الإعراب، وليس زائداً من جهة المعنى، بل له معناه المعروف عند المتخاطبين باللغة العربية؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم، كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يفيد المبالغة في نفي المثل، وهو أبلغ من قولك: (ليس مثله شيء)، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْمَعَآلِيَ أَقْبَلَنَا فِيهَا﴾، فإن المراد بذلك سكان القرية وأصحاب العير، وعادة العرب تُطلق القرية =

الكذب، والقرآن قول فصل وما هو بالهزل، وهذه الشبهة مدفوعة بقيام القرينة الدالة على أن المتكلم لا يقصد سوى معنى المجاز، وإذا كان قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. يحتوي قرينة تنفي أن يكون المراد من الظلمات سواد الليل، ومن النور بياض الشمس والقمر والسراج، لم يكن هناك إخبار بما يخالف الواقع أو الاعتقاد، حتى يتناوله اسم الكذب الذي لا يحوم على كتاب الله في حال، وإنما الكذب ذلك الإغراق أو الغلو الذي يضعه الشاعر خيالاً بحثاً، كقول بعضهم:

ليس ذا الدمعُ دمعٌ عيني ولكن هي نفس تذيبها أنفاسي
وقول الآخر:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

□ صدق اللهجة والقصص الخيالية:

القصص الخيالية ضروب:

أحدها: ما يحكى على ألسنة الجماد، أو الحيوان؛ كقصة كليله ودمنة.

ثانيها: ما يُحكى على ألسنة ذوي نفوس ناطقة، ويدل المتكلم بالقرينة أو بالصريح من القول على أنه اخترعها لتكون مأخذ عبرة أو أدب لغة، كما صنع أبو القاسم الحريري في مقاماته.

= على أهلها والعير على أصحابها، وذلك من سعة اللغة العربية وكثرة تصرفها في الكلام، وليس من باب المجاز المعروف في اصطلاح أهل البلاغة، ولكن ذلك من مجاز اللغة، أي مما يجوز فيها، ولا يمتنع، فهو مصدر ميمي كالمقام والمقال، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ﴾ يعني حبه، وأطلق ذلك لأن هذا اللفظ يفيد المعنى عند أهل اللغة المتخاطبين بها، وهو من باب الإيجاز والاختصار لظهور المعنى. والله ولي التوفيق. «مجلة الدعوة» (العدد: ١٠١٦). (س).

وهذان الضربان من قبيل الإخبار بما يخالف الواقع والاعتقاد؛ والذي يستر عيب الكذب هنا أن المتكلم لم يوقع المخاطب في غلط وسوء تصوّر، وإنما يعرض عليه حكمة أو أدب لغة في أسلوب طريف.

ثالثها: ما يحكيه الرجل على السنة ذوي نفوس ناطقة، ولا يُنبه إلى أن القصة غير واقعة، وهذه أيضًا خارجة عن حد الصدق إلى مكان بعيد، ولو كان الداعي إلى وضعها ما تحتويه من عبرة أو أدب لغة.

فالذين يزعمون أن في القرآن قصصًا غير واقعة، وأنها سيقّت لما تحتويه من موعظة، لا يريدون إلا أن يطعنوا في القرآن، ويخادعوا المؤمنين، ولا يُخدعون.

□ صدق اللهجة وإخلاف الوعد:

الوعد إخبار عما ستفعله في المستقبل من إحسان، والصدق والكذب يجريان في الأخبار المستقبلية، كما يجريان في الأخبار الماضية، وقد وصف الله تعالى إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد لوفائه بما يعد، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾. وإذا كان الوفاء بالوعد يجعله صادقًا، فإخلافه يجعله كاذبًا لا محالة.

وقد اختلف أهل العلم بعد هذا في لزوم الوفاء بالوعد؛ فذهبت طائفة إلى أن من وعد شخصًا بإحسان، وجب عليه إنجاز ما وعد، وقضى عليه بأدائه، وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ورجحه أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوزي فقال: «والصحيح لزوم الوعد، وخلفه كذب ونفاق».

وذهبت طائفة أخرى إلى أن الوفاء بالوعد من مكارم الأخلاق، وأن صاحبه يملك الرجوع عنه، وإذا بدا له أن يرجع فليس للقاضي عليه من سبيل.

وذهب جماعة من فقهاء المالكية إلى تفصيل، وهو أن الوعد المطلق غير لازم، وأما الوعد المنوط بسبب، فإنه يصير منزلة الدَّين الذي لا مناص له من قضائه، ومثال هذا أن تقول لشخص تزوج وأنا أدفع المهر، فإذا تزوج كان للحاكم أن يقضي عليك بدفع المهر قضاء نافذاً.

□ صدق اللهجة وإخلاف الوعيد:

الوعيد: إخبارٌ عما ستفعله من شر، فإخلافه يجعله كالوعد المخلف قولاً كاذباً، والرجل الذي يوعد آخر، ثم يضرب عنه عفواً إنما يُمدح من جهة أن مصلحة إخلاف الوعيد أرجح من مصلحة إنفاذه، ففضيلة العفو تغمر عيب الكذب، وتجعله في نظر الأخلاقي شيئاً منسياً، ولتضاؤل نقص الكذب تحت عظم فضيلة العفو ساغ للإنساني أن يتمدح بإخلاف الوعيد، الذي يقول:

واني وإن أوعدته أو وعدته لأُخلف لإعادي وأنجز مواعيدي

ولاشك أن من يقرن الوعيد بنحو المشيئة، يحميه أن يجعله الإخلاف كذباً، ولكن الوعيد شأنه أن يصدر في حال غضب، لا يملك صاحبه النظر إلى العواقب، فهو لا يكاد يلفظ به إلا بعد عزم وتصميم.

□ صدق اللهجة والمعارض:

في هذه الحياة بلاء، وأشد بلائها ما يمنعك من أن تقضي حق فضيلة، قد يلاقي الإنسان حالا ترغمه على أن ينطق بما يكره، ويسلك في القول ما لم يألف، ولو وقف علم الأخلاق أمام هذه الأحوال المرغمة صلباً جامداً، لضاعت سبيله ووجد بعضُ النفوس للخروج على أمره عذراً بيتاً، وقد وجدنا علم مكارم الأخلاق -الذي رفع الإسلام قواعده- فسيح الصدر بمقدار ما يسع مقتضيات الحياة الفاضلة.

فصدق اللهجة يُعدّ في الفضائل نظرًا إلى ما هو شأنه من حفظ المصالح ودرء المفساد، ولو عَرَضَتْ على وجه الندرة حالّ يكون حديثُ الرجل فيها على نحو ما يعلم، جالبًا عليه أو على غيره ضررًا فاحشًا، لوجد في قانون الأخلاق مرونة تسمح له بأن يصوغ حديثه في أسلوب لا يجلب ضررًا.

فإذا وقع الإنسان في حال لا يليق معه التصريح بأمر واقع، ولم يكن بدّ من أن يقول في شأنه شيئًا، فها هنا يُفَسَّح له بمقتضى قانون الأخلاق الذي أتقن الإسلام صنعه أن يأخذ بالمعاريف، وهي ألفاظ محتملة لمعنيين، يفهم السامع منها معنى، ويريد المتكلم منها معنى آخر، وإن شئت فقل: هي ألفاظ ذات وجهين: أحدهما غير حقيقة، وهو ما يسبق إلى فهم المخاطب، وثانيهما حقيقة، وهو ما يقصده المتكلم، ويحق لك أن تسمي اللفظ من أجله حديثًا صادقًا، وهذا ما يفعله الذين أشربوا صدق اللهجة متى عرفوا أن في القول الصريح حرجًا أو خطرًا.

ومما يُساق مثلاً لهذا أن أبا بكر الصديق كان يُسأل عن النبي ﷺ في طريق هجرتهما من مكة إلى المدينة، وهو يريد كتم أمره، فيقول: «هذا يهديني السبيل»^(١). يريد أبو بكر من السبيل، سبيل الخير والسعادة، ويحملها السائل على الطريق التي يسلكها المسافرون.

وما كانوا يرضون عن الحديث ذي الوجهين إذا عمد إليه الرجل لغرض غير صالح، قال عبد الله بن عتبة: دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز، فخرجت وعليّ ثوب، فجعل الناس يقولون: هذا كساكه أمير المؤمنين؟ فكنت أقول: جزى الله أمير المؤمنين خيرًا، فقال لي أبي: يا بني اتق الكذب، وما أشبهه،

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١). (س).

نهاه عقبة عن إجابة السائلين بقوله جزی الله أمير المؤمنين خيرًا؛ لأنه يُلقِي في أذهانهم أن الخليفة هو الذي خلع عليه هذا الثوب، ولا داعي له إلى أن يجيهم بهذا الجملة التي يتبادر منها غير الواقع سوى قصد الفخر، والفخر بإصابة حظوة عند الأمراء -ولو كانوا مثل عمر بن عبد العزيز- لا يُحسب في الأغراض المحموده حتى يحل للرجل أن يرتكب له حديثًا ذا وجهين.

عنى الإسلام بصدق اللهجة جهد العناية، ويريد مع هذا للأمة إخاءً، واتِّلافًا يجعلها كالبنیان يشد بعضه بعضًا؛ ويريد لجيشها الفوز على أعداء يهاجمون أو يتحفزون، ويرغب في أن يكون الزوجان على وفاق وحياتهما في نظام، لهذا خفف المصطفى -صلوات الله عليه- في الكلمة يقولها الرجل ليطفى عداوة استعرت بين طائفتين، أو يقولها في حرب ليكفي قومه قارعة تسلط الأعداء، أو لئسكت غضب زوجته الصالحة.

وقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في تأويل الحديث إلى أنه أذن في المعارض، فذكر هذا الحديث الذي يروي في استثناء الحرب والإصلاح وإسكات غضب الزوجة، ثم قال: «ولكن ذلك بالمعارض، وهي الألفاظ التي يفهم منها السامع خلاف ما يريد القائل، فهذا هو المأذون فيه».

□ أثر صدق اللهجة في سعادة الفرد:

يتحلى الإنسان بأدب الصدق؛ فيشرف قدره، وتطيب حياته، ويصفو باله، أما الشرف فلأن الصدق يدل على نقاء السريرة وسمو الهمة ورجحان العقل، كما أن الكذب عنوان سفه العقل، وسقوط الهمة، وخبث الطوية.

وقد جاء في حديث أكمل الخليفة ما يُرشد إلى أن الصدق حسنة تنساق بصاحبها إلى حسنات، وأن الكذب سيئة تنجرّ به إلى سيئات، قال المصطفى -

صلوات الله عليه - فيما رواه الإمام البخاري^(١): «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

ولا يستقيم لأحد سؤدد أو يحرز في قلوب الناس مكانة إلا حيث يهبه الله لسانًا صادقًا، وإذا ابتغى الكذوب منزلة فإنما يتبوّؤها بين طائفة ضربت على أدمغتهم الغباوة، أو طائفة تؤثر اللهو على الجدة ويشغلها الخداع عن النصيحة. وأما طيب العيش فإن الناس لا يطمثون إلا إلى معاملة الصادق الأمين، وشأنهم الانصراف عمن ألفوه يضع الكلمة في غير واقع، وقد يحرص التاجر أو الصانع على درهم أو دينار يقتنصه بكلمة غير صادقة، هو يضيع سمعة طيبة وربحًا وافرًا.

ومن المشاهد أن الصدق يُكسب الرجل وقارًا، ويُلقى له المودة في عشيرته والناس أجمعين، واحترام الناس للرجل مما يدعوهم إلى النصح في صحبته، وإذا وُضع بين أيديهم شأنًا من شئونه الحيوية قاموا عليه بإخلاص. وأما صفاء البال فمن ناحيتين:

أولاهما: أن مرتكب الرذيلة لا بد أن يُحس بوخز في ضميره، ويسمى توبيخ الضمير، والكذب من أفظع الرذائل، فوخزه في الضمير غير يسير، ومتى سار الإنسان في طريق الصدق، وأقام بينه وبين الكذب حصنًا مانعًا عاش في صفاء خاطر وراحة ضمير، ولم يكن لهذا الوخز النفسي عليه من سبيل. آخراهما: أن يلطخ لسانه برجس الكذب لا بد من أن تبدو سريرته، ويجر عليه

(١) برقم (٦٠٩٤). (س).

شؤم هذه الرذيلة شقوة، فلا يلاقي من الناس إلا ازدراء، وربما رموه بالتوبيخ في وجهه، أما صادق القول، فإنه يظل ضافي الكرامة آمنًا من مثل هذا الخطاب المهين.

□ أثر صدق اللهجة في سعادة الجماعة:

تسعد الجماعة وتتنظم شئونها على قدر احتفاظها بفضيلة الصدق، فالمعاملات كالبيع والإجارة والقرض والشركة لا يتسع مجالها ويستقيم سيرها إلا أن تديرها لهجة صادقة، والأمة التي تسود فيها فضيلة الصدق، حتى يكون القائم بأي عمل موضع ثقة الجمهور، تتقدم حالتها الاقتصادية ولا يجد عدوها الوسيلة إلى مزاحمتها في نحو التجارة والصناعة.

والصدقات التي تجعل أفراد الأمة كالجسد الواحد، إنما يشتد رباطها على قدر ما يكون لهؤلاء الأفراد من الاحتفاظ بصدق اللهجة.

وقد يكون للكذب صديق من صنف أصدقاء المنفعة؛ ولكنه لا يستطيع أن يتخذ من إخوان الفضيلة صديقًا حميمًا.

فالذي يستهين بالكلمة الكاذبة يُطلق بها لسانه، يؤذي نفسه، ويُرهِق المجتمع خللاً وفسادًا، فالكاذب لا يعد عضوًا أشل فقط، وإنما هو عضو يحمل دماً مسمومًا لا يلبث أن يسري إلى الأعضاء المتصلة به فيؤذيها.

□ أثر صدق اللهجة في العلم:

يمرق الرجل من فضيلة الصدق على طرق شتى، وأبعد هذه الطرق ضلالاً أن يتحدث في العلم بما ليس من العلم، أو يضيف إلى أحد قولاً لم يصدر عنه، يفعل هذا من يرغب في التفوق على قرين ينافسه، أو يرغب في أن تطير له سمعة أعلى من منزلته، ومن يحاول التفوق على قرينة بزخرف من الباطل، فهو أخو

الساحر، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَلَ﴾، ومن رضي بأن تكون سمعته فوق منزلته، فإن وراء السمعة قولاً تزن الرجال بالآثار، فلا يدعون السمعة تغلو في طيرانها، بل يأخذون بناصيتها ويهبطون بها إلى أن تكون مع منزلة صاحبها على سواء. ولو أيقن أولئك الذين يدسون في العلم ما ليس من العلم، أن من حولهم بصائر نافذة، وأقلاماً ناقده، لما انسلخوا من لباس الصدق، ولكنهم قوم لا يوقنون.

يتحدث العالم في غير صدق، فتذهب الثقة به من القلوب، ويذهب معها شطر علمه، وهو ما يرجع إلى النقل والرواية، وكم من متم إلى العلم اطلعوا له على اصطناع خبر، فطرحوه من حساب الموثوق بنقلهم، وكذلك الرجل يخرج عن أدب الصدق مرة، فيتعدى شؤم الكذب إلى سائر أقواله، فتوشك أن تذهب كما يذهب هذيان المبرسمين هزواً.

كذبت ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدقاً

□ علل التهاون بصدق اللهجة:

ينحرف الرجل في حديثه عن قصد السبيل لدواع مقبوحة ومآرب دنيئة، وليس في وسعنا ذكر هذه الدواعي والمآرب، وإنما نسوق منها أمثلة تريكم أن من لا يقدر قيمة الصدق قد يبيعه بثمن بخس، وكل ما يرضى به ثمنًا للصدق فهو بخس ولو حثوا له من هذه الصفراء والبيضاء ما لا يأتي عليه حساب.

ينحرف الرجل عن الصدق ليتعلق ذا مقام وجيه، ولا يتزلف إلى ذوي المقامات الوجيهة بقول الزور إلا من صغرت نفسه، وضاق عليه مجال القول الصائب الحكيم.

نحن نعلم أن بعض ذوي المناصب قد مُسخت فطرمهم، فلا يرضون عمن يجلس إليهم إلا أن يدخل عليهم من باب التملق والتناق، ونعلم مع هذا أن كرم

الأخلاق يدعوك إلى أن ترعى حرية ضميرك وتحافظ على صدق لهجتك، فأجب داعيه، وذر الذين يحبون أن تشيع فاحشة الملق في الأمة فإنهم قوم لا يفقهون. ينحرف الرجل عن الصدق ليُغرب على الناس ويريهـم أنه صاحب سـمـر، حتى يخفّ عليهم ظله ويرغبوا في منادمتـه، وإنما يفعل هذا من يحرص على أن يـغـشى كل منزل وتم به حلقة كل مجتمع.

أما من يبتغي الحياة الزاهرة الشريفة، فيتقلد فضيلة الصدق في كل حال، ثم لا يوالي إلا أولى الجـد، ولا يبذل خطواته إلا حيث تحترم الحقيقة والفضيلة. وقد ينطوي بعض الناس على عداوة الشخص، فيرميه بمساوئ ليصرف عنه القلوب، ويسقط مهابته من العيون، ولا أشأم على الرجل من أن يناضل عدوه بالبهتان.

ومن كانت له حاجة في أن يؤلم أعداءه، فإنه لا يؤلمهم بأشد من احتفاظه بمكارم الأخلاق، ومن أعز هذه المكارم أن يكون حرّ الضمير عفيف اللسان. وفي الناس من إذا أخذ يحدثك في شأنه أو شأن سلفه أذنَ لقريحته فتخترع، وأطلق لسانه فيرتع في غير واقع، والألمعية تشهد بأن الرجل لا يستطيع أن ينال بمثل هذا الحديث، ذرة من فخر أو حمد، وربما قام حديثه هذا شاهداً على أنه لم ينشأ في أدب متين، فيطرح نفسه في زراية من حيث يريد أن يرفعها إلى فخار.

ومن لا يؤمن بأن خالق الكون يجازي هذه الألسنة على ما تصنع من تحريف أو تزوير، لا يبالي أن يلبس الحقيقة بالباطل، ويصور بلسانه أشياء ليس لها في الواقع من مثال.

ولا يكاد الملحد يحتفظ بصدق القول إلا حين يريد أن يتشبه بذوي المروءة، وحيث يخشى افتضاح زوره ويخشى من افتضاحه ضرراً؛ وانظر في قصة أبي

سفيان حين استدعاه هرقل في ركب من قريش، وأخذ يسأله في شأن النبي ﷺ، فإنكم تجدون أبا سفيان، وهو زعيم قريش يومئذ يقول: «فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا عني كذبًا لكذبت عليه». قال أبو سفيان هذا أيام جاهليته، وهو سيد قومه.

أما صدق اللهجة القائم على الإيمان الساطع، فلا يختلّ نظمه، ولا يختلف غيب صاحبه عن حال علانيته، فمن تصدّى لإصلاح جماعة، وعنى بأن يجعلهم المثل الأعلى لفضيلة الصدق؛ فليسع لأن يكون إيمانهم بالله راسخًا، والإيمان الراسخ مطلع كل فضيلة.



المعاريض وجواز استعمالها في ثلاث خصال

- قال ﷺ: «يا أيها الناس، ما يحملكم على أن تتابعوا على الكذب»^(١)، كتابعُ الفراش في النار؟ الكذب كله على ابن آدم حرام إلا في ثلاث خصال^(٢): رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب، فإن الحرب خدعة، ورجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما». الترمذي^(٣).
- قال رجل: يا رسول الله، أكذبُ امرأتي؟ فقال ﷺ: «لا خير في الكذب». قال: فأعدها وأقول لها؟ قال ﷺ: «لا جُناح عليك». مالك^(٤).

(١) تنهافتوا عليه.

(٢) وبشرط السلوك إلى ذلك من طريق المعارض كما تقدم.

(٣) برقم (١٩٣٩)، وصححه الألباني. (س).

(٤) في الموطأ، برقم (١٧٩١). (س).

الحكمة في الغزل

فِي مَرْتَعِ الظُّلُمَاتِ حُورٌ عَيْنٌ لِلسَّحَرِ فِي نَظَرَاتِهِنَّ فَنُونٌ
 يَبْضُ يَكَادُ يَذُوبُ فِي أَصْدَافِهِ حَسَدًا لَهِنَّ اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ
 يَبْدُو عَلَى وَجَنَاتِهِنَّ رُؤَاؤُهَا فَتَرَى الْعَقِيقَ جَرَى عَلَيْهِ مَعِينُ
 مَتَالِقَاتُ كَالْكَوَاكِبِ فِي الدُّجَى مُتَنَاجِيَاتُ وَالْكَلَامِ حَنِينُ
 مُتَشَتِّبَاتُ مِثْلَ بَانَاتِ اللَّوَى مَتَحَرِّكَاتُ مَا لَهِنَّ سُكُونُ
 أَبَدًا تَمِيلُ مَعَ النِّسِيمِ قَدُودُهَا لَا يَدْعُ أَنْ تَهْوِيَ النِّسِيمَ غُصُونُ
 مَتَهَادِيَاتُ فِي شَفُوفٍ تَحْتَهَا تَخْفَى الْغَضَاضَةُ تَارَةً وَتَبِينُ
 يُعْطِي الدَّلَالَ قُلُوبَهُنَّ صَلَابَةً وَيَمْسُهَا حَرُّ الْجَوَى فَتَلِينُ
 لَا غُرُو أَنْ هَزَّ الْقُلُوبَ جَمَالُهَا فَالْكَهْرِبَاءُ تَكُونُ حَيْثُ يَكُونُ
 أَوْ حَاوَلَ الْوِلْهَانَ غَمَزَ نَهْودُهَا فَهَنَّاكَ سِرًّا لِلْغَرَامِ مَصُونُ
 يَصْرَعَنَّ بِالْأَجْفَانِ مَنْ يَلْحَظْنَهُ فَكَأَنَّمَا لِحَظَاتِهِنَّ مَنْوَنُ
 وَإِذَا نَبَتْ يَوْمَ الْجَلَادِ صَوَارِمُ فَالْغَيْدُ لَا تَنْبُو لَهِنَّ جَفُونُ
 وَإِذَا الظَّبَاءُ غَدَا لَهَا أَهْلُ الْهَوَى قَنَصًا فَإِنَّ كَنَاسَهُنَّ عَرِينُ
 جَاذِبَتْنِي هُذْبُ الْحَدِيثِ عَشِيَّةً وَحَدِيثَهُنَّ - كَمَا عَلِمْتَ - شَجُونُ
 وَرَأَيْتِي كَهَلًا، فَقُلْنَ: إِذَا صَبَا بَذَلَ النِّضَارَ وَلَبُّهُ مَفْتُونُ
 فَلَنَنْصَبَنَّ مِنَ الدَّلَالِ لِقَابِهِ شَرَكًا لِنَاصِبِهِ الْقُلُوبُ تَدِينُ
 وَلَنُظْهِرَنَّ تَدْلُهَا فِي حُبِهِ حَتَّى يُزِيلَ الشَّكَّ مِنْهُ يَقِينُ
 فَتُصِيبَ خَيْرًا لَا يُؤْمَلُ مِنْ فَتَى غَضُ الصَّبِيِّ تَرْنُو إِلَيْهِ الْعَيْنُ
 إِنَّ الَّذِي يَشْرِي الْوَصَالَ بِمَالِهِ لَقَتَى وَإِنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ قُرُونُ

ألفاظهنَّ حواجِبٌ وعيونُ
الروضِ أحسنُ زهره النسرِينُ
نارٍ لها تحت الرمادِ كُموُنُ
وهل الصبي إلَّا جَوَى وجُنُونُ؟
ينهى الفتى عما يحاولُ ويُنُ
أن أستهامَ، وذو الهيام حزينُ
وكففتُ نفسي، والأبى رصينُ
بعد المشيب فإنه لأفينُ
لم يُضِبِهِنَّ من النَّصارِ رنينُ؟
حتى يقولَ الشيبُ بنَ فيبينُ



إلَّا إلى الملاءِ الوفيِّ رُكونُ
حتى أراه وقد وفيْتُ يخونُ
طُبِعْتُ، وأنَّ ودادهنَّ متبينُ
أضحكتني، ومن الكلامِ مجونُ
أفليسَ عند الغاياتِ يهونُ؟
هذا الزمانُ بما ترومُ ضنينُ
فإذا الوفاءُ أمامهنَّ طعينُ
ممن يفي، فإذا الضلالُ ظنونُ
فإذا الوفاءُ بذرهم مقرونُ
يتخازرون وفي الجبائِ غضونُ



وتَلَوْنَ آياتِ الغرامِ وفَسَّرَتْ
وبسَمَنَ عن مثلِ الجمانِ وقلن لي
ليس المشيبُ بمخمدٍ وجدًا فكم
فظننتُ أني قد رجعت إلى الصبي
لا يكبحُ الأهواءُ فيه جِجى ولا
وحسبتني بعدَ الرِّزانَةِ مُوشِكًا
فذكرتُ راعيةَ المشيبِ بلمتي
ولويتُ عنهنَّ العذارَ ومن يهَمُ
لن تعشقَ الفتياتُ ذا شيبٍ إذا
ويَهَمُنَّ بالمختالِ في بُرْدِ الصبي

ورأيتني أهوى الوفاءَ وليس لي
واظِلُّ أرعى للولِيِّ ولاءُهُ
فزعمنَ أنَّ قلوبهنَّ على الوفا
لما ذكرنَ لي الودادَ وحفظهُ
هان الوفاءُ لدى الرجالِ كما نرى
ولقد سألتُ عن الوفاءِ فقبل لي
ونَشَدْتُهُ في الدُّورِ باذخةَ الذرى
وظننتُ أهلَ الجاهِ قبلَ تأملٍ
وطلبتُهُ عند الألى ساسوا الورى
وسألت عنه الموسرين فأقبلوا

وَمُصَانِعٍ قَدْ كُنْتُ أَوْقَنْ أَنَّهُ حَصْنٌ لِمَنْ صَدَقُوا الْوَلَاءَ حَصِينُ
 مَتَكَشِفٍ عَنِ كَاذِبٍ مِنْ وَدِّهِ مَتَظَاهِرٍ بِالصَّدَقِ وَهُوَ يَمِينُ
 سَلَسِ الْقَبَادِ إِذَا تَصَلَّبَ دَهْرُهُ وَإِذَا اسْتَلَانَ الدَّهْرَ فَهُوَ حَرُونُ
 مَازَلْتُ أَمَحُضُهُ وَلَائِي مَخْلَصًا حَتَّى ثَنَّنْتُهُ عَنِ الْوَفَاءِ شُؤُونُ
 لَا تَعْبِجُنِ لِلْمَرءِ يَصْبَحُ غَادِرًا فَقَدْ اغْتَذَى بِالْغَدْرِ وَهُوَ جَنِينُ
 قُلْ لِلَّذِي قَتَلَ الْوَفَاءَ بَنَكْثُو: كُلُّ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينُ



أَمْعَاهِدَاتِ ذَوِي الْغَرَامِ عَلَى الْوَفَا هَلْ عِنْدَكُنَّ بِمَا يُرَامُ ضَمِينُ
 حَلَفَ الرِّجَالُ عَلَى الْوَفَاءِ وَلَمْ يَفُوا أَتَبَرُّ يَوْمًا لِلنِّسَاءِ يَمِينُ

لبنان / أمين ناصر الدين



صفحة من التاريخ العربي المجهول

□ مدينة الدار □

على الضفة الغربية من الفرات، في الجهة الواقعة منه في غرب ديار ربيعة، وفي جنوب ديار مضر، وبين صَفَيْنِ شمالاً وعانة جنوباً؛ بلدة تُسمى الآن (الصالحية)، وكان في موقعها قبل خمسة آلاف سنة مدينة عربية عظيمة تتصل بمملكة الآثوريين، وكانت تُسمى (الدار) بمعنى «المنزل» أو بمعنى «الحصن»، وبنو عمّنا الآثوريون كانوا يُشْمُون أَلِفَ «الدار» بِضَمَّةٍ، فيلفظونها (الدَّار) أي بمدّ يتراوح بين فتحة الألف وضمة الواو، كما تصدر هذه اللفظة الآن من أفواه الفلاحين في البلاد التي كان للهجة السريانية فيها سابقة.

وهذا الإشمام في لفظ (الدَّار) عند الآثوريين لا تأثير له إلا في اللهجة وكيفية النطق، وإلا فمعناه في لغتهم «المنزل» أيضًا، ولا غَرْوَ فاللغتان -العربية والآثورية- كانتا لغة واحدة في عهد الوحدة السامية الأولى.

في تلك البقعة من الوطن العربي كانت توجد مدينة عظيمة قبل خمسة آلاف سنة، كما علمت، وقد دلت آثارها وكتابات المكتشفة أخيرًا على أنه كان فيها يومئذ دولة قوية ذات حضارة وعلوم وبَسْطَة ونفوذ.

وكان فيها لبني عمَّنا الآثوريين مركزٌ حربي يُشرفون منه على الديار الشامية. لم تكن الدَّار قائمة بمهمتها الحربية فقط، بل كانت أيضًا بمنزلة القلب من حركة الإيراد والإصدار التجاريين بين القطرين الشقيقين، العراق والشام؛ لأن (الفرات) الذي كان متصلًا من الدَّار إلى الخليج الفارسي، كان يُكمل اتصاله هذا إلى ساحل طرابلس الشام بقناة تتفرَّع من الفرات وشقَّ البادية شقًّا إلى الغرب، حتى تنصبَّ في البحر الأبيض المتوسط، وكانت على طول مجراها مزدانة بالمراكب الشراعية البيضاء اللامعة بأشعة الشمس، والمنحدرة في نور القمر.

بقيت هذه المدينة عروسَ الصحراء العربية، وواسطة الارتباط بين الشام والعراق، وعلامة التنافس الحربي والسياسي بين الدول المتجاورة هنالك يومئذ، فاستمرت الحال على ذلك نحو ثلاثة آلاف عام أو قريبًا من ذلك؛ إلا أن بدأت (المسألة الشرقية) بيننا وبين الغربيين بمجيء الإسكندر المقدوني إلى أوطاننا غازيًا الشام ومصر والعراق وفارس والهند، فكان مركز (الدَّار) المتوسط بين الشام والعراق وجزيرة العرب مما لفت نظر المقدونيين إليها، ودعاهم إلى العناية بأمورها، فأنشأ سِلْفُكْس نيكاتورو (أي الظافر) بين سنتي ٣١٢ و٢٨٠ قبل الميلاد مباني جديدة إلى جانب مباني (الدَّار) القديمة، وسماها (دَارُ أَرْيُوبُوس)،

فظلَّ هذا الجانب من الوطن العربيّ تحت سلطانهم في حُكم المستعمرة المقدونية.

ضُحِّت الدَّار وعظمت شواهدُها بما خلفه الآثوريون، وبما أضافه إليه المقدونيون، من قلاع وقصور يتوسَّطها هيكل تتابعت على تعظيمه أيدي البنائين والمهندسين من ساميين ومقدونيين يتسارعون جميعًا إلى تخليد ذكرى أمجادهم -الصادقة والكاذبة معًا-، بالكتابات والنقوش الأثرية التي أخنى الدهر على كثير منها، وبقي إلى اليوم بين أنقاضها ما يدل قليله على كثيره، وباقه على بائده. ويقول الأثري المعروف (فرنز كومون) في كتاب ألفه في وصف ما اكتُشف حتى الآن من آثار الدَّار: إن الكتابات الأثرية التي وجدت في أنقاضها تدلُّ على أن نزاعًا عظيمًا كان قائمًا في تلك المدينة، وفيما حولها بين مدنيَّة الساميين ومدنيَّة المقدونيين.

(والمعروف في التاريخ أن الشرق والغرب في زمن الإسكندر وخلفائه كانا في مثل موقفنا اليوم من أوروبا)، فكان المقدونيون يُلحَّون في غزو حضارتنا، وكانت حضارتنا ثابتة تُجاهها كالفولاذ، محتفظة بكيانها، ومدافعة عن ثمرة مساعيها في الأجيال الطوال، وكانت النتيجة اعتراف الحضارة المقدونية بالعجز عن إزالة الحضارة الساميَّة، والتصرُّف في النفس العربية، فنشأت في مدينة الدَّار حضارة أخرى ذات صبغة مستقلة لا هي كالأثرية القديمة تمامًا، ولا هي بمقدونية محضة. ذلك ما دلَّت عليه النقوش والكتابات المكتشفة هناك، وبقايا الفنون والآثار التي ظهرت من تحت الأنقاض.

وزال الحكم المقدوني باستيلاء الرومانيين على مصر والشام، فكانت الدَّار ثابتة على عهدِها في مقاومة الحكم الأجنبي، مستندة إلى ركن قويّ، وهو روح جزيرة العرب التي من عاداتها أن ترمي بنفسها في أحضان من يبرهن على

استعداده لقيادتها من أبنائها، بينما هي لا تطيق تحكم الأجنبي فيها ولو جاءها بالنعيم القيم.

فلما طال أمر العداء الذي يتوارثه أهل الدّار بطنًا بعد بطن للمقدونيين ثم الرومانيين، يشس الرومانيون من البقاء بين فكّي الأسد، فاكثفوا بأن تكون قناة الفرات الواصلة إلى ساحل البحر الأبيض، حاملة صادرات التجارة ووارداتها بين الشام والعراق إلى فارس والهند. لكن زوال سلطان الأجانب السياسي عن الدّار جعل الراية الرومانية التي تخفق على المراكب الشراعية في قناتها إلى الفرات غير مرغوب فيها من سكان البلاد العربية، لاسيما عندما تقع اختلافات عادية يبدي فيها أتباع الحكومة الرومانية غطرسة، تأبى النفسُ العربية أن تطيقها، زد على ذلك أن الرومانيين والفرس كانوا في موقف غير محمود بسبب إصرار الرومانيين على البقاء هنالك وفي العراق.

ولما طال الأمدُ على هذه الحال؛ فكّر الرومانيون بإنشاء طريق برية بين الشام والعراق وما وراءها من بلاد الشرق، وكانت (تدمر) بعيدة عن قلب بلاد العرب وأهلها مضطرون -بسبب مركزهم الجغرافي- إلى محاسنة الرومانيين، فزاد الرومانيون في محاستهم، واتفقوا معهم على أن تكون بلدتهم على الطريق بين دمشق والعراق. ومن ذلك الحين صار لتدمر مكانة تجارية، جاءتها بالثروة، وساعدتها على التبسط في الحضارة.

وكان الفُرس في القرن الثاني بعد الميلاد يرون أنهم في العراق والبلاد القريبة من العراق في حكم الخلفاء للأثوريين، فحاولوا استلحاق الدّار، وأبى عليهم أهلها العرب، فاستمر النزاع نحو مائتي سنة بين هذه الطائفة العربية القليلة، وبين الدولة الفارسية، وكانت الدولة الفارسية في هذه المدة الطويلة قد تبين لها استحالة حكم العراق العربي كما تحكم البلاد الفارسية المحضة، فكفت عن

أساليب القسوة التي كانت تستعملها، ورضيت لنفسها بالسيادة فقط، وأباحت للبلاد أن تحكم نفسها بالأساليب التي ترتاح إليها، فلما رأت الدار منهج الفرس الجديد في البلاد العراقية لم تجد على نفسها من غضاضة بالتخلي عن مقاومة الفرس الذين كانت الدار أبعد من مركز سلطانهم من العراق، فدخلت في القرن الرابع الميلادي تحت سلطانهم اسمًا وظلت مستقلة في الحقيقة؛ بل كان استقلالها أجلي وأظهر مع توالي الزمن، إلى أن أتم الله على العرب وحدتهم الشاملة واستقلالهم الأعظم تحت راية «التوحيد» في جميع الأوطان السامية. ترجع العظمة التاريخية التي اكتسبتها مدينة (الدار) إلى سببين لا ثالث لهما:

١- القناة التي كانت تمرُّ بها.

٢- وجودها في نقطة متوسطة بين دول متعدّدة.

أما القناة التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم، فكانت انقطعت عن مجراها بين الفرات والبحر الأبيض من قبل الإسلام بعهد طويل، ولا ريب أن تحوّل الطريق التجارية عن (الدار) إلى (تدمر) كان من أسباب انقطاع تلك القناة، وانسداد فوهتها على ضفة الفرات، هذا إذا لم يكن سبباً حربي دعا العرب إليه منع زحف الرومانيين عليهم بالمراكب، فذهب ذلك بشطر عظيم من أسباب عظمة الدار.

ثم إن زوال الدولتين الفارسية والرومانية من الوجود بالفتح العربي الأعظم على أثر (التوحيد)، قد انعدم به التنافس الدولي الذي كان يجعل لهذا المركز الحربي أهمية استثنائية، وهذا سبب آخر من أسباب تناسي البشر لهذه المدينة. وبعد؛ فإن الآثار التي انجلى عنها البحث والتنقيب الآن في (الصالحية) على ضفة الفرات بين طرابلس الشام والبصرة تدل على أن مدينة الدار التي كانت

قائمة هناك، كانت المسرح الأول من مسارح الصراع بين الشرق والغرب لا من الوجهتين الحربية والسياسية فقط؛ بل من وجهة الصراع بين الحضارتين أيضًا، وتعدُّ الدَّار حلقة من الحلقات الأولى في سلسلة أدوار المسألة الشرقية، وأن الآثار الفنية التي ظهرت في صالحية الفرات ذات بال في تاريخ علاقات الشرق بالغرب، ومع ذلك فإن ما ظهر حتى الآن من آثارها، ليس كل ما ينتظر إخراجها من تحت الأنقاض، ولعل التنقيب المستمرّ سينير هذه الصفحة من تاريخ تلك البقعة العربية، ويكشف لنا عن حقائق أخرى من تاريخنا القديم الذي خباه الدهر في ثنايا مختلفة الأنحاء^(١).

محب الدين الخطيب



كتبي يفحم شاعرًا

من عادة الشاعر الإنكليزي كيلينغ أن يدخل حوانيت الكتب المستعملة، ويقف ساعة أو ساعتين يقلب صفحاتها، ويختار شيئًا منها، ويُقال عنه أنه انتخب مرة كتابًا مستعملًا، وقبل أن يشتريه سأل البائع:

- هل تظن هذا الكتاب مفيدًا؟

فأجابه الكتبي: لا أعلم، لأنني لم أقرأه.

الشاعر: إنني أعجب كيف تبيع كتابًا لم تقرأه قط.

(١) المسلمون في غنية عن مثل هذا التنقيب عن الآثار، الذي يصرفهم عن دينهم إلى قومية جية ما أنزل الله بها من سلطان. (س).

الكتبي: وأنا أعجب لعجبك، وهل لو كنت صيدلياً ينبغي لي أن أذوق كل ما
عندي من عقاقير وعلاجات وسُمووم؟



دمعة في فجر...

دمعي كدمعك يا صدّاح هتّانُ
فما لجنحيك خفاقين من حَزَنٍ
فهل أصابك سهم العين أم نزلت
فرُحَتٌ تُذري دموع العين من شَجِنٍ
هي الحوادثُ ما ترعى أخا ذمٍ
فكم رمى الدهرُ من قلبٍ بأسهمه
يا بلبلِ الروض هل تأسو الجراح بنا
إن عزّ في العالم الإخلاصُ نَشُدُه
فصف لقومي دواء تستردُّ به
أنّاحَ صرْفِ الرَدَى فيها بكلّكله
فلا الحياة حياةً في جنائنها
ولا الهناء هناءً في مراتعها
ولا العيون، عيونُ الغيد، بارقة



أين الربوعُ وقد كانت خمائلها
وصوّحَ اليومَ فيها الثَّبْتُ واندرست
وأصبحَ الرّبعُ نهباً بعدَ منعتِه
تضوُّعُ مسكًا، وأين المسك والبان؟
فيها دَعائمٌ قد عزّتْ وأركانُ
تلقى صنوفَ الرزايا فيه سُكّانُ

إذ ينعقُ البومُ فيه غيرَ ذي جَزَعٍ وفي الغياضِ شواهينُ وغربانُ
تجاوبَ الرِّيحُ، والإصدارُ تُرجِعُها رَجَعَ الأئين، فتبكي فيه مَنْ كانوا



في جبهةِ الدَّهرِ كُنَّا أنجُمًا سَطَعَتْ ونحنُ للكونِ أقمارُ وتيجانُ
على الليالي كرامًا، لا تُذللنا صُروفُها، ولها للعرَبِ إزعانُ
كانتْ لدولتنا تعنو جبابرة دانت لها في الوغى بيضُ ومُرَّانُ
فما لنا بعدَ ذاكَ العزَّ يجرُّنا سيْلُ الهوان، فلا عزٌّ ولا شانُ؟



يا هبةَ العربِ للشارتِ تطلُّبُها دينوا العُدَّةَ، كما أوطانكم دانوا
هي البلادُ جُموعُ المخلصينَ لها في نصرَةِ الحقِّ أجنادُ وأعوانُ
في حُومةِ المجدِ ضلُّوا، فالحياةَ لِمَنْ يلقى صروفَ الليالي وهو يقظانُ

«س. الزركلي»



العرب والكرة الأرضية

كانت الكرات الأرضية والسماوية كثيرة التداول بين أيدي أجدادنا^(١)، بحيث كانوا يتهادونها كما نتهادى نحن الكتب وأمثالها، وفي ديوان ابن مطروح أن ذلك الشاعر أهدى إلى صديق له كرة أرضية وأسطرلاباً لمحيط السماء، وكتب إليه:

كَرَّةُ الأرضِ مع محيطِ السماء لكْ أهديتُ يا كريم الإخاء
وإذا ما قبلتها فلَكَ المَنَّة عِندِي يا أكرمَ الكرماء

(١) انظر مجلة الزهراء (٢/ ٣٨٥ و ٤٤٩ و ٥٥١).

وابن مطروح ولد في أسيوط سنة ٥٩٢ هجرية، ونشأ بقوص من بلاد الصعيد، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٩هـ، ودُفن بسفح المقطم.



الشاعر

إلى شاعر تونس السيد سعيد أبي بكر

أبا بكر نظمت وما مدحتنا	فها أنا ذا أقرّظ ما نظمنا
وما التقريظ إلا الشكر يُهدى	على ما صُغت من أدب وصتنا
ولست أقول: ذا درّ نضيد	لأنك ما التقطت ولا نضدنا
ولست أقول: ذا زهرٌ شذيّ	لأنك ما غرست ولا قطفتنا
ولست أقول: راحٌ في زجاج	لأنك ما عصرت ولا سبكتنا
وقد لهجوا بقولهم «بديع»	«بليغ» «فائق» حتى سئمتنا



أبا بكر أرى شعراً عبوساً	فأذكرُ سيفٍ بشرٍ والسبنتى
وأقرأ تارة شعراً وضيئاً	أننحّته من الجوزاء نحنا
تجاهد في سبيل يبتغيها	غريبٌ غاشمٌ عوجاً وأمتنا
تكافحه، وقد طفحت يده	بعمف يملأ الأفواه صمتنا
وليس الشعر بالصنصام يلوي	ذراعي من يصبُّ الهونَ بحثنا
بل الشعر الحيكَم ثقاف سمر	تسميها القلوب إذا نطقنا
شعورٌ فائتلاف فاتحاد	فعرزم يسحّت الإرهاق سَحنا



أبا بكر أعيذك من خيال يروغ عن الهدى ويحوك بينا
وفي الشعراء من ضاقت حُطاه وفاتته الحقائق وهي شتى
فراح يخال لهُوَ القول جدًّا وينفث في مكان الرُّشد بُهتا
وشعر العرب ذو نُظْم، فرفقًا بها إن شئت رِفْقًا واستطعنا
لعل الذوق لا يسلو نظاما ترحزح عنه بعض القول بغنا
وكان قريض تونس في صفاء وإبداع يضاهي الشهبَ نعتا
ولاقى من صروف الدهر عَسْفًا فَنَضَّبَ ماؤه واغبرَّ نبتنا
أيزهى بلبلٍ في كَفِّ فظٍّ يُمِضُّ البلبِلَ الغرِيدَ مَقْتًا
وما هو كالطليق يَمِيسُ تيهًا ويشدو فوق أملودِ تَمْتَى



أبا بكر اخذتْ تُعبد ذكرا هوى، فابغ الأناة إليه سَمْتا
وخلَّ البختَ يسعى للكسالى وسمَّ الحزَمَ والإقدامَ بَحْنا

محمد الخضر حسين



مكتبة الجمعية الجغرافية بلندن

للجمعية الجغرافية في لندن خزانة كتب عظيمة تحتوي على ستين ألف مجلد،
وفيها خريطة من القرون الوسطى رسمت سنة ١٢٧٥م (٦٧٤هـ)، وخرائط أخرى
من القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، وخرائط قديمة للبحر الأحمر
وشواطئ جزيرة العرب، ومن مقتنياتها أسلحة وأشياء لأمين باشا، والرحالتين
صموئيل بيكر وستالني، اللذين جابا أصقاع إفريقيا.

* كانت الكتابة عند قدماء المصريين من أسمى الصناعات، وكانوا يعفون صاحبها من الضرائب.



صفة أهل الأندلس في القرن الثامن الهجري

قال الوزير الأندلسي لسان الدين بن الخطيب في كتابه «اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية»:

أحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوالٌ سنية، والأهواء والنحل فيهم معدومة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية، وطاعتهم للأمراء مُحكمة، وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة، وصورهم حسنة: معتدلة أنفوسهم، بيضُ ألوانهم مسودة غالبًا شعورهم، متوسطة قدودهم، فصيحة ألسنتهم، عَرَبِيَّة لغاتهم يتخللها عُرف كثير وتغلب عليها الإمالة، وأخلاقهم أَيْبَةً في معاني المنازعات، وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير.

ولباسُهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم المَلْفُ المصبغ شتاء^(١)، تتفاضلُ أجناس اليزز منه بتفاضل الجدات والمقادير. والكَتَانُ والحريُّ والقطن والمرعزي، والأردية الإفريقية، والمقاطع التونسية، والمآزر المشفوعة صيفًا، فُتَبِصرهم في المساجد أيام الجُمُع كأنهم الأزهارُ المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة.

(١) الملف: الجوخ المنسوج من الصوف.

وَجُنْدُهُمْ صَنْفَان: أُنْدَلَسِيٌّ وَبِرْبَرِيٌّ.

الأندلسي منه يقوده رئيس من القراية أو أخطياء الدولة، وزِيُّهُمْ في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم، في إسباغ الدروع وتعليق الترسه وجفاء البيضات، واتخاذ عراض الأسنة، وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب حَمَلَة الرايات خلفهم: كُلُّ مِنْهُمْ بِسَمَة تَخْصُ سلاحه، وشهرة يُعرف بها، ثم عدلوا الآن عن هذا الزيِّ إلى الجواشن المختصرة، والبيضات المذهبة والسروج العربية، واليَلْب اللَّمَطِيَّة، والأسل اللطيفة.

والبربري منه ترجع قبائله المرينية والزَّيَّانية والتجانية والعجيسية والعرب المغربية إلى أقطاب ورؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لِعُرَفَائِهِمْ من كبار القبائل المرينية، يمثُّ إلى ملك المغرب بنسب. والعمائم ثقلٌ في زي أهل هذه الحضرة، إلا ما شدَّ في شيوخهم وقضااتهم وعلمائهم والجنْدِ الغربيِّ منهم.

وسلاح جمهورهم العصيُّ الطويلة المثانة بعصي صِغار ذات عَرَى في أوساطها، تُدْفَع بالأنامل عند قذفها، تسمَّى بالأمداس. وقسيّ الفرنجة يُحملون على التدرّب بها على الأيام.

ومبانيهم متوسطة، وأعيادهم حسنة ماثلة إلى الاقتصاد، والغناء بمدبّيتهم فاشٍ حتى بالدكاكين التي تجمع كثيرًا من الأحداث.

وقوتهم الغالب: البُرُّ الطيّب عامة، وربما اقتات في فصل الشتاء الضعفةُ والفحلة الذرة العذبة، أمثل أصناف القطاني^(١) الطيبة، وفواكههم رَغْدَة، والعنب

(١) القطاني: جمع قطنية، وهي ما يُدخِر في البيت من الحبوب.

بحر لإنافة كرومه التي ينالها الخرجُ على أربعة عشر ألفاً لهذا العهد، وفواكههم اليابسة عامّة العام متعددة: يذخرون العنب سليماً من الفساد إلى ثلثي العام، إلى غيره من التين، والزبيب والتفّاح والرمّان والقسطل والبَلوط والجوز واللوز، إلى غير ذلك مما لا ينقطع مدّهُ إلا بفصل يزهد في استعماله.

وصَرَفَهم فضة خالصة، وذهب إبريز، طيب محفوظ، لا تفضل سكتهم سكة.

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى جلال العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفُحوص^(١) بأولادهم وعيالهم، معولين على شهادتهم وأسلحتهم على كتب عدوّهم، واتصال أبصارهم بحدود أرضه.

وحليهم في القلائد والدمالج والخلاخيل والشنوف الذهب الخالص إلى هذا العهد في ألي الحدة، واللّجَيْن في كثير من آلات الرجلين فيمن عداهم.

والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد ونفيس الجواهر كثير فيمن ترفع من طبقاتهم، المستندة إلى ظلّ دولة أو أعرق أصالة موفورة.

وحريمهم حريمٌ جميل: موصوف باعتماد السِمن، وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب الشذا، وخفة الحركات، ونبْل الكلام، وحسن المحاوراة، إلا أن الطولَ يندُرُ فيهنّ. وقد بلغن من التفنّن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات، والتنافس في الذهبيات والدياجيات، والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة.



(١) المزارع التي على الحدود.

نسمة أزهار الأندلس

بعث أحمد شوقي بهذين البيتين مع داود بك بركات إلى إسماعيل صبري باشا
يسأله رأيه فيهما وهما:

يا ساريَ البرق يرمي عن جوانحنا بعد الهدوء، ويرمي عن مآقينا
ترقرق الماء في دمع السماء دماً غاضِ الأسي فخضبنا الأرض باкина



فأجاب إسماعيل صبري باشا:

بأفق أندلسٍ برقٌ يُحَيِّنَا بيت يضحك منا وهو يُبَكِّنَا
يا وامضِ البرق كم نَبَّهْتَ من شَجَنٍ في أضلُعِ ذهلْتَ عن دائها حِينَا
فالماء من مُقَلٍّ، والنار من مُهَجٍّ قد حار بينهما أمرُ المحبِّينَا
لولا تذكُّر أيام لنا سَلَفَتْ ما بات يبكي دماً في الحيِّ باكِينَا
فهل تبيَّنت في أطلالٍ قُرْطُبِيَّةٍ في دار ولادة مع ابن زيدونا
ألقوا خَطِبتانهم في حجر هيكلمهم واستعبروا، ثم عادوا غير خاطينا



يا آل وُدِّي عودوا، لا عِدِمَتِكُمْ وشاهدوا ويحكم فعلَ النوى فينا
يا نسمة صَمَّخَتْ أذبالها سَحَرَا أزهارُ أندلسٍ هُبِّي بوادينا



الغزالي في دور انتقاله من العلم إلى الزهد

قال القاضي أبو بكر بن العربي:

لقيت أبا حامد وهو يطوف وعليه مرقعة، فقلت:

يا شيخ، العلم والتدريس أولى لك من هذا، إذ بك يُقتدى، وبحُكمك إلى
معالم المعارف يُهتدى.

فقال: هيهات؛ لما طلع قمرُ السعادة، في فلك الإرادة؛ أشرقت شمس
الوصول، على مصابيح الأصول؛ فتبين الخالق لأرباب الأبواب وذوي البصائر،
إذ كلُّ لما طُبع عليه راجعٌ وصائر.

وأنشد:

تركْتُ هوى ليلي ولبنى بمعزلٍ	وصرتُ إلى مصحوبٍ أوّلَ منزِلٍ
ونادتنِي الأكوان: مهلاً فهذه	منازلٌ من تهوى رُؤيدَكَ فانزِلِ
فعرستُ في دار الندى بعزيمة	قلوبُ ذوي التعريف عنها بمعزلٍ
غزلتُ لهم غزلاً دقيقاً، فلم أجد	لغزلي ناسجاً، فكسرت مغزلي



القائمون لله بالحجة

نفثة من نفثات علي بن أبي طالب عليه السلام

قال كميل بن زياد النخعي صاحب سر علي:

أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام بيدي، وأخرجني إلى ناحية الجبان. فلما
أضحر، جعل يتنفس الصُّعداء، ثم قال:

يا كَمِيل، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول:
الناس ثلاثة: فعالمٌ ربّانيّ. ومتعلّم على سبيل النجاة، وهمج رعاغ، أتباع
كل ناعق، يميلون مع كل ربح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن
وثيق.

العلم خيرٌ من المال.

العلم يحرسك وأنت تحرسُ المال.

العلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة.

العلم حاكمٌ والمال محكومٌ عليه، ومجبة العلم دينٌ يُدان به.

العلم يكسبُ العالمَ الطاعةَ في حياته، وجميلَ الأحداثِ بعد وفاته، وصنيعةُ
المال تزول بزواله.

مات خُزّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر: أعيانهم
مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

آه إنّ هاهنا علمًا جمًّا (وأشار بيده إلى صدره)، لو أصبْتُ له حَمَلَة. بلى،
أصبْتُ لِقَنًا غير مأمونٍ عليه: يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحُجَج الله على
كتابه، وبنِعَمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له في أحنائه، ينقذ
الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك أو منهومًا باللذات، سَلِسَ
القياد للشهوات؛ أو مغرَى بجمع الأموال والادّخار، ليسا من دُعاة الدين،
أقربُ شَبَهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامله.

اللهم بلى، لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة، لكيلا تتعطل حُجج الله.
وبيّناته، أولئك الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن
حُججه حتى يؤدوها إلى نُظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم

العلم على حقيقة الأمر، فاستلنا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه ودُعاته إلى دينه.

هاه هاه، شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك. إذا شئت فقم.

ذكره أبو نعيم في «الحلية» وغيره، قال أبو بكر الخطيب: هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً، وانظر تفسير هذه المقالة الشريفة بقلم العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»^(١).



(١) (١ / ١٢٣ - ١٢٤). (س).

السياسة

مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة

انتقاها
الكاتب الإسلامي الكبير
محمّد الدين الخطيب
رحمه الله

اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي

المجلد الثاني

دار العبّاصيّة
الرياض

المكتبة السلفية
القاهرة

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء السادس

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملك الحق، والصلاة والسلام على محمد خير الخلق.

وبعد؛ فقد كتب إليّ صديق في العراق يسألني:

لماذا لم تعن حكومات البلاد العربية بوضع أجزاء (الحديقة) بين أيدي طلبة المدارس الابتدائية والثانوية، وهي من أنزه الكتب عن منكر القول في لفظها ومعناها ومرامها؟

فأجبت: لأنني لم أسع لذلك قط؛ وقد يكون لرجالها رأى آخر في الحديقة غير رأيي ورأيك.

وفضلاً عن ذلك فإن الحديقة لقيت من رضي الشعوب العربية عنها ما فيه الكفاية والغناء، ولعل طلبة المدارس الابتدائية والثانوية يترقبون أجزاء الحديقة وتتداولها أيديهم بلذة وإقبال، لا أطمع بمثلهما لو كان هذا الكتاب مما يُحمّلون على اقتنائه حملاً.

وهذا هو السر في اعتزامي الاستمرار على إصدارها إلى ما شاء الله وهو المعين.

محب الدين الخطيب

القاهرة: سلخ شوال، ١٣٤٦



كلمات الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه

- * اعمل كأنك تُرى، واعدد نفسك في الموتى.
- * العجز عن درك الإدراك إدراك.
- * الصدق أمانة، والكذب خيانة.
- * الإمام قدوة: يعمل الناس بعمله في نفسه.
- * انظر ما تقول، ومتى تقول.
- * إن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة.
- * بادروا في مهل آجالكم، قبل أن تنقطع أمالكم.
- * أولى الناس بالله أشدهم توليًا له.
- * لكل نفس شهوة: إذا أعطيتها تمادت فيها ورغبت إليها.
- * الله يرى من باطنك ومن ظاهرك.
- * إن عليك من الله عيونًا تراك.
- * إن الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبًا راهبًا.
- * اهدم الكفر بعضه ببعض.
- * إياكم واتباع الهوى، فقد أفلح من عُصم منه، ومن الطمع والغضب.
- * ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر.
- * رحم الله امرئًا أعان أخاه بنفسه، وأشركه في دعائه.
- * حُق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا، وحُق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا.

- * سارعوا فيما وعدكم الله من رحمته.
- * كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن تقع في الحرام.
- * كثير القول ينسي بعضه بعضًا.
- * لا توعدن بعقوبة أكثر من معصية: فإنك أن فعلت أثمت، وإن تركت كذبت.
- * الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور.
- * أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، وأقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه.
- * إنما أنا منبع، ولست بمبتدع، فان أحسنت فأعيني، وان زغت فسدوني.
- * إني وليت أمركم ولست بخيركم، ولكنه نزل القرآن وسن النبي ﷺ، وعلمنا فعلنا.
- * صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
- * احرص على الموت توهب لك الحياة.
- * الموت أهون ما قبله، وأشد ما بعده.
- * لما بلغه أن الفرس ملكت عليها بنت أبريز قال: ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة.
- * أتدرون أي ذنب أسرع عقوبة: البغي وقطيعة الرحم.
- * اتقوا دعوة المظلوم.
- * أحسن صحبة من صحبتك، وليكونوا عندك في الحق سواء.
- * إذا كان المال عند من لا ينفقه، والسلاح عند من لا يستعمله، والرأي عند من لا يقبل منه، فقد ضاعت الأمور.

- * فانك خيرٌ فأدركه، وإذا أدركك شرٌ فاسبقه.
- * إذا استشرت فاصدق الخبر تصدق المشاورة.
- * إذا بلغك من عدوك عورة فاكتمها حتى توافيها.
- * أربعٌ من كن فيه كان من خيار عباد الله: من فرح للثائب، واستغفر للمذنب، ودعا للمدبر، وأعان المحسن.
- * اسمر في عسكريك تأتاك الأخبار.
- * استدم الأمن.
- * أصلح نفسك يصلح لك الناس.
- * اصبروا، فإن العمل كله بالصبر.
- * أصدق اللقاء إذا لقيت، ولا تجبن فيجب الناس.
- * لا يكونن قولك لغوا في عفو ولا عقوبة، فلا تُرجى إذا آمنت، ولا تخاف إذا خُوفت.
- * لا تلجن في عقوبة، فإن أدناها وجيع، ولا تسرع إليها وأنت تكتفي بدونها.
- * لا تجعل وعيدك ضجاجاً في كل شي.
- * لا تجعل شرك مع علانيتك، فيمرح أمرك.
- * لا تكتم المستشار خبراً فتؤتى من قبل نفسك.
- * لا تمار جارك، فإنه يبقى ويذهب الناس.
- * ليس خيرٌ بعده النار بخير، ولا شرٌ بعده الجنة بشر.
- * ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة.

- * ما من طامة إلا وفوقها طامة.
- * من يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وضل ضلالاً بعيداً.
- * يا طائر، تقع على الشجر، تأكل من الثمر، ولا تدري ما الخبر.
- * ليس فيما دون الصدق من الحديث خبر.
- * من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك.
- * إياكم والفخر، وما فخر من خُلِق من التراب، والى التراب يعود!.
- * ليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر.
- * لكل أمرٍ جوامع، فمن بلغها فهي حسبه.
- * عليكم بالجدّ والقصد، فإن القصد أبلغ.
- * إنما لك ما وعى منك.
- * من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.
- * هذا كتاب الله فيكم لا يُطفا نوره، ولا تنقضي عجائبه، فاستضيئوا بنوره، وانتصحووا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة.
- * النجاء النجاء، فان وراءكم طالبًا، حيثًا أمره، سريعًا سيره (يعنى الموت).
- * ادفنوني في ثوبي هذين، فإنما هما للمهل والتراب.



عبد الرحمن الداخل

خَلَّ نَفْسَ الْحَرِّ تَصَلَّى النَّوْبَا لَا تُبَالِي

لَيْسَتْ الْأَخْطَارُ إِلَّا سَبَبًا لِلْمَعَالِي



يَا مُكَبَّأً بَيْنَ ظَهْرِي أَدْعَجَا وَمَهَاةٍ

إِنَّمَا الْهَمَّةُ فِي جِجَرِ الْحَجَى كَالنَّبَاتِ

أَفَلَا تَذُبُّ إِذْ تَقْضِي الدُّجَى فِي سُبَاتِ

فَإِذَا بَتَّ تُجَارِي الْكُوكِبَا فِي مَجَالِ

كَنتَ كَالضَّرْغَامِ يَمْشِي الْهَيْدَبَا لِلنَّزَالِ



مَا لَهْذِي السَّمْهَرِيَّاتِ فَخَارٌ فِي الْجِرَابِ

غَيْرُ عَزْمٍ هَزَّهَ حَامِي الدَّمَارِ بِالنَّهَابِ

أَتُرَى الرَّامِحَ ذَا قَلْبٍ يَغَارُ فِيْهِابِ

جَرٌّ فِي الْأَفَاقِ رَمَحًا سَهْلًا بِاخْتِيَالِ

وَهُوَ كَالْأَعْرَلِ لَا يَلْقَى الظُّبَا وَالْمَوَالِي^(١)



رُبَّ كَيْنٍ لَا نُسَمِّيه عَرَبِيًّا فِي الْبَيَانِ

(١) الرامح والأعزل: نجمان، يسمى أحدهما: السماك الرامح، والآخر: السماك الأعزل.

والذي يحميه لا يلوي جَبِينًا عن طعان
يحطم الطاغى لا يبقى مَهِينًا في هوان
وهَزَبُ الغاب يغدو خَبِيرًا في الدِّغَالِ
عضُّ الجوعُ فمَدَّ المِخْلَبَا لا غتيال



عاشقُ العلياء خُضَّ في لججٍ من رماح
وترشف من عصير المُهَجِ لا جُنَاح
يضحك الملكُ بثغر بهجٍ كالصباح
إن نكى الخصمَ فماجوا هَرَبًا كالثعالى^(١)
وابتغاء السلم من باني الزمى كالمحال



خاطرُ اليأس لدى باغي العلى غير سائغ
إن توخى عبقرى أَمَلًا فهو بالغ
وحياة الصقر أرقى مثلاً للنوابغ^(٢)
إذ بدا في (دير حقا) وشبا كالهلال

(١) جمع ثعالة: وهي أنثى الثعلب.

(٢) الصقر: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ولد في دير حقا بالشام سنة ١١٣، وشهد سنة ١٣٢ المعركة التي فقد فيها الأمويون ملكهم على أيدي بني عمومهم العباسيين، فبلغ به علو الهمة إلى إنشاء مُلك جديد لبني أمية في الأندلس، فلقبه خصمه أبو جعفر المنصور بلقب: «صقر قریش».

ولبالي الشام في عهد الصبا كاللآلي



ذاق في الخامس من عقد سنه مَضْضَا

والردى سيف - كراي ابن أبيه - متضى^(١)

أرهف الحد وأودى بأبيه حرَضَا

هل ذوث زهرته حتى هبا في كلال

إن في نفس تسامث حسبا خيرَ وإل



أبصر الجدُّ به روح الهمام باديا^(٢)

كالشذا ينبئ عن زهر الكمام هاديا

وتريك الشمس في قوس الغمام ماهيا

حقه عطفًا كما تسرى الصبا باعتدال

ويدُّ ظلت تحابي الأنجبا لم تُغال



ضرب الخطبُ على المُلْك الأثيل مُخْدِقًا^(٣)

كم دها السفاح من حرّ نبيل مُرهقا

وجرى المنصورُ في هذا السيل موبقا

(١) ابن أبيه: زياد، أحد دهاة العرب.

(٢) الجد هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بني أمية، وقد ترعرع عبد الرحمن في صولته، وتربى في ظل حزمه ونعمته.

(٣) الملك الأثيل: الدولة الأموية.

ذهبت عصبتة أيدي سبا في نكال
وتداعى عرشه مُنتحبًا للزوال



حدّق الصقر برأي لا عجل لأحسير
وانبرى يطوي الفلا يطوي الأمل في الضمير
كغمي فرّ من وقع الأسل ليُغير
عميت عنه عيون الرقبا والموالي
راح كالشمس تؤمّ المغربا بارتحال



جمرة الأضغان في ذلك الوطن لافحة^(١)
كم قلوب بتباريح الإحن طافحة
فُرصة ظلّت على وجه الزمن سانحة
إنما الفرصة تدني الإربا بارتجال
والفتى يرقبها محتسبًا للبالى



نفض البردين من نقع السفر في (مليلة)
ماله جند سوى الرأي الأغر والفضيلة
بث لستًا نفثت نفث السحر في الخميّة

(١) تلك كانت حال الأندلس لما هبط عبد الرحمن الداخل بلاد المغرب وهو لا يحمل غير حجاه وعزيمته .

دعوة حل لها الشعب الجبا باحتفال
يرتجي عزاً وعدلاً ذهباً في ضلالٍ



آب (بدر) بفؤادٍ يتألق كالجمان^(١)
إذ رمى عن قوس داوٍ وتفوق في الرهان
ورأى غصن الأمانى كيف أورد في تدان
آن للصنصام أن ينتصبا للصقال
ولغالي الدم أن ينسكبا بابتدالٍ



نهض الصقر ولا صيد سوى تاج ملك
يتهادى بعد شجوٍ ونوى بين أيلك
يسبك السيرة في نهج سوى خير سبك
عبر البحر اتوى المنكباً في جلالٍ
أقبل الأبعد يتلو الأقربا ويوالي



زجّ بالجند حوَالِي قُرْطبة في اتساقٍ
وغدا يوسف مما كَرَبَه في خناقٍ^(٢)

(١) بدر: مولى عبد الرحمن الداخل، وهو نصيره في رحلته من الشام إلى المغرب.

(٢) يوسف: هو ابن عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وكان ولي الأمر بالأندلس عند دخول عبد الرحمن.

هو صَبُّ كيف يلوي الرقبة للفراقِ
 هاله الخطبُ غداة اقتربا للقتالِ
 لاذ بالرأي فأكدى وكبا في خيالِ



خال ما نمق كيدا برشفه كسهامِ
 لايبع المجدَ شهْمَ يعشفه بالحطامِ
 لا تسليه فتاةُ ترمقه بابتسامِ
 فأراه الصقرُ برقًا خُلِّبا في المقالِ
 وأراه الأحوذي القُلِّبا بالفعالِ



هجم الداخلُ في وجه الزعيمِ كائدا
 فطوى ما خَلَفَه طي الظليمِ شاردا
 واقتفى آثاره الجيشُ النظيمِ صائدا
 رام غرناطةً يبغى مَرَكبا للنضالِ
 أملٌ أبرق حينًا وخبا كالذُّبَالِ



أغمد السيفَ ومدَّ العنقا للسلام^(١)

(١) لما حاصر عبد الرحمن مدينة غرناطة، وهي آخر ما التجأ إليه يوسف الفهري، اضطر يوسف إلى طلب الصلح، فصالحه على شروط منها: وضع ابنه عند عبد الرحمن رهن إخلاصه الدائم.

فأراه الصقرُ عزماً ذلقاً لا ينام
أحرَّزَ ابنه ليأبى الرِّهقا في الذمام
كان في الناس زعيماً فاحتباً باعتزال
لم يُطق كالطل صبراً إذ نبا عن فصال



تَبَّ ليلٌ شد فيه المُنَزَّراً لانتقام^(١)
وامتطى رأياً عقيماً أغبراً كالجهام
لبته ما سَلَّ ذيلاً وانبرى في احتدام
في مغاني آل هُودٍ وثبا للصيال
هز جذع الأمن القى الطُّنبا في اختلال



أرهق ابنه جفاة وهفا للرئاسة
ما تحامى أن يكونا هدفاً للسياسة
ركبت من قتل هذا سرفاً في الشراة
وطوت هذا ليبقى حقباً في اعتقال
سَلَّ به إذ فرَّ ماذا ارتكبا من محال



قذفت نارُ الوغى في (مارده) بالشرارِ

(١) لم تطل ليوسف حياة الراحة، فنقض العهد عام ١٤١هـ بعشرين ألفاً من البربر، فالتحق بطليطلة، إلا أن عبد الرحمن قام له إلى أن جيئ إليه برأسه.

أشـرع الصقـرُ قنـاة سائـدة بانتصارِ
أطـلق الفهري رجلاً جاهـدة في الفرارِ
لحق الموتُ به وأعـجبا للنصـالِ
تُنـهض الحـتف إذا ما نشـبا في عقـالِ



بلـغ الصقـرُ من العـزْ أشـدّه واستوى
لبس الحـزَمَ لمن صاعـر خـدّه والتوى
هو لولا بأسه يحـرسُ بـنـدّه لـانطوى
سار بالأمـة شوطاً عـجبا في اعتـدالِ
لا يُرى أسرى بها أو أوبـا في مـلالِ



بعث العـرفانَ مِن مَرَقَدِهِ في رُوءِ
وَعَلت عـنقُ الـهـدى في عهـده كالـلـوءِ
رَدَّت الشـركَ مَواضي جـدّه في انزواءِ
نَفِثَتْ في (شـرلمانَ) الرّهـبا كالـسـعـالي
هابها (المنصورُ) يـخشى الغـلبـا في السـجـالِ



لقي العـمرانَ مـقـصـوص الجـناحِ خـامـلا
راشـه فانسـاب في تـلك البـطـاح جـائـلا
يـضـبـط الشـكوى كـخـصـر في وـشـاح عـادـلا

بمتطي المنبر يلقي خطبًا ذات بالٍ

يقدمُ الناسَ إمامًا مجتنبًا بابتهايلٍ



رحم الله الفتى أنضى العتاق في العُلَى^(١)

وغدا إن عُد فرسانُ السباقِ أولًا

شرب الحكمةً بالكأسِ الدهاقِ علًا

عزمه كالفجر يفرى الغيبا في تعالي

فهو جنديٌّ سياسيٌّ ربا في كمالٍ

محمد الخضر حسين



صناعة الزجاج في الحضارة العربية

١ - في الأندلس (فردوس العرب المفقود)

جاء في كتاب (نفع الطيب . من غصن الأندلس الرطيب):

شادَ ملكٌ طليطلة المأمونُ بن ذي النون حوالي سنة ٤٦٠ قصرًا عجيبًا وضع في وسطه بحيرة، وصنع في وسط البحيرة قبةً من زجاج ملون منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من

(١) توفي الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بقرطبة سنة ١٧٢هـ، بعد أن مهد ملك الأندلس لأبنائه، فتوارثه من أعقابهِ تسعة عشر أميرًا، إلى أن أسقطتهم الثورة العسكرية سنة ٤٢٢هـ.

أعلى القبة على جوانبها محيطًا بها، ويتصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري، والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا يصله، وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب.

وبينما هو فيها مع جواريه مرة سمع قائلاً يقول:

أتبني بناء الخالدين، وإنما مقامك فيها لو علمت قليلُ
لقد كان في ظل الأراك كفايةً لمن كل يوم يقتضيه رحيلُ
فغمّ وقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون، أظن الأجل وافى. فمات بعد شهر

٢ - في بغداد (عاصمة العباسيين)

قال الأستاذ إسماعيل حسين من مقال له:

وصل العرب الى ترصيع الزجاج بالجواهر في عصر الرشيد، وذلك مالم يوفق أحد في هذا العصر إلى تكشف طريقته.

وكانوا يستعملون الزجاج المرن، وقد بقي سره مجهولاً حتى وقف عليه في العام الماضي أحد العلماء النمساويين، وتوجهت إلى دار الآثار العربية، فأراني المرحوم على بك بهجت مديرها مصباحاً من الزجاج صنع أيام العباسيين، فأخذه مدير أحد المصانع الإيطالية سنة كاملة ليصنع مثاله، فانقضى العام وأتم المصنع صنع المصباح، يئد أنك إذا شاهدتهما في دار الآثار تدرك الفرق بين دقة الأول في النقش وصنعة الثاني.



إفشاء سر عظيم

إن أحدَّ سلاح يُستأصل به الشرقيون، وأمضى سيف يُقتل به المسلمون، هو الخمر.

ولقد جرّدنا هذا السلاح على أهل الجزائر، فأبت شريعتهم الإسلامية أن يتجرعوه، فتضاعف نسلهم، ولو أنهم استقبلونا -كما استقبانا قوم من منافقيهم- بالتهليل والترحيب، وشربوها؛ لأصبحوا أذلاء لنا كتلك القبيلة التي شربت خمراً وتحملت إذلالنا.

هنري ديكاستري



بلاغة النبي الكريم شعر منشور

هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها.

لم تُصنع، وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها، وهي على السهولة بعيدة ممنوعة.

ألفاظ النبوة يعمرها قلبٌ متصلٌ بجلال خالقه، ويصقلها لسانٌ نزل عليه القرآن بحقائقه.

محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفصول حتى ليس فيها كلمة مفصولة، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضٌ قلب يتكلم، وإنما

هي في سموها وإجاداتها مظهرٌ من خواطره ﷺ، إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مجروح، وإن راعت بالحكمة قلت صورة إنسانية من الروح؛ في منزع يلين فينفر بالدموع، ويشتد فينزو بالدماء.

وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك كلامه ﷺ أنه خطاب الأرض للسماء.

على أنه سواء في سهولة إطماعه، وصعوبة امتناعه.

إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته، لم يأخذ بناحيته وإن نظر فيه بلا بصر عاد مبصرًا، وإن جرى في معارضته انتهى مقصرًا

مصطفى صادق الرافعي



الآخرة

روت الأنسة ميّ في مقالة نشرتها في «المقتطف» (نوفمبر-١٩٢٧) أن الدكتور يعقوب صروف صاحب «مجلة المقتطف» -الذي يظنه أكثر الناس ماديًا - كان يعتقد بالآخرة (مع أن معظم الذين يتظاهرون بالكفر -ومنهم جميل صدقي الزهاوي- لم يسكروا بهذه الخمرة إلا من قراءة «المقتطف»)، ومما أوردته الأنسة ميّ من كلمات صاحب المقتطف عن الآخرة قوله بعد نقاها من مرض أشفى منه على الموت: لو عاش الناس كلهم في هذه الدنيا منتظرين الأخرى لانتفى أكثر ما فيها من الشرور والآلام، وانكسرت شوكة الموت.



برامجنا

أرى شَعْبًا تحيّر ناشوؤه فما يجدون من عملٍ قواما
فلا أسرُ التجارة فيه قرّت ولا رُكنُ الصناعة فيه قاما
مدارس لم تُهيّئهم لكسبٍ ولم تُبني الحياة ولا النظاما

شوقي



من أساطيرنا

تزعّم العرب أن الهديل فرخٌ كان على عهد نوح، فصاده جارحٌ من جوارح
الطير، فليس من حَمَامَةٍ إلا وهي تبكى عليه، قال أبو وَجْزَة:
فقلت:

نبكي ذات طوقٍ تذُكّرت هديلاً وقد أودى، وما كان نَجُّ



آن لي أن أصحو من غفلتي

كان الكاتب الأمريكي المشهور (دُونْ مركيز) يتردّد -حين كان يساعد في
تحرير جريدة «السن»- على خانة قريبة من إدارة الجريدة، فدخل الحانة يوماً
ورهُطاً من أصحابه، وجلسوا إلى المائدة، وطلبوا كؤوساً من الوسكي، فأتاهم
صاحب الحانة بزجاجة من الوسكي الاسكتلندية الفاخرة، وفتحها على المائدة،

فبدرت من (دُونُ مركيز) حركة سقطت لها الزجاجاة على الأرض فانكسرت،
فقال لصاحب الخانة:

كم ثمنها لأدفعه لك؟

فقال صاحب الخانة:

لا أتقاضى منك ثمنها!

ففكر (دُونُ مركيز) مليًا، ثم قال لصاحب الخانة:

إذا كان ما أحسّيه من الويسكي في حانتك كل يوم كثيرًا إلى حدٍّ أن خسارة
زجاجاة ملأى بالويسكى الفاخرة لا تهملك ولا تعني لديك شيئًا، فقد آن لعمري
أن أفيق من غفلتي وأترك الشراب.

وكذلك كان، فقد ظل (دون مركيز) بعد هذا الحادث لا يقرب الشراب
قط.



الآيتان

شيثان يملآن عقلي بما لا يفنى من عَجَب ورهبة، كلما أمعنْتُ التفكيرَ فيهما:
هذه القبة الزرقاء التي تحمل النجومَ فوقى، وهذه القاموس الأدبي في قرارة
نفسي.



توسيع الثلثة

نقل الريحاني في «ملوك العرب» (١ : ٣٤١) عن الكرنل جاكوب في «ملوك العرب» (ص : ٤٥) أن إدارة شركة الهند كانت كتبت إلى الكابتن هينس (CapI haiNes) أول والٍ للانكليز على عدن :

(حرّض القبيلة الموالية على القبيلة العادية؛ فلا تضطر إلى جنود بريطانية) وقالت له : (إنه وإن كان هدرُ الدماء مما يؤسف له ، فمثل هذه السياسة تفيد الانكليز في عدن؛ لأنها توسع الثلثة بين القبائل).



الزّباء

زنوبيا أو الزّباء ملكة تدمر، المشهورة بجمالها وإقدامها وذكائها، كانت جديرة بأن تكون قرينة أذينة الذي كان يحمل لقب «رئيس المشرق dux orientis»، وقد اشتركت معه بالفعل في سياسة ملكه أثناء حياته، ولم تخلفه (بعد وفاته سنة ٢٦٦ - ٢٦٧ ميلادية) في منصبه فقط، بل إنها عقدت العزم على بسط سلطانها على الدولة الرومانية الشرقية، وكان ابنها هبة الله بن أذينة لا يزال حينذاك طفلاً، فتسلمت مقاليد الحكم في يدها.

وقد غزت (مصر) سنة ٢٧٥ م وفتحتها بقيادة (زَبْدَة zabda) بدعوى إعادتها لحكم الإمبراطورية الرومانية، وحكم ابنها (هبة الله) مصر في عهد (قلوديوس) على أنه شريك في حكمها وله لقب ملك، وجعلت (الزّباء) لنفسها لقب ملكة، وقد بسطت نفوذها في آسيا الصغرى إلى مقربة من (بيزنطة)، وظلت تدعي أنها

تصنع ذلك في سبيل (رومة)، وقد سُكَّ اسم (هبة الله) على العملة التي ضُربت في الإسكندرية سنة ٢٧٠ م مع اسم (أورليان) الإمبراطور الروماني، ولو أن أورليان قد تفرَّد بلقب «العظيم» أو «أوغسطس».

وقد وجدت في بابل نقوش عليها اسم (الزَّباء) و (أورليان) أو سلفه (قلوديوس) مع ألقاب augusta و augustus. ولما آلت الإمبراطورية إلى (أورليان) في سنة ٢٧٠ م. أدرك ما في سياسة (الزَّباء) من الخطر على وحدة الإمبراطورية، إذ أن مظاهر الإدارة كانت قد اطرحت من قبل، وانكشفت نيات (الزَّباء)، فإن ابنها ضرب العملة باسمه فقط، وخرج على (رومة).

فأرسل (أورليان) حملة إلى (مصر) على رأسها القائد (بروبس - probus) في سنة ٢٧٠ م، واستولى عليها، وأعد الإمبراطور في سنة ٢٧١ م حملة أخرى على آسيا الصغرى والشام، فدخلت آسيا الصغرى في أواخر سنة ٢٧١ م، ودحرت حامياتها التدمرية، ووصلت إلى (أنطاكية) حيث وقفت أمامها (الزَّباء) بجيشها، فانهزمت بعد أن لحقتها خسائر فادحة، وتقهقرت إلى ناحية (حمص) التي يبدأ عندها الطريق إلى مقر ملكها؛ وقد أبت أن تستسلم إلى (أورليان)، وجمعت جيشها في (حمص) لتخوض المعركة التي تحدد لها مصيرها.

ولكنها انهزمت في النهاية، ولم يبق أمامها إلا الفرار في الصحراء نحو (تدمر)، فتابعها (أورليان) بالرغم من وعورة الطريق وحاصر مدينتها، وفي هذه الساعة العصبية خذلتها شجاعته ففرت هي وابنها من المدينة لاجئة إلى ملك (الفرس)^(١) مستنجدة به، إلا أنه قبض عليها على شاطئ الفرات.

(١) لا يُعرف بالضبط إن كان هذا الملك سابور أو هرمز.

ولما فقد التدمريون أملهم بهذه النكبة ألقوا سلاحهم، فأخذ (أورليان) كل ما في البلد من الغنائم وأبقى على أهلها؛ وأمن (الزَّبَاء) على حياتها، إلا أنه قتل كل قوادها ومستشاريها، ومن بينهم العالم المعروف (لونجينوس longinus)، وقد دخلت (الزَّبَاء) مدينة (رومة) في موكب الإمبراطور الظافر، وارتضت خذلانها في عزة نفس وشمم، وقضت أيامها الأخيرة في (تبيور - tibur) ح، يث عاشت هي وابنها عيشة سيدة رومانية.

ولم تمض أشهر قلائل حتى ثارت (تدمر) ثانية، فعاد إليها (أورليان) على غير انتظار ودّمَرها، ولم يُبق على أهلها هذه المرة.

ومما يُروى عن (الزَّبَاء) مناقشتها مع البطريق الأنطاكي الشهير بولس السميساطي في المسائل الدينية^(١) ويرجح أنها كانت تحسن معاملة اليهود في (تدمر) فقد أشار إلى ذلك (التلمود).

ومدينة (تدمر) مقر ملك (الزَّبَاء) تقع على مسافة ١٥٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من (دمشق)، وكانت الحروب الفارسية سبباً في ظهورها بين ممتلكات (رومة) واعتلائها ذلك المركز الممتاز فيها، وكانت الأسرة الساسانية في ذلك الوقت في ذروة بأسها وعظمتها، فاتجهت مطامعها إلى الممتلكات الرومانية، فلم يكن للتدمريين بدٌّ من أن ينحازوا إلى (الفرس) أو (رومة)، فانحازوا إلى الإمبراطورية الرومانية التي كانت قد حبت أشراف (تدمر) ألقابها، وعينت بعضاً منهم في مجلس الشيوخ، وجعلت واحداً منهم قنصلاً وهو زوج (الزَّبَاء) المسمى أذينة (odainath).

(١) وكان البطريق يتولى جباية الأموال الأميرية للزباء ملكة تدمر في إنطاكية التي كانت تابعة لها.

وكان ذلك في عهد الإمبراطور (فاليريان - valerian) سنة ٢٥٨ م.

وانتهى الصراع بين (رومة) وبلاد (الفرس) باندحار الرومانيين سنة ٢٦٠ م واكتساح الفارسيين آسيا الصغرى وشمال سوريا، وأسر إمبراطورهم فاليريان الذي مات في أسره، فرأى أذينة (زوج الزَّباء) ملك الفرس، وأخذ يرسل اليه الهدايا والكتب الكثيرة فكان يرفضها بازدراء، وكان ذلك سبباً في أن يلقي (أذينة) بنفسه في أحضان (رومة) مدافعاً عن قضيتها.

وقد كافأه (جالينوس - galienus) بتعيينه في منصب (رئيس المشرق - dox orientis) كوكيل لإمبراطورية في الشرق في سنة ٢٦٢ م.

ومن ذلك الوقت أخذ يعمل لاسترداد ماخسرته (رومة)، بعد أن ضم إليه فلول الجيش الروماني، فحارب (سابور) وتغلب عليه وأعاد المملكة الشرقية إلى (رومة)- وفي أوج انتصاراته قتل هو وابنه الأكبر (هيرودس herodes) في حمص سنة ٢٦٧ م.

فأل ملك (تدمر) إلى (الزَّباء) -التي كانت تناصر زوجها في سياسته- وحكمت باسم ابنها الصغير (هبة الله)، وكان لها جيشٌ يبلغ السبعين ألفاً، عازمت على فتح مصر به، فتم لها ذلك في سنة ٢٧٠ - ٢٧١ م كما قدمنا، فانتهت مطامحها بأسرها في سنة ٢٧٣ م.

أما لغة تدمر فهي اللغة الآرامية، وكان أهلها يعبدون الشمس، ومعبد الشمس لا يزال إلى الآن أكبر الآثار التدمرية.

محمد سعيد إبراهيم



من إلهامات جزيرة العرب

مسكين المتمدّن الذي لا يستطيع أن يستغني عن المدينة ولو يوماً واحداً.

«ملوك العرب- ٢٠: ٦٧ / الريحاني



جهاد مصر الوطني

ذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٨

هَجَّ من الشهداء لم تتكلم
كدم الحسين على هلالٍ محرّم
تمايلُ الأعطاف، مبتسّم الفم
رُ الملائك في سماء الموسم
بين السحاب قبورها والأنجم
أ حلّ بالبيت المضيء المظلم
رساً أقيم على جوانب ماتم
لوى تُرْقَدُ جرحها كالبلسم
علو فم الشكلى وثغر الأيم
لنظمتُ للأجيال مالم يُنظم
باعُ الخيال العبقري الملهم
والنفي حالٌ من عذاب جهنم
مثّلتُ فيها ثورة المستسلم

في مهرجانِ الحق أو يوم الدّم
بدو على هاتور نور دمائها
يومُ الجهاد بها كصدر نهاره
طلعت تحجّ البيت فيه كأنها
لَمْ لا تُطلُ من السماء، وإنما
ولقد شجاها الغائبون، وراعها
وإذا نظرتُ إلى الحياة وجدتها
لا بد للحرية الحمراء من
وتبسّم يعلمو أسرتها كما
يومُ البطولة لو شهدت نهاره
غَبِنْتُ حقيقته وفات جمالها
لولا عَوادي النفي أو عقباته
لجمعتُ ألوانَ الحوادث صورة

وحكيثُ فيها النيلَ كاظمَ غيظه
دَعَتْ البلادُ إلى الغمارِ فغامرَتْ
ثارتُ على الحامى العتيدِ وأقسمتُ
نشر الكنانةَ ربُّها وتخيَّرتُ
من كلِّ أعزلٍ حقُّه بيمينه
لم يُحجموا في ساعةٍ قد أظفرت
وقفوا مطيَّئهم بسلمِ قصره
وتقدَّموا، حتى إذا ما بَلَّغوا
سالتُ من الغابِ الشبولُ غلابها
لين اللبابةِ وهاج عرقُ الضَّيغمِ
كالسيفِ في يُمنى الكميِّ المعلمِ
ملكُ البحارِ بكلِّ قيصَرٍ مُحجمِ
والبأسُ والسلطانُ دون السِّلَمِ
أوحوا إلى مصر الفتاة: تقدَّمي!
لن اللبابةِ وهاج عرقُ الضَّيغمِ



يومَ النضالِ كستكَ لونَ جمالها
أصبحتُ من غرر الزمان، وأصبحتُ
ولقد يتمتَ فكنْتَ أعظمَ روعةً
لينم أبو الأشبالِ ملءَ جفونهِ
حريَّةٌ صبغتُ أديمك بالدمِ
ضحكتُ أسرةَ وجهك المنجهمِ
يا ليتَ من سعدِ الحمى لم تَنِمِ
ليس الشبولُ عن العزيزِ بنومِ

أحمد شوقي



في الحضارة العربية

روى وزير دولة بني نصر الأديب الكبير لسان الدين بن الخطيب أن ثالث ملوك تلك الدولة -وهي مؤسسة قصر الحمراء المشهور بالأندلس- كان يسهر على أنوارِ ضخام الشمع، وكانت تُتخذ له من جذوع في أجسادها مواقيت تُخبر بانقضاء ساعات الليل ومُضي الهزيع.

وإنما فعلوا ذلك لأنه كان يطيل السهر، وقد أصيبت عيناه من ذلك بأذى،
فأروا أن يُلَفَّتوا نظره إلى مواقيت الليل بهاذة الطريقة.



من القاضي أبي يوسف إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين

كان هارون الرشيد أعظم ملوك الأرض في زمنه. ولما اقترح على القاضي
أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصارى صاحب الإمام أبي حنيفة أن
يؤلف للدولة كتابًا عن أحكام الشرع الإسلامي في الخراج، ألف في ذلك كتابه
المشهور، افتتحه بهذه النصيحة الصريحة التي لا عهد للبشر بمثلها، فيما
تخاطب به العلماء ملوكها. قال الإمام أبو يوسف:

يا أمير المؤمنين، إن الله وله الحمد قد قلّ ذلك أمرًا عظيمًا، ثوابه أعظم
الثواب، وعقابه أشد العقاب، قلّ ذلك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمست وأنت
تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله، واثمنك عليهم، وابتلاك بهم، وولّاك
أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد
فيهدمه على من بناه وأعان عليه. فلا تضيعنّ ما قلّك الله من أمر هذه الأمة
والرعيّة، فان القوة في العمل بإذن الله.

لا تؤخّر عمل اليوم إلى غدٍ، فإنك إذا فعلت ذلك أضعت. إن الأجل دون
الآمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدّون إلى
ربهم ما يؤدّي الراعي إلى ربه. فأقم الحق فيما ولّاك الله وقلّك ولو ساعة من
النهار، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راعٍ سعدت به رعيته. ولا تزغ فيزيغ

رعبتك. وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب، وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفتنى. وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم. واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان، واتق الله فإنما التقوى بالتوقي، ومن يثق بالله يقه. واعمل لأجل مفضوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود. فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج، لعزة ملك قهرهم جبروته، والخلق له داخرون بين يديه ينتظرون قضاءه، ويخافون عقوبته، وكأن ذلك قد كان فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يوم تزل فيه الأقدام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾. فإياها من عشرة لا تُقال، وإياها من ندامة لا تنفع. إنما هو اختلاف الليل والنهار: يلبان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، ويجزي الله كل نفس بما كسبت، إن الله سريع الحساب. فالله الله، فإن البقاء قليل، والخطب خطير، والدنيا هالكة وهالك من فيها، والآخرة هي دار القرار. فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين؛ فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم. وقد حذرك الله فاحذر، فإنك لم تُخلق عبثاً، ولن تُترك سدى. وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب، واعلم أنه لن تزول غداً قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى إلا من بعد المسألة، فقد قال ﷺ: «لا تزول قدما

عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن جسده فيم أبلاه»^(١).

فأعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها، فإن ما عملت فأثبت فهو عليك غداً يُقرأ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد. وإنني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك الله، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله، فانك إن لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى، وتعمى في عينك وتتعمى رسومه، ويضيق عليك رحبه، وتُنكر منه ما تعرف، وتعرف منه ما تُنكر. فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها، فان الراعي المضيع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة بإذن الله، وأورده أماكن الحياة والنجاة، فإذا ترك ذلك أضاعه، وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع، وبه أضر، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك، ووفاه الله أضعاف ما وفى له، فاحذر أن تضيع رعيته، فيستوفي ربها حقها منك و، يضيعك - بما أضعت - أجرك، وإنما يُدعم البنيان قبل أن ينهدم، وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره وعليك ما ضيعت منه، فلا تنس القيام بأمر من ولاك الله أمره، فلست تُنسى، ولا تغفل عنهم وعما يُصلحهم، فليس يُغفل عنك، ولا يُضيع حظك من هذه الدنيا في هذه الأيام والليالي كثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسييحاً وتهليلاً وتحميداً، والصلاة على رسوله ﷺ نبي الرحمة وإمام الهدى ﷺ. وإن الله بمنه ورحمته وعفوه جعل ولاية الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم، وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم، وإضاءة نور ولاية الأمر إقامة الحدود،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الألباني.

ورُدَّ الحقوق إلى أهلها، بالتثبت والأمر البين، وإحياء السنن التي سنّها القوم الصالحون أعظم موقعا، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت، وجور الراعي هلاك للرعية، واستعانت به غير أهل الثقة والخير هلاك للعامة، فاستتمّ ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، وليس شيء أحبّ إلى الله من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد، والعمل بالمعاصي كفر النعم، وقلّ مَنْ كفر من قوم قطّ النعمة ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزمهم وسلط الله عليهم عدوهم، وإنّي أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي مَنّ عليك بمعونته فيما أولاك، أن لا يكلّك في شيء من أمرك إلى نفسك، وأن يتولّى منك ما تولى من أوليائه وأحبّائه، فإنه ولي ذلك والمرغوب إليه فيه.



الشاعر

وَصُغْ مِنْ دُمُوعِهِ آيَاتِهِ	خَلِيَاءُ يَنْخُ عَلَى عَذَابَاتِهِ
مُسْتَمِدًّا مِنَ الْعُلَى نَعْمَاتِهِ	وَيُرْتَلُّ الْحَانَهُ بِخَشْوَعٍ
رَدَدَتْهَا الْأَحْزَانُ فِي أُنْبِيَاتِهِ	لَا تُشِيرُ بِهِ كَمَا نَزَّ صَدْرُ
فَحَسْبُنَا بَنَاتِهِ مِنْ رُؤَاتِهِ	وَرَوَاهَا فَمُ الزَّمَانُ بِشَجْوٍ
غَيْرَ هَيَّابَةٍ أَدَى سَخَطَاتِهِ	ثُمَّ جَارَتْ بَغْيًا وَعَقَّتْ أَبَاهَا
وَاسْتَبَاحَتْ بِصَرْفِهَا عَزَمَاتِهِ	فَاسْتَظَالَتْ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ عَلَيْهِ
وَجَزَتْهُ الْأَسَى عَلَى حَسَنَاتِهِ	وَرَمَتْهُ فِي مَهْدِهِ بِالرَّزَايَا

فَجَرَى وَالْأَسَى وَلِيَدَيْنِ حَتَّى
وَالْأَسَى مَنْهَلُ النُّفُوسِ اللُّوَاتِي
أَذْرَكَ الْكُنَّةَ مِنْ مَطَاوِي عِظَانِهِ
لَمْ يَرْضُهَا الزَّمَانُ فِي نَكْبَاتِهِ



وَتَوَارَى عَنِ الْعِيَانِ وَأَمْسَى
وَعِصَابُ الْأَيَّامِ شِبْهُ صَلَاةٍ
وَاجْتُمَعُوا قَبْدَ ظِلِّهِ بِسَكُونٍ
هَيْكَلٌ يَبْعَثُ الْقَنُوطَ إِلَى الْقَلْبِ
مَنْ يَحْدَقُ إِلَيْهِ يُبْصِرُ مَلَائِكًا
بِاسْطَا كَفِّهِ يَنَاجِي مَلِيكًا
كَتَبَ الْبُؤْسُ فَوْقَ خَدَّيْهِ سَطْرًا
لِلْهَوَى قَلْبُهُ، وَلِلشَّجْوَةِ عَيْنَاهُ
وَهُوَ نَهْبٌ لِحَادِثَاتِ اللَّيَالِي
يَنْطَوِي فِي سَبِيلِ أَبْنَاءِ دُنْيَا
بِفُؤَادٍ وَاهٍ وَصَدْرِ رَحِيْبٍ
يَتَلَقَّى بِصَبْرِهِ نَزْوَةَ الدَّهْرِ



شَاعِرٌ صَاغَهُ الْإِلَهُ مِنَ الْبُلَى
وَحَبَاهُ السُّحْرَ الْحَلَالَ فَعَنَى
وَسَرِيَّ النِّظِيمِ مَا كَانَ وَحِيًّا
وَسَرِيَّ النِّظِيمِ مَا كَانَتْ الْحِكْمُ
سِ وَأَبْدَى الْأَسَى عَلَى نَظَرَاتِهِ
شَاكِرًا رَبَّهُ عَلَى نَفْحَاتِهِ
فَالْهَوَى وَالشُّعُورُ فِي طَيَّانِهِ
مَةُ قَبَاضُهُ عَلَى جَنَابَاتِهِ



شَاعِرٌ يَمْزِجُ الْمَدَادَ مِنَ الْحَزْ
نِ بِذُوبِ اللَّجَيْنِ مِنْ عِبَرَاتِهِ

ثم يستنزف النجيع من القل
يستمدُّ اليراعُ منه مدادًا
علَّلَ النفسَ دهره بالأماني
كلُّ مَنْ في الوجودِ يَجْنِي مُناه
بِ فيجري رطبًا على صفحاته
فهو يُغني عن طرسه ودوانه
غير ما ناظرٍ إلى عقباته
وهو يُقصي عن نيله ثمراته



يا سماء الخيال جودي عليه
واظبعيه على الشعور يُخلد
مَعْد الحُبِّ شيدَ في قَفص القل
والفؤادِ الناقوسُ يقرعه الوج
فيفيضُ الهوى على جانبيه
يُسْمِع الصخرَ شفره وشجاه
ثمَّ تجري على رويِّ القوافي
وطيورُ السماءِ تأخذُ عنه
وامنحبه الإلهام في نفثاته
لكِ أسمى النظم في ذكرياته
بِ مُحاطًا بالظلِّ من قصباته
دُ بأوتارِ حسِّه من لهاته
كلما رنَّ من صدَى دقائه
فتلبنُ الصخورُ من أناته
وتحاكي الموزونَ من نبراته
حينَ يشدو المثيرُ من سجعاته



يخلدُ الشاعرُ الحزين إذا قَط
يؤمُّه مثلُ أمسه في شقاء
إن دجا الليلُ يزقُبُ النجم أسيان
لا الدجى نازحٌ ولا الفجر يَرثي
لو تراه - والليلُ ساجٍ صموت -
سادرًا في مجاهل الفكرِ خيرا
منشدًا في دياجر الليل آيا
يا فؤادي إذا أجنَّك ليلٌ
رَ أنفاسه على صفحاته
ولعلَّ الرجاء طيَّ غدائه
ويُرْجى إلى العلى زفراته
لشجِّي أدنى الردى خطواته
لتفطرت من شجا صعقاته
نَ يُرْجى نجاته من عدائه
بِ طواها الهواء في نسماته
وسيمت الحياة في ظلماته

وَتَظَلَّلْتَ لِلصَّبَاحِ وَقَدْ ضَلَّ
لَا تَقُلْ: يَا ظِلَامُ سَعَرْتَ نِيرًا
عَلَّ فِي اللَّيْلِ رَحْمَةً لَوْ جِيعَ
مُتَمَعِّنٌ فِي الْكُرَى يَزِيدُ التِّيَاعَا
فَإِذَا مَا اسْتِفَاقَ أَبْصَرَ فَجْرًا
إِنَّ فِي الْفَجْرِ رَوْعَةً قَسَمْتُهَا
عَمَّتِ الْعَالَمِينَ لَمْ تُبْقِ حَتَّى
بَهْجَةُ الْكَوْنِ فِي الصَّبَاحِ تَجَلَّى



بَيْنَمَا الشَّاعِرُ الْحَزِينُ يُنَاجِي
غَابَ عَنِ عَالَمِ الشَّقَاءِ وَقَاضَتْ
فَاتَرُكَاهُ يَنْعَمُ بِنَوْمٍ طَوِيلٍ
رَبَّهُ وَالصَّبَاحُ فِي بُشْرِيَاتِهِ
رُوحُهُ وَانطَوَى بِبُرْدٍ نَجَاتِهِ
عَلَّ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً مِنْ حَيَاتِهِ

أنور العطار



خطبة نبوية

قام رسول الله ﷺ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى، فَقَالَ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَاها كَمَا سَمِعَهَا: فَرَبٌّ حَامِلٌ فَفْهٌ غَيْرُ فَفْهِهِ، وَرَبٌّ حَامِلٌ فَفْهٌ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ يَغْلُ عَلَيْهِنَ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لَوْلَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تَحِيْطُ مِنْ وِرَائِهِ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الألباني.

وصية أبي بكر إلى عمر رضي الله عنهما

لما حضرت الوفاة أبا بكر رضي الله عنه أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس:
أتخلف علينا فظًا غليظًا لو قد ملكنا كان أفظ وأغلظ؟ فماذا تقول لربك إذا
لقيته وقد استخلفت علينا عمر رضي الله عنه؟

قال: أتخوفوني بربي؟ أقول: اللهم أمرت عليهم خير أهلك.

ثم أرسل إلى عمر فقال:

«إني أوصيك بوصية، إن حفظتها لم يكن شيء أحب إليك من الموت، وهو
مدركك. وإن ضيعتها لم يكن شيء أبغض إليك من الموت، ولن تُعجزه. إن لله
عليك حقًا في الليل لا يقبله في النهار، وحقًا في النهار لا يقبله في الليل، وأنها
لا تُقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما خُفَّت موازين من خُفَّت موازينه يوم
القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا
الباطل أن يكون خفيفًا. وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن
يكون ثقيلاً.

فإن أنت حفظت وصيتي هذه فلا يكونن غائبًا أحب إليك من الموت، ولا بدَّ
لك منه. وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائبًا أبغض إليك من الموت،
ولن تُعجزه».

وقال له: يا ابن الخطاب إني إنما استخلفتك ناظرًا لما خلفت ورائي، وقد
صحبت رسول الله ﷺ فرأيت من أثرته أنفسنا على نفسه وأهلنا على أهله، حتى
إن كنا لننظر نُهدي إلى أهله من فضول ما يأتينا عنه، وقد صحبتني فرأيتني إنما

اتبعت سبيل من كان قبلي: والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فسهوت، وإني لعلی السبیل ما زغت، وإن أول ما أحذرك يا عمر نفسك، إن لكل نفس شهوة فإذا أُعْطِيَتْهَا تَمَادَتْ فِي غَيْرِهَا.



من كلمات عمر رضي الله عنه

لا يقيم أمر الله إلا رجلٌ لا يُضَارِع، ولا يُصَانِع، ولا يتبع المطامع. ولا يقيم أمر الله إلا رجلٌ لا يُنْتَقَصُ غِرْبُهُ، ولا يَكْظَمُ فِي الْحَقِّ عَلَى حِزْبِهِ.

□ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بين الدنيا والآخرة □

قال عبد الله بن عباس: دخلت على عمر حين طعن، فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقُبِضَ رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقتلت شهيدًا.

فقال: أعد عليّ.

فأعدت عليه.

فقال عمر: والله الذي لا إله غيره، لو أن ما في الأرض من صفراء وبيضاء لي لافتديت به من هول المطلاع!

□ وصية أمير المؤمنين عمر إلى الخليفة بعده □

لما أوصى عمر رضي الله عنه، قال: (أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم وكرامتهم، وأوصيه بالأنصار الذين

تبوءا الدار والإيمان: أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار، فإنهم رداء الإسلام وغيظ العدو وجباة المال: أن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضئ منهم. وأوصيه بالأعراب، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام: أن يأخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم).



واجب الحكومة وواجب الأمة

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له:
يا أمير المؤمنين لا أبالي في الله لومة لائم خير لي، أم أمير أقبل على نفسي؟
فقال: أما من ولي من أمر المؤمنين شيئاً فلا يخف في الله لومة لائم، ومن كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسه، ولينصح لولي أمره.



سياسة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بين شعبه وأمرائه

قال عبد الملك بن عمير: حدثني رجل من ثقيف، قال: استعملني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه على عكبراء فقال لي -وأهل الأرض معي يسمعون -:

انظر أن تستوفي ما عليهم من الخراج. وإياك أن تُرخص لهم في شيء، وإياك أن يروا منك ضعفاً، ثم قال: رح إليّ عند الظهر، فرحت إليه عند الظهر، فقال لي:

إنما أوصيتك بالذي أوصيتك به قدام أهل عملك لأنهم قوم خدع، انظر إذا قدمت عليهم، فلا تبیعن لهم كسوة شتاء ولا صيفاً، ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحداً منهم سوّطاً واحداً في درهم، ولا تُقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرَضاً في شيء من الخراج، فإنما إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني؛ وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك.

قال: قلت: إذن أرجع إليك كما خرجت من عندك.

قال: وإن رجعت كما خرجت!

قال: فانطلقت، فعملت بالذي أمرني به، فرجعت ولم أنتقص من الخراج شيئاً.



الطبيعة

رَزَتْهَا أَشْكُو إِلَيْهَا لَوْعَتِي	مِنْ جُحُودٍ نَالْنِي مِنْ زَمَنِي
فَاكْفَهَرْتُ فِي اكْتِنَابِ سُحْبِهَا	ثُمَّ صَاحَتْ صَبِيحَةُ الْمُتَمَتِّهِنِ ^(١)
وَتَجَلَّتْ ^(٢) بَعْدَهَا فِي بَسْمَةِ	تَبَعْتُ السَّحَرَ لِلْبِّ الْقُطَنِ
مَزَاتٍ بِالْجَهْلِ حَتَّى أَخْجَلْتُ	نَظَرْتَنِي لِلْعَالَمِ الْمَمْتَحَنِ
وَكَاْنِي مُذْنِبٌ فِي عُرْفِهَا	فَهِيَ أُمِّي وَهِيَ مَنْ تُلْهِمُنِي
مَوْئِلِي فِي ظِلِّهَا، أَوْ نُورِهَا	وَهِيَ مَنْ فِي عَظْفِهَا تُنْمِشُنِي

(١) إشارة إلى صوت الرعد.

(٢) أي: الطبيعة. إشارة إلى انفتاح الغيوم.

كيف أُشجى وهي حَوْلِي دائماً
ثم لم تَلْبَثْ على سُخْطٍ فقد
حِينَ غَنَتْ بمصافير لها
بينَ وَثْبٍ واختباءٍ في عليٍّ
وفَرَادَى النَّحْلِ جاءتْ تَحْتَسِي
انْشَدَتْ حَوْلِي أناشيدَ الهوى
والنَّسِيمِ الخُرُّ يحكي ما رأى
والفَرَّاشُ اللَّاعِبُ اللَّاهِي يَلِي^(٢)
والأَصِيلُ السَّمْحُ يَزْوِي شِعْرَهُ
ورَأَيْتُ نَاهِلاً من نُورِهِ
وإذا الْجَذُولُ يَزْوِي حَقْلَهُ
وعذارى الرِّيفِ في لَهْوِ الصُّبَا
لَسَنَ يَعْرِفَنَ هُمُوماً غيرَ ما
أَخْبَلْتَنِي هكذا من حَسْرَتِي
وارْتَنِي حينما أفهمُها
فأناجيبها بحُبِّ مُغْلِنٍ
مُنْشِداً شِعْرِي، وَحَسْبِي سَمْعُهَا
جَلَسَتْ في عَرْشِهَا مُضْغِبَةً
وكانتِ وارثَ مُلْكِهَا لها

مَلْجِإِي بل مَعْبِدِي بل وَطْنِي^(١)
صَفَحَتْ عن زَلَّتِي وحَزَنِي
لِعَبِّ الأَطْفَالِ قَبْلَ الوَسَنِ
حَبَرْتَنِي بل عَدَتْ تَقْهَرُنِي
خَمْرَةَ الزَّهْرِ بغيرِ ثَمَنِ
وأغاني رُفْقَةٍ تَغْرِفُنِي
مِنْ غَرَامٍ وَمَعَانِي الفَتَنِ
تَحْتَ أَصْبَاغِ الغرورِ الحَسَنِ
مِلءَ الوانِ لِوَحْيِ الفُطَنِ
فحياني كلَّ ما يُسْكِرُنِي
مثلما يُطْفِي بَأْنَسٍ شجني
واهباتٍ مُسْتَطَابِ المِنَنِ
تَعْرِفُ الوَرَقَاءَ فوقَ الفَنَنِ
بينما في الكونِ ما يُسْعِدُنِي
أَنْتِي أنعمُ إذْ تَفْهَمُنِي
وتناجيني بِبِرِّ مُغْلِنٍ
فهو مِنْهَا وَلَدِيهَا يَغْتَنِي
لوفاءِ الشاعِرِ المُفْتَتَنِ
وكانتِ حاكمَ في رَمَنِي

أبو شادي

(١) هذا من الغلو. (س).

(٢) يلي: يدنو.

شاب يملك غضبه

غضب عمر بن عبد العزيز يوماً، فاشتدَّ غضبه - وكان فيه حدة -، وعبد الملك ابنه حاضر، فلما سكن غضبه قال له:

يا أمير المؤمنين في قدر نعمة الله عندك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عبادته أن يبلغ بك الغضب ما أرى؟

قال: كيف قلت؟

فأعاد عليه كلامه.

فقال له عمر: أما تغضب أنت يا عبد الملك؟

قال: ما يغني عني جوفي إن لم أرد الغضب فيه، حتى لا يظهر منه شيء.



زينة الشباب

ملك عربي حديث السن

يضرب بسجاياه المثل الخالد لشباب العرب والإسلام

قال لسان الدين بن الخطيب: كان أمير المسلمين محمد بن إسماعيل فرج - سادس ملوك بني نصر آخر دول العرب بالأندلس - معدوداً في نبلاء الملوك وأبناء الملوك صرامة وعزة وشهامة وجمالاً وفضلاً، عذب الشماثل حلواً لبقاً لودعياً هشاً سخياً، المثل المضروب في الشجاعة المقتحمة حد التهوّر، حلس ظهور الخيل، أفرس من جال على صهوه، لا تقع العين - وإن غصت الميادين

- على أدرب بركض الجياد منه، مغرمًا بالصيد، عارفًا بِسِمَاتِ الشفَارِ وشيَاتِ الخيل، يحبُّ الأدب، ويرتاح إلى الشعر، وبنه على العيون، ويلمُّ بالنادرة الحارّة.

حدثني ابن وزير جدّه القائم أبو القاسم بن محمد بن عيسى قال: تُذكر يومًا بحضرته تبايُن معنى قول المتنبي:

إيا خدّة الله وردّ الخدو د وقدّ قدودَ الحسان القدود
وقول امرئ القيس:

وإن كنت قد ساءتكَ مني خليقةً فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وقول إبراهيم بن سهل:

إنّي له من دمي المسفوكِ معترٌ أقولُ حملته من سفكه تعباً
فقال تكلّف بديها - على حدائته - : بينهم ما بين نفس ملك عربيّ، وشاعر عربيّ، ونفس يهوديّ تحت الذمّة، وإنما تتنفس النفوس بقدر هممها. أو ما معناه هذا.

ولما نازل مدينة قبره^(١) ودخلها عنوة، وهي ما هي عند المسلمين والنصارى من الشهرة والجلالة، بادرنا تهنتته بما تسنى له، فزوى عنا وجهه قائلاً: وماذا تُهنّوني به، كأنكم رأيتم تلك الخرقه الكذا - يعني العَلَمَ الكبير - في منار إشبيلية^(٢)؟ فعجبنا من بُعد همته ومزَمَى أمله.



(١) كورة تنصل بأعمال قرطبة من قبلها.

(٢) وكانت إشبيلية في حكم الأعداء، لا تصل إليها الجيوش الإسلامية إلا إذا اكتسحت عشرات أمثالها من القوات، فكانه يقول: إنه لا ينظر إلى العلم الكبير نظرة الرضى يستحق معها التهنته، إلا إذا خفق فوق منار إشبيلية.

وأقسم أن يُغير على باب مدينة بيانة في عدة يسيرة من الفرسان عَيَّنَتْهَا اليمينُ،
فوقع البهتُ وتوقَّعت الفاقرة، لقرب الصريخ ومنعة الحوزة وكثرة الحامية ووفور
الفرسان. وتنخل أهل الحفاظ وهجم عليها، فانتهى إلى بابها، وحمل على
أضعافه من الحامية فألجأهم إلى المدينة، ورمى يومئذٍ أحد النصارى بمزروق
محلّى السنان، رفيع القيمة، فأثبته، وتحامل الطعان يريد الباب، فمنع من
الإجهاز عليه وانتزاع الرمح الذي كان يجره خلفه، وقال: اتركوه يعالج جُرحه
أن أخطأته المنية. فكان كما قال الشاعر في مثله - أنشدناه أبو عبد الله بن
الكاتب:-

ومن جوده يرمي العداةَ بأسهم من الذهب الأبريز صيغت نصولها
يداوي بها المجروحُ منها جراحةً ويتخذ الأكفانَ منها قتيلاًها



كلمنصو وجان دارك

حدّث كلمنصو عن نفسه قال:

كنتُ أتنزّه في حديقة التويلري في صباح يوم من الأيام، فلفتت امرأةً نظرَ
ابنتها الصغيرة إليّ.

فقلت الصغيرة لأُمها:

ماذا فعل هذا الرجل؟

فأجابتها أمها: لقد أنقذ الوطن

البنت: كما فعلتُ جان دارك إذن؟

الأم: نعم، كما فعلت جان دارك يا عزيزتي.

البنّت: فلماذا إذاً لم يحرقوه؟

قال كلمنصو لمحدّته: أترى أنني أنتظر..



القطرات الثلاث

قَطْرَاتٌ قَدْ انْتَشَرْنَ ثَلَاثًا فَوْقَ زَهْرَاءَ مِنْ نِتَاجِ الرَّبِيعِ

قُلْنَ: «مَنْ أَصْلُهَا أَعَزُّ وَأَعْلَى؟»

فَانْبَرَتْ قَطْرَةٌ دَعَتْهُنَّ: «مَهْلًا:

أَنَا أَصْلِي مَاءُ السَّمَاءِ الْمَعْلَى

وَهُوَ حَسْبِي يَوْمَ الْمَفَاخِرِ أَصْلًا وَالَّذِ بِاسْمِهِ حَيَاةُ الرَّبِيعِ

قَدْ تَوَلَّدْتُ بَيْنَ نَارٍ وَمَاءٍ

بَيْنَ مَاءِ السَّحَابِ وَالْكَهْرِبَاءِ

أَوْ مَا تَنْظُرُونَ عَدَلًا قَضَائِي!

أَنَا سَاوِيَةٌ فِي ارْتِبَادِ كِلَانِي بَيْنَ رَاعِيِ الْمَلَا وَرَاعِيِ الْقَطِيعِ

كَمْ تَرَكْتُ الْحَقُولَ جَنَّةَ عَدْنِ

ضَاحِكًا لَوْنِهَا السَّمَاءِي عَنِي

أَبْنِ رَبِّ الشَّقَائِقِ الْحُمْرِ مِنِّي

أَنَا بِنْتُ السَّمَاءِ حَقًّا، لِأَنِّي قَدْ تَكَوَّنْتُ فِي الْفَضَاءِ الرَّفِيعِ

وَعْدِيرٍ مَجْعَدِ الْمَتَنِ صَافِي

عاد في عنصري موسى الضعاف
أنا من عنصر كريم النطاف
أنا تلك التي أزينُ الفيافي بجمالٍ هو الجمال الطبيعي



فأدعت قطرةً كقطرة راح
«أن قمريةً خفوقَ الجناح
غمرت نفسها بماءٍ قراح
نفضتني على خدود الأفاحي باسقاتِ الأصول خُضِلَ الفروع
لأبى، وهو جدولٌ ذو غروبٍ
مَنظَرٌ يستنبي عيونَ القلوبِ
في شروقٍ لشمسٍ أو في غروبٍ
ذؤبٌ يبرِّ إذا انثنت لمغيبٍ وَلُجِينُ إذا دنت من طلوعٍ»



فنزت قطرةً لها الطيرُ حينم
ولها عابسُ الوجود تبسم
«أنا» قالت، وقولها غيرُ مبهم
«أنا من ذلك البخار الذي لم يتصعدْ إلا بنار الضلوع
فإذا جلبب الخفاء مرامي
أوإذا متُّ قبل شقٍّ لثامي
فإليكم هذا صريح كلامي

أنا لغز الولوع، سرُّ الغرام أنا آيُّ الدُموع، رمزُ الدُموع
 أنا أنسُ المحبِّ في الخلوات
 أنا من رُسل أمة العاطفاتِ
 فسلامي لهن، بل صلواتي
 فآخِرنني بزعمها أخواتي ففضى الله لي برغم الجميع
 محمد رضا الشبيبي



من كلمات عمر بن الخطاب رضي الله عنه

- * لا تعترض فيما لا يعينك.
- * اعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم الذي لا يعادله شيء.
- * لا تصحب الفاجر فيُعلمك فجوره. ولا تفش إليه سرك. واستشر في أمرك الذين يخشون الله.
- * كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه: أما بعد، فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته. وإياك أن تزيع فتزيع عمالك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة، نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حثفها في سمنها. والسلام.



شعر الشيخوخة

كان الرُّبِيع بن ضُبُع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن قزارة بن
ذبيان معمرًا، عُمَرُ مائتي عام، وكان أحكم العرب في زمانه، وأشعرهم
وأخطبهم. وشهد يوم الهبأة وهو ابن مائة عام، فكان أنجد فارس في حرب
داحس، ولما كبر وخَرِفَ وأدرك الإسلام؛ جمع بين بنيه فقال:

ألا أبلغ بَنِي بَنِي رُبِيع	فأشرارُ البنين لهم فداء
بأنِّي قد كَبِرْتُ ودَقَّ عظمي	فلا يَشْغَلْكُمْ عني الحياءُ
وأن كِنانتي لنساءِ صِدْقٍ	وأنِّي لا أُسَرُّ ولا أُساءُ
إذا جاء الشتاء فدَثروني	فإن الشيخ يَهْدِمُهُ الشتاءُ
وإن دَفَعَ الهواجرُ كُلَّ قَرٍّ	فَسِرْبًا خَفِيفًا أو رداءُ
إذا عاش الفتى مائتين عامًا	فقد أودى المَسرة والفناء

ثم قال: يا بَنِي، اجمعوا إليّ بني ذبيان. فلما اجتمعوا قال: يا بني ذبيان
أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: أمركم بالحلم، فإنه يُحَسِّنُ المعاشرة، والوجود
فإنه يزرع المودَّةَ، وأمر بالحفظ لبعضكم بعضًا يهابكم الناس الأبعد؛ وأمركم
بالعلم، فإنه زَيْنٌ ومحبة في قلوب العالم، وأنهاكم عن السفه، فإنه باب الندَم
ومنزَلُ الدُّلِّ، وأنهاكم عن البُخل، فإنه سُلَّمُ السباب، وأنهاكم عن التخاذل، فانه
آفة العزِّ، وأنهاكم عن الجهل، فإنه رزية ومهلكة، واسألوا عما جهلتم، فإن
السؤال هُدًى، وفي الصمت عن الجهل عَمَى، ولا تستصغروا مَنْ لا تعرفونه،
ولا تحسُدوا من لا تدركونه، ولا تحمدوا غيرَ كريم، ولا تُبَجِّلُوا غيرَ شريف،
ولا تُفَضِّلُوا على غير محتاج، فيذهب فضلُكم هَبَاءً، ولا تمنعوا السائل فإن منعه
مَقْتٌ، ولا غيبة فإنها قرض مردود، ولا سيما أنها تعقب.

يا بني ذبيان، اجعلوا قبري علماً، فإن قَدِّمْتُ في الناس خيراً فإنه شأن وذكر حسن، وتركت فخراً للبنين، ولو قَدِّمْتُ سيئاً أمرتكم أن تُخفوه، فإنه عَلمُ السَّبِّ. احفظوا قولي، فإنه مقامي فيكم ورأى. وأنشأ يقول:

لقد عَرَفْتُ نفسي عن اللهو جملة وإن نهلت من لهو هائم عَلتِ
رايتُ قرونًا من قرون تقدَّمت فلم يبق إلا ذكرها حين ولَّتِ
ألا أين ذو القرنين أين جُموعه لقد كَثُرَتْ أسبابه ثم قلَّتِ
خَرَفْتُ وأفشيتُ السنون التي خلت فقد سِثِمْتُ نفسي الحياةَ وملَّتِ
فكم مشهد أوردت نفسي وكلةً أجسَّمها مكروهه حين كَلَّتِ
وكم غَمرة ماجتُ بأواج غمرة تجرَّعْتُها بالصبر حتَّى تجلَّتِ
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت عزمي على الأمر ذَلَّتِ
هي النفس ما مَنِها تَأَقَّ شوقُها وإلا فنفس إن يثستَ تسلَّتِ
وقال أيضًا:

ألا يا لقومي قد تبدَّد إخواني ندماي في شرب (النمير) وأخذاني
وامشي قليلا ثم آتي سبيلهم فتبلى عظامي يا لسعدٍ وذبيان
وأبلى وبقى منطقي بعد ميتي وكلُّ امرئٍ - إلا أحاديثه - فان
سيدركني ما أدرك المرءَ ثُبَعًا ويغتالني ما اغتال أنسر لقمان
كلا الرجلين كان جَلْدًا مشبَّعًا كثير الأداة من بنين وأعوان
أجارَ مجيرَ الرَّجل من غير مُلكه^(١) وأنزل سيف البأس من رأس غمدان
وألوى بذئ القرنين بعد بلوغه مطالع قرن الشمس بالإنس والجنان

(١) الرَّجل: الجراد، والمجير هو مدلج بن سويد الطائي، وانظر المثل: «أحمي من مجير الجراد» في: «مجمع الأمثال» للميداني.

وَصَرْتُ غَدٍ لَا بُدَّ بِالْحَتَمِ يَلْقَانِي

أنا بين يومينا فأَمْسِرُ الذي مضى
وقال أيضًا:

أودعه - حين ودَّع - الحَبْرَا
أو سمعتُ أذُنَه له خبرًا
وَأَيْنَ رَبِّ السَّديْرِ إِذْ قَدَّرَا
شَمَّرَ عن راحتيه وابْتَكِرَا
وَحَانَ رَبِّبَ الزَّمانِ فَادْكِرَا
رَدَّ بِأسبابِ علمه القَدَّرَا
فَقَبِلَ ما كُنْتُ أَخْصِفُ القَمَرَا
وَنَسِوْهُ كُنَّ قَبْلُهَا دَرَّرَا
وَقَامَرْتَنِي خَطْوُيْهُ قَمَرَا
إِنْ يَنَّا عَنِّي فَقَدْ ثَوَى عُصْرَا
لَمَّا قَضَى مِنْ جِماعِنَا الوَطَرَا
أَمْسَكَ رَأْسَ البَعيرِ إِنْ نَفَرَا
وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّياحِ والمَطَرَا
أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعالِجُ الكِبَرَا
أَدْرِكُ عَقْلِي ومولدي حُجْرَا
هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرَا

قل للذي راح عن أخيه وقد
هل أبصرت عينه له أثرًا
أين همام الجَدِيلِ إِذْ أَمْرَا^(١)
أين بنو هُودِ النَّبِيِّ وَمَنْ
والصَّعْبُ لَمَّا عَنَتِ أرومَتُهُ
لم يدفع الموت بالجنود ولا
لا تعجبي يا أُمَيِّمٍ من صفتي
صبوا بهند وزينب أُمَمًا
لَمَّا رَمَانِي الزَّمانِ مِنْ عُرْضِ
أصبح عني الشباب قد حَسِرَا
ودَعَّنا قَبْلَ أَنْ نودَّعَهُ
أصبحتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ ولا
والذئب أخشاه إِنْ مَرَرْتُ بِهِ
من بعد ما قوَّةُ أُسْرُ بِهَا
ها أنا ذَا آمَلُ الخُلودَ وقد
أبا امرئ القيس هل سمعتَ به
وقال أيضًا:

ألقى عذابًا للزمان ألبما

طال الثواء على السنين أميما

(١) همام: هو النعمان بن المنذر، والجديل فحل له.

أنسيت أم لم تنس أم عاهدته فوجدته بعد السفاه حليما
لا بد أن ألقى المنون- وإن نأت عتي الخطوب- وصرفه المحتوما
هلا ذكرت له العرنجج حميرا ملك الملوك على القلب مقيما
والصعب ذو القرنين عمر ملكه ألفين- أمسى بعد ذاك رميما
أمن الأمور أخو الدهور فهل أرى ذا مرة من قبله معصوما
طال الزمان وطال في عيشه ما زال من قلبي الزمان قديما
الوى بشمر والمقعقع بعده^(١) وأباد سعدا بعده وتميما

ولما جعل بنو عبس وذبيان أمرهم إلى حكم الربيع بن ضبع، قام الربيع بعكاظ بين عبس وذبيان خطيبا فقال:

أيها الناس، أصاب الإياس، وأخطأنا القياس، وبين الحق والباطل التباس.
أيها الناس، من عبّر عبّر، وكل عثار جبار، وكل فائت مظلوم. يا بني ذبيان،
الخير والشر على اللسان، والنجاة في البيان، يا بني ذبيان، داروا الحروب فإنها
تذل، يا بني ذبيان، طلب الثأر ضالة الأشرار، ومن إلف الأعمار، وهلاك
الأخيار، أخوكم عبس، وعدوكم أمس، فطلاب أمس الذاهب هلاك عند
المقبل، هلا سألتم عن الأحقاد طسما وجديسا؟ اعلموا أن كل ذاكر لناس،
وكل مقيم لظاعن، وكل ثابت زائل، وبين الأموات موت الأحياء، والسرعة إلى
الآجل زهاب العاجل، والذل غنيمة الظالم.

وقال:

على خرّج يا عبس أضحي أخوكم وبّت على أمر بغير جناح

(١) المقعقع: هو السكسك بن وائل بن حمير، وإن أراد الشاعر بشمر: شمر يرعش، فالصواب أن يكون البيت «المقعقع قبله»؛ لأن شمر يرعش بعد المقعقع بزمان كثير.

عقاب حروب الأقربين وإنه
أخاك أخاك! إن من لا أخا له
وإن ابن عم المرء - فاعلم - جناحه
لنا عِظَةً في الداهيين وعِبرة
الم تعلموا ما حاول الصعب مُدَّة
فهل بعد ذي القرنين مَلِكٌ مخلد
تَريش له الأطيارُ عند غُدُوهِ
فاصطلحوا على حكمه .



لغة العرب وعلومها

قال العلامة فريتاغ الألماني في مقدمة معجمه الكبير في اللاتينية والعربية:
(ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسبُ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها
لا يكاد يأتي عليهم العدّ: وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجاياء والأخلاق
أقام بيننا - نحن الغرباء عن العربية - وبين ما ألفوه فيها حجابًا لا نتبين ما وراءه
إلا بصعوبة).



(١) هذا البيت والذي يتلوه عزاها البحراني في حماسته إلى قيس بن عاصم المنقري، ويرويان
لمسكين الدارمي أيضًا .

حضارة العرب في كتب الأقدمين

* قال سترابون strabon الرحالة اليوناني القديم الذي كان موجودًا في زمن الميلاد المسيحي: إن الذهب لا يُعَدَّن في بلاد العجم لكن في بلاد العرب.

* انجلت الأبحاث الأثرية التي قام بها القومندر كروفورد على مسافة ٤٠٠ ميل شرقي (عدن) عن إثبات أن هناك مدينة أوفير، التي جاء في سفر الملوك الثالث في «التوراة»، أن سليمان ﷺ جلب منها في سنة واحدة ستمائة وستة وستين قنطارًا من الذهب، ويقول كروفورد: إذا أمكن دراسة تلك المنطقة دراسة وافية فالمظنون أن تكون فيها معادن ذهب تفوق ما في بلاد الترنسفال.



الأهرام

ما أنت يا أهرام، أشواقي أجرام، أم شواهد إجرام؟
وأوضح معالم، أم أشباح مظالم؟
وجلائل أبنية وآثار، أم دلائل أنانية واستثثار؟
وتمثال منصب من الجبرية، أم مثال ضاح من العبقرية^(١)؟
ياكليل البصر، عن مواضع العبر. وقليل البصر، بمواقع الآيات الكبر!

(١) الجبرية: الجبروت. الضاحي هنا بمعنى: البارز.

قف ناج الحجارة الدوارس، وتعلم فإن الآثار مدارس، هذه الحجارة جحورٌ
لعب عليها الأول، وهذه الصُّفَّاح صفائح ممالك ودول^(١) وذلك الرُّكام من
الرمال، غُبار أحداج وأحمال^(٢)، من كل ركب ألم ثم مال.

في هذا الحرم درج عيسى صيبا ومن هذا الهرم خرج موسى نيبا
وفي هذه الهالة طلع يوسف كالقمر وضيا، ووقعت بين يديه الكواكب جِثِّيا
وهنا جلال الخلق وثبوت، ونفاد العقل وجبروته، ومطالع الفن وبيوته.
وهنا تعلم أن حسن الثناء، مرهون بإحسان البناء.

أحمد شوقي



الهرمان وحقائق الحياة

قال أبو الطيب:

تصفو الحياة لجاهل أو غافل	عما مضى منها وما يُتوقَّع
ولمن يُغالط في الحقائق نفسه	ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بُنيانه،	ما قومه، ما يومه، ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها	حيناً ويُدرکہا الفناء فتتبع



(١) الصُّفَّاح: الحجارة العريضة، والصفائح: حجارة رفاق تُسقف بها القبور.
(٢) الأحداج: جمع حدج، وهو الجمل، أو مركب من مراكب النساء.

من أوهام عصرنا

قال العلامة غوستاف لوبون في مقال له بعنوان «تطور العالم بعد الحرب»: (من أوهام عصرنا السياسة حسابان أن في وسع الشعب أن يَسلم من التأثيرات الموروثة عن الأجداد التي ترجع إليها طبيعته. وقد كان من ضحايا هذا الوهم رجال الثورة الفرنسية، حتى أرادوا إقامة عهد جديد يدل على انقطاعهم التام عن الماضي، ويعدّ من ضحاياه اليوم رجالات الأحزاب السياسية المتطرفة، الذين تصوّروا أن في الإمكان تبديل الجمعيات بقوة القرارات، وقد نسوا أن الإنسان لن يخرج أبدًا عن ذاته. وأنه باعتباره ابن ماضيه يضيف شيئًا قليلًا إلى الميراث الذي يحمله عند ميلاده، وربما عرضت عليه في وقت ما تدبيرات سياسية مختلفة، ألا إنها لا تدوم إلا بشرط أن تكون ذات علاقة بما يرثه عن أجداده من مادة عقلية تحرك إرادته، وترجع النظم الجديدة في الظاهر إلى النظم الماضية غالبًا كما يرجع النبات إلى الحبة).

ولذلك يُعد تاريخ الشعوب الثابت بطبيعة حياتهم السابقة عبارة عن استمرار طويل المدى، برغم التقلبات الظاهرة التي يمتلئ بها ذلك التاريخ أحيانًا.



قيادة الأمة

قال المستر فورد: (أشدُّ فقرٍ يمكن أن يلحق بالأمة هو الفقر بالرجال، فالأمم تستطيع أن تعالج الفقر في جميع الأمور الأخرى، أما إذا أصيبت بقحط في الرجال الذين يقودون الأمة فذلك من أدهى المصائب).

إن نقصان الرويّة والحكمة والجرأة الأدبية يؤدي إلى الموت، وهذا ما يفسر مخاوف كثيرين في هذه البلاد (أمريكا)، من عدم توافر مزايا القيادة في الرجال. وأصحاب هذه المخاوف يشعرون بالخطر العظيم الذي يتولد عن إفلاس البلاد من الرجال؛ غير أن مخاوفهم في غير محلها: فالفقادة موجودون، ولكن جهودهم منصرفة إلى وجهاتٍ أخرى، فقد كانت الشئون المالية والسياسية تشغلهم من قبل، أما اليوم فأيديهم وعقولهم منهمكة في الصناعة والتجارة والزراعة. فالذين يقولون إن الأمة الأمريكية بلا قيادة، يبحثون عن القيادة في غير مظانها).



تصريح مستشرق فرنسي

قالت مجلة الاستقلال الأرجنتينية:

صرح المستشرق الفرنسي المشهور ميسو (لويس مسينيون) لأحد علماء الفرنسيين في باريس خلال مقابلة سمح بها لأحد الصحفيين بما يلي:

(لقد جرّدنا الشرقيين باسم مدّنتنا وصاروا يعرفون الآن ما نقصده بكلمة (تمدن) التي سئموها. إن الغربيين فعلوا معهم كما يفعل النواب مع ناخبيهم؛ وصار نغم قيثارتنا (الحرية) غير موزون.

منذ خمس وعشرين سنة وأنا محتك بالشرقيين، فلم أر منهم نفورًا من الغربيين نظير اليوم، إذ قد سئموا مخادعتنا ورياءنا، وصاروا يرغبون أن نقول لهم بكل صراحة إننا بأشد حاجة إلى موادكم الأولية لمعاملتنا، وهذا اعتراف لم نصرح لهم به قط، وصار الآن من العبث الجهر به، إذ قد تصرم الوقت عليه.

لم نبحت في الشرق إلا عن منفعتنا، فنشتري منهم بضائعهم بأرخص الأثمان، ونبيعها لهم مرة ثانية بأغلاها.

إن هذه المعاملة التي نعاملهم بها غير جائزة، وقد لاحظت أن الشرقيين هم أكثر تحفظًا معنا من قبل.

لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم: فدمرنا فلسفاتهم، ولغاتهم، وأديانهم. والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدوا بكرم أخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب أن نبقىهم ضعفاء).



تزوير بديع الزمان الهمذاني بيتين على أبي فراس

حكى أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني قال:

قال الصاحب أبو القاسم بن عباد يومًا لجلسائه وأنا فيهم -وقد جرى ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان-:

لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعرًا.

فقلت: من يقدر على ذلك وهو الذي يقول:

رويدك لا تصل يدها بباعك ولا تعز السباع إلى رباعك

ولا تغر العدو عليّ إنني يمينٌ إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب: صدقت.

فقلت: أيد الله مولانا، فقد فعلت، ولعمري إنه قد أحسن، ولكن لم يشق

غبار أبي فراس. وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها:

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تم به السرور

هذه الأبيات [من الرجز]:

أروُّحُ القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل
أَمْزَحُ فِيهِ مَزْحُ أَهْلِ الْفَضْلِ والمزح أحياناً جلاء العقل



في سبيل اللغة لبناني يحيي المجمع العلمي العربي بدمشق

لعينيك يا ذات العلاء فما ليا
لعينيك يا روح المعاني ومصدر
لعينيك يا أم اللغات حُشاشتي
لئن كانت الأيام مَرَّقَتِ الحمى
وقطعت اللسنُ الغريبة نطقهم
فليس ليثني ذلك الخطبُ همنا
نحنُ إليك اليوم كالأمس حرقه
وما كان هذا الشرق لو أن من سطا
ولكنَّ أم الضاد زعزع ركنها
ولولا رجالٌ في دمشق عرفتهم
حموا لغة الأعراب من كل لكنة
لما كان لي في منبر الشام موقف
ولا عجب في ذاك، فالشام كعبة
إذا نهضت صانت لسانَ جدودها
سواك حبيباً أفتديه بماليا
البيان ونور المنطق المتلاليا
وقوة إدراكي وقومي وما ليا
وأصبح أهلك الكرام أفاصيا
وأوصالهم واندك ما كان عاليا
وليس ليوهي عزمنا والأمانيا
ونرجو غداً ذاك اللقاء المفاجيا
علينا تولى الأمر واكتن راضيا
وقد فقدت باللحن تلك المعانيا
أكارم لا يأتون إلا المعاليا
وشادوا بها دور الهدى والمغانيا
قطعت إليه هضبتها والفيافيا
يحج إليها الصادق الحر هانيا
وجلت عن الأوطان تلك الدواها

وإن فشلت تهوي وتجتاح عجمها حماها وتخبي نورها والدراريا
رعى الله أهل العزم في كل أمة فما تركو في الناس إلّا الأباديا



سلام عليكم كالأزاهر نشره بطيب منكم منطقي والقوافيا
وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

إبراهيم منذر/ عضو المجمع العلمي العربي



خطبة عمرية

قال طلحة بن معدان: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: (أيها الناس، إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يُطاع في معصية الله، وإنني لا أجد هذا المال يُصلحه إلا خلال ثلاث:

أن يؤخذ بالحق، ويعطى في الحق، ويمنع من الباطل.

ولنما أنا ومالككم كولّي اليتيم: إن استغنيث استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، ولست أدع أحداً يظلم أحداً، ولا يعتدي عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يدعن للحق، ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها: لكم عليّ أن لا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله وأسد ثغوركم، ولكم عليّ أن لا ألقىكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم، وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء، قليل الفقهاء كثير

الأمل، يعمل فيه أقوام للآخرة، يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب، ألا كل من أدرك ذلك منكم فليقلق الله ربه وليصبر، يا أيها الناس: إن الله عظم حقه فوق حق خلقه، فقال فيما عظم من حقه: «ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون» ألا وإنني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم، فأدروا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلّوهم، ولا تحمّدوهم فتفتنّوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فياكل قلوبهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهم الكفار طاعتهم، فإذا رأيتم بها كلاله فكفوا عن ذلك، فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم، أيها الناس: إنني أشهدكم على أمراء الأمصار أنني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيهم، ويحكموا بينهم، فان أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ).



الخمير

قيل لعدي بن حاتم الطائي:

مالك لا تشرب الخمر؟

قال: لا أشرب ما يشرب عقلي



وسئل مثل هذا السؤال مرة أخرى، فقال:

معاذ الله أصبح حكيم قومي وأمسي سفيههم!



قال المستر منشلي الذي كان مستشارًا للداخلية في مصر:

من أعظم عيوب نظام الامتيازات الأجنبية أننا نسعى

جهدنا في منع بيع المسكر بالتجزئة، ولكننا لا نستطيع منع عمله وبيعه
براميل، وعدم وجود قانون لمراقبة حوانيت البقالين يُمكن أصحابها من بيع
الخمِر زجاجات.



بيت النور

ترحيب (بنادي جمعية الشبان المسلمين) بالقاهرة

روضوا النفوس فَمِنْ أهوائها الدَّاءُ	ورُبَّ داءٍ نوالَت منه أدواءُ
رُوضُوا شَبَابًا على لَهْوٍ وفي كَسَلٍ	يقسو عليه الهَوَى والجَهْلُ والدَّاءُ
وتَوَرَّوا مِنْ هُدَى (النَّادِي) مَشَاعِرَهُمْ	فَخَلَفَ أضوائِهِ للنَّشْرِ أضواءُ
بَيْتٌ يَلَادُ به عِلْمًا، وترضِيَةٌ	للصفو، وهو بصفافي الحُبِّ وَضَاءُ
حيثُ الإِخاءُ عَزِيزٌ في جوانِبِهِ	حَيٌّ، وحيثُ حَيَاةُ التُّبَلِّ عَرَاءُ
يُبْتُ فيه من الآدابِ أَرْفَعُها	وَمِنْ معارفِ هذا العَصْرِ أضْدَاءُ
فما يفوت الصَّدَى نَفْسًا بلا هِيَةٍ	ويزْدَهِي بَعْلَى الآدابِ أبناءُ
ونَمَحِي فيه أحقادًا، ويخلفُها	بِرٌّ وصدقٌ وإخلاصٌ وإغضاءُ
ويَبْتَنِي مِنْ حضاراتٍ مُنَوَّعَةٍ	ذُخْرَ البنينِ وذُخْرَ الدِّينِ آبَاءُ



قد طال عَهْدُ التَّراخي، يالَهُ زَمَنًا	ضاعَتْ به هِمَمٌ شَتَّى وآراءُ
حيثُ التفرُّقُ أنواعٌ مُجَدَّدَةٌ	وللظُّهورِ حَزازاتٌ وإغراءُ

والمسلمون حَيَارَى فِي وَسَاوِسِهِمْ
وَالْقَائِدُ الْقَدْ مَغْمُورٌ، وَغَايَتُهُ
وَلَيْسَ لِلَّذِينَ مَعْنَى غَيْرُ سَفْسَاطَةٍ
عَادُوا بِهِ الْفَنِّ وَالْعِرْفَانَ فِي زَمَنِ
فَهَانَ دِينٌ وَعِلْمٌ بَيْنَنَا، وَمَضَتْ
وَكَادَ يُقْضَى عَلَى اخْلَاقِنَا، وَغَدَا
فَحِيرَتُنَا مَقَابِيْسُ لِحِكْمَتِهِمْ
وَكَادَ يُيَسِّنَا مِنْ حَالِنَا عَجَبٌ
حَتَّى تَجَلَّى شُعَاعُ الصُّبْحِ مُوتَلَقًا



إِذَا شَكَرْتُ فَشُكْرِي سَابِقٌ لَفْتَى
أَبَى ظُهُورًا وَخَلَّى جُهْدَهُ عَلَمًا
وَلَوْ تَدَبَّرَ لَمْ يَخْجُبْ مُحَامِدُهُ
مَنْ قَادَ لَمْ يَغْنُ عَنْ صِيَتٍ يُخَصُّ بِهِ
شَتَانَ بَيْنَ الَّذِي يَحْيَا لَشَهْرَتِهِ
وَبَيْنَ تَاخِلِهَا جَسْرًا لَغَايَتِهِ
أَعْلَنْتُ دِينَكَ إِصْلَاحًا وَمُحَمَّدَةً
وَكَانَ بُرْءًا جَمِيلًا مِنْ تَسَامُحِهِ
وَصَنَنْتُ اخْلَاقَ شُبَّانٍ نَصُونُ لَهُمْ
لَمْ يُنْكِرُوا فَضْلَ مَا ضَمُّهُمْ وَلَا جَحَدُوا

الْمَدْحُ فِيهِ- وَإِنْ حَقَّقْتُ- إِذَاءُ!
فَلَيْسَ تُرْضِيهِ الْقَابُ وَأَسْمَاءُ
فَلِإِنَّهَا هِبَةٌ لِلْخَلْقِ زَهْرَاءُ
فَالصَّبِيْتُ لِلْجُهْدِ إِسْعَافٌ وَإِحْيَاءُ
وَحَظُهُ الْعُمَرُ تَغْرِيرٌ وَإِعْوَاءُ
فِي النِّفْعِ لِلنَّاسِ حَيْثُ الذِّكْرُ مَشَاءُ
فَكَانَ مِنْ حَقِّهِ طُغُوعٌ وَإِضْغَاءُ
وَمَا كَلِإِحْيَاةِ لِلشُّغْبِ إِحْيَاءُ
حُبًّا، فَهَمَّ لِرَجَاءِ الْمَجْدِ أَكْفَاءُ
تُرَاثُهُ، فَهُوَ لِلتَّارِيخِ أَنْبَاءُ

(١) الإسلام إنما يُعَادِي الْفَنَّ الْقَائِمَ عَلَى الْمَحْرَمَاتِ. (س).

ولا اكتفوا بالسَّنة الماضي ولا قَبَعُوا فكلُّهم هِمَّةٌ للفتحِ شَمَاءَ
مَنْ نَامَ ماتَ، وَمَنْ أَيَّامُهُ عَمَلٌ حَيٌّ، وهل يَسْتَوِي مَوْتِي وأحياءُ

أبو شادي



كيف أسلما؟

حدَّثنا الأستاذ محمود بك سالم في حلقة صغيرة من حلقات جمعية الشبان المسلمين قال:

كنت أسمع وأنا نزيل فرنسا بطبيب عظيم له شهرة واسعة بين بني قومه في حبِّ الخير ونشر الفضيلة، هذا الطبيب هو الدكتور غرينيه الذي كان في بعض أيام حياته عضواً في مجلس النواب الفرنسي، فرأى الأمور التي تجري في ذلك المجلس غير ملائمة لكثير من مبادئه الإنسانية، فانسحب من ذلك الكرسي، على كثرة المتزاحمين لنيله، وآثر الإقامة في بلدة صغيرة هادئة من بلاد فرنسا، يداوي فيها أمراض الناس الجسمية والروحية.

والدكتور غرينيه هذا هو أخ لنا في الإسلام، وقد اعتنق الهداية المحمدية عن اقتناع، ودخل فيها على يئنة.

أردت أن أعرف هذا الرجل الفاضل، وأن أسمع من لسانه سبب خروجه من النصرانية ودخوله في الإسلام، فتوجهت إلى البلدة التي انزوى فيها مبتعداً عن ضجيج الحضارة وموبقات باريس، فلما دخلتها جعلتُ أسأل عن الدكتور غرينيه، فكان كل من سألته عنه يجيبني بلهفة وابتهاج، فعلمت من ذلك أن جميع أهل ذلك البلد مغمورين بفضل الرجل، وليس منهم أحد إلا وقد سبق له منه

شيء من الخير، فهو يطيب الفقراء وأشبه الفقراء بلا مقابل، ويعطيهم العلاج من عنده، وإذا جاء معهم أطفال يُفرح قلوبهم بما يمنحهم من الملابس والحلويات وغيرها. وهو لجميعهم بمقام الوالد بمشورته ونصائحه وإرشاداته.

ولما اجتمعْتُ بالدكتور غرينيه في منزله عرّفته بنفسي، وذكرت له سبب زيارتي، فرحّب بي كثيرًا، ولقيت منه فوق ما كنتُ أتوقّع، وسألته عن سبب إسلامه فقال:

لقد كنت في أيام شبابي طبيبًا بحريًا أ لازم السفن، وأعيش فيها بين السماء والماء، واطلعت مرة على نسخة من القرآن مترجمة إلى الفرنسية بقلم المسيو سافاري، فقرأت فيها ترجمة آية من سورة النور تتضمن صفة الجاحد وتخبطه في جحوده كما يتخبط الغريق بين ظلمات الأمواج في يوم شاتٍ كثير السحاب، وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدِّ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَّنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَلَمْ يَنُورِ﴾.

وكنت لما قرأت هذه الآية لم أشرّف بعدُ بهداية الإسلام، ولا أعلم شيئًا عن المرشد الأعظم ﷺ، فحُيِّلَ إِلَيَّ أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ رجل عاش في البحار طول أيام حياته، ومع ذلك كنت أعجب كيف يتسنى لرجل أن يصف تخبط الضالين بمثل هذا الوصف الموجز الذي جمع بكلمات قلائل أهوال البحار وحالتها الطبيعية، حتّى يكاد الإنسان يشهد الحقيقة بحواسّه كلها بأسلوب لا يستطيعه أبلغ ممارس لأهوال البحار، فلما علمت بعد ذلك أن محمدًا ﷺ لم يركب البحر قط، وأنه فوق ذلك كان أميًا، رجعت إلى القرآن فأطلت النظر في سورة النور، وفي سائر آيات هذا الكتاب الحكيم، فأيقنت أنه ليس من كلام البشر، وإنما هو من وحي الله، فأسلمت، ولا أزال مغتبطًا بإسلامي الذي أراه دين الفطرة المعقول البعيد عن كل ما في الديانات الأخرى من بقايا الوثنية.

هذه قصة لم يسبق نشرها قط، وأمّا القصة الثانية فهي قصة أخينا عبد الله براون الانكليزي.

هذا الرجل زار الهند، ولم يكن له بها سابق علم، وبينما كان يطوف بين قراها يشاهد ويلاحظ أدركه العطش، فمال إلى مجلس فلاح هندي معه إناء ماء، فسأله أن يسقيه: فلما رأى الفلاح الهندي أن رجلاً من الانكليز-أصحاب السلطة والقوة- يريد أن يشرب قدّم له الإناء فشرب، وبعد أن ابتعد المستر براون غير قليل سمع الرجل الهندي يلقي بالإناء على الأرض يحطمه.

ثم أدركه العطش في يوم آخر فسأل أحد القرويين الهنود أن يسقيه فسقاه، ولكن هذا القروي لم يكسر الإناء هذه المرة، فسأل مستر براون دليله: لماذا كسر الرجل الأول إناءه ولم يفعل الرجل الثاني مثل ذلك؟ فقال له الدليل: إن الرجل الأول من الوثنيين، وأمّا الثاني فإنه مسلم، قال: فانتبهت من تلك الساعة إلى ضرورة أن أعرف ما هو الإسلام، فقرأت ترجمة القرآن التي نقلها إلى الانكليزية مستر (سيل)، ثم درست حياة محمد ﷺ من كتب رجال تحريث أن يكونوا من غير ذوي الأغراض الخسيسة؛ كالمبشرين الذين يحسبون لحماقتهم أنهم يخدمون المسيح بما يكذبون على محمد ﷺ، مع أن محمداً ﷺ وجميع المسلمين أحسن اعتقاداً منهم بالمسيح وأمه، وتكريماً لهما.

إن الذي أدخل عبد الله براون في الهداية الإسلامية حسنة واحدة في سيرة فلاح مسلم من أهل الهند، ولو كان المسلمون يسيرون سيرة منطبقة على مكارم الأخلاق المحمدية؛ لكان ذلك أقوى دعاية إلى الإسلام، ولا يلبث الأوروبيون أن يدخلوا حينئذ في دين الله أفواجا، فالمسلمون بالسيرة التي يختارونها لأنفسهم يكونون حجة للإسلام إذا أحسنوا، وحجة على الإسلام إذا أساءوا،

وإن غير المسلمين يقرأون الإسلام في أعمال المسلمين الظاهرة أكثر مما يقرأونه في أقوال علمائهم المخبوءة في الكتب.

محب الدين الخطيب



حيرة (١)

لَا مُمْ لَا اسْتَطِيعَ حَمَلَ الْأَسَى	فَحَقَفِ الْأَلَامَ عَنْ مُهَجَّتِي
ضَاقَتْ بِيَ الدُّنْيَا عَلَى رَحْبِهَا	وَزَادَ هَذَا الْبُؤْسُ فِي شِفْوَتِي
أَيَّانَ أَسْلُكُ فِي الدُّنْيَى وَجْهَةً	تَنْسُدُ سُبُلَ الْعَيْشِ فِي وَجْهَتِي
يَا رَبِّ قَسَمْتُ حُظُوظَ الْوَرَى	فَكَانَ كُلُّ الشَّجْوِ مِنْ حِصَّتِي
فَلَزْتُ هَذَا الشَّغَرَ لِي حِرْفَةً	فَسَبَّيْتُ طَوْلَ الْأَسَى حِرْفَتِي
لَوْ لَمْ أَكُنْ بَيْنَ الْوَرَى شَاعِرًا	لَمَا عَرَفْتُ الْبُؤْسَ فِي عَيْشَتِي



يَا رَبِّ هَبْ لِي عَبْرَةً ثَرَةً	عَلِّي بِهَا أَطْفِئُ مِنْ لَوْعَتِي
وَيَا سَكُونَ الْقَبْرِ قُلْ لِي أَمَا	أَسْلَمُ فِي طَيْكَ مِنْ حَيْرَتِي؟

دمشق / أنور العطار



(١) هذه القصيدة جميلة السبك، إلا أنها مليئة بالتذمر والتسخط من قدر الله، وهذا لا يجوز شرعاً، ولا يُفيد واقعاً. والمسلم مُطالب بأن يرضى قدر الله، ويفعل الأسباب المباحة في تغيير واقعه الدنيوي إلى الأفضل. (س).

كفروا تقليداً

قال أبو محمد عبد الحق الأشيلي :

لا يخدعتك عن دين الهدى نَفَرٌ لم يُرزقوا في التماس الحق تأييدا
عمي القلوب عروا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا



الملك الأسباني

أردون بن أذفونش بين يدي الخليفة المستنصر

أهدى إلينا هذه الصورة البديعة صديقُ الزهراء في تطوان (المغرب): الفاضل الغيور السيد محمد بن العربي بُتُونَه، وهي تمثل الملك الأسباني أردون بن أذفونش ماثلاً بين يدي أمير المؤمنين الخليفة المستنصر الأمويّ في أوائل سنة ٣٥١ هـ، وهي السنة الثانية لخلافته، وكان مثوله بين يدي الخليفة في المجلس الشرقي من قصر الزهراء باحتفال عظيم أتيناً على وصفه في سنة الزهراء الأولى (ص ٢٩٩-٣٠٢).

ومن لطيف عادات ملوك الإسلام في الأندلس أنهم كانوا في مثل هذه الظروف يتخذون جميع الوسائل لمؤانسة ضيوفهم الأسبانيين، ومن ذلك أن الخليفة الحكيم المستنصر أمر جماعة من أعيان نصارى مملكته بأن يصحبوا الملك الأسباني مدة وجوده في ديار الإسلام؛ ليؤنسوه ويبصّروه بعادات البلاد وتقاليد دولتها، وكان في جملة من كان في ركاب الملك الأسباني من نصارى

الأندلس: الوليد بن حيزون قاضي النصارى بقرطبة، وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما.

وقد حفظ لنا التاريخ -في خلال وصف زيارة هذا الملك للأندلس- صورة مصغرة من أوضاع الجيش العربي الأندلسي في القرن الرابع الهجري، كما حفظ لنا صفة قصر الزهراء وبعض أقسامه، مما أتينا على ذكره في سنة الزهراء الأولى.

أما الخطبتان اللتان تبادلتهما ملك الأسبان وأمير المؤمنين المستنصر، فهذا نصهما على ما رواهما المقرئ في «نفح الطيب»:

□ خطبة ملك أسبانيا □

(أنا عبدُ أمير المؤمنين مولاي، المتوركُ على فضله، القاصدُ إلى مجده، المحكَّم في نفسه ورجاله؛ فحيث وضعني من فضله، وعوضني من خدمته، رجوت أن أتقدَّم فيه بنية صادقة، ونصيحة خالصة).

□ جواب الخليفة المستنصر □

(أنت عندنا بمحل من يستحقُّ حُسْنَ رأينا، وسينالك من تقديمنا لك، وتفضيلنا إياك على أهل ملَّتكَ، ما يغبطك وتعرِّف به فضلَ جنوحك إلينا، واستظلالك بظلِّ سلطاننا).

ومن أراد أن يستقصي خبر زيارة هذا الملك الأسباني ديارَ الدولة الأموية الأندلسية، وصفة الموكب الذي أقيم له يوم مثوله بين يدي الخليفة، فليرجع إلى رسالة «قصر الزهراء».



حقوق الطفل

نشرت «الجمعية الأممية لإسعاف الطفل» المنشور الآتي مترجمًا بثمان وثلاثين لغة، منها اللغة العربية:

١- ينبغي أن يُجعل الطفل في حالة تؤهله لأن ينمو نموًا طبيعيًا ماديًا ومعنويًا.
٢- ينبغي أن يُغذَّى الطفل الجائع، وأن يُعالج الطفل المريض، وأن يُشجَّع الطفل الخامل، وأن يُرَدَّ إلى الصواب كل طفل يحد عنه، وأن يؤخذ بيد الطفل اليتيم والطفل المهمل.

٣- يجب أن يكون الطفل أول من يُعاوَن في الشدائد.

٤- يجب أن يُربى الطفل تربية تؤهله لكسب حياته، ويجب أن يُصان الطفل عن أن يكون أداة استغلال لغيره.

٥- يجب أن يُربى الطفل على أن يقف أحمدًا خصاله لمعاونة إخوته.



إلى الله

يا ربَّ مَنْ غيرُكَ عونُ الحزين	في شدة الشكوى ومُرَّ الأنين
القلبُ قد أضناه عبءُ الأسى	فخفقهُ يحثه للسكون
والعين قد قرَّحها دمعها	والفم تدنو منه كأس المنون
ما أفدَحَ اللوعة في يافعٍ	مستعبر ليس له من يعين
لا ينتهي الإنسان من بؤسه	إن صرعه مؤلمات الشجون

يأليت كل الخطب في دهمة تمضي به والليل خابي العيون
يا عندليب الروض هل صدحة يشفى بها وقع الجوى أو يهون
يا ليتنى مثلك في فرحة ترى لى الألحان بين الفصون

زكي المحاسني



السحابة الباكية

يادارُ قد غيرها بلاها كأنما بقلم محاما
أخرَبها عُمرانُ من بناها وكرُّ مُسامها على مَغنَاها
وظفقتُ سحابةً تغشاهما تبكي على عِراصها عيناها

شاعر قديم



نقد كتاب مزور

لما رجع أحمد بن علي الخطيب البغدادي إلى بغداد، تقرب من رئيس
الرؤساء أبي القاسم بن مسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله .

واتفق أن بعض اليهود أظهر كتاباً وادّعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط
الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وأنه بخط علي بن
أبي طالب (عليه السلام)، فعرضه رئيس الرؤساء علي أبي بكر أحمد بن علي الخطيب فقال :

هذا مزور!

فقل له : من أين لك ذلك؟

قال : في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية أسلم يوم الفتح ، وخيبر كانت في سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وكان قد مات يوم الخندق في سنة خمس ، فاستحسن ذلك منه .



الحكومة الإسلامية

كتب القاضي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة يخاطب أمير المؤمنين هارون الرشيد :

ينبغي يا أمير المؤمنين -أيذك الله- أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتفقد لهم ، حتى لا يُظلموا ولا يؤذوا ولا يُكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقتهم فأنا حجيجهم»^(١) ، وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاته : «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يُكلفوا فوق طاقتهم» .



مرّ سعيد بن زيد على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء؟ فقل له : أقيموا في الشمس في الجزية ، قال : فكره ذلك ،

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) ، وصححه الألباني .

ودخل على أميرهم وقال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من عذب الناس عذبه الله»^(١).



ولّى النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن أرقم على جزية أهل الذمة، فلمّا وليّ من عنده ناداه فقال: «ألا من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه، فأنا حجيجُه يوم القيامة»^(٢).



مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخٌ كبيرٌ ضريب البصر، فضرب عضده من خلفه وقال:

من أي أهل الكتاب أنت؟

قال: يهودي،

قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟

قال: أسأل الجزية والحاجة والسن.

قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل^(٣)، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه، إن أكلنا شبيبته، ثم نخذه عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه.



(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣٦٨) بلفظ: «من عَذَّب الناس في الدنيا عذبه الله...»، وصحح إسناده الأرئوط.

(٢) السلسلة الصحيحة؛ للألباني (٤٤٥).

(٣) رضخ له رضخًا: أعطاه شيئًا من المال.

حياة الأديب^(١)

يا بُوسَ مَنْ يَخْبِئُ عَلَى طَرْسِهِ وَيَسْتَمِدُّ الْقُوتَ مِنْ نَفْسِهِ
هَلْ جَاءَهُ أَنَّ الَّذِي فَاضَ مِنْ يَرَاعِهِ قَدْ غَاضَ مِنْ نَفْسِهِ



يَبِيتُ حَرَّانَ أَخَا لَوْعَةٍ تَزِيدُهُ يَأْسًا عَلَى يَأْسِهِ
أَيَّامُهُ سَوْدٌ تَحَاكِي الدَّجَى لَا فَرْقَ بَيْنَ الْغَدِ أَوْ أَمْسِهِ
يُعَلِّلُ النَّفْسَ بِحُلُوبِ الْمُنَى وَيُحَرِّمُ الْبَانِعَ مِنْ غَرْسِهِ
لِلَّهِ كَمْ يَحْمِلُ عِبَاءَ الْأَسَى وَكَمْ يُزَجِّي الْعَيْشَ فِي بُؤْسِهِ
فَكَلَّمَا امْتَدَّ بِهِ عُمرُهُ ضَاقَتْ بِهِ دُنْيَاهُ مِنْ نَحْسِهِ
هَبْهَاتُ أَنْ يَهْنَأَ بَيْنَ الْوَرَى مَا دَامَ مَفْطُورًا عَلَى حِسِّهِ



لَا يَبْلُغُ الْمَأْمُولُ فِي الْكُؤُنِ مَنْ أَحَاطَ بِالْأَسْرَارِ مِنْ دَرْسِهِ
فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ لَهُ كَاشِرٌ يُخَالُ بِسَآمًا لَدَى عَبْسِهِ
يَبْخُسُهُ آمَالُهُ نَاقِمًا وَالشُّؤْمُ كُلُّ الشُّؤْمِ فِي بَخْسِهِ
وَدَهَرْنَا قَاسٍ عَلَى حُرِّهِ وَهُوَ أَخُو عَظْفٍ عَلَى جَبْسِهِ



بِاجَائِيَا يَبْكِي عَلَى قَبْرِهِ لَا تَبْكُ مَنْ عَادَ إِلَى أُنْسِهِ
وَاحْذَرْ إِذَا أَقْلَقْتَ مَثْوَاهُ أَنْ يَسْقِيَكَ الْمِقْدَارُ مِنْ كَأْسِهِ

(١) هذه القصيدة جميلة السبك، إلا أنها مليئة بالتشاؤم، والتسخط من قدر الله، وهذا لا يجوز شرعاً، ولا يُفيد واقعاً. والمسلم مُطالب بأن يرضى قدر الله، ويفعل الأسباب المباحة في تغيير واقعه الدنيوي إلى الأفضل. (س).

أحلامُهُ مُثْرَعَةٌ لَذَّةٌ تُعِيدُ مَا كُوِّرَ مِنْ شَمْسِهِ
فَدَعُهُ فِي ضَجَعَتِهِ هَادِئًا يَنْعَمُ بِطَيْبِ النَّوْمِ فِي رَمْسِهِ

أنور العطار



□ قال القس إسحاق تيلر الانكليزي:

إني آسف من أن السكر والقمار انتشرا مع دعوة المبشرين في البلاد الشرقية،
وأنا أختار إسلامًا لا سُكْر فيه على مسيحية فيها سُكْر.



الشعر

الشعر معنى لما تشعر به النفس، فهو من خواطر القلب، إذا أفاض عليه
الحس من نوره انعكس على الخيال، فانطبعت فيه معاني الأشياء كما تنطبع
الصور في المرأة، وهو من بعد كالحلم يخلق في المخيلة-مما يصل إلى الأعين
ويتأدى إلى الأذان-مالا يكون قد وصل ولا تأذى.

وكما يأخذ النظر في مطرحه ما بين الأرض والسماء، يتناول القلب في
م طرحه مافوق سجد الغيب وتحت أطباق الثرى، وإنما الخيال الساحر بين
هذين إنسان بين ملكيه، وجسد بين يديه، ومن سحره أن يضع أذنه على العين
فتسمع، وعينه على الأذن فتري، ولن تجد من شيء إلا وعليه سيمته، وفيه
صفته؛ فأنت تبصر الناس أحياء يضطربون في حاجاتهم، وهو يحشرهم إليك في
يوم الحساب، ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، وبحسبك أن هذه

الأكوآن إنما هي الحقائق، ولكل حقيقة خيال، وهو مملكة الشعراء، فما من ذي خيال منهم إلا وقد خالطت قلبه لذة الملك في ساعة ربما كانت له في اليوم أو الشهر أو العام أو العمر، هي عنده الدنيا وهو ملكها، فإذا رن فيها صوته تحرك الفلك فأسمعه من كل أرض فوجًا، وأرقص به في كل بحر موجًا، وما تزال الأيام تحفظ من تلك الأنفاس في صدرها حتى تبثني له ديوانًا يعرف به الناس، ولولا أنه كَانَ مَلِكًا في تلك الساعات التي نظم فيها ما سمي شعره ديوانًا.

وللشعر أسباب يكون عنها: فإذا هي اجتمعت في واحد فذلك، ولكنك قلّ أن تجد من يسمى شاعرًا بحق، كما قلّ أن ترى من لا يريد أن يكون شاعرًا بالباطل، فمتى كان المرء على رقة في الحسن، وطبع في النفس، وصفاء في الذهن، وانتباه في الخاطر، وبُعد في النظر، وشدة في العارضة وقوة في البديهة، ومثارة في الرواية وحنكة في التجارب، وحكمة تحيط بذلك كله؛ فقد اجتمع له من أداة الشعر ما يكون به شاعرًا، ولا تحسب هذا النوع من الكلام مضغة يلوكها الشيخ الهرم والصبي الأورد، وليس في ماضغي أحدهما ضرر يقطع، بل لا بد لها من شكس الأنياب، حديد المخالب، يطحنها طحنًا.

ولقد كان عمرو بن العلاء -والزمان زمان- لا يعد الشعر إلا للمتقدمين. فحدث الأصمعي قال: جلست إليه عشر حجج ما سمعته يحتج بيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: (ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فمن عندهم، ليس النمط واحد: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسح، وقطعة نعل)، فقد أصبح الزمن وما تطلع شمسه إلا على جديد، والقوم لا يزالون على ما كانوا يتمرغون في تراب الأولين، فإذا لم يصادف شيئًا من ذلك، فأية ما شئت أن تنفضها من كلمة لا تنتفض من يديك إلا ترابًا، وإنما مثل شعر اليوم والشاعر،

مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يُحسن السباحة في لجة، فإذا انقلب عنها لا يرجع إليها حتى تكون لجسمه تابوتًا، ولذلك تراهم يحصرون القول في وجوه، ويجمعونه في نوع منه، إلا ما كان لبعضهم من الندرة الواحدة، والفلته المفردة، ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل، ولا كانت البلاغة شيئًا يُباع ويُشترى، ولكنه الضلال في النشأة، والقصور في أسباب الصنعة، والجهل بالمقاصد وضعف اللغة إلى حد النزع، بحيث لم يبقَ إلا نفسها الذي يتعلق بروحها، غير ما كان في الصدر المتقدم، ممن جعل الشعر وكده، وقصر عليه كده، وليس ذلك وحده، وإنما نفاق السوق-كما عرفت-جلّاب، ولهذا أصبح القوم في أيدي جهابذة الكلام ونقاد الشعر، أحق بقول ابن برد:

ارفق بعمرؤ إذا حرّكت نسبته فإنه عربيٌّ من قوارير
مع أنه فُتح عليهم اليوم بابٌ جديد من الأخذ، فتراهم إذا ضعفوا ترجموا، وإذا ضاقت بهم مذاهب العربية استعجموا، وما أنكر أن منهم من يتطبع على ما يأخذ به نفسه، ولكنهم يخرجون بالشعر عن معناه، وآية ذلك أن لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر، بل تجد عليه من فساد التكلف ومغالبة الطبع، وأثر الاستكراه، وفيه من المعاني المدخولة ما لا تشك معه أنه من مصاغة قائله الأول.

وإنما تنفخ النفس تلك الروح في الكلام إذا استوت فيه الصنعة، فيتمثل بها سويًا، وعندي أن شرط الشاعر الذي ترتفع عنه مظنة السرق، هو أن تكون له قوة الشعر، ودليلها الإبداع والمضي في كل معنى، والانتباه إلى أدق المناسبات، فإن الكلام كالشجرة، منها الجذع ومنها الغصون والأوراق وما فيها من دقيق الخيوط بعضها فوق بعض في الظهور، وإنما براعة الشاعر في الالتفات إلى تلك

الدقائق، فإن من الكلام ما يتفطر للمعاني كما يتفطر الشجر للتوريق، ومن أجل ذلك يسمون أجمل البيان وحياً. والشعراء كالمصاييح، ما على أحدها أن يتألق بنور غيره، ما دام في كل مصباح زيت، غير أن أكثر المصاييح اليوم كهربائية، يستوي الجمع منها في الاستمداد من مصدر واحد، وقد كثرت آلات البخار، وكثرت بها المعجزات، حتى إن من خواطر هؤلاء الشعراء ما لا يتحرك إلا (بنفس).

ومرجع التفاوت بين أصناف القائلين إنما يكون من مثل المساء، يطبع في الأنفس شيئاً مختلفات تغلب على بعضها دون بعض، ومن مثل ما يكون من عصر دون عصر، وما يقع لشاعر دون سواه، وما يتفق للواحد ولا يتفق للآخر، إلى غير ذلك مما شرط جميعه وفور القوة في الشاعر.

مصطفى صادق الرافعي



الحقيقة

من الكلمات المأثورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ قال له كُمَيْلُ ابْنِ زِيَادٍ رضي الله عنه:

ما الحقيقة؟

فقال: مالك والحقيقة!

قال: أولستُ صاحبَ سرِّك؟

فقال: ولكن يترشح عليك ما يطفح مني.

فقال: أو مثلك يخيب سائلا؟

فقال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

فقال: زدني فيه بيانا.

فقال: نورٌ يشرق من الصبح، فتلوح على هياكل التوحيد آثاره.

فقال: زدني فيه بيانا

فقال: اطفِ المصباح، فقد طلع الصباح.



سيف الحق أمين بك الرافي

وتولى اللداتُ إلا قليلا	مال أحبابهُ خليلاً خليلا
مضى وحده يحثُّ الرحىلا	نَصلوا أمسٍ من غُبار الليالي
تضطربُ ساعةٌ ولم تمضِ ميلا	سكنتُ منهمُ الركابُ كأن لم
حجرًا دارسًا ورملاً مهيبلا	جرّدوا من منازل الأرض إلا
خُشنة اللحد والدُّجى المسدولا	وتعمّروا إلى البلى فكساهم
نقيًا من الحقوق غسيلا	في يبابٍ من الثرى رده الموتُ
إن عبءَ الحياة كان ثقيلا	طرحوا عنده الهمومَ، وقالوا
ملعبٌ لا ينوع التمثيلا	إنما العالمُ الذي منه جئنا
بُنيتُ منه هيكلاً وفصولا	بطلُ الموت في الرواية ركنٌ
سقط الستُرُ بالدموع بليلا	كلما راح أوغدا الموتُ فيها

دُكْرِياتٌ من الأحبة تُمحي
كلُّ رسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ
رُبَّ ثكلٍ أَسَاكَ من قرحة الثكل
ورزءٌ نَسَاكَ رزءًا جليلا



يا بناتِ القريضِ قُمنِ مَنَاحا
من بناتِ الهديلِ انتنَّ أحنى
إن دمعًا تذرِفَنِ إثرَ رفاقي
ربِّ يومٍ يُنَاحُ فيه علينا
بمراثٍ كَتَبَنَ بالدمعِ عنا
يجدُ القائلون فيها المعاني



أخذ الموت من يدِ الحقِ سيقًا
من سيوفِ الجهادِ فولادَه الح
لمسته يَدُ السماءِ فكان
وإباءُ الرجالِ أمضى من السيفِ
رُبَّ قلبٍ أَصَارَهُ الخُلُقُ ضِرغًا
قيلَ حَلَلَهُ قلتِ عِرْقٌ من التِّيبِ
لم يزد في الحديدِ والنارِ إلا
لم يخفِ في حماته شَبَحُ الفَقِ
جاءَ حينًا فكان كالليثِ أبى
تأكلُ الهرةُ الصغارَ إذا جا
قبلَ غالٍ في الرأيِ قلتِ هبوه

خالدِي الغرارِ عضبًا صقبلا
قُ فهل كان قبْنه جبريلا؟
البرقُ والرعدُ خفَقَةً وصلبلا
على كَفِّ فارسٍ مسلولا
مَّا وصدرِ أَصَارِهِ الحقُّ غيلا
ر أَرَاخَ البَيَانَ والتحلِيلَا
لمحَّةَ حُرَّةٍ وصبرًا جميلا
ر إذا طاف بالرجالِ مَهولَا
ما تُلاقِيه يومَ جوعٍ هزِيلَا
عت ولا تأكلُ اللَّبَاءُ الشبولَا
قد يكونُ الغلوُ رأيًا أصيلا

وقديماً بنى الغلو نفوساً
وكم استنهض الشيوخ وأذكى
ومن الرأي ما يكون نفاقاً
ومن النقد والجدال كلام
وأرى الصديقَ ديدناً لسيل الـ
عاش لم يَغْتَبِ الرجال ولم يجـ
قد فقدنا به بقية رهط
حَرَكَوهُ، وكان بالأس كالكهـ
يا أمينَ الحق أديتَ حتى
ولو اسطعتَ زدتَ مصر من الحد
لست أنساك قابلاً بين دَرْجِيـ
قد تواريتَ في الخشوع فخالو
سائل الشعب عنك والعلم الخفـ
كم إمامٍ قرئتَ في الصف منه
تُنشِدُ الناس في القضية لحناً
ماضياً في الجهاد لم تتأخر
ما تبالي مضيتَ وحدك تحمي
إن يَفُتْ فيك مِنبرَ الأمل شعري
جَلَّ عن مُنشِدٍ سوى الدهر يُلقبـ

وقديماً بنى الغلو عقولا
في الشباب الطمَاح والتأميلا
أو يكونُ اتجاههُ التضليلا
يُشبه البغيَ والخنا والفضولا
رافعينَ والعفافَ سبيلا
علَّ شؤونَ النفوسِ قالاً وقبلا
أيقظوا النيلَ وادباً ونزبلا
ف حُزُونًا وكالرقيم سهولا
لم تخنَ مصرَ في الحقوق فتبلا
ق على نيلها المبارك نبلا
ك مُكَبِّاً عليهما مشغولا
ك ضئيلاً وما حُلِقَتْ ضئيلاً
فاقَ أوَسائِلَ اللواءِ الظليلا
ومُغْنً قعدتَ منه رسيلا
كالحواري رتلَ الإنجيلا
تزن الصف أو تُقيم الرعيلا
حوزةَ الحق أم مضيت قبلا
إن لي المنبرَ الذي لن يزولا
ه على الغابرين جيلاً فجيلا

أحمد شوقي



ملاحظة مستشرق على ثقافتنا

قال الأستاذ نيلنو المستشرق الإيطالي الشهير لمحرر الهلال:
والذي ألاحظه مع الأسف أن بعضكم ممن يؤلفون في الرياضة أو الفلسفة،
لا يستعملون الألفاظ التي استعملها العرب قديمًا في هذين الموضوعين، وكان
يحسن بالترجمين أن يعملوا لاتصال الثقافة بأن يراعى الحدود العلمية
والفلسفية التي وضعها العرب أيام العباسيين.



المجد الكاذب

وراح يؤم الغني لا يتريث	مشى معجبًا والجهل ملء رداثه
وأصبح كالأطفال يلهو ويعبث	ونام قريير العين لا المجد همه
رويدك بعض الفخر للعار أبعث	يفاخرنا جهلاً بمن ضمن الثرى
ولكنها العلياء والمال تورث	ولولا فضول المال ما كان سيدًا
كذا الغر إن آلى فلا شك يحث	ويُقسم أن المجد طوع يمينه

محمد البزم



المجنون الأديب

قال وهب بن إبراهيم (خال عبيد الله بن سليمان بن وهب):

كنا يوماً بنيسابور في مجلس أبي سعيد المكفوف (وهو أحمد بن خالد الضرير)، وكان أبو سعيد عالماً باللغة جداً، إذ هجم علينا مجنون من أهل قم؛ فسقط على جماعة من أهل المجلس، فاضطرب الناس لسقطته، ووثب أبو سعيد لايشك أن آفة قد لحقتنا: من سقوط جدار، أو شرود بهيمة، فلما رآه المجنون على تلك الحال قال:

الحمد لله رب العالمين، على زسلك يا شيخ لا ترغ، آذاني هؤلاء الصبيان وأخرجوني عن طبعي إلى مالا أستحسنه من غيري.

فقال أبو سعيد: امتنعوا منه عافاكم الله.

فوثبنا وشردنا من مكانه ورجعنا، فسكت ساعة لا يتكلم، إلى أن عدنا إلى ما كنا فيه من المذاكرة، وابتدأ بعضنا بقراءة قصيدة من شعر نهشل بن حري التميمي حتى بلغ قوله:

غلامان خاضا الموت من كل جانب	فأبا ولم تُعقد وراءهما يدُ
متى يلقيان قرناً فلا بدّ أنه	سيلقاه مكروه من الموت أسودُ
فما استتمّ هذا البيت حتى قال:	

قف أيها القارئ تتجاوز المعنى ولا تسأل عنه!

ما معنى قوله: «ولم تُعقد وراءهما يدُ؟».

قل يا شيخ، فإنك المنظور إليه والمقتدى به.

فقال أبو سعيد: يقول إنهما رميا بأنفسهما في الحرب أقصى مراميها،
ورجعا موفورين لم يؤسرا، فتعقد أيديهما كتفاً.

فقال: يا شيخ، أترضى لنفسك بهذا الجواب؟
فأنكرنا ذلك على المجنون، فنظر بعضنا إلى بعض.

فقال أبو سعيد: هذا الذي عندنا، فما عندك؟
فقال: المعنى يا شيخ: آباء، ولم تُعقد يدٌ بمثل فعلهما بعدهما، لأنهما فعلا
ما لم يفعله أحد.

كما قال الشاعر:

قوم إذا عدت تميم معاً سادتها عدوه بالخنصر
الْبسه الله ثياب الندى فلم تطل عنه ولم تقصر
أي خلقت له، وقريب من الأول قوله:

قومي بنو مذحج من خير الأمم لا يصعدون قدما على قدم
يعنى أنهم يتقدمون الناس، ولا يطأون على عقب أحد، وهذان فعلا مالم
يفعله أحد.

فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمر وجهه، واستحيا من أصحابه. ثم غطى
المجنون رأسه وخرج وهو يقول:

يتصدرون ويغرون الناس من أنفسهم!



القصيدة اليتيمة لدوقلة المنبجي

□ الطلل □

هل بالطلول لسانل رُدُّ أم هل لها بتكلم عهدُ
 درس الجديد جديد مَفْهِدِها فكأنما هي رَنطة جَرْدُ
 من طول ما تبكي الغيومُ على عَرَصاتِها ويُقَهِّقُهُ الرعدُ
 وتُلِثُ ساريةً وغاديةً ويَكُرُّ تحس خلفه سعدُ
 تَلْقَاءُ شاميةٍ يمانيةً لهما بِمَوْرِ ثرابها سَرْدُ
 فكست بواطنها ظواهرها نَوْرًا كأنَّ زَهاءَهُ بُرْدُ^(١)
 فوقفتُ أسألها وليس بها إلَّا المِها ونقائِقُ رُبْدُ
 فتبادرت دِرَرُ الشؤون على^(٢) خَدِّي كما يتناثرُ العقدُ
 أو نَضَحُ عَزْلَاءِ الشَّيبِ وقد راح الصيفُ بِمِلْثِها يَغْدُو
 لهفي على دعدٍ وما خُلقت إلَّا لَجَرٍّ تلهفي دَعْدُ
 بيضاء قد لبس الأديمُ بها ءَ الحُسن فهو لجلدها جلدُ
 ويزين قَوْدِيها إذا حَسرت ضافي الغدائر فاحمُ جَعْدُ
 فالوجه مثلَ الصبحِ مبيضُ والشعر مثلَ الليلِ مسودُ
 ضِدَانِ لما استَجَمَعَا حُسْنًا والضدُّ يُظهر حُسْنَهُ الضِدُّ
 وجبينها صَلَّتْ وحاجبها شَخْتُ المَحْطَ أَزْجُ ممتدُ
 وكأنتها وَسْنَى إذا نظرتُ أو مُذْنَفٌ لَمَّا يُفِقُ بَعْدُ

(١) الزَّهَاءُ بالفتح: النظرة.

(٢) دِرَر: جمع دَرَّة، ما يدر من المطر واللبن.

بفتور عينٍ ما بها رَمَدٌ
 وتُربكِ عَرْنِيئًا يَزِينُهُ
 وتَجِبِلُ مَسَوَاكَ الْأَرَاكِ عَلَى
 وَالْجِيدِ مِنْهَا جِيدٌ جَازِئَةٌ
 وَامْتَدَّ مِنْ أَعْضَادِهَا قَصَبٌ
 وَالْمِفْصَلَانِ فَمَا يُرَى لَهَا
 وَلَهَا بَنَانٌ لَوْ أَرَدَتْ لَهُ
 وَكَأَنَّمَا سُقِيتِ تَرَائِبُهَا
 وَبَصْدَرُهَا حُقَّانٌ خِلْتَهُمَا
 وَالْبَطْنُ مَطْوِيٌّ كَمَا طُوِثَ
 وَبِخَضْرُوهَا هَيْفٌ يَزِينُهُ
 وَالتَّفَّ فَخُذَاهَا وَفَوْقَهُمَا
 فَقِيَامُهَا مَثْنَى إِذَا نَهَضَتْ
 وَالسَّاقُ خَرْعَبَةٌ مَنْعَمَةٌ
 وَالْكَغْبُ أَدْرُمٌ لَا يَبِينُ لَهُ
 وَمَشَتْ عَلَى قَدَمَيْنِ خُضِرَتَا
 مَا عَابَهَا طَوْلٌ وَلَا قِصْرٌ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصَلٌ لَدَيْكَ لَنَا
 قَدْ كَانَ أَوْرَقٌ وَصَلُكُمْ زَمَنًا
 لَلَّهِ أَشْوَاقِي إِذَا نَزَحْتُ

وَبِهَا تُدَاوِي الْأَعْيُنَ الرُّمْدُ
 شَمَمٌ وَخَدًّا لَوْنُهُ الْوَرْدُ
 رَتَلٍ^(١) كَأَنَّ رُضَابَهُ الشَّهْدُ
 تَعْطُو إِذَا مَا طَالَهَا الْمَرْدُ
 قَفَمٌ ثَلَاثُهُ مَرَّافِقُ دُرْدُ^(٢)
 مِنْ نَعْمَةٍ وَبِضَاضَةٍ زَنْدُ
 عَقْدًا بِكَفِّكَ أَمَكْنَ الْعَقْدُ
 وَالنَّحْرُ مَاءُ الْوَرْدِ إِذْ تَبْدُو
 كَافُورَتَيْنِ عِلَاهُمَا نَدُ
 يَبْضُ الرِّبَاطُ بِصَوْنِهَا الْمَلْدُ
 فَلِذَا تَنْوُءُ يَكَادُ يَنْقُدُ
 كَقَلٍّ يَجَاذِبُ خِضْرَهَا نَهْدُ
 مِنْ ثَقْلِهِ وَقَعُودُهَا قَرْدُ
 عَيْلٌ فَطَوَّقَ الْحَجْلُ مَنْسَدُ
 حَجْمٌ وَلَيْسَ لِرَأْسِهِ حَدُ
 وَالْيَنْتَا، فَتَكَامِلُ الْقَدُ
 فِي خَلْقِهَا فَقَوَائِمُهَا قَصْدُ
 يَشْفِي الصَّبَابَةَ فَلْيَكُنْ وَعْدُ
 فَذَوِي الْوَصَالِ وَأَوْرَقُ الصَّدُ
 دَارٌ بَنَا وَنَأَى بِكُمْ بُغْدُ

(١) الرتل: بياض الأسنان وكثرة مائها.

(٢) ليس بها تنوء عظم، كالذين لا أسنان لهم.

إِنْ تُثْهِمِي فَتَهَامَةٌ وَطَنِي
 وَزَعَمْتَ أَنَّكَ تَضْمِرِينَ لَنَا
 وَإِذَا الْمَحَبَّ شَكَا الصَّدُودَ وَلَمْ
 تَخْتَصَّهَا بِالْوَدِّ وَهِيَ عَلَى
 أَوْ مَا تَرَى طُمْرِيَّ بَيْنَهُمَا
 فَالسَّيْفُ يَقْطَعُ وَهُوَ ذُو صَدَاءٍ
 هَلْ تَنْفَعَنَّ السَّيْفَ حَلِيبُهُ
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي رَجُلٌ
 سَلَّمَ عَلَى الْأَدْنَى وَمَرْحَمَةٌ
 مُتَجَلِّبٌ ثَوْبَ الْعَفَافِ وَقَدْ
 وَمُجَانِبٌ فَعَلَ الْقَبِيحَ وَقَدْ
 مَنَعَ الْمَطَامِعَ أَنْ تُثَلِّمَنِي
 فَأَرْوَحُ حُرًّا مِنْ مَذَلَّتِهَا
 أَلَيْتُ أَمْدَحُ مُفَرَّقًا أَبَدًا
 هِيَهَاتَ يَا بَى ذَلِكَ لِي سَلَفٌ
 وَالْمَجْدُ كَنْدَةٌ وَالْبَنُونَ هُمْ
 فَلْتَن قَفُوثٌ جَمِيلٌ فَعَلَهُمْ
 أَجْمَلٌ إِذَا حَاوَلْتَ فِي طَلَبِ
 لَيْكُنْ لَدَيْكَ لِسَائِلِ فَرَجٍ
 وَطَرِيدَ لَيْلٍ سَاقَهُ سَعَبٌ
 أَوْسَعْتُ جُهْدَ بَشَاشَةٍ وَقَرَى
 فَتَصَرَّمِ الْمَشْتَى وَمَنْزَلَهُ

أَوْ تُنْجِدِي يَكُنِ الْهُوَى نَجْدُ
 وَدًّا فَهَلَّا يَنْفَعُ الْوُدُّ!
 يُعْطَفُ عَلَيْهِ فَقَتْلُهُ عَمْدُ
 مَا لَا تُحِبُّ، فَهَكَذَا الْوَجْدُ
 رَجُلٌ الْحَ بِهَزْلِهِ الْجِدُّ
 وَالنَّصْلُ يَعْلُو الْهَامَ لَا الْغَمْدُ
 يَوْمَ الْجَلَادِ إِذَا نَبَا الْحَدُّ
 فِي الصَّالِحَاتِ أَرْوَحُ أَوْ أَغْدُو
 وَعَلَى الْحَوَادِثِ هَادِنٌ جَلْدُ
 غَفَلَ الرَّقِيبُ وَأَمَكْنَ الْوَرْدُ
 وَصَلَ الْحَبِيبُ وَسَاعَدَ السَّعْدُ
 أَتَيْ لِمَعُولِهَا صَفًّا صَلْدُ
 وَالْحَرُّ حِينَ يَطْبِعُهَا عَبْدُ
 يَبْقَى الْمَدِيحُ وَيَنْقُذُ الرِّفْدُ
 خَمِدُوا وَلَمْ يَخْمُدْ لَهُمْ مَجْدُ
 فَزَكَا الْبَنُونَ وَأَنْجَبَ الْجَدُّ
 بِذَمِيمٍ فَعَلِي إِنْنِي وَغَدُ
 فَالْجِدُّ يَغْنِي عَنْكَ لَا الْجَدُّ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فَلْيَخْسِنْ الرَّدُّ
 وَهَنَّا إِلَيَّ وَقَادَهُ بَرْدُ
 وَعَلَى الْكَرِيمِ لَضِيفُهُ الْجُهْدُ
 رَخْبٌ لَدَيَّ وَعَيْشُهُ رَغْدُ

ثم اغتدَى ورداؤه نَعَمٌ أسأرتها^(١) وردائي الحمدُ
يا ليت شعري بعد ذلكم ومصيرُ كلِّ مؤملٍ لحدُ
أصريعُ كَلِمٍ أم صريعُ ضَنَا أودى فليس من الردى بُدُ



حب الأعرابي للبادية

قيل لأعرابي: كيف تضيع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كلُّ شيء ظله؟
قال: وهل العيشُ إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلاً فيرفضُ عَرَقاً، ثم ينصبُ عصاه،
ويُلقي عليها كساءه، ويجلس في فيئه يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى!



شفقة خليفة على رعيته

كتب عدي بن أرطاة-عامل عمر بن عبد العزيز -إليه:
(أما بعد فإن أناساً قَبَلْنَا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسه شيء من
العذاب).

فكتب إليه عمر: (أما بعد: فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب
البشر، كأنِّي جُنَّةُ لك من عذاب الله، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله، إذا
أتاك كتابي هذا، فمن أعطاك ما قَبَلَهُ عَفْوَ وإلا فأحلفه، فوالله لأن يلقوا الله
بجناياتهم، أحب إلي من أن ألقاه بعذابهم. والسلام).

(١) أبقيتها ذِكْراً جميلاً وسمعة حميدة.

صحة التفكير

لو كانت شكوى المصلحين مقصورةً على قلة ما لدينا من وسائط التعليم والتهذيب، ووسائل تنوير القلوب والعقول بهما، لهان الأمر كثيرًا، لأن ما تراه من قلة هذه الوسائل والوسائط سيتبدل يومًا بعد يوم بحال أرقى من التي نحن فيها، إلا أن هنالك مصيبة أدعى إلى الشكوى، وأجدر بالعناية والاهتمام، وهي تباين أثر هذه الوسائل في العقول: فإذا ألقى أحد الأفاضل محاضرة أخلاقية في بعض الأندية، أو إذا كتب أديبٌ مقالة إصلاحية في إحدى الصحف، تجد سامعي المحاضرة وقارئي المقالة متفاوتين في الانتباه إلى مراميها، وفهم المعاني الواردة فيهما، وربما تلقّاها بعضهم بوجه وتلقّاها آخرون بضده، وليس هذا المرض منحصرًا في الأمور العلمية، كالمحاضرات والمقالات، بل إن الرجل يسمع بأذنه الخبر البسيط، أو يرى بعينه الحادث التافه، ثم يذهب في تأويلهما وروايتهما مذاهب بعيدة عن الحقيقة؛ حتى أصبح هذا الأمر من مشوهات الرأي العام الذي بدأ يتكون عندنا بشكل صريح.

قد يظن بعض القراء أن صحة التفكير والحكم، وجودة التصوّر والتصديق، منوطان بموهبة الذكاء، وليس الأمر كذلك، بل هما منوطان بترية النفس من الصغر على حب الخير والحق، والتجرد عن الشرور والأهواء، والاهتمام بإدراك الأمور من كل وجوها، وافتداء الصلاح بكل منفعة ذاتية وربح غير مشروع.

وليس خطأ الناس في التصوّر والتصديق ناشئًا في كل الأحوال عن أسباب طبيعية؛ كالنقص في المدارك، بل إنهم إذا صوّبوا أنظارهم إلى حادثة من

الحوادث يحاذرون تمثيلها في أذهانهم بشكلها الحقيقي، ويريدون أن يروها بالصورة التي توافق هوى في نفوسهم دعت إلى وجوده المنافع الزائلة، أو العقائد الباطلة، أو اللوامع الآفلة.

يا لهذه التربية ما أشد تأثيرها على كل شيء فينا: بها نكون رجال صالحين في المجتمع، أو لصوصًا وقَتْلَةً ومتشردين، وبها نكون كرام النفوس محبين للإحسان، أو لثامًا وبخلاء ومفسدين، وبها نكون صحيحي الأجسام نشيطين مرنين، أضعافًا وكسولين ومتقاعسين، حتى أفكارنا وأحكامنا أيضًا قد رفعا للتربية راية الخضوع والتسليم، فإذا تربى الفكر من الصغر على صحة التفكير نشأ صاحبه جيد التصور، سديد الحكم، محبًا للحق، سواء كان له أو عليه، وإذا كانت الثانية بات الرجل وليس فيه من الرجولية غير اسمها، ولا غرو، فإن التصور والتصديق شطرا المنطق، ولا يزال الإنسان حيوانًا حتى يتمكن من إزالة سلطان الهوى عن نفسه الناطقة الممتازة بحسن التصور وصحة التصديق.

إن أقدس عمل يصنعه الإنسان في حياته الدنيا هو أن يدرك الحق إدراكًا صحيحًا، وأن يصرح به بلا موارد ولا خوف، وإن الرجل الذي يستطيع أن يتغلب على كل ما يعترض صحة التفكير من أهواء وخرافات ومنافع ومؤثرات، وأن يكون بعد ذلك مدرّكًا للحق لا تأخذه في التصريح به لومة لائم، ولا مقاومة مقاوم، ثم يضيف إلى هذه المنزلة العالية منزلة تربية هذا الخلق في نفوس الناشئة، فلا شك أن مثل هذا الرجل الشجاع مكتوبٌ في عداد أولياء الحق، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قلت: إن الهوى الناشئ عن المنافع الزائلة والعقائد الباطلة يمنع صحة التفكير، ومن مصائبنا أن بعض الذين سمعوا بأن التعصّب لبعض العقائد ينافي

الحرية الفكرية، تحولوا من التعصّب لها إلى التعصّب عليها، فبرهنوا على عجز الذين ربّوهم عن أن يجعلوهم صحيحي التفكير أولاً وآخراً، وكان يجب أن يعتادوا من الصغر على دقة النظر، وأن يمارسوا محاكمة الأمور بالموازنة بين براهينها والتنقيب عن دواعيها وأسبابها، متجردين عن التعصب لها أو عليها؛ وبذلك تنمو فيهم قوة الاجتهاد والاكتشاف، وترسخ في عقولهم ملكة العدل والإنصاف.

من لي بمن يذكر أساتذة المدارس بما أخذوا على أنفسهم من الواجبات العظمى؟

إننا لا نطلب منهم أن يعلموا أولادنا أشياء كثيرة:

يكفي أولادنا من مسائل العلم ما يحتاجون إليه في هذه الحياة. أما نحن فقد كان أساتذتنا يعلموننا أشياء لم تلزم لنا حتى الآن، وفاتهم أن يعلمونا أموراً تلزم لكل إنسان.

صحة التفكير لازمة للموظف والطبيب والصانع والسياسي والتاجر وحارث الأرض، وإن طريقة تفكير الإنسان دليل على أخلاق الإنسان، وأخلاق الإنسان هي الإنسان نفسه.

فهل لأساتذة مدارسنا أن يسهروا لياليهم في التنقيب عن الوسائل التي تزيد رجال مستقبلنا تقدماً في مواطن الرجولية، وارتفاعاً في مراقب الإنسانية؟

محب الدين الخطيب



وَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ مَعْلَمُونَ

خطب عمر بن الخطاب الناس في موسم الحج فقال: إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكني أبعثهم إليكم ليعملوكم دينكم وسنة نبيكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ، فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال:

يا أمير المؤمنين، أرايت إن كان رجل من المسلمين واليًا على رعية فأدّب بعضهم إنك لتقصه منه؟

فقال: إي والذي نفسي بيده لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم.



الشام

هل تستعبدُ بلادنا أيامها	حدّثتُ نفسي، فاستثرتُ هَيَامَهَا
ماذا عليك لو استبحرتِ جسامها؟	يا نفسُ-والدنيا مُنَى ورَغَائِبُ-
يطوي الحياة مُذْهَبًا أحلامها	إن الشباب-وما جهلتِ غرورَه-
أو لا نفسٌ قد شفيَتْ أوامها	أدعو المنى، فإذا سعدتُ فغايَةٌ
حسبُ النفوس توهّمتُ أوهامها	ما لذّة العيش الحقيقةُ وحدها



تلك البلاد الشاهقات جبالها
الراسياتُ أعزّة، الناهضات
تتحدّثُ العظامُ عن قماتها
فإذا مشى الوادي بهن حيالها
وقف الزمان لديك يروي مجدها
قد وطلّدت تحت الثرى أقدامها
إلى السماء، اللابسات غمامها
متلمّسات صخرها ورغامها
وإذا انبسطن مع السهول أمامها
ومشى إليك حلالها قدامها



تلك البلادُ الشافيات مياها
فوّارة فوق الصخور شرودة
ماشيتها غضبي كما هيّجت في
وصحبتها بين الرياض نقيّة
المطفئات، وما بخلن، ضرامها
بين الرّبي كالطير رعت نظامها
بيداء شاسعة المدى ضرغامها
تمشي تضاحك وردها وخزامها



تلك البلادُ الزاهرات نجومها
الناظماتُ من السناء قلاندا
ياحسّنها بجلالها ووثامها
لو كان قومي يفهمون وثامها
الكاشفات، وقد طلّعن، ظلامها
غُرّاً تسبّحُ بالثناء نظامها



تلك البلادُ وقد حوى تاريخها
الصانعين من التراب عجائبها
جابوا البحار قريبها وبعيدها
لبنائها ملك الجبال وأرزه
يا خالداً تُطوى الدهورُ حياله
عودتْ مجدك أن يلم به أذى
صفحاتِ مجد خلّدتْ أقوامها
كفل الزمان لدى الجمال دوامها
وبغوا السماء فسخروا أجرامها
مرّتْ به الأعصار تحني هامها
ويظل يملأ ذكره أعوامها
ولك الحياة فلا رأيت ختامها



تلك البلاد وما ذكرتُ جمالها إلا لأذكر رغم حبي ذامها
 علّ الذي خلق السقام لها إذا أصنى لشكواها شفى أسقامها
 الله شرفها فأهبط وحيه فيها، وعظم بالمسيح مقامها
 عهدي به دين المحبة دينه ما بالها غلب الخصام سلامها!



تلك البلادُ وحبذا أبنائها بين البنين إذا ذكرتُ كرامها
 عبثًا تفرّقنا المنى فنفسنا لبلادنا لا تستبيح ذمامها



تلك البلاد وما نسيت نساءها تشقى الرياض إذا نسيت جِمامها
 الحاضنات برحمة أطفالها والكافلات من الشقا أيتامها
 المطاعم جياعها، والكاسيا ت عراتها، والشافيات سقامها
 والله لم تقم البلاد بنهضة حتى تريد السيدات قيامها



نادِ المنى تقبلُ عليك سعودها ودع الزمان محققًا أحلامها
 تلك البلاد يعيد مجدّ شبابها من قاد للمجد القديم زمامها
 الشعبُ أعظم قوة غلابة يطا النجوم بها إذا هو رامها
 بلغت من العلياء أرفع ذروة أممٍ رأيت ملوكها خدامها
 وهوت إلى درك الشقاء تحدرًا أمم أطالت في السكون منامها
 تلك البلاد ولن تكون عزيزة حتى يهذب شعبها حُكامها

أمين تقي الدين



توحش التمدن

جاء في آخر كتاب المسيو هنس رزتر عن مصر في عهد الاحتلال الإنكليزي كلمة قالها (هكسلي) الرحالة الانكليزي الشهير وهي:

(رأيتُ التوحش في جميع أشكاله الأكثر دناءة والأشدَّ بهيمية في جميع أجزاء العالم، وإذا قُضي عليَّ بالإنحياز إما إلى المتوحشين أو إلى العيشة فقيرًا في لندن، ما ترددتُ لحظة في تفضيل مجاورة المتوحشين على معيشة فيها الأخلاق تسمح بمناظر كالتي تُرى في يومنا هذا في لندن).



مصباح الكهرباء

رسالة قديمة بعث بها السيد مصطفى صادق الرافعي إلى صديق له من أعيان البيان كان قد استبدل نور الكهرباء بنور الغاز وهي:

ما هذا؟ صرف الله عنك شدة البياض، في غير الأعراض، أسنمت الليل فأذريته صبحًا، وأوريته قدحًا؟ أم زهدت في السواد، لغير الحداد! وللعيوب والأهداب، لا للفنون والآداب، فأطلعت من سفك الكواكب تتألق، كالعيون السواكب تتدفق، وعفت تلك المصابيح، وهي كالخط تميل مع الريح، فإن كنت أشفقت أن تطول ألسنتها فتسود عرض الحائط، فإن قطع اللسان، يكون بالإحسان لا بالهجران، وما الذي جنته - عفا الله عنك - حتى تجفف من الهجر لهواتها، وتأخذها بغير هفواتها، وتطرحها جانبًا، وتنأى عنها مغاضبًا، فلا كلمة مؤاسة تطفئ من لوعتها، ولا نفخة من صدرك لصدرها، تخفف من

حرها، ولا عناية من أمرك بأمرها، تجير من كسرهما، وهل عمى الليل وسألك العلاج، فصنعت له أعياناً من زجاج؟ أم سألك الناس آية تخرق العادة، فمثلت لهم بعد الغروب الشروق، أم انتجع غيثك بعض المجديين فخيلت له البروق؟ وما أشك أنك أمسيت تحاول تجزئة القمر، فتكون منك لكل أمة فلقة إلى آخر العمر!

لا أعجب والله من فرعون حين قال: هذه الأنهار تجري من تحتي، ولكني أعجب منك حين تقول: هذه النار أجري من تحتها، وليتني أعلم أهي استعارة أم مجاز؟ ومن مناهل الغاز أم من مسائل الألغاز؟ وكأني بأصابعك وقد عرفت أن لها خواتم في الهواء، فهي تلعب كما تشاء، مرة تحبب لجليسك العمى، وتركه لا إلى الأرض ولا إلى السما، بأسفه ليل كلما شئت أظلما، ومرة تذكره بيوم النشور، فتبعث فيه النور، بعد أن يكون في ظلمة القبور.

هذا على أن كواكبك من الزجاج، لا من الأبراج، فكيف لو كن، كما لا تظن، أكنت تبتلع الشمس! لتقول أنا اليوم والأمس؟ أم كنت تلف الأرض بالأرض، لتزل علينا آية ﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾؟

وإني لانتظر لك ليلة يخفق فيها زفير الكهرباء، فينقطع بعض الأسلاك، ويقع وحش الظلمة في تلك الشباك. هنالك إذا استوحشت فرفعت رأسك، غتتك القناني لا القيان، وترامت على قدميك تفديك بدمئها المختلفة الألوان، وإذا مددت رجلك إلى الباب، ليكشف لك النقاب، ويميط هذا الجلباب، حسبك تحية فحيك، وأبى-أدام الله عليه العافية-إلا أن يقبل جبينك ويلثم فاك. وربما مد ذراعه إلى الطوق، والظلمة تدعو إلى شدة الشوق، فيظنه عناقاً، وتظنه خناقاً، ثم تلتمس المخرج فتحسب الحيطان، أنك تسألها الحنان، فتضمك إشفاقاً إلى صدرها، وتأخذ رقبتك لنحرها، وهكذا من حبيب إلى حبيب، ومن

نصيب في هذا الهوى إلى نصيب، حتى يوفى الكيل، ويكشف عنك الغطاء،
فتبصر آية الليل. والسلام

مصطفى صادق الرافعي



مواساة الصديق

قال ابن المقفع:

إذا نابت أخاك إحدى النوائب، من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد
ابتليت معه: إما بالمواساة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فتحتمل العار،
فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ماسواها.
فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها، فأجمل لعل
الإجمال أمثل بك لقلة الإجمال في الناس.



الذكرى

شجنٌ ليس يُرتجى إبلأه وعذابٌ إذباره إقباله
لاشباب أحلامه خايباتٌ وحنين ما إن يطاق احتماله
إن أطافت برّبعه نائبات ضاعف الرزء والمصاب خياله
أو ألّمت بنفسه ذكريات أغظّم الداء واستمرت حباله



وهو جَلَدُ ما أورقت آماله
ليس إلا من كأسها جرياله
كاسفَ البال كيف ينعم باله
بر لكانت رضيةً أفعاله
وان عادت جديدة أمياله
فتنأى بعد التداني وصاله
ضمها الربيع سهله وجباله
هر تثرى والقلب تؤلم حاله
-أيها القلب-وارفات ظلاله
صامنت أرواحه وظلاله
قلب رعبًا وتغتلي أهواله
في علاه إن قلت: سادَ جلاله



وتعالى من جانبك اشتعاله
فرصُ المجد أعرضت واهتباله^(١)
ثم أعبا ذلك الطموح مناله
فيه من نيله الفخار مقالَه
كلما أحوج الكريم نضاله
تتبدي ما أحوجت أفعاله
دام آلا ينال منه كلاله



أثرأه في مبعة العمر يشكو
داهمته عُونُ الخطوب فأمسى
موكب الحزن هزَّه فتولى
ويح قلب الشجي لو يألف الصـ
كلما ظن أنه فاز بالسـلد
الليالي تنكرت لمناه
وكان الحياة فاضت شجونًا
والأمانى كثيرة وخطوب الدَّ
ليس بعد الرجاء عيش هنّي
رُبَّ ليل سهدته نابغي
تتراءى أشباحه فيذوب الـ
لا تلمني إن الظلام تهادى

يا فؤادي إن راع خطبٌ جليل
(قم تأمل فما المحاسن إلا
ولكم قام في الورى من طموح
ضن بالروح حاسبًا أنما يكـ
إنما الخلد همة تنجلي
يعجز الدهر أن يؤثر فيها
وجدير بمن تذرع بالإقد

(١) البيت للبحري.

قل لنضو الملام حسبك إن الـ
ما تراءت لعينك الدار تشكو
داءَ يَشْكُوهُ ما تفاقم آله
إن هذا لمرهق تحماله
أنغني أبكية فوق غصن
يبعث الشجو لحنها وجماله
نغماتٌ يهيم منها خلي
وترى ذا الجوى يطيب اعتداله
إن أرئت هزت فؤاد مشوق
وهفا الغصن بادياً لإجلاله



قينةً الروض رددي منك لحنًا
ذكرينا فالذكر (لوعة) حان
بالك الله مولمًا إقلاله
زاد من طول ليله بلباله
واهتفي بالأتين في ساحة اللـ
ل لعل الظلام يدنو ارتحاله
إن تهيجي حزنًا فيا رُب حزنٍ
يؤلم الصَّب بعده وذباله
أوتلبي نفسًا فيا رُب وجدٍ
يبعث الرُّوحَ ضافيًا سرباله
أو تنوحي فمن لنا بنواحٍ
من حزين لم تَغْدُهُ عُدَّالُه

عمر يحيى



حكم

- * صدور الأحرار قبور الأسرار.
- * أعز الناس الفقير الصابر.
- * أسرع الناس غضبًا الصبيان والنساء.



حسن الاستماع

قال ابن المقفع:

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول.

واعلم - فيما تكلم به صاحبك - أنه مما يهجن صواب ما يأتي به، ويذهب بطعمه وبهجته ويزرى به في قبوله، عجلتك بذلك، وقطعتك حديث الرجل قبل أن يفضي إليك بذات نفسه.



كلمات

□ العزيمة:

لو أن القلب فلذة من الحديد، أو قطعة من الصخر؛ لاستطاعت العزيمة التي تحيل الحديد ماء والصخر تراباً أن تنال منه، فتحيل قسوته رحمة، وصلابته ليناً، متى أراد صاحبه أن تكون كذلك.

□ الغفران:

ليس الحقد واحتمال الضغينة غريزة من الغرائز اللازمة للإنسان، فإن الرجل قد يصفح عن سيئات الأطفال؛ لأنهم لا يملكون الخيار لأنفسهم، ويذكر لأصحاب السيئات من الموتى حسناتهم؛ لأن الزمن الذي ذهب بهم ذهب

بخيرهم وشرهم، فلم لا تغتفر ذنوب أولئك الذين ما أذنبوا إلا بعد حرب مستعرة قامت بين عقولهم وقلوبهم، ثم سقطوا على أثرها صرعى لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا.

□ الحزم:

إن الدرهم الذي تمنحه لمن لا يستحقه يخرج من يدك، فلا تجده في اليوم الذي ترى فيه أمامك من يستحقه، وإن الدينار الذي تعطيه للشارب ليشتري به كأسًا يقتل بها نفسه، لا يتيسر لك أن تعطيه للفقير العائل ليشتري به رغيًا يحيى به ولده.

□ الأقسام:

لا أعرف فرقًا بين حنث الحانث في يمينه وكذب الكاذب في حديثه، كلاهما ساقط الهمة، وكلاهما ضعيف المنة، وكما لا يستطيع الكاذب أن يكون صادقًا، كذلك لا يستطيع الحانث أن يكون بارًا، وناقض العهد أن يكون وفيًا، فخداع من المتكلم أن يزعم أن لأحاديثه من الشأن في مواقف الأقسام ما ليس لها في غير تلك المواقف، وأنه يتخرج في الحنث ما لا يتخرج في الكذب، فإن من يستصغر جرم الكذب لا يستكبر من بعده جرمًا.

□ الألم:

إن في كثير من الآلام التي نعالجها لذائد ومسررات يُدركها من عرف أن الإنسان بطبيعته غافل عما يهدده من مصائب هذه الحياة وأرزائها، وإن الآلام الضعيفة التي تناله من العثرات الصغيرة تُدّر تأتيه من عالم الغيب؛ لتحذره من الآلام الشديدة التي تناله من السقطات الكبيرة.

□ الأدب:

لا تكافئ السفيه على سفهه بمثله، فإنك إن فعلت قضيت له على نفسك، وأصبحتَ شريكه في الخلة التي تزعم أنك تنقمها عليه، فإن كنت لا بد منتقمًا، فليكن مثلك مثل الأحنف بن قيس، إذ جاء رجل قد جعل له بعض الناس جعلًا على أن يُغضبه، فما زال يسبه ويلح في ذلك إلحاحًا محرّجًا، والأحنف ساكت لا يقول شيئًا، حتى ضاق بالرجل أمره، فانقلب إلى قومه باكيًا نادبا يأكل أصبعه أكلاً ويقول: والله ما سكت عني إلا لهواني عليه.

□ الدعوى:

إن أردت أن تكون في الأمة الجاهلة كل شيء، فادع لنفسك كل شيء، تنل بقولك في الزمن القصير ما لا ينال غيرك بفعله في الزمن الطويل، فإن الكاذب لا يزال يكذب حتى يصدقه الناس، ثم لا يزال يكذب حتى يصدق نفسه.

□ الدين والوطن:

من لا خير له في دينه لا خير له في وطنه؛ لأنه إن كان بنقضه عهد الوطنية غادرًا فاجرًا، فهو بنقضه عهد الله وميثاقه أغدر وأفجر، وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان، فمن لم يحرص عليها فأحرى به ألا يحرص على وطن السقوف والجدران.

□ الأخلاق:

مثل المتعلم غير المتأدب كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر، قد انتصبت للناس في ملتقى الطرق تعترض الرائح وتصد سبيل الغادي، فلا الناس بظلمها يستظلون، ولا هم من شرها ناجون.

□ الحلم:

إذا تورّد متورّد بكلمة سوء فلا تبتئس بها، فإنك في موقفك هذا بين اثنتين: إما أن يكون الرجل صادقاً فيما يقول أو كاذباً، فإن كانت الأولى فاحمد الله تعالى على أن قيض لك من أرشدك إلى عيبك، وكشف لك عن خبيثة نفسك من حيث لا يكلفك في هذا العمل مؤونة ولا يسألك عليه أجراً.

□ تيار الجماعات:

لا سبيل للإنسان إلى الخلاص من الاندفاع في تيار الجماعات وضلالها مهما كان ذكياً أو مفكراً، إلا إذا حبس نفسه عن الانضمام إليها، أو كان له من عزيمة الرأي وصلابة النفس ما يمكنه من تربية نفسه على التجرد، حتى يصير طبيعة له، فيحضرها شاهداً كغائب ومجتمعاً كمنفرد.

□ فناء الأفراد في الجماعات:

ليس انضمام أفراد من أذكاء الناس وعقلائهم إلى جماعة من الجماعات دليلاً على فضل تلك الجماعة أو شرف مقاصدها أو صحة مبادئها، لأنهم لا يجتازون عتبة مجتمعها إلا بعد أن يخلعوا عقولهم ومواهبهم مع أرديتهم وعصيتهم خارج بابها.

□ السعادة سعادة اليوم:

السبب في شقاء الإنسان أنه دائماً يزهد في سعادة يومه، ويلهو عنها بما يتطلع إليه من سعادة غده، فإذا جاء غده اعتقد أن أمسه كان خيراً من يومه، فهو لا ينفك شقيّاً في حاضره وماضيه.

□ قيادة الجمهور:

لا يشترط في قيادة الجموع أن يكون القائد مفرطاً في الذكاء أو العقل أو

الدهاء، بل يكفيه من ذلك كله شيء من العلم بأذواق أتباعه وميولهم، وسبل الوصول إلى قلوبهم، لا يزيد عن علم التاجر بأذواق زبائنه ورغباتهم.

□ البر:

ربما كان لك من أبويك أو من ذوي رحمك ممن تولوا شأنك في مفتتح عمرك من لم تساعده شؤون دهره أو عصور نشأته على أن ينال حظًا من العلم والمعرفة مثل ما نلت، فإياك أن يدعوك ذلك إلى تسفيهه أو تجبيته أو السخرية به أو الإدلال بنفسك عليه، فإنك إن فعلت خسرت من الأدب أضعاف ما كسبت من العلم، على أنه ربما كان لكبيرك هذا الذي عقته وظلمته وكفرت بفضل نعمته عليك من العلم بتجارب الحياة ومقاتلتها وموارد الأمور ومصادرها ما يبهر علمك الذي تعتد به وتدل بمكانه عليه، وهناك تكون قد خسرت فوق خسران أدبك ما كان خليفًا بك أن تتلقاه بين يديه من علوم التجارب التي ليست علوم الدراسة بالإضافة إليها إلا كالنقطة من البحر. والمدرة من القفر.

مصطفى لطفي المنفلوطي



ذكرى الغوطة

سقى الغوطة الغراء هائل مُرنة	ولا زال دفاق الزلال غديرها
معاهد: فيها للشباب معاهد	يجدد ذكراها لديّ دنورها
مسارح آرام، وفردوس أنفس	تساوت به آصالها وبكورها
قضينا بها عهد الشبية والصبا	يجود علينا باللجين نميرها

إذا ما حللنا روضة من رياضها تأرّج رياها، وفاح عبيرها
 نذرنا لها ألا نخون عهدها وما كل نفس لا توفي نذورها
 ولكنها الأيام إن طاب للفتى زمانٌ أتى بالمعجزات سفيرها!
 إذا كان ماسرّ الفتى غير دائم فما خير نُعمى لا يدوم سرورها
 يشط الفتى عن داره قاليًا لها إذا راعه بالمويقات نذيرها
 وتغدو القصور الجارحات نوازحًا إذا لم تلائمها الغداة وكورها

محمد البزم



الاعتدال

بين الجبن والتهور منزلة هي الشجاعة والإقدام، وبين البخل والإسراف منزلة هي الكرم، وبين العفو والانتقام منزلة هي العقوبة، وبين العجز والجهل منزلة هي الحكمة، فليكن من أفضل ما تأخذ به نفسك التريث والتثبت عند النظر في الفروق بين مشتبّه الفضائل والردائل، واعلم أنك لا تزال كريماً حتى تنفق مالك في غير موضعه، فإذا أنت مسرف، وأنت لا تزال حليماً حتى تغضب للباطل، فإذا أنت جهول، وأن كل الناس يعرفون الفضائل والردائل ويفهمون معانيها، أما إدراك الفروق بين مشتبّهاتها عند ملابتها، فتلك رتبة العقلاء الأذكياء.

مصطفى لطفي المنفلوطي



من صلح الحديبية إلى فتح مكة

قال أبو يوسف: حدثني هشام بن عروة عن أبيه، وحدثني محمد بن إسحاق والكلبي - زاد بعضهم على بعض في الحديث - أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في رمضان، وكانت الحديبية في شوال، حتى إذا كان بعُسفان^(١) لقيه رجال من بني كعب، فقالوا:

يا رسول الله إنا تركنا قريشًا قد جمعت أحابيشها تُطعمهم الخزير^(٢)، يريدون أن يصدوك عن البيت.

فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا برز من عسفان لقيهم خالد بن الوليد طليعةً لقريش، فاستقبلهم على الطريق، فأخذ بهم رسول الله ﷺ بين سروعتين^(٣)، ومال عن سَنَن الطريق.

حتى نزل الغَمِيم^(٤)، فلما نزل الغمِيم تشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد: فإن قريشًا قد جمعت أحابيشها^(٥)، تُطعمهم الخزير يريدون أن يصدُّونا عن البيت، فأشيروا علي ما ترون. أترون أن نعد إلى الرأس - يعني

(١) قرية بين الجحفة ومكة على مرحلتين من مكة.

(٢) الخزير لحم يقطع صغائرًا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج دُر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم فهو عصيدة.

(٣) السروعة: راية من الرمل.

(٤) مكان بين رابغ والجحفة.

(٥) هم أحياء من القارة - من قبائل هذيل - انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشًا، والتجش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشًا تحت جبل اسمه حُبْشَى (بضم حُبْشَى)، فسُموا بذلك.

أهل مكة - ، أو نعهد إلى الذين أعانواهم فتخالفهم إلى نسائهم وصبيانهم، فإن جلسوا جلسوا مهزومين موتورين، وأن طلبونا طلبوا طلباً مدائياً ضعيفاً، فأخزاهم الله».

فقال أبو بكر: نرى يا رسول الله أن نعهد إلى الرأس -يعنى أهل مكة - ، فإن الله جل ثناؤه ناصرك، وإن الله مُعينك، وإن الله مظهرك.

وقال المقداد: إنا والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لنبينا: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

فخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا غشي الحرم ودخل أنصابه^(١) بركت ناقته الجدعاء، فقال الناس: خلأت^(٢).

فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت، وما الخلاء بعادتها، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش إلى تعظيم المحارم فيسبقوني إليه، هلموا هاهنا».

وأخذ ذات اليمين، فسلك ثنية تدعى ذات الحنظل، حتى هبط على الحديبية، فلما نزل استقى الناس من بئر، فتزفت^(٣) ولم تقم بهم، فشكوا ذلك إليه ﷺ؛ فأعطاهم سهماً من كنانته فقال: «اغرزوه فيها»، فغرزوه، فجشت وطمي ماؤها، حتى ضرب الناس عنه بالعطن^(٤).

(١) جمع نُصب: وهو ما يُجعل علامة على حدود الحرم من الحل.

(٢) الخلاء (بكسر الخاء) للنوق كالإلحاح للجمال، والحران للدواب.

(٣) أي فني ماؤها من كثرة الاستقاء.

(٤) العطن: مبرك الإبل حول الماء، يقال: عطنت الإبل إذا سقيت وبركت عند الحياض لتعاد إلى الشراب مرة أخرى.

فلما سمعت به قريش أرسلوا إليه أخا بني الحلس^(١)، وكان من قوم يعظمون الهدي، فلما رآه ﷺ قال: «هذا ابن الحلس، وهو من قوم يعظمون الهدي، فابعثوا له الهدي حتى يراه»، فلما نظر إلى الهدي في قلائده لم يكلمهم كلمة واحدة، ورجع من مكانه إلى قريش فقال: أتى القوم بالهدى والقلائد (فعظم عليهم وحذرهم)، فشتموه وجبهوه وقالوا: إنما أنت أعرابي جلف لا علم لك، ولسنا نعجب منك، وإنما نعجب من أنفسنا حيث أرسلناك.

ثم قالوا لعروة بن مسعود الثقفي: انطلق إلى محمد ولا تؤتى من قبل رأيك. فسار إليه عروة، فلما لقيه قال: يا محمد، جمعت أوباش الناس، ثم سرت بهم إلى عترتك وبيضتك التي تفلقت عنك لتبيد خضراءهم، تعلم أنني قد جئتكم من عند كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد لبسوا جلود النمر عند العوذ المطافيل^(٢)، يُقسمون بالله لا تعرض لهم خطة إلا عرضوا لك أمر منها.

فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نأت لقتال، ولكن أردنا أن نقضي عمرتنا وننحر هدينا، فهل لك أن تأتي قومك فإنهم أهلي، وإن الحرب قد أخافتهم، وإنه لا خير لهم أن تأكل الحرب منهم إلا ما قد أكلت، فيجعلون بيني وبينهم مدة يزيد فيها نسلهم، ويؤمن فيها شرهم، ويخلو بيني وبين البيت، فنقضي عمرتنا وننحر هدينا، ويخلو بيني وبين الناس، فإن أصابوني فذلك الذي يريدون، وإن أظهرني الله عليهم اختاروا لأنفسهم، إما قاتلوا معدين، وإما دخلوا في السلم وأقرين، فإنني والله لأقاتلن على هذا الأمر الأحمر والأسود حتى يمضي أمر الله أو تنفرد سالفتي»^(٣).

(١) رجل من كنانة.

(٢) يريد النساء والصبيان، والعوذ في الأصل جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضعت، وبعدما تضع أياماً حتى يقوى ولدها.

(٣) السالفة: صفحة العنق، وكنى بانفرادها عن الموت.

فلما سمع عروة مقالته رجع إلي قريش فقال: تعلمن أنكم أخوالي وعشيرتي وأحب الناس إليّ، ولقد استنفرت لكم الناس في المجامع، فلما لم ينصروكم أتيتكم بأهلي حتى سكنت بين أظهركم إرادة أن أواسيكم، تعلمن ما أحب الحياة بعدكم، وتعلمن أني قد رأيت العظماء وقدمت علي الملوك، فأقسم بالله أني ما رأيت ملكاً ولا عظيماً أعظم في أصحابه من محمد، إن منهم رجلٌ يتكلم حتى يستأذنه في الكلام، فإن أذن له تكلم، وإن لم يأذن له سكت، ثم إنه ليتوضأ فيبتدرون وضوءه يصبونه على رؤوسهم يتخذونه حناناً.

فلما سمعوا مقالة عروة أرسلوا إليه سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص، فقالوا:

انطلقا إلي محمد، فإن أعطاكما ما ذكره لعروة فقاضياه على أن يرجع عنا عامه هذا، ولا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع من العرب بسيره أنا قد صددناه.

فأتياه فذكرا له ذلك، فأعطاهما وقال: اكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم».

فقالا: لا والله لا نكتب هذا أبداً.

فقال النبي ﷺ: «فكيف نكتب؟».

فقالا: اكتب باسمك اللهم.

فقال رسول الله ﷺ: «وهذه حسنة اكتبوها»، فكتبوها.

ثم قال: «اكتبوا: هذا ما تقاضى عليه رسول الله».

فقالوا: والله ما نختلف إلا في هذا.

قال: «فكيف؟».

قالوا: اكتب اسمك واسم أبيك: محمد بن عبد الله.

قال ﷺ: «وهذه حسنة، اكتبوها».

فكتبوها، فكان في شرطهم (أن بيننا العيبة المكفوفة^(١))، وأنه لا أغلال ولا أسلال^(٢): وأنه من أتاكم منا رددموه علينا، ومن أتانا منكم لم نرده عليكم).

فقال رسول الله ﷺ: «من دخل معي فله مثل شرطي».

وقالت قريش: من دخل معنا فله مثل شرطنا.

فقالت بنو كعب: نحن معك يا رسول الله.

وقالت بنو بكر: ونحن مع قريش.

فبينما هم في الكتاب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي وهو موثق بالحديد، مسلماً، قد انفلت منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه المسلمون قالوا:

اللهم أبو جندل!

فقال رسول الله ﷺ: «هو لي».

وقال أبوه سهيل - وهو الذي كان يقاوم رسول الله ﷺ:

قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، فهو لي، فانظروا في الكتاب.

(١) أي: بينهم صدر نقي من الغل والخداع مطوي على الوفاء بالصلح، والمكفوفة: المشرجة المشدودة، وقيل: أراد أن بينهم مودة ومكافة عن الحرب تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين، الذين يثق بعضهم إلى بعض.

(٢) الأغلال: الخيانة أو السرقة الخفية، والأسلال: سل السيوف.

فنظروا فوجدوه لسهيل فردوه إليه، فنادى أبو جندل:

يا رسول الله، يا معاشر المسلمين، أتردونني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟

فقال له رسول الله: «يا أبا جندل، قد لجت القضية بيننا وبينهم، ولا يصح لنا الغدر، والله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا».

فقال عمر: يا أبا جندل، هذا السيف، وإنما هو رجل وأنت رجل.

فقال سهيل: أعنت عليّ يا عمر.

فقال النبي ﷺ لسهيل: «هبه لي».

قال: لا.

قال: «فأجره لي».

قال: لا.

قال مكرز: قد أجرته لك يا محمد، ولن يهيج^(١).

فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس انحروا واحلقوا وأحلوا».

فما قام رجل من الناس، ثم أعادها، فما قام أحد، ودخلهم من ذلك أمر عظيم، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فقال: «ما رأيت ما دخل على الناس؟».

فقلت: يا رسول الله اذهب فانحر هديك واحلق وأحلّ، فإن الناس سيحلون.

(١) في «صحيح البخاري» ما يفيد أن قريشًا لم تُمض جوار مكرز لأبي جندل، بل أخذ وبقي في إيساره حتى انفلت ولحق بذي الحليفة مع أبي بصير، كغيرهما ممن كان شأنه كذلك.

ففعل، فنحر الناس وحلقوا وأحلوا، ثم انصرف رسول الله ﷺ، فلما قدم المدينة أتاه أبو بصير رجل من قريش مسلماً، فبعثت قريش في طلبه رجلين، فدفعه رسول الله ﷺ إليهما وقال له نحواً مما قال لأبي جندل، فخرجا به حتى انتهيا به إلى ذي الحليفة، فقال لأحدهما:

أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟

قال: نعم.

قال: فأنظر إليه؟

قال: نعم.

فاخترطه ثم علاه به حتى قتله، وخرج صاحبه هارباً.

وأقبل أبو بصير حتى وقف على رسول الله ﷺ ثم قال:

قد وفيت ذمتك وأدى الله عنك، وقد امتنعتُ بديني أن يفتنوني.

فقال له رسول الله ﷺ: «ويل أمه يحشُ حرب، لو كان له رجال^(١)».

فخرج أبو بصير حتى نزل بذي الحليفة، فجعل كل من أسلم من أهل مكة يأتيه فينضم إليه، حتى صار معه سبعون رجلاً، وكان يقطع الطريق علي تجار قريش وعلى غيرهم، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يقبلهم فلا حاجة لهم فيهم، فقبلهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتُ﴾ الآية، فأمرُوا أن يردوا الأصدقة علي أزواجهن.

فلم تزل الهدنة حتى وقع بين بني كعب وبين بني بكر قتال، فكانت بنو بكر ممن دخل مع قريش في صلحها وموادعتها، فأمدت قريشُ بني بكر بسلاح

(١) محش بكسر الميم وفتح الحاء، يقال: حش الحرب إذا أسعرها وهيجه.

وطعام، وظللت عليهم، حتى ظهرت بنو بكر على بني كعب وقتلوا فيهم؛ فخافت قريش أن يكونوا قد نقضوا؛ فقالوا لأبي سفيان:

اذهب إلي محمد فأجد الحلف وأصلح بين الناس، فانطلق أبو سفيان حتى قدم المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم أبو سفيان، وسيرجع راضيًا بغير حاجة»، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال:

يا أبكر، أجد الحلف وأصلح بين الناس، فقال أبو بكر: ليس الأمر إليّ، الأمر إلى الله وإلى رسوله.

ثم أتى عمر رضي الله عنه فقال له نحو ما قال لأبي بكر، فقال له عمر: أنقضكم، فما كان منه جديدًا فأبلاه الله، وما كان منه شديدًا فقطعه الله. فقال أبو سفيان: ما رأيت كالיום، شاهدت عشيرة ليس من قوم ظللوا على قوم وأمدوهم بسلاح وطعام أن يكونوا نقضوا.

ثم أتى فاطمة رضي الله عنها فقال:

هل لك يا فاطمة في أمر تسودين فيه نساء قومك؟

ثم ذكر لها لها نحو ما ذكره لأبي بكر، فقالت:

ليس الأمر إليّ، الأمر إلى الله وإلى رسوله.

ثم أتى عليًا رضي الله عنه فقال له نحو ما قاله لأبي بكر، فقال له علي رضي الله عنه:

ما رأيت كالיום رجلًا أضل، أنت سيد الناس، فأجد الحلف وأصلح بين الناس.

فضرب إحدى يديه على الأخرى وقال:

قد أجزتُ الناس بعضهم من بعض.

ثم مضى حتى قدم على أهل مكة فأخبرهم بما صنع فقالوا:
والله ما رأينا كاليوم وافداً قدم، والله ما أتيتنا بحرب فنحذر، ولا بصلح
فنامن، ارجع.

وقدم وافد بني كعب على رسول الله ﷺ، فأخبره بما صنعت قريش وبمعونتها
لبني بكر، ودعاه إلى النصرة وأنشد:

لا همّ إنني ناشدُ محمداً	جلف أبينا وأبيه الأتلتدا
والدا كنا كنت ولدا	ثمة أسلمنا فلم ننزع يدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحداً	فهم اذلّ وأقلّ عددا
هم بيتونا بالوتير ^(١) هُجدا	وقتلونا رُكّما وسجدا
وجعلوا لي في كداء رصدا ^(٢)	فانصر رسول الله نصرًا عندا
وابعث جنود الله تأتي مددا	في فيلق كالبحر يأتي مُزبدا
فيهم رسول الله قد تجرّدا	إن سيم خسفًا وجهه تربدا ^(٣)

ومرت سحابة فأرعدت، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه لترعد بنصر بني كعب».

ثم قال لعائشة: «جهزيّني ولا تُعلمين بذلك أحداً».

فدخل عليها أبو بكر فأنكر بعض شأنها، فقال: ما هذا؟

فقالت: أمرني رسول الله ﷺ أن أجهزه.

قال: إلى أين؟

(١) اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة.

(٢) كداء بأعلى مكة عند المحصب.

(٣) أربد الوجه وتربد، أي تغير إلى الكُدرة.

قالت: إلى مكة.

قال: والله ما انقضت الهدنة بيننا وبينهم بعد. فجاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: «إنهم أول من غدر». ثم أمر رسول الله ﷺ بالطرق فحُسبت، ثم خرج ﷺ يريد مكة والمسلمون معه، ففتحها الله عليه.



وقد كان العباس بن عبد المطلب ﷺ قال:

يا رسول الله لو أذنت لي فأتيت أهل مكة فدعوتهم وأمتهم.

وهذا بعد أن شارف النبي ﷺ مكة، ووجه الزبير من قبل إعلاها وخالدًا من قبل أسفلها، فأذن له، فركب العباس بغلة النبي ﷺ الشهباء وانطلق، فقال رسول الله ﷺ: «ردّوا عليّ أبي، ردّوا عليّ أبي، وإن عمّ الرجل صنو أبيه، إني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت بابن مسعود، دعاهم إلى الله فقتلوه، أما والله لئن ركبوها منا لأضرمّنها عليهم نارًا».

فانطلق العباس حتى قدم مكة، فقال:

يا أهل مكة أسلموا تسلموا، فقد استبطتكم بأشهب بازل^(١)، هذا الزبير من قبل أعلى مكة، وهذا خالد من قبل أسفل مكة، من ألقى سلاحه فهو آمن^(٢).



(١) أي رُميت بأمّ صلب شديد لا طاقة لكم به، يقال: يوم أشهب وسنة شهباء وجيش أشهب، أي: قوي شديد، وأكثر ما يُستعمل في الشدة والكراهة، وجعله بازلًا؛ لأن بزول البعير نهاية في القوة.

(٢) انظر قصة فتح مكة في «زاد المعاد»؛ لابن القيم (٣/ ٣٩٤ وما بعدها).

نقطة (الزهراء)

انتقلت (الزهراء) إلى دارها الجديدة بشارع الاستئناف بالقاهرة، وهذه الدار كما يعلم جمهور الأدباء تاريخية في نشأتها الأدبية، حيث كانت مقرًا لصحف ومجلات شتى، تعهدا بالرعاية الأدبية والمادية أو أنشأها: فقيده الصحافة العربية والمحاماة والوطنية، المغفور له الأستاذ محمد أبو شادي بك. وكانت منتدىً لصفوة أهل البيان في ذلك الوقت، فدفعت هذه الذكريات الشاعر إلى نظم هذه الأبيات الوجدانية، وبعث بها إلى صديقه محرر الزهراء.

جَدَدَتِ (للزهراء) فَجَرَ شَبَابِي	وَأَعَدَّتْ لِي صُورًا مِّنَ الْأَحْبَابِ
قَسَمًا (مُحِبِّ الدِّينِ) مِثْلَكَ أُنْسُهُ	يُنْسِي عَدِيمَ الْحِظِّ كُلَّ طِلَابِ
بِالْأَمْسِ كُنْتُ مَذْكُورِي بِطُفُولَتِي	فِي مَجْمَعِ الْعُرْفَانِ وَالْآدَابِ!
وَالْيَوْمَ تَنْشُرُهَا حَيَاءٌ غَضَّةٌ	فِي مَعْهَدٍ جَدْرَانُهُ أَوْلَى بِي!
لِي فِيهِ أَعْوَامُ الْبَيَانِ حَفِيلَةٌ	بِمُنَى وَأَحْلَامٍ صَدَقْنَ عِذَابِ
وَمَآثِرٍ لِلْكَاتِبِينَ عَرَفَتْهُمْ	كُلٌّ بِقُدْرَتِهِ الْعَزِيزُ الْآبِي
قَدْ كَانَ مَدْرَسَةَ الصَّحَافَةِ وَقْتَهُ	وَأَبَ الْبَيَانِ الْبَاذِخَ الْأَحْسَابِ
وَحَظِيرَةَ الْأَدَبَاءِ تَجْمَعُ شَمْلَهُمْ	وَمَبَاءَةُ الْأَعْلَامِ مِّنْ كُتَّابِ
عَنْهُمْ عَرَفْتُ الْفَنَ يُعَشِّقُ فَاتِنَا	وَعَرَفْتُ كَيْفَ تَسَانَدُ الْأَصْحَابِ
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ الْيَوْمَ نَقْشَ فَخَارِهِمْ	مَا كَانَ يَكْفِينِي فَخَارُ كِتَابِي!
لَمْ يُسْعِفُوا الْأَدَبَ الْمَهِيضَ فَحَسْبُ بَلْ	رَفَعُوا لِمَصْرِ مَنَارَةَ الطُّلَابِ
وَمَضَوْا ضَحَايَا لَمْ يَنْلَهُمْ مَغْنَمٌ	إِلَّا حَيَاءُ الذِّكْرِ فِي الْأَحْقَابِ

والآن أنت على غرارِ بُوغهم^(١) تأتي فتفتحُ مُغلقَ الأبوابِ
خُلِقَ الكريمُ المستعزُّ بفضله وبنهضةِ الأخلاقِ والألبابِ
جبلٌ مضى بأبي ونُخبه عصره وتعودُ أنت أختا يزِينُ شَبابي

أحمد أبوشادي



العربية وعناية عظماء المسلمين بها

- * قال عمر رضي الله عنه: تعلّموا العربية، فإنها تثبت: العقل وتزيد في المروءة.
- * كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أولاده على اللحن، ولا يضربهم على الخطأ.
- * مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يُسيئون الرمي، فقرّعهم. قالوا: إنا قوم متعلمين! فأعرض مغضباً وقال:
- والله لخطؤكم في لسانكم أشدُّ عليّ من خطئكم في رميكم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «رحم الله امرأةً أصلح من لسانه»^(٢).
- * كان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيء من اللحن فيقول: (أستغفر الله)، فقليل له فيه، فقال: من أخطأ في العربية فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءاً، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ نُمُرْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَحِدِ اللَّهُ عَفْوَراً رَّجِيماً﴾.

(١) غرار: مثال، يقال: هم على غرار واحد، أي متماثلون.

(٢) السلسلة الضعيفة؛ للألباني (٢٤١٤).

* قال عبد الملك بن مروان: ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتحاورون الكلام، ويتهادون الحكم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابثها، ويجمعون ما تفرق منها، إن الكلام قاضٍ يجمع بين الخصوم، وضياء يجلو الظلام، وحاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية.

* قال الخليل بن أحمد: سمعت أيوب السختياني يحدث بحديث، فلحن فيه فقال: أستغفر الله. يعني أنه عدّ اللحن ذنبًا.



ويلات الأمم

* ويلٌ لأمة تنصرف عن الدين إلى المذهب، وعن الحقل إلى الزقاق، وعن الحكمة إلى المنطق.

* ويلٌ لأمة تلبس مما لا تنسج، وتأكل مما لا تزرع، وتشرب مما لا تعصر.

* ويلٌ لأمة مغلوبة تحسب الزركشة في غالبها كمالاً، والقيح فيهم جمالاً.

* ويل لأمة تكره الضيم في منامها؛ وتخنع له في يقظتها.

* ويلٌ لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش، ولا تفاخر إلا إذا وقفت في المقبرة، ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع.

* ويلٌ لأمة سياستها ثعلبية، وفلسفتها شعوذة، أما صناعتها ففي الترفيع.

* ويلٌ لأمة تقابل كل فاتح بالتطيل والتزمير، ثم تشيعه بالفحيج والصفير، لتقابل فاتحاً آخر بالتطيل والتزمير.

* ويلٌ لأمة عاقلها أبكم، وقويها أعمى، ومحتالها ثرثار.

* ويلٌ لأمة كل قبيلة فيها أمة.

جبران خليل جبران



تجارب حكيم

قال بزر جمهر حكيم الفرس:

نصحني النصحاء، ووعظني الوعاظ - شفقة ونصيحة وتأديباً -، فلم يعظني
مثل شيبتي، ولا نصحني مثل فكري.

ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر، فلم أستضيء بضياء أضوأ من نور
قلبي. وملكت الأحرار والعبيد، فلم يملكني أحد ولا قهرني غير هواي،
وعاداني الأعداء، فلم أر أعدى إليّ من نفسي إذا جهلت، ووقعت في أبعد البعد
وأطول الطول، فلم أقع على شيء أضر عليّ من لساني، ومشيت على الجمر
ووطئت على الرمضاء، فلم أر ناراً أعلى حرّاً من غضبي، وتوحشت في البرية
والجبال، فلم أر أوحش من قرين السوء وأكلت الطيّب وشربت الطيّب، فلم
أجد شيئاً ألد من العافية والأمن، وأكلت الصبر وشربت المر، فلم أجد أمراً من
الفقر، وقدت الجيوش وصارعت الأقران، فلم أر قريناً أغلب من امرأة السوء،
وعالجت الحديد ونقلت الصخر، فلم أر حملاً أثقل من الدين، ولبست الكسى
الفاخرة، فلم ألبس شيئاً مثل الصلاح، وطلبت أحسن الأشياء عند الناس، فلم
أجد شيئاً أحسن من حُسن الخلق.

الحُبُّ الضَّرِيرُ

تَشَجَّعْ فَوَادِي، تَشَجَّعْ! فَكَمْ
 وَقَدْ سَأَمَكَ الدَّهْرُ كُلَّ الْعَذَابِ
 تَنَاسَّ الْمُنَى وَالْوِصَالَ الْقَصِيرَ
 وَخَلَّ الْهَوَى وَبَنَاتِ الْهَوَى
 حَيَاتُكَ لِلْكَوْنِ وَهُوَ الْأَمِينُ
 خُفُوقُكَ نَبْضُ بَشِيرِ الْجَمَالِ
 تَسْمَعُ خَرِيرَ الْمِيَاءِ الشَّجِيّ
 وَحَصْبَاءَهَا وَهِيَ تَضْغِي إِلَيْهِ
 وَرَاقِبْ تَوَدَّدَ زَهْرٍ نَضِيرِ
 وَرَاقِصَةَ النَّخْلِ بَيْنَ الْأَشْجَدِ
 وَحَالِيَّةٍ مِنْ جُمُوعِ النَّخِيلِ
 وَلَا تَنْسَ مَوْجًا لِبَحْرِ دُؤُوبِ
 فَيَمْضِي بِعَسْكَرِهِ فِي هَجُومِ
 وَيَلْبِثُ طَوْرًا يُنَاغِي الرَّمَالَ
 وَكَمْ مِنْ جَمَالٍ عَزِيزٍ طُرُوبِ
 وَمُلْكِ السَّمَاءِ بِآيَاتِهِ
 نَذَوْتُ عُمْرًا صُنُوفَ الشَّقَا
 فَكُنْتَ بِهِ السَّاحِرَ الْمُشْفِقًا^(١)
 وَعَهْدًا يَظُلُّ لَكَ الْمُقْلِقَا
 وَلِذْ بِالطَّبِيعَةِ مُسْتَوْتِقَا
 فَنَاجِ السَّنَا الشَّائِقِ الشَّيْقَا
 وَكَمْ رَفًّا مَبْتَسِمًا رَائِقَا
 يَغْنِي أَغَانِي الْهَوَى وَالْبَقَا
 بِبَشْرِ وَتُوشِكُ أَنْ تَنْطَقَا
 إِلَيْكَ وَطَبِيرًا لَهُ زَقَرَقَا
 تَوَالِرُوضُ مِنْ أَنْسَاهَا صَفَقَا
 تَعَافِ الْهَمُومَ فَلَنْ تَظَرِّقَا
 يَحَاكِي الْمَفْكَرَ وَالْأَحْمَقَا
 وَرَجْعُ فِي خَبِيئَةٍ مُخْنَقَا
 فَيَغْنَمُ مِنْهَا الَّذِي نَسَقَا
 يَرَاهُ الْبَصِيرُ الَّذِي حَقَّقَا
 حَيَاةً حَوَتْ سَرَّنَا الْأَعْمَقَا

(١) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

إذا شئت مَرَّقتَ هذا الستارَ فثمنتَ بعقلِكَ ما مَرَّقا!
 وإن عشتَ طَوَّعَ الهوى والشُّجونَ فأنتَ الضَّريرُ الذي ما ارتقى
 جَمالَ الحياةِ حَياءُ الجمالِ وفي السكونِ ما يُنبِغُ المنطقا
 فودَّعَ هُمومَ الغرامِ الضريرُ وناجِ السَّنا الباسمَ المونقا
 حياتكَ أُولى بحسنِ الخلودِ أضواءُ الوجودِ ولن يَخْلُقَا^(١)
 وخَفَّقُكَ أجدى لبثَ الصَّلاحِ فلا كُنتَ إن لم تُمِثْ مُويِّقا!
 ولا تبتئسَ لخداعِ الحياةِ ونلَّ أنتَ ناموسها الأصدقا
 وكنَ للضحيةِ قَبْلَ الغنيمَةِ كالنجمِ ضَحَى متى أشرقَا!
 وحسبكَ عُثْمًا بأنَّ المماتِ يساوي المتوَجَّ والمُملِقا!
 وانك بعضٌ لهذا الوجودِ وفي مجدهِ مَجْدُكَ المُنتَقَى!

أبو شادي



الطب العربي القديم

- * كان أطباء العرب يصنعون خيط الجراح من أمعاء القط، حتى إذا خيط به الجرح التأم، وهضم الجسم الخيط دون حاجة إلى نزع،
- * قال أبو بكر الرازي: ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة، ويرجيه فيها.
- * من أقوال أبي بكر الرازي: إن استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية؛ فقد وافق السعادة.

(١) ولن يبلى.

لما أ* راد عضد الدولة أن يبني مستشفى، استشار طبيبه في اختيار موضع لإقامة البناء عليه، فأخذ الطبيب قطعة لحم وشقها أربع شرائح، ووضع كل شريحة في مكان مكشوف حول المدينة، ثم رتب رجالاً يُثبت كلُّ منهم في دفتره الدقيقة التي يحدث فيها التعفن في كل من هذه الشرائح، ثم بنى المستشفى في المكان الذي تأخر فيه تعفن اللحم.

* كان ابن رشد أول من وصف علاج اليرقان والهواء الأصفر.

* استعمل الطيفوري الأفيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون.



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء السابع

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله بارئ الملَكوت، ومُبدع نظامه العجيب، وصَلَّى اللهُ على نبينا (محمد) صاحب الهدى الباقي، والذكر الخالد، إلى يوم الدين.

وبعد؛ فما زالت حديقتي الصغيرة تُسع وتنمو حتى صارت كتابًا في سبعة أجزاء، وما زالت تجدُّ من إقبال أصدقائها عليها، حتى تَبَوَّأت في خزائن كتبهم مكانًا تُغْتَبَط به، وما برح الشابُّ من قرائها يُعرِّف بها إخوانه، والفتاة تمتدحها لزميلاتها، حتى صار الجزء من أجزائها يُطلب من المطبعة قبل أن يتمَّ طبعه! إن هذا التشجيع من القراء لدليلٌ خير، وجزاؤه عندي إعلانُ الشكر عليه في هذا الموضع تخليدًا له.

محَبِّ الدين الخطيب



عيد الأمس، عيد اليوم، عيد الغد

ما انفكّ هذا الشرق العربيّ يستقبل الأعياد بقلوب أبنائه دون عقولهم، إلى أن فاجأتنا أعيادُ أفقنا فيها من رُقادنا، فشعرنا بحاجتنا إلى استقبالها بعقولنا دون قلوبنا.

وتلك عادة من عاداتنا السيئة، أن تكون نظرتنا الأولى إلى كل أمرٍ من أمورنا منتزعةً من هوى قلوبنا، وضلال مَـشاعرنا، وميول أنفسنا؛ مهملين كل الإهمال عقولنا التي بنورها يتبدّد دَيَجور الليالي، وبمقياسها تقدّر المنافع الحقيقية، وبقسّاسها يرجح جانب الصواب في كل حادث.

الأعياد السنوية عند الأمم هي الحد الفاصل بين عام مضى وعام أقبل، لذلك كان من شأن كل أمة حية أن تفرغ في أيام عيدها لاستعراض حوادث العام المنصرم؛ فتصفي حسابه، وتنظر في مبلغ ما نالته فيه من ربح فتعده عيداً سعيداً. يجدر بأفرادها أن يتبادلوا فيه عبارات التهاني، أو مقدار ما أصابها فيه من خسران، فتفكر في أسباب تلافيه، ويتمنى بعضهم لبعض أن يعود عليهم أمثاله بخير مما عاد به عليهم في عامهم الذي هم فيه. ولو كان أفراد جيلنا والجيل الذي تقدّمنا قاموا بعملية هذا «الجرد الاجتماعي» في فرصة كل عيد سنوي؛ لما كنا دون الأمم التي نهضت في تلك البرهة من الزمن، وأعني بها الأمة اليابانية والأمة البلغارية والأمة الفنلندية، وسائر الأمم التي سَـرَتْ مسراهنّ ونجحت نجاحهن.

ظللنا - كما كانت تفعل طبقة آبائنا - نستقبل الأعياد بسرور وغرور، غير شاعرين بمساعي اليابانيين والبلغاريين والفنلنديين في سبيل نهضتهم الوطنية

والصناعية والتهديبية، وما انقضى نحو خمسين عيدًا حتى انجلت عنهم وعنا غيوم الأزمان، فظهروا للعالم بمظهر المغالب للطبيعة في الحصول على مقومات الحياة، وظهرنا بمظهر الذي عاند الطبيعة؛ ليمنع مقومات الحياة من أن تتسرب إليه، فحصلوا هم منها على القسم الوافر رغم الطبيعة، ونحن أخذنا منها القسم اليسير الذي أرغمتنا طبيعة الزمان على الأخذ به. وها نحن نرى الآن بأعيننا ما بيننا وبين اليابانيين من المسافات الشاسعة في ميدان الارتقاء ومعترك الحياة: هم يلبّون داعي الوطنية بالألوف ونحن نلبيه بالمئات، وهم يشعرون بحاجة الوطن إليهم في ساعة حاجته إليهم ونحن نشعر بذلك متأخرين، هم يقدمون للوطن من رؤوس أموالهم علمًا منهم بأن حياة أفراد الوطن متصلة بحياة الوطن نفسه، ونحن نمئ على الوطن إذا جدنا عليه بحثالة الكأس وفضلات المائدة. لقد كانت الحرب المنصرمة امتحانًا للأمم يُبتلى فيه مضاء سلاحها التهديبي، وكنا في جملة من دخل هذا الامتحان، فَعَلِمْنَا من نتيجة ذلك أننا بدأنا نشعر بالحياة، وأن فينا من قواها نسيبًا لم يكن فينا قبل عشرين عامًا. لذلك يمكننا أن نعلم من (الجرد الاجتماعي) الذي نجربه في عيدنا هذا أن ثروتنا الوطنية والتهديبية في نماء وتقدّم، ولكنهما - ويا للأسف - قد تسربا إلينا بضغط طبيعة الزمان علينا، وإرغامها إيانا على مجاراتها للتسلح بمقومات الحياة. ولو أننا جارينها بلا ضغط منها علينا، بل لو اندفعنا في طريق الترقّي مقاومين ما قد يعترضنا من العقبات كما فعلت اليابان، لكننا اليوم بمنزلة اليابانيين صناعةً ووطنيةً وتهذيبًا.

إن هذا اليوم له ما بعده، ونحن واقفون في هذه الساعات على برزخ بين الحياة والموت: فإما أن يندفع كل فرد منا في سبيل الحياة بلا تردّد، ويسارع إلى

أن يكون قدوة لغيره قبل أن يكون غيره قدوة له، وإما أن يلبث كل واحد منا واقفاً يراقب ما يبدر من الآخرين ليفعل كما يفعلون، فتكون النتيجة بقاء الجميع وقوفاً أو شبه وقوف، وذلك هو الموت بعينه.

الواجبات الوطنية كثيرة، والسبيل التي سارت فيها الأمم الراقية واضحة أمامنا، فليكن حديثنا في هذا العيد دائراً حول هذا البحث جاعلين شعارنا «إلى الأمام... دائماً إلى الأمام...»، وبهذا يكون عيدنا سعيداً، ونكون واثقين من أننا وأولادنا سنستقبل بعقولنا وقلوبنا بمنافعنا ومسرّاتنا أعياداً سعيدة إلى الأبد.

محب الدين الخطيب



مرض حب الشهرة

إن الذي يَكِلُ إلى الناس تقدير قيمته، يجعلونه سلعة يتراوح سعرها بتراوحهم بين الحاجة إليها والاستغناء عنها.

والطريقة المثلى أن يقوم لنفسه قيمتها، فإن المرء . كما يقول بعضهم . يساوي القيمة التي يضعها لنفسه . ذلك خيرٌ من أن يطرحها في المزاد على ألسنة الناس .

عباس العقاد



الحياة والواجب

□ ذكرى شهداء استقلال سوريا □

وَدُنْيَا لَا نُوَدُّ لَهَا انْتِقَالَا	حَيَاةٌ مَا نُرِيدُ لَهَا زِيَالَا
عُصَارَتِهِ، وَإِنْ بَسَطَ الظُّلَالَا	وَعِيشٌ فِي أَصُولِ الْمَوْتِ سَمٌ
وَأِنْ خِيَلْتُ تَدْبُ بِنَا نَمَالَا	وَأَيَّامٌ تَطِيرُ بِنَا سَحَابَا
وَنُسْمِعُهَا التَّبْرُمَ وَالْمَلَالَا	نُزِيهَا فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَحُبَا
طَوَالَ حِينَ نَقْطَعُهَا فِعَالَا	قِصَارٌ حِينَ نُجْرِي اللَّهْوَ فِيهَا
زِحَامُ السُّوءِ ضَيَّقَهَا مَجَالَا	وَلَمْ تَضُقِ الْحَيَاةُ بِنَا، وَلَكِنْ
وَلَكِنْ سَابَقُوا الْمَوْتَ اقْتِنَالَا	وَلَمْ تَقْبَلْ بِرَاحَتِهَا بَنِيهَا
وَإِخْلَاصًا لِرِزَائِهِمْ جَمَالَا	وَلَوْ زَادَ الْحَيَاةُ النَّاسُ سَعِيَا



لَأَهْلِ الْوَاجِبِ أَدَّخَرَ الْكَمَالَا	كَأَنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْمَعَالِي
وَلَوْعًا بِالصِّغَائِرِ وَاشْتَغَالَا	نَرَى جَدًّا وَلَسَتْ تَرَى عَلَيْهِمِ
وَلَكِنْ أَنْعَمُ الْأَحْيَاءِ بِالَا	وَلَيْسُوا أَرْغَدَ الْأَحْيَاءِ عَيْثَا
وَإِنْ قَالُوا فَأَكْرَمَهُمْ مَقَالَا	إِذَا فَعَلُوا فَخْبِرُ النَّاسِ فِعَلَا
دَمًّا حَرًّا، وَأَبْنَاءً، وَمَالَا	وَإِنْ سَأَلْتَهُمُ الْأَوْطَانُ أَعْطُوا



أَهَابَ بِدَمْعِهِ شَجَنٌ فَسَالَا	بَنِي الْبَلَدِ الشَّقِيقِ عِزَاءَ جَارِ
وَأَضْحَى الْيَوْمَ بِالشَّهْدَاءِ غَالِي	قَضَى بِالْأَمْسِ لِلْأَبْطَالِ حَقًّا
أَكَانَ السَّلَمَ أَمْ كَانَ الْقِتَالَا	يُعَظَّمُ كُلُّ جَهْدٍ عَبْقَرِيٍّ

وما زلنا إذا دَهَتْ الرِّزَايا
وقد أنسى الإساءة من حَسود
ذكرْتُ المهرجَانِ وقد تجلَّى
وداري بين أعراس القوافي
تَسَلَّلَ في الزحام إلَيَّ نِضْوُ
رسول الصابرين ألمَ وهنا
دنا مني فناولني كتابًا
وجدت دَمَ الأسود عليه مسكًا
كَانَ أساميَّ الأبطال فيه
رُواة قصائدي، قد رتلوها
إذا رَكَزوا القنا انتقلوا إليها



بني سورِيَّة التشموا كيوم
سلوا الحرِّية الزَّهْرَاءَ عَنَّا
وهل نلنا كلانا اليوم إلا
عرفتم مَهْرَهَا فمهرتموها
وقمتن دونها حتى خضبتن
دعوا في الناس مفتونًا جبانًا
أبطلن حقهم بالروح قوم
وكونوا حائطًا لا صَدْعَ فيه
وعيشوا في ظلال السِّلْمِ كدًا
ولكن أبعُدُ اليومين مَرَمَى

خَرَجْتُم تَطْلُبُونَ به النزالا
وعنكم هل أذاقنا الوصالا
عراقِبَ المواعِدِ والمطالِا
دُمَّا صَبَغَ السَّبَابِغَ والدَّغالا
هَوَادِجَهَا الشَّرِيفَةَ والحِجَالا
يقول: الحرب قد كانت وبالا
فتسمع قائلا: ركبوا الضلالا!
وصَفًّا لا يُرْقَعُ بالكسالى
فليس السِّلْمُ عَجْزًا واتكالا
وخيرُهما لكم نُصْحًا وآلا

وليس الحربُ مَرَكَبَ كلِّ يومٍ ولا الدَّمُ كلَّ آونةٍ حَلالا



سأذكرُ ما حَيَّثُ جدارَ قبرٍ مقيمٍ ما أقامتُ «مَيْسِلُونُ»
بظَاهِرِ جِلْقِي رَكَبَ الرمالا لَقَد أوحى إِلَيَّ بما شَجَانِي
يُذَكِّرُ مَصْرَعُ الْأَسَدِ الشِّبَالَا^(١) تَغَيَّبَ عَظْمَةُ الْعَظَمَاتِ فِيهِ
كما تُوحِي الْقُبُورُ إِلَى التَّكَالِي كَانَ بُنَائِهِ رَفَعُوا مَنَارًا
وَأَوَّلُ سَيِّدٍ لِقَيِّ النَّبَالَا سِرَاجُ الْحَقِّ فِي ثَبَجِ الصَّحَارَى
من الْإِخْلَاصِ أَوْ نَصَبُوا مِثَالَا تَرَى نُورَ الْعَقِيدَةِ فِي ثَرَاهُ
تَهَابُ الْعَاصِفَاتِ لَهُ دُبَالَا مَشَى وَمَشَتْ فَيَالَتْهُ مِنْ فَرَنَسَا
وَتَنَشَقُّ مِنْ جَوَانِبِهِ الْخِلَالَا مَلَأَ الْجَوَّ أَسْلِحَةً خِفَافَا
تَجَرُّ مَطَارِفَ الظُّفْرِ اخْتِيَالَا وَأَرْسَلَنَ الرِّيَّاحَ عَلَيْهِ نَارًا
وَجَهَ الْأَرْضِ أَسْلِحَةً ثِقَالَا سَلُوهُ: هَلْ تَرَحَّلَ فِي هُبُوبِ
فَمَا حَفَلَ الْجَنُوبَ وَلَا الشِّمَالَا أَقَامَ نَهَارَهُ يُلْقِي وَيَلْقَى
من النيرانِ أَرْجَلِ الْجَبَالَا وَطَاحَ تَرَى بِهِ قَيْدَ الْمَنَايَا
فَلَمَّا زَالَ قَرَصُ الشَّمْسِ زَالَا فَكُفِّنَ بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
وَلَسَتْ تَرَى الشُّكِيمَ وَلَا الشُّكَالَا إِذَا مَرَّتْ بِهِ الْأَجْيَالُ تَتَرَى
وَعُيِّبَ حَيْثُ جَالٍ وَحَيْثُ صَالَا تَعَلَّقَ فِي ضَمَائِهِمْ صَلِيبًا
سَمِعَتْ لَهَا أَزِيرًا وَابْتِهَالَا

وَحَلَّقَ فِي سَرَائِرِهِمْ هِلَالَا^(٢)

أحمد شوقي

(١) هو قبر (يوسف العظمة)، وزير الحربية في حكومة سوريا المستقلة. وقد مات في حرب
ميسلون بين المجاهدين والجيش الفرنسي سنة ١٣٣٨هـ.

(٢) يرمز بالصليب إلى النصارى من بني وطنه. ومن المعلوم أن الصليب من شعار أهل =

(لا) و (نعم)

قال أديب: مِنْ عِزِّ (لا) أَنْ يَقُولَهَا صَاحِبُهَا وَهُوَ رَافِعُ رَأْسِهِ، وَمِنْ ذَلِّ (نعم) أَنْ يَقُولَهَا وَهُوَ خَافِضُهُ.



المدرسة البادرانية - بدمشق

في يوم من أيام عام ٦٥٥ هـ نزل على دمشق ضيف بغدادي جليل القدر واسع العلم، وهو الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادراني، مدرّس المدرسة النظامية في بغداد.

وكان مع علمه وأدبه حكيماً سياسياً متواضعاً وقوراً، واسع الصدر، يملأ قلب من يجتمع به، وكان - لتوافر هذه الصفات فيه - رسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة، وإصلاح الأحوال المدلهمة.

وكان مدة وجوده في دمشق موضع حفاوة علمائها وأعيانها، بما عُهد في أهل هذه المدينة - منذ القِدَم - من دماء الأخلاق، والرفقة واللطف، متمثلة فيهم

= الكفر، يدل على عقيدتهم المخالفة لما أخبر الله به من أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب، في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾. ولذا؛ فلا ينبغي للمسلم الترميز به، وإنما يُسمي الأشياء بأسمائها الشرعية. وأما الترميز بالهلال على المسلمين فقد اشتهر في زمن الدولة العثمانية، مقابلة لصليب الدول النصرانية. ولعل سبب اختيارهم الهلال: أن أحكام الإسلام وتاريخهم يرتبط بالأشهر القمرية، وهذا خاص بهم دون غيرهم من الأمم. (س).

حضارة أقدم مدينة باقية على وجه الأرض. ولم يكن يومئذ في أقطار الشرق الأدنى ما يوجد فيها الآن من نزعات التفرّق باسم الأوطان، فكان المسلمون جميعاً إخوة، وكان الاشتراك في اللغة والأدب والثقافة لا يُخطر بالبال شيئاً من الفروق التافهة التي ترجع إلى مناطق الأوطان الصغيرة.

وكان من آثار ما لقيه النجم البادراني من حفاوة الدمشقيين به أنه عزم على أن يترك في مدينتهم أثراً له يُذكر به في الدنيا، وتخلّد له به المثوبة في الآخرة، فكان أول ما خطر بباله أن يكون هذا الأثر بشكل مدرسة يقيمها في نقطة متوسطة بين ثلاثة أحياء كبرى من أحياء مدينة دمشق؛ فأنشأ (المدرسة البادرانية) بين حيّ العمارة وحي باب السلام وحي القيمرية، وكانت لهذه الأحياء يومئذ مكانة وسيادة بما لسكانها من شأن وفخامة.

واختار مدرّس المدرسة النظامية أن تكون مدرسته في دمشق في مكان دار الأمير أسامة التي كانت قبل ذلك في موضع هذه المدرسة، وسرعان ما قام ببنائها، وبَدَت محاسنها، فأقيم لافتتاحها احتفالٌ اشترك فيه السلطان الناصر وفحول العلماء وكبار الأمراء الأعيان وأهل الثروات الطائلة. وتلي في يوم الاحتفال كتاب الوقف الذي وقفه الضيف البغدادي على المدرسة الدمشقية، وفيه أسماء قرى وبساتين وعقار رُصدت كلها على نفقة هذه المدرسة والمنقطعين فيها لطلب العلم.

ومما اشترطه أن يكون طلبة هذه المدرسة غير متزوجين، وأن لا يدخلها امرأة، ليضمن انقطاع القوم للعلم ما داموا فيها، فلا يصرفون أوقاتهم إلا في تحصيله.

وقد تولى التدريس في هذه المدرسة العلّامة شيخ الشافعية في وقته بالشام برهان الدين أبو إسحاق، ثم ولده كمال الدين من بعده. وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سويد، ثم صار النظر إلى ذريته، فاستمرّ فيهم عدّة قرون.

ومن محاسن المدرسة البادرية أنه كان فيها خزانة كتب في زمن الواقف، ولا بد أنها ازدادت واتسعت بعد ذلك، إلى أن جاءت عصور الجهل الأخيرة، فامتدّت إليها الأيدي وزالت من الوجود.

وقد كافأ الله ضيف الشام البغدادي في الدنيا والآخرة على ما خدم به العلم من إقامة هذه المدرسة، فإنه لما عاد إلى بغداد ليستمرّ على التدريس في النظامية عُرض عليه أن يكون قاضي القضاة، وكان ذلك أعلى منصب إسلامي يومئذ بعد الخلافة، مكافأة له على ما بلغه من منزلة. وكان النجم البادراني يكره أن يتقلد هذا المنصب في شيخوخته، ويودّ أن يستمرّ في حياة الهدوء مقتصرًا على التدريس، فحمله الخليفة على قبول هذا المنصب كرها، ثم قبضه الله إليه في مستهل شهر ذي القعدة من تلك السنة . ﷺ ..

أما المدرسة البادرية الآن فمثل سائر مدارس دمشق ليس فيها شيء من سِمة العلم ولا مظهر من مظاهره. ولعل التهاون بأمر مثل هذه المدارس في القرون الأخيرة من الأسباب التي جعلت الجوَّ خاليًا لانتشار الدعايات الضارة في الأوطان الإسلامية.



أذان الفجر

لما كان الأستاذ أمين الريحاني في السفينة الشراعية على ساحل جزيرة البحرين قاصدًا ساحل الإحساء، أثقل الهواء جفنه فنام قليلاً، ثم أيقظه صوت الملاحين، وهم إذ ذاك يشتغلون في قلب الشراع طوعًا للريح ويردّدون:

صلّ على النبي .

قال الريحاني (ملوك العرب ٢ : ٣٢) يصف أثر ذلك في نفسه :

«وربك أيها القارئ ما سمعتُ في أنغام الليل على المياه أطرب منها، إلا أن يكون صوت المؤذن في الخليج وهو يؤذن الفجر، ليس في صلوات الأمم كلها أدعى منه إلى الورع والخشوع، وقلّ فيها ما هو أجمل وقعاً في النفس من صلاة الملاح في ظل الشراع».



عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأم البنين^(١)

لدى عمر أمير المؤمنين	قفوا بي وقفاً المتهيبينا
ملك ذو مآثر باسقات	يقصّر عن مداها السابقونا
خوالد ما عفت قِدمًا ولكن	يُعطر نشر ذكراها القرونا
ولم يك صولجان الملك يومًا	ليمنعة العُفاة البائسينا
فكانوا يقبلون على حماءه	كأسراب الأطباء رأث معينا
وكان بنفسه بعض الليالي	يدور على المنازل مستبينا
فمن يمدح لمكرمة فإني	نظمت بمدحه عقدًا ثمينًا
وها كم ما روى العباس عنه	أراه بانتباهكم قمينًا
يُمثل صورةً للباس فينا	وئلمي عبرةً للحاكمينا



يقول: لقد دعاني الملك وهنا فكنْتُ له بجونته خدينا

(١) قصيدة ألقتها الكندرا بني غنطوس في حفلة (جامعة السيدات) بمدينة بيروت، وهي من نظم الأستاذ جرجي نخلة سعد.

أَفَرَّتَهُ مَحَبَّتُهُ لَشَعْبِ
 سَرَى مَتَنَكْرًا وَاللَّيْلُ قَرٌّ
 يَطْوِفُ فِي الْخِيَامِ عَسَاهُ يَلْقَى
 فَمَرَّ هُنَاكَ بِامْرَأَةٍ عَجُوزَ
 وَقَدَّرَ أَرْكَزَتَهُ عَلَى أَثَافٍ
 تَقُولُ - وَدَائِبُهَا التَّنْفِيخُ - صَبْرًا
 فَظَلَّ الْمَلِكُ يُمَعِّنُ نَاطِرِيَهُ
 وَطَالَ وَقُوفُهُ فِي الْحَيِّ حَتَّى
 يَمِينًا لَيْسَ يَبْغِي الْبَيْنَ حَتَّى
 وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ بَضْعُ سَاعٍ
 فَعَمِلَ تَصَبَّرًا، وَدَنَا إِلَيْهَا
 وَمَا لِبَنِيكَ يَنْتَحِبُونَ؟ قَالَتْ:
 أَجَابَتْ - وَالْمَحَاجِرُ دَامَعَاتُ -
 فَمَا فِي الْقَدْرِ غَيْرُ حَصَى وَمَاءٍ
 لَعَلَّهُمْ مَتَى مَلَّوْا أَنْتَظَارِي
 فَقَالَ لَهَا: لَقَدْ أَخْطَأْتُ رَأْيَا
 فَلَيْمَ لَمْ تَعْرِضِي شُكُوكَ يَوْمًا
 إِذْنًا لِكِفَاكِ مُرَّ الْعَيْشِ مِمَّا
 فَقَالَتْ: لَا سَقْتُ عَمَرَ الْعَوَادِي
 لَقَدْ سَمَحْتُ بِظُلْمِي مُقْلَنَاهُ
 فَرَاغَ فَوَادِهِ مَا تَدَّعِيَهُ
 فَقَالَتْ: قَدْ أَمَالَ الظَّرْفَ عَنَا

يَعِزُّ عَلَيْهِ يَوْمًا أَنْ يَهُونَا
 إِلَى الْأَثَلَاتِ يَفْتَقِدُ الشُّنُونَا
 بِمَنْزَوِيَاتِهَا رَهْطًا حَزِينَا
 حَوَالِيهَا صَغَارٌ يُغُولُونَا
 غَلَى عَيْنًا لِتَعْلِيلِ الْبَنِينَا
 بَنِيَّ، سَتَأْكُلُونَ وَتَشْبَعُونَا
 بِهَا حِينًا وَبِالْأَوْلَادِ حِينَا
 تَوَجَّسَ أَنْ يُرِيبَ بِهِ الظَّنُونَا
 يَرَى الْأَوْلَادَ قَدْ مَلَأُوا الْبَطُونَا
 تُنْفَخُ فِي الْوَقُودِ وَيَصْرُخُونَا
 وَحِينَ قَائِلًا: مَا تَصْنَعِينَا؟
 جِياع! قَالَ: لَمْ لَا يَأْكُلُونَا؟
 أَأَطْعُمُ صَبِيئِي الْمَاءَ السَّخِينَا؟
 أَحَاوَلُ أَنَّهُمْ يَتَعَلَّلُونَا
 وَسَاوَرَهُمْ نَعَاسٌ يَهْجَعُونَ
 وَأَوْرَثَ الصَّغَارَ ضَنْئِي وَهُونَا
 عَلَى عَمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَا؟
 يَجُودُ، وَلَمْ يَكُنْ عَمَرُ ضَنِينَا
 وَنُكَّسَ بِنْدُهُ فِي الْعَالَمِينَا
 وَتَحْمِيلِي الْخِصَاصَةَ وَالْأَنْبِينَا!
 وَقَالَ لَهَا: بَرَبِكَ أَخْبِرِينَا!
 وَلَمْ يَعْأَ بِمَا قَدْ حَلَّ فِينَا

أَيَغْفُلُ عَنْ سَوَائِمِهِ مَلِيكَ
 عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَشَ فِي الرَعَايَا
 عَسَاهُ أَنْ يَرَى مِثْلِي عَجُوزًا
 فَيُنْعَمَ مِنْ خَزِينَتِهِ بِشَيْءٍ
 وَلَا يَغْنِيهِ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرًا
 فَكَمْ عَافٍ يَمْنَعُهُ حَيَاءً
 يَكَادُ يَمُوتُ مِنْ ظَمَأٍ وَجُوعٍ
 إِذَا مَلِكٌ تَغَاضَى عَنْ ذَوِيهِ
 فَقَالَ لَهَا: صَدَقْتَ، فَمَنْ قَلِيلُ



وَسَارُ وَسَرْتُ مُحْتَذِيَا خَطَاهُ
 أَكْرُهُ وَرَاءَهُ تَحْتَ الدِّيَاجِي
 إِلَى بَيْتِ الْمُؤُونَةِ حَيْثُ أَمْسَى
 وَمَا هُوَ غَيْرُ لِمَحِ الطَّرَفِ حَتَّى
 وَعَدْنَا وَالِدَقِيْقُ عَلَيْهِ يُذَرَى
 يَكَادُ يَنْوُو تَحْتَ الْحَمْلِ لَكِنْ
 كَأَنِّي إِذْ عَرَضْتُ يَدِي عَلَيْهِ
 فَقَالَ: اصْمُتْ، فَمَا حُمِلَتْ عَنِّي
 إِلَى الْأَوْلَادِ يَا عَبَّاسُ سِرْ بِي
 أَنْأَكُلُ كُلَّ يَوْمٍ كُلَّ لَوْنٍ
 وَنَسْرَحُ فِي رُبُوعِ الْأَنْسِ دَوْمًا
 وَنَرْقُدُ لَا نَبَالِي بِالْبَلَايَا

كَأَنَّ بَنَا إِلَى وَطَرِ حَنِينَا
 وَتَنْبَحُنَا الْكِلَابُ وَتَقْتَفِينَا
 هُنَالِكَ يَنْبَشُ الذُّخْرَ الدِّفِينَا
 حَمَلْتُ السَّمْنَ وَاحْتَمَلُ الطَّحِينَا
 فَعَقَّرَ عَارِضِيهِ وَالْجَبِينَا
 مَشَى طَوْلَ الْمَسَافَةِ مُسْتَكِينَا
 ضَرَبْتُ عَلَى صَفَاؤِ لَنْ تَلِينَا
 ذَنْبِي يَوْمَ يُجْزَى الْمَذْنُونَا
 أَمْدٌ لِكَشْفِ كُرْبَتِهِمْ يَمِينَا
 وَهُمْ مِنْ جُوعِهِمْ يَتَضَوَّرُونَا
 وَهُمْ فِي كُوحِهِمْ يَتَمَلَّمُونَا
 وَهُمْ لِنَبَالِهَا مُسْتَهْدَفُونَا

وواصلني صُداغُ لن يبينا
وجوفُ الغمر أوشك يحتونا
خَطايَ وأغسل العار المُبينا
كحمل ظلامَةِ المستضعفينا
طوينا منه قاحلةً شطونا
وقد أغضت من التعب الجفونا
فكان ثمالها كَدَرًا وطينا
بِمناء، ودسَّ به السمونا
فأولج في بقايا غصونا
تناولَ مَنْخَرِه والعيونا
كأنك تشهد الطاهي الفطينا
أبى إصراره أن يستعينا
بتلقيم الصغار الجائعينا
ولا عرفوا سواه أبا حنونا
أقْلِي اللومَ، والتزمي السكونا
إلى عرش الإمارة منتمونا
فنامي ملءَ جَفْنِكَ واصبحينا



عليها حيث أدركت اليقينا
من التنديد بات بها طعينا
- لشدّة روعها - ألا تكونا
نفى عنها التأثر والشجونا

جَفاني عند رؤيتهم رُقادي
وكدتُ أحرّ أن الأرض مادت
إلى الأولاد يا عَبَّاسُ أمحو
فَوْنَمَ الله ما القُلل الرواسي
وازجينا الخطى في السهل حتى
فأدركنا المعجوز على قَتَادُ
وجَفْتُ قِدْرَها فوق الأثافي
فأفرغها، وأفعمها دقيقا
وكاد الوقْدُ تحت القدر يخبو
مكبّا لا يشبّطه دُخانُ
يجبُ الطبخُ تحريكًا وغلبيًا
فأنضجه ونحن بجانبه
وأسرعَ - والباشة ملء فيه -
يَنَامِي ما حنا أحدٌ عليهم
ومال إلى المعجوز فقال: مهلاً
سنذكر للأمير بلاك إنا
كفالك كآبة وطوى ومُهدّ

وكان غدٌ لدى عمرٍ رهيبًا
لدى عمرٍ، وقد رشقت سهامًا
فيالك موقفًا حرجًا تمتّ
ولكن نالها منه التفات

فأجزل رَفَدَهَا بعد اعتذارٍ وبَدَل شِدَّةَ الأيامَ لينا
فراحت وهي تروي عنه عدلاً وإحساناً وفَرَطَ تُقَىَ ودينا



كذا كان الخليفة من قديم مثلاً للملوك الصالحينا

جورجي نخلة سعد



كلمة معاوية رضي الله عنه في وحدة العرب

قال عمرو بن عتبة:

ما استدر لعمي كلامٌ قطُّ فقطعه حتى يذكر العرب بفضل، أو يوصي فيهم
بخير. ولقد أنشده مروانُ ذات يوم بيتاً للنابعة حيث يقول:

هم درعي التي استلأمتُ فيها إلى يوم النصار، وهم مَجَنِّي
فقال معاوية: ألا إن دروع هذا الحي من قريش إخوانهم من العرب
المتشابهة أرحامهم تشابُكُ حَلَقِ الدرع، التي إن ذهبت حلقة منه فرقت بين
أربع. ولا تزال السيوف تكره مذاقة لحوم قريش ما بقيت دروعها معها،
وشدت نطفها عليها، ولم تُفك حلقها منها، فإذا خَلَعْتُها من رقابها كانت
للسيوف جزراً.



جزيرة البحرين في الماضي والحاضر^(١)

محاضرة أقيمت في نادي جمعية الشبان المسلمين مساء الخميس آخر شوال، ١٣٤٦ بمناسبة زيارة أعيان البحرين لنادي الجمعية.

أبها السادة:

أنتهز فرصة وجود السيد عبد الرحمن القصيبي وأصدقائه الكرام بين جدران هذا النادي، فأحيي معكم في أشخاصهم عنصرًا نشيطًا مقدمًا من عناصر الأمة العربية، وشعبًا صالحًا مخلصًا من شعوب الملة الإسلامية، أقامته ظروف الزمان والمكان على سيف البحر من الخليج العربي؛ ليلتقي بنشاطه وإقدامه صدمات الأدهار وأمواج البحار، فترتد عنه تلك الصدمات وهذه الأمواج وهو أمضى ما كان عزيمة، وأقوى ما عرفه الناس جلدًا واقتحاما.

أولئك هم إخواننا عرب البحرين، والجزيرة الرابضة أمامهم على منكب الخليج كما يربض الأسد إلى جانب عرينه.

أولئك هم إخواننا الذين استيقظوا كما استيقظنا، والذين شعروا بواجبهم القومي كما شعرنا، والذين لهم في معترك الحياة الاقتصادية جولات وصولات، هي من خير ما جال به شرقي وصال في ذلك المعترك.

أولئك هم إخواننا الذين عزموا على أن يكون لهم في ساحة العمل الأدبي للعربية والعرب والمسلمين والإسلام ما يناسب بيتهم من العمل والجهد، إن

(١) مع مراعاة أن هذه المقالة فيها شيء من الاهتمام بالآثار الجاهلية، والافتخار بها. وتُنظر - للفائدة في هذا الموضوع - رسالة: «الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الإسلامية»؛ للدكتور عبدالعزيز الجفير. (س).

لم يوفِّ عليها ويزيد. وحسبي أن أذكر لكم في هذا المعنى أن لهم نادياً اسمه (النادي الأدبي)، يأوي إليه المستنيرون منهم في الجزيرة التي قامت بها قصور الإمارة، وأعني بها جزيرة المحرق الواقعة في شرقي مدينتهم التجارية الكبرى التي تسمى المنامة، وإن على رأس الحركة الأدبية هناك فاضلين كريمين من عليّة القوم وأركان الأسرة الحاكمة، وهما الشيخ إبراهيم ابن الحاكم السابق، والشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله كبير أنجال أمير البحرين الحالي. وكأني بهم في هذه الساعة قد انضوا إلى ذلك النادي يقرؤون ما يحمله إليهم بريد مصر من صحف ومجلات ومطبوعات، فيقفون من ذلك على ما بلغه سير الحركة الفكرية في ديار الإسلام، ولا يبعد أن يكون حديثهم في هذه الليلة دائراً حول جمعيتكم وناديكم وما يعلق عليهما العالم الإسلامي من آمال.

لأن العالم الإسلامي ينشد الآن خطة معتدلة شريفة تترفع عن إسفاف أهل الجمود، وتتنزه عن تهوّر أهل التطرف، فحينما يرى المسلمون دعوة ترمي إلى هذا الإصلاح المعتدل يحوطونها بعنايتهم ورعايتهم ويشكرونها بألسنتهم وأفئدتهم.

وجزيرة المحرق هذه - أيها السادة - هي البقعة اللطيفة الهواء المتصلة بزرقة الماء، وفيها قصور الأمراء الكرام من آل خليفة، تتخلّل مبانيها مدارس العلم والتهذيب، وتموج مجالسها بالشباب المستنير. وهي إن لم تضارع مدينة (المنامة) بسعتها وكثرة سكانها ونشاط حركتها فإنها تتفوّق عليها من الوجهتين الأدبية والقومية. وجزيرة البحرين بمجموعها من أكثر بلاد العرب سكاناً؛ لأن نسبة مساحتها إلى سكانها تجعل الميل الواحد المربع لنحو خمسمائة نسمة، بينما الميل الواحد في داخل جزيرة العرب لا يكاد يصيبه عشرة من السكان، إن لم يكونوا أقلّ.

وكانت هذه الجزيرة تسمى في تاريخنا الإسلامي وقبله باسم (جزيرة أوال) على اسم صنم لبني بكر بن وائل وإخوتهم من بني تغلب بن وائل، قبل أن تشيع النصرانية في بني تغلب. وأول ما يتبادر إلى الذهن أن يكون لاسم الجزيرة القديم علاقة بدينها القديم، ودلالة على قبيلة سكناها، وفي الواقع إن قبائل بني وائل كانت منتشرة على ساحل الخليج العربي، فمن المعقول أن ينزل فريق منها في جزيرة البحرين - أو جزيرة أوال كما كانت تسمى - فيغلب اسم الصنم الوائلي على ما كان لها من اسم قبل ذلك.

والذين عرفوا جزيرة البحرين باسم جزيرة أوال عرفوها بما فيها من غابات الشجر وحدائق النخيل، وبما يزدحم في سيفها من سفائن التجارة، وما تؤديه هذه الجزيرة من الوساطة الاقتصادية بين أمها جزيرة العرب وبين سائر أنحاء المعمورة، ولا سيما العراق وفارس والهند وجاوة والصين.

قال السمهري العكلي يصف ناقته - وضرب المثل بنخيل هذه الجزيرة وباسق أشجارها - فقال:

ظُرُوحٌ مَرُوحٌ فوق دَوْحٍ، كأنما يُنَاطُ بجذعٍ من أوالٍ زِمَامُهَا

- وتمثل الأختل بجذوع غاباتها يوم قال:

خَوْصٌ كَانَ شَكِيمَهُنَّ مُعَلَّقٌ بقنا رُدْبِنَهُ أو جُذُوعُ أوال

ووصف ابن مقبل إبلاً مال بها رُعَاتُهَا عن مفاوز البادية إلى رخاء المعمور، وضرب المثل بالسفن التي تأوي إلى مرفأ هذه الجزيرة العربية الصغيرة فقال:

عَمَدَ الحُدَاةِ بها لعارض قرية فكأنها سُفُنٌ بِسِيفِ أوال

وأشار جرير إلى الدور الاقتصادي الذي تمثله هذه الجزيرة بين بلاد العرب وبين المصادر التجارية والصناعية في الأقطار الأخرى فقال:

وشبَّهت الخروج غداة قَوْ سفينَ الهند رُوحَ من أوالا

أيها السادة:

إذا كتب الله لأحدكم أن يزور هذه الجزيرة كما زار أعيانها الآن وادّيكُم المبارك، فإن رحلة قصيرة يقوم المرء بها في تلك البقعة الصغيرة تزيح له الستار عن حقائق عظمى في التاريخ: في تاريخ الجزيرة نفسها، وفي تاريخ فريق عظيم من الأمم التي تتكلم العربية الآن. فإن الرجل إذا انحدر من عاصمة البحرين نحو الجنوب ينتهي به السير إلى سهل (المراقيب) الواقع بين (المنامة) و(الرفاع)، فيجد نفسه هناك أمام نحو ستة آلاف مدفن من المدافن العريقة في القِدَم. وقد زار هذه المدافن عام ١٨٧٩ الكابتن دوران Durand. Capt. الإنكليزي فذاع على يده خبرها في أوروبا. ثم بعد عشر سنين من ذلك التاريخ زارها رحالة إنكليزي آخر اسمه ثيودور بنت the odor bent، فنقل منها آثارًا قديمة عرضها على المتحف البريطاني، فألف المتحف البريطاني لجنة أثرية لدرسها وفحصها، وقد تبين لهذه اللجنة أن الآثار المستخرجة من مدافن سهل المراقيب في جزيرة البحرين إنما هي آثار فينيقية.

وهذه النتيجة لفتت الأنظار إلى مآثورات قديمة وحديثة تدلّ على ما بين هذه الجهات وبين الأمة الفينيقية من علاقات تاريخية وأواصر قومية. ففي الخليج العربي الآن بلدتان اسمهما (جبيل) و(صور)، كما أن في ساحل الشام من أوطان الفينيقين الباقية إلى الآن بلدين اسمهما (جبيل) و(صور).

فهل هذا الأمر من أثر الصدفة والاتفاق يا ترى، أم هو يدل على علاقة بين البلدين؟ قد يخطر على البال أن (جبيل) و(صور) اللتين في الخليج العربي ربما سميتا بهذا الاسم في العصور الإسلامية، أي بعد زوال عهد الفينيقين، فلا علاقة إذن بين القطرين من هذه الجهة. ولكنّ سترابون الرحالة اليوناني المعاصر للسيد المسيح جاء إلى الخليج العربي وعرف بنفسه مدينة صور مقروناً إليها بلدة

أخرى اسمها (أرواد) على اسم جزيرة أرواد التي في ساحل الشام، ولما تكلم سترابون عن ذلك في الفصل السادس عشر من كتابه زاد الأمر إفصاحًا فقال: «إذا سرتَ في الخليج الفارسي رأيت بلدتي صور وأرواد، وفيهما هياكل تشبه كل الفينيقين».

إذن؛ فالمدافن الموجودة الآن في سهل (المراقيب) من جزيرة البحرين، وحكم لجنة المتحف البريطاني عليها بأنها من نوع الآثار الفينيقية، ومشاهدة سترابون هياكل في الخليج العربي في عصر المسيح هي من نوع الهياكل الفينيقية، ووجود مدن تتفق بأسمائها مع مدن الفينيقين في الساحل الشامي قديمًا وحديثًا، كل ذلك مما يستوقف النظر ويدعو إلى إطالة التأمل لنعلم ما هي العلاقة التاريخية بين البلدين.

وهنا نتذكر كلمة قديمة قالها يستين مختصر (تروغ بمبي) في الفقرة الثالثة من الفصل الثامن عشر حيث قال: «إن الفينيقين لما آذتهم الزلازل في أوطانهم وأضرّت بهم؛ هجروها، وأقاموا أولًا بالقرب من البحيرة الأشورية. أي الخليج العربي. ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر. أي الأبيض.. وفي ذلك المحل بنوا مدينة سموها صيداء؛ لكثرة الأسماك في ساحلها».

إذن؛ فالفينيقيون قبل أن يأتوا ساحل الشام كانوا في البحيرة الأشورية، أي عند الخليج العربي، وقبل ذلك كانوا في أوطانهم الأولى، فخرجوا منها لحدوث زلازل في بلادهم، فأين هي بلادهم الأولى التي حدثت فيها الزلازل؟ قد يكون هذا خارجًا عن موضوعنا الآن، ولكن يكفي أن ألفت أنظاركم إلى أحجار أثرية استُخرجت من اليمن وألقى عنها الأستاذ نلليو الإيطالي محاضرات في الجامعة المصرية في العام الماضي، وفيها نقوش بالكتابة الحميرية القديمة تشير إلى معبودة اسمها (عشروت)، كانت من معبودات اليمن

على ما في هذه الأحجار الأثرية، بينما نحن نعلم أن عشتروت من آلهة الفينيقيين. فمن الأمور التي لا يستهان بها أن نتذكر ذلك إذا أردنا أن نبحث عن وطن الفينيقيين الأول، قبل مجيئهم إلى البحرين والخليج العربي.

ولكن هل كان الفينيقيون يعلمون شيئاً من هذه الوقائع عن تاريخهم السابق لوجودهم في ساحل الشام؟ إن هيرودوتس الذي يسمى أبا التاريخ تكفل بالإجابة على هذا السؤال، وهيرودوتس زار الفينيقيين في مدائنهم الشامية قبل المسيح بأربعمائة وخمسين عاماً، ونقل لنا عن لسان سَدَنَة هيكل (بعل ملك قرت) وكهنته وغيرهم من أهل العلم بالشؤون الفينيقية: «إن الفينيقيين - كما يخبرون هم بأنفسهم - أقاموا أولاً عند البحر الإثري (ساحل بلاد العرب) ولكنهم رحلوا من هناك وجاؤوا فسكنوا سواحل بحر سوريا».

إذن؛ فالجهات التي اجتمعنا الآن للتحدث عن ماضيها وحاضرها هي الوطن الأصلي للأمة الفينيقية التي حملت معها من الخليج الفارسي مزيّتين امتازت بهما على جميع الأمم المعاصرة لها، وهما: الشجاعة في ركب البحار، والتفوق في فنون التجارة. وإن العلامة فرنسيس لنورمان f. Lenornrand مقتنع بما تقدم، ويرى أن الفينيقيين كانوا في الدهر الأول نازلين في المكان الذي يسمى الآن (القطيف). ولما انتقلوا منه إلى الشام سلكوا طريق القوافل المسلوك الآن، وهو يتصل ببلاد الإحساء إلى حد جبل طويق، ثم يميل إلى جهة الشمال الغربي في ناحية الوشم، إلى أن يتصل بمدينة (عنيزة)، ومن هناك يأخذ نحو الغرب ماراً بجميع جهة القصيم ليتصل بطريق الحاج على مساواة الحناكية. ومنها سلك الفينيقيون طريق الحج الشامي، حتى نزلوا على سواحل البحر الأبيض.

سادتي الأفاضل، من المؤكد الذي لا ريب فيه أن العراق والشام كَوَّنَا قوميتها من هجرات كبرى هاجر بها سكان بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال

في ستة آلاف سنة مضت، بل إن وادي النيل من الحبشة إلى الإسكندرية تغذى بمثل هذه الهجرات عن طريق باب المندب وبرزخ السويس، وهذه الهجرات عمّت شمال أفريقية في أزمنة مختلفة جدًا قبل الإسلام. ومن معجزات محمد بن عبد الله ﷺ التي لم تذكرها الكتب أنه أعاد للأمم ذات الصلة الجنسية الوثيقة بالامة العربية وحدتها اللغوية بعد أن فقدتها، فالعربية التي انتشرت في فارس وأسبانيا وغيرهما عادت فتقلصت عن تلك الجهات، ولكنها ثبتت ورسخت في البلاد التي تجرى في عروق أهلها دماء عربية قديمة وحديثة، كما رأيت في أمر الفينيقيين الذين كانوا من أهل جزيرة العرب قبل أن يرتحلوا إلى الشام، فعودة اللغة إلى أنسالهم معجزة من معجزات الإسلام الذي هو دين التوحيد، وكان من مظاهر التوحيد فيه إعادته الوحدة القومية من طريق اللغة إلى الشعوب التي تحمل في عروقها دماء سكان جزيرة العرب الأقدمين. ولعلي أطلت عليكم القول في هذا الموضوع، ولكن الآثار الباقية إلى الآن في سهل (المراقيب) من جزيرة البحرين لا تفتأ تذكر البشر بهذه الحقائق، ومن أولى منا بمعرفتها، لا سيما في مثل مقامنا هذا؟

من قرأ منكم تاريخ الفينيقيين، وعجب من تحكمهم بشراع السفينة، والاندفاع به حول القارة الأفريقية، والانتقال به حتى إلى جزائر البريطانيين، من كان منكم يقرأ هذا ويعجب منه، فإن زيارة واحدة يقوم بها إلى الخليج العربي، وأيامًا قليلة يقيمها ضيفًا على ضيوفنا الكرام في جزيرة البحرين كافية لمشاهدة ملوك البحر وملائكته يتقلبون بين قاعه غائصين على اللؤلؤ، وبين رأس الشراع يعدّونه للقيام برحلات طويلة ربما قلل البخار الآن من شأنها، لكنه لم يستطع أن يسلب ذلك العنصر العربيّ النشط شيئًا من نشاطه وعبقريته في مصاحبة البحار ومعاناة أهوالها.

وإذا كان قويُّ البنية منهم يستعمل عضلاته في مقاومة الأمواج وغوص اللجج، فإن قوى الفكر والتدبير منهم يجاهد في سبيل رفع مستوى أمته الاقتصادي، وكبير القلب والعقل منهم يجاهد في سبيل رفع مستوى أمته الأدبي.

نحن هنا أيها الإخوان مضطرون إلى الاعتراف بأننا غُلبنا على أمرنا في المعترك الاقتصادي؛ لأن لأوروبا قلاعًا كبيرة في عاصمتنا هذه، وفي سائر المدن المصرية الكبرى يسمونها شيكوريل وبون مارشيه وتيرينج وأوروزدي باك، ونحن جميعًا نساءً ورجالًا نحمل من فلاحنا عرق جبينه لنضعه في خزائن هذه القلاع، فيُرسل إلى أوروبا وأمريكا مكافأة لعمال مصانعها على نشاطهم وعملهم. ولكن إخواننا في البحرين يثأرون لنا أيها السادة، فإنهم يستخرجون من قاع خليجهم حَبّات اللؤلؤ ويرسلونها إلى أسواق أوروبا وأمريكا؛ لتُعرض على أنظار نسائهما، ويعود ثمنها وافرًا إلى أهلها، ذوي النشاط والإقدام من إخواننا أهل تلك الجهات، عمالهم وتجارهم، فيُدخل من ثمن هذه البضاعة الخفيفة اللطيفة على أهل هذه الجزيرة الصغيرة نحو مليونين من الجنيهات في كل عام، ومثلها من سائر مصايد اللؤلؤ في سائر الخليج. ومما يسر ويبهج: أن بيوت التجارة العربية في جزيرة البحرين بالغة حدّ الغاية من النظام، والإتقان، واليقظة، والتحلي بما يلزم أهلها من خبرة.

فإدارة هذا العمل الاقتصادي العظيم هي في أيدي إخوانكم في القومية والدين أيها السادة، وإن هذا المورد برغم عذوبته قد حال نشاط أولئك الإخوان بين الغربيين وبين ما كانوا يشتهونه من وضع أيديهم عليه، واتخاذ الوطنيين آلات فيه. وإن السيد عبد الرحمن القصيبي الجالس بيننا الآن لما كان في زيارة القاهرة في العام الماضي اقتضى نظام عمله أن يُسرّع العودة إلى تلك الديار،

فطار إليها على طيارة بلغت به مكان عمله في يوم أو يومين، بينما كان لا يستطيع أن يعود إلى هناك إلا بنحو شهر، فهذا النشاط والإقدام مما يضمن لبني قومنا المسؤولين عن حركة العمل في الخليج العربي أن يبقى ذلك في أيديهم أبد الدهر إن شاء الله.

وهناك فضيلة أخرى لإخواننا أبناء تلك الجهات، وهي اقتداؤهم بجلالة الملك ابن السعود في إتمام برنامج له عظيم الأهمية يرمي إلى تهذيب سكان البادية بالفضائل الإسلامية. ومن المعلوم لكم أيها السادة أن البادية العربية كان عليها معول دولة الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية في نشر الإسلام، وتوسيع دائرة ملكه وإذاعة ثقافته وهدايته. فكان من لوازم ذلك أن يكون للدولة معلمون بين القبائل يعدونها لهذه المهمة. فلما استعجمت الدولة الإسلامية وصارت تستمدد المعونة من خراسان وما وراء النهر؛ صار أمر سكان جزيرة العرب إلى إهمال، وانقضت على ذلك عصور عادت القبائل فيها إلى شر من جاهليتها الأولى؛ لأن الجاهلية الأولى اكتسبت هذا العنوان من جهة بعدها عن هداية النبيين، ولكن كان لها مع ذلك لغة عذبة بليغة، وكان يجري على السنة فصاحتها سلسيل الحكمة، وكانوا محتفظين بتقاليد أخلاقية لا يكاد يوجد لها مثل عند غيرهم. فلما اتصل العجم بالعرب وفسدت لغة الجزيرة وأضاعت القبائل مزاياها القديمة، ثم أهمل أمرها من جهة الدين، فدخلت في جاهليتها الحديثة، أصبحت فقيرة في دينها وبلاغتها وحكمتها وقديم مزاياها.

والخطة المرسومة الآن في جزيرة العرب هي تقليص ظل هذه الجاهلية، وتهذيب سكان البادية بفضائل الإسلام، وإشعارهم تقوى الله والخوف منه، والتعفف عن كل ما ليس لهم به حق مما رأيت آثاره سلبيًا وإيجابيًا في جبال الحجار قبل العهد الأخير وبعده، والسر في هذا الانقلاب أن جلالة الملك ابن

السعود يُنفذ أحكام الشرع الإسلامي بدقة، وينشر المعلمين في كل بقعة من البقاع التي يسود عليها سلطانه، ويطبع مئات الألوف من الكتب ويضعها في أيدي سكان تلك القفار، ويسرّني أن أقول لكم إن السيد عبد الرحمن القصيبي اقتدى بجلالة الملك العربي في هذه المنقبة، فهو منذ بضعة أعوام يطبع ألوف المصاحف وكتب الشرع على نفقته في مدينة القاهرة، وتسير بها السفن حتى ترسو بها على ساحل الخليج العربي؛ لتوزع في بادية الإحساء وغيرها من تلك البلاد. وهذه المزية مما لا يجوز لنا أن نمرّ به دون أن نذكره بالثناء والحمد.

وبالجملة؛ فإن العنصر النشط القليل العدد المرابط في جزيرة البحرين على باب جزيرة العرب مما يلي الخليج العربي قد آلى على نفسه أن يكون مجاهدًا في سبيل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وهو اليوم في دور يقظة وعمل يبشران بمستقبل مجيد إن شاء الله. وإذا كان البحرانيون قد اتصلوا بنا قبل أن نتصل بهم؛ بما يراقبون من سير نهضتنا، وما يقرأونه من صحفنا ومجلاتنا ومطبوعاتنا، وما يعلمونه عن رجالنا واحدًا واحدًا، حتى كأنهم يعاشرنا تحت سماء وادي النيل، لكثرة ما يعرفونه من أحوالنا، فنحن نرجو الله أن تكون زيارة ضيوفنا الأفاضل فاتحة عهد جديد، نكون فيه على صلة بإخوانهم أدباء تلك الجزيرة المجيدة، فتعاون معهم على تحقيق المطمح الأكبر وهو الارتفاع بمستوانا الإسلامي العربي إلى الأوج اللائق به بين أمم الأرض، وما ذلك على الله بعزيز.

محبت الدين الخطيب



عروس المشرقين

أهذي مَغانِي جَلَّتِي والمعالمُ
 بلى هذه أم العواصم جَلَّتْ
 هنا عرشُ أقمارِ العُلَى من أُمِيَّةٍ
 هنا النفرِ البيضِ الميامينُ للعلَى
 هنا القُربُ الأحرارُ إن قام ظالمٌ
 إذا انتسبوا في ندوة المجد حَلَّتْ
 سلامًا عروسَ المشرقين، ولا مشت
 تُخذي قلدي ما شئتَ جِدًا ومِعصمًا
 سَليني دمي يا أُمَّ أسفِكَه راضيًا
 تَبَيَّنْتُ في أبنائِكَ الصَّيْدِ نهضةً
 وبِشْرني بالفوز يا أُمَّ أنها
 فما للذي يُبْنى على الجهل رافعٌ
 وللُبْظِلِ صولاتٌ على الحقِّ جمَّةٌ
 طلاسَمَ هذا الذَّلَّ دقت، وإنما
 لك الخيرُ، أم هل أنتَ وسانُ حالمٌ؟
 وهذي لبوِث الغوطتين الضراعُمُ
 هنا ارتكزت سُمُرُ العوالي للهاذُمُ
 مَلامحُ في عُراتِهِم وعلائمُ
 مشوا بالقنا، أو يُرجِعَ الحقَّ ظالمٌ
 بهم للعلَى قيسٌ وذُهل ودارِمُ
 بظلِّ مَغانِكَ الخطوبِ الغواشمُ
 من اللؤلؤِ الرُّطبِ الذي أنا ناظِمُ
 وما أنا هَيَّابٌ، ولا أنا نادِمُ
 سيسعدُ فيها عبدُ شمسٍ وهاشمُ
 على العلمِ تُبْنى في حِمَاكِ الدعائمُ
 ولا للذي يُبْنى على العلمِ هادمُ
 وتُسْفِرُ عن فوزِ المحقِّ الخواتِمُ
 تُفكُ بسرِ العلمِ هذي الطلاسَمُ



يقولون: جَدُّ اليعرَبيين نائمٌ
 وما الناسُ إلا اثنانِ مهما تخالفوا
 وما الحقُّ إلا للقويِّ، ولا العلَى
 فقل لضعيفٍ راح يسألُ رحمةً:
 لقد وهموا، فالسعي لا الجَدُّ نائمٌ
 ميولًا: فمهزومٌ ضعيفٌ، وهازِمُ
 لغيرِ الذي يغشى الوغى ويصادِمُ
 رُويَدُك، ما للضعفِ في الناسِ راحِمُ

بدوي الجبل

يقظة الشبان المسلمين في الوطن الإسلامي

لما وَضَعَت الحرب العظمى ما حَمَلَتْهُ إلى الإنسانية من أوزار وجرائم؛ هَبَّ شبان مصر وغيرهم من أبناء الأقطار العربية لأداء ما عليهم لأوطانهم من واجب، وكانوا مقتنعين يومئذ بأن رأس هذا الواجب السعي لاستقلال الوطن من الطريق المباشر، أي بالجهود السياسية؛ فاندفعوا في هذا السبيل الذي أَدَّى بهم بعد ذلك إلى أن يكونوا أحزابًا، وإلى أن تُفَرَّقَ بينهم هذه الأحزاب، وإلى أن يستفيد الأجنبي من تفرُّقهم هذا؛ فانشقت عصا الوحدة في مصر وغير مصر كثيرًا أو قليلًا. ونشأ عن هذا المكروه خيرٌ لا يقلّ عنه، وهو انتباه شباننا النجيب إلى حقيقة أخرى، فأيقن أن الواجب القومي لا ينحصر بهذه الحزبيات ما دام جانب ذلك ضروب من الواجب لا بدَّ لعنصر الأمة النشيط من أن يقوم بها؛ ليتوصّل إلى الغاية المنشودة من الاستقلال.

العمل السياسي المباشر واجب من الواجبات، ولكنه وحده لا يوصلنا إلى الاستقلال؛ لأن بناء القومية يتألف من طبقات، أشرفها وأسمها هذا العمل الاستقلالي المباشر، لكن الطبقة السامية من كل بناء ليس معقولًا أن تقوم في الهواء، فلا بد لها من طبقات أخرى تحتها، ولا بد لهذا لهذه الطبقات من أساس يتوارى تحت الثرى. فالجهود القومية طبقات أساسها تربية الأفراد. من بنين وبنات، التربية الملائمة لطبيعة الأمة، والمنتزعة من سجايها وتاريخها واستعدادها، وفوق الأساس طبقة تليه، وهي إصلاح المنزل وتنظيم الأسرة وتكوين الجماعة تكوينًا حسن التنسيق مستقيم الاتجاه. وتلي ذلك طبقة أخرى هي الاستقلال الاقتصادي، وفوق هام هذه القوى القومية يوضع تاج الاستقلال متلألئًا بجواهر العز والمنعة والكرامة. أما الاستقلال السياسي الذي تلتمس

الاستقلال الاقتصادي تحته فلا تجده، وأما الاستقلال السياسي والاقتصادي اللذين تلتبس تحتها منزلاً صالحاً وأسرة منظمة وجماعة حسنة التكوين فلا تجدها، وأما الاستقلال (السياسي والاقتصادي) والتكوين (المنزلي والاجتماعي) اللذين تلتبس تحتها تربية قومية فلا تجدها؛ فإن من شأن هذا البنيان الاستقلالي والاجتماعي أن ينهار إذا لمست أول عاصفة، وإذا صدمته ألطف قارعة. وهذا حق لا يرتاب فيه إلا قصير النظر ضعيف التفكير.

إذن؛ يجب على شباب الأمة أن يكون منهم لكل شعبة من شُعب الواجب القومي فريق يستعدون للعمل في تلك الشعبة، ويتجهّزون بالوسائل الكافية لتشييد الطبقة الخاصة بها، ويتفرغون للسهر عليها. ويجب بعد ذلك أن يكون على رأس مجموع هذه الفئات العاملة قيادة تنظّم الارتباط فيما بين أجزاء هذا التكوين، وتمنع حدوث أي تعارض بين اتجاهات تلك الإجراء. ومن أفن الرأي أن نغفل عن الأساس وطبقات البناء التي فوقها، ثم نفكر في أن نبني في الهواء استقلالاً ليس تحته بناء، وليس تحت بنائه أساس.

هذه حقائق صار في شبابنا من يفكر فيها ومن يتحدث عنها، بل إن هذه الحقائق هي التي حفزت الشبان المسلمين إلى تأسيس جمعيتهم، وهي نفسها التي حملت أندية فلسطين الإسلامية إلى عقد مؤتمراتها الأخير في يافا، وقررت فيه تأسيس جمعيات للشبان المسلمين، وهي التي أيقظت الشبان المسلمين في بيروت.

لقد كنْتُ على اتصال بشبان مصر مباشرة، وبشبان فلسطين بالمراسلة، وعلمت من أمر هؤلاء وأولئك أنهم لما شعروا بأن عليهم لقوميتهم واجباً غير واجب السعي المباشر للاستقلال، وأخذوا يفكرون في الطرق التي توصلهم إلى أداء هذا الواجب، انتبهوا حينئذ إلى حقيقة أخرى كانت مرة المذاق جداً يوم

تذوّقوها للمرة الأولى، ذلك أنهم علموا بأن العنصر الإسلامي في الشرق الأدنى أضعف عناصر الشرق الأدنى تكوينًا، وأوهاا بنيانًا، وأوهنها أساسًا: فللطوائف غير الإسلامية في أوطاننا مدارس أنشأوها موافقة لحاجتهم المادية والروحية، ووراء هذه المدارس جمعيات وجماعات تُعَصِّدُها وتساعدُها، بينما المسلمون يعتمدون في تثقيف أبنائهم إما على مدارس الحكومات في أقطارهم، وهذه الحكومات تحت تأثيرات مختلفة معلومة الاتجاه، وإما على مدارس غير المسلمين من وطنيين وأجانب وهذه لم يلاحظ فيها حاجة المسلمين المادية والروحية، وإما على مدارس أنشأها أفراد مسلمون لا غرض لأكثرهم من إنشائها غير الارتزاق، ولا قدرة لأكثرهم على تسييرها في الطريق الذي يوصل أبنائنا إلى الغاية التي ننشدها. ثم إن للطوائف غير الإسلامية في أوطاننا أوضاعًا ومجالسَ طائفية تجمع شملهم ويرجعون إليها في ملمااتهم وعليها المعوّل في تنظيم رأيهم العام، بينما المسلمون فوضى من هذه الجهة، وكل شخص منهم أمة مستقلة بالمبدأ والغاية. وقبل سنتين عقدت طائفة الكاثوليك مؤتمرًا للعائلة في العاصمة المصرية تناولوا فيه هذا الموضوع الإصلاحى من كل نواحيه، واشترك أدباؤهم وأديباتهم في تحليل عناصر الضعف الناشئ عن تكوين الأسرة الحاضر عندهم، فدلّ على يقظتهم بمقدار ما ذكرنا نحن المسلمين بغفلتنا وهجوعنا.

وبعد؛ فإننا في حاجة إلى أن تنصرف جماهير كثيرة من أهل الرأي والنشاط فينا إلى خدمة قوميتنا من الجانب الاجتماعى والتهديبى، وفي الهداية الإسلامية وسائل عظيمة لإصلاح أحوالنا من هذا الجانب، وسيظلّ الشرق الأدنى في حالة سوء ما دام المسلمون. وهم الأكثرية العظمى من هذه السكان. غارقين في سُباتهم مسترسلين في عمائيتهم، لا ينهضون إلى أداء ما عليهم من واجب نحو

الوطن، بإصلاح دخالهم وتنظيم اتجاهاتهم وإعداد جماعاتهم للخير، حتى يُوفَّقوا إلى إقامة بنياتهم القومي وافيًا كاملاً على النحو الذي أُشِرْتُ إليه في صدر هذا المقال. ولأجل هذا تأسست جمعية الشبان المسلمين في القاهرة، ولأجل هذا عُقد مؤتمر الأندية الإسلامية في يافا، ولأجل هذا قرر شباب فلسطين الناهض تأسيس جمعيات للشبان المسلمين في كل جانب من جوانب وطنهم. ولا ريب عندنا في أن غير المسلمين سيسرّهم نهوض الشبان المسلمين لأداء هذا الواجب القومي؛ لأن الشرق الأدنى لا يسير في طريق الإصلاح إلا إذا كان المسلمون في أول القافلة، ولا يكون المسلمون كذلك إلا إذا نجحت أندية الشبان المسلمين في تحقيق المهمة التي اضطلعت بأعبائها، وأخذتها على عاتقها.

محبت الدين الخطيب



الطفلان الشريدان

خرجتُ في حاجة والليلُ طفلُ بعدُ، والرذاذ يترسل كما يترسل دمع الثاكل، وقد أقفر الشارع إلا من أعقاب السابلة، وطوارق الليل المقبل، وبقايا من ضجة النهار المدبر.

وفيما أنا أرسل رائد الطرف إلى ما حولي، لاح لي على ضوء مصباح مريض الشعاع، طفلان يتحدران في لجة الليل إلى حيث أدري أنهما لا يدريان.

منقطعان في وحشة الليل، يحسبان كل ظل ممتد على كُثب منهما خيالاً أو أشباحاً مما يلد خيال الخوف، وكان قلباهما من فرط الذعر كأنهما عُلقا بجناحي نسر.

صغيران حارا حيرة ماء الحُسن في الخد الأسيل، فلا يدریان أيمضيان قدماً
أم يرجعان أدراجهما، أم يتيامنان أم يتياسران، فإنهما كانا ينشدان بيتهما ولم
يبق منه في مخيلتهما إلا صورة عجزا عن إخراجها في صورة من البيان.

أكبرُهما طفلة تغازل السادسة من عمرها، والآخر طفل أحسبه يعد سنه على
أصابع إحدى يديه، فدنوت منهما لما دخل عليّ من أمرهما، فلما رأياني نفرا
مني بادئاً كما ينفر الطائر اقتحم عليه مطاره، ونظر إليّ كلاهما، وقد تكافأ ما في
نفسيهما من الخوف مني، وما في نفسي من الخوف عليهما، وما كانت
نظراتهما إلا رسالتين صامتين ناطقتين، فيهما كل معاني الضراعة، فلو لم أكن
أباً لمثلهما لعرفت لأول نظرة من نظراتهما كيف تسحر البنوة الأبوة، وعلمت
كيف تكون الطفولة بضعفها أقوى ما في الوجود الإنساني كله.

نظرتُ الطفلة حانية على أخيها فخيّل إليّ أن نفسها قد سبقت سنّها بمراحل،
فكانت في تلك اللحظة نفس أم، ونظرتُ الطفل حائياً على أخته، فخيّل إليّ أن
رجولته قد تقدمت أوانها فعرف في تلك الساعة معنى الأبوة.

أجل؛ لقد نظرتُ منهما إلى أجمل صورتين إنسانيتين للملك، وأكمل
صورتين ملكيتين للإنسان، وذكرت ابنتي وابني، فأحسست هم قلب الصغيرين
ينتقل إلى قلبي، وما يطيق إنسان من الآباء أن يرى الإنسانية معذبة في طفلين أياً
كان لون عذابهما.

ولقد بعث مني الموقف، فاستعبرت لقلوب أربعة، مهمومة مفاجئة، هي قلبا
الأبوين يقتلهما الإشفاق على صغيريهما الشاردين في كل لحظة قتلة، وقلبا
هذين الصغيرين يمرّ فيهما الوهم والرعب وحذر الضياع بين الناس.

ثم أقبلت عليهما فضممتهما وسكّنت روعهما، وعبثاً حاولت أن أعرف
منهما مقرّ بيتهما، فحملت الصغير، وأخذت بيد الصغيرة، واستدعيت بمركبة،

فأقلت ثلاثتنا إلى أقرب مخفر، وكانت أمهما قد سبقتنا إليه تتسقط خبرهما، وخرج أبوهما يقص أثرهما، فلم تكد عينا الأم تقعان عليهما حتى درجت إليهما في لهفة، وأكبت عليهما بقلبيها ودموعها وقبلاتها، وكأنها وقد استرجعت فلذتين من كبدها استرجعت حياتها كلها، فُبُعْثَ طفلةٌ يستخفها الفرح بطفليها، وما يمسكها شيء إلا فضل حياتها، وقد شعرتُ كأني سموت بروحي فوق هذا العالم؛ لأنني شعرت أن قلبي قد اختلط بهذه القلوب، فمسته يد الله كما مستها في تلك الساعة التي بقيت هذه الأسرة تؤرّخ بها حتى الآن.

صادق عنبر



قرطبة

قال الحجازي في (المسهب):

كانت قُرْطُبَة في الدولة المروانية قبله الإسلام، ومَجْتَمَعُ أعلام الأنام. بها استقرَّ سريرُ الخلافة المروانية، وفيها تمخّضت خلاصة القبائل المعديّة واليمانية. وإليها كانت الرحلة في الرواية إذ كانت مركز الكرماء، ومَعْدِنُ العلماء. وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، والزور من الأسد. ونهرها من أحسن الأنهار، مكتنفٌ بدياج المروج، ومطرزٌ بالأزهار. تصدح في جنباته الأطيار، وتنعر النواعر وبسم النّوّار. وقُرطاهـا- الزاهرة والزهراء- حاضرتا الملك، وأُفقا النعماء والسّراء. وإن كان قد أخنى عليها الزمان، وغَيّرَ بهجة أوجهها الحسان؛ فتلك عادته، وسلّ الحَوَزَنَق والسّدِيرَ وغمدان.



الحياة^(١)

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
 وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلَّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا
 رَبَّمَا تُحَسِّنُ الصَّنِيعَ لِبَالِيهِ وَلَكِنْ تُكَذِّرُ الْإِحْسَانَا
 وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بَرِيْبٌ الدَّهْرُ حَتَّى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا
 كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا
 وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ تَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَفَانِي
 غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنِيَا كَالْحَاثِ، وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا
 وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضْلُنَا الشُّجْعَانَا
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدٌّ فَمَنْ الْعَجْزُ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
 كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَذَى فَسَ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا

المتنبي



(١) قصيدة جميلة، إلا أنها لم تخلُ من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).

قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣ / ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

مكروهات سقراط

قال سقراط: «ثلاثة من أكره الأشياء إليّ: كتاب النحو والفقر والمرأة. ولقد تغلبتُ على الأوّل بكثرة الدرس، وعلى الثاني بالسعي والصبر، ولكني لم أجد حيلة في المرأة!».



الخفافيش

من كتاب نهج البلاغة

من لطائف صنعة الله وعجائب حكمته ما أَرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياءُ الباسط لكل شيء، ويبسطها الظلامُ القابض لكل حيٍّ، وكيف عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عن أن تستمدَّ من الشمس المضيئة نورًا تهتدي في مذهبها، وتَصِلَ بَعْلَانِيَةُ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إلى معارفها. وَرَدَّعَهَا تَلَالُؤُ ضِيائِهَا عن المضي في سُبُحات إِشراقها، وأَكْنَهَا في مَكائِنِهَا عن الذهاب في بَلَجِ اتِّلاَفِهَا. فهي مُسَدِّلة الجفون بالنهار على أحداقها، وجاعلة الليل سِرَاجًا تستدلُّ به في التماس أرزاقها، فلا يَرُدُّ أَبْصَارُهَا إِسْدَافَ ظُلْمَتِهِ، ولا تمتنع من المضي فيه لِنَقْصِ دُجَّتِهِ. فإذا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قَنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، ودخل من إِشراق نورها على الضُّباب في وجارها، أَطْبَقَتْ الْأَجْفَانُ على مَاقِيهَا، وتبلغت بما اكتسبت من فيء ظلم ليلِهَا. فسبحان من جعل الليل لها نَهَارًا ومَعَاشًا، والنهار سَكَنًا وقرارًا، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى

الطيران، كأنها شظايا الآذان، غير ذوات ريش ولا قصب، إلا أنك ترى مواضع العروق بينة أغلامًا: لها جناحان لما يرقا فينشقا، ولم يغلظا فيثقلًا. تطير وولدها لاصق بها لاجئ إليها، يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانه، ويحملة للنهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه، فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره.



الزوجة

قال أميلو: إن القلب يدفع طالب الزواج إلى الحسناء، والمصلحة تدفعه إلى الدمية، والعقل وحده يسوقه إلى المرأة الفاضلة.



كلمة سانت هيلير في صدق الرسالة المحمدية

اجتمع الأستاذ محمد لطفي جمعة بالسيد توفيق البكري بعد عودته من مستشفى بيروت إلى القاهرة، ودار بينهما حديث نشره المقطم، ومما قاله فيه: وجاء على لساني عرضًا ذكر برتلميه سانت هيلير، فقال السيد: بعد أن تنتهي من حديثك سأذكر لك عبارة تاريخية تُنسب إلى سانت هيلير.

فتكلمت وأسهب ولكن السيد لم ينس وعده. فلما انتهيت قال لي:

قال سانت هيلير في تاريخ النبي محمد ﷺ - الذي ألفه باللغة الفرنسية -: إنه كان يشك في صدق النبي في رسالته، حتى قرأ في جميع السير أنه لما نزلت آية

الحفظ ، ووعد الله نبيه بأنه سيتولى حراسته (ولم يتلُ السيد الآية) بادر محمد ﷺ إلى صرف حراسه . والمرء لا يكذب على نفسه ولا يخدعها ، فلو كان لهذا الوحي مصدر غير الله ؛ لأبقى محمد على حرسه .

هذا هو دليل سانت هيلير وطريقة استنتاجه . ثم ابتسم السيد وقال : هذا عجيب من رجل غريب عن الإسلام ، وعلى كل حال ، فهذا الكلام يدل على تفكير وبُعد في النظر .



الشاعرة الهندية والإسلام

قالت مسز سررجني نائدو- الشاعرة الهندوسية الطائرة الصيت والخطيبة البليغة- في إحدى خطبها عن الإسلام ما يأتي :

«لقد دعا الإسلام قبل اليوم بثلاثة عشر قرناً إلى المساواة والإخوة . وقد أسس الإسلام أول جمهورية كان القانون الإلهي رائدها ، والفقير والغني سواء فيها . ولا شك مطلقاً أنه يأتي يوم يتلج الإسلام فيه جميع الأديان!» .



السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجابٍ سَفَرَتْ: أبهذا يأمر الغيَدُ الشرف؟
أسفورًا والحياء يحظره وتُقى الله وآدابُ السلف!
ليست المرأة إلا درّة أكون الدرُّ إلا في الضدِّ؟

أمين ناصر الدين

المبشرون

يا أمة عبثت بالدين داعيةً باسم السلام إلى التمزيق في البشر
تطايرت في بلاد الله واقعةً وقعَ الجراد على مخضرة الشجر
دعي مغالطة التبشير ناحية واستنكفي فلقد بشرت بالكدر
أعبد قومي أن تصطاد حوتهم فقد أديفَ نَميرُ الماء بالعكر

صالح الجعفري



الطموح

خلوتُ بنفسي ليلة، وحاولتُ الالتجاء إلى سَكينة الماضي لأستريحَ من
ضوضاء الحاضر؛ فتمثلتُ أجيالَ البشر الغابرة، وجماعات الأمم الخالية،
كأنها المراكب تجتاز الوهادَ والآكام، أو المراكب تمخر في بحار الأيام. وما
من موكب سائرٍ في قفر، أو مركب ماخر في بحر، إلا وله عند الأفق مشعلٌ
تلوح أنواره من بعيد. وهذا المشعل هو «المطمح السياسي العام»، الذي تتخذه
القومياتُ هدفًا لها في كل أعمالها، فتتجه نحوه الأنظارُ والألباب، وتتوحد به
الجماعاتُ والأحزاب.

إن الارتفاع والانحطاط من شأن هذه المراكب وهي في قفارها، ومن دأب
هذه المراكب وهي في بحارها. ففي حالتَي الاعتدال والارتفاع يكون المشعل
باديًا لطالبيه، ومن ثمَّ يكون السير مستمرًا على هُدى نحو الهدف المعين. وأما
إذا جاء دور الانحطاط، فهنالك تغيب أشعة المشعل عن الناظرين إليها،

فتختلف الأفكار في تعيين الغاية المنشودة. وبالتالي تتعدّد المسالك وتشتت شمل سالكها. ولذلك قال الدكتور غوستاف لوبون:

«ليس التاريخ إلّا رواية الأحداث والأفعال التي قام بها الناس سعيًا وراء المطمح. ولولا هذا لظلّ الإنسان على بربريته، ولما كان له من المدينة نصيب. وإن انحطاط الأمة يبتدئ يوم لا يكون للأمة مطمح تحترمه بجملتها، فيجاهد كل فرد منها بنفسه في سبيل حمايته والدّود عنه».

وفي اعتقادي أنه ليس هناك كبيرُ خوف على المطمح إذا كانت الأمة تعرفه وتتعلق به، وتلمح أشعته أثناء سيرها في موكب الأيام، مع طبقات الأيام، وإنما الخوف من انحطاط يخفى فيه على الأمة مطمحها، فتجهل غايتها العامة ومقصدها الأسنى. وحينئذ يظهر في الأمة أفرادٌ ممتازون من أهل «الطموح» فيفنون في أمتهم، ويتنازلون عن شخصياتهم، ويصرفون كل قوتهم في سبيل إنهاض موكبهم إن كانوا في برّ، أو موكبهم إن كانوا في بحر، حتى يجعلوه في مستوى معتدل أو مرتفع، فيلوح للأمة حينئذ شعاع مشعلها، فتتهدي إلى طريقها على نور المطمح السياسي العام.

المطمح السياسي لهذه الأمة - في كل أعصارها وأقطارها - هو «الحرية والاستقلال». وأهل الطموح هم الذين يأخذون بيد الأمة، وهي سائرة في موكب الأيام، فيرتفعون بها من وهدة إلى أكمة، أو ينتشلون مركبها من هوة إلى رأس لجة، حتى تكون مبصرة مشعلها المنير في الأفق، فتسير نحوه بأقدام ثابتة كأقدام الأسود، وبخطوات واسعة كخطوات المردة.

مثل ذوي الطموح في الأمم كمثل العزم النوراني الشفاف المنبث في مواكب الأيام يدفعها نحو مشاعلها المتألقة في الأفاق في مواكب الأيام، يدفعها نحو مشاعلها المتألقة في الأفاق، أو كالقوة البخارية التي تُحرك مراحل مراكب

الأنام لتبلغ بها غاياتها المنشودة. وكما أن قيمة المواكب تقاس بمبلغ ما فيها من نور العزائم، وقيمة المراكب تقاس بقوة البخار المحرك لمراجلتها، فكذلك الأمم ما زالت ولن تزال تقدر بأقدار أفرادها الممتازين، ورجالها البعيدة مرامي أنظارهم، الذين ندعوهم بذوي الطموح.

إن كلمة الشهيد السعيد محمد المحمضاني لأخيه محمود وهما صاعدان إلى المشنقة، تعدُّ من الكلمات المأثورة التي يحفظها كل مجاهد من شباب أمتها. ولا ريب أن مثل هذه الكلمة من الآيات الملهمة إلى قلوب ذوي الطموح، فلا يشعر بها في ذلك الموقف إلا الرجل الذي فني في أمة، فصار لا يتألم إلا بآلامها، ولا يسرُّ إلا بمسرَّاتها، ولا تطلب نفسه إلا ما تحتاج إليه أمة في حياتها العامة، ولا يرى خطرًا على نفسه غير الخطر الذي يُداهم أمة في حرَّيتها واستقلالها، وفي عزَّتها وهنائها.

شابَّ وصل عنقه إلى جبل المشنقة ثم لا يزال ناسيًا نفسه، مستغرقًا في التفكير بقضية أمة، راضيًا - عن طيب خاطر - أن تكتسب الأمة حياة من طريق موته، ووجودًا من طريق عدمه، واستقلالًا من طريق التحكم في أئمن شيء يملكه وهو نفسه. هذا هو الطموح الذي جعلته موضوع مقالتي وبه تهبُّ الأمة فترتفع من هذبتها حتى يُشرِّف موكبها على منطقة الأفق، فيرى مشعل «المطمح العام»، فيأنس به ويوجِّه نحوه الأبصار والبصائر.

إن حكمة الله في فوز أهل الطموح دائمًا ظاهرة من هبوط آيات الطموح الملهمة على قلوب أصحاب الحق، والحقُّ اسم من أسماء الله تعالى. وإن من سنة الله في خلقه أن يقيِّض للحق أنصارًا من وراء سُجف الغيب يؤيد بهم الثابتين على تأييد حقهم، المضحجين بأرواحهم في سبيل الوصول إلى مطمح بني قومهم، الفانين في مصالح أوطانهم.

في استطاعة كل رجل من أفراد الأمة أن يكون من أهل الطموح إذا أذاب نفسه في الأمة والوطن، فصار يرى كلّ شيء فيه منهما ولهما، فإذا شعر بأن الأمة مهددة بخطر يتتاب مطمحا السياسي العام، أدرك أنه لا قيمة بعد ذلك لماله وولده ونفسه، فينسى كل هذه المقدّسات الشخصية إلى أن يأمن على سلامة المقدّسات القومية.

بمثل هؤلاء نهضت الأمم وسَلِمَت الأوطان؛ وعلى قلوب هؤلاء هبطت ملهات الفضائل، وعلى أيدي هؤلاء تتم جلائل الأعمال، وكل فرد يستطيع أن يكون منهم، وإن من عادة الأبطال من أهل الطموح أن يولدوا رجالاً كاملين عندما تتمخّض بهم المصائب.

والليالي من الزمان حُبالي مُثَقَّلَات بِلَدَنَ كل عجيبة

محبّ الدين الخطيب



حكمة عاد وجُرهَم

قال أبو بكر بن دُرَيْد:

ألم ترَ ما أدت إلينا وسَبَرْتُ	على قِدَمِ الأيامِ عادٌ وجُرهَمُ
هم اقتضبوا الأمثال صعباً قِيادُها	فَذَلْ لهم منها الشَّرِيسُ الغَشْمَشُمُ
وقالوا: «الهُوى يَقْظَانُ والعقلُ راقِدٌ»	وذو العقلِ مذكور وذو الصمِّ أسلمُ
ومما جرى كالوَسَمِ في الدهرِ قولُهم	«على نفسه يجني الجهول ويُجرِمُ»
وكانتار في يَتَسِ الهَشِيمِ مقالهم	«ألا إن أصلَ العودِ من حيث يَقْضُمُ»
فقد سَبَرُوا ما لا يُسِيرُ مثله	فصيحٌ على وجه الزمانِ وأعجمُ

الموت

لكل شيء سكونٌ بعد فورته وكل عين إلى غمض وإغفاءٍ
 ألا ترى اليمّ تطفئ فيه موجته تقطع القلب من همٍّ وبأساءٍ
 حتى إذا بلغت مجهودها فنيت من بعد جلجلة منها وضوضاءٍ
 كذاك للنفس في بحر الردى سكنٌ تلقى به راحةً من بعد إعياءٍ

إبراهيم عبد القادر المازني



أسرار الحياة

* عندما فهمتُ أسرار الحياة تشوّقتُ إلى الموت؛ لأنه أعمق أسرار الحياة.

* كان الأقدمون يقولون: اختر لنفسك الدنيا أو الآخرة.

وأنا أقول: لقد اخترت الاثنين - الدنيا والآخرة - لأنهما من صنع الله، والله يحب كل ما صنعتُ يداه.

* من حسنات الناس أنهم لا يستطيعون إخفاء سيئاتهم طويلاً.

جبران خليل جبران



عبادة المعجَب

قال مُطَرَف: لَأَن أُبَيِّتَ نَائِمًا، وَأَصْبَحَ نَادِمًا؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَن أُبَيِّتَ قَائِمًا، وَأَصْبَحَ مُعْجَبًا.



حكاية بشير وواصل أسير دمشق مسلم يفحم كبير بطارقة الأرثوذكس زمن الدولة الأموية

قال محيي الدين بن العربي في محاضرة الأبرار (١: ١٣٧ طبعة سنة ١٣٢٤):

أُسِرَ غَلامٌ من بطارقة الروم وكان غلامًا جميلًا، فلما صار إلى دار الإسلام وقع إلى الخليفة - وذلك في خلافة بني أمية -، فسماه (بشيرًا)، وأمر به إلى الكتاب، فكتب وقرأ القرآن وطلب الأحاديث وروى الشعر. فلما بلغ أناه الشيطان فوسوس إليه وذكره النصرانية دين آبائه، فهرب مرتدًا من دار الإسلام إلى أرض الروم، فأتي به الطاغية، فسأله عن حاله وما الذي دعاه إلى الدخول في دين النصرانية، فأخبره برغبته فيه. فعظم في عين الملك ورأسه وصيره بطريقًا من بطارقته، وأقطعه قرى كثيرة، فهي اليوم تعرف به يقال لها: «قرى بشير». وكان من قضاء الله وقدره أنه أُسِرَ ثلاثون أسيرًا من المسلمين، فأدخلوا على بشير، فسألهم رجلًا رجلًا عن دينهم، وكان فيهم شيخ من أهل دمشق يقال له (واصل)، فسأله بشير، فأبى الشيخ أن يرد عليه شيئًا.

فقال له بشير: ما لك لا تجيبي؟

قال: لست أجيبك اليوم بشيء

فقال بشير للشيخ: إني سائلك غداً فأعدّ لي جواباً (وأمره بالانصراف).

فلما كان الغد بعث إليه بشير، فأدخل عليه الشيخ.

فقال بشير: الحمد لله الذي كان قبل أن يكون شيء من خلقه، وخلق سبع سماوات طباقاً بلا عون كان معه من خلقه، ودحا سبع أرضين بلا عون كان معه من خلقه، فعجب لكم معاشر العرب حين تقولون: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

فسكت الشيخ فقال: ما لك لا تجيبي؟

قال: كيف أجيبك وأنا أسير في يديك، فإن أجبتك بما تهوى أسخطت ربي وأهلكت عليّ ديني، وإن أجبتك بما لا تهوى أهلكت نفسي فأعطني عهد الله وميثاقه وما أخذ الله ﷻ على النبيين، وما أخذ النبيون على الأمم، أن لا تغدر بي ولا تمحلني ولا تبغي عليّ باغية سوء، وأنك إذا سمعت الحق تنقاد له.

قال بشير: فلك عليّ عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على النبيين وما أخذ النبيون على الأمم أن لا أغدر بك ولا أمحل بك ولا أبغي بك باغية سوء، وأني إذا سمعت الحق أنقاد له.

فقال الشيخ: أما ما وصفت من صفة الله ﷻ، فقد أحسنت الصفة، ولم يبلغ علمك ولم يستحكم رأيك أكثر من هذا، والله ﷻ أعظم وأكبر مما وصفت، ولا يصف الواصفون صفته. وأما ما ذكرت من صفة هذين الرجلين (أي عيسى وآدم)، فقد أسأت الصفة، ألم يكونا يأكلان الطعام، ويشربان الشراب، ويبولان، ويغوطان، وينامان، ويستيقظان، ويفرحان، ويحزنان؟

قال بشير: بلى.

قال: فلم فرقت بينهما!

قال بشير: لأن عيسى كان له روحان اثنان، فروحٌ يرى بها الأكمة والأبرص، وروحٌ يعلم بها الغيب ويعلم ما في قعر البحار، وما يتحاث من ورق الشجر.

قال واصل: روحان اثنان في جسد واحد!.

قال بشير: نعم.

قال الشيخ: فهل كانت القوية منهما تعرف موضع الضعيفة أم لا؟

قال بشير: قاتلك الله؛ ماذا تريد أن تقول، إن قلت إنها تعلم؟ وماذا تريد أن تقول إن قلت إنها لا تعلم؟

قال الشيخ: إن قلت إنها تعلم فما لهذه القوية لا تطرد عنها هذه الآفات؟ وإن قلت: إنها لا تعلم، قلت: كيف تعلم الغيوب، ولا تعلم روحاً معها في محل واحد في جسد واحد؟

فسكت بشير.

فقال الشيخ:

بالله هل عبدتم الصليب مثلاً لعيسى ابن مريم أنه صُلب؟

قال بشير: نعم.

قال الشيخ: فبرضى منه أم بسخط؟

قال بشير: هذه أخت تلك، وماذا تريد أن تقول إن قلت برضى منه أو بسخط؟

قال الشيخ: إن قلتَ برضي منه قلتُ: فما أنتم بقوم أعطوا ما سألوا وأرادوا، وإن قلتَ بسخط، قلتُ: فلمَ تعبدون ما لا يمنع عن نفسه؟

قال بشير: والضار والنافع ما ينبغي لمثلك أن يعيش إلا في النصرانية. أراك رجلاً قد تعلمت الكلام، وأنا رجل صاحب سيف، ولكني آتيك غداً بمن يخزيك الله على يديه.

ثم أمره بالانصراف.

فلما كان الغد بعث بشير إلى الشيخ. فلما دخل عليه إذا عنده قس عظيم اللحية. فقال له بشير:

إن هذا رجل من العرب، فكلمه حتى تنصّره، له حكم وعقل، وأصل في العرب، وقد أحب أن يدخل في ديننا، فسجد القس لبشير وقال: قديماً ما أتيت إلا بالخير، وهذا أفضل ما أتيت به إليّ. ثم أقبل على الشيخ وقال له:

أيها الشيخ، ما أنت بالكبير الذي ذهب عنه عقله وتفرق عنه حلمه، ولا بالصغير الذي لم يستكمل عقله ولم يبلغ حلمه. غداً أغطسك في المعمودية غطسة تخرج منها كيوم ولدتك أمك.

فقال الشيخ: فما هذه المعمودية؟

قال القس: ماء مقدس.

قال الشيخ: من قدسه؟

قال القس: أنا قدسته، والأساقفة من قبلي

قال الشيخ: فهلا كانت لك ذنوب وخطايا وللأساقفة من قبلك، أم أنتم مبرّؤون من النقص؟

قال القس: نعم، إنها لأكثر من ذلك، ولا يسلم من الذنب والعيب إلا الله تعالى.

قال الشيخ: هل يُقدس الماء من لم يُقدس نفسه؟

فسكت القس. ثم قال: إني لم أقده أنا.

قال الشيخ: فكيف كانت القصة إذن؟

قال القس: إنها سنة عيسى ابن مريم.

فقال الشيخ: فكيف كان الأمر إذن؟

قال القس: إن يحيى بن زكريا أغطس عيسى ابن مريم بالأزْدُن غطسةً، ومسح له رأسه ودعا له بالبركة.

قال الشيخ: واحتاج عيسى إلى يحيى بن زكريا أن يمسح له رأسه ويدعو له بالبركة؟ فاعبدوا يحيى، فيحى خير لكم من عيسى!

فسكت القس. واستلقى بشير على فراشه، وأدخل فاه في كفه، وجعل يضحك، وقال للقس:

قم أخزأك الله، دعوتك لتنصره، فإذا أنت أسلمت!

ثم إن الشيخ بلغ أمره إلى الملك، فبعث إليه الملك فقال:

ما هذا الذي بلغني عنك من تنقيصك لديني ووقعتك فيه؟

قال الشيخ: إن لي ديناً كنتُ ساكناً عنه، فلما سُئلت لم أجد بداً من الذبّ عنه.

قال الملك: وهل في يدك حجة؟

فقال: ادع لي من شئت حتى يحاورني، فإن كان الحق في يدي فلا تلومني على الذبّ عن الحق، وإن كان الحق في يده رجعتُ إلى الحق.

فدعى الملك بعظيم النصرانية، فلما دخل عليه سجد له الملك ومن عنده أجمعون. فقال الشيخ:

أيها الملك من هذا؟

قال: رأس النصرانية الذي تأخذ النصرانية عنه دينها.

قال الشيخ: فهل له من امرأة، أم هل له من ولد، أم هل له من عقب؟

فقال له الملك: هذا أزكى وأظهر من أن يُدنس بالنساء، هذا أزكى وأظهر من أن يُنسب إليه الولد ويُدنس بالحيض، هذا أزكى وأظهر من هذا كله.

قال الشيخ: فأنتم تكرهون الآدمي يكون منه ما يكون من بني آدم من الغائط والبول والنوم والسهر، وتأخذكم غيرة من ذكر نسبة النساء إليه، وتزعمون أن رب العالمين سكن ظلمة البطن وضيق الرحم ودنس بالحيض!

قال القس: هذا شيطان من شياطين البحر رمى به البحر إليكم، فأخرجوه من حيث جاء.

فأقبل الشيخ على القس وقال: عبدتم عيسى ابن مريم لأنه لا أب له، فضموا آدم مع عيسى، حتى يكون لكم إلهان اثنان. وإن كنتم عبدتموه لأنه أحيا الموتى، فهذا حزقيल مرّ بميت تجدونه بالإنجيل لا تنكرونه، فدعا الله ﷻ فأحياه له حتى كلمه، فضموا حزقيل مع عيسى وآدم، حتى يكون لكم ثلاثة آلهة. وإن كنتم إنما عبدتموه لأنه أراكم المعجزات، فهذا يوشع بن نون قاتل قومه حتى غربت الشمس فقال لها: ارجعي بإذن الله، فرجعت اثني عشر رجلاً، فضموا يوشع أيضًا إلى عيسى ليكون لكم رابع أربعة. وإن كنتم عبدتموه لأنه عُرج به إلى السماء، فمن ملائكته الله ﷻ مع كل نفس اثنان بالليل واثنان بالنهار يعرجون إلى السماء ما لو ذهبنا نعدّهم لالتبس علينا في عقولنا واختلط علينا

ديننا وما زدنا في ديننا إلا تحيرًا. ثم قال: أيها القس، أخبرني عن رجل يحل به الموت، الموت أهون عليه أم القتل؟

قال القس: بل القتل.

قال: فلم لم يقتل عيسى أمه، بل عذبها بنزع الروح؟ إن قلت: إنه قتلها، فما برّ أمه في قتلها، وإن قلت: إنه لم يقتلها، فما ضرّ أمه في تعذيبها بنزع النفس. فقال القس: اذهبوا به إلى الكنيسة العظمى فإنه لا يدخلها أحد إلا تنصّر. فقال الملك: اذهبوا به إلى الكنيسة.

قال الشيخ: لماذا يُذهب بي إلى الكنيسة ولا حجة عليّ دحضت حجتي؟ قال الملك: لا يضرّك شيء، إنما هو بيت من بيوت الله تذكر فيه ربك. قال الشيخ: أما إذا كان هكذا فلا بأس.

فذهبوا به إلى الكنيسة، فلما دخل إلى الكنيسة وضع إصبعيه في أذنيه ورفع صوته بالأذان. فجزعوا لذلك جزعًا شديدًا، وصرخوا لذلك، وكتفوه وجاؤوا به إلى الملك فقالوا:

أيها الملك، إنه أحلّ بنفسه القتل.

فقال الشيخ: أيها الملك أين ذهبوا بي؟

قال: ذهبوا بك موضعا تذكر ربك فيه.

قال: فقد دخلته وذكرت ربي فيه بلساني وعظمته بقلبي، فإن كان كلما ذكر الله في كنائسكم صغر إليكم دينكم، فزادكم الله صغارًا.

فقال الملك: صدق، وما لكم عليه سبيل.

قالوا: أيها الملك لا نرضى حتى نقتله.

قال الشيخ: إنكم متى قتلتموني فبلغ ذلك ملكنا وضع يده في قتل القسيسين والأساقفة، وخرب الكنائس وكسر الصلبان ومنع النواقيس.

قالوا: وإنه ليفعل؟

قال: فلا تشكوا في ذلك.

فتركوه.

قال الشيخ: أيها الملك، بَمَ علا أهل الكتاب على أهل الأوثان؟

قال: لأنهم عبدوا ما عملوا بأيديهم.

قال: فهذا أنتم عبدتم ما عملتم بأيديكم، هذه الأصنام التي في كنائسكم.

فإن كانت في الإنجيل فلا كلام لنا فيه، وإن لم تكن في الإنجيل فما أشبه دينكم بدين أهل الأوثان.

قال: صدق، هل تجدونه في الإنجيل؟

قال القس: لا.

قال: فلم تشبهون ديني بدين أهل الأوثان؟

وقال: فأمرهم بتبييض الكنائس. فجعلوا يبيضونها ويكون.

وقال القس:

هذا شيطان من شياطين العرب، قذفه البحر إليكم، فأخرجوه من حيث جاء،

ولا يقطر من دمه قطرة في بلادكم؛ فيُفسد عليكم دينكم.

فوكلوا به رجالًا، فأخرجوه من حيث جاء من بلاد دمشق.

ووضع الملك يده في قتل القسيسين والبطارقة والأساقفة، حتى هربوا إلى

الشام لما لم يجدوا أحدًا يحاجه.

دمشق

غَلَبَ الذِّكْرُ عَلَى سُلوَانِهَا وَخَطَا الصَّحْوُ إِلَى نَشْوَانِهَا
وَمَشَى السُّوْلُ إِلَى شَهْوَانِهَا



جَنَّةٌ أَهْوَى إِلَى رِضْوَانِهَا وَأَرَاهَا السَّخَطُ فِي رِضْوَانِهَا
قَدَّرَ أَغْرَقَ فِي عُدْوَانِهَا



نَصَّ سَفَرُ الْبُؤْسِ فِي جَهْوَانِهَا^(١) فَبَدَا الْمَنْصُوصُ فِي عَنْوَانِهَا
وَتَرَاءَى الشَّجْوُ فِي أَسْوَانِهَا



عَمَدَ الدَّهْرُ إِلَى إِهْوَانِهَا فَتَهَاوَى الصِّيدُ عَنْ إِيْوَانِهَا
وَجَثَّتْ تَدْفَعُ عَنْ صِيْوَانِهَا



قَرَعَ الْحَزْنَ حَشَا مِغْوَانِهَا مُذْ دَحَا النِّيرْبُ مِنْ كِيْوَانِهَا
فَشَكَا الْبَتَّ إِلَى كِيْوَانِهَا^(٢)



سَلَّطَ الصَّقَرَ عَلَى كِرْوَانِهَا^(٣) فَمَضَى يَفْتَكُ فِي صِيْوَانِهَا

(١) الجهوان: البيت المكشوف الذي لا ستر له.

(٢) النيرب: من منتزهات دمشق، قال فيه ياقوت الذي جاب أنحاء الأرض: أنزه موضع رأيت.

وكيوان الأول منتزه قرب ربوة دمشق، وكيوان الثاني في السماء.

(٣) الكروان: طير الجباري.

وُثِّبِحِ الوجَّةَ عَنْ خَوَانِهَا



أَنْشَبَ الْمَقْدَارُ فِي أَعْوَانِهَا مَخْلَبًا أَدْمَى نَرَى مَرَوَانِهَا

وَأَثَارَ الْوَقْدِ فِي صَوَانِهَا



خَلَّهَا تَوَقُّظٌ مِنْ سَهْوَانِهَا وَتَرَى الْأَقْدَارَ فِي الْوَانِهَا

وَتُؤَلِّقُ الصَّلْدَ مِنْ صَفْوَانِهَا

وَتَخْطُ الْمَجْدَ فِي دِيْوَانِهَا

محمد البزم



عبد الملك بن مروان والرجل المنافق

قال رجل لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان: إني أريد أن أسرَّ إليك شيئًا.

فقال عبد الملك لأصحابه: إذا شتم.

وكان الخلفاء يقولون ذلك لجلسائهم إذا طلبوا إليهم الانصراف، فنهضوا.

فأراد الرجل الكلام،

فقال له عبد الملك: قف. لا تمدخني، فأنا أعلم بنفسك منك. ولا تكذِّبني،

فإنه لا رأيَ لمكذوب. ولا تغتَبْ عندي أحدًا.

فقال الرجل: - يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في الانصراف؟

قال له: إذا شت...!

لبيك اللهم، لبيك!

صوتٌ قدسيّ يصدر اليوم من أفئدة مائة وخمسين ألف مؤمن جمعتهم ساحة عرفات، فدوّت به أرجاؤها، ورَدَدَت صدها جبالُها، وحملتْه الآفاق إلى ثلاثمائة مليون مسلم انتشروا في أنحاء العلم الإسلامي، فاشتركوا مع إخوانهم في إرسال هذا الصوت من الأرض إلى السماء إشعارًا بالعروة الوثقى التي عقدها بينهم دين التوحيد، وشكرًا لله على ما أنعم به عليهم من نعمة الهدى والرشاد.

إن قلوب المسلمين تتجه اليوم بما فيها من نور وإيمان إلى موقف تجرّد فيه الناس لربهم، وتساووا فيه جميعًا، فلا يتميزون بشيأهم، ولا تفرّق بينهم مظاهر الدنيا، وإذا علا بعضهم على بعض بشيء فبمبلغ الإخلاص الذي تصدر به كلمة «لبيك اللهم لبيك» من صميم الفؤاد.

لقد دعانا الله لأن نكون «أمة صدق»، وأن أعلنّا منزلةً عند الله والناس من كان أكثرنا إخلاصًا حين يجيب نداء ربه قائلًا: «لبيك اللهم لبيك».

ولقد دعانا الله لأن نكون «أمة سعي وعمل»، وأن أعلنّا منزلة عند الله والناس من كان أقوانا عزيمة حين يجيب نداء ربه قائلًا: «لبيك اللهم لبيك».

ولقد دعانا الله لأن نكون «أمة عزيزة بين الأمم»، وأن أعلنّا منزلة عند الله والناس من كان أكثرنا عملًا لإعزاز هذه الأمة حين يجيب نداء ربه قائلًا: «لبيك الله لبيك».

ولقد دعانا الله لأن نكون «من أهل الفلاح»، وأن أعلنّا منزلة عند الله والناس من يذكر أن من واجبه العمل لفلاح أمته كلما سمع المؤذن يقول: «حيّ على الفلاح» وكلما تصوّر هذه المعاني فقال: «لبيك اللهم لبيك».

ولقد دعانا الله لأن «نُعَدَّ ما استطعنا من قوة»، وأن أصدقنا إسلامًا من يحاسب نفسه على ما عمل من هذه الناحية، فيذكر ذلك مغتبطًا إذا أجاب نداء ربه فقال: «ليكن اللهم ليكن».

أيها المسلمون، إن الأمر قد حَزَبَكُمْ في أضيقت وقت.

وإن الأخطار قد حفت بكم من كل جانب. وإن دينكم بريء من كل ما حاق بكم من ذلٍّ، وبكل ما نزل بكم من خطب، وبكل ما ابتليتم به من فقر وفاقة وعجز؛ لأن الله ﷻ قد أرشدكم بهذا الدين إلى أن تكونوا أعزَّ الأمم، وهداكم به إلى ابتغاء الجلالة والسعادة من أقرب الطرق وأشرفها. فإن كنتم قد فاتكم قبل اليوم أن تعملوا بهديته فأدبكم بالمصائب، فقولوا مع شاعركم: «جزى الله المصائب كل خير»، وارجعوا إلى ربكم رب الهدى والرشاد، ارجعوا إلى دينكم دين العزِّ والقوة والسداد، انسوا السفاسف التي ألغتموها، وترفعوا عن المنافع الخسيسة الزائلة التي صرتم لا تقيسون الأمور إلا بمقياسها، وذوبوا في الحق، واكتبوا اليوم سجلَّ الوقفية التي تجعلون بها أشخاصكم وقفًا على عزِّ الإسلام والنهوض بالمسلمين، فإنكم إن تفعلوا يكتب الله لكم ذلك عنده وعند خلقه في الدرجات العلى. وتكونوا عنده وعندهم أسمى وأكبر مما لو عملتم للمنافع الخسيسة والسفاسف الصغيرة، وإذن فلن يحول الحول فيأتي مثل هذا اليوم المبارك من العام القادم حتى تكونوا سائرين في طريق السعادة والسيادة، وتكونوا من أهل الصدق والإخلاص، تنادون ربكم: «ليكن اللهم، ليكن!».

هيا تعالوا نتعاهد على هذا، ونجعل الله عليه خير الشاهدين.

محِب الدين الخطيب



المرأة

- * إن شئت أن ترى المرأة حقيقة فتأملها وعيناك مغمضتان.
- * يحب الرجل امرأتين: امرأة يراها بعين خياله، وامرأة لم تولد بعد.
- * الرجل الذي لا يغتفر عيوب المرأة، لا يعرف ولن يعرف حسناتها.

جبران خليل جبران



الحقيقة الواحدة

يا مُتَابِعَ المَلاحِدة، مُشَايِعَ المُضَيِّعَةِ الجاحِدة، مَنْكَرَ الحَقِيقَةِ الواحدة؛ ما للأعمى والمِمرّة، ولِلْمُقْعَدِ والمِرْقاة^(١)، ومالك والبعث عن الله؟
قُم إلى السماء تَقْصُ النظر^(٢)، وقصّ الأثر^(٣)، واجمع الخُبْرَ والخَبْر. كيف ترى ائتلافَ الفَلَك، واختلافَ النور والحلّك، وهذا الهواء المشترك. وكيف ترى الطيرَ تحسبُهُ تُرك، وهو في شَرَك^(٤)، استهدفَ فما نجا حتى هَلَكَ^(٥)؛
تعالى الله دَلَّ المَلِكُ على المَلِك!

(١) المقعد: المصاب بما يقعده عن المشي. والمرقاة: السلم.

(٢) أرسله إلى أقصاه.

(٣) قص الأثر: اقتفاء.

(٤) تظنه حرًا طليقًا، وهو أينما حل في تناول قبضة الصياد.

(٥) لا يكاد ينجو من سهم مصرور، إليه حتى يُدرك الموت من سهم آخر.

وَقِفْ بِالْأَرْضِ وَسَلِّهَا: مِنْ زَمَّ السَّحَابَ وَأَجْرَاهَا^(١)، وَرَحَلَ الرِّيحَ
وَعَرَّاهَا^(٢)، وَمَنْ أَقْعَدَ الْجِبَالَ وَأَنْهَضَ ذُرَاهَا^(٣)، وَمَنْ الَّذِي يَحُلُّ حُبَاهَا^(٤)،
فَتَخِرُّ لَهُ فِي غَدِّ جِبَاهَا؟ أَلَيْسَ الَّذِي بَدَأَهَا غِبْرَاتٍ^(٥)، ثُمَّ جَمَعَهَا صَخْرَاتٍ، ثُمَّ
فَرَّقَهَا مُشَمِّخِرَاتٍ^(٦)؟

ثُمَّ سَلَ النَّمْلَ: مَنْ أَدَقَّهَا خُلُقًا، وَمَلَأَهَا خُلُقًا، وَسَلَكَهَا طُرُقًا، تَبْتَغِي رِزْقًا؟
وَسَلَ النَحْلَ مَنْ أَلْبَسَهَا الْحَبَرَ^(٧)، وَقَلَّدَهَا الْإِبْرَ^(٨)، وَأَظْعَمَهَا صَفْوَ الزَّهْرِ،
وَسَخَّرَهَا طَاهِيَةً لِلْبَشَرِ^(٩)؟

لَقَدْ نَبَذَتْ الذَّلُولَ الْمُسْعِفَةَ^(١٠)، وَأَخَذَتْ فِي مَعَامِي الْفَلَسَفَةِ^(١١)، عَلَى عَشَوَاءَ
مِنَ الضَّلَالِ مُعْسِفَةٍ^(١٢). أَوَّلًا؛ فَخْبِرْنِي: الطَّبِيعَةُ مَنْ طَبَعَهَا، وَالنُّظْمُ الْمُتَقَادِمَةُ مَنْ
وَضَعَهَا، وَالْحَيَاةُ الصَّانِعَةُ مَنْ صَنَعَهَا، وَالْحَرَكَةُ الْمُدَافِعَةُ مَنْ الَّذِي دَفَعَهَا^(١٣).

(١) زَمَّ الناقاة: خطمها.

(٢) رَحَلَ البعير: شد على ظهره الرحل تمهيدًا للسير. عَرَّاهَا: جردها مما فيها من أقطار.

(٣) ثَبَت قَوَاعِدَهَا فِي الْأَرْضِ، وَرَفَعَ عَالِيَهَا شَامِخَةً فِي السَّمَاءِ.

(٤) يَفْكُهَا مِنْ حَبُوتِهَا، وَيُنْهَضُهَا مِنْ رِبْضَتِهَا.

(٥) جَمَعَ غُبْرَةً (بِتَسْكِينِ الْبَاءِ)، وَهِيَ ذَرَّةُ الْغُبَارِ.

(٦) بَادِخَاتٍ.

(٧) الْحَبِرُ: بَرُودٌ يَمْنِيَةٌ مَلُونَةٌ، شَبَّ بِهَا تِلْكَ الْأَلْوَانُ الزَّاهِيَةُ الَّتِي يَتَخَايَلُ بِهَا النَحْلُ تَحْتَ أَشْعَةِ اس.

(٨) سَلَّحَهَا بِهَا.

(٩) تَطْيِخَ لَهُمْ فِي بَطُونِهَا عَسَلًا.

(١٠) الذَّلُولُ: شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهَا سَمِحَةٌ، تُسَعِّفُ أَبْنَاءَهَا بِالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ.

(١١) الْمَعَامِي: الْمَجَاهِلُ.

(١٢) الْعَشَوَاءُ: الْعَمِيَاءُ. وَأَعْسَفَ: خِيطَ فِي السَّيْرِ.

(١٣) النُّظْمُ الْمُتَقَادِمَةُ، وَالْحَيَاةُ الصَّانِعَةُ، وَالْقُوَّةُ الْمُدَافِعَةُ: كُلُّ هَذِهِ قُوَى يَظُنُّ الْمَلْحَدُونَ كُفْرًا
أَنَّهَا الْأَصْلُ فِي الْكَائِنَاتِ.

عَرَفْنَا كَمَا عَرَفْتَ الْمَادَّةَ، وَلَكِنْ هُدَيْنَا وَضَلَلْتَ الْجَادَّةَ. وَقَلْنَا مِثْلَكَ بِالْهَيُولَى^(١)، وَلَكِنْ لَمْ نَجْعِدَ الْيَدَ الطَّوْلَى^(٢)، وَلَا أَنْكَرْنَا الْحَقِيقَةَ الْأُولَى^(٣).
 أَتَيْنَا الْعُنَاصِرَ مِنْ غُنْصُرِهَا، وَرَدَدْنَا الْجَوَاهِرَ إِلَى جَوْهَرِهَا^(٤)، أَطْرَحْنَا فَاسْتَرَحْنَا^(٥). وَسَلَّمْنَا فَسَلَّمْنَا، وَأَمَّنَّا فَأَمِنَّا، وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا أَنَّكَ قَدْ عَجَزْتَ فَقُلْتَ: سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ. وَعَجَزْنَا فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَاءَ كُلِّ سِتَارٍ!

أحمد شوقي



سَفَرُهُ مَعَ أَعْرَابِيٍّ

كَانَ الْعُتْبِيُّ الشَّاعِرُ يَحَدِّثُ عَنْ أَعْرَابِيٍّ ظَرِيفٍ أَنَّ قَوْمًا أَضَلُّوا الطَّرِيقَ فَاسْتَأْجَرُوهُ لِيَدُلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ:

إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مَعَكُمْ حَتَّى أَشْرُطَ لَكُمْ؛ وَأَشْرُطُ عَلَيْكُمْ.
 قَالُوا لَهُ: فَهَاتِ مَا لَكَ.

قَالَ: يَدِي مَعَ أَيْدِيكُمْ فِي الْحَارِّ وَالْقَارِ، وَلِي مَوْضِعِي مِنَ النَّارِ مَوْسَعٌ عَلَيَّ فِيهِ، وَذِكْرُ وَالِدِي عَلَيْكُمْ مُحَرَّمٌ.

(١) الهَيُولَى: مِنَ الْمَادَّةِ. شَبَّ الْأَوَائِلِ طِينَةَ الْعَالَمِ بِهَا.

(٢) يَدُ اللَّهِ الَّتِي أَبْدَعَتْ هَذِهِ الطِّينَةَ، وَنَفَخَتْ فِيهَا الرُّوحَ.

(٣) وَجُودُ اللَّهِ.

(٤) إِلَى أَصْلِهَا وَجَبَلَتْهَا.

(٥) آمَنَّا بِاللَّهِ، وَتَرَكْنَا مَا دُونَ هَذَا مِنَ التَّفَكِيرِ الْعَقِيمِ الَّذِي لَا نَهَايَةَ لَهُ، وَالْبَحْثَ الضَّالَّ الَّذِي لَا يُؤْمَنُ فِيهِ الْعَثَارُ.

قالوا: -فهذا لك، فما لنا عليك إن أذنبت؟

قال: إعراضةٌ لا تؤدي إلى تعب وعتب، وهجرة لا تمنع من مجاملة السفرة.

قالوا: فإن لم تُعتب؟

قال: - فحذقة بالعصا أخطأت أم أصابت.

وهذا الحديث لا يعرف قدره ولطافة ما اشترطه الأعرابيُّ فيه إلا الذين سافروا في البادية، واجتازوا مفاوزها، وذاقوا لذة الجلوس حول النار في ليالي شتائها.



مدح محمد ﷺ

موشحة أقيت في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة

مساء غرة المحرم سنة ١٣٤٧

حينما أشرق وجهُ المصطفى ملأ التوحيدُ بالنور الوجود

وهوى الشركُ صريعاً واختفى يزهرق الباطلُ والحقُّ يسود



وبدا يختال في الكون الهلال مثل قوس النصر يزهر في السماء

في محيَّاه جَلالٌ وجمال مستمدٌ من خِتام الأنبياء

كانت الدنيا عماءً وضلال فمحت آيَّاته ذاك العماء

ودم أهریق في الحقِّ وسال لم يكن إلا لمحو الأشقياء

واحتفى الكون بطه وصفا وبدا مؤتلقاً نجمُ السعود

ورآه الناسُ ظلًّا وارفاً فاستظل الناسُ من حر الجحود



كانت الأصنام أرباباً عظام يا لأرباب نسويها الأنام
يدنيها، ثم تعترُّ بها دنس القومُ بها البيت الحرام
فأذلُّ الله من أربابها أرسل المختار بالحق فقام
يزجرُ الأعراب عن أنصابها ودعاهم أن يكونوا حنفا
مخلصين الدينَ للربِّ المجيد فأبى القوم وأبدوا الأنفا
وأرادوا الفتك بالداعي الرشيد



هاجر المختارُ من مكَّته ما أذلَّ الكفرُ من عزته
وأبو بكر له كان الرفيق وحباهُ الله من رحمته
وهو بالنصر من الحق خليق كلَّما أقدم ني سنيه
فوقَ ما يرجو له ذاك الصديق وعلى يثرب طه عطفها
فاحتِ الأرجاء بالمسك الفتيق وبه خالقه قد لطفها
وغدا الانتصارُ في عيد سعيد صادق الوعد هو المبدى المعيد



إنَّ ذاك اليوم عيد الهجرة وبه تاريخُنا قد فُتحا
كان مفتاح انتصار الدعوة وبه نال الوجود المنحا
أبد التوحيد بين الأمة ورمى الشرك بعيداً ومحا
كان للأنصار عين الرحمة وبهم صدر النبي انشراحا
أظهروا الإخلاص منهم والوفا وأقاموا الدينَ بالعزم الشديد
وبهذا النصر نالوا الشرفا وأصابوا هدَفَ الرأي السديد



ديننا دين من الله تعالى أبلغ حقَّ قويَّ النشأة
 يملأ النفس حناناً وجمالاً وهو دين العزم دين الهمة
 قل لمن يزعم بالدين ضلالاً قل تعالوا جادلونا بالتي
 إننا في ديننا لا نتغالى وهو دينُ العفو دينُ الهمة
 سائلوا عنه الكرامَ السلفاً وسلوا التاريخَ والماضي السعيد
 ودعوا بالله هذا الخلفاً فهو في سيرته غير حميد



خَلَفَ أصبح طوعاً لهواه يلعبُ الميسر جهراً معلنا
 وكانَ الدِّينَ يَوماً ما نهاه عن كؤوس الخمر أو فُحش الزنا
 تاركاً فرض زكاةً وصلاه مشركاً لكن تزياً مؤمنا
 صائماً عن كل ما يُرضى الإله كل هذا لم يكن في ديننا
 فعلى الأخلاق والحب العفا لم تزل تنقص والشر يزيد
 واستبدَّ اليوم بالوَدَّ الجفا رَبِّ هَيْئَ لِلدُّنَا خلقاً جديد



يا شبابَ النبيل! أنتم منتهى ما يَرجِيهِ لمصرَ العاقل
 جيلُنا هذا عن المجد لها إنما يلهو الجهولُ الغافل
 فأنيلوا مصركم ما يُشتهى إنما منكم يكونُ النائل
 وضَعُوا أقدامكم فوق السُّها هكذا بالعلم يسمو العامل
 جيلُنا الماضي انطوى وانتسفا ولقد بادَ وَمَن نامَ يبيد
 فأقبلوا عشرةً ممن هَفا أشهدونا همة الجيل الجديد



إيه يا زهرَ المنى في شعبكم عظروا الأرجاء بالسّر الحسن
مصر إن لم تدركِ المجدَ بكم خبروني تدركُ المجدَ بمن؟
في الأمانيّ وفي أحلامكم أملُ الشعب وإسعاد الوطن
إنما مستقبل الدنيا لكم فانهبوا بالعلم والجِدّ الزمن
داؤنا الجهل وفي العلم الشفا وبه مصرٌ على الدنيا تسود
لا تظنّوا المجد يأتي صُدفاً إنما بالحزم والجهد الجهد

أبو الوفا: محمود رمزي نظيم



القضاء

* قال رسول الله ﷺ: «القضاء ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة. رجل عرف الحق فقاضى به فهو في الجنة، ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار، ورجل لم يعرف الحق فقاضى للناس على جهل فهو في النار»^(١).

* قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(٢).



(١) أخرجه الترمذي (١٣٢٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٩) ومسلم (١٧١٦).

الجهاد في الحياة

إن المستر توماس الذي بلغ بجدته ونشاطه مقاعد النيابة والوزارة في الدولة البريطانية، لما استعرض ماضي حياته، وكيف ارتقى من وظيفة وقّاد في مرّجل السكة الحديد إلى سائقٍ لقطاراتها، ثم إلى طبقة أهل الرأي، فمناصب السلطة والتدبير، وقف حينئذٍ تجاه حقيقة من حقائق الحياة فقال:

«نحن لا نفتأ نسمع الناس يذمّون الأطماع، ويستهجنون أهل الطمع، ولكني قد تعلمت بطول الخبرة وأدركت أن الشابّ الخليّ من هذه الحاسة - حاسة الطمع التي تدفع به إلى العلاء- لن يُصبح يومًا ما عاملاً ماهراً، ولن يرتفع في مراتب صناعته.

لكني أناشدكم أن لا تخطئوا فهم غرضي. لقد قيل لي إنني كنت من صباي أتطلع إلى مكان النائب في المجلس، ولكني مع ذلك عندما كنت وقّادًا كان كل مطمحي أن أرتقي إلى وظيفة السواق. فلما أصبتها عدت أطمح إلى ما فوقها، فكانت كل خطوة تُطمعني بالخطوة التي بعدها.

ولقد أكببت على درس القاطرات وعملها قبل أن أُعيّن سائقًا لها بزمّن طويل؛ لأنني وضعت نُصب عيني أن أنمي محصولي العلمي في صناعتي، وانتويت أن أتعلّم كل ما يختص بالقاطرات، حتى تحين الفرصة لإظهار كفايتي وعلمي.

وغرضي من هذه النقطة أن أقول لكم: إن التغيرات والتطورات لم تكن تهاجمني على غرة، فقد أبيتُ أن أخلد إلى عملي كما هو، بل كنت أبدًا متقدمًا عنه خطوات، لأنني لم أكن أريد البقاء حيث كنت، بل كنت أتطلع دائمًا إلى ما فوقه، ولكي أصيب ما كنْتُ أتطلع إليه؛ جعلت أحمل على نفسي في العمل وأدأب مستميًا.

إن العمل لا يقتل، والجهد لا يميت. بل ليس في وسع المشاق والشدائد، ولا في مقدرة الخطوب وأيام العسر أن تُحطم الشاب، إلا إذا كان هو يريد أن يتحطم، ويومئذ لن تستطيع قوة في الأرض أن تنتشله من وهدهة.



بعض الأصدقاء

قال سويد بن الصامت:

الارَبُّ من تدعو صديقًا، ولو ترى	مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشحم ما كان شاهدًا	وبالغيب مأثورٌ على ثغرة النحر ^(١)
يسرك باديهِ، وتحت أديمه	نميمة غش تبترى عَقَبَ الظَّهر
تبين لك العِنان ما هو كاتم	ولا جَنِّ بالبغضاء والنظر الشزر



ليل الحزين

حَبِّمِ الهَمُّ على مُهَجَّتِهِ	وَسُكُونُ الليلِ قَبَاضُ الهُمومِ
فجثًا يَسْكُبُ من مُقْلَتِهِ	أذمًا رَوَّعَهَا الدهرُ العَشُومِ ^(٢)

(١) المأثور: السيف.

(٢) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).

قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

كَلَّمَا سَأَلْتَ عَلَى وَجْنَتِهِ تَرَكْتُ فِي جَانِبِ الْخَدِ كَلُومَ
خَاطِبِ الْجَبَّارِ فِي ظُلْمَتِهِ عَلَهُ يَسْلُمُ مِنْ بَخْرِ الْعَمُومِ



رَبِّ! كُنْ عَوْنًا لِنَدْمَانِ الْأَسَى
وَاحِمٍ مِنْ قَارِعَاتِ الْمَحَنِ
وَتَوَلَّ ابْنَ سَقَامٍ قَدْ وَهَى
فَقْدًا يَحْكِي هَشِيمَ الْفَتَنِ
عَادَةُ الدَّهْرِ بِأَنْوَاعِ الشَّجَى
فَانْتَنَى يَرْهَبُ سَطْوَ الزَّمَنِ



عَلَبَ الْيَأْسُ عَلَى قَوْتِهِ وَعَرَاهُ فِي دُجَى اللَّيْلِ ثُبُورُ
إِنَّ مِنْ يَبْرُمُ مِنْ لَيْلَتِهِ أَقْلًا يَسَامُ مِنْ نَوْمِ الْقُبُورِ
رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى طَلَعَتِهِ مَلٌّ مِنْ طِيبِ الْكَرَى وَهُوَ غُرُورُ
قُلْ لَهُ إِنَّ ضِجَّ مِنْ غَفْوَتِهِ
الرَّدَى غَمَضٌ عَلَى كَرِّ الدُّهُورِ

أنور العطار



عقيدة ملحد في القرآن

شبلي شميل يعدُّ إلى حين وفاته شيخ ملاحدة المسيحيين في الشرق؛ لأن الشرق لم ير في زمنه ملحدًا مجاهرًا بإلحاده، ومخلصًا له بالدرجة التي كان عليها شبلي شميل. ومن أقواله الماثورة في القرآن:

«إن في القرآن أحوالًا اجتماعية عامة، وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان، حتى في أمر النساء، فإنه كلفهن بأن يكنَّ محجوبات عن الرِّيب والفواحش، وأوجب على الرجل أن يتزوَّج واحدة عند عدم إمكان العدل. وأن القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة، ولترقية الروح والجسد، بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني».



أدب الأعراب

* سأل المفضل الضبي أعرابيًّا: «ما البلاغة؟» فقال: «الإيجاز في غير عجز، والإطناب في خطل».

* خطب ربيعة الرأي يومًا فأكثر، وأعجب بالذي كان منه، فالتفت إلى أعرابي كان عنده، فقال: «يا أعرابي، ما تعدون العيَّ فيكم؟» قال: «ما كنت فيه منذ اليوم!».

* وصف أعرابيُّ أعرابيًّا بالإيجاز والإصابة فقال: «كان والله يضع الهناء مواضع الثقب».

* سأل محمد بن بشير الشاعر أعرابياً عن جمال الرجل، فقال: «طول القامة، وضخم الهامة، ورحب الشُّدْق، وبُعد الصوت».

* سأل جعفر بن سليمان أعرابياً: «ما الجمال؟» فقال: «غثور العينين، وإشراف الحاجبين، ورحب الشدقين».

* أراد رجل من البلّدين أن يسأل أعرابياً عن أهله فلحن إذ قال: «كيف أهْلِكَ» فأجابه الأعرابي «صَلَبًا!».

* مدح أعرابيُّ رجلاً برقة اللسان فقال: «كان والله لسانه أرق من ورقة، وألينَ من سرقة^(١)».

* كان أعرابيٌّ يجالس الشَّعبي يطيل الصمت، فسُئل عن طول صمته، فقال: «أسمعُ فأعلم، وأسكتُ فأسلم».

* نظر أعرابيٌّ إلى الحسن البصري، فقال له رجل: «كيف تراه؟» قال: «أرى خيشوم حُرَّ».

* قيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسنَ عزاءكِ عن ابنك! فقالت: «إن مصيبيته أمتني من المصائب بعده».

* قال أعرابي للحسن البصري: «علّمني دينًا وسطًا، لا ذاهبًا شطوطًا، ولا هابطًا هبوطًا»، فقال الحسن: «لئن قلت ذاك: إن خير الأمور أوسطها».

* نظر أعرابي إلى مالٍ له كثير. من الماشية وغيرها. فقال: «يُنعة، ولكل يُنعة استحشاف^(٢)» فباع ما هنالك من ماله، ثم لزم ثغرًا من ثغور المسلمين يجاهد في الدفاع عنه، حتى مات فيه.

(١) السرقة: القطعة من جيد الحرير.

(٢) الاستحشاف: الجفاف، يقال: استحشف ضرع الأنثى إذا قلص وتقبض.

* وصف أعرابي رجلاً فقال: «صغير القدر، قصير الشبر^(١)، ضيق الصدر، لئيم النجر^(٢)، عظيم الكبر، كثير الفخر».



الجنّازة الحمراء مشهد من مشاهد المدينة الضالة

مواكب اللهو بين الناي والعود
عطشى تنادي فُتسقى من مُعْتَقَة
مَدّوا الدمقسَ لها طول الطريق على
وعرّشوا حولها بالورد فانحدرت
تلهبها الشمس ما شاءت وترقص في
والخمرُ تسربُ من كوب ومن شفةٍ
وتوجوا مُومساً تعلو مناكبهم
حمراء صاخبة شكّت إذا فتروا
تظلُّ تُرهقهم جوراً وتجهدهم
وهم سُكّارى يزجيّهم إلى سقرٍ
يسوقهم بسياط الفسق تنهشهم
ويضحكون وقد داست نعالهم
زلت به قدّم في لهوه فهوى

تسعى إلى الموت في ظلّ الزغاريذ
تهزُّ أعطافها هزّ الأماليد
أواسن من خيث الماء والدود
منه الأضاميم أشباه العناقيذ
مطارف الخَزْ أو في أوجه الغيد
إلى التراقي كعقد غير منضود
كأنها فوقهم تمثال معبود
مهمازها في بضيض النحر والجيد
بالسير ما بين ترغيب وتهديد
إبليس في عُصبة من رهطه السود
نهش الأسنة إقفاء الرعايد
على فتى منهم في الدرب ممدود
فنيّبوه فعال السّيد بالسّيد

(١) القامة.

(٢) الطباع.

يقهقهون مجونًا كلما ارتفعت
 ماتت ضمائرهم في الفُحش واتخذوا
 أناته بين ضوضاء الأناشيد
 إلى المنايا طريقًا غير محمود
 كراقصين على البركان تقدفهم
 نيرانه بشظايا من جلاميد
 يوسف غصوب



من جوامع الكلم المحمدية

* «مَن حلف على يمين يقطع بها مالَ امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقِيَ الله وهو عليه غضبان»^(١).

* «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع من ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا بسلمة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يَفِ»^(٢).

* «أيما امرئ مسلم أعتق امرؤًا مسلمًا، استنقذ الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار»^(٣).

* «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٩) ومسلم (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٢٧) ومسلم (١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٨١) ومسلم (١٥٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢٦٠٩).

* «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(١).

* «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم»^(٢).

* «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء»^(٣).

* «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(٤).



تركة سيد الخلق ﷺ

قال عمرو بن الحارث - أخو جويرية أم المؤمنين - :

ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضًا جعلها صدقه^(٥).



(١) أخرجه البخاري (٢٣١٥) ومسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٣٦) ومسلم (٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٨٨).

لغة الضاد

أغنى اللغات السامية مادّة، وأعذبها سحر بيان، وأرقها حاشية تبيان.
نزلت على السنة العرب، فجرت على أسلاتها سحرًا كلُّ سحر غيره باطل،
ولا بدع فكلّ بلد هي حلٌّ به بابل.

أجل، لقد انقطعت السنة من منابتها، واجتثت لغات من أصولها، فلم يبق
منها إلا آثارٌ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد، وتلك اللغة تدور مع الفلك: لا
يخلق ديباجتها هرم، ولا يُلَمّ بها قدم.

وآية لها أنك ترى كيف عجز السيف على سعة الزمن أن يحول أمة عن لغتها،
وقد استطاعت ولم تجرد سيفًا أن تشق لها طريقًا إلى السنة أعيًا على غيرها
علاجها، وتفتح العقبات إلى قلوبٍ كان محكمًا عليها رتاجها. فكأنها كانت
دينًا لفطرة الألسنة؛ لتكون بعد ذلك لسانًا لدين الفطرة، ولا عجب إذا قدرت أن
تصبغ كل بلد حلت به صبغة عربية، إذ قالت لكل شيء: كن منذ الآن، فكان
عربيًا.

دخلت لغة القرآن الكريم كثيرًا من بقاع الأرض، فما هي إلا فترة يبلغ الصبي
في دونها الحلم حتى استتب لها الأمر فيها، وكانت كأنها محور دار عليه التاريخ
دورة أخرى.

ترى أين كانت العربية، ثم أين بلغت؟

لقد كانت بدايةً تطوف بأركان تلك الجزيرة الجرداء، على صفة ما كانت
تأخذه أعين الناطقين بها من الفدغدو، والمهمة القفر. ومن الفحل إذا
هدر، والليث إذا زار.

والحمامة إذا سجعت، والناقة إذا ضبغت، والريح إذا لفحت، والسماء إذا ضنّت، والأرض إذا حرّت، والمكارم إذا هزّت، والخيّل إذا استنتت، والأسنة إذا اشتجرت. ونحو هذا مما هو بتلك البادية أشبه وأمثل.

نعم، كان هنالك مطافُ اللغة في بادئ أمرها.

ولكنها من سماء تلك البادية الناطقة الخرساء، قد استمدت ذلك الخيال الذي يريك من الورد الذابل خدًا نديًا، ومن الغصن المائل قدًا عادلاً سمهريًا.

ثم سما ذلك الخيال الذي كان كأنه يواثب النجوم، فلم يدع تشبيهاً بليغاً إلا وقع من ورائه، ولا فتناً من فنون القول إلا بلغ الغاية من الافتتان فيه. ولم يذر معنى دقيقاً إلا أحكم تصويره، حتى بذّت العربية اللغات على بكرة أبيها.

لقد وسعت اللغة العربية ما تضيق ببيانه هذه الأوراق.

فكانت وما فتئت تسائر كل آخذ بحُجزتها إلى كل غرض يمشي إليه. فلم تضق ذرعاً باصطلاح، ولا برمت بالكشف عن معنى، ولا نشزت على قلم غذته بلبانها، ولا وقع بها العي دون حاجة فلم تنهض ببيانها.

أما أين بلغت، فكلّ مبلغ: فقد تسرّبت بين العصا ولحائها، وتغلّغت بين الذرة وأجزائها، ومادّت العلم حبلها، وقد ظل ما بينه وبينها مبلولاً، فلم يبس إلا حقّاً معدودات، فقد وسعت معارف الدهر كلها، ولا تزال آثار العرب حجة لهم ولعريتهم ناهضة لم تقعد بها الأيام.

وماذا عسى أن يقول القائل في لغة رقت حتى كأنها نفس الزهر، ولطفت حتى كأن ألفاظها بسماتُ الحسان يعدن الوصل بعد الهجر.

ألا إن العربية التي نبتت في تلك البيداء، قد مدّت ظلها على العلم كله.

وذلك العربي الذي حيَّ حياته الأولى في منقطع من الأرض، إذا سافرت فيه
عيناه ففي صميم القفر، وإذا وقفن به فعلى أديم الصخر، قد مشى بلغته مدى
بعيداً في أمد قريب.

فسلامٌ على ذلك العهد النضير، وسلامٌ على تلك البادية التي نبتت فيها أمة
المجد والبيان، وسلامٌ على هذه اللغة الخالدة على فناء الزمان.

محمد صادق عنبر



الشهيد المجهول

يا جيرة البان هل من يسأل البان	إن كان فيه صدَى من رَجَع شكوانا
فكم تبدَّلت الأفنانُ مُصْفِيَةً	إليه، وانتفضَ النّوار يقظانا
والتفتِ الورقُ أسراباً مُصْفَقَةً	على الكثيب تبثُّ الوجدَ الحانا
والريحُ تهمسُ في الأذان مُلْهِمةً	والزهرُ ينصبُّ للإلهام آذانا



تلك الملاعب أقوْث وانطوْث حججٌ	أمست جَوَى وضئى برحاً وأشجانا
تسرَّبت في حنايا الصدر فانعقدت	همّاً تعجُّ به الأنفاسُ نيرانا
هي (الهمومُ) فسلَّ عنها الخيرَ بها	إن (الهمومُ) تصبُّ الويل ألوانا
بالله لو فعلتُ في الجسم ما فعلت	في النفس لم يعرفِ الإنسانُ إنسانا
وأصبحَ الناسُ غيرَ الناسِ من صوَرٍ	شنعاء تمنحهم شيباً وولدانا
حتى (الطبيعةُ) تلقاهم فتُكرهم	وإن رأث قبلهم جنّاً وغيلانا
فليتَّقى الله قومٌ بين أضلعهم	غيظٌ تفجَّر أحقاداً وإضغانا

أهوت بهم لعنة الأجيال تقذفهم
لم تنتقل قدمٌ منهم إلى عمل
وحولهم ضجةٌ من كل ذي مَلَق
مستهترين فما يخشون من شَطِطِ
يمشون في القَيِّ والأهواء ترفعهم
وكم هنالك دَجَالٌ له زبدٌ
ييدي الحماسة إرغاء، فإن بلغت
وكم شهدت جموعَ الخلق مطبقةً
تترى المواكب والأبصارُ خاشعةً
والعفو أقرب ما استدنت من أمل



صبراً على العصبة المزور جانبها
وكيف تنقم منها عند محنتها
ولمحةً شُرُرةً أو لفتةً ثقلتُ
فانظر إلى النسيم العلوي منطلقاً
فإن هو انحطَّ منها اعتلَّ من كمد
فاندسَّ تحت ذيول الأيك مختبئاً
فكيف بالنفس من عليائها انحدرتُ
فإن يكنَّ حظ حلفِ الدسّ طنطنةً
فالشمسُ تظهر للعينين قد نقصتُ

من فرط ما احتملتُ بغياً وعدوانا
عنفاً تجيش به الألفاظ أحياناً
عليك أو خلُقاً وعراً وخذلانا
فوق الجبال يجرُّ الذيلَ نشوانا
وارتدَّ ملتهبَ الأنفاس غَضباناً
وانسلَّ بين زوايا الصخر حيراناً
والنفسُ أصدق إحساساً ووجداناً
وكان حظُّ سريِّ النفس حرماناً
لدى الكسوف وتأبى الشمسُ نقصاناً



يا بنتَ يَغرُبَ كم من مُوجع دَنَفٍ
لم تذكره فلم يجحدك نسياناً

يذود عنك خفيّ الختل منغمساً في الهول يحمل ما يرضيك جذلانا
 كم خاض معركة خرساء دامية شبت وأمن فيه السيّف إثنانا
 فلم يُجسّمك عبء المنّ متنفخاً بالعُجب واحتمل الآلام كتماننا
 وأنت يلهيك عنه الصائحون معاً خباً فتنبيّن إعراضاً وهجرانا
 يا ويح جنديك المجهول مُجدلاً على الصّعيد سلب الثوب عُريانا
 قد مات دونك لم يمنن عليك يدًا ولم ينل منك عند الموت أكفانا



مهلاً فصحبك والتاريخ يوم غد سيرفعان غشاء يُسدّل الآنا
 فؤاد الخطيب



دموع صياد العصافير

قال الفضل بن موسى الشيباني:

كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح، فجعلت الرياح تُدخل في عينيه
 الغبار فتذرفان، فكلما صاد عصفوراً كسر جناحه وألقاه في ناموسه.

فقال عصفور لصاحبه:

ما أرافه علينا، ألا ترى إلى دموع عينيه.

فقال له الآخر:

لا تنظر إلى دموع عينيه، ولكن انظر إلى عمل يديه!



بين النبي ﷺ وأصحابه

قال ابن عمر: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل»^(١).



قال ابن عباس: كنتُ خلفَ النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله»^(٢).



قال سهل بن سعد: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس.

فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٣).



قال سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحبُّ العبدَ التقى الغني الخفي»^(٤)،^(٥).



-
- (١) أخرجه البخاري (٦٠٥٣).
- (٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني.
- (٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وصححه الألباني.
- (٤) الغنى هنا غنى النفس: قال ﷺ: «ليس الغني بكثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».
- أخرجه البخاري (٦٠٨١) ومسلم (١٠٥١). والخفي: المشتغل بأمور نفسه. المعرض عن مزاحمة الناس فيما لا بقاء له.
- (٥) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

قال رجل: يا رسول الله أوصني قال: «لا تغضب!».

فردّد مرارًا. فقال: «لا تغضب!»^(١).



قال ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة».

فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضييًّا من أراك»^(٢).



قال أبو ذر: سألت النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟

قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله».

قلت: فأَيُّ الرقاب أفضل؟

قال: «أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها»^(٣).



قال النّوّاس بن سمعان: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم، فقال: «البرّ حُسْنُ الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٤).



قال ﷺ: «من الكبائر شتم الرجل والديه».

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

قيل : وهل يسب الرجل والديه؟

قال : «نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»^(١).



الاتجاهات في الأدب العربي اليوم

لقد استيقظوا، لكنهم لا يزالون وقوفًا على مفترق الطرق لا يدرون أين يتجهون. ففي مصر يلوكون كلمتي «القديم» و«الجديد»، ويتحدثون بأدب مصريّ يُحلّونه محلّ ما يسمّونه الأدب العربيّ؛ ولكنهم أشتاتٌ فيما يذهبون إليه من معنى القديم والجديد، حاثرون في تكييف الأدب المبهم الذي يريدون أن يسمّوه مصريًا. وما يذكرونه عن الأدب العربي يدل على أن نظراتهم فيه مستعجلة، وغير شاملة، وواقعة على صورة له زوّروها في أذهانهم، لا على جوهره كما كان في أحقابه الكثيرة، ولا على مثله الأعلى كما يجب أن توحيه إليهم جامعة هذا اللسان في الحقبة التي تحن فيها.

وفي الشام يزنون بأبصارهم إلى القومية العربية، وإلى ما يقع على الأدب من واجب في تكوينها، ويحاولون أن يستمدّوا أساليب هذا الواجب من الآداب الغربية بعد أن كانوا يستمدّونها من الآداب التركية. ولكن هذا الاستمداد لا يزال على غير هدى، والقومية العربية التي يفزعون إلى الأدب في أداء ما لها عليهم من واجب تحتاج إلى عدد أكبر من عددهم، وإلى تخصّص في العمل أكثر مما يسمح لهم به الوقت أو تمكّنهم منه الظروف العامّة والعوامل المختلفة.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٨) ومسلم (٩٠).

وفي العراق كانوا متعلّقين بإحدى اليدين في غصن ستموه، وهم الآن على عزم أن يتركوه قبل أن يُمسكوا غيره باليد الأخرى. فأوشكوا أن يفقدوا الديباجة الأنيقة التي كانت تُزين شعرَ العراقيين في العصر الماضي، يوم كانت مصر والشام تغبطانهم على صفاء تلك الديباجة، ونشأت فيهم ناشئة علقت بالسنتها لوثّة التجديد المصري الهجين، فكانت فيه مقلّدة لمقلّدين.

والمغرب من أدناه إلى أقصاه يراقبُ أهل اليقظة من أبنائه حركة الأدب في الشرق، ويشعرون ببعض ما تنطوي عليه من خير وشرّ، فيجدّون في انتقاء آثارها، متجنّبين ما تجنح إليه من نزعات الشرّ بقدر الإمكان.

حتى الحجاز، فقد أرسل بعضُ نفر من بنيه كلمة «الأدب الحجازي» تموج في جوّ الكعبة بين قعيقعان وأبي قُبيس، لكنهم أبعَدوا في اقتباس مدلولها، فلم يجدوه إلا في شارع واشنطن من مدينة نيويورك عند ميخائيل نعيمة وجماعة جبران خليل جبران!

أما اليمن فلم تصل إليه الموجةُ حتى الساعة...

لقد استيقظوا ووقفوا على مفترق الطرق حائرين. فمن الاقتصاد. في القوى المبعثرة، والأوقات الضائعة، والجهود المصروفة سدى. أن يتعاونوا جميعاً على تعيين الاتجاه الرشيد للأدب العربي في جميع بيئاته.

يريدون أن يكون لمصر أدبٌ مصري. وقيل أو سيقال في كل قطر عربيّ إن أهله في حاجة إلى أدبٍ وطني. كل هذا حسنٌ، بل واجب. لكنّ المسألة محتاجة إلى شيء من التفصيل.

أدبُ كل أمة مرآة صادقة لقومية تلك الأمة، وكلّما كانت القومية سائرة في الثور ومغمورة بأشعته؛ كانت مرآتها أجلى وأنصع، وكان انطباعُ قوى تلك القومية في صفحات أدبها أبيض وأصدق.

للأدب سياسة كما أن للقومية سياسة، وإن سياسة الأدب لعلّى جانب من الأهمية والخطر لا يقلُّ أبدًا عن أهمية السياسة القومية وخطرها. فإذا رأيتَ واحدًا من هؤلاء المنتسبين إلى الأدب يتخذ مثل هذه البحوث ملهًا، ولا يشعر بما يحفُّ سياسة الأدب من خطر، فلا تكتبه عندك في دفتر الأدباء؛ حتى يستيقظ من الشُّبات الذي غلب عليه، وحتى يزداد في الحياة القومية تجربة وبها اثتناسًا، فيستشعر قلبه ثقل المسؤولية وعواقبها.

إن مسؤولية الأمة في أدبها قد تكون في كثير من الظروف أعظم من مسئوليتها في سياستها العامة؛ لأن الظروف التي تكون الأمة فيها أكثر حرية في تكيف أدبها أوسع نطاقًا من الظروف التي تكون فيها صاحبة التصرف الحقيقي في اتجاهها السياسي، حتى لو كانت حاصلة على الاستقلال.

وفي التاريخ أمثلة كثيرة لأمم كانت مقيدة في اتجاهها السياسي، فكان لها من حرية التصرف في اتجاهها الأدبي ما ساعدها على تكوين قوميتها تكوينًا صحيحًا، وإعداد نفسها لإعلان الرُّشد السياسي في أول فرصة سانحة. وآخر هذه الأمثلة جهادُ الأمتين الألمانية والإيطالية في تكوين وحدتهما اللتين أدّت بهما إلى العظمة والسُّودد.

أقول. ولا نُكرانَ.: إن حَمَلَة الأقلام من أبناء هذه اللغة قد استيقظوا، وقد فزع كلُّ منهم إلى قلمه فاتخذ منه سلاحًا للجهاد. كلهم جنود، ولكن ليس لجهودهم قيادة تنظمها.

وتنظيم الجهود عملٌ آخر غير الجهاد؛ لأن الجهاد يتحوّل إلى فوضى وتقويضٍ لدعائم الأمن والحقّ إذا لم تكن على رأسه قيادة حكيمة ذات يدٍ من فولاذ، توجّه السلاح كلّهُ إلى جهة الخطر فتدفعه، وإلى معاقل العدوان فتدمرها.

هذا موطنٌ من مواطن الضعف فانتبه له. إن الأدب في الوطن العربي الأكبر ليس له اتجاهٌ معيّن؛ لأنه لا يتّصل بقيادة حكيمة تأخذ بيده إلى المطمح.

إن الزمن الذي نعيش فيه زمنٌ يعنى أهله بضم القوى بعضها إلى بعض، وفي اصطلاح عصرنا هذا إن الجماعات كلما كانت أعرق في الحضارة كانت أكثر طلبًا للعظمة والسؤدد من طريق الجمع بين القوى المتشاكلة، وكانت أكثر استثناسًا بتكوين الشركات الضخمة، والنقابات الواسعة النطاق، والجمعيات التي يحقق أهلها مجتمعين ما عجزوا عن تحقيقه مفترقين. ومن ثمّ يجب أن تقوم سياسة الأدب العربي على أساس التعاون بين الأقطار العربية كلها، وأن توجّه إلى العمل لزيادة الاتصال الفكري فيما بينها، وأن يكون لها مطمح عامّ تعمل جميعًا للوصول إليه.

والأدب العربيّ أمانة أدوار وأطوار مرت عليه في أحقابٍ لا يأتي عليها العدّ، وكانت هذه الأمانة في كثير من الظروف معرّضة للأخطار بين أيدي جهلنا في القرنين الماضيين، وتقاطع حكوماتنا في قرنين قبلهما، وعدوان المشرق والمغرب علينا قبل ذلك^(١). فتخطت هذه الأمانة كلّ ما اعترض سبيلها من أخطار، حتى وصلت إلينا نحن أبناء العصر الذي نسميه عصر اليقظة، وعصر التنظيم والشمير، وعصر توحيد القوى. فليرجع حملة الأقلام في مصر إلى ضمائرهم وليحاسبوا أنفسهم عما فعلوه حتى الآن في سبيل تنظيم رابطة الأدب العربي وتعيين سياسته المشتركة فيما بين الأقطار التي صارت إليها هذه الأمانة، لتوجيه قوّتها العظمى نحو المطمح المشترك.

في مصر دعاية إلى شيء يسمّونه أدبًا مصريًا، وتحت هذه الدعاية مقاومةٌ

(١) كارثة التار، والحروب الصليبية، وخروج المسلمين من أسبانيا.

لشيء يسمّونه أدباً عربياً. ونحن إذا تجاوزنا عن المآرب المستترة تحت الدعاية الظاهرة لا نكاد تصوّر تنافياً، بل ولا تعارضاً، بين أن يكون لمصر أدب مصري وبين أن يكون لمصر مع سائر العربية أدبٌ عربي.

الأدبُ مرآةٌ للبيئة التي ينشأ فيها، وعلى صفحاته تنعكس ألوان السماء التي ينمو تحتها، وبين سطوره يجب أن تتجلى آلامُ الأمة وآمالها، وبأقلام رجاله ينبغي أن تُحلل عناصرُ أمراض الأمة الاجتماعية والخلقية، ومن إيمانهم يُرجى أن يكون للأدب بلسم لكلومها ودواءٌ لأدوائها، فالأدب في وادي بَرَدَى وبين جبال الشام يجب أن يُسمّعنا خريرَ مياه العيون منحدرةً كالرحيق السُّلسل بين الصخور البلّورية.

وعلى ضفاف النيل وبين حقوله الزمردية يجب أن يُشعرنا بهيبة السكنية التي تحملها لججُ هذا النهر المبارك من المنطقة الاستوائية، حتى تنتهي بها الرحلة إلى شَعَب الدلتا الداخلة في غمار البحر الأبيض.

فإذا كان المراد من الأدب المصري أن تكون طبيعة وادي النيل متجلية بجلالها وجمالها على أقلام بنيه، وإذا كان المراد من الأدب المصري أن يكون مرآةً للبيئة المصرية تنعكس عليها حقائق الحياة في حواضر هذا الوادي وقراه؛ فأنا أقول بأن البلاد التي لا يقوم أدبها بهذه المهمة إنما هو أدبٌ مزوّر على وطنه وعلى زمنه معاً، ويجب على الأدب العربي في كل قطر من أقطاره أن يؤدي هذه المهمة ليكون للشعوب العربية من مجموعة ثروة أدبية واسعة، وليمكن أبناء هذا الأدب من أن يتعارفوا فيكون تعارفهم طريقاً إلى تألفهم، فيزدادوا اتصالاً في الحركة الفكرية، وتلك وسيلة إلى ازدياد اتصالهم في الأواصر القومية، فيكون أشدَّ تماسكاً بمطمحهم المشترك.

إذن؛ فالأدب المصري المحمود هو الذي تنطبع فيه ألوان الطبيعة في أرض مصر وسمائها ومائها، وهو الذي تنعكس على صفحاته أطوار الحياة المصرية بالأمها وآمالها. وكلما كان هذا وهذا طبيعيًا كان ذلك كمالًا في حلقات سلسلة الأدب العربي، بل كانت ألوان الأدب المتنوعة في الأقطار العربية بمثابة الطرق المتعددة التي تسهل الوصول إلى المطمح العام المشترك. بشرط أن تكون وجهتها هذا المطمح العام المشترك وقد يكون تعيين هذا المطمح والعمل له في الكتاب والصحيفة والمدرسة وعلى المنبر والمسرح أنجع في بلوغ مصر والأقطار العربية أمانيتها، وأقرب إلى ذلك سبيلًا من جميع السبل الأخرى التي حاولت شعوبنا سلوكها، حتى الآن أنا مؤمن بهذا إيمانًا صحيحًا، وحبذا لو كثر عدد المؤمنين به وطرقوا هذا الباب بالفعل، إذن لكان ذلك انتقالًا منهم بالوطن العربي الأكبر خطوة أخرى إلى الأمام، ولعلها أوسع الخطا... .

محبت الدين الخطيب



كما حنا.. كما حنين..

الدكتور كرنيليوس فنديك أمريكي كان مشهورًا في بيروت على الكلية الأمريكية وعمله على أنجاحها في عهدها الأول. وقد سأله بعض المعجبين به:

هل التبغ أقل ضررًا أم التباك؟

فأجابه باللهجة اللبنانية التي كان الدكتور فنديك ينطق بها:

كما حنا.. كما حنين.. لعنة الله على الاثنين!

إذا استشفيت لمن داء بداء فاقتل ما أعلك ما شفاكا

أبو محجن الثقفي (رضي الله عنه) (١)

رجل من فرسان المسلمين وكبارهم، أولع بالخمير في جاهليته حتى كان يقول:

إذا متُ فادفني إلى جنب كرمه ترؤي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفوني في الفلاة فإنني أخاف إذا ما متُ ألا أذوقها
وجاء الإسلام بتحريم أم الخبائث، فانصاع لأمره ونزل على حكمه، ولكن
عادة الشرب المتأصلة في نفسه أرغمته على أن يحتسي جرعة يرد بها ظمأته،
فجاء إلى أمير المؤمنين الفاروق مقرًا بجريته، فحده، وتكرر الأمر فنفاه إلى
القادسية، وسجنه أميرها سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه).

وفي يوم القتال سمع صليل السيوف وصهيل الجياد فهاجت نفسه إلى ميدان
الجهاد، هو الفارس لا يهدأ أو تقوم قيامة فيها الدماء على الدماء تصعب، فعاهد
زوجة الأمير إن أعطته فرسًا وعدة ليعودن إن سلم، وإن استشهد فهي الأمانة.
فأعطته ما طلب.

«كان جزائي أولاً تلك العقوبة الدنيوية، وهي شيء لا أهتم به، فلما أن
وكلت عقوبتي إلى الله فأننا أستحي أن أبارزه بالعصيان، ولا طاقة لي بغضبه
وعذابه».

ذلك الفارس المعلم هو سيدنا أبو محجن الثقفي (رضي الله عنه)، وحيا ذلك الإيمان
المكين، والدين المتين.

(١) من محاضرة للأستاذ حسن البنا في جمعية الشبان المسلمين.

الخمير

من أقوال (غلاستون) الماثورة عنه :

«المسكرات في أيامنا تفتك فتكًا ذريعًا تضاهيه ضربات التاريخ الثلاث
مجموعة، وهي الجوع والطاعون والحرب».



ربنا إياك ندعو! (نشيد جمعية الشبان المسلمين)

رَبَّنَا إِنَّاكَ نَدْعُو، رَبَّنَا	آتِنَا النصر الذي وَعَدْتَنَا
إِنَّا نبغي رضاكَ؛ إِنَّا	ما ارتَضَيْنَا غيرَ ما تَرْضَى لنا
أَنفُسًا طاهرةً طَهَرَ الحَرَمُ	مَلَأَ التاريخَ مجدًا وكرمَ
وَأَفْيَاتٍ بِالْعُهُودِ وَالذِّمَمِ	رَاقِبَاتٍ لِلْمَعَالِي وَالْهَمَمِ



الْعَمَلِ، إِنَّ الْعُلَا	وَأَجِبَاتِ الْمُسْلِمِ
خَيْرُ عَالَمٍ خَلَا	كَانَ فِينَا يَنْتَمِي



لِلْعَمَلِ، فَإِنَّا	أُمَّةُ التَّقْدُمِ
لِلْعَمَلِ، وَهِيَ أَنَا	بِحَيَاتِي وَدُمِي



يَا شَبَابَ الْعَالَمِ الْمُحَمَّدِيِّ	يَنْقُصُ الْكَوْنُ شَبَابَ مُهْتَدِي
--	--------------------------------------

فَأُزَوِّهِ دِينَكُمْ لِيَقْنَدِي دِينَ عَقْلٍ، وَضَمِيرٍ، وَبِدِ
 يَا شَبَابَ الْعَزَمَاتِ الْمَبْرَمَةِ عَرَفُوا الْكُونَ الْعُلَا وَالْمَكْرَمَةَ
 عَرَفُوا الْكُونَ الْهُدَى وَالْمَرْحَمَةَ عَرَفُوا الْكُونَ النُّفُوسَ الْمُسْلِمَةَ



الْعُلَا، إِنَّ الْعُلَا وَاجِبَاتُ الْمُسْلِمِ
 خَيْرُ عَالَمٍ خَلَا كَانَ فِينَا يَنْتَهِي



لِلْعُلَا، فَإِنَّا أُمَّةُ التَّقْدُمِ
 لِلْعُلَا، وَهَا أَنَا بِحَيَاتِي وَدَمِي



إِنَّا الظُّهْرُ الْأَمَاجِيدُ الْأَلَى نَزَلَتْ لَنَا السَّمَاءُ مُذْ أَنْزَلَا
 ذَلِكَ الْقُرْآنَ اخْلَاقًا عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ «مُحَمَّدٍ» الْعُلَا

لَيْسَ كَالْمُسْلِمِ فِي الْخُلُقِ أَحَدٌ

لَيْسَ خُلُقُ الْيَوْمِ بَلْ خُلُقُ الْأَبَدِ

إِنَّمَا الْإِسْلَامُ فِي الصَّخْرَا امْتَهَذَ

لِيَجِيءَ كُلُّ مُسْلِمٍ أَسَدٌ

الْعُلَا، إِنَّ الْعُلَا وَاجِبَاتُ الْمُسْلِمِ
 خَيْرُ عَالَمٍ خَلَا كَانَ فِينَا يَنْتَهِي



لِلْعُلَا، فَإِنَّا أُمَّةُ التَّقْدُمِ
 لِلْعُلَا، وَهَا أَنَا بِحَيَاتِي وَدَمِي



في ضميري دائماً صوت النبي آمراً: جاهد، وكابد، واتعب
صائحاً: غلب، وطالب، وأذاب صارخاً: كن أبداً حراً أبي
كن سواءً ما اختفى وما علن
كن قوياً بالضمير والبدن
كن عزيزاً بالعشير والوطن
كن عظيماً في الشعوب والزمن

الْعُلَا، إِنَّ الْعُلَا واجباتُ المسلم
خيرُ عالمٍ خلا كانَ فينا ينتمي



لِلْعُلَا، فإننا أمة التَّقْدُم
لِلْعُلَا، وما أنا بحياتي ودمي



رَبِّ بالإسلام قد هديتني رَبِّ مِنْ نوركَ قد آتيتني
فعليَّ العهد - ما أخيتني - أخرس الكنز الذي وهبتني
أو اموت دونه موت البطل

ثابتاً أحيا بقلبٍ من جبلٍ

نيراً أحيا بروحٍ من شعلٍ

جاهداً أحيا بجسمٍ من عملٍ



الْعُلَا؛ إِنَّ الْعُلَا واجباتُ المسلم
خيرُ عالمٍ خلا كانَ فينا ينتمي



لِلْمُلَا، فَإِنَّا أُمَّةَ التَّقْدُمِ
لِلْمُلَا، وَهِيَ أَنَا بِحَبَاتِي وَدَمِي

مصطفى صادق الرافعي



الإقدام والطموح...

إذا غامرت في شرفٍ مَرومٍ فلا تقنع بما تحت النجومِ
فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيمٍ
يرى الجبناء أن العجز عِتقٌ وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

أبو الطيب المتنبّي



يا شرق؟

يا شرق فانزع عنك ثوبَ البلى واستبدل المبهجَ بالموجعِ
فقد كفى أهليك ما نابهم حتى أضاعوا واضح المنيعِ
كان لهم ما كان من عزّةٍ أرفع من أوج السُّهى الأرفعِ
قد ملأ الكونَ شذا ذكرهم من موضعٍ يسري إلى موضعِ
فما ترى إلا قلوبًا له ترنو كآسراب القطا الشُّرعِ
قد رفرفت من حولها وُلّها رفرقة الطير على المشرّعِ



فيا بني الشرق وأهل الحجب حسبكم ما حلّ في الأربع
 هل فيكم من حازم أزوع جعبة عقل عالم المعى
 يكسر قيد الجهل عن عقلنا وينزع الرمح من الأضلع
 وليس بدعاً إن نكن نرتقي لمجدنا من هوة المصرع
 فالشمس بعد الكسف تبدو لنا وتنجلي في رائع المطلع
 والجدُّ يُدني شائعات المنى والبأس يُقصي داني المنجع

مصطفى الغلاييني



اعترافات جاسوس

ندبت الحكومة الفرنسية في القرن الماضي المسيو ليون روتر ليكون جاسوساً على الأمير عبد القادر الجزائري، وأوعزت إليه أن يتظاهر عنده بالإسلام، وأن يتوصل إلى أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته. ففعل ذلك ونجح، وأقام في ديار المسلمين ثلاثين عاماً، تعلم في أثناءها اللغة العربية وفنونها والإسلام وعلومه، واختبر الأوطان الإسلامية المهمة: الجزائر، وتونس، ومصر، والحجاز، والقسطنطينية. ثم ألف كتاباً اسمه (ثلاثون عاماً في الإسلام) قال فيه:

اعتنقت دين الإسلام زمناً طويلاً لأدخُل عند الأمير عبد القادر دسيّة من قبل فرنسا، وقد نجحت في الحيلة، فوثق بي الأمير وثوقاً تاماً، واتخذني سكرتيراً له. فوجدت هذا الدين - الذي يعيبه الكثيرون منا - أفضل دين عرفته، فهو دين إنساني طبيعي اقتصادي أدبي. ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعاً فيه. بل إنني عدتُ إلى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية، فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الإسلامية أخذاً. ثم بحثت عن

تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً وكرماً. بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف، في عالم لا يعرف الشرّ واللغو والكذب. فالمسلم بسيط لا يظنُّ بأحد سوءاً، ثم هو لا يستحلُّ محرماً في طلب الرزق، ولذلك كان أقلَّ مآلاً من الإسرائيليين ومن بعض المسيحيين.

ولقد وجدت في الإسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طراً: الأولى: في قول القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية، والثانية: في فرض الزكاة على كل ذي مال، وتخويل الفقراء^(١) حق أخذها غصباً إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعاً. وهذا دواء الفوضوية.

إن الإسلام دين المحامد والفضائل. ولو أنه وجد رجالاً يعلمونه الناس حق التعليم، ويفسرونه تمام التفسير، لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين، وأسبقهم في كل الميادين. ولكن وُجد بينهم شيوخ يُحرّفون كلمه، ويمسخون جماله، ويدخلون عليه ما ليس منه. وإني تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والإسكندرية ومكة، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين، وبأن لا ينزعوا إلى الثورة، وبأن فرنسا خير دولة أُخرجت للناس^(٢). وكل ذلك لم يكلفني غير بعض الآنية الذهبية!^(٣)

(١) بواسطة ولي الأمر المسلم.

(٢) أمثال هؤلاء المشايخ كثيرون في كل الدنيا، ومنهم من يقع نظره على هذا المقال ولا يشعر بشيء من الحياء في نفسه، مع أن هذه الكلمات الخارجة من فم جاسوس فرنساوي في وصف المشايخ الخونة، أهون منها البصقة ييصقها في وجوههم. وهؤلاء غير محسوبين على الإسلام؛ لأن دينهم ومعبودهم تلك المنفعة الخسيسة التي يضحك بها عليهم عدو أمتهم وبلادهم. ومن أقوال نامق كمال بك الشاعر التركي الشهير: الكلب هو الذي يتلذذ بخدمة الصياد الجائر.

(٣) الشيوخ الذين يتحدث عنهم هذا الجاسوس هم شيوخ التصوف المبتدع. انظر للتوسع عن =

حنين

يا أيُّها الصَّدَّاحُ ما هَذَا الشُّرُوعُ إِلَى الْغُصُونِ
 حَتَامُ تُنَمِّعِنِ فِي النَحْبِ بِ وَتَذْرِفُ الدَّمْعَ الْهَتُونِ
 تَبْكِي بُكَاءَ أَخِي الْهُمُو م وَقَدْ تَوَرَّدَتِ الْمُبُونِ
 رِفْقًا بِدُمْعِكَ وَادْخِرْ هُ لِدهْرِكَ الْعَاتِي الْخَوُونِ
 نَضَبُ الْمَعِينِ مِنَ الْبُكَاءِ ءِ وَغَارَ سَلْسَالُ الشُّوُونِ
 وَالْذَّمْعُ لَا يَشْفِي الْفُؤَا دَ وَإِنْ تَقَرَّرَحَتِ الْجُفُونِ



أَجْهَذَتْ نَفْسَكَ بِالنُّوَا حِ وَرُحْتَ تُغْرِقُ فِي الْأَنِينِ
 مَا فِي بُكَائِكَ رَاحَةً فَدَعَ التَّوَجُّعَ وَالرَّئِبِينَ
 كَفَّفَ دُمُوعَكَ وَاتَّيَدَ «فَالنَّفْسُ يَقْتُلُهَا الْحَنِينُ»^(١)
 يَا شِفْرَ مَنْ لِي بِالْمُعِيبِ نِ إِذَا تَضَافَرَتِ الشُّجُونِ
 الدَّهْرُ أَخْلَقَ مُهْجَنِي وَخُطُوبُهُ لَيْسَتْ تَهُونُ^(٢)
 قَرَعُ النَّوَائِبِ مَضَّهَا فَمَتَى تَفِيءُ إِلَى الشُّكُونِ

= خياناتهم للأمة، وتعاونهم مع المستعمر الكافر: رسالة «الانحرافات العلمية والعقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين». (س).

(١) شطر البيت للشاعر: شفيق بك جبري.

(٢) هذا من سب الدهر، وقد قال ﷺ: «لانسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦).

قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله ﷻ؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

يا شِغْرَ هَلْ بَعْدَ الشَّقَا ءِ يَطِيبُ لِي كَاسُ الْمُنُونِ
فَأَنَامَ كَالْأَمَلَاكِ مُنْ تَبَطَّأَ مَعَ الرُّوحِ الْأَمِينِ؟

أنور العطار



الرجولة في نظر المتنبّي

وما العشقُ إلا غِرَّةٌ وطماعةٌ يُعرّض قلبَ نفسه فيُصابُ
وللخُودِ مِنِّي ساعةٌ ثم بيننا فلاةٌ إلى غير اللقاء تُجَابُ
وللسّرّ مِنِّي موضعٌ لا يناله صديقٌ ولا يُفضي إليه شرابُ
وغيرُ فؤادي للغواني رَمِيَّةٌ وغيرَ بَناني للرخاخ ركابُ
أعزُّ مكانٍ في الدُّنَى سرُجٌ سابح وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ



مظالم محكمة التفتيش عند خروج المسلمين من الأندلس

أنشئت هذه المحكمة بطلب الراهب تور كماندا، وقامت بأعمالها بجد ونشاط. ففي مدة ثمانية عشر سنة. من سنة ١٤٨١ إلى سنة ١٤٩٩. حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصاً بأن يُحرقوا وهم أحياء، فأُحرقوا. وعلى ستة آلاف وثمانية وستين بالشنق بعد التشهير، فشهروا وشُنقوا. وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة، فنُفذت.



نصف قرن على الإسلام في إنكلترا أقدم مسلم إنكليزي يتكلم

محاضرة الشيخ عبد الله كوليام

في نادي جمعية الشبان المسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أيها الإخوان، إنني أسف لأنني لا أحسن الخطابة بالعربية، فيكون كلامي معكم الليلة بها. وهذا الموقف يذكرني بخطبة ألقيتها في بلدة ليغوس legos، وكان قد ندبني جلالة السلطان عبد الحميد لإهداء وسام منه إلى محمد بك شيتي، مكافأة على إنشائه مسجدًا هناك كلفه خمسة آلاف جنيه، فكان الحاضرون من ستة أجناس مختلفة، فاحتجنا إلى ستة مترجمين ليترجموا تلك الخطبة للحاضرين. وكان بينهم ستة عشر مسيحيًا هداهم الله إلى الإسلام عقب تلك الخطبة. وبالطبع لا يوجد الآن بيننا مسيحيون، وكنت أتمنى لو كانوا موجودين؛ ليسمعوا محامد الإسلام ويعرفوا حقيقته فيكونوا أصدقاء له.

أنا مبتهج أيها الإخوان بوقوفي الليلة بينكم لأحدثكم، وقد اخترت أن أتحدث إليكم عن نفسي وعن الدور الذي كان من نصيبي أن أمثله بعد دخولي في الإسلام، وأعتذر إليكم إذا كان في اختياري الكلام عن نفسي شيء من الأنانية وحب الذات.

منذ ستين عامًا أشار عليّ الأطباء براحة أمضيها في جبل طارق. فلما صرت إلى هناك ركبت سفينة إلى طنجة لمشاهدة بعض البلاد المغربية. واتفق أنني لما صعدت السفينة. رأيت فيها بعض الحجاج من أهل المغرب يغتفون الماء بالدلو

من البحر ويتطهرون مبالغين في النظافة. ثم أقلت السفينة، وما كادت تغادر الميناء حتى رأيت هؤلاء الجماعة قد اصطفوا للصلاة صفوفًا جميلة، وجعلوا يصلون معًا بخشوع وطمأنينة غير مكترئين بتمايل السفينة واضطراب الريح. ولقد أثر في نفسي ما قرأته على وجههم من صدق الإيمان، فأثارت حالتهم هذه الاهتمام الزائد عندي في أن أستزيد من المعلومات عن الدين الذي يدينون به. وما عمت أن تعرفت بمسلم يتكلم الإنكليزية، فكان يلزمني دائمًا مدة إقامتي في طنجة، لا سيما بعد ما شعر مني بالرغبة في معرفة المبادئ التي يدعو الإسلام إليها، والروابط التي تربط المسلمين بعضهم ببعض.

وفي ذات مساء جلست معه في مقهى من مقاهي طنجة، وكان ثمة رجل إسرائيلي اسمه موسى يعرفه صاحبي المسلم. فقال لي صاحبي: أريد أن أضرب لك مثلًا يوضح حقيقة الديانات الثلاث السماوية السائدة في الأرض، وهي الديانات التي تمثلها أنا وأنت وهذا الإسرائيلي.

إن الأنبياء سفراء الله إلى الناس، يحملون إليهم قواعد الإصلاح ويدلونهم على طريق السعادة. لهذا جاء آدم ونوح وإبراهيم وكل الأنبياء بعد إبراهيم. وقبل أن يفترق الناس إلى يهود ونصارى ومسلمين كانوا جميعًا على واحدة، فجاء المسيح ﷺ بهداية جديدة أدرك صدقها ونفعها الذين اتبعوا المسيح، فانفصلوا عن اليهود، وكانوا على حق في انفصالهم هذا؛ لأن المسيحية جاءت مصدقة لما تقدمها ومرشدة إلى الطريق الأقوم. ثم جاء محمد ﷺ مصدقًا لجميع الأنبياء قبله، ومرشدًا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم بالهداية والإرشاد. فانفصل المسلمون أيضًا، وكانوا على حق في انفصالهم هذا كما كان المسيحيون على حق يوم انفصلوا عن اليهود. فكما أن المسيحية أفضل من اليهودية لأنها وحي أقرب عهدًا من الوحي الأول، كذلك الإسلام أفضل من

المسيحية واليهودية معاً لأنه أحدثُ الوحي وآخر الديانات وأبقاها.

كنت أسمع حديث صديقي وأطيل التفكير فيه، ولا أشعر في نفسي بمعارضة له؛ لأنه كان معقولاً ومنطقياً. فعوّلت من ذلك الحين على أن أقرأ الإسلام في كتبه، وأن أقرأ ما كتبه عنه العلماء المنصفون. فقرأت ترجمة سل للقرآن الشريف، وقرأت كتاب الأبطال لكارليل، وقرأت غيرهما، وما خرجت من طنجة إلا وأنا مستسلم للإسلام، مدعن لقوته، مقرّ بأنه حق وأنه خير الأديان.

ولما رجعت إلى إنكلترا كان شغلي الشاغل التفكير في الأسلوب الذي يجب أن أتبعه لأدعو الناس إلى الإسلام وأقنعهم به، وأحملهم على الإيمان به. وكنت أعلم أن ما شحنه أعداء هذه الهداية في رؤوس الأوربيين عن الإسلام سيحول بيني وبين التفاهم مع الجمهور بطريق المحاضرات أو النشر؛ لأن جمهور الإنكليز إذا حدثهم عن الإسلام يظنون أنك تحدثهم عن دين وثني، والنشر نفسه تحول بيننا وبينه عقبات؛ لأن الصحف لا تفتح صدرها لمثل هذه الدعوة، والناس هناك بالإجمال غير مستعدين للإصغاء إلى هذه الدعوة. ثم بدا لي أن أطرق باباً غير مباشر، وهو أن التحق بجمعية النهي عن المسكرات التي كانت تلقي محاضرات دورية. وبالفعل أُلقيت في هذه الجمعية محاضرة موضوعها «المتعصبون والتعصب»، استهللتها بذكر بعض الشخصيات البارزة في عالم الاختراع والإصلاح الاجتماعي، مثل ستيفنسون Stevenson مكتشف القوة البخارية، وويلبر فورس Wilberforce المجاهد في سبيل تحرير الرقيق، وأتيت على مجمل ما لاقاه كل من هؤلاء من المقاومة والاضطهاد والسخرية بما صرفوا مواهبهم، قلتُ: وبالرغم من ذلك نرى آثار هؤلاء العظماء وإصلاحاتهم في انتشار ونماء، وقد استفادت منها الإنسانية فوائد عظيمة، فاعترفت لهم الأمم كلها بالفضل والعظمة. ثم أردفتُ بذكر سيدنا محمد ﷺ فقلت: إن هذا المصلح

الكبير جاء البشر بالرسالة ودعا الناس إلى الخير، ومع ذلك فقد ناله من الأذى والاضطهاد ما يجده كل مصلح عظيم يعمل على خير الإنسانية.

فلما تبين البشر فضله بعد قليل دخلوا في دينه أفواجًا، وما زالوا كذلك حتى بلغوا الآن مئات الملايين في جميع أطراف المعمور، ثم ذكرت شيئًا من آداب الإسلام والمبادئ والتعاليم التي دعا إليها النبي ﷺ. فكان هذا الموضوع طريقًا جدًّا في نظر الصحفيين الذين كانوا موجودين يسمعون هذه المحاضرة، واستأذنونني في أن يأخذوا خلاصتها في صحفهم فقلت: لا، بل أشرت أن تؤخذ كاملة، فإن لم تنشر كاملة فلا آذن بأخذ شيء منها. فوافقوا وأخذوا نصها، لكن القس لما علموا بالأمر أسرعوا إلى مديري الصحف وقالوا لهم: إن المحاضرة فيها دسائس، وإنها تتضمن الدعوة إلى دين وثني وفيها تحريض للمسيحيين على أن يصبأوا عن دينهم. فوافق مديرو الصحف على حذف ما في المحاضرة خاصًا بمحمد ﷺ ونشروا الباقي! أما أنا فاعتمادًا على ما اتفقت عليه مع مندوبي الصحف أذرت القوم بأني سأحاكمهم أمام القضاء على تشويه محاضرتي، وطالبتهم بأن يعملوا بما كان الاتفاق عليه فينشروا المحاضرة كاملة وإلا فالقضاء بيني وبينهم. فأذعنوا لما طلبته بعد أن أعادوا النظر في المحاضرة، ورأوا أن ما قاله القس مبالغ فيه، فنشروها كاملة، وكان لذلك تأثير عظيم لكثرة الأيدي التي تناولت تلك الصحف.

ولما بلغت هذا النجاح، فكرت في أن يكون لنا في بلدي ليفربول مكان نقيم فيه الشعائر الإسلامية، ونلقي فيه المحاضرات.

وبالفعل اخترنا مكانًا جعلنا نصفه للعبادة ونصفه للدرس والوعظ وإلقاء الخطب. وما كدنا نفتح أبواب هذا البيت الإسلامي، حتى صار القس يدسون لنا الأشرار والمتحمسين من صغار العقول، وأفادنا هؤلاء القس بما كانوا

يكذبون علينا ويَصِمُونَا به من الأمور الباطلة، فإذا جاء المخدوعون بأكاذيبهم ولم يجدوا شيئًا مما حُشيت به رؤوسهم، يكون لذلك رد فعل حسن جدًا.

ومما أودينا به أن أولئك الأشرار كانوا يلقون الأقدار على المصلين أثناء الصلاة أو وقت خروجهم من بيت الله، وكانوا يرمون المؤذن بالحجارة، ويثرون الزجاج المكسور على سجادات الصلاة ليجرحوا جباهنا وأيدينا وأرجلنا. وفي ذات مساء انتهزوا فرصة وجودنا في مسجدنا، فجاءوا إلى درجات السلم ووضعوا أمامها أسلاكًا لنعثر بها عند خروجنا في الليل. ومن محاسن الصدف أن أحد الإخوان أهدى إليَّ يومئذ عصا، وإن لم يكن من عادتي أن أحمل العصا، فحملتها، وبينما أنا خارج من مسجدنا أمام إخواني أحرك العصا بيدي صدمت عصاي السلك، فانتبهتُ له وللأسلاك الأخرى، ووقانا الله شرَّها وشر أصحابها.

ودخلت المسجد مرة أنا وإخواني لألقي عليهم محاضرة في تفسير آية من القرآن الشريف، فرأيت قد سبقنا إلى المسجد جماعة قرأت في وجوههم أنها وجوه غريبة مريبة، فلم أبال بهم وتلوت آية القرآن الشريف، وشرعت أفسرها، واستنتج منها العظات والعبر. فلما انتهيت من المحاضرة قام أحد أولئك المربين وأخرج من جيبه حجارة وألقاها في الأرض ثم توجه إلى أصحابه وقال لهم: من كان منكم يريد أن يرمم المسلمين بالحجارة التي معه فأنا صرت الآن مسلمًا فارجموني بها. فألقيوها هم أيضًا في الأرض وأعلنوا إسلامهم. وهذا الرجل الذي كان رئيسًا لهم ما لبث أن أصبح عضدي الأيمن، وقد اختار لنفسه اسم جمال الدين عليّ، ولازماني في كل رحلاتي التي قمت بها للدعوة إلى الإسلام. حتى أننا ذهبنا مرة إلى بلدة (بير كنهيد Birkenhaed)، وكان مقرًا أن ألقى في جمعية منع المسكرات محاضرة، فأتيت في هذه المحاضرة بشيء

عن الإسلام والنبي ﷺ. فاهتمت سكرتيرة الجمعية بمحاضرتي، وطلبت مني أن أشفي غليلها بإعطائها معلومات أخرى عن الإسلام. ثم قالت: ولكن أليس نبي المسلمين هو القائل: إن النساء ليست لهن أرواح فلا يدخلن الجنة. فأخبرتها بأن هذا من اختلاقات أعداء الإسلام؛ وأعطيتها المعلومات الصحيحة عن الدين الإسلامي ومبادئه وقواعده. فأسلمت هذه السيدة وسُميت فاطمة، وأسلم على يدها شقيقتها وزوجها.

وفي إحدى المرات كنت ألقى محاضرة في (ليفربول)، وعند الانتهاء تقدّم إليّ رجل وطلب أن يرافقني في طريقي إلى البيت ليحدثني أثناء الطريق. وسرنا نتحدث عن الإسلام، وكانت أسئلته لي وأجوبتي عليها داعية لسرورنا، فلما بلغت باب المنزل دعوته لشرب الشاي عندي، وبقينا إلى نصف الليل في حديث الإسلام وشرف منزلته ومبادئه العملية الصالحة لكل زمان ومكان، وأخيراً قال لي:

وإذا كان ما تقوله عن الإسلام حقاً فماذا يمنعك من أن تكون مسلماً؟
فأجبت: إني افتخر بأنني مسلم!.

فأسلم هو أيضاً وتسمى جمال الدين بخاري.

والآن فإن البعض يعتقدون بأن اللورد هدلي هو أول لورد إنكليزي دخل في الإسلام. وليس هذا صحيحاً فقد دخل في الإسلام قبله اللورد (ستنلي أولدرلي Stanley Alderly) الذي كان يحب أن يدعى بين إخوانه المسلمين باسم عبد الرحمن أفندي، وكان يأتي مسجدنا فيصلي مع إخواننا، رغم ما بينهم وبينه من التفاوت العظيم في المنزلة الاجتماعية. وبلغ عدد الذين أسلموا من الإنكليز بضع مئات.

وعلى ذكر المسجد والمصلين أقول: إننا كنا متبعين السنة الإسلامية في أن يصلي النساء صفًا وراء الرجال، أما مسجد وكنج فترتيبهم في الصلاة أن يصلي الرجل بين المرأتين والمرأة بين الرجلين؛ لأن أعداء الإسلام يضعون في إذن المرأة أن الإسلام يريد إهانتها بجعلها تتخلف في الصلاة وراء الرجال^(١). والحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن السنة الإسلامية في الترتيب هي التي تضمن خلو بال المصلين، وأنا لا ريب عندي قط في هذه الحقيقة. والإسلام يحترم المرأة ويكرمها ويحفظ لها الحقوق المعقولة، وفيما عدا ذلك فكل ما جاء فيه خاصًا بها فمعقول وطبيعي؛ لأنه من مقتضيات الفروق الطبيعية بين الجنسين.

ثم أعلن الشيخ عبد الله كوليام استيائه من ذبوع المسكرات في البلاد الإسلامية، وانتشار الإعلانات عنها في المحطات والشوارع الكبرى وفي كل مكان. ونصح الشبان المسلمين في أن يقاوموا هذا الشر وينهوا عنه ويعملوا على إزالته، وأن يتمسك المسلم بكل ما جاء في دينه غير مكترث بما يقوله أعداء هذه الهداية.



الحرية الدينية في تاريخ أوروبا

قال الأستاذ محمد عبده:

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في مصادرة الذين يخالفون العقيدة الكاثوليكية: «لا يجوز أن يترك لأولاد الجاحدين سوى الحياة، وترك الحياة لهم من وإحسان».

(١) لا يجوز تحريف أحكام الدين لأجل إرضاء الكفار. (س).

فلم يقصر الجزاء على الجاحدين ولكن عدّاه إلى أولادهم!
وعدّ ترك الحياة لأولادهم يتمتعون بها ضرباً من الإحسان عليهم؛ لأنهم لا
حق لهم في أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم!



□ داؤنا ودواؤنا

نصيحة الشرق الأوسط الإسلامي إلى الشرق الأدنى الإسلامي

أقامت الجالية الهندية في القاهرة حفلة تكريم للعالم الفاضل (مولوي ظفر
علي خان) صاحب جريدة زمندار الهندية (ليلة الأربعاء ٢٢ صفر ١٣٤٧) في
فندق (ناسيونال)، فألقى حضرته هذا الخطاب النفيس:

سادتي، إخواني:

إن في البلاد الهندية الآن سبعين مليوناً من المسلمين يدينون بدين سيدنا
محمد ﷺ، ولا يوجد أمة في العالم تجمع هذا العدد من المسلمين. وقد رسخت
في قلوب مسلمي الهند محبة جميع إخوانهم المسلمين الذين تربطهم بهم كلمة
التوحيد التي هي الصلة الخالدة بين المسلمين وإن بعدت الديار وشط المزار.

وللغة الهندية نجم في ألفاظها خمسين في المائة من اللغة العربية، وإن كان
نحوها وصرفها من الوثنية القديمة.

وكانما قبسَ الهنود من قديم الزمن حلاوة لغة القرآن ليجمّلوا بها منطقهم
ولتستقيم بها ألسنتهم، لغة ذلك الكتاب المجيد والقانون السماوي الذي لا
يتبدل ولا يتغير، وإن تغيرت جميع القوانين والشرائع الوضعية.

وقد يجفُّ النيل يومًا من الأيام، ولكن القرآن العظيم باقٍ لأنه كلام الله، وما كان من الله فلا يتغير.

وستمحق أوروبا المتعصبة لا أوروبا العالمة من الوجود بآلاتها الجهنمية ولا يبقى لها أثر، ولكن القرآن باقٍ إلى قيام الساعة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. تلك هي العقيدة التي ركزت في قلوبنا ورسخت في نفوسنا نحن معاشر الهنود، ولن تتزعزع أبدًا مهما حلت الكوارث والنكبات بالمسلمين وبالبلاد الإسلامية.

واليوم إذا كان أبناء جلدتي وأهل بلادي قد أكرموني فهم من أرضي وأنا من أرضيهم. ولكن المصريين الكرماء الذين كرموني اليوم، وأظهروا لي العطف والمحبة، إنما عبروا بهذا عن الرابطة الإسلامية، وهي آية من آيات دين محمد ﷺ في ربط قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم.

وإني لأضرع إلى الحق جلت قدرته أن يوفقنا جميعًا للعمل على إعادة مجدنا الإسلامي السابق، وأن يُخرجنا من محتنتنا الحاضرة مرفوعي الرؤوس ببركة رجوعنا إلى أحكام ديننا وسنة نبينا الكريم.

سادتي:

لقد محيَتْ من الوجود حكومات إسلامية كثيرة: في الأندلس، وفي بغداد، وغيرها. وكانت فتنة التار أكبر ضربة أصابت الإسلام، ولكن الإسلام أصيب في عصرنا هذا بضربة أشد من كل ما سبق، ومصيبة أعم وأفدح.

أتعرفون ما هي؟ إنها مصيبة التقليد الأعمى للإفرنج، والتبرج الممقوت... إننا لا نخاف البوارج، ولا نخشى الغواصات، ولا نأبه للمحلقات، ولا تروعننا المدافع، ولا ترهبنا القوة مهما عظمت.

ولكن أخوف ما نخافه على الإسلام هو طوفان المدنية غير الصالحة، المدنية الزائفة التي يبثونها بين الأمم الشرقية وينفثونها في روع الشباب الشرقيين بمؤلفات يكتبونها ومدارس ينشئونها وجمعيات يوجدونها. وفوق ذلك بجيوش النساء الساقطات التي تغزو الشرقيين بخداعها وفسادها، ناهيك بما وراء ذلك من مخدرات ومسكرات.

لقد كنا معاشر المسلمين مصاييح العالم وأئمتهم: نُقلدنا الشعوب، وتستهدي بهدينا. أما الآن وا أسفاه، فقد أصبحنا إذا أرسل إلينا الغاصبون فضلاتهم ملفوفة ومكتوبًا عليها أنها «فضلات غربية» قبلناها بأبصار عمي وقلوب مطموسة، ونسينا ماضيها وأخلاقنا وشريعتنا السمحة واتبعنا الهوى.

إننا الآن لم نعد مسلمين إلا بحدودنا الجغرافية، وألفاظ تلوكها ألسنتنا، أما بأعمالنا فلا!.

لقد أخذ الغربيون كل ما في ديننا من الفضائل والشمائل العالية، ولو لم يكن الإسلام لما كانت لهم مدنية اليوم. وها نحن أولاء نترك مدنيتهم الصالحة وعلومهم النافعة ونقتبس الرذائل والمفاسد مما يضعف قوتنا ويذهب ببقية أخلاقنا وآدابنا.

إن القرآن لا يزال بيننا بجوهره ولفظه كما أنزله الله، وهناك ألوف يعونه في صدورهم، ولكنهم وا أسفاه لا يعملون به...

سادتي:

إننا لا نقول ما يقوله البلاشفة أو الدهريون والملاحدة في حق العلماء، ولكننا نحب أن يكون علماؤنا عاملين بهداية هذا الدين حتى يستحقوا أن يُلقبوا بحق ورثة النبيين.

إن الأزهر الشريف قوة هائلة وورد مشروع للإسلام، فينبغي أن يقوم المسلمون بإصلاحه ليمشي مع العصر، وليغترف المسلمون من موارده الدينية والاجتماعية الصافية؛ لأن مثلنا الآن - وهو قائم بيننا على حالته الحاضرة - ينطبق عليه قول القائل:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول
يجب على المسلم المصري الذي يفتخر بأبي الهول والأهرام أن يفتخر قبل ذلك بدينه وإسلامه، وأن تجري من بين شفثيه كلمة إيمانه: «لا إله إلا الله محمد، رسول الله».

إني أوجه القول إلى الشباب الشرقيين من مصريين وغيرهم بأنهم رجال المستقبل الذي نجاهد له الآن، وإنهم سيجملون على عاتقهم أثقاله، إننا نحن الشيوخ ضيوف الأرض الراحلون، أما أنتم فالوارثون لها بعدنا.

إذن؛ فأعدّوا أنفسكم للقيام بأعباء الواجب حتى يكون قلب كل واحد منكم قلعة وحصناً يدفع به عن دينه ووطنه، فما ولدتكم لتجلسوا في البارات ومحالّ اللهو، وأن يكون همّ الواحد منكم الزينة والتطرية وشرب الخمر والانهماك في اللذات المضنية التي يتلقاها من طوفان الغرب المنهمر بمفاسده وجحوده وانحطاطه وضعفه.

كونوا جند الله، واجعلوا لباسكم التقوى والتوحيد، وأدوا حقوق الله عليكم: وإن التوحيد قوة في القلب لا يغلبها الشيطان.

لا يعجبكم المسرفون في مالهم، الذين يبذرون نعمة الله في الملذات؛ فسيعاقبهم الله عليها؛ لأنهم أهانوها ولم ينفقوها في وجوها المشروعة.

أيها الإخوان:

إن التاريخ شاهدٌ عدلٌ بيننا وبين منكري نعمة الإسلام، فيوم اتبع المسلمون أحكام دينهم في عهد النبي ﷺ. وهم نفر قليل مستضعفون في الأرض. ارتفعوا إلى سماء المجد والغلبة، وفازوا بالنصر تلو النصر؛ لأن أخلاصهم كان صحيحًا، وإيمانهم كان صادقًا، وصاحب هذين لن يغلب وإن كان أعزل من القوة المادية.

كان المسلم قويَّ القلب يوم اتصل قلبه بالله، فأصبح مرهوب الجانب له عزة من عزة إيمانه وثقته بالله. أما الآن فإننا موحدون بالستتنا، أما قلوبنا فمعابد للأصنام نخافها ونخشها ولا نخاف الله، ومن هنا كان استعبادنا وذلتنا.

أيها السادة:

إن القرآن موجود، ولكنه للتلاوة بالأصوات الجميلة في مصر، وبالكتابة والنقش المذهَّب في القسطنطينية. أما العمل به فلا وجود له!

إننا نريد العزة للإسلام والمسلمين، ولا تتأتى هذه العزة إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة. ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾. والله يؤيدكم بنصر من عنده.

والسلام عليكم ورحمة الله.



الرحمة في قلب سيد الخلق

انتقل سيد الخلق محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، فكان إذا وقع نظره على الفلاح وهو يبرد في خدمة الزرع والنخيل شتاء، أو يعرق في طلب رزقه صيفًا، يشعر في قلبه برحمة لا يفهم معناها كثيرون من هؤلاء المتشدقين باسم

الإنسانية. وقد أتى في يوم من الأيام بتمر بعل وبتمر سقي، فجعل يأكل من البعل، فقالوا له:

- يا رسول الله، إن هذا أصفى وأطيب.

فأجابهم: «إنه لم تجع فيه كبد، ولم يغر فيه جسد»^(١).



نشيد آخر لجمعية الشبان المسلمين

للشيخ محمد عبد المطلب من أساتذة دار العلوم

داعٍ من العليا دعا	يدعو بنيتها مُسِمِّعا
يدعو الشباب الأزوعا	يدعو شباب المسلمين
داعٍ أهاب من العلا	غيران يهتف مُغولا
ذكر الزمان الأولا	فبكاء بالدمع الهتون
صوت من المجد التليد	عالٍ يدوي في الوجود
أين القساورة الأسود	هان الحمى وخلا العرين
أين المعازل والثغور	والجيش في لجب يسير
أين الأئمة والصدور	بل أين نور العالمين
لبيك داعية الفخار	لبيك من نشء صفار
إن الزمان بنا استدار	لنعيد مجد الأولين
لبيك داعي مجدهم	يدعو الوفاء بعدهم

(١) أخرجه يحيى بن آدم في «الخراج» (٣٨٦).

أشبالهم من بعدهم
 عهد كتبناه على
 عهد الكرام وإن خلا
 عهد الأمين وربّه
 جند الإله وحزبه
 فهو الصراط المستقيم
 والمجد والخلق العظيم
 وهو الهدى للمهتدي
 وهو الردى للمفتدي
 وصفوه جهلاً بالجمود
 فهو القديم هو الجديد
 الكون في عمرانه
 والملك في سلطانه
 فالمجد سر سنائه
 والعدل أصل بنائه
 مدنية الدنيا له
 ما إن رأينا مثله
 لم لا تسود بلاده
 وطريفه وتلاده
 حاشى تلين قناته
 أنجاده وحُماته
 لسنا بني خير الأمم
 للمجد خير الوارثين
 صحف القلوب مسجلا
 لا يستباح ولا يهون
 عهد النبي وصحبه
 حزب الإله المفلحون
 الدين والذكر الحكيم
 والحق والنور المبين
 وهو الجدى للمجتدي
 بالحق يردي الملحدين
 ولكم نعاء على الجذود
 هو عصمة المستعصمين
 من نوره وبيانه
 من حكمه الحق المثين
 والعلم لمع ضيائه
 فسل الممالك والقرون
 معنى عرفنا نبيله
 في الأرض من شرع ودين
 وعلى العقول عماده
 وحى من الروح الأمين
 هوّنّا ونحن كماته
 مما يهين وما يشين
 وشبيبة الدين القيم

إن لم نؤيِّده ولم نهض به في الناهضين
 حتى نراه بمنزل فخم الجلال مؤثِّل
 فوق السماك الأعزل في العز منقطع القرين
 فإلى العلا في نصره هَيَّا ورفعته قدره
 إن العلا من أجره ولنعم أجر العاملين



نفس المسلم أمير المؤمنين المعتصم، والهاشمية أسيرة الروم

إنما الإسلام في الصحرا امتهد لبجيء كل مسلم اسد

الرافعي

اجتمعت على الإسلام في النصف الأول من عصره الثالث قوتان رهيبتان:
 المجوسية مجسّمة في كراديس المحمّرة، أتباع بابك الخرمي الذي قتل من
 المسلمين والمسلمات في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً
 وخمسائة إنسان، والنصرانية متّكئة على جيوش تيوفلس بن ميخائيل ملك
 القسطنطينية والأنضول، الذي رَصَدَ لحرب المسلمين مائة ألف جندي أو
 يزيدون.

ولما ضيقت الجيوش الإسلامية الخناق على بابك لعنه الله، وقامت بحركات
 عسكرية في الشرق بين أذربيجان وأران لم يسبق لها نظير في تاريخ الحروب،
 كانت الرسائل دائرة حينئذ بين عدوي الإسلام تيوفلس عميد النصرانية وبابك
 نصير المجوسية، فبادر تيوفلس إلى حرب المسلمين في الشمال ليخفف الضغط

عن بابك الخرمي في الشرق. فبينما الفيالق المحمدية تخوض الموتَ خوضًا بين أذربيجان وأرمينية للبطش بزعم المجوسية، كان تيوفلس عظيم النصرانية يغدر بالبلاد الإسلامية التي على حدود الأنضول - مثل ملاطية وزبطرة وغيرهما. فيسبي المسلمات ويسمل عيونَ الشيوخ المسلمين ويقطع أطفالهم وآذانهم، متتهزًا فرصة خلّو هذه الديار من الجيوش الكافية المشغولة بحرب بابك.

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا

وكان من بين النساء المسلمات اللاتي ساقهنَّ تيوفلس من (زبطرة) إلى (عمورية) بالقرب من (أنقرة)، سيدةٌ شريفة من نساء بني هاشم، ممتلئة الصدر بالعزة والأنفة والشجاعة والشرف، وكانت ترى أن كل ما في الدنيا من عزة وشجاعة وشرف متمثلٌ في نفس أمير المؤمنين المعتصم بن هارون الرشيد؛ لأنه إمام المسلمين وقائد جيوشهم، فهو - بمن تحت إمرته من ملايين الأسود، وبما هو قائم به من نصره دين الله - قادرٌ على أن يزيل عن رعيته كل بؤس مهما كان شديدًا.

وفي ضُحوة يوم من أواخر أيام الشتاء سنة ٢٢٣ هـ (مارس سنة ٨٣٨ م) كان أمير المؤمنين جالسًا في قصره العظيم بمدينة سُرٍّ من رأى، ومن حوله حشمه وأهل قصره، فقال له الحاجب:

يا أمير المؤمنين، شيخ عربي بالباب هاربٌ من أسر الروم، يريد المثل بين يديكم!

فلما أذنَ له دخل فقال:

يا أمير المؤمنين جئتُك من عمورية المجاورة لأنقرة، وكنت أسيرًا فيها، فسمعت سيدةً هاشمية من أسرى زبطرة تنادي - رغم ما بينك وبينها من جبال ومفاوز -

وامعتصماه!

فجئتكَ هاربًا من أسرهم، مقتحمًا صنوف الأخطار، لأبلغك صوتها...
فلما سمع ابنُ هارون الرشيد مقالةَ ذلك الشيخ العربي، تجسّم في ذهنه
المعنى الذي صاغه الرافعي في نشيد جمعية الشبان المسلمين:
إنما الإسلامُ في الصحرا امتَّهَدُ ليُجيءَ كلُّ مسلمٍ أسدُ
فنهض في الحال مجيبًا نداء الهاشمية:
لِيَّيْكَ، لِيَّيْكَ!

ودعا إليه عبد الرحمن بن إسحاق قاضي بغداد وشعبة بن سهل أحد كبار
العلماء وثلاثمائة وثمانية وعشرين رجلًا من أهل العدالة فقال لهم:
- إني ذاهب في سبيل الله لأنقذ الهاشمية التي دعّنتني من أعماق بلاد الروم،
وقد لا أعود إليكم، فاشهدوا أنني وقفت جميع ما أملكه من الضياع، فجعلتُ
ثلثها لولدي، وثلثًا لله تعالى، وثلثًا لمواليي.
ثم أمر من صاح في قصره:
النفير، النفير!

ثم امتطى صهوة جواده وأخذ معه حقيبة فيها زادُه، وأصدر أوامره بأن تكون
الجيوش التي تلحق به أعظم جيوش سالت بها الأباطح قبل ذلك اليوم. فما
زالت الجيوش تتبعه يومًا بعد يوم يسلك بعضها إلى أنقرة وعمورية طريق الساحل
إلى جانب طرسوس ومرسين، ومنها إلى قونية فمدينة أنقرة، والجيوش الأخرى
اتبعت الطرق الداخلية بقدر ما تحتمله تلك الطرق من الجيوش. وما زالوا كذلك
حتى اخترقوا الأنضول ومعاقله وحصونه، فوصلوا إلى (أنقرة) في ربيع سنة ٢٢٣

هج (٨٣٨ م)، فدمرها المعتصم على رؤوس أهلها، فقال فيهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائي:

انتهمُ الكربةُ السوداء سادرةً منها وكان اسمها فَرَاةَ الكُربِ
جَرى لها الفألُ نحسًا يوم أنقرة إذ غودرت وحشة الساحاتِ والرحبِ
كم بين حيطانها من فارسٍ بطل قاني الذوائب من أني دمٍ سربِ

ولما انتهى المعتصم من هذه المدينة الشريرة؛ صار إلي عمورية، فنزل على حصونها وأبراجها وأسوارها، وكانت أمتع أسوارٍ عُرِفَتْ إلى ذلك العهد، فما زال يلحُّ عليها بمجانيقه ودباباته ورهيب آلاته حتى دخلها في شهر رمضان (يولية) من تلك السنة، وكان أول ما طلبه الوصول إلى السيدة الهاشمية في سجنها فقال لها كلمته الأولى:

لَيْكِ، لَيْكِ!

وفي ذلك يقول أبو تمام:

لَبَّيتُ صَوْتًا زَبَطَرِيَا هَرَقَتْ لَهُ كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخَرَدِ الْعُرْبِ
أَجَبْتُهُ مَعْلَنًا بِالسِّيفِ مُنْصَلَّنًا وَلَوْ أَجَبْتَ بَغِيرِ السِّيفِ لَمْ تُجِبْ

ويقول في وصف النصر الذي ناله هذا الرجل المسلم العظيم، جزاء ما أبدى من تضحية وصحة إيمان:

يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ انصرفت عَنْكَ الْمَنَى حُقْلًا مَعْسُولَةً الْحَلَبِ
فَتَحَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبَرُّزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنُ تُوفْلَسُ وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ خَزَائِنَهَا فَعَزَّاهُ الْبَحْرُ ذُو الْتِيَارِ وَالْعَبَبِ
هِيَاهُ زَعَزَعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورَ بِهَا عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مُكْتَسِبِ

تدبير معتصم، بالله منتقم لله مرتقب، في الله مرتهب
وقد ثبت في التاريخ أن أمير المؤمنين المعتصم كان يدير الحركات العسكرية
بنفسه في هذه الوقائع، ويُصدر الأوامر اليومية إلى جيوش كانت منه على مسافة
أيام. وهو الذي رسم خطط هذه الحرب وعيّن للقواد مراكزهم ومناطق
هجومهم؛ فكانوا في تصرفه كما تكون حجارة الشطرنج بين يديه ساعة لهوه.
وعُمُورية يومئذ عين النصرانية، وأمنع مدائن البيزنطيين. وأعزّ على الروم من
القسطنطينية نفسها. فما لبث أن قلم أظفارها، وجردّها من حصونها، وسلب
أهلها عزّهم بها، جزاء غدرهم بالمسلمين وعقاباً لهم على ما ارتكبوه في نساء
زبطرة وشيوخ ملاطية وأطفالها من فظائع تقشعرّ لذكرها الأبدان. وكان هذا
النصر العظيم للدولة العباسية على الروم في الأنضول بعد نصرها العظيم على
المجوسية في فتنة بابك التي دامت عشرين سنة، أصدق برهان على أن الله
يصدق وعده بنصر المسلمين كلما أخلصوا دينهم لله واشتروا الحياة الأبدية بثمن
رخيص، وهو هذه الحياة القصيرة ومُتعتها الحقيرة.

فرحم الله أياماً كان المسلمون مسلمين حقاً:

خليفة الله جازى الله سعيك عن	جُرثومة الدين والإسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترّها	تُنال إلا على جسر من التعب
إن كان بين صروف الدهر من رجم	موصولة أو ذمام غير منقضّب
فبين أيامك اللائي نصرت بها	وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بني الأصفر المصفرّ كاسمهم	صفو الوجوه وجلت أوجه العرب

محبت الدين الخطيب



نشيد حافظ بك إبراهيم لجمعية الشبان المسلمين

أعبدوا مجدنا دُنْبا وديننا وذودوا عن ثُراث المسلمين
فمن يعنو لغير الله فينا ونحن بنو الفُزاة الفاتحين
ملكنا الأمر فوق الأرض دهرًا وخلدنا على الأيام ذكرًا
أتى عمرُ فأنسى عدل كسرى كذلك كان عهد الراشدين



جَبَّينا السحب في عهد الرشيد وبات الناس في عيش رغيد
وظوَّقَتِ العوارفُ كلَّ جيدٍ وكان شعارنا رِفْقًا ولينا



سلوا بغدادَ والإسلامَ دينُ أكان لها على الدنيا قرينُ
رجالٌ للحوادث لا تلينُ وعلم أَيْدِ الفتح المبينُ
فلسنا منهمُ والشرقُ عانٍ إذا لم نكفه عَنَّتِ الزمانُ
ونرفعه إلى أعلى مكانٍ كما رفعوه، أو نلقى المتنون



نشيد أحمد أفندي محرم

بني الإسلام إقداما كفى دعةً وإحجاما
هلموا نرفع الهاما أنقضي الدهر نؤاما
على البيضاء فانطلقوا إلى العلياء فاستبقوا

لکم من دینکم طرُقُ	تبثُّ النور أعلاما
سلوا القومَ الألی ذهبوا	بأیة قوة غلبوا
أقاموا الحقَّ فانحدبوا	لأهل الأرض حکاما
أولو السلطان والخطرِ	على التيجان والسرِّ
أبوا فی غیر ما أشرِ	سوى الأملاك خدما
رموا بالیأس محتدما	قضوا بالسيف محتکما
إذا ما خاصم الأمما	مضى نقضا وإبراما
نهضنا نتبع السننا	ونحمي الدين والوطنا
بذلنا الروح والبدنا	فدئُ لهما ولاكراما
هما رمز الحياة معا	فإن ذهبا مضت تبعا
ومن لم یزعَ ما شرعا	فما صلی ولا صاما



الحسان

وسئلتُ مَنْ هُنَّ الحِسانُ	هُنَّ العفیفاتُ اللسانُ
الناهضاتُ بكلِّ ما	یَجْلُو لنا نِعَمَ الزَّمانُ؟
صُنَّ الوجُودُ مُجَمَّلا	یَخْتالُ فی الحُسنِ المُصانُ
فی زینةِ اللُّطفِ الأصبِ	لِ وَخِفةٍ تَنَاطُرانُ



نظرية التطور عند العرب^(١)

قال العلامة درابر الأمريكي: «تأخذنا الدهشة أحياناً عند ما ننظر في كتب العرب، فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا في زماننا، كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرّجها في كمال أنواعها، فإن هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم، وكانوا يذهبون به إلى أبعد مما ذهبنا، فكان عندهم عامّاً يشمل الكائنات العضوية والمعادن. والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن في أشكالها».



معنى الحياة

كلمة فاضل عراقي كبير

الأستاذ محمد رضا الشبي. وزير المعارف العمومية في العراق سابقاً. شاعر كبير، وهو من كبار المفكرين في الأمة العربية. وقد كتب في مجلة المجمع العلمي العربي كلمة يقول فيها:

(١) مذكّر الكاتب عن العرب لا علاقة له بنظرية التطور المعاصرة «الداروينية» المُلحَدة، التي تزعم أن جميع المخلوقات نشأت بالتدرّج من خلية واحدة، وبفعل «المصادفة»، وتوافر الشروط الفيزيائية من درجة حرارة ورطوبة وهواء... إلخ، تكاثرت هذه الخلايا وتولّد عنها سلسلة من المخلوقات، ابتداءً من النباتات وانتهاءً بالإنسان! مُنكرة لوجود الخالق ﷻ. وانظر للرد على مزاعمها: رسالة «العلم يتبرأ من نظرية داروين: أكبر جريمة تزوير علمي في التاريخ: دراسات وثائقية»؛ لزياد أبو غنيمه. (س).

«أنا أعتقد الآن بأن لهذه الحياة معنى لم يتذوقه أهل هذه الأجيال الجاحدة الإفرنجية، ولها سرٌّ حيلَ بينهم وبين أن يكتشفوه، فضلوا وأضلّوا كثيرًا. نعم إن الساميين وعمّار الصحراء من الآدميين. لا سيما العرب. هم الذين اكتشفوا ذلك السرَّ المحجوب، وهم الذين نظروا إلى الحياة من الوجهة التي يجب أن ينظر إليها الناس في كل زمان ومكان. وأما فيما يعود إلى إسعاف الشرقيين والعرب والمسلمين، وإنقاذهم مما هم فيه من الجهد والبلاء، فأرى أن ذلك يتوقف على الرجوع إلى سيرة السلف الصالح في عامة الشؤون الدينية والدنيوية، بدلًا من تقليد الإفرنج، والتهالك على ما ابتكروه من طرق الهلاك. وإن لهذه الأمة أولًا ولها آخر، ولا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، ولا تنجو إلا إذا استعذبت الموت الزؤام، كما يستعذب الحياة الفانية شبّانُ هذا العصر المتفرنجون».



الغني والفقير

ربما رأيتَ الرجلَ من الناس وبه من جمال الدنيا مَسْحَة الدينار، وعليه من نضرة هذه الحياة ألوان الجنة والنار... وما تشكُّ في أنه واسعُ البَسْطَة عريضُ النعمة طيّب المَكْسَبَة، وهو على ذلك رُفْعَة خَلِيقَة في أذيال الفقر يُجَرِّرها على أقدار الحياة وأدناسها. ولو نطقَ له الغني لقال: دعني فما كل ذي مَتَرِيَة فقيرٌ، ولا كل ذي مَثْرَاة غنيّ.

مصطفى صادق الرافعي



الانتصار الهمجي على العرب وتعطيل سير الحضارة ثمانية قرون

قال هنري دي شامبون مدير (ريفو بار لميتير) الفرنسية:

«لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي. ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت أسبانيا من وصمة محاكم التفتيش، ولولا ذلك لما تأخر سير المدينة ثمانية قرون. ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا: في العلم والفن والصناعة. مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل. وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية. وإنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا تمثله نحن فيما مضى».

ويقول الكاتب الفرنسي الأشهر مسيو (كلود فارير):

«أصيبت الإنسانية والعالم الغربي عام ٩٣٢ م بكارثة عظيمة لم تُصب بمثلا في القرون الوسطى، وبقي أثرها ظاهراً في العالم مدة سبعة قرون أو ثمانية، إن لم يكن أكثر من ذلك؛ لأن روح التجدد كانت يومئذ قد بدت للعيان حتى وقعت تلك الكارثة، فكان من نتائجها تأخر سير الحضارة، ورجوع العالم إلى الوراء...»

هذه الكارثة هي الانتصار المؤلم الذي أحرزه وحوش (الهارك) من جيوش الإفرنج التي كان يقودها (شارل مارتل) سليل الكالنجيين محارباً بها كتائب

العرب والبربر التي لم يُحسن الخليفة عبد الرحمن جمعها وحشدتها بالمقدار الكافي، فكان ذلك سبب خذلانها وتفهقرها.

في ذلك اليوم المظلم تهقرت الحضارة إلى الوراء ثمانية قرون، وحسب الذين يبتغون يومئذ أن يشهدوا مثلاً من مدينة العرب أن يتنقلوا بين حقائق الأندلس الغناء ثم أن يأتوا الآن فيترددوا بين خرائب ذلك العصر الماثلة للأنظار في إشبيلية وغرناطة وقرطبة وطليلة.



بعض حقائق الحياة

* ما جعل الله سبيلَ المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا، حتى إن الأدمغة لتعدّ من أكبر العلل في أمراض التاريخ الإنساني، وربما كانت العلة الكبرى في طائفة من الطوائف صورةً أثريةً لأكبر رأس فيها.

* ما دام للناس رغبة يتنافسون فيها أو يرفعون من شأنها بالمنافسة فثم الحسد، وما دام في الغيب أيامٌ وآمالٌ، وفي الدنيا فقر وحسد فهناك الطمع.

* إن البخل وحده لفي حاجة إلى نبي يصلحه.

* الناس مخطؤون فيما اعتبروا به معنى الفقر، إذ حصروه من جهاته الأرضية وقد ترامت، وضيقوا من حدوده السماوية وقد تراجبت.

* من عجيب حكمة الله أنه لا صلاح للعالم إلا بالفساد الذي فيه.

مصطفى صادق الرافعي



إسماعيل صبري باشا

ثاني ملوك دولة الشعر في هذا العصر، وأجملهم في هذا الملك سيرة،
وأفخمهم فيه أثرًا.

قال: الشعر للشعر لا للناس. وكان أبدع ما يكون شعره وأشجى إذا أخذته
هزةً لذكرى صباه، أو حن إلى معهد كان فيه هواه.

ولقد بكى الربوع حتى خُيِّل لك أن شعره دمع يترقرق على طلل بالٍ، وكاد
يُسمعك وجيب قلبه لذكرى حبيب أو تذّكر دار.

وضحك للطبيعة فأدرك ابتسام ثغرها، وتضاحك زهرها، وصوّر لك حمرة
شفقها، ووضح فجرها.

وشجاء هواه فأطلعتك من قبله على موضع ناره، وأسمعك رنين أوتاره،
ولعلك بكيت له رحمة ورفقًا. وشكا تغير الصديق له، فكان يزهدك في الصداقة
والأصدقاء، وإن علّمك على ذلك كيف يكون الصفح والغفران.

كان ^{كأنه} يخطر على باله خاطر، أو يتفق له أمر، أو يسمع خبرًا، أو يشهد
مشهدًا، فيطيل تأمله فيه، ثم يُرسل من صدره أنه يتدفق على أثرها خاطره بما
شاء.

فإذا قال شيئًا طفق ينظر فيه، ولم يألُ تهذيًا، ثم لا يدفعه بعد ذلك إلا إلى من
يلح عليه من الأصدقاء، وقد يقول ثم يمسك قوله عن الناس.

ولولا أنه كان مُقلًا كثير الانصراف عن القول، كثير الضن بشعره عن طالبيه؛
لكان واحد وقته بلا نزاع.

ولا أعلم عليه من عيب إلا أنه ربما وقعت له الكلمة من مكان غير مأمون،
فدرجت في شعره، فمن أمثلة ذلك قوله:

لك ألفاظ إذا احتجت إلى خير كانت (شراك) الخيرين
فإن الشراك للنعل، والمراد «أشراك» جمع شرك، وهو حباله الصياد. على
أن مثل هذه الفرطة في شعر إسماعيل نادرة، وربما لا تتجاوز نظيراتها تسعاً أو
عشرًا.

انظر إلى قوله:

يا آسي الحي هل فنشت في كبدي وهل تبنيت داء في زواياها
أواه من حرق أودت بأكثرها ولم تزل تتمشى في بقاياها
يا شوق رفقا بأضلاع عصفت بها فالقلب يخفق ذعرا في حناياها
ألا تتمثل فيه حرقا أودت بأكثر كبده، ولا تزال تسري فيما بقي من هذه
الكبد؟ ثم استمع قوله:

أقصر فؤادي فما الذكرى بنافة ولا بشافعة في رد ما كانا
سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا حمل الصباة فاخفق وحدك الآن
تعرف كيف يصبر الحكيم على مس النار...!

ثم تأمل قوله:

لم يدر طعم العيش شبا ن ولم يدركه شيب
جهل بضلى قوى الفتى فتطيش والمرمى قريب
وقوى تخور إذا تشب ث بالقوى الشيخ الأريب
بينا يقال كبا المنف ب ل إذ يقال خبا اللبيب
أواه لو عقل الشبا ب وآه لو قدر المشيب

أفلمت ترى إلى الحكمة الكهلة تطلّ من نافذة الشعر الفتّي؟

ثم اسمع قوله:

أنتِ روحانية لا تدّعي أن هذا الحسن من طين وماء
فانزعي عن جسمك الثوب بين للملا تكوينُ سكان السماء
واخطري بين الندامى يحلفوا أن روضاً راح في النادي وجاء
لا تخافي شططاً من أنفس تعثر الصبوة فيها بالحياء
أرضتِ النخوة من أخلاقنا وارتضى أخلاقنا صدقُ الوفاء
تعرف كيف يكون الغزل البديع، وتلمح في هذا الشعر خيال ملك ينساب في
حلة من وشي البيان.

ثم استمع له إذ يقول:

يا موتُ ها أنا ذا فخذ ما أبقت الأيام مني
بيني وبينك خطوة إن تخطّها فرجت عني
تؤمن بعبقريّة شاعرنا هذا، وتكبر قدرته حتى لا مزيد من الإكبار.

أما خلُق إسماعيل فخلُق كرام الناس، فقد كان سمح النفس كبيرها، طلق
المحيا بسّامة، وفيّاً أميناً على شيوخ الغدر في الناس، جم التواضع على رفعة،
وقد بلغ من تواضعه أن يُنكر على نفسه شاعريتها ويصغر من شعره ما يكبره
الشعراء، وكان راوية واسع الحفظ حاضر الخاطر سريّ الملكة، وإن بديته
لتفضل روية كثير من الشعراء. رحم الله إسماعيل.

محمد صادق عنبر



طلب الدراهم من الحجارة

قال أبو معاوية - رجل من ولد كعب مالك - :
لقد رأيتني أنضح أول النهار، وأضرب آخر النهار على بطني بالمغول.
فقليل له : لقد لقيت مؤونة !.
قال : أجل ، إنا طلبنا الدراهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من
الحجارة أسهل علينا !



مقياس الذكاء والإجرام

لا يستطيع أي فرد أن يؤدي عملاً من الأعمال أداء تاماً محكماً إلا إذا توافر
فيه شرطان أساسيان :

(١) قدرته على التفكير والنظر في عواقب الأمور؛ لكي يستطيع تقدير
النتائج التي تنتج من عمله، فتعود عليه وعلى غيره بالخير إذا هو سار في
طريق سيئ.

(٢) الرغبة الصادقة في كبح جماح النفس، والمقدرة على إلزامها جانب
الحق والصواب، وهذان الشرطان لا يوجدان إلا عند كل شخص كمل عقله
وتجملت أخلاقه. وليس من عمل مجيد تقوم به أفراد أمة إلا ذلك الذي ينبعث
عن أناس مخلصين قد تربوا تربية صالحة جعلتهم يؤثرون الصالح العام على
صالح أنفسهم، ويقدمون نفع الجمهور، فلا يسرون مع نفوسهم حيث شاءت،

ولا مع أهوائهم حيث مالت، بل مدفوعين بعامل الإخلاص الذي قادتهم إليه عقولهم الذكية وأذهانهم الناضجة.

ولسنا نرى هذه الأعمال المجيدة تبعث من هؤلاء مما رزثوا بضعف العقل؛ لأنهم لا يقدرون على التفكير، ولا على النظر في عواقب الأمور، ولا على القدرة في وقف تيار هوى نفوسهم؛ لأنهم مجردون عن الفضيلة والأخلاق الكريمة والتهذيب الصحيح والتربية القويمة، التي هي أساس النجاح ودعامة الفلاح. والفضيلة كما تعلم لا تزهر وتنمو ما دام الذكاء في درجة الانحطاط.

على أن هناك بعض المجرمين لوحظ عليهم علامات الذكاء، مما يجعلنا في ريب من الجزم بضمهم إلى طائفة ضعيفي العقول، وما ذلك إلا لأنهم قد توفر فيهم شرط من الشرطين السابقين هو (القدرة على التفكير والنظر في عواقب الأمور)، أما الشرط الثاني فقد انعدم فيهم، فتركوا لأنفسهم الحبل على الغارب، فما استطاعوا كبح جماحها، ولا الوقوف في سبيل هواها، ومن هذا يتبين أن ليس من الضروري أن يكون كل مجرم ضعيف العقل، وإنما الثابت أن ضعاف العقول أكثرهم مجرمون كما أن ضعيفات العقول أكثرهن عاهرات أو صائرات إلى الفجور. ولقد عودنا مقياس الذكاء أن نفكر في المجرمين كلما ذكرنا ضعف العقل؛ لأن الرابطة بين الإجرام وضعف العقل ثابتة، وقد برهن على وجود هذا الاتصال اختصاصيون مهرة في علم الجراحة.

«فلمبروزو» وأتباعه مثلاً كانوا يلاحظون العاهات الخلقية عند فحصهم المجرمين، ويعولون عليها كثيراً، ويجزمون بأنها أهم العلامات التي تدل على الإجرام. ومن العاهات الخلقية كبر حجم الرأس أو صغره، وعدم تساوي نصفيه، والأشكال غير العادية، وعدم التماثل بين الأذنين والعينين وسقف

الحلق، حيث يكون على شكل «٨»، والأسنان والأصابع والأظافر والشعر وطول الأذرع والنسبة بين النصف الأعلى والأسفل من الجسم.

وفي الحق كان عمل «المبروزو» عملاً مجيداً في ذاته ومفيداً؛ إذ قد نبه المشتغلين بعلم الجرائم، وشوقهم إلى البحث والعمل في هذا الفن، وأوقد فيهم حب الاستزادة منه بالبحث العلمي العملي على أن عملهم قد وقف نوعاً ما عند ظهور مقياس الذكاء الذي دل على أن نحو ٢٥% من المجرمين ضعاف العقول.

أما العاهات الخَلقية التي بنى عليها «المبروزو» وأنصاره علم الإجرام وشوهدت بكثرة في المجرمين، فقد تجلّى أنها لم تكن علامات خاصة بالإجرام، لكنها أشبه بخواص جسمانية كثيراً ما تلازم ضعيفي العقول، ومن ثم صارت هذه العاهات الخَلقية مميزاً ضعيفاً للمجرمين، لكنها دليل قوي على ضعف العقول، ومع هذا دلت الاختبارات على أن هناك صلة متينة بين الإجرام وضعة النفوس من جهة، وضعف العقول من جهة أخرى، يضاف إلى هذا أن ما قد ينغمس فيه هؤلاء المجرمون من الرذائل كالفحشاء وغيرها نتيجة ضعف عقولهم.

حسن عمر



* قيل إن الصدق غير موجود، وهو اسم على غير مسمى.

* لا تغتر بمن يميل إليك حتى تعرف سبب تودده.

* الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك.

* ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله.

الدموع

رَبِّ إِنْ غَاضَتْ دُمُوعِي الْمَا فَمَنْ الشَّافِي مِنْ الْوَجْدِ سِوَاهَا
نَضَبْتُ وَاسْتَوْدَعْتَنِي حَسْرَةً لَوْ يَكُونُ الدَّمْعُ جَمًّا لَمَحَاهَا
مَفْزَعِي فِي الْخَطْبِ مَا حَلَّ بِهِ وَقَرَابِينُ عَزَائِي مَا عَرَاهَا
أَتَرَى أَدْرَكَهَا صَرْفُ الرَّدَى فَأَرِيقْتُ وَهِيَ فِي زَهْوِ صِبَاهَا



إِيَّهَا الْفَجْرُ أَعْرِ قَطَرَ النَّدَى لِعُيُونِ قَطَرِ الْحُزْنِ نَدَاهَا
ذَبِلْتُ ثُمَّ تَعَدَّاهَا السَّنَا قَبْلَ أَنْ يَسْلُبَهَا الْمَوْتُ سَنَاهَا



إِيَّاهُ يَا صَدَّاحُ رِذْنِي نَغْمًا وَأَزْخُ عَنْ كَبْدِي الْخَرَى جَوَاهَا
لَكَ لَحْنٌ مُسْتَكِينٌ سِرُّهُ وَجَدْتُ فِيهِ بَنُو الشَّجْوِ مُنَاهَا



عَجَبِي مِنْ لَفَةٍ غَامِضَةٍ تَطْرُبُ النَّاسَ عَلَى شَتَى لِفَاهَا

أنور العطار



الإسلام هو المدنية هكذا يقول المؤرخ (ولز)

قالت جريدة (الجامعة العربية):

المستر (ولز) هو أكبر كتاب إنكلترا على الإطلاق، وله مؤلفات عدة تدل

لالة واضحة على عبقريته وسعة اطلاعه.

وقد كتب مؤخرًا مقالًا عن الإسلام، وأبدى رأيه في هذا الدين الحنيف، فأنكر عليه الإنكليز هذا الأمر، وانتقدوه انتقادًا مرًا، ولكنه لم يبال بانتقادهم، بل ظل جاهرًا بالحقيقة الواضحة ويدافع عنها. وها نحن الآن ننقل إلى القراء نبذة من مقال نقلته جل الصحف الإنكليزية التبشيرية، وعلقت عليه تعليقًا انتقاديًا. قال:

«كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به؛ لأن الدين الذي لا يسير مع المدنية جنبًا إلى جنب لهو شر مستطير على أصحابه، يجرهم إلى الهلاك. وإن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدينة أتى سارت، هي الديانة الإسلامية. وإذا أراد الإنسان أن يعرف شيئًا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع. فهو كتاب ديني علمي، اجتماعي، تهديبي، خلقي، تاريخي. وكثير من أنظمتهم وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة. وإذا طلب مني أحد القراء أن أحدد له الإسلام فإنني أحدهه بالعبارة التالية: «الإسلام هو المدنية».

وهل في استطاعة إنسان أن يأتيني بدور من الأدوار كان فيه الدين الإسلامي مغايرًا للمدنية والتقدم؟

كان النبي محمد زراعيًا وطبييًا وقانونيًا، وقائدًا. وقرأ ما جار في أحاديثه تتحقق صدق ما أقول. ويكفي أن قوله المأثور: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»^(١)، هو الأساس الذي بني عليه علم الصحة، ولم يستطع

(١) حديث لا أصل له. قاله الألباني في «السلسلة الصحيحة» (م/٧) القسم الثالث، ص ١٦٥١ و١٦٥٢. وقال الشيخ ابن باز في مجموع فتاواه (٤/ ١٢٢ - ١٢٣): «هذا المعنى =

الأطباء - على كثرتهم ومهارتهم - أن يأتوا حتى اليوم بنصيحة أئمن من هذه. والخلاصة؛ فإن محمدًا كان مجموعة من «الخيال والنبوغ والبحث» وهذا هو التحديد الصحيح الذي يجب على كل مسلم أن يعرفه». وقال في محل آخر:

«إن محمدًا هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن، أن يكتسح دولتين من أعظم دول العلم، وأن يقلب التاريخ رأسًا على عقب، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكنًا لها واشتهرت بالشجاعة، ورباطة الجأش، والأخذ بالثأر، واتباع آثار آبائها، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها.

فمن الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هي من عند الله؟...».

= صحيح لكن السند فيه ضعيف. وهذا ينفع الإنسان إذا كان يأكل على جوع أو حاجة، وإذا أكل لا يُسرف في الأكل، ويشبع الشبع الزائد، أما الشبع الذي لا يضر؛ فلا بأس به. فالناس كانوا يأكلون ويشبعون في عهد النبي ﷺ وفي غيره، ولكن يُخشى من الشبع الظاهر الزائد، وكان النبي ﷺ في بعض الأحيان يدعى إلى ولائم، ويضيف الناس، ويأمرهم بالأكل، فيأكلون ويشبعون، ثم يأكل بعد ذلك عليه الصلاة والسلام ومن بقي من الصحابة. وفي عهده يروى أن جابر بن عبد الله الأنصاري دعا النبي ﷺ يوم الأحزاب يوم غزوة الخندق إلى طعام على ذبيحة صغيرة - سخلة -، وعلى شيء من شعير، فأمر النبي ﷺ أن يقطع الخبز واللحم، وجعل يدعو عشرة عشرة، فيأكلون ويشبعون، ثم يخرجون ويأتي عشرة آخرون، وهكذا، فبارك الله في الشعير وفي السخلة، وأكل منها جمع غفير، وبقي منها بقية عظيمة حتى صرفوها للجيران. والنبي ﷺ ذات يوم أيضًا سقى أهل الصفة لبنًا، قال أبو هريرة: فسقيتهم حتى رروا، ثم قال النبي ﷺ: «اشرب يا أبا هريرة»، فشربت، ثم قال «اشرب»، فشربت، ثم قال «اشرب» فشربت، ثم قلت: والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا. ثم أخذ النبي ﷺ ما بقي، وشرب عليه الصلاة والسلام. وهذا يدل على جواز الشبع وجواز الري، لكن من غير مضرة».

محمد ﷺ

موشحة ألقيت في نادي جمعية الشبان المسلمين

من نظم الشاعر المبدع الأستاذ/ محمود أفندي رمزي نظيم

عملت مكة أرضاً وسما أنها خير بلاد المشرق
وُلد المختار فيها ونما فسَمْتُ بالعربيّ المُفْرِق



خيرُ خلق الله عُرباً وعجم مُشرقُ النورِ ومحيي الظلمات
مصدرُ الخيرات وهابُ النعم مهبط الوحي محطّ الرّحمات
قدّس الله به ساح الحرم وبه التوحيدُ ساد الكائنات
النبي المرسلُ الحقُّ العَلَم مَنْ عليه الله والى الصلوات



كان لا يخفّرُ طه الذمما

طاهر الأذيال حُلُو المنطق

وإذا همّ رأيتَ الهما

وسنا بدرٍ تمام مُشرق



أُمّه آمنة ذاتُ العفاف وابنُ عبد الله مولانا الرسول
نسبٌ يجمعه عبدُ مناف طيّب الأعراق مشهورُ الأصول
سنّ للناس طريقَ الائتلاف وبه كسرتِ القيّدَ العقول

كان إن قال فَرَقْرَاقَ السُّلَافِ وإذا صَالَ تَرَى اللَّيْثَ يَصُولُ



عَلَّمَ النَّاسَ التَّقَى وَالْكَرَمَا

فَاتَّقَى اللَّهَ الَّذِي لَمْ يَتَّقِ

مَا ظَفَى فِي حَكْمِهِ، مَا ظَلَمَا

حَافِظُ الْعَهْدِ، مَتِينُ الْمَوْثِقِ



زَلَزَلَ الْإِيوَانَ مِيلَادُ الرُّسُولِ فَهُوَ مِنْهُ جَمِيعُ الشُّرَفَاثِ

نَجْمُ نَارِ الْفُرْسِ أَمْسَى فِي أَفْوَلِ بَعْدَمَا كَانَتْ إِلَهَ الْكَائِنَاثِ

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْحَقَّ يَزُولُ مَا لَشَيْءٍ صَنَعَةَ النَّاسِ ثَبَاثِ

شِرْعَةُ التَّوْحِيدِ أَوْدَتْ بِالْحُلُولِ وَرَسَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاثِ



وَأَزَالَ الْعُرْبُ أَشْبَاءَ الدُّمَى

مَنْ تَمَائِيلَ غَدَثَ لَمْ تَنْطَقِ

جَعَلُوا بَيْتًا لَهْنِ الْحَرَمَا

وَهُوَ لِلشَّرْكَ بِهِ لَمْ يُخْلَقِ



لَمْ يَهْنُ يَوْمًا لِأَعْدَاءِ الْهَدَى حِينَ هَمُّوا بِأَذَى الدَّاعِي الْعَظِيمِ

غَضِبَتْ أَجْجَهَا جَهْلُ الْعِدَا وَاعْتَزَّازُ الْقَوْمِ بِالشَّرْكَ الْقَدِيمِ

لَمْ يَكُنْ جَاءَ مِنَ اللَّهِ سُدَى إِنَّمَا أَقْبَلَ بِالْإِيمَانِ الْقَوِيمِ

جَاءَ لِلنَّاسِ رَسُولًا مُرْشِدًا وَهُوَ مَقْطُورٌ عَلَى الْخَيْرِ كَرِيمِ

هازناً بالملأ المحتنق
فمضى عن حبهم معتزماً
وعليه الوحي كالغيث همي
وبدا الليل له كالفلق



أيها المبعوث من بين الشعوب أيها الأمي يا محيي الموات^(١)
أنت قد أبقت بالدين القلوب وتوجهت بها للصالحات
أنت شمس طلعت بعد الغروب فأضاءت داجيات الكائنات
ونشرت السلم من بعد الحروب وجمعت الغرب من بعد الشتات



لم تكن تحمل يوماً قلماً
إنما كنت خطيب المشرق
وإلى رحمتك الكون انتمى
فائزاً منك بحسن الخلق



قد تركت الكون نوراً بعدما كانت الأرض ظلاماً في ظلام
ساد فيها الحب والخير كما ساد روح العلم فيها والنظام
بالهدى أسعدت فيها الأمما ولأعدائك أعدت الحسام
جئت للعالم من رب السما رحمة خص بها الله الأنام



(١) كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. (س).

أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابًا مُحْكَمًا
 مِنْ قَدِيمٍ مُنْزَلٍ لَمْ يُخْلَقِ
 أَنْتَ أَرْشَدْتَ بِهِ مَنْ أَسْلَمَا
 بِبَيَانٍ وَاضِحٍ لَمْ يَغْلَقِ



يَمُكِّثُ الْمَوْتَى نِيَامًا فِي الدُّجَى فَإِذَا الْمَوْتُ غَشَاهُمْ يُصْبِحُونَ
 إِنْ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلنَّاسِ شَجَا وَبِهِ تَشْرِقُ بِالْدمْعِ الْعَيُونَ
 لَيْسَ يَلْقَى الْخَلْقُ فِيهِ فَرْجًا حِينَمَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسْأَلُونَ
 يَا شَفِيعَ النَّاسِ (خِلْ) الْمُتَرْجَى يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَبَنُونَ
 يَوْمَ لَا يُرْحَمُ أَرْبَابُ الْعَمَى
 مِنْ لَظَى نَارِ الْجَحِيمِ الْمُحْرِقِ



نَشَرَ التَّوْحِيدَ طَهً فِي الْوُجُودِ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِيمَا قَدْ فَعَلَ
 لَمْ يَكُنْ يَطْلُبُ إِلَّا أَنْ تَسْوَدَ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَيَعْلُو مِنْ عَدَلٍ
 وَلِذَا سَادَ وَذُو الْحَقِّ يَسْوَدُ بِجِهَادٍ وَاعْتِزَامٍ لِلْأَمَلِ



وَانْشَرُوا يَا آلَ مِصْرَ الْهِمَمَا
 وَاكْشَفُوا سَرَ الظَّلَامِ الْمَطْبِقِ
 نَحْنُ إِنْ لَمْ نَسْهَرِ اللَّيْلَ فَمَا
 كَتَبَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نَرْتَقِيَ



التمدن العصري

يقولونَ أحیی المغرِبَانِ حضارَةً
يعیشُ سعیدٌ مُفَرَّدٌ بینَ معشرٍ
وكم جائعٍ یزنو إلى مُتفکِهِ
وكم جسدٍ فوقَ الأخادعِ شاخصٍ
وما الزمنُ الماضي بأعظمَ مِحنةً
ولم أرَ كالإنسانِ ربَّ شرائعٍ
ولكنه لم یَظوِ لیلَ ضلاله
یظنونَ هذا العصرَ عصرَ هداية
فإن خُرافاتٍ مضتْ قد تبدلتْ
واکذبُ عصرٍ ما تشدَّقُ أهلهُ
ذَنابٌ وشاء، لا الذَنابُ رواجعُ
الا هل یعودُ الحقُّ . وهو مشئتٌ
ولكن أبوا إلا التنازعَ فالتفت

وهل حَیثُ إلا لمصلحةِ الذَّاتِ
شقی، وحيٌّ واحدٌ بینَ أمواتٍ
وعادِم قوتٍ حولَ واجدِ أقواتٍ
إلى جُنتٍ تحتَ الأخامصِ ملقاةً
من الحاضرِ الموصولِ بالزمنِ الآتی
حديثاتٍ وضعٍ أو شرائعٍ مُحواةً
هُدًى شاریعٍ فی الأرضِ أو فی السماواتِ
وأجدُرُ أن ندعوه عصرَ ضلالاتٍ
حقائقٍ إلا أنها كالخرافاتِ
على ظلمهم بالعدلِ أو بالمساواةِ
عن الغيِّ أو تعدو على زُمرِ الشاةِ
جماعاتٍ هذا العصر . جامعٌ أشتاتٍ
أدلةٌ نفیِّ فی أدلةِ إثباتِ

محمد رضا الشيباني



لغة المعاني السامية

الطبيعة جميلة، بل هي فوق أن تكون جميلة؛ لأن هذه اللفظة (الجمال)
واحدةً من الاصطلاحات المبهمة التي تمثل قصور الإنسان اللغوي؛ فقد تعاون

أفراد هذا الإنسان الضعيف على أن يخلقوا الطبيعة خلقة معنوية، فصوروها باللغة، وضبطوها - على عظمها - كما يضبط تاجر اللؤلؤ حساب ما في حقيته الصغيرة، لا حساب ما في البحار. وجَرَوْا في أكثر المعاني السامية هذا المجرى، فَرُبَ معنى تجده مِلءَ السماوات والأرض وما تجد له من صفة تحدّ إلّا وهي حدٌّ لصفة أخرى، ومع ذلك تراهم يدمجون في لفظة واحدة مقتضبة، لا يُعرَف بها معرفةً صحيحة تصفه كما هو، ولكن ليؤثّر التأثير الذي يقوم في الإنسان مقام المعرفة الصحيحة، فإن الناس يعيشون بهذا التأثير في معظم أمورهم، ويعتدونه علماً وإحاطة.

وهذه اللغة الناقصة التي تصوّر الطبيعة وتحدها هي في ذلك كالعين التي ترى الطبيعة لتصفها باللغة؛ وما اللغة في الحقيقة إلّا نظرٌ عقليٌّ بل هي ألفاظ النظر، وما العين من الطبيعة إلّا كالمرآة التي تقابلك بالشيء كما هو لتفهمه أنت كما تريد.

مصطفى صادق الرافعي



نشيد أحمد شوقي لجمعية الشبان المسلمين

العزُّ للإسلام منارة الوجود

هداية الإمام ومطلع السعود



عصابة الصديق وراية الفاروق

والحق والوسيلة والسمحة الظليلة
ومعقل الفضيلة وغابة الأسود



الْفُرسُ في لوائهِ والهند في ضيائه
في الأرض صار كالعلم بغرة تمحو الظلم
بين الكتاب والقلم مظفر الجنود



الشام من أسرته ومصر نور غرته
من هالة لهاله يمزق الجهاله
ويهزم الضلاله ويحطم القيود



علاقة القلوب وعروة الشعوب
مثنى هدى ورحمة بينهم وذمة
فليس بين أمة وأختها حدود



شعرنا القصصي - الكرم العربي

لم يعدم الأدب العربي في عصر من عصوره رجالاً طرّقوا أكثر الفنون التي
يزعم أعداؤه إنه خلّو منها؛ ومنها الشعر القصصي.

نعم إن العرب لم يُعنوا به عنايتهم بغيره من أبواب الشعر، ولكن تلك العناية
كانت تقتضيها البيئة، وتهيتها الظروف. وإنهم مع هذا كله أبقوا لنا تراثاً جليلاً
وآثاراً قيمة فيه. منها هذه القصيدة البديعة من مشهور شعر الحطيئة قال:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مُرملٍ
أخي جفوة فيه من الأنس وحشة
تفرد في شعب عجوزًا إزاءها
حُفأة عراة ما اغتدوا خُبزَ مَلَّةٍ
رأى شَبَحًا وسط الظلام فراعهُ
تروى قليلًا ثم أحجم بُرْهُ
فخَرَّتْ نحوصَّ ذات جحش فتيَّة
فيا بِشرَه أن جرَّها نحو أهله
وبات أبوهم من بشاشته أبا
وباتوا كرامًا قد قضوا حق ضيفهم
بيداء لم يعرف بها ساكنٌ رسماً^(١)
يرى البؤسَ فيها من شراستهِ نَعْمًا^(٢)
ثلاثة أشخاصٍ تخالهُم بهما^(٣)
ولا عرفوا للبرِّ، مذ خُلِقُوا، طمعا^(٤)
فلما رأى ضيقًا تصوّر واهتما
وإن هو لم يذبح فتاهُ فقد همّا
قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحماً^(٥)
ويا بشرهم لما رأوا كلمها يَدْمى
لضيفهم، والأم من بشرها أماً
وما غرموا غُرمًا وقد غنموا غَنَمًا



خطرات أفكار للحكيم تولستوي

* خيرُ الشراب ما يتناوله المرء عندما تكون في فمه كلمة سوء، فيمنعه من
النطق بها، ويساعده على ابتلاعها.

- (١) الطاوي: الجائع. ثلاث: ثلاث ليال. عاصب البطن: يشده بحزام ليضمّر فيخفف من ألم الجوع. المرمل: المحتاج.
- (٢) أخي جفوة: بدوي جافي الطبع.
- (٣) تفرد: اعتزل الناس. الشعب: المنفرج بين الجبلين. عجوزًا: يعجوز (نُصب بإسقاط الياء الخافضة على غير قياس). البهم: أولاد الضأن والممزر، واحدها بهمة، شبه بها أولاده.
- (٤) خبز المَلَّة: هو الذي يُخبز في الرماد الحار.
- (٥) النحوص: الأتان الوحشية. الجحش: ولدها.

* الفاضل من كان حُرًّا في نفسه . وليس حُرًّا في نفسه مَنْ يغلبه الغضب ، أو يستسلم للأوهام والمخاوف .

ومن لم يكن حُرًّا في نفسه فإن له سمعًا ولكنه غير سميع ، وله بصر ولكنه غير بصير ، وله ذوقٌ غير أنه لا يتفجع به .

* إذا زهَدَكَ رجلٌ في طلب الحقيقة بحجة أن الحقيقة لا تُدرك كاملة ، فأنهَم هذا الرجل واحذره ، فإنه عدوٌّ لك وللحقيقة . وإنما حمّله على تزهيدك فيها أنه قد أضلّها ، وكلما شعر بضلاله كان حريصًا على استمالة غيره إلى هذه الحياة الضالة .

* يَخِيلُ إليك أن عدوك مَنْ تغضبُ عليه ، والحقُّ أن عدوك هو الغضب نفسه . فأسرع إلى مصافاة من خاصمتَ ، تخلص من عاطفة الغضب القاتلة التي ملأت نفسك .

* الصدقُ مطلوبٌ في الأمور التافهة بقدر ما هو واجب في جلائلها . وليس المهم ما يترتب على الكذب من شرٍّ ، بل المهم أن لا تلتطخ نفسك بالكذب .

* إذا اجتمعت قطراتُ الماء ملأت بئرًا ، كذلك الشرُّ تمتلئ به النفس البشرية بالتدريج . وكما ترتد إليك الورقة إذا رميتها في تيار الهواء الذي يجري نحوك ، كذلك الشرُّ يعود إلى صاحبه كلما صدر منه . وإن الشرُّ أو الغضب إذا دخل قلب المرء فلا سبيل إلى الخلاص منه سواء كان صاحبه في الجو أو في البحر أو بين الجبال أو في أي مكان من العالم . فاذكر هذا .

* النساء أسرع اكتسابًا من الرجال ، ولذا كنّ في أعصر الفضيلة خيرًا من الرجال . أما في هذا العصر الفاسد - عصر العيوب والخلاعة - فهن أسوأ منهم .



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثامن

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إضبارة أخرى من الصحف التي أجمع فيها لـ «الحديقة» ما يقع عليه الاختيار من منظوم القدماء والمحدثين ومشورهم، أضعها بين أيدي قرائي، حامدًا ربّي - جل جلاله - على ما أنعم عليّ من ارتياح أفاضلهم إلى هذا العمل، وتنويههم به، و صلى الله على نبينا محمد، وعلى مجدي دعوته، وسلم تسليمًا كثيرًا.

محب الدين الخطيب



ظلُّ البردة

الأستاذ الشيخ / محمد عبد المطلب

سار طوي اليد من نجد إلى الهرم
جفن مع النجم لم يهدأ ولم ينم
يحدو المطي لأجراع بذى سلم
ناراً تورثها الذكرى بلا ضرم
إذا تألقت ليلاً في نديهم
بها النوى بعد عهد البان والعلم
أربت على الصبر فاستمصى على الهمم
بنات آوى على الأشبال في الأجم
يسمى إلى ما أردنا سعي محتدم
يجرى القضاء بما شئنا على الأمم
على الذرى دولة خفاقة العلم
بُشراً به غرر الأجيال في القدم
نوراً له قامت الدنيا من العدم
والمجتبى رحمة للناس كلهم
من البلاء وما ذاقت من النقم
هيم من السرح أو غفل من الغنم
بكل جبل من الأهواء منجذم
من يخطئ القصد في ليل الهوى بهم

أغرى بك الشوق بعد الشيب والهرم
يا ساري الطيف يجتاب الظلام إلى
يغريه بالدمع حاد بات مرتجراً
إذا خفا البرق أذكى في جوانحه
يا برق مالك لا تحكي في جوانحه
ويا صبا روجي روجي فقد ذهبت
يا ساكني البان طال البين في غير
واستأسدت ثوب الأيام فاجترأت
لله أيامنا والدهر معتمل
لله أيام كنا والوجود لنا
إذ يرفع الله بالدين الحنيف لنا
في سورة العز والمجد الذي سلفت
مجد بناء الذي فاض الوجود به
طه أبو القاسم المبعوث من مضر
ولو تري قبله الدنيا وما لقيت
والناس ضلال قفر في مسارحها
ضلوا سواء النهى فاستمسكوا عمها
هاموا بكل سبيل في غياهبها

فأوردتهم ظلماء كل مُهتلك
تفرقوا شيئاً في الكفر وانقسموا
هذا عن الحق بالأفلاك في عمه
وذا يؤله من لا يستجيب له
قبائل وشعوب لا يعظفها
وسوقة وملوك حال بينهما
هذا على العرش مخمور بعزته
إن عبّد الروم في بُصرى قياصرها
من قال بالعقل غال السيف هامته
والجاهليون بالأحقاد في لهب
في يعرب ومعدّ كل بائقة
إن أتهموا فركاب الموت مُتَّهَمَة
جهل مبيد وفوضى عبّ زاخرها
لولا قريش سقى الله الوجود بها
قوم إذا ابتدر الناس العلا نهضوا
هم خيرة الله مذ كانوا وصفوته
أبناء فھر بنيتم في البطاح لنا
كتم نظاماً لأقوام قضا حقباً
يا موئل الناس والأيام راجفة
وعصمة الناس إن ضاق الفضاء بهم
يا مطعمي الناس إن أكدى الغمام ويا
تصوّب المجد من أعلى ذوائبكم

يشوبه الكفر بالأقذاء والوخم
شتى فباءوا بما يخزي من القسم
وذاك بالدار عن نور الجلال عمي
من ناطق بشر أو صامت صنم
إخاء صدق ولا قربي من الرحم
ما حال بين سباع الجو والنعم
يزجي أولئك في الأجناد والخدم
ففي مدائن كسرى مهلك المعجم
ومن يسم يوم عدلٍ بالردى يُسم
من العداوة والبغضاء محتدم
نسقيهم الموت في الغارات والأزم
أو أنجدوا فالردى موفٍ على التسم
والعيش بين الضنى والفتنة العمم
غوثنًا من الأمن في غيثٍ من الديم
في زاخر من تليد المجد ملتطم
وجيرة الله فازوا منه بالذمم
مجدًا تائل بين الحل والحرم
من الزمان بلا شمل ولا نظم
بأهلها وسعير البأس في حدم
فاءوا إلى ملجأ منكم ومعتصم
ريّ الحجيج إذا يوم الهجير حمي
نورًا أطل على الآفاق من شمم

مسراه في شرف الأصلاب متقلًا
 حتى أقلته في عُليا مشاركته
 من ذا الذي حملت تلك البتول ومن
 نور من الله سواء وصوره
 في الشرق والغرب آيات تطوف بها
 في ليلة لم تر الدنيا لها مثلاً
 تنفست عن سنا شمس الوجود بدا
 روح الحياتين نور القريتين إما
 لاحت مخايله تنبيك أن له
 المجد محتده والمين مولده
 يرمي النجوم بعين في قلبها
 يا أحمد الرسل ما هذا الجلال به
 ما هان باليُم لكن زاده خطرًا
 لما دعوا أحمد اهتز الحمى وبدا
 واستقبل الدهر بالنعمة مراضعه
 يا سعدُ حيّ بني سعدٍ بما صنعت
 خير المراضع من أم القرى رجعت
 فما استقرت به حتى أناخ بهم
 ما زال ينمو ويسمو في مناقبه
 فيه شمائل عبد الله تعرفها
 سمح وقور أمين صادق فطن
 شمائل قصرت عن درك أسرها

بين القبيلين من طود إلى علم
 زهراء زهرة ذات الطهر والعصم
 قامت لمقدمه الدنيا على قدم
 خلقًا وزكاه بالآداب والحكم
 رسل البشائر من شاذٍ ومرتمس
 فيما تقضى من الأجيال والأمم
 في موكب من جلال الله منتظم
 م القبلتين صفى الله في القدم
 قدرًا تفرد في السادات بالمعظم
 والحمد مورده معنى اسمه العلم
 معنى يفوت مدى الأفلاك والنجم
 جمال هذا المحيا باهر السيم
 وقد يهون بنو السادات باليتم
 لآل عبد مناف صدق جدهم
 إلى هوازن يحدو الغيث بالنعم
 فتاتهم، وانشر البشرى بحيهم
 أمّا لأكرم مكفول وملتزم
 من جوده كل جود بالندى رزم
 نماء نجيد بما شاء الجلال سمي
 عن شية الحمد عن عمرو عن الحكم
 عف قدير وصول مانع الحرام
 أهل النهى من قریش أو بني جُشم

وهمة أصغرت ما أكبرت سفها
لما أظللّ الورى إبان دعوته
أوفى على قلبه داع أهاب به
نور أضاء بقلب صاغ جوهره
قلب جرى فيه أن الله حمّله
وحوله من قريش كل معتقم
فاستوحشت بينهم نفس له أنست
مستأنسا بجلال الله يشهده
حتى تبين أعلام النبوة في
أوحى إليه كما أوحى إلى رسل
بالنور بالحق بالفرقان أرسله
هناك زلزل قوم حين قال له
فالكفر يرجف والأصنام واجمة
فاعجب لأحلامهم طاشت وكم رجحت
واعجب له كيف يدعو وحده أمّا
من كل أصيد يطوي في جوانحه
أن قام باللين يسترعي ضمائرهم
أو جاء بالآي مدوا في الخصام له
يحنو عليهم وإن صدوا يُعلمهم
وكم طفوا لم يقابلهم بما صنعوا
ومن يقدر مثله قوماً أحلهم
يدعوهم وكتاب الله آيته

تلك النفوس وكانت موطن الهمم
وثار نور الهدى بسطو على الغمم
من جانب القدس هذا نورنا فشم
من المكارم قدما بارئ النسم
عبه البرية من عُرب ومن عجم
في حماة الكفر يهوى خلف معتقم
بوحشة اليد وارتاحت إلى الوجم
في الغار بين خشوع اليد والألم
ما قد رأى ثم لم يرتب ولم بهم
من قبله بالهدى والملة القيم
الله الذي علم الإنسان بالقلم
قم منذراً وبجلل الله فاعتصم
والحق جذلان والطاغوت في سدم
على شماريخ رضوى أو على إضم
عن دعوة الحق بالأهواء في صمم
على الضلال حنايا الوالد الرخم
رأيت كل حمي بالخنا عرم
حبال ألوى على حكم الهوى خصم
رفق الولي وبر السيد الخدم
قلب تخلقى عن العدوان والأضم
منه بمنزلة الأبناء والحشم
يهدي إلى الرشد بالبرهان والحكم

يتلوه في أحرف جاء الأمين بها
 لم يبق حين تحداهم به لسن
 وإذا قضى العجز فيهم حكمه فزعوا
 إلا فريقًا جلا نور اليقين لهم
 لم يكذب الرأي أم المؤمنين بما
 ولم يفت نظر الصديق ما جمعت
 ولا أضل عليّ والصبا غدر
 ثلاثة في ميدان الهدى سبقوا
 جلّوا وصلى على آثارهم نفر
 من كل أبلج سامٍ في أرومته
 وكل أروع نجد في حفيظته
 صيد صناديد في يوم الردى صبر
 لما تمادت قريش في عداوته
 قامت يد الله تخزيهم وتنصره
 رد القضاء عليهم سوء ما مكروا
 يا طيب للغار آواه وصاحبه
 والعنكبوت لها في نصره عمل
 من يحمه الله سوى في الوفاء له
 لما نحا يثرب اهتز الحمى وبكت
 ما حل طيبة حتى حل حبوته

وحيا من الله في نظم من الكلم
 إلا تردى شعار العي واللمس
 واستجدوا بالقنا والصارم القضم
 عن ظلمة الشك بالعرفان والفهم
 تخيلت فيه من نبل ومن عظم
 فيه النبوة من آي ومن علم
 في صدق أحمد رأى الحاذق الفهم
 فأحرزوا قصب الحسنى بسبقهم
 سنوا الهدى لبني الدنيا بهديهم
 من آل فهر كبير القلب ذي شمم
 من أهل يثرب لا نكس ولا برم
 غرّ أماجيد كشافون للغمم
 وبيتوا قتله تدبير معتزم
 من ينصر الله يعصمه فيعتصم
 فلم يبوءوا بغير الخزي والندم
 وللحمام بما أسدت من الخدم
 عن درك آياته جفن الضلال عمي^(١)
 بين الجماد وبين الناس والبهم
 ورق الرُبى لبكاء البيت والحرم
 للسيف يدعو بأمر الله والقلم

(١) قصة الحمام والعنكبوت لم تثبت. انظر: السلسلة الضعيفة؛ للالباني (١١٢٨).

تأذن الله أن تغشى كتائبه
 وقام أهل المصلى والعقيق على
 وشيئت البيضُ واهتز الحجاز لها
 والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا
 ومعشرًا سلموا لله أنفسهم
 لله ما أرخصوا من أنفس ذهبت
 ألقوا على الدهر من أيامهم عبرًا
 سل نسج داود إذ هم يخطرون به
 وسل شبا البيض كم شبا بها لهبًا
 في الله ما جردوا منها وما غمدوا
 والخيل تعلم كم دكت سناكبها
 لله يوم ببدر جر أيومه
 يوم قضى الحق لا يوم جرى سفها
 يوم بني الله أركان الحنيف به
 صفت سماء الليالي منذ ليلته
 يا قائد الجيش يسمي تحت رايته
 إن كان جبريل من أركان حربك في
 في آلك العز مذ كانوا وهم بشرًا

منازل الشرك في نجد وفي تهم
 نصر النبي بعهد غير منفصم
 واستنت الخيل من شوق إلى اللجم
 فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
 تبينوا الريح في بيع وفي سلم
 في الله غالية الأقدار والقيم
 وساوروا الموت فاستخذى لبأسهم
 في كل مصطرخ عال ومصطدم
 على الطواغيت في أيامها الدهم
 في الله ما سفكوا من أنفس محتكم
 مما بنى الكفر من دار ومن أجم
 على العدا كل ماضٍ بالردى خذم
 بالأنعمين ولا يومٌ بذى حسم
 على دعائم عز غير منهدم
 على الأنام فلم تظلم ولم تغم
 من عسكر الله جند غير منهزم
 بدر فحمزة والكرار في الحشم
 ما في الملائك من أيد ومن كرم



حقائق

* خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو، والجبن، والبخل.

علي بن أبي طالب عليه السلام

* إنما ينشئ الصحيفة قراؤها لا كتابها.

جرار دين

* كثرة الكلام تذهب بجوهر الأفكار، وما تبرح تحول ذهبها إلى دراهم زائفة حتى يظهر صاحبها فقيرًا.

كارمن سيلفا (ملكة رومانيا)



الاعتدال والبساطة

قال شارل وانير:

«من شاء أن يربي أبنائه على مبادئ الحرية فلينفث فيهم من روح الاعتدال والبساطة، ولا يخش تأثير ذلك في السعادة، فإن الاعتدال من أسباب الحصول عليها، لا من الوسائل المؤدية إلى الشقاء والنكد».



الإمام

أيبدأ الأدب في عصرنا أم ينتهي؟ وهل تراه يعلو أم ينزل، ويستجمع أم ينفصّ؟ وهل هو من قديمه الصريح بعيد من بعيد، أم قريب من قريب، أم في مكان سواء بينهما، أم ذهب يستحدث ويخترع على ما يصرفه أهله حتى يؤرخ بهم، فيقال أدب فلان وطريقة فلان ومذهب فلان، إذ لا يجرى الأمر فيما علا وتوسط ونزل إلا على إبداع غير تقليد، وتقليد غير اتباع، واتباع غير تسليم، فتصيب الرأي في طبقة طبقة إلى ما يعلو، كما تراه في طبقة طبقة إلى ما ينزل، حتى ليس في كل كلام إلا المتكلم، وحتى يكون الإنسان الجالس في الكتاب هو كاتبه، كما أن الحي الجالس في كل حي هو مجموعته العصبي، فيخرج ضرب من الآداب كأنه نوع من التحول في الوجود الإنساني يرجع بالحياء إلى ذرات معانيها، ثم يرسم هذه المعاني مثل ما أبدعت ذرات الخليقة في تركيب من تركيب، حتى لا يكون للأديب تعريف إلا أنه المقلد الإلهي!

هذه معاني لو ذهبنا فصلها لا قتمت تاريخاً طويلاً أمر فيه بعظام مبعثرة في ثيابها لا في قبورها ولكني موجزٌ فمقتصر على معنى هو جمهور هذه الأطراف كلها وإليه وحده يرجع ما نحن فيه من التعادي بين الأذواق والإسفاف بمنازع الرأي والخلط والاضطراب في كل ذلك، حتى أصبح أمر الأدب على أقبحه في قوم يرونه على أحسنه؛ وقيل في الأسلوب أسلوبٌ تلغرافي. وفي الفصاحة فصاحة مطبعية. وفي اللغة لغة الجرائد. وفي الشعر شعر المقالة، ونجمت الناجمة من كل علة ويزين لهم أنها القوة قد استحسنت واشتدت، ثم نازع الأدب العربي إلى سخرة التقليد، والى أن يكون لصيقاً دعياً في آداب الأمم، واستهلكه التضييع وسوء النظر له، على حين يؤتى لهم أن كل ذلك من حفظه وصيانتته وحس الصنيع فيه ومن توفير المادة عليه.

أين تصيب العلة إذا التمسيتها من حيث تعتري؟! أفي الأدب من لغته وأساليب لغته ومعانيه وأغراض معانيه؟ أم في القائمين عليه في مذاهبهم ومناحيهم وما يتفق من أسبابهم وجواذبهم؟ إن تقل في اللغة والأساليب والمعاني والأغراض، فهذه كلها تصير إلى حيث يراد بها، وتتقلد البلية من كل من يعمل فيها، ولا يتخلع معها شيء عن طاعة، ولا يمتنع ولا يتدافع، وقد استوعبت واتسعت ومادت العصور الكثيرة إلى عهدنا فلم تؤت من ضيق ولا جمود ولا ضعف، ثم هي مادة ولا عليها ممن لا يحسن أن يضع يده منها حيث يملأ كفه أو حيث تقع على حاجته. وإن قلت إن العلة في الأدباء ومذاهبهم ومناحيهم ودواعيهم وأسبابهم، سألتك: ولم قصرُوا عن الغاية؟ ولم وقعُوا بالخلاف؟ وكيف ذهبوا عن المصلحة؟ وكيف اعتقمت الخواطر وفسدت الأذواق مع قيام الأدب الصحيح في كتبه مقام أمة من أهله أعرابًا وفصحاء وكتابًا وشعراء وقبائل أخرى؟ ومع انفساح الأفق العقلي في هذا الدهر واجتماعه من أطرافه لمن شاء، حتى لتجد عقول القارات الخمس تحتقب في حقبة من الكتب أو تصندق^(١) في صندوق من الأسفار، وأصبح الهواء الفكري في هذه الإنسانية يأخذ منه كل من كانت له «رئة مترجمة»، كما يأخذ من الهواء ونور الشمس.

كيف ذهب الأدباء في هذه العربية نشرًا متبدين تعلو بهم الدائرة وتهبط، فكلُّ أعلى وكلُّ أسفل، هذا فلان مثلاً قد أحاط بالشعر عرييه وغرييه، وهو ينظمه وَيَقْتَنُ في أغراضه ويولد ويسرق ويسلخ وينسخ ويمسخ..... وقد ملأه أنه شاعر وأنه ملء جريدة يومية، بل هو عند نفسه الشاعر الذي فقدته كل أمة من تاريخها..... ووقع في تاريخ العربية وحدها ابتلاءً ومحنة إذ كانت تظهره الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية في زعمه، فأظهرت العربية هذا

(١) وضعناها على قياس «تحتقب».

النجم.....مظهر حصاة ملقاة بين الحصى، ويطيع الرجل ديوانه ويقع إليّ هذا الديوان فأنظر فإذا هو قد فتر وقصر ومرّض، وأكاد أقول وموت.....وإذا شعرتُ كأنما تتوهم من قراءته تقطيع ثيابك.....إذ تجاذب نفسك لتفر منه فرارًا، وإذا أكثر الكلام كأنه لم تنشق به الشفتان، بل خرج غمغمة مصورة، وإذا جملة الأمر في دعوى الشاعر وعمله أنه يرتفع إلى أقصى السماوات على جناحي ذبابة.....

أين يكون الزمام على مثل هذا ليعرف ما هو فيه كما هو فيه؟ وليضبط رأيه وهواجسه، وليعلم أن حسابه عند الناس لا عند نفسه: فواحدته عندهم واحدة وإن توهمها مائة، وليستيقن أن مهندسًا يخطط المدن فوق السحاب التي تمر بالأفق لا يجد لها سكانًا إلا من الأبخرة.....فمتى قال الناس غلط فقد غلط، ومتى قالوا سخيّف فهو سخيّف، ولكنك تجده بابًا واحدًا لفساد ذوقه وضعف مذهبه، ومتى كانت هذه طبيعته وطبيعة أمثاله، فليس بينهم وبين الناس إلا العناد والمكابرة، وخطوهم خطأ أبدًا بلا صواب، وغلطهم غلط بلا تحقيق، وكأنهم مسخرون بالجبرية على قانون من التدمير والتخريب فليس إلا طبيعة، عمياء لا بصر لها، باغية لا إنصاف معها، نافرة لا مساغ إليها، متهمة لا ثقة بها، ويتحول كل شيء فيها إلى أثر منها كما يتحول من ماء الشجر في العود الرطب المشتعل إلى دخان أسود، من ذلك فشت هذه الفاشية، ومن ذلك ما بيننا اليوم من هذا الصنف من الأدباء والشعراء والكتاب الذين انتقلت طبائعهم أو زاغت بصائرهم، فما دخلت المحنة على عقولهم من أنه لا زمام عليها، وفي العمى تتساوى الجهات كلها، فيكذب الأعمى وإن كان يحمل على كذبه شهادتين من يمينه وشماله.

يرجع هذا الخلط كله في رأيي إلى سبب واحد: هو خلو العصر من «إمام» يكون ملء الدهر في حكمته وعقله ورأيه ولسانه ومناقبه وشمائله، فإن هذا الإمام يخص دائماً بالإرادة التي ليس لها إلا النصر والغلبة، والتي تعطى القوة على قتل الصغائر والفساسف، وهو إذا أُلقي في الميزان عند اختلاف الرأي وضع فيه بالجمهور الكبير من أنصاره والمعجبين بآدابه والسواد الغالب من كل الفاعليات المحبطة به والمنجذبة إليه، ومن ثم تنهياً قوة الترجيح ويتعين اليقين والشك، والميزان اليوم فارغ من هذه القوة، كأنه خارج على قانون الجاذبية فلا يُرجح ولا يعين.

ومكانة الإمام تحد الأمكنة، ومقداره يزن المقادير، فيكون هو المنطق الإنساني في أكثر الخلاف الإنساني. تقوم به الحجة فتلزم وإن أنكرها المنكر، وتمضى وإن عاند فيها، ويؤخذ بها وإن أصر، لأن بالإجماع على القياس بين التطرف في الزيادة أو التقصير، والإجماع إذا ضرب ضرب المعصية بالطاعة، والزيغ بالاستقامة، والعناد بالتسليم، فيخرج من يخرج وعليه وسْمُه، ويزيغ من يزيغ وفيه صفته، ويصر المكابر واسمه المكابر ليس غير، وإن هو تكذَّب وتناول.

ولكل القواعد شواذ، ولكن القاعدة هي إمام بابها، فما من شاذ يحسب نفسه منطلقاً مخلى إلا هو محدود بها مردود إليها، متصل من أوسع جهاته بأضيق جهاتها، حتى ما يعرف أنه شاذ إلا بما تعرف به أنها قاعدة، فيكون شأنه في نفسه بما تعين هي له على مكرهته ومحبته.

والإمام ينبث في آداب عصره فكراً ورأياً، ويزيد فيها قوة وإبداعاً، ويزين ماضيها بأنه في نهايته، ومستقبلها بأنه في بدايته، فيكون كالتعديل بين الأزمنة من جهة، والانتقال فيها من جهة أخرى، لأن هذا الإمام إنما يختار لإظهار قوة

الوجود الإنساني من بعض وجوها وإثبات شمولها وإحاطتها، كأنه آية من آيات الجنس يأنس الجنس فيها إلى كماله البعيد، ويتلقى منه حكم التمام على النقص وحكم القوة على الضعف وحكم المأمول على الواقع، ويجد فيه قومه الاستطالة التي لا يُعار عندها مبطل بعناد، والحقيقة التي لا يكابر فيها متنتع بتأويل، والصاخّة التي لا يروغ منها متعسف بحيلة، ولن يضل الناس في حق عرفوا حده، فإن ما وراء الحد هو التعدي، ولن يخطئوا في حكم أصابوا وجهه، فإن ما عدا الوجه هو الخلاف والمرء.

وقد طُبع الناس في باب القدوة على غريزة لا تتحول، فما انفرد كان هو القدوة، وما غلب كان هو السُّمت، ولا بد لهم ممن يقتاسون به ويتوازنون فيه حتى يستقيموا على مرآشدهم ومصالحهم، فالإمام كأنه ميزان من عقل، فهو يتسلط في الحكم على الناقص، والوافي من كل ما هو لسيله، ثم لا خلاف عليه إذ كانت فيه أوزان القوى وزنًا بعد وزن، وكانت به منازل أحوالها منزلة منزلة.

هو إنسان تتخيره بعض المعاني السامية لتظهر فيه بأسلوب عملي، فيكون في قومه ضربًا من التربية والتعليم بقاعدة منتزعة من مثالها مشروحة بهذا المثال نفسه، فإليه يرد الأمر في ذلك وبتلوه يُتلى وعلى سبيله يُنهج، فما من شيء يتصل بالفن الذي هو إمام فيه إلا كان فيه شيء منه، وهو من ثم متصل بقوى النفوس كأنه هداية فيها، لأنه بفنه حكم عليها، فيكون قوة وتنبهًا وتسهيلًا وإيضاحًا وإبلاغًا وهداية وحدًا، ويكون رجلًا وإنه لمعانٍ كثيرة، ويكون في نفسه وإنه لفي الأنفس كلها، ويعطى من الإجلال ما يكون به اسمه، كأنه خُلِقَ من الحب طريقه على العقل لا على القلب.

ولعل ذلك هو حكمة إقامة الخليفة في الإسلام ووجوبها على المسلمين، فلا بد على هذه الأرض من ضوء في لحم ودم، وبعض معاني (الخليفة)

كبعض معاني (الشهيد المجهول) في الأمم المحاربة المتتصرة المتمدنة: رمز التقديس، ومعنى المفاداة، وصمت يتكلم، ومكان يوحى، وقوة تستمد، وانفراد يجمع، وحكم الوطنية على أهلها بأحكام كثيرة آخرها الموت، بل الحرب مخبوءة في حفرة، والنصر مغطى بقبر، بل المجهول الذي فيه كل ما ينبغي أن يُعلم.

ألا ترى العدل الإلهي يقضي أحياناً بنكبة بعض الملوك وإفقار بعض كبار الأغنياء؛ ليندسوا بين السوق، فيكونوا خلفاء الشرف العالي والأخلاق الكريمة، وينزلوا بهما إلى العامة في مثال تعليمي يصدع ما لا تصدع الكتب، ويبلغ ما لا تبلغ المواعظ، ويضيء ما لا يضيء ملك الوحي نفسه؟^(١)

إن هذا العصر ينقصه الإمام، ولعمري ما نشأ قولهم (الجديد والقديم) إلا لأن هاهنا موضعاً خالياً، يظهر خلاؤه مكان الفصل بين الناحيتين ويجعل جهة تنحاز من جهة...

فليت شعري متى ينبغ الإمام الجديد فتفصل الكلمة الفاصلة، وتترادف لها أدلة الحقيقة، وتتظاهر عليها برهانات الحكمة، ونشهد بأعيننا هذا الإنسان الأرضي السماوي المكتنف من عقله ونفسه وآثاره بمخلوقات الأحلام الغريبة، التي لا يقوى على إنزالها إلى أهل الأرض إلا من تكون فيهم قوة الملائكة؟

مصطفى صادق الرافعي



(١) هذا من الغلو. (س).

الصابر العظيم

الأشقياء في الدنيا كثير، وأعظمهم شقاء ذلك الحزين الصابر الذي قضت عليه ضرورة من ضرورات الحياة أن يهبط بآلامه وأحزانه إلى قرارة نفسه فيودعها هناك، ثم يُغلق دونها بابًا من الصمت والكتمان، ثم يصعد إلى الناس باش الوجه، باسم الثغر، منطلقًا متهللاً، كأنه لا يحمل بين جنبيه همًا ولا كمدًا.

مصطفى لطفي المنفلوطي



من كلمات سهل بن هارون

- * القلم لسان الضمير: إذا رعف أغلق أسرار، وأبان آثاره.
- * الصديق لا يُحاسب، والعدو لا يُحتسب له.
- * تعلموا العلم، فلأن يُذم الزمان لكم، خيرٌ من أن يُذم بكم!
- * العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.
- * التهنئة بأجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة.
- * من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرج منه.
- * العفو الذي يقوم مقام العتق ما سلم من تعداد السقطات، وخلص من تذكّار الزلات.

العلم والعقل

إن الإسلام دين علم وعقل قبل كل شيء: فهو قبل أن يُكلف أتباعه تحصيل أي غرض من أغراض الدنيا يُكلفهم بأن يكونوا عقلاء صحيحي الفهم ثاقبي الفكر جيدي البصيرة، يتدبرون الأمور قبل الشروع فيها، ويقلبون وجوه الرأي في مواردها ومصادرها، ومبادئها ومصايرها. فلا تقع إلا على مقتضي الحق والعدل والمصلحة والواجب، كما يُكلفهم أن يكونوا علماء عارفين بأسباب المصالح، وطرق المنافع، واقفين على الحقائق الكونية، ملمين بتفاصيل التجارب العلمية التي اهتدى إليها البشر في سابق أدوارهم، ومختلف أطوارهم مما يتعلق بتصحيح العقائد والعبادات والمعاملات، وترقية شأن الصناعات والتجارات، وتحسين سائر مقومات الحياة.

فالقرآن لما دعا الناس إلى الإسلام، وكلفهم قبول تعليمه وهدايته كان يقيم (العقل) حكماً بينه وبينهم، ويعجب من انصرافهم عنه، وإهمالهم له، وترك الاستضاءة بنوره، فكان يقول وهو يحاجهم: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿فَاعْتَرِضُوا يَكُونُ الْأَبْصَرُ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

و(الأبصار والألباب) العقول، وقد تكرر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في القرآن بضع عشرة مرة في صدد التوبيخ والتعجيب، وكفى بهذا مزية ومنقبة للعقل مذ جعل للدين أصلاً، ولمصالح الدنيا عماداً، وورد في الحديث الشريف: «ما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله»^(١)، «دين المرء عقله ومن لا عقل له لا دين له»^(٢).

(١) ضعيف الجامع (٣٠٧٢).

(٢) ضعيف الجامع (٢٩٩٤).

وإنما حرم الخمر في الإسلام خشية أن يسطو على العقل فيفسده أو يضعفه،
والعقل ملاك سعادة الإنسان، وقوام حياته.

أما العلم فالقرآن رفع من شأنه ونوه بمنزلته بما لم يسبقه إليه سابق من الكتب
السمائية، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

بل إذا تدبرنا أول آيات القرآن نزولاً وجدناها تحض على العلم، وترفع من
مكانة العلم. وهى قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾، ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا
يَسْطُرُونَ﴾ فقد نوه في الآيتين بشأن القلم والكتابة، والعلم والتعلم هذا الشأن من
شؤون الحياة ومصالح الدنيا هو أول ما فاجأ به القرآن البشر المخاطبين، وأوقعه
في أذهانهم.

أفلا يكون معنى ذلك أن الإسلام دين علم، وأنه لا يرضى للمتسبين إليه إلا
العلم، ولا نظن أن كلمة من كلمات القرآن -عدا كلمة (الله)- تكررت فيه بقدر ما
تكررت فيه كلمة (العلم)، فالإسلام إذاً هو (دين العلم) كما أنه (دين التوحيد).
ولما أراد الله أن يلقي نبيه ﷺ دعاء يدعو به لقنه أن يطلب في دعائه المزيد
من العلم مذ قال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وورد في الحديث الشريف: «العلم
حياة الإسلام وعماد الدين»^(١).

والعلم إذا أطلق في لسان الشرع كان المراد به العلم النافع الموصول إلى
سعادتي الدنيا والآخرة: ذلك العلم الذي يتعلق بمصالح البشر مباشرة، وله
الأثر البين والنفع الظاهر في إتقان تلك المصالح، وإحكام أمرها، وتوثيق
عراها، أما العلوم المبنية على الوهم والتدجيل فإن الشارع لا يقيم لها وزناً.

(١) ضعيف الجامع (٣٨٧٢).

وكذلك حض الشارع على فهم مسائل العلم فهمًا صحيحًا، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كونوا للعلم وعاء، ولا تكونوا له رواة»، أي: لا تعتمدوا في العلم على مجرد الرواية والنقل من دون أن تعوه وتحفظوه وتدبروه، لتعرفوا طريق المصلحة والمنفعة منه.

والعلم لا ينمو في نفس صاحبه إلا بالعمل والممارسة والتطبيق: فإن العمل بالعلم على هذه الصورة يزيده ثباتًا ورسوخًا، ويؤدي إلى انكشاف أمور من ذلك العلم كانت مجهولة، وانفتاح أبواب إلى غوامض وأسراره كانت مسدودة، وهذا الأصل في العلم مما قرره الإسلام أيضًا في جملة ما قرر من الأحكام، فقال ﷺ: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»^(١).

فالعامل بالعلم يتسبب عنه - بتيسير الله - علم جديد، ومعرفة غضة لم تكن حاصلة من قبل، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع)، ووعاء العلم هو العقل: ولا جرم أن العقل يتسع وينمو كلما مد بالعلم وغذي بمسائله، ومن كلام جعفر الصادق عليه السلام: (يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)، والمسلمون في زمن سلفهم الصالح كانوا على غير ما هم عليه اليوم من أمر العلم والتعلم وحب الاستطلاع، والحرص على تعرف الحقائق من غير لبس، والجهر بها من دون ما خشية: فلم يكن أحد من الصحابة ولا التابعين يقبل من آخر علمًا إلا إذا عقله وتدبره وفهم السرفه، ووجه المصلحة المتأنية عنه، ويقول لراوي: انظر يا هذا ماذا تقول؟! وخف الله واحذر فيما تروي من النقول، أما في هذه العصور المتأخرة فقد اختلط الحابل بالنابل، واجترأ الراوي والناقل، وتراكت على العقول الأبحاث والمسائل،

(١) قال الشوكاني: «رواه أبو نعيم وهو ضعيف»، (الفوائد المجموعة، ص ٢٥٨).

وصار من مقتضى الورع أن يُدعن المسلم لكل ما تنقله الرواة، وتتداوله الأفواه، وإن صادم أحيانا أصلاً من أصول الإسلام، ولم يقم عليه دليل ولا برهان، وهذه الفوضى العلمية التي خالفنا فيها سلفنا الصالح هي من أكبر أسباب انحطاطنا عنهم، وانخزالنا عن مثل مواقفهم، وفقدنا ما كان لهم من عز ووصولة وملك ودولة، حتى صدق علينا مضمون الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقْوِمُ حَتَّىٰ يَبْدُرَ مَا يَنْقُصُهُمْ﴾.

ذكر السيد (أمير علي) الهندي في كتابه «تاريخ الإسلام» أنه كان يُكتب على مدخل كل مدرسة في الأندلس هذه العبارة: (الدنيا تستند على أربعة أركان: علم الأفاضل، وعدل الأكابر، ودعاء الصالحين، وجلال الشجعان)، وكما حذر الشارع من العلم الوهمي الذي لا ينفع حذر من دعائه وحملته، ونبه الناس إلى غوائلهم، ومغبة الانخداع بهم، فقال ﷺ: «ويل لأمتي من علماء السوء»^(١).

وعلماء السوء أنواع: الذين يحللون الحرام ويحرمون الحلال، أو يتخذون العلم حباله لحظوظهم ومنافعهم الخسيسة أو وسيلة للإضرار بالناس، أو يتعلمون من العلوم أوهاماً ينافحون دونها ليستفيدوا من ورائها جاهاً أو حطاماً: وغير هؤلاء ممن اتخذ العلم آلة شر وضر وإفساد، هؤلاء علماء السوء نعوذ بالله من شؤمهم، أما علماء الحق الذين قال فيهم ﷺ: «أكرموا العلماء: فإنهم ورثة الأنبياء»^(٢)، «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء»^(٣)، «إن مثل العلماء في

(١) السلسلة الضعيفة؛ للالباني (٥٢٣٥).

(٢) ضعيف الجامع (١١٢٩).

(٣) ضعيف الجامع (٣٨٨٨).

الأرض كمثل النجوم في السماء: يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انظمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»^(١)، «خَيْرُ سليمان بين المال والملك والعلم، فاختر العلم، فأعطي الملك والمال لاختياره العلم»^(٢)، «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد»^(٣)، «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»^(٤)..

الشيخ عبد القادر المغربي



بطل الغار الأمير عز الدين الجزائري

عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحية
ثمن المجد دماه أهرقت منكم زكبه



ربض الليث انتظارًا لهجوم وقتال
حوله أسدٌ شباب لا يخافون النزال
ذاك عز الدين فانظر حيثما صال وجال
ودنا الموت إليه وهو لا يخشي النبال



(١) ضعيف الجامع (١٩٧٣).

(٢) ضعيف الجامع (٢٩٣٣).

(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٢٨٦).

(٤) ضعيف الجامع (٦٤٤٧).

ومضى يفتك بال أعداء فتكًا بحميه
عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحيه



صرع الأعداء لما أقبلوا مثل الذئاب
ارجعوا فالموت باب ما وراء الموت باب
ورمى القائد بالسهم فأصمى وأصاب
وهو الشركس لكن مثلما تقضي الكلاب



أين موت الحر من ميتة نفس شركسيه
عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحيه



ضحك الخالد لما بات مهوى للأسنه
لقي الموت بنفسٍ للمنايا مطمئنه
ووراء الموت للأب طال ربحان وجنه
يا حفيد الليث نم أحييت للآباء سُنه



أنت في كل فؤاد أنت في الخلد العليه
عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحيه



ليه يا زين شباب الشام فديتَ الوطن
أنت إن لم تنصر الشام ومن فيها فمن؟
أنت باق خالد الذكرى على طول الزمن
حن للمجد فباع الروح للمجد ثمن

أيها الشائر نم تحت الظلال السندسيه



عصبة الفار سلامًا وعلى الفار التحيه

ثمن المجد دماه أهرقت منكم زكيه

محمود رمزي نظيم



التبشير

أفي كل مصر لكم مستشار

وما بشر القس والجائليق

فريز وجامعة، كل ذا

إذا مُحصت بان أن لم تقم

وكنا نمر بها قبل أن

فنبكى الحياة لدى بابها

يراقبنا وعبون نجس

إلا بكم، لا بروح القدس

معاهد شيدت لتبشيرنا

لإحيائنا، بل لتدميرنا

تحل الدمار بجيرانها

ونندبها بين جدرانها

محمد على الحوماني



أثر النفوذ الإسلامي في أوروبا

مدام ديفونشير من أكثر المستشرقين المقيمين في مصر اطلاعًا على تاريخ الإسلام، وأوسعهم علمًا بما خلف العرب من الآثار.

فقد شاهدت الآثار العربية في القاهرة، فلم تترك مسجدًا أو قصرًا أثرًا إلا

وقفت على تاريخه، حتى أصبحت فيما تكتب عن الشؤون المصرية من الثقات الذين يُعتد بآرائهم ويقام لأقوالهم وزن.

وقد ألفت مدام ديفونشير في دار الجمعية الجغرافية الملكية محاضرة نفيسة تكلمت فيها على (أثر النفوذ الإسلامي في الفن الأوربي)، وذكرت مشاهداتها التي قامت بها في أنحاء أوربا، وسأقت كثيراً من الأدلة والبراهين العلمية التي تؤيد صحة آرائها.

ومما ذكرته المحاضرة الفاضلة: أنه لا يكاد يخلو بلد في أسبانيا أو صقلية أو إيطاليا الجنوبية أو أوربا الوسطى، حتى اسكندنافيا من أثر للفن العربي.

ثم قالت إنها طالما رأت -في رحلاتها العديدة في أوربا- ما أثار في نفسها ذكريات الشرق، وعادت مدام ديفونشير بذكرياتها إلى الماضي، فذكرت أن جاليات شرقية قد سكنت مدناً مختلفة في إيطاليا، وأنه كان من أثر ذلك، ومن أثر التبادل التجاري بين أوربا والشرق أن دخلت الأنسجة الشرقية في أسواق أوربا.

وانتقلت مدام ديفونشير من ذلك إلى أن قالت: ولا نزال حتى اليوم نشاهد آثار الصناعات المسلمين الذين نزحوا في عهد العباسيين إلى جنوب فرنسا ومنها إلى بلاد الشمال، فإن البيئات الصناعية الأوربية في ذلك العهد قد أخذت عن أولئك الصناعات طريقتهم في نسج الأقمشة الجميلة، وقد بلغ من انطباع الصناعة الأوربية بالفن الإسلامي أنه لم يعد أحد في ذلك الحين بفرق بينهما.

فالنسيج المعروف حتى اليوم بالموسلين لم يأت إلا من (الموصل)، وهذا القماش الإيطالي المسمى (بالداكو) يدل معناه على كلمة الخدر أو المظلة، أما القماش الذي يسميه الإنجليز (دينيتي) فأصله من مدينة (دمياط).

لا ، بل إن الهدايا والمنسوجات الحريرية الثمينة التي كانت تُهدى إلى ملوك الغرب قد اتخذها الصُّناع الأوروبيون نماذج لهم في صنع الأنسجة .
ولا ننسى أن ملوك صقلية قد أنشأوا معهدًا خاصًا لتقليد الحروف الكوفية ، دون أن يفقهوا لها معنى ، وهنا تكلمت مدام ديفونشير على نماذج كثيرة شاهدها في أسبانيا وإيطاليا ، ثم قالت : وثمة أمر آخر لا يصح إغفاله هو أن صورة النسر ذي الرأسين - وهو الذي لا يزال شعار (تيتونيا) ، إنما هي رمز آسيوي اتخذته السلاطين والأمراء الذين حكموا ديار بكر شعارًا لهم فيما مضى من الزمن ، وكان أيضًا شعارًا للمماليك المصريين .



الواجب في مدح محمد ﷺ

شمسٌ تدل على سناه الأنور	بزغت؛ ولكن من جبين محمد
في يوم مولده العظيم الأكبر	فتهللت بشرًا ملائكة السما
من كل سامٍ في الورى وموقر	أحمدٌ، ولأنت أرفع رتبة
أنى أعود بصفقة المتحير	إنى لأعجز عن مديحك عالمًا
كلُ النجوم وسال ذوب المرمر	أطلعت شمسك فاخفت وتضاءلت
فياضة، وبهرت كل مفكر	وملأت أفئدة الخصوم بحكمة
تجلو مضاربة ضباب العثير	وشققت جلابب الظلام بصارم
بين الجحافل في العجاج الأكبر	وبذلك نفسك للصوارم والقنا
أزرت بسابقة العتاق الضمر	نفس بشامخة النجوم وهمة



أنت النبي الفذ ذو التبيان من قد حاط شرعته بحد الأبتَرِ
فرقانه كالشمس تسطع في الضُحى وحديثه كضياء بدر مُقَمِّرِ
أقواله تهدي (الرشد) إلى التقى وبنانه يزري براحة (جعفرِ)
ذو طلعة ردت ظلام زمانه صبحًا يزين ظلام ماضي الأعصرِ
لو شئتُ نظم فرائد من نثره أعيت وضاق بها مداد الأنجرِ
صلى عليه الله ما شق الدجى بدر وعاد قلامه من خنصرِ



وإليكم أرسلت نفثة شاعر قعد السقام به وهذي أسطري
أقضي بها حق الوفاء لأمة سمت السماك بفضلها والمُشتري

بلودان (الشام) / إلياس فاعور



أمانى المقامر

لو كان المقامر يحزن على مقدار ما أضاعه دون المقادير الوافرة التي قامر
عليها، وكان يرجو أن يفوز بها، لما عاد امرؤ قط إلى المقامرة بعد الخسارة
الأولى.

مصطفى صادق الرافعي



محرم العالم - رأي عالم غربي

نظم الدكتور «تيسن» أستاذ الديانة المسيحية في جامعة (برمنكهام) شعرًا يمدح فيه سيدنا محمدًا ﷺ وقد ترجمته صحيفة (الجامعة العربية) الغراء فيما يلي :

يا ابن مكة، ويا نسل الأكرمين!	يا معيد مجد الآباء والأجداد
يا مخلص العالم من ذلة العبودية!	إن العالم ليفتخر بك
ويشكر الله على تلك المنحة العزيزة	بل ويقدر لك مجهوداتك كلها
يا نسل الخليل لإبراهيم	يا من منحت السلام للعالم
ووفقت بين قلوب البشر	وجعلت الإخلاص شعارك
يا من قلت في شريعتك :	

(إنما الأعمال بالنيات) لك منا الشكر الجزيل؟



مفخرة الشبان المسلمين

ألقى الشاعر المطبوع أبو الوفاء الأستاذ محمود رمزي نظيم قصيدة في نادي (جمعية الشبان المسلمين) بالإسكندرية ختمها بالآيات الآتية :

وما حرر الأفكار إلا محمد	فعودوا إلى تعليمه وتعلموا
محمد يدعوكم لنصرة دينه	فإن تقعدوا عن نصره الدين تندموا
وان تنصروا الدين الحنيف نصرتهم	وان تخذلوا الدين الحنيف خُذلتهم
لعلي أرى منكم شبابًا مجاهدًا	يناضل عن أخلاقنا ويقاوم

ولياكم أن تسمعوا قول ملحد يوسوس، أو شيطانه يتكلم
 أولئك إبليس تولى أمورهم دعوه على البابهم يتحكم
 نعم! إن روح الدين فيكم أصيلة ولكنها مطموسة تنالم
 وجمعية الشبان أنتم، وحسبكم من الفخر أن الدين فيكم يُكرم
 لنا أمل فيكم وأنتم رجاؤنا وهذا صراط مستقيم - تقدموا
 وإن فاح ذكر للنبي محمد فصلوا على ذات النبي وسلموا



المبشرون في الشرق

زار البلاد المصرية ثم البلاد السورية في سنة ١٨٩٤م شاب إنكليزي مهذب اسمه مارماديوك بيكثول، فلبث في سوريا وفلسطين إلى سنة ١٨٩٦م، ولم ينزل في فنادقهما ويتلقف أخبارهما من جاهليهما، بل دخل في صميمها ووقف على حقائقهما، بخلاف ما يفعله العدد الأكبر من بني جلدته، وكان من نتيجة هذه الرحلة أنه كتب فيها كتابًا عنوانه «الوقائع الشرقية»، فلسطين وسوريا سنة (١٨٩٤ - ١٨٩٦م)، وطبعه في نيويورك في ٢٧٧ صفحة، وقد قارن فيه بين حياة الشرقيين وحياة الغربيين، وأصدر حكمه عن اقتناع بأن السعادة موجودة في تلك الديار الشرقية التي شغف بها حبًا.

اطلع الأديب المشهور الأستاذ (ميخائيل نعيمة) على هذا الكتاب الإنكليزي فشرع في نفسه بدافع يدفعه إلى أن يقول كلمة حق يُرسلها بين الناطقين بالضاد، فكتب مقالة في جريدة (السائح) التي تُطبع في نيويورك، رأينا أن لا يفوتنا إطلاع قرائنا عليها، قال:

(لقد عرفت سوريا غزاة كثيرين، فلم يكن من شنار عليها -وهي الضعيفة- أن

ترضخ لقوة فوق قوتها، إلا أنها منذ أواسط القرن الماضي أخذت تشهد غزاة ما ألفت مثلهم من قبل: غزاة جاءوها لا يملكوا جسمها، بل ليقتنصوا روحها! فقد شنوا عليها الغارة بالتوراة والإنجيل والريالات والعقاقير، لا بآلات التخريب والتدمير، فكانوا أشد ضربة عليها من كل من سبقهم.....

افتتح هؤلاء الغزاة سوريا باسم الدين، وحلو فيها كمساعدين ومعلمين، ولكي نقبلهم كمعلمين كان عليهم قبل كل شيء -من الجهة الواحدة- أن يشتبوا لها أنهم أوفر منها معرفة وأرقى مدنية، وأغنى أدبًا، وأجمل روحًا، ومن الجهة الأخرى أن يبينوا للذين أرسلوهم أن سوريا في أمس الحاجة إليهم، وأن الأموال التي يتبرعون بها إنما تنفق في سبيل أقدس الغايات، وهل أقدس من أن ينهضوا بأمة كاملة من الهلاك إلى الخلاص؟!...

فكان من ذلك أن المبشرين زينوا مدينتهم للسوريين كما لو أنها صفوة الكمال، فحملوهم على احتقار مدينتهم واحتقار أنفسهم، ومن ثم فقد صوروهم -للغرباء الذين أرسلوهم- في حالة تقارب الهمجية: فمسلّمهم جاهل متعصب سفاك غدار، ونصرانيهم وثني يعبد صور القديسين ولا يعرف المسيح، وكلهم كذبة خداعون لا يؤمن جانبهم ولا يقترب من مساكنهم لكثرة قذارتهم...

لنذكر أن المبشرين أصناف، وأنتك -حتى بين المبشرين- قد تسمع بواحد أو أكثر ممن لا تنطبق عليهم هذه الصفات، فقد قرأت كتابًا لمبشر أمريكي يقول في سوريا وأهلها ما لا يكاد يقوله حبيب في حبيبه، غير أن هذا من النوادر التي لا يقاس عليها، كما أن الكتاب الذي نحن في صددده من الفلتات التي تفاجئك، فتكاد لا تسحب ناظريك حين تراها!

وهل تصدق أن سليل أسرة إنكليزية يقابل بين سوري وإنكليزي، فيرى السوري أرقى روحًا، وأصدق قلبًا، وأجمل حياة من الإنكليزي؟ ويزن المدينة

الشرقية والمدنية الغربية فترجح الشرقية في ميزانه؟

ذاك ما نقرأه في كتاب مارمديوك بكتول الذي دعاه «الوقائع الشرقية».

مارمديوك بكتول لم يقصد سوريا -وهي موطن المسيح- ليشربها بالمسيح، أو يقودها من مجاهل مدنيها الشرقية إلى رياض المدنية الغربية! بل إنه -وهو في الثامنة عشرة من سنه- كان يشعر بجاذب قوى إلى الشرق، وإذ أخفق في امتحانه للحصول على رتبة فنصل في الشرق الأدنى أشفقت عليه أمه، وزودته برضاها وبمالها ليزور الشرق الذي أحبه، فقصده أولاً مصر، ومنها انتقل إلى فلسطين، وهناك اصطحب خادمًا سوريا اسمه رشيد، وترجمانًا اسمه سليمان، وبرفقتهما أخذ ينتقل من بلد إلى بلد في فلسطين وسوريا: فارتدى ثيابًا سورية، وكان يأكل الأطعمة السورية، وينام في بيوت سورية، ويحاول أن يسلك في كل شيء كما لو كان أمن أبناء البلاد، وهكذا تسنى له ما ليس يتسنى لكثير سواه من السياح والمبشرين، وذاك أن يدرس حياة البلاد من كل وجوها، فيعرف أزياءها وعاداتها وأخلاقها، ويرافقها في أفراحها وأتراحها، ويصل إلى ينابيع قواها الروحية، وإلى الجذور التي يرجع إليها كل مظاهر حياتها، قضى بكتول في تلك الحالة سنتين (١٨٩٤ - ١٨٩٦م)، وهذا الكتاب هو نتيجة اختبار أنه في تينك السنتين، وهي الاختيارات التي جعلها في قوالب قصصية هي دروس خلقية وصور كلامية أكثر منها قصصًا للتسلية، وإليك بعض ما يقوله المؤلف في مقدمة الكتاب بعد أن يخبرك كيف خلع مدنيته الإنكليزية وأزياءها، وارتدى الأزياء السورية لينغمس في حياة البلاد.

فدهشت لما لقيه في تلك الحياة من الراحة والحرية، وقبل ذلك لم أر قط في حياتي شعبًا سعيدًا، وأما هؤلاء القوم فكانوا سعداء، أجل قد يكونون فقراء، غير أنهم لا يحلمون بالغنى، ولا علم لهم بالمضاربات للكسب، ولا يعرفون من المباريات إلا مباراة الفروسية، فأجور العمال وأجور المساكن وغير

ذلك من المتاعب التي نحن نعانينا لم يسمعوا بها على الإطلاق، وليس بينهم طبقات مثلما بيننا، فأوضعهم يخاطب أرفعهم كما لو كانا من طبقة واحدة. إن بينهم إخاء صادقاً، بقطع النظر عما يكون بينهم من تفاوت في الرتب. إنك لتعجب بعد هذا عندما تسمع بكثول يقول: وقد رأى الغرب ماسكاً بخناق الشرق (ليعلمه) كيف يحكم نفسه بنفسه: (لقد خيل إليّ أن الشعوب المعذبة في حياتها زاحفة على الشعوب المطمئنة لتسلبها طمأنيتها، ولا دافع يدفعها إلا سوء حالها، وشدة تعسها، والأعوام التي تعاقبت منذ ذاك الحين حتى اليوم لم تزد ذلك الخيال إلا جلاء، غير أن في حياة الشرق المتباطئة قوة لا تدعن للغارات والتقلبات؛ ولا يعرف ذلك إلا من حاول أن يجدد في هذه الحياة أو يبدل منها، تلك القوة قد تتغلب على الجيوش المتألبة عليها: أعني جيوش السامة الميكانيكية).

وتنتقل مع بكثول من مشهد إلى مشهد فتراه متفتناً ماهراً يصور لك بقليل من الكلام حالة من حالات الحياة السورية، ليهديك إلى صفة أو أكثر من صفات روح الشعب، ولا يمكنك -وأنت تتبع هذه المشاهد- إلا أن تشعر بأن الذي يصورها لك رجل يحب ما يصوره، فلا تراه أبداً هازئاً أو ساخرًا، وإن يكن من هُزء في بعض مشاهد فليس بالشعب الذي حل بينه، بل ببعض أبناء جنسه من الإنكليز الذين اجتمع بهم هناك، فكانوا أبداً يحذرونه من (الوطنيين) وغشهم ومراوغتهم وقذارتهم!

هؤلاء هم الذين يسخر بهم بكثول كل السخرية، ويريكهم مراوغين مرانين حقيرين في ضيق أنفاسهم وصدورهم وعقولهم، فأرواحهم (مبرغثة) وإن نظفت أجسادهم، أما روح السوري فنظيفة وإن يكن جسمه مبرغثاً، ويفهم أنهم ما داموا يخدعون السوري سيخدعهم دفاعاً عن نفسه، وما داموا يرتابون في صدق

نيتة فسيشك في صدق نياتهم، ويقول إنه لا وصول لهم إلى الحق الكامن في عمق وجدانه إلا إذا اقتربوا منه اقتراب المثل من المثل والجار من الجار .
كذلك يهزأ بكثول بعض السوريين المسيحيين الذين (اعتنقوا) دين المسيح (القويم) عن يد المبشرين، فنالوا احتقار ذويهم، ولم يكسبوا (ملكوت) المساواة والمحبة الأخوية من المبشرين .

ميخائيل نعيمة



الحاكم وشخصيته

خطب زياد بن أبي سفيان الناس حين قدم العراق فقال : (أيها الناس : إنه قد كان بيني وبينكم إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، فمن كان محسناً فليزد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته ، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ولم أهتك له سترًا ، حتى يبدي صفحته لي) .



من اعترافاتهم

* يقول القس إسحاق تيلر رئيس الكنيسة الإنجليزية : (الإسلام ينشر المدنية التي تعلم الإنسان ما لم يعلم ، والتي تقول بالاحتشام في الملبس وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس ، فمنافع الإسلام لا ريب فيها ، وفوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها) .

* قال واشنطن لوفنج: (القرآن قوانين زكية سنية).

* قال جيون: (القرآن مسلّم به من حدود الأفيانوس الأطلانطيكي إلى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسي، ليس لأصول الدين فقط، بل للأحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الإنساني وترتيب شئونه).

* قال غوستاف لوبون: (إن العرب هم سبب انتشار المدنية ببلاد أوروبا).



إلى من يسمع ويعي

وليس لهذه الدنيا ذمام	حذارِ فليس للنعمى دوام
إذا انطلقت تكسرت السهام	وللأقدار إذ تجري سهام
يُقَصَّر عن بلاغتها الكلام	وكم في الحادثات لنا عظام
وذلوا عندما هبط الظلام	وكم طلع النهار فعز قوم
أزالت مجدهم ثوب عظام	وكم من معشر كانوا عظامًا
فأمسوا والعراء لهم مقام	نبت بهم القصور مشيدات
كما سام الورى خسفًا يسام	وكم باغٍ شديد الحول أضحى
كما يتقدم الموت السقام	وكم فشَلٍ تقدمه غرور
على العاني نوازله جسام	حذارِ فإن للزمن انقلابًا
وما هذا الورى إلا سوام	لعمرك ما زمانك غير راع
وإن ندت فمنه لها خطام	فإن وافته كان بها رفيقًا



سلوا الأيام كيف مصير قوم
 يقولون الوثام جليل نفع
 سلوا النعماء هل تبقي لرهط
 وليست تُبَطَّرُ النُعمى كرامًا
 ولو شمخت من البطر الروابي
 ولو بطرت برفعتها الدراري
 ومن يجمع به بطرٌ وغي
 ومن يُرْعَف حسامًا لانتقام
 ومن يك يبتغي إذلال قوم
 ومن يحمّ الجناة فذاك منهم
 ومن يشفع لمجترم غشوم
 ومن بهضم لمن والاه حقًا
 ومن يثن الغرور له قوامًا
 ومن يطو الضلوع على فساد
 ومن ينس الجميل يكن لثيماً
 ومن بين الصروح على خيال
 ومن لا خير فيه يكن بغيضًا
 ومن يخلّ الزمان له غلامًا
 يُريه الدهر بِشْرًا وابتسامًا



هب المتغطرسين غدوا ملوكًا
 ألم بك في الورى غليوم فذا
 فهل يُرجى لذي مُلك دوام
 له تُحنى من الأقيال هام

على عرش أناف على الثريا
وحفته الصوارم مصلتات
فما غلبوم حله حلال
وأوشك أن تقول له الليالي
إذا حشد الجيوش رأيت منها
ينصر بها الفضاء فلو توالى
ولما لج في الخيلاء زهواً
وهل بعد الصعود سوى هبوط



أرى الإرهاق للضعفاء خيراً
ولولا الشحذ لم يقطع حسام
ولولا البري لم يرقم براع
ولولا النار لم يسبك نضار
إذا قمر تحيفه محاق



يدل على جمال النفس فعل
وتنبئ عن دمامتها مخاز
وإن تكن الفرائز فاسدات
فلا تصحب أخا ملق خبيثاً
ولا مُتلبساً بالود يمسي
ولا تحفل بفحاش زنيم

له ذكر كما نفح الخزام
كما يُنبئ عن الليل السحام
فإن فسادها داء عقام
فصاحب كل ذي ملق يُلام
أخا لد إذا وجب الخصام
فلولا الفُحش ما عرف الطغام

(١) المُدام: الخمر. وهي محرمة. (س).

ولا تصنع إلى وغد جميلاً إذا ما شئت أن يعدوك ذام
ولا يستنزلنك عن وقار مزاح أو شراب أو غرام



أرى الأموات خيراً من أناس لهم خلف وليس لهم أمام
يرونك كلما أمنوا اعتزاماً وما لهم إذا خافوا اعتزام
وما إن زاحموا في المجد قوماً وفي اللذات شأنهم الزحام
تراهم يُقدمون وهم قعود ولكن يُحجمون وهم قيام
وكم بزوا الأنام وهم سكارى وكم فُلُّوا الخطوب وهم نيام
إذا لآبنتهم فهمُ أسود وإن خاشنتهم فهمُ نعام
فلا تزرِ القصور ولا تُسلم وزُر تلك القبور وقل سلام

لبنان / أمين ناصر الدين



شيخ المعمّرين

انتهت مشيخة المعمّرين في العالم بلا منازع إلى شيخ من العرب الخالص يقطن الآن في غرفة صغيرة من عزبة البطران التابعة لناحية السيليين من أعمال مركز سنورس في مديرية الفيوم بالمملكة المصرية، وهذا العربي الذي يحق له أن يدعى (شيخ المعمّرين) اسمه (إبراهيم البطران)، وإليه أو إلى أسرته تنسب تلك العزبة في ناحية السيليين، التي تسنى لي زيارتها قبيل عيد الأضحى عام ١٣٤٦هـ عندما دعانا الصديق الكريم الأستاذ الشيخ محمد الزين قاضي سنورس للاحتفال بتأسيس فرع لجمعية الشبان المسلمين هناك، ولكن لم يكن من نصيبنا

يومئذ زيارة هذا الشيخ المعمر المقيم في عزبته على مسافة ثمانية كيلو مترات فقط من ناحية السيليين.

والشيخ إبراهيم البطران يؤكد أن ولادته كانت في سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م)، فهو الآن في السابعة والخمسين بعد المائة من السنين القمرية، وفي الثالثة والخمسين بعد المائة من السنين الشمسية، وكانت مصر عند ولادته تابعة للإدارة العثمانية مباشرة، وكان الوالي العثماني عليها يومئذ محمد عزت باشا، وفي سنة ولادة الشيخ المعمر توفي الأمير عبد الرحمن الذي ذكرنا في الزهراء (٢:٢٦٨) شيئاً عن عمارته في الأزهر الشريف، ومن حوادث سنة ولادة الشيخ إبراهيم البطران أن واشنطن كان يومئذ قائماً بحرب الاستقلال الأمريكية، وقد استولى في تلك السنة على مدينة بوسطن، وكان عمر إبراهيم البطران بضعا وعشرين سنة عندما تولى محمد علي باشا ولاية مصر، ثم كان من جنود الحملة المصرية التي افتتحت فلسطين في مثل هذا العام من القرن الماضي (١٢٤٧هـ)، فكان إبراهيم البطران مع الجنود التي افتتحت مدينة غزة.

ومما يذكره شيخ المعمرين عن نفسه أنه كان معتدلاً في معيشته، قوياً في بنيته يقتصر في طعامه على الخضرة والقليل من اللحم، ويكثر من تناول الأرز، ويلذ له العمل في الأرض، وهو يحب السهرات العائلية التي يجلس فيها بين أولاده يتحدثون بما يعلمونه من الأخبار العامة والخاصة، وقد تطول سهرته معهم إلى ما قبل نصف الليل بساعة، ولم يصب إبراهيم البطران بداء قط في حياته.

وتزوج صاحبنا ثلاث مرات في حياته الطويلة، ورزق بنين وبنات، توفي بعضهم وبقي له تسعة: ستة رجال وثلاث نسوة، وأكبر الباقيين في قيد الحياة من أولاده الرجال يسمى (بطران)، وعمره الآن ستون سنة، وأصغرهم في الخامسة والعشرين من عمره واسمه (علي) وهو من ثالث زوجاته وقد تزوجها قبل ست

وعشرين سنة فقط، وكان يوم تزوج بها في السابعة والعشرين بعد المائة من عمره المبارك!

والرجل الآن مقعد، ولكن منذ سنة فقط، وقد ضعف سمعه وبصره، لكن قوته العقلية على أتمها، ويتحدث أحاديث متسلسلة حسنة الارتباط لا غبار عليها، أما جسمه فكالمومياء: جلد على عظم، ومنذ فقد أسنانه اقتصر من الغذاء على تناول الأرز واللبن والسكر.

وفي رحلتنا إلى سنورس أيضًا بتنا في الفيوم في منزل الصديق الفاضل الدكتور علي مظهر، وهذا المنزل مبني في أوائل أيام محمد علي باشا، وكانت تخدم فيه عشرات السنين امرأة قروية اسمها الحاجة (مبروكة) توفيت قبل بضع سنوات فقط، ومن ذكرياتها أنها كانت وهي فتاة تساعد في بناء هذا المنزل، ومن الغريب أنها بقيت طول أيام حياتها إلى حين وفاتها صحيحة الأسنان، بحيث يحسدها على ذلك الذين لا يزالون في سن الشباب.

محب الدين الخطيب



أولادنا

من شامخ عالٍ إلى خفيض	أنزلني الدهر على حكمه
فليس لي مال سوى عرضي	وغالني الدهر بوفر الغنى
أضحكني الدهر بما يرضي	أبكاني الدهر، ويا ربما
رددن من بعض إلى بعض	لولا بنيات كزُغب القُطا
في الأرض ذات الطول والعرض	لكان لي مضطرب واسع

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض
حطان بن المعلى



مشي الهوينا لا يفيد...

إلى الأستاذ... محب الدين

وبعد، فقد كان (لسجنكم) الميمون فضل إخراج هذه الكلمة الشعر إلى عالم الظهور كما تراها . بعد أن جاشت معانيها كثيرًا في لفائف ذهني .

وكان يمنعني عن نظمها بأس من تدارك الحالة مطبق، وعزم مهما اشتد فهو مخفق، ولكن حادثة سجنكم المضحكة المبكية ذكرتني بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، فبعثت إليكم بهذه الكلمة، لا أوثق بها الضيق، ولا أهني على فرج، وإنما هو بخار نار الهموم التي استحرت في القلوب لما مني به الدين في هذه الأيام من أعدائه والمنتسبين إليه على السواء، ومادامت في الفم كمامة، وعلى قارورة الحق صمامه، فإلى الله وحده تُرفع الشكوى، هذا ولا يحملنك ما تجد في القصيدة من التنويه بفضلك أن تعف عن نشرها في (الفتح المبين)، إذ ليس لك يا أستاذ منها إلا (خطبة الافتتاح)، وما بقي حق مشاع لأبناء الإسلام (المحافظين) كافة، والسلام عليك يوم دخلت السجن دخول يوسف طاهرًا بريًا، وخرجت منه خروجه، وقد رُفع مكانا عليًا.

ماذا فعلت من الذنوب (كفارة) يا بن الخطيب
ويحي أجهل ما اجتاحت وأنت في السجن الرهيب

أخطأت في الرأي الصريح
 واربِّ واخفِ الحقَّ جهدك
 أو فاستعدَّ لما بنا
 والسجن باقي تحت أمرك
 هو قيد شبر منك فاجنح
 لم يرسلوا للسجن مأخوذ
 بل أودعوا فيه (محب
 تشب الشدائد حوله
 فأدلِّ بالرأي المريب
 تُصبح الفطن اللبيب
 لك من شدائد لا تطيب
 دائماً حتى ثوب!
 للدخول أو الهروب
 الفواد ولا هبوب
 الدين) خرَّج الكروب
 وتفيض في صدرٍ رحيب



جرثومة الإلحاد قد
 ظلت مناعته تقاوم
 إذ ليس يعلم منتهاها
 من ذا يعين كراتها
 أين العقاقير التي
 يا للرجال، وما عنيت
 من كل راكب رأسه
 لكن أردت المخلصين
 من كل ندب في حشاشته
 مشيُّ الهونا لا يفيد
 أنظّل شمس محمد
 في كل يوم قطعة
 وتظل نار الملحدين
 علقث بإيمان القلوب
 ولكن ابتدأت تذوب
 غير علام الغيوب
 البيضاء في تلك الحروب؟
 تقوى بها، أين الطبيب؟
 بهم طواغيت الشعوب
 بشقائها لا طروب
 فهل لربحهم هبوب؟
 لبلاوها ندوب
 بل المفيد هو الوثوب
 مبالاة نحو الغروب
 من قرصها عنا تغيب
 ذوي الضلالة في شبوب

طفت القواقع بينكم
بطوي صحيفة دينكم
حكم المجاهدة الوجوب
من كان في غيبوبة
من كان أعمى فليواز
أو لم تر الحشرات في الإسلام
فامتصت العود الرطيب
ويلاه هل من كاشف
الكل من تجريحه
في ذلك الجسم المتين
خلبتهم مدنية
فإلى متى لا يعلمون

يا قوم ما هذا الرسوب
إهمالكم، شيء عجيب!
اليوم بل فوق الوجوب
خير وأبقى أن يثوب
بيومه الأمس القريب
قد أخذت تجوب
وهزت العود الصليب
وجه العدو من الحبيب
والله خصهم نصيب
تعمدوا فتح الثقوب
بضياء بهرجها خلوب
بأنه ضوء كذوب



هل من فتى كابن السعود
يدع التواكل جانباً
أو يفجر النبع الذي
إننا نريد مثاله
هيهات بل هو نسخة

مجدد الدين الأريب
ويصد عادية الخطوب
أضحى على وشك النضوب
في كل ناحية رقيب
لم يأت بعد لها ضريب



يا أيها الناس اتقوا
حتى المضاجع بعد
إنني أخاف عليكم

رباً يعاقب أو يثيب
هذا أن تُجافيهما الجنوب
يا قوم من يوم عصيب

يأتي فلا لطمُ الخدود يفيد أو شقُ الجيوب
هذا نداء أخ أهاب بإخوة، هل من مجيب؟

محمد صادق عرنوس



متحف لندن العلمي

تزدان مدينة لندن بمتاحف لكل ما يخطر بالبال من مظاهر الحضارة، وأظهر مظاهر الحضارة العلم، فالمتحف العلمي في لندن عنوانٌ لحضارتها، وهذا المتحف مؤلف من نحو مائة وخمسين قاعة، كل قاعة يتمثل فيها ضرب من ضروب الاختراعات العلمية والآلات الميكانيكية، فإذا دخلت قاعة الساعات مثلاً، تجد نماذج لتاريخ الساعة من أقدم أطوارها إلى أحدث أشكالها، وكلُّ منها في داخل محفظة من الزجاج يتصل به زر إذا ضغط عليه الزائر تحركت آلات الساعة بما فيها من أتراس ودواليب وآلات، حتى يلم بتركيبها جزءاً جزءاً، وهناك قاعة للغواصات مثلاً وهي على هذه الشاكلة، غير أن حجم الغواصات لا يساعد على وجودها بحجمها الأصلي، فاكثفوا بنماذج صغيرة لها تحتوي جميع آلاتها وأجزائها مصغرة، لكنها تعمل مثلتها الكبرى تماماً، ويستطيع الزائر أن يقف على جميع أحوالها دون أن يفوته شيء، وكذلك قاعة الطيارات وسكك الحديد وماكينات الطباعة وآلات النسيج والمطافي وأحواض الماء والتلفون السلكي واللاسلكي والتصوير والمراصد الفلكية وسائر صفوف العلم والصناعة وفي مقدمتها سائر معجزات الكهرباء العجيبة، فكما أن معلمة (دائرة المعارف) جُمعت في ٣٠ أو ٣٥ مجلداً زبدة المعارف التي وصل

إليها البشر حتى الآن، فإن متحف لندن العلمي حوي في الـ ١٥٠٠ قاعة نموذج الحضارة من جانبها العلمي والصناعي، وإن أي زيارة يقوم بها الطلبة مع أساتذتهم لكل قاعة من هذه القاعات مقرونة بالفحص والدرس تجلو ذهن الطالب، وتقف به أمام الحقائق وجهاً لوجه، بما يغني عن الدراسة في الكتب زمناً طويلاً.



داء ولا طيب

أليس في مصرَ من رقيب؟	ولا على الناس من حبيب؟
لقد فشت بينهم أمورٌ	ستفسد النشء عن قريب
انظر إلى الناس كيف تمثي	نساؤهم مثية المريب
بَدُونُ ساقًا وَبَيْنَ شِعْرًا	وسرن يكشفن عن جيوب
محاسنُ كن في حجاب	فصِرن مرعى لكل ذيب
قد غرَّ ربائها كلام	منمَّق ليس بالمصيب
تلقي به عصبه أئامٌ	تريد بالناس كل حوب
والناس في غفلة رقودًا	أما لذا الداء من طيب؟

ابن رواحة



إلى مهندس منزلي

بقلم نابغة كتاب العرب الأستاذ السيد / مصطفى صادق الرافعي

تأملتُ رسمك الجميل الذي وضعته لمنزلي، وتتبع اتصال فيه بين قريحتك المبدعة وبين شكل الطبيعة وروحها، فأشهد لك أن الرسم بما فيه من القوة يحاول أن يحيا في نظر من يتأمله.

إنك بهذا الذوق السليم الحي لتعطينا السرور في شكلٍ من الفن، حتى لو ملك المالك رقعة من الأرض كالبقعة من الظلمة لوضعت لها من هندستك غرة فجر يضيء عليها.

وأراك بهذه الدقة وهذا العلم كأنما تُرغم الطبيعة أن تقدم لك حساباً عن كل مكان تتناوله منها، وأحسبها لو هي صنعت بناءً كما تصنع ثمارها وأزهارها لجاءت به في موضعه على الرسم الذي تخيله أنت لموضعه^(١)، كأنك أعطيت بالعلم سر إظهار الجمال في أشكاله، كما أعطيتُ هي بالقدرة سر تكوين الأشكال في جمالها.

ما أبدع ما تمزج أيها الساحر بين القريحة والمادة، وما أدق ما تصل بين الجمال والمنفعة، وما أكمل ما تحقق بين المخيلة والواقع، إن هذه الخطوط التي رسمتها لتكون ميلاد بيت جميل هي نفسها ميلاد فن بليغ، يقيم لك بناءً فخماً من إعجاب محبك.

مصطفى صادق الرافعي

(١) الخالق هو الله وحده، وليس الطبيعة المتوهمة، التي مظاهرها من خلق الله وإبداعه. قال ﷺ: «إن الله تعالى صانع كل صانع و صنعة». «صحيح الجامع» (١٧٧٧). وانظر: «معجم المناهي اللفظية»؛ للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله (ص ٣٥٧ - ٣٥٩). (س).

الوفاء بالعهد

وقع المعتمد بن عباد ملك أشبيلية في قبضة الأمير يوسف بن تاشفين، ونقله إلى أغمات قرب مراكش سنة ٤٨٤ هـ، واعتقله هناك إلى أن توفي سنة ٤٨٨ هـ، ومن الشعراء الذين كانوا يقدون عليه فيكرم وفادتهم: أبو بحر بن عبد الصمد، زار أبو بحر قبر ابن عباد بعد دفته، وأنشد قصيدة ممتعة يقول في أولها:

ملك الملوك أسامعُ فأنادي أم قد عدتكَ عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
ولما بصر به الناس انحشروا إليه، فبكوا ببيكائه، ثم انصرفوا وقد نرفوا ماء عيونهم.



ذو لُبْدٍ مقيد

من الحوماني إلى مؤلف الحديقة وقد بلغه خبر اعتقاله في قضية صحفية بمضي المهند وهو مغمض

أضعاف ما يمضي مجرد والليث لو لم يضر محدود
البرائن لم يُصقِّد^(١) لا تأس أن أغمدت فال
إغماد للعضب المهند إن قيدوك فكم بكت
(خفان) ذا لُبْدٍ مقيد^(٢)

(١) يضري: يفتك، ومنه: الأسد الضاري.

(٢) خفان: مأسدة.

لم يُدخلوك السجن لو لم تستحل كرمًا وسودد



ماذا على الآساد أن نمضي وما تركت مغلد

ويمضها نهش القيود وذكرها نغم مردد

وثرثها ظلم السجون ومجدها أبدًا مجدد

فتبيد في أعماقها ظلمًا وتأنف أن تعبد^(١)

وارتاح للقيد المرن كأنما هو لحن (معبد)



السجن يعلم أنه مذ شيد للأحرار مريد^(٢)

زعموا سفاهاً أنه لولا الجرائر لم يُشيد



قالوا - فلم أعجب - محب الدين في مصر معضد

حكموه أن أرغى - وقد هتف الحفاظ به - وأزيد

ستين يومًا عن جهاد يوجب الحكم المؤبد

إن العجيب جهاده للأعداء وهو بهم مهدد

عشرين عامًا لا يبالي أنه فيها مشرد



أحب، لا تحزن فعيش الحر في الدنيا منكذ

نعم المبيت - وأنت حر - في فراش لم يوطد

سيان أنت محرر (الفتح المبين) أو (المؤبد)

(١) تُستبد.

(٢) المريد: المحبس، ومنه مريد البصرة.

فكلاهما عيد الفخا ر به و(بالزهرا) مقلد
 صحفٌ لعمرك أنها (الثليث) لا كيسوع يُعبد
 إني رأيت المرء- لم يظفر بإحداها- محسذ
 من شاء فليصعد إلى أفق تخذت عليه مقعد

الحوماني



أمن عصر العقل إلى عصر القلب؟
 أم من عصر العقل إلى عصر المعدة...؟
 مشكلة الفقر والغنى بين العلم والقانون والإيمان

يزعمون أننا في عصر العلم وفي دهر القانون، ويريدون أن يسلبوا الناس إيمانهم، كأن الإيمان هو مشكلة الإنسانية! مع أنه لا حل لمشكلاتها إلا به، إن مسألة الغنى والفقر وما كان من بابهما لا يحلها العلم ولا القانون، إذ هي من مواد القضاء والقدر في إنشاء الآلام والأحزان وأضدادها التي تقابلها.

وما دام فوق الإنسانية من السماء قوة لا تُحد، وتحت الإنسانية من القبر هوة لا تسد، فلا نظام إلا على تصريف النفس أمرًا ونهيًا، وتأويل الحياة معنى وغاية، فإن لم يكن الشأن في ذلك مقررًا في الغريزة على جهة الإيمان، فلن يكن العلم والقانون على ظاهر النفس إلا ثورة بما في باطنهما، ولن يبرح الناس على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منه وهو مضطر إليه، أو كالمضطرب إليه وهو هارب منه، وكل من كل في معنى من معاني النفس لا إنسانية فيه.

ما زاد العلماء على أن خلقوا في ساعدي الحياة هذه العضلة البخارية، وذلك العصب الكهربائي، فمن لم يستطع أن يتوقى ضربة الحياة المدنية بعدة من قوة، وعناد من المال، طاحت به فدكته ذك الخسف، ووضعته من الناس موضع الحبة من الرحي الدائرة، فما بينه وبين أن ينهار موضع ليستمسك عليه، وإنما هذا الموضع هو إيمان المؤمن، إذ يعطف على الضعفاء، أو يسعد أو يبر بما كُتب عليه أن يرق لهم من ذات نفسه، ويتحني ويتوجع.

ومتى كان العلم والدين يقومان جميعًا على تنظيم الطبيعة في مادتها وإنسانيتها، لم تجر الإنسانية إلا على ناموس بقاء الأصلح في الجهتين، فإذا تخلّى بها العلم وحده فلن تجري أبدًا إلا على ناموس بقاء الأصلح في ظاهرها لإيجاد الأفسد في باطنها.

لن يُفلح الإنسان للحياة الطيبة، ما دام بهذا التركيب الذي لن يتغير، إلا إذا وازن بين بيئته التي هو يوجهها وبين طباعه التي هي توجهه، فقيّد أشياء في قيدها، وأطلق أشياء من قيودها، وجمع في متبوأ نفسه حدًا بحرية ودينًا بعلم، بيد أن طغيان العلم في هذه المدنية قد مرد على طباع الإنسان وشمائله^(١) في كل موضع من الحياة لا تكافئه فيه الدين، فإذا هو يزين الشهوات، وإذا الشهوات تطوع المغامرة، وإذا المغامرة تجلب المنازعة، وإذا المنازعة تدفع إلى الحرص، وإذا الحرص يتصرف بالحيلة، وإذا الحيلة تُهلك التقوى، وكان في تقوى الإنسان إيمانه، وكان في إيمانه رحمته، وكان في رحمته الأثير الإنساني الذي تعيش فيه الروح، وعلى ذلك يقع في الإنسان من النقص بمقدار ما يزيد له العلم، فإذا هو منحدر إلى السقوط، مقبل على المحق، راجع إلى الحيوانية بأكثر مما يحتمل تركيبه منها.

(١) أي: مرن عليها واستمر، وبلغ بها الغاية التي تُخرجها من جملة ما عليه الطبع الإنساني الكريم.

أو لا يرى الناس أن تفوق أمة على أمة لم يعد في هذه المدنية إلا معنى من معاني القدرة على أكلها..؟

ومضى العلم على شأنه ذاك حتى جعل الإنسان آلة من آلاته التي غمر بها الدنيا، فأصبح من لا إيمان له يتعسف حسائه^(١)، لا يدرى أين يقف؟! فلا يتسفل بقوة إنسان، ولا بضراوة وحش، ولكن بقوة آلة من الآلات الكبرى ودقتها وسرعتها وإتقانها...، حتى لا رذيلة من رذائل هذه المدنية إلا هي مفتنة في تركيب على نسق الأمور المخترعة، وكأن الآلات العمياء ما زادت إنسانها شيئاً إلا أن قالت له: كن أعمى...، وكأن المدنية الملحدة ما عدت أن جعلت الوحشية تعمل أعمالها الفظيعة بتأنيق وتمدن.

نسي الناس الإيمان، أو انسلخوا منه، فإذا أيديهم تموج بأسباب الفضائل تحكمها ولا تضبطها^(٢)، وما كان الإيمان الصحيح إلا التقوى^(٣)، ولا كانت هذه التقوى إلا عملاً من أعمال الإدارة، غايته إيجاد الغرائز العليا في الإنسان بالأسلوب الذي لا تخلق الغريزة العملية في النفس وعلى النحو الذي لا تصلح في الحياة إلا عليه.

أظهر آثار الإيمان تحديد الغايات الإنسانية وتنسيقها والملاءمة بينها، فإن إطلاق الغاية لكل إنسان على شأنه وسيله كيف درت معيشته، وكيف دارت أهواؤه^(٤) يجعل طرق الناس متداخلة متعادية، فيقطع بعضها على بعض، ويقوم

(١) يتخبط فيها على غير هدى.

(٢) ماجت اليد بالشيء إذا اضطربت به، كأن أيديهم لا تضبط أسباب الفضائل من ضعفها عنها.

(٣) الإسلام كله في كلمة التقوى كما بيناه مفصلاً في كتابنا (إعجاز القرآن) فانظره. وكلمة التقوى من معجزات هذا الدين.

(٤) كناية عما تتفق به أسباب العيش وتجتمع وتزكو.

سبيل في وجه سبيل، فلا تحل عقدة إلا من حيث تقرض أختها، ولا يتخلص خيط من خيوط اللذات الملتبسة المتشابكة إلا قاطعًا متقطعًا معًا، وأنت إذا بحثت عن الوحدة التي تحاول ضم الإنسانية المتنافرة وردها إلى مرجع واحد لم تجدها في غير إيمان المؤمنين، فهو أبدًا يقابل في كل نفس ما تطغى به الحياة على أهلها، ولا عمل له إلا أن يخسف الزيادات الضارة بالإنسان من بيئته، وبالبيئة من إنسانها، وهو بهذا حائلٌ في كل مجتمع بين أن تنقلب أسباب السمو العقلي فتعود من أسباب الدناءة والخسة.

وإنما محل الإيمان من أهله فوق محل الحكومة ممن تحكمهم، فهو الأمر والنهى بلغة الدم والعصب، وهذه الغايات التي تتألف من أجلها الحكومات - كأمن الناس وتغلبهم وسعادتهم -، هي أنفسها محكومة بمسائل تأتي من ورائها في طبائع الناس وعاداتهم ومعايشهم ومصالحهم، فإن لم تكن في النفوس من الدين أصول تأمر وتحكم، وفي الطباع من اليقين أصول تستجيب وتخضع، رجعت الحكومة في الناس أفكار مسلطة لا تغني كبير غناء في الخير والشر، إذ يحتاج الخير أبدًا إلى قوتها تحميه، ويحتال الشر أبدًا على قوتها تستنقذه، ومتى لم يكن الخير إلا بالقوة فاحتياجه إليها شر، ومتى لم يكف الشر عن القوة فاحتياله عليها شر مثله، فإذا تضعضت من الأديان هذه الدعائم الراسية، وفرط من الإنسانية هذا الفارط الذي ليس في الأرض كفاء منه، لم تجد حسنة في حكومة من الحكومات إلا معها من طبيعتها سيئة، ولم تجد سيئة إلا هي سيئتان، فلن تكون الحياة حينئذ إلا تعقيدًا أشد التعقيد من طغيان القادرين عليها بالمال والغنى، ومن حقد العاجزين عنها بالفقر والحاجة.

والغنى القادر على متع الحياة ولذتها هو دائمًا في فلسفة العاجز قادر بلا قدرة، كما أن الفقير الضعيف هو دائمًا عند نفسه عاجز بلا عجز، ولا أدل على ذلك من تعبيرهم عن معناه بالكلمة التي تشبه أن تكون هي أيضًا معنى بلا

معنى...، وهي الحظ، فلا بد للناس من الحدود التي تبني بين كل ضدين من أحوال الإنسانية جدارًا يُعطف نفسًا على نفس بالرحمة، ويرد قوة عن قوة بالصبر، ويكف عادية عن عادية بالتقوى، ويحقق عوامل التوازن بين أسباب الاضطراب في الجماعات المتصادمة، ليقر كل مضطرب في حيز إن لم يمسكه فيثبت فيه، لم يفلته فيعدو على سواه.

فإذا عملت المدنية على هدم هذه الحدود، وتركت قوة الإيجاب في طبيعة الحياة بغير قوة قلبية سلبية من الإيمان في طبيعة النفس، كشفت للإنسان عيوبه ببلاغة من تعبير شهواته، فزادتها رسوخًا فيه، كما تقول للص: إنك لتسرق وستصبح غنيًا تمر يدك في الذهب تنفق وتستمتع على ما تشتهي... فما يراك قلت له: لا تكن لصًا وتعفف، بل قلت له: كن غنيًا واستمتع، ويومئذ يغبرُّ البؤس ويقشعر الفقر كما نرى لعهدنا في الأمم التي فشا الإلحاد فيها، فليس من بعد إلا أن يتحول الفقر عن صورته البيضاء في سكب الدمع إلى صورته الحمراء في سفك الجسم، وكان سؤالًا فيعود اغتصابًا، وكان الأسفل فيرجع الأعلى، وكان يفرضه الحق فإذا هو الحق نفسه، والله لكأن المسكين في هذه المدنية هو الجزء اللثيم الذي طرده الغني من نفسه، وتبرأ منه، وأما ما بينه وبينه، فإذا هما اعترضا في مذهب من مذاهب الحياة نفر الغنى، كأنما يرى قبره يدنو منه وأطبق عليه البائس بمعاني النقرة واللعنة يقول له: ما أنا إلا لؤمك أنت.

إن من الشجر شجرة تنبت في القفر، تعتصر ماءها من بين رمل وحجر، وتمتص غذاءها من لؤم الجذب، فإذا حان أن يزهر عودها شوَّك، فلا يكون في عقده ونبره إلا شوَّك^(١)، فإذا ازدرعوها في الخصب وخضلها الماء^(٢)، وساعت

(١) النبر: التواء الذي هو العود.

(٢) بلها الماء.

لها الطبيعة، ثم حان أن يزهر عودها، ملّسه كرم الأرض^(١)، فإذا في موضع كل شوكة زهرة كأنها كلمة الحمد، وكذلك مثل الفقير بين الملحد والمؤمن.

تُرى أخرج الإنسان في هذه المدنية من عصر العقل إلى عصر القلب؟ أم هو منحدر من عصر عقله إلى عصر معدته...؟

وكان على هذه الأرض أغنياء مؤمنون، فيهم من كرم الحس شبه الفقر، ومساكين مؤمنون لهم من كرم الصبر شبه الغنى، فهل تنقلب المدنية من الغنى المحض والفقر المحض إلى مادة تخلق اللحم الحي، وأخرى لا تخلق له إلا الظفر الحي...؟

وكان اختراع الإنسان في المادة الجامدة، أفتراه يجيء يومٌ على الناس يكون أعظم اختراع فيه للإنسان الأخير أن يعيد إلى الأرض إنسانها الأول الكريم.

مصطفى صادق الرافعي



الخطابة في العصور الإسلامية

قال أبو بكر بن العربي في سراج المريدين: حضرت يوماً مجلس الإمام أبي منصور الشيرازي - وعادتهم أنه لا يرقى المنبر حتى يجيب عن كل سؤال - يصعد المنبر ويأخذ القارئ بالقراءة، وتُرمى الرقاع بالأسئلة من كل جانب، وتتناولها الأيدي حتى تصل إليه، ويجعلها تحت ركبته، فإذا فرغ القارئ أخذها واحدة واحدة، ويقول: هذا يسأل عن كذا، وجوابه كذا. فيأتي بأحسن الجواب!

(١) ملّسه: نَعَمه وأدمجه وأزال نتوءه.

مناجاة الطير

غن يا طير لي ولك سلم القلب أم هلك

ضعت بين الشدائد

ما فؤادي براشد

من دموعي قصائدي

وشجونني قلائدي

نظرتي في الفراقدي

ضجمتني في الفدافدي

هل يعود الذي سلك غن يا طير لي ولك

هاك يا طير أدمعي

فابك في خلوة معي

واذكر اليوم أريمي

أقلق الذكر أضلعي

أين نومي ومضجمي

أين لهوي ومرتمي

أخذ الدهر ما ترك غن يا طير أي ولك

نزل اليوم ما نزل

غن يا طير لا تسل

إن يكن خطبنا جليل
فالفنى يحمل الجليل
إن لي في غدٍ أمل
أثرى أدرك الأمل

خذ نوادي وما ملك غن يا طير لي ولك
شفيق جبري



ملك القلوب

قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، فقالت أم ولد لهارون كانت مشرفة على ذلك: من هذا؟ فقالوا لها: عالم أهل خراسان قدم الرقة، يقال له: عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك! لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان!



حلم أعظم ملك في الدنيا

قال رجل لهارون الرشيد -أمير المؤمنين- وهو في الطواف:
أريد أن أكلمك بكلام فيه خشونة، فاختم له، فأجابه أمير المؤمنين:
لا، ولا كرامة، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، فقال:
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا﴾.

المستبد الذي لا عقل له

قال مستر: «لويد جورج» في مقالة كتبها بعد عقد «معاهدة لوزان» بعنوان: (فشل الحضارة)، وكانت جريدة «السياسية اليومية» قد لخصتها في عهد ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤١هـ: (إن أعظم شر تنكب به أمة أن تختار لحكمها رجلاً عتيقاً خالياً من العقل السليم).



مأساة مصرية

عرفت فلانة عليلة لم تكد تدع منها العلة بعد أن أبدلت لونها، وأحالت كونها، وقد خرجت إلى الناس في ثوب كأنه -لكثرة ما تمزق منه- عرض ظنين، لا بل كأنه كفن ألح عليه البلى، وقد لف منها على شبه دين.

وكان الجوع قد شد عليها حتى دارت في رأسها عيناها، فبسطت يدها، فانقبضت عنها الأيدي، خلا يداً تحسن أن تنهب لا أن تهب؛ وهي يد الموت.

فمشت تتحامل لا تدري أين تذهب، وكاد الجوع ينسخ ما بقي منها فتساقطت من الضعف والإعياء، ثم جعلت تنهض نهوض الحجة على لسان الألكن، وقد نفضتها العلة كما ينفض الثوب.

وقد نظرت فإذا شاب أنق غرة من الدينار، وعليه مما يلبس لونا الجنة والنار، فرنت إليه بعينين يموج فيهما الدمع شعراً، ويستحيل فيهما الشعر دمعاً، لعله يرفدها، فزوى وجهه عنها، وذهب بنفسه ما يملك عطفه من الكبر والخيلاء، فمشت من ورائه صامته، وقد عقد الضعف لسانها وحل عقد صبرها، فجعل

ذلك الضعيف بقوته يحث رجليه، وطفقت تلك القوية بضعفها تلاحقه، حتى ملأت عليه الطريق، وكانت وجهه كيفما نظر.

فضاق بها فدفعها فارتمت، ونبتت من عينيها قطرتان هما كل ما يملكه الضعيف، وحدر الدهول برقعها عنها، فإذا تحته وجه كالدينار الزائف في صفرتها، على قوام لو حُط عليه طائر لهدمه بجملته.

ولم تكد المسكينة تنهض من عثرتها حتى دعا الفتى شرطياً، فلباه مفتول الساعدين، حاسراً عن الزندين، وأقبل يشق الزحام إلى الفتاة، وحمل عليها كما يحمل الدهر على الحر ومشى يسوقها، ويده عليها أثقل من المن على الكريم، وذهب الفتى ثملاً بنشوة الظفر، وذهبت الفتاة إلى دار الشرطة، وكأنما كان يُذهب بها إلى قبرها، على أنها لم تجزع إذ كانت حياتها مراناً على الموت.

ثم دار الفلك دورته، فرأيت تلك التي كانت معذبة بحياتها وقد صقلتها النعمة، وبدا عليها عذر الغنى من ذلة الفقر، وكانت تزاول التمريض في مستشفى.

فبينما هي فيه يوماً، إذ دخله عليل يشكو البطنة، وقد ضربت فيه العلة فأثقلت، وتمكنت منه فأعضلت.

فتبينته فإذا هو صاحبها منذ عام، وكان هذا الفتى نهماً لا يرفع يديه عن الخوان، أو يرفع الخوان من بين يديه.

أما الفتاة فنسيت موقفه حيالها، وقامت بواجبها حياله، وفيما هو يلفظ آخر أنفاسه، نظر فإذا صاحبه تتوجع له في صمت، وتتفجع عليه في سكون، ولعله أراد أن يستغفرها، ولكن الموت أعجله، فكانت بطنته هذه عقوبة مسغبتها تلك.

محمد صادق عنبر



الرجال

الرجال ثلاثة:

رجل كالغذاء لا يُستغنى عنه، ورجل كالدواء لا يُحتاج إليه إلا حينًا بعد حين، ورجل كالداء لا يُحتاج إليه أبدًا.

الحسن البصري



موطني

نازح أقمعه وجدّ مقيم في الحشا بين جمودٍ وانتقاد
كلما افتَرَّ له البدر الوسيم عضه الحزن بأنيابٍ حداد
يذكر الرّبع القديم فينادي
أين جنات النعيم يا بلادي
خصها المبدع بالحسن البديع زاهيًا بين الروابي والبطاح
ملقبًا من نسيج أبكار الربيع فوق أكتاف الرُّبى أبهى وشاح
حبذا راعي القطيع في المراح
منشدًا لحن الهزيع للصباح

إلياس فرحات



الحالة الحاضرة

كنت في الأمس أقلب في مجموعة (المؤيد) أيام كنت أشتغل في تحريره، فاطلعت لي فيه على مقالة افتتاحية نُشرت يوم ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠هـ، رأيت أن أنشرها هنا للذكرى، وهي:

قصيدة قالها عمرو بن كلثوم	ألهى بني جُشم عن كل مكرمة
يا للرجال لفخر غير مستوم	يفاخرون بها مذ كان أولهم
كساعد فلّه الأيام محطوم	إن القديم إذا ما ضاع آخره

شاعر عربي

دار الزمان دورته، فبلغ بنا إلى حيث لا حول لنا غير العزائم المكنونات، ولا قوة إلا ما نعهده بعد الآن للعاديات.

غفلنا عن تهذيب نفوسنا أو تقويم قناتنا أحقابًا طوآلاً، سبق فيها الذين كانوا قصرُوا، وقصّر الذين كانوا سبقُوا، وقعد القائم وقام القاعد، ثم انتهينا على نداء الأوصاب والعاديات، والله يعلم إذا كان في الوقت متسع لمقاومتها، أو إذا كان انتباهنا سوف يكون أثره التألم والتوجع لا قدر الله.

انتبهنا من غفلتنا فإذا النظام مفقود من منازلنا ومجتمعاتنا ومدننا وأقطارنا، والتعليم يدور على محور مشوش، لا ينفع صاحبه بشيء في معترك الحياة العلمية، والأيدي صفر من وسائل الثروة والقوة، والدين مظاهر لا تؤدي إلى غاياته الحقيقة.

على أن كل ما في حالتنا الحاضرة من تشوش واضطراب ليس مما يدعوننا إلى اليأس، ما دامت آثار الحياة ثابتة فينا بفضل الله وحوله، والمفكرون من أبناء

هذه الأمة على اختلاف أقطارها قد تماثلت آراؤهم وتشابهت كلماتهم في الدلالة على المخرج من هذه الأزمة القومية والضائقة المالية، وأحداث الزمان قد كشفت لهم عن مظان الثقة ومواضع الارتباب، فتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ووضحت المحجة، فلم يبق إلا سلوكها.

أجل، إنه لا داعي لليأس؛ (الضربة مهما بلغت شدتها فإنها - إذا لم تكن ميتة - لا بد أن تكون بعد حين أدعى إلى استئناف العمل بمهمة ماضية وعزم متين)، كما قال أحد الشعراء الانكليز: وإن من المستبعد على رجال أيام الشدائد أن يستبدلوا اليقين بالشك، والعزيمة بالوهن، والجدل بالوجل، وهم إنما خلُقوا لتظهر مواهبهم في مثل هذه الظروف.

يؤثر عن المأمون أنه كان يقول: (الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما)، وتلك كلمة ذهبية يخلق بالذين يُجِلُّون اسم حكيم العرب وأميرها وابن عم نبينا أن يتخذوها سنة متبعة في كل زمان، خصوصًا في زماننا الذي تُحتم فيه علينا حاجة البقاء أن نخدم كل دقائقه في إكمال نواقصنا، وإذا كانت الرخص لا تمنح لأبناء الزمان الآمن إلا بمقدار، فأولى بالذين نزلت بهم الأوصاب أن لا يثقوا من طبائعهم إلا بالعزائم.

للأمم اللاتينية طريقة في الإصلاح طالما أوردتهن موارد الهلكة، وأذاقتهن وبالًا، وألحقت بهن خسارًا، وهي أنهم يرسمون لعملهم خطة يدعونها بعاطفة من عواطف الرأي العام، ثم يسرون عليهم لا يلوون على شيء، فيعاندون مهيب الأقدار، ويقفون في طريق القوى المجتمعة، ويباهون بجرأتهم وشجاعتهم إذا أدمى رؤوسهم نطح الجبال، وتلك حالة ضارة بطالب الإصلاح والمطلوب منه، وتُشغل الأمة بالصعب عن السهل، وبالمتعذر عن الممكن، وتجعل البلاد

مسرّحًا للتشويش والشغب، ويرتفع فيها صوت الجاهل بينا يكون العالم مُلجَمًا، وظاهر أن هذه الطريقة ليست من السياسة في شيء، لأن السياسة -التي جرت عليها العرب في أيام سعدّها ويجرى عليها الإنكليز منذ استفحل استعمارهم في أرجاء الأرض- هي أن تعالج المصالح من بين الحوادث بالرفق واللين، فنعجل بالسهل منها، ونؤجل العسير إلى أن تحين فرصته.

لذلك لا أرى عذرًا للقائظ من إمكان النهوض، ولا للذي يستصعب الصعب فيهمّل من أجله الأمر اليسير، مع أن مجال العمل واسع جدًا للعاملين، بل كل شأن من شؤوننا يحتاج إلى العمل فيه، ورحم الله امرءًا ترك ما يريه إلى ما لا يريه، وما يعجزه إلى ما يسهل عليه.

المدارك بحمد الله نامية، والقوى كامنة متوفرة، وليس إلا أن تنار الأولى بنور العلم النافع في الحياة العملية، وتدرج الأخرى في مدارج النظام، حتى تكون محصلات سيرها سوارية لا معاكسة، ومتوائمة غير متعارضة.

وإن دلائل الحالة الحاضرة تدلنا على أن القوم هبوا للأمر الأول مقبلين عليه بعقولهم وقلوبهم وأموالهم، حتى في حواشي الجزيرة العربية، بل هم انتهوا في التوصل إليه إلى أقصر الطرق شقة، وأثبتها مواقع أقدام، وأكثرها دواعي اطمئنان، ووسائل فلاح ونجاح لانطباقها على حاجتنا القومية، وملاءمتها لحاجة هذا العصر.

أما عن الأمر الثاني: فإن رجال النهضة ونوابغ الأمة بالرغم من توارد خواطرهم في المعنى الصائب من معاني الإصلاح، مع ما هنالك من تباعد بين البلاد، فإنهم أحوج ما يكونون إلى دسارٍ ينظمهم، وصلة من التعارف والتواد تجمع بين آرائهم؛ ليكون لهم من الاجتماع قوة، ومن الشورى هداية، ولا ريب أن بارق الحقيقة يبعث عن أحكام الآراء، فضلًا عن اختصار الوقت.

استفادة البعض من تجارب الآخرين، وهذا معنى الحديث النبوي: «المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً»^(١).

على هذا الطريق سبق للأمم بلوغها سن الرشد، وما كان للزمان أثر في نمو الكائنات واندثارها إلا بالأعمال الاجتماعية والميكانيكية والكيمائية التي تعمل في ثنايا الزمان.

كل أمة ترغب في البقاء، بل هي ترمي بنفسها إلى الموت من أجل البقاء، وليس في هذا ما يعيبه أحد عليها، وإن حالتنا الحاضرة حرجة جداً، وعواقب الإهمال والغفلة فيها يقصها التاريخ على كل طالب، أما وسائل الإصلاح الذي به الحياة والبقاء فأهمها الاهتمام لطريقة الارتقاء القومي الذي يجمع بين القوى المادية والمقومات الملية والأنظمة الخلقية، ثم توحيد اتجاهات السير لئلا يذهب منعكسها بمستقيمها، وبذل الجهد لملء الزمان عملاً فيما هو أقرب منا وأسهل علينا، حتى يكون الحصول على هذا وسيلة فيما بعد للحصول على ما هو أبعد منه.

وحسبنا ما تقرّبنا حتى الآن من منبعث الأخطار بإضاعتنا الوقت في اللهو والشغب، ومحاولة الوصول إلى الأمر البعيد الذي على مقربة منا ما هو أكثر منه أهمية، ونحن أشد حاجة إليه، وحبذا لو ننتهج منهج أمير المؤمنين -علي بن أبي طالب عليه السلام- في قوله: (إنهم أَرعدوا وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نسيل حتى نُمطر)، وفقنا الله إلى ما فيه السعادة في الدارين.

القاهرة: ٢٧ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ /

محب الدين الخطيب



(١) أخرجه البخاري (٤٦٧) ومسلم (٢٥٨٥).

كلمات في الحكمة

* الأرض مسرح تمثل عليه مأساة متعددة الأسماء.

(فولتير)

* التخمّة كالجوع، ولذلك فالاعتدال سعادة لا يستهان بها.

(شكسبير)

* الرجل الفائق يحب البطء في أقواله والنشاط في أعماله.

(كنفوشيوس)

* الأدب يُذهب عن العاقل السكر، ويزيد الأحقق سُكرًا، كالنهار يزيد البصير بصرًا، ويزيد الخفّاش سوء بصر.

(ابن المقفع)

* إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ.

(أرسطو)

* الزمان ينشئ ويلاشي، ففناء كل قوم سبب لكون آخرين.

(أرسطو)



أؤمن بالدين

عرفت فيمن عرفت من أصناف الناس أربعة تجرى أمورهم في نفسي على غير مجاريها في أنفسهم، وأرى من طبيعتهم موضع الغفلة فيما يرونه أو يحسبونه موضع السداد:

(فالأول): رجل ملحد أديب، معني بجميع الكتب، يتعلق بكل نفيس منها، وهو يزعم أنه تأمل الأديان فلم يجد طائلاً في شيء منها، وأن له في كل دين ظنة على ريبة، ونقداً على مسألة، وثانية على أولية^(١)، وأنه تبدل الدين بالخلق فما خسر شيئاً وربح الحقيقة، ثم يحذو بعداً على هذا الحذو كما يفعل الملحدون في صفة أنفسهم، وهم دائماً لا يأخذون من الكلام إلا بملء اليدين، إذ من العجيب أن لا تقع لهم الكلمة الصحيحة المفردة.

هذا الذي خرج من الأديان ومن نهىها وأمرها إلى الأخلاق وعهدها وأدبها، قال لي ذات يوم -وقد خضنا في أمر الكتب-: إني لأمقت السرقة والغضب والخديعة، ولا أبيع منها شيئاً ولا أمرُّها لأحد، غير أنني إذا وجدت كتاباً نفيساً وعجزت عنه ثم أمكنتني فرصة من الغفلات لم أتورع أن أسرقه.... ولو غصبت، ولو خدعت.

قال هذا، فلم أفهم من كلمته شيئاً إلا أن لقب (اللص) يكون من الشرف أحياناً بحيث يسمو كثيراً على الرجل الملحد!

(والثاني): رجل متفلسف انقلبت عقيدته إلى زيغ، فله رأيان في أمور الحياة: واحد ينزع فيه إلى طبيعته فيستمع ما وجد متاعاً في حرام أو حلال، وفي

(١) كناية عن التعدد وأنه لا يكتفي بواحدة.

معروف أو منكر، والآخر يرجع به إلى ضميره الإنساني وما هو الأشبه بعلمه وعقله وفلسفته، فيألم ويتململ إذ يرى أنه لا يزن من لذاته لا بمقادير الخير ولا بمقادير الشر، وأنه يبيح لنفسه ويحرم على غيره، فإنما الرأي والحق والعدل أن لا ينطلق في كل إنسان تاريخه الوحشي كما يفعل هو، ليقوم النظام على أصوله وتحقق الإنسانية في أهلها، ولو فعل الناس ذلك فوسعتهم الفلسفة لما وسعتهم الطبيعة، بل هي تسرع حيثئذ فتطلق لكل حيوان مع أكلته التي يغتذي بها أكله الذي يغتذي به.

لم أفهم من فلسفة الرجل أنه فيلسوف، بل عرفت من عمله أن الرجل من الناس قد يكون سافلاً حتى من الجهة العالية فيه، وقد يكون فاسداً حتى من بعض جهاته الصالحة.

(والثالث): رجل يزعم عند نفسه أنه مُصلح، ويتولى أمور الناس فيداورها ويلتمس لكل شيء مآتي يتسبب منه إلى إصلاح فيهم، حتى إذا وثق الناس به واستكانوا إليه وصاروا في حل الغرة وفي قياد الأمن، صدعهم في أديانهم وأخلاقهم، وزكبهم بمزاعمه وخرافاته، وبث أوهامه في مذاهب أقدارهم وتصاريف أمورهم، وظن الدين كلمة يضع في موضعها كلمة غيرها، وحسب اليوم من أيامه في عمل الدهر كالיום من أيام الله في خلق السماوات...

فهو يطرد الأزمنة ويمحو العادات ويغير الطباع، ويسن لفروع الشجرة سنة جذورها، فلا يذهب الفرع طالماً بل يغور نازلاً، ثم يزيد أن يقيم على طريق التاريخ مجازة أو قنطرة، ليمشي بالناس فوق التاريخ، فيقطع بهم ألف سنة في ألف يوم، وكأنه زاد في الطبيعة ناموس نهيه وأمره...، أنا لا أقول في هذا إنه مُصلح، بل أقول: يا عجباً... ألا يرتفع النسر في الجو إلا ليبحت أين تكون الجيفة.....؟

(والرابع): ذاك الذي جعلته الكتب عالماً وقسمت له ما شاء، ولكن الله تعالى لم يقسم له شيئاً من كرم الضريبة وشرف العرق، ولا ألقى معاني الذهب في سلسلة آبائه فهو رثة^(١) لا يجيء في معاني الناس بطباعه وأخلاقه إلا كالثوب الخلق من فتوق ورقع، ويغطي عليه العلم كما تغطي القشرة النضرة على الثمرة المرة، فإذا كتب للناس ارتطم في طباعه ونزع إلى مأخذه، وتجاذب داخل نفسه وخارجها، فيذهب يُنكر ويعترض ويُسفه ما عليه الناس من دين وخلق، وينزو بهم في نوازيه ودواهييه، ويرد كل ما في الطبيعة من الجمال وكل ما في النفس من الحق إلى تأويل مادي بحت، كأن الزهرة الخارجة من الطين هي طين مثله، ويسقط عنده كل ما عمل الشعاع والماء في الذرة الأزلية التي انبثقت منها النبتة، فخرجت توحى عن السماء وحي النور واللون.

أنا لا أفهم أن مثل هذا عالم، ولكنه في الناس كبعض النبات في النبات، يُرزق من النمو قوة يُفسد بها ما حوله، فإذا هي ظهرت فيه لم تنبه على قيمته بأكثر مما تنبه الناس إلى وجوب اقتلاعه واستئصاله...



لا ثقة لي بمتخلق لا دين له، فإن الخلق يصله بحظ نفسه أكثر مما يصله بواجبات الناس، ولا بفيلسوف ملحد، لأن الفلسفة تمزجه بالمادة أكثر مما تمزجه بالإنسانية، ولا بمصلح ينسلخ من الدين؛ لأن إصلاحه صور من غروره، ولا بعالم جاحد؛ لأن علمه كهندسة الشوكة كلها من أجل آخرها... أولئك لا يدرون أنهم من هذا العالم في حدود أغراضهم الصغيرة الفانية، إذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يحب هو لا من حيث يجب عليه، ثم يفسر الأشياء في جزء منها لا في مجموعها، ويعتبر الزمن عمراً كعمر الفرد وهو تاريخ لا

(١) أي من البقايا التي لا خير فيها.

يموت، وينظر إلى الغاية من الوجود كأنها داخله في الحد، مع أنها لو حُدَّت لبطلت أن تكون غاية.

كلّ منهم صحيح في ذاته فاسد بموضعه من أغراضه أو من أغراضنا، وما أشبههم بالأشجار في المقابر لا تجد لها في المقبرة ما تجد لها في الحديقة، كأنها لما قامت في موضع الموت قامت حية، ولكن ماتت روح الحديقة فيها. لا تسمو حياة الفرد إلا إذا كان جزءاً من كل، ولا يجتمع الكل إلا إذا كان تائماً فيما هو كل به، فالسبيل أن يُدفع الفرد أبداً إلى خارج حدود الذاتية الصغيرة، وفكرة الكل هذه لا يصورها ولا يستوفي معانيها إلا الدين الصحيح، إذ هو خروج بالفرد من شهواته التي تفصله من غيره إلى واجباته التي تصله بغيره، وانتزاع له من ذاتيته إلى إنسانيته، ودفع بالإنسانية نفسها إلى الكل الذي هو أسمى، فكأن الإيمان في حقيقته إن هو إلا دُزْبة لهذا الإنسان على الدخول في اللانهاية، فهو من أجل ذلك يقضي على الفرد أن يتسع ويمتد في إنسانيته لا في شخصيته فيختلق بالأخلاق التي تعم دون التي تخص، وهذه صورة صغيرة من جعل المحدود في ذاته أعظم من ذاته ودفع ما ينتهي في سبيل ما لا ينتهي.

فإذا عمل الفرد على أن يُقفل حدوده عليه ويستغلق بها ويمتنع من ورائها، وصار كالقلعة المحصنة لا تصلح إلا حرباً لما حولها ودفاعاً عما فيها، فلن يضع هو أمره إلا على هذا المعنى، ومن ثمّ فلن يكون له ممن يصادمونه إلا حكم واحد، وهو تخريبه وهدمه وإقحامه، فإذا كانت الحياة غير باقية على فرد من الناس، فمن الحُقم أن تكون هذه هي صورة الإنسانية فيها، وإذا كان ذلك حُقمًا فالحق ولا جرم بعض المعاني التي يقوم الإلحاد عليها.



ليس في الأرض إنسان لا أجداد له، فمن ثمّ ليس على الأرض إنسان في نفسه، بل إنسانية فقط، إنسانية متصلة مفرغة إفراغاً ليس للفرد بينها موضع لذاته، بل موضعه لاتصاله بسائرهما كمنزلة الخلية الواحدة بين الملايين من الخلايا المتلازمة في جسم واحد قائم من جميعها، صالح للوجود بصلاحيها وفسادها معاً.

أما إنها لعجيبة أن تُلقَى بسؤالين متناقضين ثم لا تجد عليهما إلا جواباً واحداً لا يختلف، سل الحكمة: لم صلح هذا؟ فالجواب: ليكون شيئاً ضرورياً في الوجود، هي الحلقة المفرغة لما غاب طرفاها صار كل موضع فيها طرفاً وعلت كلها ونزلت كلها.

فليس إلا النوع لا الفرد، والكل لا الجزء، والإنسانية لا الإنسان، وإنما يقع كل شيء في الحياة -بل في الوجود كله- تدريباً لتحقيق هذه الوحدة كيلا ينقسم أحدٌ منها، فهي أبداً ذاهبة بالجسم والعقل والمعرفة والعدم من جزء إلى جزء: من الأصغر إلى الصغير، من الكبير إلى الأكبر، إلى الأوسع إلى الاسمى، لأن تلك هي علامتها في حركتها وتَسَحُّبها، وهي طريقة برهانها بالنهاية على أنها لا نهاية.

بيد أن خطأ الغريزة في الإنسان يظهر في اعتبار الفرد نفسه كلاً تاماً وشيئاً متميزاً، فلا يريد لنفسه إلا أمراً تاماً وجوده، فيقع النزاع والعدوان، ويضيق بمقدار ما لا يستطيع أن يتسع، لأن دفعه لكل ما حوله مردود عليه بدفع مثله مما حوله، فتبدل صورة الإنسانية في شكل دخله الغلط من كل جهاته، وهاهنا موضع الدين الصحيح، فما هو إلا الناموس القائم من كل إنسان على الواقع في ذاته والواقع في غيره؛ ليتصل بين الواقعين المختلفين بنظام مختلف متحد يكون له في النفس ما يكون لنظام المد والجزر.

وبهذا كان واجباً حتماً أن تكون العقوبة جزءاً من نعيم الدين، وأن يكون القيد شقاً من حرية العقيدة، وإلا بطلت في الإيمان قوتا الجذب والدفع معاً ببطلان أحدهما، لأن مدّاً بلا جزر هو أفحش الجذب الغرق من ناحية، وجزراً بلا مد هو أفحش الغرق من الناحية الأخرى.



تعجبي كلمة في الإنجيل لا أعرف أحداً أحسن تأويلها وبلغ حقيقتها: قال: «يجب أن تولدوا ثانية»، ووضعها في هذا المقال هو تفسيرها، فإن الفرد يولد من الفرد، ولكنه لا يصلح على ذلك بل يجب أن يولد في صفاته وأخلاقه من المجموع الإنساني؛ لتقع الملاءمة، ثم إنه من أبويه يخرج من الحيوانية بغرائزها ولن يفلح بها إنساناً، فيجب أن يولد مرة أخرى من جنسه الاجتماعي بغرائز مكتسبة، ثم إنه يولد مهياً للإقرار بنفسه وحدها، فيجب أن يولد الثانية مهياً لإنكارها وحدها.

على هذه الأرض، إما الإقرار بالنفس وإيثارها والاعتداد بها، ومع كل ذلك الحيوانية والشیطان، وإما إنكارها والإيثار عليها والمهانة بها، ومع كل هذه الإنسانية والله.

لن تطاق الحياة إلا إذا تبدلت فاتخذت لها أسلوباً غير أسلوبها الآتي من تركيب المادة، وإنما صراع الأرض كله حول إقامة هذا الأسلوب الجديد أو هدمه أو ترميمه، أسلوب الأخلاق والطباع الشديدة التي لا تطيقها الحيوانية فتسميها الإيمان، بالأسلوب الأول: تكونون بالحياة في موضعها، وبالثاني: تسعون بالحياة عن موضعها، (فيجب أن تولدوا ثانية).

كل ما يراد به أن يسد في الإنسانية مسد الدين ويغني عنه، فإنما هو في رأيي كطعام أهل الجحيم، لا يُطعمون فيها كما يطعمون في (نزل) لشبع وسمن بل

طعامًا، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا يُسْنِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، أي: لإحداث الجوع وغلته واستمراره^(١).

والطبيعة نفسها تهيب الإنسان للدين بأسلوب غريب، هو هذا الحب الذي يخلق فطرة على أنواع مختلفة متعددة، حتى لا يخلو منه أحد.. فلا معدل عنه ولا محيص، وإنما هو في مظاهره -أيها كان- دُربة للنفس الإنسانية تصعد به درجات من الفضائل: كالإخلاص والإيثار والاتصال الفكري والانبعاث الروحي والشوق الخيالي، ونحوها مما هو في الحقيقة إيجاد للحياة النفسية في أعمالنا، وفيض بالقوة الروحية على مظاهر المادة لإحداث الملامسة بين الأرواح والأشياء، والترابط بين الجاذب والمنجذب، وكل ذلك تهية للدين وعمله في النفس ليكون قائمًا على أساسه في الطبيعة؛ فالحب دين على أسلوب خاص ضيق، ولذلك يشتد فيه التعصب كما يقع في الدين من المؤمن به على وتيرة واحدة، إذ لا يرضى القلب في هذا ولا هذا غير رأي واحد.

فكيفما قلبنا الحياة رأينا في كل جهة منها وجهًا من وجوه الإيمان، وباعثًا من بواعثه، وحكمة من فلسفته، فالمصلحون الذين يحاولون تجديد الأمم بصور ملونة من الغرائز تطمس على الدين، هم الذين يرجعون بهذه الأمم في عاقبة

(١) انظر إعجاز هذا التركيب، وكيف بدأ حين أراد وصف طعام أهل الجحيم، وما هي بدار طعام، بل دار عذاب؟! فقال: ﴿لَا يُسْنِنُ﴾ فينخدع الحس فيظن أن هذا الطعام إن لم يسمن فربما ذهب بالجوع، وإن لم يذهب به فربما أغنى منه ولو شيئًا، ﴿وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ فيصدم الحس هذه الصدمة وينعكس عليه التأثير الذي توهمه، ثم يشتد هذا التأثير ويبلغ مبلغه حين يتأمل الحس البليغ هذا التركيب الدقيق، فلا يخرج له إلا أن طعام هؤلاء إذا كان لا يُحدث نتيجة البتة مما هو من خصائص الأطعمة لا في سمن ولا شبع، ولا الغناء من جوع، فما هو إلا طعام منعكس لإيجاد الجوع واستمراره، وتسميته على ذلك (طعامًا) مع أن لهذه الكلمة في النفس عكس ذلك العمل يكون أشد على النفس في العذاب وفي التهكم، فتأمل كيف يكون الإعجاز؟!

الأمر إلى الحيوانية؛ لأنه ليس في طبيعة النفس إلا شيطان: هوَى هي دائماً أعظم منه، وإيمان هو دائماً أعظم منها.

مصطفى صادق الرافعي



نظرة اجتماعية في الإحسان

الجود من ذوي الجدة	معيار تقوى الأئمة
لكن طلاء القول في الغد	الب للشح لدة
إن جادت الأقوال فالأفم	ال غير جيدة
صلى الشريد التائه الن	ظرة عمن شرده
والبائس المسكين ذا ال	ميلة عمن لدة
ضحية الشح هما	وشهوات المعدة
الأرض ملأى معدناً	فضته وعسجدة
وربما كانت أدرر	من بخيل رصده



البلشفية التي	كادت تكون السيدة
وهي التي صارت لـ	ل مالك مهددة
وهي التي بعدها	أهل العقول مفسدة
وهي التي دُخانها	أصبح ناراً موقدة
نتيجة لازمة	للأم المستعبدة
أبواب أغنيائها	دون الفقير مؤصدة

إن مد يوماً يده	إليهم حبوا يده
ماذا جنى حتى حموه	ماءهم أن يردة
ونصبوا أتعابه	لكل ربح مصيده
واحتكروا مجهوده	حتى أبوا أن يحصده
فكيف لا تنبت في	صدر الفقير الموجد
لو أخرجوا زكاتهم	أبقوا السيوف مغمدة
ولطفوا ببردها	آلامه المتقدة
في هذه الفضلة حل	الأزمة المعقدة
لكنها غطرت	جرت عليهم حسدة
فليحملوا أوزارها	دائمة موبدة
ولينعموا بيومهم	شيئاً فما أقسى غدة
هذا الضعيف المستكين	الظلم شد عضده
قد ملأتهم رهبة	جنوده المجندة
لا عذر بعد اليوم إن	أبرد منهم كبدة
حجنتهم داحضة	أقوالهم مفندة



الويل كل الويل للضم	ائر (المؤكسدة)
مهما قدحت زندها	بالنصح فهي مصلدة
هناك صنف من ذو	يها لست أدري عدده
أقواله مؤمنة	أما الأفعال ملحدة
ثوب التقى يلبسه	على إهاب المردة
إن وجد البرّ مضيئ	ما بين قوم أخمده

قد يحرم السائل مل
وخرقة من زمهر
وفي المواخير ترى
ما ضره لو أسخط المس
مشاعر عن كل إنس
البست الحياة مهم
ما ذا هو الإنسان من
ومن هم الناس سوى
أولئك السادة أه
يما يقيم أوده
ير البرد تكسو جسده
آلافه مبددة
كين أن أرضى دده !
مانية مجردة
أجلت محددة؟
غير اكتساب محمده
المكارم المجددة؟
ل الهمم المسودة



كم جاء في القرآن
بالبذل وهو وارد
لاسيما في (رمضا
الواعد المحسن في
يضاعف الخير به
إن لم يكن مال فثم
الحض مثل البذل الاث
إما رأيت معوزا
أصهر بنار نصحك ال
إن الشحيح داخل
أما الكريم فله
من أوامر مشددة
بصيفة مؤكدة
(ن) الشهر ميمون الجدة
أيامه خير عدة
طوبى لمن تزودة
الدعوة المرددة
نان خطى مسدة
أو بائسا كن سنده
مواطف المنجمدة
في عُمَد ممددة
دار السلام مُعتدة

محمد صادق عرنوس

كلمات في السياسة والعدل

* استعمل ابن عامر عمرو بن أصبغ على الأهواز، فلما عزله قال: ما معي إلا مائة درهم وأثواب، قال: كيف ذلك؟ قال: أرسلتني إلى بلد أهله رجلاً: رجل مسلم له ما لي وعليه ما علي، ورجل له ذمة الله ورسوله، فوالله ما دريت أين أضع يدي؟ فأعطاه عشرين ألفاً.

* قال أبو حازم الأعرج: الملك سوق فما نفق عنده جُلب إليه.



ماذا أرى في التجديد والمجددين؟

لقد كتبت كثيراً في هذا الباب، وأمضيت في كل قضية حكمها، ووضعت لكل صورة ألوانها، وضربت وجهي القياس عند أهل هذا الجديد فيما يستقيم لهم ويلتوي عليهم، ولكن فنون الكتابة في هذا المعاني كفنون الحرب، وفيما أرى لا بد فيها من إبداع لتغيير ما لا يتغير في ذات نفسه، وعلى ما بلغت وسائل الموت في العلم والجهل فإنها لم تستطع أن تميت أحداً مرتين، ولن نجعل الموت من بعد إلا ما هو من قبل، ومع ذلك فهي لا تزال تجدد وتبدع... فهل عند أصحابنا المجددين وسيلة لإحيائنا مرتين!

إن هذه الحياة الواحدة على هذه الأرض يجب أن تكون على سنتها في مثل ما كانت تصلح به من الضبط والإحكام، والجلب لها والدفع عنها والمحافظة عليها بوسائلها الدقيقة الموزونة المقدرة، والسهولة في عملها الصعبة في تدبيرها، فعلى نحو مما كانت الحياة في بطن الأم يجب أن تعيش في بطن الكون

بحدود مرسومة وقواعد مهياة وحيز معروف، وإلا بقيت حركات هذا الإنسان في معناها كحركات الجنين يرتكض ليخرج عن قانونه، فإما ألقى به عمله مسحاً مشوهاً، وإما ألقى به ميتاً من جسد كان كل ما فيه قبل ذلك يعمل لحياته.

الجسم كله يشرع للجنين ما دام فيه، والاجتماع كله يشرع للفرد ما دام منه، فكيف يكون أمر من أمر إذا كان الجنين مجدداً... لا يعجبه وضع القلب ولا يرضيه عمل الدم، ويرى المعدة أكبر مما يحسن أن تكون أو على غير قواعد الفن والجمال... وهو لا يريد أن يكون مقيداً لأنه مجدد، فهو طبيعة بذاتها يجب أن تتسلط على ما حولها وتصلح فيه وتجدد منه، ثم يجد في جغرافية الجسم الذي يجنه قارتين جميلتين كأوربا وأمريكا يقال لهما الرثتان: فيأبى إلا أن يكون في واحدة منهما لا فيهما الهواء.



أنظر الآن إلى الطريق فأرى شرطياً يضرب في هذا الشارع مقبلاً ليدبر أو مدبراً ليقبل، وقد ألبسته الحكومة ثياباً يتميز بها، وهي تتكلم لغة غير لغة الثياب، فلا تنطق من زينة أو ترف أو تصد أو فقر أو حر أو برد، بل تقول: أيها الناس، إن هاهنا الإنسان الذي هو قانون دائماً، والذي هو قوة أبداً، والذي هو سجن حيناً، والذي هو مشتقة إذا اقتضى الحال.

يا أصحابنا الملحدين والمجددين: أتحسبون هذا الشرطي قائماً في هذا الشارع كجدران هذه المنازل؟ كلا - إنه واقف أيضاً في الإرادة الإنسانية وفي الحس البشرى وفي العاطفة الحية، فكيف لا تمحونه مع أنه في ذاته إرغام بمعنى، وإكراه بمعنى غيره، وقيد في حالة، وبلاء في حالة أخرى.

لكنه إرغام ليقع به التيسير، وإكراه لتنتلق به الرغبة، وقيد لتتجدد به الحرية، وكان هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية المقابلة.

كل دين صالح وكل فضيلة كريمة وكل خلق طيب إنما هو على طريق المصالح الإنسانية هذا الشرطي بعينه، فإما تخريب العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم...

أنتم ويحكم تقولون: العلم والفن والشهوة والغريزة والعاطفة والمرأة وحرية الفكر واستقلال الرأي ونبذ التقليد وكسر القيود إلى آخره وإلى آخرها... فهذا كله حسن مقبول سائغ في الورق إن كان مقالة أو قصة، وحين ينحصر في حدوده التي تصلح له من ثياب الممثلين، أو من بعض النفوس التي يمثل بها القدر فصوله الساخرة أو فصوله المجنونة أو فصوله المبكية، ولكنكم حين تُخرجون هذا كله للحياة على أنه من قوتها الموجبة ترده الحياة عليكم بالقوة السالبة، إذ لا تزال تخلق خلقها وتعمل أعمالها بكم وبغيركم، وإذا كان في الإنسانية هذا القانون الذي يجعل كل فكر مريض أو سافل يهدم من صاحبه يهدم في الكون بصاحبه، ففيها أيضًا القانون الآخر الذي يجعل كل فكر صحيح أو سام يبني من أهله - يبني في الكون بأهله.

قال دمنه...^(١) ونظرت إلى سلكي الكهرباء وكان واحد منهما فيلسوفًا مجددًا كفلاسفة مصر... فإذا هو يقول لصاحبه: ما أراك إلا رجعيًا إذ كنت لا تتبعني أبدًا ولا تتصل بي ولا تجري في طريقي، ولن تفلح إلا أن تأخذ مأخذي وتترك مذهبك، فقال له صاحبه: أيها الفيلسوف العظيم لو أني اتبعتك لبطلنا معًا، فما أذهب فيك ولا تذهب في، وما علمتك تشمني في رأيك إلا بما تمدحني به في رأيي.

(١) من نسختنا الخاصة لكتاب (كليلة ودمنة)، وقد نشرنا أمثالا منها في كتابنا (المعركة بين القديم والحديث).

وهذا هو جوابنا إذا كنا رجعيين بدين أو فضيلة أو قومية أو بلاغة أو حياء أو عفة إلى آخرها وإلى آخره... ونحن لا نرى هؤلاء القوم من فلان وفلان عند التحقيق إلا ضرورات من مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها، تلبست بعض العقول من تربية أو تقليد أو مرض أو غاية أو ضعف كما يتلبس أمثالها بعض الطباع فتزيع بها، وللغة في الحياة العملية مترادفات أيضًا تكون الكلمتان والكلمات بمعنى واحد، فالمخرب والمخرف والمجدد بمعنى...، وكيت وكيت كذا والتجديد بمعنى.

كلّ منهم يريد أن يضع في كل شيء قاعدة نفسه هو، فهذا موضع العلم والإصلاح عندهم، أما موضع الجهل والغفلة منهم فأنت تتبينه إذا حققت واستنتجت القياس الذي وضعوه، فإنه إذا اختلفت القواعد لشيء واحد ذهبت به الفوضى ولم تبق له قاعدة.

وهذا هو السر في أن التجديد لا يكون شيئًا واقعيًا إلا بالمحكمة والمشقة كما وقع في تركيا، لأن المشقة لا تضع إلا قاعدة واحدة، فهي في الحقيقة المجددة لا مصطفى كمال ولا غير مصطفى كمال، أنبحث عما نتسلط به أم ما يتسلط علينا؟ وهل نريد أن تكون غرائزنا أقوى منا أو نكون نحن أقوى منها؟ هذه هي المسألة لا مسألة الجديد والقديم، ولعمري لقد قرأت كثيرًا مما كتب المجددون، فأشهد ما رأيتهم يحاولون إلا خلق الصور المكروهة أو المغلوطة في أشكال محبوبة أو صحيحة، وما في ذلك إلا إفساد الحقيقة أو إفساد الضمير أو إفساد التعبير، وهم يكادون يقررون في أدب مذهبهم أن للعبقري منهم وقاحة مقدسة... فيهينون الوقاحة بجعلها مع التقديس، ويهينون التقديس بوصف الوقاحة به، وبهذا نجزم نحن أن لا أدب ولا كرامة في هذا المذهب.

إن الواقع في الطبيعة الإنسانية لا يُعجزنا لأنه واقع، فإن لم يكن هناك المثل الأعلى الذي يعظم بنا ونعظم به فسد الحس وفسدت الحياة، وكل الأديان الصحيحة والأخلاق إن هي إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة في آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها في وقائعها ومعانيها.

يقول بعضهم: (الأدب المكشوف)، وهي كلمة من جهله المكشوف لا غير: إذ لو علم هذا لعلم أن شرط الجمال في كل كائن لا يقوم بإظهار أشياء منه إلا مع اختفاء أشياء غيرها، فهو مجتمع تحته من كليهما لا من أحدهما، وهو جمال بما يظهره لأنه يخفي تحته ما لا يظهره، ولو جئت بأجمل النساء وكشفت مزعة من جلدة وجهها لعادت هي بعينها من أقبحهن، وكذلك القياس في كل جمال لا بد من ترك أشياء كثيرة مستورة كما لا بد من أخذ أشياء كثيرة على ظاهرها دون باطنها.

لم أر إلى الآن من آثار المجددين شيئاً ذا قيمة لا في علم ولا في أدب، ما كان من هراء وتقليد زائف فهو من عندهم، وما كان جيداً فهو عندهم كالنفائس في ملك اللص لها اعتباران: إن كان أحدهما عند مقتنيها. فالآخر عند القاضي، كلا يا هذا لن تسمى مالِكاً بهذا الأسلوب، إنما هي كلمة تسخر بها من الناس من نفسك ومن الحق، كلمة جعلتك غلطاً في اسم من الذهب، ولو صرحت عن حقيقتها جعلتك ولا ريب في اسم من الحديد.

وليس عندنا مجدد بمعنى التجديد على حقه وعلى مذهبه وعلى مقداره، وإنما هي فوضى، أولئك بعض أشخاصها وتلك بعض أعمالها، ألا وإن كلمة (جبار) لا تقوم في الواقع إلا بأوزان عالية من مقادير القوة في العضلات والعظام والأعصاب والروح، فكلما نزلت هذه المقادير شيئاً تواضع الاسم شيئاً، وتبدل شيئاً، وصار شيئاً، فإذا تواضع التجديد وسمى نفسه تجربة... لطريقة أو لדרך

من الإصلاح لم يعد الجدل بينه وبيننا، بل يكون بينه وبين سنن الحياة في المصالح العامة، هي تفره فثبته أو هي ترده فثنيه، ولكن. لكن إيه...

مصطفى صادق الرافعي



عادات شعراء العرب

كان شعراء العرب يتميزون عن سائر الناس بعادات، وقد مر بي في أثناء مطالبة كتب الأدب شيء منها فأفردته في هذا المقال:

من عادات الشعراء أن يلبسوا الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهر، ذكر هذا الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين»، وقال: (كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر يتزى بزي الماضين، وكان له بُرد أسود يلبسه في الصيف والشتاء، فهجاه بعض الطناز^(١) من الشعراء، فقال في قصيدة له:

بع بُردك الأسود قبل البَرْد في قرّة^(٢) تأنيك صما صرد

ومن عاداتهم أن يخاطبوا نساءهم في ابتداءات قصائدهم إذا حضروا، ويخاطبون أخلاءهم إذا سافروا، لأنه كان لا يسافر منهم أقل من ثلاثة^(٣).

ومن عاداتهم في الجاهلية أن الواحد منهم إذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه، وأرخی إزاره وانتعل نعلًا واحدة^(٤).

(١) من الطناز وهو السخرية.

(٢) القرّة ما يصيب الإنسان وغيره من البرد، وصما صرد: شديدة البرد.

(٣) «شرح ديوان أبي محجن الثقفي» للحسن بن سهل، (ص ٤).

(٤) «أمالي المرتضي» (١/ ١٣٥)، و«خزانة الأدب للبغداد» (٤/ ١٧٢).

وكانوا لا يتكسبون بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاها أو مكافاة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر، حتى نشأ النابغة الذبياني، فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر^(١).

ومن عادتهم عرض أشعارهم على قريش والاعتماد على حكمهم فيه بالرد والقبول، قال حماد الراوية: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما منه كان مقبولاً، وما ردوا منه كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدتهم قصيدته التي أولها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم
فقالوا: هذا سمط الدهر، ثم عاد إليهم في العام القابل فأنشدتهم قوله:
طحا بك قلبٌ في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب
فقالوا هذا سمط الدهر^(٢).

ومن عادتهم المساجلة^(٣)، وهي أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيماً، وهذا قسيماً، أيهما ينقطع قبل صاحبه؟ وأكثر ما تكون بأنصاف الأبيات.

وكان كثير منهم يعملون القصيدة ولا يظهرونها للناس حتى ينظروا فيها ويهذبوها، ومن هؤلاء زهير الذي كان يعمل القصيدة ولا يُظهرها إلا بعد حول، وتسمى قصائده «الحوليات».

(١) «العمدة» لابن رشيق (١/ ٤٩).

(٢) «خزانة الأدب للبغدادى» (٤/ ٥١٧).

(٣) في «نظام الغريب» لعيسى بن إبراهيم الربيعي. والسجل: الدلو، وجمعه سجال، قال: فخليها والسجال نبرد، ومنه أخذت المساجلة، وأصلها أن يقف الرجلان على البئر، كل واحد ينزع سجله يتباريان ويتدران النزاع، ثم قالوا لكل من يباري صاحبه في قول شعر أو خطبة: هو يساجله.

وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يُبرزها^(١).
وكان أبو نواس يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً، ثم يعرضها على نفسه فيُسقط
كثيراً منها؛ ويترك صافيها، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره^(٢).

وكانوا إذا اجتمعوا يستنشد بعضهم بعضاً ما قاله من الشعر، وهذا معروف
عنهم، حدث دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص، فقال لهم أبو
نواس: إن مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه، ولهذا اليوم ما بعده، فليأت كل
امرئ منكم بأحسن ما قال فلينشده.

وكان بعضهم يرى أخذ الصلة ممن دون الملوك عاراً فضلاً عن العامة وأطراف
الناس؛ قال ذو الرمة يفتخر بأنه لا يكتسب إلا من صلات الأمير الأعلى:

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمة من هؤلاء وأولئك
قال الأحوص:

وما كان مالي طارئاً من تجارة وما كان ميراثاً من المال متلدا
ولكن عطاء من إمام مبارك ملا الأرض معروفاً وجوداً وسودداً
وكانوا يتعرضون بالشعر لحاجتهم، ويستشفعون بتقديم الأبيات بين طلباتهم،
وفي «الكوكب الثاقب» لعبد القادر بن عبد الرحمن السلوى: كان شعبة بن الحجاج
أو سماك بن حرب إذا كانت له إلى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه.

وكانوا يستشفعون عند الملوك لذوي قرابتهم، فيشفعون بشفاعتهم وينالون
الرتب بهم، وقد افتخر بهذا البحري، فقال:

إن أبقَ أو أهلك فقد نلت التي ملأت صدور أقاربي وعداتي

(١) «كتب الصنائع» لأبي هلال العسكري (ص ١٣٠).

(٢) «أخبار أبي نواس» لابن منظور (ص ٥٥).

وشفعت في الأمر الجليل إليهم بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رُفد طلابٍ وفك عناة
وكان بعضهم يقول الشعر وهو يجود بنفسه، وقد عقد ابن عبد ربه في
«العقد الفريد» لهؤلاء فصلاً مستقلاً، وأورد هبة الله ابن الشجري بنفسه في
«مختاراته» قصيدة لبشر بن أبي خازم قالها وهو يجود بنفسه، وهي التي يقول
في أولها:

أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا
تونس / محمد المكي حسين



وعظ العلماء للأمرء

دخل أبو بكر الطرطوشي على الأفضل أمير الجيوش فوعظه، وقال في
وعظه: إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان
قبلك، وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك، فاتق الله فيما خَوَّلَكَ في هذه
الأمة، فإن الله تعالى سائلك عن النقيير والقطمير إلى أن قال: فافتح الباب
وسهل الحجاب وأنظر المظلوم.



اللبانات

يأسف المرء على ما فاته من لبانات إذا لم يقضها
وتراه ضاحكا مستبشراً بالتى أمضى كأن لم يمضها

إنها عندي كأحلام الكرى لقرب بعضها من بعضها
ابن حطان



الجامد والمقلد

زمان كله لجبّ وضوضا	وأهلوه بحب الذات مرضى
أسارى لذة أحلاس جهل	يرون إجابة الشهوات فرضا
تمدّن جاهلٌ فأتى فرّيا	وأعرض جامدٌ فانحط أرضا
فلا هذا بعهد الله أوفى	ولا ذا شرعة الإسلام أرضى
تراوح أمرنا ما بين غالٍ	ورجمي يرى في البسط قبضا
فلا الإفراط أجدانا فتيلًا	ولا التفريط للخيرات أنضى
سل التمدين هل هو رشف كأس	وأوطار مع الغادات تُقضى
وطرح للفضائل وانبعث	إلى حيث الهدى كالثوب ينضى
وتقليد بلا فهمٍ وقول	بلا علمٍ وإلحاد وفوضى
وقل لدعاته: أسفٌ براى	به جئتم، فكان الشر محضا
هوى ببناء عزتنا، وألوى	بوحدتنا، وزاد الغزل نقضا
وقل لأخي الجمود: بأي حق	رفضت فوائد التمدين رفضا؟
ولم تعمل بحكم الدين فيه	فتأخذ ما بقي دينًا وعرضا
أسرّك أن ترى الغربي أضحى	يسوم جياده في الجو ركضا
فتمرق فى جوانبه شهابًا	وتملأ جسمه كالروح نبضا
وتعزب لا تراها العين إلا	كما لمعت ثغور البرق ومضا
وتأوي حيث لا النينان تأوي	ولا الجنان إن حاولن أيضا

ونحن من الطريق بحيث كنا
إذا نشبت بنا أظفار عادٍ
وإن دبست كرامتنا بكينا
عجبت وحالنا بالذم أخرى
أناسٌ ما أشاهد أم ذباب
يطن وليس يحذر سامعوه
وقوف لا نرى في ذاك غصًا
لقيناها بتسليمٍ وإغصا
وأضمرنا لعادي الدهر بغصا
وقول الحق عند الله أرضى
يشابه بعضه في الوصف بعضا؟
له قرصًا ولا يخشون غصًا



أجدك هل ترى إلا خليعًا
وذا مال يضنُّ بما لديه
تحجر قلبه فارتد صخرًا
وذا جاه إذا ما قمت تدعو
وذا علم يرى في الجهل رفعا
غبار خليقة فكرت فيه
يطير إذا رياح المجد هبت
إذا ناشدته الأخلاق أغصى
ولا يخشى لعهد الله نقضا
يرضُّ من الحياة العظم رضا
إلى الحسنى على الآثام حصا
لأمته وفي العرفان خفصا
فلم أطعم على التهويم غمضا
هباء في الفضاء طولًا وعرضا



فهل من قائم بالخلق يدعو
فما غير الهدى للداء طب
فننفض حالنا للحق نفصا
ولا من دونه الأوطار تقضى



لساني لا عدمتك من صديق
فإن علق الأسى يومًا بقلبي
ويا قلبي زويد، فكل كرب
إذا كان الذي لم ترض فاصبر
ألوذ به إذا صبري تقضى
رحضت بمائه الأقدار رحضا
سيفضي للزوال وان أمصا
على آلام ما قد كان وارص

محمد حسن النجمي

الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير



كنت بعاصمة الجزائر سنة ١٣٤٤هـ، وَصُفْتُ بها رمضان ذلك العام، وكنا رفقة تجتمع كل ليلة من ليالي رمضان، وكان في رفقتنا محام مسلم جزائري اسمه الإسلامي: (عبد القادر...) واسمه الفرنسي: (ألبرت...)، وهذا الاسم الأخير هو ما تدعوه به أمه الفرنسية وأصدقائه الفرنسيون والمتفرنسون، وكان هو الآخر متفرنساً، ومتفرنساً في كل شيء: في عقليته وأدبه، وفي أخلاقه وعاداته، وحتى في اللغة العامية التي يتكلمها، فهو لا يقيم الصلاة، ولا يصوم رمضان، ولا يحرم ما حرم الله، ولا يؤمن بأن القرآن تنزيل من الله، بل كان يحسبه من كلام الرسول ﷺ، وهكذا، وهو عندنا مسلم كان من الذين لا يؤمنون بدين الحق، وذلك لأنه نشأ نشأة فرنسية محصنة، ما كان يعرف فيها ما للإسلام، ولا يعرف عن المسلمين شيئاً، فقد ربته أم فرنسية، وفي وسط فرنسي...

ومع ذلك فقد كانت خصلة حميدة هي التي تربطنا به وتربطه بنا ارتباطاً متيناً، وهي وطنيته الحديثة، وغيرته الصادقة على الجزائر وإخلاصه لأبنائها، وجهاده في سبيلها جهاداً شريفاً، فكنا نتعاون على البر بالجزائر، وعلى خدمة القضية الجزائرية: هو يستعين بي على فهم نفسية الجزائر المسلمة، وأنا أستعين به على ما صدر في القضية من قرارات وقوانين.

وكان متزوجاً بزوجة فرنسية لا تعرف العربية الدارجة إلا قليلاً، وكانت تحضر معه مجالسنا تلك، فكنا (أنا وإياه) نتكلم في الصلاة والصوم والقرآن، وما إلى ذلك من الدين.

وكان رجلاً لا يُدعن إلا للحجة والدليل، فكان لذلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فتحاورنا ما شاء الله محاوراً مخلصاً لا نريد منها إلا بيان الحق، ثم أذعن وصام وهجر الخمرة وآمن بالله وباليوم الآخر، وأيقن بأن القرآن من عند الله لا ريب فيه، ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وما وجدت أية صعوبة في إقناعه، مع أنني لم أكن أطمع فيه، لما أعرفه في هؤلاء من المكابرة والعناد.

وليس مرادي أن أقص حكاية مسلم كان ضالاً فاهتدي من ضلاله، وإنما مرادي شيء آخر غير ذلك، فقد انقضى رمضان ذلك، وتفرقنا: فسافرت أنا في النصف الأخير من شوال ١٣٤٤هـ إلى مدينة الأغواط بجنوب الجزائر مندوباً من بعض سراتها، فأنشأت بها (مدرسة الشبيبة القرآنية) بإعانة فضلائها، واحتملت من العناء في هذا المشروع ما لا طاقة لي به^(١)، لولا حب هذا الوطن البائس، وحدث لي ما اضطرني إلى السفر إلى بسكرة (مسقط رأسي)، فخلفني -لحسن الحظ- على المدرسة أخ مصلح كريم دعوته لهذه المهمة، وهو الأستاذ مبارك الميلي.

وسافر صديقي المحامي الأستاذ عبد القادر... إلى فرنسا هو وقرينته، ومضت فترة لا أكتب إليه فيها، ولا يكتب إلي.

ولبنا كذلك، حتى جاءتني منه ذات يوم رسالة يُخبرني فيها بما عمله هناك للجزائر، وبما ينوي أن يعملها لها، ويعاتبني على ما كان من قطيعة وجفاء، ويخبرني بإسلام قرينته، ويشكر لي أن كنت سبباً في هدايتها.

وكتبتُ إلي هي بخطها حاشية ضافية تقول لي فيها: إنها مدينة لي بهدايتها إلى

(١) لأن السلطة لا تريد هذا النوع من المدارس.

الإسلام؛ لأنها وإن لم تُعلن إسلامها ولم تُذعه إلا في هذا اليوم، فإنها كانت اعتنقت الإسلام منذ رمضان ١٣٤٤هـ، وكانت قالت يومئذ فيما بينها وبين نفسها: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله) منذ سمعتني أتحدث إلى زوجها عن حكمة الصلاة والصيام وتحريم الخمر، وعن القرآن الكريم؛ وكونه كتاب الإنسانية الذي لا يُصلحها إلا هو، وكونه تنزيلاً من الله، ما فيه شك، وقالت:

(.. ومما زادني إيماناً ما رأيته في زوجي، وهو يحاورك في القرآن، فقد رأيتُ كل ما أعرفه فيه من قوة حجة، وإحكام منطق، كل ذلك رأيته يضؤل أمام ما كنتَ تبديه من إيمان تندفع فيه اندفاعاً: فيه لهجة صادقة، وفيه فصاحة وبيان، وإن أنس لا أنسى وجومه وقد زعم أن الوطنية الصادقة تغنى عن الدين، فقلت له: إذا كنت لا تدين بدين أبناء وطنك ولا تلبس لباسهم، ولا تتكلم بلغتهم، وعوائذك غير عوائدهم، فبماذا تكون وطنياً؟ ثم إذا كنت تعيش في غير مجتمعهم بعيداً عنهم، وتتأدب بأدب غير أدبهم، وتتخلق بأخلاق غير أخلاقهم فبماذا تميز مصلحتهم من مضرتهم؟

(لقد أسلمت منذ ذلك الحين يا سيدي وكنت أخشى إن أنا أذعت إسلامي في النساء الفضوليات أن يسلقنني بالسنة حداد، وذهب عني اليوم هذا الخوف لما قوي إيماني، وأعلنت إسلامي، وأصبحت أفتخر به بين الفرنسيات في باريس، وفي غير باريس

وكثيراً ما دعوتهن إلى الإسلام، ومنهن من يسمعنَ لقولي، وكان من السهل أن يدخلن في دين الله، لو أنهن وجدن معلماً يعلمهن هذه الهداية، وداعياً يدعوهن إليها، دعاية فيها إقناع، وفيها بلا مبين.

(أنا مؤمنة مقتنعة بأن الإسلام هو دين الله ما أرتاب فيه، ولكني كما تعرفني لا أملك من البيان ما أستطيع أن أقنع به صاحباتي وصديقاتي المتعلعات المذهبات! على أي قد بلغت، وما زلت أبلغ..)

ثم سألتني عن مسائل في الصلاة والصيام والطلاق ونحو ذلك، وطلبت مني أن أختار لها اسمًا إسلاميًا تسمي به نفسها، فاخترت لها اسم (عائشة)، وقلت لها: لأنه اسم عائشة أم المؤمنين إحدى أزواج رسول الله ﷺ، وذكرت لها لمحة من ترجمتها، فكتبت إليّ تخبرني بأنها مغتبطة مسرورة بهذا الاسم الكريم، وتذكر لي أنها عرضته على كثير من معارفها وصاحباتها ففرحن لها فرحًا شديدًا، وعدن يدعونها (عائشة)، وتجد هي هذا الدعاء لذيذاً، وتذكر لي أن قد أعجبتهن تلك اللمحة من ترجمة عائشة أم المؤمنين ﷺ، واستزادتن من الكتابة إليها بسير فضليات النساء المسلمات وتقول: إنها ترجو أن توفق إلى هداية كثيرات إلى الإسلام بمثل سير هؤلاء المؤمنات الصالحات، وأردت أن أوافيها برغبتها، ولكني وجدت في ذلك مشقة وعسراً، فقد كنت أكتب إليها الرسالة بالعربية، ثم أدفعها إلى أحد أصدقائي لينقلها إلى الفرنسية نقلاً دقيقاً عسيراً غير يسير، لما في ذلك من آيات كريمة، وأحاديث شريفة تصعب ترجمة معانيها، وترجمة ما فيها من إعجاز.

أنا لم أقصد أول مرة إلى هداية هذه المرأة المسيحية إلى الإسلام، ولكن الله هداها إليه بما كنت أتحدث به إلى زوجها المسلم، وبما كان يجري بيني وبينه في الإسلام من مناقشة وحوار، فأسلمت وجعلت تدعو إلى الإسلام، وتُبشِّر به: لا تلهيها عن ذكر الله زينة باريس وزخرفها، ولا ما هنالك من لعب ولهو، ولا ما في تلك الحياة من غرور وأخاديع.



واجتمعت يوماً عند عالم من علماء المشرقيات في الجزائر بامرأة فرنسية كاتبة مستشرقة هي الأخرى، وتكلمنا في مسألة التبشير الإسلامي والدعاية إلى سبيل المؤمنين، فقلت: لو أن لهذا الإسلام هداة يهدون بالحسنى، ودعاة ينشرون الإسلام في أوروبا وأمريكا وغيرهما، لما لبثت الكرة الأرضية إلا يسيراً حتى يغمرها الإسلام بنوره، فوافقت على رأي هذا العاجز، وأخبرتنا بأنها تعرف أسرة من الأسر النبيلة في الجزائر تزورها الفينة بعد الفينة، وتختلف إليهما من حين إلى حين، تبحث عن المجتمع النسائي الإسلامي وما يتصل به، وذكرت لنا أنها كانت ألقت كتاباً في هذا الموضوع، وكانت تظنه كتاباً قيماً، نصحت فيه المرأة المسلمة بأن تعتمد على نفسها في تحرير رقبتها، وأن تتمرد على الحجاب فلا تبقى سجيناً به، وهكذا جعلت تصف للمسلمة طريق الحرية والخلاص! وقرأت من كتابها على ربة المنزل في تلك الأسرة، وعلى نساء كنّ معها يستمعن الكتاب وصاحبه تتلوه عليهن، فلما سمعنه أكبرنه وقلن حاش لله ما هذا حقاً، إن هذا إلا خطأ مبين، وابتدرتها ربة المنزل تقول لها: إنك ألقت هذا الكتاب لنا معشر المسلمات بنية حسنة، وتريدين أن تخدمينا به خدمة صادقة، وتعملين لنا به عملاً صالحاً، ولكن اسمحي لي أن أقول لك: إن كتابك هذا هو آلة لهدم شرف المسلمة والقضاء على سعادتها، ولتمزيق ما هي فيه من صيانة وعفاف، وكل ما فيه أن الوهم يصور لك المرأة المسلمة أسيرة في يد الرجل، وتتصورين حجابها سجيناً لها، مع أن الأمر ليس كذلك، فإن حجاب المسلمة صيانة لها، والمرأة في خدرها كالوردة في كمها، والمرأة في خدرها كالملكة في قصرها لا تبرحه ولا تود أن تريم عنه، وليس الرجل إلا قيماً (قوَّاماً) عليها، تظل هي في منزلها وكل غرامها في إصلاح شئونه وفي تربية أولادها، ويظل هو يكد ويكدح،

ليؤدي ما لها عليه من واجب، وليقوم لها على ضرورياتها، وهو مسؤول لها أكثر مما هي مسئولة له، أترينها -وهي ملكة منزلها- تسمي نفسها أسيرة بيد الرجل، تسمي حجابها سجنًا لها؟ كلا، فحجابها هو صوانها، وأولى بالمرأة أن تصان وتحتجب، وكما يجب على الرجل أن يكون رجلًا كاملاً في رجولته، يجب على المرأة أن تكون امرأة أنثى كاملة في أنوثتها، وفي الحجاب من لين الأنوثة ودلالها مالا يكون في السفور، والسفور عندنا من عادة النساء البدويات والقرويات، حيث الخشونة وشطف العيش، لا من شأن الحضريات، حيث الطراوة والنعومة، وحيث الرفاهية والعيش الرخيم، والمرأة البدوية أو القروية بسفورها مترجلة تشبه الرجل، ثم هي ليست بامرأة كالنساء ولا برجل كالرجال.

قالت الراوية: واندفعت ربة المنزل تصف المرأة السافرة بأنها لاهية لاعبة مسرفة في لهوها وفي لعبها، وقد تقسو عليها فتصفها بقلة الحياء، حتى خجلت ووجمت، فأردت أن أتكلم فلم أقدر على الكلام.

قالت: ثم جعلت تُدل بالحجاب، وتزعم أن فيه الحشمة والعفاف، وفيه الأنوثة وكل ما فيها من سحر ودلال، وتطري المحتجبات، وتسرف في الثناء عليهن.

قالت: وهنا حنقتُ واستكبرت وأنا المتعلمة الكاتبة أن أقف بين يدي امرأة جاهلة موقف الحيرة والوجوم، وأنا ما جتتها إلا لأعلمها كيف تكون امرأة حرة، فجمعت (قوتي في يدي) وقلت لها:

لو أنك ذقتِ لذة الحرية لما صبرت عنها لحظة واحدة، ولمزقتِ حجابك تمزيقًا.

قالت: وهل أنت في الحرية تتلذذين بها وتتعممين في بحبوحتها؟

قلت: نعم، أنا كذلك.

قالت: وأنتِ مع ذلك امرأة أنثى؟

قلت: وهو كذلك.

قالت: تلك أنت عند نفسك، وأما عندنا فما أنت كذلك.

قلت: وكيف؟

قالت: فلنجعلك أنت مثلاً أعلى للحرية التي تريدينها لنا، فأنت امرأة مهذبة كاتبة، ونحن إن خلصنا من الحجاب (كما تقولين) وترقينا وتمدنا، فما نحن ببالغات مهما أمعنا في الترقى والتمدن إلى الذروة التي أنت فيها من الثقافة والتهذيب، ومع هذا كله فما نراك تكلمت في أنوثتك، وما نراك إلا فقدت أكثر ما تكون به المرأة امرأة أنثى كاملة في أنوثتها.

قالت الراوية - وهنا قاطعتها بلهجة غضب - قائلة: ولمه؟

فقلت: أنت عازبة غير متزوجة؟

قالت: فقلت (نعم)

قالت: وماذا يمنعك من الزواج؟

فقلت: لم أجد رجلاً كما أحب.

قالت: ويحك! فهل خلت رقعة الأرض من رجل يكون كما تريدين؟

وواصلت حديثها، وقالت: ولا تعمرين منزلك إلا قليلاً؟

فقلت: وماذا عسى يضيرني إذا لم أعمره؟

فقلت: لا تتزوجين ولا تلدين، ولا تعمرين منزلك، فما أنت بزوجة، ولا

بأم بربة منزل، فإذا بماذا تكونين امرأة أنثى كاملة في أنوثتها؟ أبركوب الخيل،

والخطب الحماسية، والتصفيق والهتاف؟ كلا يا سيدتي، ليس شيء من لين الأنوثة ولا نعومتها في هذا ولا في مثله...

قالت الراوية: فما زدت على أن ودّعتهن، وخرجت خزيانة منكسرة مهزومة ليس وراء ما أنا فيه من الخزي والانكسار والهزيمة غاية أخرى، وكنت أراني كل شيء عند نفسي، فصرت أراني أهون ما يكون، وكان كتابي الذي بذلت في تأليفه أقصى ما يمكن إنساناً أن يبذله في مثله أحب ما يكون إليّ، فصار أرخص الأشياء وأمجها في عيني، ولم ينطفئ ندمي عليه إلا بعد ما محوته محوًا من لوح الوجود، وكان الحجاب في نظري عادة جامدة قاسية يجب أن تتمرد عليها كل مسلمة تريد أن تخرج إلى هذه الحياة، فصرت أنظر إليه كأقدس الشعائر التي يجب أن يحتفظ بها احتفاظًا شديدًا، وهكذا أصبحت أنظر إلى كل شيء إسلامي بغير العين التي كنت أنظر بها من قبل إليه، وإني مكبة اليوم على تأليف كتاب في نصرة الحجاب، قد انتهت إليه منذ ذلك اليوم، ولا أكتمكم إنني أصبحت أميل إلى الإسلام ميلاً شديدًا، وغير بعيد أن تسمعوا عني أن (فلانة) (تعني نفسها) قد اعتنقت الإسلام.



وهذه امرأة مسلمة قد استطاعت على جهلها وأميتها أن تهزم بدفاعها عن دينها امرأة مثقفة راقية كاتبة مستشرقة هي كل شيء عند نفسها، وشيء عند الذين عرفوها وعرفوا فضلها وإنصافها، فلو أن جميع المسلمين المسلمات يعتزون بالإسلام وينفحون عنه، ويشيرون به، ويدعون إلى سبيله، إذن يكون الدين كله لله، وإذن لآمن من في الأرض جميعًا.

محمد السيد الزاهري



الحرب كلمات ماثورة للمارشال فوش

* منذ عهد نابليون يتوسل المحاربون في الحروب الحديثة بكل ما تصل إليه أيديهم من الوسائل، فليس للحرب إلا حجة واحدة هي (القوة).

* في الحرب يقدم الواقع على الرأي، والفعل على القول، والعمليات على النظريات.

* تثار الحرب لأية علة، متى أراد الخصم ذلك.

* الطاعة هي أول قوة تملكها الجيوش.



التاريخ الهجري ومكيدة الداعين إلى هجره

كتب الأستاذ «محمد بك كرد علي» (وزير المعارف السورية الآن) رسالة إلى شيخنا العلامة العظيم الشيخ «طاهر الجزائري رحمته الله» عن التاريخ الهجري، واعتراض بعض صغار الهمم وقصار النظر على استعمالنا له، فأجابه الشيخ - أعلى الله مقامه في جنانه -:

(عجبت لمن يسعون في أن نهجر التاريخ الهجري ويفاتحونا في ذلك كأنهم لا يعلمون أنا نعلم ما يرمون إليه عن بعد)

(لكل أمة شعار إذا تركته طمع فيها واستضعف جانبها، وربما صارت بعد مذبحة في غيرها، وقد سعى أناس منذ عهد بعيد في أن يضعفوا ما يقوى أمر

الإسلام عمومًا والعرب خصوصًا، فنجحوا بعض النجاح، فطمعوا في أن يقضوا عليه، فلم يجدوا أقرب إلى ذلك من إضعاف أمر اللغة العربية والسعي في تبديل خطها^(١)؛ حتى أثروا في كثير من أبناء جلدتنا الذين يظنون أنهم على غاية من الذكاء والوقوف على أسرار الأمم، فكان ما كان مما هو معروف، ثم زاد الأمر فعلموا في تبديل التاريخ الهجري وساعدهم على ذلك جبت مصر، ففرحوا فرحًا لا مزيد عليه، وقال بعضهم: (الآن شفيينا الغليل من هذه الأمة) غير أن كثيرًا ممن انتدب لهذا الأمر سعى في إعادته على قدر الإمكان، فامتعض أولئك القوم وصاروا يلزمون كل من يسعى في ذلك.

(وهذه المسألة نظرًا لتعلقها بتاريخ تأخر الشرق لا يتيسر أن يكتب فيها أقل من نحو ثلاثين صفحة في نحو ثلاثين يومًا).

(وليت شعري كيف يلام المسلم على أن يؤرخ كتابه بالتاريخ الهجري؟ فهل انقرض التاريخ الهجري؟ وهل يريدون أن ينقرض وأصحابه أحياء؟

(فإن قالوا إن المقصود توحيد التاريخ في الأمم^(٢) وأوربا هي القوية الآن، قيل: إن أوربا لها تاريخان أحدهما شرقي والآخر غربي، وكل يؤرخ به قوم منهم، فهل أوقف ذلك التجارة، أو أثر في المدنية شيئًا؟ ولم لا يكلفون تغيير مكائيلهم وموازينهم وأذرعهم لتحديد المقاييس في الأمم؟ وتغيير ذلك ليس فيه غضاضة، بخلاف التاريخ، وقد رأيتهم يعتذرون عنهم ويعدون ذلك في الأخلاق، فانظر ما وصلنا إليه).

(١) هذه الرسالة كتبها الشيخ رحمه الله إلى الأستاذ (كرد علي) قبل نحو عشرين سنة، وقد كان ينظر فيها بنور الله، بينما كان جماهير المسلمين يغطون في غفلاتهم قليلًا.

(٢) وهذا ما قاله الأستاذ (نلينو) المستشرق الإيطالي لمؤلف (الحديقة)، على أثر صدور رسالتنا (تقويمنا الشمسي)، مع أن الأستاذ (نلينو) من أكثر المستشرقين إنصافًا.

كلمة شجاع

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدّما
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكنْ على أقدامنا تقطر الدّما

الحصين بن الحمام



السفور

إنّا عهدنا الشّعر أجـ مل حلي ربّات الخدور
فجزرنه مترجلا
ثم ارتدين من الملا بس لبس ولدانٍ وحوور
لا شيء فوق الثوب من سيقانهن إلى النحور
والسوق في هذى الجوا رب لينتهن بلا ستورا!
وعلى الوجوه براقعُ وُضعت لتزييد الفرور
فخرجنَ في هذا التبر ج بعد تضميخ العطور
وذهبن للشكوى لمن لهم مقاليد الأمور
يبغين إذنًا بالسفور! أعن بطونٍ أم صدور؟
إن لم يكن هذا السفو ر فكيف تعريف السفور؟
قد كان في الحسبان هذا مذ غدون بلا شعور

شاعر دمشقي



سقوط اللغة بسقوط دولة أهلها

□ يقول ابن حزم في كتاب (الأحكام):

(إن اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في أماكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم، واستلقوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر؛ وربما كان ذلك لشتات لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم؛ هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة).



النجديات

قطع شعرية بليغة اختارها (السيد محمود شكري الألوسي) من نجديات الأموي.

□ بين نجد وأرض العراق □

أقول لسعدٍ وهو خلى بطانة	وأيّ عظيم لم أنبه له سعدا
إذا نكبت نجدًا مطاياك لم أبل	بعيش وان صادفته خضلاً رغدا
تلبث قليلاً برم طرفي بنظرة	إلى ربوات تُنبِت النفلَ الجعدا ^(١)
فإنك إن أعرت والقلب منجد	ندمت ولم تشم عرارًا ولا رندا ^(٢)

(١) النفل: نبت من أحرار البقول، نوره أصفر طيب الرائحة.

(٢) العرار: النرجس البري، والرند: شجر طيب الرائحة والعود والآس.

ولم ترد الماء الذي زادك النوى وقد ذقت ماء الرافدين به وجدا
وترمي بنا أرض الأعاجم ضلة فتزداد عمن نشتهي قربه بُعدا
وها أنا أخشى والحوادث جمة إذا زرتها أن لا نرى بعدها نجدا

□ في ربي نجد □

وسرحة بربي نجد مهدلة أغصانها في غدير ظل يروها
إذا الصبا نسمت والمزن يهضبا^(١) مشي النسيم على أين يناجها
تقبل في ظلها بيضاء آنسة تكاد ينشرها لبنا ويطويها
سودّ ذوائبها، بيضّ ترائبها حمراً مجاسدها، صفراً تراقها
عارضتها فاتقت طرفي بجارتها كالشمس عارضها غيم يوارها

□ بمنشط الشيخ □

بمنشط الشيخ من نجد لنا وطن لم تجر ذكره إلا حنّ مغرب
إذا رأى الأفق بالظلماء مختمراً أمسى وناظره بالدمع منتقب
ونشقة من عرار هزّ لمته رويحة في سراها مسها لغب
تشفي غليلاً بصدري لا يزحزحه دمع تهيب به الأشواق منسكب
والنار بالماء نطقاً والهموم لها في القلب ناراً بماء الدمع تلهب

□ تلك الليالي □

أعائدة تلك الليالي بذى الغضى^(٢) ألا لا وهل يشي من الدهر ما مضى
إذا ذكرتها النفس باتت كأنها على حدّ سيف بين جنبي يُتضى
فحنّ رويداً أيها القلب واصطبر فلا يدفع الأقدار سخط ولا رضى

(١) يطرها

(٢) الغضى: شجر

المروءة

* مما يُنسب للأحنف:

فلو أنا مُثِرٌ بَمالٍ كثيرٍ لجدتُ وكنتُ بهِ واصلًا
فإنَّ المروءةَ لا تُستطاعُ إذا لم يكنْ ما لها فاضلاً
* قال ابن عبد الصمد: ما رأيتُ أجمعَ لمعاني السيادةِ ولا أجدرَ بالكرامةِ
والسعادةِ، ممن جعلَ المروءةَ عمادَهُ، والتقى زادَهُ.

* رُفِعَ رجلٌ إلى أمير المؤمنين عمر في جرمٍ اقترَفه، فأراد معاقبته، فاخبر أن
له مروءةً، فقال (استوهبوه من صاحبه).

* قال الحُصَيْن الرقاشي:

إنَّ المروءةَ ليس يُدركها امرؤٌ ورثَ المكارمَ عن أبٍ فأضاعها
أمرتهِ نفسٌ بالدناءةِ والخنا ونهتهِ عن سُبُلِ العُلَى فأطاعها
* قال سلام بن عبد الله الباهلي الأشبيلي: «أسباب المروءة مرتبطة بشرف
النفس وعلو الهمة -إذا اجتمعا ولم يفترقا- فإن من علت وتواضعت نفسه طلب
ما لا يستوجه، وتعدَّى إلى ما لا يستحقه، فلم تتم له المروءة، ومن صغرت
همته وكبرت نفسه قصُر عما يستحقه، وترك ما يستوجه، فنقصت مروءته، فإن
لكل وجه من هاتين الحالتين حظًا من القسم، ونصيبًا من اللوم، ومن تعلق به
لوم، أو نيظ به ذم، فليس بداخل في حال من أحوال المروءة».

* قال أحيحة بن الجلاح اليربوعي:

رُزقتُ لُبًّا، ولم أرزُق مروءته وما المروءة إلا كثرة المال
إذا أردتُ مساماةً تؤخرني عما ينوّه باسمي رقة الحال

* ومسك ختام هذا الباب قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»^(١).



ذكرى الأندلس أو الفردوس الإسلامي المفقود

نظمت لمناسبة احتفال جامعة (قرطبة) الأسبانية بمرور ألف عام

عودي لنا يا أغاني أمسنا عودي	وجدي حظ محروم وموعود
عودي لنا راوياتٍ مجد (أندلس)	وقدسي الشعر قرباناً لمعبود
خلي (طليطلة) يبكي لنكبتها	من أمة (القوط) من كانوا كجلمود
أضحى لهم ماتماً ما كان ماتماً	وصار عرساً لنا حزن لنا مؤدي
إن العدو الذي يُشجى بما اقترفت	يداه شبه صديق غير مردود
يدعو لحفلة تقديس يهيم بها	من بعد حرب يبغض غير مغمود
فنزدهي اليوم أعلام (لقرطبة)	يا طالما بللت من دمع مفؤود
كما يرن الصدى من صوت جامعة	تزجي الوفاء لمجدٍ غير محدود
وشمل (البهو) ^(٢) و(الحمراء) في شغف	نور التطلع بعد الأعصر السود
وملء (غرناطة) الفن الذي حجبت	تلك القرون وآذنه كمحسود
حتى الكنائس تستذري منائرهما	و(جنة الريف) ^(٣) في تعبيد محدود ^(٤)

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٣) ومسلم (١٦٢٨).

(٢) هو بهو السفراء المشهور الذي لا يزال باقياً حتى اليوم في غرناطة.

(٣) هو قصر جنة الريف أو جنة الريف الجميل الواقع في مشرق مدينة غرناطة، وكان يصطاف فيه ملوكها، ويسميه الإسبانيون Generalif تحريفاً عن العربية، وله بستان بديع مدرج يُزار ويُعجب به.

(٤) المجدود: ذو الحظ.

حين (الثقافة) في شتى مظاهرها تحن للأمس في تحنان مولود
حين (الجمال) الذي نغنو لدولته يبايع العرب في حي ومفقود
و حين (صقر قريش) في مآثره يفوق كل عظيم الملك معدود

أبو شادي



لغتنا العلمية

لما ضاقت أوسع عواصم الترك (القسطنطينية) بأكبر علمائها، وهو الدكتور «رضا توفيق بك»، زار هذا العالم مدينة القاهرة في طريقة إلى (عمان) -أصغر عواصم العرب- فاجتمعت به هنا، وبلغ بنا الحديث إلى موضوع الاصطلاحات العلمية في لغات الشرق، فقال:

إن تلاميذي في جامعة القسطنطينية حاولوا التعريض بي وتوجيه عبارات اللوم إليّ عند ما انتشر كتابي (قاموس الفلسفة) فقالوا:

لماذا ملأت هذا المعجم بالألفاظ العربية، وهل في علمائنا من هو أقدر منك على وضع مصطلحات العلوم للغة التركية، مشتقة من أصول لسانها؟

فأجبتهم: ليس إفراغ الاصطلاحات العلمية من لغة إلى لغة بالعمل السهل، كنقل قصة خيالية من لغة إلى أخرى، واللغات كالمراكب: منها الذلول ومنها الحرون، وفيها القوي بطبعه، وفيها الضعيف، وبينها الفاره والهزيل. والعربية في نفسها من أغنى اللغات وأوسعها اشتقاقاً وأدقها تعبيراً، ويوم كان أجدادكم لا عمل لهم غير شحذ السلاح للقتال حلالاً أو حراماً، كان أصحاب اللغة

العربية أوزاعًا في وجوه حاجاتهم القومية: ففيهم المقاتل، وفيهم المنقطع للعلم، وفيهم الذي يشد الرحال متنقلًا بين الأودية، وفيهم الساهر ليله على ذبالة السراج يفكر في أجود تعبير عربي يُفرغ فيه المعنى الواحد من معاني علم اليونان وحكمة الهند وأدب الفرس، ولما أصبحنا في عشرات السنين الأخيرة على ضوضاء المدنية الحديثة وشعرنا بالحاجة إلى تدوين علوم هذا العصر، وجدنا لغاته الشرقية -ولاسيما العربية والفارسية والتركية- كالمراكب: فيها الذلول والصعب، وفيها القوي والضعيف، وفيها الفاره والهزيل، ولا شك أن العربية كانت في عهد فطرتها الأولى أغنى لغات الشرق على الإطلاق، ثم عملت فيها القرائح والعقول والدروس بضعة عشر قرنًا، حتى جعلتها لغة علم حقًا، ولهذا اضطر علماءنا قبل نصف قرن إلى اصطناع العربية في مفردات الطب واصطلاحات علومه، فما علموا بوجوده في العربية قديمًا نقلوه كما هو، وما لم يعلموا بوجوده فيها اضطروا إلى وضعه بألفاظها؛ لأنهم وجدوها أطوع لهم من غيرها في التعبير عما يريدون، وكذلك فعلت أنا في (قاموس الفلسفة)، ولم يكن لي غير ذلك إلا سبيل واحد وهو استعمال الاصطلاحات الإفرنجية كما هي، وهذا شأن العاجز المستخذي المغلوب على أمره.

تلك كلمة عالم تركي يعرف أكثر من عشر لغات، منها الفرنسية والانجليزية والأسبانية والعبرية والفارسية والعربية والتركية الخ... وقد نظم الشعر وألف في الفلسفة وتبحر في علوم الطب، وجلس على كرسي التدريس، وحمل السيف والقلم، وآمن وكفر، ولم يترك بابًا من الأبواب الداخلة، ولم يكن له باعث يحمله على التعصب للعربية.

نعم إن أجدادنا كانوا أوزاعًا في وجوه حاجاتهم القومية، فلم يتركوا ثغرة إلا

كان منهم رجال ساهرون عليها ويجاهدون في سبيل رفعة أمتهم من ناحيتها، ثم صار الأمر إلينا نحن أنصاف المتعلمين الذين نقتل أوقاتنا في المقاهي، فإذا أمسك الواحد منا قلمه مرة في الشهر أو في السنة ليذكر الناس باسمه الشريف لم يجد ما يدير به القلم غير سب أجدادنا الذين كانوا ساهرين ليلهم على ضوء ذبالة السراج؛ ليرفعوا شأن الأمة والملة التي هم منها، فيتهكم بما يسميه علم القدماء وآثار القدماء، ويقول ما شاء له الهوى أن يقول، ولو أن هذه الفئة التي ختمت العلم يوم انتقلت من المدرسة إلى القهوة تتواضع لله قليلاً، وتسلك سبيل قدمائنا فيما وصفهم به علامة الأتراك الدكتور «رضا توفيق بك» - من انقطاعهم للعلم وخدمتهم للعربية وبلوغهم بها أوج المعالي - إذن لما صرنا إلى ما نحن فيه من الفقر الأدبي، ولتمشت لغتنا مع التقدم العلمي الحديث، ولكانت نهضتنا نهضة صادقة غير كاذبة.

وبعد: فإن لغة العلم يجب أن تسير مع العلم جنباً إلى جنب، فكلما استحدثنا في حياتنا المادية أو الأدبية مسمى جديداً، كان حقاً علينا أن نُحدث له في لغتنا اسماً جديداً، وإن لساناً لا يُسعف أهله بأسماء ما يتصل بحواسهم ومشاعرهم من المدلولات جدير بأن يسمى لساناً أبكم، والعربية أشرف من هذا وأغنى وأقدر، فإن لم يُبادر أهلها إلى إمداد العلم بما يحتاج إليه من هذا القبيل غلبتنا الأعجمية على لغتنا، واكتسح تيارها فُصحاناً كما نرى الآن في كثير من شئون الأخلاق والأفكار.

محـب الدين الخطيب



الدهر (١)

تبسم إذا عبسَ الدهر لك وراوغه في العيش أنى سلك
ولما تضاحك فاعبس له فمن سالم الدهر يوماً هلك
هو الغاشم المر لا يأتلي يُقلب ما يحتويه الفلك
فينقل ما في الدجى للضياء وما في الضياء لجوف الحلك
يجور ويشتط في حكمه ومن لا يجور إذا ما ملك؟
أرحني يا موت من ظلمه وواس أخا محنة أملك
لأنت ضماد جروح الزمان فيا غامض السكنة ما أعدلك

أنور العطار



عمر رضي الله عنه وأم البنين

روى أسلم -مولى عمر رضي الله عنه- قال:

خرجت مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا نار
تؤرث، فقال:

يا أسلم أرى هؤلاء ركبًا قصر بهم الليل والبرد؛ انطلق بنا.

(١) قصيدة جميلة السبك، لكنها قائمة على سب الدهر! وقد قال رضي الله عنه: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٢١): «أي أنكم إذا سببتم فاعل ذلك، وقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو الفاعل، والدهر لا فعل له، بل هو من جملة مخلوقات الله تعالى». (س).

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيانها وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون فقال عمر:

السلام عليكم يا أصحاب الضوء (وكره أن يقول النار).

قالت المرأة: وعليك السلام.

فقال: أأدنو؟

قالت: ادن بخير أو دع.

فقال: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: الجوع!

قال: وأي شيء في القدر؟

قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا؛ الله بيننا وبين عمر.

فقال: أي رحمك الله، ما يدري عمر بكم؟

قالت: يتولي أمورنا ويغفل عنا!

فأقبل عليّ فقال: انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً وزاد فيه كبة شحم، ثم قال: احمله عليّ.

قلت: أنا أحمله عنك.

قال: احمله عليّ (مرتين أو ثلاثاً كل ذلك أقول أنا أحمله عنك) فقال آخر ذلك:

أنت تحمل عني وزري يوم القيامة؟ لا أم لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه نهرول، حتى أتينا إليها، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً، وجعل يقول:

ذري عليّ وأنا أحرك لك.

وجعل ينفخ تحت القدر (وكان ذا لحية عظيمة)، فجعلت أنظر إلى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج أدم القدر، وقال:

ابغيني شيئاً.

فاتته بصحفة فأغرقها فيها، وجعل يقول:

أطعمهم وأنا أسطح لك.

فلم يزل حتى شعبوا، ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول:

جزاك الله خيرًا، أنت أولي بالأمر من أمير المؤمنين.

فيقول: قولي خيرًا، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتي هنا إن شاء الله.

ثم تنحى ناحية، ثم استقبلها وربض مريض السبع، فجعلت أقول:

إن لك لشأناً غير هذا.

وهو لا يكلمني، حتى رأيت الصبية يضطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا،

فقام وهو يحمد الله، ثم أقبل عليّ فقال:

يا أسلم، ان الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت فيهم.

قال الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار في «تاريخ الإسلام»:

ومعلوم أن الحوادث الصغيرة كهذه الحادثة تدل على روح الرجل وأحواله النفسية، وتنبئ عن شففته وخوفه أن يكون مقصراً في حق من وليهم من الرعية، ونحن نخجل في عصرنا هذا لأننا لا نجد أميراً أو كبيراً من الناس يهتم بمرؤوسيه عشر معشار هذا الاهتمام، ولو أن امرأة كهذه رآها مدير أو مأمور لكان أقرب شيء يعملها أن يكتب لها محضر تشرد، ويقدمها للقضاء ليحكم عليها!



شاعر الطبيعة

لا تَرُعْ ذلك الهزار ودعه	بتغنى في الروض بين الفصون
لم يرقه في المَدَنِ عيشٌ رخيٌّ	يتراءى بين الضنا والهدون
إن تغالي بالوزن رب القوافي	فهزار الشجرَاء غير الوزون
تخَذُ الكتب شاعر الناس ملهى	وهو عنها في غفلة وسكون
إن من يقرأ الطبيعة طرساً	يقرأ العلم في كتاب مبين



ليت شعري أنت يا طيرُ عاني	تغنى بنبرة المستكين
أم تُبكي البفك المتردي	بعد ثوب الهناء ثوب المنون



أصاب الأخدانَ أظفارُ باز	فأثارت ذكراهم للشجون
أم تولت دُكونَ قومك ريح	تركها تنهار بين الحزون
قام يبكي على الوكور هزار	صيدحي بروعة وأنين

والمصاب الإنسان بمشي الهوينى لا يبالي بمرة ويهون

عمر يحيى



عذاب الشّام

الشرق يبكي من عذاب الشّام موطن أبطالها لا تنام
كان (لسرائيل) فيها احتكام الجأها إلى أمشاق الحسام



والشرف القومي في كل جيل ودیعة تسلیمها مستحيل
يشربه بالأرواح حماه في الكفاح
وبذلون الحياة رخيصة لافتداء بلا ثمن
عاش الوطن فلا يضم



سورية فردوس هذا الوجود وجنة الموعد يوم الخلود
بعد ابتسام الشباب ما بالها في اكتئاب
مجدة للأمل ساعة لا تمل
فهل يعود مجد الجدود؟ وهل يرام؟



حدايق خيم فيها السكون أوراقها ذابلة في الغصون
قد هجرتها الطيور أعشاشها والوكور
صارت خراب فيها الغراب

في نعيم كالنحيب يبكي الكرام



(دُمُرٌ والهامة) كانت لنا مسارج اللهو فماذا جنى

شعب البلاد الحزين على العدو اللعين

فدمر البلدان وشتت السكان

وأباد من أراد في الشآم



قضى على الأحرار وا حستاه من وحش أوربا وما قد جناه

رأيناه قد ثار وما له من ثار

محدد الأنبياء يفوق وحش الغاب

في فنتكه وسفكه دم الأنام



الغرب للشرق عدو مبين والغرب صخرٌ قلبه لا يلين

صب بالاستعمار ما زال للشر جار

حرية الأقوام أصحابها لا تنام

والتضحيات فيها الحياة على الدوام



يا أمم الشرق الشقي الضعيف حذارٍ إن الغرب وحش مخيف

يسطو على الجمالان من عالم الإنسان

فيُنشَب الأظفار ويقتل الأحرار

يرمي البلاء من السماء ولا يلام



كل شعوب الغرب ذات اتفاق تشرب كأسًا من دمانا دهاق

وكلنا في اختلاف وإن رأيت اختلاف
 ربَّ حبيب مريب نعتًا لسوء القلوب
 ساد الخداع والشرق ضاع والحق نام



في كل يوم صرخة داويه يسمعا الظالم والطاغيه
 أذانهم صماء قلوبهم عمياء
 والدرس يجري كالسم يسري
 موتٌ أكيد عيش العبيد هذا الحمام



هذا الذي رام بنا الغرب وليس في مقدورنا الحرب
 لكننا نأباه إنا عبيد الله
 بالذل لا نرضى أو نسكن الأرضا
 الموت أحلى لنا وأولى سكنى الرغام



إن الذي برضى بذل الحياه الله لا يقبله في سماه
 إن الشجاع الأبى بالخلد فيها حرى
 أما الجبان له الهوان
 هو الذليل هو المليل خسفًا يُسام



أبطال سوريا ويا للرجال أسد تثير الهول يوم القتال
 شجاعة في الجهاد وجراة في الجلال
 فيا له من فخار بين سيوف ونار

شعب مجيد بأس شديد حر يضام



إنا بنو الشرق به ناهضون لمجده من نومنا قائمون
تفتحت للحياه عيوننا والشفاه ومدت الأيدي
للعمل المجدي إلى الأمام إلى الأمام إلى الأمام

محمود رمزي نظم



الحياء

* قال المرشد الأعظم ﷺ:

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»^(١).

* قال علقمة بن علاثة للنبي ﷺ: يا رسول الله، عطني، فقال له ﷺ:
«استحي من الله استحياءك من ذوي الهيبة من قومك»^(٢).

* وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك، فإنما يدل على فعل الكريم حياؤه



(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٦).

(٢) ذكره الماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٤٠) بقوله: «وقد روي...».

كتاب عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر -أمير المؤمنين- إلى عبد الله بن قيس: سلامٌ عليك. أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة^(١)، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له^(٢)، آس بين الناس^(٣) في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يئأس ضعيف من عدلك، البيئة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائر بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً^(٤)، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهُديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل^(٥)، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتب

(١) يريد أن يبين له المادة التي يقضي بها، وهي لا تعدو ما حده الله، وهذا ما أشار إليه بالفريضة المحكمة، وما بينه رسوله ﷺ، وهي ما أشار إليه بقوله: وسنة متبعة.

(٢) يريد أن من يدلي بحجة مهما كان مصيباً وقوله حقاً واضحاً فإن كلامه لا ينفعه، إذا لم يكن لكلامه نفاذ إلى قلب القاضي، وذلك لا يكون إلا بالتنبه لما يقوله الخصوم.

(٣) هذا أساس المساواة التي جاء بها الإسلام، ولا احترام للقضاء بدونها، فإن القاضي إذا كان له ضلع مع أحد الخصمين فشت حالة السوء فيه، وإن نجا من عواقبها اليوم فليس بناج غداً.

(٤) هذا أمر يوافقه ما اتفقت عليه جميع القوانين من أن كل صلح يخالف فيه القانون العام فهو باطل لا قيمة له؛ لأن الخصم إذا ملك حق نفسه وساغ له التصرف بما شاء، فإنه لا يملك حق الشارع الذي راعى بتشريعه العام حق الجمهور.

(٥) يريد بذلك أن القاضي لا يتقيد بما فهمه من النصوص في قضية فحكم به، بل إذا ظهر له وجه الخطأ في حكمه الأول كان عليه أن يحكم بما ظهر له من الصواب فيما يكون لديه =

ولا سنة^(١)، ثم اعرف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك بأمثالها، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها، واجعل لمن ادعى حقًا غائبًا أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينته وإلا استحلت عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى^(٢).

المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودًا في حد أو مجربًا عليه شهادة زور، أو ظنيًا في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر ودرا بالينات والإيمان، إياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يُعظم به الله الأجر ويُحسن به الذكر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه، شانه الله، فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام.



- = بما يشبه القضية التي حكم فيها خطأ أولاً؛ لأن الخطأ لا يكون قاعدة، ولأن عمر حكم في قضية بحكم، ثم بدا له الصواب في قضية تشبهها فلم يُغير الحكم السابق، وحكم على مقتضى الصواب في اللاحق، وقال: ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي.
- (١) يريد بذلك بيان أصل ثالث للأحكام، وهو القياس، وهو أن يلحق ما لم يعلم حكمه بما علم حكمه، لمشابهة بينهما في السبب الذي من أجله شرع الحكم، ولهذا يكون من أوجب الواجبات على القاضي أن يكون عارفاً بأسرار التشريع، حتى يتسنى له هذا الإلحاق، ومن ذلك ينتج اشتراط أن يكون مجتهداً لا مقلداً غيره في تفسير أو تأويل.
- (٢) يشير بذلك إلى جواز التأجيل إذا طلبه الخصم، وكان لطلبه سبب معقول، والذي ذكره من الأسباب هو غيبة الشهود الذين يظهر بهم حقه ثم تقيده بآمد ينتهي إليه، إنما كان دفعاً للمشقة التي تحصل لأحد الخصمين بطلب التأجيل من خصمه الآخر في كل جلسة، فيظل أبد الدهر تحت رحمته، لهذا قيده بآمد يستحل عليه القضية إذا لم يثبت حقه فيه.

قصيدة أمير الشعراء في حفلة تكريم الرافعي

أقيمت في طرابلس الشام حفلة تكريم عظيمة للشاعر الكبير الأستاذ «عبد الحميد بك الرافعي»، وهذه قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي بك التي ألقى في تلك الحفلة.



أعزني النجم أو هب لي يراعا	يزيد (الرافعيين) ارتفاعا
مكان الشمس أضوا أن يُحلى	وأنبه في البرية أن يُذاعا
بنو الشرق الكرام الوارثوه	خلال البر والشرف اليفاعا
تأمل شمسهم ومدى ضحاها	تجد في كل ناحية شعاعا
قد اقتسموا ممالكه فكانت	لهم وطناً من الفصحى مشاعا
هم زادوا القضاء جمال وجه	وزادوا غرة الفتيا التماعا
أبوا في محنة الأخلاق إلا	لياداً في العقيدة وامتناعا
أووا شيباً وشباناً إليها	تخالهم الصحابة والتباعا
إذا أسد الشرى شبت فعت	رأيت شبابهم عفوا جباعا
فلم تر مصر أصدق من (أمين)	ولا أوفى إذا ربت دفاعا
فتى لم يعط مقوده زماناً	شرى الأحرار بالدنيا وباعا
عظيم في الخصومة ما تجنى	ولا ركب السباب ولا القذا
تمرس بالنضال فلست تدري	أقلماً تناول أم زباعاً ^(١)
وبين السابق المزري ارتجاعاً	برؤاض القصائد وابتداعا

(١) النباع: السهام.

أما يكفي أباك السبُّ حتى
شدا الحادي بشعرك في الفيافي
وفات الطير ألفاظًا فحامت
إذا حضر البلبل فيه لحن

أتى بك أطول الشعراء باعا
وحركت الرعاة به اليراعا^(١)
على المعنى فصاغته صناعا
تبادرت الحمام له استماعا



مشى لبنان في عرس القوافي
وهز المنكبين لمهرجان
وأقبلت الوفود عليه تترى
غدا يزجي الركاب وراح حتى
ترى ثمَّ القرائح والروابي
ربيعُ طبيعةٍ، وربيعُ شعر
كأنك بالقبائل في عكاظ
بنت مُلكًا من الفصحى وشادت
فعمدت أمة عجبًا وكانت

وأقبل ربوة واختال قاعا
زها كالباقة الحُسنى وضاعا^(٢)
كسرب النحل في الثمرات صاعا^(٣)
أظل دمشق وانتظم البقاعا
تبارين افتتانا واختراعا
تخلل نفح طيبهما الرباعا
تجاذبت المنابر والتلاعا
بوحدها الحياة والاجتماعا
رعاة الشاء والبدو الشعاعا



أمير المهرجان وددت أني
عدت دون الخفوف له عواد
وما أنا حين سار الركب إلا

أرى في مهرجانك أو أراعى^(٤)
تحدين المشيئة والزماعا
كباغي الحج همّ فما استطاعا

(١) اليراع: المزمار.

(٢) ضاع: فاح.

(٣) صاع: تتابع.

(٤) أراعى: أسمع.

أقام بغبنه لم يقض حقًا
 طرابلسُ انثنى عِطفي أديم
 كسا جنباتك الماضي جلالًا
 وما من أمس للأقوام بد
 ألم تسقي الجهاد وتطعميه
 شراعك في الفينيقيين جلى
 كأنني بالسفين غدت وراحت
 صلاح الدين يُرسلها رياحًا
 أليس البحر كان لنا غديرًا
 غمرنا بالحضارة ساحليه
 توارثناه أبلج عبقرًا
 ترى حافاته انفجرت عيونًا
 فما زدنا الكتاب الفخم حرقًا
 قعدنا مقعد الآباء منه
 كأن الشمس مُسلمة أصابت
 تحجب عن بحار الله حتى
 وما رأت العيون أجلّ منها
 فما كشروقها منه نعيمًا

ولا بل الصباية والنزاعا^(١)
 وموجي ساحلًا، وثبي شراعا
 وراق عليه ميسمه وراعا
 وإن ظنوا عن الماضي انقطاعا
 وتحمي ظهره حقبًا تباعا؟
 وذكرك في الصليبيين شاعا
 حبالك تحمل العلم المطاعا
 وآونة يصففها قلاعا
 وكانت فُلكنا البجع الرتاعا؟
 فما عيا بحائطها اضطلاعا
 ذلول المتن منبسّطا وساعا
 ورفت من جوانبه ضياعا
 ولا زدنا العصور الزهر ساعا
 فكنا البهم قد خلف السباعا^(٢)
 عفيقًا في طياله شجاعا
 إذا خطرت به نضت القناعا
 على أجزاء هيكله اطلاعا
 ولا كفروبها فيه متاعا

أحمد شوقي



(١) النزاع: الشوق.

(٢) البهم: الضأن.

أول قراض في الإسلام

روى مالك في «الموطأ»^(١): أن عبد الله وعبيد الله -ابني عمر أمير المؤمنين- خرجا في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرًّا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة، فرحب بهما وسهل، ثم قال:
لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به.

ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، فأسلفكما، فتبتاعان به متاعًا من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح.
فقالا: وددنا ذلك.

ففعل، وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال، فلما قدما باعا فأربحا، فلما ذلك إلى عمر قال:
أكل الجيش أسلفه؟

قالا: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا، لو نقص هذا المال أو هلك لضمناه.
فقال عمر: أديا!

فسكت عبد الله وراجع عبيد الله.

فقال أحد جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضًا، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وجعلهما في بيت المال، وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال، قالوا: وهو أول قراض في الإسلام.

(١) (١٣٧٢).

يا مشرق الشمس!

لم يبق لي إلا الشباب وإنه
نزلت بهلان الهموم فلم يُطق
أشفاق أطرَح الهموم ويقتضي
مرت بنا الأمم الطليقة وانثنت
هذي الجياد فمن تعاطى شأوها
يا مشرق الشمس المنيرة إنها
أما لياليك التي قد أقمرت
يشكو الصبابة كل يوم مدح
أين الذين إذا اكفهرت أوجه
لله أطماع أصابت خلقها
نظرت إلى الحلم الجميل فهاجها
أو ما تشوقك يا خيال بقية

ديباجة ضَمَن الأسى إخلاقها
حتى نزلن بكاهلي فاطاقها
ظمأى إلى الآلام أن أشتاقها
أخرى تعالج أسرها ووثاقها
يا شرقُ فيك ومن أراد سباقها
والله شمسُ فارقت إشراقها
فلقد طوت لك محوها ومحاقها
وأحقنا دعوى بها من ذاقها
هبوا لها طلق الوجوه عتاقها
منهم، وآمال رأت إخفاقها
ورنت إلى الطيف الملم فشاقتها
في أنفُسٍ لك كابدت أشواقها

الشبيبي



لمن النصر؟

النصر معقود بأل
الباذلين عن اختيا
السنائين على الشرب

وية الجحاجة السماح
ر ما يضمن به السماح
عة في مدارجها الفساح

ة بكل مشروع مباح
مما يُلوّث أو يشاح
سُبل الفضيلة والفلاح
أن تُستبى أو تستباح
وحدّ مخنلف السلاح
خشنٌ مفاورة وقاح
ن ولا يهابون الكفاح
أهل المودة والسماح
نُهَضُّ بحجتهم فصاح
ولا سوى الحق الصراح
في المساء وفي الصباح
شرقي ضاق به البراح

الآخذين من الحبا
الحافظين شبابهم
الباذلين النفس في
المانعين ديارهم
بالدين والعلم الصحيح
فهمٌ إذا خاشنتهم
لا يصبرون على الهوا
فهمٌ إذا لاينتهم
وهمٌ إذا خاطبتهم
لا يتفنون سوى الصواب
أهلي هم! لهفي إليهم
من لي بهم للشرق فال



أولي الجسارة والطماح
الجحاجة السماح
فانتشلوه بالعزم الضماح
الغاليين بكل ساح
لدى المكارة بالصفاح
نشرًا يسير مع الرياح
رُسل الهداية والصلاح
خنتم عهودهم الصلاح
على النهوض فلا نجاح

إي شباب المسلمين
النصر معقود بألوية
أنتم رجاء الشرق
كالمسلمين الأولين
الدارعين الضاربين
الناشرين هداهم
كونوا على آثارهم
إلا تصونوا إرثهم
إلا تكونوا العاملين

ابن رواحة

ابدأ بالواجب الذي بين يديك!

قال «توماس كارلايل» في كتابه «الخياط يرقع»:

(إن العقيدة مهما صحت وقويت، فهي شيء عديم القيمة إن لم تُصبح جزءاً من السلوك والخلق، بل هي في الواقع لا وجود لها قبل ذلك؛ لأن الآراء والنظريات لا تزال بطبيعتها شيئاً عديم الصورة، حتى يتهاى لها من اليقين المؤسس على الخبرة الحسية محور تدور حوله، عندئذ تصير إلى نظام معين، ولقد صدق من قال: (لا يزول الشك مهما كان إلا بالعمل)، لذلك أنصح لمن يقاسي التخبط في الظلام البهيم، أو يعاني التعيث في الضياء الكليل، ولا يزال يتضرع إلى ربه، ويرجو من صميم قلبه أن يُسفر الفجر الملبس عن صبح مبين، أن يضع في سويداء فؤاده هذه الحكمة الغالية:

(ابدأ قبل كل شيء بالواجب الذي بين يديك، بالعمل الذي تعرف أنه واجب، فإنك إن فعلت اتضح لك الواجب التالي).



هدية ملكة الروم إلى ملكة العرب

ذكر الأستاذ «الخضري» في محاضراته في «تاريخ الإسلام» (٧١: ٢) أنه لما ترك ملك الروم الغزو، وكاتب أمير المؤمنين -عمر رضي الله عنه- وقاربه، وسير إليه عمر الرسل مع البريد، بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش النساء ودسته إلى البريد، فأبلغه لها.

وجاءت امرأة قيصر وجمعت نساءها وقالت :

هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم .

وكاتبته وأهدت لها ، وفيما أهدت لها عقد فاخر ، فلما انتهى به البريد إلى عمر أمر بإمساكه ودعا :

الصلاة جامعة!

فاجتمعوا ، فصلى بهم ركعتين وقال :

إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري .

قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم ، فأهدت لها امرأة ملك الروم .

فقال قائلون : هو لها بالذي لها ، وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ، ولا تحت يدك فتتقيك .

وقال آخرون : قد كنا نهدي الثياب لنسثيب ، ونبعث بها لثباع ولنُصيب شيئاً .

فقال : ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها .

فأمر بردها إلى بيت المال ، ورد عليها بقدر نفقتها .



وقال الأستاذ الشيخ «عبد الوهاب النجار» :

ولو أن عمر أرخى العنان لنفسه أو لأهل بيته لرتعوا ولرتع من بعدهم ، وكان مال الله تعالى حسباً على أولياء الأمور ، ومن القواعد الطبيعية المؤيدة بالمشاهدة أن الحاكم إذا مُدت يده إلى مال الدولة اتسع الفتق على الراقق ، واختل بيت المال أو مالية الحكومة ، وسرى الخلل في جميع فروع المصالح ، وجهر المستسر بالخيانة وانحل النظام .

ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس، زاهد في حقوقهم دعاهم ذلك إلى محبته والرغبة فيه، وإذا كان حاكماً حذبوا عليه وأخلصوا في طاعته نياتهم، وكان أكرم عليهم من أنفسهم.

وقد كان عمر إذا نهى الناس عن أمر من الأمور جمع أهله فقال:
إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة.



الزواج بالأجنبيات

قصيدة الشاعر الكبير الحاج محمد الهراوي

في حفلة جمعية الشبان المسلمين في الأوبرا الملكية

ألا أبلغوا شبانَ مصر رسالة	وأهواؤهم غريبة النزعات
بأن زواج المرء من غير جنسه	قطيعة أرحام وفك صلات
وإنَّ هوىً يذنيه من أجنبية	خروج على الأوطان بالنزعات
وإن لهم -لو أنصفوا مصر- غنية	بما أنجبت مصر من الفتيات
فكم من فتى بانٍ على غير أهله	نقلب فوق الشوك والجمرات
ترى نفسها أعلى وأشرف بيثة	ولو أنها من بيثة الطرقات
وإن لها فضلاً عليه وأنه	-على فضله- خالٍ من الحسنات
فيا ضيعة الآمال من فتية الحمى	إذا استسلموا للغى والنزعات!
ويا ذل أوطانٍ رمى البين شملها	وقاطع فيها الإخوة الأخوات

نساؤكم يا قوم أولى بقربكم فهن المعين الحق في النكبات
وهن أدني من سواهن رتبة وأسوأ في تقديركم درجات
فمن ذا الذي يرقى بهن إلى العلى سواكم، ومن يتبعن في الخطوات
لعمري لقد نبهتُ في مصر فتية لها أنفسٌ تنبو عن الغفلات
أخاف عليهم من ضلال وفتنة تجرانهم للويل والحسرات
ولى وطن أليت أنى أجله عن العار والزلات والعثرات
وقفت له أدعو دعاء موفقاً كما كنت أدعو الله في عرفات



منكم تعلمنا خطبة أمريكي سكسوني

نشر الأستاذ السيد «محي الدين رضا» في «المقطم» كلمة للقاضي «أوثر لايسي» -العالم المؤرخ الأمريكي- ألقاها في حفلة للسوريين في مدينة ديترويت بأمريكا، ومما قاله:

(إنني كفرد ينتمي إلى العنصر السكسوني أعترف بأننا مدينون لكم معشر العرب وأنتم الدائنون، وعلى هذا أقف بينكم الليلة لأوفيكُم ولو شيئاً من حقكم).

يرجع الناس بأصول مدينتنا إلى المدينتين اليونانية والرومانية، مع أن آثارهما كانت في زوايا النسيان زمن العصور المظلمة، ولو لم يُقدّر لهما أن تتناولهما أيدي العرب؛ لأصابهما الوهن والاضمحلال.

إن أسبانيا العربية هي مدرسة أوروبا التي علمتها الأدب والفلسفة والعلوم، ومنكم تعلمنا الكسور العشرية وحساب التفاضل والمقابلة، ومنكم تعلمنا القول

بكروية الأرض، وأن الكرة الفضية التي أهداها الشريف الإدريسي -الجغرافي العربي- إلى روجر الثاني -أمير نابولي- في منتصف القرن الثاني عشر (القرن السادس الهجري) خير شاهد على ما أقول، وذلك قبل رحلات كولومبس بخمسمائة سنة، وقد حسب محيط الأرض بأربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة ميل، وشعركم وآدابكم كانت منهلاً استقى عنه أدباء الفرنسيين والطيالان والإنكليز، ومنه جاء دور البعث والتجديد إلى أوروبا. وأنا بالنيابة عن أبناء جنسي الأنكلوسكسون أعترف بفضلكم، وأشكركم بلساني ولسان مسز «لايسي» شكرًا وافرًا).



الجرائد اليومية

جرائدُ ما خُط حرف بها لغير تفريق وتضليل
يحلوا بها الكذب لأربابها كأنها أول إبريل

حافظ إبراهيم



لم نزل...حتى غدونا....

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر وانفطرت وفي يمين العلا كنا رياحينا
كانت منازلنا في العز شامخة لا تشرق الشمس إلا في مغانينا
وكان أقصى منى نهر المجرة لو من مائه مُزجت أقداح ساقينا

والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزراً، وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاء ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا

حافظ إبراهيم



لماذا أحب الوحدة؟

* لكي لا أرى وجوه الرجال الذين يبيعون نفوسهم ليشتروا بأثمانها ما هو دونها قدرًا وشرقًا.

* لكي لا ألتقي بالنساء الممدودات الأعناق، اللواتي يسرن غامزات العيون وعلى ثغورهن ألف ابتسامة، وفي أعماق قلوبهن غرض واحد.

* لكي لا أجالس (أنصاف العلماء) الذين يُبصرون في المنام خيال العلم، فيُخِيل إليهم أنهم أصبحوا من العلم بمقام النقطة من الدائرة، ويرون في اليقظة أحد أشباح الحقيقة، فيتوهمون أنهم قد امتلكوا جوهرها.

* لأنني مللت مجاملة الخشن الذي يظن اللطف ضربًا من الضعف، والتساهل نوعًا من الجبن، والترفع شكلاً من أشكال الكهرباء.

* لأن نفسي تعبت من معاشرة المتمولين، الذين يظنون أن الشمس والأقمار والكواكب لا تطلع إلا من خزائهم، ولا تغيب إلا في جيوبهم، ومن الساسة الذين يتلاعبون بأميال الأمم، وهم يذرون في عيونهم الغبار الذهبي، ويملاؤن آذانهم برنين الألفاظ، ومن الكُهان الذين يعظون الناس بما لا يتعظون به، ويطلبون منهم ما لا يطلبونه من نفوسهم.

- * لأنني سئمت ذاك البناء العظيم الهائل الذي يسمونه (حضارة)، ذاك البناء الدقيق الصنع والهندسة القائم على رايية من الجماجم البشرية.
- * لأن في الوحدة حياة الروح والقلب والجسد.
- * لأنني فيها أتمتع بغبطة البرية الخالية، ونور الشمس، ورائحة الأزهار، وأنغام السواقي.
- * لأنني أريد معرفة أسرار الأرض، والدنو من الله^(١).

جبران خليل جبران



الإسلام

قال المسيو «جان مليا» Jean Melia في كراسة نشرها بعنوان «قرآن فرنسا Le Coran Pour France»: (يجب أن يُطرح بعد الآن ما ادعاه بعض المتفلسفين من الفرنسيين عن القرآن، فالقرآن يجب أن يُتلى بتؤدة، فليس فيه ما يتهمة به الأعداء من أنه مُلقن التعصب) وقال: (إن الإسلام دين سماوي، وهو دين حب وعاطفة وشرف، وليس في الأديان دين أكثر تساهلاً منه).



(١) الكاتب نصراني، يُنظر عنه: رسالتي «نظرات شرعية في فكر منحرف» (١ / ٢١ - ٣٢).
والحكمة تؤخذ من كل الناس. (س).

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء التاسع

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلاته وسلامه على محمد وآله ..

وبعد؛ فكلما أردتُ أن أختتم (الحديقة) بجزء جديد أجد من لذة القراء به وإقبالهم عليه وعلى الأجزاء التي قبله ما يشجّعني على إصدار جزء آخر بعده . وقد ازداد انتشار هذا الكتاب إلى حدّ أنني أعدتُ طبع بضعة أجزاء منه للمرة الثانية، بينما بقية أجزائه لم تُنشر بعد، بل هي لم تؤلف . وأن كتابًا ينال من قرائه هذه الحظوة، لجديرٌ بأن يتقدّم صاحبه بالشكر إلى الذين شجعوه بإقبالهم عليه . ولا شك أن رضا الخلق من رضا الحق . فالحمد لله على ذلك .

القاهرة: ١٥ المحرم سنة ١٣٤٩

محب الدين الخطيب



أخلاقنا قبل مدنيّتهم

أمن الحتم إذا تبدلت أحوال الحياة فصعدت أو نزلت، أن تبدل الأخلاق الإنسانية في الحي فيخلع منها ويلبس، ويكون في كل حالة إنسانَ حالته التي صار هو إليها، لا إنسان الدرجة التي انتهى إليها الكون في كماله وتقلبه على منازل، بعد أن صُفي في شريعة بعد شريعة، وتجربة بعد تجربة وعلم بعد علم؟. أفمن كان تقياً على فقر وإملاق واتسع في مذاهب التقوى مقدار ما حرمه الإعسار من فنون اللذات، ثم أيسر من بعد، وجب أن يكون فاجراً على الغنى، وأن يتسمح لفجوره على مدّ ما يتطوح به المال في كل ما يشتري المال وما يستأجر به؟.

أفمن وُلد في بطن كوخ أو على ظهر طريق، وجب أن يبقى أرضاً من جلد، ويكون الله سبحانه لم يبن من عظامه أو لحمه إلا كوخاً إنسانياً من غير هندسة ولا نظام ولا فن؟ ثم يقابله من وُلد في القصر فلا يكون إلا سماء، ولا ينبغي أن يقال فيه إلا أن الله سبحانه قد ركب من عظمه ودمه وتكوينه آية هندسة وأعجوبة فن وطرفة تدبير وشيئاً مع شيء وطبقة على طبقة؟.

أواجبٌ من الواجب أن يكون ذلك، وأن يبيضّ الزنجي في أوربا ويحمرّ في أمريكا ويصفرّ في اليابان... أم هناك حدود في الإنسانية تتميز بحدود في الحياة، ولا بد من الضبط في هذه وهذه حتى لا يكون وضع إلا وراء تقدير، ولا تقدير إلا معه حكمة، ولا حكمة إلا فيها مصلحة، وحتى لا تلعو الحياة ولا تنزل إلا بمثل ما ترى من كفتي ميزان شدتا في علاقة تجمععهما وتحركهما معاً، فهي بذاتها هي التي تنزل بالنازل لتدل عليه، وتخف بالعالي لتبين عنه.

إنها لن تتغير مادة العظم واللحم والدم في الإنسان، فهي ثابتة مقدرة عليه، ولن تتبدل السنن الإلهية التي توجدتها وتغنيها، فهي مصروفة لها، قاضية عليها، وبين عمل هذه المادة وعمل قانونها فيها تكون أسرار التكوين. وفي هذه الأسرار تجد تاريخ الإنسانية كله سابقاً في الدم. هي الغرائز تعمل في الإنسانية عملها الإلهي، وهي محددة محكمة على ما يكون من تعاديلها واختلاف بينها، وكأنها خلقت بمجموعها لمجموعها. ومن ثم يكون الخلق قانوناً إلهياً على قوة كقوة الكون وضبط كضبطه، وبهما يستطيع أن يُحول المادة التي تعارضه إذا هو اشتد وصلب، وأن يتحول معها إذا هو لان أو ضعف، فهو قدرٌ إلا أنه في طاعتك؛ لأنه قوة الفصل بين إنسانيتك وحيوانيتك، كما أنه هو قوة المزج بينهما كما أنه قوة التعديل فيهما جميعاً. وقد سُوّغ القدرة على هذه كلها، ولولا أنه بهذه المثابة لعاش الإنسان طول التاريخ قبل التاريخ، إذ لن يكون حينئذ كون تؤرّخ فضائله ورذائله بمدح أو ذم.

فلا عبرة لمظهر الحياة في الفرد؛ لأن الفرد مقيد في ذات نفسه بمجموع هو للمجموع، وليس له وحده، فإنك ترى الغرائز دائبة في إيجاد هذا الفرد لنوعه بسنن من أعمالها ودائبة كذلك في إهلاكه في النوع نفسه بسنن أخرى. فليس قانون الفرد إلا أمراً عارضاً كما ترى، وبهذا يمكن أن يتحول على أسباب مختلفة، ثم تبقى الأخلاق التي بينه وبين المجموع ثابتة على صورتها. فالأخلاق على أنها هي الأفراد، هي في حقيقتها حكم المجتمع على أفرادها، فقوامها بالاعتبار الاجتماعي لا غير.

فإذا وقع الفساد في المجمع عليه من آداب الناس، والتوى ما كان مستقيماً، واشتبهت العالية والسافلة، وقام وزن الحكم في اجتماعهم على القبيح والمنكر، وجرت العبرة فيما يعتبرونه بالرذائل والمحرمات، ولم يعد يعجبهم إلا

ما يفسدهم، ووقع ذلك منهم بموقع القانون، وحل في محل العادة - فهناك لا مساك للخلق السليم على فرد، ولا بد من تحوله في حقيقته إذا كان لا يجيء أبدًا إلا متصدعًا في كل مظاهره الاجتماعية، فأينما وقع من أعمال الناس جاء مكسورًا أو مثلولًا، وكأنه منتقل من عالم إلى ثان بغير نواميس الأول. وما شذ من هذه القاعدة إلا الأنبياء وأفراد من الحكماء، فأما أولئك فهم قوة التحويل في تاريخ الإنسانية، لا يبعث أحدهم إلا ليهيج به الهيج في التاريخ، ويتطرق به الناس إلى سبل جديدة كأنما تطردهم إليها العواصف أو الزلازل لا شريعته ومبادئه.

وأما الحكماء الناضجون فهم دائمًا في هذه الإنسانية أمكنة بشرية محصنة لحفظ كنوزها وإحرازها فيهم، فلهم في ذات تركيبهم عصمة ومنعة.



الأخلاق في رأيي هي الطريقة لتنظيم الشخصية الفردية على مقتضى الواجبات العامة، فالإصلاح فيها إنما يكون من هذه الواجبات أي من ناحية المجتمع والقائمين على حكمه. وعندني أن للشعب ظاهرًا وباطنًا، فباطنه الدين الذي يحكم الفرد، وظاهره القانون الذي يحكم الجميع، ولن يصلح للباطن المتصل بالغيب إلا ذلك الحكم الديني المتصل بالغيب مثله. ومن هنا تتبين مواضع الاختلال في المدنية الأوروبية الجديدة، فهي في ظاهر الشعب دون باطنه، والفرد فاسد بها في ذات نفسه إذا هو تحلل من الدين، ولكنه مع ذلك منتظم في ظاهره الاجتماعي بالقوانين وبالآداب العامة التي تفرضها القوانين، فلا يبرح هازئًا ساخرًا من الأخلاق؛ لأنها غير ثابتة فيه، بل هي ضارة مع المضرة نافعة مع المنفعة، ولا ينفك يتحول لأنه مطلق في باطنه غير مقيد إلا بأهوائه ونزعاته. وبهذا وذاك لن تقوم القوانين في أوروبا إذا فني المؤمنون فيها أو

كأثرهم الملحدون. وهم اليوم يبصرون بأعينهم ما فعلت عقلية الحرب العظمى في طوائف منهم قد خربت أنفسهم من إيمانها، فتحولوا بها، فإذا أعصابهم بعد الحرب ما تزال محاربة مقاتلة، ترمي في كل شيء بروح الدم والأشلاء والقبور والتعفن والبلى.

وقديماً حارب المسلمون وفتحوا العالم ودوخوا الأمم، فأثبتوا في كل مكان هدي دينهم وقوة أخلاقهم، وكان من وراء أنفسهم في الحرب ما هو من ورائها في السلم، لثبات باطنهم الذي لا يتحول، فلا تجيء حروبهم إلا في حدود، ولو كانوا هم أهل هذه الحرب الأخيرة بكل ما قذفت به لبقيت لهم العقلية المؤمنة القوية؛ لأن كل مسلم فإنما هو وعقليته في سلطان باطنه الثابت القار على حدود بيئة محصلة مقسومة، تحوطها وتمسكها أعمال الإيمان التي أحكمها الإسلام أشد إحكام، بفرضها مكررة مرات في كل يوم، ليمنع بها تغيراً، ويُحدث بها تغيراً آخر، ويجعلها كالحارسة للإرادة، ما تزال تمر بها وتعهدها بين ساعة وساعة^(١).

إنما الظاهر والباطن كال موج والساحل، فإذا جُن الموج فلن يضره ما بقي الساحل ركيناً هادئاً مشدوداً بأعضاده في طبقات الأرض. أما إذا ماج الساحل... فذلك أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير. ولا جرم أن لا يكون إلا خسفاً بالأرض والماء وما يتصل بهما.



في الكون أصلٌ لا يتغير ولا يتبدل، هو قانون ضبط القوة وتصريفها وتوجيهها

(١) الصلاة التي يفرضها الإسلام خمس مرات كل يوم فرضاً عملياً بصرف الجسم والفكر إليها معاً، هي وحدها أبلغ وسيلة في حراسة الإرادة الإنسانية وتطهيرها، وكأنها تجعل الدنيا نفنى وتوجد كل يوم خمس مرات، وهذه هي حكمتها.

على مقتضى الحكمة، ويقابله في الإنسان قانونٌ مثله لا بد منه لضبط معانيه وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الكمال. وكل فروض الدين الصحيح وواجباته إن هي إلا حركة القانون في عمله، فما تلك إلا طرق ثابتة لخلق الحس الأدبي وتثبيته بالتكرار وإدخاله في ناموس طبيعي بإجرائه في الأنفس مجرى العادة وجعله بكل ذلك قوة في باطنها فتسمى فروضًا دينية، وما هي في الحقيقة والواقع إلا عناصر تكوين النفس العالية.

من ذلك أرانا نحن الشرقيين نمتاز على الأوروبيين بأننا أقرب منهم إلى قوانين الكون، ففي أنفسنا ضوابط قوية متينة، إذا نحن أقررنا مدنيّتهم فيها - وهي لا تقبل بطبيعتها إلا محاسن هذه المدنية - سبقناهم وتركنا غبار أقدامنا في وجوههم، وكنا الطبقة المصفاة التي ينشدونها في إنسانيتهم ولا يجدونها، ونمتاز عنهم من جهة أخرى بأننا لم ننشئ هذه المدنية فيكون حقًا علينا أن نأخذ سيئاتها في حسناتها، وحماقتها في حقيقتها، ونكون لها غصنَ الحلوة والمرّة، والناضجة والفجة، وإنما نحن نحصلها ونقتبسها، فتتخير منها وندع على الأصول الضابطة المحكمة في أدياننا وعاداتنا، ولسنا مثلهم متصلين من حاضر مدنيّتهم بمثل ماضيهم. بيد أن العجيب الذي ما يفرغ عجبني منه أن الموسوسين منا بالتجديد لا يحاولون أول وهلة وآخرها إلا هدم تلك الضوابط التي هي كل ما نمتاز به، والتي هي كذلك كل ما تحتاج إليه أوربا، ويسمون ذلك تجديدًا، ولهو بأن يسمى حماقة أحق وأولى.

أقول - ولا أبالي - إننا أثبتنا في نهضتنا هذه بقوم من المترجمين، قد احترفوا الترجمة والنقل من لغات أوربا، فصنعتهم الترجمة من حيث يدرون أو لا يدرون صنعةً تقليد محض، ومتابعة مستعبدة. وأصبح العقل فيهم بحكم العادة والطبيعة إذا فكر انجذب إلى ذلك الأصل لا يخرج عليه ولا يتحول عنه.

وإذا صح أن أعمالنا هي التي تعلمنا كما يقول بعض الحكماء، فهم بذلك خطر أي خطر على الشعب وقوميته وذاتيته وخصائصه، ويوشك إذا أطاعهم إلى ما يدعون إليه أن... أن يترجموه... إلى شعب آخر!

إن أوروبا ومدنيتها لا تساوي عندنا شيئاً إلا بمقدار ما تحقق فينا من اتساع الذاتية بعلمومها وفنونها، فإنما الذاتية وحدها هي أساس قوتنا في النزاع العالمي بكل مظاهره أيها كان. ولها وحدها وباعتبار منها دون سواها نأخذ ما نأخذ ونهمل ما نهمل، فإن تركنا التثب في هذا وأغفلنا دقة المحاسبة عليه، كنا كذلك القائد الذي طرد بسيفه جيشاً واحداً أجنبياً من بلاده الشرقية، وبسيفه هذا حمل أهل بلاده على أن يهينوا أنفسهم ليأكلهم كل جيش أجنبي في يوم ما...

المحافظة على الضوابط الإنسانية القوية التي هي مظاهر الأديان فينا، ثم إدخال الواجبات الاجتماعية الحديثة في هذه الضوابط، ثم تنسيق مظهر الأمة على مقتضى هذه الواجبات، ثم العمل على اتحاد المشاعر وتمازجها لتقويم هذا المظهر الشعبي في جملته بتقويم أجزائه. هذه هي الأركان الأربعة التي لا يقوم على غيرها بناء الشرق.

فالإلحاد و النزغات السافلة و تخانيث المدنية الأوربية التي لا عمل لها إلا أن تُظهر الخطر في أجمل أشكاله، والجهل بعلم القوة الحديثة وبأصول التدبير وحياسة الاجتماع وما جرى هذا المجرى، والتدليس على الأمة بآراء المقلدين والزائغين والمستعمرين لمحق الأخلاق الشعبية القوية، وما اتصل بذلك، هي المعاول الأربعة التي لا يهدم غيرها بناء الشرق.

ولكن من لا يعرف كيف يُضرم لك النار يضرها فيك... أو يعميك بدخانها.

مصطفى صادق الرافعي



شوقية الشبان المسلمين

نظمت لحفلة جمعية الشبان المسلمين التي أقامتها

ليلة ١٤ شوال سنة ١٣٤٧ في دار الأوبرا الملكية

حَبَّذا الساحةُ والظلُّ الظليلُ	وثناءً في فم الدار جميل ^(١)
لم تزل تجزي به تحت الثرى	لُجَّةُ المعروفِ والنيلِ الجزيلُ
صنَّعُ إسماعيلِ جلَّتْ يدهُ	كلُّ بنيانٍ على الباني دليلُ
أثراها سُدَّةٌ من بابهِ	فُتِحَتْ للخيرِ جيلاً بعدَ جيلُ



مَلْعَبُ الأيامِ، إلا أنهُ	ليسَ حظُّ الجدِّ منه بالقليلُ
شهد الناسُ بها (عائدةً)	وشجى الأجيال من (فردى) الهديلُ
وائتنفنا في ذراها دولةً	ركنها السؤددُ والمجدُ الأثيلُ
أينعتُ عصرًا طويلاً، وأتتُ	دون أن تستأنفَ العصرَ الطويلُ
كم ضفرنا الغار في محرابها	وعقدناه لسباق أصيلُ
كم بدور ودعت يوم النوى	وشموس شبت يوم الرحيلُ
رُبَّ عُرْسٍ مرَّ للبرِّ بها	ماج بالخيرِ والسمح المنيلُ
ضحك الأيتامُ في ليلته	ومشى يستروحُ البرء العليلُ
والتقى البائسُ والنعمى به	وسعى المأوى لأبناء السبيلُ
وَمِنْ الأرضِ جديبٌ ونَدٍ	ومن الدُّورِ جوادٌ وبخيلُ



(١) الدار: دار الأوبرا الملكية بالقاهرة، وهي من بناء إسماعيل باشا.

منزلٌ ليس بمذموم النزيل
وُنَحِّهِمْ عن المرعى الويل
بعضهم خِذْنُ لبعضٍ وخليل
كل مولود وإن جلَّ ضئيل
تبعُ الظنَّ عن الإنصاف ميل
قَلَّتِ الحيلةُ في قالٍ وقيل
رَقَّةُ الدين إلى الخلقِ الهزيل
مرشد للنشءِ بالهذي كفيل
نَشَأَ عن سُنَّةِ البرِّ يميل
كلُّما عبَّ، وكونوا السِّلْسِيلُ
رَوَتْ العُشْبَ ولم تنسَ النخيل
كلُّ نفسٍ بكتابٍ وسبيل
فاطرحوا خلفكم العبءَ الثقيل



ليلةُ القدرِ من الشهر النبيل^(١)
ومشي بين يديه جبرئيل
عُرِّرَ مَنْ لمحةِ الخيرِ نسيْلُ
أو كأنَّ الدارَ في ظلِّ الأصيل
لذةُ الخيرِ من الخيرِ بديل
لجليلِ العملِ العونُ الجليل
أخذتْ عهدَ الندى ألا تميل

يا شبابًا حُنَفَاءَ ضَمَّهِمْ
بصرفُ الشبانِ عن وِردِ القذى
أذهبوا فيه وجيئوا إخوة
لا يضرَّنْكُمْ قِلَّتُهُ
أرجفتُ في أمركم طائفةً
اجعلوا الصبرَ لهم حيلتكم
أريدون بكم أن تجمعموا
خَلَّتِ الأرضُ من الهذي ومن
فترى الأسرةَ فوضى، وترى
لا تكونوا السيلَ جَهْمًا خَشِنًا
رُبَّ عينٍ سمحةٍ خاشعةٍ
لا تُماروا الناسَ فيما اعتقدوا
وإذا جئتم إلى ناديتكم

هذه ليلتكم في الأوبرا
مِهْرَجَانٌ طَوَّفَ الهادي به
وتجلَّتْ أوجهُ زَيْنِهَا
فكَأَنَّ الليلَ بالفجرِ انجلى
أيُّهَا الأجوادُ لا تجزيكمُ
رجلُ الأمةِ يُرجى عنده
إنَّ دارًا حُطِنَمُوهَا بالندی

أحمد شوقي

(١) هذا من الغلو. (س).

الآثار النبوية: القضييب والبردة

لم أقصد ببحثي هذا سردَ ما دُوّن عن الآثار الشريفة التي اختصّ بها ﷺ في حياته، وخلفها بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى: من سلاح ومراكب وثياب وآلات وغيرها^(١)، فإن في كتب السيرة من بيان ذلك ما يغني عن التحدث به إلى قراء الهداية الغراء. وإنما قصدت أن أحدثهم عن آثار اشتهرت نسبتها إليه ﷺ، وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم بين صحيحها وزائفها، لأبين ما حققه العلماء عنها. وسأبدأ بالقضييب والبردة؛ لاشتهارهما في الخلافة العباسية. ولله در العلامة الأديب صلاح الدين الصفدي حيث قال فيما صح من هذه الآثار:

أكرم بآثار النبي محمدٍ من زاره استوفى السرورَ مزاره
يا عين دونك فانظري وتمتعي إن لم تريه فهذه آثاره
واقعدى به جلال الدين ابن خطيب دارياً دمشقي فقال:

يا عين إن بُعد الحبيب و داره ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

□ القضييب والبردة:

أثران نبويان كانا من شارات الخلافة في الدولة العباسية، كما كان الخاتم من الشارات السلطانية في دول المغرب، والمظلة في الدولة العبيدية على ما يقول ابن خلدون^(٢). غير أن الخاتم والمظلة وغيرهما من الشارات لم تكن لها قيمة

(١) ويُنظر لمعرفة الحكم الشرعي في التبرك بآثار النبي ﷺ: رسالة «التبرك أنواعه وأحكامه»؛ للشيخ ناصر الجديع. (س).

(٢) المراد هنا بالخاتم حلية الأصبع المعروفة، وكانوا يستجدون صوغه من الذهب، =

أثرية كالشارة العباسية، ولا سيما في شرف النسبة إلى المقام النبوي الكريم، وإنما كانت آلاتٌ محدثةٌ في تلك الدول، قيمتها فيما كان بها من التحلية والترصيع.

أما القضيبي فالمرويّ في كتب السيرة أن النبي ﷺ كان له قضيبي من شَوْحَط، يسمى الممشوق، قيل: وهو الذي كان الخلفاء يتداولونه.

قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: «وأما القضيبي فهو من تركة رسول الله ﷺ التي هي صدقة، وقد صار مع البردة من شعار الخلافة». وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة في المواكب^(١)، وكانوا يطرحون البردة على أكتافهم في المواكب جلوسًا وركوبًا.

قال ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية: «كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه، ويأخذ القضيبي المنسوب إليه ﷺ في إحدى يديه، فيخرج وعليه السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويبهز الأبصار». انتهى.

وبلغ من عنايتهم بهذين الأثرين الشريفين أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة، فإذا كان غائبًا بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة الذي يُردونه. وما زالت الشعراء تذكرهما في مدائح الخلفاء العباسيين إلى انقراض

= ويرصعونه بفصوص الجواهر والياقوت، ويلبسه السلطان شارة في عرفهم، أما المظلة فلم ينفرد بها العبيدون، بل كان يشاركهم فيها ملوك الدول الأعجمية بالشرق؛ كبنى سلجوق وغيرهم تقليدًا لملوك الصين، وإنما اشتهر العبيدون بمظلتهم لأنها كانت أبدع المظلات وأكثرها زخرفًا وترصيعًا.

(١) كانت من آلات المواكب في الدولة العبيدية بمصر قضيبي سماه صاحب صبح الأعشى بقضيبي الملك، وقال: «إنه عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام» انتهى. وكأنهم أرادوا به محاكاة شارة العباسيين، وشتان ما بين التكحل والكحل.

دولتهم من العراق تنويهاً بانفرادهم عن سائر الدول بهذه المنقبة؛ كقول البحري
 من قصيدة يصف فيها خروج المتوكل للصلاة والخطبة يوم عيد الفطر:

أُيِّدَتْ من فصل الخطاب بحكمة تُنَبِّي عن الحق المبين و تخبرُ
 ووقفت في بُرد النبي مذكراً بالله تُنذِر تارةً وتُبشِّرُ
 حتى لقد علم الجهول وأخلصت نفس المُرَوِّي واهتدى المتحير^(١)
 وقوله من أخرى فيه:

وعليك من سيما النبي مخايل شهدت برشدك

تبدو عليك إذا اشتملت ببرده من ذوق بردك

(١) هذه القصيدة من أجود شعر البحري، ولكن قضى عليها سوء الحظ أن يختارها اليسوعيون
 لكتابهم مجاني الأدب (ج ٥ ص ١٦١ طبع سنة ١٨٨٤ م) فيغيروا فيها ما شاء الهوى أن
 يغيروه. فإنهم لما ذكروا قوله في وصف احتشاد الناس والجند، وخروج الخليفة عليهم في
 ذهابه إلى المصلى:

فالحيل تصهل والفوارس تدعي	والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بشقلها	والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس مائعة توقد بالضحي	طوراً ويطفئها العجاج الأكر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت	تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
وافتن فيك الناظرون فأصبع	يومي إليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها	من أنعم الله التي لا تُكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا	لما طلعت من الصفوف، وكبروا

عز عليهم أن يُذكر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، ويُذكر معه خليفته وابن عمه، فجعلوا
 صدر البيت (ذكروا بطلعتك الرشيد فهللوا)، ولما وصلوا إلى بيت البردة جعلوه (ووقفت
 في بُرد الخطيب مذكراً!! فليتبّه لذلك، فإن كثيرين من النشء يثقون بكتبهم فيقومون فيما
 حرقوه وبذلوه.

وقوله من أخرى فيه أيضًا :

غدوت في بُرد النبي وهديه تُخشى لحكم قاصد وتؤملُ
وقوله فيه أيضًا - وقد ذكر آثارًا أخرى كانت عند الخلفاء سنفرد الكلام عليها :
يتولّى النبي ما تنولاً هُ ويرضى من سيرة ما تسيرُ
حُزت ميراثه بحق مبين كل حق سواء إفك وزورُ
فلك السيف والعمامة والخا تم والبُرد والعصا والسريرُ
يريد بالعصا القضيب .

وقوله فيه أيضًا :

عليك ثياب المصطفى ووقاره وأنت به أولى إذا حصحص الأمر
عمامته وسيفه ورداؤه وسيماء والهدى المشاكل والنجر
وقال من قصيدة يمدح بها المعتر بن المتوكل ، ويهجو المستعين بعد خلعه :
ولم يكن المفترّ بالله إذ سَرَى لِيُفَجِرَ والمعتر بالله طالِبُهُ
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعُرِّي من بُرد النبي مناكِبُهُ
وذكر ابن خلكان في وفياته عن ميمون بن هارون أنه قال : رأيت أبا جعفر
أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة ، فسألته ،
فقال : كنت من جلساء المستعين ، فقصده الشعراء فقال : لست أقبل إلا ممن
قال مثل قول البحرّي في المتوكل :

فلو أن مشتاقًا تكلف فوق ما في وُسْعِهِ لسعى إليك المنبر
فرجعتُ إلى داري وأتيته وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحرّي في
المتوكل . فقال : هاته ! فأنشدته :

ولو أن بُرد المصطفى إذ لبسته يظن لظن البُرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه
فقال: ارجع إلى منزلك وأفعل ما أمرك به .

فرجعت فبعث إلي بسبعة آلاف دينار، وقال: ادخر هذه للحوادث من بعدي،
ولك عليّ الجراية الكفاية مادمتُ حيًّا . انتهى^(١) .

ومن ذلك قول الأبيوردي من قصيدة في المقتدي بالله :

إلى المقتدي بالله والمقتدى به طوين بنا طي الرداء الفياfia
ولذنا بأطراف القوافي وحسبنا من الفخر أن نهدي إليه القوافيا
ولم نتكلف نظمهن لأننا وجدنا المعالي فاخترعنا المعانيا
أيا وارث البُرد المعظم ربه بلغنا المنى حتى اقتسمنا التهانيا
وقوله من قصيدة في المستظهر بن المقتدي :

وعليه من سيماء آل محمد نور يجير على الدجى مرموق
والبُرد يعلم أن في أثنائه كرمًا يفوق المزن وهو دقوق
أفضت إليه خلافة نبوية من دونها للمشرقي بريق
وقول الأرجاني من قصيدة في المسترشد بن المستظهر :

ورثت الذي قد ضمه البُرد من تقى ومن كرم من قبل أن ترث البُردا
ووليت من أمر القضيب شبيه ما تولاه من كان المشير به مجدا
وما هو إلا أمر أمته الذي إليك انتهى إذ كنت من بينها فردا
وقوله من أخرى فيه :

يا وارث البُرد المجرر ذيله في ليلة المعراج فوق الفرقد

(١) أورد عبد الرحيم العباسي البيتين والقصة ببعض اختصار في نوع الغلو من معاهد
التنصيص . ومثله في فوات الوفيات لابن شاکر .

ومعوذاً يده التخصر بالذي أمسى به ظهر البراق وقد حدي
 سلبا هدى عبق النبوة فيهما من كف خير الأنبياء محمد
 وقول سبط ابن التعاويذي من قصيدة في المستضيء بن المستنجد:

إن يد المستضيء أسمح بالإع طاء يوم الندي من الديم
 خليفة الله وارث البرد والخوا تم والسيف مالك الأمم
 معيد شمل الإسلام ملتئما وكان لولاه غير ملتئم^(١)
 وقوله من أخرى فيه:

آل النبوة بُردها وقضيبها لكم ومنبرها معاً وحسامها
 أبناء عم المصطفى الهادي وخير عصابة وطىء الثرى أقدامها
 وقوله من أخرى في الناصر بن المستضيء لما بويع بالخلافة:

ورأينا بُرد النبي على منكب طود من الأئمة رأس.
 مالئاً هديه المواقف من نو ر جلال يضيء كالنبراس
 وقوله من أخرى:

ورث النبوة منبراً وخلافة وتقبة فعليه منها ميسم
 فلمنكب ولعائق ولخنصر منه ثلاث قدرهن معظم
 بُرد وسيف لا يفلى وخاتم فمجلبب ومقلد ومختم
 وقوله من أخرى فيه:

له خاتم المبعوث أحمد خاتم الذ بوة موروئاً مع السيف والبُرد^(٢)

(١) يشير بذلك إلى زوال الدولة العبيدية في زمن المستضيء، وإعادة الخطبة لبني العباس بمصر والشام والحجاز واليمن وبرقة.

(٢) أي: له الخاتم موروئاً مع السيف والبُرد من النبي المبعوث خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام

وما برحت طير الخلافة حُومًا عليه كما حام الظماء على الورد

□ صفة البردة:

في الكلام على شعار الخلافة من صبح الأعشى نقلًا عن ابن الأثير أن بردة النبي ﷺ التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب كانت شملة مخططة، وقيل: كانت كساء أسود مربعًا فيها صِغَرُ انتهى.

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: «أخرج الإمام أحمد في الزهد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تُلبس يوم الأضحى والفطر». انتهى.

□ اختلافهم فيها:

لا خلاف بين المؤرخين في كون البردة العباسية أثرًا نبويًا صحيحًا، ولكن لما كان المخلف عن النبي ﷺ بُردتين، اختلفوا في التي صارت منهما لبني العباس. وقال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: «وأما البردة فقد اختلف الناس فيها، فحكى أبان بن ثعلب أن رسول الله ﷺ كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية رضي الله عنه، وهي التي يلبسها الخلفاء.

وحكى ضمرة بن ربيعة أن هذه البردة كان رسول الله ﷺ أعطاها أهل أيلة أمانًا لهم، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبي أوفى، وكان عاملاً عليهم من قبل مروان بن محمد، فبعث بها إليه وكانت في خزائنه، حتى أخذت بعد قتله أو قيل اشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار» انتهى.

وقد حكى هذا الخلاف في صبح الأعشى وتاريخ الخلفاء للسيوطي وأخبار الدول للقرماني وحاشية البغدادي على شرح ابن هشام على بانت سعاد.

وتفصيل هذا الإجمال في الرأي الأول أن كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه لما بلغه إسلام أخيه بجير غضب وبعث إليه بأبيات يلومه فيها على إسلامه، فأهدر النبي ﷺ دمه. ثم هداه الله إلى الإسلام، فقدم المدينة وقصد المسجد فجلس بين يدي النبي ﷺ تائبًا مسلمًا، وأنشده قصيدته بانت سعاد المشهورة^(١)، فلما وصل إلى قوله:

إن الرسول لسيفٌ يُستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلؤلٌ
رمى ﷺ إليه بردة كانت عليه^(٢)، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه أراد شراءها من كعب بعشرة آلاف درهم، فأرسل إليه يقول: ما كنت أؤثر بثوب رسول الله ﷺ أحدًا. فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم. قالوا: وهي التي عند الخلفاء العباسيين، وهو قول عز الدين بن الأثير في كتابيه الكامل وأسد الغابة، والخوارزمي في مفاتيح العلوم، وابن هشام في شرح بانت سعاد، وأبي الفداء سلطان حماة في تاريخه، وابن حجر في الإصابة. ومؤرخين غيرهم كثيرين.

ولم يذكر ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية غير الرأي الثاني فقال: «قال الحافظ البيهقي: وأما البردة التي عند الخلفاء فقد رويها عن محمد بن إسحاق بن يسار في قصة تبوك: أن رسول الله ﷺ بعث إلى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانًا لهم فاشتراها أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار. يعني

(١) انظر للفائدة: رسالة «توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد»؛ للدكتور سعود الفينسان. (س).

(٢) قال البغدادي في حاشيته على شرح ابن هشام على بانت سعاد: «ولهذا سمت هذه القصيدة بقصيدة البردة. وقد سمي الناس قصيدة البوصيري بقصيدة البردة تشبيهًا بها للتبرك، والصواب تسميتها بالبرأة، بالهمزة؛ لبراء ناظمها من الفالج».

بذلك أول خلفاء بني العباس وهو السفاح رحمه الله تعالى . وقد توارثت بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف». وهو قول الذهبي أيضاً على ما في تاريخ الخلفاء للسيوطي، ونص عبارته: «وأما الذهبي فقال في تاريخه: أما البردة التي عند الخلفاء آل عباس، فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق في قصة غزوة تبوك أن النبي ﷺ أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم، فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار».

قال السيوطي: فكان التي اشتراها معاوية فُقدت عند زوال دولة بني أمية. وقال القرماني: وقيل: كُفّن فيها معاوية. وذكر ياقوت هذه البردة في معجم البلدان، ولم يتعرض لخبر انتقالها إلى الخلفاء، فقال في كلامه على أيلة: «ويقال: إن بها بُرد النبي ﷺ وكان وهبه لِيُحَنِّتَ بن رؤية^(١) لما سار إليه إلى تبوك»، وكذلك فعل المقرئ في خططه والجزيري في درر الفرائد المنظمة في ذكرهما أيلة، فإنهما لم يتعرضا لخبر انتقال هذه البردة إلى الخلفاء. وخلاصة ما ذكره أن من بها من اليهود يزعمون أن عندهم بُرد النبي ﷺ الذي وجه به إليهم أماناً لهم، وأنهم يُظهرونه رداءً عدنياً ملفوفاً في الثياب، وقد أبرز منه مقدار شبر لئلا تدنسه الأيدي.

والخلاصة: أن البردة العباسية، إما أن تكون بردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح بثلاثمائة دينار، أو إلى أن انتزعها منهم عامل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وحملها إليه، ثم صارت من بعده للعباسيين. وإما أن تكون البردة الكعبية التي اشتراها معاوية ﷺ ثم حُفظت عند بني أمية حتى ورثها منهم العباسيون. وأكثر المؤرخين على هذا الرأي. وقد فصل المسعودي في

(١) يُحَنِّتُ: بضم الياء وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء، وهو صاحب أيلة. ورؤية بالباء الموحدة.

مروج الذهب خبر مصير البردة والقضيبي إلى بني العباس بما لم نره لغيره من المؤرخين، فذكر ما كان من فرار مروان بن محمد من العباسيين إلى مصر، وأنهم لحقوه بها وقد نزل بوصير، فهجموا عليه وقتلوه، ثم رأوا خادماً له شاهراً سيفه يحاول الدخول إلى بناته فأخذوه وسألوه عن أمره فقال: أمرني مروان إذا هو قُتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه، فلا تقتلوني، فإنكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله ﷺ. فقالوا له: انظر ما تقول. قال: إن كذبتُ فاقتلوني هلموا فاتبعوني، ففعلوا، فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال: اكشفوا هنا، فكشفوا، فإذا البرد والقضيبي ومخصرة قد دفنها مروان لثلاث تصل إلى بني هاشم، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد الله بن علي، فوجه بها عبد الله إلى أبي العباس السفاح، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس.

□ مصير البردة والقضيبي:

ذكر ابن الزيات في الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى قبراً اشتهر بأنه قبر صاحب البردة، واستطرد في الكلام عليه لذكر البردة النبوية، فقال: «قال ابن عثمان هو صاحب البردة يعني بردة النبي ﷺ، وذلك غير صحيح، قال المؤلف: وبردة النبي ﷺ لم يبلغنا في آثار النبي ﷺ التي دخلوا بها إلى مصر أن فيها بردة غير البردة التي في أيدي بني العباس وهي موجودة عندهم إلى الآن، ولم يذكر علماء التاريخ أنه دخل إلى مصر من الصحابة ممن له بردة من اسمه صاحب البردة، وآثار النبي ﷺ مثبتة عند العلماء، ويحتمل أن تكون هذه البردة بردة رجل من الصالحين» انتهى. وإنما نقلنا هذه العبارة لبيان ما فيها من الوهم، فإن وفاة ابن الزيات كانت سنة ٨١٤، وقوله عن البردة - وهي موجودة عندهم إلى الآن - يفيد بقاءها بأيديهم إلى عصره، والصحيح إنها فقدت قبل ذلك بقرن ونيف، ولعله نقل هذا القول عن مؤرخ قديم كانت البردة في زمنه عند الخلفاء وسها عن التنبيه عليه.

وقال المسعودي - بعد عبارته المتقدمة في مصير البردة والقضيب إلى العباسيين - ما نصه: فتداولت ذلك خلفاء بني العباس إلى أيام المقتدر فيقال: «إن البرد كان عليه يوم مقتله، ولست أدري أكل ذلك باق مع المتقي لله إلى هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك».

وفي صبح الأعشى: «وكان القضيب والبردة المتقدما الذكر عند خلفاء بن العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقي^(١) من المسترشد بالله، ثم أعادها إلى المقتفي عند ولايته سنة خمس وثلاثين وخمسائة. والذي يظهر أنهما بقيا عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما».

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي عن البردة: «وكانت على المقتدر حين قتل، وتلوث بالدم، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار فإننا لله وإنا إليه راجعون».

وفي خزانة الأدب للبغدادى عن كعب بن زهير: «فأمنه النبي ﷺ وأجازه بردته الشريفة التي بيعت بالثمن الجزيل، حتى بيعت في أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم^(٢)، وبقيت في خزائن بني العباس إلى أن وصل المغول^(٣)

(١) سنجر بن ملك شاه السلجوقي سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر. ولد سنة ٤٧٩ وتوفي سنة ٥٥٢ بمرو، ودفن بها. وهو بكسر السين وسكون النون فتح الجيم. وسبب تسميته بذلك أنه ولد بمدينة سنجار، فسماه والده بذلك أخذًا من اسم المدينة. والسلجوقي بفتح السين وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف، نسبة لجده الأعلى سلجوق بن دقاق.

(٢) من المعروف أن الذي اشترى البردة الكعبية معاوية رضي الله عنه، والذي اشترى البردة الأيلية أبو العباس السفاح في قول كما تقدم، فذكر البغدادي المنصور سهو منه. والله أعلم.

(٣) المغول بضم الميم: قوم هولوكو، وقد يقال: المغل بلا واو. وهم من القبائل التورانية، ويعدّهم بعض المؤرخين من التتار، والأكثر على أنهما من جنسان متقاربين، وإنما =

وجرى ما جرى والله أعلم بحقيقة الحال». قلت: والذي يؤيد بقاء البُرْدَة والقضيب عند الخلفاء إلى آخر مدتهم ببغداد ورود ذكرهما فيما تقدم من مدائح الشعراء إلى زمن الناصر بن المستضيء، وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن الساعي أنه حضر مبايعة الخليفة الظاهر وهو ابن الناصر المذكور فرآه بثياب بيض والبُرْدَة النبوية على كتفه، وكانت خلافته سنة ٦٢٢ في أواخر أيام دولتهم ببغداد، ولم يكن بعده غير خليفتي المستنصر والمستعصم، ثم كانت كائنة التتار وانتقلت الخلافة العباسية الصورية إلى مصر.

وقد صرح القرمانى في موضعين من تاريخه أخبار الدول بمصير البُرْدَة والقضيب فذكر أن هلاكو^(١) لما طرق بجيوشه بغداد سنة ٦٥٦ أشار وزير الخلافة مؤيد الدين العلقمي على الخليفة المستعصم بالخروج إليه ومصالحته، فخرج إليه في جمع من العلماء والأعيان والبُرْدَة النبوية على كتفيه والقضيب بيده، فأخذهما منه هلاكو وجعلهما في طبق من نحاس وأحرقهما، وذرمادهما في دجلة، وقال: ما أحرقتهما استهانة بهما وإنما أحرقتهما تطهيراً لهما. انتهى.

ثم أمر بقتل جميع من خرج إليه، فقتلوا، ووضع الخليفة ولده في جوالقين وضربا بالأرازب ومداق الجص حتى ماتا. وفي هذه الكائنة التي لم ينكب

= غلب التعبير عنهم بالتتار في التواريخ العربية؛ لأنهم استخدموا في غزوهم بلاد الإسلام كثيراً من التتار في جيوشهم.

(١) هَلَاكُو بضم الهاء وتخفيف اللام وضم الكاف، وقد يقال: هولاكو بواو بعد الهاء: أول الملوك الإيلخانية بفارس، وهو ابن تولي خان ابن طاغية المغول الأكبر جنكيز خان أرسله أخوه منكوقان ملك المغول إلى فارس، ففتحها وتولى أمرها، ثم استولى على العراق وكان منه ما كان، إلى أن هلك بالمراغة سنة ٦٦٣ كما جاء في التواريخ التركية وتاريخ ابن الفرات. والذي في المنهل الصافي سنة ٦٦٤. وقال ابن خلدون سنة ٦٦٢.

الإسلام بمثلها يقول ابن خلدون: «ونزل هلاكو بغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فاستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم، فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والأعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه، ثم قتل المستعصم شدخًا بالعمد ووطئ بالأقدام، لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين، وركب إلى بغداد فاستباحها، واتصل العيث بها أيامًا، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح، فداستهم العساكر وماتوا أجمعين. ويقال: إن الذي أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمئة ألف^(١)، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعًا في دجلة، وكانت شيئًا لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم». انتهى كلام ابن خلدون.

□ تنبيه:

روى القرمانى في أخبار الدول خبر البردة الكعبية وبقائها عند بني العباس إلى أن أحرقها هُلاكو مع القضيب كما مر، ثم حكى قول من خالف وزعم أن التي

(١) أعاد ابن خلدون خبر هذه الكائنة في كلامه على دولة بني هُلاكو، فقال: إن عدد القتلى كان «ألف ألف وثلاثمئة ألف»، والذي يذكره مؤرخو الترك مع تشيعهم لهلاكو وإحسانهم الظن به أن عدد الذين قتلهم في هذه الواقعة من أهل بغداد البالغين خاصة بلغ ٨٠٠ ألف نسمة، فإذا ضممنا إليهم قتلى الجيش المجموع من المملكة العراقية الذي أباده قبل أن يصل إلى أهل بغداد ثم قتلى الصبيان غير البالغين الذين داستهم سناكب الخيل وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح، ظهر لنا أن عبارة ابن خلدون التي صدرها بكلمة (ويقال) ليست بعيدة عن الصواب.

كانت عندهم بُردة أيلة لا بُردة كعب، وأعقب هذا القول بقوله: «وأظن أنها البُردة التي وصلت لسلطين آل عثمان وهي اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ بإذن الله، واتخذ لها المرحوم السلطان مراد خان تغمده الله بالرحمة والغفران صندوقاً من ذهب زنته^(١) مثقال، فوضعها فيه تعظيماً لها» انتهى. ولا يخفى أن بني العباس لم يكن عندهم غير بُردة واحدة أحرقتها هُلاكو، سواء كانت بُردة كعب أو بُردة أيلة، والذي ظنه المؤلف لا يتجه إلا بتقدير جمعهم بين البُردتين وانتقال الأيلية إلى بني عثمان بعد حراق هلاكو للكعبية، وهو شيء لم يقل به ولم ينقله فيما نقله من الأقوال حتى يصح له بناء ظنه عليه. وسيأتي الكلام على ما كان عند بني عثمان من الآثار في فصل خاص.

أحمد تيمور



أول العجز

قال عُبيد بن أيوب العنبري من اللصوص:

إذا ما أراد الله ذلّ قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول عجز القوم عما ينوبهم تقاعدهم عنه، وطول التواكل
وأول حُبث الماء حُبثُ ترابه وأول لوم القوم لوم الحلائل



(١) بياض بمقدار كلمة في النسخ الثلاث التي عندنا من هذا التاريخ.

خيرٌ من....

رغيفٌ	خبز	يابسٍ	تأكله	في	زاوية
وكوز	ماءٍ	باردٍ	تشربه	من	ساقية
وغرفة	ضيقة		نفسك	فيها	خالية
أو	مسجد	بمعزلٍ	عن	الورى	في ناحية
تدرس	فيه	دفترًا	مستندًا	لسارية	
معتبرًا	بما	مضى	من	القرون	الخالية
خيرٌ	من	الساحات	فيء	القصور	العالية
تعقبها	عقوبة		تصلى	بنار	حامية

أبو العتاهية



عتاب صديق

صديقي الحميم....

أما السلام فعلى ود أضعته، وعهد نقضته، بل على أيام شربنا فيها الصفو
على غرة من الليالي، وليال تساقينا فيها الحب على غفلات الأيام.
فقد أمتعتني أيها الصديق بنعمة ودادك حينًا من الدهر، فما كفرتُ بتلك النعمة
بل حمدتها، وبالحمد تستدام النعم.
وبذلت لي من ذات نفسك ما جمعت عليه يدي، وشددت به عضدي،،

وجعلت أتيه به على الزمان كأنما كشف لي من صداقتك عن مادة من الغنى لا ينضب معينها .

ولقد بلوتني فبلوت مني نقيية حرة، ونفساً مرة، على أنه ما عرضت حال يؤثر فيها الصديق صديقه على نفسه ويفديه إلا آثرتك، وفديتك، غير مستقل منك، ولا مستكثر عليك، وبلغ من وثاقة صلتني بك، واتصال سببي بسببك، أنه ما نالتك نعمة إلا حسبتها من دونك خصتني، ولا نزل بك ما تكره إلا حسبت أنه نزل بي من دونك . وكان كلُّ منا لصاحبه خيراً منه لنفسه . أخوة مزجت نفسي بنفسك حتى لم يكن يرانا أحد إلا قال أخوان حدرهما ظهر، وضمهما صدر، فيا ليت شعري ما الذي عرض لودك فحال، ولعهديك فاستحال؟ .

فإن كنت قد هفوت هفوة، فإنها زلة من غير عمد، وما أولى الصديق أن يقلل عثار الصديق .

وإن كان قد نفذ إليك من خلال الشك في مودتي وشاية، فقد علمت أن الوشايات آفة المودات .

وإن كنت قد زهدت في مودتي فإني أعيد قلبك أن يتقلب، ووجه ودادك السافر أن يتنقب .

وبعد: فهذا كتابي إليك تلمح طيف الإخلاص يجول في نواحيه، وتحس في كل سطر منه خفقة من خفقات هذا القلب، الذي أحسب أنه لو زایل موضعه مني لم يزایل حبك موضعه منه، فلا تُعن الدهر على بجنائك، ولا ترد من مودتي مبدولاً، ولا تقطع منها موصولاً . وكن عند يقيني فيك لا عندك ظنك بي، والسلام .

محمد صادق عنبر



كلمة شجاع

تأخرتُ استبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدما
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

الحصين بن الحمام



شامية حافظ إبراهيم

زار شاعر النيل حافظ بك إبراهيم الديار الشامية ليقضي بها صيف هذا العام
مستشفياً، فأقيمت له في بيروت حفلة أنشد فيها قصيدة كبرى، اخترنا منها ما
يأتي:

حيى بكورُ الحبا أرباعَ لبنان	وطالعُ اليُمن من الشام حَيَّاني
أهلَ الشام لقد طَوَّقْتُمُ عُنقي	بمنّة خَرَجْتُ مِنْ طوقِ نِيباني
سكنتُمُ جَنَّةً فيحاءَ ليسَ بها	عيب سوى أنها في العالم الفاني
إذا تأملتَ في صنع الإله بها	لم تَلَقَ في وَشِيهِ صَنَعًا لإنسان
في سهلها، وأعالِها، وسَلْسَلها	بُرءُ العليل وسلوى العاشق العاني
وفي تَضَوُّع أنفاس الرِياض بها	روحٌ لكل حزين القلبِ أسوان
إنني تخيَّرْتُ من لبنان منزلة	في كل منزلة روضٌ وعينان
يا ليتني كنت من دُنْيائي في دَعَة	قلبي جميعٌ وأمرِي طوع وجداني
أقضي المصيفَ بلبنان على شَرَف	ولا أحوُلُ عن المشى بحُلوان

يا وَقْفَةً فِي جِبَالِ الْأَرْزِ أَنْشَدَهَا
تَسْتَهْبِطُ الْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا
عَلَيَّ أَجَاوِدُكُمْ فِي الْقَوْلِ مُقْتَدِيًا
لَا يَدْعُ أَنْ أَخْصِبْتَ فِيهَا قَرَانِحَكُمْ
طِيبُ الْهَوَاءِ وَطِيبُ الرُّوْضِ قَدْ صَقَلَا
مَنْ رَامَ أَنْ يَشْهَدَ الْفَرْدَوْسَ مَائِلَةً
بَيْنَ الصَّنَوْبَرِ وَالشَّرْبِينِ وَالْبَانِ
وَيَنْشِي مَلَكًا فِي الشَّعْرِ شَيْطَانِي
بِشَاعِرِ الْأَرْزِ فِي صَنْعٍ وَإِتْقَانِ
فَأَعْجَزْتُ وَأَعَادَتْ عَهْدَ حَسَّانِ
لَوْحِ الْخِيَالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي
فَلْيَغْشَ أَحْيَاءُكُمْ فِي شَهْرِ نَيْسَانَ



أَبَتْ أُمِيَّةٌ أَنْ تَفْنَى مُحَامِدُهَا
فَمَنْ غَطَّارْفَةٍ فِي جِلْتِي نَجْبِ
عَافُوا الْمَذَلَّةَ فِي الدُّنْيَا، فَعِنْدَهُمْ
لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضِيمٍ يُحَاوِلُهُ
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ بَيْرُوتٍ فَمَا أَخَذْتُ
فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ: لِلَّهِ دَرُّهُمْ
تَيَمَّمُوا أَرْضَ (كَوْلَمْب) فَمَا شَعَرْتُ
سَادُوا وَشَادُوا وَأَبْلَوْا فِي مَنَاكِبِهَا
إِنْ ضَاقَ مِيدَانُ سَبْقٍ عَنْ عَزَائِمِهِمْ
لَا يَسْتَشِيرُونَ إِنْ هَمُّوا سِوَى هِمِّمْ
وَلَا يَبَالُونَ أَنْ كَانَتْ قُبُورُهُمْ
فِي الْكُونِ مَوْرَقِهِمْ، فِي الشَّامِ مَغْرَسُهُمْ
إِنْ لَمْ يَفُوزُوا بِسُلْطَانٍ يَقْرَأُهُمْ
أَوْ ضَاقَتْ الشَّامُ عَنْ بَرَّهَانِ قَدَرْتُهُمْ
عَلَى الْمَدَى وَأَبَى أَبْنَاءُ غَسَّانِ
وَمَنْ غَطَّارْفَةٍ فِي أَرْضِ حَوْرَانِ
عَزُّ الْحَيَاةِ وَعَزُّ الْمَوْتِ سَيَانِ
بَاغٍ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ طَاغٍ مِنَ الْجَانِ
عَيْنَايَ فِي سَاحِهَا حَانُوتَ يُونَانِي
لَيْسَ الْفَلَاحُ لَوَانٌ غَيْرَ يَقْظَانِ
مَنْهُمْ بَوْطَةٌ غَرِيبُ الدَّارِ حَيْرَانِ
بِلَاءٌ مُضْطَلَعٌ بِالْأَمْرِ مِعْوَانِ
صَاحَتْ بِهِمْ فَأَرَوْهَا أَلْفَ مِيدَانِ
تَأْبَى الْمَقَامَ عَلَى دَلٍّ وَإِذْعَانِ
ذَرَى الشَّوَامِخَ أَوْ أَجَوَاتِ حَيْتَانِ
وَالْفَرَسُ يَزْكُو نَقَالًا بَيْنَ بِلْدَانِ
فَفِي الْمَهَاجِرِ قَدْ عَزَّوَا بِسُلْطَانِ
فَفِي الْمَهَاجِرِ قَدْ جَهَلُوا بِبِرَّهَانِ



عن مَطْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسَّانٍ
كَجَرِيَةِ الْمَاءِ فِي أَفْنَاءِ أَفْنَانٍ
عَلَيْهِ قَدْ أَدْبَرْتُ مِنْ غَيْرِ إِيْذَانٍ
وَفِي دِمَشْقٍ انْطَوَى عَهْدُ ابْنِ مِرْوَانَ
كَيْفَ انْمَحَى بَيْنَ أَسْيَافٍ وَنِيرَانٍ
عَلَيْكَ لِلَّهِ وَالْأَوْطَانِ دِينَانٍ
فَارْبَاً بِنَفْسِكَ أَنْ تُمْنَى بِخُسْرَانٍ
يُهْدِي إِلَى بَرْدَى أَشْوَاقٍ وَلِهَانٍ
وَبِالْفُرَاتِ وَتَحْنَانٍ لِسَبْحَانَ
وَفَتْنَةٍ بَيْنَ أَجْنَاسٍ وَأَدْيَانٍ
مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ
حَتَّى يُعَاوِدَهَا نُوحٌ بِطُوفَانٍ



وَهَذَمَ السَّقْمُ بَعْدَ السَّقْمِ أَرْكَانِي
أَسَوَّتُ أَمْ أَعَدَّتْ حَرَّ أَكْفَانِي
بِضْجَةٍ عِنْدَهَا رُوحِي وَرِيحَانِي
وَكَمْ عَزِيزَ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
وَلَوْ سَرَاخًا وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَانِي
أَبْكِي وَانْظُمِ أَحْزَانًا بِأَحْزَانٍ
وَجَدْتُ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيْوَانِي
إِلَى رُبَاكُمِ وَعُودِي غَيْرَ فِينَانٍ
وَيَنْجَلِي عَنْ فَوَادِي بَرْحٍ أَشْجَانِي

مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ
تَجْرِي الْمَوَدَّةُ فِي أَعْرَاقِهِ طَلْقًا
مَا بَالُ دُنْيَاهُ لَمَّا فَاءَ وَارْفَاهَا
عَهْدَ الرَّشِيدِ بِيَغْدَادٍ عَفَا وَمَضَى
وَلَا تَسْلُ بَعْدَهُ عَنْ عَهْدِ قُرْطَبَةٍ
فَعَلِّمُوا كُلَّ حَيٍّ عِنْدَ مَوْلَدِهِ:
حَتَّمْ قَضَاؤُهُمَا، حَتَّمْ جَزَاؤُهُمَا
النِّيلُ وَهُوَ إِلَى الْأُرْدُنِّ فِي شَغْفٍ
وَفِي الْعِرَاقِ بِهِ وَجَدَّ بِدَجْلَتِهِ
إِنْ دَامَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ
رَأَيْتُ رَأْيَ الْمُعْزِي حِينَ أَرْهَقَهُ
لَا تَطْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجَسٍ وَمِنْ دَرَنٍ

وَلِي الشَّبَابُ وَجَارَتْنِي فَتَوَّهَتْهُ
وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى السَّيْنِ أَسَالُهَا
شَاهَدْتُ مَصْرَعَ أَتْرَابِي، فَبَشَّرَنِي
كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ
إِنِّي مَلَلْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِنَةٍ
إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيْوَانِي لِتَقْرَأَنِي
أَتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي
فَأَنْزَلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُّ بِهِ

وجنبوني . على شكر . موائدكم
حسبي وحنبُ الندى ما نلتُ من كرم
بما حوث من أفاريه والوان
قد كدتُ أنسى به أهلي وأوطاني

حافظ إبراهيم



مصر والشام

لما ركب حافظ بك إبراهيم قطار القاهرة إلى فلسطين ليزور الديار الشامية،
ودّعه أحمد أفندي نسيم بالآيات الآتية:

قطارُ النوى أمهلْ دقائقْ واتَّيذْ ففبكْ أديبُ النيل والشرقِ أجمعا
أحافظُ إنْ جثتْ الشامُ فحبَّها منازل تزهى بالبيان وأربعا
وصفْ لهمْ شوقَ البلاد وأهلها يروا مُفصِّحا جَمَّ البلاغة مُبدعا
نودّعْ فيك اليومَ أكبرَ شاعر وهيات أن ننسى الأديبَ المودعا



جرير وبنو نمير

قصة واقعية تمثل الحياة العربية الأدبية في النصف الثاني من القرن الأول
للهجرة، جرت حوادثها في البصرة - حلبة الشعراء في تلك الأيام - فكانوا
يتبارون في المربد منها، وهو كسوق عكاظ في الجاهلية:

(يا أبا جندل إنك شيخ مُضرّ وشاعرها، وقد أتى بي إليك أني وابن عمي
نَسَبْتُ صباحًا مساء، وما عليك غلبةُ المغلوب، ولا لك غلبةُ الغالب. فأما أن
تدعني وصاحبي، ويكفيك إذا ذكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم. ولا تحتسل

مني ولا منه لائمة. وإما أن يكون وجهٌ منك إلى أن تُغَلِّبني عليه: لمدحي قومك، وذبي عنهم، وحطبي في جبلهم).

قال جرير ذلك للراعي عبيد بن حصين - أحد بني نُمَيْر-، وقد بلغه خبرُ إقامة وأقعده، وهو أن عَرادة الثُميري نديم الفرزدق اتخذ طعامًا وشرابًا ودعا إليه الراعي حين قدومه إلى البصرة، وجلس يؤاكله ويشاربه. وفي خلال ذلك قال عرادة النُميري:

يا أبا جندل، إنك من شعراء الناس، أمرُك ضخم بينهم؛ فقل شعراً تفضّل به الفرزدق على جرير!.

فامتنع الراعي بادئ الأمر، غير أن صاحبه ما زال يزيّن له ذلك حتى قال (عبيد):

يا صاحبيّ دنا الأصيلُ فسيرا غلبَ الفرزدقُ في الهجاءِ جريرا
فطار عَرادة لذلك فرحاً، وعدا بهذا الشعر إلى الفرزدق، وأنشده إياه فترامى الخبر بعد أيام إلى جرير، فتحسّب أنه مُغَلَّبٌ للفرزدق وقد شهد بذلك عبيد شاعر مضر وذو سَنّها.

لهذا الخبر خاطب جرير أبا جندل بكلمته التي في صدر هذه القصة، فقال له هذا:

صدقتُ أنا لا أبعدك من خير؟ ميعادُك وميعاد قومك غداً، فسأعتذر عما قلتُ...

بَكَرَ جرير ثاني الأيام إلى حلقة قومه بني يربوع في المسجد، وقد قصّ عليهم القصص، فما انتظمت حلقتهم بعد صلاة العصر من يوم الجمعة حتى وقف عليهم رجل من بني أُسَيْد له علم بالأمر، فقال له بنو يربوع:

أذهب إلى حلقة بني نمير فتعرض لراعي الإبل وأذكر مجلسنا، لعله نسي الذي قال لنا بالأمس، فأتاه فقال:

يا أبا جندل: هذه بنو يربوع تنضح جباههم العرق ينظرون ميعادك اليوم. فذكر الراعي ذلك، فقام ليعتذر، ولكن قومه أدركوه وتمسكوا بأطراف ثوبه وقالوا له:

اجلس فوالله لأن يُنضح قبرك غدوة في الجبانة، أحب إلينا من أن يراك الناس تعتذر إلى هذه الكلاب.

فسمع الرجل ذلك فنقله إلي بني يربوع.

ثار ثائر جرير وجن جنونه، وجعل القوم يكلمونه فلا يجيب، حتى ترك المجلس غضبان، وانتظر أبا جندل في الطريق ليراه ويزجره. وإنه لهنالك إذ ألقى عُيَيْدًا راكبًا بغلته، فتعرض له قائلاً:

يا أبا جندل، إني قد أقمت بهذا المصر سبع سنين لا أكسب أهلي دينًا ولا آخره، إلا أن أسب من سبهم، فلا يقع منك بيني وبين هذا الرجل - يعني الفرزدق - ما أكره.

قال هذا بلهجة مترعة إرادة حديدية، وأردف ذلك بقوله:

أنت شيخ مضر وشاعرهم وقولك مسموع فيهم، فمهلاً أبا جندل مهلاً!

فقال هذا وكان عاقلاً: معاذ الله أن أفعل ما تكره!

قال جرير، وقد ألقى مجالاً للإفصاح عما يكنه صدره بعد أن قويت حجته:

ومع ذلك فأنت ترفع الفرزدق وقومه حتى لو تقدر أن تجعلهم في السماء لفعلت، وتقع في بني يربوع حتى تصير إلي في رحلي.

وإنهما لفي ذلك الحديث، وقد وضع جرير شماله على بغلة أبي جندل، إذ أقبل جندل راكبًا بغلته، فسأل عن محدث أبيه، فلما علمه رفع عصًا كُرْمانية كانت في يده وضرب عجز بغلة أبيه قائلاً:

لا أراك يا أبتاه واقفًا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شرًا أو ترجو منه خيرًا!!

فاندفعت البغلة مسرعة وقد رمحت جريرًا، فسقطت قلنسوته سقطه مشؤومة، وتبعها هو إلى الأرض. فقال في نفسه وهو واقف ينظفها وينظر إلى الفتى وأبيه وقد أوشكا أن يتواريا في السواد:

ليعلمن شأنه وشأن أبيه وقومه بعد حين...

نعم يا جرير، لقد حان الوقت الذي تطفأ فيه آخر جمرات العرب الثلاث. وليقلْ بَعْدُ أن جريرًا وحده هو أخمدها.



لجرير راوية هو مولى لبني كليب كان يبيع الرُّطب بالبصرة، وكان يحب شعر جرير ويجمع قصائده ليحفظها ويرويها في الناس، وقد تمكن حب جرير من قلب (حسين) راويته هذا. ذهب جرير إلى راويته وأعلمه بما جرى وقال:

إني آتيك الليلة فأعِدْ لي شواءً وفراشًا ونيذًا محشفًا^(١).

ثم تركه وقصد الشوارع يطوفها ونفسه وثابة، لا يستطيع أن يكبح جماحها. ولما أقبل الليل بجيوشه ولَّى وجهه شطر البيت، وفي خواطره من الثورة ما لوكان بأمة جامدة لحركها.

(١) النيذ: تمر يُبَذ في وعاء فيه ماء. وهو ما لم يُسكر حلال، فإذا أسكر حرُم. وسواء كان مسكرًا أو غيره فإنه يقال له نيذ.

ودخل جرير في المساء على راويته فقال:

هل هيات كل شيء؟

قال: أجل،... فعلامَ عولت؟

قال: أما والله لا وقرنَ رواحله بما يُثقلها خِزياً ينقلب به إلى أهله، ولتكوننَ قصيدتي فيهم دماغة فاضحة تسير مع الدهر وتطويه، ولألحقنَ به بني نمير بجمرتي العرب الخامدتين^(١). وبعد صمت قليل قال: هلمَّ عشاءك!.

فأحضر له العشاء، وحانت صلاة العشاء، فقام وصلّاها ثم قال:

ارفعوا لي باطيةً من نبيذ، وأسرجوا لي!

ففعلوا فشرب، ثم قال:

هاهنا دواة وكتفًا!.

فأتاه بما أراد، فجعل جرير يهمهم و يحبو ويقول:

اكتب! وابتدأ بقصيدته فكان مطلعها:

أقْلِي اللومَ عاذِلَ والعنابا وقولي إن أصبْتُ لقد أصابا

وبينما هو في تمتته إذ سمعتُ صوته عجوز في الدار فاطلعت من الدرجة حتى نظرت إليه، فإذا هو على تلك الحال يحبو على الفراش. فانحدرت وقد خشيت مغبة ما رأت وقالت:

ضيفكم مجنون... رأيتُ منه كذا وكذا. فقالوا:

اذهبي لطيتك، نحن أعلم به وبما يمارس.

(١) جمرات العرب ثلاث: (بنو الحارث بن كعب) وقد خمدت بمخالفتها مذحج، و(بنو ضبة بن أد) وقد خمدت بمخالفتها الرّباب، و(بنو نمير) وقد خمدت بقصيدة جرير.

أدرك السَّحَرُ الشاعرَ وهو على تلك الحال، حتى وصل إلى شطره الذي يقول فيه :

فَغُضَّ الطرف إنك من نُميرٍ

فازدادت تمتته ونشوته، واستعصى عليه الشطر الثاني، فقال لراويته :
ويحك، أطفئ السراج . فأطفأ السراج . ثم تناول منديلًا كبيرًا غطى به رأسه
زيادة في طلب الخلوة، وفتح برهة طويلة، والراوية ينظره حتى عيل صبره، وكان
للنوم حُكم عليه فانقاد إليه، وما زال كذلك حتى أماله الكرى على صدر جرير،
فوثب جرير وثبة انتبه منها الراوية مذعورًا، فإذا بالشاعر يكبر ويصيح :
لقد أخزيته ورب الكعبة . . . اكتب اكتب :

«فلا كعبًا بلغت ولا كلابا»

غضضته وقدمت إخوته عليه، والله لا يفلح ولن يفلح نميري بعدها أبدًا



انقضى الليلُ وابنُ الخطفى يهذب قصيدته ويزيد فيها، حتى خرجت آية في فن
الشعر، ومصيبة في الهجاء . ثم نام وهو يقول : لقد والله أخزيتهم آخر الدهر،
فلن يرفعوا رأسًا بعدها إلا نكس بهذا البيت . وجعل يردده :

فَغُضَّ الطرف إنك من نُميرٍ فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

أصبح جرير وهو على مثل جمر الغضا، وما علم أن الناس أخذوا مجالسهم
في المريد - وبينهم أبو جندل وابنه والفرزدق - حتى دعا بدهن فادّهن، وكف
رأسه، وكان حسن الشَّعر، ثم قال : يا غلام، أَسْرَج لي حصانًا ! .

فأسرج له . ثم قصد مجلسهم يستحث جواده، فبلغ المكان . فقال بصوت
عالٍ سمعه كل من كان هناك :

يا غلام، قل لُعَيْد: أَبَعَثَكَ نُسُوتُكَ تَكْسِبُهُنَّ الْمَالُ بِالْعِرَاقِ؟ أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ
جَرِيرٍ بِيَدِهِ لَتَرْجِعَنَّ إِلَيْهِنَّ بِمَيْرٍ يَسُوؤُهُنَّ وَلَا يَسْرُهُنَّ. وَرَبُّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ إِنْ لَكُمْ
لَمَعَادَ سَوْءٍ وَذِلَّةٍ، وَلَا وَقْرَنَ رَوَّاحِكُمْ بِمَا يُثْقِلُهَا خِزْيًا وَعَارًا.

قال قوله هذا والأعناق مشرَّبة إليه. ثم قصد صاحبًا له، قريبًا في مجلسه من
أبي جندل، فأخذ بتلايب الراعي وقال:

إنكم لن تعودوا شَمَّ الأنوف ججاجَ بين العرب بعد الساعة...
وفي تلك اللحظة لم يكن الجالس يسمع إلا وجيبًا وهمسًا، ثم تركه ووقف
منشدًا قصيدته:

أَقْلَى اللُّومِ عَاذَلٌ وَالْعَتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ: لَقَدْ أَصَابَا
أَمَّا الْفَرَزْدَقُ فَقَدْ كَانَ يَصْغِي إِلَى جَرِيرٍ بِكَلِّ جَوَارِحِهِ، لَعَلَّمَهُ بِإِقْدَاعِهِ إِنْ هَجَا،
وَانْطَلَقَ جَرِيرٌ يَقُولُ، وَالنَّاسُ آذَانُ تَصْغِي إِلَيْهِ، حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ:
أَجْنَدَلُ مَا تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ...

فقال: يقولون شرًّا أتيتنا، فبئس والله ما كسبنا قومنا. ولما انتهى إلى قوله:
فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا
أقبل الفرزدق على راويته يقول: غَضَّه والله، فلا يجيبه ولا يفلح بعدها أبدًا.
وقال عبيد: أَخْزَيْتَهُمْ، أَخْزَاكَ اللَّهُ آخِرَ الدَّهْرِ. ولما وصل إلى قوله:
بِهَا بَرَصَ....

وضع الفرزدق يده على عنقه يسترها عن عيني جرير الذي كان يرعاه ويرعى
حركاته، فأتَمَّ الشاعرُ قوله:

كعنفة الفرزدق حين شاب

ولعله استعاض عن شطر لا ندري ما هو بشطر قصد به إلى الفرزدق ارتجالاً عندما رآه يستر عنفقه.

عند ذلك نكس الفرزدق رأسه والتفت إلى راويته يقول:

اللهم اخزه، والله لقد علمتُ حين بدأ صدر البيت أنه لا يقول غير هذا. ولكنني طمعتُ في غفلته، فغطيت وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً، فأنا الجاني على نفسي الساعة إذ نبهته إلى ما لعله كان غافلاً عنه. ألم أقل لك أن شيطاننا واحد؟.

ثم صمت وظل صامتاً، حتى إذا انتهى جرير من إنشاد القصيدة، ذهب لا يلوي على شيء. أما راعي الإبل فقد غَضَّ طرفه - كما شاء جرير -، وصبر وابته على ما يسمعان، حتى إذا فرغ جرير ذهب الراعي إلى قومه يقول:

ركابكم ركابكم، فليس لكم ها هنا مقام. فضحككم والله جرير.

فلم ير الناظر ساعتئذ إلا وجوهاً ممتقة الألوان، ولم يسمع إلا ضوضاء الرحيل. وقالوا له: هذا شؤمك وشؤم ابنك علينا.

فقال: كلا يا قوم لستُ شؤماً عليكم، وليس ابني كذلك، وإنما جرير شؤمٌ على الناس أجمعين.

وقال بعضهم لأبي جندل: ما الذي دعاك إلى التعرُّض له وللفرزدق؟ ألا تعلم أن هؤلاء الشعراء الثلاثة - جريراً والفرزدق والأخطل - في حرب عوان، وأنه لم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرَّض لهم فافتضح كما افتضحنا، وسقط بين أرجلهم وبقوا يتناولون؟.

قال: خلوا سبيلي يا قوم، إنه القضاء، ولا يغني حذر من قدر.

وما زال شعراء نُمير يحجمون عن الرد على جرير خشية الفضيحة مرة ثانية،

حتى تجشم بعضهم الردّ عليه كي لا يقال فيهم أكثر مما قيل، ولكن تلك الأشعار لم تنفع نُميرًا، ولا أضرت جرير.



أدالت هذه القصيدة من عزّ بني نُمير بن عامر بن صعصعة، وغدا كلُّ منهم ينتسب عامريًا بعد أن كان إذا سئل: ممن الرجل؟ قال: «من نُمير...» كما ترى» وفخم لفظه ومدّ به صوته.

أما أبو جندل فكان عندهم رمز الشؤم هو و ابنه، وأما جرير فكان ملتقى السباب والشتائم إلى يوم الدين. وكابد بنو نُمير أشد ما يكابد ذليل بعد عز، فقد قيل: إن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتارًا. وكان بعض بنو نُمير يصيح به: (يا جواذب باهلة!)^(١)، فيكابد من ذلك ألمًا جسيمًا، فلما ضجر منهم قصّ الخبر على مواليه فقالوا له: إذا نبزوك فقل لهم: فغض الطرف... (البيت) ومرّ بهم ذات يوم، فنبزوه، فأراد البيت، فاستعصى عليه وخانته الذاكرة فقال لنابزه: (غمّض وإلا جاءك ما تكره)! فغضوا أصابعهم ندماً وكفّوا عنه، ولم يتعرضوا له بعدها.

وحكي أن امرأة مرّت ببعض مجالس بني نُمير فأداموا النظر إليها وقال قائل: إنها رشحاء. فقالت: قبحكم الله يا بني نمير، ما قبلتم قول الله ﷻ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، ولا قول الشاعر:

فغض الطرف... (البيت)

فتشاغلوا بأنفسهم عنها ولم يعودوا لمثلها.



(١) يُنظر عن قبيلة باهلة، الكريمة: رسالة «باهلة المفتري عليها»؛ للشيخ حمد الجاسر رحمه الله. (س).

و ما زال الدهر من منشدي تلك القصيدة (الذماغه).

ونفس جرير الجبارة لا يساورها الندم على ما في القصيدة من تحامل وقسوة،
إلى أن وقع لجرير ما غيّر رأيه فيها.

قال جرير:

ما ندمت على هجائي بني نُمير قطّ إلا مرة واحدة. فإني خرجت إلى الشام،
فنزلت بقوم نزول في قصر لهم في ضيعة من ضياعهم. ونظرت إليه من بعيد بين
القصور مشيدًا حسنًا، وسألت عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمير.
فقلت: هذا شامي وأنا بدوي، ولعله لا يعرفني. فجنّثُ فاستضفّْتُ، فلما أذن
لي ودخلت عرفني، فقراني أحسن القرى ليلتين. فلما أصبحتُ جلستُ، فدعا
بِئْنِيَّه له فضمها له وترشفها، فإذا هي أحسن الناس وجهًا، ولها نشرٌ لم أشم
أطيب منه. فنظرت إلى عينيها فقلت: تالله ما رأيتُ أحسن من عيني هذه الطفلة
ولا من حورِها قط، وعودتها. فقال لي: يا أبا حزرة أسوداء المحاجر هي؟
فذهبتُ أصف طيب رائحتها. فقال: أمن وبر هي؟ فقلت: يرحمك الله، إن
الشاعر ليقول. والله لقد ساءني ما قلته ولكن صاحبكم - يريد الراعي - بدأني
فانتصرتُ عليه (وذهبتُ أعتذر).

فقال: دع ذا عنك، أبا حَزْرَة، فوالله ما لك عندي إلا ما تحب

قال جرير: وأحسنَ والله إليَّ وزودني وكساني، فانصرفْتُ وأنا أندمُ الناس
على ما سلف مني لقومه.

دمشق / جميل سلطان



إلى امرئ القيس

سائل التاريخَ عامًا ثم عامًا أيُّ يومٍ خفرَ العربُ الذماما
أيُّ عهدٍ نكثوا آياته أيُّ جارٍ لم يعزُّوه مقامًا
المروءاتُ هدى أعمالهم والوفا الدينُ الذي فيهم تَسامى
عبدوا الأصنامَ، لكن عبدوا قبلها العِرَضَ فصانوه كراما



القصورُ الغرُّ تفدي خيما لبني كندة تبتزُّ الخياما
لابن حُجرٍ في ذراها خيمةٌ ظللتُ منه الفتى الحرَّ الهماما
ملكٌ في الحيِّ يروي ملكه شاعرٌ أبدعَ حتى لن يُراما
أمراءُ الشُّعرِ تحني رأسها لأمير الشعرِ حبًّا واختشامًا
يا أميرِ، إن للعربِ إذا دُكر المجد لآياتِ جساما
إن تكن قد قمتَ فيهم ملكًا كم مليك بعدك الدهر أقاما
لم يخلدَ ذكَرَكَ الملكُ كما خلَّدَ الشعرُ لك الذكَرَ دواما
وبكيتَ التاجَ يومًا ذلَّةً وبكيتَ الطللَ البالي هياما
ما أذلَّ الدَّمْعَ للملكِ وما أشرفَ الدَّمْعَ إذا سألَ غراما
حبذا العُربُ، ومن أندى يدًا حبذا العربُ ومن أمضى حُساما
أكبرَ التاريخِ ذكراهم لَدُنْ ملأوا الأيامَ أعمالًا عظاما
حيثما كانوا فهم أهلُ العلى لو هُم لا يتحدثونَ الخصاما
أنا لو كنْتُ امرأَ القيس لهم لأجُدْتُ القولَ فيهم والكلاما
فقفا نبك حبيبًا لم أقل بل قفا نبك اتحادًا ووثاما

أمين تقي الدين

المجاهد المحتضر

لص أديب بليغ، يحوله الإسلام إلى مجاهد عظيم

كان (مالك بن الرِّيب) من مازن تميم، وكان لصًا يقطع الطريق مع شِطَاط الضَّبِّي الذي يُضرب به المثلُ، فيقال: أَلصُّ من شِطَاط.

ولما وَلَّى معاويةُ ﷺ سعيَدَ بن عثمان بن عَقَّان خراسانَ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس؛ فلقبه بها مالك بن الرِّيب، وكان مالك، فيما ذُكر، من أجمل العرب جمالًا وأبينهم بيانًا. فلما رآه سعيَد أعجبه، ومالكُ في نَفَر من أصحابه، فقال له:

ويحك يا مالكُ! ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العَداء وقطع الطريق؟.

قال: أصلح الله الأمير! العجزُ عن مكافأة الإخوان.

قال: فإن أغنيئكَ واستصحبَتكَ، أنكفَ عما تفعلُ وتَبْغني؟

قال: نعم، أصلح الله الأمير! أكفَ كُفًا ما كفَ أحدٌ أحسنَ منه.

فاستصحبه وأجرى عليه خَمَسَ مائة دينار في كلِّ شهر، وكان معه حتى قُتل بخراسان... طعن فسقط وهو بآخر رَمَق، فقال هذه القصيدة يرثي بها نفسه، ويذكر غربته:

بجنب الغضا أُرْجِي القلاصَ النواجيا	الا ليت شِعْري هل أَيْتَنَ ليلة
وليت الغضا ماشي الرِّكَّابَ لياليا	فليت الغضا لم يقطع الرِّكْبَ عَرَضَه
مزارًا، ولكنَّ الغضا ليس دانيا	لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا

وأصبحتُ في جيش ابنِ عَفَّانَ غازيا
أُراني عن أرضِ الأعادي قاصيا
بذي الطَّبَسِينِ، فالتفتُ ورائيا^(١)
تقنعتُ منها، أن ألام، ردايا
جزى اللهَ عَمْرًا خيرَ ما كان جازيا
وإن قلَّ مالي طالبًا ما ورائيا
سِفاركُ هذا تاركِي لا أباليا
لقد كنتُ عن بابي خراسانَ نائيا
بنِيَّ بأعلى الرِّقْمَتَيْنِ، وماليا
يخبِرَن، أني هالكُ، مَنْ ورائيا
عليَّ شفيقُ ناصح لو نهانيا
بأمرِي ألا يقصُرُوا مِن وثاقيا
ودرَّ لحاجاتي ودرَّ انتهايا
سوى السيفِ والرمحِ الردينيِّ باكيا
إلى الماءِ لم يترك له الموتُ ساقيا
عزيرُ عليهنَّ العشبةُ ما بيا^(٢)
يُسَوونَ لحدي حيثُ حُمَّ قضائيا
وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا^(٣)
يقرُّ بعيني أن سهيلٌ بدا ليا

ألم ترني بعثَ الضلالةَ بالهدى
وأصبحتُ في أرضِ الأعادي بُعيدما
دعاني الهوى من أهلِ أودٍ وصحبني
أجبت الهوى لَمَّا دعاني بَرَفَرَة
أقول وقد حالت قري الكُرْدِ دوننا:
إن اللهَ يَرجفني من الغزو لا أرى
تقول ابتي، لما رأت طولَ رحلتي:
لعمري، لئن غالت خُراسانُ هامتي
فلله دُرِّي، يوم أتُرك طائعا
ودرُّ الطُّبَاءِ السانحاتِ عشبة
ودرُّ كَبِيرَي اللذينِ كلاهما
ودرُّ الرجالِ الشاهدين تفتُكي
ودرُّ الهوى من حيث يدعو صحابه
تذكرتُ من يبكي عليَّ فلم أجذ
وأشقرَ محبوبكُ بجُرَّ لجامه
ولكن باكناف السُمينةِ نسوة
صرعَ على أيدي الرجال بقفرة
ولما تراءت عند مَرَوِ منبتي
أقول لأصحابي: ارفعوني فإنه

(١) أود: في أرض قومه بني مازن. والطبسان: كورتان في خراسان.

(٢) السُمينة: منزل قومه في أرض بني مازن.

(٣) أشهر مدن خراسان. خل بها جسمي: اختل.

فيا صاحبي رحلي، دنا الموت فانزلا
 أقيما عليّ اليوم أو بعض ليلة
 وقوما، إذا استلّ رُوحِي، فهيتا
 وخُطّا بأطراف الأسنّة مضجعي
 ولا تحسداني، بارك الله فيكما،
 خُذاني فجرّاني بيُردي إليكما
 وقد كنتُ عظامًا إذا الخيلُ أدبرث
 وقد كنتُ صَبَارًا على القِرْن في الوغى
 فطورًا تراني في ظلالٍ ونَعْمَةٍ
 ويومًا تراني في رَحَى مستديرة
 وقوما على بثر السُمينة أسمعَا
 بأنكما خَلَفْتُماني بِقَفْرَةٍ
 ولا تَنسِيا عهدي خليليَّ بعد ما
 ولن يَعدَمَ الوالِدُونَ بَنًا يصيبهم
 يقولون: لا تَبْعَد، وهم يدفُئُونِي،
 غداة غدٍ، يا لهف نفسي على غدٍ
 وأصَبَحَ مالي مِنْ طَريفٍ وتالد
 فيا لبت شِعْري، هل تَغَيَّرَتِ الرَّحَى
 إذ الحيّ حَلَّوها جميعًا، وأنزلوا
 وعين وقد كان الظلام يُجَنِّها

برابية، إنني مقيمٌ لبياليا
 ولا تُعْجلاني، قد تَبَيَّنَ شَانِيَا
 لِي السَّدَرُ و الأكْفَانُ عِنْدَ فَنَائِيَا
 ورَدَا على عَيْنِي فَضْلَ رَادِيَا
 من الأرض ذات العَرَضِ أن تُوسعا لِيَا
 فقد كان قَبْلَ اليوم صعبًا قِيَادِيَا
 سريعًا لدى الهَيْجَا إلى مَنْ دَعَانِيَا
 وعن شَتَمِي ابْنَ العَمِّ والجَارِ وَاِنِيَا
 ويومًا تراني والعِتَاقُ رِكَابِيَا
 تُخَرِّقُ أطرافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
 بها الغُرُّ والبيضُ الحسانَ الروانِيَا:
 تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَانِيَا
 تَقْطَعُ أوصالي وتَبْلِي عِظَامِيَا
 ولن يَعدَمَ الميراثُ مَتِي المَوالِيَا
 وأينَ مكانُ البعدِ إلَّا مَكَانِيَا!
 إذا أذَلَّجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا
 لغيري، وكان المَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا
 رَحَى المَثَلِ أَوْ أَمْسَتْ بِقَلَجٍ كَمَا هِيَ^(١)
 بها بَقَرًا حُمُ العُيُونِ سَوَاجِيَا
 يُسْفَنُ الخُزَامِي مَرَّةً وَالْأَقَاجِيَا^(٢)

(١) رَحَى المَثَلِ، وفلج: من بقاع وطنه في الحجاز.

(٢) السوف: الشم.

وهل أترك العيسَ العَباليَ بالضحي
 إذا عُصَبُ الرُّكبانِ بين عُنيزة
 فيا ليتَ شِعْري، هل بكثُ أمْ مالِكُ
 إذا مُتُّ فاعتادِي القبورَ فسَلِّمي
 على جدثٍ قد جرَّتِ الرِّيحُ فوقه
 رهينةَ أحجارٍ وتُرْبٍ تضمثُ
 فيا صاحبي، إنا عَرَضَتْ فبَلَّغُنْ
 وعَظْلُ قلوْصي في الرُّكابِ فإنَّها
 وأبصرت نَارَ المازِنِيَّاتِ مَوْهِنًا
 بِعودِي أَلَنُجُوجِ أضَاءَ وقودُها
 بَعِيدُ غريبُ الدارِ ثاوٍ بقفرة
 أقلبُ طرفي حولَ رحلي فلا أرى
 وبالرملِ مَنًا نِسوةً لو شَهِدَنِي
 وما كان عهدُ الرملِ عندي وأهله
 فمنهنَّ أُمِّي وابنتاها وخالتي
 بَرُكبانِها تَعْلُو المِتانَ الديافيا
 وبولانَ عاجِوا المَبْقِيَّاتِ النواجيا
 كما كُنْتُ لو عَالُوا بَنَعِيكَ باكِيا!
 على الرمسِ، أُسْقِيَتِ السَّحابُ الغواديا
 ترابًا كَسَخَقِ المَرَنبانيِّ هابيا
 قرارُها مَنِّي العظامَ البواليا
 بني مازن والرَّيبُ أن لا تلاقيا
 سَتَفَلِقُ أكبادًا وتُبكي بواكيا
 بعلِاء يُثنى دونَها الطرفُ وانيا
 مَهًا في ظلالِ السَّدْرِ حُورًا جَوازيا
 يدُ الدهرِ، معروفاً بأن لا تدانيا
 به من عيونِ المؤنساتِ مُراعيا
 بكينَ وفدَّينِ الطيبِ المداويا
 ذميماً، ولا ودَّعْتُ بالرملِ قاليا
 وباكيةً أخرى تَهيجُ البواكيا



التجاريب

الجَلْمُ بَعْدَ الجَهِلِ قد يثوبُ
 وفي الزمانِ عَجَبٌ عَجيبُ
 وعبرة، لو يَنفَعُ التجريبُ!

واللبُّ لا يَشْقَى به اللبیبُ
والمرءُ مُحْصَى سَعْيُهُ مَرْقُوبُ
يَهْرَمُ أو نَعْتاقه شَعُوبُ

الأغلب العجلي



الحديقة

إلى الأستاذ محب الدين

أهديتني ثمرَ الحديقة	ولقد حرصتُ بأن أذوقه
فلإذا هو السحرُ الحلا	لُ يشيعُ في نفسي المشوقة
أغصانه متهدّلا	تُ أوشكتُ أن لا تُطيقه
فاعجب له قد صارَ قب	لَ قطافه خمراً عتيقه
لا عَوَلٌ فيها بل رشا	دُ تستقيم به الطريقة
متخيراً أسلوبها	بينَ الأساليب الرشيقه
إن أسهبتُ غاصت ورا	ءَ الدرّ في اللجج العميقه
أو أوجزتُ أذنت مسا	فاتِ النعابير السحيقه
هتكتُ عن المعنى الجمب	لِ بقوة حُجُبًا صفيقه
فيها مفاجأة تل	دُ من الخيال إلى الحقيقه
علمٌ و آدابٌ قوا	مُ فصولها نكتٌ دقيقه
حكّم بأبداع صورة	وأدقّها وضعًا مسوقه

فعلى الشجاعة والعلا
 والفسقُ الخريبُ من
 يا طالما هتُرّ البخى
 ولطالما كانت لنض
 مسحُ مثار همومه
 تشبُّ النفوس إلى مجا
 هي قدرة في الأختي
 أسُ بجانب نخلة
 ما بين فاكهة المذا
 لا قيدَ في تبويبها
 الجاهليُّ بجانب ابن
 طوبى لمن تخذ الحديق

يتموّد الرجل القُرُوقه
 تأثيرها يسلو فسوقه
 لُ إلى الندى وأقام سوقه
 و الهَمّ مسلاة رفيقه
 فنقلُصت . بيدِ رفيقه
 نبها بلا قيدِ طليقة
 ار بكلّ تمجيد خليقة
 وبجانب العنب الشقيقة
 ق وزهرة الشمّ الأنيقة
 وكذلك أشجارُ الحديقة
 العصر معدود شقيقة
 ة وقت خلوته صديقة

محمد صادق عرنوس



التمحيص

جزى الله خيرًا هذه الحال بعدما
 وأظهر ما يخفي الورى من غرائز
 فلم يستطع ذو اللوم إخفاء لومه
 ومن كان قبلَ اليوم ينتحلُ التقى
 ومن كان معروفاً بعفة نفسه

تجلّت لنا فيها وجوهُ الحقائق
 قد اختلفت لنا أنواعها والخلائق
 ولا حاذرُ الغرُّ اجتيازَ المزالق
 بدا وعلى عطفه بُرْدُ منافق
 غدا اليوم يجري في الخنا جري فاسق

وكم مُدَّعِ حَرِيَّةٍ و أمانةً وجدنا له طبعَ الخوون المماذِقِ
وكم من صديق ظَنَّ من قبلُ صادقاً علمنا يقيناً أنه غيرُ صادقٍ
فإن تاتَ زيداً من سعيدٍ صنيعه فتلك لعمر الحقِّ إحدى الخوارقِ
غدا الناسُ إلا النزر من سرواتهم ضواريَ فاحذر كلَّ غادرٍ وطارقِ

أمين ناصر الدين



نذر لبيد بن ربيعة

كان لبيد بن ربيعة شريفاً في الجاهلية والإسلام؛ وكان نذر أن لا تهُبَ الصُّبَا إلا نَحَرَ وأطعم. وهبَت الصُّبَا يوماً، وهو بالكوفة معترُّ مُمْلِق، فعلم بذلك الوليدُ بن عقبة بن أبي مُعَيْط - وكان أميراً عليها لعثمان بن عفان رضي الله عنه - فخطب الناسَ فقال: إنكم قد عرفتم نذر أبي عَقِيل، وما وكد على نفسه؛ فأعينوا أخاكم.

ثم نزل، فبعث إليه بمائة ناقة وبعث الناسُ إليه، فاجتمعت عنده ألفُ راحلة - فقضى نذره وكتب إليه الوليد:

أرى الجَزَارَ يَشْحَذُ شَفْرَتَيْهِ إذا هَبَّتْ رياحُ أبي عَقْبِلِ
أغرُّ الوجهَ أبيضُ عامريٍّ طويلُ الباعِ كالسيفِ الصَّقِيلِ
وفى ابنُ الجعفريِّ بحلفَتَيْهِ على العِلاَتِ والمالِ القَلِيلِ
يَنُخِرُ الكومَ إذ سحبت عليه ذبولُ صَبًّا تجاؤبُ بالأَصِيلِ
فقال لبيد لابنته:

أجيبه، فقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر!

فأنشأت تقول:

إذا هبت رياحُ أبي عَـقِيلٍ دعونا عند هبَّتِها الوليدا
أشَمَّ الأنفِ أَضِيدَ عَـبْشَمِيا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب، كأنَّ رَـكبا عليها من بني حام قُعودا
أبا وهب، جزاك الله خيرًا نَحْرُناها وأطعمنا الشريدا
فُعْدُ، إنَّ الكريمَ له مَعاد وظنِّي بابن أروى أن يَعُودا
فقال لبيد: قد أحسنتِ لولا أنك استزدته!

فقالت: والله ما استزدته إلا لأنه مَلَك، ولو كان سُوقة لم أفعل.



الحصائل

من بدائع حكيم الجاهلية والإسلام: لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، قوله:

الا تَسْأَلانِ المرءَ ماذا يُحاوِلُ أنحبَّ فيَقْضِي أم ضلال وباطلُ!
حبائِلُهُ مبثوثةٌ في سبيلِهِ ويفنى إذا ما أخطأته الحبائلُ
إذا المرءُ أسرى ليلَةً خال أَنَّهُ قضى عملاً، والمرءُ ما عاش عاملُ
فقولا له، إن كان يُقَسِّمُ أمرَهُ: أَلَمَّا يَعْظُك الدهرُ، أمك هابلُ!
فَتَعَلَّمَ أن لا أنتَ مُدْرِك ما مضى ولا أنت مما تحذر النفسُ وائلُ
فإن أنتَ لم تصدُقْكَ نفسك فانتسب لعلك تهديك القرونُ الأوائلُ
فإن لم تجدْ من دون عَدنانَ باقيا ودونَ مَعَدٍّ فلتَرَعَّكَ العواذلُ
أرى الناسَ لا يدرون ما قدرُ أمرِهِم بلى كلّ ذي رأيٍ إلى الله واسلُ
الا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلُ!

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دُونِهِبَةٍ تَصَفَّرُ منها الأناملُ!
وكلُّ امرئٍ يوماً سيعلمُ سعيه إذا كُشِفَتْ عند الإلهِ الحِصائلُ



عبد الملك بن مروان ليلة احتضاره

روى أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمّرين، بسنده إلى الشعبي قال:
أرسل إليَّ عبدُ الملك بنُ مروان، وهو شاكٍ، فدخلتُ عليه فقلت:

كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟

فقال: أصبحت كما قال ابن قميّة الشاعر:

كانني وقد جاوزت تسعينَ حِجَّةً خلعتُ بها عني عِذارَ لجامٍ
رمتني بناثُ الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برامٍ
فلو أنّها نَبْلٌ، إذاً لانتقيتها ولكنني أرمى بغير سهامٍ
إذا ما رأيَ الناسُ قالوا: ألم تكن جليداً شديدَ البطش غير كهامٍ!
فَنيْتُ ولم يفن من الدهر ليلة ولم يغن ما أفنيت سلك نظامٍ
على الراحتين مرّةً، وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامي

فقلت: لا يا أمير المؤمنين، ولكنك كما قال لبيد بن ربيعة:

نَفْسِي تَشْكِي إِلَيَّ الموتَ مُجْهِشَةً وقد حملتُك سَبْماً بعد سَبْعِينَا
فإن تزادي ثلاثاً تحدثني أملاً وفي الثلاثِ وفاءً للثمانينا

فعاش والله حتى بلغ تسعينَ حِجَّةً، فقال:

كانني وقد جاوزت تسعينَ حِجَّةً خلعتُ بها عن منكبَي رداثي

فعاش حتى بلغ عَشْرًا ومائة سنة، فقال في ذلك :
 أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكاملٍ عَشْرَ بَعْدَها عمرُ
 فعاش حتى بلغ عشرين سنةً ومائة، فقال في ذلك :
 وَغَنِيْتُ سَبْتًا بعد مجرى داحسٍ لو كان للنفس اللَّجُوجُ خُلُودُ
 فعاش والله حتى بلغ أربعين ومائة، فقال في ذلك :
 ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها وسؤالِ هذا الناسِ كيفَ ليبدأ؟
 فقال عبدُ الملكِ : والله ما بيَ بأسٌ ، اقعدُ حَدَّثني ما بينك وبينَ الليلِ .
 فقعدتُ فحدَّثتُه حتَّى أُمسيْتُ ؛ ثم فارقتهُ ، فمات في ليلته .



ابن الليل

أشرفَ البدرُ على الغابةِ في بعضِ الليالي
 فرأى الثعلبَ يمشي خلسةً بين الدوالي
 كلما لاحَ خيالٌ خاف من ذاك الخيالِ

واقشعرا

ورأى ليثًا هصورًا واقفًا عند الغديرِ
 كلما استشعرَ حسًا ملأ الوادي زثيرُ
 فإذا بالماءِ يجري خائفًا عند الصخورِ

مكفهرًا

ورأى البدرُ ابنَ آوى يتهاذى في الفضاء
كملكٍ حوله الشهبُ جنودٌ وإماء
قال: لو كنتُ رفيقَ البدر، أو بدرَ السماء

أو خياله

عشتُ حرًّا جبرتي الشهبُ ولي الظلماء مركب
أمنّا. العُبُ بالبرقِ وطورًا بي يلعب
لا أبالي سطوة الراعي ولا الكلبِ المجرب

وصياله

غير أن الليثَ لما أبصرَ البدرَ الضحوكا
قال: يا ابنَ الليل مهما أشتهي لا أشتهيكا
أنتَ وضاح ولكن قاحل لا صيد فيكا

أو جبالك

لك هذا الأفقُ، لكن هو أيضًا للكواكب
إنما لو كنتَ ليثًا ذا نيوبٍ ومخالب
لم تمث في وجهك الوضاح الحاذق الثعالب!

ضن جمالك

أبو ماضي



الورقاء

وَنَائِحَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْهَدِيلِ تَثْبُثُ إِلَى الرَّوْضِ أَخْرَانَهَا
عَرَاها مِنَ الدَّهْرِ غُلْبُ الْخُطُوبِ فَهَبَّتْ تُودِّعُ بُسْتَانَهَا
وَفِي الصَّدْرِ مِنْ وَجْدِهَا حَسْرَةٌ نَكَادُ تُفَقِّتُ جُثْمَانَهَا
وَعَزَّ عَلَيْهَا فِرَاقُ الْغُصُونِ فَأَذْرَتْ مِنَ الْعَيْنِ عَقِيَانَهَا
وَاهْوَتْ عَلَى التَّهْرِ تُخْفِي الدَّمُوعَ فَأَظْهَرَتْ الرِّيحُ أَلْوَانَهَا
أَطَاقَتْ بِهَا زُمُرُ الْقَانِصِينَ وَأَفْقَدَهَا الدَّهْرُ أَغْوَانَهَا
فَضَمَّتْ إِلَى صَدْرِهَا أَفْرَحًا أَنَارَ التَّفَرُّقِ إِزْنَانَهَا
وَرَاخَتْ تَوْثُمْ فَسِيحَ الْغِيَاضِ وَتَبْكِي مَدَى الْعُمُرِ أَوْطَانَهَا

دمشق / أنور العطار



ثُمالة النجوى

أَسَى أَغَاظَ الدَّمْعِ حَتَّى مَحَاهُ وَطَائِفُ النَّخَسِ بَعِيدُ مَدَاهُ
وَأَنَّهُ الْمَفْزُودُ لَذَّاعَةً تُذْيِبُهُ وَجْدًا وَتَفْرِى حَشَاهُ
جَبَّارَةً أَيَّامُهُ وَهُوَ لَا يَرِي مُبْنِكِيهَا وَتَبْكِي شَجَاهُ
يَجُنُّ لِلْمَاضِي حَنِينَ الَّذِي يُبْصِرُ فِي مَاضِيهِ أَقْصَى مُنَاهُ
وَمَا دَرَى أَنَّ تَبَارِيحَهُ مَبْنَعُهَا طَبِيفُ تَنَاءَتْ خُطَاهُ!
أُمْنِيَّةٌ طَافَ عَلَيْهَا الرَّدَى وَفِي الْأَمَانِي تَسْتَقِرُّ الْحَيَاةُ



ماذا على المخروب في ليله
تَهَرُّ قَلْبَ اللَّيْلِ أَهَانُهُ
لو أذَمَعَ الْأَفْلَاكَ وَاهَا وَآه
وَلَيْسَتْ الْآهَاتُ بِنْتَ الشِّفَاهِ



أَبْصَرْتُهُ -وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِهِ-
إِنْ قَالَ: أَوَاهُ! حَسِبْتَ الدُّنَى
أَنْحَى عَلَيْهِ شَجْوُهُ جَاهِدًا
وَعَبْرَةٌ جَادَتْ بِهَا مُقْلَتِي
هَاكَ دَمِي فَادْرِفُهُ إِنْ كَانَ فِي
عَلَيَّ أَنْ أَبْذُلَ مِنْ مُهْجَتِي
يَا زَهْرَاتِ الْعُمُرِ أَوْدَعْتِنَا
مَا بَيْنَ فَجْرِ وَأَصِيلِ ذَوَى
وَيَا غَدِي الْمَرْجُو كَمْ حَسْرَةٍ
شَيَعْتُ أَمْسِي مُتْرَعًا بِالْمُنَى
عَلْ غَدِي يَبْسِمُ لِي نَغْرُهُ



هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا زَهْرَنَا
يَا أَيُّهَا الْبَاكِي عَلَى زَهْرِهِ
تَعَالَ نَبِكَ الْيَوْمَ ذَاوِي الْمُنَى
تَعَالَ نَسْذُرْ فِي غُضُونِ الصُّبَا
تَعَالَ نُمِيعَ فِي دِيَاغِي الْكَرَى
فَلَنْ فِي غَفْلَتِنَا رَاحَةً
أَيَقْظَتِ الذِّكْرَى نَوُومَ الْأَسَى
أَمْ زَهْرُنَا جَفَ وَوَلَّى شَذَاهُ
تَعَالَ نَحْلُمْ بِبَقَايَا رَوْاهُ
فَإِنْ رَكَبَ الْعَيْشِ صَعْبَ نَوَاهُ
وَلْتَنْتَرِكِ الْقَلْبَ يُنْهِنُهُ بُكَاهُ
لَعَلَّ هَذَا الْمَوْتُ يَذْنُو كَرَاهُ
مَنْ شَبَحَ الْمَاضِي وَذَكَرَى أَذَاهُ
فِي الْقَلْبِ حَتَّى عَجَّ فِيهِ لَظَاهُ

وَحَنَّتِ النَّفْسُ إِلَى هَذَا مِنْ نَارِهَا الْمَشْبُوبِ أَوْ مِنْ جُذَاهُ



يَا بَاكِيَ الْأَمَالِ مَعْسُولَةً ابْنِكَ مَعَ الْأَمَالِ طِفْلَ الْغَدَاةِ
وَابْنِكَ مَعَ الْأَمَالِ فَجَرَ الدُّنَى وَهَلْ يُزِيحُ النُّورَ إِلَّا دُجَاهُ
كَأَنَّ هَذَا الْعُمُرَ أَنْشُودَةٌ وَلَخْنُهَا مُخْتَلِفَاتٌ لُغَاةُ
كَأَنَّمَا مُنْشِدُهَا نَائَةٌ فِي رَائِعَاتِ اللَّهْوِ تَجْرِي رَحَاةُ
مَا أَصْعَبَ الْعَيْشَ إِذَا لَمْ يَكُنْ يَمْحُو الدَّجَى بَعْدَ الثَّانِي سَنَاهُ



حَيَاتُنَا فَاجِعَةٌ طَيِّهَا مَهْزَلَةٌ أَغَيْتَ عُقُولَ الدُّهَاهِ
وَالْعُمُرُ يَخْكِي مُسْتَغِيثًا عَلَا أَنْبَاهُ ثُمَّ تَوَلَّى صَدَاهُ!

دمشق / أنور العطار



الكلام والصمت

* قال ابن السَّمَاك: العرب تقول: «العييُّ الناطق، أعيّا من العييّ الصامت».

* قال أبو الدرداء: «وأنصف أذنك من فيك، فإنما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد؛ لتسمع ضعف ما تتكلم».

* قال ربيعة الرأي: «الساكت بين النائم والأخرس».



الغنى والفقر

- * الغنى أن تملك من الدنيا، ولكن أحسن الغنى أن تهناً في الدنيا.
- * ينبغي أن تُقدَّر ثروة الإنسان لا بأمواله ومستغلاته، بل بعدد الأشياء التي يستطيع أن يعيش غير محتاج إليها.
- * الفقرُ خلوّ من المال، ولكن أقبح الفقر الخلوّ من العافية.

الرافعي



وقفة على الغار...

عصبة الغار سلامًا وعلى الغار التحية
 أول ما رأيته وأنا قادم على (بسيمة)^(١) ذلك الباب الإلهي، وركناه جبلان
 شامخان قائمان عند مدخل القرية يحوطانها ويحدثان عليها، وقد تقاربا وضاق
 ما بينهما حتى ما يتسع لأكثر من مجرى الماء وسكة الحديد.
 وكأن الطبيعة ضنّت بهذه الجنة الفينانة أن تنالها كل يد، فأقامت عليها حارسًا
 من صخور وجملاميد!.

ألقيتُ رحلي في هذه البقعة الخاشعة، والشمس تلقي عليها نظرة الوداع
 فينسج هوله على وجهها صفرة الموت.. وفي الصفرة والسكون، معنى من

(١) منتزه لطيف في قرية صغيرة تبعد عن دمشق ٢٠ كيلو مترا، نال الشهادة فيه الأمير عز الدين
 الجزائري وآخرون معه.

معاني اللانهاية لا تفهمه إلا القلوب، ولا يعبر عنه إلا بالقلوب.. وصلتُها تعبًا، فاستلقيت على مرجة خضراء في سفح الجبل مستندًا إليه وهو قائم من خلفي، يودّع شعاع الشمس ولم يبق منه إلا خيوط قليلة، لا تلبث أن تتبدّد، ومن أمامي برّدى يتدفق ويسير في منحدر عظيم فيعلوه الزبد، ولخيره في هذا السكون المطلق عملُ الراح في النفوس.

ولقد جمدتُ في مكاني لا أبدي حراكًا شاخصًا بعيني، حتى كأنني تمثال نحته القدرة الإلهية قائم في أصل الجبل، تتبيّن من ملامحه الحزن العميق، والكآبة والغمّ.

حتى إذا غاضت الشمس في لَجّها، ونشر الكون ثوبه الأسود ليلقيه عليه حدادًا عليها؛ قذف الله الروح في هذا التمثال.. فصحوثُ ونظرت إلى القرية وكأنني أنظر إليها من نافذة قصر، لا من مدخل واد، فرأيت رؤوس الأشجار، وذرى البُنى، وهي متوجّة. لا تزال. بإكليل من العسجد، مصنوع من أسلاك النور، فنهضتُ لأدخلها قبل أن يسدل الظلام حجابها عليها، فيسدّ طريقي إليها؛ وهممتُ بوداع هذه البقعة التي استحال ما فيها من سكون، وما لأموائها من خرير، من جميل هادئ إلى مفزع رهيب منذ استحالت حلته الزاهية حلة من الظلام...

وإذا أنا بشيخ هرم يتقدم إليّ بخطى متقاربة، يتوكأ على غصن من أغصان الزيتون، وعلى رأسه جرة يريد ملأها، فلما رأي ارتاع وارتعت لأن واحدًا منا لم يتوقع رؤية صاحبه، ثم حياني وحييته، فأنس بي وأنست به، وصعد قمة صخرة مجاورة فجلس عليها وجلست إلى جانبه، وقد عمّت الظلمة المكان إلا قليلًا منه ينيره نور قليل لاح من وراء الجبل، ومازال يزداد وينتشر، حتى أوشك

أن يعيد الليل نهارًا، وظهر في قمة الجبل ما حسبه جمرة تتقد لولا أنه أجمل ولولا أنه البدر، وفي لحظة واحدة عمّ النور الوادي...

تأملت القرية، فإذا هي قائمة في واد من أجمل ما أبدع الله، تحتاطه من جهاته الأربع أربعة أجيال شماء قد تعانقت وتعاقدت على حفظه تنفرج قليلاً من جهتين مقابلتين، وتختلف في ألوانها وقطع صخورها، وشكل تربتها، وطبيعة نبتها اختلافاً يملأ النفس روعة، والنهر يتدفق في وسطها يتلوى كأنه راقص يخاصر بساتين وجنائن ما علمتها منسقة الوضع ولا محكمة الهندسة، ولكنها أجمل من كل ذاك، لأنها الغادة الهيفاء العُطل وكأنها فلكة البدر، ولأن تلك العجوز الشمطاء تتجمل بالحلي والأصباغ.

وأما القرية فإن هي إلا بيوت صغيرة، أو أكواخ كبيرة، بنيت من الحجر والطين ذات طبقة أو طبقتين، قد انتشرت على السفوح الأربعة وسكن أهلها إليها في هذه الساعة، وسكن الوادي كله حتى ما يسمع فيه إلا خرير الأمواه. وكان هذا السكون والخشوع أطلقا لفكري العنان، فاستغرقت في تأملاتي حتى كدت أحسبني فيما بعد الساعة في جنة الخلد لولا أنني لم أعمل لها ما أستحقها به إلا إن رحم ربي، ولولا أن الشيخ سعل وليس في الجنة سعال، فعادت إلي نفسي وأخذت أدور ببصري هنا وهناك، حتى علق بنقطة سوداء في قمة عالية، ورأيت في الجبل طريقاً إليها ممهداً وقلت في نفسي: ما عساها تكون؟ وماذا فيها؟ والتفتُ إلى صاحبي وقد طالما غفلتُ عنه أسأله ما هي؟ وكان سؤالي هاج في نفسه ألمًا دفينًا، فاضطرب وانفجر يبكي بكاء الثكالي حتى أشفقت عليه وندمت على سؤالي إياه. ولكنه تماسك وبدأ يقول:

آه يا بني.. لقد ذكرتني ساعة الهول، إن في هذه النقطة سرًا من أسرار شقائي، إن فيها مصرع سيدي شهيد الغار...

أسفاه على شبابه الغض، على إخلاصه العجيب، ليتني ما ربيته ولا حملته
على كتفي صغيراً، وليتني متٌ قبل أن أشهد مصرعه...

أسفاه على تلك الفتاة التي انهارت كل آمالها أمام عينيها، وفقدت رشدها،
حتى أصبحت هائمة على وجهها في بطون الأدوية ورؤوس الجبال تقضي نهارها
في ذلك الغار تقبل جدرانها، وتسكب فيه من دموعها ما شاء الله أن تسكب، ثم
تأوي إلى هذا الكوخ الذي تراه. وأشار إلى كوخ في الجبل فيه نور ضئيل يدل
عليه. فتقضي فيه عامة ليلها، لا تذوق النوم إلا غراراً، ولا تغمض عينيها حتى
تراه ساقطاً أمام الغار مضرّجاً بدمه فتفيق مذعورة، وتمضي نهارها باكية منتحبة،
لا تنال من الطعام إلا ما يقيم أودها.

إنه كان مشغوقاً بها شغفها به، وكان لا يستطيع فراقها طرفة عين، ولكنه كان
رجلاً كأولئك الرجال البواسل الذين أراقوا مهجهم فداءً لسورية لأنهم:

أنفوا حياة الشاء كلّ عشية وضّحى تعيث بها يدُ الجزار
رأى حبيبته سورية تستجد به فهبّ لنصرتها... آه. إنها ساعة أذكرها. وكأنها
مائلة أمامي، فأحس أن جوانب قلبي تصدعت علمت بعزمه، وصاحت به
قائلة: أتاركي أنت؟ أمفارقي؟ وبكت. فاستعبر وهمّ بالرجوع. ولكنّ الدم
العربي الذي يجري في عروقه، شدّ من عزمه. فأطرق طويلاً لا خشية من
الموت، بل كان يتصور هذه العاقبة التي تؤل إليها حالها بعده. فتهمل عبرته
ويودّ لو أجابها!... ثم يتصور وطنه المعذب، فيعتمد على بندقيته وتنقلب عيناه
في أم رأسه، ويزمجر كالأسد قائلاً:

نعم نعم!.. إنني أتركك وأنا أعلم أنه آخر العهد بك!... لأذهب إلى ساحة
الشرف. أتركك وأنا أحبك، ولا أستطيع فراقك لأنني أحب سورية أكثر من

قال هذا وأدار عنان فرسه وألقى عليها النظرة الأخيرة، وعلم الله كم كان يختلج في قلبه من عواطف، ثم لكز فرسه فانطلقت تُطوى لها الأرض طيًا.

أما هي فوقفت صامته مذهولة، والصمت في مثل هذه المواقف أشد على النفس وأدلّ على الحزن من العويل والصراخ. وقفت تنظر إليه شاخصة بعينها مادة يديها كأنها لا تصدق ما ترى..

حتى رآته وقد كاد يغيب عن بصرها، فعلمت أنه فراق الأبدي، وأنه الشقاء ستجرعه ما عاشت، فلطمت يديها وجهها وصعقت صعقة خلت أن أحشاءها قد تقطعت منها، وسقطت على وجهها.

ثم أفاقت فغدت على آثاره تقبلها، وتبللها بدموعها غير مقبلة على طعام أو شراب، وغير مستأنسة بخل أو صديق؛ حتى مرض جسمها وحالت محاسنها، وخفت عليها الهلاك فحملتها إليه.

آه.. هنالك.. هنالك أمام الغار وجدته، وليتني مت قبل أن أشهد هذا المشهد. وجدته... قائمًا وحده على بابهِ يدافع عنه دفاع الأسد عن عرينه لا يطيش ولا يهلع.

أما هي فقد... أغمى عليها والتفت لأرى ما بها، فسمعت الصيحة وإذا هو... قد خرّ... مضرجًا بدمه!...

ثم خنق الشيخ البكاء وأسلم نفسه إليه ساعة من زمان، قام من بعدها فسار صامتًا أخذًا طريق الغار، وتبعته حتى بلغناه، ووقفنا خاشعين، كأن أرواحنا تناجي روح صريع الغار وأرواح إخوانه الشهداء، وكأنني أسمعها تقول: أيتها الأرواح الطاهرة!

أطلّي من جنّاتك العالية، وانظري إلينا... فإن الحزن قاضٍ علينا، إنك

تتمتعين بلذة النعيم الخالد ملقية على عاتقنا - نحن الأشقياء، نحن الأحياء -
تَبِعَةً حفظ أطفالٍ يتامى لا تجفَّ عبراتهم منذ فقدوا آباءهم، وأمّهاتٍ ثكالي لا
يعرفن في العالم ملجأً إلّا ملجأ الموت، بعد أن فقدن فلذات أكبادهنَّ..
وأرامل قد طوّحت بهنَّ الحاجة إلى الفقر المميت أو السقوط الفاضح.. وأمة
عزيزة حرّة امتهنت حرّيتها وسُلبت عزّتها... تطلّين منها مسح دموع الضعفاء،
وإنقاذ الوطن.

إنّه طلب جليل. ولكننا لا تجزع من هذه التّبعة ولا يفر منها، ولا نكون شرّاً
خلف، وإن باب الشرف الذي فُتح لك لم يغلق في وجوهنا...
إن هذا الغار قائم يشهد علينا وفاءنا، ويحصي أعمالنا، وسيبقى رمزاً خالداً
للتضحية. تمر عليه سوربةُ الحرة، فتذكر فيه سوربةَ المظلومة.



إنك لتذهب اليوم إلى هذا الغار الموحش فلا تجد فيه إلّا خطّاً على جداره
الصخريّ، قد نُقش بذلك الدم العزيز:

وللحرية الحمراء بابٌ بكلّ يدٍ مضرّجةٍ يُدقُّ

القاهرة/ محمد علي الطنطاوي



السؤال

مما أثر عن حكماء العرب في طلب العلم والسؤال عنه، الكلمات الآتية:

* خير خصال المرء السؤال.

* إذا جلست إلى عالم فسلْ تفقّها ولا تسلْ تعتّا.

- * قال الحسن البصري: من استتر عن الطلب بالحياء لبس للجهل سرباله.
- * قطعوا سرايل الحياء، فإنه من رق وجهه رق علمه.
- * وقال: إني وجدت العلم ضائعاً بين الحياء والستر.
- * قال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة.
- * قال علي بن أبي طالب عليه السلام: قرنت الهية بالخبية، والحياء بالحرمان.
- والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها، ولو في يدى أهل الشرك.



إلى العلم البريطاني

تلك الضحايا والدماء تسيلُ	هلا رويت وبُل منك غليلُ
يا خافقاً لو كان يشعر خلتهُ	قلباً بميل به الهوى فيميلُ
تتلاعب الأهواء فيك مرتجاً	نشوان، والظفرُ المديدُ شموُ
هذي فلسطينُ وأنت نزيلها	لم يَزَعْ فيها ما رعته نزيلُ
لا شيبها شيبٌ إذا أخرجتها	يوم النضالِ ولا الكهولُ كهولُ
لخ حولَ صمويل وسله ما الذي	قد كان يضره لها صمويلُ
انظر إلى الآثار كيف تقوّضتْ	وإلى سنا الأتمارِ كيف يزولُ
انظر إلى الأوطان وهي دوارسُ	وإلى مغاني المجدِ وهي طلولُ
الفتنةُ العمياء حولك أجمعتْ	ودكّت وأنت بغيرها مشغولُ
تلهو بناسمةٍ تهبُّ ندية	ولعلّ مُنديها دمّ مطلولُ
إن كان أوحشك الفضاء فهذه	أرواحُ قتلتنا لَدَيْكَ تجولُ
أو كان أتعبك الصعود فلا يكنْ	لك فوقَ أشلاء الضعافِ نزولُ

أو كان رَوْعَكَ اغترابُكَ فليكنْ
خلَّ البلادَ لأهلها إن لم يَظُبْ
لك بعدَ تضييدِ الجراحِ قُفُولُ
لك في البلادِ على القَتَادِ مَقِيلُ



ماذا أقولُ، وأنت تعلمُ أنها
قل (للوليد) وَقَدْ تعالى قبرُهُ
المسجدُ الأقصى وأنت أقمته
أمسَتْ فلسطينُ مناخًا للردى
في كل رابيةِ جُسُومٍ مُزَّقَتْ
(بلفور) موقدُ نارها، وعلى اللظى
ما كانَ أشامُهُ وأسوا يومُهُ
أببِئْ قومٌ كي يحلَّ محلُّهُ
أما العقولُ فقد أضعتْ رشادها
نوراءُ موسى يشتكيك ويحتمي



ماذا هناك؟ أُمَّةٌ رَوَّعَتْها
النارُ والدمُ والحديدُ طلائعُ
إن الذين رميتها بسهامِهِمْ
ما استبسلوا إلا وأنت دليلهم
سائلُ ذويك: أوعدَ أخرقَ عابثٍ
وعهود من صلبِ الوغى سرواتهم
شبهُ (الجزيرة) كلها موتورة
شيخُ (بقبرص) لو نَبَشَتْ قِمَظَرُهُ
في أمنها واسنَّةٌ ونصولُ
ومبارياتُ الطيرِ والأسطولُ
ضربوا بسيفك يومَ نارِ الفيلِ
لولاك ضلَّ بهم وطاحَ دليلُ
يمضونهُ والداءُ فيه وبيلُ
يُرمى بما اشتملتُ عليه النيلُ؟
وحسابُها أن حاسبتَكَ طويلُ
لعلمتُ أن عهدَكم تضليلُ



ماذا أدّخرتَ إلى غدٍ من عدّة
 يوم (البراق) ويوم (يافا) قبله
 تُنوارث الأحقادُ غيرَ مضاعةٍ
 لا يستنيمُ على الضغينةِ معشرُ
 إن عولجَ الجسمَ العليل، ودأؤه
 لا تسلم الأجسامُ وهي صحيحةٌ
 والقومُ بينهمُ قلى وذحولُ
 لا ينسيان وفي العربن شُبُولُ
 ما دمت أنت ووعدك المبدولُ
 حبلُ الخصومةِ بينهم موصولُ
 فيه فسوف، يعودُ وهو عليلُ
 ما لَمْ تُوقِّ الداء وهو دخيلُ



علّم الجابرة اتّخذ في أمةٍ
 سلكت سبيلاً للحياة وعُقنها،
 ما كان أمسٍ لواؤها بمنكسٍ
 سل (شرلمان) و(روذريق) ينبّثا
 حَمَتِ الثغورَ وأوغلت ركبائها
 العلمُ والعمرانُ مِنْ آلائها
 والدهرُ دولاّبٌ فإن دالت لها
 ناءت بعبءِ الضيم وهو ثقلُ
 ولكل قوم في الحياة سبيلُ
 بل إنّ ظل لوائها لظليلُ
 واسأل (ركاردس) والشهود عدولُ
 في الخافقين وللظباتِ صليلُ
 والعدلُ والإحسانُ والتنويلُ
 دُولٌ فكم من دولةٍ ستدولُ



رسلُ السلامِ قريرة، فاعصف بها
 رفر على الوطن المهيض جناحه
 واخفق، فإنّك للخصام رسولُ
 واذكر بأنّك عن دمٍ مسؤولُ

خير الدين الزركلي



في هوى الإسلام

حَظَمُوا الْأَقْدَاخَ أَسَكِنُوا الرَنِينَ

إنه أنينٌ

لا تَخَالُوا الرَاخَ تُسَعِدُ الْحَزِينَ
ليس للأنس إلى القلب سبيلُ فدعوا الأحزانَ منا تشتفي
صدفت عن حظها نفس العليلُ فدعوها في أساها تختفي



أيها النَوَامُ شَرُّكُمْ قَدْ رَاخَ

ملككم مباح

في هوى الإسلام قَدَّمُوا الأرواحَ
نزل الويلُ ببيتِ المَقْدِسِ وتمشَّى الشرُّ في تلك الربوعِ
وابتُلينا كُلُّنا بِالخَرَسِ واكتفينا بنواح ودموعِ
وتركنا ذا الرداءِ الدنسِ من بني صهيون بالفتك ولوغِ
يقتل النفوسُ بهرق الدماءِ

يهتك النساءُ

يشرب الكؤوسُ من دم الأبناءِ
أين من ضحى ليحمي الحرما بعضُ ما ضحى بنوه الأوفياءِ
قَدَّمُوا الأرواحَ يحمون الحمى وسيجزى الله أصحابَ الفداءِ
غرق الأبطال منهم في الدِّماءِ جعلوا الأجساد للبيت وقاءَ



مسلمو الكنانة سألوا الأخصام

هجرة الإسلام

فأبى المَهانة وهو لا يُضام
رُبُّه يحميه من كيدا الخصوم
يبدلون الروح للدين القويم
ويعتدون لكى يَرْضَى الإله
رحمَ الله وفودًا للنعيم
صعدت لله تحيا في سماه
أيها الأغراب احذروا الأسود

نحن في الوجود

طاشتِ الأبواب حظكم منكود
قد وقفنا حول أسوار الحرم
كأسود الغاب تحمي غابها
لا نبالي بمعذاب والنم
كلُّ نفس سرَّها ما صابها
فلنمُتْ أهلَ وفاء بالذمم
تَفْتَحُ الخلدُ لنا أبوابها



اسمعوا النداء يا حُماة الدين

قد طفى (صهيون)

فَقَدَ الحياءَ ذلك اللعين
أيها السابحُ في غفلته
بالغَا من كل حظ ما يروم
هجم الدهر عليهم بالهموم
أين من يبكي على جبرته
أين ذو الإيمان والقلب الرحيم



ابذلوا الأموال في سبيل الله

واطلبوا رضا

وَاتَّقُوا الْأَهْوَاءَ واحرسوا حماة
يا بني مصر كفاني خجلي بين أهل الشرق من وقفنا
ما لكم عن دينكم في شغلٍ إن أهل القدس من أمّنا
ابذلوا المالَ لخير العملِ قبل أن نقضي على سمعتنا



عالمٌ جليلٌ سيدٌ وقورٌ

ناله المقدوز

سامه الدخيلُ ذلّةُ المأسورُ
أيها الشيخ الذي ساروا به بين جند وقيود من حديدُ
عجزوا أن ينزعوا من قلبه قوة الإيمان والبأس الشديدُ
كانت الحسنى له من ربه ولهم يوم قصاص ووعيدُ



أيها الإخوانُ إننا في نارُ

فاقبلوا الأعزاز

للمعدا الهوانُ إنهم أشرارُ
واصبروا بالله فالعقبى لكم اصبروا وانتظروا والنصر المبينُ
إننا نلقى همومًا مثلكم كل هذا الشرق موصولُ الأتئينُ
مصرُ ذقت ودمشق هولكم ولنا في ربنا حسنُ اليقينُ

محمود رمزي نظم



حِكم

* قال المعتمر بن سليمان: عليك بدينك ففيه معادك، وعليك بمالك ففيه معاشك، وعليك بالعلم ففيه زِينُكَ.



* قال رجل يوصي آخر أراد سفرًا: آثر بعلمك معادك، ولا تَدْعُ لشهواتِكَ رشادَكَ. وليكن عقلك وزيرَكَ الذي يَدْعُوكَ إلى الهدى، ويعصمكَ من الرَّدَى. ألجم هواك عن الفواحش، وأطلقه في المكارم؛ فإنك تكبر بذلك سَلَفَكَ، وتَشِيدُ شرفَكَ.



* أولى الناس بالفضل أَعُوذُهُمَ بفضله. وأعون الأشياء على تَذْكِةِ الْعَقْلِ التَّعَلُّمُ. وأدِلْ الأشياء على عقل العاقل حَسُنُ التَّدْبِيرِ.



من لم يَرْضَ عن صديقه إلا بإِثارة على نفسه دام سَخَطُهُ. ومن عَاتَبَ على كل ذنب كَثُرَ عَدُوُّهُ. ومن لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه قل صديقه.



عَبْقَرِيَّةُ شَوْقِي

ليس الفلكيُّ الذي يريد ليقس جهة من الأفق في ساعة بأيسر هُماً من الأديب الذي يريد ليصور عبقرية في سطور، وإن كان كلاهما يجهد ما يجهد، ولا تزال تلك الجهة من الأفق فوق قياس الفلكي وتقديره، وعبقرية شوقي فوق وصف الأديب وتصويره.

والحق أنه لا يحسن أن يصور عبقرية شوقي نفسه إلا عبقرية شوقي نفسها.
فإن الكوكب ليصف من نفسه بما يتألق من لألائه، ويندلق من بهائه، وما لا
تصف براعة كوكبتين من فرسان البيان.

وإن البحر الخضمّ ليصور من نفسه بمد تياره، واطراد زخاره، وما لا يصور
مائة ربان.

وإن الجبل الأشم ليريك من نفسه وقد ذهب قمته في السماء ذهاب أصله في
الأرض، ما لا يريك مؤتمر قائم برأسه من علماء تقويم البلدان.

وقد وصف شوقي ما دق كما وصف ما جل، وصور ما خفي كما صور ما
بدا، ومثل ما بعد كما ما دنا، وما لم ير، كما قدر أن يرى، فكثيراً ما سبق القدر
والزمان جميعاً، وهو في ذلك وغير ذلك لا يقع طائر خياله حيث يقع إلا على
مقطع الحق، وكذلك يكون شعر الإلهام.

أما وصفه لما دق وما خفي، فإنك لتصيب من ذلك في وصفه لهمس السر في
ساحة السريرة، وأما تصويره لما جل وما بدا، فإنك واجد من ذلك في تصويره
الأفخم ما يملك بصرك من مجالي الطبيعة، حتى لتحسبك بين ما تبصره وما
تقرؤه بين طبيعتين كلتاهما خيال للأخرى، وكلتاهما إذا شئت حقيقة منها.

أفلم يصور الفلك حتى أطلع في كتابه من تصويره فلکاً آخر؟

ولست أعرف غرضاً بيانيّاً، ولا معنى بكرّاً، نشز على خيال شوقي. فإنه
ليصيب بأدنى لغته من ذهنه أبعد هذه الأغراض منالاً، وربما نظم المعنيين
المتضادين في سلك بيت، فكأنما جاء بهما من واد واحد.

ولست أعرف بعد أول المتنبيين أكثر من ثانيهما نفاذاً، إذ كان ظهور ديوان
أبي الطيب لعده، كما كان ظهور ديوان أحمد لهذا العهد، انتقالاً بالشعر من

طور إلى طور، وكان كلا الحادئين ماثراً لعاصفة من النقد ما تزال تلف وتدور، وما زال الأدباء يختصمون في كلٍ منها ليصطلحوا، ويدخلون على شعره ليخرجوا منه بفن من النقد. وما بهذا من عجب، فإن المتنبيين مجددا عهدين؛ وعلى شعريهما طابعا أقوى شاعريتين.

وليس يعيب أيًا منهما أن العارفين له، والمنكرين عليه، كثروا ثم أكثروا فيما عرفوا وما أنكروا، وأنمى لهم النقد فذهبوا فيه كل مذهب، واتسعوا فيما ذهبوا إليه حتى أوفت لنا الملكات التي تحفت بشعريهما بثروة من النقد يجدر بالعاقبين أن يتقارضوها، ولكن برّبا من نقد آخر...

ذلك بأن من النقاد من كتبوا في كل شيء إلا شيئاً واحداً هو النقد الذي تصدوا له، إذ كانت تنقصهم الحاسة الفنية، وقديماً كانت هذه الحاسة هي القوة التي تتميز دقائق هذا الفن، وتبين أسرار هذه الدقائق، وتتعرف مكامن هذه الأسرار. والنقد، وأنت به جد بصير، أعلى مراتب الأدب وقد درج عهد أول المتنبيين، ودرج معه العارفون له والمنكرون عليه جميعاً. وأضلنا عهد ثانيهما.

ولست أرى أولئك الذين ينكرون على شوقي، وينكرون من عبقرية أوضح من غرة النهار، وأقل احتفالاً بهذه العبقرية، من الذين يكبرونها ويكبرون منها، فليس الإنكار على لسان المنكر إلا ضرباً من الاعتراف ولكنه اعتراف مقلوب، وإن الحقيقة لتتبرج في منطق المكابر ولكن في معرض من التمثل والمكابرة. وكلّ ميسر لما خلق له.

محمد صادق عنبر



لوازم الخير

لا خير في القول إلا مع العمل . ولا في الفقه إلا مع الورع . ولا في الصدقة إلا مع النية . ولا في المال إلا مع الجود . ولا في الصدق إلا مع الوفاء . ولا في الحياة إلا مع الصحة . ولا في الأمن إلا مع السرور .



حكم

* قال الأحنف بن قيس :

الكذب لا حيلة له . والحسود لا راحة له . والبخيل لا مروءة له .

والملول لا وفاء له . ولا يسود سيئ الأخلاق .

ومن المروءة إذا كان رجل بخيلًا أن يكتم .

* قال بعض الحكماء : إن مما سخا بنفس العاقل عن الدنيا علمه بأن الأرزاق

فيها لم تُقسَم على قدر الأخطار .

* قال عروة لبنيه : يا بني لا يُهْدِين أحدكم إلى ربه ما يستحي أن يهديه إلى

حريمه ، فإن الله أكرم الكرماء وأحق من اختيار له .

* قال شبيب بن شَبَّة : إخوان الصدق خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في

الرخاء ، ومعونة على حسن المعاش والمعاد .



الكتاب

يا سميري إذا أردتُ سميرا
ورفيقي في غدوني ورواحي
ونصبيحي الذي تعودتُ ألا
وملاذي الوحيد إن حَزَيْتُنِي
والذي هوّن الشدائد عندي
والذي يحفظ الجوار ويأبى
ناطقًا - إن أردته - بحديث
ساكتًا - إن سكْتُ - غير ملول
لم أجد مثله صديقًا وفيًا
لا تراه على اختلاف المناحي
إن من صَبَّرَ الكتاب إمامًا
إنه منه في نعيم مقبم
وعقودًا من جوهر منظوم
من علوم وحكمة وفنون
فأتبعني ولا يفتك سناه

ومشيري إذا افتقدتُ المشيرا
لست عنه بمستعيب نظيرا
أنلقى عليه قولًا فطيرا
شدةً أب سعيه مشكورا^(١)
حين أوصى بأن أكون صبورًا
ولئن خيس عهده - أن يجورا
يملاً القلب بهجة وحبورا
ولئن جاز في السكوت دهورا
حيث يرضى مُعاشراً مهجورا
واتراً غيره، ولا مونتورا
بات يرجو تجارة لن تبورا
إذ يرى فيه جنة وحريرا
وجمانًا ولؤلؤًا منشورا
يقف المرء بينها مسحورا
ليس غير الكتاب للمرء نورا

محمد صادق عرنوس



(١) فيه مبالغة ظاهرة، والملاذ الوحيد هو الله ﷻ (س).

الكتاب كلمات شهيرة للجاحظ

* الكتابُ هو الجليس الذي لا يُطريك، والصديق الذي لا يقلبك، والرفيق الذي لا يملك، والمستمع الذي لا يستزيدك، والجار الذي لا يستبطنك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق.

* ما رأيتُ بُسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رِذْنٍ، وروضة تُنْقَلُ فِي حَجَرٍ: ينطق عن الموتى، ويُترجم عن الأحياء، وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنَسٍ لَا يَنَامُ إِلَّا بِنَوْمِكَ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا تَهْوَى، آمَنْ مِنْ الْأَرْضِ، وَأَكْتُمُ لِلسَّرِّ مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ، وَأَحْفَظُ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ أَرْيَابِ الْوَدِيعَةِ، وَلَا أَعْلَمُ جَارًا آمَنَ وَلَا خَلِيطًا أَنْصَفَ وَلَا رَفِيقًا أَطْوَعَ وَلَا مُعْلَمًا أَخْضَعَ وَلَا صَاحِبًا أَظْهَرَ كَفَايَةَ وَعَنَايَةَ، وَلَا أَقْلَ إِمْلَالًا وَلَا إِبْرَامًا وَلَا أَبْعَدَ مَرَاءً، وَلَا أَتْرَكَ لَشْغَبٍ وَلَا أَزْهَدَ فِي جِدَالٍ وَلَا أَكْفَ عَنْ قِتَالٍ مِنْ كِتَابٍ.

* لَوْلَا الْحِكْمُ الْمَحْفُوظَةُ، وَالْكَتَبُ الْمَدُونَةُ؛ لَبْطَلَ أَكْثَرُ الْعِلْمِ، وَلَغَلَبَ سُلْطَانُ النِّسْيَانِ سُلْطَانَ الذِّكْرِ، وَلَمَّا كَانَ لِلنَّاسِ مَفْرَعٌ إِلَى مَوْضِعِ اسْتِذْكَارٍ. وَلَوْ لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ لَحَرِمْنَا أَكْثَرَ النِّفْعِ.

* لَوْلَا مَا رَسَمَتْ لَنَا الْأَوَائِلُ فِي كِتَبِهَا، وَخَلَّدَتْ مِنْ عَجِيبِ حِكْمَتِهَا، وَدَوَّنَتْ مِنْ أَنْوَاعِ سِيرِهَا؛ حَتَّى شَاهَدْنَا بِهَا مَا غَابَ عَنَّا، وَفَتَحْنَا بِهَا كُلَّ مُسْتَعْلَقٍ؛ فَجَمَعْنَا إِلَى قَلِيلِنَا كَثِيرَهُمْ، وَأَدْرَكْنَا مَا لَمْ نَكُنْ نَدْرِكُهُ إِلَّا بِهِمْ؛ لَقَدْ بَخَسَ حَظَّنَا مِنْهُ.

* سمعتُ محمد بن الجهم يقول: إذا غَشِيَنِي النعاس في غير وقت النوم، تناولتُ كتابًا، فأجد اهتزازي لفوائد الأَرْجِيَّة التي تعتريني من سرور الاستنباه، وعز التبيين، أشدَّ إيقاظًا من نهيق الحمار وهذَّة الهَدْم؛ فإني إذا استحسنتُ كتابًا واستجدته ورجَّوْتُ فائدته، لم أُوثر عليه عَوْضًا، ولم أُنْغِ به بَدَلًا؛ فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقة، مخافة استفادته وانقطاع المادَّة من قبَّله.



مصر وذكرى استقلال سوريا

ربع الشَّام أعامرٌ أم خالٍ	اليوم عيدك عيدُ الاستقلالِ
إنِّي لأرجع بالسؤال أطيله	لو يملك الشهداء رجح سؤالي
سكنوا وأفقرت المنازل منهم	إلا منازل من صوَّى ورمالٍ
بوركت من وطن يجل شهيده	في حيثما ألقى عصا الترحالِ
وطن تضيق الأرض عن أبنائه	وإليه موئلهم مع الآمالِ
يستبدلون الخافقين ببضعة	منه وما قنعوا بالاستبدالِ
ذهبوا بأفئدة تفرق شملها	شِبَعًا وما فيهم فواد سالٍ



يرتاد راحلهم وخلف ركابه	حلم يبيت به مع الحلالِ
يصحو على الشاغور من لبنانه	وينام من بردى على السلسالِ
وتهزه من عشتروت خميلة	تلتف بين جداول ودوالي
وتليه من وادي العرائش نسمة	سكرى الضحى رفاة الأصالِ
أنى استقر وحيث سار هفا به	همس من الجبل الأشم العاليِ

أين السلو؟ ولا سلو لعابر فيه فكيف بمولِدِ وفصالِ



هذي مواطنكم وتلك قلوبكم وشجت على الأهواء والأهوالِ
أنتم بنو ماض على أشجانه نعم البشير لكم بالاستقبالِ
ماض بأمثال التجارب حافل ومن التجارب حكمة الأمثالِ
لا تلهينكم الهموم بحاضر مر الحوادث فيه مر خيالِ
إن الحقائق في الحياة تجمعت ما بين سابق سيرة أو تالِ
بيتوا على أمل وطيب تذكر تجدوا الحوادث منكم بمثالِ
لا يستقل القوم في آمالهم إلا استقلوا بعد في الأفعالِ



يا جيرة الوادي تحية أمة وقف تحينها على الأبطالِ
لو بين الوادي القديم لقالها كلمات صدق من لسان الحالِ
إنا بنو وطن تقرب بينه سيناء في قدسية وجلالِ
الشمس تجمع في المطالع بيننا والأرض في حرم الجوار الغالي
ولسان صدق في اللغات تألفت فيه القلوب تألف الأقوالِ
ومعالم التاريخ في كتب وفي عقب وفي نصب وفي إطلالِ
شكواكم شكواي أو سلواكم سلواي أو أشغالكم أشغالي
ومطالب الغازين في بiddائكم كمطالبني ومآلكم كمآلي
فخذوا التأسى من موسي نفسه فيما يطيف بكم من الأوجالِ
وخذوا التهاني من مهنئ نفسه بغدِ يطالعكم بالاستقلالِ

عباس العقاد



التهوّر

التهوّر هو أحد مصادر الخطأ عند ديكارت، وهو ينحصر في الجزم بحكم قبل تبين اليقين فيه، أي في التهافت على المطالب قبل تحقق المقدمات.

هامش (مقال في المنهج) - ص ٢٢



المروءة

بعض ما جاء عنها في هداية الإسلام وحكمة العرب

* من جوامع الكلم المحمدية قوله ﷺ: «إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها»^(١).

* وقال ﷺ: «مَنْ عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم؛ فهو ممن كملت مروءته»^(٢).

* قيل لأعرابي: ما المروءة عندكم؟ فقال: «نائلٌ مبذول، وبشرٌ مقبول، وطعامٌ مأكول».

* سأل معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما المروءة؟ فقال: «تقوى الله، وصلة الرحم».

(١) السلسلة الصحيحة؛ للألباني (١٦٢٧).

(٢) السلسلة الضعيفة؛ للألباني (٣٢٢٨).

* ثم سأل المغيرة بن شعبه رضي الله عنه: ما المروءة؟ فقال: «العفة عما حرم الله، والحرقة فيما أحل الله».

* ثم سأل ابنه يزيد ما المروءة؟ فقال: «الصبر على البلوى، والشكر على النعمى والعفو عند المقدرة»، فقال له معاوية: أنت مني حقاً، وما نكبت المغيرة عن القصد.

* سئل الأحنف بن قيس مرة: ما المروءة؟ فقال: «العفة، والحرقة» وسئل عنها مرة أخرى فقال: «مواساة الإخوان، وصدق اللسان، وذكر الله في كل مكان».



حكم مقتطفة من مقال لمؤلف الحديقة

(وذلك المقال فاتحة العدد الـ ١٧٥ من الفتح)

اقتطفها العالم الفاضل الأستاذ الشيخ محمود ياسين الدمشقي

* المصائب تهبط بالضعيف إلى قرارة الضعف، من حيث تسمو بالقوي إلى أوج القوة.

* أعظم مظاهر القوة والضعف الإرادة.

* قويُّ الإرادة هو صاحب السلطان على نفسه وشهوته وأهوائه.

* جدير بمن ملك نفسه أن يملك بها قياد المصالح.

* ضعيف الإرادة مغلوب لنفسه وشهوته.

* من كان مغلوباً لشهوته كان لما سواها أذلّ وأضعف.

* المقاطعة أمضى سلاح بأيدي عرب فلسطين.

* ما دام الفلسطينيون حريصين على المقاطعة، لا يمضي عام واحد حتى يجدوا أنفسهم قد قطعوا إلى الخلاص شوطًا يساوي جهاد عشرين سنة.

* المقاطعة عنوان الرجولة والحزم.

* الأمة التي تثبت على مقاطعة من يسعى إليها تشعر الأمم كلها بالحرمة لها، وفي مقدمة من يحترمها أعداؤها.

* بالمقاطعة تعرف الأمة مواطن ضعفها وتنبه إلى ما ينقصها في صناعاتها وتجاراتها.

* متى تقدمت الأمة خطوات في سبيل الاستقلال الاقتصادي، كان لها من ذلك شهود عدول على كفاءتها للاستقلال القومي والسياسي.

* قبل أن تكون المقاطعة طريقًا إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي فهي طريق إلى النضوج الأخلاقي.

* الأمة التي تشعر بحاجتها في صناعاتها وتجارتها إلى الاستعانة بأعدائها يتأصل في نفوس أبنائها الاعتقاد بضعفها وفاقتها، وهذا الشعور مَدرَجة انحطاط في الأخلاق، ونقص في عزّة النفس، ويأس من بلوغ الأمل.

* الغرب إنما غزا الشرق ثم فتحه منذ تمكن من تعويد الشرقيين والشرقيات استعمال الكماليات.

* على أموال الشرق قام بناء ثروة الغرب العظيمة.

* الإنكليز دخلوا مصر لحماية مصالح الأجانب ولو تعففت مصر عن كثير من الكماليات لما كان للأجانب مصالح فيها.

* اليهود تجار بقدر ما هم يهود، وقد بنوا حسابهم يوم جاءوا إلى فلسطين على أن يأخذوها من أصحابها، ويعطوهم بدلًا منها كماليات.

السعادة قريبة التناول

قال السر تمارلس ويفيلد، الذي كان محافظاً لندن:

- * أنشد راحة البال، وتذكر أن أؤمن الأشياء في العالم لا ثمن له.
- * ادرس صحتك واعن بها: بالرياضة، والهواء الطلق، والنور، والطعام البسيط. وكل هذه أشياء في متناول يدك.
- * لا تتأخر في الزواج.
- * الإفراط في الحذر يزيل من الحياة مهجتها.
- * احتفظ بصداقة أحيائك وأعرائك، وتذكر قيمتها على الدوام.
- * لا تستصغر دخلك، وتذكر أن آلاًفاً من الناس يعدون دخلك ثروة.
- * ادفع ثمن كل ما تشتريه، ولا تستدق فإن الدين شقاء.
- * تذكر في عملك أن للدرس والاجتهاد قيمة.
- * اتقن عملك واعرف تفاصيله.
- * إذا كانت لك هموم خاصة بعملك فاقصرها على ساعات العمل؛ واجعل عقلك طليقاً من قيودها وقت الفراغ.
- * لا تسأل نفسك (هل أنت سعيد) بل اعمل، وروح عن نفسك وأحب أصدقائك، واعمل عملك جهد طاقتك في نزاهة.



سبيل النجاح - في نظر فورد

* النظافة .

* الثبّت والتدقيق .

* استخدام المرء كل ما لديه من القوى .

* ثقة المرء بمقدرته على إنجاز ما تصدّى له .

* أن لا ينفق المال إلا في الوجوه المجدية والصالحة .



البورصة والشاعر

فرشوها لآلئًا ونضارا	ثم قالوا: هذي الطريق، فسارا
لا تلوموه، غرّة الوصف حتى	فاته أن قضى سواء اغترارا
رُبَّ سعدٍ يجيء للمرء عَفْوًا	وشقاءٍ لكن يجيء اضطرارا
طمع في النفوس أن يحسب المرء	طريق الغنى تكون اختصارا
وفساد في الرأي أن لا يرينا	الوهم إلا سعادةً ويسارا
شهدوها في الغرب تبني قصورًا	ما رأوها في الغرب تمحوا ديارا
غرهم ظاهر إليها، فتعاموا	عن قبيح تحت البهاء توارى
واتونا بها وقد عَرَبَوها	فقرأنا فيها الشقا والبوارا
إن في بعض ما اقتبسنا من الغر	ب كمالًا وإن في البعض عارا
فخلعنا التمدن الحق عنا	ولبسنا التمدن المستعارا

يا ابنة الغرب احببي وجهك الكا
واستري ذلك الجمال المداجي
قَبَّحَ اللَّهُ كل حسن يحلّيك
يا ابنة الغرب ملّقي الناس مهما
فصعودًا طورًا وطورًا هبوطًا
لح عني وأوسعيني نفارا
وامنعي ذلك البها الفرارا
وإن كان يُخجل الأقمارا
ثتت واستلفتني لك الأنظارا
لعن الله هذه الأسعارا



ربّ هل كان مثل حظي حظ
أفأسمي وراء رزقي دهرًا
زاد شيخوختي جناه شبابي
طائرٌ كان في يميني فلما
لبس الليل في الحياة شعارا
والأقي في لحظتين الدمارا
ضاع لكن في القلب أبقي شرارا
ملّقوه غنى قليلًا وطارا

أمين تقي الدين



حكم وأمثال

* قال عبد العزيز بن أبي دواد: كان يقال: ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان المرض، وكتمان الصدقة، وكتمان المصائب.

* قال لقمان لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير. فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها بالإيمان بالله، وشرعها التوكل على الله، لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا!

* قال الفضيل: طالت فكرتي في هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ و﴿وإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

* قال عمر رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه. ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء. ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

* قال لقمان لابنه: يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة. ولا تشف غيظك بفضيحتك. واعرف قدرتك تنفعك معيشتك.



سيوف نضاها الله

إلى السيد محمد صادق عرنوس، والسيد محمد حسن النجمي

يقرّظني قومي بأني مدحتهم	كما يُمدّح الروض الذكيّ على النفع
ولو أنهم قد أنصفوني لما رأوا	بمعرفتي للحق عارفة المنع
إذا لرأوا آثارهم شاهداً لهم	يكاد لديها الطير يهتف بالصّدح
شهدت بما شاهدت ما من علاقة	ولا صلة توحي الشهادة بالجرّح
ولكنّ من شأن الفصاحة أنها	إذا بهرث تعطو إلى خُلُق سنج
سيوف نضاها الله إذ حمس الوغى	ونادى منادي الدين للرمي والنضج
تواصل في جيش الضلال قراعها	فما برحت تشفي الصدور من البزح
تلاًّ في قطع من الليل مظلم	سناها فكان الليل أضوى من الصبح
فلا تأخذنكم في الغواة هواة	وفلّوا جموع الشر بالضرب والطرح
لقد خوّضوا في الدين والعرض جهرة	ولجّوا فعاد القرح ينكأ بالقرح
فليس بغير الكسر حسم لدائهم	وغير العصا، والجور يؤكل بالشفع
وكلّ ذنوب العالمين مصيرها	إلى العفو إلا الشرك ممتنع الصفح

سينصركم من تنصرون كتابه ويؤتيكم الفتح القريب من (الفتح)

لوزان ٣ شوال ١٣٤٨ - شكيب أرسلان



حِكم

* أول العلم الصمت. ثم الاستماع. ثم الحفظ. ثم العمل. ثم نشره.

* علم علمك من يجهل. وتعلم ممن يعلم ما تجهل. فإنك إذا فعلت علمت ما جهلت وحفظت ما علمت.

* قال معاذ بن جبل:

«تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والمصبر على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء، والقريب عند الغرباء».

* قال ابن المبارك:

عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكreme.

* قال أبو الدرداء:

العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس همج لا خير فيهم.



المسلمون في لبنان النصراني إذا لم يعجبهم هذا.. فليرحلوا إلى الحجاز!

الأستاذ: أده / رئيس حكومة لبنان!

يا عالي الأنظار والشان
ما ضرَّ لو مُنُّوا بإحسان
وهم لعينيها كإنسان
لتقول ذا لبنان نصراني
بربوع مكة موطنُ ثاني
ما اسطعت فرّق بين إخوان
شذاذ آفاق وعبدان
من نسل قحطاني وعدنان
منهم قديمًا بالدم القاني
كسرى ولم يعصم بليوان
لبنان في عصر وأزمان
أو عهد هارون ومروان
أو ناهضوا ديرًا لديراني؟



ما كان أحوجها لبرهان
أو نقض عرفان وعُمران
أكذا اقتصادك أيها الباني
ويكون للقاصي والداني

قل للوزير، وزير لبنان
لمسلمون، وقد أسأتهم
لبنان من أقطارنا عين
إلى الحجاز تريد أن يمضوا
الأرز من أوطانهم ولهم
وبنوه إخوان لهم فإذا
ليسوا بطراء عليه ولا
الكل إن تنسبهم عرب
سل شمسهم فقد خضبت
أيام راعوا قيصراً ومضى
أتراهم وهم الألى سادوا
من عهد ذي النورين أو عمر
هل أخرجوكم من دياركم

يا مصلحاً لبنان عن دعوى
ما قام إصلاح بتفريق
قوّضت مدرسة ومستشفى
أيضيق لبنان بمسلمه

ويُذاد عن وطن تعاهده والناس أبناء لأوطان
لبنان سوف يظلُّ ما شئنا حرِّمًا لشيبان وغسان
فإذا أبيت عُروبةً فاتبع ما شئت من قوم وبلدان
أولى بأن يدع البلاد فتى أمسى المفروق بين أديان
دمشق / أخو مضر



الناس صنفان

الناس صنفان. هذا خلقه الكرم وذاك الأم من تمشي به قدم
هما نقيضان لا هذا يعاب ولا يقال في ذاك إلا كل ما يصم
تمائلاً نسبة لكن نفوسهم تناقضت فتناقت مثلها الشيم
من السيوف كهام لا مضاء له يوم الجلاذ ومنها المرهف الخدم
والطير منها البزاة الشهب حائمة والصادحات ومنها البوم والرخم
والماء منه أجاج لا يساغ ولا يشفي الأوام ومنه السلسل الشيم
وفي السماء سحب بعضه غدق وبعضه لم تجذ منه الثرى ديم
ورب غصنين هذا منتج ثمرًا وذاك تلقبه في نار فتضطرم



إن اللثام وإن قلوا فلؤمهم جم ورب قليل شره عمم
فهم كجرثومة الداء التي خفيت على العيون ومنها الموت والسقم
يكافئون بإنكار الجميل ومن لم يستملهم جميل فالذئاب هم

أمين بك ناصر الدين

كلمات حكيمة

- * قال الشافعي: طلب العلم أفضل من النافلة.
- * قال عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار، أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه.
- * قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب.
- * الحاضر مجموع الماضي - كرايل
- * أقم من يومك ناقدًا دقيقًا لأمسك - بوب
- * الخمول نوع من الانتحار - شسترفيلد
- * كل إنسان ابن أعماله - سرفنتس
- * الصبر من مستلزمات النبوغ - دزرائيلي
- * قال أيوب: حلم ساعة يدفع شرًا كثيرًا.



ينبوع التفريق

في سوريا . مثلاً . كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا - ولم نزل - نلتهم خبز الصدقة ؛ لأننا جياع متضوّرون . ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماتنا .

أحيانا لأنه أيقظ (بعض) مداركنا، ونَبَّه عقولنا (قليلاً). وأماتنا لأنه فَرَّق كلمتنا، وأضعف وحدتنا، وقطع روابطنا، وأبعد ما بين طوائفنا؛ حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة: مختلفة الأذواق، متضاربة المشارب، كل مستعمرة منها تشد في حبل إحدى الأمم الغريبة، وترفع لواءها، وتترنم بمحاسنها وأمجادها. فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحوّل بالطبع إلى معتمد أمريكيّ، والشاب الذي تجرّع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسيّاً، والشاب الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلاً روسيّاً. إلى آخر ما هنا لك من المدارس، وما تخرّجه في كلّ عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء.

وأعظم دليل على ما تقدّم: اختلاف الآراء وتباين المَنازع في الوقت الحاضر في مستقبل سوريا السياسي: فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الإنكليزية يريدون أمريكا أو إنكلترا وصيّة على بلادهم، والذين درسوها باللغة الفرنسية يطلبون فرنسا تتولّى أمرهم، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة أو بتلك، لا يريدون هذه الدولة ولا تلك، بل يتبعون سياسةً أدنى إلى معارفهم، وأقرب إلى مداركهم. قد يكون ميلنا السياسي إلى الأمة التي نتعلم على نفقتها دليلاً على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين، ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجراً من جهة واحدة، وتهدم جداراً من الجهة الأخرى؟

ما هذه العاطفة التي تستنبت زهرة وتقتلع غابة؟

ما هذه العاطفة التي تحيينا يوماً وتميتنا دهرًا؟

جبران خليل جبران



وصية روتشيلد لبنيه

لما حَضَرْتُ أَشِيل روتشيلد - جد أسرة روتشيلد اليهودية - الوفاة، جمع أولاده الخمسة وأوصاهم هذه الوصايا:

- * احتفظوا بشريعة موسى وحافظوا عليها.
- * اتحدوا جميعًا إلى النهاية.
- * شاوروا والدتكم.
- * انظروا إلى ثروتكم نظركم إلى ثروة عامة خالدة.
- * تزوجوا فيما بينكم.
- * لا تشقُّوا عصا الطاعة.



صدقي الطيار

أعقابٌ في عَنانِ الجَوِّ لاخ
أم سحابٌ فرَّ من هُوجِ الرياح
أم بساطُ الريح رَدَّته النوى
بعدما طَوَّف في الدهر وساخ
أم كأنَّ البرج أبقي حوته
فترامى في السماواتِ الفساح



أقبلت من بُعْدٍ تحسبها
نحلةٌ غَنَّتْ وَطَّنتْ في البَراخ
يا سلاحَ العصر بشرنا به
كل عصر بكمي وسلاح
إن عزًّا لم يُظلل في غدٍ
بجناحيك ذليلٌ مستباح

نعصم السلم وتعلو للكفاخ
 ما لنا فيه ذُنَابِي أو جَنَاح
 هبط الأرضَ ملِيًّا واستراخ
 ذلك الإِقْدَامُ أو ذاك الطمَاح
 فتلقوه على هام وراخ
 هَرَّ في الجوّ جناحيه وصاخ
 عزماتُ منك يا (حربُ) صحاح
 في حياةِ حرة كيف النطاح
 وجدوا الرشدَ عليه والصلاخ
 أكمِ الشامِ وهاتيك البطاخ
 وعلى الماء ومن كل النواخ
 وامتلئ من خِيَلَاء ومراخ
 لضاف النيل من عهد (فتاخ)
 ما وراء الباب يا طيرُ النجاج
 من طريق الهند أم جوُّ مباح



كان للأبطال أحيانًا يتاخ
 ربما سدَّ على الشمس السراخ
 لم يفته النَّشَأُ الزهر الصباخ
 وفدى حارسها بيض الصفاخ
 للحمي ليلٌ ولم ينعم صباخ
 ألسنٌ في الثلم والهدم فصاخ

فنكائرُ وتألَّف فليقًا
 مصر للطير جميعًا مَسْرَح
 رَبُّ سِرْب قاطعٍ مرَّ به
 لم لا يفتنُ فنيانَ الحمى
 مَنْ فتى حلَّ من الجوّ بهم
 إنه أولُ عصفور لهم
 دبَّت الهمةُ فيه ومشت
 ناطحَ النجم فتى علمته
 لك في الأجيال تمثالٌ مَشَى
 جاوز النبلَ وعبرته إلى
 فارسَ الجوّ سلامٌ في الذرى
 ثبَّ إلى النجم وزاحم ركنه
 إن هذا (الفتح) لا عهد به
 تلك أبوابُ السماء انفتحت
 أسماءُ النيل أيضًا حَرَم

عين شمس مُلثت من موكب
 رُبما جلل وجهَ الأرض أو
 إن يفته الجيشُ أو روعته
 وفدى (فائزة) سُمِر القنا
 ولقد أبطأت حتى لم ينم
 فابتنى العذرَ كرامٍ وانبرث

تلتوي الخيل على راكبها
ليس من يركب سَرْجًا لَيْنًا
سر رُويدًا في فضاء سافر
طرفت عينًا به الشمسُ فلو
وتكاد الطير من خلته
قف تأمل من علو قبة
نزل النوابُ فيها فتيّة
حملوا الحق وقاموا دونه
كيف بالعاصف في يوم الجماح
مثل من يركب أعراف الرياح
ضاحك الصفحة كالفردوس ضاح
خُيرت لم تتحفن للرواح
تتعالى فيه من غير جناح
رُفعت للفصل والرأي الصراخ
في جناح، وشيوخًا في جناح
كرعيل الخيل أو صف الرماح



يا أبا الفاروق من ترعى ففي
أنت من آبائك السحب وما
يدك السمحة في الخير، وفي
نحن أفلحنا على الأرض بكم
كَنَفِ الفضل وفي ظلّ السماخ
في بناء السحب الأيدي الشحاخ
همة الغرس، وفي أسو الجراخ
ورجونا في السماوات الفلاخ

أحمد شوقي



نثرة اجتماعية

* كان حكماء العصور الماضية يعدّون أغنى الناس أقلّهم مطالب، ويعدّون
أقربهم من كان عبدًا مُشتهياته.

وهذا الرأي لا يزال منطبقًا على الظروف الراهنة، كما كان منطبقًا على
ظروف السالفة وسيظل منطبقًا على ما يكون في المستقبل.

* بعد أن تُسدَّ حاجة المطالب الأساسية للإنسان تصبح كل رغبة متسلطة عليه شيطاناً شديداً القسوة، حتى تكون المئات في يومه لا تساوي عنده ما كانت تساويه الآحاد في أمسه.

* سرُّ السعادة في أن تكون الرغائب أقل ما يستطيع.

* لا يمكن أن تنمو الثروة الأهلية في أمة إلا بزيادة عدد العقلاء فيها، الذين يستطيعون التحرر من ربة الرغائب والمشتهيات لتوفير الثروات.



كيف ينظم الشعراء؟

□ أحمد شوقي:

سئل كلُّ من الشعراء الثلاثة، شوقي وحافظ ومطران:

كيف تنظم الشعر، وكيف تشرع في تأليف القصيدة؟

فكان هذا جواب شوقي:

«أول ما يخطر لي حينما أفكر في قرض الشعر، أن أجمع النقط المهمة التي أرمي إليها من القصيدة. فإذا انتظم لي هيكلها من هذه الناحية، اخترت لكل قصيدة رويَّها وبحرها اللذين توحى إليّ أذني ونفسي أنهما ينهضان بالموضوع. وأعظم ما أكون ارتياحاً إلى قول الشعر بعد منتصف الليل، إذ يجد الخيال مسرحاً متسعاً في هدوء الليل وسكونه، لكن ذلك لا يمنعني أن أقول الشعر إذا جاش به صدري في كل وقت وكل مكان، لا يشغلني عنه شاغل حتى في المجالس والمحافل».

□ حافظ بك إبراهيم:

وكان هذا جواب حافظ:

قال بعد أن أخرج ورقة من جيبه بها نحو خمسة أبيات أو ستة: «نظمت هذه الأبيات أمس، ثم وقفت قريحتي ولا أدري متى أتم القصيدة. ولكنني أؤكد لك وأنا أكلّمك الآن أنّ عقلي يشغل وحده بإتمام القصيدة، ولا بد أنني بعد ساعة أو يوم أو يومين ستهجم عليّ المعاني فأتمها. وهناك عوامل تجعلني أجيد: منها أن أكون في حالة من الشجن تجاور الحزن، أو أكون مضطراً متعجلاً، أو أكون في أرق. أما الصفاء والأنس والفرح والسير في الرياض وعند الماء والشجر فتحدث في نفسي حالات لا تواتيني على النظم، فأنا لا أجيد القصائد في التهاني نفسها إلا وأنا حزين. وأنا أمؤمن بأن لكل شاعر شيطاناً؛ لأنني أكاد أسمعه يهمس في أذني المعنى؛ وأحياناً يضرب فيغلق علي. وأنا أقيد همساته ببيت أكتبه في القهوة، وآخر أكتبه وأنا بالقطار، وآخر وأنا أحادث الأصحاب.... ومن عوامل الإحسان والإجادة عندي أن تكون هناك مجاراة، كأن ينشد معي شاعر آخر».

□ خليل بك مطران:

وكان هذا جواب مطران: عندي نوعان من الشعر:

الأول يجيء عفواً وبداهة، وهو شعر الطلب في المدح والثناء ونحوهما. وهذا لا يكلفني مجهوداً؛ لأنني لا أتعنى في إتقانه، فأكتبه كما يتفق.

أما الثاني، وهو ما يجيء بعد استعداد وتحضير، فهو الشعر الفني، وهو يحدث لي وكأنني حسب الظاهر أختاره، وإنما هو في الواقع بإيحاء قاهر من حادثة، أو قصة، أو غاية اجتماعية أو سياسية يخطر لي تأييدها والدعوة إليها.

وعندئذ تجتمع في ذهني على جملة أيام فكرة القصيد بمجموعها. وأحياناً أدون ما يخطر ببالي من الأفكار بشأنها في قالب النثر. ثم أعود فأنظمها. وأحياناً لا أدون هذه الأفكار. ولكن المهم أن خاتمة القصيدة أو الغاية المنشودة تكون حاضرة في ذهني قبل الشروع في النظم.

ومعظم نظمي في الصباح، وأحياناً أنشد الخلوة الذهنية في قهوة، ولا يعوقني عندئذ عن النظم كلام أشخاص أو لعبهم النرد أو الموسيقى، وأنا أعيد النظر كثيراً فيما أنظم ولا أتعجل. ولكن هناك ظروفًا تجعلني أحسن النظم وأوفيه حقه، ولو كنت مع ذلك مستعجلاً. فلما مات صديقي شبلي شميل مثلاً حزنت عليه جداً، ونظمت رثائي فيه في يوم واحد، ولكن هذا اليوم كان يعدل لدي ثلاثين يوماً. فقد خرجت منه مجهوداً مقتولاً. وكذلك حدث لي في وفاة كل من صديقي إبراهيم البازجي، ونجيب الحداد.



اجتناب الغضب

* قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين: والله ما تقضي بالعدل، ولا تعطي الجزل. فغضب عمر حتى عُرف ذلك في وجهه. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، فهذا من الجاهلين. فقال عمر: صدقت. فكأنما كانت ناراً فأطفئت.

* قال محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

* جاء رجل إلى سلمان فقال: يا عبد الله أوصني. قال: لا تغضب. قال: لا أقدر: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.



العمل رياضة العقل

نكتب هذه المقالة لفائدة كل عامل في كل عمل: الكاتب في الشركة، والعامل في المخزن، والبائع في الدكان، والمحرر في الجريدة، والنساج في الإدارة، والمخبر في الصحيفة، والكوميساري في القطار، والخادم في المنزل. إن أعظم خطر ترتكبه هو إهمالك العمل المفروض عليك، لمجرد تصورك (أنك تعمل لمصلحة سواك فلا يجب أن تعمل كثيرًا). ولكن اذكر أن كل أمانة تبديها في عملك هي خدمة لذاتك. أنت تعمل لنفسك. إنك إذا كنت أمينًا في عملك المأجور فإنما تخدم نفسك قبل أن تخدم رئيسك. يوجد شيء واحد فقط يفيدك ويحسن حالك ويعليك ويرفع مقامك، وذلك الشيء الوحيد هو سعيك واجتهادك.

أنت تبدأ حياتك ولك قوى عقلية معلومة، وقوى جسدية معينة. تلك القوى العقلية والجسدية لا بد لها من المصير إلى إحدى الحالتين.

إما أن ترتقي وتزداد، وإما أن تنحط وتضعف. ومصير قواك هذه متوقف عليك، فإما إلى الارتقاء وإما إلى الانحطاط.

كل عمل تعمله يفيد مهما كان تافهًا، ولا يفيدك أن تهمل أي عمل توليته، فإنك إما أن لا تتولاه، وإما أن تتولاه فتحسن عمله.

قد تعتمد إلى التكاثر ظنًا منك أنك تتمتع براحة الكسل على حساب الرجل الذي يستخدمك، وهذا الظن يدل على قلة أمانتك، وهو في الوقت نفسه دليل

الحماقة. قد تسرق من صاحب العمل الوقت الذي يدفع لك أجرته، ولكنك إذ ذاك تسرق من نفسك وتسيء إليها.

تقول: إن صاحب العمل لا يدفع لك ما تستحقه من الجزاء. قد يكون الأمر كذلك، ولكن هذا لا يستدعي أن تسيء إلى أدبك وأخلاقك بواسطة الخيانة، ولا هو عذر مقبول يحملك على عدم ترقية قواك. فالمكان الذي تعمل سواء كان شركة أو جريدة أو مخزنًا لبضاعة إنما هو مفيد لعقلك فائدة الرياضة لأعضابك. أنت تدخل إلى محل مفيد لعقلك فائدة الألعاب الرياضية لتمرين جسمك، وتدفع أجرة مقابل إجازتهم لك أن تمرن جسدك هناك، فلا تقول في نفسك: (إن محل الرياضة هذا خاص برجل آخر، وهو الذي يستفيد من دخله، فلذلك لا يجب علي أن أعمل فيه باجتهاد ومشقة).

أنت لا تقول هذا، بل تعلم أن الرجل سمح لك أن تمرن جسدك، وأنه أخذ أجرة، ومع ذلك فأنت تشكر له وتمارس الرياضة البدنية في محله بمزيد الاجتهاد والعناية. فلا تترك رياضة فيه حتى تستفيد منها. كذلك افعل في عملك كما تفعل في ساعات الرياضة. إن كل عمل يفيدك ويزيدك نجاحًا إذا مارسته بأمانة ونشاط. إذا كنت تكنس إدارة فاكنسها جيدًا وابدأ بكنسها كل صباح في الموعد المعين بمزيد الحرص والتدقيق، واذكر أن الأمانة في كنس المكتب قد تستعمل يومًا لتولى أحكام مدينة.

مرن عقلك بواسطة العمل مهما كان نوع ذلك العمل، راجع تواريخ الرجال الذين نجحوا من قبل، تجد أنهم أحسنوا كل عمل وسد إليهم.

كان أديسون عامل تلغراف بسيط، فلم يكفه أن يعمل كما يعمل سائر رفقاءه العمال، وإنما اجتهد، وكان يعمل بنشاط وسعي وراء جعل أدوات سيدة مفيدة، ثم صار صاحب عمل خاص ولديه عمال، ثم صار مخترعًا يفيد الأمة باختراعه.

الأذكياء من قراء هذه المقالة يعلمون أننا لا نحض العمال على العمل بما فوق طاقتهم، وبقطع النظر عن مصلحتهم وراحتهم، وإنما نريد الخطة المثلى وهي هذه:

اعمل بقدر ما تستطيع الآن، ولا تحمل نفسك ما لا تطيق.

لا تعمل ليلك كله ثم نهارك أيضًا. مثل هذا الاجتهاد مضر بقواك الحيوية، ورأس مالك الأصلي الثمين، ولكن لا تمرن نفسك على إهمال عملك. لا تتكاسل على حساب سواك. كن أمينًا في معاملة رئيسك. قد يتيسر لك خداع عشرة من رؤسائك، ولكنك لا تقدر أن تخدع الله، ولا تقدر أن تغش نفسك، فأنت لا تقدر أن تربى في ذاتك العادات الحسنة إلا بالعمل النظامي المرتب، ولا تقدر أن ترقى قواك العقلية إلا بالأمانة العامة في التمرين والعمل.

العمل وحده لا يكفي بل لا بد معه من الاجتهاد والأمانة.

قد لا تدرك منزلة سامية، ولكن ما دمت أمينًا في عملك فأنت ضامن لنفسك النجاة من الفشل والبعد عن السقوط في الخمول.

إذا شئت أن تُصلح العالم فابدأ بإصلاح نفسك؛ لأن العالم مؤلف من أفراد أنت واحد منهم.



الحلم

* قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم.

* وقال الحسن: اطلبوا العلم، وزينوه بالوقار والحلم.

* وقال أكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر.

حكم

* قال عيسى عليه السلام: مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت. فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

* قال مالك رحمته الله: إن طلب العلم لحسن، وإن نشره لحسن، إذا صحت فيه النية. ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي، فلا تؤثرن عليه شيئاً.

* ورد في الآثار: قال تعالى لعيسى عليه السلام: «يا ابن مريم عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني».

* قال الشعبي: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار، وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟

فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله، وننهى عن الشر ونفعله.



كلمات ديوجانس

* حاول واحد من السوفسطائيين أن يظهر قوة إدراكه وسلامة رأيه لديوجانس الفيلسوف فقال له:

يا ديوجانس إنك لست أنا، وأنا رجل، فلست أنت برجل.

فأجاب ديوجانس :

لو قلت : أنت لست أنا ، وسكت ؛ لأنتجت بنفسها أنك لست برجل !



* اتهم رجل ديوجانس بتزييف النقود وغشها والتلاعب فيها .

وقال له :

إنك يا ديوجانس تخون بعملك هذا وطنك وتخون الأمانة .

فأجاب ديوجانس :

نعم إني كنت في الأيام الخالية كما أنت الآن ، ولكن ما أنا عليه الآن لا تصل إليه أنت طول عمرك .



* رمى بعضهم ديوجانس في حربه ونسبه ونعته بالخسة والضعف والهوان وقال

له :

والله يا ديوجانس ليس بمثل هذه الخلال وهذه النعوت تشرف الفلسفة وتكرم الحكمة وتعظم الحجة .

فأجاب ديوجانس قائلاً :

اعلم يا هذا أن حسي عيب علي عندك ، أما أنت فعيب علي حسبك عندي !



* قال رجل لديوجانس وكان يشتغل في صناعة التصوير وزهد فيها وزاول صناعة الطب :

إنك يا ديوجانس لم تتقن في حياتك غير الفلسفة ، أما أنا فأفضلك لأنني اشتغلت في فن التصوير وتركته إلى غيره ، فاشتغلت في صناعة الطب .

فأجاب ديوجانس قائلاً :

قد أحسنت يا هذا، فإنك مذ رأيت خطأ التصوير ظاهرًا للعيان وخطأ الطب
يواريه التراب، تركت ذاك ودخلت في هذا!



* سأل أحدهم ديوجانس :

أتعرف يا ديوجانس ما هي الحكمة في إحسان الناس وتصدقهم على العمي
والعرج، وعدم إحسانهم وتصدقهم عليكم أنتم معشر الفلاسفة؟

فأجاب ديوجانس قائلاً :

إن الحكمة في ذلك لأن الناس متأهلون ومستعدون للعمي والعرج، وليس
كل واحد أهلًا للفلسفة.



* اختلف ديوجانس وامرأته وتلاحيا، فقالت له : أما نظرت يا هذا إلى
وجهك الدميم ولو مرة واحدة في المرأة، فتعذر زوجك في تبرمها وقلقها؟
فأجابها ديوجانس :

اعلمي يا هذه أنني أعرف الناس بخُلقي، وأعرفهم بخُلُقك . إن منظر الرجال
بعد المخبر، ولكن مخبر النساء بعد المنظر.



* سأل ديوجانس أحد المسرفين دينارًا، فقال المسرف : إنك يا ديوجانس
تطلب مني دينارًا في الوقت الذي تطلب فيه من غيري درهمًا.
فأجاب ديوجانس قائلاً :

ذلك لأن صاحب الدرهم يعطيني كلما سألته، وأما أنت فإني أشك أن أجذك

بعد اليوم على حال يسمح لك أن تعطيني مرة ثانية؛ لأنك مبذر وذاك مُدبر.



* حاول واحد من أصحاب ديوجانس أن ينقذه وقت محنته من سجنه، فقال له ديوجانس:

لماذا جئت إلى هنا أيها الصاحب؟

فقال الصاحب لديوجانس:

إنما جئت لأنقذك وأخلصك من ذل العبودية لتتمتع بالحرية.

فأجاب ديوجانس:

أبك جنون، أم أنت تهزأ بصاحبك؟

فقال صاحبه وهو يحاوره:

وكيف ذلك وما أردت إلى الإصلاح لك لأنك أسير.

فأجاب ديوجانس:

أذهب أيها الصاحب بسلام، واعلم أن السبع ليس أسيرًا عند من يطعمه، وإنما المطعم للسبع والخادم له هو أسيره.



* قال لوسياس العقاقيري لديوجانس:

هل يعتقد ديوجانس بوجود الله تعالى؟

فأجاب ديوجانس قائلاً:

وكيف لا يعتقد ديوجانس بالله ﷻ، مع علمه أنه عدوك الأكبر؟



* جلس ديوجانس في الطريق وكان جائعًا، فأكل وهو جالس في مكانه في الطريق، فالتف الناس حوله وأكبروا منه هذا العمل وقالوا له:
إن ديوجانس يأكل الآن في الطريق ككل كلب يأكل.
فقال ديوجانس:

ليس ديوجانس هو الذي يشبه الكلب، ولكنكم أنتم الذين تشبهونه لأنكم اجتمعتم حول من يأكل.



* ذهب الإسكندر إلى مدينة قورنث لروية ديوجانس، فرآه جالسًا في قرص الشمس، فقال له الإسكندر:

أنا الملك الأكبر الإسكندر.

فأجاب ديوجانس: وأنا الكلب ديوجانس

فقال الإسكندر: أما تهابني وتخشاني يا ديوجانس؟

فأجاب ديوجانس: وهل أنت طيب أم رديء؟

فقال الإسكندر: بل إني طيب ومحبوب.

فأجاب ديوجانس: ومن الذي يهاب الطيب ويخشاه!.

فقال الإسكندر: إني يا ديوجانس أعلم بحاجتك إلى أشياء كثيرة، وأكون مسرورًا ومغتبًا إذا أنا وفقت لقضائها.

فأجاب ديوجانس: إذا عاهدني الملك الأكبر على الوفاء بما أرجو مرضت عليه ما شئت.

فقال الإسكندر: لك عليّ ذلك العهد.

فأجاب ديوجانس: إن كل ما أطلبه منك هو أن تتحول من هذه الجهة، فقد
منعت عني ضوء الشمس وقطعت لذتي بها!



* قال رجل لديوجانس:

والله يا ديوجانس إنه من أكبر العيب أن فيلسوفًا مثلك يعيش كما يجيء لا
كما يجب، وليس لك بيت تسكنه وترتاح فيه.

فأجاب ديوجانس:

وأنت والله لو فقهت معنى الحكمة وأسرار الحياة لعلمت أن الإنسان إنما
يحتاج إلى البيت ليسترى فيه، وحيث استراح فهو بيت له.



العالم النصوص

ورد في القول المأثور: لا تجلسوا عند كل عالم، إلا إلى عالم يدعوكم من
خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين. ومن الرياء إلى الإخلاص. ومن
الرغبة إلى الزهد. ومن الكبر إلى التواضع. ومن العداوة إلى النصيحة.



غرناطة العرب

نظم الشاعر الأسباني (فيلا سباسا) - وهو من سلالة عرب الأندلس - قصيدة
باللغة الأسبانية يرثي بها العصر الذهبي الذي كان لغرناطة أيام حكم أجداده
العرب المسلمين.

وقد ترجمها الشاعر المجيد فوزي أفندي المعلوف بما يأتي :

غرناطة، أواه غرناطة! لم يبق شيء لك من صولتك!
هل نهرك الجاري سوى أدمع تجري على ما دال من دولتك
والنسمة الغادية الرائحة

هل هي إلا زفرة نائحه

ما عدت في النهر كسلطانة جبهتها في مائه ساطعه
للقبة الحمراء في تاجها وهج، وللمثذنة اللامعه
آه على أمجادك الضائعه

شيعتها بالنظرة الدامعه

مرّت مرور النهر من جسره وأورثتك الدمع في عزلتك
غرناطة؛ أواه غرناطة لم يبق شيء لك من صولتك



لله حمراؤك تحسو الأسى وحيدة في الروضة الخاليه
لم يبق لا زهوة ندمانها ولا صدى أعيادها الماضيه

ولم يعد للحب فيها أنين

ينقله العمود عن العاشقين

بيننا يجيل البدر الحاظه باهتة في المرممر اللامع
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدة الليل الساجع

وقصرها الخاوي بأرجائه

كم غمر الليل بضوضائه

إذ الجوّاري خاطراتٌ على سجاده جاريةً جاريه
أزّوع ما في الشرق من رقصة تنسجها أقدامها العاريه



غرناطة أوّاه غرناطةً ما أنت إلا خربٌ قابعه
تحمل أسرابُ السُّتونو إلى أفريقيا أنباءك الفاجعه
هناك أبناؤك من بأسهم

باكون، لا باكون من يأسهم

عزّوا من الأغماد بيضَ الظبا ووشّحوا الخيلَ بيض السروج
ويمموا البحرَ فلما بدث منك على الأفق جبالُ الثلوج
خروا على أوجهم راكعين

وزفروا من قهرهم صارخين

غرناطة، أوّاه غرناطة! ضعت، فيا للعظم الضائعه!
فترفر الموج ويبكي لهم حين يرى أعينهم دامعه



فيلا سباسا العربي

هو أكبر شعراء أسبانيا اليوم، ورئيس ندوة الشعر فيها، وصاحب مؤلفات
تزيد على مائة وخمسين ما بين شعر ونثر.

هو من سلالة العرب الذين تخلّفوا في أسبانيا، وتجنّسوا - بطبيعة الحال -
بجنسية أهلها، لكنه وفّي لأصله، ويبكي العرب في شعره وخطبه وأحاديثه،
 ويفتخر بأنه من سلالتهم. وقصيدة (غرناطة العرب) إحدى دمعاته اللؤلؤية على
ذلك العصر الذهبي.

أحمد تيمور باشا

أنعي إلى إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مثلاً ملائكيًا من أمثلة الوفاء للإسلام.

أنعي إلى الأمة الإسلامية المسكينة الفقيرة في رجالها رجلاً استكمل صفات الكمال، وأخذ على نفسه عهداً أن يسير على قَدَمِ الأنبياء والصالحين، فوفت له نفسه بما عاهدت عليه، إلى أن اختاره الله لدارٍ خيرٍ من هذه الدار، وجوار أرضى وأكرم من هذا الجوار.

أنعي إلى المجاهدين في سبيل هدى محمد ﷺ إمامًا من أئمة هذا الجهاد، إمامًا جاهد نفسه أولاً فكانت أطوع نفس لصاحبها في الأنس بطاعة الله، والعمل لما يُرضي الله، وتأييد الدعوة إلى دين الله.

أنعي أحمد تيمور باشا؛ الدرّة اليتيمة التي كانت أغلى وأعلى من عصرها، فكان هذا العصر بفقره في الفضائل، وانحلاله في الأخلاق، أقصر يدًا من أن يكون على اتصال بها. وأن درة خلقها الله لتكون زينة الفراديس تظلُّ غريبة في آفاق الدنيا، حتى تحلّ من جوار بارئ الملكوت بالمحل اللائق بها.

فقدنا العلامة العظيم المغفور له أحمد تيمور باشا، ونحن أحوج ما كنا إلى محصول علم قضى في تحصيله وتحقيقه خمسين عامًا، فاجتمع عنده من تأليفه عشرات الكتب القيمة النفيسة التي لم يجر قلمه بكلمة منها على قرطاس إلا بعد تثبت واستقصاء واطمئنان؛ فكان ما يكتبه تيمور باشا مضرب المثل في الصحة والتحرير والتنقيح عند كل مشتغل بالعلوم العربية والمعارف الإسلامية من إسلاميين ومستشرقين. وكم كان حظ العلم عظيمًا لو أنه تولى تبيض هذه المؤلفات بنفسه، ووقف على نشرها بنفسه.

فقدنا العلامة العظيم المغفور له أحمد تيمور باشا، ونحن أخرج ما كنا إلى
نضوج عقله النامي، إلى دلالة نظره الثاقب، وإلى هداية ضميره الطاهر المشرق
بنور الإيمان.

فقدنا رجلًا لا يكاد يعرف الناس له شبيهها في دقة الشعور، ورقة الإحساس،
وطهارة الذيل، وعفة النفس؛ فهو منذ طفولته إلى أن ودعناه الوداع الأخير لا
يذكر له الساخطون على نور الهدى المحمدي سيئة قط، غير تمسكه بأهداب
الإسلام وتأييده له ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.



بنفسي هذا الكريم، وقد ساقنتي الأقدار لزيارته عند آخر عهده بالدنيا،
فسهرت معه من غروب الشمس إلى ساعة النوم، وكان أقوى وأنشط ما رأيته منذ
عام كامل: يضيء البشر جميع وجهه، وتملأ البهجة صدره ونفسه، وكنت كلما
أردت مفارقتة لينام، أصر على استبقائي كأنه كان يرى بنور الله أنه لم يبق بينه
وبين أن ينتقل إلى جوار ربه غير أن ينام بضع ساعات، ثم يتركنا في هذه الدنيا
نكابد شرورها ونقاوم آثامها. ففارقته في الليل، ثم كان آخر عهد بالدنيا فجر ليلة
الوداع التي لا أنساها.

ثلاثة وعشرون عامًا مضت على شرف معرفتي صاحب تلك النفس الكريمة
التي عرجت بها ملائكة الرحمة إلى سدرة المنتهى، إلى جنة المأوى، فكانت
كلمحة المختطف انقضت وتركت في القلب حُرقة؛ وفي الصدر غُصّة، وفي
أماق العيون جفافًا، لئلا تجد النفس بالدمع راحة تخفف من آلام الكارثة
العظمى.

إنا لله وإنا إليه راجعون، في ذمة الله تلك النفس الملائكية التي كانت تشعر
بالغربة بين أهل عصر كله فتنه، وكله امتحان. لذلك عجّل الله باختيارها، فما

أسعدها من رحلة لصاحبها، وما أشقى أثرها في عدد قليل من الناس يعرفون أيّة درّة يتيمة فقدوا، وأيّة نفس كريمة ودّعوا.

إذا كان من العفة أن لا يجد المرء مطيّة يرحل بها عن آفاق العفاف، فإن العفة كل العفة أن يتيسر المرء كلّ ما يذهب به مذاهب الهوى، ثم لا يكون له من فضائله شكائهم قوية تقف به عند حدود الله، وتصرف عنان ميوله في الطرائق التي ترضي الله، وترسم له خطط الاستقامة بين مبادئ الحق والفضيلة، والغايات التي يصير بها العبد إلى الله. كذلك كان فقيه الإسلام أحمد تيمور باشا كما رأيته في ثلاثة وعشرين عامًا، وإن ما قد نشعر به في بعض الأحيان من غيرة على الحق واليقين كأنه عدوى تنتقل إلينا، من غيرة إسلامية كانت سليقة فيه، وفطرة محمدية كان يقيس أنسه ونفرتة بمقياسها: فيوالى من والى الله ويبرأ ممن عادى الله، إلى أن صار إلى رحمة الرحمن الرحيم.



وداعًا أيها العالم العظيم الذي طلب العلم للعلم وحده، فبلغ فيه أعلى ذروة يطمع في الوصول إليها عشاق الثبت والتحقيق.

وداعًا أيها المسلم العظيم الذي حلّ الإسلام من فؤاده في المحل الأكرم، فيست زينة الدنيا أن تدنو من قدس الأقداس في ذلك الفؤاد.

وداعًا أيها الإنسان الذي كان ينظر إلى جاه الدنيا ومعاليها نظرة الاحتقار والامتهان، بعد استكمال أسباب القدرة على حيازتها.

وداعًا يا من كان يرى العظمة لله وحده، فتخلق بخلق التواضع الكريم، وكان ينظر بعين الشفقة إلى هذه الحشرات الشامخة بأنوفها، المستعيزة مما نشعر به من حقيقة الذل بما تتظاهر به من بهرج الكبرياء.

وداعاً أيتها الفضيلة التي كانت بصورة البشر، ثم رفعها الله إلى فرايسه تتبوا
مقعد الصدق عند ملك مقتدر^(١).

رحمة الله عليك... ، وحسبك برحمة الله بديلاً من كل ما تركت وراءك.

محب الدين الخطيب



رثاء أحمد تيمور

من شئت مجتهداً بلا استثناء	الناس دونك فالتمس من بينهم
واحذر بأن تغتر بالأسماء	وطُف البلاد وصف هوية أهلها
بعد اختبار طال واستقراء	فإذا يثست بأن تصادف مثله
هبهات نفثؤه بأي عزاء	فاعلم بأن مصابنا في (أحمد)
في مفرد ليس اسمه بثنائي	جلّت عن الصبر المصيبة إنها
من ذا يصون كرامة الفقراء	من ذا يرُدُّ لذي احتياج نفسه
حتى تلبس فكرة البسطاء	من ذا يحل المشكلات فتتجلي
من شق عنها كلة الظلماء	سل أي مسألة تعدّر فهمها
والكوكبُ الدري في العلماء	هو في الذؤابة من بيونات العلا
ويخصه برعاية النظراء	وتراه يخفض الفقير جناحه
ولذاك عُدَّ به من الغرباء	خُلِقَ غريب في الوجود وجوده



يانوبة لما أصابت قلبه أودت بقلب الهمة السماء

(١) هذا من التفاؤل، ورجاء رحمة الله له. (س).

ماذا فعلتِ وأيَّ آمال أما حطّمت هيكَلها وأي رجاء
في ذمة المولى وواسع فضله نفسٌ سيجعلها مع الشهداء

محمّد صادق عرنوس



أحمد تيمور باشا

تجري عليك الأدمع الجارية من أعين فياضة باكية
من لغة كنت إمامًا لها وكنت فيها الحجة الراوية
(لسانها) من حزنها صامت! وعينها من الآسي داميه



يا دار (تيمور) وهل تسمع الـ مدارات تلك النغمة الشاجيه؟
أين الذي حسنك من حسنه وأين منه الأمن والعافيه؟
أين الذي كان على ضعفه يقوى على أبحائه الضافيه؟
لا يقنع الناس بدنياهمو ونفسه القانعة الراضيه
يزينه في كل أطواره تواضع في همة عاليه؟
لم تلهمه الدنيا. ولم تغوه عن خدمة الفصحى المنى الغاويه!
ولا زهاه العلم في أمة جهالها في فتنة زاهيه
ولا ثناه الضعف عن غاية تضمن فيها النفس (بالثانيه)!
ولا غلا بالنفس عن مأرب ترخص فيه الأنفس الغالبه؟



شيخ طواه الموت في حفرة يا عجبا للحفرة الطاويه!
قد أطفأ المقدارُ أنواره وعطل الموت هنا ناديه

وداهم الموت هنا حجة في لغة الأمصار والباديه
كنا ادخرناها لآمالنا فأصبحت آمالنا خاويه!



يا نائمًا في القبر تحت الثرى وأعين الناس هنا صاحبه!
ذكراك لا تبلى وإن غيرت أيدي البلى عظامك الباليه
لو أنصف الناس - وما أنصفوا - وعوك في الأفتدة الواعيه
فمثلك: الأنفس أولى به من الثوى في تربة نائيه!

محمد عبد الغني حسن



غروب الشمس

نزلت تجر إلى الغروب ذبولا صفراء تشبه عاشقا مَثبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها صَب تمايل في الفراش عليلا
مذ حان في نصف النهار دلوكةا هبطت تزيد على النزول نزولا
قد غادرت كبد السماء منيرةً تدنو قليلاً للأفول قليلا
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأبدت صفرة وذبولا
غربت فأبقت كالشواظ عقيبها شفقاً بحاشية السماء طويلا
شفقاً بروح القلب شاحب لونه كالسيف ضُمخٌ بالدما مسلولا
يحكي دم المظلوم مازج أدمعاً هملت بها عين اليتيم همولا
حتى توارت بالحجاب وغادرت وجه البسيطة كاسفاً مخذولا

معروف الرصافي

روائع مسكين الدارمي

□ جناحا البازي □

أخاك أخاك إنَّ مَنْ لا أخاله	كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح
وإنَّ ابنَ عمِّ المرء فاعلم جناحه	وهل يتنهض البازي بغير جناح
وما طالبُ الحاجات إلا معذَّبًا	وما نال شيئًا طالبٌ لنجاح!
لحا الله مَنْ باع الصديقَ بغيره،	وما كلُّ بيعٍ بعته برباح!
كمفسِدٍ أدناه ومُصلِحٍ غيره	ولم يَأتمر في ذاك غيرُ صلاح؟

□ الفاحش الأحمق □

وهذه القصيدة من أحسن شعره:	
اتقِ الأحمقَ أنْ تصحَبَه	إنما الأحمقُ كالثوبِ الخلقُ
كلِّما رَقَعْتَ منه جانبًا	حرَّكته الريحُ وهنًا فانخرقُ
أو كَصَدَعٍ في زجاجِ فاحش!	هل ترى صَدْعَ زُجاجٍ يتفق!
وإذا جالستَه في مجلس	أنسد المجلسُ منه بالخرقُ
وإذا نهَنْهَتْهُ كي يرعوي	زادَ جهلاً وتمادى في الخُمُقُ
وإذا الفاحشُ لاقى فاحشًا	فهنا كمُ وافق الشنُّ الطَّبَقُ
إنما الفُحْشُ ومن يَعْتادُه	كفُرابِ السَّوءِ ما شاءَ نَفَقُ
أو جِمارِ السَّوءِ إنْ أشبعته	رَمَحَ الناسَ وإنْ جاعَ نهَقُ
أو غُلامِ السَّوءِ إنْ جَوَّعته	سرقَ الجارَ وإنْ يَشْبَعُ فسَقُ



أيُّها السائلُ عمَّا قد مضى	هل جديدٌ مثلُ ملبوسٍ خَلَق!
لا أبيعُ الناسَ عِرْضي، إنني	لو أبيعُ الناسَ عِرْضي لنفَقُ

□ الجار □

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قُبلي تُنزلُ القِدرُ
 ما ضرَّ جارِي أنْ أجاورَه أن لا يكونَ لبيته سترُ
 أعشى إذا ما جارتي خرجتُ حتّى يوارِي جارتي الخدرُ
 ويصمُّ عما كان بينهما سَمعي، وما بي غيرَه وقرُ
 لا آخذ الصُّبيانَ التَّمهمُ والأمرُ قد يُغزى به الأمرُ
 ولربَّ أمرٍ قد تركتُ، وما بيني وبين لقائه سِترُ
 في المجد غرُتنا مبيّنة للناظرين كأنّها البدرُ
 لا يرهبُ الجيرانُ غدرتنا حتّى يوارِي ذكرنا القبرُ

□ العشراء □

إصحب الأخيارَ وارغب فيهمُ ربَّ مَنْ صَحِبته مثل الجربِ
 واصدُقِ الناسَ إذا حدّثهمُ ودعِ الكِذِبَ لمن شاء كَذِبُ
 ربَّ مهزولٍ سمينٍ عِرضه وسمينِ الجسمِ مهزولُ الحَسَبِ



عيشة البداوة

نصبوا القبابَ على السفوحِ وخيموا والنوقُ ترتع، والجيادُ تحمحمُ
 رُطبُ المُشان مع اللبانِ غذاؤهم والماءُ صافٍ والهواءُ يرخمُ^(١)
 والبرُّ بحرٌ والخيامُ سفائنُ والأفقُ مرجٌ بالنجومِ منمنمُ

(١) المشان بلدة فوق البصرة كثيرة النخل، رُطبها من أطيب الرُطب، ومنه المثل: «بعلة الورشان تأكل المشان».

تدعو إلى العدل الأنام وتظلم
تذكى احتفاء بالضيوف وتضرم
حول المنازل كالحمام حوّم
تحمي الحمى من طارق يتكنم
ورد المياه كأنهن الأنجم
أحداقهن جوارح تنكلم
دلّ الفواجر والشمائل معصم
بدن كتمثال الصنّاع مجسم
في قامة كالرُمح بل هي أقوم^(١)
هو للملاحة والجمال متمم
بعقول أرباب الهوى تتحكم
من دونها شهد الخلية علقم
ولهن عرض بالصيانة مُحكم
لكنه لذوي الفجور جهنم



من كل ما يؤذي الشعور ويولم
فيها التعاشر لا يملّ ويسأم
متفكها بحديث من لا تنهم
وعفافها ترعى الجميل فتكرم
روض زها، وبلابل تترنم
ووفاءهم ما أنجدوا أو أتهموا

والثوب أوسع من بطون عصابة
والقهوة السوداء يُنضجها لظى
ومناهل وجداول وعقائل
ورماحهم من حولهم مركوزة
وبنانهم يمرحن أترابا على
بيض كواعب كالظباء قوامص
من كل فاتنة النواظر دلّها
وجه كما شاء الخيال يُقله
بترارة ممزوجة برشاقة
يُسبلن من خفر الأنوثة برقما
ولهنّ في سرد الكلام مناهج
وللفظهنّ طلاوة وحلاوة
يغرين لبك بالصباغة خفة
هو جنة المأوى لأرباب التقى

إن شئت أن تحيى سميذا خاليا
متمتعا بحضارة بدوية
حرّا عزيزا وادعا متمردا
حسنا يرتاح النبيل للطفها
بلثامها، وسلامها، وكلامها،
ورجال صدق يُحسنون جوارهم

(١) التارة: البضاضة وامتلاء الجسم.

إِذْ لَا تَصْنَعُ فِي الْوَجْهِ، وَلَا تَكْدُ فَ فِي الطَّبَاعِ، وَلَا عَوَازِلَ تَنْقُمُ
فَاحِثٌ مَطْبِكَ نَحْوَ رَمْلَةٍ عَالِجٍ^(١) وَاجْعَلْ مَقَامَكَ حَيْثُ رَكْبُكَ يَمَّمُوا
لِلْبَدْوِ عَيْشَ طَافِحٍ بِمِلَّةٍ هِيَ لِلسَّلَامَةِ وَالسَّعَادَةِ سُلَّمُ
مَنْ ذَاقَ طَعْمَ نَعِيمِهِ وَصَفَائِهِ هَجَرَ الْحَضَارَةَ مَا اسْتَهْلَ مُحَرَّمُ

سليم عنحوري



كرسي القيادة

لا يزال كرسي القيادة في الشرق الإسلامي خاليًا منذ زمن أطول مما يعتقد الكثيرون منا. وقد انتبه لذلك نابليون بوناپرت فقال: (الشرق كله في انتظار رجل يتولاه، ولو استتبَّ لي أن أحالف المماليك لكنت الآن سلطان المشرق).



إحدى المؤامرات على حياة سيد الخلق ﷺ^(٢)

لَمَّا قَدِمْتُ وَفَدُ الْعَرَبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، قَدِمَ وَفَدُ بَنِي عَامِرٍ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ وَأَزْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخُو لَبِيدِ الصَّحَابِيِّ لِأُمَّةٍ. وَكَانَا رَأِيسِي الْقَوْمِ وَمِنْ شَيَاطِينِهِمْ. فَقَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ عَدُوُّ اللَّهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَرِيدُ الْغَدْرَ بِهِ؛ وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ:

(١) رمل عالج: جبال متواصلة متسعة تجاور الدهناء، قيل: إنها تحيط بأكثر أرض العرب.

(٢) سيرة ابن هشام (٥/ ٢٦٠ - ٢٦٢). (س).

يا عامر، إِنَّ الناس قد أسلموا فأسلم!

قال: واللّه لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبِي، فأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش!.

ثم قال لأزبد: إذا قَدِمنا على الرجل، فَإِنِّي شاغلُ عنكَ وَجْهَه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسيف!.

فلَمّا قَدِما على رسول الله ﷺ جعل يكلّمه ويتنظر مِنْ أَرَبَدَ ما كان أمره به، فجعل أَرَبَدُ لا يُجِبر شيئاً؛ فلَمّا رأى عامراً ما يصنع أَرَبَدُ قال عامر للنبي ﷺ: أتجعلُ لي نصفَ ثَمار المدينة، وتجعلني وليّ الأمر من بعدكَ وأُسلم؟ فأبى عليه ﷺ. فانصرف عامرُ وقال:

أما والله لأملأنّها عليك خَيْلاً ورجالاً...

فلَمّا ولى قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل».

فلَمّا خرجا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأزبد:

ويلك يا أَرَبَدُ، أينَ ما كنتُ أمرتُك به؟ والله ما كان على ظَهر الأرض رجلٌ أخوفُ عندي عليّ منك! وإيّم الله لا أخافك بعدَ اليوم أبداً...

قال: لا أبا لك! لا تعجل عليّ! والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دَخَلتَ بيني وبين الرجل حتّى ما أرى غيرَكَ، أفأضربك بالسيف؟!

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتّى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على ابن الطفيل الطاعونَ في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سَلُولَ، فجعل يقول:

(يا بني عامر! أَغْدَةَ كَغْدَةَ البَكر في بيت امرأة من بني سَلُولَ!).

ثم خرج أصحابه حين واروه التراب؛ حتى قَدِمُوا أرض بني عامر، فقالوا:
ما وراءك يا أريد؟

قال: لا شيء، والله لقد دعانا إلى عبادة شيءٍ لَوِدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ
بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتَلَهُ.

فخرج بعد مقاله يوم أو يومين، معه جملٌ له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى
جَمَلِهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُمَا.



الجلساء المأمونون

قال ابن عمران: كنت عند أبي أيوب أحمد محمد بن شجاع فبعث غلامه إلى
أبي عبد الله بن الأعرابي يسأله المجيء إليه، فعاد إليه الغلام، فقال: قد سألته
ذلك، فقال: عندي قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت. قال الغلام:
وما رأيت عنده أحدًا، إلا أنني رأيت بين يديه كتبًا ينظر فيها، فينظر في هذا مرة
وفي هذا مرة، ثم ما شعرنا حتى جاء، فقال له أبو أيوب: إنه ما رأى عندك
أحدًا، وقد قلتَ له: أنا مع قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت،
فأنشد:

لنا جلساء ما نملُ حديثهم	الباء مأمونون غيبًا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مسددا
فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة	ولا نتقي منهم لسانًا ولا بدا
فإن قلتَ أموات فما أنت كاذب	وإن قلتَ أحياء فلست مفنّدًا



الأهرام

أهرامهم تلك حي الفن متخذًا من القبور قصورًا فوق كيوان
 قد مر دهرٌ عليها وهي ساخرة بما يضعضع من صَرْحٍ وليوان
 لا يأخذ الليل منها والنهار سوى ما يأخذ النمل من أركان ثهلان
 تستقبل العينَ في أثنائها صورٌ فصيحة الرمز دارت حول جدران
 لو أنها أعطيت صوتًا لكان له صدى يروّع صم الأنس والجنان

إسماعيل صبري



سادات العرب

قال الجاحظ في كتاب (شرائع المروءة):
 كانت العربُ تُسَوِّدُ على أشياء: أمّا مُضَرُّ فتُسَوِّدُ ذا رأيها، وأمّا ربيعة فمن
 أطعمَ الطعامَ، وأمّا اليمَنَ فعَلَيَّ النسبَ.
 وكان أهلُ الجاهليّة لا يسوّدون إلّا مَنْ تكاملت فيه ستُّ خصال: السخاء،
 والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان؛ وصار في الإسلام سبعةً.
 وقيل لقيس بن عاصم: بِمَ سُدَّتْ قومَكَ؟
 قال: بِبَذلِ الندى، وكَفِّ الأذى، ونُضرة المولى، وتعجيل القرى.
 وقد يُسوّد الرجلُ بالعقل والعِفَّة والأدب والعلم.
 وقال بعضهم: السُّودد اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة.

وقال الأصمعي: ذكر أبو عمرو بن العلاء عيوبَ جميعِ السادة، وما كان فيهم من الخلال المذمومة؛ إلى أن قال: ما رأيتُ شيئاً يمنعُ من السُّودد إلا قد رأيناه في سيّد: وجدنا الحداثة تمنع السُّودد، وساد أبو جهل بن هشام وما طرَّ شاربه، ودخل دار الندوة وما استوت لحيته؛ ووجدنا البخل يمنع السُّودد، وكان عامر بن الطفيل بخيلاً وكان سيّداً؛ والظلم يمنع من السُّودد، وكان كليب بن وائل ظالماً، وكان سيّد ربيعة، وكان حذيفة بن بدر ظالماً، وكان سيّد غطفان. وقلة العدد تمنع السُّودد، وكان السيل بن معبد سيّداً، لم يكن بالبصرة من عشيرته رجلاً، والفقر يمنع السُّودد، وكان عتبة بن ربيعة مملّقا وكان سيّداً.



اليَتِيم

أيها المثرى ألا تكفلُ من	بات محروماً يتيماً معسراً؟
أنت من يدريك لو أنبتّه	ربما أطلعتَ بدرًا نيرًا؟
ربما أطلعت (سعدًا) آخرًا	يُحكّم القول ويرقى المنبرا
ربما أطلعت منه (عبدّه)	من حَمَى الدين وزان الأزهر
ربما أطلعت منه شاعرًا	مثل (شوقي) نابها بين الورى
كم طوى البوس نفوسًا لو رعث	منبتًا خصبًا لكانت جوهر
كم قضى العدم على موهبة	فتوارت تحت أطباق الثرى
كل من أحيا يتيما ضائعًا	حسبه من ربه أن يؤجرا
إنما يحمد عقبى أمره	من لأخراه بدنياه اشترى

محمد حافظ إبراهيم

مدنيتهم

أنصت لصرير الأقدام
والأرض كرق منشور
كم أنثى خاصرها ذكر
بنفوس حرك ساكنها
المرقص أمسى محشودًا
وعلى نغمات الموسيقى
فتحركهن كساحرة
وعصا الأركستر ساقتهم
المرأة علبة كبريت
والنسوة فحن برائحة
خففن ملابسهن، فهل
وتحبيهن بأحضان
يتلقين الذكران وكم
بصدور مثل بحور لم
الرأس على كتف مالت
والهمس يدور بهمة
وأحاديث الجنسيتين إذن
بدت العورات إلى ركب
أشياء إلى فسق تدعو

يحفى كصريف الأقلام!
ملئت طبعًا بالأختام!
كالغمد بجانب صمصام!
للمتعة لمس الأجسام!
بعمالقة... أو أقزام
سبحوا في عالم أحلام!
حذقت تحريك الأصنام!
سوقًا كقطيع الأغنام!
ثارت بالحك لإضرار
فتخدر أعظم شمام!
يسمعين بها للإجرام؟
قد نمت عن شوق نام!
قد تهن بهم في أوهام!
يسبحها غير العوام!
من شرب الخمرة في إلجام!
في إفصاح لا إبهام!
تمهيدات الاستسلام!
من بعد زوال الأكمام!
لا بل تغري بالإجرام!



تلك المدنية يزعمها عن جهل بعض الأتوام!
هي في عرفي فوضى ينبو عنها المثل الأعلى السامي؟
تردى فيها أخلاق نُسفت بفتيل الألفام
العرض يُباح بها، أو لم يتمكن من هدف رام؟
هي مفسدة عنها أبداً لا يرضى دين الإسلام

ع. ب



حكم وأمثال

- * قال علي بن أبي طالب عليه السلام يصف الإنسان: اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم.
- * الصدقة دواء منجح. وأعمال العبادة في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم.
- * صدر العاقل صندوق سره، والبشاشة حباله المودة، والاحتمال قبر العيوب.
- * أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل.



أخلاق حاتم الطائي

قال حاتم الطائي من قصيدة:

وعاذلتين هَبَّتَا بعد هَجْعَةٍ تلومان متلافاً مُفيداً مُلوّماً
تلومان، لما غَوَرَ النجم، ضَلَّةً، فتى لا يرى الإنفاق في الحمد مُغرماً

فقلتُ، وقد طال العتابُ عليهما
 ألا تُلوماني على ما تقدّما
 فإنكما لا ما مضى تدركانه،
 نفسك أكرمها، فإنك إن تهن
 أهِن للذي تهوى التلاد، فإنه
 ولا تشقين فيه فيسعد وارث
 يقسمه غنما ويشري كرامه
 قليلاً به ما يحمدك وارث
 تحلّم عن الأذنين واستبق ودهم
 وعوراء قد عرضت عنها فلم تضر
 وأغفر عوراء الكريم ادخاره
 ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً
 ولا زاذني عنه غناي تباعدًا
 وليل بهيم قد تسربلت هوله
 ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنى
 لحا الله صعلوكاً مناه وهمه
 ينام الضحى، حتى إذا نومه استوى
 مقيماً مع المثيرين ليس ببارح
 ولله صعلوك يساور همّه
 فتى طليبات لا يرى الخمض ترحه
 يرى الخمض تعذيباً، وإن يلق شبة
 إذا ما رأى يوماً مكارم عرضت

وأوعدتmani أن تبينا ونضرمنا:
 كفى بضروف الدهر للمرء مُحكِماً
 ولستُ على ما فاتني متندماً
 عليك فلن تلقى لها الدهر مُكرماً
 إذا مُتَّ كان المال نهياً مقسماً
 به، حين تغشى أغبر الجوف مظليماً
 وقد صرت في خط من الأرض أعظماً
 إذا نال مما كنت تجمع مغنماً
 ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً
 وذو أود قومته فتقوماً
 وأعرض عن شتم اللئيم تكراً
 ولا أشتم ابن العم إن كان مُفحماً
 وإن كان ذا نقص من المال مُضرمماً
 إذا الليل بالنكس الدنيء نجهمماً
 إذا هو لم يركب من الأمر مُعظماً
 من العيش أن يلقى لبوساً ومغنماً
 تنبّه مشلوج الفواد مُورماً
 إذا نال جدوى من طعام ومجئماً
 ويمضي على الأحداث والدهر مُقدماً!
 ولا شبة إن نالها عد مغنماً
 يث قلبه، من قلّة الهَم مُبهماً
 تيمم كبراهن ثمت صمماً

وَيَغْشَى إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ كَرِيهَةٌ صَدُورَ الْعَوَالِي، فَهُوَ مُخْتَضِبٌ دَمًا
يَرَى رُمَحَهُ، وَنَبْلَهُ، وَمِجَنَّهُ وَذَا شُطْبِ عَضْبِ الضَّرْبَةِ مِخْذَمًا
وَاحْنَاءَ سَرَجٍ قَاتِرٍ، وَلِجَامِهِ، عَتَادَ فَنَى هَيْجَا؛ وَطَرَفًا مَسُومًا
فَذَلِكَ إِنْ يَهْلِكَ فَحُسْنَى ثَنَاؤُهُ وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَقْعُدْ ضَعِيفًا مُذَمَّمًا



شيء عن حاتم الطائي (١)

جاء إلى رسول الله ﷺ بِسَقَانَةِ بِنْتِ حَاتِمِ الطَّائِي، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَاغِدُ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخْلِيَ عَنِّي، وَلَا تَشِمْتَ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ! فَإِنَّ أَبِي سَيِّدُ قَوْمِهِ: كَانَ يَقْتُلُ الْعَانِي، وَيَحْمِي الذَّمَارَ، وَيَفْرُجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيُفْشِي السَّلَامَ، وَلَمْ يَطْلُبْ إِلَيْهِ طَالِبٌ قَطُّ حَاجَةً فَرَدَّهُ. أَنَا ابْنَةُ حَاتِمِ طِيٍّ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا جَارِيَةُ، هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ! لَوْ كَانَ أَبُوكَ إِسْلَامِيًّا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ! خَلُّوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يَحُبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ!».



قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: كَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ جَوَادًا يُشَبِّهُ جَوْدَهُ شِعْرُهُ، وَيَصْدُقُ قَوْلُهُ فِعْلُهُ وَكَانَ حَيْثُمَا نَزَلَ عُرِفَ مَنَزَلُهُ؛ وَكَانَ مَظْفَرًا: إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ، وَإِذَا غَنِمَ أَنْهَبَ، وَإِذَا ضَرَبَ بِالْقِدَاحِ فَازَ، وَإِذَا سَابَقَ سَبَقَ، وَإِذَا أَسَرَ أَطْلَقَ؛ وَكَانَ أَقْسَمَ بِاللَّهِ: لَا يَقْتُلُ وَاحِدًا أَمَّهُ. وَكَانَ إِذَا أَهَلَ رَجَبٌ نَحَرَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ.



(١) سيرة ابن هشام (٥ / ٢٧٦). (س).

كان أوّل ما ظهرَ من جُودِ حاتم، أنّ أباه خَلَفَه في إبله . وهو غلام . فمرَّ به جماعةٌ من الشعراء، فيهم عبيدُ بنُ الأبرص وبِشْر بن أبي خازم والنابعة الذُّبياني، يريدون الثُّعْمانَ بن المنذر؛ فقالوا له :

هل مِنْ قِرى؟ (ولم يَعْرِفْهم) فقال :

أتسألوني القِرى وقد رَأَيْتُم الإِبِلَ والغنمَ؟ انزلوا! .

فتزلوا، فنحر لكل واحدٍ منهم، وسألهم عن أسمائهم؛ فأخبروه؛ ففرّق فيهم الإِبِلَ والغنمَ .

وجاء أبوه، فقال: ما فعلتَ؟

قال: طَوَّقْتُكَ مجدَّ الدهر، تطويق الحمامة . وعَرَّفَه القُضِيَّة .

فقال أبوه: إذن لا أساكنك بعدها أبدا، ولا أوويك!

فقال حاتم: إذن لا أبالي!



الفتح في عامه الخامس

يا فتْحُ واجهْ عامَكَ الخامسَا	لا مشفقًا منه ولا بائسَا
وكن كما كنت سديد الخطَا	تعمِّب الباطل أنى رسَا
تُتبعه الحق فلا ينثنى	إلا إذا أبصره خانسَا
كم باطل تظهر مخضرة	أعواده غادرته يابسَا
بينما يرى ضخماً منيع الذرى	إذا به صار لقيّ دارسَا
أنت شجا خلق أساطينه	أقامك الدين له حارسَا

قد أوضعوا قبلك في هجرهم
ظنوا حماة الحق في غفلة
أو أنما اليأس مبيد القوى
أو حسبوا الميدان ملكاً لهم
مارس تضليل النهى حزبهم
حزب الهوى نافس حزب الهدى
قد بسم الدهر له مدة
فاستشعر الخوف وأفضى به
ما ذلك الصوت الذي راعني
أذلك (الفتح) نصير الهدى
أهو الذي يكشف عن حيلتي
أهو الذي يُخرجني للاملا
أهو الذي بذل مجهوده
أرسب في الماء لتعكيره



يا فتح أهل الدين قد قصرُوا
ما انتفعوا النفع الذي ينبغي
لم يفعلوا الواجب تلقاءها
ما بال من تنصحه منهم
يا فتحُ بالغ في مداواتهم
أقسُ عليهم لم يجرُ من قسا
من أيكَة كنتَ لها غارِسا
أنشطهم يأتي به جالسا
يفر من واجبه شامسا
عسى تدب الروح فيهم عسى

محمّد صادق عرنوس



الشيخ محمّد بن عبد الله

مجموعه أدب بارع وحكمة بليغة

انتقاها
الكاتب لإسلامي الكبير
محمّد بن عبد الله
رحمه الله

اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي

المجلد الثالث

دار العباصه
الرياض

المكتبة السلفية
القاهرة

الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء العاشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القادر على أن يبعث في هذه الأمة روح حياة جديدة تكون بها أمة
جد وعمل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
وبعد: فإن ربي العلي الأعلى الذي يسر لي الوصول من هذه المجموعة إلى
جزئها العاشر، بعد أن لم أكن أتوقع ذلك عند الشروع في جزئها الأول، هو
القادر على أن يرشدنا إلى طريق الهدى والفلاح؛ فنبلغ من درجات العز والقوة
والسعادة ما نظنه الآن بعيد المنال، وهو ولي التوفيق.

غرة المحرم، ١٣٥٠

محب الدين الخطيب



خُلُق التضحية

تحتاج القوميات- في كثير من مواقفها - إلى أن تغذي حياتها بحياة أفراد منها، فإذا كان خلق التضحية قويا في أبناء الأمة استمدت القومية حياتها من حياتهم، وتقدمت مسرعة نحو مطمحها حتى تبلغه. وحينئذ تنبعث حياة أهل التضحية من جديد فيكتب الله لهم خلود الأبد.

لما نشبت الحرب العظمى كان الانكليز أمة ليس لها جندية إجبارية، ولم يكن لها من أبنائها المتعلمين ضباط كثير و العدد كما للألمان من شبابهم. وما أن نودي في بلاد الانكليز بأن الوطن في خطر، وأنه يحتاج إلى أن تتحول الأمة كلها إلى أمة حربية حتى رأينا الموظف في الحكومة، والعامل في المتجر الكبير، والناعم في قصر الرخاء والثروة، والمنصرف إلى زراعته وضياعه، والمؤلف، والمدرس، والشاعر، والمحامي، يتحولون كلهم في بضعة أشهر إلى ضباط وطيّارين ومحاربين ومديري مكاتب تموين، فيتألف منهم لأمّتهم جيش، وطن رجاله نفوسهم على اقتحام الموت في سبيل الوطن، وما هي إلا بضع سنوات حتى وضعوا بأيديهم أزمة الممالك في مشارق الأرض ومغاربها، واستعملوا قوى الدنيا لفائدة قوميتهم وحياتها. ولو أن أبناء الأمة الانكليزية لم يكن عندهم خُلُق التضحية، ولم يلبوا نداء الوطن في ساعة الخطر من صميم أفئدتهم، لكان من المستحيل أن يكون لهم في الجبهة الفرنسية جيش مؤلف من خمسة ملايين رجل، كلما أبادت منهم نيران الألمان ألفاً نزل من سفائن بحر المانش إلى الساحل الفرنسي ألفٌ غيرهم؛ ليملاؤوا مواقفهم في الخنادق. واستمرت الحال على ذلك إلى أن تغلبت بلادة الانكليز الوطنية على مهارة الألمان الحربية، وقيل يومئذ: ويل للمغلوب!

خُلِقَ التضحية في جمهور الأمة، وانتظام وظيفة القيادة أو الإمامة - في خاصتها، هما مناط نماء القوميات وبقاء الممالك وأن الأمة تفقد خلق التضحية ويختل فيها نظام القيادة محكوم عليها بالفناء لا محالة.

أرأيت - لما أراد الله للإسلام أن تنتشر دعوته من الحرمين الشريفين إلى الصين شرقاً وإلى المغرب وإسبانيا وفرنسا غرباً - كيف كان خُلِقَ التضحية في سكان جزيرة العرب يغذي جيوش خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ثم جيوش قتيبة بن مسلم ومسلمة بن عبد الملك وطارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقي، وغيرهم من أبطال الإسلام، بمئات الألوف من العرب الذين باعوا نفوسهم لله بالجنة، فكان الخليفة يضرب بالألوف منهم قطراً فيقتحمون الموت ويحظى الإسلام من موتهم بالحياة في ذلك القطر، إلى أن أضحوا سادة الأرض بلا منازع.

وهل كانت تكون للإسلام تلك السيادة لو أن أجدادنا لم يكونوا متشبعين بروح التضحية إلى أقصى مدى؟

وكنْتُ حزيناً منكسر الخاطر مقصوم الظهر بما كنت اعتقده من ضياع هذا الخُلُق في أمتنا العربية، إلى أن زال بعض حزني، وانتعشت روحي، واشتد عضدي بما قرأته عن الشهداء الثلاثة^(١) (أنزل الله على جدتهم شآبيب الرحمة والرضوان)، فعلمتُ أننا لا نزال أبناء الرجال الذين حاربوا في صفوف خالد ويزيد وعمرو وعتيبة ومسلمة وطارق والغافقي. ولكن الجوهر أصيب بشيء من الصدا، وللإهود والانكليز الفضل علينا بما جلوا منه في فلسطين، فانكشف عن فولاذ أصيل حسن السبك متين.

(١) فؤاد حجازي، ومحمد مجبوم، وعطا الزير، الذين شُنقوا يوم الثلاثاء ٢٠ المحرم سنة ١٣٤٩ لجهادهم الشريف في دفع عدوان اليهود على حق العرب والإسلام في فلسطين.

ودعك من كلام فؤاد حجازي، فإن فؤادًا شاب متعلم متشبع بروح القومية. بل دعك من أقوال محمد جمجوم وعطا الزير، فإنهما رجلان مؤمنان رأيا أمة كانت ذليلة تتناول على حق صريح لأمة كانت عزيزة، فتحرك فيهما دم النخوة وجاهدا في الله حق جهاده وأعربا عن معاني هذا الجهاد عندما صعد بهما إلى شجرته ليقتطفا ثمرتها.

دعنا من شهدائنا الثلاثة. فإنهم جاهدوا، والجهاد طريق الشهادة، وهم منذ ساروا في الطريق كانوا يعلمون المصير، ويغتنطون بالوصول إليه. ولكن ما قول قارئ في أقوال أم محمد جمجوم ساعة وقفت مع عماد بيتها وفلذة كبدها، تنتظر صعوده أمام عينها إلى المشنقة، ماذا تنتظر من هذه العربية المؤمنة أن تقول في هذا الموقف؟

إن خُلِقَ التضحية الذي كان في أيام خالد وقتيبة والغافقي تجسم في هذه السيدة العربية الكريمة، فقالت لوحيدها وفلذة كبدها:

أتريد يا ابني أن تعزيني؟! . . وأي شيء أشرف من هذه الميتة! لقد مات أبوك ولم يذكره أحد. أما أنت فيكفيني فخراً أن اسمك ملء الأفواه كلها، وأنذكرك يبقى حياً مدى الدوران.

إن أمة في نساها من تقول هذا القول لابنها عند صعوده إلى أعواد الشرف، جديرة بأن تطمئن بأن خُلِقَ التضحية موجودة فيها، فهي لا تحتاج إلا إلى القيادة

ألا إن الصفوف موجودة فأين الامام؟

إن المحراب لا يزال خالياً ويا للأسف. . !



أجدادنا خيرٌ منا

يا حبذا عهد المطا	يا والأزمة والخيام
يا حبذا لك من زما	ن فاض بالمنن الجسام
العرب أمرهم جميد	ع فيه من غير انقسام
يتدفقون إلى العلى	كتدفق السحب الهوامي
ويدافعون عن الحرب	م ويأنفون من الحرام
لله أيام لهم	كانت كأزهار الكمام
أرجت بريها الربى	وهمت لها عين الغمام

دمشق / أحمد عبيد



الغفلتان والمنزلة بين المنزلتين

النوم والقدر والموت كالشيء الواحد، أو ثلاثها أجزاء لشيء واحد؛ فالنوم غفلة تُخرج الحي هنيهة من الحياة، وهو فيها على حالة أخرى، والموت غفلة تُخرجه من الحياة كلها إلى حالة أخرى.

والقدر منزلة بين المنزلتين:

يقع هيناً على أهل السعادة بأسلوب النوم، ويجيء لأهل الشقاء عنيماً في أسلوب الموت. ولن يجلب شيئاً أو يدفع عن نفسه شيئاً من هذه الثلاثة إلا الذي لم يُخلق على الأرض: ذلك الذي يستطيع أن يفتح عينيه على الليل والنهار فلا

ينام، أو يحفظ نفسه على الصغر والكبر فلا يموت، أو يضرب يديه على مدار
الفلك فيمسكه ما شاء أو يرسله.

مصطفى صادق الرافعي



الصاحب المداحي

قصيدة بدوية أجاد ناظمها يزيد بن عبد الحكم ابن أبي العاص الثقفي، وصف
جانبًا من أخلاق بعض الأصحاب، والخطاب فيها لابن عمه عبد الرحمن بن
عثمان بن أبي العاص:

تكاشرني كرها كأنك ناصح	وعينك تبدي أن صدرك لي دوي ^(١)
لسانك لي أريّ وغيبك علقم	وشرك مبسوط وخيرك ملتوي ^(٢)
تفاوض من أطوي طوى الكشح دونه	ومن دون من صافيته أنت منطوي ^(٣)
تصافح من لاقيت لي ذا عداوة	صفاحا وعني بين عينك منزوي
أراك إذا استغثيت عنا هجرتنا	وأنت إلينا عند ففرك منضوي
إليك انعوى نصحي ومالي كلاهما	ولست إلى نصحي ومالي بمنعوي ^(٤)
أراك إذا لم أهو أمرا هويته	ولست ما أهوى من الأمر بالهوي
أراك اجتويت الخير مني واجتوي	أذاك فكل مجتو قرب مجتوي ^(٥)

(١) المكاشرة: أن يدي كل من الرجلين للآخر أسنانه عند التبسم. دوي: ذو ضغن.

(٢) الأري: العسل. والعلقم: الحنظل.

(٣) أي: تنبسط في الكلام عند عدوي، وتنقبض عن أصدقائي.

(٤) انعوى: انعطف.

(٥) الاجتواء: الكره.

فليت كفاً كان خيرك كله
 لعلك أن تنأى بأرضك نية!
 تبدل خليلاً بي، كشكلك شكله
 فلم يغوني ربي فكيف اصطحابنا
 عدوك يخشى صولتي إن لقيته
 وكم موطن لولاي طحت كما هوى
 نذاك عن المولى ونصر عاتم
 تود له، لو ناله ناب حية
 إذا ما بنى المجد ابن عمك، لم تُعن
 كأنك إن قيل ابن عمك غانم
 تملأت من غيظ عليّ، فلم يزل
 فما برحت نفسُ حسودٍ حشيتها
 وقال النطاسيون: إنك مشعر
 فليت امراً لم يدو للنأي عهده
 وشرك عني، ما ارتوى الماء مرتوي
 وإلا فإني غير أرضك منتوي
 فإني خليلاً صالحاً بك مقتوي^(١)
 ورأسك في الأغوى من الغي منغوي!
 وأنت عدوي ليس ذاك بمستوي
 بأجرامه من قلة النيق منهوي^(٢)
 وأنت له بالظلم والغمر مختوي^(٣)
 ربيب صفاة بين إهيين منحوي^(٤)
 وقلت: ألا بل ليت بنيانه خوي^(٥)
 شج أو عميد أو أخو مغلّة لوي^(٦)
 بك الغيظ حتى كدت في الغيظ تنشوي
 تذكك حتى قيل: هل أنت مكتوي
 سلاً! ألا بل أنت من حسدٍ جوي^(٧)
 وعهدك من قبل التائي هو الدوي

(١) القنور: الخدمة. مقتوي (بفتح الميم): خادم.

(٢) طاح: هلك. قلة النيق: ذروة الجبل.

(٣) عاتم: بطيء. الغمر: الحقد والغل. المختوي: الجائر.

(٤) اللهب: الشق في الجبل. المنحوي: المجتمع.

(٥) خوي البناء: سقط.

(٦) شج: حزين. عميد: عمده المرض، أي هذه حتى احتاج إلى أن يُعمد. المغلة: علة في

الجوف. اللوي: الذي في جوفه وجع.

(٧) النطاسيون: الأطباء. مشعر سلاً: لا بس مرض السل على البدن كما يُلبس القميص

(ويسمى شعراً وهو ما ولي الجسد). الجوي: المصاب بالجوى، وهو داء قلبي.

جمعت وفحشًا غيبة ونميمة: خلالاً ثلاثاً لستَ عنها بمرعوي
 أفحشًا وخِبًا واختاء على الندى كأنك أفعى كدية فرّ، محجّوي^(١)
 يدحو بك الداحي إلى كل سوءة فيا شر من يدحو بأطيش مدحوي^(٢)
 أتجمع تسأل الأخلاء ما لهم ومالك من دون الأخلاء تحوي!
 بدا منك غشٌّ طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أمُّ مدوي^(٣)



قدرة الطائر وقدرة الإنسان

القدرة على جو السماء في جناح الطائر، وفي ريش هذا الجناح، وفي قوة هذا الريش. والقدرة على السماء نفسها في عمل الإنسان، وقيمة هذا العمل، وصحة هذه القيمة.

مصطفى صادق الرافعي



أم مدوي

كان في العرب عجوز عاقلة فصيحة، لها ابن أحق، وقد أردأت يوما أن تزوجه، فخطبت له فتاة من العرب، فجاءت أم الفتاة إلى أم الغلام تنظر إليه.

- (١) الخب: الخداع والمكر. الاختاء: التقبض. الكدية: الأرض الصلبة. المحجّوي: المنطوي.
 (٢) يدحو الداحي: يرمي الرامي. والمدحوي: المرمي.
 (٣) أم مدوي: امرأة لها قصة. انظرها بعد هذه القصيدة.

وفيما هي عند أمه دخل عليهما الفتى وسأل أمه : هل أدوي؟
 أي هل آكل الدُّواية، وهي قشطة اللبن . ولما كان ذلك يدل على الشراهة،
 أرادت أمه أن تستر حماقة، فقلبت سؤاله إلى معنى آخر، وقالت له :
 اللجام معلق بعمود الخيمة، والسرج في جانبه ..
 وبهذا الجواب أوهمت أم الخطيبة أن ابنها أراد أداة الفرس للركوب، فكتمت
 زلة ابنها عن ضيفتها .
 ومن ذلك اليوم ضربت العرب المثل بأم مُدوي لمن يوري بالشيء عن غيره .
 وقد أوردنا هذه القصة تفسيراً للبيت الأخير من القصيدة التي تقدمت .



فؤاد حجازي يتكلم

ومثُ من الحديد أشد قلبا	حلا لي مرُ هذا الموت صلبا
وتنشر عبرتي شرقا وغربا	يبترد مهجتي دمع العذارى
يفيض ويلتظي شرقا وحبا	أنا القلب الفؤاد لكل صدر
وكانت ثورة وأردتُ حربا	ولم تسفك دماء الناس كفي
إلى أعدائهم، والنفس غضبي	دعوتُ الموت - حب حياة قومي -
فداها، وهي عند الله قُربى	غضبت لأمتي، ومضت حياتي
وحي العرب حيا الله عُربا	سلامًا زائري حيتك روعي

وديع البستاني



أشجع وأشرف جنود في العالم شهادة قائد ألماني لجنود العرب

تحدث الأديب السيد فؤاد الميداني (الذي يترجم مذكرات جمال باشا ترجمة جديدة صحيحة) إلى القائد الألماني الجنرال فون كرس، وقد جاء في حديثه ما يلي:

جاء في مذكرات جمال باشا أنكم لم تثقوا بالفرقة ٢٧ لأنها مؤلفة من جنود العرب؟

- هذا خطأ فاحش، إنني لم أثق حقًا بهذه الفرقة؛ لأنها فرقة غير صالحة، وكان من الضروري إلغاؤها. أما القول إنها فرقة عربية، فهذا خطأ؛ لأنني أحني رأسي احترامًا للفرقة ٢٥ المؤلفة من العرب، والتي خاضت غمرات القتال ببسالة لم أشهدها من جند على وجه الأرض.

- ما رأيكم في الجنود العرب؟

- إن الجنود العرب كانوا في الحرب العالمية في حالة مؤثرة من الجوع والتضييق؛ ولو أعطوا المعدات الواجب إعطاؤها للجندي؛ لكانوا أبسل وأقوى وأشجع وأشرف جنود في العالم. وهذه حقيقة لا أقولها لكم لأنكم من العرب ولأنني في بلاد عربية، بل أقولها للحقيقة والتاريخ؛ وسأذكرها في مذكراتي التي سأنشرها.



أمة الحرية والفروسية شهادة رسمية للعرب

لما مثل الدكتور ادوار ماشنسكي (مندوب الجمهورية البولونية لدى حكومة الحجاز) بين يدي الملك ابن السعود في جدة ليقدم له أوراق اعتماده. ألقى على مسامع جلالة خطبة قال فيها:

إن مملكة بولونيا تعرف جيداً الأمة العربية الجسورة وفروسيته، وتقدرها حق قدرها، وقد اشتهرت في العالم بحبها للحرية، حتى بلغت شهرتها إلى بولونيا، فتغنى شعراؤها منذ العصور السالفة بفروسية هذه الأمة الكريمة.

إن الأمة البولونية تُقدر هذه الفروسية وهذا الحب للحرية، لأنها هي أيضاً قاتلت متفانية لنيل استقلالها، وتحملت آلاماً ومتاعب كثيرة لبلوغ غايتها من الحرية المنشودة. وقد كانت حياتها في خطر، ولكنها استطاعت أن تحافظ على كيانها حتى أصبحت مملكة قوية يتمنى العالم كله هدوءها وسكونها للمحافظة على السلام العام.

أقدم هذا التقدير وهذه الممنونية التي تحفظها الأمة البولونية نحو الأمة العربية الكريمة، ونحو جلالتهم الذي جمعتم هذه الأمة العربية وكونتم مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها العظيمة على يدكم، المنصورة بسعيكم النادر، وحكمتهم النافذة، وشجاعتكم الشخصية، التي هي أكبر ما تقدره الأمة البولونية.



الفتح في عامها الخامس

صحيفة الحق قد أديت ما وجبا
لا غرو أن تظفري، فالله جل ثنا
فأبشري بثواب من لدنه فقد
أعلنت حرباً على الإلحاد طاحنة
وَصَلَّتْ صولة جبار أضعف بها
أفسدت بالحملة الشعواء خطته
يرمي بخفي حنين طغمة ذهبت
بكى أبالسة التبشير خبيتهم
وبلبلوا الثرب جهد الدمع إذ شهدوا
وبات أشياعهم من ملحميه بما
ظنوا أسود الشرى ألوى بهم خور
وأن ركن الهدى أنحت بمعولها
أقام من صرحها العالي ومد لها
وأيد الدين تأييداً بها، فإذا
أما تراها - ووجه العصر منصرف
وتعلن الصدق لا تخشى المغبة في
وتقذف الزيف بالبرهان يدمغه
وتبرز الدين في الروح التي رفعت
تلك الحياة التي فاض الكتاب بها

علا الرشاد، وبهتان الهوى وجبا
للمؤمنين عليه النصر قد كتبنا
أوجب، وارتقبي من فيضه سُحبا
أتبع فيها برأس الحية الذنبا
على المبشر من دنياه ما اكتسبا
فارتد بعدو على أعقابهِ هربا
أحلامها حينما كالت له الذهبا
في الشرق لما رأوا طرف الرجاء كبا
جهودهم فيه طارت في الهواء هبا
سيموا من الخزي تمثالاً لمن نُكبا
عن الصيال، وأن الغيل قد خربا
عليه هدمًا فنون الغرب فاضطربا
من كل شيء يؤدي للعلى سببا
تنمر الخطب كانت جيشه اللُجبا
عنها - توالى السرى لا تشتكي تعباً
وقت تنطع في تكريم من كذبا
وعن مرايه فينا تهتك الحجبا
من العراء لأوج الرفعة العربا
فنال من وأدها التخريف ما طلبا

فيا لسان الهدى في أمة نزلت
 أباحها الله معراج الرقي فلم
 وضعت حقه وهو الحقيق على
 ويا مجالاً لأرياب النُّهى نشروا
 فأوفضوا يذرعون الأرض تحسبهم
 ييغون نزع الهدى من خير أفئدة
 تألفت حوله أشتاتها، فإذا
 ضلوا، فريح الهدى في الشرق ما ذهبت
 ولن يتال العدا مهما أُتيح لهم
 فليخسأ الكفر والإلحاد، وليلجا
 ولا يسوما الهدى في دار عزته
 فإن من خلفه أسداً إذا زارت
 توارثت عن غرار السيف حدثها
 وقادة للنهى ما قال قائلهم
 ثري بهم أرضاً، حتى تظل ترى
 والله من بعد، بل من قبل، يكلوه
 فإنه رحمة منه أزاح بها
 ومنحة من لدنه وهو أكرم من
 وكيف نخشى على الإسلام نازلة
 فكم له - جل - أي في حمايته
 أظلك الخامس الميمون من حُقب
 سلخت أيامها لا تبتغين بما

عن غارب المجد بينا خصمها ركبا
 تُقبل عليه وساء الجهل منقلباً
 أن يسترد لها أضعاف ما ذهب
 به الحياة وبثوا العلم والأدبا
 قطعان أكلب تشكو الجوع والكبأ
 لم تدخر للعلی غیر الهدی سبیا
 باهت بأنسابها تاهت به نسباً
 وحوضه العذب - لا والله - ما نضباً
 من رَبعه الخصب في سودائه أرباً
 باباً إلى الرزق لا يستنزل الغضبا
 حرباً إذا لقحت كانا لها سلباً
 طارت قلوب العدا من بأسها رهبا
 فليس تعرف غير المشرفي أبا
 إلا رأيت السنا من فيه منسكبا
 صحراءها تُنبِت الزيتون والعنبا
 بعينه ويقبه السوء والعطبا
 عن خَلقه الظلم والآصار والكُربا
 أن يسترد من النعماء ما وهبا
 والله في حفظه قد أنزل الكتباً
 ألا ترى (الفتح) من آياته عجا
 قطعتها في ميادين العلى دأبا
 لاقيت أثناءها مالاً ولا نشبا

لكن لترمي خصوم الحق عن كذب
وها هو النصر قد لاحت بوادره
فاستقبلي الخير في وضاح طلعه
وابقي لواء لهذا الدين ترفعه
لا يقعدنك عن بذلٍ وتضحية
فإنها غفوة رانت سيعقبها
أثاب ربك رب العرش جنته
وخص بالفتح من في فتحه كتب

محمد حسن النجمي



الحطيئة الشاعر بين الزبرقان وبني أنف الناقة

قدم الزبرقان على عمر رضي الله عنه، في سنة مُجدبة ليؤدي صدقات قومه؛ فلقبه الحطيئة بقرقرى، ومعه ابنه - أوس وسودة - وبناته وامراته، فقال له الزبرقان - وقد عرفه، ولم يعرفه الحطيئة-:

أين تريد؟

فقال: العراق، فقد حطمتنا هذه السنة!

قال: وتصنع ماذا؟

قال: وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مؤنة عيالي وأصفيه مدائحي!

فقال له الزبرقان: قد أصبته، فهل لك فيه يوسعك تمرًا ولبناً، ويجاورك

أحسن جوار؟

قال: هذا والله العيش، وما كنت أرجو هذا كله! عند من؟

قال: عندي

قال: ومن أنت؟

قال: الزبرقان.

فسيره إلى زوجته هنيذة بنت صعصعة المجاشعية، وكتب إليها: أن أحسني إليه وأكثرني له من التمر واللبن، فأكرمته زوجة الزبرقان حينًا وأحسنّت إليه.

وكان الحطيثة دميمًا سيء الخلق، فهان أمره عليها فيما بعد وقصرت به؛ فبلغ ذلك بغيض بن عامر، من بني أنف الناقة، وكان ينازع الزبرقان الشرف، فأرسل بغيض وإخوته إلى الحطيثة: أن اتنا. فأبى وقال:

شأن النساء التقصير والغفلة، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها!

والحوا عليه فقال: إن تركت وجفيت تحولت إليكم، وأطمعوه ووعدوه وعدًا عظيمًا. ودسوا إلى زوجة الزبرقان: أن الزبرقان يريد أن يتزوج ابنته مليكة - وكانت جميلة -، فظهر منها جفوة. والحوا عليه في الطلب. فارتحل إليهم، فضربوا له قبة، وربطوا بكل طنّب من أطنايها حلة هجرية، وأراحوا عليه إبلهم، وأكثروا عليه التمر واللبن.

فلما قدم الزبرقان سأله عنه، فأخبر بقصته؛ فنادى في بني بهدلة بن عوف، وركب فرسه وأخذ رمحه، وسار حتى وقف على القريعيين، وقال:

ردوا علي جاري!

قالوا ما هو لك بجار، وقد اطرحت وضيعته!

وكاد أن يقع بين الحيين حرب. فاجتمع أهل الحجة وخيروا الحطيثة، فاختر بغيضًا؛ وجعل يمدح القريعيين من غير أن يهجو الزبرقان - وهم يحرضونه على

ذلك وهو يأبى -، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط، يقال له دثار بن شيان، فهجا بغيضًا وفضل الزبرقان، فقال من جملة أبيات:

وجدنا بيت بهدلة بن عوف تعالى سمكه ودحا الفناء
وما أضحى لشماس بن لاي قديم في الفعال ولا رياء
سوى أن الحطيئة قال قولاً فهذا من مقالته جزاء
ولما سمع الحطيئة هذا، ناضل عن بغيض، وهجا الزبرقان، في عدة قصائد؛
منها قوله:

والله ما معشر لاموا امرءاً جُنُباً^(١) من آل لأي بن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيض، لا أبا لكم! في بائس جاء يحدو آخر الناس^(٢)
لقد مريتكم لو أن درتكم يوما يجيء بها مسحى وإيساسي^(٣)
فما ملكث بأن كانت نفوسكم كفارك كرهت ثوبي وإلباسي^(٤)
حتى إذا ما بدا لي غيت أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسي
أزمعت يأساً مبيتاً من نوالكم ولن ترى طارداً للحر كالبايس
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة عاش في مستوعر شاس^(٥)
جاراً لقوم أطلوا هون منزله وغادروه مقيماً بين أرماس^(٦)

(١) غريباً.

(٢) أراد بالبايس نفسه.

(٣) يقال: مريت الناقة: أي مسحت ضرعها لتدر اللبن. والدرّة: اللبن. والإيساس: أن تقول للناقة عند الحلب: بس، بس. لتسكن.

(٤) الفارك: المرأة المبغضة لزوجها. كرهت ثوبي: أي كرهت أن تدخل معي في ثوبي، وأن تدخلني في ثوبها.

(٥) المستوعر: المكان الوعر. الشاس: المكان المرتفع الغليظ.

(٦) أي كالميت بين الأموات.

ملوا قراه، وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يُعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ما كان ذنبي أن فلت معاولكم من آل لأي صفاة أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاسي^(١)
ولما بلغ الزبرقان هذا الشعر استعدى عليه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال
عمر:

ما أراه هجاك، ولكنه مدحك.

فقال: سل حسان بن ثابت.

فسأله، فقال حسان: هجاء وسلح عليه!

فحبسه عمر. وتكلم فيه عمرو بن العاص بعد حين؛ فأخرجه عمر بن الحبس
وقال له:

إياك وهجاء الناس!

قال: إذا يموت عيالي جوعاً! هذا مكسبي، ومنه معاشي!

قال أسلم: أرسل عمر إلى الحطيئة - وأنا عنده؛ وقد كلمه عمرو بن العاص
وغيره فأخرجه من السجن - فأنشده:

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرخٍ زُغب الحواصل لا ماء ولا شجر!^(٢)
القيت كاسبهم في قعرٍ مظلمة فاغفر، عليك سلام الله يا عمر!

(١) الأنكاس: جمع نكس: وهو السهم يقلب فيجعل أسفله أعلاه، إذا انكسر طرفه.

(٢) الأفراخ: أراد بهم أطفاله الصغار. وذو مرخ: واد بالحجاز. زُغب الحواصل: لا ريش لها.

فبكى عمر ثم قال: عليّ بالكرسي؛ فجلس عليه وقال: أشيروا علي في الشاعر، فإنه يقول الهجو ويشبب بالنساء، وينسب إليهم ما ليس فيهم ويذمهم، ما أراني إلا قاطعا لسانه!

ثم قال: علي بطست؛ ثم قال: علي بالمخصف، علي بالسكين، بل علي بالموسى!

فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين؛ وأشاروا عليه أن قل: لا أعود. فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين.

ولما أطلق عمر رضي الله عنه الحطيئة، أراد أن يؤكد عليه الحجة؛ فاشترى منه أعراض المسلمين جميعًا بثلاثة آلاف درهم. فقال الحطيئة في ذلك:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتمًا يضر ولا مديحًا ينفع
وحميتني عرض اللثيم فلم يخف مني، وأصبح آمنًا لا يفزع
وبغيض هو ابن عامر بن شماس بن لاي بن أنف الناقة؛ وأنف الناقة اسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم.
والزبرقان اسمه حصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب.

وإنما لُقِب جعفر أنف الناقة، لأن أباه نحر جزورًا، فقسمها بين نسائه؛ فقالت له أمه - وهي الشموس من بني وائل بن سعد هذيم -:

انطلق إلى أبيك فانظر هل بقي عنده شيء؟
فأتاه فلم يجد إلا رأسها؛ فأخذ بأنفها يجره.

فقالوا: ما هذا؟

قال: أنف الناقة.

فسمي أنف الناقة .

وكان آل شماس في الجاهلية يعتزون به ويغضبون منه . ولما مدحهم الحطيئة فقال :

قومٌ هم الأنف، والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
قوم إذا عقدوا عقدًا لجارهم شدوا العنّاج وشدوا فوقه الكُربا
صار فخرًا لهم . وإنما مدح منهم بغض بن عامر .

وأراد بأنف الناقة بغضا وأهل بيته ، وأراد بالذنب الزبرقان وأهل بيته .

قال ابن رشيّق - في باب من رفعه الشعر ومن وضعه ؛ من العمدة - : كان بنو أنف الناقة يفرقون من هذا الاسم ، حتى إن الرجل منهم كان يسأل : ممن هو ؟ فيقول : من بني قريع . فيتجاوز جعفرًا أنف الناقة ويلغي ذكره ، فرارًا من هذا اللقب ، إلى أن قال الحطيئة هذا الشعر ، فصاروا يتناولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة !



كلام الملوك

* كان يزيد بن الوليد يقول : «أخاف على نفسي الكمال ، وعود الشرف ، وآفة السؤدد» ، فملك خمسة أشهر .

* كان مروان بن محمد يقول : كنزنا الكنوز ، فما وجدنا كنزًا أنفع من معروف في قلب حر .



محمد ﷺ يبكي

أخرج ابن إسحاق، والبيهقي في الدلائل، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن قريشاً أتت أبا طالب فكلمته في النبي ﷺ؛ فبعث إليه فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا، فأبقي علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فطن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله، فقال: «يا عم، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك في طلبه»^(١).

ثم استعبر، فبكى رسول الله ﷺ، فبكى.

فلما ولى قال له عمه - حين رأى ما بلغ من الأمر برسول الله ﷺ - .
يا ابن أخي، امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

وقال أبو طالب في ذلك هذه الأبيات:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا!
فاصدع بأمرك، ما عليك غضاضة	وأبشر بذاك وقر منه عيونا!
ودعوتني وزعمت أنك ناصح	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا!

(١) ضعفه - بهذا اللفظ - : الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩٠٩). وحسنه بلفظ: «ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تُشعلوا لي منها شعلة - يعني الشمس -». «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٢).

وعرضت دينًا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينًا!
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحًا بذاك مبينا!



الأخلاق المحمدية

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
لو لم تُقم دينًا لقامت وحدها
زانتك في الخلق العظيم شمائل
فإذا رحمت فانت أم أو أب
وإذا غضبت فإنما هي غضبة
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما
وإذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمةً ووفاء

أحمد شوقي



الناس

من مقصورة ابن دريد المشهورة

والناس كالنبت: فمنه رائق
ومنه ما تقتحم العين فإن
يُقومُ الشارخ من زيفانه
غض نضير عوده مُر الجنى
ذقت جناء انساغ عذبًا في الله
فيستوي ما انعاج منه وانحنى

والشيخ إن قومه من زيغه لم يُقم التشقيف منه ما التوى
كذلك الغصن: يسير عطفه لدنًا، شديد غمزه إذا عسا
من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعز فيهم جانباه واحتمى
وهم لمن لان لهم جانبه أظلم من حيات أنباث السفى
عبيد ذي المال، وإن لم يطعموا من غمره في جُرعة تشفي الصدى
وهم لمن أملت أعداء وإن شاركهم فيما أفاد وحوى



الناس

ومن شعر لعبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني:
والناس أولاد علات فمن علموا أن قد أقل فمهجورٌ ومحذور
وهم بنو الأم لما أن رأوا نشبًا فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرنٍ فالخير متبع والشر محذور



بلاغة العرب

قال أبو حيان التوحيدي: قلت لأبي سليمان المنطقي:
-هل بلاغة أحسن من بلاغة العرب؟

فقال: هذا لا يبين لنا إلا بأن نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق، ثم
نضع القسطاس على واحدة واحدة منها، حتى نأتي على آخرها وأقصاها؛ ثم
نحكم حكمًا بريئًا من الهوى والتقليد والعصبية والمين، وهذا ما لا يطمع فيه إلا

ذو عاهة . ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من أهلها ، أعني من أفاضلهم وبلغائهم ، فعلى ما ظهر لما وُخِّل إلينا لم نجد لغة كالعربية . وذلك لأنها أوسع مناهج ، وألطف مخارج ، وأعلى مدارج . وحروفها أتم ، وأسمائها أعظم ، ومعانيها أوغل ، ومعارضها أشمل . ولها هذا النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل . وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا ، وصحب أذهاننا من كلام أجناس الناس ، وعلى ما تُرجم لنا أيضًا من ذلك .



حكم

لأبي سليمان المنطقي المتوفى في حدود سنة ٣٨٠ هـ

- * بالاعتبار تظهر الأسرار .
- * بتقديم الاختبار يصح الاختيار .
- * لو لم يكن في النوم من الحكمة إلا أنه شاهدٌ على المعاد لكفى .
- * من ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره .
- * فضيحة حسيب لا أدب له ، أفضع وأشنع من فضيحة أديب لا حسب له .
- * نحن نقضي ما علينا ، ونجتهد فيما لدينا ، ويجري الدهر بما شئنا أو آيينا .
- * النظم أدل على الطبيعة ؛ لأن النظم في حيز التركيب ، والنثر أدل على العقل ؛ لأن النثر في حيز البساطة .
- * إنما يخرج الزبد من اللبن بالمخض ، وإنما تظهر النار من الحجر بالقدح ، وإنما تُستبان النجاة من الإنسان بالتعليم .

- * من نشأ بالراحة الحسية فاتته الراحة العقلية.
- * العاجلة تنصرم، والآجلة تدوم.
- * كل خير حسن، وليس كل حسن خير.
- * الغضب يتحرك من داخل إلى خارج، والحزن يتحرك من خارج إلى داخل.
- * الخير على الحقيقة هو المراد لذاته، والخير بالاستعارة هو المراد لغيره.
- * الدنيا نار ذات دخان، فلو سلوت عن صلاتها لدخانها لكان أجدى وأسلم.
- * الحواس مهالك، والأوهام مسالك، والعقول ممالك.
- فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك، ومن قوي على المسالك أشرف على الممالك، شرفاً وأوصله إلى المالك.
- * نحن نساق بالطبيعة إلى الموت، ونساق بالعقل إلى الحياة، لأن الذي هو بالطبيعة قد أحاطت به الضرورة، والذي بالعقل قد أحاط به الاختيار.
- * لا يصح الاستسلام إلا بطيب النفس فيما لا حيلة في دفعه.
- * من التمس الرخصة من الإخوان عند المشورة، ومن الفقهاء عند الشبهة، ومن الأطباء عند المرض، أخطأ الرأي، وتحمل الوزر، وازداد سقمًا.
- * من أراد أن يجود على الناس كلهم فلينو لكلهم خيرًا.
- * النفس تدبر أولي الأبواب، والطبيعة أولي الغفلات، والفكرة في مرآة النفس يريها خيرها وشرها.
- * ظن العاقل كهانة.
- * خدم الملوك خزان أراوحهم.
- * من أحب أن لا تجري عليه أحكام الفلك، فليجد سقفاً غير هذا السقف.

أصل كريستوف كولومبس

يؤكد المؤرخ الأسباني كاراراس فالي في بحوثه الدقيقة عن كريستوف كولومبس مكتشف أمريكا أنه ولد في جزيرة أرواد في السواحل الشامية. وأنه من أسرة نزحت من جنوى عام ١١٨٤م (٥٨٠هـ)، وأقامت في جزيرة أرواد تجاه ثغر طرطوس، وبعد مضي ثلاثمائة سنة على توطنها قرب ساحل سوريا وُلد لها كريستوف كولومبس في سنة ١٤٥٢م (٨٥٦ هـ)، وبقي إلى الثامنة عشرة من عمره، وكان الحكم يومئذ في تلك الجهة للصليبيين، فازداد ظلم الملك يوحنا الثاني الصليبي على سكان طرطوس وما يتبعها، فهاجرت أسرة كريستوف كولومبس إلى أسبانيا هربًا من ظلم ذلك الملك الجائر. ومنها خرج قاصدًا الهند فاكشف القارة الأمريكية.



يا طير! في القدس لنا إخوة

لا يألف القلب الشجي المتاب	ولا تجيد الشكو إلا المصاب
وذلك النشوان أن تلقه	ندمان فاعلم أنه ما أناب
آلامه تكاد تودي به	ووجده في ثورة والتهاب
ودمه يجري على خده	مخدًا مجراه منه الإهاب
نضو أمان كلما رُدَّت	سرى نشاطًا أو مضى كالشهاب
ما كان للذكرى سوى جازع	يراح للذكرى قليل العذاب

يا طير! ما غردت رأد الضحى
تبكي على إلفك ضيعة
لو كنت ذا عقل لما شككت
شتان بين النفس تحيا بلا
وهذه الأيام في سيرها
يا طير! في القدس لنا إخوة
والمسجد الأقصى له رنة الـ
كم طفلة في ظله غضة
ووالد يبكي على ولده
وكم بناء شامخ هدمت
معاهد كانت مراد الصّبا
أسود خفان حموا حوضها
باعوا دماهم في سبيل العلى
فقل لمن يطمع في ظلمهم:
بني يهود أقصروا خطوكم
يا طير! إن الناس قد أقسموا
أحبابنا يمشون ما بيننا
حبّ قديم لا أرى مثله
يا ليتنا ندري بما أضمرنا
كل امرئ رهن بما قدّمت
هنا بلاد بالدماء جُللت
وذي بلاد جللت مُطرُقًا

إلا لداءٍ موجه قد أذاب
أم أنت تبكي ذلك المجد غاب
نفسى بندب الطير عصر الشباب
هم وبين النفس فيها اضطراب
شتى فقد تجوى وقد تستطاب
أضحى جِماهم نهبة للذئاب
ثكلى تنادي للعذاب المذاب
أشلاؤها أنحت عليها الكلاب
وذي أسى لا يستطيع الجواب
معاول الظلم ذراه الرحاب
ومنزل للمجد رحب الجناب
بهمة وثابة واحتساب
فأصبحت في عينهم كالخضاب
أخطأت يا هذا فعد للصواب
لقد مضى عهد الصّبا يا ربّاب
أن أمانينا علينا صعب
كمانحي الود ذوات الخضاب
إلا الذي بين الشوى والذئاب
لنا فنجزهم جزيل الثواب
يداه فاستحضر غدا للحساب
تلقى بنيتها طعمة للحراب
ذكرنا مرآه وقت الغياب

يا طيرا! هل تمنحني برهة
أطير من قدس إلى دجلة
واجتلي الآي وحيدًا على
فنفحة الروض تجدُ القوى
ومنظر الأنهار مناسبة
لعلها لابسةٌ لم تزل
لعلها محفوفة لم تزل
أيام أن تصرخ فتاة بوا
أيام نجلوها بلا رقبة
مطالب تشأو نجوم السما
وأنفسٌ للمجد تواقه
يا طيرا! لو تدري بأمنيتي
وأنت لا تدرك وجدًا على
ولا مُذيل للمنى عبرة
وإنما أنت أخو نبأة
أحبها منك ولو مزقت

منك الجناحين فأرقى العقاب
إلى الصفا فالمنحنى فالمصاب
أجارع القفر وأعلى الهضاب
ولفحة القفر تثير اللهاب
يحيي موات الحي فعل الشراب
من بعد أهلها قشيب الثياب
تحمي بها الآساد ظل السحاب
معنصمها! جاءها والجواب
ونحتسي أكؤسها لا تهاب
تلك المغاني من رُواها يباب
والمجد يُغري نضوه كالجاب
بلغتنيها هازغًا بالطلاب
نجم تردى واستحل التراب
ولستَ بالعاني لمرأى السلاب
تبعث في كل فتى ما استطاب
قلبي وهاجت داعي الانتخاب

عمر يحيى



الجزع

كان سقراط يقول:

الجزع سقام القلب، كما أن المرض سقام البدن. ومن ميّز الدنيا لم يجزع لبلاء.

بكاء المناير رثاء العلامة أحمد تيمور باشا

قصيدة الأمير شكيب أرسلان أديب الشرق الأكبر في رثاء أحمد تيمور باشا في القاهرة

يساورني طول الدجى وأساوره
ولولا التقى ناديت يا حبذا الردى!
لعمرك ما بالعيش إربّ لعائل
تسلسل آلام، وترداد محنة
وخيبة آمال وفقد أعزة
ليهنك يا تيمور أنك جزتها
وفارقت داراً لا يزال قطينها
فإن تك عقبى الدار قسمة فاضل
تخطتك في ذا الخطب داعية الرثا
جدير بأن يُرثى الذين تركتهم
يسائل بعضاً بعضهم: أين أحمد
فأنتى لهم تلك الخلائق بعده
وأنى لهم تلك السكينة والنهى
يريدون في ذا العصر ندّاً لأحمد
ينوحون نوح الثاكلات فكلهم
على سيد في جنبه كل سيد
على ملك في صورة بشرية

مُلال وطرفي ساهد الليل ساهره
وقلّت متى تُلقى إليّ بشائره؟
توغل في علم الحقيقة خاطره
تراوحه في كربها وتباكره
وبعد طوال السجن فالموت آخره
إلى ملا لا يعرف الموت زائره
يفكر في الهول الذي هو غامره
فأقصى أمانيك الذي أنت صائره
ولكنها صارت إلى من تغادره
يصابر كلّ منهم ويصابره
وأحمد قد ضمتّ عليه حفائره
وأنى لهم من ذلك الوجه ناضره
إذا عصفت من أي خطب أعاصره
وأحمد فذّ مفرد الخلق نادره
تدفق عن مثل السيول محاجره
يظل ضئيلاً باديات مفافره
تعدته من هذا الوجود صفائره

إذا ما جرى في أي ناد حديثه
حري بأن الشرق يُظلم أفاقه
وتنكس رايات الفضائل كلها
فمن بعده للعلم تنشق حجبه
وللغة الفصحى يصون ذمارها
صباياته في حُسنها وسهاده
وذوق جناها غبقة وصبوحة
أوابدها طراً لديه أنيسة
أقام لسان العرب فيما هوى به
ولو كان في عصر المؤلف لم يكن
ولو كان قد وافى الصحاح مصححاً
وكان كتاب العين قد غاب جملة
ولو كان في القاموس لجَجَّ ما طما
ولو أن رب التاج عاش بعصره
ولو شمل المصباح يوماً بنقده
مدى ليس فيه من يشق غباره
فقد غُيبت تلك الفضائل كلها
وبات يُبكي كل صابٍ إلى العلى
أحمد لا تبعد فني كل مهجة
لئن بنت عنا لم تزل متمثلاً
رحلت إلى الدار التي أنت أهلها
ولا بأس من هول الحساب على امرئ

تقول فتيت المسك شبت مجامره
لمنعه والإسلام تبكي منابره
عليه، وترخي للكمال ستائره
ويسلس عاصيه ويسهل واعره
وتملأ فيها الخافقين مآثره
ومن كتبها أعلامه وذخائره
وجوب فلاها روضه وأزاهره
وشُردها من كل في معاشره
ولولاه حتماً ما أقيلت عوائره
لديه ابن منظور بكفء يُناظره
غلت فوق عهد الجوهري جواهره
عن العين لو أن الخليل معاصره
وما كان إلا كالرُقارق زاخره
لحل من التاج الذي هو ضافره
لخلاه ملقى ليس يزهر زاهره
وطائلة ما إن بها من يجاوره
ودارت على ذاك النبوغ دوائره
وكان حري أن لا تجف بوائره
ولاؤك عقد محكمات أواصره
عليك احتوت من كل شخص ضمائره
مكانك فيها مشرق الوجه سافره
له زرد من نسج أيديه ناصره

عليك سلام الله ما لاح بارق وجاد ثراك الغيث ما سح ماطره
على الناس دين من ثنائك لازم يؤدونه ما يذكر الحق ذاكره



كما يرى مفرغاً في جسمه السبع

قصيدة الشاعر الكبير مصطفى صادق الرافعي في رثاء العلامة أحمد تيمور باشا

لا الصبر عنه يعزينا، ولا الجزع
مصائب الموت كالتقليد في نسق
يا ضربة الموت ما باليت أن تقعي
على الذي كان حصن (الضاد) بمنعها
حصن بأسواره أنصارها احتشدوا
رأس على الصخر من دين ومن خلق
وما الهوينا لذاك الدين غامرة
ومن يكن لدفاع (الضاد) منجردا
وليجف مثل جفاء القفر ممتنعا
وليدرع صدره الصحراء كاشرة
قالوا أتى الليث حلاق يُعلمه
يا ليث قلها لذا الحلاق زمجرة
يا ليث قلها لذا الحلاق همهمة
يا ليث قلها لذا الحلاق دممة
لو كل مزمار فن عندنا خيث
ولا التجلد مغنيا؛ ولا الفرع
أما مصيبتنا هذي فتُخترع
على امرئ فيه بنيان لنا يقع
إن لم تجد صدر حر فيه تمتع
وحول أسواره أعداؤها انصرعوا
فليس يُعرف صخر منه يُقتلع
ولا التراخي بذاك الخلق ينصدع
فليتصب كالرواسي فيمن اتضعوا
على المذلة في أخلاق من خضعوا
لمن بسفاسف أوربا قد أدرعوا
قص الأظافر تجميلاً كما ابتدعوا
إن المخالب في كفي هي الشبع
زدني مقصك ظفراً منه أنتفع
الظفر لليث بالدنيا وما تسع
لنا به مدفع فنانه يشع

إذن لكنت لنا بين الورى لغة
 قل للمصافير في منقارها نغم
 ويح الفضائل من باغين لونهم
 يجددون لنا أخلاقنا زعموا
 يا من يحطم بلورًا لسمع من
 (تيمور) لو قلت في إنسانه ملك
 من الرجال المصاييح الذين همو
 أخلاقهم نورهم؛ من أي ناحية
 يحقق العلم في إنسانه مثلاً
 دين تفرغ في جسم فوقه
 يا جهل من ظن أن العلم غايته
 ما العلم إلا حدود العقل تحبسه
 أي العجائب في ضدين قد جُمعا
 للناس أخضعت الفاني عقولهمو
 يا راية اللغة الفصحى تقدسها
 فقي قلوب يقوم الدين يحرسها
 فدتك نفسي قرآنية رفعت
 وللنبي عليها لم يزل نفس
 لكاد والله في التنزيل قارنه
 إن النبي لحي في ضمائرنا
 فكيف تفتننا الأيام عن لغة
 صحائف (كُنُفَراف) الملائك إن

متى تقل قولها في العالم اقتنعوا
 منقار نسرك ما غنى ويبتلع
 هوى أوربا فهم ناس وهم بقع
 ضروا لنفع؛ فقد ضرروا وما نفَعوا
 أنغامه؛ ويلك اسمع إنه قطع
 لكان حسيك منه الطهر والورع
 كأنهم من نجوم حية صنعوا
 أقبلت تنظر في أخلاقهم سطعوا
 من قوة الدين: لا زيف، ولا بدع
 كما يرى مفرغاً في جسمه السبع
 شكّ وزيف وإنكار لما شرعوا
 والدين من خلفها بالعقل يتسع
 في العقل والسلب بالإيجاب مجتمع
 والناس للخالد الباقي بها خضعوا
 على منابرها (الآحاد) و (الجُمع)
 وفي قلوب يقوم الحب والولع
 بكف جبريل ما في مسها طمع
 حي ومن وجهه في نورها لمُع
 يحس صوت رسول الله يرتفع
 على الزمان يرى منها ويستمع
 كتابها فيه صوت الوحي منطبع
 أنطقها أقبلوا في الصوت واطلعوا

تالله ما ناصب الفصحى سوى رجل
وقاحة المكر تأبى من طبيعتها
بالمكر يخدع أو بالجهل ينخدع
كم أجنبي غريب بات يحفظها
وكم ترى من بينها ذا مكاشرة
يا قوم لن يستحي مستنقع وخم
ردعًا وللجهل طبع ليس يرتدع
كحفظ عينيه أن يغشاهما الوجع
لسانه كلسان النار يندلع
إذا جرت حوله الأنهار والترع



نحن جند الرباط

حادي الموت ينظم الأرض وتُحدا
نحن جند الرباط: تغدو ولا يم
قد بلغت المدى، فأيان تُرسي
لم منا مُصبح أين بمسي
بين جند من الصحائف حُمس
وأصيب البيان فيك بمس
يا شهيدًا في حومة العلم أودى
لطمت خدها عليك القوافي
عبد الله عفيفي



دمعة مسلم

مرثية الأستاذ النجمي - في أحمد تيمور باشا

خطب العروبة فيك ليس بطاق
وحريقة التاريخ فيك لعمره
والرزء رزء الدين فيك وأهله
سارت جنازتك المهيبة، والأسى
سهر الجوى ذراتها فإذا بها
تمشي بها من حول نعشك أمة
مُنيت بعائرة المنى، فهلّالها
وتعودت ثكل البنين فوجدها
في كل يوم للحوادث جولة
لا يخطئان العاملين فهديهم
فكأنما بين المنون وربّه
هي حكمة خفيت ومقدور به
وإذا استحر الموت في الأخيار من
جاد الإمام بنفسه فلتتسع
وقضى المهذب نجه فلتتنحّر
ومضى المحقق فالحقائق لم يعد
ريعت أوابدها فأنس أليفها
تيمور، موتك للعلاء هزيمة
عنه يضيق من العزاء نطاق
لم تغن في إطفائها الآماق
نأت بفادح حمله الأعناق
يطفو، وحبّات القلوب تراق
دمعٌ على خد الثرى مهراق
حربت ومزّق بندها الخفاق
يعروه من قبل التمام مُحاق
عدمٌ ومرتقب اللقاء فراق
فيها وللموت الملح سباق
أبدًا لفاغرة المنون يُساق
وأولي النهى من أهلها ميثاق
ركض اليراع وجفت الأوراق
قوم فمُنّج سعيهم إخفاق
بالادعاء وراءه الأشداق
باسم التجدد بعده الأخلاق
يحظى بطيب وصالها المشتاق
فزغٌ وقيد نفارها إطلاق
ألوت به، ولروحه إزهاق

بل محنة للفضل أعوز عوده
 للمعلم بعدك والنهي إطراق
 وعليك للشرق المفجع حسرة
 ولمصر مأتها الذي قطرت به
 ألقى عصاه به الأسى وتسمرت
 وعلا جوانبه السكون وإنما
 وقفت به الدنيا تعزي الشرق في
 واستعبر الإسلام يبكي عالمًا
 نسجت شمائله على نول الهدى
 عمّ المصاب به وكائن من فتى
 يا مسلم الأخلاق في زمن عرى
 وبقية الأبرار بين حثالة
 ومبرز الكرماء بين أشحة
 بخلوا اتقاء الفقر فانقلبوا وهم
 إن حان حينك فانتقلت إلى ذرا
 ورحلت عن دنيا الهوى وتقطعت
 فلقد وقيت شرور عصرٍ أهله
 وكُفيت صحبة بيئة أبناؤها
 ضلوا الطريق فليس يجمع بينهم
 وعُتوا بتحسين القبيح: فصدقهم
 نهشتهم أفعى التمدن نهشة
 العلم عندهم التنطع في المرا

من بعدها الإثمار والإبراق
 وعلى العروبة للهدى إشفاق
 تغلى بها من قلبه الأعماق
 مُهَج القلوب وسالت الأحداق
 فيه لجاحمة الشجون طباق
 صمت الكليم لما به مصداق
 شمس زهت دهرًا بها الآفاق
 كانت إليه تطاول الأعناق
 فتنافست في حبه العشاق
 أودى فأودى معشر ورفاق
 خلق الهدى في ظله الإخلاق
 ما إن لها في الباقيات خلاق
 في الله عز عليهم الإنفاق
 جيف يُحاذر مسها الإملاق
 للخير في ساحاته إغداق
 بين الحياة وبينك الأعلاق
 إيمانهم بالمكرمات نفاق
 لم يبق فيها للهدى أرماق
 أبدًا وبين المهتدين وفاق
 كذبٌ يروع، وصدقهم تنعاق
 جوفاء ليس لسمها ترياق
 والدين ليس تُسيغه الأذواق

سلَّعُ الرشاد تبور فيما بينهم وبهم تروج من الخنا أسواق
 لا يعرفون الخير إلا في الأذى كالنار كلُّ صنيعها إحراق
 وعلى إلهك قد قدمت ولللسنا في عارضيك على التقي إشراق
 فسبقت للعيش المقيم، وليس من بدع، فأنت إلى العلا سباق
 فاهناً بدار الخلد إن عروسها أبداً لبازل مهرها تشتاق
 وانعم هناك بخندريس كأسه للمتقين كما علمت دهاق
 حيا مثابتك الغمام بعارضٍ يحيي الموات هزيمه الدفاق
 للرعْد جلجلة به فكأنه جيشٌ تصبح أمامه الأبواق
 ولمبسم البرق الضحكك خلاله وعلى مثقل مننه إبراق
 وحباك ما أنت الخلق بمثله مما يزيد نعيمك الخلاق



انحلال الأنفس وعلاجه

قال أبو الحسن محمد بن يوسف العامري المتوفى سنة ٣٨١:

انحلال الأنفس يكون على أربعة أوجه:

أولها الكسل، ثم الغباوة، ثم القحة، ثم الانتهاك.

وعلاجه:

استشعار التقوى، والمحافظة على العبادات، والإنفاق في سبيل الأنفس.



قدوتنا الأعظم

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

في ضميري دائماً صوت النبي	أمراً: جاهد، وكابد، واتعب!
صائحاً: غالب، وطالب، وادأب	صارحاً: كن أبداً حراً أبي
كن سواء ما اختفى وما علن	كن قوياً بالضمير والبدن
كن عزيزاً بالعشير والوطن	كن عظيماً في الشعوب والزمن

نشيد الشبان المسلمين

كلما خارت قواي وظننت أن الاستسلام للتيار أجدى، رجعت بروحي وعقلي إلى سيرة القدوة الأعظم- صلاة الله عليه وسلامه-، فوقفت وقفة الخشوع والإجلال تجاه سنين من حياته الشريفة قضائها في معالجة أخلاق قومه العرب، وإعدادهم لحمل مشعل الفضيلة والهدى، والسير به في أقطار الدنيا، وما هي إلا سنوات قلائل حتى كانت دعوة الإسلام أعز دعوة تتحرك بها الألسنة، وحتى كانت الشعوب تتجرد من عقائدها وعباداتها، بل من ألسنتها وعاداتها، لتدخل تحت لواء الإسلام وتنادي بكلمة «حي على الفلاح!»، في آفاق جديدة من آفاق الأرض.

كان من أول ما اشتهيت أن أعرفه- يوم دخلت مكة- جبل حراء الذي خطب عليه سيد الخلق ﷺ بوحي الحق جل سلطانه، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي التي كانت مختبأ النبي ﷺ وأصحابه، إلى أن بلغوا أربعين، فكان منهم صف الجهاد الأول في سبيل إعلاء كلمة الله ﷻ.

وقفت من جبل النور على قلة شامخة زلوج، وأرسلت بصري في الآفاق، فإذا جبال خالية من الناس، بعيدة عن ضوضائهم، مستريحة من دسائسهم وشورورهم: أمرها الله أن تكون فكانت، ولا تزال على ما أمرها الله به من غير تبديل أو تعديل؛ إلى أن يأمرها الله بالزوال فتزول. وتشرفت بدخول الغار المبارك، ثم خلوت بنفسي بعيداً عن أصحابي أتأمل كيف أن روح خاتم الأنبياء وسيد أولي العزم كانت من السعة بحيث ترجو الله أن تعم كلمة «لا إله إلا الله» جميع أقطار الدنيا، وأن تملأ أرواح سكان تلك الأقطار من حضيض العبودية للبشر أو الجمادات إلى مستوى التوحيد الخالص الذي لا يليق بعقول البشر ونفوسهم غيره، وأن تتحول أمم الأرض عن خرافاتها وأكاذيبها وخساساتها وحيلها، فتكون بالإسلام أمة صدق ورحمة وإيثار وعمل وجهاد وإصلاح. في هذا الغار هبط الوحي الإلهي على قلب عبد الله ورسوله محمد ﷺ، ومن هذا الغار انتشر نور الهدى، فاستنارت به قلوب أمم لا عداد لها، وسيدخل هذا النور قلب كل ابن أنثى إذا استطاعت أمة محمد ﷺ أن تتأسى به، وتصغي إلى صوته فيما أمر به من معروف، وما نهى عنه من فساد

ودخلت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي الواقعة على يسار الصاعد إلى الصفا، فقلت في نفسي:

لو شاء الله أن يلين لدعوة عبده محمد قلوب أهل الأرض جميعاً لأجابوا نداءه في بضع سنين بل في ليالٍ قلائل، ولكنه درسٌ من سيرة سيد الخلق ﷺ يجب على كل مسلم أن يتعلمه فيعلم منه أن الحصاد لا يستحقه إلا الذي زرع، وأن النتائج لا يحصل عليها إلا من قام بمقدماتها. وويلٌ لمن يتقاعس عن الدعوة إلى الخير بحجة أن أهل هذا الزمان يصدون عن الاستجابة لها، وهو

يتجاهل أن ما لقيه قدوتنا الأعظم ﷺ من العقبات في سبيل دعوته لا يعد ما يلقاه دعاة هذا الزمان في جانبه شيئاً مذكوراً.

ألا فليحاسب ورثة الأنبياء في عصرنا أنفسهم وليقولوا لنا ما هو الأذى الذي لقوه في سبيل الله، وما هو البذل الذي بذلوه لإعلاء كلمة الله، وأي خُلُق من أخلاق محمد ﷺ وأصحابه تخلقوا به، ليكونوا مثلاً حسناً للإسلام يغري الأغيار بالإقبال عليه، والإذعان له؟

لم تسيء أمة إلى تاريخها، ولم تعشُ أبصار شعب عن سيرة عظمائه، كما أسأنا نحن إلى تاريخنا، وكما عميت أبصارنا وبصائرنا عن مواقف العظمة في سيرة نبينا ﷺ، وحياة أكابر المهتمدين بهديه من الصحابة والأئمة والمجاهدين. ولعل هذه الثغرة في سور قلعتنا أوسع مكان تسرب إلينا منه الضعف، وأصابنا منه الوهن والانحلال.

نشكو إدبار النصر عنا، ولا نحب أن يمر ببالنا شبح المسؤولية التي تتوجه علينا من هذا الجانب

نذكر بالفخر والإعجاب انتشار الإسلام في الصدر الأول انتشاراً يكاد يكون (معجزة)، وإذا قال لنا إنكليزي مسلم كالمستر مرمديوك بكتول أن انتشار الإسلام الآن بمثل تلك السرعة ممكن إذا دعوتهم إليه بسيرتكم وأخلاقكم؛ رجونا أن ينتهي كلامه بسرعة؛ ونهضنا معاهدين الشيطان على أن نبقي عند حسن ظنه فينا.

كلنا نقول إن محمداً ﷺ هو قدوتنا الأعظم؛ وكلنا نقرأ في كتاب الله ﷻ: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وكلنا نعلم أن الموانع الواقفة اليوم في سبيل القرآن لا تعد شيئاً مذكوراً في جانب الموانع التي كانت واقفة في سبيله يوم كان محمد ﷺ وأصحابه يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي عند

الصفاء، يعاهدون الله على الثبات حتى النهاية. وأقرب ما نقارن به بين حال اليوم وحال الأمس أننا الآن ثلاثمائة مليون يتلون القرآن، وأنهم كانوا يومئذ أقل من أربعين. . . ولكن أين الأخلاق!

محـب الدين الخطيب



مُغالب الدهر

عربيّ يعشق العربا	لا تلوموه إذا انتحبا
قبلما الأوصاب تقتله	أمهلوه يقتل الوصبا
أسدٌ كلت مخالبه	وجواذٌ في السباق كبا
نادراً تلقاه مبتسماً	ولقد تلقاه مكتئباً
فإذا أحشاؤه اتقدت	ورمت آماقه اللهباً
فبكي حتى مدامعه	نضبت واستمطر السحباً
أو أراقت مقلناه دمًا	لا تخالوا أنه كذباً
هو إن يبكي فسودده	صيرته الحادثات هباً
كم تفدى بالنفيس وبالنفس	كيما يبلغ الأرباً
غير أن الدهر غالبه	فقضى بأساً وما غلباً
بات والذكرى نساوره	صاحباً لا يعرف الطرباً
كلما يُدعى لمكرمة	أو لفشيان الوغى وثباً
لا يضيع الحق تعهده	قُضِبَ، فلتصلتوا القُضْباً

نعمان ثابت

في مدح محمد ﷺ

لعل على الجمال له عتابا
 فهل ترك الجمال له صوابا
 تُبدل كل آونة إهابا
 وأترع في ظلال السلم نابا
 وتفنيهم، وما برحت كعابا
 لبستُ بها فأبليت الثيابا
 ولي ضحكُ اللبيب إذا تغابى
 وذقت بكأسها شهذاً وصابا
 ولم أر دون باب الله بابا
 صحيح العلم، والأدب اللبابا
 يُقلد قومه المنن الرغابا
 ولا مثل البخيل به مُصابا
 كما تزن الطعام أو الشرابا
 وأعط الله حصته احتسابا
 وجدت الفقر أقربها انيابا
 وأبقى بعد صاحبه ثوابا
 ولم أر خيراً بالشر آبا
 على الأعقاب أوقعت العقابا
 ولا اذرعوا الدعاء المستجابا
 ظواهر خشية وتقى كذابا

سلوا قلبي غداة سلا وتابا
 ويسأل في الحوادث ذو صواب
 أخوا الدنيا أرى دنياك أفعى
 وإن الرُقْط أيقظ هاجعات
 ومن عجبٍ تُشيب عاشقيها
 فمن يغتر بالدنيا فلإني
 لها ضحكُ القيان إلى غبي
 جنيت بروضها ورداً وشوگا
 فلم أر غير حكم الله حكماً
 ولا عظمُ في الأشياء إلا
 ولا كرمُ إلا وجه حر
 ولم أر مثل جمع المال داء
 فلا تقتلك شهوته، وزنها
 وخذ لبنيك والأيام دُخراً
 فلو طالعت أحداث الليالي
 وإن البر خير في حياة
 وإن الشر يصدع فاعليه
 فرفقاً بالبنين إذا الليالي
 ولم يتقلدوا شكر اليتامى
 عجبُ لمعشر صلوا وصاموا

وتلفيهم حبال المال ضُمًّا
لقد كنتموا نصيب الله منه
ومن يعدل بحب الله شيئاً
أراد الله بالفقراء برّاً
فرب صغير قوم علموه
وكان لبقومه نفعا وفخراً
فعلّم ما استطعت، لعل جيلاً
ولا تُرهق شباب الحي يأساً
ولولا البخل لم يهلك فريق
تعبت بأهله لوئماً، وقبلني
ولو أني خطبت على جماد
ألم تر للهواء جرى فأفضى
وأن الشمس في الآفاق تغشى
وأن الماء تروى الأسد منه
وسوى الله بينكم المنايا
وأرسل عائلاً منكم يتيماً
نبي البر، بيّنه سبيلاً
تفرق بعد عيسى الناس فيه^(١)
وشافي النفس من نزعات شر
وكان بيانه للهدي سُبلاً
وعلمنا بناء المجد حتى

إذا داعي الزكاة بهم أهابا
كأن الله لم يُحص النصابا
كحب المال، ضل هوى وخابا
وبالأيّتام حبّاً وارتيابا
سما وحمى المسومة العرابا
ولو تركوه كان أذى وعابا
سيأتي يحدث العجب العجبا
فإن اليأس يخترم الشبابا
على الأقدار تلقاهم غضابا
دعاة البر قد سثموا الخطابا
فجرت به الينابيع العذابا
إلى الأكواخ واخترق القبابا
حمى كسرى كما تغشى اليبابا
ويشفي من تلعلعها الكلابا
ووسدكم مع الرُسل الترابا
دنا من ذي الجلال فكان قابا
وسنّ خلاله وهدى الشعابا
فلما جاء كان لهم متابا
كشاف من طبائعها الذئابا
وكانت خيله للحق غابا
أخذنا إمرة الأرض اغتصابا

(١) أي في البر.

وما نبيل المطالب بالتمني
وما استعصى على قوم منال
تجلى مولد الهادي وعمت
وأسدت للبرية بنتٌ وهب
لقد وضعته وهاجًا منيرًا
فقام على سماء البيت نورًا
وضاعت يثرب الفيحاء مسكًا
أبا الزهراء، قد جاوزت قدري
فما عرف البلاغة ذو بيان
مدحتُ المالكين فزدتُ قدرًا
سألتُ الله في أبناء ديني
وما للمسلمين سواك حصن
كان النحس حين جرى عليهم
ولو حفظوا سبيلك كان نورًا
بنيتُ لهم من الأخلاق ركنًا
وكان جنابهم فيها مهيبًا
فلولها لساوى الليث ذنبًا
فإن قرنت مكارمها بعلم

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
إذا الإقدام كان لهم ركابا
بشائره البوادي والقصابا^(١)
يدًا بيضاء طوقت الرقابا
كما تلد السماوات الشهابا
يضيء جبال مكة والنقابا
وفاح القاع أرجاء وطابا
بمدحك، بيد أن لي انتسابا
إذا لم يتخذك له كتابا
فحين مدحتك اقتدتُ السحابا
فإن تكن الوسيلة لي أجابا^(٢)
إذا ما الضُر مسهم ونابا^(٣)
أطار بكل مملكة غرابا
وكان من النحوس لهم حجابا
فخانوا الركن، فانهدم اضطرابا
وللأخلاق أجدر أن تُهابا
وساوى الصارم الماضي قِرابا
تذلت العلى بهما صعبا

أحمد شوقي

(١) جمع قصبة وهي المدينة.

(٢) التوسل الشرعي بالنبي ﷺ يكون باتباعه، ومحبه وطاعة أوامره وترك نواهيه. أما التوسل بجاهه أو ذاته فهو بدعة. (س).

(٣) هذا من الغلو. (س).

لا دواء لجرح الشرف

في أي جو من أجواء هذا البلد تريدون أن تبرز نساؤكم كرجالكم أيها القوم؟
أني جو المتعلمين وفيهم من إذا سُئل لم لم تتزوج؟ أجاب: نساء الأمة جميعا
نسائي... أم في جو الطلبة وفيهم من إذا عاد من أوروبا يحمل في محفظته أقل من
عشر صور لصديقاته، ومائة كتاب غرام منهن يتوارى بها عن أعين أصدقائه حياءً
وخجلاً، أم في جو الرعاع والغوغاء وكثير منهم يدخل البيت خادماً ذليلاً،
ويخرج منه صهراً كريماً...؟

وبعد؛ فما هذا الولع بقصة المرأة والتمنطق بحديثها. والقيام والقعود
بأمرها، وأمر حجابها وسفورها، وحريتها وأسرها.

كأنما قد قمتم بكل حق واجب للأمة عليكم في أنفسكم. فلم يبق إلا أن
تفيضوا من تلك النعم على غيركم، هذبوا رجالكم قبل أن تهذبوا نساءكم،
عجزتم عن الرجال فأنتم عن النساء أعجز.

أبواب الفخر أمامكم كثيرة فاطرقوا أيها شتم، ودعوا هذا الباب موصداً،
فإنكم إن فتحتموه فتحتم على أنفسكم وبلاداً عظيماً وشقاء طويلاً. أروني رجلاً
واحداً منكم يستطيع أن يزعم في نفسه أنه يمتلك هواه بين يدي امرأة يرضاها.
فأصدق أن امرأة تستطيع أن تمتلك هواها بين يدي رجل يرضاه.

ما تمضغكم في ليلكم ونهاركم بقصصها وأحاديثها (المرأة) في حين أنها لا
تشكو إلا فضولكم وإسفافكم ولصوقكم بها، ووقوفكم في وجهها حيثما سارت.
إنكم لا تترثون لها بل تترثون لأنفسكم، ولا تبكون عليها، بل على أيام
قضيتموها في ديار يندفع سيل جوها تبرجاً وسفوراً. ويتدفق حرية واستهتاراً.

لقد كنا وكانت العفة في سقاء من الحجاب موكوء، فما زلتم تثقبون في جوانبه كل يوم ثقبًا، والعفة تتسلل منه قطرة قطرة، حتى تقبض وتضائل، ثم لم يكفكم ذلك منه، حتى جئتم اليوم تريدون أن تحلوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة واحدة.

عاشت المرأة حقبة من دهرها هادئة مطمئنة في بيتها، راضية عن نفسها وعن عيشها. ترى السعادة كل السعادة في واجب توديه لنفسها، أو وقفة تقفها بين يدي ربها، أو عطفة تعطفها على ولدها، أو جلسة تجلسها إلى جارتها. وترى الشرف كل الشرف في خضوعها لأبيها، وائتمارها بأمر زوجها، ونزولها عند رضاها. وكانت تفهم معنى الحب وتجهل معنى الغرام. فتحب زوجها لأنه زوجها، كما تحب ولدها لأنه ولدها. فإن رأى النساء أن الحب أساس الزواج، رأت أن الزواج أساس الحب. فقلتم لها: إن هؤلاء الذين يستبدون بأمرك من أهلك، ليسوا بأكبر منك عقلاً، ولا أفضل رأياً، فلا حق لهم في السلطان الذي يزعمونه لأنفسهم عليك. فازدرت أباهما، وتمردت على زوجها، وأصبح البيت الذي كان بالأمس عرساً من الأعراس الضاحكة، مناحة لا تهدأ نارها.

وقلتم: لا بد لك من أن تختاري زوجك بنفسك، حتى لا يخدعك أهلك عن سعادة مستقبلك. فاختارت لنفسها أسوأ مما اختار لها أهلها، فلم يزد عمر سعادتها على يوم وليلة، ثم الشقاء الطويل بعد ذلك العذاب الأليم.

وقلتم لها: إن الحب أساس الزواج، فما زالت تقلب عينيها في وجوه الرجال صاعدة متحدرة، حتى شغلها الحب عن الزواج...

وقلتم لها: إن سعادة المرأة في حياتها أن يكون زوجها عشيقها، وما كانت تعرف إلا أن الزوج غير العشيق، فأصبحت تطلب في كل يوم زوجاً جديداً يحيي من لوعة الحب ما أمات القديم، فلا قديماً استبقت، ولا جديداً أفادت...

يا قوم؛ إنا نضرع إليكم.. أن تتركوا تلك البقية الباقية من نساء الأمة
آمانات مطمئنات في بيوتهن، ولا تزعجهن بأحلامكم وآمالكم، كما أزعجتم
من قبلهن، فكل جرح من جروح الأمة له دواء، إلا جرح الشرف فلا دواء
له.

المنفلوطي



مرشح نفسه للقضاء

استودع تاجر بالكوفة رجلا من أهلها مالا جزيلا، وتوجه إلى الحجاز
لتأدية فريضة الحج، فلما عاد طالب الرجل بماله، فأنكره وجعل يحلف له.
فانطلق التاجر إلى الإمام أبي حنيفة رحمته الله، وأخبره بذلك، فقال له الإمام: لا
تكلم أحداً بجحوده. وكان عرف الرجل من جلسائه، فقال له وقد خلا لهما
المكان: إن القوم بعثوا يستشيرونني فيمن يصلح للقضاء، وقد اخترتك لهذا
المنصب الرفيع.

فلما انصرف الرجل جاء صاحب الوديعة. فقال له الإمام: ارجع إلى
صاحبك وذكره لاحتمال أن يكون ناسيا، فرجع إليه فما احتاج معه إلى إشارة،
بل دفع إليه ماله، ثم ذهب الرجل إلى أبي حنيفة يُذكره بوعده، فقال له الإمام:
إني نظرت في أمرك، فأردت أن أرفع قدرك ولا أسمىك، حتى يحضر ما هو
أنفس من هذا.



أبو قيس بن الأسلت قائد حرب بُعَاث

أبو قيس بن الأسلت (والأسلت لقب أبيه واسمه عامر) ابن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس... وهو شاعر من شعراء الجاهلية، ووجه من كبار وجهاء يثرب. وكانت الأوس قد أسندت إليه قيادة حربها مع الخزرج يوم بُعَاث؛ وجعلته رئيسًا عليها - وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين - فكفى وساد.

وكان لأبي قيس ولدان: عقبة، وقيس. وقد أسلم عقبة، واستشهد يوم القادسية. وكان يزيد بن مرداس السلمي قتل قيسًا في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارون ابن النعمان بن الأسلت، حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس - وهو ابن عمه - ولقيس يقول أبوه، أبو قيس ابن الأسلت:

أقيس إن هلكت وأنت حي فلا يعدم فواضلك الفقيرُ
قال هشام بن الكلبي: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بُعَاث إلى أبي قيس بن الأسلت، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر، حتى شحب وتغير، ولبت أشهرًا لا يقرب امرأته؛ ثم إنه جاء ليلة فذق على امرأته ففتحت له، فأهوى إليها بيده، فدفعته وأنكرته، فقال:

أنا أبو قيس!

فالت:- والله ما عرفتك حتى تكلمت!

فقال في ذلك أبو قيس القصيدة التي أولها:

قالت ولم تقصد لقليل الخنى: مهلاً، فقد أبلغت إسماعي
استنكرت لونا له شاحباً والحرب غول ذات أوجاع

من يذق الحرب يجد طعمها مُرّاً، وتتركه بجمعجاء
 قد حصّت البيضة رأسي، فما أطعم نوماً، غير تهجاء
 أسعى على جل بني مالك كل امريء في شأنه ساعي
 لا نألم القتل، ونجزى به الأعداء كيل الصاع بالصاع

وكان أبو قيس يحض قومه على الإسلام، وذلك بعد أن اجتمع بالنبي ﷺ
 وسمع كلامه. وكان يتأله في الجاهلية ويدعي الحنيفة، وكان يقول: ليس أحد
 على دين إبراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل. وكان يذكر صفة النبي ﷺ، وأنه
 يهاجر إلى يثرب. وزعموا أنه لما حضره الموت أرسل إليه النبي ﷺ يقول له:
 «قل لا إله إلا الله أشفع لك بها»^(١)، فسمع يقول ذلك؛ وقيل: قال: والله لا
 أسلم إلى سنة. فمات قبل الحول.



قال المبرد: قال لي صالح بن حسان: أنشدني بيتاً خفراً في امرأة حفرة
 شريفة؛ فقلنا: قول حاتم:

يضيء لها البيت الظليل خصاصه إذا هي يوماً حاولت أن تبسما
 فقال: هذه هي الأصنام، أريد أحسن من هذا
 قلنا: قول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة: لا ريت ولا عجل
 فقال: هذه خراجة ولاجة!

قلنا: بيت ذي الرمة:
 تنوء بأخراها فلائياً قيامها وتمشي الهوينى من قريب فتبهر

(١) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»؛ لابن حجر (٧/ ٣٣٤). بسند منقطع.

فقال: ليس هذا مما أردت؛ إنما وصف هذه بالسمن وثقل البدن!
فقلنا: ما عندنا شيء.

فقال: قول أبي قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر
وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر
ثم قال: أنشدوني أحسن بيت وُصفت به الثريا!

قلنا: بيت ابن الزبير الأسدي:

وقد لاح في الغور الثريا كأنما به راية بيضاء تخفق للطعن
قال: أريد أحسن من هذا
قلنا: بيت امرئ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل
قال: أريد أحسن من هذا
قلنا: بيت ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتسرعا
قال: أريد أحسن من هذا
قلنا: ما عندنا شيء

قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نورًا
قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم.



الدِّين

- * الدِّين هُمَّ بالليل وذلُّ بالنهار.
- * قال علي بن أبي طالب عليه السلام في حكمه :
قد حملت الأحجار والصخور، فما وجدت أثقل من الدِّين .
- * قال أحد الحكماء : الدِّين رق فلا تبذل رقبك لمن لا يعرف حقك .



الكاتب

- * قال الجاحظ : من أبين فضل الكتابة أن جُعِلت في عليّة الناس .
- * قال الزبير بن بكار : الكُتّاب ملوك، وسائر الناس سُوقَة .
- * قال ابن المقفع : الملوك أحوج إلى الكُتّاب من الكُتّاب إلى الملوك .
- * قال المؤيد : كُتّاب الملوك : عيونهم المبصرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة .

- * قال أبو جعفر الفضل بن أحمد : للكُتّاب أقرت الملوك بالفاقة والحاجة، وإليهم أُلقيت الأزمة والأعنة، وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة، وعليهم اتكلوا في الأهل والولد والذخائر والعقد وولاية العهد وغيّر الدهر وقراع الأعداء وتوفير الفيء وحياطة الحريم وحفظ الأسرار وترتيب المراتب ونظم الحروب .
- * قال علي بن خلف : ما من أحد يتوسل إلى السلاطين بالأدب، ويمت إليهم من العلم بسبب، إلا وهو نافلة لا ينوّل ما ينوله إلا على وجه الإرفاق،

خلا الكاتب فإنه ينول الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق؛ لموضع الافتقار إليه والحاجة.

* من أحسن ما مُدح به كاتب قول ابن المعتز:

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه تفتح نورًا أو تنظم جوهرًا
* وقول الآخر:

يولف اللؤلؤ المنثور منطقته وينظم الدر بالأقلام في الكتب
* وقول الآخر:

وكاتبٌ يرقم في طرسه روضًا به ترتع الحاظه
فالدُر ما تنظم أقلامه والسحر ما تنثر ألفاظه
* وقول الآخر:

إن هز أقلامه يومًا ليعملها أنساك كلّ كمي هزّ عامله
وإن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له
* وقول الآخر:

وشادن من بني الكتاب مقدر على البلاغة أحلى الناس إنشاء
فلا يجاريه في ميدانه أحد يريك سحبان في الإنشاء إن شاء



أغبياء الكتاب

* قال بعض المتقدمين يهجو كاتبًا غيبًا:

حمارٌ في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ولو سوّدت وجهك بالمداد

* وقال الآخر يهجو أسد بن جهور:

أو ما ترى أسد بن جهور قد غدا متشبها بأجلة الكتاب
لكن يخرق ألف طومار إذا ما احتيج منه مرة لجواب!
* وقال الآخر:

كاتب أقلامه معودات بالفلط
يكشط ما يكتبه ثم يعيد ما كسط
* وقال الآخر:

يعني غير ما قلنا، ويكتب غير ما يعيه، ويقرأ غير ما هو كاتب!
حكى أبو جعفر النحاس في (صناعة الكتاب) عن بعضهم أنه قال: حضرت
مجلس رجل، فأحجمت عن مسألة حاجتي عنده لكثرة جمعه، فرأيته وقد أملى
على كاتبه: «ولم أكتب بخطي إليك خوفاً من أن تقف على رداوته»، فكتب كاتبه
«رداءته» - على ما يجب - فقال له:

أما تحسن الهجاء، أين الواو؟

فأثبتها الكاتب، فحسّ حينئذ في عيني، واجترأت عليه، فدنوت منه وسألته
حاجتي.

حكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء أنه تقدم إلى كاتبه بأن يكتب
ألقاب أمير المؤمنين على برج أنشأه، فكتب: «أمر بعمارة هذا البرج أبو فلان
فلان»، واستوفى ألقابه إلى آخرها. ودفع المثل إلى الوزير ليقف عليه، فلما
قرأه غضب وأنكر على الكاتب كونه كتب «أبو فلان» بالواو، ولم يكتب «أبي»
بالياء محتجا عليه بأن «أبو» من ألفاظ العامة، فلا تعظيم بها، و«أبي» من ألفاظ
الخاصة فيقع بها التعظيم! فقال الكاتب: إنما كتبت بالواو لأنه هنا «فاعل». فزاد

إنكاره عليه وقال: متى رأيت الأمير فاعلاً في هذا الموضع يحمل الطين، وينقل الحجارة على رأسه، حتى تنسبه إلى ذلك؟! والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك كذا وكذا!



سبب انحطاط الكتابة في الدولة الإسلامية

قال القلقشندي: إنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الأوفى؛ لاستيلاء الأعاجم على الأمر، وتوسيد الأمر لمن لا يُفرق بين البليغ والأنوك، لعدم إمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها، حتى صار الفصيح لديهم أعجم، والبليغ في مخاطبتهم أبكم، ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ وافر إلا أن يُنشد:

وصناعتي عربية وكأنني ألقى بأكثر ما أقول الروما
فلمن أقول وما أقول وأين لي فأسير بل من أين لي فأقيما



قال ابن حاجب النعمان: لما كان أرباب الأمور وولاتها من الخلفاء فمن دونهم ينقدون ما يكتب به الكاتب، وما يرد عليهم من الكتب، ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ، أو يدخله من خلل، ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته، ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته، كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيلة، وترفعون عن أن يعلق بهم من الجهل أدنى رذيلة، ويجتهدون في معرفة ما يُحسن ألفاظهم ويُزين مكاتباتهم، لينالوا بذلك أرفع رتبة، ويفوزوا بأعظم منزلة. ولما انعكست القضية في تقديم من غلط بهم الزمان، وغفل عنهم الحدثنان، واستولت عليهم شرّة الجهل، ونفرت عنهم أوانس الرياسة والفضل،

وصار العالم لديهم حشفاً، والأديب محارفاً، والمعرفة منكراً، والفضيلة منقصة، والبلاغة لُكنة، والفصاحة هُجنة، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم، وهجرت العلوم هجر كبائر المآثم.



أين هو؟

كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي :

أما بعد، فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير، ذي عفة ونزاهة طعمة، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بضنين في رأيه، ولا بمطعون في حسبه، إن أوُتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمًا من الأمور أجزأ فيه، له سن من أدب ولسان، تُقَعِّده الرزانة، ويُسَكِّنه الحلم، قد فُرَّ عن ذكاء وفطنه، وعض على قارحة من الكمال، تكفيه اللحظة، وترشده السكته، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام في أمورهم فحمد فيها، له أناة الوزراء، وصوله الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه، دلائل الفضل عليه لائحة، وإمارات العلم له شاهدة، مضطلعًا بما استنهض، مستقلاً بما حمل. قد آثرتك بطلبه، وجوتك بارتياده، ثقة بفضل اختيارك ومعرفة بحسن تأنيك.

فكتب إليه: إني عازم أن أرغب إلى الله جل وعز حولاً كاملاً في ارتياد مثل هذه الصفة، وأفرق الرسل الثقات في الآفاق لالتماسه، وأرجو أن يمن الله بالإجابة، فافوز لديك بقضاء حاجتك. والسلام.

الأخ الثاوي

قال أبو علي القالي في أماليه :

أنشدني أبو محمد عبد الله ابن جعفر بن درستويه النحوي قال : أنشدنا عبد الله بن جوان صاحب الزيادي - ولم يسم قائلها - وأملاها علينا أبو سعيد السكري، لأبي العتاهية في بعض إخوانه :

وقد كنت أغدو إلى قصره	فقد صرت أعدو إلى قبره
أخ طالما سرنى ذكره	فقد صرت أشجى لدى ذكره
وكنت أراني غنيًا به	عن الناس لو مُد في عمره
وكنت إذا جئت في حاجة	فأمري يجوز على أمره
فتى لم يمل الندى ساعة	على عُسره كان أو يُسرّه
تظل نهارك في خيرهِ	وتأمن ليلك من شره
فصار علي إلى ربه	وكان عليّ فتى دهره
أتم وأكمل ما لم يزل	وأعظم ما كان في قدره
أنته المنية مفتالة	رويًا تخلل من ستره
فلم تُغن أجناده حوله	ولا المزمعون على نصره
وخلّى القصور التي شادها	وحل من القبر في قعره
ويُبدل بالفرش بسط الثرى	وطيب ندى الأرض من عطره
وأصبح يُهدى إلى منزل	عميق تؤنق في حفره
تغلق بالترب أبوابه	إلى يوم يؤذن في حشره
أسد الجماعة وجدًا به	أشد الجماعة في طمره

فلست مشيعه غازيًا أميرًا يسير إلى ثغره
ولا متلقيه قافلاً بقتل عدو ولا أسره
ونطريه أيا منا الباقيات لدينا إذا نحن لم نُطره
فلا يبعدن أخي ثاويًا فكلٌ سيمضي على أثره



حِكم ومواعظ

- * حسبك من الشر سماعه .
- * السؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل .
- * من اتكل على زاد غيره طال جوعه .



من حِكم أبي مدين

- * إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره .
- * من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتون .
- * للفقر نور ما دمت تستره، فإذا أظهر ذهب نوره .
- * الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق .
- * أضر الأشياء صحبة عالم غافل أو صوفي جاهل .
- * من ضيع حكمة وقته فهو جاهل، ومن قصر عنها فهو عاجز .
- * اجعل الصبر زادك، والرضا مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك .

* من تعلق بوعد الأماني، لم يفارق التواني.

* لا تعمَ عن نقصان نفسك فتطغى.

* من تزين بزائل فهو مغرور.



الأندلسية

التي ألهمها أديب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان

في وقفة له يوم ١٧ صفر سنة ١٣٤٩ أمام معجزات الفن العربي في قرطبة

لكَ اللهُ إن شئت الصُّبوح فبكرٍ	بكأس دهاقٍ من حُميا التذكر
وغن على ذكرى الليالي التي خلت	قصائدٌ إن تُنشد على الميت يُنشر
فقد تعذب الذكرى ولو لفجيرة	ويشفي أوار الصدر فرط التحسر
ولولا المراثي والمآقي وراءها	لأفنى الورى حر الأسى المتسعر
تقضت لبانات الرجال من الجوى	بتذكار ماضٍ أو إثارة مضمّر
لمعرك لا يُرجى لنشأة مقبل	ومستقبل من لم يفكر بمذبر
وما هذه الدنيا سوى متقدم	يُكوّر تجديدًا على متأخر
أدراها تردُّ الرشد في عقل ذاهب	وتُذهب عقل الراشد المتبصر
وتحيي لنا عهدًا يصبو عهاده	منازل قلبٍ من هوى الذكر مقفر
وكائنة لم يعرف الدهر أختها	ولا حدثت عن مثلها كُتب مخبر
يكاد الذي يقرأ غريب حديثها	يظن خيالاً أو أحاديث مفتر
يقولون: كانت أمة عربية	بأندلسٍ سادت بها جمّ أعصر
وقد عمّرت أقطار أندلسٍ بهم	فكم بلد فخم ومِصر ممّصر

وفاكهة رغد وزهر منور
 وكم سائسٍ فحل وأمرٍ مدبر
 يبيع بأسواق المنايا ويشترى
 ودرس وتحقيق وقولٍ محرر
 وفي عزة قعسا ووفر مؤفر
 جموعٌ تحيل الأرض في يومٍ محشر
 لهم كل ركزٍ غير ذكرٍ معطر
 أنيسٌ ولم يسمر هناك ويسهر
 جحافلٌ إن تحمل على الدهر يذعر
 رماها بهذا الخسف بعد التصدر
 لها علة غير الخلاف المتبر
 مقيم، وهذا بين عُرب وبربر
 صناديد قيس مع غطاريفٍ حمير
 ولا مغرب يعصي عليهم ويجتري
 فسادت، ولكن لم تكن ريحٌ صرصر
 ترى الخصم في عليائها ليس يمتري
 ومن يتمسك بالسوية بعمر
 ولا عاملوا أهل الكتاب بمنكر
 عقائد أقوام يجوسُ ويفتري
 على صلة مع دينه بالتستر
 مثلاً قويمًا للعلی والتحضر
 وكم صبغوه في الجهاد بأحمر

وكم أربُع خضر وحرث مطبق
 وكم قائد قرُم وجند مدرب
 وكم بطل إن ثار نقع رأيته
 وما شئت من علم ورأي وحكمة
 إلى شمسٍ جمٍ ومجد مؤئل
 نعم، كان فيها من نزار ويعرب
 فراحت كأن لم تغن بالأسر، وانقضى
 كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
 كأن لم تكن في أرض أندلسٍ لنا
 فما ذا الذي أخنى عليها، وما الذي
 إذا أعمل المرء البصيرة لم يجد
 خلاfan: هذا بين قيس ويعرب
 ولا شريحكي شر حرب إذا التقت
 لعمرك لولا الخُلف لم يكُ مشرق
 لقد عصفت في شقة الغرب ريحهم
 فقد أثلوا في أرضها مدنية
 وسوا جميع العالمين بعدلهم
 ولا عارضوا في دينه غير مسلم
 ولا نصبوا ديوان تفتيشهم على
 ولا أحرقوا بالنار من قيل إنه
 بذلك هاتيك الممالك أصبحت
 وقد صار نهر الرون ثغر بلادهم

وشكّوا لواهم في ذرى قرقشنة
ودانت لهم صيد الجلالة الألى
ولم يقف البشكنس في وجه زحفهم
وإن يك لاقى الغافقي حمامه
فقد لبث من بعد ذاك جيوشهم
يقول الألى قد شاهدوا غزواتهم:
وصقر قريش حين جاء مشردًا
وشاد بهاتيك القواصي إمارة
وخلف أملاكًا سموا وخلائفًا
كفى بالإمام الناصر الفذ عاهلاً
تُقبل أملاك الفرنجة كفه
غداة تجلى للخلافة رونق
وأضحت بها (الزهرا) تميد جموعها
تلعثم فيه كل رب فصاحة
ولا تهمل المستنصر الحكم الذي
غدت قبة الإسلام قرطبة العلى
وبارى بني العباس فيها أمةً
وكان بها العمران يزخر مثلما
ولما رأيت المسجد الجامع الذي
عضضت على كفي بكل نواجذي
هو الجامع الطامي العُباب بوقته
ظلمت به بين الأساطين سائحا

وسلوا على تربولة كل أبت
بلا منهم الرومان كل غضنفر
ولا أوطأوا الجرمان ثغرة معور
ومخص في يوم البلاط المقدّر
تعرض دهرًا للفرنج وتنبري
هم القرب فوق الخيل، أم جن عبقر
فأنشب فيهم أي ظفر مظفر
لها أجفل المنصور والد جعفر
أسود عرين منهم كل مخدر
كسى أمة الإسلام حلة مفخر
ويقصد عالي بابه وفد قبصر
به ظهر الإسلام أروع مظهر
فيا لك من يوم أغر مشهر
فعبّوا سوى قاضي الجماعة منذر
تلاه، ومن يستنصر الله يُنصر
وسارقت الزوراء لحظة أزور
وجروا على بغداد ذيل التبخر
تلاطم أمواج الخضم المهّدر
بقرطبة من فوق فوق التصور
وقلت لعيني: اليوم دورك فاهمري
يحاكى به عماره لجّ أبحر
بفكري حتى غاب عني محضري

تخيلته- والذكر يُتلى خلاله-
 تأمل خليلي كم هنا من مهللٍ
 وكم ازهرت فيه ألوفُ مصابح
 وكم قاريء بالسبع في وسط حلقة
 وكم عالمٍ يُلقني على الجمع درسه
 وكم ملكٍ ضخم وكم من خليفة
 تسد فجاج المغربين جيوشه
 خليلي تأمل - كالعرائس تنجلي-
 أساطين من صم الجماد موائل
 تراها صفوفًا قائمات كأنها
 من العمُد الأسنى فكل يتيمة
 أجادت تحريها قرومُ أمية
 نبت دونها زرق الفؤوس وأصبحت
 ولكن لفضل الفن ألفت قيادها
 فيينا هي الصم الصلاد إذا اثنت
 عرائسُ للتخريم فوق رؤوسها
 ووجه إلى المحراب طرفك ينسرح
 وحدق بهاتيك النقوش وزهوها
 وبالقبة العليا يبدو شعاعها
 لو أن الثريا في سماها تعرضت
 أقول لخصم يبخس العرب حقهم
 ويا سائحًا يبغني مآثر قومه

نظير دويّ النحل من كل مصدر
 إلى ربه صلى، وكم من مكبر
 وكم أوقدت أرتال عود وعنبر
 وكم خاطب بالسجع من فوق منبر
 وكم واعظ يمرى مدامع مخبر
 هنا كان يجثو عن جبين معقر
 ويبدو هنا في ثوبٍ أشعث أغبر
 أساطين قد تُحصى بألف وأكثر
 يذوب لها قلب الحنيف المفكر
 حدائق نصّت من جماد مشجر
 لها نسبٌ من مقطع متخير
 معادن شتى من فلزٍ ومرمر
 لدى الفري تهزا بالحديد المعصر
 فصالت بها الصنّاع صولة عتر
 مقاطع جبن أو قوالب سُكر
 أكاليل دُر في قلائد جوهر
 من الصخر في مثل الطراز المعجّر
 كأن فاتها صنّاعها منذ أشهر
 بأبلغ من زهر النجوم وأزهر
 لظلت تحدى للثريا وتزدرى
 أجاحد نور الشمس دونك فانظر
 وينشدها في كل سهل وموعر

تطوف فلا تلقاك غير بدائع
تطلّع فلا تلقاك غير روائع
خليلي فما فحَصُ السُرادق نائياً
وهذي رسوم للمنيف ومؤنس
وكان هنا قصر الدمشقيّ وإنه
وزاهرة المنصور لا شكّ جنة
وسائل عن المنصور نجل ابن عامر
غزا في العدى ستاً وخمسين غزوة
خليلي وعرج بالبهور فإنه
وهذي التي كانت تسمى شقنّدة
وفيها جرى ذاك العراك الذي جرى
وقائع قيس واليماني، وكلها
وزر ضفة الوادي الكبير وسُح بها
وهذي الطواحين الشهيرة لم تزل
قصور نبا عنها قصور مشيد
وأقنية تحكي الجنان نضارة
وشمّ حصون لا تُعد، ودونها
على همم دلت لهم وقرائح
فأخنى على تلك المحاسن كلها
محا الخلف من أوضاعهم كلّ نافع
ولم يستفيدوا من تقاطع بينهم
فكل الذي قد شيدوه بحزمهم

يميل إليها كل عطف مُخصر
لها الليث يرنو عن لواظ جوذر
وهذا برأس الطود حصن المدور
وقصر السرور الدارس المتبعثر
يطاول عليا بعلبك وتدمر
تمد من الوادي الكبير بكوثر
يجاوبك عنه كلّ قوس موثر
وأض بها طُرا بنصرٍ مؤزر
تقطّع عن أمثاله كل أبهر
وتدخل في التخطيط ضمن المسور
وروى ثراها بالدم المتفجر
مصائب إن تذكر لنا نتفطر
وعرج على الجسر الطويل المقنطر
كأن تركوها أمس لم تتغير
وعلياء لم تعلم مشيد مقصّر
وأقنية تجري على كل أخضر
مقاصف إن تُذكر نهز ونسكر
ويُعرف بالآثار قدر المؤثر
غرامهم بالانقسام المشطر
وصوّح من أعمالهم كل مثمر
سوى عيش ذلّ تحت نقمه موثر
أضاعوه حقاً بالشقاق المدمر

ولم يبقَ في هذي الديار لنا سوى ممالك لا تقوى عليها كئائب
 ممالك فكر من حروف وأسطر ولا سالب تاريخها زحف عسكر
 إذا حضرت آثار قومي، وإن خلوا فإني منها في قبيل ومعشر
 وأشعر اني في بلادي كأنما تخاطبني الأرواح من كل مقبر
 وإنني أرى بالعين ما لم أكن أرى حقيقته في وصف طرس ومزبر
 لعل الذي قد كان منه بوارنا يعود علينا خير وعظ ومزجر
 قرطبة - شكيب أرسلان



حكم أخرى لأبي مدين

- * الحمية في الأبدان ترك المخالفة بالجوارح، والحمية في القلوب ترك الركون إلى الأغيار، والحمية في النفوس ترك الدعوى.
- * الخوف سوط يسرق، ويعوق: يسوق إلى الطاعة، ويعوق عن المعصية.
- * من أخلص لله في معاملته، تخلص من الدعوى الكاذبة.
- * أهل الصدق قليل في أهل الصلاح.
- * من لم يستعن بالله على نفسه صرعه.
- * نافخ الكير إن لم يحرقك بناره، آذاك بشراره.
- * من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه.
- * الدعوى من رعونة النفس.



غدر المرأة

نظرة من نظرات مصطفى لطفي المنفلوطي

يقصون في القصص الخرافية أن حكيمًا من حكماء اليونان كان يُحب زوجته حبًا ملك عليه عقله وقلبه، وأحاط به إحاطة الشعاع بالمصباح المتقد، وكان يمازج هناءه الحاضر شقاء مستقبل يسوقه إلى نفسه، الخوف من أن تدور الأيام دورتها فيموت ويفلت من أشراكه ذلك القلب الذي كان مغتبطًا باعتلاقه، إلى صائد آخر يعتلقه من بعده. وكان كلما بث زوجته سره وشكا إليها ما يساور قلبه من ذلك الهم، حنت عليه وعلته بمعسول الأمانى، وأقسمت له بكل محرقة من الأيمان أنها لا تسترد هبة قلبها منه حيًا وميتًا. فكان يسكن إلى ذلك سكون الجرح الذرب، تحت الماء البارد، ثم يعود إلى هواجسه ووساوسه. حتى مر في بعض روحاته إلى منزله في ليلة من الليالي المقمرة، بمقبرة المدينة، فبدا له أن يدخلها ليروح عن نفسه هموم الموت بوقفة بين قبور الموتى، وكثيرًا ما يتداوى شارب الخمر بالخمير، ويدفع الخوف الخائف إلى موطن خوفه، ويلذ للجبان وهو يرتعد فرقًا الإصغاء إلى حديث الأفاعي وقصص الجان، فرأى في بعض مسالكة بين تلك القبور امرأة متسلبة، جالسة أمام قبر جديد لم يجف ترابه، ويدها مروحة من الحرير الأبيض، مطرزة بأسلاك الذهب، تهزها يمنة ويسرة، لتجفف بها بلل ذلك التراب. فعجب لشأنها وتقدم إليها، فارتاعت لمرآه ثم أنست به حينما عرفته، فسألها: ما شأنها وما مقامها هنا، ومن هذا الدفين، وما الذي تفعل؟ فأبت أن تجيبه عما سأل، حتى تفرغ من شأنها. فجلس إليها وتناول منها المروحة وصنع صنيعها حتى جف التراب، فحدثه أن هذا الدفين زوجها، وأنه دُفن منذ ثلاثة أيام وأنها منذ الصباح جالسة مجلسها

هذا لتجفف تراب قبره وفاء يمين كانت أقسمتها له في مرض موته، أنها لا تتزوج من غيره حتى يجف تراب قبره، وأن هذه الليلة هي موعد زواجها من زوجها الثاني، فأبى لها وفاؤها لهذا الدفين الذي كان يُحبها ويحسن إليها أن تحث في يمين أقسمتها له أو تخيس بما عاهدته عليه. ثم قالت: هل لك يا سيدي أن تقبل هذه المروحة هدية مني إليك وجزاءً لك على حسن صنيعك معي؟ فتقبلها منها شاكرًا بعد أن هناها بزواجها الجديد، ثم انصرف وليس وراء ما به من الهم غاية. ومشى في طريقه مشية الرائح النشوان يُحدث نفسه ويقول: إنه أحبها وأحسن إليها، فلما مات جلست فوق قبره لا لتبكيه، ولا لتذكر عهده، بل لتتحلل من يمين الوفاء التي أقسمتها له. فكانها وهي جالسة أمام زوجها الأول تعد عدد الزواج من زوجها الثاني. وكأنها اتخذت من صفائح قبره مرآة تصقل أمامها جبينها، وتصفف طرتها، وتلبس حليتها بين سمعه وبصره للزفاف إلى غيره، وما زال يُحدث نفسه بمثل ذلك حتى رأى نفسه في منزله من حيث لا يشعر، ورأى زوجته ماثلة أمامه مرتاعة لمنظره المحزن، فقال لها: إن امرأة خائنة أهدت إليّ هذه المروحة فقبلتها منها لأهديها إليك؛ لأنها أداة من أدوات الغدر والخيانة، وأنتِ أولى بها مني. ثم أنشأ يقص عليها قصة المرأة، حتى أتى عليها، فغضبت وانتزعت المروحة من يده ومزقتها، وأنشأت تسب تلك المرأة وتنعى عليها غدرها وخيانتها، وتلقبها بأفحش الألقاب وأقبحها، ثم قالت: ألا يزال هذا الوسواس عالقًا بنفسك ما دمت حيًا؟ وهل تحسب أن امرأة ترضى لنفسها بما رضيت به لنفسها تلك المرأة الغادرة؟

فقال لها: إنك أقسمتِ ألا تتزوجي من بعدي، فهل تفين بعهدك؟

قالت: نعم، ورماني الله بكل ما يرمي به الغادر إن أنا غدرت. فاطمأن لقسمها وعاد إلى راحته وسكوته.

مضى على ذلك عام، ثم مرض الرجل مرضًا شديدًا، فعالج نفسه، فلم يجد العلاج، حتى أشرف، فدعا زوجته وذكرها بما عاهدته عليه، فادكرت، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى غربت شمس. فأمرت أن يُسجى في قاعته حتى يُحتفل بدفنه في اليوم الثاني، ثم خلت بنفسها في غرفتها تبكي عليه وتندبه، وإنها لذلك إذ دخلت عليها الخادم، وأخبرتها أن رجلًا من تلاميذ مولاي حضر الساعة من بلدته لما سمع بأمر مرضه، فأخبرته خبر موته فصعق في مكانه حزناً ووجدًا، ولا يزال عند باب المنزل مطروحًا لا تدري ما تصنع في أمره. فأمرتها أن تذهب به إلى غرفة الأضياف، وأن تتولى شأنه حتى يستفيق، ثم عادت إلى بكائها ونحيبها، فلما مر الهزيع الثاني من الليل، دخلت عليها الخادم مرتاعة مولهة، وهي تقول: رحمتك وإحسانك يا سيدتي، فإن ضيفنا يعالج من آلامه وأوجاعه عذابًا أليمًا، وقد حرت في أمره، وما أحسبنا إن أغفلنا أمره ساعة واحدة إلا هالكًا. فراعها الخبر، فقامت تتحامل على نفسها حتى وصلت إلى غرفة المريض، فرأته مسجى على سريره والمصباح عند رأسه، فاقتربت منه ونظرت في وجهه، فرأت أبداع سطر خطته يد القدرة الإلهية في لوح المقادير، فتخيلت أن المصباح الذي أمامها قبس من ذلك النور المتأليء في ذلك الوجه المنير، وتمثلت كأن أنينه نغمة موسيقية محزنة ترن في جوف الليل البهيم. فأنساها الحزن على المريض المشرف الحزن على الفقيد الهالك، وعناها أمره، فلم تترك وسيلة من وسائل العلاج إلا توسلت بها إليه، حتى استفاق ونظر إلى طبيبه الراكع بجانب سريره نظرة الشكر والثناء. ثم أنشأ يحدثها عن نفسه كل شيء، فعرفت من أمره كل ما كان يهمها أن تعلمه، فعرفت مسقط رأسه وصلته بزوجها، وأنه فتى غريب في قومه لا أب له ولا أم ولا زوجة. وهنا أطرقت برأسها برهة طويلة عالجت فيها من هواجس النفس ونوازعها ما عالجت. ثم

رفعت رأسها وأمسكت بيده وقالت: إنك قد ثكلت أستاذك، وأنا ثكلت زوجي، فأصبح همنا واحدًا، فهل لك أن تكون عونًا لي وأكون عونًا لك على هذا الدهر الذي لم يترك لي ولا لك مساعدًا ولا معينًا؟ فآلم بما في نفسها، فابتسم لها ابتسامة الحزن والمضض، وقال لها: من لي يا سيدتي أن أكون عند ظنك بي، وهذا المرض الذي يساورني ويتعهدني من حين إلى حين قد نغص علي عيشي، وقد أفسد علي حياتي، وقد أذرنني الطبيب باقتراب ساعة أجلي إلا أن تدركني رحمة الله. ففتشي عن سعادتك عند غيري، فأنت من بنات الوجود وأنا من أبناء الخلود. فقالت له: إنك ستعيش وسأعالجك، ولو كان دواؤك بين سحري ونحري.

قال: لا تصدقي يا سيدتي فأنا عالم بدوائي، وعالم أنني لا أستطيع السبيل إليه.

قالت: وما دواؤك؟

فامتنع عليها برهة لا يجيبها، فلما أعياه إلحاحها قال: حدثني طيبني أن شفائي في أكل دماغ ميت ليومه، فلما علمت أن ذلك يعجزني أسجلت أن لا دواء لي ولا شفاء. فارتعدت وشحب لونها وأطرقت طويلًا، ثم رفعت رأسها هادئة ساكنة وقالت: إنني لا أزال أقول لك إنني سأعالجك، وإن كان دواؤك في ذهاب نفسي. ثم أمرته أن يأخذ قسطه من الراحة، وخرجت متسللة حتى وصلت إلى غرفة الميت، ففتحت الباب، فدار على عقبه وصر صريرًا مزعجًا، فجمدت في مكانها وقد امتلأ قلبها رعبًا وخوفًا، وذهبت بها الظنون كل مذهب. ثم عادت إلى سكونها، فتقدمت لسانها، حتى دنت من السرير، ورفعت الفأس، وما كادت تهوي بها حتى رأت الميت فاتحًا عينيه ينظر إليها، فسقطت الفأس من يدها، والتفتت وراءها فرأت الضيف والخادم واقفين وراءها يتضحكان، ففهمت كل شيء.

وهناك تقدم إليها زوجها وقال لها: أليست المروحة يا سيدتي في يد تلك المرأة الغادرة أجمل من الفأس في يدك؟! أليست التي تُجفف تراب قبر زوجها بعد دفنه أفضل من التي تكسر دماغه قبل نعيه؟! فصارت تنظر إليه نظرًا غريبًا، ثم شهقت شهقة كانت فيها نفسها!



العربية والإسلام وموقف أوروبا منهما

قال الحاج ناصر الدين دبه في كتابه (الحج إلى بيت الله الحرام):
لقد استرعت أنظارنا بصفة خاصة أثناء رحلتنا أمور ثلاثة على جانب من الأهمية بالنسبة للمستقبل، وهي:
(أولاً): قوة الحياة الكامنة في اللغة العربية.
(ثانياً): قوة العقيدة الإسلامية.
(وثالثاً): إصرار أوروبا في عداوتها للإسلام إصرارًا ظاهرًا أو مستترًا.

□ أولاً: قوة الحياة الكامنة في اللغة العربية:

اتخذ بعض اللاتينيين ديدناً لهم إظهار اللغة العربية الفصحى بمظهر لغة ميتة وغير مفهومة عند ثلاثة أرباع المتكلمين بها من العرب. أما لغة الكلام فهي في نظر هؤلاء اللاتينيين عبارة عن لهجات عامية لا ارتباط بينها، ومصيرها الفناء بعد زمن قليل.

ولكن حسب الإنسان أن يذهب إلى الشرق: إلى مصر أو سوريا ليتجلى له البرهان القاطع على أن اللغة العربية التي وُثِدَت قبل أن يحين أجلها، هي على

عكس ما يذهبون إليه، لغة حية بكل ما في الحياة من قوة، لدرجة أن جميع الأجانب المقيمين في هذه الأصقاع لا يجدون مفراً من تعلمها، وإلا حيل بينهم وبين القيام بتصريف أمورهم.

وفي مكة على وجه التخصيص يشاهد الإنسان أكبر مظهر من مظاهر حياة اللغة العربية، فإن لغة الكلام هناك تكاد تكون الفصحى بعينها. ومن السهل أن يفهمها جميع الناطقين بالضاد في جميع الأقطار.

أما الاختلاف الواقع بين اللهجات المتعددة فعديم الأهمية، لأنه لا يحول دون تفاهم المغاربة والسوريين واليمنيين وغيرهم فيما بينهم، إذا جمعتهم الظروف في مكان واحد، والعناء الوحيد الذي يلاقيه المتكلم ينحصر في اللهجة المصرية بسبب اختلاف النطق بحرفي الجيم والقاف.

وهناك الألوف من الحجاج الأعاجم (غير العرب) الذين يُقبلون على تعلم اللغة العربية بشغف زائد؛ ليتسنى لهم قراءة القرآن، واستيعاب معانيه، والكثيرون منهم يقدرون على التعبير بها من غير ما خطأ، بالرغم من سقم نطقهم.

ولقد تسنى لنا محادثة بعض الجاويين والهنود والفارسيين والخراسانيين وأهالي البوسنة والأتراك والألبانيين وأهل القوقاز والسنغال والسودان من غير أن تصادفنا صعوبة تذكر.

أما العرب والبدو من سكان الحجاز ونجد، فقد تولتنا الدهشة من الشبه الكبير بينهم وبين بدو صحراء افريقية الشمالية في تعبيراتهم ونغماتهم وأفكارهم.

واللغة العربية الفصحى تشابه في الواقع اللغة الفرنسية، وهي مثلها لغة حية، وتتفق وإياها في طريق التعبير والادلاء.

أما اللغة العامية فلا تختلف لهجاتها بأكثر من اختلاف لغة فلاحي شمال فرنسا عن لغة فلاحي جنوبها.

ويجد الإنسان في دراسة تلك اللغة العجيبة ميزة خاصة بها، فإنها - من بين جميع اللغات القديمة - اللغة الوحيدة التي لا تزال حية للآن، ولو عاد اليوم أحد معاصري النبي ﷺ لما وجد أية صعوبة في التفاهم مع جميع الناطقين بالضاد، على حين أنه لو عاد أحد معاصري قيصر لما تأتى له إلا أن يتكلم مع بعض الأساتذة المدرسين، ومع ذلك فمن المشكوك فيه أن يتسنى له أن يفهمهم كل الفهم، كما أن أحد معاصري فرنسوا الأول لو عاد؛ لوجد صعوبة تامة في التخاطب مع فرنسيي اليوم.

وآداب اللغة العربية - دون آداب اللغات الحية - أقلها انتشاراً؛ لأنها أدق على الفهم، ولأن الموجود منها بين أيدينا مترجماً إلى اللغات الأوروبية معظمه محشو بالأخطاء، وعلى جانب من السخافة المزرية.

وفي الواقع لأجل الإلمام بآداب اللغة العربية وتفهمها يجب ألا يكون المترجم لها ممن درسوا اللغة العربية حق دراستها فحسب، بل يجب أن يكون شاعراً، وأن يكون ممن عاشوا بين ظهرائي العرب المسلمين وعاشروهم مدة طويلة.

فأمثال هؤلاء يجدون في آداب العربية كنوزاً مدخرة، قل أن يوجد لها نظير في جمالها ونوعها.

وللغة العربية ميزة أخرى، وهي أنها منتشرة في أقطار واسعة تمتد من شواطئ الاطلانطيك إلى بلاد فارس وخليج العجم، ومن شواطئ البحر المتوسط إلى بلاد السودان، وكثيراً ما يقابل الإنسان جماعات كبيرة من المسلمين يتكلمون العربية في الأقطار الواسعة الواقعة بين بلاد فارس والهند وشواطئ المحيط الهادي.

وإن في دراسة اللغة العربية فوائد لا تُنكر، لاسيما للفرنسيين، بل هي أكبر أهمية من دراسة اللغة اليونانية القديمة واللاتينية، وتعادل دراسة اللغتين الانكليزية والألمانية، ويجب أن تُدرس في جميع المدارس الثانوية في فرنسا والجزائر وتونس والمغرب الأقصى.

□ ثانيا: قوة العقيدة الإسلامية:

وقف القراء فيما أوردناه في هذا الكتاب على مقدرة قوة العقيدة الإسلامية الهائلة، فلا حاجة بنا إلى تكرار ما رأيناه من المعجزات التي تجلت لنا من جراء فعلها في النفوس. ولكن من باب التدليل على عظمة هذه القوة نقتطف فيما يلي بعض الفقرات الواردة في كتاب للقس زويمر، أتى فيه على شرح انتشار الإسلام الذي أيقظته المحن النازلة به منذ الحرب الكبرى قال:

«منذ سنة ١٩٠٥ عاد خمسون ألفا من الروسيين الذين كانوا يتسمون بأسماء مسيحية إلى حظيرة الإسلام (صفحة ٢١٠)

وإن السودان الواسع الأرجاء بسكانه البالغين ٥٠ مليوناً من النفوس، وقبيلة الهاووسة الكبيرة، وقبائل بلاد النيجر والشاطئ الذهبي، أسلم الكثيرون منهم، بل هم على وشك أن يصيروا جميعاً مسلمين. ولا ريب أن الموج يرتفع قبرا دون أن يلقى مقاومة (صفحة ٢٣٥)، وفي البنغال (مقاطعة من مقاطعات الهند) أسلم أكثر من ١٠ ملايين نفس، وكذلك في برمانيا (بجوار الهند) زاد عدد المسلمين بنسبة الثلث في بحر عشر سنوات^(١)».

أخيراً نثبت هنا ما فات زويمر أن يذكره، وهو أنه يوجد في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا من اعتنقوا الإسلام، وإذا كان هذا الأمر لا يزال قليل الأهمية

(١) انظر: كتاب «الإسلام» تأليف س. و. زويمر.

بالنظر لقلّة عدد المعتنقين - وإن كان عددهم لا بأس به-، فإنه ذو أهمية كبرى، نظرًا لمركز هؤلاء المعتنقين الذين ينتمون إلى الطبقات الراقية المتعلمة، ونذكر منهم على سبيل المثال اللورد هيدلي الانكليزي، وصديقنا المأسوف عليه كريستيان شرفيس أحد تلاميذ أوغست كونت، وأديب من أدباء فرنسا المعدودين، وفيلسوف من فلاسفتها المشهورين.

ولو كان الإسلام الحقيقي معروفًا في أوروبا؛ لكان من المحتمل أن ينال - أكثر من أي دين آخر - العطف والتأييد من جراء روح التدين التي نجمت عن الحرب الكبرى، فإنه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم، فهو يهدي علماء أوروبا وآسيا إلى الطريق المستقيم، كما أنه هدىّ وتعزية لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهامهم الوثنية، ويرقى بروح ذلك التاجر الانكليزي، رجل العمل، الذي يعتبر الوقت من ذهب، كما يرقى بروح الفيلسوف المتدين ويسمو بنفس الشرقي المفكر ذي التأملات والخيال، كما يسمو بنفس الغربي الشغوف بالفن والشعر، بل هو يسحر لب الطبيب العصري بما قرره من الوضوء المتكرر كل يوم، وبما في الصلاة من حركات منتظمة تفيد الجسم والروح معًا.

□ ثالثًا: عداوة أوروبا للإسلام:

إن الكثيرين من القراء يعترضون على ملاحظتنا الخاصة بعداوة أوروبا للإسلام، فإن هذا الشعور السيئ لا وجود له في الحقيقة عند عامة الأوروبيين، بل هناك الكثيرون من هواة الفن وعشاق السياحة يشعرون بعطف خالص على الإسلام، وإعجاب كبير بذلك الدين الجذاب الذي أتى بآيات الإعجاز.

ولكن مما يؤسف له أن أوروبا متمسكة بتقاليد سياسية يرجع تاريخها إلى عهد الحروب الصليبية، ولم تحد عنها للآن، وكلما همت بنسيانها، قام في الحال

أعداء الإسلام أمثال غلادستون وكرومر وبلفور ومطران كنتربوري والمبشرون من جميع المذاهب في وجهها؛ لصدّها والعودة بها إلى تلك التقاليد العدائية.

م. توفيق أحمد/ بالمساحة التفصيلية والتسجيل



الجندي المجهول

يُحكى أن سائحًا انجليزيًا رأى صينيًا يضع صحنًا من الأرز المطبوخ فوق قبر، فقال له متهمًا: «متى تظن أن فقيدك يقوم فيأكل هذا الأرز؟» فأجابه الصيني بقوله: «يكون ذلك متى جاء فقيدكم يستنشق روائح الأزهار التي تضعونها على قبره»!



حكم

- * من وضع الحكمة في غير أهلها فقد ظلمها، ومن منعها أهلها فقد ظلمهم.
- * فر من الشرف يتبعك الشرف

(أبو بكر الصديق رضي الله عنه)

- * الخمر مذهب للعقل، مَسْلَبَة للمال.

(عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

- * على العاقل أن يكون عالمًا بأهل زمانه، مقبلًا على شأنه.

(عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

* من لانت كلمته وجبت محبته .

(علي بن أبي طالب عليه السلام)

* صدر العاقل صندوق سره . والبشاشة حبال المودة .

(علي بن أبي طالب عليه السلام)



خطبة الفتح الأعظم

□ **خطب بها القاضي محيي الدين بن الزكي على منبر المسجد الأقصى عقب إنقاذ صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس وبلاد فلسطين من أيدي الأوربيين سنة ٥٨٣هـ** □

الحمد لله مُعز الإسلام بنصره، ومُذل الشرك بقهره، ومُصرف الأمور بأمره، ومُديم النعم بشكره، ومُستدرج الكافرين بمكره. الذي قَدَّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليفته فلا يُنازع، والأمر بما يشاء فلا يُراجع، والحاكم بما يريد فلا يُدافع. أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازة لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر الحمدَ باطنُ سره وظاهرُ جهاره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه. وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، رافع الشك، ومُدحض الشرك، وراحض الإفك، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وخرج به منه إلى السماوات

العلی، إلى سدرۃ المنتهی عندها جنة المأوی إذ یغشی السدرۃ ما یغشی، ما زاع البصر وما طفی، صلی اللہ علیہ وعلى خلیفته أبی بکر الصدیق السابق إلى الإیمان، وعلى أمیر المؤمنین عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البیت شعار الصلبان، وعلى أمیر المؤمنین عثمان بن عفان ذی النورین جامع القرآن، وعلى أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب منزل الشریک ومکسر الأوثان. وعلى آله وصحبه والتابعین لهم بإحسان.

أيها الناس، أبشروا برضوان اللہ الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا؛ لما يسره اللہ على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردها إلى مقرها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام، وتطهير هذا البیت الذي أذن اللہ أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه، وإماطة الشریک عن طريقه بعد أن امتد عليها رواقه، واستقر فيها رسمه، ورفع قواعده بالتوحيد، فإنه بني عليه، وشيد بنيانه بالتمجيد، فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه، فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد ﷺ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء، ومقر الرسل ومهبط الوحي، ومنزل به تنزل الأمر والنهي، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها اللہ في كتابه المبين، وهو المسجد الذي صلی فيه رسول اللہ ﷺ بالملائكة المقربين. وهو البلد الذي بعث اللہ إليه عبده ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحہ عيسى، الذي شرفه اللہ برسالته وكرمه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته.

فقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا

بَصُفُونَ»، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ إلى آخر الآيات من المائدة. وهو أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين، لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقد الخناصر بعد الوطنين إلا عليه، ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده، واصطفاه من سكان بلاده؛ لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار، ولا يباريكم في شرفها مبار، فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوحات العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية.

جددتم للإسلام أيام القادسية، والملاحم اليرموكية، والمنازلات الخيرية، والهجمات الخليدية. فجزاكم الله عن نبيه محمد ﷺ أفضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقرّبتم به إليه من مهراق الدماء، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء. فاقدرُوا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة، فهذا هو الفتح الذي فُتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء، وابتهج به الملائكة المقربون، وقر به عيناً الأنبياء والمرسلون، فمنّ عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه بيت المقدس في آخر الزمان، والجند الذي تقوم بسيفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان، فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله، وأن تكون التهاني بين أهل الخضراء أكثر من التهاني به بين أهل الغبراء. أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه، ونص عليه في محكم خطابه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾؟

أليس هو البيت الذي عظّمه الملل. وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم ﷻ؟ أليس هو البيت الذي أمسك الله تعالى الشمس

على يوشع لأجله أن تغرب، وباعد بين خطواتها لتييسر فتحه ويقرب؟ أليس هو البيت الذي أمر الله ﷻ موسى أن يأمر قومه باستنقاذه، فلم يجبه إلا رجلان، وغضب الله عليهم لأجله، فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان؟ فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنو إسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفقكم لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضين. وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى، وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى. فليهنكم أن الله قد ذكركم به في من عنده، وجعلكم بعد أن كنتم جنودًا لأهويتكم جنده. وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتحميد. وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر الخبيث. فالآن يستغفر لكم أملاك السموات، وتصلي عليكم الصلوات المباركات. فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم. واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم. واحذروا من اتباع الهوى وموافقة الردى، ورجوع القهقري، والنكول عن العدا. وخذوا في انتهاز الفرصة، وإزالة ما بقي من الغصة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وييعوا عباد الله أنفسهم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده، وإياكم أن يستزلكم الشيطان، أو يتداخلكم الطغيان، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجلال، لا والله ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَزِيْرُ الْحَكِيْمُ﴾، فاحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل، والمنح الجزيل، وخصكم بهذا الفتح المبين، وأعلق أيديكم بحبله المتين. أن تقترفوا كبيرًا من مناهيه، وأن تأتوا عظيمًا من معاصيه. فتكونوا ﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾، وكالذي ﴿ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَسْلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَارِيسِ﴾، والجهاد الجهاد، فهو من

أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا الله ينصركم، احفظوا الله يحفظكم، اذكروا أيام الله يذكركم، اشكروا الله يزدكم ويشركم. جدوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وتطهير بقية الأرض من هذه الأنجاس التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر، واجتثوا أصوله. فقد نادى الأيام بالثارات الإسلامية، والملة المحمدية: الله أكبر، فتح الله ونصر، غلب الله وقهر، أذل الله من كفر. واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، وغنيمة فحوزوها، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها، وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجهزوها. فالأمور بأواخرها، والمكاسب بذخائرها، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخدول، وهم مثلكم أو يزيدون. فكيف وقد أضحى قبالة الواحد. منهم منكم عشرون، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكْرُونَ يَقْلِبُوا مَائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَقْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره، والازدجار بزواجه، وأيدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾. إن أشرف مقال يقال في مقام، وأنفذ سهام تمرق عن قسي الكلام، وأمضى قول تحل به الأفهام، كلام الواحد الفرد العزيز العلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ أول الحشر، ثم قال: أمركم وإياي بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه، وأنهاكم وإياي عما نهاكم عنه من قبح المعصية فلا تعصوه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه.

ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة، ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر. ثم قال: اللهم وأدم سلطان عبدك، الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك، المعترف بموهبتك، سيفك القاطع، وشهابك اللامع، والمحامي عن دينك المدافع، والذاب عن حرمك الممانع، السيد الأجل، الملك الناصر، جامع كلمة الإيمان، وقامع عبدة الصليبان، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، مطهر البيت المقدس أبي المظفر يوسف بن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين. اللهم عُمِّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك براياته محيطة، وأحسن عن الدين الحنفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه، اللهم أبق للإسلام مهجته، ووق للإيمان حوزته، وانشر في المشارق والمغارب دعوته، اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن طُنَّت الظنون، وابْتُلِيَ المؤمنون، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها، ومَلَكه صياصي الكفر ونواصيها، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها، ولا جماعة إلا فرقها، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها، اللهم اشكر عن محمد ﷺ سعيه، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونهيه، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها، وأرجاء الممالك وأكنافها، اللهم ذلل به معاطس الكفار، وأرغم به أنوف الفجار، وانشر ذوائب ملكه على الأمصار، وابث سرايا جنوده في سبل الأقطار. اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين، واشدد عضده ببقائهم، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم. اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام، وتتخلد على مرّ الشهور والأعوام، فارزقه الملك الأبدي الذي لا ينفد في دار اليقين، وأجب دعاءه في قوله ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلِّلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾. ثم دعا بما جرت به العادة.

أعزوا العلم والدين فأعزهم الله

في ترجمة أبي بكر عتيق السوسي - أحد أعلام المذهب المالكي في المغرب في القرن الخامس - أن الأمير المعز بن باديس علم بمكانته من الدين والعلم، وبأنه فقير لا مسكن له، فبعث إليه بمال ليشتري به دارًا، فرده وقال للرسول: قل له يدفعه لأربابه، فإن لم يعلم أربابه تصدق به على الفقراء. فأعلم الرسول المعز بذلك، فبعث إليه كتبًا جليلة كثيرة؛ مثل المدونة والنوادر والموازية وغيرها، مما له قيمة كثيرة، على رؤوس الحمالين. فلما وصل الرسول إليه أغلق بابه في وجهه.

فلاطفه الرسول وقال له:

المعز يقول: هذه الكتب في خزانتنا ضائعة، وبقاؤها عندنا يزيدها ضياعًا، فأنت أولى بها.

فقال له: اكتب على كل جزء منها أنها حبس (وقف) على طلبة العلم. فكتب ذلك.



الجامعة القومية والجامعة الإسلامية

الإسلام جامعة الجامعات القومية، والجامعات القومية جيوش للإسلام رابطة في ثغوره، يقوم على جيش منها بالدفاع عن الحوزة من الثغرة التي تليه. إذا نظر المسلمون إلى جامعاتهم القومية من هذه الوجهة، واعتبروها رداء

للإسلام تجاهد في سبيل مصلحته العامة وعروته الوثقى؛ كان لهم من ذلك قوة كفيلة بالخلاص، وكانت لهم في نظر الطامعين فيهم هبة تدفع عنهم كثيرًا من الشرور المبيتة لهم، وتُفسد على أعدائهم الخطط المرسومة لإهلاكهم.

قضى الإسلام على العصبيات التي كانت سبب الفرقة، ونهى عن القوميات التي توقظ في النفوس دواعي العداوة بين أهل الملة الواحدة، وتحمل أهل كل عصبية على أن ينتصروا لمن شاركهم فيها بالحق والباطل؛ فمثل هذه العصبيات مرضٌ في جسم أهل الملة العظمى، ومن وظيفة الطب الاجتماعي أن يستأصل أسباب المرض الاجتماعي، وأن يسن للأمة قواعد صحية تضمن لكيانها القوة والعافية بين طرفي الأزل والأبد. وأنت لو أرجعت النظر إلى تاريخ الملة الإسلامية، لوجدت الطامعين فيها مع استفحال قوتهم منذ عهد طويل لم ينجحوا - في سلبنا نعمة الاستقلال - إلا بعد أن نسخوا جامعتنا الإسلامية الكبرى بالجامعات الوطنية الصغرى. وهل يستطيع الوحش أن يزدرد فريسته إلا إذا مزقها قطعًا وجعلها لقمًا يسيغها جوفه؟

قلت لصديقين لي في الأمس - أثناء حديث عن زعماء الوطنية الأندونيسية - : إن الإسلام لا يمنع الوطني الأندونوسي من أن يكون رجلاً محباً لوطنه، حريصاً على خير بلاده، عاملاً على تحريرها، بل إن الإسلام يأمر المسلم الأندونوسي بأن يجاهد في سبيل استقلال أندونيسيا، لأن أندونيسيا ثغر من ثغور المسلمين، والأندونوسيون المسلمون جيش للإسلام مرابط في ذلك الثغر المعدود من الوطن الإسلامي، فهم مطالبون - مباشرة وقبل غيرهم - بأن يحصروا جهادهم في الثغر الذي هم جند الله فيه.

وما دام الجنود الذين يتألف منهم جيش الجهاد الأندونوسي مغتربين برابطة الإسلام، و متمسكين بعروته الوثقى التي لا انفصام لها، فإن من ورائهم جميع

مجاهدي الممالك الإسلامية يعطفون عليهم، ويؤيدون قضيتهم وينصرونها بأقلامهم وألسنتهم ومساعدتهم وبأكثر من ذلك في الظروف الكبرى. فرابطة الإسلام فضلاً عن أنها لا تمنع الوطنيين الأندوسيين من أن يكونوا وطنيين مخلصين لبلادهم، فإنها تحضهم على هذا الإخلاص، وتعتبرهم جنودها على طول الثغور الأندوسية، وفي جميع خطوط الدفاع، وتأمّر كل أخ من إخوانهم في الإسلام بأن يكون ردءاً لهم وعوناً لتحقيق حقهم بقدر ما تطول يده.

لما زرت بلاد فلسطين قبل سنتين أنا والأستاذ عبد الحميد بك سعيد الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين، وجدنا شباب فلسطين يعرفون القضية المصرية أكثر - نعم أكثر - من الشبان المصريين، ورأيانهم مراقبين لجميع حركات زعماء مصر وسكاناتهم، ويحفظون أقوالهم وتصريحاتهم في مجلسي النواب والشيوخ ومناقشات الصحف، ويزنون أقدار قادة الحركة الفكرية ويعرفون مرامي كل منهم، ولا تخفى عليهم دائرة السعي التي يجول فيها كل كاتب معروف، وأين تنتهي حدودها.

من الأمثال المعروفة «الإنسان عدو ما جهل»، وهذا يقضي بأن الصداقة قرينة المعرفة، فالشبان الفلسطينيون الذين يعرفون مصر لا شك أنهم أصدقاء لمصر، ولا شك أن هذه الصداقة تسر مصر لأنها تنفعها. وهل كانت فلسطين تحب مصر هذه المحبة وتحرص على تتبع أخبارها كل هذا الحرص، لو أن مصر لم تكن بينها وبين فلسطين روابط جامعة وأواصر وثيقة؟

كما أن جامعة الوطن لا تمنع من وجود حقوق وواجبات للفرد في داخل أسرته، كذلك جامعة الإسلام لا تمنع من أن يكون للأمة الواحدة حقوق وواجبات في داخل وطنها. إن رب الأسرة في أندونيسيا هو المتصرف - دون جميع سكان أندونيسيا - في شؤون منزله، فله بوجه خاص الحقوق التي تكون

لصاحب البيت، وعليه - دون غيره - الواجبات الملقاة على عاتق صاحب البيت، ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون هو وجميع أهل منزله أعضاء في جامعة الوطن الأندنوسي، وأن يكون لهم في الجامعة الوطنية الواجبات والحقوق التي تكون للرجل الوطني. وأنه هو وأبناء وطنه أندنوسيا باعتبارهم عضواً من أعضاء الجسم الإسلامي، لهم على جميع المسلمين حق (الأخوة) وما يترتب عليها من نصرة وتأيد، وعليهم لجميع المسلمين واجب (الأخوة) وما يترتب عليه من نصرة وتأيد، وهذه الأخوة قوة لأندنوسيا بلا شك، والذي يُفرض في هذه القوة يكون ضعيف الفهم في الشؤون الاجتماعية.

الإنسان مدني بالطبع، ومن دأب الإنسان أن ينظر إلى كل معنى يشترك فيه مع آخرين، فينظم معنى هذا الاشتراك إلى أقصى حد ممكن، بحيث لا تتعارض هذه الروابط والمشاركات، ولا يُفسد بعضها بعضاً. وكما أن من الواجب على أهل جاوة أن يقوموا بما عليهم نحو جاوة، وأن لا يكلّفوا أهالي صومطرة أو أهالي بورنيو أو أهالي سيلبس أن يقوموا بذلك عنهم، فإن هذا لا يمنعهم من أن يتعاونوا هم وأهل صومطرة وبورنيو وسيلبس على القيام بالواجبات المشتركة فيما بين هذه المناطق، وهذا وذاك لا يمنعان أهالي جميع جزائر أندنوسيا من أن يعتبروا أنفسهم عضواً في الأسرة الإسلامية، ويتعاونوا معها على القيام بواجبات «الإخاء الإسلامي».

أي مجنون يستطيع أن يقول: إن فلسطين في غنى عن صيحات الحق التي ينادي بها مولانا محمد علي، ومولانا شوكت علي في انكلترا الآن، وأي مجنون يستطيع أن يقول: إن فلسطين في غنى عن المؤتمر الإسلامي الذي سيعقده في لندن عظماء المسلمين من أبناء بلاد مختلفة، وأي مجنون يستطيع أن يُنكر أن اليهود المقيمين في أمريكا أو في ألمانيا أو تونس لا يساعدون اليهود الذين حصلوا على الجنسية الفلسطينية.

أيها الشاب المسلم الذي وُلد من أبوين مصريين، جاهد لأجل مصر، وكل وطنيًا مصريًا، فإن الإسلام يعتبرك جنديًا من جنوده المدافعين عن هذه الثغرة من ثغور الإسلام.

أيها الشاب المسلم الذي وُلد من أبوين يتكلمان العربية، شد عضدك بأبناء الأقطار العربية، واعتبرها جميعا وطن لغتك وأدبك وثقافتك وقوميتك، وليخفق قلبك مع قلوب هذه الملايين الكثيرة من الناطقين بالضاد: من ديار بكر وديار ربيعة في الشمال إلى الأحقاف وسواحل حضرموت في الجنوب، ومن حدود فارس في الشرق إلى الأمواج التي تتلاطم على سواحل الرباط وسلافي الغرب.

أيها المسلم مهما كان جنسك، وأين كان وطنك، اعمل لخير جنسك وخير وطنك، وأنت تعلم أن لجنسك ولوطنك أنصارًا من ورائهما يعدون بمئات الملايين، وكلما كنت وفيًا للإسلام الذي يربطك بهم؛ كانوا هم أوفياء للحق الذي تجاهد في سبيله. ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

محِب الدين الخطيب



الزهاوي يُلحِد للشهرة

جاء العلوم بيوتها من ظهرها	وأخو الزكاة من أتى من بابها
فترفعت أن تستكين لفهمه	فارتد لم يظفر بشق ترابها
نبج الحقيقة والحقيقة لم تكن	لتريم هذه الأرض خوف كلابها
وحقائق الأشياء نابذة، وأن	أعيا على العميان خرق حجابها
خدعته عاهرة التمدن، إنه	لم يدر ما تخفيه تحت نقابها

فمضى يشيد بمدحها متغزلاً
ولو أنه رُزق التعقل لاكتفى
لا غرو أن خار الضلالة مثله
فأخو الشقاء موفق لشقائه
يا أيها الشيخ المشيح بوجهه
خل القريض فقد عداك بليغه
حملت شعرك في غثائه لفظه
ونبذت بالكفر البواح مودة
أبوك قرء ناسل من ضفدع؟
إقن الحياء، فحسب أوطان الهدى
وتوخ ما يجدي، ولا تهزل، فما
لم ترتق الأمم المهيبة بالذي
وبما حباها الله من علم ومن
قل لي: أفلسفة تقوم بنشرها،
هي شهرة خلعت عليك كرامة
أو لم تكن أمس الحفيّ بشرة
أحسبت أن الفجر داهمه الدجى
أثقلت ظهرك بالذنوب: صغيرها
الله يُنقذ منك قومك مثلما

في قُبح طلعتها ومُلح رضاها
بالبون بين مشيبه وشبابها
رغم المشيب وسار تحت ركاها
أعمى عن النعمى وعن أسبابها
عن شِرة ما مس جلد كتابها
ودع العلوم فلست من أربابها
ما تُنكر الأشعار من أصحابها
للدين كنتَ أحق باستصحابها
أكرم بأسرتك التي تزهى بها
ما يهدم الأعداء من آدابها
في الهزل للأوطان غير خرابها
تهذي به، لكن رقت بحرابها
عقل فقدناه بفضل شرابها^(١)
أم شهرة خولطت^(٢) في استجلابها؟
لأبيك في الأحراش شرّ ثيابها
أصبحت تُعرض عن لذى خطابها
كلا فحسبك منه حسبك جابها
وكبيرها، فإلى لظى وعذابها
نجى حنيفة قبلُ من كذابها^(٣)

محمد حسن النجمي

(١) خمورها.

(٢) جُننت.

(٣) بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب.

وصايا روتشلد

في مصرف البارون روتشلد - المثري اليهودي المشهور - الوصايا التالية
منقوشة على جدرانها:

- * اهجر الخمرة.
- * كن مقدامًا جريئًا.
- * لا تستسلم للخيبة.
- * كن لطيفًا مع كل شخص.
- * استخدم وقتك جيدًا.
- * كن مبادرًا في كل شيء.
- * ادفع ديونك في حين استحقاقها حالاً.
- * استقبل مصائبك ومشاكلك بصبر.
- * لا تعتمد على التوفيق.
- * لا تتعرف بأشخاص ليسوا بالخير ولا بالنفیر.
- * كن شجاعًا في جهاد الحياة.
- * حافظ على ذاتك كشيء مقدس.
- * لا تتظاهر بأكثر مما أنت أو بما ليس فيك.



هل نحن أحرار؟

يجب أن نمتحن نفوسنا، وأن نمرنها على الحرية.

الحر هو من لم يكن عبدًا.

الحر من هو لم يكن أسيرًا.

الحر هو من يستطيع أن يسعى لحقه ومصلحته المشروعة دون أن تحول بينه وبينها حوائل، بشرط أن لا يكون في سعيه عدوان على حق الغير ومصلحته المشروعة.

هذه حقائق يعرفها كل قارئ.

ويحسن بنا الآن أن نقف قليلاً نفكر: هل نحن أحرار؟

تبادر لي هذا السؤال وأنا أقرأ مقالة افتتاحية في جريدة المقطم، فرأيت أحد قرائه يشكو استخفاف دور السينما بالجمهور المصري، وابتزازها لأمواله، وتعيينها أجورًا لمشاهدة مناظرها تعد فاحشة جدًا بالنسبة إلى سائر المرافق التي يقوم بها الناس في مصر من تجارة وصناعة وزراعة، لا سيما وأن دور السينما عندنا لا تؤدي لحكومة البلاد شيئًا من الرسوم والضرائب، كما تفعل مثيلاتها في أوروبا وأمريكا.

ولما عالج المقطم هذا الموضوع كان جوابه عن تذمر الناس من غلاء أجور السينما: إن مسألة الأجور لا نتعرض لها، لأنها بين عاقدي صفقة يتعاقدان عليها بتمام رضاها واختيارهما، فإذا كان الجمهور يرى أن ثمن التذاكر باهظ، فله من إعراضه عن دور السينما خير علاج لهذا الأمر.

إذن؛ فالذي يتدمر منه الجمهور المتردد على دور السينما بيده الخلاص منه لو شاء، وذلك بإعراضه عن دخولها إلى أن تحقق رغباته: فتجعل ثمن تذاكر الدخول متناسبًا ربحه مع أرباح المرافق الأخرى في البلد، وتحترم لغة البلاد، فيكون شرح المناظر المعروضة بالعربية الصحيحة القويمة، وتحترم عواطف المسلمين وكرامتهم، فلا تعرض منظرًا عن بلاد إسلامية أخرى فيه إساءة لها وتشويه لكرامتها، كما فعلت دار سينما أولمبيا في القاهرة مرة، إذ عرضت رواية عن المغرب والمغاربة هي أولاً خلاف الحق، وثانيًا فيها حط من كرامة ذلك الشعب العربي الإسلامي الكريم.

يتكون جمهور الأمة من فريقين: الفريق الأول - وهو الأقل عددًا - هو الذي يشعر بكرامة نفسه، وينشد الحرية في تصرفاته، فهذا الفريق هو موضع الأمل في تحرير الأمة من عبوديتها. وأما الآخر - وهو الأكثر عددًا - فإنه في الغالب أسير شهوته، ولكن على الذين بيدهم تكوين الرأي العام: من صحفيين، ومدرسين، وخطباء، ومربين، أن يُشعر كل واحد منهم من يليه من أفراد الأمة بأنهم أسرى، وبأنهم في حاجة إلى تمرين نفوسهم على الحرية، وإلى أن يمتحنوها المرة بعد المرة حتى ينهضوا بها من حضيض العبودية، فتنبؤا مرتبة الحرية التي لا تنال الأمة المعالي إلا بها.

دور السينما مثل من الأمثال، خطر ببالنا عند قراءة مقالة المقطم، فضربنا المثل بها تقريبًا لمعنى الحرية والعبودية إلى أذهان من لم يسبق لهم التفكير في هذه المعاني السامية، وإلا فوسائل امتحان الحرية والعبودية في النفوس كثيرة جدًا، وأهم مظهر من مظاهرها «حرب القرش»، التي يستطيع المسلمون أن يخوضوا غمارها وأن يهزموا بها جميع أعدائهم لو أمكنهم أن يطبّعوا نفوسهم بطبع الحرية، ومن منا يرضى لنفسه بذل الأسر والعبودية، ومن منا يسوؤه أن

يكون حرًا كامل الحرية. كلنا يشمئز من العبودية والأسر، ونحتقر من يرتضيها لنفسه بطيب خاطر، ولكن أكثرنا - ويا للأسف - على جانب من هذه العبودية، وسنبقى متصفين بها إلى أن نقتنع بأننا خاضون «حرب القرش»، وأن التساهل في هذه «الحرب» يؤدي إلى «الخدلان في المعركة».

لقد كنا حتى اليوم نساء تبكي، فيجب علينا بعد اليوم أن نصير رجالا تعمل. كنا نساء تبكي، فإذا جارت علينا دور السينما بابتزاز الأرباح غير المشروعة من جيوبنا لجأنا إلى الصحف نصخب فيها ونشكو، والخواجة صاحب دار السينما يهزأ بنا من بعيد، ويحتقرنا؛ لأنه يعلم أن صخبنا لا يُنقص شيئًا من مقدار «قروشنا» التي تتسرب إلى خزينته، ولا من أثر «دعايته» التي تتسرب من فلم السينما إلى عقولنا وقلوبنا، أو على الأقل إلى عقول أهل السذاجة منا وقلوبهم. كنا نساء تبكي، فإذا جارت علينا دولة من الدول اكتفينا بالاحتجاج والصخب، والدولة الجائرة علينا لا تبالي بنا؛ لأنها لا ترى لصخبنا ضررًا ماديًا يلحق بها، ثم يبقى لاحقًا بها إلى الأبد.

أما بعد اليوم؛ فيجب أن نتحول إلى رجال يعملون، بل جنود يجاهدون. والسلاح الذي يحارب به هو «القرش»، نمناه عن الوصول إلى جيب عدونا، ونحرص على أن لا ينتقل منا إلا إلى أقرب الناس إلينا «بقدر الإمكان».

حرية «التصرف في القرش» هي سبيل الحصول على الحرية، إذا أحسنا هذا التصرف. وإن أماننا جيشين بدأ يخوضان هذه المعركة، واكتشفا - منذ الساعة الأولى - السلاح الماضي الذي يستطيعان أن يقفا به في وجه الأعداء الأقوياء، وأن ينالا منهم، وأن يكون أثره فيهم بليغ الألم.

الجيش الأول: جيش الهند الذي امتنع بالفعل عن استعمال المصنوعات

الأجنبية، وبدأ بشر المصنوعات، وهي الخمر، فتألفت كتائب النساء للوقوف أمام الخمارات ومنع الوطنيين من دخولها.

والجيش الثاني: جيش المغاربة، الذين لجأوا إلى سلاح المقاطعة فاستعملوه بمهارة عجيبة، ونزع خريجو جامعة السوربون الفرنسية، والمتعلمون في أرقى مدارس فرنسا ملابسهم الافرنجية عن أبدانهم، وعادوا إلى العمامة والبرنس، فكانوا مثال الهيبة والجمال، الذي يذكرهم بجمال شباب الأندلس أيام الزهراء والحمراء والعزة القعساء، فالشاب المغربي اليوم يبدو بملابسه المغربية المهيبة كأنه أمير من أمراء بني عبد شمس في قرطبة، أيام الناس ناس والزمان زمان. أقسم بالله العلي الأعلى أن الهنود في الهند التي كانت مضرب المثل في الذل، وأن المغاربة الذين تصرف فرنسا في بلادهم تصرف مالك الرقاب في الرقاب التي يملكها، إذا استطاعا أن يمنعا «القروش» بضع سنوات عن أن تصل إلى جيوب الجائرين عليهم، فإن الحرية تكون منهم قاب قوسين أو أدنى. وإن الذي ليس بيده سلاح ناري ليس له من سلاح آخر يسترد به حريته إلا هذا السلاح، مشحودًا على الحجر الذي تسحق به الأمة شهواتها.

محـب الدين الخطيب



شيء عن المسيو بريان

* بدأ حياته اشتراكيا ثوريًا متطرفًا، ثم ظل يتنقل في جميع المذاهب السياسية والاجتماعية، ولم يستقر في واحد منها، وها قد أشرف على النهاية، ولا يزال حائرًا بين الأحزاب.

* بريان لا يقرأ ولا يحب القراءة، بل هو عدو كل شيء مكتوب. ترفع إليه التقارير المسهبة فيطويها من غير أن يقرأها، يستدعي كاتبها ليحدثوه بها، فيستوعب في بضع جمل ما يهمه معرفته في الموضوع.

* نشأ المسيو بريان في بيئة وضيعة النسب والمحتد، وتمكن من الصعود إلى مركز القيادة من طريق الصحافة والمحاماة.



رمضان

أهلا بشهر الإنابه	والدعوة المستجابه
أهلا بخير طبيب	يشفي النفوس المصابه
تظل مرسى الخطايا	من شهوة غلابه
ومن خداع وزور	فاش وباقي العصابه
حتى تراك فتلقي	أوزارها في غيابه
تجري إلى الخير عدواً	والشر تُقفل بابه
بيت تُخرب منها	هبت تلافى خرابه
وأصبحت تمنى	لو تستعيد شبابه
تقوى بمظهر تقوى	له عليها الرقابه
ألم تكن قبل هذا	نمّامة مفتابه
إن حدثتني حديثاً	ظننتها كذابه
أو رحت أبغي هداها	رأيتها مرتابه
حتى إذا لحت أمسى	لها الصلاح مثابه
تعطي الجزيل وكانت	شحيحة بالصبابه

مناظر البؤس باتت تلين منها الصلابه
 أهلاً بأكرم ضيف قد استطلنا غيابه
 قد أنزل الله فيه على العباد كتابه
 هدى ونوراً أعادا لذي الجنون صوابه
 لآدم ألم يكن وحش غابه؟
 لله آياته الجذابه
 حتى تُخرج قوماً على طراز الصحابه!
 أسرارها نفحتهم بالهمة الوثابه
 ما بين يوم ويوم وذا مثار الغرابه
 تعقبوا الكفر محوًا بمحوهم أربابه
 بلابل الدين أجلت غربانه النعابه
 أقوى جنودٍ لديهم كانت جنود المهابه
 لما تركنا هداهم والسيف قُدَّ جرابه
 صرنا الذنابي وكنا في العالمين الذوابه
 واحسرتاه شهدنا من الزمان انقلابه
 أهلاً بأفضل شهر لسنا نحد ثوابه
 ما فيك عيب ولكن في مفطريك المعابه
 ما أنت جوعٌ ولكن عطفتُ وشبه قرابه
 إن جاع فيك غني أعطى الفقير طلابه
 فلتغنموه جميعاً ولا تمنوا ذهابه
 وليُحسن العبد فيه إلى الكريم متابه

محمد صادق عرنوس

صفحة قديمة من تاريخ التبشير الكنسي

قال أبو علي الحسن بن علي بن رشيقي في كتاب الرسائل والوسائل:

كنتُ بمدينة مرسية، جبرها الله، وكان قد ورد عليها من قبل طاغية الروم جماعة من قسيسهم ورهبانهم، شأنهم الانقطاع في العبادة بزعمهم، والنظر في العلوم، مشربون للنظر في علوم المسلمين وترجمتها بلسانهم، ولهم حرص على مناظرة المسلمين لقصد ذميم في استمالة الضعفاء.

وكنتُ أجلس بين يدي والدي وأنا كهل لكتب الوثائق وعقود الأحكام، فوجبت لمسلم على نصراني يمين عليه، وأمرتُ أنا وشاهد آخر بالحضور ليتقاضاها المسلم منه على ما يجب حيث يعظم النصراني دينه، فتوجهنا معه لكنيسة يعظمونها هي مجتمع أولئك الرهبان، فلما فرغنا من قصدنا استدعاني قسيس منهم فصيح اللسان و، أخذ معي في الكلام والمذاكرة، إلى أن آل الأمر إلى المناظرة في إعجاز القرآن، وفي بيّتي الحريري بأنهما من الإعجاز، حيث لم يعززا بثالث وهما:

سِمَ سمة تحمد آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمكر مهما اسطعت لا تأنه لنقتني السؤدد والمكرمة

وأطال الكلام بتأديب في إعجاز القرآن وفي إعجاز هذين البيتين. قال:

وأخذت أبادي له الفرق بطريق البراهين الأصولية والأقاويل العلمية - وخاطري مشغل بالتفرغ للزيادة عليهما - إلى أن يسر الله بزيادة بيت واحد، فقلت له:

ومع هذا فقد زاد الناس على البيتين، ولم يغفلوا عنهما.

فقلت له: أنا أذكر بيتًا ثالثًا لهما لا أذكر الآن قائله (ولم أنسبه لنفسي في الوقت. لأنني قدّرت إن فعلت ذلك لا يقع منه ذلك موقعًا مؤثرًا) ثم أنشدته:

والمهر مهر الحور وهو التقى بادر به البُكرة والمهرمة

فلما سمعه وأعدته عليه حتى فهمه، فكأنما ألقمته حجرًا، ورأيت فيه من الانكسار لذلك ما لم أره عند سماع الحجج العقلية والمآخذ الأصولية، ثم أخذ في الثناء علي هو وأصحابه. انتهى باختصار كثير.



بماذا صار مولانا محمد علي عظيمًا؟

من الساعة التي أكتب فيها هذه السطور إلى الساعة التي يصل بها الفتح إلى قرائه في القطر المصري، تشهد بورسعيد البرهان الباهر على حرمة شعوب الإسلام لفقيدها مولانا محمد علي. وسيشهد بيت المقدس ما هو أبهر من ذلك وأبهى.

وبومباي (التي هي أعظم من القاهرة) ما وصل إليها نبأ انتقال روح هذا البطل المجاهد إلى أعلى عليين، حتى اعتراها الوجوم، وسكنت فيها جلبة الترام والسيارات، وترجل الناس عن مراكبهم، من أكبر كبير إلى أحقر حقير، ومن لا يفهم هذا الأدب نحو العظيم الراحل أرغمه الشعب على التأدب به.

إنهم فعلوا ذلك، وفعلوا أكثر منه، لأن محمد علي كان مجاهدًا، ولأنه كان في جهاده عظيمًا.

وإن قلم تحرير الفتح الذي يرى أن داء المسلمين آتٍ من ضعف القيادة فيهم، يقف في هذه الساعة - بإجلال واحترام - أمام سيرة العظيم الراحل مستوحياً

درس العبرة من حياته، ليتوصل إلى الوسيلة التي صار بها مولانا محمد علي مجاهدًا وعظيمًا.

وليدل شباب اليوم ورجال الغد على طريق الجهاد وطريق العظمة، عسى أن يمتلئ الفراغ الذي نشكوه في قيادة الشعوب الإسلامية.

أعدتُ النظر وكررته المرة بعد المرة في سيرة مولانا محمد علي، فرأيتُ عظمته ترجع إلى سببين اثنين:

الأول: أسلوب تعليمه ولون ثقافته.

والثاني: كيفية استعماله لمعارفه وتصرفه في ثقافته.

للتعليم في العالم الإسلامي أسلوبان، ولثقافة أبنائه لوانان:

أحدهما: وُضع لأمتنا في زمان غير زماننا،

والثاني: وُضع لزماننا في أمة غير أمتنا. وفي كلٍ من الثقافتين موطن ضعف يحول بين أصحابه وبين أن يقودوا هذه الأمة إلى الخير؛ لأن أحدهما يتكلم بلسان زمان مضى، فلا يفقه أهل هذا الزمان ما يخاطبهم به. والثاني يرطن لأمته بلسان أمم غريبة عنهم، فلا تعباً بما تسمعه منه.

وأیما مصلحٍ رأيت الأمة سائرة وراءه، مؤتمة به، فلا بد أن يكون من الذين (طعموا) التعليم القومي باللبان العصري، أو (عربوا) التعليم العصري بالذوق القومي، قليلاً أو كثيراً.

واستعرض إذا شئت ثقافة جمال الدين الأفغاني^(١)، والشيخ محمد

(١) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان شيعيًا مستترًا، نشر شرًا عظيمًا. انظر عنه: رسالة «دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام»؛ لمصطفى غزال. (س).

عبده^(١)، وسيد أحمد خان^(٢)، بل وسعد زغلول باشا^(٣)، وسائر رجال النهضة الإسلامية، تجدهم ممن تثقفوا بثقافة الإسلام، وفهموا روح العصر، فاستعانوا بما فيها من خير للوصول إلى الخير، ونالوا بعض النجاح على مقدار عنايتهم بالتوفيق بين الثقافتين.

اجتمعنا بمولانا محمد علي؛ فرأيناه في الذروة العليا من الثقافة الإسلامية، مع فهمه روح عصره أجدد فهم وأصدق، ولا غرو فقد تلقاها في جامعة عليكرة الإسلامية، التي نتمنى لو انتقضت الجامعة المصرية حجرًا حجرًا، وأعيد بناؤها على طراز جامعة عليكرة، لأن العالم الإسلامي لا يمكن أن يُدعن لقادة يتخرجون بأساليب الجامعة المصرية، ولكنه سرعان ما يُدعن للقادة الذين يتخرجون بأساليب جامعة عليكرة، وهذا بحث يحتاج إلى بسط وتفصيل في فرصة أخرى.

أسلوب جامعة عليكرة الإسلامية يوجد في نفوس من أراد الله له الخير من الطلبة مناعة تحول بينهم وبين نوعين من الخرافات: خرافات الشرق، وخرافات الغرب. خرافات الشرق التي تنافي حقائق العلم، وخرافات الغرب التي تنافي حقائق الدين. فلما أتم مولانا محمد علي دراسته في جامعة عليكرة الإسلامية، وذهب إلى جامعة أوكسفورد الانكليزية، ذهب متحصنًا بالمناعة التي أشرنا إليها، فلم تُصبه الأمراض النفسية التي أصابت علي عبد الرازق خريج الأزهر

(١) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان من رواد المدرسة العصرية. انظر عنه: رسالة «محمد عبده وآراؤه في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد»؛ لحافظ الجعبري. (س).

(٢) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان من رواد المدرسة العصرية في بلاد الهند. انظر عنه: رسالة «مفهوم تجديد الدين»؛ لبسطامي محمد سعيد (ص ١٢٠ - ١٣٥). (س).

(٣) لم يكن من رجال الإصلاح، بل كان من رؤوس العلمانية في مصر. انظر عنه: رسالة «واقعنا المعاصر»؛ للشيخ محمد قطب (ص ٣١١ وما بعدها). (س).

لما ذهب إلى انكلترا، ولا التي أصابت طه حسين خريج الجامعة المصرية عندما ذهب إلى فرنسا.

وعنصر ثان من عناصر عظمة مولانا محمد علي، هو كيفية استعماله لمعارفه، وتصرفه في ثقافته. فإن الناس عندنا يتعلمون ليتوظفوا، فيتناولوا من خزانة الحكومة في آخر كل شهر ثمن علمهم، أو يتعلمون ثم ينصرفون إلى أعمالهم الخاصة، فيعيشون في عزلة عن أمتهم وحياتها العامة. فهؤلاء وأولئك بين رجل وضع نفسه آلة في أيدي رجال السلطة وقد يستعملونه لاستعباد الأمة، أو رجل دفن نفسه في زوايا النسيان يعيش ليأكل من نتاج الأرض إلى أن تأكله الأرض، ثم يكون كأنه لم يدخل الدنيا ولم يخرج منها.

أما فقيدنا محمد علي، فرجل كان في أول الأمر حريصاً على تقويم آرائه، ويعرضها على محك التجارب، حتى إذا اطمأن للخطة التي رأى أن يدعو أمتة إليها، كتب نفسه عند ربه جندياً لنصرة الإسلام، وإنعاش الخلافة، وتحرير الأوطان، وإعداد الأمة ليوم الخلاص.

في سبيل ذلك استعمل معارفه، وللوصول إلى هذه الغايات الشريفة استثمر ثقافته. وكان يعلم أنه سيصطدم بقوى صغيرة وكبيرة ليس من مصلحتها نجاح هذه المقاصد، وأن هذا الاصطدام قد يلحق به شيئاً من الأذى، فوطن النفس عليه وتوكل على ربه، وصار يعمل لا ليُقَال إنه يعمل، بل ليصل إلى الغرض الذي يعمل له. وصار يعمل لا لأجل أن ينال ثمناً لعمله، بل ليُمتع النفس بلذة النجاح، أو ليرضي ضميره بأنه لم يألُ في السعي جهداً.

سلامٌ على روح الرجل العظيم محمد علي، وأرجو أن تسري عدوى جهاده المتواضع في سبيل الإسلام إلى كل نفس مسلمة، تربأ أن تتدنس بأضرار الأنانية الزائلة، والحرص المضمحل.

محب الدين الخطيب

رثاء أمير الشعراء للفقيه العظيم مولانا محمد علي

بيتٌ على أرض الهدى وسمائه
الفتح من أعلامه، والظَّهر من
تحنو مناكبه على شعب الهدى
من ذا ينازعنا مقالده بابه
ومحمد صلى على جنباته
واليوم ضم الناس ماتم أرضه
يا قدس هيء من رياضك ربوة
هو من سيوف الله جل جلاله
فتح النبي له مناخ براقه
بطلٌ حقوق الشرق من أحماله
لم تُنسه الهند العزيزة رقة
وقباؤه نسج الهنود، فهل ترى
النيل يذكر في الحوادث صوته
قل للزعيم محمد نزل الأسى
فمشى إليك بجفنه وبدمه
اجترته فحواك في أطرافه
ولقد نعوذ أن تمر بأرضه
نم في جوار الله، ما بك غربة
الفتح، وهو قضية قدسية

الحق حائطه وأس بنائه
أوصافه، والقدس من أسمائه
وتطل سدته على سينائه
وجلال سدته وظَّهر فنائه
واستقبل السُّبحات في أرجائه
وحوى الملائك مهرجان سمائه
لنزول تُربك، واحتفل بلقائه
أو من سيوف الهند عند مضائه
ومعارج التشريف من إسرائه
وقضية الإسلام من أعبائه
للشرق أو سهرًا على أشيائه
دفنوا الزعيم مكفَّنًا بقبائه
والترك لا ينسون صدق بلائه
بالنيل واستولى على بطحائه
والى أخيك بقلبه وعزائه
ولو انتظرت حواك في أحشائه
مرّ الغمام بظله وبمائه
في ظل بيتٍ أنت من أبنائه
يا طالما ناضلت دون لوائه

أفنى بـدفنك عند سيدة القرى مُفِتْ أراد الله في افتائه
 بلدُ بنوه الأكرمون قصورهم وقبورهم وقفَ على نزلائه
 قد عشتَ تنصره وتمنح أهله عونًا فكيف تكون من غربائه؟

أحمد شوقي



الشاعر الفرنسي لافونتين يأخذ قصصه المشهورة عن العرب

عقدت جمعية أصدقاء اللغات في باريس اجتماعًا عامًا أَلقت فيه الممثلة المشهورة ماري لاكونت محاضرة عن كيفية الإلقاء واللفظ.

وألقي الشاعر كيوداسكس - صاحب المؤلفات والروايات الكثيرة - محاضرة عن الشعراء الفرنسيين القدماء، أبان فيها أن الشاعر الفرنسي لافونتين المشهور بشعره القصصي، استوحى أشعاره الخلقية من رجال الحملة الصليبية، الذين عادوا إلى الغرب يروون قصص العرب، وينقلون شيئًا من آدابهم وقصصهم، وأثبت المحاضر (وهو صاحب ترجمة أشعار الشيخ سعدى) أن قصص لافونتين كانت معروفة عند العرب، وكان هؤلاء يروونها في أحاديثهم على سبيل الأمثال.



أوهام العاشقين

إن المرأة لتكون امرأة وحسب، إلى أن تجد عاشقها، فإذا هي وافقت منه الحب فقد تألّفت في قلب إنسان، وصار لها جنتها ونارها. ومضى منها الأمرُ والنهي وكأنها عند محبتها تأمر بقوة قادرة على أن تحيي، وتنتهي بقوة قادرة على أن تميت، وليس ما يصفها به العاشق من فنون الجمال الخيالي، وما يفيض عليها من ألوان التعبير المصبوغ، إلا ما تتوهمه العين البشرية من جلالٍ فوق الحس، ويريد الحس أن يصل إليه.



حب الأشراف

إنني لمن أولئك الذين يعرفون أن لهم عروفاً سماوية في أرواحهم، تنضم بالشعاع القدسي الذي كان يوماً في بعض أجدادهم، إما نبوة نبي، وأما خلافة خليفة، وإما مُلك مُلك. وفي مذهبي أنه إذا اجتمع الأذى والحبُّ في قلب، وجب أن ينصرف الحبُّ مطروداً مدحوراً ما من ذلك بُد.

أوراق الورد/ مصطفى صادق الرافعي



الصحراء العربية

حقاً إنه لمن المضحكات أن تري معظم الغربيين لا يفقهون شيئاً عن بلاد العرب، بينما تراهم يعرفون الكثير عن أواسط إفريقية أو عن مجاهل القطبين.

ولا بد أن يزداد دهشك واستغرابك عندما تعلم أن عشرات الألوف منهم يأتون في كل موسم إلى البلاد العربية قصد السياحة، وبالرغم من كل ذلك، وبالرغم من المؤلفات الكثيرة التي أخرجتها الطباعة الغربية عن بلاد العرب، فهم لا يُدركون شيئاً مذكوراً عن هذه البلاد، وعن الملايين العشرة من البدو الذين يقطنون فيها.

وشبه جزيرة العرب قد تعادل بمساحتها نصف الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك فإن الأوربيين الذين تمكنوا من الدخول إلى قلب الجزيرة يُعدون على الأصابع. وهم (سادلر) و(بالغريف) و(دوطي) واللاادي (آني بلانت) حفيدة اللورد بايرون الشاعر العظيم، والآنسة (جرتروود بل) و (لورانس) و(فيلبي).

لقد تمكن هؤلاء من اجتياز الجزيرة غرباً وشرقاً، ولولا أن في مؤلفاتهم شيئاً من (البروباغندا)، لكان علينا أن نعتبرها وثائق قيمة.

ولا يزال السواد الأعظم في الغرب يتخيل البلاد العربية تخيلاً، فأما أن يستقي خياله هذا من خرافات ألف ليلة وليلة، أو من على اللوحة في دور السينما، أو من كتب السياحات الكثيرة العدد القليلة الفائدة.

والبلاد العربية هي البلاد الوحيدة التي استطاعت أن تقف في وجه المدنية الغربية بأنفة وثبات، محتفظة بشعائرها وتقاليدها فلم يدنسها الزهري ولم تشلّها الكحول. فالخير الذي بعثه الإسلام فيها لا يزال خيراً، والشر الذي تركه بعده لا يزال شراً.

وهي لا تزال كما تركها الإسلام، غير تامة الفتح، فإن الكثير من أنجادهما الواسعة لا يزال بكرة عصياً منيعاً في وجه الغريب والأكاذيب والأضاليل والدعايات التي قبلت عن العرب ظلماً وعدواناً، لم تكتب عن أي شعب آخر. فنحن في الغرب نطبع العربي بطابع هو منه بريء، فالبدوي يختلف جداً عن الفلاحين الذين نراهم في ضواحي دمشق أو القدس.

ولقد نقرأ في بعض جرائدنا هذه الكلمات (نجد، الرياض، حائل، الجوف)، وكل ما نعرفه عن هذه الأسماء أنها عربية، ولكننا لا ندري أسماء أعلام هي أم أسماء مدن أو مقاطعات أم أشهر أم جمال!

وكثيراً ما نتهم البدوي ببعض السيئات التي لا وجود لها في البلاد العربية، بل حاكمتها مخيلتنا البذيئة المنحطة.

فالفنسية العربية البدوية هي أحق النفسيات بالدراسة، ليس لطرافتها فقط، بل للخير الذي يتدفق منها، وللجراحة والإقدام والصبر التي هي من مزايا البدوي دون سواه.

وجميعنا في الغرب نعتقد بأن البدوي يتسلح بالسيف، ويحمل الحراب في الغزوات، في حين أن الأمر على العكس تماماً. فالبدوي مغرم بالسلاح الناري «البندقية»، ويحذق استعماله لدرجة تدهشك، وتجعلك تعتقد أنه خريج المدرسة الحربية في برلين، ولا مجال للدهش فيما أقول.

أنا جندي، وقد قاتلت أربع سنوات في أعظم حرب في التاريخ، ولكنني شعرت رغم كل هذا في أثناء سياحتي في الصحراء بأنني - وأنا ماجور أول - لا يزال ينقصني الكثير من الشجاعة والمرونة الحربية. وإني بحاجة إلى (أحمد) خادمي الخاص ليعلمني أسرع وأنجع طريقة يمكنني بها أن أنظف بندقيتي.

وقد وُفقت بعد الجهد للنسج على منواله. وسأحمل طريقته لجنودنا إذا ما قُدر لي أن أقودها في المستقبل قائلاً: هذه بضاعة الصحراء!

وإذا ما تكلمنا في الغرب عن الحكومات والدول وأنظمتها، كان كلامنا عن العرب أنهم جماعة من البدو الرحل يسكنون بيوت الشعر وينقسمون إلى قبائل متنافرة متخاصمة، وأن ليس لهم دستور ولا قانون ولا حكومة.

ما أسخفنا في زعمنا هذا! وأنى لنا العلم بما في الصحراء ونحن ندرس مشاريع اقتسامها بيننا في لندن وباريس. من أين لنا أن نعلم بأن هناك في اليمن دولة ليس لها وزارات ومجالس نيابية، وأن هذه الدولة على رغم كل هذا يسودها النظام، ولها إمام نابغة في شؤون الحكم والإدارة، ولو قُدر لفرنسا أن تملك مثل هذا الإمام لحلت أعظم معضلاتها.

إن شمس الصحراء محرقة، ولهذا فهي تُظهر الأدمغة من السفسطات، ولا يقوم فيها غير المنطق الحر المتجرد من التزلف والرياء.

ومن يصدقني إذا ما صارحت هؤلاء المغرورين من الأجانب الذين يحاولون السيطرة على بلاد العرب بأن البدو في الجزيرة العربية بعددهم وعددهم يقبضون على التوازن الدولي، وعلى مقدرات السلم في غربي آسيا، وإن هؤلاء البدو لهم من القوة في هذه الأيام ما كان لأجدادهم في صدر الإسلام، وإنهم بمجموعهم - غير المشتت كثيرًا- لا يزالون القوة القاهرة التي يكمن فيها آخر أمل للإسلام أو للعروبة بمدلولها السياسي.

هم يظنون أن ابن السعود كالشعلان. ها...! ها...!

لو أبصروا ما أبصرت لاعتقدوا بما أعتقد به، فإن باستطاعة ابن السعود اليوم أن يُجند أربع مئة ألف جندي يعبدون الله الواحد بقلوب لا تعرف الشك، ويستमितون في سبيل كلمته برثاء لا تعرف «النيكوتين»، وبأعصاب لم تشلها الخمر؛ وبإيمان سبق للعرب أن اعتصموا بحبله من الهند إلى جبال «البيرنه»، ومن أسوار «فينا» على أقاصي الحبشة.

لقد كانت هذه الجزيرة سدًا منيعًا في وجه كل فاتح، ولم يتمكن الإسكندر الكبير من التقدم خطوة واحدة فيها بعد الأميال العشرة التي اجتازها في الرمال. فالغرباء لم يحتلوا غير الشواطيء، أما الصحراء فكانت سمًا زعاقًا لكل دخيل.

ولو لم يكن الإسلام منها وإليها لما تمكن من نشر دعوته فيها، ثم هو مع نشر دعوته فيها لم يستطع السيطرة عليها، فكان الخلفاء يسيطرون على البدوي بالسنة المتفقهين بالقرآن، وحذا الترك حذو الخلفاء العرب، ولكنهم اكتفوا بالسيادة الاسمية على الصحراء.

واليوم يحاول الأوربيون اغتصاب هذه الأنجاد واستثمارها، فهل يكون نصيبهم غير نصيب دارا والاسكندر والسلطان سليم؟

يقولون إن ابن السعود يقبض ثمن سكوته ذهبًا وهاجًا يختلف في شكله، فيتفاوت بين الجنيه الانكليزي و«النابليون» الفرنسي، فهل هناك خيانة يا ترى؟ أم أن الذهب يقاتل الذهب، فيستفيد البدوي من هذا القتال؟ لنس الذهب الآن، ولنذكر أن هناك في الصحراء شمسًا تحيي البدوي وتزيده منعة وعزمًا، وتذهب بالدخلاء وتقضي عليهم، لا سيما وهناك العطش، ووراء العطش الموت!



قوة العربي .. حلفاء العربي لو أن في العربي روح التعاون

لا يحتاج العربي إلى القلاع والخنادق أو الأساطيل لكسر شوكة الدخلاء، فإن طبيعة البلاد بجوها الفريد في قلبه أعظم مساعد على قهر الأعداء.
للعربي ثلاثة حلفاء:

الشواطئ العارية المنفرجة التي يستحيل إنشاء الموانئ والمرافئ على جوانبها.

والصحراء الأمانة التي تقضي على كل حي ليس من أهلها .

والشمس التي يسير البدوي في ظلها حاسراً ، بكوفية قطنية فقط تترأف الشمس به وتدعه يتنعم بنورها ، ويسير الأوربي بضع ساعات في ظلها ساتراً رأسه بخوذته «الفلينية» ، فلا تلبث الشمس أن تصرعه وترديه طعاماً لوقودها .

وما هو الخطر الذي تُلحقه الجيوش الأوروبية بَعدها وعُددها بهؤلاء البدو الذين ينعمون في إقليم قد ترتفع حرارته إلى ما فوق المئة والثلاثين ، وتهبط على ما تحت الستين ، في مدة لا تتجاوز نصف ساعة ؛ وأي أذى تُلحقه هذه الجيوش الأوربية بمثل هؤلاء الذين بإمكانهم أن يعيشوا أسبوعاً كاملاً وطعامهم حفنة يابسة من التمر ، وشرابهم طاسٌ من لبن النياق ؟

إن في وسع البدو تشييد بيوتهم الشعرية وهدمها بمدة لا تتجاوز الساعة الواحدة ، وإذا ما أرخوا لهجنهم العنان ، راحت تطوي البيد ، فلا القذائف تُدركها ولا القنابل الهابطة عليها من السماء .

ومن أين للجيوش الأوربية أن تبعث الخوف والوجل في قلب البدوي ، وهو الذي يحلم بالجنة ، الجنة التي تجري من تحتها الأنهار ، الجنة التي تدر عسلاً ولبناً وخمراً ، الجنة التي تسكنها الجواري والغلمان . ويزهو فيها الربيع الدائم . والنبات الدائم والقمر الدائم .

هذه هي الجنة التي يحلم بها البدوي ، وهي أقرب جنات الأديان إلى المنطق ، وأشدّها استهواءً للنفوس .

البدوي يحلم بمثل هذه الجنة ويؤمن بمنطقيتها ، ويُحتم وجودها ، ويعتقد بكل جارحة من جوارحه أن الطريق المضمون إلى هذا النعيم إنما هو الاستشهاد في سبيل الله ، أو بكلمة أفصح : الاستشهاد في مقاتلة كل من لا يؤمن بوحدانية الله وبرسوله .

ولقد كان قضاء الله شرًا أو رحمة (لا أدري) على البشر^(١)، إذ قضى على العربي بأن يفقد روح التعاون بينه وبين أخوته، ولو أنه ملك هذه الروح إلى جانب مزاياه الأخرى؛ لحكم العالم بلا ريب.

ولما كانت البلاد العربية بمدلولها لا تتم عن وحدة سياسية جامعة، وجب علينا تقسيمها بحسب أوضاعها السياسية. أما إمارتا نجد وجبل شمر، فإنهما تتمتعان اليوم باستقلال تام، يخلو من كل تدخل أجنبي، وقد وُفقتا للوقوف في وجه النفوذ الأجنبي الذي يحاول تثبيت قدمه في الجزيرة.

اسكندر باول



العرب

قرأنا في عدد (٢٥ شعبان سنة ١٣٤٩) من جريدة (الضياء) ما يأتي:

«العرب جيل من الناس ندلت عليه الشمس منذ القدم في هذه الجزيرة التي كأنها قطعة انخزلت من السماء مع الإنسان الأول، فلا يزال أهلها أبعد الناس منزعًا في الحرية الطبيعية، الأولى؛ فهم منه ينبتون، وعليه يموتون.

سكان الفيافي وتربية العراء، ينبتون مع الشمس، ويفيئون مع الظل، ويطيرون

(١) قضاء الله كله خير؛ كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك» رواه مسلم (٧٧١). وإنما الشر في المقضي. انظر: «الباب الحادي والعشرون: في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر، ودخوله في المقضي»، من كتاب «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»؛ لابن القيم - رحمه الله تعالى - (٢/ ٥٠٩ - ٥٣٦). (س).

في مهب الهواء. بل أولاد السماء: ما شئت من أنوف حمية، وقلوب أبيّة، وطباع سيالة، وأذهان حداد.

وقد صرح بعض علماء الأجناس البشرية أنه لا ند لهذا الجنس العربي في جميع السلائل، من الصفات التي تتباين فيها أجناس البشر خُلُقًا وخُلُقًا، وأنها تسمو على سائر الأجيال بالنظر إلى هيئة القحف وسعة الدماغ وكثرة تلافيفه، وبناء الأعصاب وشكل الألياف العضلية، والنسيج العظمي، وقوام القلب، ونظام نبضاته، فضلاً عما هو عليه من ملاحظة السحنة، وتناسب الأعضاء، وحسن التقاطيع، ووضوح الملامح.



أنظمة الدستور وسيلة، لا غاية

من دلائل جودة فهم بريان الفرنسي أنه يرى أن المذاهب الدستورية ليست مبادئ؛ بل وسائل لخدمة المبادئ. من ذلك أنه لما اعتصم عمال السكك الحديد في شرق فرنسا، وخشي بريان أن تنتهز ألمانيا الفرصة فتهاجم فرنسا، ضرب للمعتصمين موعدًا إن لم يعودوا فيه إلى أعمالهم جنّدهم في الجيش. وكان تنفيذ ذلك مخالفًا للقواعد الدستورية، لكنه نفذ وعده وجنّدهم بعد الموعد المضروب. فلما هاج عليه مجلس النواب قال لهم: كان يمكن حل المشكلة بسفك دماء العمال حرصًا على حرمة القواعد الدستورية، لكن فضلت أن أحل المشكلة ويدي طاهرة من دماء العمال، ولو خالفت ظواهر القواعد. فتحول هياج المجلس عليه استحسانًا لعمله.



بين الحجاج وبشر بن مالك

لما فرغ المهلب من قتل عبدره الحروري دعا بشر بن مالك، فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج، فلما دخل عليه قال له الحجاج:

ما اسمك؟

قال: بشر بن مالك.

فقال الحجاج: بشارة وملك إن شاء الله. وكيف خلفت المهلب؟

قال: خلفته وقد أمن ما خاف، وأدرك ما طلب

فقال له: وكيف كانت حالكم مع عدوكم؟

قال: كانت البداءة لهم، والعاقبة لنا

فقال الحجاج: العاقبة للمتقين. فما حال الجند؟

قال: وسعهم الحق، وأغناهم النفل، وإنهم لمع رجل يسوسهم بسياسة الملوك، ويقاثل بهم مقاتلة الصعلوك، فلهم منه بر الوالد، وله منهم طاعة الولد

فقال له: فما حال ولد المهلب؟

قال: رعاة البيات حتى يأمنوه، وحماة السرح حتى يردوه

فقال له: وأيهم أفضل يا بشر؟

قال: ذلك إلى أيهم يا أمير المؤمنين

فقال له: وأنت أيضًا تعرف ذلك؛ لأنني أرى لك لسانًا وعبرة.

قال: هم كالحلقة المفرغة لا يعرف أين طرفها.

فقال الحجاج: ويحك! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال؟
 قال: لا يعلم الغيب إلا الله.
 فقال الحجاج: لا فُض فوك.



من حِكَم أبي بكر الوراق

- * إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخُلق، وإذا ساء خُلق المرء أبغضه الخُلق وأبغضهم وجفاهم، وهناك يصير شيطانًا.
- * الخلاف يهيج العداوة، والعداوة تستنزِل البلاء.
- * ما عشق أحدُ نفسه إلا عشقه الكِبَر والحقد والذل والمهانة.
- * ازهد في حب الرئاسة، والعلو في الناس، إذا أردت أن تذوق شيئًا من طريقة الزاهدين.
- * لو أن أحدًا يعلم علم العلماء، ويفهم فهم الفهماء، ويعرف سحر كل ساحر، لا يستطيع أن يستر عورة من عورات نفسه إلا بالصدق فيما بينه وبين الله تعالى.



من كلمات السلف

- * قال فخر المجاهدين عبد الله بن المبارك (المتوفى سنة ١٨١):
 إذا غلبت محاسن الرجل على مساويه لم تُذكر المساوي، وإذا غلبت المساوي على المحاسن لم تُذكر المحاسن.

* قال سيد الحفاظ أبو عبد الله الثوري المتوفى (سنة ١٦١):

العالم طيب الدين، والدرهم داء الدين. فإذا اجتر الطيب الداء إليه، متى
يداوي غيره؟



□ قال أحد البلغاء:

إن اشتغلْتُ بعلم الناس احفظه دهرى فذلك شيء لا يواتيني
وإن رجعتُ إلى علمي لأحرسه فطالب العلم يمضي ليس يأتيني



الآلام

تريدون أن أكتب أوصاف الآلام وفلسفتها؟ ألا فاعلمي أن آثارك في هي
كتابي إليك... لا لا بل سأتكلم عن أخرى مثلك هي... هي الحياة.

أكثر تكاليف الحياة في ألمها وتعبها كأكثر أمراض الحياة؛ فهل من هذا إلا
أن كل إنسان مريض - ما دام حيا - بأنه حي...؟

ونعيش بين الأشياء والمخلوقات؛ ومنها ما يسرنا كأنه أجزاء في وجودنا قد
زيدت علينا؛ ومنها ما يؤلمنا كأنه أجزاء قطعت منا. فهل يؤخذ من هذا إلا أن
الإنسان ما دام مضطراً فهو مريض بأنه مضطرب...؟

فأين إذن يلقي الحي آلامه، وفي جسمه مرض يخلقها مندفعة منه، وحول
جسمه مرض آخر يردها راجعة إليه...؟

وما أشبه آلام الإنسان بألم الطفل المذل، تراه يحزن لكثرة ما يفرح؛ ويحول
ابتسامة دموعاً في عينيه فيتغير في صورته دون أن يتغير في معناه، فيضحك باكياً.

ويشكو، فتكون شكواه طريقة مرح في غير شكلها؛ ويكون في نفسه معنى واحد، ولكن وجهه الغض الآن يضع لهذا المعنى أساليب مختلفة، هي أنواع من ألعاب الطفولة.

مصطفى صادق الرافعي



الأعيب وحقائق

□ حضرة الأستاذ محرر المساء:

لقد تعودت التدقيق والتنقيح في الرسائل التي أبعث بها إليكم. وكان سبيلي في ذلك أن أعفيكم من مراجعة ما أكتب، حرصاً على وقتكم الثمين. وفي هذه المرة أحاول أن أصف ما جرى في مجلس سمر بين جماعة من المصريين، دعاهم الأستاذ محمود عزمي إلى تناول الشاي. وأريد أن أسرد بعض ما جرى في ذلك المجلس الجميل، وفيه كما سترى أزهار وأشواك، فهل لك أن تتفضل بنشر هذا الحديث برمته، مع ملاحظة أنني هذيت بعض التهذيب، وخلصته من كل ما يجرح إحساس القراء؟

بشر فارس: شيء غريب!

زكي مبارك: ما هذا؟

محمود عزمي: لا شيء!

زكي مبارك: يا أستاذ عزمي! إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان! ومع ذلك فهي قصاصة من جريدة مصرية، وما أحسبها من الأسرار بعد أن نُشرت في مصر وجاءت إلى باريس.

عزمي: ولكن في هذه القصاصة ما لا يرضيك!

مبارك: وكيف كان ذلك؟

عزمي: وذلك هو ما تسره إلى فارس؟

وهنا يقرأ الأستاذ عزمي تلك القصاصة، وفيها ما معناه:

«وبعد أن انتهى الأستاذ الثعالبي من محاضراته صاح الحاضرون: نريد أن نسمع الدكتور منصور فهمي!

فرفض الدكتور منصور، فألح الجمهور في الطلب، وألح الدكتور في الرفض، ثم اضطر في النهاية إلى الكلام فقال:

أيها السادة! ماذا تريدون من رجل قالوا إنه ملحد، إن الذين هاجموني لم يعرفوا أن للشباب هفوات.

ومع ذلك فلي الشرف أن أعلن أنني متمسك أشد التمسك بالإسلام، ومن أجل هذا أعانق هذا الرجل المسلم!».

مدام عزمي: هذا جبن، إن منصور جبان!

عزمي: نحن لا نقبل رأيك في منصور لأنك تكرهينه

مبارك: الدكتور منصور جبان! لو كان الدكتور منصور جباناً لأعلن إسلامه يوم كانت مصالحه تتوقف على كلمة واحدة يرضي بها رؤساء الجامعة المصرية^(١).

ولكن اليوم وقد اطمأن على مركزه ومستقبله، وأصبح غير محتاج إلى مصانعة أحد، أفتظنون أن عواطفه نحو الإسلام في هذه الظروف نوع من الجبن؟ إنكم لا

(١) يريد زكي مبارك أن يقول: إن رؤساء الجامعة المصرية قوم يتقرب الناس إليهم بالتزام الإسلام.

تعرفون الدكتور منصور، لقد مرت به أوقات كان لا يؤمن فيها ببعض التقاليد القديمة، فكان يجاهر بتركها، غير مبالٍ بما يلحقه من الأضرار الاجتماعية في بلد درج على تقديس التقاليد.

مدام عزمي: أنت لا تعرف منصور كما نعرفه، لقد رييناه! نحن نعرفه منذ ثلاثين عاما أو تزيد.

مبارك: ومع ذلك لا تعرفونه يا مدام، إن الدكتور منصور.. حسب أنه الرجل الوحيد الذي عرفناه يترفع عن الدسائس والصغائر في عصر كله نفاق وخداع.

عزمي: حقيقة الدكتور منصور رجل طيب!

مبارك: لا يخفى علي خبثك يا سيد عزمي!

عزمي: قلت لك إنه طيب. فهل تريدني على أن أقول أكثر من ذلك، فأزعم أنه فيلسوف؟

مدام عزمي: فيلسوف؟ لقد احتقرته يوم عرفته، فقد قال لي أنا تولستوي مصر! فيا للوقاحة!

توفيق صليب: إن رسائل خطرات النفس لا تدل على تفكير عميق.

مبارك: تنقصها الطنطنة فقط لتصير من التفكير العميق!

توفيق: إنه ضعيف في اللغة.

مبارك: وأنا لم أزعم أنه تخرج من الأزهر أو دار العلوم. ولكني أؤكد أنه كأستاذ فلسفة يعد من أكابر الأساتذة، ولا يعرفه إلا من أخذ عنه.

عزمي: يظهر أننا لن نتفق معك في تقدير منصور.

مبارك: الذي يهمني من هذا الجدل شيء واحد: هو أن الدكتور منصور تطور

في آرائه الدينية والاجتماعية. فهو الآن في طور الإيمان، وهو رجل لا يعرف ما الجبن ولا يدري النفاق.

بشر فارس: إسلام منصور فهمي عندي أفضل من إسلام طه حسين، يوم أعلن عن طريق قلم المطبوعات أنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر!

توني: ومع ذلك طه حسين شجاع؛ لأنه ترك بقية الصيغة فلم يقل: وإن عذاب القبر حق، وسؤال الملكين حق. والصراط حق، والميزان حق، إلى آخر الحديث!

مبارك: الدكتور طه شجاع، وهذا لم يكن إلا رأي مدير الجامعة المصرية، فهو الذي اقترح منشور الإيمان

مدام عزمي: مدير الجامعة؟ يا ساتر! إنه أيضًا يدعي أنه فيلسوف، يا حفيظ! يا حفيظ! اسمعوا فأحكي لكم حكاية عن لطفي السيد، في يوم قال لي (يا بنتي) فقلت له بنتك؟ أنا بنتك يا شيخ!

فقال في تخاذل: زوجك يبقى ابني

فقلت: إذا كان زوجي ابنك، فما ذنبي أنا حتى أكون بنتك؟

ولطفي السيد يحب أن يكون الناس كلهم أبناءه. وقد قال في يوم لعبد الحميد باشا بدوي: كلکم أبناءنا. فقال له عبد الحميد باشا: حاسب يا لطفي، حاسب، كيف تعودت أن تخاطب الناس بلهجة واحدة بلا تمييز!

توفيق: المزعج حقا أن يكون لطفي السيد فيلسوفًا.

مبارك: وما الذي يمنع من ذلك؟

توفيق: انظر ترجمته لأرسطوطاليس.

مبارك: ما عيها؟ إنها ترجمة في غاية الدقة والوضوح.

توفيق: إنه ترجم عن الفرنسية، والفيلسوف يجب أن يترجم أرسطو عن اليونانية.

مبارك: هذا جزاء من يصنع الجميل!

عزمي: أنت يا أستاذ مبارك لا تحتمل. صدقنا أن منصور فيلسوف، وأن طه

شجاع، فتريدنا أيضًا على أن نصدق أن لطفي خليفة أرسطوطاليس!

توفيق: لطفي السيد يعجبني ككاتب بليغ.

عزمي: يعجبك! ولكنك لا تدري في كم ساعة كان يكتب مقاله، لقد كان

يكتبها في أربع ساعات، وكان هو الصحفي الوحيد الذي له حاجب يلبس بدلة

شبيهة بالرسمية.

وكان هناك دهليز طويل يُوصل إلى حجرته. فكنت إذا أردت زيارته يجري

إليك ذلك الحاجب على أطراف قدميه ويقول: «اليه يكتب الافتتاحية» فتعال

بعد ساعتين! هيه؟ بعد ساعتين!

مبارك: بمناسبة حاجب لطفي بك، أذكر أن الشيخ عبد العزيز البشري وصفه

فقال: «إن التكلف عنده هو الفطرة، والفطرة هي التكلف».

عزمي: أبدع من هذا كلمة حافظ إبراهيم بك إذ يقول: «أظن أن لطفي السيد

حين يريد النوم يتمدد على فراشه ويقول: فلننم!»!

مدام عزمي: أحب أقدم لكم قهوة؟

مبارك: أهى تهديء الأعصاب!

مدام عزمي: أتريد أن تقول إنني عصبية؟

مبارك: العفو يا مدام، أنا الذي تصدعت أعصابي؟

فارس: هو أخو الشيخ علي صاحب كتاب الخلافة؟
 مدام عزمي: نعم الشيخ مصطفى هو أخو الشيخ علي.
 مبارك: والشيخ علي هو أخو الشيخ مصطفى! ولكن ما هي المناسبة؟
 مدام عزمي: الشيخ مصطفى هو ميسيه مصر، إنه لرقيق الإحساس!
 مبارك: إنك بهذا تقضين عليه؛ لأنه مدرس فلسفة، فيجب أولاً أن يكون من
 الفلاسفة. ولا مانع بعد ذلك أن يُضاف إلى رجال الآداب.
 مدام عزمي: فلسفة! فلسفة! الشيخ مصطفى لا يعرف شيئاً من الفلسفة،
 ولكنه بالذمة أديب!
 عزمي: يا ستي! من فضلك، الرجل أستاذ فلسفة فهو إذن فيلسوف لا أديب.
 مدام عزمي: أقول لكم الحق، اتركوا الرجل في حاله، إنه لا يحب الشكل
 ولا الضوضاء.

هذه خلاصة موجزة لحديث استمر ثلاث ساعات.

ثم انصرفنا، فدارت بيننا المحاوراة الآتية:

توني: إنه لجميل حقاً أن يكون للإنسان زوجة مثقفة مثل مدام عزمي.
 فارس: أنا بالعكس أرى أن الرجل المفكر يجب أن تكون له زوجة ساذجة
 على نمط حياة جان جاك روسو، فقد اكتفى بزوجة من طبقة الخادמות ليظل
 طليقاً في حياته الفكرية.

مبارك: أنا لا أدري كيف يكون للأستاذ عزمي رأي خاص، وهذه زوجته
 تبحث في كل شيء، وتتدخل في كل شيء! ولعل هذا هو السر في أنه كثير
 الاضطراب، فهو يوماً وفدي، ويوماً دستوري، ويوماً مستقل عن سائر الأحزاب!

فلسفة المرض

خُلقت نفس هذا الإنسان وكأنها ثلاثة أنفس، إذا كان دأباً لها أن تكون طامعة متلفطة وثابة، فهي لا تسكن على رزق تُرزقه، ولا تثبت على حال تحول إليها، ولا تقرر في منزلة تسفل بها أو تعلو.

وهي كذلك لا تبرح تتزع مما وجدته إلى ما لم تجده؛ لأن الشوق أحد عناصرها، ولا تنفك متقلبة تجعل ما ترضاه يوماً هو ما تسأمه يوماً؛ لأن الرغبة إحدى طبائعها، ولا تزال تتخطى حدود الأشياء؛ لأنها من الأزل بنيت على الخلود الذي لا يقف على حد. فالشوق الثائر في حاجة إلى فترة تكسر من حدته، والرغبة المجنونة في حاجة إلى ضعفة تهدىء من ثورتها، وخطوة الخلد التي لا تزال دائبة تتقدم، في حاجة إلى عثرة بمعنى من معاني الفناء المعترضة في طريق الحياة. وبذلك يكون الإنسان دائماً في حاجة إلى بعض الأمراض لا ليمرض ولكن ليصح؛ إلا أنواعاً من أساليب الموت تسمى أمراضاً لا حيلة فيها، ولا يكون المريض معها إلا كالوعاء يشقق ليُحطَّم، وينتهي، لا كالوعاء الذي يُصب ما فيه ليُنظف ويُملأ ويبتدىء.

فالمرض الرحيم وضع النفس في وثاق يُمسكها حيناً، ليحبسها على تأمل حقائق الحياة المغطاة، ويكرهها على أن ترى الدنيا أهون من أن تصغى لها نفس، وأخس من أن يسقط بها قلب، وأحقر من أن تنهالك عليها الأحياء؛ ثم ليربها رأي العين أن العالم مصبوغ بأخيلتها الوهمية التي نفضت عليه ألوان الجنة فأفسدته بهذا التمويه، وتركت أهله يتكذبون في أوصافه، فيخطئون في حقائقه؛ وجعلته كالقمر هو في ذاته حجرٌ مظلم، ولكن ذهب الشمس يجعله كله فضة بيضاء.

إنه لا يُفسد الإنسان إلا الغرور، ولا يكون الغرور إلا من الطيش، ولا يطيش بالرأي إلا سوء التقدير، ولا يكون هذا سوء أكثر ما يكون إلا من بلاء العافية على الإنسان.

وإن من بلاء العافية ثلاثاً: عافية الجسم وعافية الهوى وعافية المال. فأما الجسم، فأقرب ما وجدته إلى الحيوان الضاري الخبيث، أشد ما وجدته قوة وعافية؛ وأما الهوى فلم يخلق الله شيئاً كل هلاكه في قوته غيره، وأما المال فعافيته في رجل واحد مرض في ألف رجل إلى ألوف كثيرة، فهو حصر الدنيا كلها في بعض أجزائها، فكأنما تطوف الأمراض في هذا العالم لتصلح نواحي الإنسانية فيه، فتضعف الحيوانية وتكسر شرة الهوى وتكف طغيان المال عن النفس، حتى لا شهوة فيه ولا قوة له، ولو جمعوا ما أصلحته الأديان والقوانين من أحوال النفوس وطبائعها، ثم ما أصلحته الأمراض منها، لرأيت أن لله أنبياء من هذه الأمراض يُرسلها إلى الدم الإنساني، وأن «المكروبات» السابحة في الهواء كالأملاح الذائبة في البحار؛ لولا هذه لتعفنت الأرض، ولولا تلك لتعفنت الإنسانية.

تأمل هذا المريض وهو خائر النفس، متخاذل الأعضاء، كاسف الوجه، ميت الهوى، لا يماسك مما به من الضعف، ولا ينبعث لما به من الخمود، ولا يتشهى لما به من الفتور، ولا يتذوق بما في روحه من المرارة، ولا يجرؤ لما في حسه من الإشفاق، ولا ينظر إلى الدنيا إلا بملء عينيه زهداً فيها، كأنما بث المرض في عينيه شعاعاً ينفذ الأمور إلى حقائقها، ثم يخترق الحقائق إلى صميمها. أفلا ترى هذا الإنسان قد عمل فيه مرض أيام قليلة ما لا تعمل العبادة مثله في أزهد الناس، إلا في السنين المتطاولة؟ إنما هي ثلاث وسائل للجمع بين الإنسان وحقيقته العليا. العبادة القوية، وقد عجزت إلا في أفراد قلائد؛

والحكمة الصحيحة العالية وهي أشد عجزًا إلا في الأقل؛ ثم لم تكن الوسيلة العامة التي تتناول الناس جميعًا، ولا يستعصي عليها أحد ممن أطاع أو عصى إلا المرض.

يوجد الإنسان ليمحى ويزول، ولم تتمكن الفضيلة الإنسانية من نفس إلا إذا تمكنت هذه الفكرة منها، فإن الزائل يرى ليومه ما بعد يومه، ويعلم أن حقه على الناس ليس شيئًا أكثر من حقوق الناس عليه، ويحتاج إلى العمل لروحه كما يعمل لجسمه؛ وما يكون زاد الروح إلا من آثارها في الأرواح الأخرى، ومن آثار هذه الأرواح فيها؛ فإذا كانت حقوق الأجسام تدفع الناس إلى التنازع على البقاء، فإن حقوق الأرواح تقابل هذا الناموس بما يُصلحه، فتزيد في الناس إلى القوة الرحمة، وإلى الغنى الإحسان، وإلى العزة المروءة، وإلى كل طغيان ما يمازجه، فيكف من جماحه، ويجعله إلى الخير أو من الخير.

وإن أعجب ما في الإنسان أنه يرى الموت بين الساعة والساعة ثم لا يستشعر من كل ذلك معنى زواله، كأن عادة الحياة أخدمت هذا الحس فيه، أو أُخملت منه، وما هو إلا أساس التعاطف الإنساني، ثم لا يكون إلا أن يمرض هذا الإنسان يومًا، فإذا هو قد تلقى الدرس على أحكم أساتذته، ورأى نفسه كان يمشي فقعد، ويستطيل فتقاصر، ويشمخ فانهد، ويسر فحزن؛ وإذا هو قد بُدل من الصوت خفض الصوت، ومن الإعجاب مقت الإعجاب، ومن الخلاف ترك الخلاف، ومن جفوة الناس حاجته إلى رحمة الناس. ثم إذا هو قد أمسك عن كل ما كان فيه من العمل، وأقبل على الصحراء المخيفة التي بين الدنيا والآخرة، وأحس من غمزة قدر الله في مواضع آلامه، أن الإنسان مهما يكن من قوة الأسر وشدة البأس فما هو بعدُ إلا حبة صغيرة واهنة بين شقي هذه الرحي العظمى الدوارة، التي حجراها الشمس والقمر.

سبحانك اللهم! إنما هذه الأمراض أخلاق أنت تنشئ بها الرحمة في قلوبنا المتحجرة، وتصرفنا فيها إلى نفوسنا بعد أن نكون قد جهلنا هذه النفوس في أعمال الحياة أو جهلنا، وتعلمنا جميل صنعك في تواتر حلمك علينا، مع قبيح صنعنا في ترادف عصياننا لك، وتنقلنا بها في خطوة سريعة من خطى الأزلية، لترى الدنيا من آخرها، فلا نجد نعيمها إلا معاني من الهلاك، ولا ملذاتها إلا أسبابًا من الندم، ولا غناها إلا فنونًا من الحسرة؛ ثم لا ننظر في أجسامنا إلا أشكالًا قائمة من التراب، ولا نعرف من أعمارنا إلا أنفاسًا كانت تصعد من فم القبر، وإذا أذنت بعدُ في شفائنا، ومسحت بيد العافية علينا، كانت الأمراض وسيلة من وسائل تجديد العمر، وخرج المريض وكأنه مقبل على الدنيا من ناحية لم تكن فيها، فينسجم من كل شيء رائحة الحياة، ويرى على كل جمال أثرًا كأثر الحب ولذته وحنينه، ويستقبل نفسه الراجعة إليه في موكب الحواس القوية، فلا يكون له إلا ما قد يكون مثله في الملك المخلوع أعادوه إلى العرش، فجاءوا بالتاج وأقاموا له الزينة وحشدوا له الحفل، وقالوا: سمعنا وأطعنا!

سبحانك! إنما هذه الأمراض مواعظ منك تُعلمنا كيف نضع شهواتنا في مواضعها من الضرورة، ونحصرها في حدودها من الازدراء والمقت، فلا تعدو بطبائعنا علينا، ولا تعدو بنا على سوانا، وإنه ما يخطيء امرؤ في الحياة إلا من إقرار شهواته في غير أمكنتها، حتى تأخذ من عقله، وتنال من رأيه، وتجور على حواسه، فيقلبها ذلك من أن تكون حركة في الحياة، إلى أن تصير الحياة كلها حركة من حركاتها، وحيث لا تكون الشهوات إلا أكثر مما هي، فتقتضي أكثر مما تستحق من الجهد والعمل الإنساني، ولا تكون الحياة إلا أحقر مما هي، فلا تخرج إلا أقل ما يمكن أن تخرجه من القيمة الإنسانية.

سبحانك اللهم! إنما هذه الأمراض في الدنيا بعض مواد البحث الفلسفي العميق لدرس أساليب الطبيعة البشرية، فكم من «عملية جراحية» في طب الناس، هي في الحقيقة «عملية» حسائية في وزن هذه الطبيعة وتقديرها؛ وكم من أنة وجع في المرض، وهي نفسها كلمة عتاب بين الطبيعة والنفس؛ وكم من ضجعة للداء، هي في الواقع نهضة للأخلاق من ضجعتها.

سبحانك ولك الحمد! إن ساعة النجاح وتحقيق الآمال وانتعاش الحظ، وتبديل صورة من الحياة بحياة غيرها تكون أسمى وأكمل؛ وساعة الغنى وإقبال الدنيا ومسالمة الأيام، وتزيين الحياة بحياة أجمل منها وأبدع؛ وساعة الحب ولقاء الحبيب، وفيضان الجمال على النفس، ونسيان الحياة بالحياة التي هي أمتع منها وألذ. كل هذه الساعات لا تُعد إلا دقائق وثنائي من السعادة، إذا اتفقت بعد المرض ساعة الحياة، ساعة رجوع الصحة

أوراق الورد/ مصطفى صادق الرافعي



اليمن والشؤم في نظر الدين الإسلامي

من محاضرة لفضيلة الأستاذ الشيخ علي محفوظ

في دار جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة

لقد غلب على الناس اليوم عقائد وأوهام، حتى أصبح لها السلطان الأعلى في أعمالهم وتصرفاتهم، مع أنه لا يقرها شرع ولا يقبلها عقل، بل هي من بقايا الجاهلية الأولى.

فمن تلك الأوهام: اليُمن والشؤم في مثل المنازل والأزواج والدواب والضيف، فإذا حدث شيء من الخير أو الشر بمصادفة الأقدار عند شراء منزل أو السكنى فيه، أو عقد زواج، أو شراء دابة، أو قدوم ضيف، زعموا أنه منها ويسببها. وربما استأنسوا لذلك بما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الشؤم في الدار والمرأة والفرس»^(١)، وهو خطأ معيب، فقد ورد في بعض رواياته تفسير الشؤم واليُمن والشر والخير في هذه الأمور على غير ما زعموا.

روى الطبراني^(٢) من حديث أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله، ما شؤم الدار؟ قال: «ضيق ساحتها وخبث جيرانها». قيل: فما سوء الدابة؟ قال: «عقم رحمها وسوء خلقها». وروى الإمام أحمد^(٣) والحاكم^(٤) والبيهقي^(٥) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها: «إن من يُمن المرأة تيسر خطبتها وتيسر صداقها وتيسر رحمها» يعني الولادة.

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «اليُمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس، فيُمن المرأة خفة مهرها ويُسر نكاحها وحُسن خلقها، وشؤمها غلا مهرها وعُسر نكاحها وسوء خلقها. ويُمن المسكن سعته وحُسن جوار أهله، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله. ويُمن الفرس ذله وحُسن خلقه، وشؤمه صعوبته» رواه غير واحد^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٥) ومسلم (٢٢٢٥).

(٢) برقم (٣٩٥).

(٣) برقم (٢٤٥٢٢)، وحسنه الأرئوط.

(٤) برقم (٢٧٣٩).

(٥) برقم (١٤١٣٥).

(٦) لا أصل له بهذا اللفظ. ولذا قال العراقي في «تخريج إحياء علوم الدين» (٢ / ١٨٧): =

على أن البخاري روى^(١) عن ابن عمر أيضًا أنه قال: ذكروا الشؤم عند النبي، فقال ﷺ: «إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس»، ومعناه أن الشؤم لو كان له وجود في شيء لكان في هذه الأشياء، فإنها أقبل الأشياء له، لكن لا وجود له فيها أصلاً. ولذا قال القاضي عياض رحمه الله: إن هذا الحديث محمول على استثناء نقيض المقدم، أي: لكنه لا شؤم.

ومن هذا تعلم أن الشؤم في الحديث السابق وغيره محمول على الإرشاد منه صلوات الله وسلامه عليه، يعني أن من كانت له امرأة يكره صحبتها لسوء معاشرتها مثلاً، أو دارٌ يكره سكناها لضيقها أو سوء جوارها، أو فرسٌ لا تعجبه لشراستها؛ فليرح نفسه بمفارقة المرأة، والانتقال من الدار، وبيع الفرس، حتى يزول عنه ما يجده في نفسه من الكراهة والألم. أي أن الحديث ليس على ظاهره، بل محمول على الكراهة التي منشؤها ما في هذه الأشياء من مخالفة الشرع أو الطبع، لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بقدمها، ومن تحت

= «أخرجه مسلم من حديث ابن عمر «الشؤم في الدار والمرأة والفرس»، وفي رواية له «إن يك من الشؤم شيء حقاً»، وله من حديث سهل بن سعد «إن كان ففي الفرس والمرأة والمسكن»، وللترمذي من حديث حكيم ابن معاوية «لا شؤم وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس»، ورواه ابن ماجه فسماه محمد بن معاوية، وللطبراني من حديث أسماء بنت عميس: قالت: يا رسول الله ما سوء الدار؟ قال «ضيق ساحتها وخبث جيرانها»، قيل: فما سوء الدابة؟ قال «منعها ظهرها وسوء خلقها»، قيل: فما سوء المرأة؟ قال «عقم رحمها وسوء خلقها». وكلاهما ضعيف، ورويناه في كتاب الخيل للديلمي من رواية سالم بن عبد الله مرسلًا «إذا كان الفرس ضرورياً فهو مشؤوم، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤومة، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يُسمع فيها الأذان والإقامة فهي مشؤومة» وإسناده ضعيف، ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه.

(١) برقم (٤٨٠٧).

رأسها، فإنه جهل بمقام الألوهية، مع أنه لا صلة ولا تناسب بين هذه الأشياء وبين ما يحدث لهم من الخير أو الشر عند هذه الأشياء. وإذا كان الشارع الحكيم قد أطلق على من ينسب المطر إلى النوء الفلاني (النجم) وصف الكفر، فكيف بمن ينسب ما يقع من الخير أو الشر إلى نحو الدار والزوجة، مما ليس له فيه مدخل أصلاً، وإنما يكون ذلك بمصادفة القضاء والقدر، فتتفر النفس من ذلك أو تُسر؛ فمن وقع له شيء يكرهه عند حصول واحد من هذه الأشياء، فلا ضير عليه أن يتركه من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليه على أي وجه كان، فإلى الله وحده تُرجع الأمور، وهو وحده المؤثر في كل شيء، وهو تعالى دون سواه الفاعل المختار^(١).



دمشق بعد يوم ميسلون

أخف وقية مما تلاها	مصيبة ميسلون وإن أمضت
تمثل ميسلون وما دهاها	فما من بقعة بدمشق إلا
وبالدم لم يزل رطباً ثراها	فروع النار قد طالت ذراها
تخبرك الحقيقة غوطتها	فسل عما تصبّب من دماء
وقود النار فائرة سواها	ولم أر جنة أمسى بنوها
تعاني غربة شطت نواها	وما زالت بقايا السيف منهم
أرى صدر الزمان لقد وعها	هم كتبوا صحائف خالداً

(١) يُنظر للفائدة والزيادة عما قيل في أحاديث «الشؤم»: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (باب: ماجاء في التطير). (س).

عشقتُ دمشق إذ هي دار خلد مقيمٌ سعدها، دانٍ جناها
فلما شبت النيران فيها وطال لهيبها أعلى ذراها
أرنتبها المحبة بيت نار يلوح لعين دهقان سناها
عبدناها نعيمًا أو جحيمًا وألهمت النفوس بها هداها^(١)
إذا ما ليلة حلكت وطالت فأجدر أن يكون دنا ضحاها
وعاقبة الشدائد والرزايا إلى فرجٍ إذا بلغت مداها

خليل مردم بك



الإسلام ماضيه وحاضره

من نظم فقيده الشعر والأدب المرحوم عبد الحليم المصري

عليّ جرى دمًا دمعي حزينا وفيّ تعلم الطيرُ الأنينا
فيا بنت الهزار ابكي وأبكي لننظر أيننا أوفى شؤوننا^(٢)
بكيّ وما عسى تبكين إلا بذورا أو وكورًا أو غصونا
أعينيني، فخطبك دون خطبي وكان الحر في الدنيا معينا
سألت على مَ تستبكي السواري^(٣) ولم تُطلع على سرّ خدينا
تببت مقلّبًا يُمنى بيُسرَى لقد أتعبت باليُسرَى اليمينا
وتغتاب الفراش وأنت فيه إلى الشهد الذي خدع العيونا

(١) العبودية لا تكون إلا لله. قال تعالى: ﴿فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾. (س).

(٢) الشؤون: مجاري الدمع.

(٣) السحائب.

كأنك سُمّت مدرجة الأفاعي
 إن خدعت منك حجاك همت
 فيغريك الذي ينهاك حيناً
 وتضحك في بطائك لست تدري
 وما هذي بحال فتى حزين
 فيا بنت الهزار سُقيت مما
 ولا برحت سحائب مرضعات
 ولا دهمت في عثر عقاب
 ولا زالت بك الجنات خضرًا
 عذلت ولو علمت على م أبكي
 بكيك قواعد الإسلام - لما
 قد انفطرت عقودهم بأرض
 فذاك جرى مع اللاهين شوطا
 فما بلغوا بذاك اللهو دُنْيَا
 وشتوا في البلاد فكل أرض
 نموت بها ونحيا كل يوم
 تكاد تخاله مما يعاني
 تضيق النفس بي طولاً وعرضاً
 هم فرحوا بعيشي يوم ماتوا
 ولو أن الديار صبرن يوماً
 بنفسي (سُر من را) وهي برج

فما نلت الحياة ولا المنونا
 قواك لتركب الأمل الحرونا
 وينهاك الذي يغريك حيناً
 كأنك قد ترقيت الجنونا
 أجداً كان صُنْعك أم مجونا
 أتاح الله منهمراً هتونا
 بناتك في المسارح والبنينا
 ولا بلغتك أيدي الصائدينا
 يناجي الورد فيها الياسمين
 لما جاريت في العاذلينا
 تزعزع ثبتها - والمسلمينا
 حمت عقباتها المستجمعينا
 وذاك سها مع المتزهدينا
 ولا بلغوا بذاك السهو دينا
 حوت منهم غريباً مستكينا
 فلا متنا الزمان ولا حيننا
 بهذا الدين في الدنيا مَدِينَا^(١)
 إذا مرحت بذكر الغابرينا
 فعشت عليهم عمري حزينا
 عليهم، ما خربن وما خوينا
 حوى كالبدر (معتصماً) ركيئا

(١) الضمير يعود على الغريب المستكين.

يكاد يفيض سامعه حنيننا
وبحرّ إن هم راضوا السفينا
لكنّثُ كما أحاول أن اكونا
وأشكالُ بها تحكي الظنونا
موقاةً إلى المستنصفينا
ينابيعاً على ذهبٍ لجينا
محاجرهما فأسبلت الجفونا
فتنظم فوقها الدرّ الشميننا
وقد مسح الشباب بها الجينا
جيوبَ السُحب أبكاراً وعُونا
على مرآتها للناظرينا
رفات المجد والفخر الدفينا
أرى جداءها عادت لبونا^(١)
وأسأل بعد (ناصرها) القطينا
تصاريف الردى عزّاً وهونا؟
وأين الضادُ بين الناطقينا
وأمنع في معاقلها حصونا
عليكم رحمةً في العالمينا
عليكم في المقابر عاكفينا
لما دعي الدفين إذن دفينا
بكلّكلهم عليه أذى ومينا

وشمر (البحتري) بها مطيف
فللشعرء إن ركبوا مكرّ
ولو أني لحقتهم بشمري
قصورٌ تشبه الآمال طولاً
موازينٌ بساحتها أقيمت
وفيها (البركة) الفيحاء تجري
بكت من فرط ما فرحت ففاضت
تُلح مساقط الأنداء فيها
كان مياها قطراتُ حُسنٍ
أناخ بها الغمام وشق فيها
فعاد الأفق رقعة سابري
وأين البوم (أندلس) فأبكي
وأطرقُ ساحة (الزهراء) علي
وأنشق نفحة الأرحام فيها
أأنتم أنتم؟ أم غيرتكم
فأين سلالة (ابن هشام) فيكم
وأي الدولتين أجلُ قدرًا
(بني مروان) يا عبّى المعالي
دفنتم بعضُكم بعضاً، وبتنا
ولو أن الرفات يُرد رجماً
أعيذ الدين من قوم أناخوا

(١) الجدّاء: الناقة التي لا تُحلب.

وجاءوا الثَّرهات فبات منهم
فثأت تبتغي بالدين رزقًا
فكم من راحة بيضاء تحكي
محاها اللثم تبريكا فاما
فيا مجد الشريعة كيف تعفو
إن ولي الأمين وصاحبا
وهيات الصلاح لدين قوم
لعل الله يلهمنا نفوسا

بنو موسى وعيسى ساخرينا
ودمع الدين يغمرهم سخينا
أقاح المنحنى حسنا ولينا
إذا احتجبت فقد محت اليقينا
وتصبح لا لبوك ولا عرينا
يضل عن الصراط المهتدونا
إذا كان الأئمة مُفسديننا
إذا غنبت بنا قضت الديونا

عبد الحلیم المصري



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الحادي عشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على صفيه محمد وآله، وجميع رجاله.
وبعد؛ فقد كنتُ على عزم أن أختتم هذا الكتاب بجزئه العاشر، وأبدأ بكتاب
آخر في معناه، ولكن باسم غير اسمه، وحجم غير حجمه. ثم ثناني عن ذلك
صديقي الأستاذ عبد المنعم خلاف، وأقنعني بأن (الحديقة) صار لها أصدقاء
كثيرون، يترقبون صدور أجزائها الجديدة بفارغ الصبر، ولا يستغنون عنها
بغيرها، فنزلت على حكمه، وعملت بما علمت أن فيه رضا القارئ، والحمد لله
أولا وآخرًا.

١٥ شعبان ١٣٥٢

محب الدين الخطيب



كيف تزوج حاتم امرأته؟

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن تدعى (ماوية)، ذات جمال وكمال؛ وحسب ومال، فألت أن لا تزوج نفسها إلا من كريم، ولئن خطبها لثيم لتجدعن أنفه، فتحاماها الناس. ثم انتدب لها زيد الخيل، وحاتم بن عبد الله، وأوس بن حارثة ابن لأم الطائيون، فارتحلوا إليها. فلما دخلوا عليها قالت:

مرحباً بكم، ما كنتم زوّاراً، فما الذي جاء بكم؟

قالوا: جئنا زوّاراً خطّاباً.

قالت: أكفاء كرام.

فأنزلهم، وفرقت بينهم، وأسبغت لهم القيرى وزادت فيه؛ فلما كان في اليوم الثاني بعثت بعض جواربها متكرة في زي سائلة تتعرض لهم، فدفع إليها زيد وأوس شطراً ما حُمل إلى كل واحد منهما، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته، وحمل معها جميع ما حُمل إليه.

فلما كان في اليوم الثالث دخلوا عليها، فقالت:

ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره.

فابتدر زيد وأنشأ يقول:

هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي دُبْيَانَ مَا حَسَبِي	عِنْدَ الطَّعَانِ إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ
وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مُحَمَّرًا بَوَادِرُهَا	بِالْمَاءِ يَسْفَحُ مِنْ لِبَاتِهَا الْعَلَقُ
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ فَارِسَهَا	يَوْمَ الْأَكْسِ بِهِ مِنْ نَجْدَةِ رَوْقٍ ^(١)

(١) الأكس: القصير الأسنان، وضده الأروق. يريد تقلص الشفتين في معمة القتال. كما قال عنترة: إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم.

والجارُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ خَاذِلُهُ إِنْ نَابَ دَهْرٌ لِعَظْمِ الْجَارِ مَعْتَرِقُ
 هَذَا الشَّاءُ فَلِنْ تَرْضَيْ فِرَاضِيَّةً أَوْ تَسْخَطِي فَلِئَلَى مِنْ تُعْطِفُ الْعُنُقُ
 وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمِينَ أَنَا أَكْرَمُ أَحْسَابًا، وَأَشْهَرُ أَفْعَالًا، مِنْ أَنْ
 نَصِفَ أَنْفُسَنَا لَكَ. أَنَا الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ^(١):

إِلَى أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ لِبِقْضِي حَاجَتِي وَلَقَدْ قَضَاهَا
 فَمَا وَطِيءَ الْحَصَى مِثْلُ ابْنِ سَعْدَى وَلَا لَبَسَ النِّعَالَ وَلَا احْتَذَاهَا
 وَأَنَا الَّذِي عُقْتُ عَقِيْقَتَهُ، وَأَعْتَقْتُ عَنْ كُلِّ شَعْرَةٍ فِيهَا عَنْهُ نَسَمَةً. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:
 فَإِنْ تَنَكَّحِي مَآوِيَّةَ الْخَيْرِ حَاتِمًا فَمَا مِثْلُهُ فِينَا وَلَا فِي الْأَعَاجِمِ
 فَتَى لَا يَزَالُ الدَّهْرُ أَكْبَرَ هَمِّهِ فِكَاكُ أَسِيرٍ أَوْ مَعُونَةُ غَارِمِ
 وَإِنْ تَنَكَّحِي زَيْدًا فِفَارِسُ قَوْمِهِ إِذَا الْحَرْبُ يَوْمًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ
 وَصَاحِبِ نِبْهَانَ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ شَدَا الْأَمْرِ عِنْدَ الْمُعْظَمِ الْمُتَقَائِمِ
 وَإِنْ تَنَكَّحْنِي تَنَكَّحِي غَيْرَ فَاجِرٍ وَلَا جَارِفٍ جَرَفَ الْعَشِيرَةَ هَادِمِ
 وَلَا مُتَّقِي يَوْمًا إِذَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ بِأَنْفُسِهَا نَفْسِي كَفَعَلَ الْأَشَائِمِ
 وَإِنْ طَرَقَ الْأَضْيَافُ لَآذَ بِرَحْلِهِ وَجَدْتُ ابْنَ سَعْدَى لِلْقُرَى غَيْرَ عَائِمِ
 فَأَيُّ فَتَى أَهْدَى لَكَ اللَّهُ فَاقْبَلِي فَلَمَّا كَرَامٌ مِنْ رِءُوسِ أَكَارِمِ
 وَأَنْشَأَ حَاتِمُ يَقُولُ:

أَمَاوِيٌّ، قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ وَقَدْ عَذَرْتَنِي فِي طِلَابِكُمْ عُذْرُ
 أَمَاوِيٌّ، إِنَّ الْمَالَ غَايَةٌ وَرَائِحُ وَبَقِيَ مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

= وكما قال آخر:

فَدَاءُ خَالَتِي لِبَنِي حَبِيبي وَجَعْدَةُ يَوْمِ كَسِ الْقَوْمُ رَوْقُ

(١) هو بشر بن أبي خازم.

أماويّ، إني لا أقول لسائلي
أماويّ، إمّا مانع فمببّين
أماويّ، ما يغني الثراء عن الفتى
أماويّ إن يُصبح صدايَ بفقرة
تري أنّ ما أنفقت لم يكُ ضائري
أماويّ إني ربّ واحدٍ أمه
وقد علّم الأتوام لو أنّ حاتمًا
أماويّ، إنّ المال مالٌ بذلته
وإني لا ألو بمالي صنّعة
يُفكّ به العاني ويؤكل طبّا
ولا أظلم ابنَ العمّ إن كان إخوتي
غنيّنا زمانًا بالتصعلك والغنى
فما زادنا بأوّا على ذي قرابة
وما ضرّ جارًا يا ابنة القوم، فاعلمي
بعيني عن جاراتٍ قوميّ غفلة

إذا جاء يومًا حلّ في مالنا النزرُ
وإما عطاءٌ لا يُنهيه الزجرُ
إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدرُ
من الأرض لا ماءٌ لديّ ولا خمرُ
وأن يدي مما بخلتُ به صفرُ
أخذتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
أراد ثراء المال كان له وفرُ
فأوله شكر وآخره ذكرُ
فأوله زادٌ وآخره دُخرُ
وما إن يُعربه القُداح ولا القمُرُ
شهودًا وقد أودى بإخوته الدهرُ
وكلا سقانه بكأسيهما الدهرُ
غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
يجاورني أن لا يكون له سترُ
وفي السمع مني عن أحاديثها وقرُ^(١)



(١) ولحاتم أيضا في هذا المعنى:

وما تشكيني جارتني غير أنني
سبيلفها خيرى ويرجع بعلمها
إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها
إليها ولم تُسبل على ستورها

وفي هذا المعنى قول مسكين (الصاحبي ص ٢١٧):

أعسى إذا ما جارتني خرجت حتى يوارى جارتني السترُ

وقد قال كثير من شعراء العرب في هذا المعنى.

حكم عربية

ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمتُ عليها في الرضى .

مؤرق العجلي

رُبَّ غيظٍ تجرّعه مخافة ما هو أشدّ منه .

الأحنف بن قيس

الأعمى من يرى بغير عينه ، والأصمّ من يسمع بغير أذنه .

أحمد شوقي



ورد الصباح والمساء للآباء والأبناء

وهو حكم مقتطفة من مقال لكاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان، نُشر
فاتحة للعدد الـ ٣٠٣ من الفتح :

- * فسادُ الأخلاق هو في الحقيقة انحلال الأوضاع الدينية .
- * الدين الصحيح كما أراده شارعهُ ، هاتف بالعلم الصحيح كما أراده واضعه .
- * الإسلام شريعة معاش ومعاد ، وكل نقص في أسباب واحد منهما نقصٌ من الإسلام .
- * لن يكون إسلام ولا إيمان في الأرض إن لم يعتمد على قوة مادية تصونه وتضمن بقاءه .

* الجمود الذي ابتلي به علماء الإسلام حتى صاروا به مثلاً مضروباً، واقتصارهم على طريقة واحدة من التعليم لا يتعدونها، واستيحاشهم من العلوم الطبيعية والرياضية وكل العلوم التي بلغت بها أوربة هذه المراقي العالية؛ هذا كله مرض من أمراض الإسلام الاجتماعية، وهو خارج عن الإسلام الصحيح بالمرّة.

* الظلم والجهل توأمان.

* فساد أخلاق الأمراء، ومواطأة بعض العلماء لهم، أصاب الأمة الإسلامية ما أصابها.

* ما فتح المسلمون فتحاً، ولا قطعوا وادياً، ولا ركبوا بحراً، ولا جابوا برّاً، ولا بذلوا مالاً ولا دمّاً، ولا أسسوا إمارة ولا حضارة، إلا إجراءً لأحكام القرآن الكريم الذي كان معناه ممتزجا بلحمهم ودمهم.

* لما فسد الأمراء، وتواطأ بعض العلماء، رجع القرآن من المعنى إلى اللفظ فقط، وصار يُتلى بدون عمل.

* ما دام القرآن غير معمول به كما كان يُعمل به في السابق، فلن يُرجى رقي المسلمين كمسلمين.

* يستحيل أن يطمع المسلمون في النجاح والنهوض وهم مسلمون ومصرّون على الإسلام، ثم هم غير عاملين بأوامر كتاب الله تعالى ونواهيه.

* العلوم العصرية لا تفيد المسلمين إلا إذا اقترنت بتربيتهم الدينية، وسارت جنباً إلى جنب مع أوضاعهم وعقائدهم.

* أثبت التجارب من قديم الدهر أن التربية العلمية لا تنهض بالأمة نهوضاً حقيقياً إلا إذا حصلت ضمن دائرة لغتها وتاريخها وعقيدتها ومشربها.

* إن نهض المسلمون - وهم ناهضون بمعونة الله تعالى - لم تنهض بهم روح أوربية، ولا روح شيء خارج عن الإسلام؛ وما ينهض بهم إلا روح القرآن الذي كان مبعث نهضتهم الأولى والذي به حياتهم الأدبية، والذي فيه لهم النازع والوازع والمحرّك والمسكن، والذي بدونه ليس أمامهم إلا أحد أمرين: إما الفناء والاضمحلال، وأما التحول عن الإسلام.

* إن أول دليل على رقة شعور المسلمين - إن رق - سيكون روح التضحية بالمال والنفس، ومباراة الأوربيين والأمم الراقية في بذل القناطير المقنطرة، والإنفاق بدون حساب في سبيل قوميتهم.

* ما دامت التضحية في العالم الإسلامي مفقودة أو ضعيفة، فلا يُرجى له فلاح أصلاً.

* اليأس من جهة العقل انتحار، ولا ينتحر إلا الذي خالط عقله الجنون؛ ومن جهة الدين كفر محض، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

* داء المسلمين من أنفسهم، ومبدؤه فساد الأخلاق، ولاسيما أخلاق الأمراء، الذين فساد الواحد منهم يُفسد المجموع، ويتلوه تدليس بعض العلماء الذين واطأوا الأمراء على شهواتهم.

* استولى العدو على بلدان المسلمين برجال المسلمين، وأمن مصالحه بخيانة الكثيرين منهم لملتهم.

* المسلمون كانوا في غالب الأحيان أعداء لأنفسهم، وقد كانوا على الإسلام من الداخل أشد مما كان العدو من الخارج.

* الشعور بالاحتياج علم يسوق إلى الطلب بقدر همة المحتاج وشفوف بصيرته.

* التاريخ لا يكون بالتعسف ولا بالتحكم، ولكن بمحاسبة كل على عمله.

* لو كان المسلمون قائمين بواجباتهم من جهة حياتهم الدينية وحياتهم العلمية وحياتهم الاقتصادية، لما نال العدو منهم منالا.

* ليس من عادة الله تعالى أن يقتل أمة امتلأت إرادتها بأن تحيي. فالمسلمون هم المسئولون بالدرجة الأولى عما آلوا إليه.

* عدو المسلمين لا يشبه جنسًا آخر من أجناس البشر؛ وأن الاعتداء والتجاوز هما في أصل فطرته، لا يعيش بدونهما، ولا يصدّه عن التعدي إلا القوة القاهرة.

* الإسلام فاتحٌ رقيق يطيق وجود غيره، ويرضى ببقاء المسيحي مسيحيًا واليهودي يهوديًا، ويساكن أعداءه ويهادنهم، وإن ملك أسجح، وإن ظهر ترك رعاياه من غير المسلمين أحرارًا، كما تشهد بذلك التواريخ. وأعداء الإسلام على العكس من ذلك، فهم لا يعرفون هذه السجاجة في المعاملات ولا يطيقون وجود غيرهم إذا ظهوروا.

* من أسباب تأخر المسلمين كون عدوهم لا يعرف الهوادة، ولا يمل من المجاهدة، ولا يكل عن السعي؛ وقد اتصف فوق هذا برجولية تامة.

* إن الثبات والمثابرة وحب التسلسل وإيصال الآخر بالأول، خصال أوربية لا تساويهم فيها الأمم الأخرى.

دمشق / محمود يس



السياسة والإيمان الديني

إذا فُصلت السياسة عن الدين فقدت معناها .

كل طفل في مدرستنا يدري الأنظمة السياسية في الهند، ويعرف كيف أن بلاده تتقد بإحساسات جديدة، بآمال جديدة، بحياة جديدة. ولكننا في حاجة أيضًا إلى الضوء الثابت المستقر، ضوء الإيمان الديني، وليس الإيمان الذي يتحدث إلى العقل، بل الإيمان المسطور في صفحة القلب. يجب أولاً أن يُكشف عن ضميرنا الديني، فإذا فعلنا ذلك تفتحت أمامنا في الحال الدنيا كلها، فإذا وصل الشبان إلى سنّ الرجولة، وصلوا إليه مزودين بأطيب زاد، فيعرفون كيف يجاهدون في الحياة. أما ما يحدث اليوم، فهو في أغلب الحياة السياسية وقفٌ على الطلبة، ولكنهم حالما يفرغون من الدراسة يغرقون في نسيان مطبق ويفتشون عن وظائف تعسة، ناسين كل شيء عن الله.

غاندي



مات شوقي

مات السائح الذي وجد عرشَ الشعر العربيّ بعد أن كان ضائعًا من عصر أبي الطيّب، فتبواه غيرَ منازع، فمن شاء أن يرى وَهْنَ أركان الجمهورية وتفكُّكها وتخلُّعها، فلينظرْ إلى مَنْ تركهم شوقي وراءه من شعرائنا الكثيرين: وهم بين شاعر قُصاراه أن يخاطب رُوحَ أمةٍ غير أُمَّتِهِ، مترجمًا عن غير آمالها وآلامها،

بأساليب لا تصل إلى قلبها، وآخر يعيش في أزمانٍ مضت، ويطير في أجواء لا يراها معاصروه.

مات شوقي بعد أن عاش في النفس العربية أنس بها وتأنس به، فكان شعره صادرًا من قلبها، وكانت تصوّراته مفضّلةً على مقادير أذواقها، وكان ما تأثر به من أدب الغرب مهضومًا في نفسه بحيث لا يعلم هو نفسه إن كان ذلك من أثره أو مما تأثر به؛ لذلك كان طريقُ بيانه إلى النفس العربية كطريق أهل الإحسان، إلى فراديس الجنان، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا.

كان للعربية مُلكٌ عظيم، وكان للمملكة العربية شعر يخفق في سمائها مع رايتها، فيشارك الجمهور في التأثير به والانقياد لبيانه، فهو صوت القيادة تتموج به طبقات النسيم حيثما تلمح الأبصار راية العز مُرفرفةً في سماء القوة، فلما جرّد الزمانُ الناطقين بالضاد بالضاد من عِزّة الملك خلا عرشُ الشعر العربيّ من ملوك يتوارثونه، ونسيّ العرب أن لهم مُلكًا، ونسوا مع ذلك أن لشعرهم عرشًا يزيّنه عبقرى ويستعدُّ للقيام عليه من بعده آخرون، وانحطّ الشعر بانحطاط السيادة، إلى أن كان لسوء حظنا - أو لحسن حظنا - أن وُجدنا في زمان تذكّرنا فيه حاجة الناطقين بالضاد إلى السيادة والاستقلال، وشعرنا مع ذلك بحاجة إلى صوت الملائكة يهتف بآمالنا وآلامنا من فم شاعر يُحسن التعبير بلغة النفس العربية، وظهر البارودي، وظهر بعد البارودي إسماعيل صبري، وأجرى الله على ألسنتهما لغة النفس العربية، لكنهما كان يقولان الشعر لأنفسهما، فلم يحاولا قيادة الرأي العام كما حاولها شوقي، يوم قال يخاطب الجالس على كرسي الإمامة الإسلامية وقد بطش بطشته الكبرى باليونان:

بسيفك يعلو الحقّ والحقّ أغلِبُ ويُنصر دين الله أيّان تضربُ
وما السيف إلا آية الملك في الورى وما الأمر إلا للذي يتغلّبُ

فأدب به القوم الطغاة فإنه لَنِعَمَ المربّي للطغاة المؤدّب
ويوم شاهد بارجتين عظيمتين تنضمّان إلى قوّة الجهاد الإسلامي، فقال:
هزّ اللواء بعزّك الإسلام وعنّت لقائم سيفك الأيام
عرشُ النبيّ محمدٍ جنّابه نورٌ ورَفَرُقه الطهورُ غمامُ
البحر محشودُ البوارجِ دونَه والبرُّ تحتَ ظلاله آجامُ
ويوم بكى على ضياع أدرنه فقال:

يا أخت أندلس عليك سلامُ هَوّتِ الخلافةُ عنك والإسلامُ
بكما أصيب المسلمونَ وفيكما دُفنَ البراعُ وغُيِبَ الصمصامُ
ويوم حطّم الكماليون بيد القسوة عرش الخلافة، فوقف جازعاً يقول:

عادت أغاني العُرس رَجَعَ نواحُ ونُعيتِ بين مَعالم الأفرّاحِ
ضجّت عليك مآذنٌ ومنابرٌ وبكث عليك ممالكٌ ونواحِ
يا لَلرّجالِ لحرّة مَوءودةٍ قُتلت بغير جَريرةٍ وجُناحِ
إن الذين أسّث جِراحك حربهم قتلتك سِلْمهمُ بغير جِراحِ
هتكوا بأيديهم ملاءةً فخرهم موشيةً بمواهب الفِتاحِ
إن الغرور سقى الرئيسَ براحه كيف احتيالُك في صريعِ الراحِ؟

تبوّأ شوقي عرشَ الشعر العربي، والشعر العربيّ لم يستقل ملكه بعد، لأن مملكة الشعر تبعُ لمملكة العزّ والسيادة، وما لم تكن للناطقين بالضاد العزّة التامة والسيادة الكاملة فهم من شعرهم في ثورة لا في مُلك. وما أتعسها من ثورة في الشعر اختلط فيها حابل الرأي بنابله: فتحن من شعرائنا بين داعية إلحاد، وبين ساكن في خمّارة، وبين ذاهل عما يحفّ بأمتّه من كوارث؛ فهو لا يفتأ يقتل وقته في نظم شعر مخثّ يرضي به شهواته، وبين ظانّ أنه شاعرٌ عربي، وما هو بشاعر عربيّ، فيظلُّ يومه يسطو على منظومات الإفرنج يستل منها معانيها الغربية عن

الأذواق العربية، فيصوغها بألفاظ وتراكيب يلحن بعضها بعضًا، فلا يفهم منها القاريء العربيّ إلا بقدر ما أفهم أنا من الشعر الصينيّ. وبينما نحن في هذه الفوضى الفكرية التي يعيش فيها شعراؤنا فقدنا شوقي، فكان رُزء العربية به عظيمًا، وكان الحزن على خلوّ مكانه ممن يخلفه عليه أعظم وأعظم.

كنتُ وأخي الأستاذ محمد أحمد الغمراوي نرجو أمير الشعر لمهمة عظمى لم نكن نحسب أن شاعرا يوفّق لها كما يوفّق لها شوقي لو شرح الله لها صدره، وهذه المهمة هي أن يصوغ لنا من ملاحم الإسلام وأيامه ومفاخره ديوانًا كالياذة هو ميروس لليونان، وشاهنامة الفردوسي للفرس، وهمنا بزيارته لذلك مرتين على أن نستعين عليه بشيخ شباب المسلمين الدكتور عبد الحميد سعيد، وبالفعل كنا نضرب الموعد لزيارته، ويريد الله أن لا يتم ذلك، ولعلّ لله إرادة في أن يكون هذا العمل العظيم من نصيب قائد آخر من قادة الشعر العربي في أيامنا أو بعد أيامنا.

وإذا ذكرتُ شوقي فإني أذكره يوم لقينا منه التشجيع العظيم على تأسيس جمعية الشبان المسلمين. كنا في الأسبوع الثاني من جمادى الآخرة عام ١٣٤٦ قد بلغ عددنا ٣٥٠ شابًا، ولم يبق إلا أن نعلن وجود الجمعية، وأن نجتمع لانتخاب مجلس إدارتها الأول، وكانت الصحف يومئذ والمتأثرون بها يصمون كل عمل إسلامي بوصمة الرجعية، ولم يكن في الميدان هذه الجمعيات الإسلامية المتعددة، ولا هذه المجلات الإسلامية التي نرجو لها من الله البقاء والنماء.

فبحثنا عن مكان نجتمع فيه لانتخاب مجلس الإدارة، ووقع الاختيار على دار التمثيل العربي، ولكن الأستاذ طلعت باشا حرب أبى أن يأذن لنا باستعمال ذلك المكان لهذا الغرض، وكان الوساطة بيننا وبينه شوقي بك ﷺ، فقال لنا شوقي بك:

لا بأس، تكونون ضيوفني، فأنا أحب أن تكون جمعية الشبان المسلمين في ضيافتي عند أول اجتماع عظيم تعقده.

وذهب فاستأجر لنا من جيبه الخاص دار الكوزموغراف الأمريكي، وهي أوسع قاعة عامة تصلح لمثل هذا الاجتماع في ذلك الحين.

كان شوقي بك- رغم هفوات قليلة وقعت في شعره- شاعراً إسلامياً صادق النزعة؛ وقد وصف نفسه وأخلاقه يوم دعاه عباس حلمي الثاني للحج معه، فقال:

لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجِيجِ جَمْعَتَهُم	لَبِيتَ ظَهْورِ السَّاحِ وَالْعَرَصَاتِ
دَعَانِي إِلَيْكَ الصَّالِحِ ابْنُ مُحَمَّدٍ	فَكَانَ جَوَابِي صَالِحَ الدَّعَوَاتِ
وَقَدِمْتُ أَعْذَارِي وَذَلِّي وَخَشْيَتِي	وَجِئْتُ بَضْعَفِي شَافِعًا وَشَكَاتِي
وَفِي رَاحَتِي مَاضٍ إِذَا مَا هَزَزْتُهُ	تَرَكْتُ عَدُوَّ اللَّهِ فِي السَّكْرَاتِ
أَتَيْتُ بِهِ يَا رَبَّ نُورًا وَحِكْمَةً	وَنَزَّهْتَهُ عَنِ رِبَاةٍ وَأَذَاةٍ
وَتَشْهَدُ مَا أَذِيتُ نَفْسًا وَلَمْ أَضُرْ	وَلَمْ أَبْغِ فِي جَهْرِي وَلَا خَطْرَاتِي
وَلَا غَلَبْتَنِي شَقْوَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ	عَلَى حِكْمَةٍ أَتَيْتَنِي وَأَنَاةٍ
وَلَا جَالَ إِلَى الْخَيْرِ بَيْنَ سَرَائِرِي	لَدِي سُدَّةٌ خَيْرِيَةِ الرِّغْبَاتِ
وَلَا بَثٌّ إِلَّا كَابِنُ مَرْيَمَ مُشْفَقًا	عَلَى حُسْدِي، مُسْتَغْفِرًا لِعِدَاتِي
وَلَا حُمِلَتْ نَفْسٌ هَوَىٰ لِبَلَادِهَا	كَنْفَسِي فِي فَعْلِي وَفِي نَفْثَاتِي
وَإِنِّي وَلَا مَنْ عَلَيْكَ بِطَاعَةٍ	أَجَلُّ وَأَعْلَىٰ فِي الْفُرُوضِ زَكَاتِي
أَبَالِغُ فِيهَا وَهِيَ عَدْلٌ وَرَحْمَةٌ	وَيَتْرَكُهَا النَّسَاكُ فِي الْخُلُوعَاتِ
وَأَنْتَ وَلِيُّ الْعَفْوِ فَاْمُحْ بِنَاصِعِ	مِنَ الصَّفْحِ مَا سَوَّدَتْ مِنْ صَفْحَاتِي
وَمَنْ تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ فَيَغْتَرِزُ	يَمُتْ كَقَتِيلِ الْغَيْدِ بِالْبَسْمَاتِ

رحمه الله، ومنّ على الناطقين بالضاد بالمؤمن القويّ بأخلاقه وعزائمه،
يخلفه على هذا المقام الشاعر.

محب الدين الخطيب



الحلم عند العرب

سُئِلَ الأحف بن قيس:

ممن تعلمتَ الحلم؟

فقال: تعلمته من قيس بن عاصم المنقري. حضرته يوماً وهو مُحْتَبٍ يحدثنا.
إذ جاءوا بابنٍ له قتيل وابنٍ عم له كتيّف، فقالوا:

هذا قتل ابنك هذا!

فلم ينقطع عن حديثه، ولا حلَّ حبوته، حتى فرغ من الحديث، فالتفت إليهم
وقال:

أرعبتمُ الفتى!

ثم أقبل عليه فقال:

يا بُنَيَّ، نقصتَ عددك، وأوهنتَ رُكنك، وفتتَ في عضدك، وأشمتَ عدوك،
وأسأتَ إلى قومك..

ثم التفت إلى قومه وقال:

أين ابني فلان؟

فوقف بين يديه . فقال له :

يا بُني، قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القتل فأعطها
مائة ناقة لأنها غريبة؛ لعلها تسلو عنه...



الصحافة

لِكُلِّ زَمَانٍ مَضَى آيَةٌ	وآيَةُ هَذَا الزَّمَانِ الصُّحُفُ
لِسَانُ الْبِلَادِ، وَنَبْضُ الْعِبَادِ	وَكهفُ الْحَقُوقِ، وَحَرْبُ الْجَنْفِ
تَسِيرُ مَسِيرَ الضَّحَى فِي الْبِلَادِ	إِذَا الْعِلْمُ مَرَّقَ فِيهَا السَّدَفُ
وَتَمْشِي تُعَلِّمُ فِي أُمَّةٍ	كَثِيرَةٍ مَنْ لَا يَخْطُ الْأَلْفُ

أحمد شوقي



□ التواضع من مصاديد الشرف.

الأحنف بن قيس



من حكم سيدنا علي رضي الله عنه

* لا يصدق إيمان المرء حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده.

* ما ظفر من ظفر الآثم به.

- * الغالب بالشرّ مغلوب .
- * الحدة ضرب من الجنون ، لأن صاحبها يندم ، فإن لم يندم فجنونه مستحكم .
- * الاستغناء عن العذر أعزُّ من الصدق به .
- * ردُّوا الحجر من حيث جاء ، فإن الشرّ لا يدفعه إلا الشرّ .
- * اتقوا ظنون المؤمنين ، فإن الله جعل الحق على ألسنتهم .
- * أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه .
- * احذروا نفار النعم ، فما كل شارد بمردود .
- * من ظنّ بك خيرًا فصّدق ظنه .



كيف يخلص الشرق من الغرب؟ كلمة صريحة لبرنارد شو

قال مستر بلانت في الجزء الثاني من مذكراته (بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٠٩) ما يأتي :

كتب إلني برنارد شو يقول :

«أخشى أننا سنلاقي أوقاتاً عصيبة في الهند ، ولكن على الهنود وعلى المصريين أيضًا أن يعملوا على تحقيق حرياتهم ، فليس في وسعنا أن نطلق سراحهم من تلقاء أنفسنا ما لم يتخلصوا هم من بين أيدينا عنوة ، وما لم تجابهنا الهزيمة ، ويتداعى صرح الإمبراطورية في جهات أخرى ؛ فيضطرنا كل ذلك إلى الخروج من تلك البلاد كما خرج الرومان من بريطانيا» .



من أسباب الضلال في الشرق

إن الجيل الذي يقود الشرق خليطٌ غير متجانس، وعدمُ تجانسه أوضح ظهوراً في إدراكه وميوله منه في أجناسه وأصوله .
 فهنا علم، ولكنه علم اصطيف بنزعةٍ من أخذنا عنه العلم . وهناك جهل، ولكنه جهل مقرون بالادّعاء: يغشى البصر والبصيرة .
 وهناك نعمة طائفية ينخرُ سُوسُها القلوب، ويفلّ العزائم .
 فلا عجب - والحالة هذه - أن يضلّ الشرق الطريقَ السويّ الذي يوصله إلى مثله الأعلى .

أنطون الجميل



حكم

□ لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي .

معاوية رضي الله عنه

□ القراة تُقطع، والمعروفُ يُكفر؛ وما رأيتُ كتقارب القلوب .

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

□ ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنعَ منهم بأوطانهم .

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

مصطفى كامل باشا في المدرسة الثانوية

كتب الشيخ علي يوسف في معرض رثائه مصطفى كامل باشا يوم وفاته كلمة عن حاله وهو في المدرسة الثانوية، قال فيها:

دخلت ذات ليلة على المرحوم علي مبارك باشا في منزله في أوائل سنة ١٨٩٠ وهو يومئذ ناظر المعارف العمومية، ومجلسه حافل بالفضلاء والأدباء، وإذا بتلميذ من تلاميذ إحدى المدارس الثانوية يجادل الباشا في أمره ويقول:

إنني لا أطلب منك إلا ما وجدت أنت من مثلك يوم كنت تلميذاً مثلي، وما يدريك أن لا أكون عظيمًا أخدم وطني غدًا بأكثر مما تخدمه أنت اليوم؟ قال هذا ثم خرج غاضبًا؛ وكأنه ليس بتلميذ، وكأنما الباشا الذي يخاطبه ليس ناظر المعارف العمومية.

وبعدما خرج ضحك الباشا وقال: إنني أعجب كثيرًا بشجاعة هذا التلميذ، ويلد لي أن يتكلم أمامي كثيرًا بمثل هذه الشجاعة النفسية، ولذلك لم أخبره بما أمرت اليوم لأجله (وكان ﷺ قد أصدر أمره بما طلب منه من قبل، وتركه يخاطبه بمثل هذه اللهجة تلذذاً بما كان يعجبه من كلامه وجداله).



تنمية الشعور الديني ضرورة للنجاح في جميع الأعمال العظيمة

لا يمكن أن ينجح حقاً أي عمل لإنسان - مهما كان الإنسان عظيماً - إلا إذا كان لعمله أساس من الدين.

ليس الدين شيئاً يورث لنا، بل يجب أن ينبعث من نفوسنا ويبقى في الصدور-
على شعور من البعض وبصورة لا شعورية مع البعض الآخر، ولكنه على
الحالين موجود. وسواء علينا أكان إيقاظ هذا الشعور بمؤثرات خارجية، أو
تركناه ينمو نمواً داخلياً، فإن ليس العبرة بكيفية نموه، بل المهم أن ينمو إذا أردنا
أن نقوم بعمل ما على وجه مُرضٍ، أو ننفذ مشروعاً ما قد نلقي في سبيله عتاً.

غاندي



□ قال عبد الله بن الحسن لابنه: استعن على الكلام بطول الفكر، في
المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول، فإنَّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها
الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب.



جامعة القدس

للشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن النجمي

نظمها إجابة لاقتراح صديقه مؤلف الحديقة

ولي أجرُ كرسيّ بجامعةِ القدس	أيسعدني وُجدي فأصبح أو أمسي
فأبلغ نفسي سؤلها أو أبغ نفسي	ذريني وُقيتِ البخلِ يا بُنْ اقترضْ
نحاول نَيْلا من قواعدِ الخمسِ	ذريني أدّد عن جانبِ الدين فتنةً
وباعوا رضاء الله بالثمنِ البَخسِ	يوزّنها قوم عن الحقّ أعرضوا
دعايتهم أجدى من السيف والترسِ	بحرّكهم من خلفهم طامعٌ يرى

وما لي لا أستقرض المال في التقى
أيرفعُ شذاذُ البلاد بجانبي
واقعدُ لا أعنى بشيء وأدعي
وأرجع طردَ الجدِّ في المجد عكسه
لعمري نعيم العيش ما أخطأ الفتى
لقد فاتنا حتى الضعافُ إلى العلا
«الا ليت شعري والحوادث جمة»^(١)
أقومي أحياء فأعزف شاديًا
وماذا أعدوا للعلاء أعبدوا
وهل علموا أن التواكل إن يدم
وأن شعوب الأرض توسع للعلی
وأنا على مثل الشبابة فإن هوت
وأن المعالي لا تبالي بمختد
فمن أبطأت أعماله عن منالها
وأنا لفرنَّ الغرب في حاجة غدت
ومن دون هذي الدين لا يرتجى لنا
فجمعهما فرض علينا، فمن لنا
لجامعة تُعنى بذلك خير ما

وفي الناس من يستقرض المال في الرجس
ديار السنا تملو على الأفق كالشمس
كذابًا وإفكا أني من ذوي الحس
وأزعم أن الجدَّ يمشي على العكس
مسالكه إلا تدهور في البوس
وقصر منا القرم عن غابة التمس
وكوكبها يجري على الشرق بالنحس
بشعري، أم موتي فأبكي على الرمس
له الطرق أم باعوا السعادة بالفلس
أضاع غداً منا كما مال بالأمس
خطى الجن لما استبطأت خطوة الإنس
بنا أخمص غصنا إلى قمة الرأس
- وإن طاب - إلا محتد العلم والبأس
به لم يُنله وصلها كرم الجنس
لعمري مما يُدرك الآن باللمس
رجوعٌ إلى استذكار تاريخنا المنسي
بجامعة تبني على ذلك الأس
سيفرسه الآباء للنشء من غرس



بني العُرب هذا مَعهدُ الدين والدُّنا
فلَبُّوا نداء المجدِّ، إنَّ سبيلنا
يهيب بكم من جانب الحرم القدسي
إلى المجد ليست في الطعام ولا اللبس

(١) هذه الشطرة ليست من كلام الناظم، بل أخذت على طريقة التضمين.

ولكنها الإقدام في الخوف والرجا
وبذل التدى، فالبذل ما زال آيةً
إن حقَّ بذلُ فاتنا الشحُّ كالذي
وإن وقف الأعداءُ من دون مطلب
أهذي سجايا أمة يذكر العلا
أقيموا بني أُمي قواعد مجدكم
وجودوا بما في الوسع لا عذر بعدما
يخامرُ ملء الصدر في ساعة اليأس
على شرف المعطى وجوهره النفس
تخبطه الشيطانُ من شدة المس
وقفنا وعاد الجهر أخفى من الهمس
بكل ثناء عهدَ آبائها الحُمس
على العلم والإسلام لا الظنَّ والحَس
بدا الحق للرائي خليئاً من اللبس



الا إن بيتاً مثل هذا نشيده
فهيّا إلى العلياء واستنفروا لها
من طلبَ الحسناء عرساً أباحها
لأبلغ ما نُملّي على الغرب من دَرس
عزائم لا تُلوي بها لرهبة الدس
من المهر ما يُزهي به ليلة العُرس



تأليب الجماعات واتحاد العالم

كتب كاتب انكليزي من معارف غاندي مقالة في مجلة (إيسنت إند وست) يعيره فيها بأنه يعمل لتأليب الجماعات بدلاً من أن يعمل لاتحاد العالم. فكتب غاندي يقول: لقد سبق أن قلتُ لهذا الكاتب ونحن تحت سقف واحد: إني أو من بمذهب العالمية أكثر منه؛ وما زلت على هذا المذهب، وأرى أنه لولا تأليب الجماعات لما أمكن اتحاد العالم.



إتقان صناعة الموت يُنبئ الحرية المقدسة

ألقى مدير المعارف العام في بغداد خطبة حماسية على طلاب المدارس الثانوية يوم ١١ جمادى الآخرة ١٣٥١ قال فيها:

إن المال والعلم ليسا الكل في الكل في استقلال الأمم، وليس المعول الوحيد الذي تهدم به أسوار الاستعباد، وتحطم به قيود الذل.

بل هناك شيء آخر أهم من المال والعلم يصون شرف الأمم، ويحول دون دنو الذل والاستعباد منها، هو القوة!

فالقوة هي التربة التي تنبت عليها بذرة الحق، والأمة التي ليست لها قوة محكوم عليها بالذل والاستعباد.

فالثروة بلا قوة من أهم أسباب الذل والاستعباد.

والعلم بلا قوة لا ينتج سوى الصراخ والبكاء من الضعيف، وكثرة الضحك عليه من الطرف القوي.

وأحياناً يستمر هذا البغي والضحك عشرات السنين، كما هي الحال في مصر والهند.

ومعنى القوة هنا: «إتقان صناعة الموت»

فالأمة التي لا تُتقن صناعة الموت بالحديد والنار، تُرغم على الموت تحت سنايك الخيل، وأحذية الجند الأجنيبي.

وكما أن الحياة حق، فالقتل دفاعاً عن الحياة هو أيضاً حق، ولو لم يكن عند مصطفى كمال ٤٠٠٠ ضابط مدربين على صناعة الموت في ثورة الأناضول لما رأينا تركيا تعيد مجد ياووز.

ولو لم يكن عند البهلوي آلاف الضباط الذين يتقنون هذه الصناعة المقدسة،
لما وجدناه يعيد مجد دارا.

ولو لم يكن لدى موسوليني عشرات الألوف من أصحاب القمصان السوداء
الذين يرغبون في مهنة الموت، لما استطاع أن يضع على مفرق فيكتور عمانوئيل
تاج قياصرة روما الأولين.

بروسية كانت تحلم بتوحيد الشعب الألماني قبل ستين سنة، وما المانع من
أن يحلم العراق بتوحيد البلاد العربية منذ اليوم، بعد أن حقق حلمه بالاستقلال
قبل عشر سنوات؟

على ضفاف هذا النهر العظيم الذي نراه صباح مساء قد أقام هارون الرشيد
عرشه، ومن على هذا الساحل الرملي كان يحكم مئتي مليون نسمة.
ولا نستحق أن نفتخر به ونُدَّعي بأننا أحفاده إذا لم نُعِدْ ما بناه هو، وهُدِّمه
أعداء العرب.

روح هارون الرشيد والمأمون تريد أن يكون للعراق بعد زمن قريب مئتا ألف
جندي ومئتا طائرة، فهل في العراق من لا يلبي هذا النداء؟
أما دروسكم العسكرية أيها الشبان هذه السنة، فهي دروس القوة التي تحتاج
إليها البلاد، والتي يتطلبها تاريخنا المجيد.

فإذا كنا لا نريد الموت تحت سنايك الخيل، وأحذية الجند الأجني، علينا
أن نتقن صناعة الموت، صناعة الجندية، المهنة المقدسة العسكرية.
فإلى القوة، وإلى إتقان صناعة الموت المقدسة - أيها الشباب -، رافعين
راية فيصل خليفة هارون الرشيد عاليًا عاليًا.



أمة العرب بين الأمم

١- سموهم النفسي:

امتازت أمة العرب - منذ القدم - عن سائر أمم الأرض بأنها أمة الحرية لا تكاد تعدل بها بديلا، وبأنها أمة المساواة لا تكاد تبغي عنها جولا. وكان حب الحرية والمساواة يملك على العرب مشاعرهم، حتى لتحسبه جزءا من أجزاء حياتهم، وركنا من أركان شخصاتهم. أضف إلى ذلك عزتهم النفسية ومتانتهم الخلقية، وأنهم كانوا مضرب المثل ذكاء ووفاء وشجاعة ومروءة.

كل تلك المزايا كانت في العرب مجتمعة أيام أن كانت الشعوب الأخرى في أرجاء الأرض رقيقة مستعبدة، استبدت بها حكوماتها، فحرمتها حرية التصرفات المالية والمدنية، واستبد بها كهنتها ورجال أديانها، فحظروا عليها البحث أو النظر في المسائل الدينية بل وفي كثير من العلوم الكونية، فماتت المواهب النافعة، وضربت الشعوب بعصا الذلة، وحيل بينها وبين نعمة البحث وحرية الرأي واستقلال الفكر، وتغلّبت الأثرة وحب الذات، ودبّت عقارب الجهل والفقر والتهبت نار العداوة والنزاع، تلتهم الأمم وتمتص حيوية البشر.

٢- سموهم الجسمي:

وكان إلى جانب ذلك السمو النفسي في العرب سمو آخر في بناء أجسامهم ومتانة عضلاتهم وسخنة وجوههم وهيتهم جملة وتفصيلا. ولا ريب أن هذه الأجسام الرياضية (على حد التعبير الجديد) تُحْمَلُ مالا يُستطاع فتحمل، كما أن الأعصاب القوية هي الخليقة بأن تواجه مشاكل العالم، فتعالج وتصبر وترحم وتعديل.

وكذلك سجّل التاريخ للعرب وحكم العرب. وسترى شيئاً عن ذلك قريباً. صرح بعض علماء الأجناس البشرية أنه «لا بد لهذا الجنس العربي في جميع السلائل من الصفات التي تتباين فيها أجناس البشر خُلُقًا وخُلُقًا، وأنها تسمو على سائر الأجيال بالنظر إلى هيئة القحف وسعة الدماغ وكثرة تلافيفه وبناء الأعصاب وشكل الألياف العضلية والنسيج العظمي وقوام القلب ونظام نبضاته، فضلاً عما هم عليه من ملاحظة السحنة وتناسب الأعضاء وحسن التقاطيع ووضوح الملامح»^(١).

٣- طبيعة بلادهم:

وكانت طبيعة الأقاليم العربية تؤهل العرب أن يكونوا هم الشعب المختار لحمل رسالة السماء إلى الأرض، والدعاية لها والدفاع عنها.

وذلك لمناعة الوطن العربي وحصانته، ووقوف طبيعته نفسها في وجوه المستعمرين والغاصبين بما يحفّ بها من جبال وتلال وصحاري وقفار ووهاد ونجاد، وحرّ لافح يشوي الوجوه، وشظف في العيش، وقشف في الحياة، إلى غير ذلك مما لا يكاد يصبر عليه إلا عربي، ولا يستطيع أن يعيش فيه أجنبي... قال ضابط أمريكي عظيم^(٢) يصف شوكة العرب ومناعة بلادهم: «لا يحتاج العرب إلى القلاع والخنادق أو الأساطيل لكسر شوكة الدخلاء، فإن طبيعة البلاد بجوها الفريد في قلبه أعظم مساعد على قهر الأعداء»، ثم قال: «ومن أين للجيش الأوربية أن تبعث الخوف والوجل في قلب البدوي، وهو الذي علم بالجنة وهي أقرب جنان الأديان إلى العقل والمنطق وأشدّها استهواء

(١) انظر جريدة الضياء عدد ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٩هـ.

(٢) هو اسكندر باول. انظر صحيفة الفتح عدد ٨ شوال سنة ١٣٤٩هـ.

للنفوس، ويعتقد بكل جارحة أن الطريق إلى هذا النعيم إنما هو الاستشهاد في سبيل الله». ثم قال: «ولقد كان قضاء الله شرًا أو رحمة - لا أدري - إذ قضى على العربي بأن يفقد روح التعاون بينه وبين أخيه. ولو أنه ملك هذه الروح إلى جانب مزاياه لحكم العالم بلا ريب» أ هـ.

٤- شبه جزيرة العرب:

ولو أنك تصورت موقع شبه الجزيرة العربي من موقع دولتي الفرس والروم، وهما الدولتان الوحيدتان اللتان كانتا تسيطران على العالم أيام نشأة الإسلام، لو تصورت هذا الموقع بين هذين الموقعين لانبج لك نور جديد تلمح من خلاله أن البلاد العربية كانت في نقطة الوسط بين هاتين الأمتين العظيمتين اللتين كانت كل أمة منهما صماء الأذن بضوضاء «مدنيتها»، ذاهلة العقل بخمر حضارتها، عمياء العين بسبب انهماكها في مطامعها وشهواتها.

ولا شك أن وضع العرب هذا هو الوضع الطبيعي للأستاذ بين تلاميذه، لا بد أن يكون أوسطهم موقفًا، وأهدأهم نفسًا، وأصفاهم وقتًا، وأنبههم عقلاً، وأبعدهم عن المجون واللهو، وأقربهم إلى العمل والجد.

فلا جرم كانت أمة العرب - من هذه الناحية أيضًا - هي المختارة لأستذة العالم، والمرجوة لإعلاء رايته، والمندوبة لحمل مصباح هدايته.

محمد عبد العظيم الزرقاني

إمام السفن النيلية الملكية



□ قال الإمام الأوزاعي:

إذا أراد الله ب قوم سوءًا أعطاهم الجدَل، ومنعهم العمل.

□ قال الأصمعي:

إذا نظرف العربي كثر كلامه، وإذا نظرف الفارسي كثر سكوته.



من حافظ إبراهيم إلى أحمد شوقي

أشدتْ بذكري يومَ قلت رثايا	فيا لي مَرثيًا ويا لك راثيا ^(١)
وكنْتُ عظيمًا إذْ ودَدْتُ لو انطوى	عليك الثرى قبلي فأرثيك آسيا ^(٢)
ولكنْ أبى عدل الردى أن يفوتني	من الحظِّ ما قد فاتني في حياتيا
نشدت المُنَى حيًّا فعز مَنالها	ومُتْ فأولاني رثاك الأمانيا ^(٣)
ورفَّه عن جسمي فلم يغيهِ الثرى	وأسعدني حتى نسيْتُ شقائيا ^(٤)
ولو ردَّ تأبينٌ على الجسمِ روحه	إدَّا لرأوني عند نعشك جاثيا ^(٥)
وأخلدني ما قلت فيّ فكَلِّما	تولى زمانٌ بِثْ أرقبُ آتيا ^(٦)

(١) أشاد بذكره: أي رفعه بالثناء عليه.

(٢) في هذا البيت إشارة إلى قوله شوقي في رثاء حافظ:

قد كنتُ أوثر أن تقولَ رثائي

ووددتُ لو أني فذاك من الردى

(٣) نشد: بمعنى طلب.

(٤) رفه عن نفسه: أزال ما يتعبها. لم يعيه: لم يتعبه.

(٥) الجاثي: الجالس على ركبتيه.

(٦) أخلدني: جعلني خالدا.

تَخَذْتُ يَدًا عِنْدِي بِمَا قَدْ رَثَيْتَنِي وَمَا أَنَا مِمَّا يَجْحَدُونَ الْيَادِيَا
فَنَاجِثُكَ رُوحِي بِالرِّثَاءِ كَثِيبَةً وَلَوْ مَلَكَتْ دَمْعًا لِأَجْرَتِهِ قَانِيَا^(١)
لِئِنْ فَرَّقْتَنَا نَبُوءَةً فِي حَيَاتِنَا لَقَدْ أَصْبَحَتْ بَعْدَ الْمَمَاتِ تَأْخِيَا^(٢)
وَأَحْسَنُ مَا فِي فَاجِعِ الْمَوْتِ كَوْنُهُ لَمَا خُطَّ فِي طَرَسِ الضَّغِينَةِ مَا حَيَا^(٣)



نَعَتْكَ لِهَذَا النَّاسِ مَصْرُ وَإِنَّمَا نَعَتْكَ كَمَا تَنْعِي السَّمَاوَاتُ بِدَرَاهَا
نَعَتْ شَاعِرَ الْوَحْيِ الَّذِي عَظَلَتْ لَهُ وَاصْبَحَ فِيهَا مَهْبُطُ الْوَحْيِ خَالِيَا
نَعَتْ أَدَبًا فِي الْأَرْضِ أَسْرَى مِنَ الضِّيَا إِذَا صَدَعَ الصَّبْحُ الْمُبِينِ الدِّيَاغِيَا^(٤)
نَعَتْ شِعْرَ جَبَلٍ وَاضِحِ النَّهْجِ رَائِقَا تَنْضَدُ فِي سِنْطِ الْبَيَانِ لَالِيَا^(٥)
رَابِثِكَ تَرْجِيهِ أَفَانِينَ غَضَّةً وَتَرْسَلُهُ حِينًا قَنَّا وَمَوَاضِيَا
وَطَوْرًا كَمَا لَاحَ الْوَمِيزُ، وَتَارَةً صَوَاعِقُ يَصْرَعْنَ الظُّلُومَ عَوَاتِيَا
يَهْزُ الْأَلَى يَتَلَوْنُهُ فَكَأَنَّ فِي تَفَاعِيلِهِ لِلْكَهْرِبَاءِ مَجَارِيَا^(٦)
وَرُوحَكَ فِي أَعْجَازِهِ وَصُدُورِهِ تَجَدَّدُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مَعَانِيَا^(٧)

(١) القاني: الأحمر.

(٢) النبوة: الجفاء، وفي هذا البيت إشارة إلى ما كان يقع أحياناً بين شوقي وحافظ من التجافي.

(٣) الطرس: الورق.

(٤) الدياجي: الظلمات.

(٥) السِنط: بكسر فسكون، ما يُنظم فيه اللؤلؤ، وهو كالسلك للخرز.

(٦) التفاعيل عند العروضيين هي أمثلة الأجزاء التي يتألف منها الشعر، وأصولها أربعة: فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن وفاعلاتن، وبقية الأجزاء مأخوذة منها.

(٧) الأعجاز: جمع عَجَز، بفتح فضم، وهو الشطر الثاني من بيت الشعر، والصدر: الشطر الأول.

تجلى نقيّ المستشفّ مسلسلا كما سأل فوق الفضة الماء صافيا^(١)
 متى يثّل خالوا الخمرَ والفجرَ والصبا وقطر الندى والورد صيغت قوافيا^(٢)
 شوارد يهبطنَ المواطنَ من عليّ روائحَ في آفاقها وغواديا^(٣)
 قوارعَ للأسماعِ ينشئنَ حكمةً أوامرَ للألباب طرّاً نواها^(٤)
 نواطقُ بالفصحى، سواببٌ للنّهى ضواحكُ أحياناً وحيناً بواكيا
 دوائيّ من فهمِ الأدبِ فإنّ يرُمَ محاكاةً مبنها يجدها قواصيا
 جوامعَ لللفظِ الذي راقَ سبكه حوافلَ بالمعنى البليغِ حواليا
 أمالتُ أفانينَ الأراكِ فنونُها وأسكنتُ السحرَ العيونَ السواجيا^(٥)
 إذا ما الغواني استقبلتُ رونقَ الضحى حسبنَ الضحى مما وصفتُ الغواني^(٦)



أشوقيّ هذا النيلُ بعدك قد جرى لينعأك بحرّاً بالبلاغة طاميا
 وهذي رياضُ النيلِ لا عطفُ بانها يميمسُ، ولا الشادي يُساجلُ شاديا
 وهذي ربوع القطر كدّنَ من الأسى عليك يحاكين الطلولَ البواليا^(٧)
 وتلكَ سماءُ تذرّفُ الدمعَ أنجمًا ألسّت ترى نهرَ المجرة طاغيا^(٨)
 وهذا شامئٌ تفيضُ شؤونُه وذاكَ عراقيّ يعرّي يمانيا^(٩)

-
- (١) المستشف: من قولهم: استشف الثوب، إذا نظر فيه ليرى هل فيه عيب.
 (٢) المراد بالقوافي هنا القصائد.
 (٣) الروائح من الرواح، وهو الذهاب عشية، والغوادي من الغدو، وهو نقيض الرواح.
 (٤) ينشئن بمعنى يُدعن.
 (٥) الأفانين: جمع فتن، وهو الغصن، السواجي: السواكن.
 (٦) الضحى حين شروق الشمس، الغواني: النساء الجميلات.
 (٧) الطلول: جمع طلل وهو الشاخص من آثار الدار.
 (٨) المجرة: نجوم صغيرة متراكمة تبدو للنّاظر كالنهر. الطاغي: من طغى الماء إذا جاوز الحد.
 (٩) الشؤون: مجاري الدمع من الرأس.

كسوتَ عَذَارَى الشعرِ وشيًّا شققنهُ
لمنعاكَ حزنًا فانشينَ عواريا^(١)
إذا ما وردنَ النيلَ ينقمنَ غلَّةً
تذكُرَنَ شوقيًا فعدنَ صواديا^(٢)



وفيتَ لإسماعيلَ ثمَّ لنسلِهِ
فكنتَ مثالا للمروءةِ عاليا^(٣)
وأحييتَ مصرَ مخلصًا لا مصانعًا
وغرّزَ عليها صادقًا لا مُداجيا
وعلمتَ ذا جهلٍ ونبتَه غافلا
وقومتَ منادًا وأرشدتَ غاويا^(٤)
ونوّهتَ في العُصمِ الروائعَ باسمها
فما لبثتُ أن سَنَمْتُكَ المعاليا^(٥)
وعدّتكُ قُطبَ الشعرِ حيًّا وأعلنتُ
بفضلِكَ وهي اليومَ تبكيكُ ثاويا^(٦)
ولم أرَ فيها بانيًا ما هدمتهُ
ولا هادمًا ما كنتَ في الشعرِ بانيا
وكانتَ بروذُ (الضاد) قد زال وشيها
فطرّزتَ بالإبداعِ منها الحواشيا^(٧)
تحدّأكُ بالتهجينِ قومٌ، وهل لهم
سبيلَ إلى أن يجعلوا الصبحَ داجيا^(٨)
وأن يخفضوا الجوزاءَ عن مستقرّها
من الأفقِ أو أن يجعلوا العُضْبَ ناييا^(٩)



يكاد ضريحُ وسدوكَ ترابهُ
يضيءُ فيمسي للذي ضلَّ هاديا

(١) الوشي في الأصل نقش الثوب، والمقصود به هنا: الثوب المنقوش، من باب التسمية بالمصدر.

(٢) ينقمن غلة: أي يروين ظمًا، الصوادي: الظامئات.

(٣) إسماعيل: هو إسماعيل باشا خديوي مصر الشهير.

(٤) المناد: المعوج.

(٥) العصم، الروائع: صفتان للقصائد.

(٦) الثاوي: الميت.

(٧) البرود: جمع بُرد وهو الثوب، والضاد كناية عن اللغة العربية.

(٨) تحدّأك بالتهجين: أي تعمدك بالتقييح.

(٩) الجوزاء: برج في السماء. العُضْب: السيف القاطع.

وإن زارهُ الغادي وقد طلَّهُ الندى لدى الفجرِ خال الفجرِ بعدك باكباً^(١)

أطافَ به ضيَابُهُ القومِ خشعاً يحيون منه هيكلاً الشعرِ سامياً^(٢)



ستجمعنا في الخلدِ أنضرَ روضةً تدفقَ فيها الكوثرُ العذبِ جارياً^(٣)

«وقد يَجْمَعُ اللهَ الشَّيْتَيْنِ بعدما يظنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا»

أمين ناصر الدين



ضغط العالم المسيحي سنة قرون على روح الحرية الإسلامية

قال مستر كنورني الكاتب البريطاني الشهير في مقالة نشرتها له جريدة (هرالد تريبون) التي تُطبع في نيويورك:

«عندما حكم الخلفاء بغداد أداروا أمورهم بروح الحرية، فارتقت العلوم في أيامهم، وازدهرت الحكمة؛ حتى أخذت الغرب علومهم عنهم ودرسها في جامعاته. وقد بقيت هذه الروح بعد سقوط بغداد ستة عصور كاملة تن من ضغط العالم المسيحي المستمر عليها».



(١) طله الندى: أي نزل عليه.

(٢) ضيابة القوم: سادتهم وأعيانهم.

(٣) الكوثر: نهر في الجنة.

روح العصر

أريد للشرق شبانًا يشعُّ في قلوبهم نور الإيمان - الإيمان بالله - والعمل الصالح، ويثبت في قلوبهم اليقين بالظفر في العاقبة.
يملاً أحدهم قلبه إيمانًا و يقينا، رغبة في الخير، ثم ينطلق في الحياة إلى غاية كالنجم مضيئًا مُقَدِّمًا لا يقف ولا يحيد.

إن الذي يحدوه الإيمان والعزم، لقمنُّ أن يجعل الزمان والمكان رهن مشيئته، فلا يعتلُّ بالزمان والمكان - على ما فيهما من شرّ وفساد -، بل يسيطر هو عليهما أو يخلقهما كما يشاء خلقًا جديدًا.

إن روح الإنسان العظيم جديرٌ أن يهزم ما يستمونه (روح العصر)، وما روحُ العصر إلا طائفة من السنن تركها على الزمان أناس مصلحون أو مفسدون، فأني يخنع لها الرجل العظيم الذي تأبى همته قيود الزمان والمكان. إنما الزمان والمكان قيد الضعيف، وتعلّة العاجز، وعذر صاحب الهوى.

عبد الوهاب عزام



إلى جزيرة العرب

لبيك يا أرضَ الجزيرة، واسمعي	ما شئت من شجوي ومن إنشادي
أنا لا أفرق بين أهلك، إنهم	أهلي، وأنتِ بلادهم وبلادي
ولقد برئتُ إليك من وطنية	شلاء تُؤثر موطن المبلاد

فلكل ربيع من ربوعك حُرمة وهوى تغلغل في صميم فؤادي
تمس العداة فما يفرق شملنا متفرق الأسماء والآحاد

فؤاد الخطيب



نجدية تحن إلى نجد

حكى أبو عبد الله الجعفري عن عبد الله بن إسحاق الجعفري قال:
أمرتُ بصهريج لي^(١) في بستان عليه نخل مُطلّ أن يُملأ، فذهبت بأم حسانة
المُرّة وابنتها، وهي زوجتي، فلما نظرتُ أم حسانة إلى الصّهريج، قعدت عليه
وأرسلت رجليها في الماء.

فقلت لها: ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنَجيني ما طالب من ثمره؟
ف قالت: ههنا أعجب إليّ، فدرنا ساعة وتركناها؛ ثم انصرفنا وهي تخضخض
جليها في الماء وتحرك شفتيها.

فقلت: يا أم حسانة، لا أحسبك إلا وقد قلت شعرا؟
قالت: أجل. ثم أنشدتني:

أقول لأذنى صاحبّي أسرّه وللعين دمعٌ يحدرُ الكحلّ ساكبه
لعمري لنهَى بالّلوى نازحُ الفدى نقيّ النواحي غيرُ طَرِقٍ مشاربه^(٢)
أحبُّ إلينا من صهاريج مُلئت للغب فلم تملحْ لدى ملاعبه

(١) الصهريج: حوض يجتمع فيه الماء.

(٢) النهى: الغدير أو شبهه. وأرادت الغدير غير طرق - أي غير مطروق من الناس والسائمة؛
لئلا تذكره الأدناس.

فيا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابه إذا هَضَبَتْهُ بالعشيِّ هواضِبُهُ^(١)
 وريح صبا نجدٍ إذا ما تَنَسَّمَتْ ضحىً أوسرت جَنحَ الظلامِ جنايَهُ



جبل الوشل

أنشد المازني:

اقرأ على الوشلِ السلامِ وقل له كُلُّ المواردِ مذ هُجِرَتْ دَمِيمُ
 جبل يُنِيفُ على الجبالِ إذا بدا بين الغدائرِ والرَّمالِ مَقِيمُ
 تَسْرَى الصبا فَتَبِيتُ في ألواذِهِ وبيت فيه من الجنوبِ نَسِيمُ
 سَقِيًّا لِظَلِّكَ بالعشيِّ وبالضُّحَى وَلَبِردِ مائِكَ والمِياهِ حَمِيمُ



ظرف أعرابي

أراد الوليد بن عبد الملك أن يُرسل خيله، فجاء أعرابي له بفرس أنثى، فسأله
 أن يُدخِلَها مع خيله؛ فقال الوليد لقهرمانه^(٢) أَسَيْلَمُ بن الأحنف:

كيف تراها يا أَسَيْلَمُ؟

فقال: يا أمير المؤمنين حجازيّة، لو ضَمَمَها مضمارُكَ ذهبت.

قال الأعرابي:

(١) هَضَبَتْ السماء القوم: مطرتهم مطراً شديداً.

(٢) القهرمان: أمين الدخل والخرج.

أنت والله منقوص الاسم^(١)، أعوجُ اسم الأبِ .
فأمر الوليد بإدخال فرسه . فلما أُجريت الخيلُ سبق الأعرابي على فرسه ،
فقال الوليد :

أواهبا لي أنت يا أعرابي ؟

فقال : لا والله ، إنها لقديمة الصُّحبة ، ولها حق . ولكن أخميك على مُهرٍ لها
سبق عامًا أوَّل وهو رابض ، فضحك الوليد وقال :

أعرابي مجنون !

فقال الأعرابي :

وما يضحككم ؟ سَبَقَتُ أمه عامًا أوَّل وهو في بطنها .
فاستظرفه واحتبسه عنده ، فمرض ، فبعث إليه الوليد بالأطباء .
فأنشأ يقول :

جاء الأطباء من جِمَص تَخَالَهُمُ من جهلهم أَنْ أَدَاوَى كالمجانين
قال الأطباء : ما يَشْفِيكَ ؟ قلت لهم : دُخَانُ رِمِثٍ من التسرير يَشْفِينِي^(٢)
إِنِّي أَحْن إلى أدخان محتطب من الجُنَيْنَةِ جزلٍ غَيْرِ موزون^(٣)
فأمر الوليد أَنْ يُحْمَلَ إليه سَلِيخَةٌ من رِمِثٍ^(٤) فوافوه وقد مات .

قال الجاحظ : فهو عند الخليفة وبيد ليس في الأقاليم أريفٌ منه ولا أخصبُ
جنابًا ، فحنَّ إلي سليخة رمث حبًّا للوطن .

(١) يريد أن اسمه مصغر ، والتصغير في الغالب يدل على النقص .

(٢) الرمث : مرعى للإبل من الجِمْص . والتسرير : موضع بالبادية .

(٣) الجنينة : موضع بالبادية .

(٤) السليخة من الرمث : ما ليس مرعى .

العرب وديارهم

معاشرُ بيضٌ لو وَرَدَتْ بلادهم وَرَدَتْ بحورًا ماؤها للندا عذبُ
إذا ما بدت للناظرين خيامُهم فثَمَّ العِناقُ القُبُّ والأَسْلُ القُضْبُ
مجنون بني عامر



البادية كما يراها أبنائها

حدّث التّوّزي عن رجل من بني هاشم قال:
قلتُ لأعرابي من بني أسد:
من أين أقبلت؟
قال: من هذه البادية...
قلت: وأين تسكن منها؟
قال: مَسَاقِطُ الحمى، حمى ضرية^(١) بأرضٍ لعمرُ لله ما نريدُ بها بدلاً، ولا
نبغي عنها جِوْلاً. قد نفحتها الغدوات وحفتها الفلوات؛ فلا يَمْلُوْحُ ماؤها، ولا
يحمى ترابها، ولا يَمْعَرُ جنبها^(٢). ليس فيها أذى، ولا قَذَى، لا أنين، ولا
حُمَى؛ فنحن بأرفه عيش وأرفع نعمة^(٣).

(١) ضرية: بئر بأرض نجد

(٢) معرت الأرض: قل نباتها.

(٣) أي أوسعها.

قلت: فما طعامكم فيها؟

قال: بخ بخ، عيشنا والله عيش يُعَلَّلُ جاذبه، وطعامنا أطيَّبُ طعام وأهنأه: الهبيد^(١) والضباب^(٢) واليرابيع^(٣) والقنأفذ والحيات، وربما والله أكلنا القد^(٤) واشتوينا الجلد، فلا نعلم أحداً أخصب منّا عيشاً، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من الدعة. أو ما سمعت قول قائلنا، وكان والله عالماً بلذيذ العيش:

إذا ما أصبنا كل يوم مُذَيِّقَةً وخمسَ ثُميرات صغارٍ كوانز^(٥)
فنحن ملوك الأرض خصباً ونعمةً ونحن أسود الغاب عند الهزاهز^(٦)
وكم مُتَمَنِّ عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به حقٌّ فائزٍ
ولهذا خبرٌ طويلٌ وصف فيه نوقاً أضلّها

قال الهاشمي فلما فرغ من نعت نوقه قلت له: هل لك في الغداء؟

قال: إني والله لاصقُ القلب بالحجاب، ما لي عهد بمضاع، إلا شِلْوُ يَرْبُوع^(٧) وَجَدَ مَعْمَعَةً فانسَلَّتْ مِنِّي، فَأَخَذْتُ بِنَافِقَائِهِ وَقَاصِيعَاتِهِ وَدَائِمَاتِهِ وَرَاهِطَائِهِ^(٨)، ثُمَّ تَنَفَّضْتُه فَأَخْرَجْتُهُ؛ وَلَا وَاللَّهِ مَا فَرَحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِهِ.

(١) الهبيد: الحنظل.

(٢) الضباب: جمع ضب، وهو حيوان معروف.

(٣) اليرابيع: جمع يربوع، وهو حيوان يسكن بطن الأرض ويتخذ فيه كوى، فإذا طُلب من أحدها خروج من غيره.

(٤) القد: جلد السلخه، وكانوا يأكلونه في الجذب.

(٥) المذيقه: تصغير مذقة، وهي الطائفة من المذيق، وهو اللبن الممزوج بالماء. والكوانز: المكتنزة وهي المجتمعة الصلبة.

(٦) الهزاهز: الشدائد (ولم يُسمع لها بواحدة).

(٧) الشلو: العضو من أعضاء الجسم.

(٨) هذه الأربعة أبواب اتخذها اليربوع لحفيرته، فمتى أحس بشيء خالف تلك الجهة إلى الباب.

فتلقاني رُويَ بطن الخرجاء^(١) يو قد نُويَرةً تخبو طوراً وتُشَبُّ أخرى، فدَسَسَتْهُ
 في إِرَتِه^(٢)، فخدمت نويرته؛ ولا والله ما بلغ نَصَجِه حتى اختلس الرُويَعي منه،
 فغلبنى على رأسه وحوشه وصدره وبدنه، وبقي بيدي رجلاه ووركاه وفقرتا صلبه
 فكان ذلك مما أنعم الله به علي، فاغتبتها؛ فذلك والله عهدي بالطعام، وإني
 لذو حاجة إلى غذاء أنوّه به فؤادي، وأشدُّ به آدي^(٣)؛ فقد والله بلغ مني
 المجهود، وأدرك مني المجلود^(٤).



كرامة العرب على الله

قال أبو عثمان الجاحظ: رأيتُ عبدًا أسود حبشيًا ليني أسد. قدم من شِقِّ
 اليمامة، فصار ناطورًا، وكان حبشيًا مجنونًا لطول الغربة مع الإبل، وكان لا
 يلقى إلا أكرة^(٥)، فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فلما رأي سَكَنَ إليَّ
 وسمعتة يقول:

لعن الله أرضًا ليس بها عرب، قاتل الله الشاعر حيث يقول:
 حُرُّ الشرى مُسْتَعْرَبُ التراب^(٦)

(١) روي: مصفر راع. الخرجاء: ماء احتفرها جعفر بن سليمان قريبًا من الشجى، بين البصرة
 وحفر أبي موسى، في طريق الحاج من البصرة.

(٢) الإرة: موضع النار.

(٣) الآد: الصلب والقوة.

(٤) المجلود: القوة والصبر.

(٥) فلاحين.

(٦) الشطرة من شعر جندل الطهوي. وقوله «مستعرب التراب»: أي بعيد من أرض الأعاجم.

أبا عثمان، إن هذه العُرَيْبَ في جميع الناس كمقدار القرحة في جلد الفرس^(١)، فلولاً أن الله رَقَّ عليهم فجعلهم في حشَى لَطَمَسَتْ هذه العَجَم آثارهم، أترى الأعيارَ إذا رأت العِناق لا ترى لها فضلاً^(٢)، والله ما أَمَرَ الله نبيه ﷺ بقتلهم إذ لا يدينون بدين إلا لَضِنَّةِ بهم، ولا تَرَكَ قُبُولَ الجزية منهم إلا تنزيهاً لهم^(٣)!



رسالة سرية من بدوي إلى عشيرته

حدّث أبو خالد الكلبي عن الأحوص بن جعفر أن رجلاً قدم على قومه وهم لا يعرفونه، فلما دنا بحيث يرونه نزل عن راحلته وأتى شجرة، فعلق عليها سقاء لبن، ووضع في بعض أغصان الشجرة حنظلة، ووضع صرة من تراب وصرة من شوك في بعض الأغصان الأخرى، ثم أتى راحلته فاستوى عليها. فنظر

(١) القرحة: بياض يسير في الفرس دون الغرة.

(٢) الأعيار: جمع عَيْر بالفتح، وهو الحمار. والعناق كرام الخيل.

(٣) مراد الأعرابي من كلامه: أن الله كرم العرب وأراد بهم خيراً، إذ جعلهم بمكان يأمنون به على قتلهم من الأعاجم على كثرتهم، وألزمهم الإسلام - ولم يقبل منهم الجزية مع البقاء على الكفر - تكريماً لهم وتشريفاً لقدرهم. انتهى تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب! وفيه ما فيه من الغلو في القومية.

قال ابن القيم رحمه الله: «وإنما لم يأخذها ﷺ من عبدة الأوثان من العرب؛ لأنهم أسلموا كلهم قبل نزول آية الجزية، فإنها نزلت بعد تبوك، وكان رسول الله ﷺ قد فرغ من قتال العرب، واستوثقت كلها له بالإسلام، ولهذا لم يأخذها من اليهود الذين حاربوه؛ لأنها لم تكن نزلت بعد، فلما نزلت أخذها من نصارى العرب ومن المجوس، ولو بقي حينئذ أحد من عبدة الأوثان بذلها؛ لقبلها منه، كما قبلها من عبدة الصلبان والنيران». «زاد المعاد» (٩١ / ٥). (س).

الأحوص وقومه في أمره، فأعياهم اكتناهه، فأرسلوا إلى قيس بن زهير، فجاءهم فقال له الأحوص:

ألم تكن تخبرني أنه لا يرد عليك أمر إلا عرفت مآتاه؟

قال: وما الخبر؟

فأعلموه.

فقال: قد بين الصبحُ لذي عينين (فذهبت مثلاً في وضوح الشيء).

ثم قال: أما صرة التراب فإنه زعم أنه أتاكم عدد كثير، وأما الحنظلة فإنه يُخبركم أن قبيلة حنظلة قد هاجمتكم، وأما الشوك فإنه يخبركم أن لها شوكة، وأما اللبن فهو دليل لكم على قرب القوم ويُعدهم: فإن كان حلواً حلياً فقد أتتكم الخيل، وإن كان لا حلواً ولا حامضاً فعلى قدر ذلك، وإن كان خائراً فلکم مهلة من الرأي. وإنما ترك الرجل كلامكم لأنه قد أخذت عليه العهود، وقد أنذركم!



بلاذ العرب وأهلها

ولا يا حبذا وطني وأهلي	وصحبي حين يُذكر الصحابُ
وما عسلٌ ببارد ماء مُزن	على ظمإٍ لشاربه يُسابُ
باشهَى من لقاءكم إلينا	فكيف لنا به ومتى الإيابُ

أعرابي



يقظة الإسلام والدور الذي ستمثله البلاد العربية

بقلم الدكتور (جب) المستشرق الانكليزي

لا بد للباحث عن مصير الإسلام أن يتساءل عما إذا كان من الممكن أن يحتفظ المسلمون بوحدتهم الدينية أمام هجمات العلوم الأوروبية، وتجاه الفوارق السياسية؟

ولا بد له أن يفكر فيما إذا كان الإسلام عدوًا للمدنية الغربية ونصيرًا لها، وفيما إذا كان اقتباس المسلمين لهذه المدنية سيوجد بينهم فوارق فكرية تجعل منهم أممًا مختلفة الآراء والثقافة.

يظهر لأول وهلة أن الإجابة على هذا السؤال مستحيلة. إلا أنه يمكن الباحث أن يتنبأ من سير الحوادث بشيء عن مستقبل الإسلام.

لا شك في أن البلاد العربية المتجانسة - كمصر والجزيرة وفلسطين وسوريا والعراق - ستلعب دورًا يكون له الشأن الأول في مصير الإسلام.

لهذه البلاد المتجانسة ثقافة راقية تتقدم يومًا فيوما، بفضل اللغة العربية الفصحى وسهولة المواصلات، مما يساعد على توحيد الثقافة فيها توحيدًا تامًا.

إن يقظة الإسلام في مصر وفلسطين والجزيرة والعراق وسوريا حقيقة لا تنكر، ولن تقف في سبيل هذه اليقظة عقبة، خصوصًا وأن من المستحيل أن يجري في البلاد العربية ما جرى في بلاد الأتراك.

العرب يتمسكون بلغتهم وأديبهم، ويتغنون بمجد الإسلام، ولم تقم في بلادهم أية حركة وطنية إلا وكانت الروح الإسلامية أساسها، فهل يفكر العرب بعد هذا بإبدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية، أو أن يتنحوا عن لغة القرآن

التي تربطهم بالعالم الإسلامي كافة؟ هذا مستحيل، وستبقى الروح الإسلامية تسود بلادهم وتتقدم أبداً بلا كلل ولا ملل، ولن يطرأ عليها أي ضعف أو وهن. العرب بحاجة ماسة لهذه الروح لأنها أساس حياتهم القومية، ويجب على كل مسلم أن يتمسك بأهدابها إن كان للمسلمين أخلاق، ولا أظنهم إلا متمسكين بها.

ستصبح القاهرة والقدس - بمرور الزمان - في الدرجة الثانية عند المسلمين بعد مكة، وسيؤمهما طلاب العلم من كل قطر إسلامي، وستزودهم هاتان البلدتان بدعاية قوية للفكرة الشرقية يبثونها في بلادهم، وتساعدهم على بثها الصحافة العربية التي بلغت من الرقي والتهذيب درجة سامية. أما الفوارق السياسية التي يخشى جانبها فلا تؤثر أبداً في إسلامية الشرق العربي.



من حكم سيدنا علي عليه السلام

- * اعتصموا بالذمم في أوتادها.
- * عليكم بطاعة من لا تُعذرون بجهالته.
- * لا يَغْدَم الصَّبُورُ الظَّفَرَ وإن طال الزَّمان.
- * لكلِّ مُقبلٍ إدبار، وما أدبرَ كأن لم يكن.
- * لكلِّ أمرٍ عاقبة حلوة أو مُرة.
- * المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه.
- * هلك امرؤٌ لم يعرف قدره.

* الهمُّ نصف الهرم.

* من أيقنَ بالخلف جاد بالعطية.

* من استشار الرجال شاركها في عقولها.

* الناس أعداء ما جهلوا.

* من كتم سرّه كانت الخيرة بيده.

* عاتب أخاك بالإحسان إليه.

* الطمع رِقٌّ مؤبّد.



علماءنا الأولون

قال الوليد بن عبد الملك لحاجبه يوما :

قف على هذا الباب فإذا مر بك رجل فأدخله عليّ ليحدثني .

فوقف الحاجب على الباب مدة، فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال: يا شيخ، أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك . فدخل عطاء على الوليد بن عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز، فلما دنا عطاء منه قال :

السلام عليك يا وليد، قال: فغضب الوليد على حاجبه وقال له :

ويلك، أمرتك أن تدخل إلى رجلا يحدثني ويسامرنِي، فأدخلت إليّ رجلا لم يرضَ أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي (يعني أمير المؤمنين).

فقال له حاجبه :

ما مر بي أحد غيره .

ثم قال لعطاء:

اجلس، ثم أقبل عليه يحدثه، فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: بلغنا أن في جهنم واديًا يقال له ههب أعدّه الله لكل إمام جائر في حكمه. فصعق الوليد من قوله، وكان جالسًا بين يدي عتبة المجلس، فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيًا عليه.

فقال عمر لعطاء:

قتلت أمير المؤمنين. فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له:

يا عمر إن الأمر جد فجد. ثم قام عطاء وانصرف. فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: مكثتُ سنة أجد ألم غمزته في ذراعي.



الغوغاء

قال علي رضي الله عنه في صفة الغوغاء: هم الذين إذا اجتمعوا ضُرُّوا، وإذا تفرَّقوا نفعوا.

ف قيل له: قد عرفنا مضرّة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟

فقال: يرجع أصحابُ المَهَنِ إلى مهنتهم، فينتفع الناس بهم: كرجوع البناء إلى بنائه، والنساج إلى منسجه، والخباز إلى مخبزه!



الباغي

قال علي لابنه الحسن عليه السلام:

لا تَدْعُونَ إلى مبارزة، وإن دُعيتَ إليها فأجب، الداعي باغٍ، والباغي مصروع.



كلمات للصاحب بن عباد

- * مَثَلُ الكاتب كَمَثَلِ الدُّوَلاب: إذا تعَطَّل تَكْسَّر.
- * الصبر على حقوق الثروة أشدُّ من الصبر على ألم الحاجة.
- * أحسن ما يكون الحَسَن بجنب القبيح.
- * ما أَحَدٌ رأى في ولده ما يحب، إلا رأى في نفسه ما يكره.
- * ثلاثة تدلُّ على عقول أربابها: الهدية، والكتاب، والرسول.
- * السنين تَغَيِّر السنن.
- * الصدر يطفح بما جمعه.
- * محرَّضٌ خيرٌ من ألف مقاتل.
- * لا تمنع عدوك السبيلَ في هزيمته.
- * السلاح ثم الكفاح.
- * أحقق ما يكون السكران إذا تعاقل.

* الرأي أقومَه أحكمه، وأشدُّه أسدُّه.

* الرجل الحوَل من ثنى أزيمة الأعداء عن الشحناء.



شوقي

قد أعجزَ الشعراءَ طولَ حياته
هيهات يوجدُ في البرية منهمُ
كان الأميرَ لجيشهم مُستَنَّةً
ما عاب أهلَ العبقريَّة أنهم
هذا أميرُ الشعرِ غيرَ مُدافع
لو كان وحيٌّ بعد وحي محمد
السحر في نَفَّاثاته، والزهرُ في
رَقَّت لنغمته القلوبُ، فكيفما
تغدو المعاني وهي شمسُ مَقادِ
وإذا أراد الصخرة الصماء من
ما رام شاردَ حكمة في نظمه
جلَّى الإله له الأمورَ، كأنما
فكسا الطبيعة من نسيج بيانه
فترى الطبيعة قبل نظرتِه لها
والحسنُ يُشرق في العيون بذاته
من كل بيتٍ في رفيع عماده

واليومَ يُعجزهم بندب مَماته
كفؤ ليرثيه بمثل لغاته
فرسائهم في الظلّ من راياته
قد قصَّروا في الخبّ عن غاياته
في الشرق أجمع منذ فَنِّي لَهاته
لانشق ذاك الوحي عن آياته
نَفَّحاته، والدهرُ بعضُ رواته
عَنى بها رقصت على نَبَراته
فيقودُها قودَ الغلام لشانه
أغراضه، رَقَّت نظير سحاته
إلا أصاب صميمَها بخصاته
يُلقي عليها الشمس من نظراته
حُللا خلت من غير طرز دواته
غير الطبيعة وهي في مِرآته
وهنا يضيء بذاته وصِفاته
تتقاصرُ الأقدامُ عن عَتباته

كالدّر في لمعاته، والبدر في
ولقد رويثُ الشعرَ عن آحاده
وقضيثُ فيه صّبوتي وصّباني
وأثرت في البّداء بُزلُ فُحوله
فرايْتُ شوقي لم يدّع في عصره
الفرد في إمداحه ونواحه
وإذا تعرّض للغرام فهل دَرّت
ما في الهُيام كوجده وحنينه
وإذا تحدّث بالربيع وروّضه
أو بات يعبثُ بالشراب أضاف من
أو خاض في ذِكر العذّيب تشابهت
أو سلّ في وصف الوقائع صارما
قد بذّ آلهة القريض بأسرهم
ولكم مرثُ بحاسدين لفضله
لا يندّ بعدُ له، وكم من مجلس
يتمثل العصرُ الحديثُ بشعره
ولرُبّ بيت يستقلُّ بجملته
لم يفتتن من عصره بمساويء
قد لازم الإنصاف في أحكامه
وإذا سألتَ عن الجهاد فإنه
كالسيف في أوضائه ومضائه
ما حلّ بالإسلام حيفُ مصيبة

قَسَماته، والصبح في نَسَماته
وضربتُ بالسّاق في حَلبانه
وقطفْتُ منه خَير نَوّاراته
وأطرتُ في الآفاق شُهَب بزاته
قِرْنَا يهزُّ قَنّاته لقنّاته
والفدُّ في أمثاله وعِظّاته
لغة الغرام نظيرَ شوقيّاته
أو في النسب كظبيه ومهاته
أنساك بالتحبير وشيّ نَبّاته
كاساته حَببًا على كاساته
أعطاف مُستمعيه مع باناته
خِلتُ العدى سالتُ على شَفْراته
ومحا عِبادة لائِه ومَنّاته
رغم القلى يروون من أبياته
أشعار شوقي النَّد في سمراته
حقّ التمثل من جميع جهاته
تُغني عن التاريخ في صفّحاته
كلا ولم يَغْمطه من حسناته
لا فرقَ بين صحابه وعدّاته
منذ الحداثة كان في سَرَواته
والليث في وثبّاته ووثبّاته
إلا وكان بها لسانُ شَكَاته

بحمي حقائقه ويوضح سُبُلَه
يلقي علي غمرات كل مِلَّة
ويظلُّ يرسلُها قصائدَ شُرِّدا
كانت قصائده هي الصوت الذي
بعثت به روح الحياة كأنها
قد كان أدري الناس بالداء الذي
داء هو الأخلاق في اضمحلالها
وقى عن الشرق القديم نضاله
قد زاد عنه بقلبه وبلبه
ماضٍ يحذره استلاب ثرائه
أعلى منار الشرق في أوصافه
أوحى إلى الشرقي بالطرق التي
أملى مكافحة الذئاب عواديها
الجالسين ببرّه وببحره
والسالبين لزرعه ولضرعه
أشعاره تُحيي، وتُحيي أمة
يا راحلاً ملأ الزمان بدائعاً
أتركت بعدك شاعراً ترضى بأن
يبكي بك الإسلام خير جنوده
وكان وادي النيل من أحزانه
ونوادي العربية الفصحى لها
انظر إلى الإخوان كيف تركتهم

ويقل طول الوقت من عثراته
قولا يُزيل أجاجها بفُراته
غُرّاً تشقُّ الفجر عن ليلاته
سرّى عن الإسلام ثقل سُباته
هي صور إسرافيل في زَعقاته
قد حطّ هذا الشرق عن صهواته
فلذا ترى الأخلاق رأس وصاته
من يوم نشأته ليوم وفاته
شأن الأبّي يذود عن تركاته
منه، ويحفّزه لأخذ تِراته
وأجاد وصف الغرب في آفاته
يمشي النجاء بها لأجل نجاته
بالواد مغتصبين حقّ رعاته
والجائشين بنجده ووطاته
والأكليين لتمره بنواته
تجد الحياة الحقّ في كلماته
من قبل أن نزل القضا بسكاته
ترعى جياذ الفكر في تلعاته
أبدًا ويرثي الشرق ربّ حماته
يلقي على الشطين من زفراته
ندبٌ عليك يذيب في رنّاته
من كل مضطجع على جمراته

انظر لحال أخ فداك برُوحه
 قد كنتَ طولَ العمرِ قرّةَ عينه
 مضتِ السنون الأربعين ونحن في
 أروعك عن بُعد وترعاني على
 قد كنتُ أطمع أن تُرى لي راثيا
 كنتُ نخافُ رداك قبل وقوعه
 تَبًّا لعميش قد يكون مساؤه
 والمرء إن ينظرُ لما يبلى به
 فالميمت هو يذوب في خسراته
 نرجو لك الدارَ التي عَمَّارها
 يُضفي عليك الله من آلائه
 قد كنتَ في الدنيا هزّارًا صادحا
 فاليومَ كنْ بجلال ربك ساجعا

لو كان يُحيي الميمتَ عزم فداته
 والآن تُجري السخنَ من عَبراته
 هذا الإخاء نمز من قهواته
 عهدُ نهز الرطب من عَذَباته
 يا من غدوثُ اليومَ بين رثاته
 فلنا الأمان اليومَ من دَهْشاته
 نوحًا وكان سروره بَقَداته
 لا فرق بين بقائه وفواته
 كالحَيِّ وهو يذوب في خسراته
 هم كلُّ من صنع الجميلَ لذاته
 والله لا تُحصي ضروبُ هِباته
 يُشجي ويُسلي الناس في نعماته
 والطائرَ المحكّي في جنّاته

شكيب أرسلان



الصديق

* قال عبد الله بن مسعود: ما الدخان على النار بأدلّ من الصاحب على الصاحب.

* قال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.

* قيل للخليل: استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو. فقال: نعم،

كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه.

- * قال ميمون بن مهران: صديق لا تنفعك حياته، لا يضرُّك موته.
- * قيل لابن المقفع: الصديق أحب إليك أم القريب؟ فقال: القريب أيضًا يحب أن يكون صديقًا.



نزوع المرء إلى أصله

قال نَهْشَل بن حَرِيٍّ:

أرى كلَّ عُودٍ نَابِتًا في أرومة أبى نسب العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لأباء سوء يَلْقَهُم حيث سَبَّرا
أبوك هِنَابٌ سارقُ الضيفِ بُردَه وجدِّي يا حجاج فارسُ شَمَرا



صفحة من الحياة الاجتماعية في مدينة يثرب قبيل بزوغ فجر الإسلام

كان لمالك بن العَجْلان مولى يقال له بُجَيْر، جلس مع نَفَرٍ من الأوس من بني عمرو بن عوف، فتفاخروا، فذكر بجيرٌ مالكَ ابنِ العَجْلان ففضَّله على قومه، وكان سيد الحَيِّين في زمانه: الأوس والخزرج. فغضب جماعة من كلام بُجَيْر، وعدا عليه رجلٌ من الأوس يقال له سُمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف فقتله، فبعث مالكٌ إلى بني عمرو بن عوف يقول لهم:

ابعثوا إليَّ سُميرَ حتى أقتله بمولاي، وإلا جرَّ ذلك الحربَ بيننا.

فبعثوا إليه: إِنَّا نعطيك الرضا، فخذ منا عقله.

فقال: لا آخذ إلا دية الصريح (وهي عشرٌ من الإبل: ضعف دية المولى، وهي خمس).

فقالوا: إِنَّ هذا منك استدلالٌ لنا وبغْيٌ علينا!

فأبى مالكٌ إلا أخذَ دية الصريح، ف وقعت الحرب بينهم، فاقتتلوا قتالا شديداً، حتى نال بعضُ القوم من بعض.

ثم إِنَّ رجلاً من الأوس نادى:

يَا مالك، نَشُدُّكَ اللَّهَ وَالرَّجِمُ أَنْ تجعلَ بيننا حَكَمًا من قومك، فارعوى مالكٌ، وحَكِّموا عمرو بن امريء القيس، ف قضى لمالك بن العجلان بدية المولى، فأبى مالك وأَذَنَ بالحرب، فخذلته بنو الحارث لردِّه قضاء عمرو، وأنشد يقول:

إِنَّ سُمَيْرًا أرى عَشِيرَتَه	قد حَدَبُوا دونه وقد أَنْفُوا
إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِي بَيْنِي الد	جَارٌ لَا يَطْعَمُوا الَّذِي عُلِفُوا
لَنْ يُسَلِّمُونَا لِمَعْشَرٍ أَبَدًا	مَا دَامَ مِنَّا بِبَطْنِهَا شَرٌّ
لَكُنْ مَوَالِيٍّ قَدْ بَدَا لَهُمْ	رَأَى سَوَى مَا لَدَيَّْ أَوْ ضَعُفُوا
بَيْنَ بَنِي جَحْجَحِي وَبَيْنَ بَنِي	زَيْدٍ؛ فَأَنِي لَجَارِي التَّلَفُ
يَمْشُونَ بِالْبَيْضِ وَالذُّرُوعِ كَمَا	تَمْشِي جَمَالٌ مِصَاعِبٌ قُطِفَتْ
يَمْشُونَ مِثْلِي الْأَسُودُ فِي رَهْجِ ال	مَوْتِ إِلَيْهِ وَكُلُّهُمْ لَهْفُ

وقال بعده عمرو بن امريء القيس:

يَا مَالِ، وَالسَّيِّدُ الْمَعْمُ قَدْ	يَطْرَأُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ السَّرَفُ
خَالَفْتَ فِي الرَّأْيِ كُلَّ ذِي قَبْرِ	وَالْحَقُّ يَا مَالٍ غَيْرَ مَا تَصِفُ

يا مال، والحقُّ إنَّ قَتَعْتَ به
لا تَرَجِّعِ الْعَبْدَ فَوْقَ سَنَّتِهِ
إِنَّ بُجَيْرًا مَوْلَى لِقَوْمِكُمْ
أَوْتِيَتْ فِيهِ الْوَفَاءُ مَعْتَرِفًا
نحن بما عندنا وأنت بما
نحن المَكِيثُونَ حيث نَحْمَدُ بِالِ
والحافظو عورة العشيِّرة لا
والله، لا تزدهي كتيبتنا
إذا مشينا في الفارسين كما
نَمشي إلى الموت، من حفاظنا
إِنَّ سُمَيْرًا أَبَتْ عَشِيرَتُهُ
أو تُصَدِّرَ الْخَيْلُ وهي جافلة
أو تَجَرَّعُوا الْغَيْظَ ما بدا لَكُمْ
إِنِّي لَأَتَمِّي إِذَا انْتَمَيْتُ إِلَى
بِضْرٍ جَعَادٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ
وقال درهم بن زيد أخو سُمَيْرٍ:

يا قوم لا تَقْتُلُوا سُمَيْرًا فَإِنَّ
لا تَقْتُلُوهُ تُرِنَ نَسَوْتُكُمْ
يا مال، والحقُّ إنَّ قَتَعْتَ به
إِنَّ بُجَيْرًا عَبْدٌ، فَخُذْ ثَمَنًا
ثم اعلمن إن أردت ظلم بني
لنُضَيِّحَنَّ دَارَكُمْ بِذِي لَجَبٍ

فالحقُّ فيه لأمرنا نَصَفْتُ
والحقُّ نوفي به ونَعْتَرِفُ
يا مال، والحقُّ عنده فقفوا
بالحقِّ فيه فلا تكن تكفُّ
عندك راضٍ والرأيُ مختلفُ
مُكَبِّ، ونحن المصالحُ الأنفُ
يأتيهم من ورائنا وَكَفُّ
أشدُّ عرين مَقِيلُهَا الْغُرُفُ
تمشي جمالٌ مَصَاعِبُ قُطْفُ
مشيًا ذريعًا وَحُكْمَنَا نَصَفُ
أن يعرفوا فوق ما به نَصَفُ
تحت صواها جَمَاجِمٌ خَفُفُ
فَهَارِشُوا الْحَرْبَ حين تنصرفُ
عزٌّ منبعٍ وقومنا شُرُفُ
يَكْحَلُهَا فِي الْمَلَا حِمِ السَّدَفُ

القتل فيه الْبَوَارِ وَالْأَسَفُ
على كريمٍ وَيُفْزَعُ السَّلَفُ
فينا وفي لأمرنا نَصَفُ
والحقُّ نوفي به ونَعْتَرِفُ
زيد فأتا ومن له الحلفُ
جون له من أمانه عَزَفُ

البَيْضُ حصن لهم إذا فَزَعُوا وسابغات كأنها النُظْفُ
والْبَيْضُ قد قُلِّلَتْ مَضَارِبُهَا بها نُفُوسُ الْكُماةِ تُخْتَطَفُ
كَأَنَّهَا فِي الْأَكْفِ إِذْ لَمَعَتْ وميض برقي يبدو وينكشفُ
وقال قيس بن الخطيم من قصيدة يجيبه (ولم يحضر الواقعة ولا كان في عصرها):

أبلغ بني جحجبي وقومهم خَطْمَةً أَنَا وراءهم أَنفُ
وإننا دون ما يسومهم الأعدا مِنْ ضَبِمْ خُطَّةِ نَكِفُ
نَفْلِي بحدِّ الصفيح هامهمُ وفلينا هامهم بها عُنْفُ
فردَّ عليه حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ، وهذه أبيات من تلك القصيدة:

دع دَا وَعَدَ الْقَرِيضُ فِي نَفْرِ يَرْجُونَ مَدْحِي، وَمَدْحِي الشَّرْفُ
إِنْ تَدْعُ قَوْمِي فِي الْمَجْدِ تَلَقَّهُمْ أَهْلَ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وُصِفُوا
إِنْ سُمِيرًا عَبْدٌ طَغَى سَفْهًا سَاعَدَهُ أَغْبَدُ لَهُمْ نُظْفُ
ثم إنهم تهيأوا للحرب وتقاتلوا قتالا شديداً، ومَشَتْ الحرب بين الأوس
والخزرج عشرين سنة في أمر سُمير. فلما طالَّت الحرب وكادت العرب يأكل
بعضها بعضاً، أرسلوا إلى مالكٍ أَنْ يُحْكَمُوا بَيْنَهُمْ ثَابِتُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَبَا حَسَّانَ،
فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَأَتَوْهُ وَقَالُوا:

قد حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا .

قال: لا حاجة لي في ذلك .

قالوا: ولم؟

قال: أخاف أن تردوا حكمي كما رددتم حكم عمرو بن أمريء القيس .
فأعطوه عهودهم أنهم لا يردّون ما حكم به، فحكم أن يُودى حليفُ مالكِ دِيَّةَ
الصريح، ثم تكونُ السُّنَّةُ فيهم على ما كانت به الصريح على ديتِه، والحليف

على ديتة؛ وأن يعدّوا القتلى التي أصابت بعضهم من بعض، فيقابل البعض البعض، ثم تعطي الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين. فرضوا بذلك ففصلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر، فودّتهم الأوس واصطلحوا.



من كلام أبي الحسن العامري في كتابه (النسك العقلي)

* نظر من جعلك مريدًا فاجعله مرادك، وجرد الانتساب إلى من هو أولك وآخرك.

* وزن النفس بالنفس هو العبادة بالنفس، ورذع النفس بالنفس هو العلاج للنفس، وعون النفس بالنفس هو التدبير للنفس وانتساب النفس بالنفس هو التعرف للنفس، وعشق النفس هو المرض.

* سل واهب العقل إضاعة العقل، ولاحظ الحقائق بنور الحق.



عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين وخادمهم

كنت لبلا مع أمير المؤمنين عمر الفاروق ذي القدر المكين
صاحب الدرة ثاني الراشدين من به الله أعز المسلمين
فقووا حتى أذلوا المشركين

وإذا نار أضاءت سحرا قال: يا أسلم قم ماذا أرى

عليهم ركبٌ يريدون القرى فخرجنا وهو كالسهم انبرى
 ودنونا من خباء المصطلين
 فإذا بامرأة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
 ثم حيينا فردت واستوت قال هل أدنو فقالت إن أردت
 فبخير أودع القلب الحزين
 قال ما بال العيال تصرخ قالت الجوع وإني أنفخ
 أوهم الصبية أنني أطبخ عليهم من بعد ذا أن يفرخوا^(١)
 وينااموا حول قدري جائعين
 يا لئارٍ أضمرت في الأصلح أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
 بيننا الله وبين الأصلح ها أنا من فرط جوعي لا أعي
 بين نوح وصباح وأنين
 قال: يا أماء من أدري عمر بك؟ قالت ذاك أدهى وأمر
 من تولى أمرنا لا يستقر ينبري للناس في قر وحر
 يسمع الشاكي ويؤوي البائسين
 وي لعمرى كيف يرعى وينا ليس هذا من قوانين الأنام
 من سها عن نوقه جنح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
 إنما هذا جزاء الغافلين
 ولقد أصغى لها من غير ضيق وهو بالإصغاء للشكوى خليق
 فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسرع الخطو إلى دار الدقيق
 وأتي منها بدهن وطحين

(١) فرخ الرجل: أي زال اضطرابه واطمأن.

ثم قال احمل عليّ قلتُ ويّ بل أنا أحمل قال احمل عليّ
قلت عفواً قال هل منكم فتّي يحمل الأوزار عني يا أخي

يوم يؤتى بي لرب العالمين

وأرى الفاروق خوف النعمة في الدجى يحمل قوت الصبية
وهو ممن بُشروا بالجنة لا يرى في حمله من حطة

بل قياماً بحقوق المسلمين

فمضى بي مسرعاً نحو الصغار فأتيناهم وهم في الانتظار
ولفرط الجوع بين الجنب ناز في استعار ما لهم منها قراز

ورأونا فاشربوا قائمين

قالت الأم اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
ولقد يسره الله لنا والأمير غافل عن حقنا

في كتاب الله بالنص المبين

فدنا منها برفق وابتسام ودموع العين منها في انسجام
قال قومي هيئي هذا الطعام معنا أنّ اليتامى لا تنام

بالطوى والله خير الرازقين

رحم الله أبا حفصٍ عمر وسقى بقعته صوب المطر
فلقد أبصرت أسلاك الشرر تلفح اللحية منه بالسحر

وهو مهتم بإنضاج العجين

قالت الأم وقد رمنا القيام وتركنا عندها فضل الطعام
يا رعاك الله يا ساري الظلام تحمل الأقوات للغرثى الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال أي برحمتك الله اعدلي واذكري خيرًا ولا تستعجلي
فإذا جئت الأمير فادخلي تجديني قاعدًا في المنزل
وعليّ الجد في ما تطلبين

وتنحى عنهم مستترا رابضًا مربض آساد الشرى
وأنا أطلب تعجيل السرى فإذاه مقبل مستبشرا
شاكراً لله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرهم قارس الجوع بل استعبرهم
لذا أحببت أن أبصرهم في سرور وكذا غادرهم
فلقد ناموا جميعًا باسمين

هكذا كانوا رجال الأمة لا غرائيق العلى والعزة
مزجوا شدتهم بالرحمة ولذا شادوا صروح الرفعة
ومضوا شرقًا وغربًا فاتحين

عن مجلة (المنار) محمد نجيب الغرابلي

سنة ١٣٢٤ الطالب بمدرسة الحقوق



الأنوار الكشافة عند العرب

قالت مجلة رعمسيس في الجزء الثاني من سنتها الرابعة:

ألقي الأستاذ (دي لافورت) محاضرة في ندوة المهندسين ببرشلونة من أعمال
إسبانية عن (اختراعات العلماء) أثبت فيها أن أكثر مخترعات القرن الحاضر هي

من استنباطات القدماء، ومما استدلَّ به على ذلك أن الأنوار الكشافة التي نسمع بها الآن، ونظن أنها من مستحدثات هذا العصر، كانت معروفة منذ القرن السابع، وكان العرب يستعملونها في حروبهم بالأندلس وشمال افريقية.



حياء القادر

دخل رجل على الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي، فكلمه في حاجة له؛ ووضع نصل سيفه على إصبع رجل الأمير، وجعل يكلمه في حاجته وقد أدمى النصل إصبعه. فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف، دعا قتيبة بن مسلم بمنديل فمسح الدم من إصبعه وغسله.

فقال له:

ألا نحيثَ رِجلَكَ، أصلحك الله، أو أمرتَ الرجل برفع سيفه عنها؟ فقال: خشيتُ أن أقطع عنه حاجته.

وقتيبة بن مسلم كان سيفًا من سيوف الله المسلوطة، فتح الله للإسلام بوجهه ممالك الشرق، وخرت لنواصي خيله الأبطال والجبابرة، وله في الملاحم الرهيبة صبرٌ عجيب، يتلقى فيه قضاء الله بعزيمة من الفولاذ، لا يحسُّ العدو في جانب من جوانبها ضعفًا.

وهو من أعظم القواد الفاتحين في أواخر المائة الأولى من تاريخ الإسلام، رحمه الله وخلَّد في النعيم روحه الطاهرة.



حياء المعتذر

سأل رجلُ ابنَ العلاء حاجة، فوعده بها. ثم تعذّرت عليه. فلقية الرجل وقال له: وعدتني وعدًا فلم تنجزه!

فقال له ابن العلاء: فمن أولى بالغم، أنا أو أنت؟
فقال له الرجل: أنا!

فقال ابن العلاء: بل أنا، لأنني وعدتك فأبت أنت بفرح الوعد، وأبأت أنا بهم الإنجاز. ثم عاق القدرُ عن بلوغ الإرادة، فلقيتني مُدلاً، ولقيتك محتشماً، فصرتُ أولى منك بالغم!



الدعاء

* قيل لجعفر بن محمد الصادق: «ما بالناس ندعو فلا يُستجاب لنا؟» فقال: «لأنكم تدعون من لا تعرفونه».

* كان أبو عليّ الدقاق يقول: «إذا بكى المذنب فقد راسل الله».

* قيل: «خير الدعاء ما هيجه الأحزان والوجد».

* وقيل: «دعاء العامة بالأقوال، ودعاء العابد بالأفعال، ودعاء العارف بالأحوال».



نشيد المدرسة

مَجْدًا مَجْدًا مَدْرَسَتِي مَدْرَسَتِي مَجْدًا مَجْدًا
عَنْ عِلْمِي عَنْ تَرْبِيَّتِي مَدْرَسَتِي حَمْدًا حَمْدًا



مَنْكَ سَبَفَرُنِي زَمَنِي فِي الْأَبْرَارِ فَتَى بَرًّا
مَنْكَ سَبَاخَذَنِي وَطَنِي فِي الْأَحْرَارِ فَتَى حُرًّا



عَهْدُ اللَّهِ لِمَدْرَسَتِي رَجُلًا بَطْلًا أَنْ أَغْدُو
قَسَمًا قَسَمًا مَدْرَسَتِي عَنْ ذَا الْعَهْدِ فَلَا أَعْدُو



أَنَا تَمَثَّلُ فِي أَدَبِي لَكَ فِي النَّاسِ وَفِي عِلْمِي
فَرَضُ حُبِّكَ مِثْلَ أَبِي فَرَضُ حُبِّكَ كَالْأَمِّ

مصطفى صادق الرافعي



الأخلاق

قال (روزفلت) أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية: صحيح أن الذكي لا يعمل في بعض الشئون أكثر وأفضل مما يعمل رجل الخلق، كما أن صاحب لقوة الفطرية الذي لم يدرّب قد يتغلب على الضعيف المدرب - مهما كانت مزيمة هذا قوية وقلبه قلب أسد - ، ولكنك لن تجد في أغلب معارك الحياة

الكبرى قيمة للذكاء الفطري أو الكمال الجسديّ، توازي قيمة تلك الفضائل الإيجابية أو السلبية التي تسمى (الأخلاق).



مهر المعالي

على طلاب العُلَى أن يوطنوا نفوسهم على اجتياز ألف عقبة، وأن يحسبوا لأنفسهم ألف هزيمة، قبل الوصول إلى الظفر الأخير.

روزفلت



من أقوال أحمد شوقي

- * جئني بالنِّمِر العاقل، أجثك بالمستبَدَّ العادل.
- * الوقت آلة الرزق إذا استعمل، وآفة الرزق إذا أهمل.
- * ثقة العاطفة شهر، وثقة العقل دهر.
- * من أخلَّ بنفسه في السر، أخلَّت به في العلانية.
- * الإنسان لولا العقل عجماء، ولولا القلب صخرة صماء.
- * اثنان في النار دنيا وأخرى: الحاقد والحاسد.
- * بين الحلم والخور جسر أدقُّ من الصراط.
- * يستريح النائم من قيود الحياة، كما يتروح السجين ساعة في فناء السجن.

- * الفضائل حلائل؛ والرذائل خلائل.
- * هلكت أمة تحيا بفرد وتموت بفرد.
- * في الغمر تستوي الأعماق.
- * من عجز عف، ومن يش كف، ومن جاع أسف.
- * الأمم بنيان الهمم.
- * الصالحون يبنون أنفسهم، والمصلحون يبنون الجماعات.
- * العامة أذئاب من يمسح رءوسهم.
- * يهدم الصدر الضيق ما يبني العقل الواسع.
- * العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة.
- * يستأذن الموت على العاقل، ويدفع الباب على الغافل.
- * الغلط إذا أدرك تبدد، وإذا ترك تعدد.
- * على كتب السماء، تهجي الحكمة الحكماء.
- * تحسن المرأة نصف عليمه، ويقبح الرجل نصف جاهل.
- * قبح الدين: نطق ففضح، وسكت ففدح.
- * رأي الجماعة بعضه من بعض، وكله من الفرد؛ كموج البحر بعضه من بعض وكله من الريح.
- * القوي من قوي على نفسه.
- * جلائل الرغائب مخبوءة في كبار الهمم.
- * من حمل نوائب الحق حمل الأمانة كلها.

كلمات للإمام أحمد بن حنبل

- * ما شبهت سنَّ الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط.
- * ما قلَّ من الدنيا كان أقلَّ للحساب.
- * التوكل قطع الاستشراف باليأس من الناس.
- * الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى.
- * كلُّ شيء من الخير تهتمُّ به، فبادر به قبل أن يُحال بينك وبينه.
- * لا تزال بخير ما نويت الخير.
- * يؤكل الطعام بثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.
- * إنَّ لكل شيء كرمًا، وكرم القلب الرضا عن الله ﷻ.
- * لو أن الدنيا اجتمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفًا.
- * ليس يبقى من لا يدري ما يبقى.
- * الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طيب. فإذا رأيت الطيب يجرُّ الداء إلى نفسه فاحذره.



من أمثال العرب

- * ويل لعالم أمر من جاهله .
- * أطيش من فراشة .
- * المكثار كحاطب ليل .
- * من قنع بما هو فيه قرّت عينه .
- * من طلب شيئًا وجدّه .
- * النفس مولعة بحب العاجل .
- * المنية ولا الدنية .
- * شر الأخلاء خليل يصرفه واش .
- * ظن العاقل خير من يقين الجاهل .
- * إن الحديد بالحديد يُفلّح .
- * المقدرة تُذهب الحفيظة .
- * بعض الشر أهون من بعض .
- * الجار ثم الدار .
- * حبك الشيء يُعمي ويُصمّ .
- * الحرب خدعة .



المعصية

قال إبراهيم بن العباس الصولي (من كتبة الدولة العباسية) يصف سوء عاقبة المعصية:

«... وقديماً غَذَتِ المعصيةُ أبناءَها، فحلبت عليهم من دَرِّها مُرضِعة، وبذلت لهم من أمانيتها مُطِيعَة، وَرَكِبَتْ فيهم مخاطرها موضِعة، حتى إذا رَتَعُوا فَأَمِنُوا، وَرَكَبُوا فاطمأنوا، وانقضى رضاع، وَأَن فطام؛ سقتهم سُماً، ففَجَّرَتْ مجاري ألبانها منها دماً، وأعقبتهم من غذائها مُراً، وحطت بهم من مَعْقِلٍ إلى عقال، ومن غَرَّةٍ إلى حَسرة: قتلاً وأَسْراً، وإِجاجة وقسراً.

وقلَّ من أَوْضَعَ في الفتنَة مرهَجاً في لَهَبِها، ومقْتَحِماً عند ضلالها إلا استقحمته، آخِذَةً بمخنقه، وموهنة بالحق كبدَه، حتى تجعله لعاجله جزراً، ولآجله خطباً، وللحق مَوْعِظَةً، وللباطل حجة. ذلك لهم جزاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر، وما ربك بظلام للعبيد».



مصيبتا التواكل والتقليد الأعمى

لولا التواكلُ وهو بشَرُ الداءِ	ما ذلَّ رغم الكثرة الحُنْفَاءُ
ألفوا التبلّدَ والجمود فأصبحوا	يحصّون في الموتى وهم أحياءُ
لا يابّهون بما يلمّ بهم ولا	يتألّمون، وهكذا البُلْداءُ
يهنّون حيث الصبر يحمد خلّقه	ويخاصمون إذ الخصام وراءُ
ويعجلون لخصمهم ما يبتغي	منهم، كذلك يفعل السفهاءُ

ألقوا بأعباء الحياة كأنما
وتعمّدوا التفريط حتى أصبحوا
لم أدر، والأيام تنذرهم بما
والبحر تحتهم سلاح والهوا
أتى اكتفوا بالقول وهو وسيلة
وأحلّها العقلاء منهم منزلا



عجبا لأهل الشرق يخلد بعضهم
فمصانع الأعداء منهم صانيع
وملازم الصمت البليغ بأسره
والباخلون على البلاد بمالهم
والقابعون بدورهم خوفاً على
بلغ الصغار بأهله ما قصرت
والموت في شتى المظاهر واحد
برزت شعوب الأرض تستبق العلى
وتنازعت عز الحياة فأحجمت
لا تعتلي عرش الكرامة أمة
تلهو بلمع الآل عن صوب الحيا
كلا ولم يظفر بتحقيق المنى
يرمي الحياة بطرف أكمه يستوي
إن الألى أخذوا بناصية الورى
لم يستنيموا للخيال وإنما

بعضاً وهم في خطبهم شركاء
ببنيه ما لا يصنع الأعداء
راض لعمرك والسكوت رضاء
هم للبلاد كخصمها خصماء
حرماتهم حرماتهم أشلاء
عنه المنون وفي المنون بقاء
أبدًا وما مثل الهوان فناء
فشأى الشجاع وأخفق الجبناء
جهاًلها إذ أقدم العلماء
ترمي بها الأهواء حيث تشاء
وعن الصواب تردها الأخطاء
وكل تكاءد عزمه الإرجاء
وضح النهار لديه والظلماء
فدوى الهواء بهم وغص الماء
صعدت بهم هم لهم شماء

ومعارف فهقت بشاهق دورها
ومصانعٌ للموت دون قيامها
وخزائن للمال يكنز مثلها
يكدون حيث البذل ضربة لازب
فتنوا بتقليد التمدن في الذي
وترفع الفضلاء عن إتيانه
طلبوا التمدن في الفسوق فأحسنوا
وتوهموه تَكْسَرًا وتخنثًا

في كل مملكة لهم أرجاء
بالشرق قام الضعف والإعياء
في الشرق لكن قومنا بخلاء
وإذا المجون دعا فهم كرماء
برمت به من أهله الحكماء
منهم فقاداته هم الغوغاء
للمخزيات وللفلح أساءوا
فلذا بهم وهم الرجال نساء



يا قوم ما المجد الرفيع طريقه
كلا ولا حلق الشوارب لم يزل
لكنه العلم الصحيح بنوره
وهداية الدين الصحيح فإنها
والخلق فهو إذا سما خضعت فلم
هذا هو المجد الصراح وغيره

إلحاد أوربا ولا الفحشاء
يُزْهَى به قوم ولا الأزياء
عن سرها تتكشف الأشياء
لجميع أدواء الحياة دواء
تخرج على سلطانه الأهواء
مما ترون سفاسف وبذاء

محمد النجمي



حكم عربية

* ما استب رجالان إلا غلب الأملهما .

الزبرقان بن بدر

* السلطان سوق فما نفق عنده أتى به .

أبو حازم الخناصري

* إن كان ما يقول بعض في بعض حقًا فما فيهم صحيح .

عبد الملك بن صالح الهاشمي

* لو تأملت أحوال الناس لوجدت أكثرهم عيوبًا أشدهم تعيبًا .

الجاحظ



الطب العربي والأوروبيون

توفى أخيرا العلامة الأستاذ سايس أحد عظماء علم الآثار، ومن أكبر المحققين في تاريخ مصر القديم والأمم السامية: وقد كتبوا عنه بمناسبة وفاته أنه لما كان في مصر يبحث في آثارها لدغته حية، قال في أحد فصوله إنها من نوع الحية التي لدغت الملكة كليوبترا، فداواها بالكي على الطريقة العربية، فشفي من إصابته .



إلى أين نحن سائرون؟

كانت الحضارة والعمران فيما مضى ارتقاءً وتقدمًا، كان ذلك يوم كانت الحضارة وكان العمران يسيران بتؤدة وعقل تحت سلطان التفكير الهاديء والبحث المطمئن؛ أما بعد أن استسلمت الحضارة لطيش البخار وجنون

الكهرباء، وانفتحت لتتاجها شهية الجشع الإفرنجي والطمع الرأسمالي؛ فقد خرج الأمر عن دائرة الارتقاء والتقدم، وصار إلى طور الثورة وأساليبها وعواقبها.

يحسب الذين على رأس الثورة أنهم قادة الثورة، وإنما يحسبون هذا لأن من طبيعة الثورة أن لا تدع لأهلها وقتاً يفكرون فيه بأنفسهم تفكيراً هادئاً، ويبحثون عما هم فيه بحثاً مطمئناً.

يحسبون أنهم قادة الثورة وهم منقادون بها، يحسبون أنهم حداثتها وهم مسوقون بمقامعها الجهنمية.

الحضارة الإفرنجية الحاضرة ثورة، وهي تسير بأساليب الثورة وتنحدر إلى عواقبها. ومن ظن هذه الحضارة (التي انغمس فيها الإفرنج آذانهم، والتي نتبع سننهم فيها حذو القذة بالقذة) ارتقاءً وتقدماً، فهو قصير النظر، سواء أكان إفرنجياً أم متفرنجاً.

كنتُ أريد أن آخذ بيدك إلى معترك الحياة في أوروبا أو في أمريكا لأدلك على برهان ما أقوله في نسبة الأزمة الحاضرة إلى حضارة الغرب وعمرانه، ولكني رأيت الميدان كبيراً يضيع فيه نظري ونظرك، فتعالى معي إلى مصر لأريك هذه النسبة مصغرة.

مصر بلد زراعي، وسعاده في أن تكون للأيدي العاملة فيه أعمالٌ تدرّ على أصحابها الرزق، وفي أن تكون لنتاج تربته وثمرات أعمال رجاله سوقٌ ينفق فيها التناج والثمرات.

وقبل أن تُملأ رحاب مصر بآلات البخار الطائش وأدوات الكهرباء المجنون، كان العمل في مصر متناسباً مع الأيدي العاملة فيه، والتناج يأتي على قدر

الحاجة إليه. كانت مدائن مصر عامرة شوارعها ومسالكها بالعربات تجرّها الخيول المطهّمة، وكان الناس يلجؤون في نقل سلعتهم ومتاعهم إلى الحمير والجمال والمواشي، وهي التي كانت تُستعمل في رفع المياه من السواقي، وفي الحرث والزرع، وكانت هذه المخلوقات التي تملأ الرحب تعيش بما يزرع في أرض مصر من حبوب ونبات.

فلما حلت السيارة محلّ مركبة الخيل، واعتمد عليها الناس في نقل متاعهم وسلعتهم، واستعملنا في زراعتنا المحارث البخارية والمحركات السريعة، صارت مصر سوقاً للبنزين والبتروول والفحم الإفرنجي، وقلّ الإقبال على حبوب مصر ونباتها، وأغنت الآلات السريعة عن استخدام مقدار غير قليل من الأيدي العاملة، فكثّر العاطلون، ونزلت قيمة نتاجنا الزراعي بكثرة العرض وقلة الطلب، وكان ذلك من الأسباب المحليّة للأزمة، فضلاً عن أسبابها الأخرى العالميّة.

كانت أزمات الأقدمين نتيجة القحط وقلة التاج، وأزمتنا نحن ناشئة عن الرخص وكثرة التاج.

أولئك كانوا يعطشون لأنهم فقدوا الماء، وأما نحن فنعطش وعيوننا تنظر إلى الماء؛ ذلك مثلّ الأزمات الشرقية القديمة والأزمة الجديدة التي سببها التفرنج.

هكذا حال الغرب: آلات حلت محلّ الأيدي البشرية، فكوّنت من العاطلين جيوشاً تزحف من البلاد إلى العواصم تشكو الجوع، وزادت كميات المصنوعات عن حاجة الأسواق فصار أصحابها يتنافسون في تخفيض أسعارها ليكسبوا (الزبون)، فيبيع الجميع بخسارة تذهب بهم إلى هاوية الخراب، ويريدون الرجوع من نصف الطريق فلا يستطيعون، لأن الطريق منحدر وانحدارهم فيه قوى، والأمر خرج من أيديهم، وتلك هي أطوار الثورات، وذلك هو فرق ما بينها وبين الترقّي.

تقول لي: وهل كان يجب أن لا نأخذ من أوروبا آلاتها البخارية وأدواتها الكهربائية؛ وجوابي على ذلك أنه كان يجب علينا أن لا نلبس البنطلون في زمن السلطان محمود، وكان يجب أن نتعلم إدارة معامل يتحوّل معها صوف مواشي بلادنا إلى جوخ، ورمّل بلادنا إلى زجاج وبلور، ثم ننشئ من المعامل على قدر حاجة بلادنا والأسواق التي تعاملنا، ونمنع نزول المصنوعات الأجنبية في ثغورنا.

كان يجب أن تكون لنا سياسة اقتصادية بسيطة تضمن لنا الاستمرار على ما كنا عليه من حفظ التوازن بين ما نتجه وما نستهلكه، وتضمن لنا الاستمرار في تموين أنفسنا بما نحتاج إليه ولا نتحول من أمة عاملة إلى أمة مستهلكية، لأن الحالة الثانية رائد العبودية بكل معانيها.

استولى الغرب على الشرق بعد أن جاهد في تعويد الشرق استعمال مصنوعاته وكمالياته وخموره وموبقاته، فلما صار الشرق سوقاً للغرب، صار للغرب مصالح في الشرق، فجاءت الأساطيل الحربية إلى ثغورنا من وراء الأساطيل التجارية لتحمي (مصالح الأجانب)، وهل صارت للأجانب مصالح في أوطاننا إلا بأيدينا.

الآن لا مخرج لنا إلا باستعمال آلات الغرب البخارية والكهربائية، ولكن يجب أن يكون لذلك نظام يتوازن به الإنتاج والاستهلاك، ويضمن بقاء نقودنا في بلادنا، واستعمال أيدي أبنائنا في أعمالنا.

إذا لم نعكف على ذلك بحزم وعزم فنحن سائرون بالسيارة إلى الانقراض...

محّب الدين الخطيب



إرث الثقافة العرب من أقدم أجداد الإنسانية

□ الفن العربي مبتكر □

قال باسكال: «كل نسل يستفيد أولاً من الكنز الذي تركه من سبقوه، ثم يزيده إن كان عنده استعداد لذلك، وما من أمة حادت عن هذا القانون، ولا يدخل في أي فكر أن إنساناً ما يمكنه أن يخالفه.

ففي العصر الحديث الذي كانت فيه عناصر الحضارة اليونانية غير معروفة بالمرّة كان يظنُّ أنها غير مدينة لأمم أخرى، ولكن العلم المتقدّم أثبت أن الفنَّ اليونانيّ أخذ عن الفن المصريّ، وأن الفن المصريّ أخذ عن بلاد العرب^(١).

ولو كانت حلقات السلسلة التي توصلها إلى أصول البشر لم تكن مفقودة لأمكننا أن نعرف بلا شك العصور السابقة للحجر المنحوت».



وقال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب):

«يكفي إلقاء نظرة على أي أثر من آثار العرب في أي عصر متقدّم في مدينة العرب، كقصر أو جامع، أو أي شيء بسيط؛ كدواة أو خنجر أو تجليد مصحف، لمعرفة أن هذه الأعمال الفنية تدل على سلامتها من وجود خطأ في أصلها، فهي مهما كانت كبيرة أو صغيرة فإن المخترعات المختلفة للشغل

(١) ولا سيما في العراق، التي كانت حكوماتها وشعوبها الكلدانية والآشورية من بلاد العرب، بل إن العراق كان وما يزال من القسم المتحضر من بلاد العرب.

العربي ليس لها قرابة حقيقية عند مصنوعات أمة أخرى. فمنبع فنونهم - معمارية كانت أو غيرها - هو صريح وواضح.

عن مقالة (فن العمارة العربية) / لمحمود فؤاد المهندس بالأوقاف

أهرام ٤ نوفمبر ١٩١٥



□ التواضع الكاذب تكبر.

باسكال



الفارغون ورجل العمل

قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر):

أعوذ بالله من صحبة البطالين، لقد رأيتُ خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلقون الجلوس مرةً ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني ويتخلله غيبة. وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس وربما طلبه المزور وتشوّف إليه واستوحش من الوحدة وخصوصًا في الأعياد، فتراهم يمشون بعضهم إلى بعض ولا يقتصرون على التهتة والسلام بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان.

فلما رأيت الزمان أشرف شيء والواجب انتهابه بفعل الخير كرهت ذلك؛ وبقيت معهم بين أمرين:

إن أنكرتُ عليهم وقعتُ وحشة لموضع قطع المؤلف.

وإن جريت معهم ضاع الزمان.

فصرت أدافع اللقاء جهدي. فإذا غلبت قصّرت في الكلام لأتعب الفراق. ثم أعددتُ أعمالاً لا تمنع من المحادثة في أوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من المعدّ للقائهم قطع الكاغد وברי الأقلام وخزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بدّ منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي.



تعصب الغربيين على الشرقيين

لما نشر ٩٣ عالمًا ألمانيًا نشره في أمريكا سنة ١٩١٥ بعنوان (استغاثة بالعالم المتمدن) يستميلون بها الأمريكيين للانضمام إلى صفوفهم في الحرب، أجابهم العلامة صموئيل هردن تشرتش رئيس جامعة كرينجي في بتسبرج بجواب عربته المقتطف في عدد يونيو ١٩١٥ (المجلد ٤٦ ص ٥٧٢)، وكان مما جاء فيه قوله بالحرف الواحد: «...». وكذلك نميل إلى سائر العناصر البشرية ونكرمها، عدا -يا للأسف- العناصر الأسبوية. ولكن لا بد أن تنمو فينا العاطفة الروحية يوماً ما، فنرحب بهم أيضاً كما نرحب بسواهم».



□ الحياة الكاملة □

لا يحيى الإنسان حياة كاملة إلا إذا عاش لغيره.

غوابو

نموذج من أقوال كونفوشيوس

- * لست أبالي مَنْ يسنّ للشعب أنظمتَه ، إذا نظمتُ أنا أغانيه .
- * أثبت الناس على رأي أكبرهم عقلا أو أكثرهم جهلا .
- * آية العاقل الاعتدال ، وأبعد الناس عنه سفلتهم .
- * إذا أحب الملك ما تحبه أمته وكره ما تكرهه فهو أبوها .
- * إذا رأيت الرجل متأنيا في قوله ونشيطا في فعله فهو من خيار الناس .



من أقوال الصاحب بن عباد

- * رُبَّ اجتهد أبلغ من جهاد .
- * غش الكافي أحمد من نصح الناقص .
- * الناس بالذم أعلق .
- * المكر حيلة من لا حيلة له .
- * الفرار في وقته ظفر .
- * المكيدة أبلغ من النجدة .
- * رداءة الخط زمانة الأدب .



الدهاء في السياسة

السياسة فنون شتى، والبراعة في كل فن تكون على حسب الأخذ بمبادئه والدربة في مسالكه، فهذا خير بسياسة الحرب وبصيرته في السياسة المدنية عشواء. وآخر يدير القضايا ويجري النظامات بين الأمة في أحكم نسق، فإذا خرجت به ليخوض في صلة أمة بأخرى ضاقت عليه مسالك الرأي وتلجلج لسانه في لكتة، وربما جنح إلى السلم والحرب أشرف عاقبة، أو أذن بحرب والصالح أقرب وسيلة إلى سعادة الأمة.

فلا بد للدهاء في فن سياسي من الوقوف على شيء من سنته، إما بتقلب الإنسان في الوقائع بنفسه، ومشاهدته لها عن رؤية عين، وهي التجارب الملوح إليها بقول أبي تمام:

من لم يُقَدَّ ويَطِير في خيشومه رهج الخميس فلن يقود خميسا
أو بتلقيها على طريق النقل؛ كدراسة فن التاريخ أو الكتب المؤلفة في ذلك الفن من السياسة خاصة.

ولا يملك مزية الدهاء في السياسة إلا من كان في استطاعته كتم تأثيراته النفسية من غضب وسرور وموَدَّة وبغضاء، ولهذا يقول الأدباء إنَّ أحكم بيت قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفؤاده من حرّه يتأوه
فأناة الرئيس ورضانته هي المنبع الذي تسقى منه الأمة حرية الفكر، والسلم الذي تعرج منه إلى الأفق الأعلى من الأمن والسعادة.

تسمح الحكومات الحرة للكتّاب والخطباء أن يكشفوا عما في ضمائرهم، ويجهروا بآرائهم، وتسير معهم على مبدأ أن الناس أحرار في آرائهم وعواطفهم،

فلا يُسألون عنها أو يؤاخذون بها متى كانت مباينة لمقاصد الرئيس أو معارضة لمذهبه في السياسة، إلا إذا وضعوا أيديهم في إجراءاتها واندفعوا إلى العمل على نفاذها.

تُعد الحرية البالغة هذا الحد في حسنات بعض الحكومات الحاضرة، وقد أدار عليها أمراء الإسلام رحي سياستهم منذ ألف وثلاثمائة سنة، فهذا معاوية بن أبي سفيان يقول: والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يشتفي به القاتل بلسانه، فقد جعلت له ذلك دبر أذني وتحت قدمي.

يتلقى الأمراء نقد سياستهم وآرائهم بصدر رحيب، وكثير منهم من إذا أنس في الأمة تهيئاً كره أن يتقلب ذلك التهييب رهبة تجرهم إلى إثارة الخلق على الحق، ويدعوهم إلى ما دعا إليه عمر بن الخطاب في قوله: «إيما رجل عتب علينا في خلق فليؤذني» أي فليعلمني. وكان المأمون يقول لأهل ناديه إذا جاروه في كلام: «هلا سألتموني لماذا؟ فإن العلم على المناظرة أثبت منه على المهابة»

يطلق الأمراء العادلون للآراء أعتتها لتعرض عليهم في أي صبغة شاءت، ويشقون في هذا التسامح بأن أمامها أفكاراً مستقلة وعقلاً راجحة، فتقبل منها ما كان حقيقة ناصعة، وترد الزائف على عقبه خائباً.

يدور على الألسنة قول ابن خلدون في مقدمة تاريخه: «إن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك»، يلهج بهذه المقالة بعض الأعجمين رامزين إلى أن العرب لا يليق بهم أن يعيشوا كما يعيش الرجل الرشيد، يتصرف في بيته ويدبر مصلحته بنفسه، وتبسط طائفة أخرى النكير على هذا الفيلسوف قائلة: كيف يصف الأمة التي شادت تلك الدولة الكبرى بالبعد عن مذاهب السياسة؟

والذي ينظر في الفصل المعقود لهذه المقالة من (المقدمة) يجد ابن خلدون يتكلم على الأمة العربية الطبيعية، حيث ذكر أن العلة في بعدهم عن إجادة

السياسة اعتيادهم على البداوة، ونفورهم من سلطة القوانين، واحتياج رئيسهم إلى الإحسان إليهم وعدم مراغمتهم، والسياسة تقتضي أن يكون السائس وازعًا بالقهر. ثم صرح ابن خلدون في هذا الفصل نفسه بأن هذه الأمة بعد ما طلع عليها الإسلام وفتح أبصارها في مناهج السياسة العادلة، سارت فيها باستقامة، فعظم ملكها وقوي سلطانها.

ويوافق ما قاله ابن خلدون من أن العربي بعد مطلع الإسلام غير العربي في عصر الجاهلية: أن سعد بن أبي وقاص أرسل نفرًا منهم المغيرة بن زارة إلى «يزدجرد»، فدارت بينه وبينهم محاورة أفصح لهم في آخرها عن تعجبه من ظهورهم في هذا المظهر العظيم، بعد أن كانوا بمكانة من الجهل، فقال له المغيرة: إن ما وصفت به العرب من الجهل هو حق، إلا أنه قد كان ذلك قبل الإسلام.

وبعد أن انصرفوا قال لقائده رستم: «ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جوابًا منهم».

ركبت مرة القطار من برلين إلى إحدى قراها القريبة منها، وكان في رفقتي أستاذان من المستشرقين، فأخذا يتحاوران باللسان الألماني، ولم أكن أفقه من هذا اللسان يومئذ شيئًا، ثم أقبل عليّ أحدهم وقال لي: أليس هكذا يقول ابن خلدون أن العرب لا يعرفون السياسة؟ فقلت له: إنما يصف ابن خلدون العرب في حال جاهليتهم، وقبل أن يهتدوا بهدي الإسلام ويستتيروا بحكمته. فانقطع، وعاد إلى محاورة صاحبه.

ومن نظر إلى العربي في حال جاهليته رآه مطبوعًا على خصلتين، يطوح به الغلو فيهما إلى ما ليس وراءه غاية:

إحداهما: اندفاعه للانتقام ممن هضم له حقًا أو مس جانبه بأذى. وحسن السياسة يقتضي التآني والاغضاء عن كثير من الهفوات.

ثانيتها: إطلاقه لأيدي شيعة وعشيرته وغض الطرف عنهم إذا أخذهم الاعتزاز بجاهه، واضطهدوا حق ضعيف لا ينتمي إليه. والسياسة تنافي الإفراط في معاضدة الأشياء والأحلاف، ولا تستقيم مع الانتصار لهم وهم مبطلون.

وقد قاومت الشريعة الإسلامية هاتين الطبيعتين، وجاهدت فيهما حق جهادها، حتى أعدت لسياسة العالم أساتذة مثل عمر بن الخطاب الذي كان لا يراعي في إقامة الحق وكبح الباطل أشد الناس به صلة وأمسهم به رحما.

ومثل معاوية بن أبي سفيان، فإنه كان يُرمى بالمطاعن ويُرشق بسهام الإنكار، فيسرها في نفسه ولا تبدو عليه سورة الغيظ الذي يتخبط كثيرًا من المستبدين.

ومن دعا عمر بن عبد العزيز أنه كان يرى في كثير من الأمور مصالح للرعية، ولكن كان يسلك في إجراءاتها طريقة التمهّل والتدرّج، حذر أن يثقل عليهم عبؤها فيطرحوها عن ظهورهم، ويقعوا في عاقبة سيئة. قال له ابنه عبد الملك: «مالك لا تنفذ الأمور؟».

فقال: «لا تعجل يا بني، فإنني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه وتكون فتنة».

فلا يخرج السياسي عن مجرى الاستقامة حيث يرى في سيرة الأمة عوجًا يتعذر عليه تقويمه بالقوة، فيحجم عن مكافحته، ولكن يبذل حكمته في علاج ذلك المبدأ السقيم، حتى يأخذ صحته ولو بعد أمد طويل.

وقد بدأت السياسة في عهد معاوية لا تبالي أن تمر إلى الحق ولو على جسر من الباطل كما قال زياد في بعض خطبه: قد علمنا أنا لا نصل إلى الحق إلا أن نخوض في الباطل خوضاً.

ويقول ابن خلدون: «إن العلماء من بين البشر أبعد الناس عن السياسة ومذاهبها».

وذكر في توجيه هذه المقالة أنهم معتادون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها، والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها من الآثار.

وتحقيق هذا: أن العلم في نفسه لا يعوق صاحبه أن يدرك الغاية القصوى في السياسة، وإنما العلة التي تقعد بالعالم عن البراعة في تدبير الشئون العامة إنما هي انكبابه وعكوفه على القواعد، وما يتفرع عنها من الأحكام، دون أن يضيف إليها الاطلاع على أحوال أهل العصر، ويفحص عما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجتهم، ويغوص على الوقائع، فيتفقه في نشأتها وما تصير إليه عاقبتها.

فما قاله ابن خلدون إنما ينطبق على حال العلماء الذين أنفقوا أوقاتهم في القضايا النظرية، ولم يضربوا بسهم في معرفة أسباب العمران وطبائع الاجتماع، وهذه الحالة هي الغالبة على أمرهم في عصر ابن خلدون وما تقدمه بزمان طويل، ولا سيما بعد أن وقفوا دون مرتبة الاجتهاد، وتهاونوا بالشرط الأهم من وظيفتهم، وهو الدعوة إلى الإصلاح أينما كانوا.

وأما الذين يقدرון وظيفتهم حق قدرها، ويقومون بما قلدهم الله من مراقبة سير الأمة وإرشادها إلى وسائل الفلاح عن فكرة سليمة وألمعية مهذبة، فإنهم يسبقون بلا ريب إلى الغاية السامية في السياسة القيمة، ولا يكون العلم عثرة

تهوى بهم في البله والجهل بتدبير شئون الاجتماع، كما يدعي الذين يسمعون أو يسردون مقالة ابن خلدون على غير تدبر وروية.

وكان الوزير التونسي خير الدين باشا يعقد مجالس من علماء جامع الزيتونة، ويلقي على وجه الشورى ما يهمه من المسائل العامة، فيتناولونها بالبحث والنظر، حتى إذا نطق أحدهم برأي يصيب به المفصل من القضية اهتز ذلك الوزير ارتياحًا، وضرب يمينه على يسراه قائلاً:

لا تتقدم أمة إلا بعلمائها.

محمد الخضر حسين



الخمرة

* فتك الخمرة بالناس أشد من فتك الطاعون والحرب والمجاعات.

غلاستون

* ليس صحيحًا أن الخمرة تُعين على الهضم؛ أو أنها منبهة للمعدة.

سارسي

* الخمر أسّ الشرور، وأصل البلايا، وسبب الدمار.

أعرابي



ما سقطنا إلا من تقليدنا إياهم على العمياء
«نصيحة الإمبراطور غليوم لرجال تركيا الفتاة»

سبق للأستاذ صاحب الفتح كلمة قال فيها^(١) أن مبدأ سقوط الشرق هو عهد السلطان محمود الذي لبسنا فيه البنطلون، قبل أن تكون عندنا معامل تحول صوف مواشينا إلى جوخ... إلخ.

إن لصاحب الفتح الآراء السديدة والنظرات النافذة في كل المواضيع، لاسيما في النواحي الاقتصادية. وإني لمعزز رأيه هذا بكلام لغليوم الثاني إمبراطور ألمانيا الذي لا يزال حيًا.

سنة ١٩١٧ جاء القيصر ويلهلم إلى الآستانة يزور حليفه السلطان العثماني، فأرسل إليه الأتراك سربًا من الأوانس سافرات الوجوه، بالزي الأوربي، يقدمون له باقة زهر.

فتقبلها القيصر منهنّ ولم يقل شيئًا.

ثم أول ما شاهد بعد ذلك الصدر الأعظم قال له: يا طلعة، أرسلتم لي بعض صبيات تركيات بالزي الأوربي يقدمن لي باقة أزهار. أنتظن أني أفرح برويتهن بهذا الزي؟

ثم قال له: يا طلعة. اعلموا أنكم أمة ليس لكم مكانة بين الدول إلا بالإسلام. أنتم لستم ذوي ثروة، ولا عندكم صناعة ولا تجارة ولا وسائل مادية كما عند الأمم الأوربية. ولكنكم معدودون من الدول العظام بسبب واحد، هو

(١) مقالة: (إلى أين نحن سائرون؟)، في العدد ٣٣٠ من الفتح.

أنكم على رأس الإسلام، والإسلام مئاة من الملاين. فإذا أبحتم السفور لنسائكم، وعبثتم بعادات قومكم آسفتم العالم الإسلامي الذي كل أهميتكم قائمة به، ونفر منكم المسلمون.

فلا تفعلوا هذا، فإنكم تصبحون على ما فعلتم نادمين، ثم إن الشرشف عندكم شيء جميل، فلماذا تعدلون عنه^(١)؟ وهو لباس اقتصادي يستر المرأة ويغنيها عن اتخاذ فسطان كل ثلاثة أشهر مرة، وأنتم لا تقدرون أن تبدخوا بذخ الأوربيين. هذا ما قاله ويلهلم لطلعة، وهذا رواه لنا.

ثم قال مثله للأمير سعيد حليم، وأوصاه بالمحافظة على التقاليد الإسلامية القديمة، وقال له: نجاتكم إنما هي بها.

وقال له: «أنا وبعض بيوتات في بلادي نحافظ على تقاليدنا القديمة، ولكن قد غلبت علينا المآخذ الجديدة التي أخشى بها فساد المجتمع الأوربي كله». فقصدت أن أنقل هذه الرواية لقراء الفتح.

ولقد أصاب الإمبراطور في كلامه. يريد أن يقول لنا: لا تجمعوا بين الفقر وفساد الأخلاق، فإنه باعتراف جميع الأتراك ودعاة التجدد منهم كان رقص النساء وتغيير الزي هما أكبر أسباب الأزمة الاقتصادية في تركيا. وذلك أنهم أرادوا أن يقلدوا أناساً هم ليسوا ذوي ثروة كثورتهم، فظهر عوارهم حالاً. أما المفاسد المعنوية لذلك فقد ظهرت بتناقص النسل وكثرة الانتحار وقلة الزواج، وجميع المضار التي يعرفها كل من اطلع على حقيقة أحوالهم...

جنيف: ٢٩ شوال ١٣٥١

شكيب أرسلان

(١) الشرشف: الملاءة.

الثقافة الإسلامية

بقلم المستشرق الفرنسي / المسيو هنري لاوس

أصدرت جريدة Banry Rayptienne La التي تطبع في القاهرة عددًا ممتازًا في يوم ١٥ فبراير ١٩٣٣ بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للسياحة، بلغت صفحاته مائة وأربعين صفحة من حجم الصحف اليومية، وزينته بمئات من الصور المصرية والإسلامية والشرقية، وانطوى على عشرات المقالات النفيسة. ونحن نلخص عنه هذه المقالة بقلم المستشرق الفرنسي المسيو هنري لاوس.

قال:

□ ما هي الثقافة؟

هي مجموع الأفكار والعادات والموروثات التي يتكون منها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ عنها عقلية خاصة بتلك الأمة، فتمتاز بها عن سواها. وجميع الثقافات تتكوّن وتتطوّر بعوامل داخلية وتتأثر ببعض المؤثرات الأجنبية. ويأتي عليها زمان تكون فيه في القمة العليا من النشاط والظهور. ويعتريها الوهن في بعض الأحيان فتسير في طريق الانحطاط والاضمحلال، وقد يعقب انحطاطها نهوض تنتعش به.

بهذا المعنى أمكن لفريق من المستشرقين أن يقولوا بوجود ثقافة إسلامية عامّة، ابتدأت في التاريخ بالدعوة الإسلامية الأولى على عهد النبوة، ثم تكوّنت في زمن الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، ثم في عهد العباسيين ببغداد، وانتشرت في مختلف الأقطار الإسلامية من الشرق إلى الغرب.

□ العناصر التي تتكون فيها الثقافة الإسلامية:

العنصر الأول من العناصر التي تتكوّن منها الثقافة الإسلامية: الأدب الجاهلي:

إننا نعرف بعض المعرفة الحقّة عن الحالة اللغوية والفكرية للعرب قبل الإسلام، والذي وصل إلينا عن هذا الأدب إنما وصل من طريق الرواة. وكانوا ينقلون الشعر، وقد دوّنوه في القرنين الثاني والثالث للهجرة. وكان للغويين في ذلك همة مذكورة، لأنهم كانوا يبحثون عن الشواهد لتفسير اللغة، ولا سيما لغة القرآن والحديث. وإن ما وقع في خلال روايات الرواة من ريبة أو خطأ أو انتحال أدى إلى أن يقول من قال: إن كل هذا الشعر منتحل!

وقد وضع أحد المؤلفين كتاباً في ذلك. لكن هذه النظرية لا يتفق عليها المستشرقون، وعلى كل حال؛ فإن للشعر الجاهلي والأدب الجاهلي نصيباً كبيراً في تكوين الثقافة الإسلامية.

والشعر الجاهلي يمتاز بالأفكار البدوية، ووصف الحياة في الصحراء، وتجلّى فيه المروءة التي كان يمتاز بها عرب الجاهلية.

وكان هذا الشعر معتبراً في العصر الأموي والعصر العباسي الأول أنه مدرسي لا بد من روايته والنهج على أثره. لكن كان هنالك صراع بين أصحاب الرأي القديم والرأي الحديث - كما ذكر ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء -، إلى أن تغلب الشعر الحديث على نحو ما نراه في شعر أبي الطيب. وعلى كل حال؛ فإن المسلمين درسوا الشعر الجاهلي من صدر الإسلام إلى الآن في المشرق والمغرب.

العنصر الثاني من العناصر التي تتكون منها الثقافة الإسلامية: هو العنصر الديني المحض، وفي مقدمته القرآن والحديث.

وإن ما نزل في مكة من السور والآيات كان تشريعاً دينياً محضاً، وأما ما نزل في المدينة فيتناول التكوين السياسي والاجتماعي. ولا غنى للمستشرقين عن دراسة القرآن، أما الذين لا يفعلون ذلك، ولا سيما الذين يظنون أن الإسلام زال نشاطه، فإنهم يُعنون بدراسة المسلمين أنفسهم أكثر مما يعنون بدراسة القرآن. والقرآن لا يزال يفسَّر بالسنة التي جاءت مبينة لمشكله ومفصلة لمجمله، وهي تتناول التشريع في العبادات وغيرها وجميع ما يتصل بالحياة اليومية.

ولما انتشر الصحابة في البلاد بعد الفتوح، أخذ الناس عنهم الحديث، وتناوله القصاص، ووضع بعضهم أحاديث وقصصاً.

فانبرى لهم من العلماء رجالٌ ميزوا بين الصحيح والموضوع، وردوا ما دسه الوضاعون، وكانت نتيجة ذلك تدوين الكتب الستة المعتمدة. وأقول إن التمسك بالسنة من أقوى ما يوجد في الإسلام، وإن الإمام أحمد بن حنبل وأتباع مذهبه من أشدَّ المتمسكين بالسنة، وقال بعض المستشرقين وهو الأستاذ ايغناس غولد زيهر: «إن تاريخ التطور الفكري في الإسلام إنما يتمثل في الصراع بين السنة والبدعة».

والعنصر الثالث في الثقافة الإسلامية: المؤثرات الأجنبية.

ومن أهمها ثقافة اليونان، لأن المسلمين ترجموا طائفة من كتب الفلسفة، وبعض الخلفاء كالمأمون بذلوا أموالاً طائلة في هذا السبيل. لكن المسلمين لم يهتموا كثيراً بأفلاطون وفضَّلوا عليه أرسطو. ومما ترجموه كتب الطب، حتى ليصح القول بأن معظم ما ألفه اليونانيون ترجم بالعربية في القرن الثالث للهجرة.

□ وهنالك مؤثرات أخرى أجنبية على ثقافة الإسلام وأهمها:

تأثير العنصر الفارسي، وإن تأسيس مدينة بغداد كان دليلاً على تمييز العنصر

الفارسي أحيانا على العربي، والعباسيون اقتبسوا أنظمتهم السياسية من الفارسي، وكان لأدب الفرس تأثير عليهم غير يسير.

على أننا ونحن نذكر المؤثرات الأجنبية ينبغي لنا التزام جانب الاعتدال والروية. وللمؤلفين في ذلك آراء، فجرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي يقول: إن العرب اقتبسوا جميع اختراعات الأمم التي جاءت قبلهم وزادوا عليها. وإلى جانب ذلك نظرية أخرى مفرطة تقول: إن كل ما يوجد عند المسلمين مقتبس من غيرهم. والذي أراه أن الثقافة الإسلامية في القرون الوسطى لا تخولنا الحكم بشكل مطرد على كل مظهر من مظاهرها.

وأن العقل البشري واحد، ونحن نقرُّ بأن كيان الثقافة يتحلل إلى عناصر متعددة، وهي تحتوي على أفكار وعادات وهلم جرا مما تكون به الأمة أمة.

□ وحدة الثقافة الإسلامية:

نشأت الثقافة الإسلامية في المدن، وامتازت كل مدينة بطبائع وأخلاق، فهنالك البصرة والكوفة، وهنالك المدينة المنورة، وبغداد، ومدن الأندلس، وبلاد المغرب التي لا تزال إلى الآن من أرقى المدن الإسلامية.

إن وحدة الثقافة الإسلامية تقوم بوحدة العقائد الإسلامية، وما كان الانقسام عند المسلمين إلا في الفروع. وأعظم افتراق هو بين أهل السنة والشيعة. وقد حدث في هذه الأيام تقارب بين الفريقين. ومهما يكن من تأثير العنصر الديني في الثقافة الإسلامية فإن الإسلام ليس فيه ما يمنع البحث العلمي، وقد قامت عند المسلمين مدارس مهمة للطب والعلوم.

وجميع المؤرخين في الإسلام لهم نمط واحد في إيراد الحوادث والوقائع لا كما نفعل نحن الآن بتحليل البيئات والمؤثرات والظروف، ما خلا ولي الدين

عبد الرحمن بن خلدون، فإنه طبق قواعد النقد على التاريخ بكل معاني الكلمة، وحاول أن يعلل الحوادث التاريخية على ضوء نظرياته الاجتماعية.

ومن مظاهر وحدة الثقافة الإسلامية من جهة الأدب: الشعر، فإن جميع المسلمين في المشرق والمغرب يتحدون في دراسة الشعر العربي، ومن أوثق الروابط بين الأقطار الإسلامية ما رأيته بنفسني في المغرب من عناية المغاربة بشعر شوقي وحافظ، فهذا كله مما تترتب عليه وحدة الثقافة.

وعندي أن «اللغة العربية» من أهم دواعي وحدة الثقافة بين المسلمين، وأهم أسباب تفرق هذه اللغة أنها اللغة الرسمية، ولغة الدين، ولا بد لأجل فهم القرآن والحديث النبوي من معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة، وقد قام اللغويون والنحاة بمجهود عظيم في البصرة والكوفة لخدمة هذه اللغة مع ما بين علماء هاتين المدينتين من التباين:

فالبصريون أقرب إلى التنظيم والمنطق.

والكوفيون أبرع في حفظ المتون من لغة وشواهد.

وإن مجهودات النحويين واللغويين والعمل العظيم الذي قام به مترجمو المعارف اليونانية والفارسية، قد تكوّنت به اللغة التي صارت لغة الفلسفة والعلم حتى القرن الثالث الهجري.

□ تأثير ثقافة الإسلام على أوروبا:

من مميزات المستشرقين في هذه الأيام إلحاحهم في البحث عما اقتبسته الأمم النصرانية في القرون الوسطى من ثقافة الإسلام ولقد كان ملتقى الأديين في الأندلس وصقلية وبعض المدن الإيطالية كالبندقية وجنوة. وفي الحرب الصليبية أيضًا حدث احتكاك في الأفكار بين الشرق والغرب. وإن لتأثير

الإسلام في الأمم النصرانية في القرون الوسطى أشكالاً مختلفة، ويجب علينا الرجوع إلى تاريخ العلوم لنقدّر ما كان للمسلمين من التأثير على الحركة العلمية في مدارس الإفرنج في القرون الوسطى، وإن لغتنا الفرنسية لا تزال إلى اليوم محافظة على كلمات اقتبستها من لغة العرب، وفي ذلك لمحة دالة على ما وراءه من اقتباس وتأثير.

□ انحطاط المسلمين في الثقافة:

من القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الانحطاط في العالم الإسلامي، وللمسلمين اهتمام شديد في البحث عن أسباب هذا الانحطاط، فمنهم من يرى أن الانحطاط ناشئ عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم في العصر الأول ومن ذلك سدّ باب الاجتهاد.

وبعض الأوربيين يرى أن سبب تأخر المسلمين عدولهم عن البحث في فلسفة أرسطو.

والذين يقدّرون تقدم الآلات الميكانيكية في الغرب يرون أن سبب تأخر المسلمين تقصيرهم في الأخذ بأسباب الصناعة ومجاعة الأمم فيها.

وفي الواقع أن المسلمين لم يقتبسوا الطباعة إلا في أزمان متأخرة، ولو بكَروا في ذلك لكان له الأثر الطيب. ويعد في جملة أسباب تأخر المسلمين ما كان من تعصب الترك على القومية العربية حتى قصّرت عن بلوغ ما تستطيعه.

□ النهضة الإسلامية الحاضرة:

أول ما لاحت مبادئ النهضة الإسلامية في العصور الأخيرة إنما كان ذلك إبان الحملة الفرنسية على مصر.

وللثقافة الإسلامية الحاضرة عدّة اتجاهات: أهمها الحركة السلفية التي يراد منها الرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى، وتحكيم الكتاب والسنة. وتبتدئ هذه الحركة بآبن تيمية وتلميذه آبن القيم، وأظن أن في الشرق الأدنى طوائف من المسلمين تميل إلى هذه الطريقة، ولاحظت أنا بنفسى وجود اتجاه نحو ذلك في المغرب.

وهناك تيار تفكيرى آخر ينتسب إلى السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده، وهو أقرب تناولا من الأول؛ وقد شاهدتُ ميلا عظيما إلى هذا التيار في مختلف بلاد الإسلام في الشرق والغرب.

وهناك تيار تفكيرى ثالث، يقوم به فريق يريدون أن يأخذوا من الغرب كل شيء بلا تمييز ولا نقد؛ ونجد لهذا التيار دعاة في العالم الإسلامى شرقاً وغرباً؛ وهم يريدون أن يتبعوا سنن الغرب في الآداب، يقولون بأن الثقافة الإسلامية لا تصلح لهذا الوقت، ويدعون إلى الفصل بين الدين والسياسة، ويقولون بالإفراط في الوطنيات.

ومهما يكن الأمر؛ فالأمل موجود في نجاح الثقافة الإسلامية الجديدة، لأن التعليم تقدم وترقى في الجامعتين الأزهرية والمصرية.

وللمسلمين والعرب صحف، وأول صحيفة أنشئت في عهد محمد على، ولغة الثقافة الإسلامية هي العربية، وكان من الممكن فيما مضى أن يستعمل الشرق لغة أجنبية- الفرنسية أو الانكليزية -، ويتخذها لغة ثقافة له، وأما الآن فلم يعد ذلك ممكناً، لأن العربية تقدمت تقدماً محسوساً، ووجد فيها ما يدل على المصطلحات العلمية، والمخترعات الحديثة، وتسهلت اللغة العربية عن ذى قبل، بعد أن كانت صعبة الفهم على الأوروبيين. ولغة الصحف على الخصوص هي التي سهلت على الأجانب تعلم هذه اللغة.

وهنا أعود فأقول: إن وحدة اللغة العربية في الأقطار الإسلامية كانت من أسباب الوحدة الفكرية بين المسلمين.

وفي الختام أقول بغير دهان ولا خوف إفراط: إن مصر ستكون عاصمة التفكير للعالم الإسلامي والعربي الممتد من بلاد جاوة إلى أسواق الجاليات العربية والإسلامية في أمريكا، وسبب ذلك أن مصر سبقت غيرها من الأمم الإسلامية في طريق الرقي والتقدم الذي اشترك في تكوينه المصريون والسوريون واللبنانيون، وللأزهر مركز جغرافي يجعله المدرسة الأدبية الجديدة للأمم الإسلامية المختلفة.



الحكمة

قال الصاحب بن عباد:

- * الإحجام في موطنه، كالإقدام في مواضعه.
- * اللبيب من الإيماء يكفيه، والايحاء يغنيه، واللفظة تجزيه، واللمحة تؤثر فيه.



الأخلاق بين الحجاج وعمران بن حطان

لما ظفر الحجاج بعمران بن حطان قال:

اضربوا عنق ابن الفاجرة!

فقال عمران:

لبئسما أدبك أهلك يا حجاج. كيف أن أمنت أجيبك بمثل ما لقيتني به؟ أبعد الموت منزلة أصانعك عليها؟

فأطرق الحجاج استحياءً، ثم قال:

خلوا عنه؟

فخرج عمران بن حطان إلى أصحابه فقالوا:

والله ما أطقك إلا الله، فارجع إلى حربه معنا.

فقال: هيهات، غل يدًا مطلقها، وأسر رقبة معتقها.

وأنشد:

أقائل الحجاج عن سلطانه	بيد نقر بأنها مولانه
إني إذا لأخو الدناءة والذي	عفت على عرفانه جهلاته
ماذا أقول إذا وقفت موازيًا	في الصف واحتجت له فعلاته
وتحدث الأكفاء أن صنائعًا	غرست لديّ فحنظلت نخلاته
أقول جار عليّ؟ إني فيكم	لأحق من جارت عليه ولاته
تالله ما كدت الأمير بآلة	وجوارحي وسلاحها آلاته



الاستعمار العربي

اكتشفوا في مقاطعة (رودسيا) من جنوب إفريقية على مقربة من نهر زميز قبراً لعربي كان هناك قبل نحو ثلاثة عشر قرناً، ونقش قبره ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ هذا قبر سلام

بن صالح، الذي انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة في السنة الخامسة والتسعين من هجرة النبي العربي ﷺ.

واستدلّ الدكتور ستانلي تيمبور من ذلك على أن العرب المستعمرين وصلوا إلى هذه البقاع من جنوب إفريقية، وإنهم استثمروا مناجم الذهب التي استثمرها أسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل. واستدل من آثار عربية أخرى وجدها في تلك الأصقاع على أن العرب استعمروا تلك البلاد زمناً طويلاً قبل أن يصل إليها البرتغاليون.



حديث خطير للكاتب الأشهر جورج برنارد شو ولكن أين المسلمون؟

بلغ الكاتب الانكليزي العظيم جورج برنارد شو -في سياحته بين أقطار الشرق- إلى سنغافورة، فاجتمع به صاحب جريدة الهدى على ظهر الباخرة (امبريس أوف برتين)، وانتزع منه حديثاً عظيم الأهمية عن رأيه في الإسلام، وهذا أهم ما جاء فيه. قال الصحفي العربي يخاطب الفيلسوف الانكليزي:

رأيت لك مقالة في (كوزموبولتين) امتدحت فيها الإسلام، فهل لك أن تقول لي ما رأيك في الإسلام!

فأجاب: الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر... ودين البيع والشراء، وفوق ذلك فهو دين الجنتلمان!

قلت: فما الذي يمنعك عن إعلان إسلامك إذن، وأنت الاشتراكي الجنتلمان؟

فقال: أزعِم أنا ويزعم الناس أنني اشتراكي، ولكني لا أدري هل ما أزعِم ويزعمون حقيقة أم لا. أما من حيث الجتلمانية فلست جتلمانًا.

فضحكت وقلت: ولكنك في أغلب كتابتك تسلّم القارئ وتحضه على أن يكون جتلمانًا.

فقال: وكم معلم في الدنيا يتبع تعليماته؟

قلت: هل تظن أن الإسلام يعم العالم؟

أجاب: كلا، فهناك نزعات أخرى ربما تعرقل سيره، ولكن عدد المسلمين لا بد أن يزيد على عدد أتباع أي ديانة أخرى، إلا أن هناك أمرًا مهمًا يجب أن لا أغفله.

فسألته: وما هو؟

أجاب: الإسلام شيء، والمسلمون شيء آخر! الإسلام حسن ولكن أين المسلمون!

قلت: إذن تعتقد أن المسلمين ليس لهم من الإسلام إلا الاسم؟ وهل تقارن المسيحية كنظام اجتماعي بالإسلام!

أجاب: كلا، ليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية، وقد سبقني بيرك في كلامه يوم اتهم وارن هيستنغ. (الإشارة إلى بيرك الخطيب المشهور الذي اتهم في البرلمان وارن هيستنغ حاكم الهند بالخيانة).

قلت: ولكن هناك حركات تدل على أن المسلمين بدأوا (يستيقظون).

قال: وأين هذا!

أجبت: في الشرق العربي.

قال: هؤلاء جلهم من أصل عربي، وحركتهم جنسية أكثر منها إسلامية.

قلت: لا أظن ذلك.. ولكن ما رأيك!

أجاب: الإسلام لا يستيقظ إلا إذا عمل المسلمون بصفاتهم مسلمين

فقط، وتجنبوا ما نسميه «الروح الوطنية»، والغلو في القومية.

قلت: في أوروبا وأمريكا مبشرون إسلاميون، فما رأيك في هؤلاء؟

أجاب: لا شك أنهم يستحقون العطف، إذ أنني لا أظن أن المسلمين يقدرون التبشير بالإسلام كما يقدر المسيحيون -على اختلاف مذاهبهم- التبشير بالمسيحية، فليس للمسلمين جمعية تبشير تضاهي أية جمعية تبشيرية لأي فرقة مسيحية.



من الحديث النبوي

* «شُرِّيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُساء إليه»^(١).

* «الصبر عند الصدمة الأولى»^(٢).

* «بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٣).

* «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٩)، وضعفه الألباني. (س).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٤) ومسلم (٩٢٦). (س).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٥). (س).

(٤) صحيح الجامع (٦٦٢٤). (س).

* «سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته»^(١).

* «ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف، فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل»^(٢).



محمد منقذ البشرية كلمة برنارد شو في الإسلام

لا حاجة إلى تعريف قراء «الفتح» بالكاتب الشهير الطائر الصيت في العالم المستر برنارد شو. هذا الرجل من أحرار الغرب الذين لم يكتموا ما انكشف لهم من أنوار الإسلام ونبي الإسلام، عليه من الله ألف سلام.

فأينما حل برنارد شو أشاد بذكر الإسلام، وأدى الأمانة العلمية، وكانت خطبه قرعاً على كبد القسيسين المتعصبين والمتفرنجين الخونة، وقد رأيت له كلمة نشرتها مجلة «ذي مسلم رفيو»^(٣) وهي مجلة دينية تصدرها باللغة الانكليزية مدرسة الواعظين لأفاضل الطائفة الجعفرية بلكنو، مصحوبة بصورته، وهذه ترجمتها:

إنني دائماً أحترم الدين الإسلامي غاية الاحترام لما فيه من القوة الحيوية. فهو وحده الدين الذي يظهر لي أنه يملك القوة المحولة التي تغير صورة الكون، ذلك لأنه يوافق كل جيل، ويتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان. لا شك أن

(١) صحيح الجامع (٣٦٤٩). (س).

(٢) صحيح الجامع (٣٦١٦). (س).

(٣) في جزء مارس ١٩٣٣.

العالم يقدر تكهنات رجل مثلي. أنا على يقين أن دين محمد سيكون دين أوروبا في غد (المستقبل)، كما أنه قد أخذ الأوروبيون يقبلونه من اليوم. لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بأبشع طابع ولونوه بلون أسود حالك، إما جهلاً وإما تعصباً.

إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه.

فعندهم أن محمدًا كان عدوًا للمسيح، لقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفي رأيي هو بعيد جدًا من أن يكون عدواً للمسيح. إنما ينبغي أن يدعى «منقذ البشرية».

لا ريب أنه لو كان في أمريكا رجل مثله قد تولى ديكتاتوريتها لنجح أعظم نجاح في حل مشكلاتها بطريق يضمن لها السلام والسعادة التي هي في أشد الحاجة إليهما. وقد رأى عظماء المفكرين من أهل النزاهة مثل كارليل وغوتي وجييون في القرن الـ ١٩ وجوب تقدير وإجلال دين محمد، وقد أحدث رأيهم شيئاً من التغيير في سلوك الأوروبيين مع الإسلام.

لكن أوروبا هذا القرن (العشرين) قد تقدمت في ذلك تقدماً بعيد الشأو. وقد أخذوا يقعون في الهيام بعبقيدة محمد، وفي القرن التالي سيكون أهل أوروبا أكثر معرفة بفائدة اعتقاد محمد في حل مشكلاتهم، وبهذا يمكنك أن تفهم ما تكهنت به. وقد انضم كثير من قومي والأوروبيين إلى دين محمد، ويمكن أن يقال إن إسلام أوروبا سيكشف النقاب عن قضيتكم (الخطاب للشرقيين) الخاصة.

لكنو ٣ ذي الحجة سنة ١٣٥١

محمد تقي الدين الهلالي

(في صحيفة الفتح - العدد ٣٤١)

المترفون

«شرار أمتي الذين وُلدوا في النعيم وُعِدوا به: يأكلون من الطعام ألواناً، ويلبسون من الثياب ألواناً، ويركبون من الدواب ألواناً، يتشدّقون في الكلام». (حديث شريف)^(١).



الديمقراطية في الإسلام

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في الشام أبي عبيدة وبين أحد قواد الروم، جاءه بطعام فاخر وقال له:
هذا طعام الأمير!
قال أبو عبيدة:
وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام؟
قالوا: لم يتيسر.

فقال أبو عبيدة: فلا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام! وبئس المرء أبو عبيدة إن صحب جنداً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه، لا والله لا نأكل إلا مما يأكلون.



(١) ضعيف الجامع (٢٨٦٦). (س).

الناس

قال عمر بن عبد العزيز:

ما طاوعني الناسُ على شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرفاً من الدنيا .



عفة مجاهد

روى الحافظ ابن عساكر أن حبيب بن مسلمة قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في حجة، وكان حبيب تام القامة، فسلم على عمر، فقال له عمر:

إنك لفي قناة رجل!

فقال: أي والله، وفي سنانها.

فقال عمر: افتحوا له الخزائن، فليأخذ ما شاء!

ففتحوها له، فعدا عن الأموال وأخذ السلاح!



بُناة السوء

ورثنا المجدَّ عن آباءِ صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا المجدُّ الرفيعُ تواكلته بُناة السوء أوشك أن يَضيعا

معن بن أوس

آداب الإسلام

وقع بين الحسن بن علي وأخيه محمد بن الحنفية لواء، ومشى الأشرار بالنمائم بينهما، فأراد محمد بن الحنفية أن يقطع على الأشرار سعاياتهم، فكتب إلى أخيه الحسن يقول:

«أما بعد، فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب، لا تَفْضُلُنِي فِيهِ وَلَا أَفْضَلَكَ، وَأُمِّي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَوْ مُلِئَتِ الْأَرْضُ بِمِثْلِ أُمِّي لَكَانَتْ أُمُّكَ خَيْرًا مِنْهَا. فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَاقْدَمْ حَتَّى تَرْضَانِي، فَإِنَّكَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ مِنِّي».



دين الحقائق

«من أتى عَرَّافًا أو كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ». «حديث شريف»^(١).



(١) صحيح الجامع (٥٩٣٩). (س).

حكمة العرب

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال: ما رأيت كالיום ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهنَّ رجلٌ عند هشام. دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيته.
قال: ما هن؟

قال: لا تَعُدْ عدَّةً لا تثق من نفسك بانجازها، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتق العواقب، وأن للأمر بغتات فكن على حذر.

قال عيسى بن دأب: فحدثُ بهذا الحديث المهدى وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه، فأمسكها وقال: ويحك، أعد عليّ!
فقلت: يا أمير المؤمنين، أسغ لقمته.
فقال: حديثك أحب إليّ!



أخلاق المأمون

قال يحيى بن أكثم: دخلت على المأمون وبين يديه طعام في طبق، فدعاني إليه، وكان لحما بارداً قليلاً، فخاف أن أستقله، فقال والشعر له:

اعرض طعامك وابذله لمن دخلا احلف على من أبى واشكر لمن أكلا
ولا تكن سابري العرض محتشما من القليل فلست الدهر محتفلا

حلم ملوك العرب

ثار ثائر على عبد الرحمن الأموي ملك الأندلس، فغزاه عبد الرحمن وظفر به، فبينما هو منصرف على فرسه وقد حُمِلَ الثائر على بغل مكبلاً، نظر إليه عبد الرحمن وقال:

يا بغل! ماذا تحمل من الشقاق والنفاق؟

فقال الثائر: يا فرس! ماذا تحملين من الرحمة والغفران؟

فقال عبد الرحمن: لا تذوق موتاً على يدي أبداً.



عبدٌ له أخلاق الأشراف

مر عمر بن عبيد الله بن معمر بزنجي يأكل عند حائط (بستان) في المدينة، وبين يديه كلب إذا أكل لقمة طرح له لقمة.

فقال له عمر بن عبيد الله:

أهذا الكلب كلبك؟

قال: لا.

قال: فلمَ تطعمه مثلما تأكل؟

قال: إني أستحيي من ذي عينين ينظر إليّ أن أستبدّ بمأكول دونه.

قال: أحر أنت أم عبد؟

قال: عبد لبعض بني عاصم، فأتى عمر ناديمهم فاشتراه، واشترى الحائط، ثم جاءه فقال:

أشعرت أن الله قد أعتقك؟

قال: الحمد لله وحده، ولمن أعتقني بعده.

قال: وهذا الحائط لك. قال: أشهد أنه وقف على فقراء المدينة.

قال: ويحك، تفعل هذا مع حاجتك؟

قال: إني أستحي من الله أن يوجد لي شيء فأبخل به عليه.



ترجمان الشافعي

لما مرض الإمام الشافعي رحمته الله مرضه الذي مات فيه قال لقومه:
إذا أنا مت فقولوا لفلان يغسلني.

فلما توفي وبلغه الخبر قال: اتنوني بتذكرته. فجاء بها فوجد فيها: على
الشافعي سبعين ألف درهم ديناً لفلان وفلان. فكتبها الرجل على نفسه وقال:
هذا هو الغسل الذي أراده.



ذكاء الأعراب

قال أحد عمال الدولة لأعرابي: ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة.
فقال له الأعرابي: إن أنباتك بذلك تجعل لي عليك مسألة؟

قال: نعم.

فقال الأعرابي:

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيّع

قال: صدقت، فسل.

قال: كم فقارٌ ظهرك؟

قال: لا أدري.

قال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك!



الخمرة

عجوزٌ أضلت حيّ طُسم وماربٍ
بجسمك شرٌّ من ديبب العقاربِ
قلاها أصيلاثُ النهي والتجاربِ
يضاحكه والكيد كيد محاربِ
به القوم إلا أنها لم تُضاربِ
ولكن ثنته في أنامل ضاربِ
وتوقع حربَ الدهر بين الأقاربِ

تَوَخَّ بهجرِ أمّ ليلي^(١) فإنها
ديبب نمال من عقار تخالها
ولو أنها كالماء طلق لأوجبت
تحبي وجوه الشرب فعل مُسالم
عدوة لبّ سلّت السيف واعتلت
وما شامتِ الهنديّ في الكفّ عنوةً
تُعري الفتى من ثوبه وهو غافلٌ

أبو العلاء المعري

(كنية الخمر، والعجوز من أسمائها.

من الهداية الإسلامية

- * ما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة .
- * ما كرهت أن يراه الناس منك ، فلا تفعله بنفسك إذا خلوت .



الطالب المنتحر

ناشيء في الورد من أيامه	حَسْبُهُ اللَّهُ! أِبَالُورْدِ عَشْر
سَدَّدَ السَّهْمَ إِلَى صَدْرِ الصَّبَا	ورماه في حواشيه الغرر
بِيدٍ لَا تَعْرِفُ الشَّرَّ وَلَا	صَلَحَتْ إِلَّا لَتَلْهُو بِالْأَكْر
بُسْطَتِ لِلْسَمِّ وَالْحَبْلِ، وَمَا	بُسْطَتِ لِلْقَوْسِ يَوْمًا وَالْوَتَر



نَشَأَ الْخَيْرَ، رَوِيدًا، قَتَلُكُم	فِي الصَّبَا النَّفْسَ ضَلَالٌ وَخُسْر
لَوْ عَصَيْتُمْ كَاذِبَ الْيَأْسِ، فَمَا	فِي صَبَاها يَنْحَرُ النَّفْسَ الضَّجْر
لَيْسَ يَدْرِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِمَا	كَانَ يَعْطَى لَوْ تَأْنَى وَانْتَظَر
فَلَكَ جَارٍ وَدُنْيَا لَمْ يَنْدُمْ	عِنْدَهَا السَّعْدُ، وَلَا النُّحْسُ اسْتَمَر
سَمَحَ بِالرُّوحِ الْفَتْنَى	سَاعَةً الرُّوعَ إِذَا الْجَمْعُ اسْتَجَر
فَهَنَّاكَ الْأَجْرُ وَالْفَخْرُ مَعًا	مَنْ يَعْشَى بِحَمْدٍ وَمَنْ مَاتَ أَجْر

أحمد شوقي



حكمة نبوية

«كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع، وكفى بالمرء من الشح أن يقول: أَخَذُ حَقِّي لَا أَتْرِكُ مِنْهُ شَيْئًا»^(١).



من هداية الإسلام

□ الصلاة □

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون: يُبْقِي ذَلِكَ مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا؟ قالوا: لَا يَبْقِي ذَلِكَ مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا». أخرجه البخاري ومسلم^(٢).

□ الإيثار □

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود^(٣). فأرسل ﷺ إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. فقال ﷺ: «من يضيفه يرحمه الله». فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك

(١) ضعيف الجامع (٤١٨٢). (س).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧). (س).

(٣) أي: مهزول جانح.

شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء ثم نؤمهم، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفيه. ففعلت. وقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: «قد عجب الله البارحة من صنيعكما بضيفكما»، فنزل قوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة^(١).

□ المنافق □

قال رسول الله ﷺ: «أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص^(٢).

□ مقابلة المسيء □

بينما رسول الله ﷺ جالس في أصحابه ﷺ وَقَعَ رجل بأبي بكر فأذاه، فصمت عنه أبو بكر. ثم آذاه الثانية، فصمت عنه. ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر ﷺ. فقام رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر: أوجدت عليَّ يا رسول الله^(٣)؟ قال: «لا، ولكن نزل ملك من السماء يكذِّبه بما قال لك، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذا قعد الشيطان». أخرجه أبو داود عن سعيد بن المسيب^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤). (س).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٩) ومسلم (٥٨). (س).

(٣) أي: هل غضبت علي.

(٤) أخرجه أبوداود (٤٨٩٦)، وحسنه الألباني. (س).

❑ لا نذر في معصية ❑

* قال رسول الله ﷺ: «لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين». رواه أبوداود عن عائشة^(١).

* قال رسول الله ﷺ: «لا نذر إلا فيما يُتَنَى به وجه الله، ولا يمين في قطيعة رحم». أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص^(٢).

* قال رسول الله ﷺ: «لا نذر في معصية، ولا فيما لا يملك ابن آدم». أخرجه النسائي عن عمران بن حصين^(٣).

❑ غنى النفس ❑

* قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس». أخرجه الشيخان عن أبي هريرة^(٤).

* قال ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه، فذلك أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم». أخرجه الشيخان عن أبي هريرة^(٥).

* سمع عليٌّ رضي الله عنه رجلاً يسأل الناس يوم عرفة فقال له «أفي هذا اليوم، وفي هذا المكان، تسأل من غير الله»، وخفقه بالدرة. أخرجه رزين.



(١) أخرجه أبوداود (٣٢٩٠)، وصححه الألباني. (س).

(٢) أخرجه أبوداود (٣٢٧٣)، وحسنه الألباني. (س).

(٣) أخرجه النسائي (٣٨٥٠)، وصححه الألباني. (س).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١). (س).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٩٠) ومسلم (٢٩٦٣). (س).

الشعر في الإسلام

* قال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر حكمة». أخرجه البخاري عن أبي بن كعب^(١).

* كان النبي ﷺ يضع لِحْسانَ ﷺ منبراً في المسجد يقوم عليه يفاخر، أو ينافح، عن رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ يقول: «إن الله يؤيد حسناً بروح القدس ما نافع، أو فاخر، عن رسول الله ﷺ». أخرجه أبوداود عن عائشة^(٢).

* قال الشريد: ردتُ رسول الله ﷺ يوماً فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم. قال: «هيه!» فأنشدته بيتاً. فقال: «هيه». ثم أنشدته بيتاً. فقال: «هيه». حتى أنشدته مائة بيت. أخرجه مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه^(٣).



العام الهجري الجديد ١٣٥٢

إذا لم يَلُحْ يا عامٌ بدرك باليُمْنِ	فلا سَلَّتِ الدنيا سِلاحَكَ من جَفْنِ
أتاني فتلقى المسلمين أذلةً	إذا ما شكوا ضيقاً أحيلوا إلى غبنِ
أتاني فتلفيهم ترائاً موزعاً	عليهم فجأجُ الأرض أضيّق من سجنِ

(١) أخرجه البخاري (٦١٤٥). (س).

(٢) أخرجه أبوداود (٥٠١٥)، وصححه الألباني. (س).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٥٥). (س).

يعاملهم من كان أكبرَ همهم
 فيحملهم طورا على ترك دينهم
 غدوا عونَه لَمَّا تنكر بعضهم
 إذا شئتَ نَقَبَ في البلاد فهل ترى
 وقد صار حُبُّ الذات فيهم غريزة
 به قُطِعَتْ أدنى العلاقات بينهم
 يكابد جارى ما يكابد وحده
 فإن جاء دوري بعد ذاك وأصبحت
 غريبين مهما قرب الدين بيننا
 عصانا قد انشقت فما ذا يعيدها
 سوى سيرة الهادي نجدد ذكرها
 وتطلع في داجي القنوط مضيئةً
 فيا أيها المرضى وفيها شفاؤكم
 فلا تنشدوا في صيدلية غيرها
 وموضعها منكم قريب وإنما
 كفها سنة أن تشمل الهجرة التي
 هي الدرس في الصبر الجميل على الأذى
 تحمّل طه الضرّ في نفع أمة
 تحمّل في أعوامه العشر شدة
 أذاقوه ألوانًا من الشرّ جمّة
 ولما أراد الله إظهار دينه
 فخلّف في الدار الجواد بنفسه

رضاؤهم عنه معاملة القن
 وفي ذاك عن باقي المصائب ما يُغني
 لبعض وكل العار في ذلك العون
 خليطين منهم لم يبيتا على ضغنٍ
 تكاد تجبُّ العطب بين أب وابنٍ
 وماذا وراء الدين من رحم تدنى؟
 ولم ير أو يسمع مجاملةً مني
 مساعدتي لا بد منها نأى عني
 فلا همه همي ولا شأنه شأني
 كسيرتها الأولى مؤدبة الكون
 فتشرق في تلك الدمامة بالحسن
 وتنهل في جذب الأمانتي بالمزن
 أتبقون مختارين في المرضى المضني
 دواء ينقى القلب من دَرَن الجبن
 عَمى القلب قد نَحَاكُم لا عَمى العين
 بها أصبح الإسلام مرتفع الركن
 إذا كان من يُؤدّي رضا ربه يعني
 غدت من هداه الحق خالية الذهن
 ترُدّ جلايد الصخور إلى عهن
 فيمسي بلون ثم يصبح في لون
 بهجرته وافاه جبريل بالإذن
 عليًا يُفدّيه بها غير ممتنّ

وسار مع الصديق أكرم صاحب
 فيا غار ثور كان أفقك مشرقاً
 فحدث عن السر الذي قد كتمته
 وعن موقف فيه أبو بكر ارتقى
 على نمط الصديق في بذل روحه
 إلى كل ما يُبغي طريق مُوصل
 فلما ضننا بدد الله شملنا
 فواحرّ قلبي من تصوّر حلة
 أليس من المعقول أدرك عزة
 نعم هو في الإمكان لو أن قادة
 إلى قصده والله صاحب الاثنين
 لبدر مَحَا ما في البرية من دجن
 وعن يدك الطولى على الإنسان والجِن
 ثنيةً مَجْد لم تُجْز - غير مستثن
 وأمواله باني المكارم فليبين
 وما من طريق للمعالي سوى ذين
 جزاء فذاك الذل من أثر الضن
 هبطنا إليها مسرعين وواحرني
 تولت وما كانت على نية الظعن
 أرونا من الخيم الزكية ما نجني

محمد صادق عرنوس



من حضارة العرب

* قال كوندي الإسباني: استعمل العرب البارود عام ٩٠٦م (٢٨٩هـ)، وهم الذين نقلوه إلى الأندلس، وعنهم أخذه الإفرنج، وهو يعدّ من أكبر منح الحضارة التي كسبها.

* عرب الأندلس أول من صنع المدافع، ولا تزال مدافعهم التي دافعوا بها عن غرناطة محفوظة في أحد متاحف إسبانيا إلى اليوم.

* كان بإشبيلية في عهدها العربي ١٦ ألف دار لصناعة الحرير يشتغل فيها مائة وثلاثون ألف عامل.

* أول من اخترع الساعة الدقاقة عرب المشرق، وعندهم أخذها عرب المغرب والأندلس، وعن هؤلاء أخذها الأوربيون، وكان عرب المشرق يسمونها (الميقاتية)، وسموها المغاربة (المنجانة)، وتجد في الجزء الأول من الحديقة (ص ١٤٨) وصفاً دقيقاً للميقاتية التي كانت عند باب جيرون من أبواب مسجد بني أمية بدمشق بقلم ابن جبير الأندلسي عند رحلته إلى عاصمة الشام. وفي الجزء الثاني (ص ١٢٣) من الحديقة وصف للمنجانة التي كانت في تلمسان بقلم أبي عبد الله التنسي.

* كان عبد الرحمن بن بدر وزير الناصر أمير الأندلس تُكتب السجلات في داره، ثم يطبعها فترسل إلى العمال مطبوعة، وكان ذلك قبل غوتنبيرغ الألماني الذي يعزى إليه اختراع الطباعة.

* قال مسيو لاجير: أخذت فرنسا عن عرب الأندلس العلوم المختلفة وأساليب الزراعة وحفر الترع وشق الخلجان ونظام الري. وإن افتنان الأوربيين اليوم في زروعهم لهو صورة تماثل افتنان الأندلسيين فيها من قبل.

* كان عبد الرحمن الناصر أول من أعدّ حديقة للحيوان، فقد جمع فيها أسراباً من الطير ورسلا من الوحش، وأنشأ بها مراتع للحيوان ومسارح للطير مظلة بالشباك في مدينة الزهراء، كما اتخذ حديقة فيحاء جمعت صنوف النبات وأزواج الزهر.

* أول مدرسة للطب أنشئت في أوربا هي التي أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر في قرطبة، وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم على عهد العرب. بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية في جنوب فرنسا كان الفضل في تأسيسها للعرب.

* أخذ الأسبانيون القافية في صناعة الشعر عن شعراء العرب، ثم وصلت

هذه الصناعة إلى مرسيليا وطولون بواسطة التجار الاسبانيين الذين كانوا يجيئون إلى فرنسا .

* في كنيسة بارس الكبرى بقايا أثر الاقتباس عن البناء العربي ، وقصر مدينة سدنهام بناه الانكليز تقليدًا لقصر الحمراء .

* كان عبد الرحمن الناصر أول من أنشأ في أوروبا دارًا للصناعة تُصنع فيها الأسلحة . ونقل من المشرق إلى المغرب صناعة العاج والأبنوس ومواد التلييس والترصيع والتطعيم بالفضة والذهب والتطريز والوشى ، وكان الصوف والحرير والأجواخ تنسج كلها في مصانع مملكته .



بنو رحم

من قصيدة لشاعر الحجاز السيد أحمد إبراهيم غزاوي

ألقاها بين يدي الملك عبدالعزيز بن سعود يوم وصوله من نجد إلى مكة

أقصى الجنوب لأهل الضاد أوطانُ	إن الجزيرة من أقصى الشمال إلى
بنا الموامي ودسَّ الحقدَ خَوَانُ	لا فرق في الحسَّ والنجوى، وإن شحطت
ولا دمشق سوى صنعا وبغدانُ	فما الرياضُ سوى أم القرى وطناً
وفي المطالب والآمال أخدانُ	ونحن في الدين والفصحى بنو رحم
فإن سائرها لا شك لهفانُ	فإن توحد منها اليوم معظمها
واندكْ دون اتحاد العرب نَهْلانُ	عهدٌ ولو ماد رُضوى أو هوى حَصْن
عزَّ دعائمه عدلٌ وإحسانُ	ونحن بالله نرجو أن يدوم لنا

فلا حياة لنا إلا بنصرته ولن يدل على الإخلاص غير أن



ما المجد لهو وتخريف وشنشة ولا ادعاء وتقريظ وإذعان
المجد سيف وإقدام وتضحية والمجد عدل وإصلاح وعُمران
المجد دين وتوحيد على سنن مضى عليه الألى بالفتح قد بانوا
كانوا ولا شيء من غلّ ومن حسد عوناً على الحق مهما لاح طغيان



يا من أناط الثريا في حمائله ومن تسامت به في المجد عدنان
ما إن رميت ولكنّ الإله رمى فاحفظه يحفظك مهما ضلّ حيران
وإن قومك بالطاعات قد ظفروا فلن يخيفهم في الروح عصيان
لا يذهبون مع الأحلام في سنة ولا تطير بهم في الجور غربان
تلك العزائم في الإسلام بالغة بالله ما شهدت صبياً وجيزان



أموال الفتوح بين أيدي أصحاب رسول الله ﷺ

قال أبو هريرة: قدمت من البحرين بخمسائة ألف درهم فأتيت عمر بن خطاب رضي الله عنه ممسياً فقلت:

يا أمير المؤمنين، اقبض هذا المال.

قال: وكم هو؟

قلت: خمسمائة ألف درهم.

قال: وتدرى كم خمسمائة ألف؟

قال: قلت: نعم مائة ألف، ومائة ألف، خمس مرات.

قال: أنت ناعس، اذهب فبت الليلة حتى تُصبح.

فلما أصبحت أتيتته فقلت: اقض مني هذا المال.

قال: وكم هو؟

قلت: خمسمائة ألف درهم.

قال: أمن طيب هو؟ قال: قلت: لا أعلم إلا ذاك.

فقال عمر رضي الله عنه: أيها الناس إنه قد جاء مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا، وإن شئتم أن نعدَّ لكم عددنا، وإن شئتم أن نزن لكم وزنًا لكم.

فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين دوّن للناس دواوين يُعطون عليها.

فاشتهي عمر ذلك، ففرض للمهاجرين خمسة آلاف خمسة آلاف، وللأنصار ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ولأزواج النبي صلى الله عليه وآله اثني عشر ألفًا. قال: فلما أتى زينب ابنة جحش مالها، ظنت أن هذا نصيب جميع أزواج النبي صلى الله عليه وآله فقالت:

غفر الله لأمر المؤمنين، لقد كان في صواحباتي من هو أقوى على قسمة هذا المال مني.

ف قيل لها: إن هذا كله لك.

فأمرت به فصبَّ، وغطَّته بثوب، ثم قالت لامرأة كانت عندها:

أدخلي يدك لآل فلان وآل فلان.

فلم تزل تعطي لآل فلان وآل فلان، حتى قالت لها التي تدخل يدها:

لا أراك تذكريني، ولي عليك حق!

فقالت: لك ما تحت الثوب!

قال: فكشفت الثوب فإذا ثم خمسة وثمانون درهماً. قال: ثم رفعت يدها فقالت: «اللهم لا يدركني عطاء عمر بن الخطاب بعد عامي هذا أبداً». قال: فكانت رضي الله تعالى عنها أول أزواج النبي لحوقاً به ﷺ.



قال سعيد بن المسيب: لما قُدم على عمر رضي الله تعالى عنه بأخماس فارس قال:

والله لا يُجنُّها سقف دون السماء حتى أقسمها بين الناس.

قال: فأمر بها فوضعت بين صفي المسجد، وأمر عبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن أرقم فباتا عليها، ثم غدا عمر رضي الله تعالى عنه بالناس عليه فأمر بالجلابيب، فكُشفت عنها، فنظر عمر إلى شيء لم تر عيناه مثله من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة، فبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف:

هذا من مواقف الشكر، فما يبكيك؟

فقال: أجل، ولكن الله لم يعط قوما هذا إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء.



وكان لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أربعة آلاف فرس موسومة في سبيل الله تعالى، فإذا كان في عطاء الرجل خفة، أو كان محتاجاً، أعطاه الفرس وقال له:

أن أعيتته أو ضيعته من علف أو شرب فأنت ضامن، وإن قاتلت عليه فأصيب أو أصبت فليس عليك شيء.

قال عمرو بن ميمون الأودي: شهدت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قبل أن يُصاب بثلاث أو أربع واقفاً على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وهو يقول لهما:

لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق.

وكان عثمان عاملاً على شط الفرات، وحذيفة على ما وراء دجلة من جوخي وما سقت. فقال عثمان:

حملت الأرض أمراً هي له مطيقة، ولو شئت لأضعفت أرضي

وقال حذيفة: وضعت عليها أمراً هي له محتملة، وما فيها كثير فضل.

فقال عمر رضي الله عنه: انظروا لا تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن إلى أحد بعدي.

قال: وأوصي عمر رضي الله عنه في وصيته بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، وأن يُقاتل من ورائهم.



قال عامر الشعبي: لما أراد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن يمسح السواد أرسل إلى حذيفة: أن أبعث إليّ بدهقان من جوخي. وبعث إلى عثمان بن حنيف: أن أبعث إليّ بدهقان من قبل العراق. فبعث إليه كل واحد منهما بواحد، ومعه ترجمان من أهل الحيرة

فلما قدموا على عمر رضي الله تعالى عنه قال:

كيف كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم؟

قالوا: سبعة وعشرين درهما.

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لا أرضى بهذا منكم.

ووضع على كل جريب عامر أو غامر يناله الماء قفيزاً من حنطه، أو قفيزاً من شعير ودرهماً، فمسحوا على ذلك، فكانت مساحتهما مختلفة. كان عثمان عالماً

بالخراج فمسحها مساحة الديباج، وأما حذيفة فكان أهل جوخي قومًا مناكير
 فلعبوا به في مساحته، وكان جوخي يومئذ عامرة، فخربت بعد ذلك، وغارت
 مياهها، وقلّت منافعها، وصارت وظيفتها يومئذ هينة لما كانوا عملوا على
 حذيفة في مساحته.



من كلام بنيامين فرانكلين

- * المال ليس لمن يجمعه، بل لمن يحسن التصرف فيه.
- * لا تعجل في اختيار الصديق، ولا تعجل في الازورار عنه.
- * يمتحن الذهب بالنار، والمرأة بالذهب، والرجل بالمرأة.
- * مثل الغنيّ اللثيم كمثّل الخنزير السمين لا ينتفع منه إلا بعد موته.
- * ليس شجاعًا من يطعن الأسد في قفاه ويهرب من وجه الفأر.



يا فاتح القدس

يا فاتح القدس خلّ السيف ناحية	ليس الصليب حديدًا كان، بل خشبا
فلو نظرت إلى أين انتهت يده	وكيف جاوز في طغيانه القطبا
علمت أن وراء الضعف مقدرة	وأن للحق لا للقوة الغلبا

أحمد شوقي



الإسلام ينتشر بنفسه لأنه يلائم الأوساط على اختلافها

ألقي الأستاذ ادوار مونتيه مدير جامعة جنيف محاضرة قال فيها: إن الإسلام دين سريع الانتشار، ينتشر من تلقاء نفسه، دون أي تشجيع تقدمه له مراكز منظمة، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته.

المسلم شديد الإيمان، وشدة إيمانه تستولي على قلبه وعقله، وهذه ميزة في الإسلام ليست لدين سواه. ولهذا السبب تري المسلم الملتهب إيماناً ييشر بدينه أينما ذهب وأنى حل، وينقل عدوي الإيمان الشديد لكل من يتصل به من الوثنيين.

ولعمري إن للإيمان الإسلامي الشديد أكبر فضل في نشره هذا الانتشار السريع. وفضلا عن الإيمان فالإسلام يتمشي مع الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وله قدرة عجيبة على التكيف بحسب المحيط، وعلى تكيف المحيط حسب ما يقتضيه هذا الدين القوي. ولا شك في أن الإسلام يُعد من أكبر وسائل تمدين الناس وترقية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية.

الإسلام حضارة قائمة بنفسها، رغم انحطاط المسلمين في فترة من الزمن. إلا أنهم الآن يتبهون مرة ثانية وينشرون المدنية والرقى في كل أنحاء العالم. ومسلمو أفريقيا أكبر دليل على ما أقول.

وقد قابل أحد المنصفين بين تأثير الدين الإسلامي في أفريقيا وبين تأثير النصرانية فقال، وهو صادق، إن تأثير الإسلام في السكان مفيد أكثر من تأثير

المسيحية. فالمسيحية ضعفها ظاهر في أفريقيا بينما قوة الإسلام وعظم تأثيره في الحالة الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية ظاهر جلي. وآخر ملاحظاتي هي أن للإسلام قوة اندماج وملاءمة للأوساط الأفريقية والأوساط الراقية والمدنية العالية، ليست هذه المزية لأي دين أو نظام اجتماعي غيره.



تقبيل اليد

* قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه وصديقه أينحني له؟ قال: «لا». قال أفيلزمه ويقبله؟ قال: «لا». قال: أفيأخذه بيده يصافحه؟ قال: «نعم». رواه الترمذي عن أنس وحسنه^(١).

* قال ابن عبد البر: تقبيل اليد إحدى السجدين.



طلاب الوظائف

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سَمرة: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكُلتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنتَ عليها. وإذا حلفت على يمين فرأيتَ غيرها خيراً منها فأتِ الذي هو خيرٌ وكفر عن يمينك»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٢٨)، وحسنه الألباني. (س).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٦) ومسلم (١٦٥٢). (س).

ذكري عام هجري جديد

ضمنت مخايله بشير هلاله
عام تخيم في الديار جماله
الهجرة الكبرى سماح يمينه
أضفى عليه هدى الرسول سوابقا
وقضى له فضل الرسول مهابة
واستن بالتوحيد أقوم سنة
لما أخوه طوى الأسى إداره
يا مرحبا بالبشر في استهلاله
حبوا وليدكم الجديد وكبروا

وجلت مطالعه نفاؤل آله
فعمى الرخاء يكون فيض جماله
وبياض غرتها صلاح شماله
من يمن طلعت وطهر خصاله
من نبل حجته وصدق جلاله
ترك عتي الشرك رهن عقاله
نشر الرجاء المحض في إقباله
مترفقا واليسر في استكماله
في وجهه، وتيمنا بهلاله



يا عصابة الإيمان كبر فيهم
هل جاءكم أن الحياة عزيزة
ما أن تنالوها وإن قرب المدى
لا، بل جهادكم عناء باطل
سفها تريدون الحياة وفيكم
هذا الحمى ما باله في عصركم
والوافدون على طريق ضيوفه
والهاتفون على مثال حماته

صوت البشير تحية استقلاله
قصوى كفرته وبعدي مناله
بسوى الجهاد الحق تحت ظلاله
و الخالفون عليه من قتاله
داء الخلاف ينوشها بعضاله
وثبت ثعالبه على رقباله^(١)
ما شأنهم ماضون في استدلاله
ما ذنبه يلهون باستقلاله

(١) الرئال: اسم من أسامي الأسد.

ألفوا مصانعه المغير فحفَّهم
وأقام منهم مَلْعبا يلهو به
أخذ المغانم في يديه وردها
وأهاب بالأمجاد من أبطالنا
اغنَّوه عن أرق الهموم وأقبلوا
ما حاجة المغتال يتتهك الحمى
هيئات لا المجد الممنع هكذا
عودوا إلى أوكاركم أو فاخجلوا
كان الشباب حُماته في يومه



فتيان مصر وقد دعوت قلوبكم
هبطت عليكم من سوائف مجدكم
حيثًا ترفق في العتاب وتارة
لا أهله النوام يستحيونه
وانفض عنه الأقربون مودة
فونت رواحله الموقفة الخطا
سأل البنين من الخلائف: أيكم
رُدُّوا جواب سؤاله يا فتية الـ
وصلوا جديد ترائكم بقديمه
ما أنتم والفخر بالماضي إذا
إن السيادة ذمة لمحمد
فخذوا سيادتكم عن الوحي الذي

الناجيات من الهوى وضلاله
روح الأسير يمج في أغلاله
نقسوا فتشكوكم شكاة الواله
رفقًا ولا الأيقاظ من عذاله
المنتمون إليه من أشباله
واعتاده عبث الردى برجاله
أنقي دما، وأبر يوم نضاله؟
وادي، فكلكم مراد سؤاله
وابنوا رواسبه على أطلاله
كنتم على الماضي مثال عياله
وشعارها فيكم أذان بلاله
جمع الأذان له قلوب رجاله

أعطاهم في الكون أمرَ مدبرٍ يمضيه بين جنوبه وشماله
فأجابهم من في وهاد سهوله وأطاعهم من في شفاف جباله



أرأيتمُ الجيل المنكر نفسه للنيل فهو المسخ من أجياله
كانت خصائص جنسه ولسانه وفنونه أبدًا حجاب زواله
فالآن أين هو الحجاب وما له يبدي نذير السوء من هلاله
ما للظهور العذب من أخلاقكم يلويكم التقليد عن سلساله
ما للوضئ السمح من آدابكم يلهيكم (التجديد) عن إجلاله
فنيث مواسمكم على يد جيلكم في الذكريات إذا خطرن بباله
فلذا (ربيعكم) الزكي تجارة تحت العقوق بلوح في أسماله
وإذا (محرمكم) وراء (يناير) متعثر الخطوات في أذباله
أزرى بكم يومَ الفخار تنكبُ لمعينكم وتنكر لرؤاله
وسقايةً يردون منها مشرعًا للغرب يرتشفون من أوشاله
لم تستيفوا العذب من مسكوبه وشرقتم بالغمر من هطاله
الغرب فيه الحسنيان ودونها ما دونها من ويله ونكاله
فحذارٍ من منهاجه في لهوه ما كان نصّ حرامه وجلاله
ومن الهوى المنري بفتنة وجده ما راح بين جفائه ووصاله
حسبُ العلى أن يهتدوا بالعلم في ضحوات مطلعة وفي آصاله
كنتم هداةً نواله، ما خطبكم يا أهله صرتم عُفاة نواله؟
إن تكرموا بالخلق حسنَ مآبه تكرمكم الدنيا بحسن مآله

محمد الهياوي



التضحية بالنفس والمال

قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرَي رجل مسلم، ولا يجتمع شَحْ وإيمان في قلب رجل مسلم»^(١).



حفيد خليفة - ينصح خليفة

كان عبد الله بن عبد العزيز العُمري (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموي) يسعى في مكة بين الصفا والمروة، وكان هارون الرشيد أمير ممن شهد الموسم ذلك العام، فأقبل الرشيد بموكبه يسعى، فلما رقى هارون درجات الصفا هتف به ابنُ عمه سليل بني أمية:

يا أمير المؤمنين، أنظر بطرفك إلى البيت.

ولم يكن يومئذ بين البيت والمسعى هذه الجدران القائمة فالتفت أعظم ملوك الدنيا يومئذ إلى جهة الحرم المكي وأجاب مخاطبه قائلاً: قد فعلتُ...

قال العُمري:

كم من الناس ترى؟

قال الرشيد:-

وَمَنْ يحصِيهم إلا الله!

(١) أخرجه أحمد (٨٤٦٠)، وحسنه الألباني. (س).

قال العمري: اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يُسأل في القيامة عن خاصّة نفسه، وأنت وحدك مسئول عن الجميع، فانظر كيف تكون...
فبكى هارون بكاءً مرّاً لم يبك مثله في حياته.



تعرف أحوال الرعية

قال محمد بن طلحة الوزير:

كان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد أخذ نفسه بالتطلع إلى استعلاء بواطن الأمور والرعايا، وسلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك. وكان زياد ابن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك، فنقل عنه أن رجلاً كلمه في حاجة وجعل يتعرّف إليه، ويظن أن زياداً لا يعرفه.
فتبسم زياد وقال له:

أتتعرف إليّ وأنا أعرف منك بنفسك؟ والله إنني لأعرفك وأعرف أباك وأمك، وأعرف هذا البرد الذي عليك وهو لفلان وقد أعارك إياه!

فبهت الرجل. ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم: عبد الملك بن مروان، والحجاج. ولم يسلك أحد بعدهم ذلك إلى أن ولى المنصور فبث في البلاد والنواحي من يكشف حقائق الأمر والرعايا فدانت له الجهات. ولقد ابتلي في أيام خلافته بأقوام لا يبرد شرارهم ولا تردّ أشرارهم، ولولا أن الله أعانه بيقظة لا تهجع، لما ثبت له في الخلافة قدم، ولا رُفِع له مع بعض قصد أولئك القاصدين عَلم.



المرأة

قال رسول الله ﷺ: «لا تستقيم لك المرأة على خليفة واحدة، إنما هي كالضلع أن تُقيمها تكسرهما، وإن تركها تستمتع بها وفيها عوج»^(١).



الحديقة في اليمن

علم أحد أدباء اليمن بأن في جزيرة ميون الواقعة في باب المندب نسخة كاملة من (الحديقة) عند الأديب الفاضل عبد الملك ابن عبد الله ثابت الأصبحي، فطلبها منه، وضمنّ عليه صاحبها بها؛ لأنها أنيسه وسميرة في تلك الجزيرة النائية عن عواصم الأدب، فبعث الأديب اليمني بهذه الأبيات إلى صديقه السيد عبد الملك الأصبحي:

يا سالكا سبل العلوم	وقاصداً كنه الحقيقة
بُشراك قد نلت المنى	بشروق أنوار (الحديقة)
جمعت لبانات الفن	وزهت معانيها الرشيدة
هي سلوة المحزون، بل	هي بغية النفس المشوقة
منع الصديق صديقه	ثمر الجنان بأن يذوقه
ما كان ظني أن يضمن	بها عليّ ولا دقية
انسيت فرط موذتي	أم قد عدلت عن الطريقة

(١) أخرجه أحمد (٩٧٩٤)، وصححه الأرئوط. (س).

ما هكذا كنّا ولا كانت مودّتنا الوثيقة
 عودوا كما كنتم لنا واسمح وجدّ لي بالحديقة!
 ولما رأى السيد عبد الملك أنه أصبح بين أن يفقد صداقة صديقه وهي لا
 تعوّض وبين أن يفارق سميرته أيامًا إلى أن يأتيه غيرها من مصر، أثر أهون
 الخطبين، وبعث إلى مصر في طلب نسخة ثانية من هذه المجموعة الأدبية التي
 لا يغني عنها غيرها.



الشيخوخة

قيل لشيخ من الأعراب: ما بقي منك؟
 فقال: بسبقني من بين يديّ، ويُدركني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكرُ
 القديم، وأنعس في الملا، وأسهر في الخلا. وإذا قمتُ قُرْبَتِ الأرضُ مني،
 وإذا قعدتُ تباعدتُ عني.



الجهاد المحمدي

اليهود يؤثبون الحجاز ونجدًا على الهادي الأعظم ﷺ (١)

لما غدر بنو عامر بسبعين من الصحابة، بعثهم رسول الله ﷺ لينشروا دعوة الإسلام فقتلوهم، كان في سرحهم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، فنجوا من هذا الغدر، وعاد إلى المدينة ليُخبر رسول الله ﷺ بما وقع. وفيما هو في الطريق لقي اثنين من بني عامر كان معهما عهد من النبي ﷺ وجوارٌ لم يعلمه عمرو بن أمية، فقتلتهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره الخبر، فقال له ﷺ: «لقد قتلتَ قتيلين لأدينتهما».

وخرج ﷺ إلى اليهود من بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين، فأحسن اليهود استقباله وقالوا:

نعم يا أبا القاسم، نُعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا:

إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه (ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعداً) فَمَنْ رجلٌ يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، وصعد ليلقي الصخرة، فأعلم الله نبيّه بما يكيد له اليهود، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. ثم بعث إليهم يطلب منهم الخروج من جواره، فأبوا.

(١) يُنظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٩ - ٢٧٦) عن أحداث قصة غزوة الأحزاب، والعبر التي تُستنبط منها. (س).

وكانت هذه الحادثة سبب محاصرة النبي ﷺ ديار بني النضير، وتأديبهم وإجلائهم عن المدينة. فهابته يهود بني قُريظة وعاهدته على أن لا يكون منها له ما يسوؤه.

وفيما كان هذا موقف بني قريظة؛ كان رؤساء الفريق الثاني من اليهود وهم بنو النضير يتآمرون فيما بينهم على بث سموم الفساد في جزيرة العرب، فقر رأيهم على تأليف جيش عظيم من عرب الحجاز وعرب نجد وشراذم اليهود، والإطباق به على المسلمين في المدينة من كل النواحي؛ لاجتثاث شجرة الإسلام من أصولها وإزالة المسلمين جميعاً من الوجود. وقد اشترك في هذه المؤامرة حُيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي.

فذهبوا أولاً إلى صناديد قريش، ودعوهم إلى حرب النبي ﷺ، ووعدوهم بأن يكونوا معهم حتى يستأصلوا المسلمين، وكذبوا على الله، فزعموا لقريش أن دين الأوثان والشرك خير مما يدعو إليه محمد ﷺ من التوحيد والإيمان بموسى وعيسى وبكتب الله واليوم الآخر. فهم كدعاة النصرانية الآن يُفضلون أن ينتقل شباب الإسلام من الإيمان بالله ويوم الدين إلى الإلحاد وجحود الخالق، تعصباً منهم على الإسلام وكرهية ما جاء به من الحق.

ثم خرج اليهود إلى نجد، فاجتمعوا برؤساء غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ، وأخبروهم بما عزمت عليه قريش، ووعدوهم بأن يكونوا معهم.

وأخذت كتائب قريش تنفر للزحف وعلى رأسها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني قزارة، والحارث ابن عوف في بني مرة، ومسرعة بن ربيعة فيمن تابعه من قومه من أشجع.

ولما سمع النبي ﷺ بأن اليهود تُحزَّب الأحزاب عليه، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه ﷺ بنفسه ترغيباً للمسلمين في الأجر، حتى كان الغبار يوارى جلدة بطنه ﷺ. وحدث ذلك في زمن قحط وشدة وفقر، فتحمل فيه المسلمون من الجوع والتعب ما لا يتحملة إلا أصحاب الإيمان الصادق. وكانوا يلبثون ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقاً، ويعصبون الأحجار على بطونهم من الجوع. وكانوا يستمدون الصبر من معلم الخير ﷺ، فإذا خارت قواهم ذكَّروهم ﷺ بما وعد الله به المؤمنين، وأكد لهم أن الله سيعطيه مفاتيح الكعبة، وأن قصور الحيرة ومدائن كسرى وصروح الروم تلوح له أنوارها من الخندق، بشارة له من الله بأنها ستُفتح على أصحابه وستأخذ بهدأته.

وطلعت الأحزاب بعد ذلك من آفاق المدينة، فنزلت قريش بأحابيشها ومن تبعها من بني كنانة وأهل تهامة في مجتمع الأسيال بين الجرف وزغابة، وكان عددها عشرة آلاف، ونزلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نقي إلى جانب أحد، وكان عددهم ألفاً كثيرة، وجاء حُيي بن أخطب إلى حصن بني قريظة، فراود رئيسها كعب بن أسد القرظي، وما زال به حتى نقض عهده لرسول الله ﷺ، ومزَّق الصحيفة التي كان فيها العهد، وانضم إلى الأحزاب.

فأرسل إليهم النبي ﷺ سيدي الأوس والخزرج: سعد بن معاذ وسعد بن عباد، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير، فوجدوهم مصممين على الخيانة والغدر، وكان بنو قريظة حلفاء الخزرج، فاجتهد سيد الخزرج سعد بن معاذ في تحذيرهم ونصحهم، فأغلظوا عليه. وحينئذ عاد الوفد فنقل إلى النبي ﷺ ما رأى.

وتنقَّع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن خيانة بني قريظة، فاضطجع، ومكث طويلاً. فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع؛ وعرفوا

أنه لم يأتِه عن بني قريظة خير. ثم إنه رفع رأسه وقال: «أبشروا بفتح الله ونصره!».

فلما أن أصبحوا دنا المشركون من المدينة، وكان بينهم وبين المسلمين رمي بالنبل والحجارة، فكان رسول الله ﷺ يقول «اللهم إني أسألك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد».

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ على المسلمين الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنَّ المؤمنون كل ظن.

ونجم قرن النفاق، فقال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!

وحتى قال أوس بن قيثي:

يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو (وذلك على ملأ من رجال قومه) فائذن لنا أن نرجع إلى دارنا خارج المدينة.

أقام رسول الله ﷺ مرابطاً، وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة؛ فلما اشتد على المسلمين الأمر أرسل النبي ﷺ إلى قائدي غطفان - عيينة بن حصن والحارث بن عوف - يفاوضهما في صلح منفرد، على قاعدة أن تنسحب غطفان من الأحزاب ولها في مقابل ذلك ثلث ثمار المدينة.، وكتبوا مسودة كتاب الصلح على ذلك. وقبل إمضاء الكتاب والشهادة عليه، وقبل وقوع عزيمة الصلح دعا النبي ﷺ سيدي الأنصار - سعد ابن معاذ وسعد بن عباد، وذكر لهما ما فاض عليه قائدي غطفان، فقالا له:

أمرًا تحبه فتصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟

فقال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيتُ العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردتُ أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما.

فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً؛ أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَّا بك وبه نعطيتهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيتهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبي ﷺ: أنت وذاك.

فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال:
ليجهدوا علينا!

ثم أقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين.



وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة، وأخذوا بكل ناحية، ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة، فقاتلوهم يوماً إلى الليل، فلما حانت صلاة العصر، دنت الكتيبة فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا، فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «شغلونا عن صلاة العصر، ملأ الله بطونهم وقبورهم ناراً».

فلما اشتد البلاء: نافق ناس كثير، وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: «والذي نفسي بيده ليفرَّجن عنكم ما ترون من الشدة، وإنِّي لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق

آمنًا، وأن يدفع الله إليّ مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

ولما بلغت الشدة مبلغها، قال الصحابة: يا رسول الله، هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: «نعم، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»، وأتى النبي ﷺ مسجد الأحزاب فوضع رداءه، وقام ورفع يديه مدًا يدعو عليهم، فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم». وكان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده».

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.



ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت.

فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فَخَذَلْ عَنَا إِنْ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُحْدَعُ».

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديما في الجاهلية - فقال:

يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد ببلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدُهم ونساؤهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهضة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم. فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تنجزوه.

قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشًا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش:

قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا. وإنه قد بلغني أمر قد رأيتُ عليَّ حقًا أن أبلغكموه، نصحًا لكم، فاكنتموا عني.

قالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال:

يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني.

قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال: فاكتموا عني.

قالوا: نفعل.

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

وفي السبت من شوال سنة خمس كان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم:

إننا لسنا بدار مُقام، هلك الخف والحافر، فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابهم ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان:

والله إن الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحقّ.

فأرسلوا إلى بني قريظة: إننا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فكانت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم.

فأرسلوا إلى قريش وغطفان:

إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً .

فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البر، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آيتهم .



قال حذيفة بن اليمان:

وفيما نحن صاقون قعود، وأبو سفيان ومن معه فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد بردًا ولا أشد ريحًا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق، وفي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم ويتسللون، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك .

وكان رسول الله ﷺ قد انتهى إليه ما اختلف من أمر أعدائه، وما فرق الله من جمعهم، وما فعله نعيم بن مسعود؛ فقام ﷺ يصلي هويًا من الليل .

ثم استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً وهو يقول: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة» .

فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يقم أحد دعاني، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون، ولا تذعرهم عليّ، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا» .

قال حذيفة: فمضيت كأنما أمشي في حَمَام، حتى أتيتهم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقرّ لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء . فإذا أبو سفيان يُصلي ظهره

بالنار. فوضعتُ سهمًا في كبد قوسي وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول النبي ﷺ: «لا تُدعِهم علي»، ولو رميته لأصبت. ثم قام أبو سفيان فقال:

يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه!

قال حذيفة: فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت:

من أنت؟

قال: فلان ابن فلان.

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون. ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل.

ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي «لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني» لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت كأنما أمشي في حَمَام، فأتيت رسول الله ﷺ، فأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله ﷺ أنني تركتهم يرتحلون، وأبسنني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نومان»!

فلما رحلت قريش ورحلت بعدهم غطفان وانصرف أهل الخندق عن الخندق، قال رسول الله ﷺ: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم، ولكنكم تغزونهم»، فكان ﷺ يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة.

ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون

ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصلينَّ العصر إلا في بني قريظة».

وقدّم رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ومعه رايته، وابتدروا الناس. فلما رأى عليّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال:

ارجع يا رسول الله، فإن الله كافيك اليهود (وكان عليّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن، فكره أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ).

فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ تأمرني بالرجوع؟» فكتمه ما سمع منهم فقال: أظنك سمعت فيّ منهم أذى، فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت.

فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم، وكانوا في أعلاه، أمر أصحابه أن يستروه بالجُحف، ونادى بأعلى صوته نفراً من أشrafهم، حتى أسمعهم فقال: «يا إخوة القردة والخنازير» (يشير إلى ما اشتهر من وقوع المسخ فيهم ما لم يحفظوا السبت).

فقالوا: يا أبا القاسم لم تكن فحاشاً.

فحاصرهم رسول الله ﷺ، ونزل على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف في قلوبهم الرعب. وقد كان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد:

يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا بما شئتم منها.

قالوا: وما هن؟

قال: نتابع هذا الرجل ونصدقّه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبيّ مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون به على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم عليّ هذه، فهلم فلنقتل أبنائنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء.

قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟

قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فالليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: أنفسد سبتنا ونُحدث فيه ما لم يُحدث فيه من كان قبلنا، إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ!

فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمة ليلة من الدهر حازماً!

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابه ابن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف (وكانوا حلفاء الأوس)، نستشيره في أمرنا.

فأرسله رسول الله ﷺ. فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم، وقالوا:

يا أبا لبابه، أترى أن نزل على حكم محمد؟

فلما طرق هذا السؤال سمع أبي لبابة، جال فكره فيما يحيط به من ظروف، فذكر ما يجب على المستشار من صدق المشورة لمن يستشير، وذكر أن بني قريظة كانوا حلفاء قومه، ونظر إلى ما فيه صغارهم ونساؤهم من كرب وذل، ولم يخف عليه مع ذلك أنهم أعداء محاربون كادوا للإسلام، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وانضموا إلى أعدائه بلا سبب. فصدرت من لسانه كلمة «نعم» جواباً على سؤالهم. لأنه يعلم أن النزول على حكم النبي ﷺ لا يكون معه إلا ما يرضي الله. وذكر أن نزولهم على حكمه ﷺ تصحبه العقوبة العادلة التي تليق بأمثالهم، فأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح!

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال:

لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت.

وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. وأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أقام مرتبطاً ست ليال تأتبه امرأته في وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلي، ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرِفُوا يُذَوِّبِهِمْ فَخَطُّوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ثم أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم سلمة، فجعل يبتسم، فسألته أم سلمة، فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة، فاستأذنته أن تبشره فأذن لها، فخرجت فبشرته، فثار الناس إليه يبشرونه، وأرادوا أن يحلوه من رباطه فقال:

والله لا يحلني منه إلا رسول الله ﷺ.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر، حله من رباطه، ﷺ وأرضاه.
ولما أصبح اليهود بعد اجتماعهم بأبي لبابة، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ،
فتواثبت الأوس فقالوا:

يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا
بالأمس ما قد علمت (يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن
أبي)، فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأوس، ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل
منكم؟».

قالوا: بلى.

قال: فذلك إلى سعد بن معاذ.

وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها
رفيدة في مسجده، وكانت تداوي الجرحى، فلما حكمه في بني قريظة، أتاه قومه
فحملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم
أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون:

يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد لا تأخذه في الله لومة لائم.

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال
بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعد
إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم».

فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك
لتحكم فيهم.

فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟
قالوا: نعم.

قال: وعلى من هاهنا؟ (في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له).

فقال رسول الله ﷺ: «نعم».

قال سعد: فإني أحكم فيهم أن يُقتل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء.

فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله».

ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك.

فانفجر كلُّهم، وكان قد بريء، حتى لا يرى منه إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فو الذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

قال علقمة: فقلت يا أمه، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟

قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته.

ثم استنزل بنو قريظة، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث - امرأة من بني النجار-، ثم خرج ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق.

وأتي بحبي بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، ولما نظر إلى رسول الله ﷺ قال:

أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل.
ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل.

ثم جلس، فضربت عنقه، فقال جبل بن جوال الثعلبي:
لعمرك ما لأم ابنُ أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذل



التجديد في الأدب

التجديد في الأدب إنما يكون من طريقتين:
فأما واحدة؛ فإبداع الأديب الحي في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان.
وأما الأخرى؛ فإبداع الحي في آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة، وأساليب الفن الجديدة.
وفي الإبداع الأول إيجاد ما لم يوجد، وفي الثاني إتمام ما لم يتم.
فلا جرم كانت فيهما معًا حقيقة التجديد بكل معانيها؛ ولا تجديد إلا من ثمة، فلا جديد إلا مع القديم.

الرافعي



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثاني عشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.
وبعد؛ فإن التيسير من الله دليل الرضا، وقد لقيتُ من تيسير الله ﷻ في جمع
هذه المجموعة، ونشر أجزاءها، وإقبال القراء عليها في جميع الأقطار العربية
والأوطان الإسلامية، ما أوجب عليّ حمده على هذه النعمة، مضافة إلى سائر
نعمه التي لا نستطيع إحصاءها، وأن أدناها منا هذه الأنفاس التي نحيا بها،
فالحمد لله أولاً وآخراً وفي كل حال.

غرة رجب ١٣٥٣

محب الدين الخطيب



عمر بن عبد العزيز عجزت أمم الأرض أن تجيء بمثله^(١)

كان عمر بن عبد العزيز - قبل ولايته الخلافة - يتألم من انصراف بعض قادة الأمة إلى نزعات الهوى، ويقول:

الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف - (أخو الحجاج) - باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، ويزيد بن أبي مسلم بالمغرب، امتلأت الأرض والله جوراً!

فلما آلت إليه الخلافة كان أول ما بدأ به عهده - بعد دفن الخليفة سليمان بن عبد الملك - المبادرة إلى إصلاح القيادة، فدعا بدواة وقرطاس عقب دفن سليمان، فكتب ثلاثة كتب لم يسعه فيما بينه وبين الله ﷻ أن يؤخرها لحظة، وأمضاها من فوره، والناس في عجب من كتابته إياها في تلك الساعة، فجعلوا يقولون:

ما هذه العجلة؟ أما كان يصبر حتى يرجع إلى منزله؟ هذا حب السلطان! هذا الذي يقول إنه كاره لما دخل فيه ..

(١) كان من نصيب مؤلف «الحديقة» أن يكون أول ناشر لسيرة خليفة الله على عباده في أرضه: عمر بن عبد العزيز، فنشر قبل نحو ربع قرن سيرته التي ألفها المرشد الناصح الكبير أبو الفرج بن الجوزي. ثم نشر صديقنا الأديب الضليع السيد أحمد عبيد الدمشقي «سيرة عمر»، التي ألفها الإمام الكبير ابن عبد الحكم تلميذ إمام دار الهجرة مالك بن أنس. وقد تأخرنا في اقتطاف شيء من هذه السيرة العظيمة في أجزاء الحديقة السابقة، فتذكرنا هذا الواجب الآن عندما نشر صديقنا الأستاذ إبراهيم حسن محمد خطاب مقالة عنه في السنة الخامسة من «مجلة الشبان المسلمين».

ولم يكن بعمر عجلة، ولا محبة لما صار إليه، ولكنه حاسب نفسه، ورأى أن تأخير ذلك ساعة مضر بالرعية، وربما أهدر ظلم الولاة دماء بريئة، أو ربما أضاعوا في تلك الساعة على الناس شيئاً كثيراً من الحقوق.

أما كتابه الأول؛ فكان لمسلمة بن عبد الملك، يأمره بالعودة وفك الحصار عن القسطنطينية، وقد كان أخوه -سليمان بن عبد الملك- أمره بغزوها برأ وبجرًا، وأوشك على فتحها، ثم خدع حتى أحرز المحاصرون طعامهم وحوائجهم ثم أغلقوها دونه، فبلغ ذلك الخليفة سليمان، فغضب عليه، وحلف ألا يعيده منها ما دام حيًا، فاشتد على جيش المسلمين المقام هناك من الجهد والجوع، فلما ولي عمر رأي أن لا يؤخرهم ساعة.

وأما الكتاب الثاني؛ فكان بعزل أسامة بن زيد عن ولاية مصر، وأمر به أن يُحبس ويُقيد، ويُحل عنه القيد عند كل صلاة، ثم يُرد في القيد، وكان أسامة ظالمًا غاشمًا مسرفًا في العقوبات، فحبس بمصر سنة، ثم نُقل إلى فلسطين فحبس بها سنة، ثم مات عمر وولي يزيد بن عبد الملك، فأطلقه ورده إلى ولاية مصر!

وأما الكتاب الثالث؛ فكان بعزل يزيد بن أبي مسلم عن المغرب، وكان جبارًا يأمر القوم فيكونوا بين يديه يُعذبون وهو يقول: سبحان الله والحمد لله، شد يا غلام موضع كذا وكذا (لبعض مواضع العذاب)، فكانت حالته موجهة للمبادرة بعزله؛ إراحة لخلق الله من شره..

كتب كتبه الثلاثة، ثم عاد فقربت إليه ركائب الخلافة، فقال لغلامه مزاحم: ضم هذه الركائب إلى بيت مال المسلمين.

وفعل كذلك بالسرادقات وبالفرش وبالوطاء وبالطيب حين قدموها إليه، ولم يشأ أن يقيم في دار الخلافة -وكانت تسمى (الخضراء)-، وتقع باتصال حائط

القبلة من مسجد بني أمية، وتمتد إلى سوق السلاح والبزورية، ويدخل فيها من الأماكن القائمة الآن قصر أسعد باشا العظم والبقايبية، والمصبغة التي لا تزال تدعى إلى الآن باسم (الخضراء)، فعدل عن دار الخلافة هذه إلى دار صغيرة متصلة بالحائط الشمالي من مسجد بني أمية، وهي التي أقيم عليها فيما بعد مدرسة الشميصاتية.

وخطب الناس على منبر مسجد بني أمية في دمشق عقب ولايته، فكان مما يقوله في خطبه:

أيها الناس، ليس بعد نبيكم نبي، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليكم كتاب؛ فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة.

ألا إني لست بقاضٍ وإنما أنا مُنفذ، ولست بمبتدعٍ ولكني متبع، لست بخيركم وإنما أنا رجل منكم إلا أنني أثقلكم حملاً.

يا أيها الناس، إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم.

أيها الناس، الحقوا ببلادكم فإنني أنساكم عندي وأذكركم ببلادكم، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم، ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له علي.

ألا لا سلامة لأمري في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصياً، ألا وأن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم.

إنه لحبيب إليّ أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ولا قوة إلا بالله.

أيها الناس، عليكم بتقوى الله، فإن تقوى الله، خلف من كل شيء.

وقد كان قبلي ولاية تشترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم .
أيها الناس، إني لست بخازن، ولكني أضع الشيء حيث أمرت، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .
وكان من عادة الخليفة الجديد أن يأمر عند ولايته بصرف عطاء عظيم للجند وأمرأ البيت المالك، فكان ما أمر به عمر للأمراء يسيرًا جدًا، لا يساوي ما يعطى عادة لغلمانهم .

فلما رأى وزراء الخليفة الماضي سليمان ما جنح إليه الخليفة الجديد من التقشف والزهد، عقدوا اجتماعًا تذكروا فيه هذا الأمر، وقالوا: أما الركائب والسرادات والحجر والشوار والوطاء فليس فيه رجاء بعد، وبقيت الجواري نعرضهن عليه، فعسى أن يكون ما تريدون فيهن، فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده .

فأتي بالجواري، فُعرضن عليه كأمثال الدمى، فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة:

من أنتِ؟ ومن أين أتيتِ؟

فتخبره بقصتها، فيأمر بردها إلى أهلها، فحُملن إلى بلادهن، ولم يؤخر منهن واحدة . فلما رأى الوزراء ذلك يشؤوا منه، وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق . .

ثم احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يدخل عليه أحد، ووجوه بني أمية وأشراف العرب وأمراء الأجناد ببابه ينتظرونه، فلما خرج إليهم، قام الناس بين يديه كعادتهم في إجلال الخلفاء قبله، فقال لهم:

يا معشر الناس، إن تقوموا نقم، وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب

العالمين. إن الله فرض فرائض وسننًا، فمن أخذ بها لحق، ومن تركها محق، فمن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس:

يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته، ويدلنا من العدل إلى ما لا نهتدي إليه، ويكون عونًا لنا على الحق، ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس، ولا يغتب عندنا أحدًا. ومن لم يفعل فهو في حرج من صحبتنا والدخول علينا.

ثم أمر الحرس إذا خرج إليهم أن لا يقوموا له، وقال لهم:

لا تبدؤوني بالسلام، إنما السلام علينا لكم.

ثم بدأ يتفرغ لتدبير شؤون الدولة، لا يؤخر عمل اليوم للغد، حتى أرهق نفسه وأضر بصحته. فقال له بعض إخوته:

يا أمير المؤمنين، هلا ركبت فتروحت؟

قال: فمن يجزئ عني عمل ذلك اليوم؟

قال: تجزئه من الغد.

قال: فدحنى عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع عليّ عمل يومين؟!

قيل له: فإن سليمان قد كان يركب ويتعش ويجزئ عمله.

قال عمر: ولا يوم واحد من الدنيا ما أجزأه سليمان.

ثم بدأ هذا الخليفة العظيم برد المظالم إلى أهلها، فأول ما بدأ به الخروج من ماله، فرده في مال المسلمين، وخرق سجلات مزارعه، حتى انتهى إلى مزرعة خبير، فسأل عنها من أين كانت لأبيه؟ قيل له:

إنها كانت في نخل رسول الله ﷺ، فتركها رسول الله ﷺ فينا للمسلمين، ثم صارت إلى مروان، فأعطاها مروان أباك.

فخرق عمر سجلها، وقال: أتركها حيث تركها رسول الله ﷺ، ولم يُبق إلا مزرعة السويداء؛ لأنها كما قال ﷺ: (ما من شيء إلا رددته في مال المسلمين إلا العين التي بالسويداء). فإنها كانت أرض براح ليس فيها لأحد ضربة سوط، فأصلحتها من صُلب عطائي الذي يُجمع لي مع جماعة المسلمين). وكانت تلك المزرعة تنتج من المحصول ما يقدر ثمنه بمائتي دينار في السنة، يخرج زكاتها ويتصدق ببعض الباقي، ثم يعطي ما بقي للذي يقوم على نفقة أهله، ويقول له:

خذ هذا الذهب فأنفقه على عيالنا إلى أن يخرج لي عطائي مع المسلمين، أو يقضي الله قبل ذلك.

وبعد أن بدأ بنفسه ونزل عن أملاكه للمسلمين تحول إلى المظالم يردها، ولبني أمية يستخلص منهم كل ما ملكوه بغير حق، ويقتر عليهم في العطاء.

كان الوليد بن عبد الملك قد أقطع ابناً له يقال له (روح) حوانيت بحمص، فلما ولي عمر بن عبد العزيز جاءه نفر من أهل حمص يطالبون روحاً بالحوانيت، وأقاموا البيعة، فقال لروح:

خل لهم حوانيتهم؟

فقال: ولكن هي معي بسجل الوليد.

قال عمر: وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم؟

قد قامت لهم البيعة عليها، خل لهم حوانيتهم.

فلما خرج روح تواعد أحدهم، فرجع الحمصي إلى عمر، فقال:

هو يتوعدني يا أمير المؤمنين.

فقال عمر لكعب بن حامد (رئيس حرسه):

أخرج إليه، فإن سلم الحوانيت فذلك، وإن لم يفعل فأتني برأسه، فبادر بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد، فحذره من الذي أمر به عمر.

وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر قبل وفاته بعشرين ألف دينار لعنبة بن سعيد بن العاص، فدارت الورقة في الدواوين، حتى انتهت إلى ديوان الختم، فلم يبق إلا قبضها، فتوفي سليمان قبل أن يقبضها عنبة، وكان عنبة صديقاً لعمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، فلما جاء يريد التكلم معه فيما أمر له بن سليمان، وجد بني أمية حضوراً بالباب يريدون مقابلته ليكلموه في أمورهم، فلما رأوا عنبة قالوا: ننظر ما يصنع معه قبل أن نكلمه، ثم قالوا لعنبة:

أعلم أمير المؤمنين بوجودنا، وأعلمنا ما يصنع في مسألتك، فدخل عنبة، فقال: يا أمير المؤمنين: إن أمير المؤمنين سليمان كان قد أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضتها، فتوفي على ذلك، وأمير المؤمنين أولى بإتمام الصنعة، وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان.

فقال له عمر: كم ذلك؟

قال: عشرون ألف دينار.

فقال عمر: عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين، وأدفعها إلى رجل واحد! ما لي إلى ذلك من سبيل.

قال عنبة: فخرجت فأعلمت بني أمية بما كان منه، فقالوا لي: ادخل عليه أعلمه بأننا نعتب عليه أن يعث إلينا بعشرة آلاف دينار، فما خص الواحد منا فيها سوى عشرة دنائير.

وقال يزيد بن عبد الملك - (ولي العهد) - وكان حاضراً معهم:

كأنه يظن أنني لا أكون من بعده!

فدخل عنبة وأخبره بمقالهم، فقال:

أجل لقد قسمتها فيهم والله، وقد ندمت عليها أن لا أكون منعهم منها، فكانت كافية أربعة آلاف بيت من المسلمين، فخرج عنبة وأعلمهم بخبره، ثم قال لهم:

يا بني أمية زوجتم صاحبكم - (يقصد أباه عبد العزيز بن مروان) - بنت عمر بن الخطاب، فجاءتكم بعمر ملفوفاً في ثيابه، فلا تلوموا إلا أنفسكم.

ولقد بلغ الأمر بعمر بن عبد العزيز في الضن بمال المسلمين أن ينفق إلا على المسلمين، أو ما ينفع المسلمين أنه اكتفى من اللباس بثوب واحد.

ولقد حدث مرة أنه أبطأ عن الجمعة قليلاً، فعوتب في ذلك، فقال: إنما انتظرت قميصي وقد غسلته أن يجف.

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه، فقال لفاطمة زوجة عمر وهي أخت مسلمة:

ألا تغسلون قميصه؟

قالت: والله ما له غيره، وإن غسلناه بقي لا قميص له.

وأتاه رجل بتفاحات فأبى أن يقبلها، فقليل له:

كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية.

فقال عمر: هي لرسول الله ﷺ هدية، وهي لنا رشوة، ودخل عليه ابن أبي زكريا، فقال:

يا أمير المؤمنين إنني أريد أن أكلمك بشيء؟

قال: قل.

قال: بلغني أنك ترزق العامل من عمالك (أي ولاية الأمصار وأمراء الأقطار) ثلاثمائة دينار؟

قال: نعم، قال: ولم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة.

قال: فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك.

فأخرج ذراعه، وقال: يا ابن أبي زكريا، إن هذا نبت من الفياء (الخراج والغنيمة) ولست معيّدًا إليه منه شيئًا.

وقال لزوجته -فاطمة بنت عبد الملك-: قد علمت حال هذه الجواهر (حليها)، وما صنع فيه أبوك، ومن أين أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت، ثم أطبع عليه، وأجعله في أقصى بيت مال المسلمين، وأنفق ما أردته، فإن احتجت إليه أنفقه، وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنه إليك.

قالت له: افعل ما شئت.

ففعل، ولكنه مات ولم يصل إليه، فردّه عليها أخوها الخليفة يزيد بن عبد الملك، فامتنعت عن أخذه، فقسمه بين نسائه ونساء بيته.



شمم العرب

دخل عمارة بن حمزة على أمير المؤمنين -المنصور- وقعد في مجلسه وكان ذا عزة وثروة ونفس أبيّة، فقام رجل وقال:

مظلوم يا أمير المؤمنين.

قال: من ظلمك؟

قال: عمارة بن حمزة غصبي ضيعتي.

فقال المنصور: يا عمارة قم فاقعد مع خصمك.

فقال: يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فلست أنازعها فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أنزل عن مقام شرفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة.



الدين

حق العلاء لأنفس طهرت	عنها تناءى الفحش والفند
لبست دثار العلم وادرعت	بالدين، فهو لمجدها عمد
فالدين لولاه لما انقطعت	عن عقل هذا العالم العقد
ولما استقام لأمرهم عوج	ولما أقيم لميلهم أود
ولأنجدوا بعلوهم غطش ^(١)	ولأنهموا بجنوهم الرشد

مصطفى الغلاييني



(١) ظلام.

نكبة فلسطين

في حمى الحق، ومن حول (الحرم)
 فزع (القدس) وضجت (مكة)
 ومضى الظلم خليًا ناعمًا
 يأخذ الأرواح ما يعصمها
 ويرى الناس إذا أعجبه
 بعثته شهوة وحشية
 ما تبالي إن مضت ويلاتها
 أهون الأشياء في شرعتها
 هي من روح الدهاقين الألى
 أنقذوا العالم من أرجائه
 فإذا الدنيا جمال يُجتنى
 زينوها قصة ناعقة
 كشف التجريب عن سواتها
 أمة تؤذى، وشعب يُهتضم
 وبكت (يثرب) من فرط الألم
 يسحب البُردين من نار ودم
 معقل الحق إذا ما تعصم
 أن يبيدوا كأقاطيع البهم
 تنلظى مثل أجواف الأطم
 ما أصابت من شعوب وأمم
 أمة تُمحي، وشعب يُلتهم
 نشروا النور، وطاحوا بالظلم
 للأوالي من قبور ورمم
 وإذا العيش سلام يُفتنم
 زنت الناس مكروه الصمم
 ومضت عارية ما تحتشم



أفسدوا العالم مما عبثوا
 نفض الأرسان، واستن العمى
 سلبوه العقل مما عربدو
 الحياة البغي، والدين الهوى
 زمن تصدق إن سَمّيته
 بالذاتير القدامى والنظم
 فهو يمضي جامعًا، أو يرتطم
 وسقوه من خيال ولمم
 والضعيف الخصم، والسيف الحكم
 زمن (الطاغوت) أو عصر (الصنم)



هاجها للقوم عهد مضطرم
لو رعوا للضعف حقًا لم يقم
من زعاف حائل في كل فم
ودعى الأسى، فما يغني الندم
حكمة الأقدار، أو عدل القسم
من كفاء غير كشاف الغمم
سودد الغرب، ويحميه (العلم)
واذهبي طامحة في المزدحم
نام، والأحداث يقظى لم تنم



كبدي ما فيك من حزن وهم
مصرع القربى، وأشلاء الرحم
وأخ حر السجايا، وابن عم
وهو حي المز موفور الشمم
بذلوها من سخاء وكرم
واستتب الأمر فيه وانتظم
فهى الأركان فيه والدعم
مرح الخالي، وبشر المبتسم
قضب الهند، وآساد الأجم
ما انتضى العدوان من تلك الهمم
عربيًا، سيم خسفًا وظلم
فهو للذئبين نهب مقتسم

يا (فلسطين) اصطليها نكبة
واشهديه في حماهم مأتما
واشربي كأسك مما عصروا
اذكري يومك في أفيائهم
آية للبغي، من أسمائها
اكشفيها غمة ليس لها
الجهاد الحر يقضي حقه
لا تنامي للعوادي، وادأبي
ليس بالمدرك حقًا غافل

في فوادي جرحك الدامي وفي
كم صريع لك في أشلائه
فجمعوني فيه بابن صالح
(شهداء الحق) ماتوا دونه
واشتروه بنفوس حرة
نهض الملك على أمثالها
إن رسا البنيان يومًا، أو سما
ذهبوا للشرق في مآتمهم
سره أن هب من أبنائه
وانتضى من بين جنبيه الأسى
همم الأحرار تحمي وطنًا
بناعه ذئب لذئب غيلة

تنزع الأرزاق من أبنائه
يرهب القوم، فإن هم غضبوا
أخذتهم للأذى عاصفة
وارتمت هوجاء، ما يردعها
عصفت ظمأى إلى آجالهم
وأراها من تلطي جوفها
تتمنى من تباريح الصدى



(شعب إسرائيل) ما نال الألى
ذكروكم، ونسوا ما عقدوا
اذكروا (بلفور) في (تلمودكم)
واسألوا (موسى) أطابت نفسه
ليس من مال عن الحق كمن
هدم (التيه) قديمًا ملككم
أبت الأرض، فكنتم شعما
فرمى أشتاتكم في وطن
نبثوا الفرقى، وإن لم يسمعوا



(مصر) ناجي من (فلسطين) الربى
وإذا أعوز هم أو أسى
وخذي معنى الأسى عنه، فما
نبثها أننا من وجدها

وابعني صوتك من أعلى (الهرم)
فاستمدي الهم من هذا القلم
لك من معناه إلا ما نظم
نجد العلقم في العذب الشيم

نشككي الليل، ويرمينا الأسى
فكأننا منهما في ملتقى
اختك الولهى عناها شجوها
فزعت تدعوك في محنتها
اذكريني - أدركيني- خففي
هد قومي باسم (موسى) ظالم
زعم (التوراة) من أنصاره
هل رأى (الألواح) فاستهدى بما
أم تلقى الوحي، أم كان امرأة



رب هل قدرت ألا ينجلي
عاث فيه القوم، حتى ما له
اكشف البأساء، وارحم أمما
عمل الناس، فسادوا وعلوا
تحمل الضيم، ولولا أنها
ما لنا من هذه الدنيا سوى
ساءنا من شرها ما نجتوي
فسئمنها حياة مرة
رب أنت العون إن طاف بنا
من يجير القوم إن صبحهم
لا يفرن قوياً جنده

ما أصاب الشرق من خطب عمم؟
حُرمة ترعى، وحق يُحترم
تتلوى من ملال وسام
وهي فوضى، من عبيد وخدم
تحسب الموت حياة لم تضم
غارة العادي، وعسف المحتكم
وعنانا من أذاها ما نذم
ومللناه وجوداً كآلم؟
طائف البغي، وأنت المنتقم
خطب (عاد) و(ثمود) في القدم
قوة صرعى، وجند منهزم

أحمد محرم

من كلام نابليون بونابرت

- * الصداقة كلمة فارغة من المعنى.
- * حيث تكون الحكومة ضعيفة يقبض الجيش على أزمة السلطة.
- * الإنسان المخلوق للأعمال والسلطة لا ينظر أبدًا إلى الأشخاص، بل إلى الأشياء وأهميتها ونتائجها.
- * الأخلاق الحقيقية تظهر دائمًا في الحوادث الكبيرة.



حكم وأمثال

- حسبك من شر سماعه.
- أنفك منك وإن كان أجده، وساعدك منك وإن كان أقطع.
- إذا تم العقل نقص الكلام.
- بجيرانها تغلو الديار وترخص.
- صديقك من صدقك لا من صدقك.
- شبيه الشيء منجذب إليه.
- رب أخ لك لم تلده أمك.
- ذكاء المرء محسوب عليه.
- صغير الشر يوشك أن يكبر.

ربما كان السكوت جوابًا .
 ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .
 ذر مشكل الكلام وإن كان حقًا .
 لسان الجاهل مفتاح حتفه .
 من قال ما لا ينبغي ، سمع ما لا يشتهي .



المروءة شيمة الصحراء

كان فارسٌ من العرب يجتاز على جواده بادية اشتد فيها القيظ ، وتحولت
 رمالها إلى مثل الجمر ، فلقي في طريقه رجلاً يمشي على قدميه ، ينتعل تلك
 الرمال المحرقة ، وبعد أن قطع مسافة ترجل الفارس ، ودعا الرجل الماشي إلى
 ركوب الجواد ليستريح جسمه من التعب الذي ألم به ، وكان الماشي لصًا من
 لصوص الخيل ، فما تمكن من ظهر الجواد حتى عدا به لا يلوي على شيء ،
 فناداه صاحب الجواد وقال له :

لقد وهبتك الجواد ، فلن أسأل عنه بعد اليوم ، ولكنني أطلب منك أن تكتم
 هذا الأمر عن الناس ؛ لئلا يتشرب بين قبائل العرب فلا يغيث القوي الضعيف ،
 ولا يرق الراكب للماشي ، فتزول المروءة من هذه الصحراء ، فيزول بها أجمل ما
 فيها .

فلما سمع اللص هذا القول استحي ، وأعاد الجواد إلى صاحبه ، ولم يرض
 أن يكون أول داع إلى القضاء على المروءة بين العرب .

سياسة الطب في العصر العباسي

قال ابن ماسويه -رئيس (بيت الحكمة) الذي أنشأه الخليفة المأمون- :
 الحقيقة في الطب غاية لا تدرك، والعلاج بما تنصه الكتب دون أعمال
 الحكيم الماهر رأيه خطر.
 ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة، ويرجيه بها، وإن كان غير واثق
 بذلك؛ فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.
 من ساءل في مرضه كثيرًا من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم.
 إذا لم يشاهد الطبيب مزاج المريض في حال صحته، لم يعرف قوة مرضه من
 ضعفه، ولا جرى في علاجه على ما ينبغي.
 ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في حال صحته ومواضع آماله، ثم
 يصوروا له، ويرجوه فيها وينشطوه إليها.
 إن استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.



كنت أحسب فوجدت

كنت أحسب أن الأشخاص ينجحون في حياتهم على أساس من الفضل
 والعلم، فوجدت أن هناك أشياء أخرى ألزم للرفي، وهي أبعد ما تكون عن
 الفضل والعلم!

وكنت أحسب أن الوفاء بين المتعلمين، فوجدت أن اتساع رقعة المطاعم
 لديهم لا تمكن للوفاء، ولا تمهد للعطف!

وكنت أحسب المروءة بين القادرين من ذوي الغنى والجاه، فوجدت المروءة بينهم تمثل دور السلع والدراهم بين طائفة التجار.

فمن عجز عن أن يكون ذا يد فلا أمل له في يد تُبسط لمعونه!

أكثر الناس قولاً أقلهم فعلاً وأعجزهم عن القيام بالعمل العظيم!

وكنت أحسب الكذب والنفاق والغش من صفات الجاهلين، فوجدت أن هذه وغيرها ملك شائع يتناول منه الناس على اختلاف مشاربهم، وألا شأن لغير النفوس في الاقتصاد منها والغلو فيها، وأن في رأى أبي نواس بعض الصدق حين يقول:

لا ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر!

وهكذا ولجئ الحياة، وسرت في موكبها، فتغير كثير مما قر في النفس الساذجة. وما الحياة إلا مجموعة من الحوادث مثلها الناس أنفسهم، ويستفيد منها كل امرئ بمقدار من استعداده ودرجة تفكيره، ذلك ما يسمونه تجارب الزمان.

عبد الوكيل جابر



من كلام ابن المقفع

إن العاقل لا يخفى فضله وإن هو أخفاه، كالمسك الذي يُكتم ثم لا يمنع ذلك من النشر الطيب، والأرج الفائح.

لا يزال الإنسان مستمراً في إقباله ما لم يعثر، فإذا عثر لج العثار، وإن مشى في جدد من الأرض.

قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجتريء عليك.



الباقى

قال ورقة بن نوفل:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم	أنا النذير فلا يفرركم أحدُ
لا تعبدن إلهاً غير خالقكم	فإن دعيتم فقولوا دونه حدُ
سبحان ذي العرش، لا شيء يعادله	رب البرية فرد واحد صمدُ
مسخر كل ما تحت السماء له	لا ينبغي أن بناوي ملكه أحدُ
لم تُغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ دان الشعوب له	والجن والإنس تجري بينها البرُدُ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودى المال والولدُ



الأزمة في زمن هشام

دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك في زمن ضائقة عم الناس وبالها، فقال له:

يا أمير المؤمنين أنت علينا ثلاثة أعوام: فعام أذاب الشحم، وعام أكل اللحم، وعام انتقى العظم، وعندكم فضول أموال، فإن تكن لله فبثوها في عباد

الله، وإن تكن للناس فلم تحجب عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها، إن الله يحب المتصدقين.

قال هشام:

هل من حاجة غير هذه يا أعرابي؟

قال: ما ضربت إليك أكباد الإبل: أدرع الهجير، وأخوض الدجى، لخاص دون عام.

فأمر هشام بأموال فرقت في الناس تخفيفاً لضائقهم، وأمر للأعرابي بمال فرقه في قومه.



الدعاء

من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشيع، ودعاء لا يسمع»^(١).

كان من دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه: (اللهم متعنا بخيارنا، وأعنا على شرارنا، واجعلنا خيراً كلنا).

مر عمر بن عبد العزيز برجل يُسبح بالحصى، فقال له عمر: ألق الحصى وأخلص الدعاء.

قال سعيد بن المسيب: مر بي صلة بن أشيم، فما تمالكت أن نهضت إليه، فقلت له: يا أبا الصهباء ادع الله لي، فقال: رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) - بنحوه - .

يفنى؛ ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفس إلا إليه، ولا تُعول في الدين إلا عليه.

قال قوم ليزيد بن أسد:

أطال الله بقاءك، فقال لهم: دعوني أمت وفي بقية تبكون بها علي.

سمع رجل بمكة رجلاً يدعو لأمه، فقال له:

ما بال أهلك؟

قال: هو رجل يحتال لنفسه!

قال غيلان:

إذا أرت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب.



إلى النفس الأمانة

ولكن قد فعلت كما اشتهيت

فأنت عليك يا نفسي جنيت

سعت في المنكرات كما سميت

رايتك أنت صاحبة السكيت

ولا يا فجارٍ فقد هويت

نهيتك عن هواك فما انتهيت

فيا نفسي عن الشهوات كفي

وما أمانة بالسوء يوماً

إذا ما حلبة الحسنات جاءت

فإن أسدى الإله عليك عفواً

الرصافي



أمير المؤمنين وعمته

دخلت أم عمر بنت مروان على ابن أخيها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين أتيت لحاجة، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي. قال: وما ذاك يا عمة؟

قالت: لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا؟ قال: لو كان عندي لفعلت.

قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبد الملك بن مروان يجري عليّ كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم كان أخوك سليمان فزادني، ثم وليت أنت فقطعته عني.

قال: يا عمة، كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذلك المال لي فأعطيك، ولكنني أعطيك مالي إن شئت.

قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: مائتا دينار.

قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟

قال: فليس أملك غيره.

فانصرفت.



لا أعود إلى مثلها

دخل زيان بن عبد العزيز على أمير المؤمنين -عمر بن عبد العزيز- فشكا له
عمر وقال:

قل نومي هذه الليلة، فاتهمت عشاء تعشيت به.

فقال: وما هو؟

فقال: عدس وبصل.

فقال زيان: لقد وسع الله عليك، وتضيق على نفسك!

فقال عمر: أطلعتك على سري فوجدتك غاشاً غير ناصح، أما والله لا أعود
إلى مثلها أبداً.



يا شباب الله!

إله يا دهر تأن	وارو للمستضعفين
في خشوع كيف كنا	تاج رأس العالمين
صف لنا كيف استطعنا	أن نسوس الأرض حيناً
وابكنا أو فابك عنا	واذرف الدمع السخيـنا
حدّث الأغرار منا	كيف ربانا محمد
هل روى التاريخ عنا	غير أفضال وسوؤ
لم نكن يوماً لعاماً	نرهق العالم ظلماً

إنما كنا كراماً	نملأ الآفاق سلماً
قد ملكنا الأرض حيناً	فأحلناها سلاماً
مذ تخذنا العدل ديناً	وجعلناه الإماماً
ما لنا يا دهر ضعنا	في ميادين الحياة
ومن الموت جزعنا	وهو للضارع جاه
ما لنا يا دهر أمسى	شأننا شأن الينامى
نشتكي الآلام همساً	ونرى الجهر حمماً
أثخنونا بالجراح	ثم قالوا لا تصيحوا
إن في هذا الصباح	يعض ما يبغى الجريحُ
ويحنا ماذا دهانا	فاستكنا للرزايا
ويلنا ماذا عرانا	فاستجبنا للدنايا
يا شباب الله! هيا	نُحيي مجد المسلمين
نجرع الموت شهياً	أو نُرى في الظافرين

أحمد حسن الباقوري



معرض الأفكار

قد أسكت عن بعض الحق، ولكني لا أقول ما ليس بحق.

يسرني رضا الأمة، أكثر من إقبال الدولة.

محمد الخضر حسين

شر الأفكار الدخيلة أخفاها دخولاً، كما أن أكبر الأعداء أخفاهم معاداة.

شيخ الإسلام مصطفى صبري أفندي

كلما أظهر المسلم عواطفه نحو المسلم أقام الغرب القيامة بدعوى أن ذلك هو التعصب الديني، وهو عارف تأثيره على مطامعه الاستعمارية. وعندي أن هذا التعصب الديني الذي بدأ الأغرار ينفضون منه أيديهم هو أول ما يجب علينا احترامه، سواء أغضب الغرب أم أرضاه.

سعيد أبو بكر التونسي



وطن وعشيرة

الله أكبر!

هذا هو الوطن الإسلامي العظيم يجمع الأخوة، ويقرب العشيرة على ما بينها من بعد الدار وشط المزار.

وهذا هو الروح الإسلامي القوي يسري في القلوب فيحركها بالود، ويعطفها بالحب، وأن أوثق القربين قرب القليين.

وهذه كلمة التوحيد تنفذ إلى أعماق السرائر فتجمع الموحدين إلى غاية واحدة، وتنصبهم إلى قبلة واحدة، وتحشدتهم تحت لواء واحد وهو لواء القرآن، وترويه من معين واحد وهو معين الإيمان.

وهؤلاء المسلمون يستيقظون، فإذا هم كعهدهم القديم، إخوة في الله، أعزة بالله، أحبة في ذات الله، لا تحدهم حدود الأرض، ولا تصدهم عقبات

الطريق، ولا تفرقهم فوارق الأمم، ولا تعبد بينهم مآرب الطامعين، ولا تعبت بهم أهواء المتغلبين.

ولسوف يرى الراؤون هذا الدين المبين، وقد ورف ظله على بقاع الدنيا، وضمت أواصره أشتات الإنسان، وانتظمت مبادئه مناخي العالم، لأنه دين الفطرة السليمة، ودين التفكير الحر، ودين المنطق الواضح، ودين المدنية البريئة، ودين الفضيلة المهذبة، ودين الإخاء الشامل الصريح.

الإسلام والعروبة لزيمان لا يفترقان ولو كره المنافقون، حياة أحدهما مرتنة بحياة صاحبه: لا بقاء للإسلام إلا بالعروبة، ولا بقاء للعروبة إلا بالإسلام؛ هما كجناحي الطائر إذا هبض أحدهما انخفض الآخر، فالقرآن وهو الوحي الإلهي بالدين الإسلامي، لا يبين إلا بالعروبة، ولا يذيع إلا بالعروبة، ولا تنكشف أسرارها إلا بالعروبة، ولا ينفذ تأثيره إلا بالعروبة وكل من سوى العرب من المسلمين فهو محسوب بإسلامه على العرب، والعرب جميعًا محسوبون بحياتهم على الإسلام، فهو ملاك قوتهم، ومعقد عزتهم، ومناط وجودهم، ومنار مستقبلهم؛ فإذا ضاع إسلامهم أكلتهم الأمم، ثم هضمتهم خلقًا آخر: لا ميت ولا هو حي، ولا هو شرقي، ولا هو غربي ولا هو شعب ولا هو أمة، بل هو شتيت من الخلق، دخيل منبوذ.

وهذا الشتيت المنبوذ لا يزال يتضع قلة وذلة حتى يفنى فناء لا رجعة منه إلى يوم البعث والنشور، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

وأصحابنا الذين ينبذون العروبة إنما يهاجمون الإسلام من باب الخلفي، لأنهم يشعرون أن يهاجموه من الأمام.

كانوا يهاجمون الإسلام عن طريق العيث الوضيع في كتاب الله، والبهتان القبيح على رسول الله ﷺ، فلما صاح المسلمون في وجوههم صيحة أفقدتهم

كيانهم، هاجموا عن طريق العرب والعروبة، فأنكروا على مصر نسبها العربي، وأنكروا على العروبة أدبها العربي، ونوهوا للناس بالأدب الدخيل ليشغلهم عن الأدب الأصيل، وفتنوا الصبية والشبان بأسماء طائفة من أبطال الفرنج، وسُواس الفرنج، وكتاب الفرنج، وشعراء الفرنج -فتنهم بهؤلاء جميعًا عن أعلام العرب والإسلام الذين غيروا رقعة الأرض، ودكوا معالم الظلم، ورفعوا دعائم العمل، وشرعوا مناهج الحكمة، وأجروا مناهل الأدب، وطهروا جوانب الحياة، حتى لقد أصبح نشء العرب المحدثين يعلمون الخفي المستور عن إحدى خليلات نابليون، ولا يعلمون الجلي المشهور عن خديجة أم المؤمنين- بل لقد شغلهم بمعبودات اليونان والرومان والفراعنة من إله الحب، إلى إله الحرب، إلى إله الطب، إلى أشباه هذا الهذر، وهذا السخف شغلهم عن إله السماء والأرض، وعما أرسل إلى الناس من نور، وما أنزل عليهم من كتاب.

هذا هو الباب الخلفي -باب العروبة؛ وأدب العروبة- يكسره أعداء الإسلام ليصلوا منه إلى صميم قلب الإسلام، وهو والله أوفى بالقصد وأبلغ بالغرض مما يقوم به جهلة المبشرين فهل يستيقظ العرب؟ وهل ينتبه المسلمون؟

هذه زفرة جاشت بالصدر، وعبرة سالت على القلم حين علمت أن المجاهدين من أبناء الأفغان، وأحفاد المجاهدين الأولين من أبطال العرب والإسلام؛ قد ذكروا أخاهم بالخير في سبيل العرب والإسلام، ولم لا يكون أهل الأفغان أغير الناس على العرب وأرعاهم على الإسلام؟

أليسوا هم سلالة الرعيل الأول من حماة الدين الذين سالت دماؤهم الزكية على بطاح مرو وكابل وقندهار؟ هؤلاء هم الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وأدوا أمانة الله حق أدائها، ونزحوا في سبيل الله خالصين مخلصين، إلى الطرف الأقصى من ديار الإسلام، وكان الله ورسوله أحب إليهم من أبنائهم،

وأزواجهم، وعشائهم، وأوطانهم وأموالهم، وهنالك في أرض الهجرة دافعوا
الأهوال، واحتملوا الأثقال وصابروا وصبروا، وقتلوا وقتلوا حتى ظفروا
بإحدى الحسينين، ورحم الله هؤلاء الذين قال فيهم يزيد بن مفرغ:

كم بالجروم وأرض الهند من قُرم ومن سرايل قتلى ليتهم قُبروا
بقندهار ومن تُكتب منيته بقندهار يرجم دونه الخبرُ
وروى الله تراب من يقول:

ليالي مرو الشاهجان وشمّلنا جميع سقاك الله صوب عبادِ
سرقناك من ريب الزمان وصرفه وعين النوى مكحولة برقادِ
تنبه صرف الدهر فاستحدث النوى وصبرنا شتى بكل بلادِ
بارك الله في الأفغان وأهلها، ورفع إلى أعلى الدرجات روح فقيدها
وشهيدها، ورد عنها بغى الباغين وكيد الكائدين.

وعلى ذكر الإسلام يحزنني - والله - ألا يكون للمسلمين صحيفة جامعة تُذيع
آلامهم وآمالهم، وتبث شكواهم ونجواهم، وتؤكد ألفتهم وإخاءهم وتشر
الدراسة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وترد كيد المبشرين وسخف الملحدين،
وتنشر الدعاية الإسلامية في أرجاء العالمين، كل ذلك بينا تجد لليهود والنصارى
من ذلك النوع أشتاتًا من الصحف وأكبر همها أن تنشر المقالة السيئة عن
الإسلام والمسلمين.

فهل تنشيء جماعة الدفاع عن الإسلام هذه الصحيفة؟ إني والله كبير الأمل
في عميدها الكبير وأعضائها الأوفياء للإسلام.



من كلام المهلب

أناة في عواقبها فوت، أحب إليّ من عجلة في عواقبها ظفر.
 لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه، أحب إلي من أن أرى لسانه فضلاً
 على عقله.
 وقال لبنيه: أحسن ثيابكم ما كان على غيركم، وخير دوابكم ما كان تحت
 رجالكم.
 وقيل له: بم نلت هذا الظفر؟ فقال بطاعة الرأي، وعصيان الهوى.



قوة العرب المعطلة

ما ذل الشرق وانقطعت صلته بينبوع قوته، ومادة حياته؛ إلا يوم جهل
 الناطقون بالضاد قدر أنفسهم، ونسوا رسالتهم العلوية التي كانوا بها ملح
 الأرض؛ فرفعوا يدهم عن دفة السفينة، وتعطلت ألبابهم عن هداية القافلة؛
 وهنالك استعجم الإسلام.

ولا تعود إلى الشرق قوته وحياته، إلا إذا عاد إلى اغتراف إيمانه المحمدي
 من ينبوعه الأول، من بين الصخور التي انفجرت عن معينه، وصفق عليها
 برحيقه السلسل؛ ولا يكون ذلك إلا إذا اشتركت في حمل مشعله سواعد
 العرب، وسمع في حذاء قافلته صوت أبناء العرب.

بالإسلام يلم الشرق شعثه، ويستعيد قوته، وتنمو فيه أخلاق الرجولة،
 ويتأهل لمشاركة الأمم في حمل عبء الحضارة، واحتلال المحل الشريف من

صف القيادة، وإذا دبت في الإسلام روح الحياة، فعاد إلى ما كان عليه من صفاء وبهاء وصراحة في عصر السعادة وفي أيام التابعين، فستجد فيه الإنسانية دواءها من أوصابها، وسيتقي به البشر طغيان القوميات الذي يتمخص بمذبحة جهنمية تحترق بها الأرض، وإذا بقيت منها بقية بعد الحرب المقبلة فستسعد لشر منها، وإذا أبطأ على الناس شر القوميات وملاحمها فسيكتسحهم وباء الشوعية الذي يتغلغل في أحشاء الأمم وتقاومه الأمم بالعصبيات الحقودة الباغية؛ وهكذا يستشفي الناس من داء بداء، ما لم يهتدوا إلى الإسلام ويستشفوا به، وكيف يهتدون إلى الإسلام، والمسلمون واقفون في طريقه يصدون الأمم عنه بمخازيهم وجرائمهم وضعفهم ونفاقهم وشحهم وحسدهم وشحنائهم، وكذبهم على الإسلام بأنهم أهله ودعائه...

تجربة جربها آباؤنا مرة يوم باعوا نفوسهم للهداية المحمدية، ووقفوا عليها مداركهم وأفئدتهم وسواعدهم ونقودهم وأسلحتهم، وسروا على ضوئها إلى مقاصدهم، ورجعوا إلى ميزانها في تقدير الأمور، فنجحت تلك التجربة النجاح كله، وما لبثوا أن رأوا النفوس التي باعوها لله - وكانت نفوس رجال من عامة الناس - عادت إليهم وهي نفوس ملوك، ورأوا مداركهم التي وقفوها في سبيل الله صارت من أغزر ينابيع الحكمة، وأفئدتهم التي عمروها بالإيمان بالله أهلتهم لاقتحام العقبات واختراق الآفاق، وسواعدهم التي حملوا بها ألوية الإسلام إلى أمم الأرض تقدمت أمم الأرض لمصافحتها ومسالمتها، ونقودهم التي بذلوها لإعلاء كلمة الحق عوضهم الله منها كنوز كسرى وقيصر، وأسلحتهم التي جردوها لنصرة اليقين غدت ملاذ العز وعنوان الفوز ونقمة الله على الظالمين.

وبينما كان أبائنا يجربون افتتاح كنوز السعادة بمفتاح الإيمان المحمدي، كان الدهر يجرب مواهبهم، وقيس طول باعهم، ويسبر غور أخلاقهم، إذا انطوت أفئدتهم على ذلك الكثر؛ فوجدهم أمة ضربت الرقم القياسي في الحكمة والحكم، وفي الفراسة والفروسية، وفي الرفق وحسن الارتفاق، ووقف الحكيم الفرنسي (غوستاف لوبون) يراقب بعض ما استطاع أن يراقبه من تصرفاتهم في أدوار التاريخ، فهتف بملء فيه يقول: (ما عرفت الإنسانية فاتحاً أحكم ولا أعدل من العرب).

تركوا وراءهم في آفاق الأندلس من بدائع الفن، وآيات العمران، وآثار الحضارة، ما يشهد لهم بأنهم أدق الأمم حساً، وألطفهم ذوقاً، وأبعدهم نظراً، وأقلهم غطرسة ودعوى.

تركوا وراءهم في مكتبة الإنسانية معارف، في كل ضرب من ضروب الحكمة والتفكير والعلم، عجزت جهالة أعدائهم من التتار والصليبيين والإسبانيين عن تبديدها في مياه دجلة ونيران طرابلس والقدس ومحاكم التفتيش، فبقيت من بقاياها آثاره لا تزال مطابع المستشرقين في أوروبا، وهمم الشرقيين في الهند وإيران وبلاد العرب، تجد في نشر الألوف منها في أكثر من مائة عام، وكل ما نشر منها لا يساوي قطرة من بحر علم العرب الذي لا يزال مطوياً في مخطوطات دور الكتب الشرقية والغربية، مما عرفه الناس ومما لم يسمعوا به.

وتركوا وراءهم هداية لو تجرد الغرب من تعصبه الأعمى للكنيسة وأخذ بهداية الإسلام لشفاه الله من كل أمراضه، ولتمتع بالسعادة التي يبحث عنها في الظلام ولا يجدها، بل لو تجردنا نحن أحفاد العرب من جهالتنا الكسيحة، وانصرفنا عن قشور تلك الهداية إلى لبابها، ووطنا النفوس على العمل بقواعدها، وعملنا

على إحياء تكاليفها الاجتماعية التي لا تكون الأمة أمة إلا بها؛ لظهرت حقيقة الإسلام في سيرتنا وسيرتنا، وتجلت محاسنه في أعمالنا ومعاملاتنا؛ ويومئذ نكون حجة للإسلام لا عليه، ومبشرين به لا منفيرين عنه، وقبل أن ينتفع الإسلام بنا ذبوعًا وانتشارًا، ننتفع نحن به تقدمًا واعتلاءً، هنالك تعرف الأمم الإسلام بنا، وتعرفنا بالإسلام؛ وهنالك تُقبل شعوب الأرض على الإيمان به، أمة بعد أمة؛ كما يُقبل الأفراد الآن على الدخول فيه واحدًا بعد واحد.

في أعناقنا نحن العرب جريمة إعراض أمم الأرض عن معرفة هداية الإسلام، وفي أعناقنا نحن العرب جريمة خذلاننا وضعفنا واستخذائنا لكثير من أمم الأرض، حتى اليهود، وما دام ناشئ الفتیان منا ينشأ على حب الشهوات، والظن بأن الإسلام دين لا فائدة له في سعادة الدنيا، ويجهل نفسه بأنه من سلالة أمة اختصها الله بالرسالة إلى الإنسانية لو أهلت نفسها لأدائها لتغيرت الأرض بذلك غير الأرض؛ ما دام ناشئ الفتیان منا ينشأ على ذلك فبطن الأرض أولى له من ظهرها.

نحن العرب نصلح لأن نكون خير الأمم أو شر الأمم، أما التوسط بين ذاك وهذا فلم يقع في دور من أدوار التاريخ.

نكون في سبات عميق، وفي غفلة تأخذ علينا السبل؛ فإذا استيقظنا قفزنا قفزتنا من سمت القدم إلى سمت الرأس، وأصبحنا ملح الأرض، وتاج الإنسانية، وقادة الدنيا.

ولكن كيف نستيقظ؟ ومن الذي يوقظنا؟

كنت في يأس أغالط نفسي فيه لأسعد بالأمل، كنت أعلم أن اليقظة يجب أن تكون في مصر، وأن دعائها يجب أن يكونوا من مصر، ولكن كلما قلت كلمة (عرب) فهم القراء في مصر أن المعنى بهذه الكلمة غيرهم، وأن العربي لا يكون

إلا أعرابياً حافي القدمين، فلما قرأت في أسبوع واحد كلمة الأديب الكبير الأستاذ الشيخ عبد الله عفيفي التي عنوانها (وطن وعشيرة).

وقد اقتطفت باقة منها في هذا الجزء من «الحديقة»، وقرأت فقرات من محاضرة الأستاذ عبد الرحمن عزام عن (وحدة الثقافة الإسلامية)، ورأيت «جريدة الاستعمار» البريطاني «المورنن بوست» في جزع من أن تعرف مصر أنها عربية فتهد لإيقاظ العرب؛ تحول حينئذ يأسى الذي كنت أغالط نفسي فيه إلى أمل كنت أعال نفسي به، ولكن الغطيط أعظم من أن يؤثر فيه صرير قلم كاتب واحد، ونبرات صوت خطيب واحد، ولا بد من إفراغ هذا الإيمان في قلوب رجال آخرين من أهل الاستعداد للخير، ممن لم تكن لهم سابقة في الالحاد والتفرنج وحب الشهوات، فعن هؤلاء يجب أن نبث وفي قلوب هؤلاء يجب أن نبث هذا الإيمان، ثم يهتف المؤذنون بصوت واحد بحي على الفلاح، حتى يستيقظ الناطقون بالضاد جميعاً ويعرفوا طريقهم، ويهبوا لأداء رسالتهم في العالمين.

محـب الدين الخطيب



العربية المصرية

لما كان مهرجان شاعر العربية الأكبر أحمد شوقي رَحِمَهُ اللهُ في شوال سنة ١٣٤٥ هـ وجئت (القاهرة) الحاضرة اللغوية للأمم العربية، كيما أجهـر بكلمتي في ذلك اليوم المشهود، استهللتها بهذا القول:

(ليست دار العربية رمال الدهناء، أو هضبات نجد أو الحجاز، أو إقليم الشام، أو أرض العراق، بل دارها كل مكان ينطق بالضاد أهله، ويتلو فيه كتاب

محمد -صلوات الله عليه- قراؤه. وأقوى القوم عربية -بل العرب العرباء- أعرفهم بأدب العربية، فأهل مصر إذن هم القبيل المقدم في العربية، وهم سادات العرب).

وهذا التاريخ المصري، وهذي أحاديثه؛ وهذه الإسلامية المشرقة في مصر، وهذه العربية المنورة في مصر؛ وتلكم الأيادي البيض، وتلكم الآثار: وهذه المساعي في هذا الزمان تقول لي: صدقت صدقت!

فقد ساندت مصر العاملين في إعزاز العربية وإعلائها يوم كانوا يعملون، وقد حمت مصر هذه العربية حين لا أناة ضيم، ولا حماة يحمون:

حملت مصر دونهم هيكل الدين وروح البيان من فرقانه
وإن كانت إنما وقت عربيتها، وحمت إسلاميتها، إذ الإسلامية والعربية
والمصرية كلمات في هذا الوجود مترادفات.

وما يجادل في عربية المصرية، ومصرية العربية؛ إلا كافر بالشرعية الكونية،
وإلا محترق محتقد على هذه الإسلامية، وإلا ناشيء أضلته على علم (وهو
غافل) هذه المدرسة الغربية، وإلا وغد سمسار باع الشرف الغالي رخيصاً في
سوق العلوج والفرنج والحكومات الأجنبية، وإلا غبي جاهل، ولهذا يقال:

قد اطلعت على سري وإعلاني فاذهب لشأنك ليس الجهل من شأني^(١)

وإن مصرياً يجهد أن ينسلخ من عربيته لطالب في الدنيا محالاً، ولن يكون
مرغبه إلا من بعد أن يفارق نحلته وينسى لغته، ويضمحل أدبه؛ ويفنى مجده في
ثلاثة عشر عصرًا، ويمحي حسبه؛ فكون مراده بعدمه، ولن يكون هذا إلا ألا
يكون هو:

(١) مسلم بن الوليد.

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار^(١)
 وإذا ذكرنا العربية، فإنما نعني هذه العبقريّة ذات التعاجيب المحمدية، وهذه
 القوة الخلقية، وهذه المقاصد القرآنية، وهذه الآداب الإلهية، وتلك الحضارة
 والمدنية.

هذه هي العربية، وأن أظل وهن، وإن جاء ضيم فالقوة في النفوس ما بادت،
 والعزة في غد، وإن درج أهلها الأولون أنشد المصريين المنشدون:

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد^(٢)
 وإن قال عربي متم إلى العربية، ما معه من العربية شيء: لست بعربي، فليس
 لمصري أن يقول مقالته، ويضل وارثه العربية، وإن لم يكن المصري هو العربي،
 فليت شعري من يكون العربي، وإن لم تكن مصر دار العربية فأين (يا قوم) في
 الدنيا دارها؟!.

وإن قال زعيم نبط بالمصرية: لست في شيء من العربية. قالت له المصرية:
 ولست في شيء من المصرية؛ أنكر العربية. فأنكرته المصرية.

وأنت زعيم نبط في آل هاشم كما نبط خلف الراكب القدح الفرد^(٣)
 إذا لم يكن المصري هو العربي فهل العربي هو المغربي أو العراقي أو
 الشام^(٤) أو الحجازي أو النجدي أو اليماني^(٥) أو ذلك البدوي أو
 ذلك الأعرابي؟

(١) التهامي.

(٢) المتنبّي.

(٣) حسان.

(٤) من النسبة إلى ذلك الإقليم.

(٥) نسبة إلى اليمن.

هل ذهب كل هؤلاء بمنقبة العربية وقعد المصري حجرة^(١)؛ العربية حجرة^(٢) عليه؟

إن العربية لن تنكر بنيتها كبروا أو حقروا، نأوا في الدار أو قربوا، قل عديدهم أو كثروا، فكلهم بنوها، ولكن يُحزننها ويُغضبها عقوق في بنيتها، وأقرب الأبناء إلى الآباء ابن في الدنيا بر.

وليست العربية بالعزوة، ليست العربية نسبة، ولكنها عقيدة ونحلة وملة، ولكنها خليقة وأدب ولغة. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

ليست العربية نسبة، ولكنها جامعة تُؤلف بين القلوب، وفيها الحرية؛ وليست كمثّل جامعة غريبة، لأهلها ضجيج وعجيج ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِيْ أَغْنَاهِمَا﴾.

فالعربي هو ذلك المتمدن المتحضر المهذب المثقف، المتعلم العالم العزيز الأبّي الناطق بلسانها، وليس بعرب (خُراب بادية، غرث بطونهم^(٣)) ولا قراضيب^(٤) (في الجزيرة) ولا مدلفقون^(٥).

وأنف من أخي لأبي وأمي إذا ما لم أجده من الكرام^(٦)

(١) ناحية.

(٢) مثلثة، حرام

(٣) المتنبّي. والخارب اللص، وخصه الأصمعي بسارق البعران، قال المعري:

في البدو خُراب أزواد مسومة

إلى آخر البيت.

(٤) القراضيب: اللصوص، والقروضوب أيضا الغفير.

(٥) الادلفاف: المجيء للسرقة في ختل واستتار.

(٦) المتنبّي.

ولي في خطبة قِدَمًا: (ألا إننا كلنا أجمعين عرب، وإنه ليحق هذا لهجة عربية الهجنا منذ الدهر الأقدم بها، وأدب عربي نجعنا به^(١)، وتروينا منه، وخلق عربي اشتملنا عليه^(٢)، وما الأمة إلا لغتها وأدبها وخلقها.

وكفى بذلك جامعًا؛ وإن النسب الواشح، ما النسب الواشح إلا زائدة، ولو عزا العازي كل أمة لتشظت وراحت أممًا).

وهو قول لم يلاق مكذبًا ولم يجد أحد عنه متعقبًا^(٣)

وإن هذه العربية أم العلم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وربة التفكير: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وزعيمة البحث والنظر: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

إن هذه العربية العالمية المفكرة الباحثة الناضرة - لن تقول لمصري من أبنائها - وهناك في وادي النيل ما هنالك، وهناك التاريخ الناطق، وهناك مجد باسق، فلن تقول له، وما قال من قبلُ عمرها^(٤): طُلُس وطُرُس^(٥)، بل تقول: مَجْد

(١) غدينا به.

(٢) الزمخشري: من المجاز: عجت من حاله واشتماله على أخلاق جميلة.

(٣) متفحصًا: يعني أنه من السداد والصحة بحيث لا يحتاج إلى تعقب.

(٤) سيدنا أبو عبد الله، عمرو بن العاص، الصحابي العربي المصري، رضي الله عنه، قال رسول الله صلوات الله عليه: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص». عن عامر بن عقبة. رواه الترمذي.

(٥) قال الأساس: طلست الكتاب تطليسا، وهو أن تمحوه لتفسد خطه. فإذا أنعمت محوه وصيرته من الفضول التي يُستغنى عنها، وصيرته طرسًا فقد طرسته. ومحا اللوح بالطلاسة، وهي الخرقة.

وقَدِّسْ؛ إنك قد سكنت جنتين، وكنت ذا المنقبتين، وكانت دارك مصدر المدنية، وموئل العربية:

قد جمعت العز من أطرافه سودد المصري، ومجد العربي^(١)
مصر مصدر العلم والمدنية، مصر موئل العرب والعربية.
مصر، حيا الله مصر، حيا الله ربها.

بيت المقدس، ٢٤ رمضان / ١٣٥٢

محمد إسعاف النشاشيبي



محاكمة مسلم أندلسي أمام محكمة التفتيش

قُبِضَ في بلاد البرتغال على مسلم من بقايا مسلمي الأندلس، وسيق إلى المحاكم أمام محكمة التفتيش المؤلفة من أجباز الكنيسة، ورجال دين المحبة والرحمة والسلام، وكان ثبات ذلك الرجل أمام هيئة المحكمة مما دعا إلى زيادة عنايتهم به، والمبالغة في تعذيبه.

جيء بذلك الرجل أمام المحكمة، فقال رئيس المحكمة لجنود التفتيش:

ضعوا الحديد في أصابعه الآن وقدموه إلينا.

فجيء بذلك المسكين أمام المحكمة، وقد أعياه الألم، وما لبث أن سقط مغشياً عليه، فقال الرئيس:

(١) من مهيّار.

أوقفوه .

فأجاب أحد الحراس :

إنه لا يقوى على الوقوف .

فقال رئيس المحكمة :

إذن فضعوه في التابوت فإنه يقف فيه .

فوضعوه في صندوق مربع فيه مسامير من الداخل ، فاضطر المعذب أن يقف رغم ما به من إعياء وضعف ، ثم رفعوا الكمامة التي كانت على فمه ليتمكن من الإجابة على الأسئلة ، وعندها تنفس المسكين الصعداء طويلاً . فوجه إليه الرئيس الأسئلة الآتية ، وكان يجيب عليها كما ترى :

قال الرئيس :

ما اسمك ؟

أنا مسلم مغربي .

كلا ، بل أذكر اسمك المسيحي الجديد .

صموئيل فرناندس .

إن صموئيل هذا اسم يهودي .

لقد كان المسيح يهودياً أيضاً .

قل صدقاً : كم عمرك ؟

ثلاث وثلاثون سنة مثل عمر المسيح .

إذن أنت مستعد للتضحية ؟

بإذن الله .

أَتَقْبَلُ ذَلِكَ وَأَنْتَ رَاضٍ؟

نعم.

إِذَنْ قُلْ مَنْ هُوَ إِلَهَكَ؟

هُوَ إِلَهُكُمْ نَفْسَهُ.

وَمَا اسْمُهُ؟

اللَّهُ فِي سَمَاءٍ مُلْكُوته.

بَلْ قُلْ مَعِيَ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ.

فَأَجَابَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَرْتَعِدُ:

يَسُوعُ الْمَسِيحُ!

يُظْهِرُ عَلَيْكَ أَنَّكَ تَأْثُرْتَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْاسْمِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَجَلْ!

وَمَا نَوْعُ ذَلِكَ التَّأْثِيرِ؟

تَأْثِيرٌ دَاخِلِيٌّ.

وَمَاذَا قَالَ لَكَ هَذَا الصَّوْتُ الدَّاخِلِيُّ؟

لَا أُدْرِي، فَإِنِّي الْآنَ لَا أُدْرِي مَاذَا أَقُولُ.

قُلْ مَا فَكَّرْتَ فِيهِ بِصَوْتِ مَسْمُوعٍ.

لَا أَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ؛ لِأَنِّي مُتَأَلِّمٌ جَدًّا مِنَ الضَّرْبِ عَلَى صَدْرِي، وَالْكَلَامُ لَا

يَكُونُ حَسَبَ الْأَمْرِ، بَلْ حَسَبِ الْإِسْطَاعَةِ.

سَتَنْظُرُ ذَلِكَ جَيِّدًا جَدًّا.

ونظر الكاتب إلى الرئيس مستفهماً فقال الرئيس: أظن أن ضرب وجهه بالسوط يمكنه من الكلام، وسرعان ما جذبه أحد رجال التعذيب، وجعل يجلده على وجهه بجلدة سميكة مبللة بالماء، فاحمر جلد وجهه، وكاد يخرج منه الدم، وجعل يتلوى من الألم، فقال له كاهن:

تعال يا صموئيل تقدم واعترف أمامي بخطاياك وقل لي:

بماذا تفكر الآن؟ قل الحق قبلما يحل بك القصاص، تقدم يا بني، الحق بيدك يا محمد، لقد كان هذا اسمك قبل اعتناقك المسيحية، فلماذا سميت نفسك صموئيل ولم تختار اسم قديس مسيحي كبطرس أو بولص؟

ثم نظر إلى الكاتب وقال: اكتب:

أين ولدت؟

في طنجة.

أسباني أنت؟

كنت أسبانيا.

ولماذا تقول كنت؟

أقول هذا لأنني لا أظل أسبانيا إلى الأبد.

وأبوك؟

ليس لي أب فإنه قد مات.

وأمك؟

ماتت أيضاً.

وأين ماتا؟

في سجون ديوان التفتيش .

أحرقاً؟

كلا بل تعذيباً، حتى تهرأت أجسادهما فماتا من شدة العذاب .

وبماذا اتَّهما؟

لقد كانا بريئين .

هل لك إخوة؟

أظن ذلك .

كيف تظن! أين إخوتك وأين يقيمون؟!

بل قل أولاً أين ماتوا وأين قبورهم؟ يظهر أنك تريد أن ينفذ صبرنا معك،
فستبدأ بتعذيبك . . .

يسوءني هذا .

إذن أنت لا تريد أن تدلنا على البقية الباقية من إخوتك، ولا عن مكان
إقامتهم، إن الديوان المقدس لا يخفى عليه أن لك إخوة هم على قيد الحياة وهم
يُصلون في مساجد خفية، ألا تعلم أين هم؟

لا أعلم .

لما صدر الأمر بسجنهم هربوا، أفلا تعلم إلى أين؟

كلا .

تذكر جيداً علك تعلم .

كيف يمكنني أن أتذكر وأنا مضطرب الفكر ضائع العقل؟!

يجب أن تساعدنا على معرفة مقرهم حتى تُخلص نفوسهم .

على غرار ما تفعلون معي الآن.

أنت تسكن مع امرأة، فمن تكون هذه؟

زوجي.

كيف يمكنك ادعاء هذا؟

هي تريد أن يكون الأمر كذلك.

علمنا أنها مسيحية، وأنت بهذا العمل تخالف آداب ديننا المسيحي وتبذ

العفاف، فيجب عليك أن تسلم زوجك للديوان المقدس.

هل هذا هو العفاف والدين عندكم؟

نحن لا نجادلك، بل نأمرك.

إذا كنتم تأمروني، فأولى بكم أن تقتلونني، وهذا أقصى ما يمكن أن تفعلوه،

وعندئذ سوف تصلي زوجي من أجلي.

ويلك يا شقي ألا تزال مصرًا على إنكارك؟! أصلح هفواتك وخطأك يا هذا،

ولا فإنك سوف تدفع ثمنًا لعنادك باهظًا. والآن فلتنم أعمالنا.

قل لنا أين إخوتك، وأين زوجك؟

هم في مكان أمين.

ألا تريد أن تعترف بأكثر من هذا؟

إنني أعترف إلى الله خالقي فحسب، أنتم تعذبونني والله يعلم أنني بريء.

سوف تساق إلى التعذيب الآن، فالأولى لك الإقرار.

لا يعينني العذاب فإن جسمي مخدر لا يشعر.

إذا لم تجب على ما سألتك الآن فسوف تُسقى الماء رغم أنفك، يُدفع إليك من حلقك، حتى يقضى عليك.

لقد احترقت رجلاي أولاً بباركم فلم أمت حتى الآن.

فقال أحد القسس وهو يتصنع الرقة والعطف عليه بصوت متكلف:

اعلم يا بني أننا لا نرمي من وراء تعذيبك إلا إلى الإقرار عن بقية أهلك الذين تحبهم، وبذا تنجي نفسك ونفوسهم ونصعد بكم إلى السماء.

- فأجاب الرجل:

إذا صعدنا نحن إلى السماء، فمن يهوى بكم أنتم إلى الجحيم وبش القرار؟! وعندئذ أشار أحد رؤساء المحكمة بيده إشارة سريعة إلى المعذبين المرتدين الثياب السود الواقفين أمام آلات التعذيب، فهجموا عليه، وأخذ البعض منهم يضع الحبال في يديه وصدره معا ويلفها لفاً، وآخرون ربطوا رجله بحبل دقيق، ثم وضعوه على مائدة خاصة وأعادوا ربطه عليها ربطاً وثيقاً، وتقدم أحد هؤلاء المعذبين وهو يحمل جرة ملأى بالماء، وتقدم آخر وفي يده قمع، فقال الكاهن الموكل بعظة الخاطئين (!) والصلاة لأجلهم:

والآن يا صموئيل لماذا تضطربنا يا بني إلى تعذيبك وإحداث هذه الآلام لك، ما دمت قادراً على الخلاص من هذا كله إذا ما قلت لنا أين إخوتك وأين زوجك؟!

فأجاب الرجل:

لا يمكنني أن أقول لكم شيئاً عنهم، لأنني قد وعدتهم وأقسمت لهم بأن لا أخونهم وأسلمهم للديوان التفتيش.

فقال الكاهن:

ولكننا لا نعتقد أنهم يرضون لك هذا الحال وهذا العذاب الأليم، إن هذا السكوت لا يعد أمانة الآن بل يعد جنوناً.. قل قبل أن يبدأ الرجال بتعذيبك. إنني أشكر لكم إذا ما قتلتموني مرة واحدة.

دع عنك هذا العناد يا رجل، واعلم جيداً أنك سوف تموت دون أن تعلموا بأنك مت فداء لهم، والمحكمة سوف تقبض عليهم إن عاجلاً وإن آجلاً فتكون قد مت أنت من غير فائدة.

ومع هذا فإن زوجك هذه سوف تنساك لا محالة وتتزوج سواك، وربما تكون قد خانتك الآن.

فصاح الرجل قائلاً:

صه أيها الحقير، واعلم جيداً أن عذابكم لجسدي لا يعنيني قدر تعذيبكم روحي بكلامكم هذا الذي تلفظه ألسنة سامة!

وبكى الرجل، و بدأوا بتعذيبه فكان صراخه يملأ القاعة، ولكن ليس من منقذ، بيد أن القسس كانوا وقوفاً يصلون، وييدهم كتبهم يرتلون منها الأناشيد باسم السيد المسيح!

وبينا هم يعذبون المسكين على هذه الصورة، سيقت سيدة أمام المحكمة وكانت رابطة الجأش ذات شجاعة مدهشة، ونظر إليها رئيس المحكمة بنظرات حادة كلها الحقد والغضب والانتقام وسألها قائلاً:

ما اسمك يا هذه؟

سوزانا فرناندس.

وسمع زوجها المعذب ذلك، فأَنَّ أنينًا طويلًا محزنًا إذ عرف أنهم قبضوا على زوجه المسكينة، وأنها وقعت بين برائن أولئك الوحوش العتاة، أما هي فلم تتمكن من معرفة مَنْ يُعذب لما استولى على القاعة من ظلام، ولكنها عندما سمعت الأنين التفتت لترى من يئن، وعندها أخذ رئيس المحكمة في استجوابها وعيناه تتقدان شررًا، وينبعث منها الشر لالتفاتها، واستمر يسألها قائلاً:

بنت من أنت؟

لا أعلم.

ألا تعلمين من هما أبواك؟!

كلا إنما رأيت ذات مرة رجلاً مارًا بحي ترياننا، فقالوا لي أن هذا أبي أهذا كل شيء؟!

نعم.

وما اسم ذلك الرجل؟

فأجابت إجابة ساذجة قائلة:

قيل لي أن له اسمين: الأول الراهب، والثاني الرجل المهيج

وأملك من تكون؟

هي أُمِّي.

وأين هي؟

ماتت.

وأين ماتت؟ هل سقطت في الوادي الكبير؟

كلا بل قتلت قتل العمد.

وكيف كان هذا؟

أنها ماتت جوعًا في سجون ديوان التفتيش.

وأين كانت تسكن قبل أن تسجن؟

مع رجل من بقايا العرب كان يمر ببابنا كل يوم، وقد عزم أخيرًا على أن يسكن معها إلى الأبد، فسكن وسأنضم أنا أيضًا إليهما.

وهل مات ذلك الرجل؟

نعم مات في سجون ديوان التفتيش.

أكان مسيحيًا؟

لا أدري، ومع هذا فلم تسألوني عن المسيحية كثيرًا؟! وما هو دخل الديانة المسيحية في ديوان التفتيش؟!

وما كادت السيدة تُتم كلامها، حتى بدأ الزبانية بتعذيبها تعذيبًا مخيفًا تقشعر من ذكره الأبدان

دكتور/ على مظهر



مشروع القرش

□ الطفل المؤود □

قومي انظري يا مصر في ابتسام قومي فتلك ساعة القيام
تراشق الشباب بالسهم وأسرف الشيوخ في الخصام

واحتدمت معركة الكلام
ووطيء المشروع بالأقدام
وعمره عام وبعض عام
وهم على موائد الكرام
في العبد نحر الشاء والأنعام
للطفل بين فكي الحمام
راح مبرءًا من الآثام
فرحمة الله على الغلام
لا ترتدوا «طربوشه» أمامي
قد كان رمز الجد والإقدام
قوضت الشهوة في أيام
الآن قد صحوت من منامي
أين أنا؟ بمصر، لا بالشام
وهكذا مصر على الدوام
وتنشني في خفة النعام
فاخلدي حينًا إلى السلام

وشرعت أسنة الأقدام
فخر ميتًا ليلة الفطام
قد ضيعوه ضيعة الأيتام
ونحروه عقب الصيام
وارحمتاه من فؤاد دام
ممزق الأوصال والمظام
ضحية الخلف والانقسام
ماتت بموته مني أقوام
وإن يكن كالتاج فوق الهام
واليوم صار مبعث الآلام
ما شادت الحكمة في أعوام
وانهار ما شيدت في الأحلام
قد كدت أنسى، أنها مقامي
تهب مثل الأسد في الآجام
شبيبة النيل، لك احتراممي
إلى الورا، لا إلى الأمام

محمود غنيم



**مؤامرة على عمر
تشارك فيها بنته وعثمان وعلي
وطلحة والزبير أعلى الله مقامهم في جنة الخلد**

رأى بعض أصحاب رسول الله ﷺ ما يعاينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من جهد العيش- وليس ذلك من قلة الأموال وقد بسط الإسلام نفوذه على ملك كسرى والروم وذهبت الدنيا وأقبلت-، وإنما كان ذلك لعفة عمر عن مال المسلمين. فاجتمع نفر فيهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وقالوا:

لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إياها في رزقه (راتبه).

فقال عثمان: هلم نعلم ما عنده من وراء وراء.

فاتوا أم المؤمنين حفصة بنت عمر، وحدثوها بما اعتزموا عليه، وأوصوها ألا تخبر بهم عمر، فلقيته حفصة، وقالت له في ذلك، فغضب، وقال:

من هؤلاء؟ لأسومنهم!

قالت: لا سبيل إلى علمهم.

قال: أنت بيني وبينهم، ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ من الملبس؟

قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع.

قال: فأبي الطعام ناله عندك أرفع؟

قالت: قرصًا من شعير، فصبنا عليه وهو حار أسفل عكة - (أي حثالة إناء السمّن) -، فجعلتها دسمة حلوة، فأكل منها.

قال: فأَيُّ البُسْط كان عندك أوطأ؟

قالت: كساء ثخين نربعه في الصيف، فإذا جاء الشتاء بسطنا نصفه، وتدثرنا بنصفه.

قال: يا حفصة، فأبلغهم أن رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها، وتبَلَّغ بالترجية، وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً: فمضى الأول لسبيله، وقد تزود فبلغ المنزل، ثم اتبعه الآخر - (يريد أبا بكر) - فسلك سبيله فأفضى إليه، ثم اتبعهما الثالث، فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما، وإن سلك طريقاً غير طريقهما لم يلقهما.



حكم العرب في مصر ولاية عبد الحميد بن سعد

لما أجذب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم، قال:
والله لأعلمن الشيطان أنني عدوه.

فعال محاويجهم، وواسى فقيرهم، إلى أن رخصت الأسعار، ثم عَزَلَ، فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم، فرهنهم بها حلي نسائه، وقيمتها خمسمائة ألف ألف، فلما تعذر عليه ارتجاعها، كتب إليهم ببيعها، ودفع الفضل منها إلى من لم تنله صلاته.



ذكاء زياد

دخل حارثة بن بدر على زياد وفي وجهه أثر، فقال له زياد:

ما هذا الأثر الذي في وجهك؟

قال: ركبت فرسي الأشقر (يعني النبيذ) فجمع بي!

ففهم زياد معنى كنيته، وأنبه ببيان من جنس بيانه، فقال:

أما إنك لو ركبت الأشهب (وكنى به عن اللبن)، لما فعل، فنجعل حارثة وسكت ذلك.



حياة الفرد المسلم وحياة الجماعة الإسلامية الضرورة الفردية والضرورة الاجتماعية

الدين المسيحي دين أفراد، والدين الإسلامي دين جماعة، وما برح المسيحيون يعالجون حياتهم المشتركة ويحوطنونها بأسباب القوة، حتى تحولوا عن طبيعة دينهم الذي يزهدهم بكل ما في الدنيا، فقبضوا على ناصية المجتمع، واستولوا على كل ما في الدنيا. وما زال المسلمون يُهملون أمر حياتهم المشتركة، ويحولون بينها وبين بواعث الحياة، حتى تحولوا عن طبيعة دينهم الذي يستفزههم للتخلق بخلق الكرامة، والتحلي بحلية العز، ويعددهم للاستيلاء على الدنيا؛ فصاروا أذل من اليهود.

المسيحي ترك دينه فخسر الآخرة، ولكنه كسب الدنيا، والمسلم ترك دينه فخسر الآخرة وخسر معها الدنيا.

يقول المسيح للمسيحي: (لأن يدخل الجمل في سم الخياط، أهون من أن يدخل عني ملكوت السماء)، ولا نعرف على ظهر الأرض مسيحياً واحداً لا يطلب أن يكون غنياً، ثم لا يبالي أن يخسر في سبيل ذلك ملكوت السماء، والمسلم يأمره إسلامه بإعداد ما يستطيعه من أسباب القوة، وقد أهمل جميع أسباب القوة، فصار لا يقوى حتى على شهواته.

وقد يسلي المسلم نفسه بأنه يصلي ويصوم، وأنه قائم لله بفروض العبادة، وهو غافل عن أن الإسلام يطالب المسلمين بأن يعيدوا له أسباب العزة، وبأن يحموا دعوته ويقوموا بها في الآفاق، وبأن ينزلوا إلى ميدان الكفاح؛ ليدرأوا عن دينهم هذه الهجمات العنيفة الملحة التي تكتسحهم، وتكتسح دينهم من كل جانب، وبأن يقيموا شريعته، ويعلوا كلمته، ويبينوه للأمم بأذواقها، وبالأساليب المحببة إلى نفوس أبنائها، حتى يجلوا هذا الصدا عن حقائقه، فيرفعوا مشعلها في ليل الضلالة المدلهم، ويراه الناس من جميع الآفاق فيعشوا إلى ضوئه كل عاقل منصف، وينجر وراء العاقل المنصف كل من ينقاد له، ويُدعن لرأيه من ذويه ومحبيه.

كل فرد منا احتاط لنفسه من كل الوجوه، فالتمس لنفسه وذويه باباً من أبواب الرزق، ووقى نفسه وذويه أسباب المرض وعوادي الجو، وقام على حقوقه فعمل على صيانتها، مستعيناً بأحبابه تارة، وبالمحاكم والحكام تارة أخرى، ونظر أيضاً لآخرته، فقام لله بالفروض والنوافل.

فحياة الفرد المسلم قد احتاط لها صاحبها بقدر الطاقة، ولكن الفرد المسلم لا يعيش لنفسه فقط، بل هو عضو في كيان آخر هو المجتمع الإسلامي، وللمجتمع الإسلامي حياة تقوى وتضعف تبعاً لما يقوم به الأفراد المسلمون لمجتمعهم الإسلامي من أسباب العناية، فإذا تهاونوا في حياطة كيانهم الملى،

انهار بناء الإسلام أو اعتراه الخلل، فكان ذلك من أسباب انصراف النفوس عنه.

كلنا نرى كيف أضحى الكيان الإسلامي مهددًا بالقذائف والدسائس، تُرسل عليه من قلاع أعدائه التي بنيت حوله، وكيف طمع فيه كل مخالف له، وكيف تعرض النشء من أبنائه لسموم أعدائه، فصار العالم من علماء الأزهر في وجل من أن ينشأ ابنه عدوًا لما كان عليه آباؤه.

هذه حقيقة واقعة، ومن لا يراها فهو أعمى.

وحقيقة أخرى لا يرتاب فيها اثنان: وهي أن الفرد المسلم يُعنى بحياته الفردية، ويقوم عليها بجهد واهتمام؛ ويتهاون في نصيبه من واجب الحياة والصيانة للكيان الإسلامي حتى أشرف على الخطر؛ لأنه غزي في عقر داره، وقديمًا حلف أمير المؤمنين علي عليه السلام بأنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا.

امرأة مسيحية تبرعت لإنشاء قاعة يورت في الجامعة الأمريكية بالقاهرة بأكثر مما استطاع أن يحصل عليه وفد المؤتمر الإسلامي في رحلته الطويلة إلى العراق والهند وإيران، وبأكثر مما دخل إلى صندوق جمعية المؤاساة الإسلامية في الإسكندرية منذ بدأت بإنشاء مستشفاهما إلى يومنا هذا، وليس ذلك ناشئًا عن فقر المسلمين وغنى النصارى، فإن بين المسلمين الذين مر عليهم، وفد المؤتمر الإسلامي من هم أغنى من أغنياء النصارى، وفي مصر من أغنياء المسلمين الذين يجب عليهم المساعدة في إنشاء مستشفى المؤاساة من هم أغنى من المرأة التي أنشأت قاعة يورت.

فالمسألة مسألة عناية من الفرد المسلم بنفسه وتقدير منه نحو الكيان الإسلامي.

قلت في مقالة (صاحبة القصور في الفردوس): (لو اقتصر الأمر في بناء مستشفى المواساة على تبرعات أغنيائنا، ما ارتفعت جدران المستشفى شبرًا واحدًا فوق الأساس، وهذه الفضيحة ألجأت جمعية المواساة إلى إصدار أوراق اليانصيب، كما يلتجئ المشرف على الموت من الجوع إلى لحم الميتة)، فسألني حضرة الشيخ قاسم أبو غدیر: هل هذا التشبيه في الجواز؟

وأنا أجيبه: إن الفتح ليست كتاب فقه، ولكنها صحيفة تدرس أمراض المسلمين الاجتماعية، وتبحث عن علاج لهذه الأمراض، وكما يعتمد الفقيه في فتواه على علم الطبيب المسلم النصوح في أمراض الأفراد المسلمين، لا شك أنه يعتمد على مثل ذلك في أمراض المجتمع الإسلامي، وأنا أقول وأؤذن على أعلى منارة في الدنيا بأننا إذا لم تكن لنا مستشفيات تغني الأربعة عشر مليونًا من مسلمي مصر عن مستشفى الهرمل، وعشرات كثيرة من أمثاله، فإن إسلام عوام المسلمين وفلاحهم وجهالهم نساء ورجالاً وأطفالاً مهدد بالخطر، وإذا لم تكن للشبان المسلمين أندية تستكمل أسباب النماء والبقاء كأندية الشبان المسيحيين، فإن أبناءنا سيُختطفون من بين أيدينا، وسيكونون إلينا لأعدائنا علينا.

وإذا لم يبادر الأزهر في الحال إلى تخصيص رجال من رجاله بدرس البهائية والقاديانية بقسميها، وسائر هذه البلايا المحيطة بنا، فيتمحضوا لمعرفة أماكن قوتها وأماكن ضعفها، ويتفرغوا للقضاء عليها؛ فإنها ستجند المسلمين في جيوشها وستقاتلنا بهم بين عشية وضحاها، وإذا لم يأخذ المسلمون بيد كل من يعالج أمراضهم الاجتماعية فيؤيدونه ويساعدونه، ويوسعوا دائرة جهاده، فإن قواه ستنفد، وإذا سقط كان غيره أجبر من أن يُقدم على مثل تجربته مرةً أخرى.

كل هذه المرافق الإسلامية محتاجة إلى مساعدة وتشجيع، والأغنياء لا يخطر على بالهم أن يُخرجوا من صناديقهم ما لله فيها من حقٍّ وما لحياة المسلمين الاجتماعية فيها من نصيب. وإذا لم يفعلوا فخطر ذلك من الوجهة الشرعية الإسلامية أعظم من الخطر الذي يترتب على موت فرد واحد، أو أفراد معدودين جوعًا وظمًا.

هذه الحالة نحن نُشخصها للمسلمين كما يُشخص الطبيب مرض المريض، فعلى الفقهاء أن يُفتوا المسلمين بعد ذلك بما يجب أن يعملوه لاستخراج المال من أيدي الأغنياء، أو لإمداد المرافق الإسلامية بما تحتاج إليه من مساعدة.

أنا لست بفقيه، ولكني خبير بما أصفه من مرض وعلاج، فيطلب المسلمون الفتوى من رجالها، ولينفذوا بعد ذلك حكمها في الحال، قبل أن يندموا ولات ساعة مندم.

محب الدين الخطيب



صفة العالم

كان أسلافنا يقولون:

لا يكون العالم عالمًا حتى تكون فيه ثلاث خصال:

لا يحتقر من دونه، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ ثمنًا على العلم.



من كلام الأحنف بن قيس

* ثلاث خصال تُجْتَلَبُ بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على المودة.

* الجزع شرُّ الحاليتين: يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويبقى على ظهر صاحبه عارًا وندمًا.

* هيبة العاقبة تورث جبنًا، وهيبة الزَّلَل توجب حَصْرًا.

* الإنصاف يثبت المودة.

* خير الإخوان من أن استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها.

* من حق الصديق أن تحتمل له ثلاثًا: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة.

* الرفق والأناة محبوبتان إلا في ثلاث: تبادر بالعمل الصالح، وتعجل إخراج ميتك، وتنكح الكفاء أيمنك.

* أنصف من نفسك قبل أن يُنتصف منك.

* لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان.

* أنفق في حق، ولا تكونن خازنًا لغيرك.

* إذا كان الغدر في الناس موجودًا فالثقة بكل أحد عجز.

* اعرف الحق لمن عرفه لك.

* قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

- * العتاب خير من الحقد.
- * من أظهر شكره فيما لم تأت به إليه، فاحذره أن يكفر بملك.
- * لا خير في لذة تُعقب ندمًا.
- * رب هزل قد عاد جدًا.
- * من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما يعلمون.
- * مَنْ أَمِنَ الدَّهْرَ خَانَهُ.
- * دعوا المزاح فإنه يُورث الضغائن.
- * خير القول ما صدّقه الفعل.
- * العقل خير قرين.
- * لا خير في فقه إلا في ورع.
- * محادثة الرجال تلقيح لألبابها.
- * ثلاثة لا يتتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبر من فاجر، وحليم من أحمق.

- * ليس لكذب مروءة، ولا لحسود راحة، ولا لسيء الخلق سؤدد.
- * ما أقرب النعمة من أهل البغي.
- * لا إخاء لملول، ولا خلة لبخيل.
- * من الكرم، منع الحرَم.
- * لأفعى تحكك في جوانب بيتي، أحبُّ إلى من أيم قد رددت عنها كفؤًا.
- * ما خان شريف، ولا احتجب كريم، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.

- * وقيل له: ما أحلمك! فقال: لست بحليم، ولكنى أتحالم.
- * والله إني لأسمع الكلمة فأحّم لها ثلاثاً، وما يمنعني من الجواب عنها إلا خوفي من أن أسمع شراً منها.
- * أحسن الناس عيشاً من حُسْن عيش مَنْ هو دونه في عيشه، وأسوأ الناس عيشاً من لا يعيش معه أحد.
- * إذا دعتك نفسك إلى ظلم الناس، فاذكر قوة الله على عقوبتك، وانتقام الله لهم منك، وذهاب ما أتيت لهم عنهم، وبقاء ما أتيت لهم عليك.
- * كفى بالحلم ناصراً.
- * لو جلس إليّ مائة، لأحببت أن ألتمس رضا كل واحد بما يسره.
- * جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لفرجه وبطنه.
- * لا ينبغي للوالي أن يكذب، لأنه لا يقدر أحد على سنكرهه على غير ما يريده.
- * أحزم الولاة من لا يكابد مكابدة عدوّه بالقتال، ما وجد إلى غير القتال سبيلاً.
- * إياك والغضب، فإنه ممحقة لفؤاد الحكيم.
- * ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقى منها فأماني.
- * الأخ الموافق خير من الولد المخالف.
- * ليس فضل الحلم أن تُظلم، حتى إذا قدرت انتقمت، ولكنه إذا ظلمت فحلمت، ثم قدرت فعفوت.

- * لا يتبين حلم الرجل حتى يغضب، إن الحلم لا يكون إلا عند الغضب.
- الداء الذي أعمى الأطباء اللسان البذيء، والعقل الرديء.
- وأدوا الداء اكتساب الذم بلا منفعة.
- * المروءة أن لا تعمل في السر شيئاً تستحي منه في العلانية.
- * المروءة العفة والحرفة.
- * المروءة الحزم، وهو مع العقل.
- * لا يصلح المروءة إلا التواضع.
- * الأدب خير ميراث.
- * لا خير في منظر، إلا بمخبر.
- * فضل الصمت لا يعدو صاحبه، وفضل المنطق ينتفع به من سمعه.



آية الله في زلزال الهند والعبرة فيه

أثراها قد شفت غيظَ الفؤادِ وعفت أجفانها بعدَ الشَّهاد^(١)
واستراحت بعد أن أَلقت بما في حشاها من طريفٍ وتلاد
ناءت الأرض بأوزار الوري وشجاها في الهوى هذا التماذي
واستثار السخط منها ما ترى من تعدٍ كل يوم وتَعَادِي
واعتناق للمخازي مرعبٍ مد في الآفاق أعناق الفساد

(١) الضمير يعود على الأرض المذكورة فيما بعد.

واجتناب للهدى أمسى به
فتمطى صُلبها عن نكبة
فغرّت شديقن ألقت فيهما
من قصور خرّ ما ناصى السها
ومغان غني الحسن بها
لم يبال الدهر من غاداتها
نثر اللؤلؤ عن أجياه
وزروع حفي الغيث بها
ذهب الخسف بجدوى أرضها
وعيون برك الرمل بها
وعيون^(٥) من أسود ومهى
ربّ وجه كان كالبدّر سنّا
وجفون فتن الكحل بها
صيحة للدهر ما أروعها
هاجت الأرض على أبنائها

يجمع الحقّ على شوك القتاد^(١)
لبس الهند بها ثوب الحداد
ما عليها من حياة وجماد^(٢)
من أعاليها على هام العباد
قفزت في النار من فوق العماد
جنة القرب ولا نار البعاد
وشوى الأجساد تندى بالجساد^(٣)
حصدت غلاتها قبل الحصاد
فاستحالت حرة في بطن واد^(٤)
مبرك الماء فصدت كل صاد
بوغت بالحشر من قبل المعاد
فانه الجمر إطاراً من سواد
كحلتها راحتاه بالرماد
ملأت بالرعب أحشاء البلاد
فَنَزَتْ تلوي بحبات الفؤاد^(٦)

(١) يجمع: يغمز في مشيته كالأعرج.

(٢) ورد من أخبار هذا الزلزال ما يُذهل اللب ويفقد الرشد، من ذلك أنه تناول مقاطعة بهار كلها، فدمر بها أكثر من مدينة تدميراً تاماً، لم يُبق فيه على إنسان ولا حيوان، وجاوزها إلى النيبال والبنغال وغيرها، فأتلف ودمر كثيراً.

(٣) الجساد: المسك أو الطيب.

(٤) الحرة: أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار، وقد أصبح ما حول البلاد المخسوفة من الأرض الخصبة غير صالح لاستحاله إلى صحراء.

(٥) المراد بالعيون: العظماء.

(٦) ترث وهبته.

أمعنت في قتلهم، ما عاقها
لفظتهم بعد أن لاكت، فهل
أم تُراها قذرتهم فرمى
مادرت دزبنج^(٢) لما نوديت
سقطت خائرة بين يدي
فسل المهرج عن دنياه هل
وهل استبقت له بعض الذي

ما تحس الأم من فرط الوداد
حالت الرحمة دون الازدرداد
بأذاهم بطنها ظهر الوهاد^(١)
أنها تدعى إلى يوم التناد
مخلب الخسف ونابه الحداد
ذهبت أضحية الحنف المغادي^(٣)
زادَ يومَ «الكلب» من ماء وزاد^(٤)



«قتل الإنسان ما أكفره»
أثقل الأرض فغارت تحته
تُرسل النيران من أشداقها
وشذى^(٦) الكبريت من آباطها
نُدِرَ لله لم يفتأ بها

عاث حتى هاج أحقاد العوادي^(٥)
تنسف الدور وتلقي بالعتاد
يركض الناس بها ركض الجياد
يزحم الجو بأنفاس شداد
يلفت الناس إلى نهج السداد^(٧)

(١) من أبناء هذا الزلزال أن الأرض انشقت فابتلعت الناس، ثم لفظتهم على ظهرها بحالة لا يمكن وصفها.

(٢) إحدى المدن التي دُمرت تدميراً تاماً.

(٣) غاداه: صحبه.

(٤) المهرجا أمير دربنجة المذكورة بالقصيدة، وقد ذكرت البلاغ عن مكاتبتها بالهند أن هذا المهرجا أنفق منذ سنوات ١٠٠٠٠٠ روية على عرس أقامه لكلب عزيز عليه في قصره، لعقد قرانه بكلبة!! واليوم يعلن في الصحف أنه لا يجد مسكناً، وأنه يقيم في العراء مع المتكويين.

(٥) المصائب.

(٦) الرائحة الكريهة.

(٧) إن هذه الظواهر الطبيعية وإن عللها الطبيعيون بما هو معلوم، فإننا مع تسليمنا بهذا التعليل =

ويح عصر النور ما أبعده عن طريق الحق أو نهج الرشاد
ساده ضوء أضل العقل عن نفسه، فاعجب لنور غير هاد
هل محت آياته في زهوها آية الجبار في إخوان عاد^(١)
هل درى أن الذي شاد السما لم يمد الأرض داراً للفساد

محمد حسن النجمي



أجناس الخطوب

لا تسلني ماذا نظمتُ من الشع، ر، وسلني ماذا عملتُ لنفسي
خابَ في موقع الإصابة سهمي وذوى في مخيلة الخصبِ غرسي
ضاع في باطل الأحاديث يومي وتولى بحاجة النفس أمسي
روّع الله سربها من ليال ورمى جدها الضمير بسم
هنّ روعنني وعلقن حظي في جناحي طير من العيش نحس
أخرستُ ألسن الفصاح خطوب يتعاقبن من فصاح وخرس
إن أجناسها لشتى، وإنّي لمصاب منها بأخبث جنس
تُصبح النفس في الهموم وتسمي ما أمر الحياة لولا التأسّي

= لا نرى حدوثها إلا علامة سخط وغضب على الناس من الخالق ﷻ، وجزاء لهم بما كسبت أيديهم، فإنه هو الخالق للأسباب ومسبباتها، والميسر الناس والأشياء لما خلّقوا له.
(١) لم تُرد تشبيه من حلت بهم هذه النكبة بعاد في كفرهم وطغيانهم، وفيهم الصالحون والقانتون من إخواننا المسلمين الذين عز علينا مصابهم، وأحزننا ما حل بهم، ولكننا أردنا تشبيه الكارثة بكارثة عاد، ولم نرد أيضاً بكل ما ورد في القصيدة إلا النعي على الدنيا جمعاء فساد أهلها وماديتهم، وتهافتهم على القبيح، لا على قطر خاص، والتذرع لذلك بهذه الحادثة الخاصة كما يُفهم، بما فيها من التعميم.

غمستني مجاهدات الليالي في غمار الخطوب أعظم غمس
فابتليت الزمان أي ابتلاء ودرست النفوس أطول درس
يتقى الدهر ما يرى كل حين من يقيني في كل أمر وحدي
صيرتني النهى بحيث تراني يوحش العالمين ما فيه أنسي

أحمد محرم



كامل

كامل أخ من الإخوان المسلمين، تشبعت نفسه بمبادئ الإسلام وقواعده، فهو عزيز النفس؛ لأن المسلم يجب أن يكون كذلك يحافظ على كرامته؛ لأن المحافظة على الكرامة من الدين، هو صانع بسيط يحترف النجارة، وهو فقير لا يزيد ما يكتسبه من حرفته على الكفاف.

ولكن ذلك لا يمنعه من أن يكون عزيز النفس، محافظاً على شرفه وكرامته، والمسيو (كليف) موظف كبير في مصلحة راقية، يتقاضى راتباً ضخماً، ويدو في مظهر عظيم يزيد في عظمته وأبهته أنه (خواجه).

ومن المصادفات أن المسيو (كليف) استدعى الأخ (كاملاً) ليقوم له ببعض أعمال صناعية، وأجاب (كامل) دعوته، وأخذ يشتغل فعلاً في إنجاز الطلب، وبينما هو يعمل سأله المسيو عن التكاليف التي سيتكلفتها هذا الشغل، فأجابه الأخ عنها بصدق وإخلاص، فما كان من المسيو إلا أن قاله له: (أنت حرامي). هي كلمة قالها الرجل وكان يظن أنها ستمر عادية، لا يهتم بها هذا الصانع البسيط، ولكن الأخ الأبى النفس لم يدعها تفوت بسهولة كما كان يظن

الخواجة، بل حاسبه حسابًا عسيرًا، عماده الرزانة والمنطق، والاحتفاظ بالشرف والكرامة، والاستمسك بهما إلى أبعد حدود الاستمسك.

إنه وضع أداة عمله في هدوء وثبات، والتفت إلى ذلك المسيو المغرور، قال له في حزم وجد: (أنت تعرف معنى حرامي إيه باللغة العربية يا مسيو كليف؟)، فكان جواب المسيو: نعم حرامي -يعني: ياخذ الحاجة إللي مش بتاعته.

فقال الأخ: جميل وأنا لم آخذ منك شيئًا، بل أنت الذي أخذت بضاعتي ومجهودي، فأينا ينطبق عليه هذا الوصف؟

فقال الخواجه: (ولكنك طلبت نقودًا كثيرة، فكأنك عاوز تأخذ حاجة مش بتاعتك). فقال الأخ: أحضر من يُقدر هذه الأشياء، وأنا مستعد لقبول تقديره، ولي معك بعد ذلك التقدير كلام آخر.

وكان أن أحضر الخواجة شخصًا من أبناء جلدته، فقدر العمل وزاد في التكاليف عما طلبه (كامل)، فقال له الخواجة: اشتغل وخذ ما طلبت. فقال كامل: من حقي أن أشتغل وأخذ ما قدره هذا الحكم، ولكنني لا آخذ إلا ما طلبت أولاً، وهذا جميل مني لك، وبقي لي أن أحاسبك على الكلمة الأولى، فأنا أطالبك الآن بأن تعتذر، وتسحب كلمتك الأولى.

عظمت هذه الكلمة على نفس الخواجة الذي لم يتعود أن يسمعها من (ابن عرب) وغضب، وقال في حدة: أنا لا أعتذر لك، فقال الأخ كامل: وأنا متمسك بحقي في اعتذارك، وإذا لم تعتذر فسأشكوك إلى قنصلك، فزاد استغراب الخواجة، وقال له بلهجة المدهش: أنت صانع بسيط، وتطلب مني وأنا موظف في.. أن أعتذر لك وأسحب كلمتي، هذا كثير! فكان جواب كامل في كل هدوء وبساطة: لا ليس هذا كثيرًا؛ لأنني إنسان، وأنت إنسان، ولي شرف وكرامة أحافظ عليهما، وأنت قد أخطأت باتهامي بغير حق، فعليك أن تدفع ثمن هذه الإهانة، وهو الاعتذار.

وعبثًا حاول الرجل أن يحمل كاملاً على العمل أو تركه، وتدخلت زوجته (الخواجة) في الأمر، فلم يفد كل ذلك، وصمم كامل على اقتضاء حقه مهما كلفه ذلك.

وساد السكون فترة، وأمام هذا التصميم، تقدم الخواجة ونقر بيده ثلاث نقرات تصاحبها هذه الكلمات: بردون، بردون، بردون سحبتها، ثم نظر إلى كامل قائلاً: كفايه كده يا كامل، وإلا عاوز حاجة كمان؟ فكان جواب كامل في هدوء وبساطة لازماه طول الوقت: يكفي هذا يا مسيو كليف، ورجائي ألا تمس كرامة الناس بعد ذلك، وتناول أدواته وشرع يباشر عمله.

وحينئذ تقدم إليه المسيو قائلاً: لم أر أحداً قبل الآن حملني على مثل ما حملتني عليه، فلماذا انفردت أنت بهذا الخلق؟ فأجابه كامل بكلمتين اثنتين فيهما كل معاني الكمال الخلقي، والرجولة الناضجة الصحيحة، والكرامة النبيلة العزيزة، إنه قال: (لأني مسلم)!

أبو الوفاء



شاعر متعفف

سقط الجراد فغال ناضر غرسه؟	أيريب عينك أن تراني كالذي
عاني الحياة، وبعضه في رسمه؟	أو كالذي صحب السنين، فبعضه
لا يستعز بأمة من جنسه؟	ماذا تظن بشاعر متعفف
وأراه يُسأل ها هنا عن فلسه	المرء يُسأل عن عوارف علمه
أو فاضلاً صدقت أمانني نفسه	أرني أديباً صافحت يده الغنى

اصبر إذا دار الزمان بسيء فعساه يوماً أن يدور بعكسه
لو أن دهرك دام طالع سعه في العالمين لدام رائع نحسه

أحمد محرم



الدنيا

إذا لم يكن للمرء من عيشه غنى فلا بد من يسر ولا بد من عسر
ومن يخبر الدنيا ويشرب بكأسها يجد مرها في الحلو والحلو في المر

أحمد شوقي



من كلام أبي الحسن العامري في كتابه «النسك العقلي»

نقله عنه أبو حيان التوحيدي في «المقابسات» :

ليس اللطف في تزيين الشيء، بل اللطف في تأنيق الزين، وليست المهنة
تأدية الصناعة، بل المهنة سهولة التأدية، وليس الكمال المطلق باقتناء الفضيلة
الإنسية، بل بما يتبع اقتناءها من الجود المزين لها.

أجل النعم هي الاستقبال بشكر المنعم، وشرف المواهب هو الفوز
بالخلوص لرب المواهب، ومن لم يؤيد من نفسه بإحكام الحكمة وبأمان العقل
فقد صيرهما حجة عليه لا له.

حياة الخلود

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما يُنقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد

المعري



يتزايد المتزايد لنقص يجده في نفسه

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية رضي الله عنه، فأذن للأحنف
ثم لمحمد بن الأشعث، فأسرع محمد في مشيته حتى دخل قبل الأحنف، فلما
راه معاوية قال له:

والله إني ما أذنت له قبلك، وأنا أريد أن تدخل قبله.

إنا كما نلي أمركم كذلك نلي أدبكم، ما تزيد متزايد في أمره إلا لنقص يجده
في نفسه.



ضلال الظواهر

رأوك بالعين فاستغوتهم ظنن ولم يروك بفكر صادق الخبر
والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

أبو العلاء المعري

كيف أصلي؟

سئل حاتم الأصم عن صلاته، فقال:

إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار على شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقعد وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها بالإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟!



الكبر والحمد

والكبر والحمد ضدان، اتفاهما مثل اتفاق فتاء السن والكبر
يُجنى تزايد هذا من تناقص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصر
أبو العلاء المعري



العفة والدنس

ما يروع الناس من مقدمة غير غايات العلى ما التمساً؟

شامخ العربين عال جده ينفض الشعرى إذا ما عطسا
 ثابت الأركان في زلزلة ماد ركن الدهر فيها ورسا
 صادق الأخلاق إن ذو ريبة كذبت أخلاقه، أو دلسا
 يتخطى نضرة العيش إلى نضرة الذكر، يريد الأنفا
 فهو لم يعثر في مكرمة بحمام رابض؛ ما احترسا
 وهو لو يُبصر أقطار الدنى سابحات في دم، ما عبسا
 وجد العلياء سماً ناقعا ورأى الندمان صرعى فاحتسى
 إن في العفة للمرء أذى غير أن الحر يأبى الدنسا

أحمد محرم



النبيذ

تركت النبيذ وشرابه وصرت صديقاً لمن عابه
 شراب يُضل طريق الهدى ويفتح للشرب أبوابه

أبو الفضل عبد الله



جمع المال

قال عبد الرحمن بن عوف:

يا حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

وقال جعفر الصادق: لا خير فيمن لا يحب جمع المال، لخلال: يصون به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه.

وقال داود بن علي: لأن يجمع المرء مالا فيُخلفه لأعدائه، خير له من الحاجة في حياته لأصدقائه.

وقال الحصين بن المنذر: وددت أن لي مثل أحد ذهبًا، ولا أنتفع منه بقيراط، قيل: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني.



الفضل كالمسك

تبوح بفضلك الدنيا لتحظى بذاك وأنت تكره أن تبوحا
وما للمسك في أن فاح حظ ولكن حظنا في أن يفوحا
أبو العلاء



خطرات

□ الأغنياء والوظائف □

دعوها للفقير يرم كوثًا بها، أو يكس عارية لديه
دعوها للفقير ولا تكونوا وأنتم عون عبتا عليه
قبيح أن تذودوا الكفء عنها وقد خلقت لتثمر في يديه
حبستم ماءها، وهناك صاد لها، فدعوا الحياة تصل إليه

ورثتم عن ذويكم ما ورثتم وما هو للبصير كمقلتيه
وما ورث الفتى إلا صغاراً يعولهم، وإلا أصغريه
تراث جدودكم ضاقت بداكم به، فدعوا الفتات بأصبعيه

محمد الأسمر



الإنسان والأقدار

ويقول داري من يقول وأعبدي مه فالعبيد لربها والدارُ
تقفون والفلك المسخر دائر وتُقدرون فتضحك الأقدارُ

أبو العلاء المعري



إجلال العلماء

قال الرشيد للكسائي-وكان معلم ولديه الأمين والمأمون-:
أتدري من أشرف الناس؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين.
قال: لا، بل أشرف الناس من إذا هم بلبس نعليه تراحم على تقديمهما له
وليّاً عهد أمير المؤمنين.
وذلك أن الكسائي أراد مرة أن يقوم من مجلسه، فتراحم الأمين والمأمون على
أن يكون كل منهما أسبق من أخيه بتقديم نعلي الكسائي ليلبسهما في رجليه.



من كلام النعمان بن المنذر

خير العفو ما كان مع القدرة.

الرفق يُمن، والخرق شؤم.

من سأل فوق قدره استحق الحرمان، ومن ألحف في المسألة استحق الرد.

خير الطاعة ما وافق الحاجة.



من كلام الأعراب

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: أقبح أعمال المقندين الانتقام، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر.

وقال سمعت أعرابياً يقول: لا يوجد العجول محموداً ولا الحسود مسروراً، ولا الملول ذا إخوان، ولا الحريص حراً ولا الشره غنياً.

وقال العُتبي: سمعت أعرابياً يقول لآخر: إن فلاناً وإن خف عليك فإن عقاربه تسري إليك، فإن لم تجعله عدواً في علانيتك، فلا تجعله صديقاً في سريرتك.

قيل لأعرابي: لم قطعت أخاك وهو من أهلك وأملك؟

قال: إني لأقطع العضو الفاسد، وهو أقرب إليّ منه، إذا رأيت في ذلك صلاح.

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ فقال: عدوك عدو عدوك.

وقال أعرابي لآخر: اصحب من يتناسى معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.



حكم

قال نصر بن سيار: كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، وكل شيء إذا كثر رخص، إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا.

وقال محمد بن عبد الملك الزيات: احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء، كمن أساء وهو يظن أنه محسن.

قال ابن المعتز: الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة.

منها ثواب مدخور، وتطهير من ذنب، وتنبيه عن غفلة، وتعريف بقدر النعمة، ومرون على مقارعة الدهر.

قال أبو عبيدة بن معمر المثنى: قال لي أبي: يا بني لا تردن على أحق خطأ، فإنه يستفيد منك علماً، ويتخذك عدواً.



الجيش

شد ما تشيد بصعدة وحسام	ودع الخيال لهذه الأقلام
وإذا الصوارم واليراع تناظرا	فرقت بين الحق والأوهام
الأرض للأقوى فخض لجج الوغى	واضرب بقسطها عزيز الهاج
وإذا امرؤ هز الحسام فقد صحا	من نومه بمعبر الأحلام
أي البلاد قد استقل بصيحة	أو نال بالأقلام أي مرام
ما تفعل الزعماء والنواب في	بلد تناوله كرشفة جام
ما زال من ماضي السنين يجره	هذا وذاك وراءه بزمَام

سهل المآخذ والبلاد منيعة بالماخرات اللاء كالأحلام
أقسمت ما رد البلاد طليقة شيء كجيش للبلاد لهام
قودوا لنا جيش البلاد فإنه سر الحياة تدب في الأجسام
لو أن للآرام نأبًا أصبحت وكُنَّاسها أجم من الآجام

محمد الأسمر



الأمل

يقولون طال عليك الشرى أما آن للعيس أن تستريح
وقد همت دهرًا بنيل المني وحظك منك بعيد جموح
أترجو الوصول إلى غاية ودهرك قاس عليك شحيح
فقلت هو الأمل المستطا ب كما قد تمنى الحياة الجريح
سعدت به حقبة والمني بشير السعادة حين تلوح
لعل الزمان إذا ما صفا جرى الفلك في اليم من غير ريح
أشقى بجدي وصبري وهم يقولون بالجد يحيا الطليح
وما ضرني بغي قومي علي ولي في الأنام أديم صحيح
إذا ما خلا العِرض من وصمة فإن الشقاء ملذ مريح

عبد الرحيم العدوي



وأغرق خلق الله في الذل أمة تُضام ومنها للذي ضامها جند
وما بعد هذا الذل إلا منية يئن لها لو ذاقها الحجر الصلد

رد تحية

إلى السيد الجليل الأستاذ محمد تقي الدين الهلالي

قل للتقي أطال ربي عمره
 إني امرؤ ما زلت منذ عرفته
 وأراه رمزًا للجهاد تشف لي
 فأكاد أبصر بينها عزماته
 فضل به نمت عليه رسائل
 كلف الربيع بزهرها فوحى إلى
 وهامة فاء الزمان بسرها
 وعزيمة ضرب الجهاد بسيفها
 يلوى بهوج العاصفات مضائها
 رجل يود المرء لو رُزق الهدى
 لطوى إذا برد الجمود وحققت
 ولرد هذا الشرق حرياته
 أتقي هذا العصر لا عدم التقى
 كلا ولا برحت أفاويق الهدى
 أعليت قدر الشعر حين نظمته
 وحبوتني من بينهم مدحًا أرى
 ورفعت لي في الشرق قدرًا لم يكن

وأدام في أفق العلاء هلاله
 في (الفتح) أذكر بالثناء فعاله
 عنه السطور إذا قرأت مقاله
 تسعى وألمس باليدين خلاله
 قات البيان برسلهن عياله^(١)
 وسميه فائباها سلساله
 دهرًا وأدركه الكلال فقاله
 في كل ملحمة فزاد صقاله
 ويدك من وعر الحياة جباله
 في كل قطر سيدين مثاله
 في الأرض همة آله آماله
 وبني على هضباتها استقلاله
 من حسن فعلك ما يزيد جماله
 تهدي إليك رحيقه وزلاله
 ورفعت من فوق المجرة آله
 نقصان فضلى لا يطيق كماله
 جهدي الضئيل حرى به فيناله

(١) قات: من القوت. الرسل: اللبن.

غير الكلام ترى الدموع خلاله
عرف العدو قصوره وكراله
فهوى وحلق لا عليه ولا له
ضحك الربيع إذا السحاب بكى له
أيدي التخاذل والوئى أوصاله
وزيد في عين الخصوم جلاله
في الخافقين حرامه وحلاله
وضع الضلال عن الحجى أثقاله
في الكون يفتح للورى أقاله
هتك الحجاب ضباؤها وأزاله
ملككت على صقر الجواء مجاله
والقاع ودع عندها أهواله
وبعلمنا استهدى فأصلح حاله
تر كيف يعمل في الرؤوس نعاله
نهر وميت حي حين بدا له
أغرى بها داء الشعوب عضاله
مني يجر بها الصبا أذياله
فقبست من تفصيله إجماله

ماذا تراني قد صنعت لأمتي
نبل يراش ولا مصاب، وصارم
وصدى تكافأ ضعفه وغناؤه
ماذا عسى بجدي الكلام ولو حكى
أبعد للإسلام مجداً قطعت
وعريض ملك كان يرهف بأسه
يتلو مثانيه ويمضي حكمه
وبث دعوته التي بصفائها
فإذا به حر الجناح محلّق
حتى لمدّ يداً إلى مستوره
ومضى يسيرها مراكب في الهوا
وبوارجاً رزح العباب بعثها
ثل العدو عروشنا بقروشنا
وهوى الجمود بنا لأخمصه ألم
فاعجب لحي مات من ظمأ على
وسل الشفاء لأمة موقوذة
واليك في الأخبار خير تحية
وكبير أعجاب عيبت بشرحه

نجع حمادى: ٢٢ شوال ١٣٥٢هـ

محمد النجمي



أخلاق الأمراء

قال عبد الله بن طاهر: كنت عند المأمون يوماً فنادى الخادم قائلاً: يا غلام! فدخل غلام تركي وهو يقول: كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام! إلي كم يا غلام يا غلام؟ أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب!! فنكس الخليفة رأسه، قال عبد الله: فما شككت في أن يأمر بضرب عنقه، ثم رفع رأسه وقال للغلام: اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى، ثم قال: يا عبد الله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خادمه، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خادمه، ولا ينبغي أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خادمنا.



العيش الرغيد

من شاء عيشاً رغيداً يستفيد به في دينه ثم في دنياه إقبالاً
فلينظرن إلى من فوقه أدباً ولينظرن إلى من دونه مالاً



الموت نعمة

إن الحيوان والنبات هما اللذان يعتريهما الموت والحياة، وقد وضع الله في طبيعة أكثر النبات وأكثر الحيوان كثرة الذرية كثرة مفرطة جداً، وتلك الكثرة الطبيعية لحكمة، وهي أنها تكون ضماناً لبقاء الأنواع على الأرض، فلو لا هذه الكثرة المفرطة لانقرض كثير منها ولم يُعوض بمثله في الأرض، فلو تركت تلك

الذرية المتعاقبة حيناً من الدهر، لامتلاً وجه الأرض بالحيوان، فلم تعد الأرض تصلح لحيوان جديد، فموت هذه المخلوقات وسرعة فنائها هي النعمة العظمى؛ لأنها تخلي وجه الأرض لما بعدها، فالموت أشبه بالتخلية، والحياة أشبه بالتخلية، وهذا هو السر في تقديم ذكر الموت على ذكر الحياة في قول الله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ من سورة الملك، ولأضرب ذلك مثلاً لذلك:

إذا نظرت إلى مقدار ما في النخل من لقاح، وما في الذرة مما ينتشر في الهواء أو يقع على الأرض، تجده لو صادف صلاحاً وأثمر كله لم تسعه الأرض.

كلنا نرى السمك وما في باطنه من المقادير الكبيرة من البيض الصغير الدقيق جداً، وهو عدد عزيز كثير يسمى (البطروخ) يأكله الناس ويبيع في الأسواق، فلو أن هذا البيض كله صار سمكاً لأصبح البحر الملح قطعة جامدة.

تري أن في البيوت من أنواع الحشرات كالبق والبراغيث وأمثالها ما لو تركت ولم يهلكها الناس، ولم يُسلط عليها البرد فيهلكها، وغيرها من الحشرات كالجراد وغيره؛ لأصبحت الأرض كلها مغلفة بطبقة منها، فامتنت الحياة عليها.

ذكر العلامة (وولاس) عشباً ينتج من البذر كل سنة ثلاثة أرباع مليون بذرة، وقدر أنه لو عاش هذا النسل ثلاث سنين فقط، وأعقبت كل بذرة في هذه المدة ما بقي مكان في الأرض غير مغطى بها، وقال: لو أن كل نبات أنتج حبتين اثنتين في السنة، واستمر النسل على الإنتاج، لبلغ عدد الإنتاج في السنة الحادية والعشرين ١٠٤٨ ٥٧٦ .

إن بعض الحيوانات الدقيقة المسماة (ميكروبات) لو استمرت على التوالد مدة خمسة أيام بدون انقطاع لملأ المحيط كله بنسلها إلى عمق ميل.

وميكروب الوباء (الكوليرا) الذي يتضاعف كل عشرين دقيقة، لو مضى عليه يوم واحد، وهو يسير بهذا المعدل بلا عائق لبلغ وزنه ٧٣٦٦ طنًا، وبلغ عدده رقم ٥ وإلى يمينه ٢١ صفرًا.

والفيل معلوم أنه أبطأ الحيوان ولادة، فإن الفيلة لا تلد إلا مرة واحدة في كل عشرين سنة، وقد حسب أحد العلماء أنه لو استمر التناسل بدون عائق، لبلغ نسل الزوجين بعد ٧٥٠ سنة ١٩ مليون فيل.

الجراد كثيرًا ما يهجم على القرى والمزارع وهو كالسحاب، فيأكل ما أمامه، ومتى لم يجد ما يأكله أكل بعضه بعضًا.

السماك الذي يشرب الناس زيتته لتقوية الجسم، تبيض الواحدة من أنثاه مليون بيضة في العام الواحد، فلو أصبحت كل هذه البيضات المستخرجة من سمكة واحدة في سنة واحدة سمكًا لصار البحر كتلة جامدة.

بعض المحار في البحار تبيض الواحدة ستين مليونًا من البيض، وهذا النسل لو بقي كله ما بين عام وعامين ل زاد على الكرة الأرضية.

الذباب الذي ينغص عيش الإنسان إذا تكاثر أمامه تبيض الأنثى منه خمس أو ست مرات، وفي كل مرة تبيض من ١٢٠ بيضة إلى ١٥٠ بيضة، فلو عاشت كلها لم يعيش شيء على الأرض معها، هذا قل من كل من سرعة تكاثر الحيوان والنبات، فلولا الموت لم تكن حياة، هذا هو السر في تقديم الموت على الحياة.

ربما كان حيوان يعيش على آخر، فإذا انقرض ذلك الآخر مات الحيوان، مثال ذلك الثعابين تعيش في بعض البلاد على الجرذان، وبموت الجرذان

وانقراضها تموت الثعابين وتنقرض من تلك الجهة، فإذا كثرت القطط أكلت الجرذان، وبفنائها تفنى الثعابين، إذن تكون حياة القطط هلا كالنوعين الجرذان والثعابين، وذلك في بعض البلاد، وهذه رحمة عظمى.

جراثيم المرض المسمى (المالريه) إنما تعيش في جسم البعوض، فإذا أزيل البعوض زال معه ذلك الحيوان المهلك.

لولا حياة البقر ما ابتلي الإنسان بالدودة الوحيدة، إنها تعيش أولاً في لحم البقر، ثم تنتقل إلى جسم الإنسان وتعيش في أمعائه؛ فلو لم يكن بقر لم تكن دودة وحيدة.

بهذا وأمثاله من الحكمة التي أشرقت بها الأرض وأضاء نورها؛ نعرف نعمة الله في الموت، ونعرف السر في تقديم الموت على الحياة في سورة الملك من كتاب الله الحكيم.

طنطاوي جوهري



العزة وبُغد الهمة

من عرف منهل الذل فعافه، استعذب نقيع العز وزعافه، عزة النفس وبعد الهمة، الموت الأحمر، والخطوب المدلهمة.

الزمخشري



كبرياء الفقير

للأستاذ صلاح اللبابيدي

مشى يائساً في الدهر ينهشه الفقر
يعيش بهوج من أمانى كلما
شديد مراس النفس يعطي ميولها
نسيم الصبا إن هب يزهرق روحه
وما الليل في عينيه إلا حياته
كأن مناط النجم آمال نفسه
يضيء بعيداً عن مرآيه نورها
فإن علقت عيناه حيناً بشاقب
تراه وقد أودى به الفقر عابثاً
كأنى به في ساحل اليم صخرة
تعانده الأقدار في كل مطلب
عرفت به الكبير الذي لا تناله
وليس بمكسال إذا لاح رزقه
ولكنه يعطي قليلاً بسعيه
يطيب له القوت الذي من دمائه
ولو أنه يُجزى على قدر سعيه
فيني له بيتاً من المجد شامخاً

خصيب رياض العيش في عينه فقر
تهب عليه راح يسكنها العسر
ويعرض مثناً وليس به وقر
فيُطلق أنفاساً يضيق بها الصدر
ولكنها ليل وليس له فجر
ويا بؤس من آماله إلا نجم الزهر
وغاياته شتى ومسلكها وعر
خبا النجم في عليائه وهوى الكبير
بآلامه يطفو على يأسه بشر
سواء لديها هاج أو سكن البحر
ويهزأ بالأنواء - إن هبت - الصخر
مطامح نفس دونها الطائر النسر
يجدُ فتفى فيه أنمله العشر
فأعماله جلى ومورده نزر
وإن هو يُعطى منهُ طعمه مر
مشى صاغراً يسعى لحاجاته الدهر
إذا شع منه النور ضاق به البر



حقيقة الكرم

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

حاتم الطائي



□ صفحة من تاريخنا □

دماء بني أمية

لما قدم عبد الله بن علي العباسي الشام - وقد قُتل من قتل من بني أمية بعد
ذهاب دولتهم - استدعى الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي وهو في جنده
وحشمه وقال له :

ما تقول في دماء بني أمية؟

قال الأوزاعي: قد كانت بينك وبينهم عهود، وكان ينبغي أن تفي بها.

قال الأمير: ويحك، اجعلني وإياهم لا عهد بيننا.

قال الأوزاعي: فأجهشت نفسي وكرهت القتل، فتذكرت مقامي بين يدي

الله، فلفظتها فقلت:

دماؤهم عليك حرام!

فغضب عبد الله بن علي وانتفخت عيناه وأرداجه، فقال:

ويحك، ولم!

قلت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه».

قال: ويحك، أليس الأمر لنا ديانة؟

قلت: كيف ذاك؟

قال: أوليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي؟

قلت: لو أوصى لعلي ما حَكَّم الحكمين؟

فسكت وقد اجتمع غضبه، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يديه، فأشار بيده هكذا، وأوماً أن أخرجوه، فخرجت.

وفي هذا الحادث فضيلة لعبد الله بن علي، وهو في ساعة تأسيس ملكه، وانتصاره على خصمه، واجتماع الأمر له، واضطرام النار تحت الرماد من أنصار الحكم السابق الذين ينتظرون أملاً في النجاح، لينتفضوا ويثوروا، فإن العباسي احتمل هذه الصراحة العظيمة من ذلك الإمام الأعظم، ولو أن أكبر حكيم في فرنسا جادل وزيراً فرنسياً عند نشوب الحرب العظمى في أمر الحرب وأن الألمان خير مما يزعمه فيهم ساسة الفرنسيين، لما احتمل ذلك منه، ولأسلمه إلى محكمة عسكرية.

وأعظم من فضيلة عبد الله بن علي فضيلة الإمام الأوزاعي الذي كان يعلم بأن صراحته في الحق تُعرضه للقتل، وأجهشت نفسه وكرهت القتل، ثم لم يكتم حكم الله عند ما تذكر مقامه غداً بين يدي الله ﷻ.

والأوزاعي هو ذلك الطود من أطواد الإسلام الذي لما علم الثوري بمقدمه

خرج إلى ملقاه، وأخذ بخطام بعيره من القطار ووضع على رقبته، وجعل إذا مر
بجماعة قال:

الطريق للشيخ!

تُرى لو بقيت هذه الجرأة في إعلان الحق في علماء الإسلام إلى اليوم،
هل يبقى على وجه الأرض عاقل يتردد في قبول هذا الدين، والدخول في
هدايته؟

أضاعوا الإسلام فأضاعهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم..

محب الدين الخطيب



الربيع

قصيدة الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم

ألقيت في وقت الربيع (ذي الحجة ١٣٥٢هـ) بجمعية (الشبان المسلمين) بالإسكندرية

وتريك طيب العيش كيف يوافي	دنياك تضحك عن وداد صاف
تشفيك من شوق بقلبك هاف	تزجي زخارفها إليك تحية
فلقد كفاك أذى السجينة كاف	عجل لنفسك في الربيع سراحها
بأنامل للزهر فيه لطاف	واحلل عرى عينيك في جنباته
لين الشباب النضر بعد جفاف	رئاً منعمة يريك رفيفها
في جاهه، ويملن بالأعطاف	ملك الخمائل، يكتسبن نضارة
للحسن، من غرق وآخر طاف	تجري المواكب حوله في لجة

طلق الجلال، يسير بين جنوده
 أغفت معارفها، فلما جاءها
 بعث الحنين إلى الأحبة وفده
 دنيا محت رسم السلو وجددت
 عكف الجريح على جوى أحشائه
 لم يبق من حق الحياة معطل
 قل للمفرط في لبانة نفسه
 لك من تباشير الربيع رسالة
 ناج الحداثق، فهي شرّ ضاحك
 صور العواطف والحياة تموج في
 هذا يناولك الهموم، يديرها
 استوف حقلك من مرارة علقم
 أو ما رأيت الأرض، تذبل تارة
 نزلت على الحكمين يَغْتَوْرَانِهَا
 تثرى من الحسن البديع فإن مضى
 خُذ من عوارفها ومن آلائها
 تعطيك مسرفة، تعلّم ذا الغنى
 كرمت على بخل الزمان وما جنى
 أسبغ ثناءك واجزها ما أسبغت
 أتجرُ أفواف النعيم سنية
 وفّ المجوّد الصنّاع جزاءها

فوق الربى في ضجة وهتاف
 هبت تُنبه كل قلب غاف
 فطوى الديار، وطاف كل مطاف
 لذوي الصبابة كل أمر عاف
 ومضى بقلب واله وشغاف
 جنّح الزمان بنا إلى الإنصاف
 ضيّعت أمرك، فانطلق لتلاف
 من روح ربك ذي البيان الوافي
 واستنشد الأزهار، فهي قواف
 دنيا من الألوان والأوصاف
 حرى، وهذا من همومك شاف
 يسقيكه الساقى؛ وطيب سُلاف
 وتعود أخرى غضة الأطراف؟
 من لَبِنَ سمح، وآخر جاف
 راحت بمنزلة القديم العافي
 ما شئت، لأنك قانعًا بكفاف
 شرف العطاء، وسودد الإسراف
 بالأمس من ظلم ومن إجحاف
 من كل واف في الصنائع ضاف
 وتروح عارية من الأنواف؟
 لا تجزيّن على يد بخلاف

أودى الجحود بمحسنين تنازعوا
 فقدوا الرجال المنصفين، فشأوهم
 أرأيت من يزن الرجال، فيحتفي
 ما أنصف الهمج الجفال وإن هو
 قل للسواجع في الفصون: ترنمي
 العُرس حولك والعروس ازينت
 زيدي على النسق القديم وجددي
 زمن القديم مضى وليس بمنصف
 الفن وجدان العصور، وصورة
 حذق المتقب يستقل بما انطوى
 صلف المبرز في مذاهب غيره
 يا شير يا شاق البيان، وإنما
 غرّد، وإن هجت الهموم لطائر
 وزد النмир العذب غير مروّع
 يا طير إن كنت اللبيب فلا تبت
 هان النفيس فضاع بين معاصر
 غرّد وحي الضيف غير مقصر
 يعطي جزأفاً، لا كمن رزق الغنى
 حمل الطرائف والهدايا، تستحي
 لم تزجها (بلقيس) في سلطانها

من عبقرى الصنع كل طراف^(١)
 شأو الضعاف، وما هو بضعاف
 بمجردين من الحلوم خفاف؟
 نزلوا لديه منازل الأشراف
 وصلي فتونك بعد طول تجاف
 لم يبق غيرك، فأذني بزفاف
 نسقاً يجدد هزة المشتاف^(٢)
 من لا يزيد ذخائر الأسلاف
 مما يسبغ العالم المتنافي
 من سره، وبراعة الكشاف
 إذعان ممتهن، وعجز مضاف
 ضاق الزمان، وضم بالاسعاف
 حمل الهموم كثيرة الأصناف
 مثلي بورد ما يطاق ذعاف
 إلا سليب مروءة وعفاف
 وضعوا اللآليء موضع الأصداف
 إن الربيع لأكرم الأضياف
 فسخا، وليس عطاؤه بجزاف
 منها هدايا المسرف المتلاف
 والملك أفيح واسع الأكناف

(١) الطراف: الشرف.

(٢) اشتاف إليه استيقافاً. بطاؤون ونظر إليه.

تهدي الذخائر من نضار ساطع
تبلى (سليمان النبي) لعله
قذفت (بعفريت) تناول عرشها
يطوي الجواء به كريشة طائر
شمري رميت من الربيع بصاحب
سر البيان أذاعه عن قدرة
سبحان ربك، إنها آياته
دع من يجادل في الحقائق واجتنب
ما المرء ينظر كل شيء ضاحيًا
شئى المئين كثيرة الآلاف
ممن يعادي في الهوى ويصافي
بيدي أخى جبرية قذاف
والريح تعجب، والرماد السافي
سمح السهام مهذب الأهداف
كالسحر يظهر كل سر خاف
تشفي القلوب من العمى وتعافي
ما اعتاد من كذب ومن إرجاف
كالمرء ينظر من وراء سجاف

أحمد محرم



المرء ضيف

أنت في الدنيا كضيف نازل
فاحيى بالذكر إذا العمر انقضى
حل في الأحياء حيئًا وانصرف
واجعل الرسم من الجسم خلف
ضحكنا، وكان الضحك منا سفاهة
تحطمنا الأيام حتى كأننا
وحق لسكان البسيطة أن ييكوا
زجاج ولكن لا يُعاد لنا سبكُ



أبو العلاء المعري



كيف كان المسلمون يحكمون الأمم؟

قال الإمام أبو يوسف (صاحب الإمام أبي حنيفة) في كتاب «الخراج»:

بعث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه زياد بن حدير الأسدي على عشور العراق والشام؛ وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن أهل الحرب العُشر، فمر عليه رجل من بني تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقَوِّموها بعشرين ألفاً، فقال: أعطني الفرس وخذ مني تسعة عشر ألفاً أو أمسك الفرس وأعطني ألفاً، قال: فأعطاه ألفاً وأمسك الفرس، قال: ثم مر عليه راجعاً في سننه فقال له: أعطني ألفاً أخرى، فقال له التغلبي: كلما مررت بك تأخذ مني ألفاً؟ قال: نعم، قال: فرجع التغلبي إلى عمر بن الخطاب، فوافاه بمكة وهو في بيت، فاستأذن عليه، فقال: من أنت؟ فقال: رجل من نصارى العرب (وقص عليه قصته)، فقال له عمر: كثيف، ولم يزد على ذلك، فرجع التغلبي إلى زياد بن حدير، وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفاً أخرى، فوجد كتاب عمر قد سبق إليه: من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قابل، إلا أن تجد فضلاً. قال فقال الرجل: قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفاً، وإني أشهد الله أنني بريء من النصرانية، وإني على دين الرجل الذي كتب إليك هذا الكتاب.



وقال طلحة بن معدان العمري: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ﷺ، وذكر أبا بكر فاستغفر له، ثم قال:

(أيها الناس إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يُطاع في معصية الله، وإني لا أجد هذا المال يُصنعه إلا خلال ثلاث: أن يؤخذ بالحق، ويُعطى في الحق، ويُمنع

من الباطل، وإنما أنا ومالككم كولي اليتيم، إن استغيت استعفت، وأن افتقرت أكلت بالمعروف، ولست أدع أحداً يظلم أحداً ولا يعتدي عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يُدعن للحق، ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها: لكم عليّ أن لا أجتبي شيئاً من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله، وأسد ثغوركم، ولكم عليّ أن لا ألقىكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم^(١)، وقد اقترب منكم زمان قليل الأمان، كثير القراء، قليل الفقهاء، كثير الأمل، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها، كما تأكل النار الحطب، ألا كل من أدرك ذلك منكم فليثق الله ربه وليصبر....

أيها الناس، إن الله عظم حقه فوق حق خلقه، فقال فيما عظم من حقه: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلدِّينَةِ وَالنَّاسِ أَرْبَابًا أَيَّامُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ألا وإنني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم، فأدروا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقتلوا بهم الكفار طاعتهم، فإذا رأيتم بهم كلاله فكفوا عن ذلك، فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم.

أيها الناس، إنني أشهدكم على أمراء الأمصار أنني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيهم، ويحكموا بينهم، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ).

(١) تحمير الجرح: جرحهم في الشئ ربههم عن البراءة إلى أسلمهم.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لا يصلح هذا الأمر إلا بشدة في غير تجبر، ولين في غير ومن.



وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى كعب بن مالك -وهو عامله على الكوفة-: (أما بعد؛ فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة، فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم، حتى تمر بمن كان منهم فيما بين دجلة والفرات، ثم راجع إلى البهقباذات^(١) فتول معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها. واعلم أن الدنيا فانية، وأن الآخرة آتية، وأن عمل ابن آدم محفوظ عليه، وأنت مجزي بما أسلفت، وقادم على ما قدمت من خير، فاصنع خيرًا تجد خيرًا.



سلطان العلماء على الأمراء

لما ولي ابن هبيرة العراق، وأضيفت إليه خراسان في عهد يزيد بن عبد الملك، دعا إليه الحسن البصري في جماعة، ثم حدثهم في شأن الخلافة والخليفة والسلطان والطاعة، فقال الحسن:

(يا ابن هبيرة خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكًا، فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة الدهر إلى ضيق القبر، ثم لا ينجيك إلا عملك).

(١) بهقباذ: اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقى الفرات، منسوبة إلى بهقباذ بن فيروز، والد أنو شروان العادل.

عمران حضرموت

من رواية تمثيلية شعرية للأستاذ علي بن أحمد باكثير

انظر إلى هذي السهول فقدُ
كانت جنائناً لا فجاء بها
من عدوة الوادي القصي إلى الـ
عَمَر الجدود بها مواطنهم
ما بعد عام الألف ما قدمت
لما تجف بها مواطيء أفـ
البر والسمراء، والذرة الـ
والنخل والأعناق حافلة
والسدر يفرش في الفضا بسطاً
فهناك النعماء تخطر ما
لله عيشهم فلا كدر
دع عهدا العادي من قدم
إذ كانت الأنهار جارية
تلك الحقائق لا يصدقها
تلكم بقاياها تدل على

كانت مزارع ما لها حدُ
- غير الممر لراكب - تبدو^(١)
أهضام من حدراء تمتدُ
فغنوا وعيشهم بها رغدُ
منه العهود وما بها بُعدُ
دام الألى اشتغلوا بها بعدُ
ببضء والأفواه والرنندُ
نقطفهن كأنها شهيدُ
من سندس خضر فينسُدُ
بين الحقول يزينها البردُ
يعتاق صفوهم ولا جهدُ
فلقد تقادم ذلك العهدُ
تحت الجنان كأنها الخلدُ
قوم عيون قلوبهم رمُدُ
ما كان سد دونه سدُ

(١) الفجاء: جمع فجوة. ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بسايتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة، لا فجوة بها خالية من الأشجار والزرع، إلا مقدار ما يمر الراكب.

يحتاز ماء القطر يقسمه
فنمت مزارعها فما فتئت
هي سنة الباري فما كثر الـ
قف سائل الآثار كيف ذوت
تخبرك إن نطقت: وريثما
في بطن أرض أنت واطئها
تصبو إلى العمل المفيد ترى
فتلاهم خلف كأنهم
فسبيلنا ترديدنا أبداً:
بين الأراضي حكمها القصد
فيها الغيوث تروح أو تغدو
أشجار فالأمطار تشتد
تلك الخمائل فهي ذي جرد
نطق الجماد وقوله الرشد
همم تصول فليس ترتد
أن السعادة ركنها الجد
لا ساعد لهم ولا زند!
نعم الجدود وبنت الولد!

علي أحمد باكثير



طريق الذل

«إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» (رواه الإمام أحمد في «مسنده»^(١)، والطبراني في «الكبير»^(٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان»^(٣) عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ، وهو حديث حسن).

(١) برقم (٤٨٢٥).

(٢) برقم (١٣٥٨٣).

(٣) برقم (٤٢٢٤).

«إذا قال الرجل للمنافق: يا سيدي، فقد أغضب ربه» (رواه الحاكم في المستدرک^(١))، والبيهقي في «شعب الإيمان»^(٢) عن بريدة، عن النبي ﷺ، وهو حديث صحيح).



الشهيد

شاعر فلسطين الأستاذ/ إبراهيم طوقان

عبس الخطب فابتسم	وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى	ثابت القلب والقدم
لم يبال الأذى ولم	يثنه طارئ الألم
نفسه ضرع همة	وجمت دونها الهمم
تلتقي الهائج الخضر	م إلى الراسخ الأشم
وهي من عنصر الف	داء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة	لفحها حرر الأمم
سار في منهج العلى	يطرق الخلد منزلا
لا يبالي، مكبلا	نال أم مجندلا
فهو رهن	بما عزم
ربما غاله الردى	وهو في السجن مرتهن
لم يشيع بدمعة	من حبيب ولا سنن

(١) برقم (٧٨٦٥).

(٢) برقم (٤٨٨٤). وحسنه الألباني.

ربما أدرج التراب سلبًا من الكفن
 لست تدري، بطاحها غيبتة أم القنن
 لا تقل أين جسمه واسمه في فم الزمن
 إنه كوكب الهدى لاح في غيبه المحن
 أرسل النور في العيون ، فما تعرف الوسن
 ورمى النار في القلوب فما تملك الضفن
 أي وجه تهللا يرد الموت مقبلا
 صعد الروح مرسلا لحنه ينشد الملا
 أنا لله والوطن^(١)



العالم

قال رجل للشعبي: أيها العالم!
 فقال: لسنا بعلماء، إنما العالم من يخشى الله.



(١) بل المسلم لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) لَا سَرِيكَ لَهُ وَيَدْرِيتُ أَيْمُنُ رَأْيَا أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (٢) . (س. ١).

من حكمة أبكتانوس الروماني

كان أبكتانوس الحكيم عبداً لصاحب الشرطة في روما على عهد الإمبراطور نيرون في أواخر القرن الأول للمسيح، ولما أمر الإمبراطور الروماني فرمطيانوس بإخراج الفلاسفة من مملكة روما، هاجر أبكتانوس إلى بلاد اليونان ومات فيها، وكان أساس حكمته أن يُميز الإنسان بين ما هو مقدوره فيحتاج له، وبين ما هو مقدوره، فيصبر عليه ويرضى به. ومن أقواله:

* لا يكن حذرک إلا فيما هو في قدرتك، وكن مطمئن البال فيما سواه.

* أكثر ما تضطرب من أجله أفكار الناس ينشأ عما يتخيلونه في الحوادث لا عن الحوادث نفسها، فإذا أحسنا في نفسنا القلق والحزن، فلنلم أنفسنا، أي: ما فينا من الظنون الكاذبة.

* من لام غيره على ما يطرأ له فهو جاهل، ومن لام نفسه دون غيره فقد شرع في الحكمة، وأما الحكيم فلا يلوم نفسه ولا غيره.



الفتح في عامها التاسع

أخذ الكرى بعيون دهرک فاسهدي
لم يبق إلا بعض يومک والغد^(١)
وبدت طريق الفوز تلفت بالصوى^(٢)
لسلوکها عين (المحب) المهتدي

(١) نوم الدهر: كناية عن هدونه.

(٢) الصوى: أملاط الطريق.

يفري الحسام بها الضريبة مغمداً
 فاطوي مراحلها لباذخة العلى
 واستقبلي الخيرات في إقباله
 أنتِ الخليفة بالثناء، وإن مضى
 والمستقلة بالمحجب للنهى
 صاولتِ أقبال الضلال بعزمة
 وصرعتِ أبطال المجون بصارم
 ليت الألى جهلوا مكانك فانتخوا
 وتنكبوا أمم^(١) الطريق، وأوفضوا^(٢)
 ألقوا إليك بنظرة، فتلقنوا
 أو ليت من حسبوا الجمال تجملاً
 وتوهموا حظ الحياة رقاعة
 وضراوة بالمخزيات، وجرعة
 راضوا النفوس عليك فانقلبوا وهم
 ليت الألى تركوا الطريق أماناً
 وتعبّد الدينار منهم أنفساً
 فأصاب منها ذلك الخلق الذي
 جاروا كرام الناس في الجدوى كما

ويصيب فيها السهم غير مسدد
 وتبواي منها مكان الفرقد
 عامّاً يروح بها عليك ويغتدي
 بمذمة التقوى لسان الملحد
 بالرغم من أنف الخليج المفسد
 رغم الوقوف أمامها لم تقعد
 كتبت عليه يد الهدى: هذا يدي
 يتلمسون الكحل عند الأرمد
 يتهالكون على الطريق الأبعد
 درس الهداية عن لسان المرشد
 بالثوب يوزن نسجه بالمسجد
 وتحرشاً بالفاتنات الخرد
 تودي من الخمر العتيق وما تدي^(٣)
 في الفضل أفضل قدوة للمقتدي
 بالشح للعلباء غير معبد
 سجدت له في خشية المتعبد
 بسواه لا يسمو الفتى للسودد
 سبقوا الزعانف في التبذل والدّد^(٤)

(١) الأمم: القريب.

(٢) انطلقوا مرعين.

(٣) تهنك.

(٤) الدد: اللعب واللهو.

قعدوا بأحساب البلاد، ووطأوا
 وعدوا^(١) على أمجادها؛ فهووا بها
 ورموا ميادين العلاء بمقلة
 ومن الغيبة أن ترى عبد الهوى
 يا راكبًا متن البخار موليًا
 ترمي به شط العروبة همة
 قل للأهله من ذوي أرحامنا
 لله أنتم معشر، كنديّ
 أوصدتم للشر بابًا والأذى
 أقعت ذئاب الشر تزعج دونه
 حتى لكاد اليأس يلقي بالرجا
 وصفعتم الغرب الشحيح براحة
 أورته أن الشرق أصفى فطرة
 واحمل لوفد المسلمين تحية
 وادخل إلى البيت العتيق وطف به
 وادع المهيمن أن يدع خصومنا
 ويلم شمل بني الهدى وريقيهم
 ويزيدهم أخذًا بكل مثقف
 ويمد بالتأييد كل أخي ندى
 أصحيفة (الفتح) المبين تحية

منها المناكب لافتات المعتدي
 بعد السمو إلى الحضيض الأوهدي
 لولا جمود أكفهم لم تجمد
 منهم تكال له نعوت السيد
 وجه المنى والشوق شطر المسجد
 شب الهوى في جمرها المتوقد
 من منهم سمح اليدين ومنجد
 شهد التدبر أنه لم يشهد
 لولا الأناة وفضلها لم يوصد
 سمع النهى بعوائها المتردد
 فلذا تروع بشملها المتبدد
 بسوى المروءة والندى لم تُمدد
 منه وأنبل غاية في المقصد
 حفلت بأعذار الثناء المجهد
 واركع هناك لوجه ربك واسجد
 دعا لهاوية الهوان السرمد
 عنت الزمان وشر كيد الحسد
 لنهى الجماعة، للحياة مجدد
 (للفتح) في شرف الجهاد مؤيد
 من ضاحك السرير والورد الندي

(١) وثبوا.

عن أمة التوحيد في مجموعها
رجل الجهاد المستمّد عتاده
الزاهد الأواب إن شخّ الحيا^(١)
المُستعزّ بربه وبدينه
والمستطيب أذى الجهاد، وإنها
لا زلتِ للأفكار نجمًا تهدي
من ثامنٍ تتقدّمين لتاسع
لا تضجري، فالعسر ظلّ سحابة
وتنظري البشري^(٢) فقد أخذ الكرى
هذي فروغُ الفوز تفتزع الجوا

تُهدى لصاحبك الكريم المَحْتَد
من صَبْرِهِ وَيَقِينِهِ المتجدّد
فمضى بصبر القانع المتزهد
إن ذلَّ للأغيار وجهُ المجتدي
لفضائلٍ في غيره لم تُوجد
بسناه في هذا الزمان الأسود
خَضِبِ، إلى ما لا يُعد على اليد
والنجاح من حلف الثبات بمرصد
يلقى الغطاء عن العيون الهُجد
طولاً لتؤتى أكلها وكأن قد

١٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ

النجسي



من الحكم

بعض الحلم مذلة، وبعض الاستقامة مزلة، فإساسة الكرم لا تبطل، وقيافة الشرف لا تخطى، خير البر ما صفا وضا، وشره ما تأخر وتكدر.

الصاحب بن عباد

(١) الحيا: المطر. والمراد به هنا مورد الكسب.

(٢) ارتقيها.

إنني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكثر من حلمي، أو عورة لا أوداها بستري، أو إساءة أكثر من إحساني.

معاوية رضي الله عنه



تحية الفتح في عامها التاسع

من شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم

أمنارة الساري، وأمن الوادي
أسفُ الصدى أن يضمحلَّ، وما قضى
ومن العناء، وقد بلوَّتْ صنوفه
في ذمة الذكر الحكيم رسالتي
أنتَ العليم بما أريد وأبتغي
عِفْتُ الصبي، وجعلتُ شبي قُرْبَةً
كلُّ لوجهك، ليس شيءٌ غيره
أغرى الخوراج بالعداوة أنهم
أنتَ الموفق، والنفوس رهينة
لك يا منورة البقاع تحية
سيرى على نور (الكتاب) وهديه
لك في (بني الإسلام) أجر مجدد
أنصفتِ (دين الله) من أعدائه
وغضبتِ للأخلاق غضبة حرة
هل بات حولك سامرٌ فأنادى؟
وطرًا من الأسماع والأكباد
فشل الهداة، وخيبة القواد
وإليك ربِّي مرجعي ومعادي
وبما أكابد من أذى وعناد
أبغى الحياة لأمتي وبلادي
إلا بصير إلى بلى ونفاد
وجدوا مرادك في الحياة مرادي
بقضائك الجاري إلى الآباد
من رائحٍ في نور علمك غاد
وعلى التي سن (الأمين الهادي)
لشرائع الآباء والأجداد
وهزمت دين الكفر والإلحاد
تأبى الحياة مشوبة بفساد

وجهدت تبين (العروبة) كلما
 ردي الغواة إلى السيل، وائذني
 وخذي العهد على الرجال فحسبهم
 الضعف أدركهم وكانوا قوة
 يلقي إليها المستبد قياده
 إن أمسكت فمن الأذى، وإذا مضت
 عطفت على الأم الضعاف وطوحت
 لم تتخذ ملكًا أزل^(١) ولم تُقم
 خلقت سلامًا للشعوب ورحمة
 يرعى الضعاف به ويملك أمرهم
 يرد الدماء بريئة ويخوضها
 الله حرمها ودافع دونها
 نظر الهداة إلى الشعوب فما دروا
 وتعجبوا للأرض كيف يسوسها
 مرضت نفوس العالمين فعادها
 طب من (الوحي المفصل) آخذ
 ما انفكت الأنفهام في أصفادها
 إليه (محب الدين) زده محبة
 لي من يراعك في الصباية مسعد
 وتعال نقض الحق في ميعاده

أبصرت حائطها بغير عماد
 في الجامحين بحكمة وسداد
 ما كان من شغب وطول تعاد
 لا تُستباح بقوة وعناد
 والحق منها آخذ بقياد
 مضت السيوف على هدى ورشاد
 خلف الدروب بأخرين شداد
 حكمًا على شطط ولا استبداد
 في عالم بادي الشراسة عادي
 غرثان يلتهم الممالك صادي
 ولهى ولم تك مطمح الورد
 من ذا يدافع ربه ويرادي؟^(٢)
 أعقول وحش أم ضبا حساد.
 طغيان أرباب وجهل عباد
 خير الأساة وأفضل العواد
 بمجامع الأرواح والأجساد
 حتى تداركها (الرسول الفادي)
 في المؤمنين وزدّه صفو وداد
 فامزج مدادك في الهوى بمدادي
 إن الحياة قريبة الميعاد

(١) غير ثابت.

(٢) المرادة: الرمي بالحجارة.

اليوم نملك أن نقول وإننا
 قل ما أردت وناد قومك أقبلوا
 الله يسأل أين غودر دينه
 أفيطمع النوم ملء عيونهم
 سر يا دليل الركب مأمون الخطى
 المسلمون على هدى من ربهم
 إلى رفات صامت ورماد
 من حاضر يخشى الإله وبادي
 ويقول أين فوارسي وجيادي؟
 أن يملكوا الدنيا بغير جهاد؟
 وارفع يديك تحية للحادي
 ما دام نورك عن يمين الوادي
 أحمد محرم



الفتح في سنتها التاسعة

أحقت خطوط إلى التاسعة
 قطعت مراحلها عنوة
 وواصلت سيرك لم تشنه
 لقد هاجمتك سنئ عجاف
 فكنت اللبابة ثوت بالعرين
 ومر بأفقتك غيم كثيف
 لقد صادروك لكي يسقطوك
 ومن قبل أوصوا شياطينهم
 فكم لوّحوا ببريق النضا
 فإن لم تكوني صدى ظلمهم
 ولكن رضيت بشوك القنا
 وأتممت شقتك الواسعة
 سلاحك عزمتك القاطعة
 صعب تخطيتها مانعه
 تريدك شاة لها خاضعه
 فأبأست الفئة الطامعه
 فما نال من شمسك الساطعه
 فكانوا لك الآلة الرافعه!
 بأن يجعلوك لهم تابعه
 ر وناهيك من فتنة خادعه
 فلا توقظي الأعين الهاجمه
 د ولم تقبلي الزهرة اليانعه

فلله من موقف رائع
 وإن أنس لا أنسى إجماعهم
 وكيف هزأت بما بيتوا
 وقاومت قارعة أحدثوا
 نسوا أو تناسوا الذي سجلت
 وعزة نفس إذا أعطيت
 فيا (فتحُ) خطتك استأنفي
 وروحي كدأبك للمسلمين
 وسيري بهم رغم هذا الشتا
 لعل بعامك نيل المنى
 وما ثم يمن كحقن الدماء
 ولكن بحكمة عبد العزيز
 شهامته رد إكسبرها
 وكان لنصحك شأن عظيم

يزين مواقفك الرائعة
 على دفن آثارك الذائبة
 وأكثر شيعتك السامعة
 وما كان أهولها قارعه
 صحيفة تاريخك الناصعة
 بها (منجمًا) لم تكن بائعه
 ودومي بآفاقنا طالعه
 إلى الوثبة القوة الدافعه
 ت حثيًا إلى الوحدة الجامعه
 كما شمت من بدئه طالعه
 وكادت تراق سدى ضائعه
 وهمته انقضت الفاجعه
 ثمار مضراتها نافعه
 وكانت عقايرك الناجعه

محمد صادق عرنوس



من وصايا الآباء للأبناء

يا بني: أوصيك بتقوى الله ﷻ في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله تعالى في الشدة والرخاء.

علي عليه السلام

تغير الحال

ورب كريم تعتربه كزاة كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجر
 ورب جواد يمسك الله جوده كما يُمسك الله السحاب عن المطر
 أبو العلاء الأسدي



في الخمر

لعمرك ما يُحصى على الكأس شرها وإن كان فيها لذة ورخاء
 مرارًا تُريك الغي رشدًا وتارة تُخيل أن المحسنين أساءوا
 وأن الصديق الماحض الود مبغض وأن مديح المادحين هجاء
 يزيد بن محمد المهلبى



داعية الهدى

حي (الخطيب) ومجد (الفتحا) مرحى لداعية الهدى مرحى!
 مرحى! أقول -على الدوام- لها ولقد أقول لغيرها: برحى!
 لصحيفة الحق التي طلعت ففدا الظلام بنورها صُبحا
 عنيت بجد الشأن طاوية عن هزله وفضوله كشحا

تخذت سبيل اللّٰه مهيعها
 تحنو على الإسلام تحضنه!
 وتحارب الإلحاد في ثقة
 تنتبج الإلحاد تنسفه
 تغلبه من شعر الصلاح أذى
 تأتي عليه، تدك عاليه
 أضحت بهاجرة الزمان على
 يزهى بها الإسلام مغتبطاً
 قبس يوجب به بغيرته
 تخذ الجهاد شعاره، ومضى
 أواه! من ذل نكابه
 إنا بني قحطان ذل بنا
 هل نستعيد قوى بها فتحت
 ونشور متخذين عدتنا
 ذخران لو في غيرنا اجتماعا
 قل للعروبة وهي باكية
 قومي امسحي عينيك وامثلي
 جري على قتلاك مغفرة
 وامضي إلى (عبد العزيز) يزل
 أنت الحزينة، إن مضيت له
 ملك كأن اللّٰه أرسله

ورأت خسار معاشها ربها!
 لم تألّه حبّاً ولا نصحا
 أن الصبيحة تُعقب الجُنحا
 نسفاً، وتكسح جذره كسحا
 وتذيبه في مائها ملحاً!
 أرايت تحت قذيفة صرحاً؟
 فئة الهدى الينبوع والسرْحاً!
 وتنيه مائسة بها الفُصحى
 شهم بمهجته له ضحى
 لم يكثر قدحاً ولا مدحاً!
 لا نستطيع لثقله طرحاً!
 أنا نسينا السيف والرُمحاً!
 آباؤنا الشم الدنى فتحاً؟
 دما الصريح، وديننا السمحاً؟
 بلغ السماء وصافح النطحاً!!
 تذري الدموع وتشتكي البرحاً:
 هذي الجزيرة تعقد الصلحاً!
 ونحنني عطفاً على الجرحى!
 عنك السقام ويضمد القرْحاً!
 أضحبت هائثة به فرحى
 ليقيم من أمجادك الصرحاً!

فادعى له الرحمن سائلة أن لا يفارق سعيه النُّجحا
أمل العروبة في قضيتها بين (الرياض) يجول و(البطحا)!

القاهرة: ٥ صفر ١٣٥٣هـ

علي أحمد باكثير



جبلته بن الأيهم ملك غسان بالشام

قال حسان بن ثابت:

أتيت جبلته بن الأيهم الغساني قبل البعثة وقد مدحته، فأذن لي، فجلست بين يديه، وعن يمينه رجل له ضفirtان، وعن يساره رجل لا أعرفه، فقال: أتعرف هذين؟

فقلت: أما هذا فأعرفه -وهو النابغة الذبياني-، وأما هذا فلا أعرفه. قال: هو علقمة بن عبدة، فإن شئت استنشدتكما وسمعت منهما، ثم إن شئت أن تُنشدا بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت.

قلت: فذاك، فأنشده النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاسيه بطيء الكواكب
قال: فذهب نصفي

ثم قال لعلقمة: أنشد، فأنشده:

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفي الآخر. فقال لي:

أنت أعلم الآن، إن شئت سكت، وإن شئت أنشدت، فتشددت وأنشدت:

لله در عصابة نادماتهم يوماً بجَلَّقَ في الزمان الأول
أبناء جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الجواد المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم كأنا تُصَفَّقُ بالرحيق السلسل
يُغشون حتى ما نهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شَمُ الأنوف من الطراز الأول
فقال لي: ادن ادن، لعمرى ما أنت بدونهما.

ثم أمر لي بثلاثمائة دينار، وعشرة أقمصه، لها جيب واحد،
وقال: هذا لك عندنا في كل عام.

ولما أسلم جبلة، كتب إلى أمير المؤمنين عمر يستأذنه في القدوم عليه، فأذن
له، فخرج إليه في خمسمائة من أهل يبتهن من عكٍ وغسان، حتى إذا كان على
مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه، فسُرَّ بذلك، وأمر الناس باستقباله، وبعث
إليه بأنزال، وأمر جبلة مائتي رجل من أصحابه، فلبسوا الدباج والحريز،
وركبوا الخيل معقودة أذنانها، وألبسوها قلائد الذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه
وفيه قرطا مارية، وهي جدته، ودخل المدينة، فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا
خرجت تنظر إليه وإلى زيه، فلما انتهى إلى عمر، رحب به وألطفه وأدنى
مجلسه، ثم أراد عمر الحج، فخرج معه جبلة، فيينا هو في الطواف إذا وطيء
إزاره رجل من بني فزارة، فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري، فاستعدى
عليه عمر، فبعث إلى جبلة، فاتاه فقال: ما هذا؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنه تعمد حل إزاري، ولولا حُرمة الكعبة لضربت
عنقه بالسيف!

قال عمر: قد أقررت، إما أن ترضي الرجل وإما أقدته.

قال جبلة: تصنع ماذا؟

قال: أمر بهشم أنفك.

قال: وكيف ذلك، هو سوقة وأنا ملك؟

قال: الإسلام جمعك وإياه، فليس تفضله إلا بالتقى والعافية؟

قال جبلة: قد ظننت أنني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

قال عمر: دع عنك هذا، فإنك إن لم ترضِ الرجل أقدته منك!

قال: إذن أنتصر!

قال: إن تنصرت ضربت عنقك!

فلما رأى جبلة الجد من عمر قال: أنا ناظر في ليلتي هذه -وقد اجتمع بباب عمر من حي هذا وحي هذا خلق حتى كادت أن تكون فتنة-، فلما أمسوا، أذن له عمر بالانصراف، حتى إذا نام الناس تحمل جبلة مع جماعته إلى الشام، فأصبحت مكة منهم بلالقع، فلما انتهى إلى الشام تحمل في خمسمائة من قومه حتى أتى القسطنطينية، فدخل إلى هرقل، فتنصر هو وقومه، فسُر هرقل بذلك جداً، وظن أنه فتح من الفتوح، وأقطعه حيث شاء، وجعله من محدثيه وسماره. ثم إن عمر بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ووجه إليه رسولاً -وهو جثامة بن مساحق الكناني- فلما انتهى إليه أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام، فلما أراد الرسول الانصراف، قال له هرقل:

هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا؟

قلت: لا.

قال: فآلقه.

قال: فتوجهت إليه، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر مثله بباب هرقل، فلما أدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم، وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفه، وإذا هو جالس على سرير من قوارير، قوائمه أربعة أسد من ذهب، وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس، فما بين يديه من آية الذهب والفضة تلوح، فما رأيت أحسن منه، فلما سلمت عليه رد السلام ورحب بي وألطفني، ولامني على تركي النزول عنده، ثم أقعدني على سرير لم أدر ما هو، فتيبته فإذا هو كرسي من ذهب، فأنحدرت عنه، فقال: مالك؟

فقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا.

فقال جبلة أيضًا مثل قلبي في النبي ﷺ حين ذكرته، وصلى عليه.

ثم قال: يا هذا، إنك إذا طهرت قلبك، لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه^(١).

ثم سألتني عن الناس، وألحف في السؤال عن عمر، ثم جعل يفكر حتى عرفت الحزن في وجهه، فقلت له:

ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟

فقال: أبعد الذي قد كان؟

قلت: قد ارتد الأشعث بن قيس عن الإسلام، ومنعهم الزكاة، وضربهم بالسيف، ثم رجع إلى الإسلام.

(١) قلنا: ولكن غاب عن جبلة أن من مقاصد الإسلام استكمال الرجولة في رجاله، والابتعاد بهم عن خنوة الترف ولين الدعة.

فتحدثنا ملياً، ثم أوماً إلى غلام على رأسه، فولى يُحضر، فما كان إلا هنية حتى أقبلت الأخونة فوضعت، وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي، فاستعفيت، فوضع أمامي خوان من خلنج وجامات قوارير، وأدير الخمر فاستعفيت منها، فلما فرغنا، دعا بكأس من ذهب فشرب منه خمسا. ثم أوماً إلى غلام فولى يُحضر، فما شعرت إلا بعشر جوار يتكسرون في الحلبي والحلل، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم سمعت وسوسة من ورائي، فإذا أنا بعشر أفضل من الأول، عليهن الوشي والحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم أقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة، مؤدب، وفي يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خلطا، وفي اليسرى جام فيه ماء ورد، فألقت الطائر في ماء الورد، فتمعك فيه بين جناحيه وظهره ويطنه، ثم أخرجته فألقت في جام المسك والعنبر، فتمعك فيهما حتى لم يدع فيه شيئا، ثم نفرته فطار فسقط على رأس جبلة، ثم رفرف ونفض ريشه، فما بقي عليه إلا سقط على جبلة؛ ثم قال للجواري:

أطربني!

فخفقن بعيدانهن يغنين:

لله در عصابة نادمتهن يوماً بجَلَّق في الزمان الأول
(الآيات). فاستهل واستبشر وطرب، ثم قال: زدني!

فاندفعن يغنين:

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطيء اليرموك فالصمان^(١)

إلى آخر القصيدة.

(١) بلدة معان ونهر اليرموك في شرق الأردن.

فقال: أتعرف هذه المنازل؟

قلت: لا، قال: هذه منازلنا في ملكنا بأكناف دمشق، وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ.

قلت: أما إنه مضرور البصر، كبير السن!

قال: يا جارية، هاتي

فأتته بخمسمائة دينار، وخمسة أثواب ديباج، فقال: ادفع هذه إلى حسان، ثم راودني على مثلها، فأبيت، فبكى، ثم قال لجواريه: أبكينني.

فوضعن عيدانهن، ثم أنشأن يقلن:

تنصرت الأشراف من عار لطمة	وما كان فيها لو صبرك لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة	وكنت كمن باع الصحيحة بالعمور
يا ليت أُمِّي لم تلدني وليتني	رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة	وكنت أسيرًا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم بكى وبكى معه، حتى نظرت إلى دموعه تجول على لحيته، ثم سلمت عليه وانصرفت، فلما قدمت على عمر، سألتني عن هرقل، وعن جبلة فقصصت عليه القصة، فقال:

أبعده الله، تعجل ثانية بباقية، فهل سرح معك شيئاً؟

قلت: سرح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج، فقال:

هاتها!

وبعث إلى حسان، فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم، وقال:
يا أمير المؤمنين، إني لأجد أرواح آل جفنة!
فقال عمر رضي الله عنه: قد نزع الله تعالى لك منه على رغم أنفه، وأتاك بمعونته.
فأخذها وانصرف وهو يقول:

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم أبائهم باللوم
لم ينسني بالشام إذ هو ربها كلا ولا متنصرًا بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم



مجالس ملوك العرب أندية ثقافة وتهذيب

نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس في أحد الأيام، فجلس رجل
من أهل العراق على بعض الموائد، فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره، فقال:
أعراقي أنت؟
فقال: نعم!
فقال: بل أنت جاسوس!
قال: لا، ويحك دعني أتهنأ طعام أمير المؤمنين ولا تنغصه علي.
ثم إن عبد الملك أقبل يطوف على الموائد، فوقف على تلك المائدة، فقال:
من القائل:

إذا الأرطى توسد أبرديه

وما معناه؟ ومن أجاب فيه أجزناه.

فقال العراقي للخادم: أتعجب أن أشرح لك ذلك؟

قال: نعم!

فقال: هذا البيت يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرمسي، فنهض الخادم مسرورًا إلى عبد الملك فأخبره.

فضحك عبد الملك حتى سقط.

فقال له الخادم: أخطأت يا مولاي أم أصبت؟

فقال: بل أخطأت.

فقال: هذا العراقي لقني إياه.

فقال أي الرجال هو؟

فأراه إياه، فقال: أنت لقتته هذا؟

فقال: نعم.

فقال: صوابًا لقتته أم خطأ؟

فقال: بل خطأ.

فقال: ولم؟

قال لأنني كنت متحرّمًا بمائدتك، فقال لي كيت وكيت، وأردت أن أكفه عني وأضحكك منه.

فقال له عبد الملك: فكيف الصواب؟

فقال: هذا البيت يقوله الشماخ بن ضرار في صفة البقر الوحشية، التي جزأت

بالرطب عن الماء.

فقال: صدقت!

وأمر له بجائزة، ثم قال له: ألك حاجة؟

قال: نعم.

قال: وما هي؟

قال: تنحي هذا عن بابك، فإنه يشينه!

هكذا كانت مجالس خلفاء العرب وملوكهم أندية ثقافة وتهذيب، يتصل فيها الشعب بولاة أمره، ليس بين قلوب هؤلاء وقلوب هؤلاء حجاب، فلما استعجمت الدولة بعد ذلك تولت بهجة الدنيا.



نصراني عربي يمدح المنقذ الأعظم ﷺ

صديقنا الأستاذ وصفي قرنفلي، هو الشاب النصراني الذي كانت له في بعض سنوات الفتح كلمات طيبة عن الإسلام، اعتاد أن يوقعها بتوقيع (فتى العرب)، والآن أعلن اسمه للملا مقرونًا بعقيدته في نبي الرحمة محمد ﷺ أنه رسول الله، وأن نصارى العرب لولاه لكانوا عبيدًا، وهذه قصيدة من نظمه في المديح النبوي:

قد يقولون شاعر نصراني	يُرسل الحب في كذاب البيان
يتغنى هوى الرسول ويهذي	بانبشاق الهدى من القرآن
ينتحي الجبهة القوية	يحدوها رياء والشعر لا وجداني
كذبوا والرسول، لم يجر يومًا	بخلاف الذي أكنَّ لساني ^(١)

(١) الحلف بغير الله لا يجوز. قال ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». أخرجه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٦٤٦). (س).

طائف الحب والهوى ما سقاني
 أن تغنى بالسيد العدناني؟
 شرق من ظلمة الهوى والهوان؟
 فتنادوا بالفرس والرومان
 ماء، صفا ململم الأركان
 من نثار العروش والتيجان
 سادة الأرض في شباب الزمان
 لدان؟ بثت معيشة العبدان؟
 قد حبا إن كنت ذا وجدان؟
 باسم تهدي إليك في كل آن
 عربي، وأن ما في لساني
 لا مسلم ولا نصراني
 فوق ذاك الإرجاف والبهتان
 من هوى الشيخ أو هوى المطران
 سبيل هادٍ إلى الرحمن^(١)
 وضلت قوافل الركبان
 حيارى مشلولة الأذهان
 ويمضون طية الأضغان .

ما تراءيت بالهوى، بل سقاني
 أو عار على فتىٍ يعربي
 أو ليس الرسول منقذ هذا الـ
 صاح بالشرق واستثار بنيه
 ومشوا للحياة تحت رايته الشم
 وبنوا مجدنا المؤثل صرخا
 وأتوا قمة الزمان، فكانوا
 أفكنا لولا الرسول سوى العبد
 أو ليس الوفاء أن تُخلص المند
 فالتحيات والسلام أبا القد
 قل (لسمعان) أن ما في عروقي
 أنغنى بالحق والحق يا صاح
 إنما الشاعر الذي أنا منه
 قد تعالى عن الرياء بريئا
 كل هذي الأديان -لوعقل الناس-
 أخذته الغايات فانشعب السير
 فإذا الناس في مريج من الأمر
 يترامون بالكبائر والإثم

(١) بل السبيل واحد! وهو دين الإسلام الذي ارتضاه الله خاتما للأديان، وناسخا لها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣٠). فماعداه أديان باطلة محرقة. ويُنظر للمزيد: رسالة «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»؛ للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله. (س).

أيها الناس! ما أتى الرسل للنفذ
كلنا مسلمون لله فحتى
كلنا صائرون لله يومًا،
منقذ الشرق قد أتيناك نشكو
أخي فينا ميت العزائم وابعث
منقذ الشرق! أنت لم تنقذ المسد
فجزاء الإحسان أن ينهض الشر
ريق، لكن لوحدة الإنسان
مَ الترامي بالكفر والبهتان؟
يوم تنشق وردة كالدهان
ضبيعة الحق وانخذال الأمانى
ناثرات الهدى ودرس المباني
م دون المواطن النصراني
ق جميعا بواجب المهرجان؟

حمص - وصفي قرنfli



من كلام غوستاف لوبون

- * المرء مسير بخلقه لا بذكائه .
- * ذوق المرأة في الفنون والأزياء مستعار .
- * الحب أعمى فإذا أبصر أدبر .
- * يستعيد العالم الإسلامي اليوم من قوته ما تضطر أوروبا إلى أن تطأطئ له رأسها .



من أقوال السلف في العلم والعلماء

- * العلم يمنع أهله أن يمنعوه أهله .
- * البخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه ومعرفة لفضله .

- * العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل شيء أحسنه.
- * العلماء غرباء لكثرة الجهال.
- * الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.



شعر الحكمة

حيل ابن آدم في الحياة كثيرة	والموت يقطع حيلة المحتال
قست السؤال فكان أعظم قيمة	من كل عارفة جرت بسؤال
فإذا ابتليت يبذل وجهك سائلاً	فابذله للمتكرم المفضل
وإذا خشيت تعذراً في بلدة	فاشدد يديك بعاجل الترحال
واصبر على غير الزمان فإنما	فرج الشدائد مثل حل عقال

أبوالعتاهية



كرم أوس بن حارثة وعقل أمه سعدى

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي سيداً مقدماً، وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائي على عمرو بن هند (وأبوه المنذر بن ماء السماء) فدعا أوساً فقال:

أأنت أفضل أم حاتم؟

فقال: أبيت اللعن، لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة!

ثم دعا حاتمًا فقال: أأنت أفضل أم أوس؟
 فقال: أبيت اللعن إنما ذكرت بأوس، ولأحد ولده أفضل مني.
 وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة -وعنده وفود العرب من كل حي- فقال:
 احضروا في غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم.
 فحضر القوم جميعًا إلا أوسًا، فقليل له:
 ولم تتخلف؟

فقال: إن كان المراد غيري، فأجمل الأشياء ألا أكون حاضرًا، وإن كنت
 المراد فسأطلب ويُعرف مكانني!
 فلما جلس النعمان لم ير أوسًا، فقال:
 اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر آمنًا مما خفت، فألبسه الحلة.
 فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة:
 اهجه ولك ثلثمائة ناقة.
 فقال الحطيئة: كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثًا ولا مالاً إلا من عنده!
 ثم قال:

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني
 فقال لهم بشر بن أبي خازم -أحد بني أسد بن خزيمة -:
 أنا أهجوه لكم.

فأخذ الإبل وفعل، فأغار أوس عليها فاكتسحها، فجعل لا يستجير حيًا إلا
 قال: قد أجرتك إلا من أوس.

وكان في هجائه قد ذكر أمه، فأتي به، فدخل أوس على أمه.

فقال: قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي!

قالت: أو تطيعني فيه؟

قال: نعم.

قالت: أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه!

فخرج فقال: إن أُمي سُعدى التي كنت تهجوها، قد أمرت فيك بكذا وكذا!

فقال: لا جرم، والله لا مدحت حتى أموت أحدًا غيرك.

ففيه يقول:

إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقضي حاجتي فيمن قضاها
فما وطىء الثرى مثل ابن سُعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها



أدب الرشيد وسعة اطلاعه أول ليلة للأصمعي في قصر الخلافة

روى السيد المرتضى في «أماله: الدرر والغرر» بسنده إلى الأصمعي أنه

قال:

تصرفت بي الأسباب على باب الرشيد مؤملاً للظفر به والوصول إليه، حتى

إنني صرت لبعض حرسه خديناً في بعض ليلة، قد نثرت السعادة والتوفيق فيها

الأرق بين أجفان الرشيد، إذ خرج خادم فقال:

أما بالحضرة أحد يُحسن الشعر؟

فقلت: الله أكبر! رب قيد مضيق قد حله التيسير

فقال لي الخادم: ادخل، فلعلها أن تكون ليلة يُغرس في صباحها الغنى، إن فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين.

فدخلت، فواجهت الرشيد في مجلسه، والفضل بن يحيى إلى جانبه، فوقف بي الخادم حيث يسمع التسليم، فسلمت فرد علي السلام، ثم قال:

يا غلام أرحه ليفرخ روعه، إن كان وجد لروعه حساً!

فدنوت قليلاً، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذية!

فقال: ادن. (فدنوت).

فقال: أشاعر أم راوية؟

فقلت: راوية لكل ذي جد وهزل، بعد أن يكون محسناً!

فقال: تالله ما رأيت ادعاء أعظم من هذا!

فقلت: أنا على الميدان، فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين!

فقال: (قد أنصف القارة من رامها).

ثم قال: ما المعنى في هذه الكلمة بديهاً؟

فقلت: فيها قولان: القارة هي الحرة من الأرض، وزعمت الرواة أن القارة كانت رُماة للنبابعة، والملك إذ ذاك أبو حسان، فواقف عسكره عسكر السُغد، فخرج فارس من السُغد قد وضع سهمه في كبذ قوسه، فقال:

أين رماة العرب؟

ف قالت العرب: (قد أنصف القارة من رامها).

فقال لي الرشيد: أصبت!

ثم قال: أتروي لرؤبة بن العجاج، والعجاج شيئاً؟

فقلت: هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيبا عن بصرك بالأشخاص..

فأخرج من ثنى فرشه رقعة، ثم قال: أنشدني:

أرقني طارق هم أرقاً

فمضيت فيها مضي الجواد في سنن ميدانه، تهدر بها أشداقي.

فلما صرت إلى مديحه لبني أمية، ثنيت لسانني إلى امتداحه لأبي العباس في

قوله:

قلت لزبر لم تصله مريمه

فلما رأيته قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال:

أعن حيرة أم عن عمد؟

قلت: عن عمد، تركت كذبه إلى صدقه فيما وصف به جدك من مجده!

فقال الفضل: أحسنت، بارك الله فيك! مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس!

فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد:

أتروي كلمة عدي بن الرقاع:

عرف الديار توهماً فاعتادها؟

قلت: نعم.

قال: هات!

فمضيت فيها حتى إذا صرت إلى وصف الجمل قال لي الفضل:

ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه، بصفة جمل
أجرب!

فقال له الرشيد: اسكت، فالإبل هي التي أخرجتك من دارك، واستلبت تاج
ملكك، ثم ماتت، وعملت جلودها سياطاً ضربت بها أنت وقومك:

فقال الفضل: لقد عوقبت على غير ذنب، والحمد لله!

فقال الرشيد: أخطأت، الحمد لله على النعم، ولو قلت:

وأستغفر الله، كنت مصيباً.

ثم قال لي: امض في أمرك!

فأنشدته، حتى إذا بلغت إلى قوله:

تزجي أغن كأن إبرة روقه

استوى جالساً، ثم قال:

أتحفظ في هذا ذكراً؟

قلت: نعم، ذكرت الرواة أن الفرزدق قال: كنت في المجلس، وجريروني إلى
جانبي، فلما ابتدأ عدي في قصيدته، قلت لجريروني -مسراً إليه-: هلم نسخر من
هذا الشامي، فلما ذقنا يثسنا منه، فلما قال:

تزجي أغن كأن إبرة روقه

وعدي كالمستريح، قال جريروني:

أما تراه يستلب بها مثلاً؟

فقال الفرزدق: يا لكع، إنه يقول:

قلّم أصاب من الدواة مدادها

فقال عدي:

قلّم أصاب من الدواة مدادها!

فقال جرير: أكان سمعك مخبوءاً في صدره؟!

فقال له: اسكت، شغلني سبُّك عن جيد الكلام!

فلما بلغ إلي قوله:

ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها ورشادها

قال الرشيد: ما تراه حين أنشده هذا البيت؟

قلت: قال: كذلك أراد الله.

فقال الرشيد: ما كان في جلالته ليقول هذا، أحسبه قال: ما شاء الله!

قلت: وكذا جاءت الرواية.

فلما أتيت على آخرها، قال:

أتروي لذي الرمة شيئاً؟

قلت: الأكثر.

قال: فما أراد بقوله:

مُمر أمرت فتلّه أسدية ذراعِيّة حلالَةٌ بالمصانع

قلت: وصف حمار وحش أسمته بقل روضة، تواشجت أصوله وتشابكت

فروعه، من مطر سحابة كانت بنوء الأسد، ثم في الذراع من ذلك.

فقال الرشيد: أرخ، فقد وجدناك ممتعاً، وعرفناك محسنًا.

ثم قال: أجد ملالة (ونهمض).

فأخذ الخادم يُصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية.

فقال الرشيد:

عقرتني يا غلام!

فقال الفضل: قاتل الله الأعاجم، أما إنها لو كانت سنديّة لما احتجت إلى هذه الكلمة.

فقال الرشيد: هذه نعلي ونعل آبائي، كم تعارض فلا تترك من جواب ممض! ثم قال: يا غلام، يؤمر صالح الخادم، بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل، في ليلته هذه، ولا يُحجب في المستأنف.

فقال الفضل: لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره، لأمرت لك بمثل ما أمر لك، وقد أمرت لك به إلا ألف درهم، فتلّق الخادم صباحاً.

قال الأصمعي: فما صليت من غد إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم.



كعب بن لؤي

قال لؤي بن غالب لامرأته:

أي بنيك أحب إليك؟

قالت: الذي اجتمعت فيه ثمان خلال: لا يخامر عقله جهل، ولا يخالط حلمه سفه، ولا يلوي لسانه عي، ولا يفسد يقينه ظن، ولا يغيّر عقوق، ولا يقبض يده بخل، ولا يكدر صنعه منّ، ولا يرد إقدامه جبن.

قال: ومن هو؟

قالت: ولدك كعب.

معن بن زائدة

دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور، فقارب خطوه، فقال المنصور:

لقد كبرت سنك؟

قال: في طاعتك.

قال: وإنك لجلد؟

قال: على أعدائك.

قال: وأرى فيك بقية.

قال: هي لك!



بطل ميسلون الخالد يوسف العظمة

من ثورة النبل أم من سَورة الشرف	ذاك الأباء الذي ألقاك في التلف
يا يوسف الجود غالى المسرفون وما	سموا إلى حد بذل النفس في السَّرف
بذلتها فدية للشرق خالصة	وللهدى غير غضبان ولا أسف ^(١)
تستهدف المجد في ظل الرصاص ألا	رويد نزعك قد قُرطست في الهدف ^(٢)

(١) بل بذلها - إن شاء الله - لله تعالى. (س).

(٢) نزع بالسهم: رمى به. وقُرطس: أصاب.

رأيتَ (غورو) مُغيرًا في مُللملة
والناس من أمرهم ما بين متفق
وعزة الملك تمشي من منابرها
فما تريت حتى قمت في شرف
تُجابه الموت فردًا ليس يسعده
وثاقب من ضياء العبقريه لم
يزجي بها في نحور الجيش نافذة
حتى تخطيت في ثوب الشهيد كُدى
أقدمت لا آملًا فوزًا، وكيف به
وكان عذرك لو أحجمت منسبطًا
لكنه ترف النبيل استبد فلم
فتم فدتك العوالي، أنها لبست
وأطرق السيف يكي فقد مضطلع
وليبق تاريخك الفياح مجمرة
أبناء سوربة الأخيار حسبكم
زاولتموها بمجهود الحجي فعنت
أهل الحفاظ إذا ما نكبة عرضت

تموج كاليم بالخطي والزعف^(١)
على مجابهة البلوى ومختلف
ما بين مضطرب هاوٍ ومرتعج
ترمي، ومثلك أولى الناس بالشرف^(٢)
إلا جنان بما يُرضي العلاء حفي
يربح يرى فعله في الهول وهو خفي
إلى الجسوم جسوم اللام والجحف
هذي الحياة إلى الجنات والغرف
أمام سيل من الأعداء مجترف
فيما لدي القوم بالإذعان من شغف
يرفق، وللنبيل أخلاق من الترف
من بعد يومك ثوب الزهد والقشف
بفضله في بناء المجد محترف
يضوع منها شذا الأسلاف للخلف
أن المعالي لديكم حرفة الحرف
وخاب من راح يرجوها من الصدف
أنتم وأنتم رجال العلم والصحف

٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ

محمد النجمي

(١) الخطي: الرماح. والزعف: يقال: زَعَفَهُ يَزْعِفُهُ زَعْفًا وَأَزْعَفَهُ: رَمَاهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَمَاتَ مَكَانَهُ سَرِيعًا.

(٢) الشرف الأول: المكان المرتفع. والثاني: الرفعة والعظمة.

إذا

- * إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما من هواك.
- * إذا اتسعت القدرة نقصت الشهوة.
- * إذا قبح السؤال حسن المنع.
- * إذا كنت أبطأهم خيرًا فلا تكن أسرعهم جوابًا.
- * إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.
- * إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
- * إذا زل العالم زل بزلته العالم.



لو

- * لو كان المزاح فحلاً لم ينتج إلا شرًا.
- * لو سكت من لا يعلم سقط الخلاف.
- * لو جاز لوم الأحمق على ألا يعقل، لجاز لوم الأعمى على ألا يبصر.
- * لو صور الكذب لكان ثعلبًا.
- * لو كانت الدنيا لقمة في يد الكريم لوضعها في فم ضيفه.
- * لو عقل أهل الدنيا كلهم لخربت.
- * لولا الحياء لهلك الأحياء.
- * لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب.
- * لو صور الصدق لكان أسدًا.

* لولا التقاضي لقل التراضي.

* لولا السيف لكثير الحيف.



عيد استقلال لبنان

لبنان! عيد ما أرى أم مأتى؟
عصروا دموعك وهي جمر لاذع
هذا حصيرك والحبيبات التي
بيعت لتهرق في الكؤوس مدامة
قل للرئيس إذا أتيت نعيمه
أبطوف الساقى هنا بكؤوسه
تعري الصدور هنا على قُبَل الهوى
والكهرباء هنا تشع شموعها
لبنان! يا بلد السذاجة والوفا
كبر الزمان ولا تزال كأمسه
زمنٌ به تشقى الفضائل أهلها
ومن الخيانة ما يكرّم ربه
رفقاً فرنسا، فالبلاد أمانة
ولأنت من حمل الطغاة على القنا
هذا ربيبك.. والوفاء شعاره
نحن الألى طعنوا صميم إياهم

لله أنت وجرحك المتبسم
وتنوروا فيها فقالوا «أسهم!»
كانت غذاءك واللحاف المبهم
هي في الحقيقة أنفسٌ تتألم
إن يشقّ رهطك فالنعيم جهنم!
ويزمجر الجابي هناك ويرزم؟
وهناك عارية تنوح وتلطم
وسراج أكثر من هناك الأنجم
حلم!... وهل غير الطفولة يحلم؟
فمساك تكبر أو لعلك تُفطم!
الصديق يقتل والمروءة تعدم
ويضام من يرعى الوفاء ويظلم
أنضيع عندك والكرامة تثلم؟
وصفعت ناصية المتوّج منهم
أبطل جرح شقائه لا يلام؟
منا الجراح، فأين منك المرهم؟

بشاره الخوري

مبادئ متواضعة!

أميل بطبعي إلى فاشيه
واني لأهوى غليظ الثيا
وأكره جهدي غليظ اللبا
فحسب ابن آدم من دهره
فإن كان لابد أن يكتسي
فإن الرجولة نعم الكسا
رأيت التنعيم يوهي النفو

تظللها عيشة راضيه
ب كلبس الأعراب في البادية
س ولا آلف الأذرع العاربه
خيوط لأعضائه كاسيه
ويرفل في حلة زاهيه
ء وأجمل أثوابنا الضافيه
س ويبعثها رخوة باليه



واني أحب بسيط الطعا
وما لذ عندي كمثل البكو
أحصل كالطير حب المعا
فلليوم رزقه من حصه

م ففيه السلامة والعافيه
ر ولا مثل ساعاته انغاليه
ش وأستشعر القصد في ماليه
وللغد حصته الباقيه



أحب النساء تزين البيو
يرف عليها ظلال السلا
يلدن شاباً شديد القوى
وئشربنه حب أوطانه
إليها يحن إذا ما نبت
وعنها يذود إذا مسها
يُقدس صنع البلاد التي

ت لتنشئها جنة عاليه
م وتنشئُ بسمته الساريه
وئرضعنه همه ماضيه
فيحنو على أمه الثانيه
به الدار في غربه نائيه
زمان بأظفاره القاسيه
روته بنابيعها الصافيه

ويؤثرها باصطناع الجمب ل وحفظ صناعاتها الفاشيه
 خالد أحمد الجرنوسي



قال حسان بن تبع الحميري: لا تثقن بالملك فإنه ملول، ولا بالمرأة فإنها
 حرون، ولا بالدابة فإنها شرود.



نشيد الفلاح الصغير

بمناسبة طغيان النيل في صيف سنة ١٣٥٢هـ

جناني الثبت مخبول	وقلبي اليوم مشغول
على حقلي طغى النيل	كأن مياهه غول!
أماء النيل خبرني	وقد أغرقت لي قطني
أتحميني من الدّين	وسيف الدّين مسلول؟
وكيف سيأكل الطفل؟	وماذا يصنع الأهل؟
وقد أشقاهم السبل	وبيع القمح والفلول
أراك تزخرف القول	كذوب الشهد أو أحلى
فإن لم تفعل الفعلا	فما ذا ينفع القيل؟
«عليك الجبر» يا ربي!	ومنك الصبر يا قلبي
وفيك الخير يا شعبي	فخير الشعب مأمول

عبد الله عبد المجيد الدشلوطي

عزة الأعرابي

عقيل بن علفة شاعر فصيح مجيد من شعراء الدولة الأموية.

وهو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، وأمه عمرة بنت الحارث بن عوف المري، وأمها زينب بنت حصن بن حذيفة.

كان عقيل هذا جافياً شديداً الغيرة والعجرفة، وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه، وكان لا يرى أن له كفئاً، وكانت قریش ترغب في مصاهرته، وتزوج إليه من خلفائها وأشرافها.

وخطب إليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده، فأطرق ساعة ثم قال:

إن كان ولا بد فجنبنني هُجْءاً!

فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه، على ضيفته وشدة عيشته بالبادية. ودخل على عثمان بن حيان -وهو أمير المدينة- فقال له عثمان: زوجني بعض بناتك.

فقال: أبكرة من إبلي تعني!

فقال له عثمان: أمجنون أنت؟

قال: أي شيء قلت لي؟

قال: قلت لك، زوجني ابتك.

فقال: إن كنت تريد بكرة من إبلي فنعيم.

فأمر به فوجئت عنقه، فخرج وهو يقول:

لحا الله دهرًا ذدع المال كله وسود أبناء الإماء العوارك
وكان له جار جهني، فخطب إليه ابنته، فغضب عليل وأخذه فكتفه، ودهن
بعض جسمه بشحم أو زيت، وأدناه من قرية النمل، فأكل النمل منه حتى ورم
جسده، ثم حله وقال:

يخطب إلي عبد الملك فأرده، وتجترى أنت علي فتخطب ابنتي!
وروي أن عمر بن عبد العزيز عاتب رجلاً من قريش أمه أخت عليل بن علفة،
فقال له: قبحك الله، لقد أشبهت خالك في الجفاء!

فبلغت عقيلاً، فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له:
أما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به إلا خوولتي؟ قبح الله شر كما خالاً!
فقال عمر: إنك لأعرابي جاف، أما لو كنتُ تقدمت إليك لأدبتك، والله ما
أراك تقرأ شيئاً من كتاب الله.

فقال: بلى، إني لأقرأ، ثم قرأ: (إنا بعثنا نوحاً إلى قومه).

فقال له عمر: ألم أقل إنك لا تقرأ؟

فقال: ألم أقرأ؟

فقال: إن الله قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾.

فقال عليل:

خذوا بطن هرشي أو قفاها، فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق!

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون.

وهرشى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر . وهذا مثل في التخيير ، ولهرشى طريقان ، من سلك أيهما شاء أصاب . والمعنى : يا صاحبي سيرا في بطن هذه الثنية أو قفاها ، فإن كلا جانبيها طريق للإبل ، كأنه ظن أن التقديم والتأخير في هذا المقام لا يضر ، وهو غفلة عن المزايا القرآنية .

وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد ، وعليه خفان غليظان ، فجعل يضرب برجله ، فضحكوا منه ، فقال :

ما يضحككم ؟

فقال له يحيى بن الحكم - وكانت ابنة عقيل عنده ، وكان أميراً على المدينة :
إنهم يضحكون من خفيك ، وضربك برجليك ، وجفائك .

فقال : لا ، ولكنهم يضحكون من إمارتك ، فإنها أعجب من خفي !



رُبَّ

* رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع .

* رُبَّ عجلة تهب ريثاً .

* رُبَّ ظرف أفصح من لسان .

* رُبَّ ساعٍ لقاعد .

* رُبَّ كلمة تقول لقائلها : دعني !

* رُبَّ أكلة تمنع أكالات .

* ربما أخطأ البصير قصده .

- * رُبُّ مقال لا تقال عثرته .
- * رُبُّ منع أنفع من عطاء .
- * رُبُّ حربٍ جنتها لفظة .
- * رُبُّ ساعٍ فيما يضره .
- * رُبُّ حرف أدنى إلى حتف .
- * رُبُّ جامع مال لزوج حليته .

□ شذرات □

نشيد الشام

نظم شاعر الشام خليل مردم بك

حياة	الديار	عليكم سلام
أبت	أن تذل	النفوس الكرام
عرين	العروبة	بيت حرام
وعرش	الشموس	حي لا يُضام
ربوع	الشام	بروج العلاء
تحاكي	السماء	بعالي السناء
فأرض	زهت	بالشموس الوضاء
سماء	لممرك	أو كالسماء
رفيف	الأماني	وخفق الفؤاد
على	علم	ضم شمل البلاد
أما	فيه من	كل عين سواد

ومن دم كل شهيد مداد
نفوس أباة وماض مجيد
وروح الأضاحي رقيب عتيد
ومنا الوليد ومنا الرشيد
فلنم لا نسود ولن لا نشيد



من كلام المأمون

الرجال ثلاثة: فرجل كالغذاء لا يُستغنى عنه، ورجل كالدواء يُحتاج إليه في
الأوقات، ورجل كالداء لا يُحتاج إليه أبداً.
ثلاثة لا عار فيها: الفقر، والمرض، والموت.



التاجران بين الزركلي والمظفر

أحب الشاعر الكبير الأستاذ خير الدين الزركلي أن يداعب صديقه الأستاذ
الشيخ عبد القادر المظفر مداعبة رقيقة، فكانت هذه الأبيات:

بيني وبينك يا مظفر نسبتي في بعض حالك
لولا اضطرابك في انتقالك واحتلالك وارتحالك
أنا تاجر أجني وأنت - ولست تكتمني - كذلك
لكن مالي رأس ما لي والعمامة رأس مالك

واتصلت هذه الأبيات بمسامع الأمير عادل أرسلان، فعلق عليها بالأبيات التالية:

إن المظفر يا زركلي	تاجر جم المسالك
لم يشهد «الموسكي» له	ندًا ولا كبري الزمالك
هو تاجر وشريكه	من دون خلق الله هالك
هذي كمالات المظفـ	ر قد شهدن بما هنالك
من كان دلال الملو	ك فمن بضاعته الممالك

وأخذت الحمية الوطنية الأستاذ المظفر، ورد على صديقه الأستاذ الزركلي بهذه الأبيات:

لو كنتُ مثلك تاجرًا	لرأيتَ حالي مثل حالك
لكن خُلقتُ مجاهدًا	أغشى المعارك والمهالك
أرضى بميسور الكفا	ف ولا أبالي ما هنالك
أشقى لتسعد أمتي	وأموت كي تحيا بذلك



المال

لا أجعل المال لي ربًّا بصرفني	لا بل أكون له ربًّا أصرفه
ما لي من المال إلا ما تقدمني	فذاك لي ولغيري ما أخلفه

أبو علي البصير



الموت

نحن بنو الموتى، فما بالناس
تبخل أيدينا بأرواحنا
فهذه الأرواح من جوه
لو فكر العاشق في منتهى
لم يُر قرن الشمس في شرقه
يموت راعي الضأن في جهله
وربما زاد على غيره
وغاية المفرط في سلمه
فلا قضى حاجته طالبٌ
نعاف ما لا بد من شربه
على زمان هي من كسبه
وهذه الأجساد من تربه
حسن الذي يسبه لم يسبه
فشكت الأنفس في غربه
ميتة جالينوس في طبه
وزاد في الأمن على سربه
كفاية المفرط في حربه
فؤاده يخفق من رعبه

أبو الطيب المتنبى



حكمة علوية

قال علي عليه السلام: (أوصيكم بخمس، لو ضربتن إليها آباط الإبل لكان قليلاً: لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي -إذا سئل عما لا يعلم- أن يقول: لا أعلم، وإذا لم يعلم أن يتعلم. واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد).



الخير في الحديث النبوي

- * «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»^(١).
- * «خير الناس أنفعهم للناس»^(٢).
- * «خير النكاح أيسره»^(٣).
- * «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه»^(٤).
- * «خير دينكم أيسره»^(٥).
- * «خير ما أعطي الناس خُلُق حسن»^(٦).
- * «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(٧).
- * «خياركم أحسنكم قضاءً للدين»^(٨).
- * «خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح»^(٩).
- * «خير الناس في الفتن، رجلٌ أخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله، يُخيفهم ويخيفونه، أو رجل معتزل في بادية يؤدي حق الله الذي عليه»^(١٠).

-
- (١) صحيح الجامع (٣٢٩٦). (س).
 - (٢) صحيح الجامع (٣٢٨٩). (س).
 - (٣) صحيح الجامع (٣٣٠٠). (س).
 - (٤) ضعيف الجامع (٢٩٠٥). (س).
 - (٥) صحيح الجامع (٣٣٠٩). (س).
 - (٦) صحيح الجامع (٣٣٢١). (س).
 - (٧) صحيح الجامع (٣٣١٤). (س).
 - (٨) صحيح الجامع (٣٢٦١). (س).
 - (٩) صحيح الجامع (٣٢٨٣). (س).
 - (١٠) صحيح الجامع (٣٢٩٢). (س).

قصة الصلوك والمتفرنجون

جلس على المقعد المجاور لمقعدي وأنا في الحديقة رجل شاحب اللون،
أمره العينين، قد اتسخت أطماره، وتشعث أشعاره، تأخذني عينه وتدعني،
وكنت مع عجيبي لشأنه كارهاً مخاطبته، غير راغب في التعرف إليه.

كنت حيثئذ في انتظار صديق لي، وعدني اللقاء في ذلك المكان، فصرت
أرقب مطلعته بفارغ الصبر، لأتعوذ بحسن طلعتة وحلاوة منطقته، وكمال ظرفه،
من كلوح ذلك الرجل ووجومه وثقل روحه.

وأنا لكذلك؛ إذ طلعت علينا برانيط غريبة، على رؤوس شرقية، يتهادى
تحتها أصحابها، حتى جلسوا على مقعد بالقرب منا، وأخذوا يتراطنون بلغة ما
هي إلى قوميتهم بأقرب مما على رؤوسهم، فطرقوا في الكلام كل موضوع،
وذكروا من الأخبار ما هو مقروء ومسموع.

ثم إنهم أجالوا طرفهم، فلم يجدوا غرضاً ينتضلون فيه سوى صاحبي
المسكين، فاتفقوا على أن يقول كل واحد منهم فيه كلمة يتفكهون بها.

قال أحدهم: لولا أن يُقال متدين، لقلت شيطان رجيم، أو خازن من خزنة
الجحيم.

وقال الآخر: وحياة سيدنا دروين، إنه للحلقة المفقودة بين الإنس والقردة..

فقاطعه الثالث بقوله: لا، وعيش تيكم الحسنة الفاتنة، ذات العيون الخائنة،

إنني لأحسب أن لو تأملتوموه بذهنية كوبرنيك، ورصدتموه بمرصد فلامريون لما
شككتكم أنه كوكب شذ عن فلكه، أو سفير من سفراء المريخ.

وانبرى الرابع قائلاً: إن يصدق التنجيم، فإننا الساعة أمام حكيم من حكماء اليونان، أو جهبذ من جهابذة بني ساسان، أو فارس من فرسان المارستان. وعند ذلك رفع الصعلوك رأسه، فارتسمت على فمه ابتسامة صفراء، ورماهم بنظرة حمراء وقال:

إن من انتكاس الدهر، وتشعث هذا العصر، أن تنام عنكم العواصف وتخطيء رؤوسكم القواصف!

أتعبرونني بالجنون وبكم منه فنون؟! وأي جنون أشد من تشدقكم بأمثال هذه الكلمات الباردة، في حق رجل بريء، أنتم بمرأى منه ومسمع؟! أما ظنكم أن لن يفهم مثلي هذه اللغة التي شققتم بها أشداقكم، وتفاصحتم فيها تفاصح العبد المحاكي منطق سيده، فلعمري ما أنتم بأول معتوه هوى به حمقه إلى قعر اللعنات، أو ارتطم به شؤمه في مستنقع الصفعات.

ولئن ذقتم شيئاً من هذه المدنية التي عكفتم عليها عكوف العابد، وافتتتم بها افتتان الواله الواجد، وبهركم بصيص زخرفها، وخلبكم وميض برقها، وخدعكم لمعان سرايبها، فإنني والله لقد أكلتها وشربتها، فعرفت غثها من سمينها، وعذبها من آجنها، وحلوها من مرها، عجينة عُجنت بسم، وطُحنت بسقم، من ذاقها ندم، ومن عافها سلم، لا والذي خلق النجوم، وكشف عنها الغيوم، ما زهدني فيها إلا اختيار السلامة، وإيثار الحكمة، وحب الغُنى، وخوف الغُرم.

اضرب بطرفك حيث شئت منهم، هل تبصر إلا رجلاً يحيف على امرأته، أو امرأة تخون بعلمها، أو غنياً يتمشش عظام الفقير، أو فقيراً يتربص بالغني سوء المصير، أحزاب متعاندة، ودول متحاقدة، لا دين يرشدهم، ولا ورع يردعهم،

معروفهم منكر، ومنكرهم معروف، قد عمرت أجسامهم وخربت قلوبهم، ترى منازلهم في أنوار، ونفوسهم في ظلمات، تعمى فيها تحوم الهدى والأبصار. وما أصف من مدنية علمها كفر وإلحاد، وسياستها ظلم واضطهاد، وحريتها فسق وفساد، من استغنى فيها بطر وتجبر، ومن افتقر فيها كفر وانتحر، في سلمها عناء، وفي حربها شقاء، ما عقدت للصداقة عهدًا إلا وأعدت للغدر بها جندًا، ولا بنت للخير دارًا إلا وشيدت للشر دورًا. أمّا نعيمها؛ فحلم ليلة يعقبها فجر، وأما مُلكها فلعب ساعة ودمار دهر.

وهنا سكّت الرجل كأنه ينتظر ردًا أو سؤالاً ممن يخاطبهم، فانتهزت الفرصة وقلتُ له: ألا تسمح أن أقدم لك سؤالاً بهذه المناسبة؟ قال: أنت وذاك.

قلت: إن كان لهذه المدينة مفاصد لا نحصرها، فإن لها فوائد لا ننكرها، أفنحرم أنفسنا فوائدها إن كان لها مفاصد؟

قال: مثل ذلك فيما أرى، كمثّل رجلين رأيا خلية نحل: أما أحدهما فسخر نفسه عما فيها من العسل، خوفًا من إبر النحل، وأما الآخر فاستنبط حيلة دفع بها الإبر عن نفسه، وفاز بالعسل.

فالأول غبي سالم، والثاني حكيم غانم، وإن لنا معشر المسلمين من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ منخلًا ننخل به ما نصادفه في هذه الحياة من آراء وأقوال وأعمال، فنأخذ المنخول وندع النخالة.

وقد كان رجائي عظيمًا أن يتم ذلك لهذه الأمة، لولا أن جاء قوم هؤلاء منهم (وأشار إلى الجالسين)، فأخذوا ينازعونها المنخل ليتسلبوا إياه، جهلاً منهم وغرورًا. ثم لم يكفهم ذلك حتى ادعوا لأنفسهم القيادة، وسموا أنفسهم

الحكماء النافعين، أو الأحرار المجددين، ولكنك إذا حققت بنفسك كنه حريتهم وتجديدهم، لم تجد منهم -أخزاهم الله- سوى تقليد يخجل منه القروء، وتخريب ينتزه عنه الحسود، ولا رغبة لهم إلا أن تخلع الأمة عن نفسها ربقة هذا الدين، ليسلكوها في سلسلة هائلة من الأهواء والشهوات، أو يقيدوها بقيد وثيق من الكفر والإلحاد، فالحذر الحذر من جنود إبليس، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وهنا تصدى أحدهم فأشار بسبابته إلى الصعلوك يحركها في وجهه غضبًا وحنقًا، وقال: أيها السخيف القدر الممقوت! إنا لا نفقه كثيرًا مما تقول! والله لتسكت أو لأريحن هذا الوجود من وجودك!!

فأجابه قائلاً: أباالموت تخوفني، يا ابن الفاعلة! ما أنت وأصحابك والله إلا الحلقة المشؤومة في سلسلة هذه الحياة! فلتسقط عليكم السماء كسفًا! ولتسحق الصخور هذه الأدمغة السقيمة المشؤومة! فلا نامت عني عيون الفواجع، إن لم أسؤكم يا حفدة القروء والضفادع!

فما كان من المتفرنج إلا أن شد عليه بعضا كانت في يده، فالتوى الصعلوك في طرفها، وعطف على غريمه بلكمة قعقت أسنانه، وقلقلت أركانه، وهم الفتية أن يحملوا عليه حملة رجل واحد، لولا أن سل خصمهم من وسطه خنجرًا، قد والله رأيت الموت الأحمر يسيل منه على الحديد الأخضر، فلما دل جد القرم على أن لا سبيل إلى السلم، قذف الله في قلوب الأحرار الرعب الشديد، وفروا فرار العبيد، ثم دنوت من الصعلوك، ودنا هو مني، وكشف لي عن نفسه، فإذا هو والله صديقي المنتظر، متكررًا في الأطمار.

فتبسمت ضاحكًا من فعله، وقلت له: يا هذا اتق الله ويحك، ما هذه الأطوار؟ أفي كل يوم لون جديد، ولعب منك عجيب؟

فقال (ممازحًا ومجيبًا): يا ركيك! تخذل أخاك ثم تلومه؟
لا والله، ما أحب أن لي الدنيا بحذافيرها، وأني ما شفيت النفس من أولئك
الأعبد.

قلت: لعمرك إن هذا لِمِمَّا يرغبني فيك، ويُزهدني في كثير من الناس.

جاوة - جمادى الآخرة ١٣٥٣هـ

عبد الله بن نوح الأندونيسي



الإيمان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء، وأنواع الآلام، والتي لا يفيق المرء
فيها من غمرة إلا إلى غمرة، ولا يثُل من عثرة إلا إلى عثرة؛ لا يعين عليها إلا
عقيدة راسخة، يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته، وتداركت عثراته، ويستروح
من أعطافها رائحة الجنة، كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب.

مصطفى لطفي المنفلوطي



الحديقة

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة

الجزء الثالث عشر

انتقاها

الكاتب الإسلامي الكبير

محب الدين الخطيب رحمته الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على توفيقه، وصلى الله على معلم الناس الخير وعلى من تابعه عليه إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإني بما أصدرت من أجزاء (الحديقة) حتى اليوم، قد أقمت البرهان على خطأ من يذهب إلى أن قراءنا لا يحفلون بكتب الأدب ما لم تكن لسان الهوى، وصناعة الهزل، ومثيرة الشهوات والفضول، فعلم من لم يكن يعلم أن قراء العربية أكرم نفوساً، وأقوم أخلاقاً، مما وصمهم به العابثون، فالحمد لله على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

غرة رجب ١٣٥٤هـ

محب الدين الخطيب



رمضان يتكلم

رمضان ضيف قديم من ضيوف الإسلام: شهد عصر السعادة، وفيه هبط الوحي بكلام رب العزة على قلب الهادي الأعظم، فغيّر به وجهة التاريخ، وما زال هذا الضيف الكريم القديم يغادي المسلمين ويرأوهم شهرًا كاملاً في كل عام؛ ليرى موضع الأمانة المحمدية من نفوسهم، وليراقب قيامهم عليها.

هو يزورنا الآن للمرة الثالثة والخمسين بعد الثلاثمائة والألف، وأن سائحًا يغشى أفقًا من الآفاق كل هذه المرات، ويراقب ما حدث فيه من أحداث، وما انصبغ به من ألوان، لجدير أن يكون خيرًا بدخائله، وأن يكون بمكنوناته جد عليم.

لقد جردت نفسي ليلة أمس من كل الشواغل، وخلوت برمضان أتلقى عنه العلم ببعض ما رأى، وأصغيت إليه بعقلي وقلبي وروحي، فسمعت منه كلامًا بينًا حمله إلى من وراء الأزمان، كالكلام البين الذي تنقله لنا آلة الراديو من وراء الآفاق، ورأيته يعرض على أهل البصيرة مشاهد العبر واضحة كوضوح المشاهد التي تعرضها آلة السينما على الشاشة البيضاء.

كان رمضان فيما مضى يزورنا ليرانا ويسمع بياننا، ويدون مشاهداته وشهاداته في مذكراته، وقد أنعم الله علي ليلة أمس بأن أراني رمضان، وأسمعني بيانه، فدونت ما رأيته منه، وما سمعت في مذكرات لي.

كم كنت أتمنى لو أن جميع المسلمين سمعوا من رمضان ما سمعته منه ليلة أمس، ورأوا معي العبر التي استفدتها من علمه واختباره.

لقد كان ذلك شيئًا عظيمًا من شأنه أن يطرح البركة في العمر، فيكون الإنسان كأنه عاش بضعة عشر قرناً.

سمعت رمضان يقول: إن فرق ما بين مسلمي اليوم ومسلمي العصر الذي نزل به القرآن يرجع إلى أمر واحد قريب المدى، ولكن الوقوع في هذا الأمر يبعد ما بين المسلم والإسلام إلى أقصى مدى.

كان مسلمو عصر القرآن إذا اعتقدوا العقيدة: امتزجت بدمائهم، وجرت في دمائهم مع أنفاسهم، وكانت معيار تصرفاتهم في الغضب والرضا، والفاقة والغنى، والحرب والسلم، والعسر واليسر، وقبل أن يكونوا مسلمين كانوا مشركين، وكانوا يتوهمون أن تغيير ما هم عليه هدم لكيانهم الاجتماعي، وتقويض لبنانهم القومي؛ فقاوموا الإسلام ببيانهم وعقولهم، وبأموالهم وأنفسهم، وبكل ما ذكر الله عنهم من دهاء ونكراء ولد في الخصومة، وشجاعة في يوم الملحمة؛ حتى إذا رأوا الإسلام يبنى في آفاقهم كياناً سامي الذرى عظيم الخطر خالداً الأثر، ما غنموا أن أذعنوا لهدايته، فصار الواحد منهم كلما تبين له الحق واستنار به قلبه تقبله صادقاً مخلصاً، ووهب له لسانه وسيفه وخزائنه أمواله.

إن الآية الواحدة من كتاب الله ﷻ كانت تكفي الواحد منهم لإنارة بصيرته وإيقاظه مما هو فيه، وتغير مجرى حياته تغييراً عملياً، فيخرج إلى قومه مبشراً بالهدى الذي ملأ قلبه، ثم يخرج بالمهتدين من قومه متلمساً آفاقاً أخرى يبشر أهلها بما أنعم الله به على الإنسانية من خير، ولم يكن يبشر بما نعرفه من صنوف الجدل، ولا بما نلقيه على منابر مساجدنا وجمعياتنا من خطب كثيرة ومحاضرات طويلة، بل كان يُبشر بأخلاقه الكريمة ووفائه الصادق وسيرته المثلى وفضائله المحمدية، فيرى الناس من صدق المسلمين الأولين، ووفائهم وإنصافهم واستقامتهم وعدلهم وعفتهم ونبل أخلاقهم، ما يفهمون به مقاصد دعوتهم فهماً عملياً لا يحتاج إلى محاضرات ولا إلى مناظرات ولا إلى

مؤلفات، فلا تلبث الشعوب أن تدخل في دين الله بالألوف وبمئات الألوف وألوف الألوف.

قال رمضان: وأما مسلمو اليوم، فلا هم صادقو العداوة للإسلام، كما كان مشركو العرب صادقين في العداوة، ولا هم صادقو الولاية والنصرة للإسلام، كما كان مسلمو عصر السعادة صادقين في الولاية والنصرة.

إن أثر الإيمان بالشرك ثم بالتوحيد كان ظاهرًا ملموسًا في العصر الذي نزل به القرآن، فكان المشرك مشركًا صادقًا في شركه إلى أن يهديه الله، وكان المسلم مسلمًا صادقًا في إسلامه إلى أن يلقي الله، وكان هذا الصدق في الحالتين واضحًا جليًا في الغضب والرضا، وفي الفاقة والغنى، وفي الحرب والسلام، وفي العسر واليسر، وأما الآن فتسمع من المسلم كلامًا كثيرًا في محاسن الإسلام، وبراهين كثيرة على صحة الإسلام، وأخبارًا كثيرة عن أمجاد الإسلام، ثم لا تلبث أن تراه يخون ذلك لمصلحة حقيرة من مصالح الدنيا، أو لدرجة وضيعة من درجات الجاه القذر، أو لرأس ذليلة على عشرات قليلة من الناس يخدعهم بأنه يرشدهم إلى الله وهو لا يبتغي منهم إلا أن ينعم بهم في دنياه.

لقد ترك أهل الصدر الأول أمانة الإسلام بين أيدي الأجيال الآتية، فخلفهم عليها في هذا العصر خلف اتخذوا من هذه الأمانة صندوقًا لأمانة أخرى هي المصالح الذاتية، فأمانة الإسلام وسيلة إليها، وصندوق يراد منه حفظ تلك المصالح، فهم يحرسون على صندوق الدين ما دامت فيه أمانة الدنيا، فإذا نقلتها يد القوة من صندوق الدين إلى صندوق آخر من صناديق الشيطان، رمى القائمون على صندوق الدين هذا الصندوق في الفرن ليكون وقودًا، وعكفوا على أمانتهم الدنيوية في صندوقها الجديد مهما كان نوعه.

آيات قليلة من كلام الله الحكيم كانت كافية لنقل ابن الخطاب من عدو لدود للإسلام إلى صديق صادق الإيمان، وفينا مئات وألوف ممن يحفظون كتاب الله جميعاً عن ظهر قلب، ما نزل منه قبل إسلام عمر، وما لم يكن قد سمع به عمر، ويرتلونه بقراءاته السبع والعشر، ولا يخطر على بالهم أن بين هدايته وبين تصرفاتهم اليومية رابطة، فهم حفظوا القرآن ليعيشوا في الدنيا على حساب معرفتهم به، ولم يحاسبوا أنفسهم في ساعة من ساعات تلاوته على مبلغهم من التخلق بأخلاق القرآن، وعلى أثرهم في حمل الناس على هدايته.

لما كنت صبيّاً في المدرسة الثانوية خلوت بنفسي في ليلة من ليالي رمضان، وجعلت أتأمل في معاني الآيات القرآنية، ثم تمنيت لو يتاح للمسلمين تأسيس نادٍ عظيم كثير الغرف تخصص كل غرفة من غرفة لخلق من أخلاق القرآن، فيكون شعار الفرقة الأولى آية من آيات الحض على الصدق أو الزجر عن الكذب، وما أكثر ذلك في كتاب الله، فتحفر آية من تلك الآيات على باب تلك الغرفة، وتتألف جمعية تتعاهد على الصدق، وتكون من أهل هذه الغرفة، ويربي أعضاؤها أنفسهم على ألا يكذبوا، ولو عُرضوا على السيف، وهكذا كل غرفة من الغرف، ثم تكون الغرفة التي في جوف هذا النادي خاصة بصادقي الإيمان، فيحفر على بابها قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

إن الإسلام لا يقوم بكثرة عدد المسلمين الذين يتلون هذه الآية وسائر آيات القرآن؛ بل يقوم بالمسلمين الذين يربون أنفسهم على العمل بها، ويتمرنون على ذلك حتى يظهر أثره في أخلاقهم وتصرفاتهم، كما يتمرن المشتركون في الأندية الرياضية على الحركات البدنية إلى أن يظهر أثر ذلك في عضلاتهم ومجموع بدنهم.

لقد حل شهر رمضان لعامنا هذا، فكان مما قيده في مذكراته أننا نحن المحسوبين على الإسلام قد زاد عددنا على ثلاثمائة مليون، وأن الثلاثمائة الذين شهدوا بدرًا مع الهادي الأعظم -صلوات الله عليه- كان الواحد منهم خيرًا من مليون إنسان من أمثالنا، أولئك كانوا صادقين في شركهم قبل أن يسلموا، ثم صاروا صادقين في إسلامهم بعد أن أسلموا، وأما نحن فغثاء السيل، ولست أدري كيف لا نستحي عندما نطمع أن يدخلنا الله الجنة.

محب الدين الخطيب



حكم

- * المؤمن لا يحيف على من يبغض.
- * إعلان الشماعة كيد العدو العاجز.
- * أخلق بمن غدر ألا يوفى له.
- * المفروح به هو المحزون عليه.
- * العاقل يترك ما يحب خوفًا من العلاج بما يكره.



الناس

لعمرك ما الأخلاق إلا مواهب مقسمة بين الورى وفواضل
وما الناس إلا كادحان: فعالم يسير على قصد وآخر جاهل

فدو العلم مأخوذ بأسباب علمه وذو الجهل مقطوع القرينة جافل
فلا تطلبن في الناس مثقال ذرة من الود أم الود في الناس هابل
من العار أن يرضى الفتى غير طبعه وأن يصحب الإنسان من لا يشاكل

محمود سامي باشا البارودي



صحيفة كاتب

يراع أديب أم حباله صائد يريد من الأوطار مصرع أمة
إذا سامها المكروه سامته غيره تظن به الظن الجميل وقد جنى
فتى المال ألبست الصحائف خزبة تمتد على دار الخلافة ردنّها
عميت بما سن الهداة لقومهم طحا^(١) بك أمر يكذب الظنّ عنده
قصارك أن تحيا بمصر ممولاً حقية لص أم صحيفة كاتب
دع الصحف والأقلام واعكف على التي فإن تك ذا جهل فإنني أنا الفتى

يقلبها في كل مقتنص عشرا نراه لها ركنًا، وتعتده ذخرا
وإن رامها بالسوء رامت له عذرا من الأمر ما يودي بآمالها الكبرى
يجلل ضافيا الممالك والعصرا إذا غيت ما بين أذيالها مصرا
ومثلك يستن الخيانة والغدرا وكنت امرأة لا المعيا ولا خرا
وأنك فيها لا نجوع ولا تعرى وقائد شعب أنت، أم بائع خمرا؟
ترى القوم صرعى في جوانبها سكرًا تصيب له في كل صالحة ذكرا

(١) ذهب به في كل شيء.

كَأَنِّي وَبَعْضُ النَّاسِ حِينَ أُسِيمُهُمْ^(١) أُسِيمُ نَعَاجًا تَتَّبِعُ الذُّنْبَ أَوْ حُمْرًا
سَنَنْتُ لَهُمْ أَهْدَى السَّبِيلِينَ فَابْتَغُوا إِلَى مَا وَرَاءَ الْحَقِّ مَطْلَعًا وَعِزًّا

أحمد محرم



مَنْ

- * مَنْ تَأَنَّى أَصَابَ أَوْ كَادَ.
- * مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ فَقَدْ أَجْرَمَ.
- * مَنْ سَلَكَ مَسَالِكَ السُّوءِ أَتَاهُمْ.
- * مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ، أُتْبِحَ لَهُ الْأَبْعَدُ.
- * مَنْ حَمَلَ مَا لَا يَطِيقُ عَجَزَ.
- * مَنْ كَثُرَ رِضَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَطُونَ عَلَيْهِ.
- * مَنْ مَدَحَ رَجُلًا بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَالَغَ فِي ذَمِّهِ.
- * مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ، وَمَنْ أَفْشَاهُ كَثُرَ الْمُتَأَمَّرُونَ عَلَيْهِ.
- * مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ.
- * مَنْ سَأَلَ فَوْقَ حَاجَتِهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ.
- * مَنْ لَمْ يَنْهَ أَخَاهُ فَقَدْ أَغْرَاهُ.
- * مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ.

(١) أسام الإبل: أرعاها أو أخرجها إلى المرعى.

- * من عرف قدره لم يهلك .
- * من استغنى بالله افتقر إليه الناس .
- * من حكم لنفسه حكم الله عليه .
- * من أخطأ وجوه المطالب خذلتة الحيل .
- * من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه .
- * من ركب ظهر البغى بلغ به دار الندامة .
- * من عتب على الدهر طال عتبه .
- * من أماله الباطل قوّمه الحق .
- * من لم يُحسن صهيلاً نهق .
- * من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه .
- * من لم يتعظ أتعظ به .
- * من ترك العقوبة فقد أغرى بالذنب .
- * من أيقن بالخلف جاد بالعطية .
- * من خوفك حتى تلقى الأمن ، خير لك ممن أمنك حتى تلقى الخوف .
- * من كان عبداً للحق فهو حر .



نهج الحياة

بقلم العلامة العبيدي مفتي الموصل

فلك دائر ورب تعالى
 سيعود الهلال بدرًا تمامًا
 يا سوار السماء هل صاغك الله
 لا ترعك الأيام إن هي دالت
 إن نهج الحياة عود وبدء
 علمتنا الأقدار وهي قسي
 ربما يعقب الكمال زوآلاً
 ومن العجز ما يقال محال
 كم رأينا من الرجال نساء
 رائد المرء عزمه في اللبالي
 وإذا استثقل الحمائل وإن
 وإذا ما رضيت بالذل يوماً
 إنما الكائنات ذرات فرد
 رُب زهر قطفته كان خدًا
 وغزال تحت الثرى عاد عشبًا
 ولعل الرُمان كان نهودًا
 رُب شاة رعت رفات أمير
 فرويدًا يا ابن التراب رويدًا
 وشؤون بأمره تتوالى
 مثلما عاد وهو بدر هلالا
 لأمر أم زينة وجمالا
 وامش في موكب الدجى مختالا
 وهي حرب وما تزال سجالا
 كيف ترمي يد القضاء النبلا
 مثلما يعقب الزوال كمالا
 ليس في الكائنات شيء محالا
 ورأينا من النساء الرجالا
 فامتط العزم تدرك الآمالا
 فأخو العزم يستخف الجبالا
 فاخلع التاج وألبس الخلخالا
 برزت في مرآته أشكالا
 لكعاب ونقطه كان خالا
 فرعى فوقه الغزال غزالًا
 كان كأسًا من قبل أو صلصالًا
 فلبسنا من وجنتيه نعالا
 حسبك التراب محتدًا ومآلا

إن هذي الحياة ثوب غرور فلبسناه نسحب الأذيالا
 في حبالِ بنو الثرى أسراء ويمدون للثريا الحبالا
 ولعل الغرور خفف أعبا ء حياة لولاه كن ثقالا
 ومن الجهل والغباوة فينا أن نطيع الطفاة والجهالا
 أفيشقى جمعٌ ليسعد فرد؟ حسبنا في الحياة هذا ضلالا
 وأضل الأنام من يعبد الأص نام لا يسمعون منه مقالا
 دع غواة يحللون حرامًا وعناة يحرمون الحلالا
 قد أعدنا للجاهلية عهدًا وعبدنا من بيننا نمثالا
 رب رفقًا بأمة خدعو ها كفاحًا وقاست الأهوالا



الإسلام والمسلمون

بحثت عن الأديان في كل أمة وطفنت بلاد الله غربًا ومشرقا
 فلم أر كالإسلام أدعى لألفة ولا مثل أهليه هوى وتفرقا
 أحمد عبيد



من إلهامات رمضان ليلة القدر

في ليلة من ليالي هذا الأسبوع بلجة صافية ساكنة، لا حارة ولا باردة، كأن
 فيها قمرًا ساطعًا لا يرمي فيها بنجم، أطفأتُ مصباح مكتبي المتصل بحديقة

المنزل، وخرجت إلى الحديقة أقلب وجهي في الفلك الأعظم تارة، وأراجع ترجمة حياة وردة كانت أمامي تارة أخرى؛ فرأيت من وراء بدائع صنع الله بدائع في نظام خلقه يكاد قليل ما نعرفه من أسرارها يبهر عقول العقلاء منا، فتخر الجباه خاشعة لبديع السماوات والأرض...

فكرت في نسيج الوردة القائمة أمامي على غصنها تُسبح بحمد الله خالق الأزل والأبد، وما بينهما من ملايين الدهور، ورحت أحلل في ذهني دقائق نسيجها، وأتذكر ما كنت تعلمته في المدرسة عن ملايين الذرات التي تتألف منها أنسجة الوردة، والحركات العجيبة التي تتحركها كل ذرة من تلك الذرات، والحياة المستقلة والمتضامنة التي تحياها الخلايا في غذائها ونكاحها وحملها وولادتها وموتها، بما لا يُعد شيئاً مذكوراً في جانبه كل ما وصل إليه حدق الإنسان في صناعاته ودقيق آلاته وعجيب مخترعاته، المسروقة من أسرار صنع الله، والمزورة عنها بطريق التقليد المفضوح، ورجعت إلى تاريخ الوردة أستعرض سيرة أجدادها، والصفات التي تتوارثها أمة الورد نسلاً بعد نسل، والمواهب التي تكتسبها بعض هذه الأنسال من بيناتها ومصاهراتها، وتأملت في استعدادها للنمو والتوليد، وفي تذكرها أصولها، ورجوعها إلى سابق صفاتها بعد طرؤ التطورات الجديدة عليها، وكيف تسير في ذلك كله على أنظمة غاية في الدقة، وبأوضاع في منتهى الحكمة، فوقعت ساجداً ذليلاً لعظمة الباريء الحكيم...

كانت ليلة مباركة خشعت فيها لمقدر أنظمة الوجود والفناء في صنوف كائناته الأرضية: من أمم الجراثيم، إلى عوالم النبات والشجر والثمر، إلى طوائف الحيوان، ساكنات التراب والهواء والماء، من زواحف ودواب، وسابحات وطائرات؛ وقلت: هذا كله في كرتنا الأرضية، وهي نجم صغير حقير، في كون

واحد من ملايين الأكوان الدائرة في أفلاكها بنظام دقيق، ومقادير محددة، وأبعاد معينة، وحركات مؤقتة ومقننة، وكل هذه الأجرام الهائلة المخيفة الهاوية في مداراتها، القاذفة بشررها، المسافرة أشعتها سفراً أسرع من البرق في رحلات تستمر عشرات السنين بين مصدر تلك الأشعة ومواقع أضوائها وظلالها.

فكيف بالتدبير الإلهي لمجموع مخلوقاته!..

والحياة، الحياة، كيف وُجدت في كون كان سديماً وغازاً، ثم اشتعل السديم والغاز ملايين السنين فكان جحيماً، ثم برده صقيع الأجواء التي يتروح فيها فصار جماداً؛ فكيف نشأت في الجمامد الحياة، حياة الورد، وحياة الهرة، وحياة النحلة، وحياة البيغاء، وحياة السمكة ذات الخراشيف اللاصقة وحياة النبات الجميلات اللائي يعملن في روايات السينما؟ كيف تحولت تلك السدم والغازات والمواد المتأججة حتى صار منها وردة وهرة ونحلة وبيغاء وسمكة وغادة غضة بضّة!

هذا تقدير عظيم، هذا تقدير الباريء العليم، هذا تقدير القادر الحكيم. كل شيء قدره القادر الأعظم بقدره، ولكل خلق من بديع مخلوقاته سنن وأنظمة دقيقة لا يعرف منها هذا البشر الجاهل المغرور، إلا كما يعرف الطفل من حكمة انتقال الأصوات من وراء البحار إلى آلة الراديو، فيدور وراء صندوقها باحثاً عن الإنسان الذي يرسل صوته منها...

كل شيء بقدر، ولكل شيء نظام، وكلها أنظمة عادلة حكيمة محكمة، والناس منهم أعمى البصيرة، ومنهم البصير.

وأعمى البصيرة يحقر البصير ويستصغره ويستهجنه، والإنسان عدو ما جهل..

لكل شيء قدر معلوم، وكل شيء بقدر، وكل ذلك قائم على العدل والحكمة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الليل والنهار بقدر وحساب ونظام.

الشمس والقمر بقدر وحساب ونظام.

الصحة والمرض بقدر وحساب ونظام.

الغنى والفقر بقدر وحساب ونظام.

الاستقلال والاستعباد بقدر وحساب ونظام.

النماء والفناء بقدر وحساب ونظام.

الهدى والضلال بقدر وحساب ونظام.

القضاء قضاء عادل دقيق لا يبلغه أعدل الأقضية التي يترنم الناس بمدحها وحمدها، والقدر حساب دقيق في مقاييسه وموازنه لا تبلغه في الدقة موازين الجواهر في الصاغة، ولا موازين السموم في الصيدليات.

ولكن دائرة القضاء والقدر الإلهي محيطة بما نعلم وما نجهل، محاسب في (حيثياتها) على ما قيدناه في دفاتر (تحقيق الشخصية) من وقائعنا وأعمالنا وتقوانا وإسرافنا، وعلى ما نسيتنا تقييده من ذلك.

أعرق وأقف في مجرى الهواء فأمرض، ثم أزعم أن الله قدر على المرض وقضى به، نعم إنه قدر على المرض وقضى به، ولكنه قدر بحق وقضى بعدل. وأسير بين خطي الترام، وأفكر في أمور أخرى غير ما أنا فيه، فتفجأني مركبة الترام وتفجع بي أولادي، وتقول الصحف في صباح اليوم التالي مات بقضاء وقدر، نعم بقضاء وقدر، ولكن الذنب ذنبي.

لكل شيء قدر، وكل شيء بقدر، ومن القدر أن لكل نجم فلكا ومدارا لا

يتعداه، وللسمك البحر، فإذا خرج منه إلى البر هلك، وللإنسان التقوى فإذا لم يضعها دائماً بين عينيه زلت قدمه، وللنتائج مقدماتها وأسبابها، فإذا لم يتوصل إليها بها كانت العاقبة الفشل.

الصلاح كلمة ذات وجوه كثيرة، ولكل وجه حساب خاص في كتاب القضاء والقدر.

قد اتصف بالصلاح في زراعة أرضي، ولكني أكون غير صالح فيما أنصرف به من الأموال التي أجنيها من براعتي في الزراعة، فأضعها في غير مواضعه، إن الله يكافئني على صلاحي في زراعة أرضي بثميرها وتنمية حاصلاتها، ويعاقبني على سوء تصرفي بالنقود بإضاعتها من يدي.

قد تكون دولة من الدول بارعة في إنشاء الأساطيل والمحافظة عليها، وصالحة للقيام على خدمتها وإدارتها، ولكنها ظالمة لمن ائتمنها الله عليهم من عباده، تسن الأنظمة لحرمان بعضهم من ثمرات كسبهم وتمتيع البعض الآخر بتلك الثمرات، ولا تخاف الله في كثير مما تعلم أن به رضاه، فالله يكافئها على صلاحها في القيام على خدمة الأساطيل بالتفوق على غيرها في أمر الأساطيل، ويحرمها محبة الذين غمطتهم حقوقهم من عباد الله الذين تحكمهم، ويعاقبها يوم الدين بما عصت الله فيما تعلم أن به رضاه.

يكون الإنسان الواعد صالحاً في شيء وغير صالح في شيء آخر، وصلاحه في الشيء الأول لا ينافي عدم صلاحه في الشيء الثاني، وإذا رأينا الله يورث الأرض بعض خلقه ممن يحسن القيام على إدارة الأرض، فليس هذا دليلاً على الصلاح في كل شيء، بل على الصلاح في الشيء الذي أدت مقدماته إلى نتائجه.

لكل شيء قدر، وكل شيء بقدر.

وكما أن هذا واقع بكل دقة في نظام الأكوان، وحياة النبات والحيوان، فهو كذلك في جميع أحوال الإنسان، ومن الكفر -الكفر بالنعمة أو بما هو أكثر من النعمة- أن يعترض الفقير على كونه فقيرًا، وأن يعترض المخفق في عمله على كونه مخفقًا، ومن اعتادت عينه أن ترى دقة صنع الله في كل مخلوقاته، وحكمته في حركات أكوانه، فإنه يخجل من العقل ومن المعرفة إذا ذهب إلى أن حالة من حالات بنى آدم جاءت على خلاف ما كان ينبغي.

إن هداية القرآن الذي أنزله الله ليلة القدر تُرشدنا إلى أن لكل شيء قدرًا، وأن كل شيء بقدر، ولكن الناس منهم الأعمى ومنهم البصير، ومنهم المؤمن ومنهم الجاحد بل الجاهل، ومنهم من يشم رائحة العلم بأسرار الأكوان شمًا خفيفًا فيسكر بها ويكفر بالله، ومنهم من يزداد بالله يقينًا، كلما ازداد في علوم الكون إمعانًا وعلى النظر فيها إقبالًا، وأن الهدى هدى الله.

القاهرة: العشر الأخير من رمضان ١٣٥٢هـ

محب الدين الخطيب



الحسد

* قال معاوية رضي الله عنه: كل الناس أقدر على رضاهم، إلا حاسد نعمة: فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

* وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما بلغني عن أحد شنان قط إلا سللت سخيمة قلبه بجهدي، إلا حاسد النعمة فإنه لا يرضى إلا بزوالها.

* وقال الحسن البصري: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد: نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفذ.

في ظلال الغنى

لست أدري ولا المروءة تدري
يجمع المال غيرنا فيباري
غير أنا نثرى لنشقى، ونمسي
أي فضل - قل لي - لمثر بخيل
هل نراه إلا جباناً إذا ما
ما لقومي والحال تستعجل البذ
يقبضون الأكف في الجد بينا
أعدا الأخذ بالفضائل عاراً
أم يرى المظلم البصيرة صعباً
قل لقومي إذا وجدت معافى
أين علم الحياة من جهل قوم
غني الناس بالمفيد فجاءوا
كلفوه الصعود في الجو فانصا
وانصرفنا إلى المجون فجئنا
أو ليس المحال أن يحسب المو

ما غناء الغنى إذا عاد ذلاً
ساريات الربيع جوداً وبذلاً
في ظلال الغنى على الناس كلا
ما على الناس منه أثقل ظلاً
أقبل الناس للمفاخر ولى
ل وتستصرخ الفقير المقل
هم يكيلون في المهازل كيلاً
والتردي في هوة العار فضلاً
ما يرى الثاقب القريحة سهلاً
من هوى النفس فيهم أو مُبلى
حسبوا عزها شراً وأكلوا
بالذي ذلل الجماد فذلاً
ع وأن يهبط الثرى فتدلى
فيه بالمستحيل شرعاً وعقلاً
ت حياة ويقلب العلم جهلاً!

محمد النجمي

□ قال نصر بن سيار:

كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة، فإنها تبدأ كبيرة ثم تصغر، وكل شيء إذا كثر رخص، إلا الأدب إذا كثر غلا.

صوت القبر

يا من لهم في القبور أموات!

إن رؤية القبر زيادة في الشعور بقيمة الحياة، فيجب أن يكون معنى القبر من معاني السلام العقلي في هذه الدنيا.

القبر فم ينادي: أسرعوا أسرعوا، فهي مدة لو صُرفت كلها في الخير ما وفّت به، فكيف يضيع منها ضائع في الشر أو الإثم! لو وُلد الإنسان ومشى وأيقع وشب واكتهل وهرم في يوم واحد، فما عساه كان يضيع من هذا اليوم الواحد؟ إن أطول الأعمار لا يراه صاحبه في ساعة موته إلا أقصر من يوم.

ينادي القبر: أصلحوا عيوبكم، فإنها إن جاءت إلى هنا كما هي بقيت كما هي إلى الأبد.

هنا قبر، وهناك قبر، وهنالك القبر أيضًا، فليس ينظر في هذا عاقل إلا كان نظره كأنه حكم محكمة على هذه الحياة كيف تنبغي وكيف تكون..

في القبر معنى إلغاء الزمان، فمن يفهم هذا استطاع أن ينتصر على أيامه، وأن يُسقط منها أوقات الشر والإثم، وأن يُميت في نفسه خواطر السوء، فمن معاني القبر ينشأ للإرادة عقلها القوي الثابت، وكل الأيام المكروهة لا تجد لها مكانًا في زمن هذا العقل، كما لا يجد الليل محلًا في ساعات الشمس.

ثلاثة أرواح لا تصلح روح الإنسان في الأرض إلا بها:

روح الطبيعة في جمالها، وروح المعبد في طهارته، وروح القبر في موعظته.

الرافعي



الإسلام

هذه الفقرة صَدَّرت بها الليدي (إيفلين كوبولد) كتابها (الحج إلى مكة):
لقد تساءل (كيته): إذا كان هذا هو الإسلام، ألسنا كلنا مسلمين...؟... فأجابه
(كارليل): أجل... إن من يحيا بالروح، إنما يحيا على الإسلام...^(١)



التفكه بالحقائق

كان (شو بنهور) الفيلسوف الألماني يُحسن الفكاهة على كونه إمامًا للفلاسفة
المتشائمين في العالم.

وكان في شبابه قد لبى اقتراح جامعة «كوبنهاجن»، فكتب رسالة في (أصول
الأخلاق)، وعرضها على مجلس الأساتذة مع العارضين، فلم تظفر بالجائزة
الكبرى، وظفرت بتلك الجائزة رسالة أخرى لا يقرأها الآن أحد، ولا تُذكر إلى
جانب الرسالة التي كتبها (شو بنهور) في شبابه، ولم تزل إلى الآن مرجعًا في
الفلسفة والاجتماع.

ومن ذلك الحين تظهر رسالة (شو بنهور) المطبوعة وعلى الصفحة الأولى
منها بالخط الكبيرة: (لم تقبلها جامعة كوبنهاجن).

.. كأنما هذا الرفض من تلك الجامعة تزكية وتقريظ يستحقان الإثبات
والتنويه!

(١) لكن لا يكفي هذا للنجاة، بل لابد من اعتناق الإسلام، والتبرؤ من كل ما يخالفه. (س).

إمارة الشعر الجديدة

خدع الأعمى البصير إنه لهو كبير!
 أضحك الأطفال منه إذ دعاه بالأمير
 لبت شعري والليالي لم تزل تبدي الكثير
 هل يُرى في الناس ثانٍ مثل ذا الرأي الفطير؟
 أي أطباء القوافي إن عرا الداء الخطير
 وأساطين المعاني من رباطٍ للعسير^(١)
 هل رأيتم كيف يخطئ سنن النهج الضرير!
 أصبح الشعر شعيراً فاطرحوه للحمير

النجمي



من حكم الفاروق رضي الله عنه

* ما عاقبت من عصى الله فيك، بمثل أن تطيع الله فيه.
 * لا حرمة للنائحة، لأنها تأمر بالجزع، وقد نهى الله عنه، وتنهى عن
 صبر، وقد أمر الله به، وتبكي شجية غيرها، وتأخذ الأجر على دمعها، وتحزن
 حي، وتؤذي الميت.

(١) يسأل بلغاء الأمة العربية من رباط الفتح في أقصى المغرب إلى بلاد العسير في جوف جزيرة العرب.

- * لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين في غير ضعف، القوي في غير عنف.
- * إياكم وذكر الناس فإنه داء، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء.
- * ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك، أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.
- * من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن.
- * اعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله أي شيء.
- * إني أحب أن يكون الرجل في أهله كالصبي، فإذا احتيج إليه كان رجلاً.



الاقتصاد

- إذا رمت أن تستقرض المال من أخ تعودت منه اليسر في زمن العسر
- فسل نفسك الانفاق من كيس صبرها عليك وإنظاراً إلى ساعة اليسر
- فإن أسعفت كنت الغني وإن أبت فكل ممنوع بعدها واسع الصدر



ضارب الرمل

- أمسى يحدث عن غد ولو أنه يدره لم يجثم على الطرقات
- متدثر بالباليات خصاصة ويروح يسأله ذوو الخلجات
- ويقي من الشيطان وهو أخ له ألقى شباك الرمل والنفثات

ما راعني -وله فرائس جمّة- إلا أوانس مِسْن في الحَبَرَات
 محمد الأسمر



حِكْم

- * أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك .
- * إذا قام جناة الشر فاقعد .
- * التجربة علم والأدب عون .
- * البخيل خازن لأعدائه .
- * الجاهل صغير وإن كان شيخًا
- * نفاق المرء من ذله .
- * من أعجب برأيه ضل .
- * الصبر يُخفف المصائب، ويقرب الآمال .
- * إذا لم تشغل النفس بما يصلحها شغلتك بما يفسدك .
- * إذا رأيت رجلًا يتناول أعراض الناس، فاجهد أن لا يعرفك .
- * من اليقظة إظهار الغفلة مع شدة الحذر .
- * عقوبة الغضب تبدأ بالغضببان: فتُقبِح وجهه، وتثلم دينه، وتُعجل ندمه .



من مصر إلى الهند

أنشأت مجلة (الضياء) الهندية مقالة بمناسبة احتفال الفرس بذكرى مرور ألف سنة على (الفردوسي والشاهنامه) التي تغنى فيها بمجد العجم.

وأشارت إلى ما فيها من نزعة شعوبية، وانتقدت اشتراك بعض أهل الدين والصلاح في هذا الاحتفال، وذكرت أن شاعر شباب مسلمي الهند (حفيظ) سار شوطًا في نظم (شاهنامه باللغة الأوردية) تغنى فيها بمحامد التاريخ الإسلامي، ثم نوهت بما أذاعته (الفتح) من بشرى قام شاعر مصر الكبير الأستاذ (أحمد محرم) بنظم ديوان للمفاخر الإسلامية بشعره البليغ، فلما قرأ الأستاذ أحمد محرم هذه المقالة، نظم القصيدة الآتية:

صوت تردد في الأقطار يهتف بي	لا سرنى هائف إن لم يُجب أدبي
أجل هو الخطب إن أمسى أوائلنا	في الهالكين، وهم منا على كذب
اليوم والغد منهم مشهد جلال	يرمي الشاهد والأيام بالعجب
هم سادة الأرض ما انفكت ممالكها	من بأسهم وجلال الملك في رهب
الدائبون عليها ما يجاوزهم	ركب الدهور ولا سيارة الحقب
والغالبون فما يغشى لهم حرماً	من كان ذا قوة أو كان ذا غلب
إذا رموا وعوادي الدهر راکضة	هدّوا الخطوب وردوا غارة النُوب
آباؤنا ما أضاع القوم حرمتهم	لكنهم قد أضاعوا حُرمة الحسب
(للشاعر الفارسي) العذر إن نزع	به النوازع تغشى موطن الكذب
أثنى على قومه بيني لهم شرقاً	يرجو عمارته بالمنطق الخرب
إن الألى عصفوا (بالنوبهار ^(١)) همو	كانوا الغياث لهم من عاصف اللهب

(١) بيت النار عند الفرس، وكان معدهم من قنار.

ما كنت باللائم الباني لأتمته
 إن كان للمدح يزجيه الفتى سبب
 لو كان (للنمل) شعرٌ قال قائلها
 إنا أبينا فلم ندخل مساكننا
 رعنا (سليمان) يمشي في مواكبه
 قال الوشاة وَفَى (للفرس) شاعرهم
 مهلاً فإنني لقومي إن هم التمسوا
 لو لم يُطعني بياني حين أنصرهم
 ما فارقوني ولا جاوزت موضعهم
 هذا يردد دوني صوت مرتجز
 أكبرت (للشاعر الهندي) غضبته
 على (الضياء) لحسان الهنود ولي
 تلك التحبة أزجيتها على يده
 لما رأيت ولاء (الفتح) منقبة
 سيفٌ من الحق يجري في مضاربه
 عرفته (علوياً) زانه نسب
 إذا الفتوح انتمت راحت جلائها
 فليين من شاء ليس النوم كالدأب
 ففي القرابة ما يغني من السبب
 لما تولت سراعاً خيفة العطب
 حتى استبحنا حمى الهندية القضب
 بين الجنود فلم نملك سوى الهرب
 وما وَفَى (شاعر الإسلام والعرب)
 مستودع الود من نفسي لذو حدب
 نصرتهم ببيان من دم سرب
 في هاتف زجل^(١) أو زاحف لَجِب^(٢)
 وذا يقلب حولي عين مرتقب
 للحق يُنصفه من خصمه الشغب^(٣)
 حق له إن قضاه أجرٌ محتسب
 إليه أعتدها من أفضل القرب
 جعلته بين قومي خير مكتسب
 نور من الوحي يجلو ظُلْمة الريب
 ما مثله في (سيوف الله) من نسب
 تلوذ منه (ببدري) السنا ذرب^(٤)

(١) من الزجل، وهو هنا الجلبة ورفع الصوت صفة لمحذوف، والمراد مجمع القوم ومتداهم.

(٢) صفة للجيش العظيم.

(٣) الشغب: هو الذي يهيج الشر. والشاعر الهندي هو الأستاذ (حفيظ) شاعر شباب مسلمي الهند الذي بدأ بنظم (شاهنامه إسلام).

(٤) البدري: نسبة إلى بدر موضع الغزوة المشهورة.

الله أيدني من جنده بأخ لو غاب عني أخي في الرّوع لم يقب
أحمد محرم



الطوفان في جبال نابلس في شتاء عام ١٣٥٣هـ

من نظم شاعر فلسطين الأستاذ/ إبراهيم طوقان

من كان ينكر نوحًا أو سفيته	فلن نوحًا بأمر الله قد عادا
حل الويال بعبال فمال به	يا هيبة الله إبراقًا وإرعادا!
في جارف كمجيج البحر طاغية	أواجه تحمل الأسواق أمدادا
ولا تزال من الزلزال باقية	تذكارها يوقد الأكباد إيقادا ^(١)
منذ احتلتم وشؤم العيش برهقنا	فقرًا وجورًا واتعاسًا وإفسادا
بفضلكم قد طفى طوفان «هجرتهم»	وكان «وعدًا» تلقيناه «إيعادا»
واليوم من شؤمكم نُبلى بكارثة	هذا هو الطين والماء الذي زادا



كلنا عرب!

نشرت (الفتح) في العدد ٤٣٠ بعنوان (كلنا عرب) خبر ارتفاع قيود الجوازات

(١) يشير إلى الزلزال الذي وقع في نابلس قبل بضع سنوات.

بين مملكتي ابن سعود والعراق، فأوحى هذا العنوان إلى شاعر حضرموت - صديقنا- الأستاذ علي أحمد باكثير، هذه الأنشودة الموسيقية البارعة.

المحرر

علماً يعرب جُمعاً في علم ضم (بغداد) في ظله و(الحرم)
يا همومي أبعدِي! يا سروري هلم! بقظة ما وعى مسمعي أم حُلُم!؟



بل هو الحق إن شئت فاسأل دمك ويك يا جاري الدم من أعلمك؟
أنت ذا تنبري راقصاً في العصب ويحك أرفق بقلبي فقلبي يَجِب!



فأجاب الدم نائراً محنقا مفضباً يكظم نفساً محرقا
ما شككت به أيهذا الغبي قد أحس به دمك اليعربي!!
أعجيب: أخ ضم عطفاً أخاه؟ كبرت جملة حملتها الشفاه!
أو ليس العجب طامع في أخيه؟ مستعين على أهله صائديه!
أكمه لا يرى أنه أكمه ليس من يدعي مثل من يُبره
بأبي يعرب أتظل - الأبد أمماً تلعب والليالي تجذ؟
تلك ألمانيا ائتلفت من أمم شيع في هوى ولسان ودم
وبنو يعرب الأمة الواحدة نكرت بينها (الوحدة) الخالدة
أو لم يجمع الضاد والعنصر؟ أو لم يجمع الوطن الأكبر؟
ما لهذه الحدود ارفعوها ارفعوا ويلهم! قطعونا لكي يبلعوا!



ياشجاً في لهاة العدو الألد ويحك اصلب فمثلك لن يزدرد!
علماً يعرب جُمعاً في علم ضم (بغداد) في ظله و(الحرم)!

يا همومي ابعدي يا سرروي هلم يقظة ما رأى ناظري أم حلم؟



حيّ ليث العرب عاهل المكتين عشت يا ابن النجب حامي المسجدين

يا أبا الناطقين باللسان المبين!



حيّ شبل العرب عاهل الرافدين (فيصل) لم يغب يا حفيد الحسين

يا فتى الناطقين باللسان المبين!



هذه خطوة والخطى بعدها! لم تهن أمة ذكرت مجدها!

وطن واحد أمة واحده عنصر واحد لغة واحده

همنا واحد في حياة وموت من حدود الرباط إلى حضرموت!

آن ما بيننا -نفذ المرتقب- أن تزال الحدود وتطوى الحجب

علي أحمد باكثير



يا آسي الجرح!

الذكريات من التاريخ قد درست وطارف المجد موءود وتالدّه

يا آسي الجرح بادر ضمّد سائله إذا تريثت لم تنجح ضمائده

دمشق / خليل مردم



الزكاة

عجبت لمعشر صلوا وصاموا
وتلفيهم حيال المال صمًا
لقد كنتموا نصيب الله منه
ولولا البخل لم يهلك فريق
ظواهر خشية وتقى كذابا
إذا داعي الزكاة بهم أهابا
كأن الله لم يُحص النصابا
على الأقدار تلقاهم غضابا
أحمد شوقي



أغنياؤنا وفلسطين

سلبت فلسطينَ الحوادثُ نومها
يبتاع ثروتها العدو بماله
فاعجب لهم لا البخل يوقظ فيهم
إن يطمعوا فينا الخصوم فحسبهم
وليهنهم أنا بفضل جهودهم
لم أدر ما فضل الغنيّ نحسه
تدوي رعود الكارثات حواله
خُلق تمكن من نفوس سراتنا
فكأنما يخشون أن يبقى لهم
ما ظن قوم يبخلون وملكهم
أيجادلون الخصم في تحريرهم
والمسلمون كما عهدت رقود
والمال بين يديهم موجود
حرصَ البخل ولا يُواتي الجود
أنا على هذا المروق شهود
ضعنا وضاع رجاؤنا المنشود
ما بيننا وكأنه مفقود
وصماخه عن قصفها مسدود
لا اللوم يخجله ولا التنديد
أثرٌ لدى أقوامهم محمود
بالنفس في كف المغير وجود
وهم لأهواء النفوس عبيد

الذنب والحظيرة

لا تعبدوا إلى الحظيرة ذنبًا	كفى الناس شره واستراحوا
واتركوه بحيث أنزله الله	ففي تركه لقيَّ إصلاح
لا تقولوا أصيب ظلمًا وقولوا	إنما أُخرس اللسان الوقاح
لم ينل باطل السياسة منه	ما يرى الحق دونه والصلاح
إنه قائد الغواية والشـ	ك وداعي المجانة الملحاح
دون ما في كتابه من مخاز	يقف العفو عاجزًا والسماح

النجمي



نشيد الأطفال في رمضان

«وحوي وحوي» مهد الأمل	لصغار تفرح في جذل
فيهن قطاة تنشد لها	برنين عذب كالعملل
فيردها سربٌ مَرِحٌ	يزهو ببهاءٍ في حُلل
بنشيدٍ رق على الأذن	وحنينٍ كالخد الأثل
بين الأنوار كولدان	يخطرُن بفردوس الأمل
يا ليت زمانِي بسمح لي	فارددها «وحوي وحوي»



بين الأنحاء على مهلٍ	بمشين وطورًا في عجل
وبكل ثنية منمرج	يخطرُن كنشوان ثمل

فبهن عواطف حانية كحنين الشفر إلى القُبل
وبهن حياة ضاحكة متمتعة بين النقل
ما أحلاها «وحوي وحوي» يا ليت زمني يسمح لي



نغماتٌ من قلب مرح ونفوس تخفق بالأمل
ما بين العطف بقلب أبٍ وحنان الأم المشتعل
فوددت أقاسمها همي أملاً منها أن تبسم لي
وقربت ولكن في حذرٍ وبوجهي شارات الوجل
وهتفت بصوت ممتزج بهوى نفسي «وحوي وحوي»
لم يردعني مر الكبير أو ينفعني بذل الحيل
إذ فر الجمع وفي قلبي زفرات من وقع الخجل
يا ليت زمني يسمح لي فارددها «وحوي وحوي»



لحنٌ يشجيني في طرب لكن في دمعٍ منهمل
ونشيد يسري في كبدي فيمر خداعاً في أجلي
أو كنتُ كذلك في صغري؟ أبداً، لم يُكتب في الأزل
أو بات الماضي في عَدَم فمضى ونأى أم سوف يلي؟
يا ليت زمني يسمح لي فارددها «وحوي وحوي»

فايد العمروسي



تفرق المسلمين

وارحمنا للمسلمين تفرقوا
فلئن بكيت لقد وجدت مصابهم
ما بالدموع المستهلة ريبة
من كان أبصر خطبهم فأنا الذي
ما زلت أجمع بالقريض شتاتهم
انظر إلى الباني المهذّم واعتبر
وتباعدوا في الأرض بعد تدان
في منكبي وجواني وجناني
هي في الجفون عصارة الوجدان
ما رَسْتُه ولمسته ببناني
حتى انقضى أدبي وضاع زماني
بالدهر تصدع شامخ البنيان

أحمد محرم



العرب

إذا كنت شريكًا لرجل أو أكثر في عمل مالي، فمن حق هذه الشركة ومن مصلحتك فيها، ومن واجبات الفضيلة أيضًا أن تكون أمينًا لها، حريصًا على حياتها ونمائها، عرف لك ذلك شركاؤك أو لم يعرفوا، أما إذا دب روح الأنانية في هذا العمل، ومالت نفس الشركاء أو بعضهم إلى الانفراد بشيء من النفع فتلك بداية الخراب.

وإذا كنت ساكنًا في حي من الأحياء، فمن حق ذلك الحي عليك أن تجيب دعوة التعاون على خيره إذا وجهت إليك، وأن توجه مثل هذه الدعوة إلى سكان ذلك الحي إذا شعرت قبلهم بحاجة الحي إليها، وإن الحي الذي تغلب على أهله

السكينة، ولا يتعاونون على الخير المشترك بينهم أولى به أن يسمى ميتًا؛ لأن الحركة والتعاون من أوضح مظاهر الحياة.

وإذا كنت في سفينة تمخر بك في البحر، وهي ملك لغيرك، وأنت بها عابر سبيل، وأراد أحد ركايبها أن يخرقها، فإن لم تأخذ على يده على زعم أنها ليست لك، فإنها ستغرق وتغرق أنت معها.

كلنا ذلك المسافر المبحر في السفينة، أو الساكن مع غيره في الحي، أو الشريك لآخرين في المصالح.

فأنا بصفتي مسلمًا، شريك لكل محمدي في جامعة الإسلام^(١)، وهي عندي أشرف الجامعات، لأنها تجمعني مع إخواني المسلمين بالروح والتفكير والاقتناع؛ فإن لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة سبيل اتساعها وارتقائها، وحفظ كرامتها؛ كان ذلك خيانة مني لهذه الرابطة، وتقصيرًا في الواجب الاجتماعي، ودليلاً على أنني عضو عاطل يتغذى من الجسم الذي هو فيه ولا يفيد شيئاً.

وأنا بصفتي متوطناً في مصر، اخترتها من دون آفاق الدنيا لتكون مولد أبنائي، ونويت أن أموت في تربتها إذا شاء الله ذلك لي؛ فإنني شريك لكل مصري في جامعة الوطن، وهي من أقرب الجامعات إليّ، لأنني متصل بها مباشرة، وأنفعها بجهودي، وأنتفع منها في أعمالي؛ فإن لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة وإخلاص، وأحرص على خيرها وعزها، كان ذلك مني نقصاً يصيبني قسط منه، وتقع علي في جملة من تقع عليهم نتائجه.

(١) وهذا يغني عن الروابط الجاهلية الأخرى؛ كالقومية. فليت الأستاذ الخطيب اقتصر عليه. (س).

وأنا بصفتي من أبناء هذه اللغة العربية ليس لي لغة غيرها، ولا تصح نسبتي لغير أهلها؛ أرى نفسي عربيًا يشارك كل عربي على وجه الأرض، في بيانه، وفي قوميته، وفي عزته ومفاخره ومصالحه، مهما اختلفت الألوان التي قضت السياسة بأن تتلون بها هذه الأقطار العربية على الخريطة؛ فهذه المقالة التي أكتبها على مقربة من ميدان السيدة زينب في القاهرة، سيقروها بعد بضعة أيام أبناء هذه اللغة في تونس والجزائر وما وراءهما، وسيقروها أبناء هذه اللغة في فلسطين والعراق والشام شمالًا، وفي الحجاز ونجد واليمن جنوبًا، وسيعدها كل ناطق بالضاد على وجه الأرض مادة من مواد صحافته العربية وبيانه العربي.

من الناس من يعد العربي من كان عربي النسب، فإن لم يكن له في قبيلة من قبائل العرب أو في أسرة من أسرهم نسب معروف لا يعد نفسه عربيًا. وقد كان هذا صوابًا يوم كان العرب يحيون حياة القبيلة، ويحافظون على أنسابهم فيها؛ فلما غمر سيل الحضارة أمة العرب، وتوطنت أمم منهم في بلاد العجم، والتحقت ببلادهم خلائق من غيرهم لا تحصى، صارت العبرة في الحضارة للمولد واللغة، ولم يبق حكم لرابطة النسب إلا في بيوت خاصة معروفة.

كما أن الفرنسي هو من ولد في فرنسا في بيت لغة أهله الفرنسية، وكما أن التركي هو من ولد في تركيا في بيت لغة أهله التركية، كذلك العربي هو من ولد في الوطن العربي في بيت لغة أهله العربية، وعلامة العربي الحرص على خير العرب وعز أوطانهم، فمن كان غير حريص على ذلك فالعربية بريثة منه، وإن كان من أعرق قبائلها، ومن اعتبر نفسه مجاهدًا لخير هذه القومية فهو رجلها، ولو كان أبو أبيه مهاجرًا إلى الوطن العربي من جزيرة قريطش.

كنت أشعر من زمان بأن هذه الحقيقة تحتاج إلى إعلان، فلما نظم صديقي

الأستاذ علي أحمد باكثير نشيدته العصماء (كلنا عرب)، رأيت أن أرسل هذه الكلمة في تعريف العربي، لأن هذا التعريف معروف في العراق والشام أكثر مما هو معروف في مصر، فصار من الخير أن أعلنه في مصر لتعارف نحن الشركاء في البيان العربي بأنا شركاء أيضًا في الفخر بهذا التراث وجنود مكلفون بحمايته ووقايته من كل سوء.

إن أشد الترك عصبية للقومية التركية اليوم رئيس جمهوريتها، ومع ذلك فإنه لا يحمل لا هو ولا أي تركي آخر ورقة نسبة إلى خامس جد ليكون مطمئنًا بأن أجداده كانوا من الترك حقًا لا من جنسية أخرى، ونابليون بونابرت المولود في جزيرة إيطالية من أبوين كانا يتكلمان الإيطالية، رأينا إيطاليا الآن تجرد جنود الحرس في جيشها من القبة البونابرتية؛ لأنها اعتبرت بونابرت غريبًا عنها كما اعتبرته فرنسا من أبطالها، ولو رجع كلاهما إلى قاعدة الأنساب لاعتبراه إيطاليًا لا فرنسيًا، وفي دمشق جريدة يومية اسمها (فتى العرب) وهي تسمية تنم عن اتجاه عصبية صاحبها وهو الأستاذ (معروف الأرنبوط) الذي بينه وبين الألبانية جد واحد أو جدّان، ومع ذلك ما كان ليدعيه الألبانيون ولا لتتنازل نحن عن أدبه الذي نعهده من ثروة لغتنا، وقد ألهمته العصبية العربية كتابات بارعة من أهمها كتاب (سيد قريش) الذي قلما كتب العصريون كتابًا مثله عن زمن البعثة النبوية. وصديقي شاعر الشام الأستاذ (خير الدين الزركلي) لو نازعنا الأكراد عليه لقاتلنا دونه، وكم عدد شعرائنا الذين يشعرون شعوره بحرارة العصبية العربية الملتهبة.

القومية في الحضارة: مناطها اللغة والمولد والشعور المشترك.

هذا هو المعول عليه في أوروبا، بل في أشد بلاد أوروبا تعصبًا للقوميات، وهذا هو المعول عليه في الشام والعراق، فالعراقي عراقي وطنًا وعربي جنسًا من غير التفات إلى الأنساب، والسوري سوري وطنًا وعربي جنسًا من غير التفات إلى

الأنساب أيضًا، ورجال الحركة الفكرية في العراق والشام يحبون من صميم أفئدتهم أن يسمعوا رجال الحركة الفكرية في مصر، يعلنون بصراحة ووضوح أن المصري مصري وطنًا وعربي جنسًا، لأن الحضارة بوتقة كبتقة الكيماوي تمزج فيها المعادن، ويكون منها معدن واحد هو المعدن الغالب، ومصر على رأس القيادة الفكرية في العالم العربي، ولا يخطر في وهم أحد فيها أنها ستعدل عن البيان العربي إلى غيره إلى يوم الدين، فالقومية العربية من عدن إلى ما وراء الموصل، ومن حدود إيران إلى منتهى المغرب الأقصى، تحب من صميم فؤادها أن تسمع الأمة المصرية، تقول عن نفسها أنها مصرية وطنًا، عربية جنسًا، ليكون ذلك زيادة في داعية الشعور المشترك، وهو مصدر عظيم من مصادر القوة، ينتفع به الناطقون بالضاد في مثل موقفهم اليوم من الأمم.

للعراق تراث من حضارة الكلدان وآثور، من بابل إلى نينوي، قد لا يقل -بعد أن تستثار دفائنه كلها- عن تراث مصر الذي حفظته هياكل الوثنية القديمة، ولكن وفاء العراق لعربيتها، واعتصامها بهذه القوة المملوءة حياة ومغناطيسية لم يجعل لأوهام الماضي المنقطع سبيلًا إلى إدخال الشك على نفسها في التعلق بأواصر قوميتها العزيزة الغالية، التي تتكهرب بها معها عشرات الملايين من أصحاب لغة القرآن الذين يملأون فضاء الله الواسع في غرب آسيا وشمال أفريقيا، وفي ثياب كل رجل منهم نفس أمضى من نفس (هتلر) لو عرف أن وراءه أمة كالأمة التي يتكبي عليها هتلر؛ ولكنها الوحدة، وحدة الشعور، وحدة الإيمان، وحدة الأمل والمطمح، وحدة الثقة بالنفس، هي التي تكهرب معادن الأمم، وتوقظ فيها الحياة النابضة؛ فيذعن لحقها كل من كان ينكره عليها.

إن الناطقين بالضاد سائرون في الطريق، وقد تقارب شعورهم من بغداد إلى دمشق إلى بيت المقدس إلى شمال أفريقيا، لولا أن مصر لا تزال واقفة تتفرج،

لأنها لا تزال تفهم أن العرب لا يكونون إلا أعرابًا، ولو أنها أخذت راية النهضة بيدها وسارت مع الأقطار الشقيقة في الطريق الذي يدلها عليه تاريخ الإسلام؛ لانفتح أمامها ما كان مغلقًا من آفاق الرجاء، وإذا هي لم تصدقني فلتجرب!

محب الدين الخطيب



حِكم

- * من أحب الحمد أحسن السيرة.
- * الممل من كواذب الأخلاق.
- * الاختيار دليل العقل.
- * إخوان السوء كشجرة النار يُحرق بعضها بعضًا.
- * من أجذب انتجع.
- * الهوى مفتاح السيئات.
- * شرار الناس الذين يُكرمون اتقاء شرهم.



الجاهل إذا صار غنيًا

كم جاهل نال مالاً بعد متربة فكان منه له بالإثم إغراء
فما تجلت له الدنيا بزینتها إلا كما تنجلي للبني حسناء
أحمد الكاشف

السفور والخلاعة

زعم السفور والاختلاط وسيلة
كذبوا متى كان التعرض للخنا
أيكون كشف السواتين فضيلة
ما بالهم والبنت قد فُتنت بما
وبدت مقاتل عرضها لرُماته
والقول أصبح في الخروج لها فلا
كرهوا الزواج بها وباتت سوقها
ما خطبهم كلفوا بنزع حجابها
وتناولوا بالضعف من حاجاتنا
أغدت مشاكلنا الكبيرة كلها
أم أنهم ضلوا السبيل وغرهم
أشبابنا المرجو صيحة جازع
ونصيحة يفضي برائع سرها
لا ترهفوا سمع الحفي لقالة
لم يقصدوا خيرًا بها لكنهم
ولربما اجترح القوي خطيئة
قوا أهلكم ونفوسكم عارًا إذا
وتناولوا بالزجر حُمْرًا كلما
ليس التمدن أن نرى روح الحيا

للمجد قوم في المجانة أغرقوا
شيئًا تَعَزَّ به الشعوب وتسبق
فيذيعها هذا الشباب الأحق
قالوا وحل بها الجنون المطبق
حتى لهمَّ به الجبان الأخرق
كف تكف ولا رتاج يُغلق
بعد التبذل عندهم لا تنفق
وتكلفوا فيه البيان ونمقوا
واللين ما هو بالصرامة أخلق
ذيلًا يجرجره السفور المطلق
ببريقه هذا الجديد المخلق
أغرى بها هذا البلاء المحقق
لقوام نهضتنا محب مشفق
أبدًا بها يوم البطالة تنعق
رأوا القوي يسبغها فتملقوا
فمضى الضعيف بمدحها يتشدق
لم تتقوه بغيركم لا يعلق
هيجت إلى منع الإباحة تنهق
بيد الخلاعة كل يوم تُزهق

والبنت يدفعها براحتة الهوى فتروح تهوى من تشاء وتعشق
 لكنه العلم اهتدى بضياءه غرب البسيطة حين ضل المشرق

النجمي



حكم

- * صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكأ.
- * خير مالك ما وقاك، وشره ما وقته.
- * صبرك على الاكتساب خير من حاجتك إلى الأصحاب.
- * ظلم الضعيف أفحش الظلم.
- * جزاء من يكذب أن لا يُصدق.
- * ظاهر العتاب خير من باطن الحقد.
- * حتى يدك تضرك، وحتى عينك تكذبك.
- * غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله.
- * اعرف صاحبك بصاحبه قبلك.
- * لا تسأل البخيل، فإنه إن منعك أبغضته وإن أعطاك أبغضك.
- * إذا قدمت المصيبة سمجت التعزية.
- * لا تفتح باباً يعيبك سده.
- * بشر مال البخيل بحادث أو وارث.

- * اشتدي أزمة تنفرجي .
- * صديق الوالد عم الولد .
- * خطأ الجود أفضل من صواب المنع .
- * لأن تبلى بمجنون كامل خير لك من نصف مجنون .



من نصائح بتاح حتب الوزير المصري القديم لابنه

- * إذا أردت أن تطيل عهد الصداقة في منزل أو مكان تدخله كسيد أو كأخ أو كصديق فحاذر القرب من النساء .
- * إذا أصبحت رجلاً ممتازاً فكون لنفسك بيتاً، وأحب امرأتك كما يجب (أي أشبعها)، وأحضر لها ما تحتاج إليه، وقدم لها العطور، وأدخل على قلبها السرور ما دامت في حوزتك، لأنها مرعى خصيب لزوجها .
- * إذا وصلت إلى مركز سام وكونت منزلاً، وأصبح لك ولد يرضي الله ويعمل الحق، ويصل إلى تعاليمك، ويسمع نصائحك، ويحسن كل ما عمله في منزلك، فافتح له قلبك، وابحث له عن كل ما هو طيب وحسن، لأنه ابنك الذي هو قطعة من نفسك، فإذا سار في طريق الاعوجاج وتخطى ما رسمته له، ولم يعمل حسب إرشاداتك، وأصبحت تصرفاته في المنزل لا قيمة لها، فاطرده؛ لأنه ليس بابنك، ولم يولد لك .
- * ما أحسن أن يستمع الابن لأبيه، وما أسعد الإنسان الذي يلقي مثل هذا الكلام، إذا استمع ابن لنصيحة أبيه فلن تخطيء فكرة من أفكاره .
- * الرجل الذي يسير على منهج الحق يفتخر بأن ذلك منسوب لوالديه .

* الصدق حسن، وقيمته لم يتطرق إليها ضعف ولا وهن منذ الأزل، ومن يحد عن طريق الصدق ينل ما يستحق من العقاب.

* قد يجني الإنسان مآلاً من الشر في بعض الأحيان، إلا أن قوة الحق كامنة في كونه مستديماً.

* كن مخلصاً في نقل الرسائل، وقل الصدق إذا كنت رسولاً ممن يوثق بهم، وعليك أن تبلغ الرسالة كما قيلت لك، ولا تنس شيئاً، وحاذر من أن تكتم في نفسك شيئاً منها.

* إنك لا تستطيع أن تحصل على شيء في الحياة من طريق «التهويز»، وما يحدث إنما هو إرادة الله.

* غص طرفك حتى يحييك من هو أكبر منك، ولا تتكلم إلا إذا بدأك بالحديث.

* إذا جلست على مائدة رجل أعظم منك، فخذ ما يقدمه لك وضعه أمامك، ولا تنظر إلى ما أمامه، ولكن انظر إلى ما هو أمامك فقط، ولا تسدد إليه نظراتك لأن ذلك شيء تكرهه النفس.

* إذا أصبحت زعيماً فادأب حتى تصل إلى الدرجة التي لا تجد لنفسك معها عيباً.

* إذا كنت رجلاً متواضعاً، وكنت زميلاً لرجل مشهور يتصل بالملك، فتجاهل ماضيه الحقيقير، ولا تحسده أو تحقد عليه؛ لأنك تعرف شيئاً من ماضيه، بل احترم مركزه الحاضر، فإنها مشيئة الله.

* إذا كنت رجلاً ممن ينظرون في الشكاوي، فكن ليناً شفيقاً عندما تسمع إلى حديث متظلم، ولا تكن خشناً معه لكي يقول كل ما في قلبه، لأن المظلوم يرتاح إلى الرجل الذي يستمع إلى حديثه.

* ليهبك الله الحياة حتى تبلغ السن التي وصلت إليها ، ويكون جسمك معافى سليماً ، لقد بلغت مائة سنة وعشراً ، وكان الملك يرعاني فيها برعايته ، ويهيني كثيراً من نعمه ، وبلغت عنده منزلة لم يبلغها كثير ممن سبقوني ، لأنني قمت بكل ما يجب علي ، حتى رفعتني إلى أرقى مراتب الرفعة والشرف .



الزهر

* الزهر أحلى مخلوقات الله ، لولا أنه لم يهب له نفساً ناطقة .

هـ .و . بتشر

* الزهر ، شعر الأرض المطرب .

دي مونتغميري

* الأزهار كواكب الأرض ، والكواكب أزهار السماء .

مسز بلفور

* خلق الله الزهر زينة للأرض ، وتعزية للبشر ، وأسعد الناس حظاً من يقرأ آيات الحكمة السماوية في زهرة واحدة .

وورد ورث



المسيء

بلوت بني الدنيا على كل حالة
إذا أنت أسديت الجميل سجية
ومن يفعل المعروف يرجو جزاءه
أسيء فلا ألقى من القوم ناسيا
كذلك دأب الناس لا الشر عندهم
إذا شئت أطعمت المسيء بنانه
ولكنني لا فاحش في خصومة
رأيت حلیم القوم يحكم أمره
إذا المرء لم يكف بوادر غيظه
وإن هو لم يزجر عن الغي نفسه
وما من فتى لا يتبع الذنب توبة
فلم أر فيهم للصنيعة شاكرا
فلا تندمن إن أنت صادفت كافرا
يجد أسفا جمّا وداء مخامرا
ولست إذا أحسنت ألفت ذاكرا
يضيع ولا تلقى على الخير قادرا
وألسته ليلاً من الهم ساهرا
ولا أنا ممن يؤثر الجهل ناصرا
ولست أرى شيئا سوى الجهل صائرا
شكا الدهر أو ألقى المقادة صاغرا
أصاب لها من حادث الدهر زاجرا
إذا ما جنى إلا سيلقى المعاذرا

أحمد محرم



حكم

- * يبصر القلب ما يعمى عنه البصر.
- * من نام عن عدوه نبهته المكائد.
- * لا خير في فقه إلا بورع.
- * الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود.

- * قد يُتوقى السيف وهو مغمّد.
- * الغنى اليأس مما في أيدي الناس.
- * الهوى مفتاح السيئات.
- * وجه عدوك يُعرب عن ضميره.
- * الوفاء ضالة ناشدها كثير، وواجدها قليل.
- * يُنصب لكل غادر لواء يعرف به.
- * الزهر كتاب فتحه الله أمام أنظار خلقه ليتعلموا منه اللطف والتسامح في كل شيء، حتى أنهم ليطأونها بأقدامهم فترفع لهم رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة.

دي مونتغميري



إلهامات بيت المقدس

كتاب بعث به (غليوم الثاني) إمبراطور ألمانيا بتاريخ ٩ نوفمبر ١٨٩٨م إلى قريبه (نقولا الثاني) قيصر الروس يصف له فيه شعوره نحو النصرانية والإسلام عند زيارته بيت المقدس في ذلك الشهر من تلك السنة.

وهذه الوثيقة التاريخية العظيمة نشرها مسيو (موريس بالبولوغ) -سفير فرنسا الأسبق في روسيا وعضو الأكاديمية الفرنسية الآن- في كتاب له جديد عنوانه (غليوم الثاني ونقولا الثاني) تضمن طائفة من ذكريات المؤلف عن هذين القيصرين، وبعض الرسائل التي كانا يتبادلانها، ونقلته إلى العربية (جريدة المعلم في عددها الصادر يوم السبت ١٩ ذي القعدة ١٣٥٣هـ).

وهذا نص الوثيقة التاريخية:

إن القدس هي التي استوقفت نظري طبعًا بوجه خاص لما فيها من أماكن كثيرة مقرونة بذكرى مخلصنا (أي: السيد المسيح)، ومجرد الفكر أن نظرة وقع على هذه الآكام، وأن قدمه وطئت هذه الأرض، يحرك، أوتار القلب وبيعته على الخفقان بقوة أعظم.

ولكنني مضطر إلى الاعتراف بإخلاص بأن جميع الأشياء التي رأيته هنا ولها صلة بالإيمان المسيحي لا تساعد مطلقًا على توليد ذلك الشعور، فقد تعددت هنا طوائف ديننا المسيحي، وتعددت الكنائس والأديرة التي بنتها.

فنشأت عن ذلك منافسة معيبة، بل نشأ عن ذلك نضال الغرض منه التزاحم على بناء أعلى النواقيس وأجمل الكنائس، فجاءت غير ملائمة للجهات التي بنيت عليها حتى أنه يخيل للمرء أنه في معرض للكنائس.

ولقد أثر ذلك التنافس في كهنة الكنائس المختلفة، ويجد القسوس لذة وفي تنظيم المؤتمرات السياسية، وهم يثيرون الأحقاد بدلًا من أن يبشوا الحب، ويسببون مشاجرات ومنازعات في الكنائس تحل محل التراثيل الدينية، واللوائم الذي يجب أن يسود الجميع.

والأمر من ذلك أنهم ابتكروا عبادة الأحجار والأشجار، مع أن ذلك محظور في الوصية الثانية من الوصايا العشر حتى يمكن القول أن هذا الضرب من العبادة حل محل العبادة الإلهية، وقد قال لي رجل فرنسوي:

(إننا في هذه الأماكن التي يقال عنها مقدسة نعبد الحجارة، مع أنه من المتعذر إقامة الدليل على قدسيتها، أما العبادة الإلهية فلا مكان لها هنا)، وهذه الأقوال تطابق الحقيقة كل المطابقة ولو أنها مؤلمة جدًا لعواطفنا المسيحية.

ولما غادرت الأماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين، وكنت أقول لنفسي في قرارة نفسي:
(لو لم يكن لي دين عند وصولي إلى القدس؛ لكنت قد اعتنقت حتمًا الدين الإسلامي!).



فراق دانلوب

كان حسين فخري باشا يتولى في وزارة فهمي باشا الثانية وزارتي المعارف والأشغال معًا، وكانت كل شئون المعارف في يد مستشارها مستر (دانلوب)، وكل شئون الأشغال في يد مستشارها مستر (جاستين)، وليس للوزير في كلتا الوزارتين غير التوقيع والختم، وبعد أن دام ذلك نحو عشر سنين أعطيت وزارة المعارف لـ (سعد باشا زغلول)، وانفرد (حسين فخري باشا) بوزارة الأشغال، وعلى أثر ذلك نشرت «المؤيد» رجلاً بليغاً يقال إنه من شعر (شوقي). وهو هذا:

تعزيتي لذي الوزارتين	تعزية الشيعة في الحسين
قد كان يعطي الختم باليدين	فصار يعبطه لـ (جاستين)
مطبوعة في مثل حجم العين	يدبرها الكاتب دورتين
فيظفر الريُّ بمليونين	

زين الوزارات وأي زين	قد استرحت بعد طول الأين
وكننت متعباً بالاثنتين	كننعب الزوج بضرتين
فراق «دانلوب» كسد الدين	فلا تعد تلقاه بعد بين

لا يُلدغ المؤمن مرتين

جراحة علماء الإسلام على ملوكهم

دخل أحد العلماء على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور - وكان أعظم ملوك الدنيا في عصره - فقال:

يا أمير المؤمنين، إن الله ﷻ يقفك ويسألك عن مثقال ذرة من الخير والشر: وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن الله ﷻ لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك؟ ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك، وإن الله جل وعز لا يرضى منك إلا بأن تعدل على الرعية، يا أمير المؤمنين، إن وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور، والله يحكم ما وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة نبيه ﷺ.

قال فبكى المنصور، فقال سليمان بن مجالد - وهو واقف على رأس المنصور -:

قد شققت على أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين من هذا؟

قال: أخوك سليمان بن مجالد.

قال: ويلك يا سليمان، إن أمير المؤمنين يموت، وإن كل ما تراه يفقد، وإنك جيفة غداً بالفناء، لا ينفعك إلا عمل صالح قدمته: ولقرب هذا الجدار أنفع لأمر المؤمنين من قربك إذ كنت تطوي عنه النصيحة، وتنتهى من ينصحه، يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى شهواتهم.

قال المنصور: فأصنع ماذا؟ أدع لي أصحابك أو لهم.

قال: ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه، ومر بهذا الخناق فليُرفع عن أعناق الناس؛ واستعمل في اليوم الواحد عمالاً كلما رابك منهم ريب أو أنكرت على

رجل أمرًا عزلته ووليت غيره، فو الله لئن لم تقبل منهم إلا العدل، ليقربن به إليك من لا نية له فيه.



الزهر

* الزهر، عزاء الإنسانية، وكنز القروي المسكين.

رسكن

* عالمٌ لا زهر فيه، كالوجه الذي لا يتسم، وكالوليمة يستقبل أصحابها ضيوهم عابسين.

مسز بلقور



أجبن الناس وأحيل الناس وأشجع الناس

دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: أخبرني: من أجبن من لقيت؟ وأحيل من لقيت؟ وأشجع من لقيت؟ قال: يا أمير المؤمنين خرجت مرة أريد الغارة، فبينما أنا سائر، إذا بفرس مشدود، ورمح مركوز، وإذا رجل جالس كأعظم ما يكون الرجال خلقًا، وهو محتبٌ بحمائل سيفه، فقلت: خذ حذرك فإني قاتلك! فقال: ومن أنت؟

قلت: أنا عمرو بن معدي كرب الزبيدي!

فشهق شهقة فمات، فهذا يا أمير المؤمنين أجبن من رأيت.

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى حي، فإذا أنا بفرس مشدود، ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدة يقضي له حاجة، فقلت:

خذ حذرک، فإنی قاتلك!

فقال: ومن أنت؟

فأعلمته بي، فقال: يا أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك وأنا على الأرض! فأعطني عهدًا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي...

فأعطيته عهدًا، فخرج من الموضع الذي كان فيه، واحتبى بحمائل سيفه؛ وجلس، فقلت:

ما هذا؟

فقال: ما أنا براكب فرسي، ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد!

فتركته ومضيت، فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت..

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق، فلم أر أحدًا، فأجريت فرسي يمينًا وشمالًا، وإذا أنا بفارس، فأما دنا مني فإذا هو غلام حسن، نبت عذاره من أجمل ما رأيت من الفتيان وأحسنهم، وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة، فلما قرب مني سلم علي فرددت عليه السلام وقلت:

من الفتى؟

فقلت: خذ حذرک، فإنی قاتلک.

فقال: الویل لک، فمن أنت؟

قلت: عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

قال: الذلیل الحقیق، واللہ ما یمنعنی من قتلک إلا استصغارك.

فتصاغرت نفسي یا أمیر المؤمنین، وعظم عندي ما استقبلني به، فقلت:

دع هذا وخذ حذرک، واللہ لا ینصرف إلا أحدنا.

فقال: ثکلتک أمک، فأنا من أهل ما أثلکنا فارس قط.

قلت: هو الذي تسمعه.

قال: اختر لنفسک، فأما أن تطرد لی، وإما أن أطرده لک.

فاغتتمتها منه، وقلت: اطرده لی.

فأطرده وحملت علیه، فظننت أني وضعت الرمح بین کتفيه؛ فإذا هو صار

حزاماً لفرسه، ثم عطف علي فقعن بالقناة رأسي، وقال:

یا عمرو خذها إليك واحدة، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتک.

فتصاغرت نفسي عندي؛ وكان الموت یا أمیر المؤمنین أحب إلي مما رأيت،

فقلت:

واللہ لا ینصرف إلا أحدنا.

فعرض علي مقالته الأولى، فقلت له: أطرده لی!

فأطرده، فظننت أني تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت أني وضعت الرمح بین

کتفيه فإذا هو صار لبياً لفرسه؛ ثم عطف علي فقعن بالقناة رأسي، وقال:

خذها إليك یا عمرو ثانية.

فتصاغرت إلي نفسي، وقلت:

والله لا ينصرف إلا أحدنا، فاطرد لي.

فأطرد حتى ظننت أنني وضعت الرمح بين كتفيه، فوثب عن فرسه، فإذا هو على الأرض فأخطأته، ثم استوى على فرسه، واتبعتني حتى قنع بالقناة رأسي، وقال:

خذها إليك يا عمرو ثالثة، ولولا كراحتي لقتل مثلك لقتلتك.

فقلت: اقتلني أحب إلي، ولا تسمع فرسان العرب بهذا.

فقال: يا عمرو إنما العفو عن ثلاث، وإذا تمكنت منك في الرابعة قتلتك، وأنشد يقول:

وَكَدْتُ أَغْلَظًا مِنَ الْإِيمَانِ إِنَّ عَدْتَ يَا عَمْرُو إِلَى الطَّعَانِ
لَتَجِدَنَّ لَهَبَ السِّنَانِ أَوْ لَا فَلَسْتُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ
فهبطته هيبة شديدة، وقلت له:

إن لي إليك حاجة.

قال: وما هي؟

قلت: أكون صاحبًا لك.

قال: لست من أصحابي، ويحك أتدري أين أريد؟

قلت: لا والله.

قال: أريد الموت الأحمر عيانًا.

قلت: أريد الموت معك.

قال: امض بنا.

فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره، فوردنا على حي من أحياء العرب فقال لي:

يا عمرو في هذا الحي الموت الأحمر، فأما أن تمسك على فرسي فأنزل وأتى بحاجتي، وإما أن تنزل وأمسك بفرسك فتأتينني بحاجتي.

فقلت: بل انزل أنت؛ فأنت أخير بحاجتك مني.

فرمى إليّ بعنان فرسه، ورضيت والله يا أمير المؤمنين بأن أكون له سائسًا. ثم مضى إلى قبة فأخرج منها جارية لم تر عيناى أحسن منها حسنًا وجمالًا، فحملها على ناقة ثم قال:

يا عمرو إما أن تحميني وأقود الناقة، أو أحملك وتقودها أنت.

قلت: لا بل أقودها وتحميني أنت.

فرمى إليّ بزمام الناقة، ثم سرنا حتى أصبحنا، قال:

يا عمرو!

قلت: ما تشاء؟

قال: التففت فانظر، هل ترى أحدًا؟

فالتفت فرأيت جمالًا.

فقلت: اغذذ السير.

قال: انظر، إن كانوا قليلًا فالجلد والقوة وهو الموت الأحمر، وإن كانوا

كثيرًا فليسوا بشيء.

قلت: هم أربعة أو خمسة.

قال: اغذذ السير!

ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال:

يا عمرو كن عن يمين الطريق، وقف، وحول وجه دوابنا إلى الطريق.

ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا، وإذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير، وهو أبو الجارية والشابان أخوها، فسلموا فرددنا السلام، فقال الشيخ:

خل عن الجارية يا ابن أخي.

- فقال: ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها.

فقال لأحد بنيه: أخرج إليه.

فخرج وهو يجرمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول:

من دون ما ترجوه خطب الزائل من فارس ملثم مقاتل

ينمى إلى شيبان خير وائل ما كان يسري نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد بها ضلبه فسقط ميتاً، فقال الشيخ لابنه الآخر:

أخرج إليه فلا خير في الحياة على الذل.

فأقبل الحارث وهو يقول:

لقد رأيت كيف كانت طعتي والظعن للقوم الشديد الهمة

والموت خير من فراق خلتي فقتلني اليوم ولا مذلتني

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتاً، فقال له الشيخ:

خل عن الظعينة يا ابن أخي فإنني لست كمن رأيت.

فقال: ما كنت لأخليها، ولا لهذا قصدت.

فقال الشيخ: يا ابن أخي اختر لنفسك، فإن شئت نازلتك، وإن شئت طاردتك.

فاغتمنها الفتى ونزل، فنزل الشيخ وهو يقول:

ما أرتجي عند فناء عمري سأجعل التسعين مثل شهر
يخافني الشجعان طول دهري إن استباح البيض قصب الظهر
فأقبل الحارث وهو ينشد:

بعد ارتحالي وطويل صبري وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر والعار أهديه لحي بكر
ثم دنا، فقال له الشيخ:

يا ابن أخي، إن شئت ضربتك فإن أبقيت فيك بقية فاضربني، وإن شئت فاضربني، فإن أبقيت في بقية ضربتك، فاغتمنها الفتى وقال:

أنا أبدأ.

فقال الشيخ: هات.

فرفع الحارث يده بالسيف، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى إلى رأسه ضرب له بطنه قد بها أمعاء، ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ، فسقطا ميتين. فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أسياف وأربعة أفراس، ثم أقبلت إلى الناقة، فقالت الجارية:

يا عمرو إلى أين، ولست بصاحبك ولست لي بصاحب، ولست كمن رأيت.
فقلت: اسكتي.

قالت: إن كنت لي صاحباً فأعطني سيفاً أو رمحاً، فإن غلبتني فانا لك، وإن غلبتك قتلتك.

فقلت: ما أنا بمعطٍ ذلك، وقد عرفت أهلك وجرأة قومك وشجاعتهم!
 فرمت نفسها عن البعير، ثم أقبلت تقول:
 أبعد شيخخي ثم بعد إخوتي يطيب عيشي بعدهم ولذتي
 وأصبحن من لم يكن ذا همة هلا تكون قبل ذا منيتي
 ثم أهوت إلى الرمح، وكادت تنزعه من يدي، فلما رأيت ذلك منها خفت إن
 ظفرت بي قتلتي، فقتلتها.
 فهذا يا أمير المؤمنين أشجع من رأيت.



فكاهات

* سأل رجل آخر: هل الطيبي معرفة أم نكرة؟
 فأجاب: إذا كان مشويًا على المائدة فهو معرفة، وإذا كان في الصحراء يعدو
 فهو نكرة.

* قيل لأعرابي:

- ما اسم المرق عندكم؟

فأجاب: «السخين».

قالوا: فإذا برد؟

قال: لا ندعه يبرد!

* سئل إمام العبد الشاعر (وكان أسود):

- لماذا تختار ربطة عنقك بيضاء؟

فأجاب :

- ليعرف الناس أين ينتهي جسمي ، وأين يبديء رأسي !

* وجلس مرة يكتب ، فسقطت نقطة حبر على الورق ، فقال له أديب كان جليسه :

- نشف عرقك !

* وقابله آخر وقد لبس ربطة سوداء فوق قميص أبيض .

فقال له : يا إمام ، زرر قميصك !

* وكان إمام جالسًا مرة مع (حافظ إبراهيم) في قهوة فمر بهما (شوقي بك) ، فقال يمازحهما :

- إن من يراكما يحسبكما آنية الملح والفلفل .



حق الشرع وحق الأدب في دولة الإسلام

روى عمر بن هياج بن سعيد قال :

أتت امرأة يومًا شريك بن عبد الله - قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم - فقالت :

أنا بالله ثم بالقاضي !

قال : من ظلمك ؟

قالت : الأمير موسى بن عيسى بن عمر أمير المؤمنين ^(١) .

(١) ونشأ عن كركم ابن عم أمير المؤمنين ، كان أيضًا حاكم الكوفة .

كان لي بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبي، وقاسمت إخوتي
وبنيت بيني وبينهم حائطا، وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به،
فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي وساومني ورغبني، فلم أبعه،
فلما كان هذه الليلة بعث بخسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط، وأصبحت لا
أعرف من نخلي شيئا، واختلط بنخل إخوتي.

فقال: يا غلام أحضر طينة.

فأحضرها، فختمها، وقال لها:

امض إلى بابه بالختم حتى يحضر معك.

فجاءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال:
قد أعدى القاضي عليك، وهذا ختمه.

فقال: ادع لي صاحب الشرطة!

فدعا به، فقال:

امض إلى شريك، وقل: يا سبحان الله، ما رأيت أعجب من أمرك، ادعت
دعوى لم تصح أعديتها علي؟

قال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفيني من ذلك؟

فقال: امض وملك، فخرج وقال للغلمانه: اذهبوا وأدخلوا لي إلى حبس
القاضي بساطا وفراشا، وما تدعو الحاجة إليه.

ثم مضى إلى شريك، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة.

فقال القاضي لغلام المجلس:

خذ بيده فضعه في الحبس.

فقال صاحب الشرطة: والله قد علمت أنك تحبسنى فقدمت ما أحتاج إليه إلى الحبس.

وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فوجه الحاجب إلى القاضي وقال له:
رسول أدى رسالة، أي شيء عليه؟

فقال شريك، اذهبوا به إلى رفيقه، إلى الحبس فجلس، فلما صلى الأمير موسى العصر، بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعبي وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك، وقال لهم:

امضوا إلى القاضي وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بي، وأنا لست كالعادة.
فمضوا إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر؛ فأبلغوه الرسالة؛ فلما انقضى كلامهم، قال لهم:

ما لي أراكم جئتموني في غثرة من الناس فكلمتموني؟
ثم سأل من في المسجد فقال: من هاهنا من فتیان الحی؟
فأجابه جماعة من الفتیان، فقال:

ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس!
وقال لأصدقائه وجوه الكوفة: ما أنتم إلا فتنة، وجزاؤكم الحبس.
قالوا له: أجاد أنت؟

قال: حقاً حتى لا تعودوا برسالة ظالم.

فحبسهم، فركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء، جاءه السجناء فأخبره، فدعا بالقمطر فختمه ووجه به إلى منزله، وقال لغلامه:

الحق بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم.

ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى، فركب في موكبه ولحقه، وجعل يناشده الله ويقول:

يا أبا عبد الله تثبت، انظر، إخوانك تحبسهم! دع أعواني.

قال: نعم، لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعاً إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي فاستعفيه مما قلدني.

فأمر موسى بردهم جميعاً إلى الحبس، والقاضي واقف والله مكانه، حتى جاءه السجنان فقال:

قد رجعوا جميعاً إلى السجن.

فقال القاضي لأعوان الأمير: خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم. فمروا بين يديه حتى أدخل المسجد، وجلس في مجلس القضاء، فجاءت المرأة المتظلمة، فقال:

هذا خصمك وقد حضر.

فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه: قبل كل أمر أنا قد حضرت، أولئك يخرجون من الحبس.

فقال شريك: أما الآن فنعم، أخرجوهم من الحبس، ثم قال للأمير: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة؟

قال: صدقت.

قال: ترد ما أخذت منها، وتبني حائطها سريعًا كما كان.

قال لها: أبقى لك عليه دعوى!

قالت: بيت الرجل الفارسي ومتاعه.

قال موسى بن عيسى: ويرد ذلك كله.

قال القاضي: أبقى لك عليه دعوى!

قالت: لا، وبارك الله عليك وجزاك خيرًا.

قال: قومي.

فقامت من مجلسه، فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى ابن عيسى وأجلسه في مجلسه، وقال:

السلام عليك أيها الأمير، أتامر بشيء؟

فقال الأمير: أي شيء آخر؟ (وضحك).

فقال له شريك: أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع، وهذا القول الآن حق الأدب.

فقام الأمير وانصرف إلى منزله وهو يقول، من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه.



دفاع فولتير عن الإسلام

قال (فولتير) في مقالة (القرآن) من «معجم الفلسفة»:

إن مؤلفينا الذين كثروا كثرة الانكشارية يجدون من السهل أن يجعلوا نساءنا من حزبهم بإقناعهن أن محمدًا اعتبرهن حيوانات ذات ذكاء، وأنهن في نظر

الشرعية الإسلامية بمثابة الأرقاء، لا يملكن شيئاً من دنياهن أو لا نصيب لهن في أخراهن، وبديهي أن هذا الكلام باطل، ومع ذلك فقد كان الناس يصدقونه. نحن لا نجهل أن القرآن يميز الرجل تلك الميزة المطلقة المعطاة له من الطبيعة، ولكن القرآن يختلف عن التوراة في أنه لا يجعل ضعف المرأة عقاباً إلهياً لها كما ورد في «سفر التكوين» (٣: ١٦).

ومن الخلط أن ينسب إلى شارع عظيم نظير محمد مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء، والحقيقة أن القرآن يقول: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. ويقول: ﴿وَمِنْ عَائِنَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أ هـ.



عيد بنك مصر

لشاعر مصر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

وهي القصيدة التي نالت الجائزة الأولى في مباراة الشعر في ذلك العيد:

وفت الظنون وبرت الآمال	ما بعد ذلك للخصوم مقال
إن يذكروا هم الرجال فحسبهم	همم بمصر أبية ورجال
الخير في (الوادي) وفي أبنائه	ما بان عنه ولا عراه زوال
أرض مطهرة وجو مشرق	صاف وماء سائغ وظلال
وطن الألى وردوا الحياة شهية	والأرض عطشى والشعوب نهال
لولا العوائق وهي من أدوائه	ما ضاق بالنفر الكرام مجال
ينتلمعون إلى الحياة بأعين	حيرى اللحاظ ودونها أهوال

ما تصنع الأيدي نَهْدُ عظامها
أخذ السبيل على الرجال مسلط
متحكم يبغي الحياة بأسرها
جهل الحياة لكل شعب حقه
قل (للكنانة): ما لمجدك هادم
رمت المضاجع بالنيام وهاجم
فإذا الجنوب كأنهن جواشن
بنني فتحتفل (المشارق) حولنا
طال البناء وما يزال يريده
سام يمد إلى السماك يمينه
أرايت (طامت) بانيا ومعلما
فقه الحياة أصاب فيه إمامه
كانت بمصر مقالة مطموسة
حرب على خلق الجمود وأهله
حشد الحواريين حول جموعه
حملوا تكاليف الجهاد نظاهرت
من كل مطرد الكفاح مظفر
تلك الحياة (الخمس عشرة حجة)
هي في صباها المرتجى وشبابها
(السابع الجواب) مما استحدثوا
هذا على متن العباب علامة
وسل المصانع هل يسير نسيجها

وتُشد في أرساغها الأغلال
يلقي إليه قنيصه الرئبال
ويخال أنا في يديه نبال
ورضى الشعوب بأن تموت محال
نشط البناء وغامر الأبطال
دأب يشب ضرامه ونضال
وإذا الأكف كأنهن نصال
وتقول (مصر) فتتهف الأجيال
بأن أشم المنكبين طوال
ويريك شأو النسر كيف ينال
ورأيته علما عليه جلال
والى الأئمة يرجع الجهال
حتى جلاها القائل الفصال
صدق الرجاء به وصح الفال
ورمى، فتلك صروحه تنهال
أعباؤها وتوالت الأثقال
مل السلاح وما عراه ملال
للنيل منها نضرة وجمال
فرحى على إيمانهم تختال
لبلادهم و (الطائر الجوال)
لهم وهذا في الجواء مثال
خلل البلاد وهل يسيل المال

من ذا يفاوضها فليس لقومنا
 زعموه من نسج اللسان وأنه
 جعلوا الخيال من الحياة نصيبهم
 فاجعل لباسك من طرائف صنعها
 وارغب بنفسك عن سواها إن دنا
 لولا شفاعتها وأنت رهينها
 الله ألبسها السناء وخصها
 هي كالقميص (قميص يوسف) إذا أتى
 (البردة الغراء) يعبق طيبها
 عبق (النبوة) ما له من جاحد
 قل للعروس تعاف صنع بلادها
 فاز (الأجانب) واستبد غلاتهم
 مصر التي ولدتك أعظم حرمة
 ما ضاع من مال الفتى وعناده
 لا ينكرون الضيم شعبٌ عاجز
 من يبعث الهمم الكبار تعينها
 من لي بهن فإنهن مناهج
 هذا (زعيم العاملين) أقامها
 طابت بوادرها على يده لنا

وبلادنا من دونها استقلال
 مما يحوك وينسج (المنوال)
 ومن الحياة حقيقة وخیال
 نعم اللباس وبورك السربال
 منك الرواح وأذن الترحال
 ما طاب مضطجع وخف سوال
 بالسر يشفى الداء وهو عضال
 (يعقوب) فانظر كيف كان الحال
 بين (المناسج) ليس فيه جدال
 إلا إذا طمس العقول خبال
 أزري بقومك حسنك المعطال
 أفما يسرك أن يفوز (الآل)
 والعم أكرم ذمة والخال
 ما تستعير من اليمين شمال
 فالعاجزون على الشعوب عيال
 منا نفوس برة وخال
 كل المناهج بعدهن ضلال
 دنيا لمصر عمادها الأعمال
 وهو الضمين بأن يطيب مآل

أحمد محرم



خطبة لأبي بكر الصديق حين أشار عليه الصحابة بترك الجهاد

أيها الناس! أئن كثر أعداؤكم؟ وقل عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب؟ والله ليظهرنَّ اللهَ هذا الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون، قوله الحق، ووعد الصديق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ و ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذِئْنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أيها الناس! لو أفردت من جمعكم لجاهدتم في الله حق جهاده، حتى أبلغ من نفسي عذراً أو أقتل مقتلاً، والله -أيها الناس- لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه، واستعنت بالله خير معين.



عالم لم تستعبده الدنيا

روى أبو محمد الدارمي في مسنده قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عمر بن الكميت، قال: حدثنا علي بن وهب الهمداني، قال: أخبرنا الضحاك بن موسي، قال:

مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة -وهو يريد مكة- فأقام بها أياماً، فقال: هل بالمدينة أحداً أدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ؟

قالوا له: أبو حازم.

فأرسل إليه، فلما دخل عليه قال له :

يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟

قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني.

قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك.

فالتفت أمير المؤمنين إلى محمد بن شهاب الزهري، فقال:
أصاب الشيخ وأخطأت.

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غداً على الله تعالى؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

فبكى سليمان، وقال: يا ليت شعري! ما لنا عند الله؟

قال: اعرض عملك على كتاب الله.

قال: وأي مكان أجده؟

قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٦﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟

قال أبو حازم: رحمة الله قريب من المحسنين.

قال له سليمان: يا أبا حازم: فأبي عباد الله أكرم؟

قال: أولو المروءة والنهي.

قال له سليمان: فأبي الأعمال أفضل؟

قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال سليمان: فأبي الدعاء أسمع؟

قال: دعاء المحسن إليه للمحسن.

فقال: أي الصدقة أفضل؟

قال: للسائل البائس، وجهد المقل، ليس فيها من ولا أذي.

قال: فأبي القول أعدل؟

قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه.

قال: فأبي المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها.

قال: فأبي المؤمنين أحق؟

قال: رجل انحط في هوي أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنياه غيره.

قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟

قال: يا أمير المؤمنين أو تعفيني؟

قال له سليمان: لا ولكن نصيحة تلقى إلي.

قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك

عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة،

ولقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم؟

فقال له رجل من مجلسه: بش ما قلت يا أبا حازم.

قال أبو حازم: كذبت، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟

قال: تدعون الصّلف، وتمسكون بالمروءة، وتقسمون بالسوية.

قال له سليمان: فكيف لنا بالمأخذ به؟

قال أبو حازم: تأخذ من حله وتضعه في أهله.

قال سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟

قال: أعوذ بالله!

قال له سليمان: ولم ذاك؟

قال: أخشي أن أركن إليكم شيئاً قليلاً، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك.

قال: تنجيني من النار وتدخلي الجنة!

قال سليمان: ليس ذلك إليّ.

قال له أبو حازم: فما لي حاجة غيرها.

قال: فادع لي.

قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضي.

وقال له سليمان: قط!

قال أبو حازم: قد أوجزْتُ وأكثرْتُ إن كنت من أهله، وإن لم تكن من أهله فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر.
قال له سليمان: أوصني.

قال: سأوصيك وأوجز: عظم ربك، ونزعه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير، قال: فردها عليه وكتب إليه:
(يا أمير المؤمنين، أعيدك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً، أو ردي عليك بذلاً، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي!).



خالد بن الوليد

قال عبد الله بن أبي أوفى: شكَا عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «يا خالد، لم تؤذ رجلاً من أهل بدر، لو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله؟» فقال: يا رسول الله: يقعون فيَّ فأرد عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار». أخرجه ابن حبان والحاكم^(١).

قال أبو هريرة: نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً، فجعل الناس يمرون، فيقول رسول الله ﷺ: «من هذا يا أبا هريرة؟»، فأقول: فلان، فيقول: «نعم عبد الله

(١) أخرجه ابن حبان (٧٠٩١) والحاكم في المستدرک (٥٢٩٧)، وصححه الأرئووط. (س).

هذا»، ويقول: «من هذا؟» فأقول: فلان، فيقول: «بئس عبد الله هذا»، حتى مر خالد بن الوليد فقال: «نعم عبد الله خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله». رواه الترمذي^(١).

* قال أبو عبيدة بن الجراح: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله ﷻ، ونعم فتي العشيرة». مسند أحمد^(٢).



بنت الإسلام

للشاعر الإسلامي الكبير الأستاذ النجمي

أجِدِّكَ هل حسبت من الرُّقي	طوافك بالغداة وبالعشي
ونبذك كل شرقي قديم	وأخذك بالجديد الأجنبي
تُحَدِّث فما الرقي الحق إلا	مسايرة الهدى في كل شيء
برمت بكسر بيتك وهو زيف	نكبت به عن النهج السوي ^(٣)
ولج بك الخروج لغير داع	يبرره ولا عذر قوي
والهب فبك عاطفه التمادي	ضلال الزوج أو جهل الولي
سلخت أديم ليلك في الملاهي	فمن يُعْنَى بتربية الصبي؟
ومن يرعي بمقتله ويحمي	مرافق ذلك الزوج الشقي؟
أقال لك الغواة: البيت سجن	فجاز عليك تضليل الغوي!

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٤٦)، وصححه الألباني. (س).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٨٦٩)، وصححه الألباني. (س).

(٣) كسر البيت: فناؤه.

وعادَ لديك هذي الحمق أولى بينت الشرق من هدي النبي^(١)
 مجونٌ إن تمادى الشرق فيه فقد وجد الوسيلة للهوي
 ومهزلة لها ما بعد هذا من التدمير والموت الوحي^(٢)
 إذا كانت حياة البيت عارًا فكيف يعيش ذو الأنف الحمي
 وإن كان التمدن في التعري فما فضل الحصان على البغي^(٣)

١١ صفر ١٣٥٤ هـ

محمد النجمي



عرب الإسلام

قال أبو الريحان البيروني في كتاب «الصيدنة»:

ديننا والدولة عريان وتوأمان، يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع وخاصة منهم الجيل والديلم في لباس الدولة جلايب العجمة، فلم يتفق لهم في المراد سوق، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمسًا، وتُقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفاً صفاً، ويخطب به لهم في الجوامع بالإصلاح كانوا لليدين وللهم، وحبل الإسلام غير منقسم، وحصنه غير مثلث.

(١) الهذي: الهجر والتخريف.

(٢) الوحي: السريع.

(٣) الحصان: بفتح الحاء المرأة العفيفة.

وإلى لسان العرب نُقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت، وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة

وإن كانت كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآرب مع ألأفها وأشكالها، وأقيس هذا بنفسي، وهي مطبوعة على لغة لو خُلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب، والزرافة في العراب، ثم منتقلة إلى العربية والفارسية، فأنا في كل واحدة دخيل، ولها متكلف، والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية، وسيعرف مصداق قلبي من تأمل كتاب علم قد نُقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه، وكسف باله، واسود وجهه، وزال الانتفاع به؛ إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية، والأسمار الليلية.

وكان الأمير (يمين الدولة ﷺ) على بغضه للعربية باحث أحد بطانته يوماً في أمر أطبائه ودرجاتهم، فأجابه المخاطب بأن معين كل واحد من أستاذه المفيد وتلميذه المستفيد هو الكتب، منها يستقون وإليها يرجعون ويفزعون، وكانت باليونانية والسريانية، ولا يهتدي لهما سوى النصارى، فنُقلت إلى العربية حتى احتظى المسلمون بها، وتخرجوا فيها، فالمتقدم منهم في الصناعة من كان للغة أشد هداية، ليكون بها في الكتب أتم إحاطة، وتبين في استقلاله بها من يتحكم بتخايلها، ويتصور منها غير ما فيها، قال: كأنك تعني طاهراً السجزي؟ قال: إي والله؛ إلا أن جوابي كان غير جزؤي، والعرب في مبادئهم بالبادية قوم أميون يعولون في التخليد على الحفظ، والتلقف من الألسنة، ولهذا صار الشعر دواوينهم للمعارف، وتذاكيرهم للأيام والأنساب، ومن أجل هذا ربما رجعنا في التعرف والاستشهاد إلى أشعارهم، واستشفنا المطاب منها، إما لما ذكرناه إن صدقنا فيه، وإن لم تصدق فللتروiche بين التراويح، والإجمام في بعض مناهج المراحل، وإما لتنبه من ألقى السمع وهو شهيد من حاملي الأسفار على

الأنفة من وصمة (لا أدري ما في الكتاب)، إذا لم يكن باللغة التي سموا فيها كتبه (محيطًا؟) في هذه الشفقة فالحق من بيننا الإرغام، والإلجاء إلى الاعتراف بالجهل^(١).

فإن نشط بعد ذلك للاستفهام والتعلم فتوفيق من الله، وإن أعرض وتولى ورجع إلى أهله يتمطى، فإلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة.



إلى لبنان^(٢)

نبه جفونك من لذيذ منام	طلع الصباح على ربوع الشام
ما ضر من أفنى الحياة مسهّدًا	أن بات يُوقظ مرة في العام
لبنان يا وطن الجمال ومنجب الـ	أبطال والصيّابة الأعلام
كم قد نصحتك فانهمت نصيحتي	أفأقنعتك حوادث الأيام؟
يهديك نور العلم يا أعمى، ولا	يهديك غير الله يا متعامي
أسلمت (للأم الحنون) فقل لنا	أوجدتها خيرًا من الإسلام؟
يمشي الغريب إلى خوانك ساخرًا	ويؤوب بالإجلال والإكرام
كرم الخلال جنى على أربابه	يا ليت أهل الشرق غير كرام!
أنا ما رأيت فضيلة مكروهة	كتواضع الأعراب للأعجام ^(٣)
أفتى الشمال وفي يمينك مصحف	للمجد خُط بشفرة الصمصام

(١) هذه العبارة مضطربة. والأصل الذي يُطبع منه كتاب البيروني كثير التحريف.

(٢) أنشئت في حفلة سورية لبنانية، أقيمت في سان باولو عاصمة البرازيل.

(٣) أي للمستعمرين الإفرنج.

بجراحك اشف جراح نفسك في العلى
 هب كان راعيك المسيح وداعة
 انا لست أنهم الزعيم وطالما
 إن الأسود إذا تولى أمرها
 كم ذا تُشيد على أساس واهن
 قصر الذليل مقمة ولو أنه
 لا ترجون بالانتداب تقدماً
 حتى مَ تستجدي وأرضك جنة!
 تبدي الكساح وأنت إن بدع الغنى
 فاحمل على الظلام حملة باسل
 من شط بحر الكنج زار غضنفر
 صوت يردده حكيم الهند
 ذد عن حماك وناد باستقلاله
 حرره من رق السياسة أولاً
 ما يستطيع من الفعال مقيد
 جرد لهم غصن السلام فربما
 إن كَلّ زند لا تكل إرادة
 أفنيت أعدائي بسيف تجلدي
 إن عفتَ تينك في القصور فإنني

ما الجلد خير من فؤاد دامي
 أبرد عنك شراسة الضرغام؟
 كان النصوح مظنة الاتهام
 راعٍ فقد حُشرت مع الأغنام!
 والبيت مفتقر إلى هدام
 أوفى سرادقه على الأجرام
 ما في بلاد النور غير ظلام
 وإلى مَ تستندي وغيثك هامي؟
 تطو الدُنى عشراً على الأقدام
 لن تنفع الشكوى إلى الظلام
 أحلى بسمعي من هديل حمام
 في دهلي لتسمع يا حكيم الشام:
 لا ترعُ فيه خواطر الحكام
 ينجب محرره من الأوهام
 بزمَام غير مقيد بزمَام؟
 أغناك عن تجريد ألف حسام
 والعزم في الأرواح لا الاجسام
 وبرئت عند الله من إجرامي
 قد عفتُ قبلك في السجون طعامي

الشاعر القروي



الأمومة - الطفولة

قال (برنارد شو): لست معلماً للأمهات ولست مدرباً للأطفال، ولكنني أحتقر المرأة إذا تزوجت ولم تقم بواجبها كأم وزوجة في آن معاً، وأحارب الرجال إذا تزوجوا ورزقوا أبناء وجعلوا حياة أبنائهم كالجحيم، فالأمومة والأبوة يجب على من لا يستطيع القيام بهما أن يتجنب الوقوع فيهما.

وقال (إسكندر دوماس) الأب: من الجرائم التي تستحق الضرب والإعدام معاقبة الأطفال بحرمانهم من الهواء والنوم والطعام، فإن الآباء الذين يعمدون إلى معاقبة أطفالهم بحرمانهم من الطعام، وتقديم الخبز اليابس يرتكبون جرماً لا يقل عن جرم قطاع الطرق وقاتلي النفوس البريئة.

وقال (نابليون): لا أفهم حياة الرجال بلا زواج، ولا أفهم الزواج بلا أبناء، ولا أفهم الأبوة والأمومة بلا حنان، ولا أحب المرأة التي تريد أن تقوم في هذه الحياة بما يجب على الرجل وحده أن يقوم به، فالمرأة المسترجلة في نظري كالرجل المخنث.

وقال (فردريك الأكبر): إذا تزوجت فعليك أن تستولد امرأتك أبناء، وعلى امرأتك أن تربيهم تربية وطنية، فتجعل منهم رجالاً مثلك يقومون في المستقبل بما قمت به أنت، ويعيدون تمثيل الدور الذي مثله أنت.



حيطة عالم حكيم لإنقاذ قائد عربي من مكيدة قائد حشود

قال ابن خلكان (ج ١ ص ٣٧):

كان الإفشين يحسد أبا دُلف -القاسم بن عيسى العجلي- للعربية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه بجنابة قتل، فأخذه ببعض أسبابه، فجلس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله.

وبلغ أحد العلماء الخبر، فركب في وفد مع من حضر من عدو له، فدخل على الإخشيد وقد جيء بأبي دُلف ليُقتل، فوقف، ثم قال:

إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أملك ألا تُحدث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تسلمه إليّ.

ثم التفت إلى العدول وقال:

اشهدوا أنني أديت الرسالة إليك عن أمير المؤمنين، والقاسم حر معافي، فقالوا: قد شهدنا.

وخرج، فلم يقدر الإفشين عليه، وصار العالم إلى المعتصم من وقته، وقال: يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسالة لم تقلها لي. ما أعتدُ بعمل خير منها، وإنني لأرجو لك الجنة بها.

ثم أخبره الخبر، فصوّب رأيه ووجه من أحضر القاسم فأطلقه، ووهب له وعنف الإفشين فيما عزم عليه.



اللقيط

تري من رماك بهذا الهوان
تُرى يا بني من المعتدي
يرى الناس أنك رمز الخنا
ظلمت وما أنت إلا فتى
ضحية أنشئ دعاها الفجو
ضحية أغد دنيء جبان
ر قلبت وأرخت له في العنان



بريء أخذت بذنب المس
رميتك الحياة بأرزائها
تري الأب يحنو على طفله
وتنظر للأم ترعى ابنها
شقيتَ جنيئًا بظلم الحيا
يء بغير اعتداء ولا مائم
ولم تأت جرماً ولم تظلم
فتبكي بدمع كلون الدم
فترتاع للمنظر المؤلم
ة! فيا للشقي ولم ينجم



تظن الرجال جميعاً أبا
وتنشد أمك بين النساء
وترجو زيارة أهل عسى
فترتد في حسرة واكتئاب
لك الله فاصبر ولا تبتئس
ك وهم عنك في عزة يتفرون
ء فيغضن عنك وسيع العيون
يزيحون عنك الأسى والشجون
ب ولا من شفيق ولا من حنون
فكل المصائب يوماً تهون

علي متولي صلاح



كتابي

كتابي أنت لي نعم الرفيق
 عرفتك صاحبًا ما خان يومًا
 رأيتك خير خلاني جميعًا
 ولا تشكو عناء أو سهادًا
 وهبتك يا كتابي كل قلبي
 كتابي أنت تهذيب ونور
 أطالع فيك آدابًا وعلمًا
 ففك لذي الضلال هدى ورشد
 سكت فلا تقول أذى وعبًا
 كتابي: خذ عظيم الشكر مني
 وأنت لي المسامر والصديق
 لديك يُصان عهدي والحقوق
 أحملك الهموم فلا تضيق
 ولا غدرٌ لديك ولا عقوق!
 وحبك في مدى نفسي عميق
 وأنت لنفسي الظمأى رحيق
 وأقرأ ما يلذ وما يشوق
 وفيك لكل حيران طريق
 وصنت النفس عما لا يليق!
 فأنت بكل إكبار خليق

علي متولي صلاح



فوز العروبة وفشل أعدائها

بمناسبة نجاة الملك عبدالعزيز من محاولة الاعتداء^(١)

أطعنا بالخناجر في المطاف؟
وكنتم أبعد الناس اهتداء
نفختم قبلُ في بوق التجني
وأحفظتم من الإسلام قلباً
فلما نالت اللأواء منكم
أقال العفو عثرتكم وكنتم
أنقضاً للمواثيق اللواتي
أيهمل نص رقعتها ولما
أكفراً بالعروبة وهي ظل
أغدرًا بالهدى في عاهليه
دعاة الشر ما للداء حسم
فخافوها بوادٍ إن تلظت
رويدَ بني الزبود فقد أتيتم
قصدم بالأذية ليث غاب
يعوج الأمل المحتاج منه
أزاح عن العروبة كل إصر

لقد عدتم بأخلاق الضعافِ
إلى سبل المودة والتعافي
وهجتم بالأذى نار الخلافِ
به من قبلُ كنتم في الشغافِ
وحط الموت في البقر المجافِ
على وشكٍ من الخطر الموافي
طوت بالود أسباب التجافي
تنل من حبرها أيدي الجفافِ
على الإسلام في الرمضاء ضافِ
لقد جئتم بثالثة الأثافي
إذا استشرى ولا للرتق رافي
تعذر في مصائبها التلافي
بما لا يفعل الخصم المجافي
به جفخت على المَدر الفيافي
بنجعة رائد ومثال عافِ
وجدد من قواها كل عافي

(١) حيث اعتدى ثلاثة أشقياء من «زبود» اليمن على الملك عبدالعزيز ﷺ، وهو يطوف بالكعبة! لكنهم باؤوا بالخيبة، وقضي عليهم. انظر: «الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز»؛ للزركلي (ص ١٧٩ - ١٨٠). (س).

وقوم من قناها كل ميل
 وبث لأهلها في الناس ذكراً
 وثاب بنوره للرشد غاو
 وشاد لها على الجوزاء ملكاً
 يلوذ الدين في الأحداث منه
 ويقدم صف ذاته حكيم
 تحكم في القلوب فكل قلب
 كأننا من هواه أمام نص
 كأن سريرته للخير أفق
 ولما صار لآمال ركننا
 أخلتم أنكم بالفضل أولى
 وآثر عند أهل الرأي منه
 كذبتم إن شيعتكم شباباً
 وإن البون بينكما شبيه
 فلو طار ابن فيصل كان صقراً
 لأنتم للمروءة شر جار



أسارى القات لا تبغوا على من
 وقوا سفهاءكم جيئات وكر
 ألا شغلتكم الأغيار عنه
 لئن وجدوا بكم في الشرق عوناً
 يرى في القات طباً غير شافٍ
 قوادمكم لباشقه خوافي
 بتريد التحية والتهنأف
 فهذا القدر عند الناس كافي



أبا الأقيال من أمراء نجد أساطين المروءة والعفافِ
بحسب الدين عزًّا وانتصارًا له نهتز أعطاف القوافي
نجاتك فهي أفضل ما تمنى أخو نظر من الأقداء صافي
وحسبك أنت ربك من نصير أليس الله راجيَه بكافي

محمد حسن النجمي



وزير مسيحي يصف الشريعة الإسلامية

خطب الأستاذ (فارس بك الخوري) -الوزير السوري الأسبق ومن كبار مسيحي سوريا- في إحدى الحفلات التي أقيمت بدمشق (عام ١٣٥٤هـ)، ومما قاله :

(إن محمدا أعظم عظماء العالم، ولم يجد الدهر بعد مثله، والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس إليها باسم الله، وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية.

إن محمدا الذي تحتفلون به وتكرمون ذكره أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم، وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها).



العلم والعمل في تاريخ الإسلام مقتطف من كتاب «من أخلاق العلماء»

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان

نائب المحكمة العليا الشرعية

انفردت العربية وحدها دون سائر اللغات بأن جعلت مادة العلم والعمل واحدة (ع ل م)، فلا علم عندهم إلا بالعمل، ولا عمل إلا بالخلق؛ فهم في هذا وهم المسلمون قد جعلوا الثلاثة واحدًا، ومن هذا الواحد انتشر دين التوحيد وحقت كلمة صاحبه ليُظهره على الدين كله.

هي التربية الاستقلالية التي جعلت من الحجاج معلم الصبيان بالزعران حاكمًا تسير بذكره الركبان، ومن حمامة المسجد عبد الملك بن مروان خليفة يخضع له الزمان، ومن حامل الحطب على رأسه معز الدولة بن بويه ركن دولة آل بويه، ومن الحسن بن محمد القائل، وقد اشتدت عليه الضرورة وألح الفقر:

الا موتٌ يُباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه .
ولقد اتبع المسلمون هذه السنة العملية، فتعهدوا ملكات العمل في بنيتهم، وصقلوها بتربية الاستقلال، فنشأ النابتون ينتفعون بها، ويصلحون لكل عمل يتولونه، فترى طبيبًا يتولى العمل في المستشفى العسكري الذي كان يحمل على أربعين بغلاً في القرن السادس، ويتولى الفصادة به أيضًا، فإذا هو قد صار قاضي القضاة في بغداد أيام المقتفي، وهو القاضي ابن المرخم - يحيى بن سعيد المشهور -.

وسفيان الثوري المحدث يسافر في تجارته، وأبو حنيفة المجتهد يقعد في دكانه، وحمزة بن حبيب الذي يقرأ المسلمون إلى اليوم القرآن بقراءته، قيل له (الزيات)؛ لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، وأخبرني صديقنا العالم الدكتور أحمد بك عيسى أنه جمع تراجم لأكثر من ثلاثين طبيباً كانوا محدثين، وبيننا ترى ابن المبارك متبنكاً مع الملوك، إذا به متزمل مع العلماء، إذا به شاكي السلاح في صفوف القتال. وبسر بن أرطاة المعداد من فطاحل العلماء، هو معدود أيضاً من فطاحل الولاة، وأحمد بن حنبل يعمل بيده، ويخرج بالقدوم فيُصلح منازل السكان، وهكذا ظل العلماء يعملون بأيديهم لدولتهم ولأنفسهم، فيحيى القرطبي العالم المشهور في الشرق والغرب، كان إذا فرغ من درسه جاءه رجل بشيء ملفوف، فوضعه أمامه، ويقوم الشيخ به ويتبعه راوي الخبر، فإذا به فرخة مسموطة يشترها السوقي للشيخ كل يوم وقد كلفه بها، فإذا خلا بداره طبخها بنفسه وهياها.

وقد بقيت هذه الشنينة العملية معروفة في العلماء، فأخونا القاضي الفاضل محمد أحمد حافظ يروي لي: أنه كان جازاً للشيخ «الشربيني»، يراه كل يوم يُخرج القمامة من داره، ويهيء حماره بيده، ويُصلحه فيركبه إلى المسجد، وكذلك حدثني المرحوم يوسف بك المويلحي عن العالم المرحوم الشيخ «النجدي» أنه كان يقضي حوائج منزله بيده.

وهي الترية الأخلاقية التي سمينا كتابنا باسمها، وصدرناه بآثارها، إذ كانت الأخلاق هي لب لباب العلم وروحه وما يرجى منه، وبالأخلاق تبنى الممالك، وعلى أساسها يرتفع ذووها، وظاهرة الأخلاق في الترية الإسلامية هي الظاهرة اللامعة من أقطارها، وكفى بصاحب هذا الدين أن يحصر بعثته في إتمام مكارم

الأخلاق وأن يضع الحق تعالى على رأس شهادته لعبده قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، والأخلاق هي البقية الباقية لما يرجى من العلم، والهدف العريض لبعثة الرسل والأنبياء، والمحور الثابت لسير المجتمع إلى مستقر الصلاح، وإنها لصفحة مشرقة تلمع بها التربية الإسلامية، ويسير القلم في أنحائها، فيجد منها الغرر الواضحة، والمثل العليا في سلفنا الصالح، زانوا بها نفوسهم فزينت بهم الدنيا، وطلعوا بها شمساً أضاءت لهم كنوز (بُصرى)، وحووا بفضلها هذا الملك العريض الذي سوروه بسور حصين من أخلاق هذا الدين، حتى إذا فتر في صدر الخلف نبضه، دخلت الأمم عليهم من أقطارهم، وانتقصوا أطرافهم، وأخذوا يحزمون المخلفين فيه حزم السلع، ويحيطونهم خبط الورق تتجات من أغصانها، وقد ذبلت وتهشمت فهم في أمر مريج.

ولقد يخيل إليّ أن التربية الأخلاقية تمكنت من أسلافنا تمكناً ظننت أنهم قد غيروا الأحكام من أجلها، ففي كتاب «نفح الطيب» أن أميرها عبد الرحمن ابن الحكم، جمع الفقهاء في قصره، وكان وقع على جارية من جواريه يحبها في رمضان، ثم ندم أشد ندم، فسألهم عن التوبة والكفارة، فقال يحيى: تكفر بصوم شهرين متتابعين، فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء، حتى خرجوا فقال بعضهم له: لَمْ لَمْ تَفْتِ بمذهب مالك بالتخير؟

فقال: لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود!

هذه هي التربية الإسلامية، نراها قامت بالعلم والخلق والعمل على أساس الاستقلال الصحيح قيام خير للفرد، وخير للمجموع، فالفرد مستقل بها لنفع نفسه ونفع جنسه، والمجموع مستقل بهذا الفرد على أنه عضو من جسده، إن اشتكى يروا تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ومن هذا المنزع كان السيرة

في تقدم المسلمين الأولين، وكما يقول علماء الكيمياء: إن قوة الاتحاد تقاس بكمية الحرارة الصاعدة منه، فيظهر لي أن أعظم حرارة كونية لاتحاد حادث هي التي ظهرت من بضعة عشر قرنًا في بطحاء مكة ظهورًا انتشر في الآفاق، وظهورًا ظل يلمع ويضيء على مر القرون وكر الأيام.

لما بدت هذه الظاهرة الكونية تعصف بمملكتي الروم والفرس، وأخذ أبناء التربية الإسلامية يسطون أيديهم ذات اليمين وذات الشمال، وقد خرجوا من صحرائهم يهدمون في هاتين المملكتين وهم بعدة الظفر والانتصار، وتابعتهم الحوادث سراعًا تجري على أهوائهم، وتكشف الأيام عن تحقيق آمالهم، وريع الفرس وريع الروم، وأخذ كل فريق يأرز إلى مركزه؛ إذ ذاك رأى عاهل الروم وعاهل الفرس أن يبحثا السر في هذا الانقلاب الفجائي، فأرسلوا جواسيسهم إلى المسلمين يتعرفونهم وينقلون إلى عاهلهم، قال الرومي لهرقل -وهو مُدرب إلى القسطنطينية هربًا-: أحدثك كأنك تنظر إليهم، فرسان بالنهار رهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمر، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه، فقال هرقل: لئن كنت صدقتني، ليرثن ما تحت قدمي هاتين، وأما عين (رستم) الفارسي فقد انغمس في المسلمين في القادسية كبعض من نذ منهم، فرآهم يستأكون عند كل صلاة، ثم يصلون، فيفترقون إلى مواقعهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم، حتى سأله ما طعامهم؟ قال مكثت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحدًا منهم يأكل شيئًا إلا أن يمصوا عيدانًا لهم، حين يُمسون وحين ينامون، وقيل أن يصبحوا، فلما سار فتزل بين (الحصن والعتيق) واقفهم، وقد أذن مؤذنهم الغداة، فرآهم رستم يتحششون، فنادى في أهل فارس أن اركبوا، فليل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيه فتحششوا؟ فقال جاسوسه: إنما تحششهم هذا للصلاة؟ فقال بالفارسية وهذا

تفسيره بالعربية: أتاني صوت عند الغداة، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل، فلما عبروا وتوافقوا، وأذن مؤذن سعد بن أبي وقاص للصلاة فصلى سعد، قال رستم: أكل عمر كبدي، وقد صدق رستم، فإن التربية الإسلامية وقد قامت على قواعدا الصحيحة، أوتيت معلمين صحاحا، وقادة مخلصين، ومربين رأوها حقا، فكانوا فيها مثال حقها أخذه عنهم من أحاط بهم، وانتشر حقها فيهم، فكانت البيئة كلها بيئة حق مدملجة صلبة، لا ينفذ فيها الباطل ولا تهن، ومثل هذه البيئة تنبت أكالي أكباد المبطلين، وشاربي دماء الضالين، وهي وسط البيئات الفاسدة تخبطها وتهشمها وتذروها في ربح عاصف، وتسود أصحابها وتستولى على أمكتهم، وهذا سر واضح، منه كانت الهبة الأولى لانتشار الإسلام، وقد ظل قائما بقواعده تلف جذوره على أنواط القلوب، واستحوذت عقيدته على ثايا النفوس، فتناسلت الذرية ولد ولم المسلم مسلما، حتى كانت القرون الوسطى، وفيها أعيد امتحان هذه التربية مرة أخرى على أشد ما يكون امتحان وأصعبه: نسل التار على المسلمين من كل حذب في الشرق، وخرج الفرنجة عليهم من كل مملكة في الغرب، وكان المسلمون إذ ذاك قد تمزقوا شيعا وتفرقوا دولا، ولكن المسلم بقي هو المسلم صاحب هذه التربية الاستقلالية، وولي العقيدة الإسلامية التي تقيم من الفرد أمة يجب عليها أن تدفع بنفسها عن المجموع أيا كان صاحبها، فهب الفرد المسلم هبة صارخة من أعماق كل قلب مسلم، فكانت مظاهرة أخرى حشدت فيها التربية الإسلامية أبناءها، فأخذوا يدفعون صدور أعدائها صدرا صدرا، كأنما كانوا على ميعاد، وكأنما وحدة الخلافة الأولى لم تنفصم عروتها ولا تعددت ألويتها، إذ كان داعي الدين قائما يصرخ في قلب كل مؤمن، فما هي إلا قرون ظل المسلمون وأعداءهم يعتلجون فيها، ثم كانت العاقبة لتربية المسلمين، لتوا

التتار، فمنهم من أسلم، ومنهم من استسلم، ودفعوا الفرنجة فركبوا رؤوسهم إلى بلادهم، وركبوا هم على أفقيتهم بالسيف إلى أواسط أوربا، وهنا يقول (المؤلف) كلمة الحق ولا يبالى، في أمة تستولى اليوم على الدنيا، ولا تغيب الشمس عن أملاكها، هي أمة الإنكليز، أقول: كأنما نسخ الإنكليز عن المسلمين كتاب تربيتهم، ووقفوا عليه، وعملوا به فنعمو بما نعم به أصحابه من قبل: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ إلا أن هناك فروقا كثيرة أهمها:

(١) أن المسلمين لما قاموا بدعوتهم، ملكوا ما حولهم، وأخذوا يزيّدونه ويوسعون ملكهم، حتى انتظم رقعة من بلاد الله هي مجمع القارات الثلاث، لا خلال فيها لغيرهم، ولا ملك بها لغير، أما الإنكليز، فأملأهم أقاصي وأطراف تقصوها، ووقعوا على ما غفل عنه أهلوه، فهو ملك منتشر منتشر.

والعرب أسسوا ملكهم على دعوة دينية، جاء بها نبيهم، أساسها الخير والصلاح، من دخله كان منهم، ومن أبى وعاهدهم تركوه حراً في معتقده، وربطوه بدمتهم، فأخوه وساوره وقالوا لهم: (لكم ما لنا وعليكم ما علينا) وصدقوا فيما قالوا، فإذا تقرأ أسماء موظفي الحكومة الإسلامية، ترى بينها كثيراً من أهل هذه الذمة، رقوا في درجات الدولة حتى تسنموا غاربها، وعملهم فيها كعمل المسلم سواء بسواء الحق يقابل الواجب، مما يبين خير هذه الدعوة، وأنها ليست دعوة ربح ومادة^(١)، إنما هي دعوة أدب وإصلاح مجتمع.

(١) روى البلاذري قال: بلغني أنه لما جمع «هرقل» للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة «اليرموك»، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولدفعن جند هرقل عن المدينة مع =

(٢) أن المسلمين فيما قاموا به، أدخلوا دعوتهم قلوب المدعوين سواء منهم من آمن ومن عاهد، أما ملك المستعمرين، فلا دخل له بالقلوب، وموقفه لا يزال عند الحدود يوشك أن أعاد الله الروح في تربية الإسلام أن يعود لأبنائها عز هاتيك الأيام؛ ولا شك أن تغلب دعوة السماء دعوة الأرض، وأن تكون كلمة الله هي العليا، غير أن الاجتماع له نوااميس وقوانين تسري فيه بأحكامها، ولا يُدخل عليه إلا من أبوابها، فمريدو الانتفاع بسنته، عليهم أن يتبعوا آثار سنته في تطلب النفع بها، وفي توجيهها إلى خيرهم، وهذه سنة إلهية، ماض حكمها، نافذ على المسلم وغير المسلم، لا مرد له ولا نقض فيه ولا إبرام.

(٣) - إن إنكلترا لم تتحد أقسامها إلا أخيراً، وقد ملكت بتربيتها هذا الملك الكبير، ولو أنه قيس بما كان للعرب في أول أمرهم وفي عز اتحادهم لكان الفرق كثيراً، ولكن هم على ما يقول المثل العربي (المرق أحد اللحمين).

ولما ترجم المرحوم أحمد فتحي زغلول باشا كتاب «أدمون دي مولان في سر تقدم الإنكليز السكسونيين» قرأته، فرأيت صاحبه الإفرنسي، بحث تربية الإنكليز، وتربيات أمم أخرى، بحث ذي نظر اجتماعي، مبني على الشواهد والأمثال، وخرج من بحثه بحكم أصدره للإنكليز السكسونيين، أن تربيتهم هي صاحبة النصر على التربية الأخرى، فلما وقعت الحرب الكبرى، وتمت بالنصر للإنكليز وحلفائهم، كتبت أقول: (إن النصر في هذه الحرب، قبل أن يكون

= عاملكم. ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تُغلب ونجح، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد، فلما هُزم الكفرة، وأظهر المسلمين فتحو مدنهم وأخرجوا المقلسين (التقليس استقبال الولاة بأصناف اللهو)، فلعبوا وأدوا الخراج.

نصرًا لل سيف، كان نصرًا لقلم آدمون دي مولان، صاحب النظر الصائب الذي اخترق الحجب قبل الحرب بسنين، وعرف نتيجتها قبل أن تخطر لأحد).



النور والحكمة

املا الأرض يا محمد نورًا	واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرًا تجلى	يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد في كل واد	فتدفق عليه حتى يغورا
جثت ترمي عبابه بعباب	راح يطوي ميوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمي	أمم الأرض أن تذوق الثبورا
زاخرًا يشمل البسيطة مدًا	ويعم السبع الطباق هديرًا
أنكر الناس ربهم وتولوا	يحسبون الحياة افكًا وزورا

أحمد محرم



المُلك المضيّع

أياмана والعيش فيتان غضة	مكاسره، والدهر خضر جوانبه
سقيت الحيا: أين العهود التي خلت	نجاذب منها في الهوى ما نجاذبه
مضت غير ذكرى تُلهب القلب والحشا	ومال عمود المجد وانهاك كائبه
ولم يبق غير الدمع تجري غروبه	وهل نافع أن يسكب الدمع ساكبه

ولو رَدَ دمعُ العين ملكًا مضيئًا لَرَدَتْ على الميت الحياة نواده
أبقى سنام المجد فينا مفرقًا وذروته للناهبين وغاربه
ألا هل أتى الإسلام أن تراثه أذيل، وأن الغرب غادر فسالبه
ومن عجب نستوهب الحق غاصبًا وهل يهب المغصوب من هو غاصبه
أسيت وما آسى لدينا فقدتها ولكن هذا الدهر شتى مصائبه
أعد نظرًا في الشرق والغرب هل ترى لنا كنفًا إلا وللذل جانبه
وهل يرهب الأعداء في الجو راية إذا لم تصن ذاك اللواء قواضيه
ألا إنها الدنيا سبيل مجاهد يحارب في آفاقها من يحاربه
إذا أنا أخصلت النصيحة صادقًا فلست أبالي اللوم إن لج صاحبه

يوسف عبد الرزاق

المدرس بالمعهد الأزهري



من كلمات الصديق ﷺ

- * طوبى لمن مات في النأنة (أي: في بدء الإسلام قبل أن يكثر أنصاره).
- * كن جلس بيتك حتى تأتلك يد خاطئة أو منية قاضية.
- * يُقبض الصالحون الأول فالأول، حتى يبقى من الناس حثالة كحثة التمر والشعير، لا يبالي الله بهم.



الفتح في عامه العاشر

لشاعر مصر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

أمل يزف مع السنين عروسًا
موفٍ على أمم الحياة يريكمها
يتبسم الإسلام في نظراته
أو ما رأيت (محمدًا) في نوره
انظر إلى الرهج المثار وحيّه
واسأل عن (الفتح المبين) أما شفى
لا تعجلن فللبقية حينها
المسلمون على جهالة بعضهم
أخذوا عن الزمن المشاغب علمها
أفيلفون مدى العواصف نومًا
ليس الذي لبس السلاح كماجز
يا (فتح) والدنيا مجال مغامر
قل للآلى جهلوا الجهاد وحكمه
خوضوا الغمار فلن تتالوا ماربًا
إلا يكن إلا المنايا فاطلبوا
لو ضمن معتنق الحتوف بنفسه
لا تلتمس عدماً فلست بواجد

فيشوقهن أهلة وشموسا
دنيا تطلع أعينًا ورؤوسا
بينا يراه الناظرون عبوسا
وشهدت رفقة الكماة الشوسا؟
قلما أحر من السيوف وطيسا
مُهَجًا يهيج غليلها ونفوسا؟
واصبر فما خلق الأبى يؤوسا
عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
وتجرعوه من الخطوب دروسا
أم يُدركون سنا البروق جلوسا؟
جعل التهب والنكول لبوسا
يزجى خميسًا للوغي فخميسا
لا تأخذوه محرقًا معكوسا
حتى تروها تستطير ضروسا
بين الأسنة والسيوف رموسا
ما نال من دنيا الرجال نفيسا
من ليس يوجد في دم مغموسا

ودع الخسيس من المطالب والمنى
الكون منطلق لعزمك واسع
أرايت من جعل الرئاسة همه
الدين والدنيا وراء ضجيجه
يعيا بذكرهما ويُعرض عنهما
ساس الجماهير الخفاف ولم يكن
خذلته تجربة الأمور ولم يزل
قتل النفوس وراح يزعم أنه
خير (الحواريين) في (إنجيله)
دين من البهتان ليس يحله
يا (فتح) داو الداء بالطب الذي
لا تبتئس بالجرح أفرط شره
أقم المنار لمدلجين تنكبوا
أثار قومك للحياة معالم
انظر أيستهدى الغوي مُبينها
صدأ النواظر والقلوب أشد من
أنت المؤمل للجلاء فهاته
طف بالبيان الطلق عذبًا سائغًا

إن كنت تأنف أن تكون خسيسا
فاربأ بنفسك أن تكون حبيسا
وسألت قومك كيف صار رئيسا
يستشرفان.. أيسمعان حبيسا
إلا وساوس تخذع المسلوسا^(١)
لولا رفيق حلومها لبسوسا
يستنصر التمويه والتدليسا
(عيسى ابن مريم) أو خليفة (عيسى)
من يزلف التعظيم والتقديسا
دين (المسيح) ولا شريعة (موسى)
أعيا (الرئيس)^(٢) وفات (جالينوسا)
وطغى أذاه فكل جرح يوسى
سبل الرشاد وجدد (الناموسا)^(٣)
غر تضيء المجهل الأدموسا^(٤)
أم يستبين الدارس المظموسا
صدأ الحديد مضره إن قيسا؟
قبسًا يُدار على يدك طروسا
إنا شربنا الدين فيه كؤوسا

(١) المجنون.

(٢) ابن سينا.

(٣) الشريعة. يونانية الأصل.

(٤) الشديد الظلام.

واطوِ السنين بهمة قرشية تقناد منها رِيضًا^(١) وشموسا^(٢)
 الله ثبت جانبك بمؤمن شد البناء وأحكم التأسيسا
 ولدته مأسدة النبوة قسورًا^(٣) لم يتخذ غير المصاحف خيسا^(٤)
 جربت منه الفاضل النزه الهوى وعرفت فيه الباسل الدّعيسا^(٥)
 الله ألهمني الهدى وأعد لي منه نجبًا صالحًا وأنيسا
 يا حارس الإسلام حسبك أن ترى من كيد كل مناجز محروسا
 واطرد دعاة السوء عنه ولا تدع في المؤمنين الصادقين ديسا
 اعمل لربك لا يرُعك مضلل يجفو الإله ويصطفى إبليسا
 سبحان ربك لن يغادر عدله بين البرية عاملاً مبخوسا



أيهما المعتدي؟

لو كنتُ قاضيًا، ورُفِع إليّ شاب تجرأ على امرأة، فمسها أو احتك بها أو
 طاردها أو أسمعها، وتحقق عندي أن المرأة كانت سافرة مدهونة مصقولة
 متعطرة متبرجة؛ لعاقبت هذه المرأة عقوبتين:
 إحداهما: بأنها اعتدت على عفة الشاب.

(١) ما ينقاد.

(٢) ما لا ينقاد.

(٣) المأسدة: المكان تكثر فيه الأسود أو تربى.

(٤) غابة الأسد.

(٥) المقدام.

الناس...

حكى عن ابن المعتز السلمي قال:

الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط، فالفقراء موتى إلا من أغناه الله
بعض القناعة، والأغنياء سكارى إلا من عصمه الله تعالى بتوقع الغير، وأكثر
الخير مع أكثر الأوساط، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء، لسخف الفقر
وبطر الغنى.



بهذا قامت السماوات والأرض

سقطت يوم خيبر درع لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فالتقطها رجل من اليهود، ثم
لما وجدها علي مع اليهودي تحاكما إلى قاضي المسلمين -وهو من جملة الرعية،
وعلي يومئذ أمير على الناس، ولم يكن معه بينة على درعه إلا ابنه الحسن.
فقال القاضي:

أنا أعلم أنك صادق أيها الأمير، ولكن لا بينة عندك، ولا تصح شهادة ابنك
لك، واليهودي هو واضع اليد.

وحكم القاضي بالدرع لليهودي عملاً بظاهر الأمر، فامتل عليٌ وخرج.
فقال اليهودي:

أنا أشهد أن هذه أخلاق الأنبياء؛ وأن هذا هو الدين الحق، وأن الدرع درع
علي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

موسوليني وموسم الحصاد

نقلت صحف مصر عن صحف أوروبا صورة لموسم الحصاد في إيطاليا، وفيها السنيور (موسوليني) عاري الصدر، يقوم بحصد القمح في أحد حقول إيطاليا الخصيبة، وعلى رأسه قبعة كبيرة من الخوص تقيه أشعة الشمس المحرقة...

وفاءً كان حصدك أم رياء	وعطفاً كان ذلك أم دهاء؟
وسلماً كان أم حرباً عواناً	تثير بها على الأرض الشقاء؟
ومنجلك المسلط فوق نبت	به تبغي الحياة أم الفناء؟
وصدرك عارياً هل بات يذكي	على الدنيا القطيعة والجفاء؟
أم الشمس التي لفحته حيناً	ستكسبه الهوادة والرثاء؟
وهل أحسست بالآلام تغلي	برأسك فابتغيت لها الغطاء؟
وهل أسديت للفلاح نعمى	بحصدك تستحق بها الثناء؟
أما والله إنك في دهاء	تجرعه المتاعب والعناء
تعاونه بموسمه ليسعى	إلى الهيجا متى سمع النداء
فيحصد في ظلالك مستكيناً	كراماً من عداتك أبرياء
أرادوا السلم في الدنيا وراحوا	يوالون المودة والصفاء
فلم تسمع نداءهم، عتوا	ولم ترحم شقاءهم ازدراء
كانك في الحياة خلقت فرداً	بها ضمن الهناء والبقاء
شديد البطش، إن الله أقوى	فلا تأمن من الله الجزاء
شديد الزهو، إن الله أسمى	فلا تختل بدنياك ازدهاء
بربك لا تموّه بين شعب	بأنك قائد حمل اللواء

الناس...

حكى عن ابن المعتمر السلمي قال :

الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراء موتى إلا من أغناه الله
بعض القناعة ، والأغنياء سكارى إلا من عصمه الله تعالى بتوقع الغير ، وأكثر
الخير مع أكثر الأوساط ، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء ، لسخف الفقر
وبطر الغنى .



بهذا قامت السماوات والأرض

سقطت يوم خيبر درع لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، فالتقطها رجل من اليهود ، ثم
لما وجدها علي مع اليهودي تحاكما إلى قاضي المسلمين - وهو من جملة الرعية ،
وعلي يومئذ أمير على الناس ، ولم يكن معه بينة على درعه إلا ابنه الحسن .

فقال القاضي :

أنا أعلم أنك صادق أيها الأمير ، ولكن لا بينة عندك ، ولا تصح شهادة ابنك
لك ، واليهودى هو واضع اليد .

وحكم القاضي بالدرع لليهودى عملاً بظاهر الأمر ، فامتل عليّ وخرج .

فقال اليهودى :

أنا أشهد أن هذه أخلاق الأنبياء ؛ وأن هذا هو الدين الحق ، وأن الدرع درع
علي ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

موسوليني وموسم الحصاد

نقلت صحف مصر عن صحف أوربا صورة لموسم الحصاد في إيطاليا، وفيها السنيور (موسوليني) عاري الصدر، يقوم بحصد القمح في أحد حقول إيطاليا الخصيبة، وعلى رأسه قبعة كبيرة من الخوص تقيه أشعة الشمس المحرقة...

وفاءً كان حصدك أم رياء	وعطفًا كان ذلك أم دهاء؟
وسلمًا كان أم حربًا عوانًا	تثير بها على الأرض الشقاء؟
ومنجلك المسلط فوق نبت	به تبغي الحياة أم الفناء؟
وصدرك عاريًا هل بات يذكي	على الدنيا القطيعة والجفاء؟
أم الشمس التي لفحته حينًا	ستكسبه الهوادة والثراء؟
وهل أحسست بالآلام تغلي	برأسك فابتغيت لها الغطاء؟
وهل أسديت للفلاح نعمى	بحصدك تستحق بها الثناء؟
أما والله إنك في دهاء	تجرعه المتاعب والعناء
تعاونه بموسمه ليسعى	إلى الهيجا متى سمع النداء
فيحصد في ظلالك مستكينًا	كرامًا من عاداتك أبرياء
أرادوا السلم في الدنيا وراحوا	يوالون المودة والصفاء
فلم تسمع نداءهم، عتّوا	ولم ترحم شقاءهم ازدراء
كأنك في الحياة تُخلقت فردًا	بها ضمن الهناء والبقاء
شديد البطش، إن الله أقوى	فلا تأمن من الله الجزاء
شديد الزهو، إن الله أسمى	فلا تختل بدنياك ازدهاء
بربك لا تموّه بين شعب	بأنك قائد حمل اللواء

وخف إلى المزارع حيث يحيا جميع الحاصدين بها سواه
 بربك لا تخاتل أن عارًا على القواد ختلهم الرعاء
 وقد أبناء شعبك نحو سلم تحقق -إن أردت- له الرعاء

محمد يوسف المحجوب



* إياكم والكذب؛ فإن الكذب مجانب للإيمان.

* احرص على الموت توهب لك الحياة.



من أقوال أناتول فرانس

* المستقبل ينبت أبدًا على أساس الماضي.

* كلُّ منا يحلم حلم الحياة على طريقته الخاصة.

* فكر جيدًا في الأمور المهمة، واعلم أن فكرك هو برهان وجودك.

* الفكر هو الحقيقة الوحيدة في الكون.

* التعليم الذي لا يهذب الإرادة تعليمٌ يُفسد العقل.

* كن دائمًا على فطرتك وسجيتك، وحذار أن تتكلف.

* البؤس قد يلقي على الناس هيئة البلادة.

* ما الكون في الحقيقة إلا انعكاس عن صورة نفوسنا.



المرأة

* لا شيء يشرف المرأة مثل صبرها ، ولا شيء يشينها مثل صبر زوجها عليها .

(جوير)

* المرأة أفقدتنا الفردوس وهي وحدها قادرة أن تعيده إلينا .

(هوتير)

* خير للمرأة أن تنظر في شأن منزلها وأطفالها من أن تبحث في أمور لا شأن لها بها .

(نابليون)

* أصعب شيء على المرأة أن تكتُم أمرًا .

(شكسبير)

* بلاغة المرأة في دموعها .

(جول سيمون)

* يُختبر الذهب بالنار، وتُختبر المرأة بالذهب، ويُختبر الرجل بالمرأة .

(شيلون)

* امرأة كسيحة في البيت خير من امرأة طائشة متسكعة في الطرقات .

(برودون)

* النساء مدينات لنا بأغلب عيوبهن ؛ ونحن مدينون لهن بأغلب فضائلنا .

(لارو شفوكو)

* ليس العقل هو الذي يقود المرأة، بل القلب.

(هيولت لوكاس)

* حالة المرأة مقياس التقدم الاجتماعي.

(أ. لتريه)

* أعدى أعداء المرأة الضجر.

(ب. جانيه)

* حب الوطن يبدأ بحب الأسرة.

(باكون)

* فكر المرأة في دموعها.

(سان أفرمون)

* يكاد يكون لعظماء الرجال جميعًا أمهات ممتازات.

(مدام مونمارسو)

* فتش عن المرأة.

(نابليون)

* دموع النساء أسلحة بتارة، ولا تكلفهن مع ذلك حربًا.

(نابليون)

* أشد ما يخافه الرجل من تطور المرأة وتقدمها هو أن يضطره إلى التعلم.

(سوزان دوشاتل)

* الرجل يصنعون القوانين والنساء يصنعن الأخلاق.

(كونت دي سيجور)

* في رؤوس النساء شيء ناقص وفي قلوبهن شيء زائد.

(شامفور)



الأدب

* الأدب حال قائمة بالنفس تمنع صاحبها أن يُقدم على شر، أو يُحدث نفسه به، أو يكون عونًا لفاعليه.

مصطفى لطفي المنفلوطي



الفتح على رأس عقدها الأول

أمام، ولا يقال سوى أمام	لمثلك يا منورة الظلام
وطوبى «للمحب» وما سواها	بماوى «للخطيب» ولا مقام
وسقياً للحياة تفيض حتى	يعد الفرد بالجيش اللهام
ويأتني ما يقصر عنه شعب	يضيق الرحب منه بالزحام
فعال المرء مرشدة إليه	فلا يخدعك تنميق الكلام
وما السيف الحسام إذا أشرابت	رقاب الحتف كالسيف الكهام
ولا السحب الثقال إذا اكفهرت	وجوه الأرض كالسحب الجهام

فوارق ليس منها من محيص
تُلَقَّب حين تسمو بالمزايا
وكائن في الصحافة من مجال
يقوم على جوانبه ذئاب
لهم في كل نازلة مرء
يريك إذا ركضت العين فيه
وإن تفحصه تفحص منه سخرًا
لهم عن كل صالحة قعود
وفي التفرير بالألباب سحرٌ
يحشون الفتاة على التعري
ويدعون الشباب إلى التدلي
كأن لهم على الأخلاق ثأرًا
ومن خرق الحوادث أن تراهم
فلا يعبث بفهمك وُد قالٍ
ولا يذهب بلبك لينٌ عاتٍ
وحبَّهلا بمن نصت إليه
محب الدين والحاني عليه
وغيظ عداته من سُور عادٍ
له لسنٌ يخاف الخصم منه
وصبر فت في عضد الليالي
همامٌ يعتزي للجد حينًا
تبجح في الذوائب من قريش

بها عُرف السراة من الطغام
وتُحصى حين تسفل في المذام
لأكل السحت والكسب الحرام
جراحات الهدى منهم دوام
تضيق به حيازيم الكرام
حياة النقص تعمل للتمام
برجلك ضاحكًا وجه الرغام
إذا همَّ الموفق بالقيام
يُريك المجد في طرف النمام
ويغفرون التوقح بالغلام
لأخلاق الزعانف واللثام
فلا يرضون غير الانتقام
لدى الفوغاء محمودي المقام
يدير الخُلف في كأس الوثام
يلف الحرب في ثوب السلام
ركاب الحب أفئدة الأنام
وناقع غله عند الأوام
وشيوخ دعائه من عرق سام
ويخشى ما يخاف من الحسام
ونهنه من نوائبها العظام
وأحيانا إلى جد همام
وفي الذروات منها والسنام

أقام على ثغور المجد جنداً
يكر فلا ترى إلا جسوماً
يُبكيها المباعدُ من وراء
وخاصم في العروبة كل خصم
فقل للحاقدين عليه: أنى
وللحزبين رجعيّ وغال:
لسان الحق ضاق الشرق ذرعاً
وأفسد أمره عبث التلاحي
فذودي عن موائده جياعاً
وهاج لوانح الأطماع منها
ولا يقعد بصاحبك المجلي
فإن ينصب فليس المجد طيفاً
ولكن شقة بُعدت وشقت
وفيما يشغل الدنيا كفيل
أأختَ الشمس منفعة وجدوى
أزف إليك من أعماق قلبي
وأهدي (للخطيب) ثناء مصر
حبّتهم روضها نزلاً فكانوا
وكانوا للعروبة في ذراها
وما وطن الهداية غير دار

من الأقلام مرهوب النظام
مهشمة الجماجم والعظام
وينعماها المقارب من أمام
قوي النزع مسموم السهام
تحس الحقّد أكبادُ السوام
«ملومكما يجل عن الملام»^(١)
وأنضى عليه قطعُ الموامي^(٢)
وأذهب ريحه حب الحطام
أسال لعابها ريح الطعام
بلوغ الضعف من نفس المحامي
عن الإقدام إحجام العوام
من الأطياف يطرق في المنام
على غير المغامر والعصامي
من البلوى بأيقاظ النيام
وترب البدر في أوج التمام
تحيات الصبابة والغرام
على مجهود أبناء الشّام
لتربيته كأخلاف الغمام
صوارم لا تفل من الصدام
تذوب حيال وحدتها الأسامي

(١) اقتباس من بيت للمنتبي.

(٢) الموامي: الصحاري.

فحبا لله عصبتهم وبيًا ووفق في البداءة والختام
وأبقى (الفتح) للدنيا هلالًا بنور الله متصل الدوام
نُهنأ من تنقُّله بعيدٍ تُدق له البشائر كل عام

محمد النجمي



السياسة

* أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة السياسة، فطرحوا عليهم هذا الموضوع:

سَرَقَتْ حقوق أمة ضعيفة، فاكتب كيف تشكرها على هديتها...

* قالوا: نظم الصقر قصيدة من الغزل في عصفور جميل مصبغ الريش، فكان مطلعها:

«ما ألدّ» ريشك أيها العصفور!

هكذا لغة السياسة.

* قد يُبطل المنطق كل الحجج إلا اثنتين: حجة السياسي القوي حين يغتصب الضعيف، وأختها حجة اللص الفاتك حين يُسأل من أين اشترى؟ فيقول: اشترت يميني من شمالي..

* لو سئل السياسي العظيم: أي شيء هو أثقل عليك؟ لقال: إنسانيّتي..!

* عندما يشرب الضعفاء من السراب الذي تخيله السياسة لأعينهم، يقدمون لهم المناديل النظيفة لمسحوا أفواههم.

* إذا رأيتَ شباب أمة يتنبلون بالثياب والزينة، فاعلم أنها أمة كذب ونفاق: يغطون الحقيقة الرخيصة بالثوب الغالي، ويكذبون حتى على الأعين.

مصطفى صادق الرافعي



كلمات لجبران خليل جبران

* الإيمان واحة مخضلة الجوانب في صحراء القلب، لا تبلغ إليها قوافل الفكر.

* ليس الشعر رأيًا تُعبّر الألفاظ عنه، بل هو أنشودة تتصاعد من جُرح دام، أو فم باسم.

* ليس لي أعداء يا رب، ولكن إذا كان لا بد من وجود عدو لي، فاجعل يا رب قوته مضارعة لقوتي، لكي لا تكون الغلبة إلا للحق!

* إنني سائح وملاح في وقت واحد، وفي كل صباح أكتشف قارة جديدة في نفسي.

* ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة!

* الحياة موكب عظيم: ينظر إليه بطيء الحركة فيحسبه سريعًا جدًا، ولذلك يهرب منه، وينظر إليه السريع الخُطى فيحسبه بطيئًا، فيهرب منه!

* يحتاج الحق إلى رجلين: الواحد لينطق به، والآخر ليفهمه!

* كثيرًا ما نغني لأولادنا لننام نحن أنفسنا.

* احفر أين شئت في الأرض تجد كنزًا، ولكن عليك أن تحفر بإيمان الفلاح..

* كثير من المذاهب كزجاج النافذة نرى الحقيقة من خلاله، ولكنه يفصلنا عن الحقيقة!

* لا تنبت الحرية إلا في أرض رويت بالدماء!

* الناس رجلان: رجل يستيقظ في الظلام، ورجل ينام في النور.

* ما عساي أن أقول في من يستدين مالي ليشتري سيفًا يحاربني به..!



آراء العظماء في المرأة والزواج

ما فائدة المرأة من التبرج والإسراف فيه، وتوجيه العناية الشديدة إليه؟ إن التبرج لا يخدمها إذا كانت فتاة، بل على النقيض ينفر منها طلاب الزواج، ويقصيه عنهما، ويجعل البعض منهم يرتابون في سلوكها، أما إذا كانت زوجة فإنما أسألها لمن تريد أن تتبرج؟ لقد تزوجت وانتهى الأمر، فعليها أن تكون بسيطة في مظهرها، وإلا ولدت الشكوك في قلب زوجها.

«ليون تولستوي»

لماذا تألم المرأة أفضع الألم عندما يخدعها الرجل، ولماذا يُحس الرجل بنفس هذا الألم عندما تخدعه المرأة؟

الجواب على ذلك: أن المرأة تعطي كل شيء، تعطي نفسها، أما الرجل فلا يعطي نفسه، بل يعيرها كي يستردها متى أراد إذا كان وضيع الخلق منحط

العاطفة والضمير، ولذلك يجب أن تحرص المرأة على عرضها ما استطاعت،
وتُدرك هذه الحقيقة حق الإدراك.

«بيير بنوا»

الحب لا يُفقد الرجل شيئاً، ولكنه يُفقد المرأة كل شيء، فإذا ما رغبت المرأة
في الانتفاع بالحب فعلها ألا تُحب غير زوجها الذي يضمن حياتها ويحيطها
بإطار ناصع، يرضى عنه المجتمع، ويمتعها بعاطفة الأمومة التي خلقت لها.

«أندريه مرورا»



المرأة

* قلب المرأة أعظم مصدر للحنان والعطف.

«لوثر»

* الرجال من صنع المرأة، فإذا أردتم رجالاً عظاماً أفاضل، فعلموا المرأة
ما هي عظمة النفس، وما هي الفضيلة.

«روسو»

* كل عمل مجيد وعظيم أساسه المرأة.

«لامارتين»

* في نظرات المرأة نعيم الحياة، وفي نبرات صوتها أناشيد الخلود.

«أناتول فرانس»

* المرأة راحة الجندي بعد المعركة.

«نيتشه»



حكم تولستوي

* الإيمان قوة الحياة.

* كما انه لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير قلب، كذلك لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير دين.

* دلتني خبرة عشرين عامًا أن السبب الأساسي لتفشي المجون والفساد سوء طريقة تلقين التعاليم الدينية.

* أصبحت محبة الوطن مجلبة لكثير من آلام هذا العالم.

* للحياة غرض فوق الآلام واللذة.



حق الجار

* قال رسول الله ﷺ: «أندرون ما حق الجار؟ إذا استعان بك أعتة، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن مات شيعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه، وإذا اشترت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرًا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك

إلا أن تغرف له منها»^(١).

* وقال: «أندرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله»^(٢).

* وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»^(٣).



□ في ذكرى المتنبى □

من شاعر إلى شاعر

بقلم شاعر مصر الأستاذ أحمد محرم

انظر إلى الدنيا عليك ترفرف	واسمع شعوبك في الممالك تهتف
ضجوا بذكرك فالقياصر خشع	بين المواكب والأرائك رُجف
تقف العواصف دون عرشك ركداً	والدهر يرمي بالعروش ويعصف
ويظل تاجك ماله من خاطف	والناس والتيجان حولك تخطف
ملك البيان إليك فوض أمره	فاحكم فأنت المالك المتصرف
تعب الخلود وما تعبت وإنني	لأرى الخلود يضيق عنك ويضعف
أنت ابتدعت الشعر ما الجديده	مثلٌ يُعد ولا طراز يُعرف
تلقي على المعنى المحجب نظرة	فإذا الروائع وُصِّح تتكشف

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٣٠)، وضعفه محققه: الشيخ حمدي السلفي. (س).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٦٠). (س).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٩) ومسلم (٤٧). (س).

الحكمة الغراء حف جلالها
والمدح يستهوى الرجال فمحجّم
والوصف تشربه النفوس وتتشي
والفخر بأنف أن تُقيم بمنزل
شعرٌ نظمت به الجمال مصورًا
أبقى (لسيف الدولة) الشرف الذي
شرفٌ تخلف بعده فكأنه
نجاه من غول الفناء فهذه
انزل بساحته فتلك ثمارها
الملك أفيح والجنود مغيرة
والفتح غادٍ في اللواء ورائح
لما رضيت عن (السواد) جعلته
ولقد رأيتك غاضبًا فإذا الدجى
(كافور) من حنقٍ عليك وإحنة
أوردته العذب الفرات فما ارتوى
لم ترض يومًا في حياتك موقفًا
(الأبيض الطماح) لم تحفل به
كنت العزيز الحر يُكرم نفسه
رمت (الولاية) بالقريض وأنه

سور عليه من البراعة زخرف
يلقى الفوارس أو بخيلٌ يُسرف
من حُسنه الأشياء ساعة توصف
حتى يكون لك المقام الأشرف
والنفس تُولع بالجمال وتشغف
ترك السيوف مشوقة تتشوف
باقٍ على طول المدى متخلف
دنياه مونقة ترفٌ وتنطف
تُجنى بأيدي الراغبين وتُقطف
والخيل تصهل والقواضب تُعرف
لا أنت تخطئه ولا هو يُخلف
نورًا يغار النور منه فيكسف
متبرم بسواده مستنكف
يهذي بذكرك ناقمًا يتأفف
حتى أحاط به الأجاج المتلف
يعلوه في الدنيا لغيرك موقف
لما رمي^(١) و (الأسود المتعسف)
ويعاف منزلة الذليل وبأنف
لك في النفوس ولاية ما تُصرف

(١) المراد به سيف الدولة، ورميه بالدواة في وجه المتنبّي وهو ينشده قصيدته:

«واحر قلباه ممن قلبه شيم»

(المضحكات بمصر) حيث رأيته^(١) وأرى (الثعالب) مثل عهدك تزحف^(٢)
 نظمت بدائعك المواكب فخمة ومشت تغني في البلاد وتعزف
 اليوم تُنصفك الدهور وما لنا غير الدهور لدى الحكومة منصف

أحمد محرم



النصائح العشر للزوجات

نشرت الكاتبة الانكليزية (مرغريت كندي) نصائح: زعمت أن سيدة إنكليزية أسدتها إلى ابنتها ليلة زواجها وهي:

١- وطدي النفس على اللحاق بزوجك إلى كل مكان، واستعدي لاحتمال مختلف ضروب الحياة غير متبرمة بها.

٢- اعلمي أنك مساوية لزوجك في الواجبات أيضًا لا في الحقوق وحدها. واعلمي أن عقله أوسع من عقلك، وإدراكه أدق من إدراكك، وأن من واجبك إطاعته.

٣- وإياك والغيرة فإنها إهانة لزوجك، وإهانة لشخصك أيضًا، وينبغي أن

(١) إشارة إلى قوله:

«وكم ذا بمصر من المضحكات»

البيت.

(٢) إشارة إلى قوله من قصيدة في كافور:

«نامت نواطير مصر عن ثعالبها»

تثقي بزوجك، وتعتمد على كلمته، وتشعريه بمسؤولياته، وذلك باحترامك إياه، وتأدية فروضك البيتية.

٤- لا تكذبي على زوجك، فالكذب مجلبة الاحتقار، ولا تكوني مثالا سيئا لأبنائك.

٥- لا تناقشي زوجك ولا تجادليه، ولا تحاولي التسلط عليه بعقلك، وأعربي له عن أفكارك وآرائك، ممزوجة بالعطف والحنان، فالحنان هو سلاح المرأة.

٦- اهتمي ببيتك أولاً، فالاهتمام بالبيت هو أول ما يُطلب من السيدة، ومتى كنت سيدة بيت كاملة تضاعف حب زوجك لك، وشعر بأنه لا يستطيع الاستغناء عنك.

٧- اغرسي في قلوب أبنائك حب قومهم وأهلهم إلى الحوادث الجيدة التي يتلى بها تاريخ بلادهم، واجعلي من حياة العظماء أمثلة عليا لهم.

٨- دعي ابنك يعالج الصعاب التي تعترضه في حياته بنفسه من دون مساعدتك، ليشعر باستقلاله الشخصي، وراقبيه عن بعد، وسددي خطواته.

٩- إياك ومعاقبة ابنك بالضرب؛ لأن الضرب يُذل النفس، ويُفقد الكرامة، ويغري بالكذب والجبن.

١٠- يجب أن تعيشي بفكرة أنك أنت وزوجك وأبناءك قطعة حية من أمتكم، على قدر احترامك لنفسك وأسرتك يكون احترام الناس لشخصك وأسرتك، الجامعة التي تنتسبين إليها.



لماذا أحب زوجتي؟

بقلم الصحفي روجيه لينوار

أود في هذا المقال أن أطلع الفتيات على الفضائل التي أقدرها في زوجتي والتي تحبها إليّ، علهن يتفعلن بها في حياتهن الزوجية المقبلة.

استطاعت زوجتي أن تحتل من قلبي المكان الأول لأنها:

أولاً: تجتهد في الاقتصاد والادخار بدون أن تُشعّرنني بأي نقص في نظام حياتنا المادية.

ثانياً: تحاول أن تكون باشة الوجه، متطلقة الأسارير، عندما أدخل البيت كأننا ما كانت همومها وأحزانها.

ثالثاً: تبذل قصارها للاهتمام بشؤوني الخاصة، والاشتراك في عملي اليومي.

رابعاً: تطالع لي مختلف المجلات والصحف والكتب لما أكون متعباً أو مريضاً.

خامساً: تتجنب مناقشتي وإثارة أعصابي في اللحظة التي أكون فيها متبرماً بالحياة، أو غاضباً عليها هي، أو ناقماً على واجبات مهتي المرهقة.

سادساً: تُشعّرنني في كل لحظة بأن بيتي جميل، وحوائجي مرتبة، والنظام التام يسود الحياة من حولي.

سابعاً: تهتم أعظم اهتمام بنظافة ولدنا الصغير وصحته، ومراجعة شتى الدروس التي يتلقاها في المدرسة.

ثامنا: تحاول أن تربي ولدنا تربية أساسها العقل والملاحظة والاقناع، لا التوبيخ الغليظ والعقاب البدني الوحشي.

تاسعا: تجتهد على الدوام في دراسة أخلاقي كي تعرف ما أرغب فيه قبل أن أعرب عنه.

عاشرا: تطيعني طاعة عاقلة رشيدة، تنم عن قلب طيب، ونفس سمحة، هذه هي الفضائل التي أقدرها في زوجتي وأحبها من أجلها.



أحب الزوجات إلى الرجل

سألت إحدى المجلات الفرنسية نفراً من كبار الأدباء عن أحب الزوجات إليهم، فقال (هنري دي مونترلان):

أحب الزوجات إليّ هي التي لا تحبني لمالي، ولا يفتر حبها لي إذا عصفت بي عواصف الفقر.

وقال (أندريه مورو):

أحب الزوجة التي تعاونني في عملي، وتُسهل لي سبيل التفكير والإنتاج.

وقال (بول موران):

أفضل الزوجة التي تقابل غضبي بالصمت، وكبريائي بالتواضع، وإخلاصي بالأمانة، وعرفان الجميل والطاعة.



نصائح إلى الأمهات

بقلم الصحفية سوزان نورمان

إليكن أيتها الأمهات عشر نصائح، لو عملتن بها لاستطاعت أقلكن تعليمًا وثقافة أن تنشئ أبناءها نشأة حسنة، تعود على البيت كله بالرغد والسعادة:

أولاً: دعي المدرسة تهتم بحشد المعلومات في رأس ولدك، وخذي أنت بمبدأ التربية عن طريق الملاحظة والتجربة، حاولي أن تكشف لولدك عن حقائق هذه الدنيا لا بواسطة الآراء والمبادئ النظرية، بل من طرق لفت نظره إلى الواقع، فإذا ما أردت العدول به عن ارتكاب فعلة وضیعة، فلا تكتفي بأن تشرحي له نتائجها، بل تناولي حادثة بارزة من الحوادث اليومية، تتجلى فيها تلك النتائج واضحة جلية، وهكذا ينتفع ابنك بنصيحتك. واعلمي أن القرة المسيطرة على الصبي هي قوة الواقع المحسوس، أما الإرشادات النظرية فلا تؤثر فيه فتيلاً.

ثانياً: تجنبي العقوبات البدنية ما استطعت، فإنها تُذل النفس، وتبلي الصبي بداء الخوف والنفاق وفقد الكرامة.

ثالثاً: وازني بين الحنان والصرامة في تربية ولدك، واعلمي أنه لن يحترمك في المستقبل إذا أسرفت في الحنان، أو إذا أسرفت في الشدة والصرامة.

رابعاً: إياك وإشعار ولدك بالخلافات التي تدب بينك وبين زوجك، فلا شيء يفسد نفس الصبي مثل رؤية الشجار ينشب بين المخلوقين اللذين يعتقد أنهما المثل الأعلى.

خامسًا: دربي أولادك على الاقتصاد، فإن من يقتصد في نفقاته وهو صبي يقتصد في عواطفه وغرائزه وهو كبير.

سادسًا: اشرح لأبنائك في إسهاب تاريخ وطنهم، وتخيري أمجد الحوادث وأروعها، واتخذي منها مادة حديثك اليومي، أما أبطال التاريخ فيجب أن تُشعري أولادك بأنهم بشر مثلنا، وأن في وسعنا جميعا الاقتداء بهم.

سابعًا: لا تكذبي أبدًا، ولا تكذبي على الأخص أمام أحد أبنائك، فالكذبة الصغيرة تخرج من شفتي الأم تكفي لتسميم أخلاق الصبي إلى الأبد.

ثامنًا: أطيعي زوجك يدين أولادك لك بالطاعة، ويشعروا أن للبيت رئيسًا يجب أن يُحترم ويطاع.

تاسعًا: إياك والتسامح مع أبنائك في هفوة من الهفوات مهما كانت بسيطة، إذ التسامح يشجع على الاستخفاف، وهو في الحقيقة رأس الرذائل.

عاشرًا: علمي أبنائك أن النظافة هي التي تميز الإنسان عن الحيوان بعد الإدراك والعقل.

الحادي عشر: اغرسي في قلوب أبنائك خوف الله.



بناء الأسرة ما هو الغرض من الزواج؟

وجهت إحدى الصحف الباريسية هذا السؤال إلى طائفة من مشاهير الأدباء والأديبات، وإليك بعض ما أجابوا به:

قالت مدام جان بالد: أعتقد أن الفتيات لو فهمن الغرض الحقيقي من الزواج؛ لتوطدت صروح معظم الأسر، ولم تعصف بها عواصف الشقاء. وعندي أن الغرض من الزواج هو السمو بالنفس إلى أوج التضحية، هو تدريب النفس على التضحية واستعدادها.

والواقع أن كلا من الزوجين يجب أن يضحي بنفسه في سبيل التعاون والتفاهم مع الآخر، وفي سبيل تربية الأبناء، فكل من يقدم على الزواج غير موطن نفسه على قبول التضحية، يستحيل عليه أن يشعر بالسعادة العظيمة التي ينطوي عليها هذا النظام الأبدي المقدس.

وقال الروائي آدمون جالو:

الغرض من الزواج في عرفي هو خدمة المجتمع عن طريق خدمة النفس وتنظيم غرائزها وميولها والاتجاه بها في الطريق السوي.

وحيث أن الأسرة صورة مصغرة للأمة، فغرض الزواج هو إنبات عناصر صالحة لخدمة الأمة، وعليه فغاية الزواج هي النسل وإنكار الذات في سبيل النسل.

وقالت الكاتبة الاجتماعية مدام سوزان نورمان:

للزواج أغراض كثيرة: أهمها التعاون على الحياة المادية، والشعور اليومي بالصدقة الوثيقة بين مخلوقين متفاهمين، وتنظيم الميول والأهواء الجنسية، وإنتاج نسل قوي صحيح سليم، ولكن أهم هذه الأغراض في نظري هو شعور الفرد بمعنى المسؤولية الذي يخلق منه بطلاً من أبطال الحياة اليومية.



الجنة الضائعة

لفقيد الأدب التونسي الأستاذ أبي القاسم الشابي

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الأسحار مُذهبة الأصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن أغاريد الطيور
والذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير
قضيتها ومعى الحبيبة لا رقيب ولا نذير
إلا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النмир
أيام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الأنيق وقطف تيجان الزهور
وتسلق الجبل المكمل بالصنوبر والصخور
وبناء أكواخ الطفولة تحت أعشاش الطيور
مسقوفة بالورد والأعشاب والورق الغضير
نبني فتهدمها الرياح فلا نضج ولا نثور
ونعود نضحك للمروج وللزنابق والغدير

ونخاطب الأصدقاء وهي ترف في الوادي المنير
 ونعيد أغنية السواقى وهي تلغو بالخرير
 ونظل نركض خلف أسراب الفراش المستطير
 ونمر ما بين المروج الخضر في سكر الشعور
 نشدو ونرقص - كالبلابل - للحياة وللجور
 ونظل ننثر للفضاء الرحب والنهر الكبير
 ما في فؤادينا من الأحلام أو حلو الغرور
 ونُشيد في الأفق المنور من أمانينا قصور
 أزهى من الشفق الجميل ورونق المرج الحضير
 وأجل من هذا الوجود وكل أمجاد الدهور
 أبداً تدلنا الحياة بكل أنواع السرور
 وتبث فينا من مراح الكون ما يغوى الوقور
 فنسير ننشد لهونا المحبوب في كل الأمور
 ونظل نبعث بالجليل من الوجود وبالحقير:
 بالسائل الأعمى وبالمعتوه والشيخ الكبير
 بالقطعة البيضاء بالشاة الوديدة بالحمير
 بالعشب فالفنن المنور بالسنا بل بالسفير^(١)
 بالرمل بالصخر المحطم بالجداول بالغدير

(١) السفير: ما تساقط من أوراق الشجر.

واللهو والعبث البريء الخلو مطمحننا الأخير
ونظّل نقفز أو نغني أو نثرثر أو ندور
لا نسأم اللهو الجميل وليس يُدركنا الفتور
فكأننا نحيا بأعصاب من المرح المثير
وكأننا نمشي بأقدام مجنحة تطير
أيام كنا لب هذا الكون والباقي قشور
أيام تفرش سبلنا الدنيا بأوراق الزهور
وتمر أيام الحياة بنا كأسراب الطيور
بيضاء، لاعبة مفردة مجنحة بنور
وتترفرف الأفراح فوق رؤوسنا أنى نسيرا
آه توارى فجري القدسي في ليل الدبور
وفنى كما يفنى النشيد الحلو في صمت الأثير
أواه قد ضاعت عليّ سعادة القلب الغرير
وبقيت في وادي الزمان الجهم أدا ب في المسير
وأدوس أشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير
وأرى الأباطيل الكثيرة والمآتم والشرور
وتصادم الأهواء بالأهواء في كل الأمور
ومذلة الحق الضعيف وعزة الظلم القدير!
وأرى ابن آدم سائرا في رحلة العمر القصير

ما بين أهوال الوجود وتحت أعباء الضمير
 متسلقاً جبل الحياة الوعر كالشيخ الضرير
 دامي الأكف ممزق الأقدام مغير الشعور
 مترنح الخطوات ما بين المزالق والصخور
 هالته أشباح الظلام وراعه صوت القبور
 ودوي أعصار الأسى والموت في تلك الوعور!
 ماذا جنيْتُ من الحياة ومن تجارب الدهور
 غير الندامة والأسى واليأس والدمع الفزير
 هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير
 هذا حصادي كله في يقظة العهد الأخير
 قد كنتُ في زمن الطفولة والسذاجة والطهور
 أحيا كما تحيا البلبال والجداول والزهور
 لا تحفل الدنيا تدور بأهلها أو لا تدور
 واليوم أحيا مرهق الأعصاب مثوبب الشعور
 متأجج الإحساس أحفل بالعظيم وبالحقير
 تمشي على قلبي الحياة ويزحف الكون الكبير
 هذا مصيري يا بني الدنيا فما أشقى المصير



رجال التاريخ

- * إذا أردت أن تتكلم عن ميت، فضع نفسك في موضعه ثم تكلم.
- * لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم، ما ملأوا دارًا صغيرة.
- * للتاريخ حدود كممالك الأرض، فلا يتسع إلا لعدد محدود.
- * ليس المصلح من استطاع أن يُفسد عمل التاريخ، فهذا سهل ميسر حتى للحمقى، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يُفسد عمله من بعده.
- * إذا كنتَ قائدًا عظيمًا في أمة ذليلة فقيرة، استطعت أن تكون نبيًا فيها بنصب شناقين، وما أسرع ما يعتقدون أن الذي معه عزرائيل كالذي معه جبرائيل..
- * هنا مسألة اقتصادية: فهذا مسجد واسع مفتوح لا يؤجر بإيجار ينتفع به، أفليس الإصلاح أن يحول المسجد دار صناعة مثلاً؟ بلى أيها الحاكم، إن هذا هو إصلاحك الطبيعي، ما دام عقلك كيس دراهم، وما دامت بلادك بلاد إفلاس..!

مصطفى صادق الرافعي



خداع الظواهر!

دخلتُ صيدلية، ورأيت بأحد أجنحتها مجموعة من القوارير البديعة المنظومة المنسقة المنسجمة، وعلمت مما هو مرقوم عليها أنها سموم.

وقد تبادر إلى ذهني فوراً خداع الظواهر، فلو كنتُ أميًا لوددت أن أقتني هذه المجموعة النادرة في منزلي دون أن أعلم أنها تحمل الموت الزؤام!

نحن نعيش في الحياة أمين، لأن صيدلية الحياة غير منسقة ولا مرتبة،
والعقاقير التي فيها غير مرقومة حتى نعرف خيرها من شرها.

وقد نشأ عن ذلك أن العالم والجاهل يعيشان فيها على قدم المساواة! ولولا
شيء من التجارب والاختبارات الموروثة لكننا فيها كالأطفال الرضع: لا نعرف
التمر من الجمر!

إن الأشياء تخدعنا بظواهرها وألوانها: النار تُحرقنا وهي جميلة، والماء
يُغرقنا بأسلاك قاهرة يجرننا منها حتى يردينا، ويجعلنا مضغة في الأفواه! وكل
شيء فائن ساحر، يجرب فينا فتنته وسحره، فينجح في كل تجربة! دون أن يجد
منا تمنعًا أو تحفظًا أو احتياظًا.

وليس خداع الظواهر مقتصرًا على الأشياء وحدها والظروف والحوادث،
ولكن الناس أنفسهم يخدع بعضهم بعضًا: الشكل، والهندام، والقوام،
والريش، وحسن البزة، كثيرًا ما تكون صمامات جميلة لقوارير مفعمة بالسم
الفتاك!

كثيرًا ما سمعنا بالدجالين والنصابين من كل شكل ولون؛ وظننا أن الدجل،
والنصب، والحيلة، أصبحت أمورًا مفهومة للكافة، ولكننا لا نلبث أن نرى
الناس يقعون فيها فريسة بعد فريسة، كأننا لم نسمع بها من قبل.

يجب أن نحترس من الظواهر، حتى لا يخدعنا شكل فاخر، أو لون جميل.
ولا تغرينا ملذة تجربنا في النهاية إلى الندم والحسرة، ولا تبسم لنا المحرمات،
وهي جماع الخداع والغش والغرور، فتقابل البسمة بالبسمة، ثم ننظر في المرأة
فنجد عيوننا تذرف الدموع!

يجب أن نجتمع كل ما في أنفسنا من شك وريبة ووسوسة، فنلقى بها جميعًا

حيث توجد الخلافة، والفتنة، والمغريات، والألوان البهيجة، المزخرفة،
الموشاة!

محمد محمد الصبحي



الصديق الزائغ

قال الشريف الرضي:

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه	أبى بعد طول الغمز أن يتقوما
تقبلت منه ظاهراً متبلجاً	وأدمج دوني باطناً متجهما
فأبدى كروض الحزن رقت فروعه	وأضمر كالليل الخداري مظلما
ولو أنني كشفت عن ضميره	أقمت على ما بيننا اليوم ماتما
فلا باسقا بالسوء-إن ساءني- يداً	ولا فاغراً بالدم-إن رابني- فما
كعضوٍ رمت فيه الليالي بفادح	ومن حمل العضو الأليم تالما
إذا أمر الطب اللبيب بقطعه	أقول عسى-ضنا به- ولعل ما
صبرت على إيلامه خوف نقصه	ومن لام من لا يرعوى كان ألوما
هي الكف مضّ تركها بعد دائها	وإن قُطعت شانت ذراعاً ومعصما
أراك على قلبي وإن كنت عاصياً	أعز من القلب المطيع وأكرما
حملتك حمل العين لج بها القذى	فلا تنجلي يوماً ولا تبلغ العمى
دع المرء مطوياً على ما ذمته	ولا تنشر الداء العضال فتندما
إذا العضو لم يؤلمك إلا قطعه	على مضض لم تُبق لحماً ولا دما
ومن لم يُوطن للصغير من الأذى	تعرض أن يلقي أجل وأعظما

فهرس الموضوعات

٥	المقدمة
٩	ترجمة الأستاذ محب الدين الخطيب
٢٥	* الجزء الأول
٢٨	في ذكرى عام؛ لمنصور فهمي
٣١	من قديم مصر حتى حديثها؛ لأحمد شوقي
٣٧	الذئب والشاعر؛ للنجاشي الشاعر
٣٩	الإحسان إلى أهل الأذى (بعض قصص البادية)
٤٠	الثوب الأحمر (قصة عربية)
٤٣	نشيد سعد زغلول؛ لمصطفى صادق الرافعي
٤٦	مزية الإسلام؛ لكارليل
٤٦	آل السلطنة؛ لمعروف الرصافي
٤٨	من حكم الفرس
٤٨	الحمامة؛ من الشعر القديم
٤٨	القلم؛ لأبي بكر الصولي
٥٤	مملكة النحل؛ لأحمد شوقي
٥٨	الانكليز يحترمون الصراحة؛ لجليوم الثاني
٥٨	من أمثال العرب

- ٦٢ قلب الشاعر؛ لبشارة الخوري
- ٦٤ حضارة العرب؛ لسعد بن محمد
- ٦٤ الإنسان ابن السعي
- ٦٤ العرب؛ للسان الدين الخطيب، وابن المقفع
- ٦٥ عدنان وقحطان؛ ليزيد المهلب
- ٦٦ دار الآثار العربية؛ لمحمد الهراوي
- ٦٦ السلف الماجدون؛ لمعن بن أوس
- ٦٧ الواجب القومي
- ٦٧ السجايا الخالدة
- ٦٧ أخلاق العرب؛ لسويد الشكري
- ٦٨ يوم الخلاص؛ لحافظ إبراهيم
- ٧٠ بين عامين؛ لمي زيادة
- ٧٢ إسماعيل صبري باشا؛ لخليل مطران
- ٧٣ الخطوة الأخيرة؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٣ تمثال جمال؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٣ طيف الود؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٣ فؤادي؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٣ نكري الشباب؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٣ لى الله؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٤ ماعات الألم؛ لإسماعيل صبري باشا

- ٧٤ الحياة والموت؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٤ يا آسى الحي؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٤ الشباب والمشيب؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٥ ريحانة أنت؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٧٥ صيانة العلم
- ٧٥ الخاتم النبوي؛ لأبي بكر الصولي
- ٧٧ الأختام العربية؛ لأبي بكر الصولي
- ٧٨ اللحن؛ لأبي بكر الصولي
- ٧٩ الملق في المكاتب؛ لأبي بكر الصولي
- ٨٠ النهي عن الكبر؛ لأحمد بن إسماعيل الكاتب
- ٨١ سياسة البلاغة؛ لطاهر بن الحسين
- ٨١ جمال الطبيعة في الصحراء؛ للمناذري
- ٨٢ التاريخ عند العرب؛ لأبي بكر الصولي
- ٨٤ نحاول ملوكًا؛ لامريء القيس
- ٨٤ الديوان في الدولة العربية؛ للصولي
- ٨٧ خليفة عربي بين يدي القاضي؛ للصولي
- ٨٨ استعجام الدولة العربية - لأبي العلاء المعري
- ٨٨ الديموقراطية العربية؛ للصولي
- ٨٩ حلم ملك عربي في أوروبا
- ٨٩ الساعة العربية في دمشق في القرون الوسطى؛ لابن جبير

- ٩٠ الشعر؛ لحسان، وابن دريد
- ٩١ النيل؛ لأحمد شوقي
- ١٠١ أين وطني؟ لمي زيادة
- ١٠٥ نحن والماضي؛ لمعروف الرصافي
- ١٠٦ تشيد المجد الجديد؛ لأبي الطيب المتنبي
- ١٠٧ الإيجاز؛ للصولي
- ١٠٩ الشورى؛ حوار بين الأصمعي وبشار
- ١١٠ سيروا بنا؛ للكاظمي
- ١١٥ الدم العربي في مصر؛ للدكتور أباتا باشا
- ١١٧ متى؟ للمعري
- ١١٧ لا يكون السري جاهلاً؛ للأفوه الأودي
- ١١٧ دمشق وبغداد؛ لمحمد رضا الشيباني
- ١١٩ سلية عدنان؛ لعلي الجارم
- ١١٩ روائع أبي الطيب المتنبي
- ١٢١ الوطن؛ لابن الرومي
- ١٢٢ الحليف الصادق؛ ليحيى بن منصور الحنفي
- ١٢٢ المسلم في الفتنة؛ للحسن البصري
- ١٢٢ حلم الحياة؛ لأبي النجم العجلي
- ١٢٣ الشورى؛ لبشار بن بُرد
- ١٢٣ عروس اللغات؛ لمحمد الهراوي

- الوطن؛ لابن الرومي ١٢٤
- الحزم؛ لأكثم بن صيفي ١٢٤
- التربية في قصور بني أمية ١٢٤
- مدينة أوربا ومدينة الإسلام؛ للفيلسوف نيشته ١٢٥
- يا زمان؛ لخير الدين الزركلي ١٢٦
- البنات؛ لمعن بن أوس ١٢٨
- الكرم؛ للبستي ١٢٩
- لم تف يا قمر؛ لخير الدين الزركلي ١٢٩
- عصفورة النيرين؛ لخير الدين الزركلي ١٣١
- هداية الشعر؛ لأبي تمام ١٣٢
- بيان المجد؛ للمتوكل الليثي ١٣٢
- الرياء؛ للتهامي ١٣٢
- يوم التحاليق ١٣٣
- كرم أمير عالم ١٣٤
- البلاغة؛ لخالد بن صفوان ١٣٥
- كما تريد تكون ١٣٥
- القضاء في الإسلام ١٣٥
- الحرية ١٣٨
- لو أنصف القاضي ١٣٨
- حكم عربية ١٣٩

- ١٣٩ شذرات؛ لجبران خليل جبران
- ١٤١ من مصر إلى الأندلس؛ لأحمد شوقي
- ١٤٨ بين العراق والشام؛ لرضا الشيبى
- ١٤٨ متى تجب الحرب؟ لبشار بن برد
- ١٤٩ * الجزء الثاني
- ١٥١ مقدمة
- ١٥٣ عبد الملك بن مروان؛ لأبي حيان التوحيدي
- ١٥٥ صقر قریش عبد الرحمن الداخل؛ لشوقي بك
- ١٦٤ جنة الدنيا (دمشق)؛ لشوقي بك
- ١٦٨ دمشق شوقي؛ للأمير شكيب أرسلان
- ١٧٢ هل استيقظ الشرق؟
- ١٧٣ الشعر والمطمح القومي؛ لمحج الدين الخطيب
- ١٧٩ العربية والإنكليزية؛ للقس زویمر
- ١٧٩ أسنان الذهب عند العرب؛ للسيوطي
- ١٨٠ النقود الإسلامية في شمال أوربا؛ لمحمود بك سالم
- ١٨٠ قتل الأفراد وقتل الأمم؛ لأديب إسحاق
- ١٨١ الزكاة الشرعية؛ للشيخ عبد القادر المغربي
- ١٨٦ صحبة الناس؛ من شعر ابن رشيق
- ١٨٧ حول المعجم العربي؛ لمحج الدين الخطيب
- ٢٠٦ ذات الأمثال؛ لأبي العتاهية

- ٢٠٨ ساعة المنجاة في تلمسان؛ لأبي عبد الله التونسي
- ٢٠٩ المصائب؛ لمحبة الدين الخطيب
- ٢١١ الأصحاب؛ لأبي العتاهية
- ٢١١ جواهر كتاب الآداب؛ لابن المعتز
- ٢١٩ جملة من الفصول الصغار؛ لابن المعتز
- ٢٢٠ قوة الحق؛ لمحبة الدين الخطيب
- ٢٢٢ إصلاح الأسرة؛ لشارل وانير
- ٢٢٣ إفلاس الحضارة الغربية؛ لمدام سان بوان
- ٢٢٧ الإفرنجي أمس واليوم؛ للأمير شبيب أرسلان
- ٢٢٧ الاتحاد قوة والتفرق ضعف؛ للشيخ مصطفى عناني
- ٢٢٩ على ضريح خالد بن الوليد؛ للشيخ فؤاد الخطيب
- ٢٣٠ الديك؛ لابن معمعة الحمصي
- ٢٣٢ الوطن المصري؛ لعبد الرحمن زغلول
- ٢٣٣ الأزهر؛ (أبيات من قصيدة) لأحمد شوقي
- ٢٣٤ شيء عن أبي العتاهية: عن كتاب الأغاني
- ٢٤٠ الأرض؛ للشيخ فؤاد الخطيب
- ٢٤٢ الأرض؛ لجبران خليل جبران
- ٢٤٣ ألف ليلة وليلة؛ لمحمود بك تيمور
- ٢٤٦ الرشيد ورثاء بني أمية؛ لأبي سعيد مولى فائد
- ٢٤٧ حفيد عبد الملك بن مروان في حرب العباسيين

- ٢٤٧ وجهة الشعر؛ للأصمعي
- ٢٤٨ من شعر أمية بن أبي الصلت
- ٢٤٩ حفيرة السوء؛ قصة لإبراهيم بن هرمة
- ٢٥٠ أبو نواس ينتقد الشعر
- ٢٥٠ إلى جزيرة العرب؛ للشيخ فؤاد الخطيب
- ٢٥٣ إسراف البرامكة وتبذيرهم
- ٢٥٨ القانون والأخلاق؛ لغوستاف لوبون
- ٢٥٩ مصر والشام؛ للسيد محمد الشريقي
- ٢٦٢ في قصر مسلمة بن عبد الملك؛ عن كتاب الأغاني
- ٢٦٢ شاعر شعوبي (إسماعيل بن يسار)؛ عن كتاب الأغاني
- ٢٦٤ إبراهيم الموصلي والرشيد
- ٢٦٥ ظئر الإسلام؛ لأحمد شوقي
- ٢٦٨ الوطنية؛ لفلاديمير دورميسون
- ٢٦٨ انتشار شعر المتنبي في حياته؛ عن تذكرة ابن العديم
- ٢٦٩ سورية الشهيدة؛ لخير الدين الزركلي
- ٢٧٢ العدل في القوانين؛ لأناتول فرانس
- ٢٧٣ * الجزء الثالث
- ٢٧٥ مقدمة الجزء الثالث
- ٢٧٦ الشرق الناهض؛ لمحمد رضا الشيبلي
- ٢٧٨ التربية الرياضية؛ للغزالي

- ٢٧٨ رسالة القاضي الفاضل إلى أخيه عبد الكريم
- ٢٨٠ جبابرة الأرض؛ لأناتول فرانس
- ٢٨٠ الليلة الرهيبة؛ للشيخ فؤاد الخطيب
- ٢٨٢ لا طَفَرَة؛ لأناتول فرانس
- ٢٨٣ آراء؛ لأناتول فرانس مترجمة بقلم عمر الفاخوري
- ٢٨٧ يوم الفرع الأكبر في دمشق؛ لخليل بك مَرْدَم
- ٢٨٩ كيف صار روكفلر غنيًا؟
- ٢٨٩ سبب انحطاط الشرق؛ لغوستاف لوبون
- ٢٩٠ جنون التجدد الكاذب؛ من مقالة منشتر غارديان
- ٢٩١ سقوط همة المتبرنطين؛ للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٢٩٢ قصر الحمراء؛ لمعروف الرصافي
- ٢٩٣ حقائق الحيوانات في الحضارة العربية
- ٢٩٣ العرب مكتشفو حقيقة انكسار النور
- ٢٩٣ صناعات أبناء الملوك
- ٢٩٤ البحر؛ لخليل بك مردم
- ٢٩٦ المتنبي وابن جني؛ لابن العديم
- ٢٩٦ الوفاء؛ لخليل بك مطران
- ٢٩٧ زهد علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٣٠٠ العقل
- ٣٠٠ الزهد في الحياة؛ لأبي العلاء المعري

- شيء عن الشعر ٣٠١
- الجواب الحاضر؛ للشيخ عبد القادر المغربي ٣٠٤
- آيات في الدنيا وأبنائها ٣٠٩
- تحليل شاعرية شوقي؛ للدكتور محمد حسين هيكل ٣٠٩
- الشرق والغرب؛ للأمير شكيب أرسلان ٣١٧
- يوم الميدان (بدمشق)؛ لأديب التقي ٣١٩
- ما أتخوفه على الكاتبات؛ للأستاذ جبر ضومط ٣٢١
- حضارة العرب في الأندلس ٣٢٢
- طه حسين في ميزان التشكيك؛ للأستاذ إبراهيم المازني ٣٢٤
- الملكة السجينة (النحلة)؛ للدكتور أبي شادي ٣٣٠
- معرّة النعمان؛ لابن الوردي ٣٣٠
- الحزم؛ لابن المقفّع ٣٣١
- التقليد في الزندقة؛ للجاحظ ٣٣١
- الشكوكيون؛ لمحمد بن المويلحي ٣٣٢
- الصبر والشجاعة في الهداية الإسلامية؛ للمغربي ٣٣٢
- أعظم مطبعة في العالم ٣٣٩
- موت العلماء؛ لأبي العلاء المعري ٣٣٩
- نبوغ أبي العلاء في الحفظ؛ للعلامة عبد العزيز الراجكوتي ٣٤٠
- الأنظمة والأخلاق؛ لغوستاف لوبون ٣٤٩
- قدّم الشعر العربي عن المقتطف ٣٤٩

- محافظةون... لمحبة الدين الخطيب ٣٤٩
- وحدة اللغة في الوطن السامي؛ للأستاذ سايس ٣٥٥
- حكمة؛ لعبد العزيز بن زرار ٣٥٥
- المرأة العربية؛ للشيخ عبد الله عفيفي ٣٥٥
- المد يحمل البريد ٣٥٨
- فتى العرب؛ لمحمد الهاشمي ٣٥٩
- النظم والشعر؛ للأستاذ محمد صادق عنبر ٣٦١
- كلمات حكمة ٣٦٤
- نوح العندليب؛ لشفيق جبري ٣٦٤
- الكلديون والمقاييس عن المقتطف ٣٦٥
- تمايز مدنيتي الشرق والغرب؛ لطاغور ٣٦٦
- السياسة؛ لغاندي ٣٦٧
- بني يعرب؛ للحوماني ٣٦٧
- الحج؛ للأستاذ محمد صادق عنبر ٣٦٨
- النبي محمد ﷺ؛ للدكتور أبي شادي ٣٧٢
- البحر الأحمر أمس واليوم؛ لأحمد زكي باشا ٣٧٢
- قلعة حماه؛ لعمر يحيى ٣٧٣
- نفس الزاهد ٣٧٥
- دار ابن لقمان؛ للدكتور أبي شادي ٣٧٥
- عبء الشهرة؛ لطاغور ٣٧٨

- الشاعر؛ لخليل بك مرّدم ٣٧٨
- من أسباب عظمة أمريكا ٣٨١
- الحرية؛ لشفيق بك جبري ٣٨١
- العربية في أمريكا قبل اكتشافها؛ لبرتن كلين ٣٨٢
- جهد المقل؛ لخليل بك مرّدم وشكيب أرسلان ٣٨٣
- الإجرام السياسي؛ للدكتور أبي شادي ٣٨٤
- * الجزء الرابع ٣٨٧
- مقدمة الجزء الرابع من الحديقة ٣٨٩
- مظهر من مظاهر حضارتنا ٣٩٠
- ساعة عربية في زمن المستنصر العباسي ٣٩٠
- الحضارة الغريبة؛ لمصطفى صادق الرافعي ٣٩٢
- عرس الأصيل؛ لأبي شادي ٣٩٣
- بنو هاشم وبنو أمية في نظر علي ومعاوية عليهما السلام ٣٩٣
- أبو إسحاق الغزي: قطع مختارة من شعره ٣٩٤
- مقاطعة المستبدین؛ لبهجة الأثري ٣٩٥
- الغنية، نفس الشريف ٣٩٨
- جهاد مصر الوطني (ذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨)؛ لشوقي ٣٩٩
- تبسم للحياة؛ لأبي شادي ٤٠٢
- حضارة العرب وفلسفتهم؛ للأمير شكيب أرسلان ٤٠٢
- فضل الحضارة الإسلامية على الطب؛ للدكتور محمد شرف ٤٠٧

- أوراق الخريف؛ لأبي شادي ٤١٠
- التصوير العربي ٤١٢
- ثراء اللغة العربية؛ لمحمود شكري الألوسي ٤١٢
- باني الهرم؛ لحافظ إبراهيم ٤١٤
- أدب في المذهب لا مذهب في الأدب؛ لصادق عنبر ٤١٥
- الموازين العربية الدقيقة؛ للمسيو أبيه مريه ٤١٨
- أقدم الخرائط الرمزية من اليمن ٤١٩
- حلب الشهباء واليمن؛ للحوماني ٤١٩
- الرضا والزهد ٤٢٠
- زهد الألوسي؛ لأنستاس الكرمي ٤٢١
- روح الألوسي؛ لعز الدين علم الدين ٤٢٢
- الألوسي والمنفلوطي؛ لبدوي الجبل ٤٢٣
- حكم ٤٢٤
- التضحية؛ للدكتور عبد العزيز بك أحمد ٤٢٥
- الرشد؛ لابن المعتز ٤٢٨
- صبا نجد؛ لابن الطَّيْرَة ٤٢٨
- أم الخير ابنة الحريش ٤٢٨
- الزبير بن العوّام وأمه؛ لحسان بن ثابت رضي الله عنه ٤٣٤
- حكم ٤٣٧
- طلب المعالي؛ لإبراهيم حفيد الحسن المثنى ٤٣٧

- ٤٣٨ الدنيا؛ للقاهر بالله العباسي
- ٤٣٨ العصفور؛ لأبي شادي
- ٤٣٩ سبيل الحياة؛ لمرواه بن الحكم
- ٤٣٩ الشيب؛ للمستنجد بالله العباسي
- ٤٤٠ ثورة معرة النعمان سنة ٤١٧هـ
- ٤٤٣ أنا ونفسي؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ٤٤٥ الصديق العاقل والصديق الجاهل؛ لابن المقفع
- ٤٤٦ الصديق الكامل؛ لصادق عنبر
- ٤٤٨ الإخوان في النوائب؛ لابن المقفع
- ٤٤٨ اللغة الخالدة؛ لإدوار مرقص
- ٤٤٩ جمى العروبة؛ لبهجة الأثري
- ٤٥٢ دار العلم بطرابلس الشام
- ٤٥٣ السعادة؛ لأبي شادي
- ٤٥٣ الاستعمار، الحماية، الانتداب
- ٤٥٤ زهد الشيخ طاهر الجزائري
- ٤٥٨ الناس؛ للمعري
- ٤٥٨ الدهر؛ لأبي الطاهر السرقسطي
- ٤٥٩ بين الحاضر والماضي؛ لعمر يحيى
- ٤٦١ الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم
- ٤٦١ بعض كلمات تاغور

- ٤٦٣ إلى حماة اللغة؛ لأمين بك ناصر الدين
- ٤٦٦ زفرة في ليل؛ لفتى دمشقي
- ٤٦٨ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في بيته
- ٤٦٩ النشيد الوطني؛ لناشئة اللقاء للحوماني
- ٤٧١ خزائن الكتب والمطالعة؛ للورد أفبري
- ٤٧٤ أيها العرب؛ للكاظمي
- ٤٧٥ الجامعة العربية؛ لجب
- ٤٧٥ للفقراء مجاناً (قصة)؛ لمحمد بك تيمور
- ٤٧٩ الدواة؛ لإسماعيل صبري باشا
- ٤٨٠ سياحة في كتاب البؤساء؛ لصادق عنبر
- ٤٨٢ أذكى العرب وأذكى العجم
- ٤٨٢ الغد؛ لشوقي بك
- ٤٨٣ غفلاتنا؛ لأحمد محرم
- ٤٨٤ أحدث طباعة
- ٤٨٥ مكانة الولد من قلب الوالد؛ لعمر بن شأس
- ٤٨٦ حامد البقار؛ لأبي شادي
- ٤٨٧ دار الحزن؛ لأحمد شوقي
- ٤٨٧ ربيع البائس؛ لعمر يحيى
- ٤٨٨ كلمة؛ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ٤٨٩ * الجزء الخامس

- ٤٩١ مقدمة الجزء الخامس من الحديقة
- ٤٩٢ شعرنا وشاعرنا؛ لمحِب الدين الخطيب
- ٥٠٩ شعر المرأة للمتنبى وابن المعتز
- ٥٠٩ وادي موسى ومدينة سلع؛ للشيخ فؤاد الخطيب
- ٥١١ بقية قلم؛ للشيخ محمد الخضر حسين
- ٥١٢ قوس قُزَح؛ للدكتور أبي شادي
- ٥١٤ قيمة الوقت؛ لابن الجوزي
- ٥١٥ اغتيال الفاروق الأعظم؛ لعمر بن ميمون الأودي
- ٥٢٠ ذكرى شهداء العرب؛ لمحمد بهجة الأثري
- ٥٢٦ العربية في اللغة الأسبانية عن مجلة الشمس
- ٥٢٦ قاضي مصر قبل ١٢٣٠ سنة؛ لأبي عمر الكندي
- ٥٢٨ عهد دار العلوم إلى بنينا؛ للشيخ محمد عبد المطلب
- ٥٣١ مفتاح الاستقلال: كلمة لمحرر الأمة المجرية
- ٥٣١ عظم الهمة؛ للشيخ محمد الخضر حسين
- ٥٤٠ لولا تجلد شار مارتل؛ لشبلي بك ملاط
- ٥٤١ اللغة والأمة؛ للأستاذ صادق عنبر
- ٥٤٣ جوامع الكلم
- ٥٤٤ المدنيات الثلاث؛ للمسيو توسين والأمير شكيب
- ٥٤٥ فضل العلماء أحاديث نبوية
- ٥٤٦ صدق المحامي: خطبة لسعد باشا

- ٥٤٨ التشجيع على الصدق: مأثرة لابن عمر
- ٥٤٨ الدقائق؛ للدكتور أبي شادي
- ٥٤٩ دائرة المعارف الإسلامية والملك فؤاد
- ٥٥٠ طريقة الغرب في الاستيلاء على الأمم؛ للأمير شكيب
- ٥٥٣ وارث العالم؛ لأحمد شوقي
- ٥٥٣ بين صحابين: أبي الدرداء وسلمان الفارسي ؓ
- ٥٥٤ يا أيها الناس؛ لمحمد الشريقي
- ٥٥٦ القناعة وغنى النفس: أحاديث نبوية
- ٥٥٧ حَمَلَة الإسلام على رذيلة الاستجداء: أحاديث نبوية
- ٥٦١ المؤمن القوي والمؤمن الضعيف: أحاديث نبوية
- ٥٦١ الحكومة تُبنى على الحكمة؛ للحسن البصري
- ٥٦٢ عمر بن الخطاب ؓ وأحد عماله
- ٥٦٣ الكناري السجين؛ للدكتور أبي شادي
- ٥٦٤ رأي كيلنغ في البشر
- ٥٦٤ الفلسفة والعلم والدين؛ للشيخ عبد الباقي نعيم سرور
- ٥٦٧ من قوى الإسلام الكامنة؛ للدكتور أنسباتو
- ٥٦٨ شقوة العلم ونعمة الخيال؛ للشيخ فؤاد الخطيب
- ٥٧٠ محمد ﷺ: من همزية البوصيري
- ٥٧١ عائشة ؓ على قبر أخيها؛ لعبد الله بن أبي مليكة
- ٥٧١ الأنظمة الإسلامية؛ للشيخ عبد الباقي سرور نعيم

- الكذب: أحاديث نبوية ٥٧٤
- حملة التجديد والإصلاح؛ لمحِب الدين الخطيب ٥٧٥
- صدق اللهجة؛ للشيخ محمد الخضر حسين ٥٨٤
- المعارض وجوازها في ثلاث خصال: أحاديث نبوية ٥٩٧
- الحكمة في الغزل؛ لأمين بك ناصر الدين ٥٩٨
- مدينة الدار: صفحة من التاريخ العربي المجهول؛ لمحِب الدين الخطيب ٦٠٠
- كُتبي يفحم شاعرًا ٦٠٥
- دمعة في فجر؛ لسليم الزركلي ٦٠٦
- العرب والكرة الأرضية ٦٠٧
- الشاعر؛ للشيخ محمد الخضر حسين ٦٠٨
- مكتبة الجمعية الجغرافية بلندن ٦٠٩
- صفة أهل الأندلس؛ للوزير لسان الدين بن الخطيب ٦١٠
- نسمة أزهار الأندلس؛ لأحمد شوقي وإسماعيل صبري ٦١٣
- الغزالي في دور انتقاله من العلم إلى الزهد ٦١٤
- القائمون لله بالحجة؛ لعلي عليه السلام ٦١٤
- * الجزء السادس ٦١٧
- مقدمة الجزء السادس من الحديقة ٦١٩
- كلمات الصديق عليه السلام ٦٢٠
- صقر قریش للشيخ؛ للسيد محمد الخضر حسين ٦٢٤
- في الحضارة العربية: صناعة الزجاج ٦٣٢

- ٦٣٤ إفشاء سر عظيم
- ٦٣٤ بلاغة النبي الكريم ﷺ؛ للرافعي
- ٦٣٥ الآخرة؛ كلمة للدكتور صرُوف
- ٦٣٦ برامجن؛ لشوقي
- ٦٣٦ من أساطيرنا: الهديل
- ٦٣٦ آن لي أن أصحو من غفلي
- ٦٣٧ الآيتان
- ٦٣٨ التاريخ: توسيع الثلثة
- ٦٣٨ الزبَّاء؛ لمحمد سعيد إبراهيم
- ٦٤٢ من إلهامات جزيرة العرب
- ٦٤٢ جهاد مصر الوطني؛ لأحمد شوقي
- ٦٤٣ في الحضارة العربية: ساعة في شمعة
- ٦٤٤ من القاضي أبي يوسف إلى هارون الرشيد
- ٦٤٧ الشاعر؛ لأنور العطار
- ٦٥٠ خطبة نبوية
- ٦٥١ وصية أبي بكر إلى عمر رضي الله عنه
- ٦٥٢ من كلمات عمر رضي الله عنه
- ٦٥٢ عمر رضي الله عنه بين الدنيا والآخرة
- ٦٥٢ وصية عمر رضي الله عنه إلى الخليفة بعده
- ٦٥٣ واجب الحكومة وواجب الأمة

- ٦٥٣ سياسة عليّ عليه السلام بين شعبه وأمرائه
- ٦٥٤ الطبيعة؛ لأبي شادي
- ٦٥٦ شاب يملك غضبه
- ٦٥٦ زينة الشباب: ملك عربي فتى
- ٦٥٨ كلمنصور وجان دارك
- ٦٥٩ القطرات الثلاث؛ لرضا الشيبلي
- ٦٦١ من كلمات عمر عليه السلام
- ٦٦٢ شعر الشيخوخة: المختار من شعر الرُّبِيع بن ضَبْع
- ٦٦٦ لغة العرب وعلومها: كلمة فريتاغ الألماني
- ٦٦٧ حضارة العرب في كتب الأقدمين
- ٦٦٧ الأهرام (شعر منشور)؛ لأحمد شوقي
- ٦٦٨ الهرمان وحقائق الحياة؛ للمتنبّي
- ٦٦٩ من أوهام عصرنا: كلمة غوستاف لوبون
- ٦٦٩ قيادة الأمة: كلمة فوردد
- ٦٧٠ الانتداب الفرنسي في سوريا: كلمة للمسيو ماسي فيون
- ٦٧١ تزوير بديع الزمان الهمذاني يبتن على لسان أبي فراس
- ٦٧٢ في سبيل اللغة (قصيدة)؛ لإبراهيم بك منذر
- ٦٧٣ خطبة عمرية
- ٦٧٤ الخمر
- ٦٧٥ بيت الثور (نادي الثبان المسلمين)؛ للدكتور أبي شادي

- ٦٧٧ كيف أسلما؟ (قصتان لم يسبق نشرها)
- ٦٨٠ حيرة؛ لأنور العطار
- ٦٨١ كفروا تقليدًا؛ لعبد الحق الإشبيلي
- ٦٨١ في قصر الزهراء بالأندلس
- ٦٨٣ حقوق الطفل
- ٦٨٣ إلى الله (شعر)؛ لزكي المحاسني
- ٦٨٤ السحابة الباكية؛ لشاعر قديم
- ٦٨٤ نقد كتاب مزور
- ٦٨٥ الحكومة الإسلامية
- ٦٨٧ حياة الأديب؛ أنور العطار
- ٦٨٨ الشعر؛ مصطفى صادق الرافعي
- ٦٩١ الحقيقة، لعلّي ﷺ
- ٦٩٢ سيف الحق أمين الرافعي؛ لأحمد شوقي
- ٦٩٥ ملاحظة مستشرق على ثقافتنا
- ٦٩٥ المجد الكاذب؛ لمحمد البزم
- ٦٩٦ المجنون الأديب
- ٦٩٨ القصيدة اليتيمة؛ لدوقلة المنبجي
- ٧٠١ حب الأعرابي للبادية
- ٧٠١ شفقة خليفة على رعيته
- ٧٠٢ صحة التفكير؛ لمحَبّ الدين الخطيب

- ٧٠٥ ولاية المسلمين معلّون (خطبة عُمرية)
- ٧٠٥ الشام؛ لأمين بك تقي الدين
- ٧٠٨ توحش التمدن: كلمة للرحالة الانكليزي هكسلي
- ٧٠٨ مصباح الكهرباء؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ٧١٠ مواسة الصديق: كلمة لابن المقفع
- ٧١٠ الذكرى؛ لعمر يحيى
- ٧١٢ حكم
- ٧١٣ حسن الاستماع: كلمة لابن المقفع
- ٧١٣ كلمات للمنفلوطي
- ٧١٧ ذكرى الغوطة؛ لمحمد البزم
- ٧١٨ الاعتدال؛ للمنفلوطي
- ٧١٩ من صلح الحديبية إلى فتح مكة
- ٧٢٩ نقلة (الزهاء)؛ لأبي شادي
- ٧٣٠ العربية وعناية عظماء المسلمين بها
- ٧٣١ ويلات الأمم؛ لجبران خليل جبران
- ٧٣٢ تجارب بزر جمهر حكيم الفرس
- ٧٣٣ الحب الضرير؛ لأبي شادي
- ٧٣٤ الطب العربي القديم
- ٧٣٧ * الجزء السابع
- ٧٣٩ مقدمة الجزء السابع من الحديقة

- ٧٤٠ عيد الأمس، عيد اليوم، عيد الغد؛ لمحج الدين الخطيب
- ٧٤٢ مرض حب الشهرة؛ للعقاد
- ٧٤٣ الحياة والواجب؛ لأحمد شوقي
- ٧٤٦ (لا) و (نعم)
- ٧٤٦ المدرسة البادرائية بدمشق؛ لمحج الدين الخطيب
- ٧٤٨ أذان الفجر؛ للريحاني
- ٧٤٩ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأم البنين؛ لنخلة سعد
- ٧٥٣ كلمة معاوية رضي الله عنه في وحدة العرب؛ لعمر بن عتبة
- ٧٥٤ جزيرة البحرين؛ لمحج الدين الخطيب
- ٧٦٤ عروس المشرقين؛ لبدي الجبل
- ٧٦٥ يقظة الشبان المسلمين؛ لمحج الدين الخطيب
- ٧٦٨ الطفلاق الشريدان؛ لصادق عنبر
- ٧٧٠ قرطبة؛ للحجازي
- ٧٧١ الحياة؛ للمتنبى
- ٧٧٢ مكروهات سقراط
- ٧٧٢ الخفافيش (عن نهج البلاغة)
- ٧٧٣ الزوجة؛ لأميليو
- ٧٧٣ صدق الرسالة المحمدية؛ لسانت هيلير
- ٧٧٤ الشاعرة الهندية والإسلام
- ٧٧٤ السفرور بعد الحجاب؛ لأمين ناصر الدين

- المبشرون؛ لصالح الجعفري ٧٧٥
- الطموح؛ لمحّب الدين الخطيب ٧٧٥
- حكمة عاد وجرهم؛ لأبي بكر بن دريد ٧٧٨
- الموت؛ للمازني ٧٧٩
- أسرار الحياة؛ لجبران خليل جبران ٧٧٩
- عبادة المُعجب ٧٨٠
- حكاية بشير وواصل؛ لابن العربي ٧٨٠
- دمشق؛ لمحمد اليزم ٧٨٨
- عبد الملك بن مروان والمنافق ٧٨٩
- ليك اللهم ليك؛ لمحّب الدين الخطيب ٧٩٠
- المرأة؛ لجبران خليل جبران ٧٩٢
- الحقيقة الواحدة؛ لأحمد شوقي ٧٩٢
- سفرة مع إعرابي؛ للعتبي ٧٩٤
- مدح محمد ﷺ؛ لمحمود رمزي ٧٩٥
- القضاء: حديثان نبويان ٧٩٨
- الجهاد في الحياة؛ للوزير توماس ٧٩٩
- بعض الأصدقاء؛ لسويد بن الصامت ٨٠٠
- ليل الحزين؛ لأنور العطار ٨٠٠
- عقيدة ملحد في القرآن: كلمة لشبلي شميل ٨٠٢
- أدب الأعراب ٨٠٢

- الجنّازة الحمراء؛ ليو سف غصوب ٨٠٤
- أدب الإسلام: من جوامع كلمه ﷺ ٨٠٥
- تركة سيد الخلق ﷺ: كلمة عمرو بن الحارث ٨٠٦
- لغة الضاد؛ لصادق عنبر ٨٠٧
- الشهيد المجهول؛ لفؤاد الخطيب ٨٠٩
- دموع صياد العصافير؛ للفضل الشيباني ٨١١
- بين النبي ﷺ وأصحابه: من الحديث النبوي ٨١٢
- الاتجاهات في الأدب العربي اليوم؛ لمحّب الدين الخطيب ٨١٤
- كما حنا . . . كما حنين؛ للدكتور فنديك ٨١٩
- أبو محجن الثقفى؛ لحسن أفندي البنا ٨٢٠
- الخمير؛ لغلادستون ٨٢١
- نشيد جمعية الشبان المسلمين؛ لمصطفى صادق الرافعي ٨٢١
- الإقدام والطموح؛ للمتنبى ٨٢٤
- يا شرق؛ لمصطفى الغلايينى ٨٢٤
- اعترافات جاسوس؛ للمسيو ليون روش ٨٢٥
- حنين؛ لأنور العطار ٨٢٧
- الرجولة؛ للمتنبى ٨٢٨
- مظالم محكمة التفتيش ٨٢٨
- نصف قرن على الإسلام في إنكلترا؛ لعبد الله كويليام ٨٢٩
- الحرية الدينية في تاريخ أوروبا ٨٣٥

- داؤنا ودواؤنا؛ لمولوي ظفر علي ٨٣٦
- الرحمة في قلب سيد الخلق ﷺ: من السيرة المحمدية ٨٤٠
- نشيد لجمعية الشبان المسلمين؛ للشيخ محمد عبد المطلب ٨٤١
- المعتصم والهاشمية؛ لمحّب الدين الخطيب ٨٤٣
- نشيد لجمعية الشبان المسلمين؛ لحافظ إبراهيم ٨٤٨
- نشيد لجمعية الشبان المسلمين؛ لأحمد محرم ٨٤٨
- الحسان؛ لأحمد أبي شادي ٨٤٩
- نظرية التطور عند العرب؛ للدابر الأمريكي ٨٥٠
- معنى الحياة؛ لرضا الشيبلي ٨٥٠
- الغنى والفقر؛ للرافعي ٨٥١
- الانتصار الهمجي على العرب؛ لكاتين فرنسيين ٨٥٢
- بعض حقائق الحياة؛ للرافعي ٨٥٣
- إسماعيل صبري باشا؛ لصادق عنبر ٨٥٤
- طلب الدراهم من الحجارة؛ لأبي معاوية الكعبي ٨٥٧
- مقياس الذكاء والإجرام؛ لحسن بك عمر ٨٥٧
- الدموع؛ لأنور العطار ٨٦٠
- الإسلام هو المدنية؛ للمؤرخ ولز ٨٦٠
- محمد ﷺ؛ لمحمود رمزي نظيم ٨٦٣
- التمدن العصري؛ لرضا الشيبلي ٨٦٧
- لغة المعاني السامية؛ للرافعي ٨٦٧

- ٨٦٨ نشيد لجمعية الشبان المسلمين؛ لأحمد شوقي
- ٨٦٩ الكرم العربي (قَصَص شعري)؛ للحطيئة
- ٨٧٠ خطرات أفكار؛ لتولستوي
- ٨٧٣ * الجزء الثامن
- ٨٧٥ مقدمة الجزء الثامن من الحديقة
- ٨٧٦ ظل البردة؛ للشيخ محمد عبد المطلب
- ٨٨٢ حقائق
- ٨٨٢ الاعتدال والبساطة، الفن
- ٨٨٣ الإمام؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ٨٨٩ الصابر العظيم؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ٨٨٩ من كلمات سهل بن هارون
- ٨٩٠ العلم والعقل في الهداية الإسلامية؛ للشيخ عبد القادر المغربي
- ٨٩٤ بطل الغار: الأمير عز الدين الجزائري؛ لمحمود رمزي نظيم
- ٨٩٦ التبشير؛ لمحمد علي الحوماني
- ٨٩٦ أثر النفوذ الإسلامي في أوروبا؛ لمدام ديفونشير
- ٨٩٨ الواجب؛ لإلياس فاعور
- ٨٩٩ أمانى المقامر؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ٩٠٠ محرر العالم محمد ﷺ؛ للقس الدكتور تيسن
- ٩٠٠ مفخرة الشبان المسلمين؛ لمحمود رمزي نظيم
- ٩٠١ المبشرون في الشرق؛ لميخائيل نعيمة عن بكتول

- ٩٠٥ الحاكم وشخصيته
- ٩٠٥ من اعترافاتهم
- ٩٠٦ إلى من يسمع ويعي؛ لأمين بك ناصر الدين
- ٩٠٩ شيخ المعمّرين: عن مجلة (الزهراء)
- ٩١١ أولادنا؛ لحطان بن المعلى
- ٩١٢ مشي الهوينا لا يفيد؛ لمحمد صادق عرنوس
- ٩١٥ متحف لندن العلمي: عن (الزهراء)
- ٩١٦ داء ولا طيب؛ لابن رواحة
- ٩١٧ إلى مهندس منزلي؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ٩١٨ الوفاء بالعهد: عن مجلة (الهداية)
- ٩١٨ ذو بُد مقيد؛ لمحمد علي الحوماني
- ٩٢٠ أمن عصر العقل إلى عصر القلب؟ للرافعي
- ٩٢٥ الخطابة في العصور الإسلامية: عن مجلة (الهداية)
- ٩٢٦ مناجاة الطير؛ لشفيق بك جبري
- ٩٢٧ ملك القلوب: عن (الهداية)
- ٩٢٧ حلم أعظم ملوك الدنيا
- ٩٢٨ المستبد الذي لا عقل له
- ٩٢٨ مأساة مصرية؛ لمحمد صادق عنبر
- ٩٣٠ الرجال؛ للحسن البصري
- ٩٣٠ موطني؛ لإلياس فرحات

- ٩٣١ الحالة الحاضرة؛ لمحّب الدين الخطيب
- ٩٣٥ كلمات في الحكمة: عن مجلة (الزهراء)
- ٩٣٦ أوّمن بالدين؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ٩٤٣ نظرة اجتماعية في الإحسان؛ لمحمد صادق عرنوس
- ٩٤٦ كلمات في السياسة والعدل
- ٩٤٦ ماذا أرى في التجديد والمجددين؟ لمصطفى صادق الرافعي
- ٩٥١ عادات شعراء العرب؛ لمحمد المكي حسين
- ٩٥٤ وعظ العلماء للأمرء
- ٩٥٤ اللبانات
- ٩٥٥ الجامد والمقلد
- ٩٥٧ الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير؛ للشيخ السعيد الزاهري
- ٩٦٥ الحرب: كلمات مأثورة للجنرال فوش
- ٩٦٥ التاريخ الهجري؛ للشيخ طاهر الجزائري
- ٩٦٧ كلمة شجاع؛ للحصين بن الحمام
- ٩٦٧ السفور؛ لشاعر دمشقي
- ٩٦٨ سقوط اللغة بسقوط دولتها؛ لابن حزم
- ٩٦٨ التجديات؛ للأموي
- ٩٧٠ المروءة: عن (الزهراء)
- ٩٧١ ذكرى الأندلس؛ للدكتور أبي شادي
- ٩٧٢ لعنا العلمية؛ لمحّب الدين الخطيب

- ٩٧٥ الدهر؛ لأنور العطار
- ٩٧٥ عمر رضي الله عنه وأم البنين؛ من كتاب (الخلفاء الراشدون) للنجار
- ٩٧٨ شاعر الطبيعة؛ لعمر يحيى
- ٩٧٩ عذاب الشام؛ لمحمود رمزي نظم
- ٩٨٢ الحياء: عن الزهراء
- ٩٨٣ كتاب عمر في القضاء: عن (الخلفاء الراشدون) للنجار
- ٩٨٥ الرافعيون؛ لشوقي
- ٩٨٨ أول قراض في الإسلام عن (الموطأ)
- ٩٨٩ يا مشرق الشمس؛ للشيبى
- ٩٩٣ لمن النصر؟ لابن رواحة
- ٩٨٩ ابدأ بالواجب الذي بين يديك؛ لكارلايل
- ٩٩١ هدية ملكة الروم إلى ملكة العرب: عن (الخلفاء الراشدون) للنجار
- ٩٩٣ الزواج بالأجنبيات؛ لمحمد الهراوي
- ٩٩٤ منكم تعلمنا؛ للقاضي آرثر لايسى
- ٩٩٥ الجرائد اليومية؛ لحافظ إبراهيم
- ٩٩٥ لم نزل... حتى غدونا؛ لحافظ إبراهيم
- ٩٩٦ لماذا أحب الوحدة؟ لجبران خليل جبران
- ٩٩٧ الإسلام؛ للمسيو جان مليا
- ٩٩٩ * الجزء التاسع
- ١٠٠١ مقدمة الجزء التاسع من الحديقة

- ١٠٠٢ خلافتنا قبل مدنيتهم؛ لمصطفى صادق الرافعي
- ١٠٠٨ شوقية الشبان المسلمين؛ لأحمد شوقي
- ١٠١٠ القضيب النبوي والبردة؛ لأحمد تيمور باشا
- ١٠٢٣ أول العجز؛ لعبيد بن أيوب العنبري
- ١٠٢٤ خير من ...؛ لأبي العتاهية
- ١٠٢٤ عتاب صديق؛ لمحمد صادق عنب
- ١٠٢٦ كلمة شجاع؛ للحصين بن الحمام
- ١٠٢٦ شامية حافظ إبراهيم
- ١٠٢٩ مصر والشام؛ لأحمد أفندي نسيم
- ١٠٢٩ جرير وبنو نمير؛ لجميل أفندي سلطان
- ١٠٣٩ إلى امرئ القيس؛ لأمين تقي الدين
- ١٠٤٠ المجاهد المحتضر؛ لمالك بن الرب
- ١٠٤٣ التجاريف؛ للأغلب العجلي
- ١٠٤٤ الحديقة؛ لمحمد صادق عرنوس
- ١٠٤٥ التمحيص؛ لأمين بك ناصر الدين
- ١٠٤٦ شيء عن لييد بن ربيعة
- ١٠٤٧ الحصائل؛ للييد بن ربيعة
- ١٠٤٨ عبد الملك بن مروان ليلة اختضاره
- ١٠٤٩ ابن الليل؛ لأبي ماضي
- ١٠٥١ الورقاء؛ لأنور العطار

- ١٠٥١ ثمالة النجوى
- ١٠٥٣ الكلام والصمت
- ١٠٥٤ الغنى والفقر؛ للرافعي
- ١٠٥٤ وقفة على الغار؛ لمحمد علي الطنطاوي
- ١٠٥٩ السؤال
- ١٠٦٠ إلى العلم البريطاني؛ لخير الدين الزركلي
- ١٠٦٣ في هوى الإسلام؛ لمحمود أفندي رمزي نظم
- ١٠٦٦ حكم
- ١٠٦٦ عبقرية شوقي؛ لمحمد صادق عنبر
- ١٠٦٩ لوازم الخير
- ١٠٦٩ حكم
- ١٠٧٠ الكتاب (شعر)؛ لمحمد صادق عرنوس
- ١٠٧١ الكتاب (نثر)؛ للجاحظ
- ١٠٧٢ مصر وذكرى استقلال سوريا؛ لعباس العقاد
- ١٠٧٤ التهور لديكارت
- ١٠٧٤ المروءة
- ١٠٧٥ حكم مقتطفة من مقال لمحِب الدين الخطيب
- ١٠٧٧ السعادة قريبة التناول؛ للسر تشارلس ويفلد
- ١٠٧٨ سبيل النجاح؛ لهنري فورد
- ١٠٧٨ البورصة والشاعر؛ لأمين تقي الدين

- ١٠٧٩ حِكْم وأمثال
- ١٠٨١ حِكْم
- ١٠٨٠ سيوف نضاها الله؛ للأمير شكيب أرسلان
- ١٠٨٢ المسلمون في لبنان النصراني؛ لأخي مض
- ١٠٨٣ الناس صنفان؛ لأمين بك ناصر الدين
- ١٠٨٤ كلمات حكيمة
- ١٠٨٤ ينبوع التفريق؛ لجبران خليل جبران
- ١٠٨٦ وصية روتشيلد لبنه أشيل روتشيلد
- ١٠٨٦ صدقي الطيار؛ لأحمد شوقي
- ١٠٨٨ نثرة اجتماعية
- ١٠٨٩ كيف ينظم الشعراء؟
- ١٠٩١ اجتناب الغضب
- ١٠٩٢ العمل رياضة العقل؛ لأرثر برزباين
- ١٠٩٤ الحلم
- ١٠٩٥ حِكْم
- ١٠٩٥ كلمات ديوجانس
- ١١٠٠ العالم النصوح
- ١١٠٠ غرناطة العرب؛ للشاعر الأسباني فيلا سباسا
- ١١٠٢ فيلا سباسا العربي
- ١١٠٣ فقيد الإسلام أحمد تيمور باشا؛ لمحِب الدين الخطيب

- ١١٠٦ رثاء أحمد تيمور؛ لمحمد صادق عرنوس
- ١١٠٧ أحمد تيمور باشا؛ لمحمد عبد الغني حسن
- ١١٠٨ غروب الشمس؛ لمعروف الرصافي
- ١١٠٩ من روائع مسكين الدرامي
- ١١١٠ عيشة البداوة؛ لسليم بك عنحوري
- ١١١٢ كرسي القيادة: كلمة لتابليون
- ١١١٢ مؤامرة على حياة سيد الخلق ﷺ
- ١١١٤ الجلساء المأمونون؛ لابن الأعرابي
- ١١١٥ الأهرام لإسماعيل صبري باشا
- ١١١٥ سادات العرب
- ١١١٦ اليتيم؛ لحافظ إبراهيم
- ١١١٧ مدنيتهم: بقلم ع ب
- ١١١٨ حكم وأمثال
- ١١١٩ الأخلاق؛ لحاتم الطائي
- ١١٢٠ شيء عن حاتم الطائي
- ١١٢١ الفتح في عامه الخامس؛ لمحمد صادق عرنوس
- ١١٢٣ * الجزء العاشر
- ١١٢٥ مقدمة الجزء العاشر من الحديقة
- ١١٢٦ خلق التضحية؛ لمحج الدين الخطيب

- أجدادنا خير منا؛ للسيد أحمد عبيد ١١٢٩
- الغفلتان والمنزلة بين المنزلتين؛ للسيد مصطفى صادق الرافعي ١١٢٩
- الصاحب المداحي؛ ليزيد بن عبد الحكم الثقفي ١١٣٠
- قدرة الطائر وقدرة الإنسان؛ للرافعي ١١٣٢
- أم مُدوي ١١٣٢
- فؤاد حجازي يتكلم؛ لوديع أفندي بستاني ١١٣٣
- العرب أشرف جنود في العالم؛ للجنرال فون كريس ١١٣٤
- العرب أمة الحرية والفروسية؛ الدكتور إدوار ماشنسكي ١١٣٥
- الفتح في عامها الخامس؛ للأستاذ محمد حسن النجمي ١١٣٦
- الحطيئة بين الزبرقان وبنى أنف الناقة ١١٣٨
- كلام الملوك ١١٤٣
- محمد ﷺ يبيكي ١١٤٤
- الأخلاق المحمدية؛ لأحمد شوقي ١١٤٥
- الناس؛ من مقصورة ابن دريد ١١٤٥
- الناس؛ للغساني ١١٤٦
- بلاغة العرب؛ لأبي سليمان المنطق ١١٤٦
- حكيم؛ لأبي سليمان المنطق ١١٤٧
- أصل كريستوف كولومب ١١٤٩
- يا طير!؛ لعمر يحيى ١١٤٩

- ١١٥١ الجزع؛ لسقراط
- ١١٥٢ بكاه المنابر؛ للأمير شكيب أرسلان
- ١١٥٤ كيما يُرى مفرغاً في جسمه السبع؛ للرافعي
- ١١٥٦ نحن جند الرباط؛ للشيخ عبد الله عفيفي
- ١١٥٧ دمعة مسلم؛ للأستاذ حسن النجمي
- ١١٥٩ انحلال الأنفس وعلاجه؛ لمحمد بن يوسف العامري
- ١١٦٠ قدوتنا الأعظم ﷺ؛ لمحج الدين الخطيب
- ١١٦٣ مُغالب الدهر؛ لنعمان ثابت
- ١١٦٤ مدح محمد ﷺ؛ لأحمد شوقي
- ١١٦٧ لا دواء لجُرح الشرف؛ للمنفلوطي
- ١١٦٩ مرشح نفسه للقضاء
- ١١٧٠ أبو قيس بن الأسلت قائد حرب بُعاث
- ١١٧٣ الذين
- ١١٧٣ الكاتب: كلمات لبعض البلغاء
- ١١٧٤ أغبياء الكتاب
- ١١٧٦ سبب انحطاط الكتابة
- ١١٧٧ أين هو؟: الحسن بن سهل وابن سماعة القاضي
- ١١٧٨ الأخ الثاوي؛ لأبي العتاهية
- ١١٧٩ حِكم ومواعظ

- ١١٧٩ من حكم أبي مدين
- ١١٨٠ الأندلسية؛ للأمير شكيب أرسلان
- ١١٨٥ حكم أخرى لأبي مدين
- ١١٨٦ غدر المرأة؛ للمنفلوطي
- ١١٩٠ العربية والإسلام وموقف أوربا منهما؛ لناصر الدين دينه
- ١١٩٥ الجندي المجهول
- ١١٩٥ حكم
- ١١٩٦ خطبة الفتح للقاضي محيي الدين بن الزكي
- ١٢٠٢ أعزوا العلم والدين فأعزهم الله
- ١٢٠٢ الجامعة القومية والجامعة الإسلامية؛ لمحِب الدين الخطيب
- ١٢٠٦ الزهاوي يُلحد للشهرة؛ للأستاذ النجمي
- ١٢٠٨ وصايا روتشلد
- ١٢٠٩ هل نحن أحرار؟
- ١٢١٢ شيء عن المسير بريان
- ١٢١٣ رمضان؛ للأستاذ محمد صادق عرنوس
- ١٢١٥ صفحة قديمة في تاريخ التبشير الكنسي
- ١٢١٦ بماذا صار مولانا محمد علي عظيمًا؟ لمحِب الدين الخطيب
- ١٢٢٠ رثاء محمد علي؛ لأحمد شوقي
- ١٢٢١ قصص لافونتن من أصل عربي

- أوهام العاشقين، حب الإشراف؛ للرافعي ١٢٢٢
- حب الأشراف ١٢٢٢
- الصحراء العربية؛ للضابط الأمريكي اسكندر باول ١٢٢٢
- قوة العربي وحلفاؤه ١٢٢٦
- العرب ١٢٢٨
- أنظمة الدستور وسيلة لا غاية ١٢٢٩
- بين الحجاج وبشر بن مالك ١٢٣٠
- من حكم أبي بكر الوراق ١٢٣١
- من كلمات السلف ١٢٣١
- الآلام؛ للرافعي ١٢٣٢
- ألاعيب وحقائق: (دخائل أبطال التجديد في مصر) ١٢٣٣
- فلسفة المرض؛ للرافعي ١٢٣٩
- اليمن والشؤم في نظر الدين الإسلامي؛ للشيخ علي محفوظ ١٢٤٣
- دمشق بعد يوم ميسلون؛ لخليل بك مردم ١٢٤٦
- الإسلام: ماضيه وحاضره؛ لعبد الحليم المصري ١٢٤٧
- * الجزء الحادي عشر ١٢٥١
- مقدمة الجزء الحادي عشر ١٢٥٣
- كيف تزوج حاتم امرأته؟ ١٢٥٤
- حكم عربية؛ لمؤرق العجلي، والأحنف، وشوقي ١٢٥٧

- ورد الصباح والمساء للآباء والأبناء؛ للأمير شكيب أرسلان ١٢٥٧
- السياسة والإيمان الديني؛ لغاندي ١٢٦١
- مات شوقي؛ لمحِب الدين الخطيب ١٢٦١
- حلم قيس بن عاصم؛ للأحنف بن قيس ١٢٦٦
- الصحافة (شعر)؛ لشوقي ١٢٦٧
- من حكم سيدنا علي عليه السلام ١٢٦٧
- كيف يخلص الشرق من الغرب؟ لبرنارد شو ١٢٦٨
- من أسباب الضلال في الشرق؛ لانطون الجميل ١٢٦٩
- حكم ١٢٦٩
- مصطفى كامل في المدرسة الثانوية ١٢٧٠
- تنمية الشعور الديني؛ لغاندي ١٢٧٠
- جامعة القدس؛ للأستاذ محمد حسن النجمي ١٢٧١
- تأليب الجماعات واتحاد العالم؛ لغاندي ١٢٧٣
- إتقان صناعة الموت؛ لمدير المعارف العراقية ١٢٧٤
- أمة العرب بين الأمم؛ للأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني ١٢٧٦
- من حافظ إبراهيم إلى شوقي؛ لأمين بك ناصر الدين ١٢٧٩
- ضغط العالم المسيحي على روح الحرية الإسلامية ١٢٨٣
- روح العصر؛ للأستاذ عبد الوهاب عزام ١٢٨٤
- إلى جزيرة العرب؛ للشيخ فؤاد الخطيب ١٢٨٤

- ١٢٨٥ نجدية تحنّ إلى نجد
- ١٢٨٦ جبل الوشل
- ١٢٨٦ ظُرف أعرابي
- ١٢٨٨ العرب وديارهم
- ١٢٨٨ البادية كما يراها أبنائها
- ١٢٩٠ كرامة العرب على الله
- ١٢٩١ رسالة سرّية من بدوي إلى عشيرته
- ١٢٩٢ بلاد العرب وأهلها
- ١٢٩٣ وظيفة العرب في يقظة الإسلام؛ للدكتور جب
- ١٢٩٤ من حكم سيدنا علي عليه السلام
- ١٢٩٥ علماؤنا الأولون
- ١٢٩٦ الغوغاء
- ١٢٩٦ الباغي
- ١٢٩٧ كلمات؛ للصاحب بن عباد
- ١٢٩٨ رثاء شوقي؛ للأمير شبيب أرسلان
- ١٣٠١ الصديق؛ لابن مسعود، والخليل، وميمون بن مهران، وابن المقفع
- ١٣٠٢ نزوع المرء إلى أصله؛ لنهشل بن حرى
- ١٣٠٢ شرب عند بزوغ فجر الإسلام
- ١٣٠٦ من كلام أبي الحسن العامري

- عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وخادمهم؛ للغرابلي ١٣٠٦
- الأنوار الكشفية عند العرب ١٣٠٩
- حياء القادر ١٣١٠
- حياء المتعذر ١٣١١
- الدعاء ١٣١١
- نشيد المدرسة؛ للرافعي ١٣١٢
- الأخلاق؛ لروزفلت ١٣١٢
- مهر المعالي؛ لروزفلت ١٣١٣
- من أقوال أحمد شوقي ١٣١٣
- كلمات؛ للإمام أحمد بن حنبل ١٣١٥
- من أمثال العرب ١٣١٦
- المعصية؛ لإبراهيم الصولي ١٣١٧
- مصيبتنا التواكل والتقليد الأعمى؛ لمحمد حسن النجمي ١٣١٧
- حكم عربية ١٣١٩
- الطب العربي والأوروبيون ١٣٢٠
- إلى أين نحن سائرون؟ لمحج الدين الخطيب ١٣٢٠
- العرب من أقدم أجداد الإنسانية ١٣٢٤
- الفارغون ورجل العمل؛ لابن الجوزي ١٣٢٥
- تعصب الغربيين على الشرقيين ١٣٢٦

- ١٣٢٧ من أقوال كونفوشيوس
- ١٣٢٧ من أقوال الصاحب بن عباد
- ١٣٢٨ الدهاء في السياسة؛ للشيخ محمد الخضر حسين
- ١٣٣٣ الخمرة
- ١٣٣٤ نصيحة الإمبراطور غليوم لشبان الأتراك؛ للأمير شكيب أرسلان
- ١٣٣٦ الثقافة الإسلامية؛ للمسيو لاوس
- ١٣٤٣ الحكمة
- ١٣٤٣ الأخلاق بين الحجاج وعمران بن حطان
- ١٣٤٤ الاستعمار العربي في رودسيا
- ١٣٤٥ ولكن أين المسلمون؟ لبرنارد شو
- ١٣٤٧ من الحديث النبوي
- ١٣٤٨ محمد منقذ البشرية؛ لبرنارد شو
- ١٣٥٠ المترفون
- ١٣٥٠ الديمقراطية في الإسلام
- ١٣٥١ الناس
- ١٣٥١ عفة مجاهد
- ١٣٥١ بناء السوء
- ١٣٥٢ آداب الإسلام
- ١٣٥٢ دين الحقائق

- ١٣٥٣ حكمة العرب
- ١٣٥٣ أخلاق المأمون
- ١٣٥٤ حلم ملوك العرب
- ١٣٥٤ عبدٌ له أخلاق الأشراف
- ١٣٥٥ ترجمان الشافعي
- ١٣٥٥ ذكاء الأعراب
- ١٣٥٦ الخمرة؛ لأبي العلاء المعري
- ١٣٥٧ من الهداية الإسلامية
- ١٣٥٧ الطالب المتحر؛ لأحمد شوقي
- ١٣٥٨ حكمة نبوية
- ١٣٥٨ من هداية الإسلام
- ١٣٦١ الشعر في الإسلام
- ١٣٦١ عام هجري جديد؛ لمحمد صادق عرنوس
- ١٣٦٣ من حضارة العرب
- ١٣٦٥ بنو رحم؛ لأحمد إبراهيم غزاوي
- ١٣٦٦ أموال الفتوح بين أيدي أصحاب رسول الله ﷺ
- ١٣٧٠ من كلام فرانكلين
- ١٣٧٠ يا فاتح القدس؛ لأحمد شوقي
- ١٣٧١ الإسلام ينتشر بنفسه؛ لادوار مونتيه

- ١٣٧٢ تقبيل اليد
- ١٣٧٢ طلاب الوظائف
- ١٣٧٣ ذكرى عام هجري؛ لمحمد الهياوي
- ١٣٧٦ التضحية بالنفس والمال
- ١٣٧٦ حفيد خليفة ينصح خليفة
- ١٣٧٧ تعرف أحوال الرعية
- ١٣٧٨ المرأة
- ١٣٧٨ الحديقة في اليمن
- ١٣٧٩ الشيخوخة
- ١٣٨٠ الجهاد المحمدي في حرب الأحزاب وبني قريظة
- ١٣٩٥ التجديد في الأدب؛ للرافعي
- ١٣٩٧ * الجزء الثاني عشر
- ١٣٩٩ مقدمة الجزء الثاني عشر
- ١٤٠٠ عمر بن عبد العزيز مثل أعلى للعدل وطهارة النفس
- ١٤٠٨ شمم العرب
- ١٤٠٩ الدين (شعر)؛ للأستاذ الغلاييني
- ١٤١٠ نكبة فلسطين: رجب ١٣٥٢؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٤١٤ من كلام نابليون بونابرت
- ١٤١٤ حكم وأمثال

- ١٤١٥ المروءة شيمة الصحراء
- ١٤١٦ سياسة الطب في العصر العباسي
- ١٤١٦ كنت أحسب . . فوجدت . . ؛ للأستاذ عبد الوكيل جابر
- ١٤١٧ من كلام ابن المقفع
- ١٤١٨ الباقي (شعر) - ؛ لورقة بن نوفل
- ١٤١٨ الأزمة في زمن هشام
- ١٤١٩ الدعاء
- ١٤٢٠ إلى النفس الأمانة؛ للرصافي
- ١٤٢١ أمير المؤمنين وعمته
- ١٤٢٢ لا أعود إلى مثلها
- ١٤٢٢ يا شباب الله؛ للأستاذ أحمد حسن الباقوري
- ١٤٢٣ معرض الأفكار
- ١٤٢٤ وطن وعشيرة؛ للأستاذ الشيخ عبد الله عفيفي
- ١٤٢٨ من كلام المهلب
- ١٤٢٨ قوة العرب المعطلة؛ لمحج الدين الخطيب
- ١٤٣٢ العربة المصرية؛ للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
- ١٤٣٧ محاكمة مسلم أندلسي بمحاكمة التفتيش؛ الدكتور علي مظهر
- ١٤٤٦ البطش بمشروع القرش؛ للأستاذ محمود غنيم
- ١٤٤٨ مؤامرة على عمر تشترك فيها بنته ﷺ

- ١٤٤٩ حُكم العرب في مصر: ولاية عبد الحميد بن سعد
- ١٤٥٠ ذكاء زياد
- ١٤٥٠ الضرورة الفردية والضرورة الاجتماعية؛ لمحج الدين الخطيب
- ١٤٥٤ صفة العالم
- ١٤٥٥ من كلام الأحف بن قيس
- ١٤٥٨ آية الله في زلزال الهند؛ للأستاذ النجمي
- ١٤٦١ أجناس الخطوب؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٤٦٢ كامل (قصة)؛ لأبي الوفاء
- ١٤٦٤ شاعر متعفف؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٤٦٥ الدنيا؛ لأحمد شوقي
- ١٤٦٥ من كلام أبي الحسن العامري
- ١٤٦٦ حياة الخلود؛ للمعري
- ١٤٦٦ يتزيد المستزيد لنقص يجده في نفسه
- ١٤٦٦ ضلال الظواهر؛ للمعري
- ١٤٦٧ كيف أصلي؟
- ١٤٦٧ الكبير والحمد؛ للمعري
- ١٤٦٧ العفة والدينس؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٤٦٨ النيذ؛ لأبي الفضل عبد الله
- ١٤٦٨ جمع المال
- ١٤٦٩ الفضل كالمسك؛ للمعري

- ١٤٦٩ خطرات؛ للأستاذ محمد الأسمر
- ١٤٧٠ الإنسان والأقدار؛ للمعري
- ١٤٧٠ إجلال العلماء
- ١٤٧١ من كلام النعمان بن المنذر
- ١٤٧١ من كلام الأعراب
- ١٤٧٢ حكم
- ١٤٧٢ الجيش؛ للأستاذ محمد الأسمر
- ١٤٧٣ الأمل؛ للشيخ عبد الرحيم العدوي
- ١٤٧٤ رد تحية: إلى الأستاذ الهلالي؛ للأستاذ النجمي
- ١٤٧٦ أخلاق الأمراء
- ١٤٧٦ العيش الرغيد
- ١٤٧٦ الموت نعمة؛ للأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري
- ١٤٧٩ العزة ويُبعد الهمة: كلمة للزمخشري
- ١٤٨٠ كبرياء الفقر؛ للأستاذ صلاح اللبايدي
- ١٤٨١ حقيقة الكرم؛ حاتم الطائي
- ١٤٨٢ دماء بني أمية: شجاعة الأوزاعي عند عبد الله بن علي العباسي
- ١٤٨٣ الربيع؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٤٨٦ المرء ضيف؛ للمعري
- ١٤٨٧ كيف كان المسلمون يحكمون الأمم؟ للقاضي أبي يوسف
- ١٤٨٩ سلطان العلماء على الأمراء

- ١٤٩٠ عمران حضرموت؛ للأستاذ علي أحمد باكثير
- ١٤٩١ طريق الذل: حديثان نبويان
- ١٤٩٢ الشهيد؛ للأستاذ إبراهيم طوقان
- ١٤٩٣ العالم
- ١٤٩٤ من حكمة أبكتاتوس الروماني
- ١٤٩٤ الفتح في عامها التاسع؛ للأستاذ النجمي
- ١٤٩٧ من الحكم؛ لمعاوية والصاحب بن عباد
- ١٤٩٨ تحية الفتح في عامها التاسع؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٥٠٠ الفتح في سنتها التاسعة؛ للأستاذ محمد صادق عرنوس
- ١٥٠١ من وصايا الآباء للأبناء؛ لعلي بن أبي طالب عليه السلام
- ١٥٠٢ تغير الحال؛ لأبي العلاء الأسدي
- ١٥٠٢ في الخمر؛ ليزيد بن محمد المهلب
- ١٥٠٢ داعية الهدى؛ للأستاذ علي أحمد باكثير
- ١٥٠٤ جبلة بن الأيهم ملك غسان بالشام
- ١٥١٠ مجالس ملوك العرب مجالس ثقافة وتهذيب
- ١٥١٢ نصراني يمدح الرسول ﷺ؛ لوصفي قرنفلي
- ١٥١٤ من كلام غوستاف لوبون
- ١٥١٤ من أقوال السلف في العلم والعالم
- ١٥١٥ شعر الحكمة؛ لأبي العتاهية
- ١٥١٥ ترم أوس بن حارثة وعقل أمه شعدي

- ١٥١٧ أول ليلة للأصمعي في قصر هارون الرشيد
- ١٥٢٢ كعب بن لؤي
- ١٥٢٣ معن بن زائدة
- ١٥٢٣ بطل ميسلون الخالد؛ للأستاذ النجمي
- ١٥٢٥ إذا
- ١٥٢٥ لو
- ١٥٢٦ عيد استقلال لبنان؛ لبشارة الخوري
- ١٥٢٧ مبادئ متواضعة؛ لخالـد الجرـنوسـي
- ١٥٢٨ نشيد الفلاح الصغير؛ لعبدالله الدشـلوطـي
- ١٥٢٩ عزة الأعرابي
- ١٥٣١ رُب
- ١٥٣٢ نشيد الشام؛ لخليل مردم
- ١٥٣٣ من كلام المأمون
- ١٥٣٣ بين الزركلي والمظفر
- ١٥٣٥ الموت
- ١٥٣٥ حكمة علوية
- ١٥٣٦ الخير في الحديث النبوي
- ١٥٣٧ الصعلوك والمتفرنجون؛ لعبدالله الأندنوسي
- ١٥٤١ الإيمان والحياة؛ للمنفـلوطـي
- ١٥٤٢ * الجزء الثالث عشر

- المقدمة ١٥٤٥
- رمضان يتكلم؛ لمحِب الدين الخطيب ١٥٤٦
- حِكم ١٥٥٠
- الناس؛ لمحمود سامي باشا البارودي ١٥٥٠
- صحيفة كاتب؛ للأستاذ أحمد محرم ١٥٥١
- من: (حِكم) ١٥٥٢
- نهج الحياة؛ للعبدي ١٥٥٤
- الإسلام والمسلمون؛ للأستاذ أحمد أفندي عبيد ١٥٥٥
- من إلهامات رمضان: ليلة القدر؛ لمحِب الدين الخطيب ١٥٥٥
- الحسد: (حِكم) ١٥٦٠
- في ظلال الغنى؛ للأستاذ النجمي ١٥٦١
- صوت القبر؛ للأستاذ الرافعي ١٥٦٢
- الإسلام؛ لليدي ايفلن كوبولد ١٥٦٣
- التفكه بالحقائق ١٥٦٣
- إمارة الشعر الجديد؛ للأستاذ النجمي ١٥٦٤
- من حِكم الفاروق عليه السلام ١٥٦٤
- الاقتصاد: (شعر قديم) ١٥٦٥
- ضارب الرمل؛ للأستاذ محمد الأسمر ١٥٦٥
- حِكم ١٥٦٦
- من مصر إلى الهند؛ للأستاذ أحمد محرم ١٥٦٧

- ١٥٦٩ الطوفان في جبال نابلس؛ للأستاذ إبراهيم طوقان
- ١٥٦٩ كلنا عرب؛ للأستاذ علي أحمد باكثير
- ١٥٧١ يا آسى الجرح؛ للأستاذ خليل مردم
- ١٥٧٢ الزكاة؛ لأحمد شوقي
- ١٥٧٢ أغنياؤنا وفلسطين؛ للأستاذ النجمي
- ١٥٧٣ الذئب والحظيرة
- ١٥٧٣ نشيد الأطفال في رمضان؛ للأستاذ فايد العمروسي
- ١٥٧٥ تفرق المسلمين؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٥٧٥ العرب؛ لمحّب الدين الخطيب
- ١٥٨٠ حكم
- ١٥٨٠ الجاهل إذا صار غنياً؛ للأستاذ أحمد الكاشف
- ١٥٨١ السفور والخلاعة؛ للأستاذ النجمي
- ١٥٨٣ حكم
- ١٥٨٣ من نصائح بتاح حتب الوزير المصري القديم لابنه
- ١٥٨٥ الزهر: (حكم افرنجية)
- ١٥٨٦ المسيء؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٥٨٦ حكم
- ١٥٨٧ إلهامات بيت المقدس: كتاب من غليوم الثاني إلى نقولا الثاني
- ١٥٨٩ فراق دنلوب؛ لأحمد شوقي
- ١٥٩٠ جرأة علماء الإسلام على ملوكهم

- الزهر ١٥٩١
- أجبن الناس وأحيل الناس وأشجع الناس ١٥٩١
- فكاهات ١٥٩٨
- حق الشرع وحق الأدب في دولة الإسلام ١٥٩٩
- دفاع فولتير عن الإسلام ١٦٠٣
- عيد بنك مصر؛ للأستاذ أحمد محرم ١٦٠٤
- خطبة الصديق ﷺ حين أشار عليه الصحابة بترك الجهاد ١٦٠٧
- عالمٌ لم تستعبده الدنيا ١٦٠٧
- خالد بن الوليد: (بعض أحاديث نبوية) ١٦١١
- بنت الإسلام؛ للأستاذ النجمي ١٦١٢
- عرب الإسلام؛ لأبي الريحان البيروني ١٦١٣
- إلى لبنان؛ للشاعر القروي ١٦١٥
- الأمومة - الطفولة ١٦١٧
- عالمٌ يُنقذ أبا دلف من كيد الإفشين ١٦١٨
- اللقيط؛ للأستاذ علي متولي صلاح ١٦١٩
- كتابي؛ للأستاذ علي متولي صلاح ١٦٢٠
- فشل الاعتداء على الملك عبدالعزيز؛ للأستاذ النجمي ١٦٢١
- الشريعة الإسلامية؛ لفارس بك الخوري ١٦٢٣
- العلم والعمل في تاريخ الإسلام؛ للأستاذ الشيخ محمد سليمان ١٦٢٤
- النور والحكمة ١٦٣١

- ١٦٣١ الملّك المصّيع؛ للشيخ يوسف عبد الرزاق
- ١٦٣٢ من كلمات الصديق ﷺ
- ١٦٣٣ الفتح في عامه العاشر؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٦٣٥ أيهما المعتدي؛ للأستاذ الرافعي
- ١٦٣٧ فكاهات عريية
- ١٦٣٨ الناس
- ١٦٣٨ بهذا قامت السماوات والأرض
- ١٦٣٩ موسوليني وموسم الحصاد؛ للأستاذ محمد يوسف المحجوب
- ١٦٤٠ من أقوال أناتول فرانس
- ١٦٤١ المرأة
- ١٦٤٣ الأدب: من كلمات المنفلوطي
- ١٦٤٣ الفتح على رأس عقدها الأول؛ للأستاذ النجمي
- ١٦٤٣ السياسة: كلمات للأستاذ الرافعي
- ١٦٤٧ كلمات لجبران خليل جبران
- ١٦٤٨ آراء في المرأة والزواج؛ لتولستوي، ويير بنوا، وأندريه موروا
- ١٦٤٩ المرأة: كلمات لبعض المشهورين
- ١٦٥٠ حكم لتولستوي
- ١٦٥٠ حق الجار: (بعض أحاديث نبوية)
- ١٦٥١ في ذكرى المتنبي؛ للأستاذ أحمد محرم
- ١٦٥٣ المجلد العاشر للآيات؛ لميغريت كاندو

- لماذا أحب زوجتي؟ لروحيه لونوار ١٦٥٥
- أحب الزوجات إلى الرجل؛ لبعض أدباء فرنسا ١٦٥٦
- نصائح إلى الأمهات؛ لسوزان نورمان ١٦٥٧
- ما هو الغرض من الزواج؟ لبعض أدباء فرنسا وأديباتها ١٦٥٨
- الجنة الضائعة؛ لأبي القاسم الشابي ١٦٦٠
- رجال التاريخ؛ للأستاذ الراجعي ١٦٦١
- خداع الظواهر؛ للأستاذ محمد محمد الصبحي ١٦٦٤
- الصديق الزائف؛ للشريف الرضي ١٦٦٦
- فهرس الموضوعات ١٦٦٧



هذا الكتاب

كما يُنقَى أطيب الثمر ، و بهيج الأزهار ، فقد انتقى
جدنا العلامة الكبير / محب الدين الخطيب حديقته لهذه
من بطون المجلدات ، وصفحات الكتب المتنوعة ، على مدى
سنين عديدة ، فجاءت حاوية لكل مفيد وماتع من أطيب
القول بنوعيه : الشعري والنثري ..

ونظراً لتأدم العهد بطبعة الحديقة الأولى ، فقد كانت النية
متوجهة إلى بعثه من مرقده من جديد ، إلى أن سرفنا بالتعاون
الكريم مع شئنا الفاضل / سليمان بن صالح النراشي ، المحب لجدنا
ونساجه ، فأثر أن يشاركنا في هذه المهمة الشريفة ، تحت نظرنا ،
فجزاه الله خيراً ، ونفع مجرده ، ورسم جدنا النقي وافقه اسمه مساه
فهو (محب) للديمه ، ساع في نشره نقياً كما أنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم ، بعيداً عنه زبانات البشر ، ولذا سمي
مطبوعه ومكتبه ب (السلفية) .. فرحمه الله ورفع قدره ..

وكتبه الناشر
غياث بن قصى بن محب الدين الخطيب